من اللجنة الاردنية ليوبيل « الاديب »

●

سعادة الاخ الكريم الاستاذ البير اديب حفظه الله

تحية الاحترام والاكبار

الان وقد اوشكت سنة اليوبيل الفضي على تسليم شعلتها لفترة اليوبيل الذهبي ، يطيب لنا ان نهنئكم من اعماق قلوبنا انا وزملائي اعضاء لجنة اليوبيل الاردنية على جهدكم الضخم وجهادكم العظيم في اداء رسالة الآداب والفنون والعلوم مدة ربع القرن الفائت ، سائلين الله ان يمد في عمركم ويقوي من عزمكم لاستدامة هذه الرسالة بصدور «الاديب» نورا يطلع مع كل هلال ، ونبراسا يضيء السبيل لكل جيل .

انها لمفخرة خالدة لكم ايها الاخ العميد ان تتمكنوا منفردين طوال هذه الفترة من القيام بهذا العبء المضني ، على شكل لم يسبق له مثيل في المجلات الادبية العربية ، وسيزيد من هذه المفخرة ان تولوا خدمة الامة العربية من المحيط الى الخليج هذه الخدمة الشاملة التي اضطلعتم بها اشرف اضطلاع . ولعل «الاديب» تشق طريقها في قابل الايام فيستمر صدورها خمسين عاما ، ومائة عام ، واكثر ، شأن ما نطالعه عن عمر بعض المجلات الغربية .

ان الدول اليوم تتبنى اصدار المجلات الراقية فتقوم باعباء ضخمة وتنفق نفقات طائلة . وانا لنرى الانسجام كاملا بين موقف لبنان العربي من اشقائه جميعا وبين رسالة «الاديب» في سائر الاقطار العربية والمهاجر والمعاهد الاجنبية والمؤسسات . فما اسهل واروع ان تنهض حكومة لبنان الرشيدة لمؤازرتكم فتجعل من «الاديب»تحت اشرافكم الحصيف وسياستكم الحكيمة مؤسسة تدعمها برفد معلوم من موازنة الدولة تتمكنون به من مواصلة العمل في شيء من الراحة والطمأنينة .

اننا نحييكم ايها الاستاذ الكبير والاخ العزيز ، ونرجو لكم العمر المديد والعافية السابغة و «للاديب » مزيد الرقي والازدهار ، والله يحفظكم ويرعاكم . المخلص

عمان **محمد اديب العامري**

ممثل اللجنة الاردنية ليوبيل «الاديب»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مي زيادة بعد ربع قرن

بقلم الدكتور جميل جبر

* * *

تعتبر مي زيادة ابرز اديبات عصرها . فقد لمعت خصوصا في نشاطها في سبيل تحرير المرأة الشرقية وفي ادبها الخلاق الذي كان له شأنه في اثارة النهضة الادبية الحديثة .

ولدت في ناصرة فلسطين ومكثت في المنزل الابوي الصغير الابيض القريب من البئر التاريخية في كنف ابيها اللبناني الذي كان يعلم آنذاك في مدرسة حكومية في فلسطين . لما بلغت مي الرابعة عشر من عمرها دخلت معهد عينطورة في لبنان لراهبات الزيارة حيث ادهشت معلماتها وزميلاتها بميلها الجارف الى المعرفة . وكانت تقضي العطلة الصيفية عند انسبائها في شحتول .

وفي سنة ١٩٠٤ مضت مي الى القاهرة حيث اقام ابواها فانصرفت الى القراءة بنهم وفي سنة ١٩١٠ نشرت باكورتها « ازاهير حلم » بالفرنسية . وبعد سنوات ثلاث اسهمت في تحرير «المحروسة» جريدة ابيها فلفتت انتباه المثقفين في عصرها واصبح منزلها بين عشية وضحاها ندوة ادبية عامرة . وكتبت مي في تلك الفترة في ابرز صحف مصر كالاهرام والهلال والمقطم والمقتدم .

اولعت منذ صباها بجبران وقد قرأت كتبه فراسلته مدة طويلة ولم يتسن لها ان تلتقيه . ان الشعور الحار الذي تجلى في رسائلها الموجهة الى جبران بمعدل اثنتين كل شهر (وكان يومذاك في نيويورك) قد بدأ يظهر في كتاباتها الاولى في مدرسة عينطورة يوم كانت تعيش في احلامها اكثر مما تعيش في الواقع . كتبت مي في يومياتها آنئذ باسم عايده المستعار : « كيف اتخلص من شعوري ؟ كيف الاشيه ؟ كيف اصير صخرة ؟ حدثيني ايتها الحجار السعيدة كيف صرت حجارة .. »

في جبران الذي بدأت آثاره تؤلف مدرسة خاصة في الادب العربي وكانت مي قد قرأت معظمها كانت ترى اكثر من رفيق بعيد يبدد وحدتها المعنوية . كانت تجد فيه انعكاسا لذاتيتها المستكملة ، مثالا مجسدا للفنان الذي شاءت هي ان تكونه .

دعت مي جبران الى مصر ، بطريقة مبطنة في البدء ثم بشكل صريح فيما بعد ، لكن صاحب « النبي » ما استطاع ان يلبي رغبتها . كانت مشاغله المنوعة في الادب والتصوير اكثر من ان تسمح له بمثل ذاك الجواب .

« ان الشعب الاميركي (كتب لها يقول) كبير النشاط لا يتوانى ولا يمل وهو يجهل التعب والنوم والاحلام ... ان احب احدا قتله بالانعطاف » . « ... اي رجل يستطيع ان يترك بناء صرف عمره بنحت حجارته وصفها حتى وان كان ذاك البناء سجنا له . فهو لا يقدر او لا يريد ان يتخلص منه في يوم واحد » .

وثمة اسباب اخرى كانت تمنعه من لقاء مي في القاهرة اهمها صحته وقد بدأت تزداد سوءا بعد سنة ١٩٢٢ كما يظهر من رسالة وجهها الى صديقه اميل زيدان :

« صحتي لم تزل مثل قيثارة متقطعة الاوتار . والامر الذي يزعجني هو ان الظروف قد اوجدتني في حالة تستدعي عشر ساعات عمل كل يوم وانا لا استطيع ان اصرف اكثر من اربع او خمس ساعات كاتبا ومصورا . ليس هناك شيء اصعب من وجود روح تريد في جسد لا يستطيع » .

الا ان جبران ، رغم بقائه في نيويورك ، ظل صديقا وفيا لمي وموجها روحيا لها . وقد ظهر تأثيره في كتاباتها الاولى بنوع خاص .

صالون مي

هناك حدث لا يقل اهميته في حياة مي واثرها عن علاقتها بجبران هو صالونها الذي كان بحق ملتقى رجال الفكر البارزين في ذلك العهد ومركز انطلاق النهضة الادبية المعاصرة . وهذه هي شهادة حية تؤديها احدى زائرات هذا الصالون في اول العمر الاديبة ايمي خير :

« كنا ندخل هذا الصالون من باب عن يمين المدخل . وانني ما زال اذكر المقاعد العربية والكراسي المغطاة واللوحات المعلقة فوق البيانو ، وتلك الزاوية مع المرآة المطعمة بالموزاييك . كان الثلاثاء يوم استقبالها . وكان الزائرون الاولون يفدون حوالي الساعة الرابعة . غير ان ميا ما كانت تستقبلهم اول الامر بل كانت امها تنوب عنها فتقدم القهوة وشراب الورد والسكاير .. ثم عندما يعج الصالون بالناس تقبل مي مرتدية لباسا انيقا على غير تصنع فتجلس قرب من شاءت ان تكرمه ضيفا على الصالون » .

وكان بين رواد هذا الصالون ، وهو الاول من نوعه في العالم العربي ، لطفي السيد ، داود بركات ، خليل مطران ، انطون الجميل ، ولي‌الدين يكن ، شبلي الشميل ، اسماعيل صبري ، يعقوب صروف ، طه حسين ، جرجي زيدان ، فارس نمر وخليل تابت .

وكانت اهداف هذا الصالون واضحة . كان يستهدف اولا البحث عن اسلوب عربي جديد يتوسط الاسلوب القديم واللغة المحكية ثم محاولة التقارب الثقافي بين الشرق والغرب وخصوصا خلق مناخ ملائم لتفتح المواهب الجديدة . كانت مي تشترك في جميع الاحاديث ، وتوجه النقاش وكان لها من الذكاء ما يفرض كلامها على الجمهور .

كانت ترى في احترام الحاضرين لها الامل الكبير الـــذي يعلقه هؤلاء على الغـد الذي سيفتح امـام المراة الشرقية الحياة الاجتماعية من بابها الواسع ويسمح لها بالتالي ان تسهم في نشاط الرجل . وفي سبيل تعزيز هذا الامل كتبت مي اولا سيرة « باحثة البادية » ثم سيرة عائشة تيمور ووردة اليازجي لكي تبرز العطاء الادبي والاجتماعي النسائي رغم القيود التي كانت تحد من انطلاقة المراة .

ان صالون مي الادبي الذي دام اكثر من عشرين سنة (وقد اضطرت لاقفاله بعد موت ابيها سنة ١٩٢٨) والذي سجل مرحلة في تاريخ النهضة الادبية . مما كان ليكفي ميا ويغنيها عن الخلق . فكانت بين اول من سجل اسمه من الفتيات في كلية الاداب فورتأسيسها في الجامعـة المصرية وكانت تواظب على الكتابة في المجلات والصحف الكبرى كالهلال والمقتطف والمقطم وغيرها . وكـان احب الموضوعات اليها موضوع تحرير المراة . ولكم اتيح لهـا عهد ذاك ان تخطب في الحفلات العامة آخذة على الرجل انانيته ، مظهرة ان المجتمع الحديث لا يمكن ان ينطلق الا بجناحيه ، اي المراة والرجل معا .

ماساة مي

اخذ الزمان يعبس لمي في سنة ١٩٢٨ . مات صديقها يعقوب صروف وابواها ثم جبران فوجدت نفسها هرمـة وحيدة في ذلك المنزل الذي عمـر بالامس برواد ندوتها وعودها في كنف ذويها الطمأنينة والرخاء . فاعتزلت العالم ظنا منها ان الوحدة خير بلسم لكلومها المعنوية . لكنها لم تلبث ان ضاقت بوحدتها تلك فنقمت على منزلها وما فيه من اشياء تذكرها بالامس الراغد ، فسافرت الى فرنسا سنة ١٩٣٢ وجالت في حواضرها ، وتوجهت منها الـــى انكلترا حيث زارت بلد شكسبير وانتقلت الى سويسرا ثم الى ايطاليا متلمسة في كل مكان عزاء يدوم . لكن نفسها القلقة ترجحت دوما في فجوة القلب الطعين فملت السياحة وعاودها الحنـين الى القلم ، فرجعت الى مصر ، وغيرت منزلها ، وراحت تترجم لاعلام الفكر اليوناني وتطالع ورثر لفوته ورينه شاتوبريان وتأملات لامارتين (كتبها العزيـزة عليها في الصبا) محاولة ان تذهل عن نفسها حينا في غمرة العمل المرهق .

وضاق بها الجو من جديد فركبت البحر الى ايطاليا حيث درست آثار لغتها وطافت في متاحفها . لكنها مـا استقرت على حال فاخذت عوارض الاعياء الذهني تظهر عليها وقد اثقلتها الهموم والمشقات .

وعادت الى مصر، فاشتد عليها المرض، وازداد تبرمها بالحياة ، فقصدت لبنـان (وكانت تزوره من قبل فـي الصيف) تطلب الاستشفاء في ربيع سنة ١٩٣٦ بيد ان الداء لم يمهلها فاورثها السويـداء ، فدخلـت المستشفى ومكثت فيه مدة تقاسي الالم . ولما استعادت عافيتهـا مضت الى الفريكة الى جوار صديقها امين الريحاني تقضي صيف ١٩٣٨ حتى اذا هبت رياح الخريف عادت الى مصر بعد ان القت في بيروت محاضرتين رائعتين عن مستقبل الادب العربي .

في القاهرة عاشت مي «وحيدة القلب وحيدة الروح» تتنازعها الذكريات الاليمة فضعفت حيويتها وراجعتهـا عوارض الهستيريا فدخلت مستشفى المعادي تستنفد فيه ساعاتها القليلة . وفي منتصف ليل ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤١ سمع شهيق متقطع يحاكي تنهد الطفل وهو يختنق، فهرولت الراهبة الى الاديبة المبيضة تسألها عما بها ، فلم تقو على الجواب بغير اشارة الى صدرها المنهوك ، ومـا هي لحظات حتى ارتعش السرير تحت مي الهزيلة الواهية ... وكانت خفقة القلب الاخيرة .

مي الاديبة

تميزت مي كأديبة بنشاطها البارز في سبيل تحرير المـراة من الجهل والتقليد المكبل لكي تستطيع ان تساوي الرجل في حقوقه . كانت النهضة النسائية عهد ذاك في خطواتها الاولى في الشرق الاوسط ، وكانت تحتاج الى دينامية مخلصة الى توجيه رصين فاذا مي مع قاسم امين وباحثة البادية ذلك العنصر الفعال في اثارة وعي المـراة على واقعها .

كانت مي رومنطيقية في صباها تأثرت بأثار بيرون ولامارتين وشلي . وقد ظهر ذلك في باكورتها الشعريـة « ازاهير حلـم » وفي آثارهـا العربية الصادرة فـي تلك الفترة . اما اشعارها فقد عكست حنينها الى مرابع الصبا في لبنان وافكارها الصوفية وايمانها بالعناية الآلهية كما عكست كآبتها وضجرها على طريقة بودلير .

وقد جمعت مي اثارها العربية المتأثرة بالرومنطيقية في مجموعتها « ظلمات واشعة » و « ابتسامة ودموع » وفي يومياتها التي نورد نموذجا منها دلالة على اسلوبهـا ونظرتها الى الوجود .

« انما حياة الانسان على الارض جهاد مستمر رغم كونها محض عبور ، ورغم اننا نموت في ذاتنا كل يـوم . واذا كان النمو سنة نافذة فينا ، فان حياتنا منظمة من جهة اخرى بحيث نودع ادغال الطريق فترات من مرورنا خطوة بعد خطوة .

يخيل لنا اننا نتخبط في سبيلنا على غير رشد ولا تبصر ، وشر من ذلك اننا عوضا عن تبادل التعاون مـع الافراد والاقران ، نكون لهم الخصوم قسرا والمنافسين .

اتبغي يا هـذا ، فصل وردة مبللة بندى الليل عن غصنها الريان ؟ حذار ! فالاشواك تعترضك فتمزق منك اليد والانامـل .

اتريد قطف بنفسجة ترغب بالتخفي وراء العشـب المخملي ! حذار ! فهناك الافعى تفح وتلتف على نفسها ، ثم تخل مراوغة وتتهيأ لتنقض وتلدغ .

اترون الظفر بزهرة تفتحت على اريكة الغصن ! حذار

ثم حذار ! فما لمحت تلك العين المترصدة ، وانتهبت في الامر من كمين ؟

بين الناس كفاح وعراك ، ورغم ذلك فان الحي لا يحيا لنفسه ، بل لغيره نتاج جهاده وسعيه . وهل يتيسر النصر للفرد الواحد في حين تمتد عليه جميع القوى ، وتتألب لقهره والفتك به ؟ بدهي انه بين هذه الموانع والحواجز لا يظفر باكثر من وريقة عطرة تنشرها الريح عن زهرتها ، وانه من الثمرة التي يغرسها ويغذيها بالجهود والتضحية لا يجني غير التمني والتشدق والانتظار » .

آثار مي

١ ــ ازاهير حلم (بالفرنسية) ديوان شعر منظوم ومنثور صدر في مصر سنة ١٩١٠ بتوقيع «ايزيس كوبيا» قصائد رومنطيقية فيها ذكرى وحنين واحلام .

٢ ــ رجوع الموجة : مترجم عن الانكليزية .

٣ ــ ابتسامات ودموع : ترجمة عن ماكس مولر من الالمانية سنة ١٩١١ .

٤ ــ باحثة البادية : نشرته المقتطف سنة ١٩٢٠ . درس لشخصية ملك حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية وقابلت فيه بين نظريتها الى المجتمع والمراة ونظرية « الباحثة » .

٥ ــ كلمات واشارات : نشرته الهلال سنة ١٩٢٢ وهو مجموعة خطب اجتماعية فلسفية تجلى فيها اسلوب مي الخطابي المميز .

٦ ــ سوانح فتاة : حكم وآراء قيلت في ظروف مختلفة جمعتها في كتاب واحد سنة ١٩٢٢ بناء على اقتراح صديقها ولي الدين يكن .

٧ ــ غاية الحياة (محاضرة) سنة ١٩٢٢ .

٨ ــ المساواة نشرته الهلال سنة ١٩٢٣ وفيه عرض لمختلف النظريات الاشتراكية والديمقراطية باسلوب علمي سلس .

٩ ــ الصحائف وهو قسمان ومقدمة . في المقدمة ملاحظات في النقد الادبي وفي القسم الاول درس شخصيات عالمية اما القسم الثاني فيشمل على وصف رحلات السندباد البحري .

١٠ ــ ظلمات واشعة نشره الهلال سنة ١٩٢٣ وهو يحتوي على مقالات شعرية تعبر فيها مي عن نفسيتها المستوحشة بطريقة عذبة مؤثرة .

١١ ــ بين الجزر والمد ــ مجموعات ابحاث في اللغة والاداب والفنون والحضارة .

١٢ ــ الحب في العذاب جزآن . مترجم عن الانكليزية سنة ١٩٢٥ .

١٣ ــ رسالة الاديب : آخر محاضرة القتها في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٨ ونشرها المكشوف .

١٤ ــ عائشة تيمور نشرته الهلال بعد موتها .

الآثار المخطوطة : مجموعة قصائد بالفرنسية ــ ترجمة فيرجيل الى العربية ــ ليالي العصفورية ــ سلالة فينيقية في مصر ــ اصوات نسوة الشرق ــ رسائل شتى ــ مجموعة مقالات وابحاث .

ورد ذكر هذه المؤلفات المخطوطة في احاديث مي ، ولكن لم يظهر لها اثر بعد وفاتها . ولعلها عناوين لمشاريع كتب ..

جميل جبر

ضياع

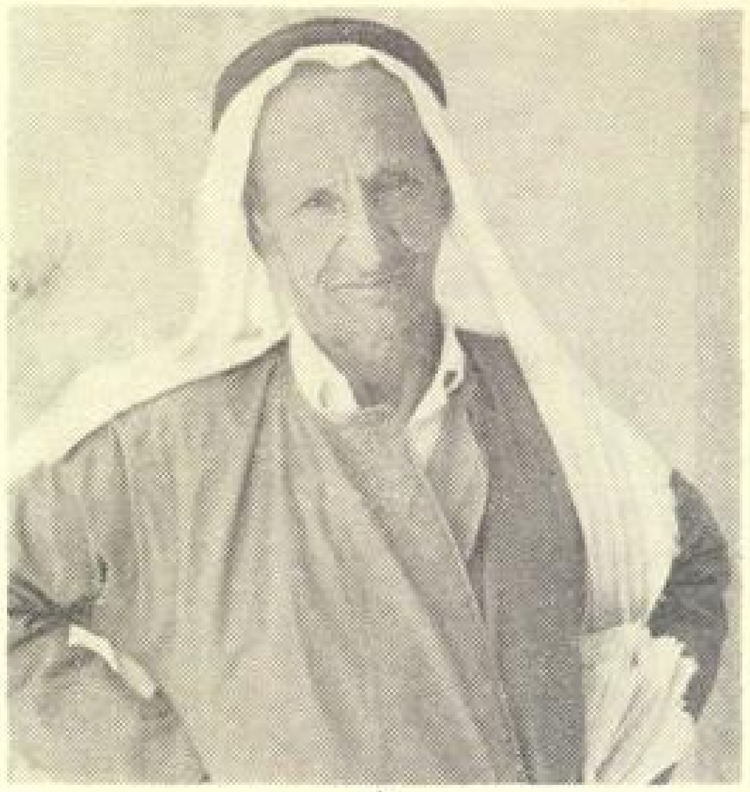
•

ستبعد عني وأبقى أنا
أعاني العذاب والقى الضنا
اما قلت لي يوم حلو اللقاء
وكيف اودع سحر المنى
أنا لا أطيق بعادك يوما
سأرحل . لا . لا سأبقى هنا
كذبت وما كنت يوما كذوبا
وخنت العهود التي بيننا

وعمرك ضيعت في الغربة
وضيعت عمري في اللهفة
أيرضيك هذا الضياع المرير
فماذا جنيت من الفرقة
وليلة كل فراق جديد
تنوح وأخفي أنا دمعتي
أخاف عليك لتمضي سعيدا
فزادك يوم النوى بسمتي

فهل يا ترى المرة القادمه
ستحكي حكاياتك الباسمه
وأنس العذاب الذي ذقته
والقاك في لهفة عارمه
ومن فرحتي بك عند اللقاء
أصدق همساتك الناعمه
وعينيك سوف أخاصم قلبي
اذا صدق القصة الداهمه

مصر الجديدة **روحية القليني**



بين الشاعر والناظم

الى صديق العمر الشاعر الدكتور زكي المحاسني

★ ★ ★

الحب بين شاعر وشاعر ... رابطة ليس لها من آخر

كل يلاقي في أخيه نفسه ... تلوح في العينين والسرائر

وبين نظام وبين ناظم ... عداوة الدجال والمتاجر

كل يرى في قرنه مزاحما ... في الكذب، والتدجيل، والتظاهر!

لكن عداء ناظم لشاعر ... يبقى الى يوم الحساب الآخر

من حسد طاغ ، ومن غرابة ... غرابة الروح ، وطبع نافر

ان كنت بين شاعر وشاعر ... عشرت يوما بعداء سافر

فاعلم بزيف واحد بينهما ... وابحث عن الصريح والمكابر

فالشعراء روحهم واحدة ... في حاضر ، ومقبل ، وغابر

عيونهم ناطقة بشعرهم ... وشعرهم في باطن وظاهر

تعرفهم في الناس من شذوذهم ... وغيبة تظهر في المحاجر

وسخرهم يصدر عن براءة ... وبسمة الصدق ، وقلب طاهر

يجمعهم دين الضمير طاهرا ... ورحمة في ناسك ، وفاجر

يحسب ذو الجنة ، فيهم جنة ... يرنو اليهم بابتسام ساخر

يبادلونه ابتساما ساخرا ... لجهله الهازىء بالجواهر

في الشرق والغرب همو من اسرة ... يحن كل منهمو لآخر

الى الغريب في الزمان الغابر ... أقرب من مواطن معاصر

تلقى لهم مع الطيور قربة ... كالقرب بين طائر وطائر

لو بان في المريخ يوما شاعر ... طاروا له طرا بشوق زاخر

يدعونه لمهرجان بينهم ... فينزلونه بحب قاهر

فيملؤون سمعه قصائدا ... وهو يجيبهم بشعر آخر

وشعرهم رغم اللغات ، واحد ... يفهمه كل فؤاد شاعر

دمشق

احمد الصافي النجفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرات في نجيب محفوظ

بقلم يوسف نوفل

* * *

دور الفلسفة في حياته وفي نفسه : شرع الطالب بكلية الآداب قسم الفلسفة يتشبع بالاطلاع على الفلسفة اطلاع تخصص ودراسة مع الملم محدود بالادب ، حتى بعد ان يتخرج بعامين يظل متعلقا بالفلسفة ولكنها تختلط بالادب، ويظهر ذلك في اختياره لموضوع رسالة الماجستير ، وكان عن فلسفة الجمال وهو كما يقرر : « أقرب الدراسات الفلسفية لموضوع الادب والفن » .

ولعل تسرب الفلسفة الى روح أديبنا الكبير يرجع الى الاتجاه الفكري لدى طه حسين والعقاد وسلامة موسى باعتبارهم المثل الاعلى له ، ولدى أبي العلاء المعري وابن الرومي ، باعتبارهم شعراء مفضلين عنده . وحين نلتمس الدليل الواقعي في أعماله نجد الفلسفة في أكثر من واحد منها ، «فاللص والكلاب» تعتبر من الاعمال الادبية الفلسفية ، و «اولاد حارتنا» يمكن اعتبارها قائمة على فكرة فلسفية ايضا تماما كبعض مؤلفات توفيق الحكيم وبعض أعمال ألبير كامي حتى ليحدثه بعض أساتذة الفلسفة انه ينهج نهجا ديكارتيا في بعض أعماله اي يصل الى الحقيقة عن طريق الشك واشاروا بنوع خاص الى «القاهرة الجديدة» ... ولعل خير ما أفاض الحديث في ذلك الدكتور الحكيم ونجيب محفوظ . يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : بدأت القصة تتأثر بالاتجاهات الفلسفية والواقعية في معالجة الحقائق الكبرى او المشكلات الاجتماعية ويمثل لذلك بقصص نجيب محفوظ (١) .

تأثره بمن عاصره وما عاصره : كان تأثر نجيب بمن احبهم لدرجة العشق بالغا وعظيما ، فنراه يتجه للقدماء بعاطفة حب عميق : كشيكسبير ، ومن ادباء القرن التاسع عشر تولستوي ودستويفسكي وتشيكوف . ويخص من ادباء العصر الحديث : بروست ، وتوماس مان ، وكافكا ، وبعض المسرحيين مثل اونيل ، وبرنارد شو ، وابسن ، وسترندبرج (٢) .

اما في الادب العربي فنراه يتطلع بعين الاعجاب لطه حسين فيتعلم منه ثورته الفكرية ، كما يأخذ عنه نماذج مختلفة من فن القصة مثل قصة الترجمة الذاتية في الايام ، وقصة الاجيال في شجرة البؤس .

أما العقاد فانه يمنحه الايمان بقيم معينة أولها قيمة الفن الادبي كفن رفيع لا كوسيلة للكسب ، ومن أجل هذا اقتنع نجيب ان الفن حياة تعاش من غير شيء وراءها ، وليس مهنة تدر ربحا كما علمه العقاد تقدير الحرية الفكرية واثرها في الديمقراطية وعن طريق قصته «سارة» اكتشف نجيب اول مثل للقصة التحليلية ، وكان ذلك من بين تأثير العقاد في نقد الشعر ودراسته .

أما سلامة موسى فهو أقرب الاساتذة اليه ، وأدناهم منه وأعظمهم تأثيرا فيه بما بثه من منادة بالعلم ، فأثر بذلك تأثيرا قويا في تفكيره ولهذا كتب نجيب محفوظ الثلاثية ... ذلك العمل الكبير الذي يعتبر أروع أعماله ، كما يقرر المستشرق الفرنسي الاب جوميه كما يرتقى به الى المستوى العالمي ، وفي هذا العمل انعكست آراء نجيب كما صرح بنفسه في حديث بمجلة آخر ساعة (١٩٥٧) .

وقد قرأ سلامة موسى لنجيب : « عبث الاقدار» ونشرها كاملة في «المجلة الجديدة» عام ١٩٣٩ فكانت أول رواية تنشر له ، ونشر له بعض أقاصيصه قبل صدور «الرواية ومجلتي» (٣) .

واذا كان تأثر نجيب بفترات الازمة التي طحنت الشعب المصري طحنا تنطق به آثاره لكن تأثره بفترة التخلص من العهود البائدة والاقبال على العهد الجديد بدأ كظاهرة نفسية في أدبه الا أن أصدق ملامح التأثر تتجلى في الشرائح ، والصور الحية التي تشهد بحب نجيب لكل شبر في الجمالية والحسين . . . والاحياء الشعبية العريقة.

ومن الناحية الفنية نجد تأثره بكتاب القصة الانجليز، وخاصة في التاريخ في قصصه للاجيال المتتالية ، فقد تأثر في ذلك الاتجاه الانجليزي الذي حاكى بدوره القصصي الفرنسي بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) في مجموعته «الملهاة الانسانية» التي تأثر بها الانجليز وهم الذين أثروا في نجيب .

شاعريته : اذا كان نجيب قد تأثر بالمنفلوطي ذات يوم فان الملامح الحية من ذلك التأثر تبدو في انسياب أسلوبه ، ورقة لمساته ، وصحوة مشاعره ، وعذوبة لفظه وأكثر من ذلك التصاقا بالشعر تلك الصور الرائعة التي يتعانق بعضها مع الاخر حتى لتكاد تنطق كل منها بمكنونها .... صورة حية متألقة تستطيع أن تنافس تلك التي تبدو بين قوافي الشعر وبحوره ولعله ـ من هنا كان لاحد الباحثين (٤) الحق في تقديم احصائية مدروسة للصور الشعرية في قصص نجيب محفوظ .

وآية ذلك ما نجده من تعبيرات راقية مثل قوله في «اللص والكلاب» : «وتراءت الجوامع الشاهقة ، وطارت رأس القلعة في السماء الصافية وانساب الطريق في الميدان ، وتجلت خضرة البستان تحت الاشعة الحامية ، وهبت نسمة جافة رغم القيظ منعشة ميدان القلعة بكل ذكرياته المحرقة . »

على أن اتجاهه الشعري يتمثل في القديم في حبه لأبي العلاء المعري والمتنبي وابن الرومي ، وأكثر من ذلك دلالة أنه كتب الشعر المتحرر عامي ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ وكان

يدور كله حول الحب والغرام .

نفسيته واصول ميوله : لو قدر لنا ان نتساءل لماذا لم يكتب نجيب للمسرح ؟ فما الذي يمكن ان تتضمنه الاجابة ؟

ان عدة تفسيرات يمكن ان تساق لمجابهة هذاالتساؤل الخطير .الا ان واحدا منها لن تتوفر له قوة وصدق هذه الاجابة السريعة ، وهي ان نجيب انطوائي ، انسان خجول لا يحب الاختلاط بالناس ، وهو حريص على معاملتهم بطريقة تكاد تكون رسمية ، يقف احتراما لك ، ويقتصد في الحديث اليك .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه يقرأ المسرحية ولا يشاهدها كما انه واقعي ، ومن هنا فانه يجد في الرواية جناحا اكثر امتدادا واغزر دفئا واطول ريشا مما يجده في المسرحية ، هذا على الرغم من أن مسرحيات قصصه : زقاق المدق ، بداية ونهاية ، بين القصرين ، قصر الشوق ... ناجحة الى حد بعيد .

ولنلتقط من ماضيه بعض أوراق مبعثرة كأوراق الشجر الذابلة ، وسوف نجد في الخطوط التي تتعرج فوق صفحة هذه الاوراق عدة دروب نعرج منها الى نفسيته .هذه ورقة ملقاة على العشب الاخضر امام كوبري الجلاء وعلى مقربة من الدائرة المشئومة ، الم يكن من الممكن أن تصنع دائرة الشؤم هذه من حياة نجيب محفوظ بؤرة شؤم ، ومصدر شؤم ؟... الا ان صفاء قلبه وهدوء نفسه وطيبته ، وصبره ، وجلده ، كل ذلك بدد سواد الشؤم ليحل محله بياض التفاؤل والامل ومن اجل هذا لم يجيء أدبه سوادا كئيبا مهزوما ، بل تجدد مع الحياة وواكبها وسجلها.وورقة أخرى نلتقطها لكنها اكثر اخضرارا من سابقتها ، وخطوطها أبسط تعرجا ، تلك الورقة التي تسجل ولوع الصبي بأفلام وقصص المغامرات البوليسية ...هنا كان مولد الخيال الواسع والنظرة البعيدة المتأنية والتامل العميق ، والتفكير الصابر فهو يطيل النظرة لصديق له جاء يحكي له عن مجاذيب الحسين ويطلعه على ورقة دون فيها اسماءهم وهو يطيل الصمت متابعا أخبار محمود أمين سليمان على صفحات الجرائد والمجلات .

وورقة فيها اكثر من معنى، نلتقطها من ذكريات عبدالحميد جودة السحار وزمنها عام ١٩٤٤.حيث حدثت أزمةالورق، ففكر السحار فيطبع مجموعة اقاصيص مهداة من مؤلفيها، ورحب نجيب بالفكرة ، وكذا المازني ، ومحمود تيمور ، وسعيد عبده ، وصلاح ذهني ، وعادل كامل ، والمصري والسحار ....وكما يروي السحار : «وكانت هذه أول مره تكتب فيها اسماؤنا مع أسماء اساطين القصة في مصر ! » ... ويقصد بذلك نفسه هو ونجيب وعادل... والنتيجةالطبيعية لذلك ان تحدث ناقد عن المازني وتيمور، والمصري مادحا ومقدرا ، وحدد منهج ذهبي ثم جاء الى الثلاثة الناشئين فقال : «اذا كان من الصعب الحكم على كاتب من خلال أقصوصة واحدة فاننا نلاحظ فيما طالعناه في هذه المجموعة لهؤلاء الادباء مواهب فنية في التأليف القصصي ومقدرة على حسن البناء وتسيير الحوادث ، ووصف مختلف المشاعر والاحاسيس ... وانما ينقصها الكثير من العمق والاتساع».

وكما يروي السحار نفسه كان لذلك أثر سيء في نفسيهما هو ونجيب وثارا في مجلسهما على الناقد وشعرا بالاستياء لهذا الحط من قيمتهما .

هنا نربط ذلك بما وصفه نجيب نفسه لقد قرر النظر للادب نظرة عشق غير مرتبط بثمن ..ومن هنا ما كان يتوقع هذا الناقد بل ونجيب نفسه بما كان يخبئه القدر له بعد عام واحد ، حيث جاءت «القاهرة الجديدة»لتحدث صدى في العالم العربي لكاتبنا ثم يتوالى النجاح .

واوراق اخرى كثيرة ، يمكن ان تهدينا الى جوانب عديدة من شخصية فناننا غير ان تصريحاته السريعة تطلعنا على ما لم يكن في حياتنا أليس في ذلك وداعة نفس وتقدير للغير ..انه يسير في نفس المنطلق .. تفاؤل واشراق وأمل،ورضا حتى انه ليسعد بقراءة قصص الشبان.

ونظرة أخرى ترينا كيف يعبد الفنان الهدوء ، وراحة البال والاطمئنان ..انه لا يفكر الا في النفرغ .

ونظرة اخرى تبين لنا كيف ان روح الفنان تنتفض داخل ذلك الكيان الادبي انه لا يرضى عما بلغه انه يقرر انه لم يحقق هدفه بعد رغم أنه صنع في القصة العربية ما لم يصنعه غيره ، ورغم أنه استطاع ان يرتفع بانتاجنا القصصي الى المستوى العالمي وبنفسه الى المستوى الدولي ، انه يقرر ازدياد شعوره بالمسؤولية والنقد الذاتي منذ احس بما بلغه وهذا يؤكد ان الاديب الفنان مولع بمثل ومرتبط بقمة .

بورسعيد **يوسف نوفل**

(١) النقد الادبي الحديث ط ٢ ١٩٦٤ . (٢) الكاتب (يناير ١٩٦٣) والمجلة (يناير ١٩٦٣) . (٣) مجلة الكاتب (يناير ١٩٦٣) . (٤) عبدالمنعم عواد (الشهر ديسمبر ١٩٦٠) نجيب محفوظ شاعر .

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهمون في نشر الثقافة



وديع ديب

غرام المتنبي

بقلم وديع ديب

* * *

ويمشي موكب المتنبي (*) باتجاه حلب على رجاء الانتساب الى بلاط اميرها الحمداني. فاستقبلته الشهباء استقبال كبار الفاتحين وانزله سيف الدولة من نفسه منزلة الصديق الحميم وقد اعلن على مسامع الجماهير الكثيفة التي تحيط بقصره السامق انه يرحب بهذا الشاعر الكبير وانه لسعيد جدا في ان يقتني لصروف دهره سيفا هو امضى ما عرفت الامة العربية من سيوف امجادها ، وهنا نظر الامير الى شاعره وقال له لك يا شاعري ان تتمنى علي ما شئت ولي ان البي رغابك هذه مهما تكن عسيرة المنال، واشرأبت اعناق الناس تستطلع اماني الشاعر الجديد وكانوا ينتظرون منه ان يتمنى غير ما تمناه ولكنه فاجأ الناس بما لم يخطر لهم ببال فقد طلب من اميره الحمداني ان ينشد الشعر جالسا بين يديه وان لا يحني راسه لاي انسان مهما علا شأنه وعظم قدره ثم اردف قائلا : هذا كل ما أريد فان رضيت به فانا طائرك الفريد والا فالكون رحب ولي متسع من الارض. وما ان فرغ المتنبي من حديثه هذا حتى سمع صوتا رقيقا يخترق ستائر الحجال ليقول هذا هو الشاعر الذي يوطد عرشا ويرفع أمة . **والتفت المتنبي** الى مصدر هذا الصوت الاغن فاذا به يرى وجها مشرقا يطل من بين فجوات الستائر اطلالة البدر من وراء الغيوم الدكناء فأدرك ان هذه الاميرة الجميلة هي اخت هذا الامير الوسيم الذي توسم في محياه الخير والرضى ، واذ ذاك استأذن المتنبي اميره الحمداني في انشاد شيء من شعره القديم الى ان يتسع له الوقت لنظم ما يليق بأميره من قصائد الثناء واذا بالناس آذان مرهقة واذا بالعيون شاخصة الى هذا الكنار الصادح الذي نبتت خوافي جناحيه على شواطىء دجلة والذي ما عرفت الواحات العربية مثيلا له في صلابة قوادمه ولين خوافيه وتقدم الشاعر من المنصة والقى ابياتا كان قد نظمها في شبابه الباكر هي من وحي خميلة غيناء في ظاهر الكوفة تعرف بواحة اثلة :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود
دردر الصباء ايام تجرير ذيولي بدار اثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود
تحمل المسك عن قدائرها الريح وتفتر عن شنيب برود
جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني فانقصي من عذابها او فزيدي
ما مقامي بأرض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود
ابدا اقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود

وتوقف المتنبي قليلا بحجة انه مكتف بهذه الابيات وانه على استعداد ليقول سواها ولكنه سمع همسا يتعالى من هنا وهناك وعرف ان زملاءه الشعراء قد اخذوا يراقبون ارتعاش الستائر المنسدلة فوق الكوى المجاورة بشيء من الريب من حيث سمع الناس ذلك الصوت الرخيم. وهنا صاح سيف الدولة بشاعره : « اكمل اكمل ما يحضرك من ابيات هذه القصيدة وانتفض الشاعر كمن يستيقظ من حلم مخيف وقال بصوت مجلجل ونبرة صادحة :

عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للفيظ واشفى لغل صدر حقود
ان اكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي وصمام العدى وكيد الحسود
انا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وسرعان ما توقف الشاعر عن الانشاد حتى قال له سيف الدولة على الرحب والسعة ايها الشاعر الكبير اريدك صماما لاعدائنا وكيدا لحسادنا ، وهتف الناس احسنت احسنت يا شاعر الامير ويا امير الشعراء ، واذا بالواواء يسر في اذن البيغاء ان هذا الشاعر الضيف لم يأت حلب بقصد الدعاية لاميرها وانما بقصد الدعوة الى نبوءته المزعومة ، الم تسمعه يشبه نفسه بالمسيح حينا وبصالح ثمود حينا آخر فأجابهما ابن خالويه وكان يسترق السمع انه انما جاء حلب الشهباء لانه سمع عن اميرتها الجميلة شيئا كثيرا وانكر الواواء عليه ذلك لكون الفرق عظيما بين الامير والشاعر الفقير ثم اردف قائلا : الم يكن ابوه سقاء في الكوفة فكيف يجرؤ على مثل هذه المغامرة ، فقال ابن خالويه ولكنه هو صاحب هذا البيت القائل :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وصمت الجميع على امل الانتظار الى اليوم التالي ،

(*) القيت من الاذاعة اللبنانية في ٣ - ١ - ١٩٦١

طفولة

في الحفرتين، ذبالتان ، بلا وميض، تخفقان
في عتمة الليل الطويل،على مدارات الدخان
تتسربان ، وتخفتان ...بلا زمان أو مكان
وعلى سنا الينبوع،يا احلى الصبايا ، تلهثان
الزئبق اللألاء ، فيه تجدفان ... وتغرقان

يا نكهة العذراء، يا فوح الطفولة ، يا سناها
يا خضرة الغدران،يا نسغ البراعم، يا شذاها
يا حبة الرمان تسطع لهفة البلور فيها
يا ((نبعة الريحان)) تورق في مفارق زارعيها
يا ((طفلة))، يا ضوء قنديل ينير سرى أبيها

لم يبق في افقي،لزهرك،غير أشتات السحاب
الريح تنثرها، وتذروها ،على غبش الضباب
وذبالتين ، بلا وميض ، تخفقان مع السراب
في حفرتين عليهما تفتر أطواق العذاب

يا طفلة لم يبق لي منها، سوى ذكرى هواها
وشذى براءتها ،وطيف عيونها، وصدى خطاها
ويح ((البراعم)) يا لكهل متعب خفقت رؤاها
في دربه، فمضى يطاردها، ليبعث من صداها
بقيا صباه ، وذكريات اطلعتها مقلتاها
ويح الطفولة ، اي قلب لا يذوب على لظاها
ويموت شوقا، دونما لقيا، ويحلم في جناها

بغداد **حسين جليل**

وفي هذا اليوم استأذنت الاميرة خولة اخاها في ان يسمح لها ولرفيقاتها الاميرات بالاستماع الى هذا الشاعر الملهم يلقي عليهن من وراء الستار ما يحلو له من شعر في مدح اميرهم المفدى ، وجلس المتنبي ينشدهن الابيات التالية :

أيدري الربع اي دم اراقا **واي قلوب هذا الركب شاقا**
لنا ولاهله ابدا قلوب **تلاقى في جسوم ما تلاقى**
وما عفت الرياح له محلا **عفاه من حدا بهم وساقا**
فليت هوى الاحبة كان عدلا **فحمل كل قلب ما اطاقا**
سلي عن سيرتي فرسي ورمحي **وسيفي والهملعة الدفاقا**
تركنا من وراء العيس نجدا **ونكبنا السماوه والعراقا**
فما زالت ترى والليل داج **لسيف الدولة الملك ائتلاقا**

وحبست العذارى انفاسها مصغيات الى هذا السحر الحلال من الشعر المصفى وودت خولة لو يسمح القدر بأن تلتقي الشفاه بالشفاه بعد ان تلاقت القلوب بالقلوب على حد قول شاعرها المبدع ولكن شيئا من الجفاء كان قد اخذ يتسرب الى قلب اخيها ثم ما لبث ان استحال مع الايام الى كره لهذا الشاعر ، وذلك بسبب الوشايات المتواترة تأتي من هنا ومن هناك وبصورة خاصة من ابن خالويه الذي استطاع بدهائه ان يفرق بين الامير وشاعره ما حمل الشاعر على ترك البلاط الى غير عودة ولسان حاله يقول :

واحر قلباه ممن قلبه شبم **ومن بجسمي وحالي عنده سقم**
ما لي اكتم حبا قد برى جسدي **وتدعي حب سيف الدولة الامم**
ان كان سركم ما قال حاسدنا **فما لجرح اذا ارضاكم الم**
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا **ان لا تفارقهم فالراحلون هم**

ورحل المتنبي الى مصر على رجاء الغنى والثار فلم يظفر بشيء فعاد الى العراق حزينا يائسا وتناقل حداة القوافل هذه الابيات وفيها من مرارة الحرمان ما يكفي لتعكير صفو الفراتين وجعلهما ماء اجاجا وهي من قصيدة نظمها على اثر اشاعة كاذبة بانه مات ولن يسمع له صوت بعد الان وقد نعاه حساده الى سيف الدولة وعلم بأمرهم ، فقال والسخرية ملء فمه :

بم التعلل لا اهل ولا وطن **ولا نديم ولا كاس ولا سكن**
لا تلق دهرك الا غير مكترث **ما دام يصحب فيه روحك البدن**
مما أضر باهل العشق انهم **هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا**
تغني عيونهم دمعا وانفسهم **في اثر كل قبيح وجهه حسن**
يا من نعيت على بعد لمجلسه **كل بما زعم الناعون مرتهن**
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم **ثم انتفضت فزال القبر والكفن**
ما كل ما يتمنى المرء يدركه **تجري الرياح بما لا تشتهي السفن**

وما ان سمعت خولة بهذه القصيدة حتى غلب عليها الحزن وتمكن منها اليأس ، فقد آلمها كثيرا ان تكون هي المعنية بقوله هذا وساءها ان تتهم على براءة وتهجر على اخلاص فاعتلت ومانت ، واذا بالناعي ينعى الى المتنبي اميرته الغانية التي رأى في محياها كل ما كان يجول في صدره من آمال عذاب وكل ما كان يختلج في باطنه من احلام مشرقة فبكى حتى شرق بالدموع وود لو كان الناعي كاذبا كالذي نعاه اليها في الامس القريب ، فانهمر الدمع من اجفانه حتى كاد يختلط بالمداد الذي بين يديه واذا بالشعر ينبجس من انامله وحيا متألقا مشرقا يرف على ثبج الضياء الدافق من قلبه فرثاها بأروع ما يمكن ان يقوله شاعر خالد في جمال عبقري :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر **فزعت فيه بامالي الى الكذب**
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا **شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي**
ارى العراق طويل الليل مذ نعيت **فكيف ليل فتى الفتيان في حلب**
يظن ان فؤادي غير ملتهب **وان دمع جفوني غير منسكب**
بلى وحرمة من كانت مراعية **لحرمة المجد والقصاد والادب**
فليت طالعه الشمسين غائبة **وليت غائبة الشمسين لم تغب**

هذا هو المتنبي في غرامه ، هذا هو ابو الطيب في حبه الخالد وما احسب ان فتاة استطاعت ان تسكب الخلود في اكوابه غير هذه الحسناء الحمدانية التي سرعان ما طواها الموت حتى اصبحت ليالي العراق مظلمة باردة لا تبدد غياهبها شمس ولا يشيع في جنباتها دفء رجاء .

وديع ديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجمل العريض

الى البير أديب

- ١ -

كان لي ((أنا)) ففقدته ،
وبحث عنه في الضحى ،
وفي الفجر اذ يفشي ،
فما وجدته

كان لي ((أنا)) ففقدته ،
وبحثت عنه في الاكواخ ، وفي الدروب ،
حتى جننت من وحشتي ،
فما وجدته

انبعث الـ ((أنا)) من نداء الوجد ،
في عالم متمرد ، فمددت يدي لعناقه ،
فاذا بـه شبح ينساب ويختفي

ذهـب الـ ((أنـا)) ،
فشربت من ثدي العدم ، جرعات الهوى ،
منذ فجر الهجر ، حتـى النـوى

مـن السائـر ؟
هل أرجلي ، أم الشارع ؟ أم ذهني المتشـرد ؟

اني يتيـم مأواه فـي رجليـه ،
سائـح بـلا أزمـان :
البرد رحلتي ، والحرزادي ، والسكون رفيقي ،
وغـذاء الاحقـاب مـن آهاتـي .
رافقـت الصمت فـي البحث عن أناي ،
وجررت أرجلي ، يقاومهـا الرصيـف ،
والرمـل ، تحـت أقدامـي ،
ينثال في مساحة الفراغ الكبير .
نسجت من خطوات التيـه عباءة ،
وجعلتها على باب الكهـف الكئيب

- ٢ -

كان لـي أنـا ففقدتـه ،
وبحثت عنه في الاعماق ،
وجررت أرجلي في الاسواق ،
كـي ابتاع ((أنـا)) ، اي أنا :
الضمير الحر يصغر عنه كل ميزان ...

لـم أجد أناي في السوق ، في الحقل ،
لم اجد أناي في العيون ، في الصوت ،
فطفت على وحشتي وحشة الصمت

اني غريـب في كائني :
وحدتي تحترق كالشمس
كالشمس تزحف للمغيب .
وحدتي عاريـة صلعاء ، كالبحر ،
كالبحر يزأر من عزلته .
وحدتي صمـاء ، كالسماء ،
كالسماء تنزلق نحـو الظلام

كان لي أنا ففقدتـه ،
وعانقت حضوره ، في غيابه .
كان لي أنـا ففقدتـه ،
ونهلت كؤوس غيابـي من غيابه

- ٣ -

فقدت أنـاي ،
يبس الكـلام ،
فـوق اللسـان .
جـف القلـم

الرباط ـ المغرب محمد عزيز الحبابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد عزة دروزة - درويش المقدادي

بقلم «البدوي الملثم»

* * *

١ ـ محمد عزة دروزة

عشرات من حملة الاقلام في البسيط العربي أرخوا للقضية العربية وما صحبها من مفاجآت واحداث لكن محمد عزة دروزة (١) يجيء في طليعتهم اذ تميز عنهم بمواكبته أحداثها ، ومشارفته على دخائلها واسرارها ، ومن هذا الباب جاء مفردا علما في تاريخها الطويل .

في صيف عام ١٨٨٨ ولد محمد عزة في نابلس وانهى دراسته الابتدائية والرشدية والاعدادية في مدارسها وفي عام ١٩٠٦ نال الشهادة ومر بثلاثة مجالات هامة هي: ١ ـ مجال الوظيفة . ٢ ـ المجال السياسي. ٣ ـ المجال العلمي .

في المجال الاول : بعد تخرجه من المدرسة الاعدادية في مسقط رأسه عمل في مصلحة البرق والبريد (١٩٠٦ ـ ١٩١٨) وبعد تاسيس «مدرسة النجاح الوطنية» بنابلس عين رئيسا لها (١٩٢٢ ـ ١٩٢٧) ونقل مأمورا لاوقاف نابلس (١٩٢٧ ـ ١٩٣٢) فمديرا عاما للاوقاف الاسلامية في فلسطين (١٩٣٢ ـ ١٩٣٧) وفي هذا العام وضع الانكليز يدهم على الاوقاف الاسلامية وعلى المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين بدافي اندلاع الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ففصلوا دروزة عن عمله .

في المجال السياسي : وفي العام الذي اعلن الدستور العثماني (١٩٠٨) اندمج محمد عزة في التيار السياسي فكان عضوا لفترة قصيرة في «نادي الاتحاد والترقي» وهو الحزب المنقلب عن جمعية «تركيا الفتاة» التي كان لها يد في اعلان الدستور ، ثم عضوا وسكرتيرا لفرع حزب الائتلاف بنابلس (١٩٠٩) فعضوا وسكرتيرا للجمعية العلميةالعربية في نابلس (١٩١١) فعضوا في فرع حزب اللامركزية في نابلس (١٩١٤) فعضوا في جمعية العربية الفتاة (١٩١٦) فعضوا وسكرتيرا لهيئتها المركزية في دمشق (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا وسكرتيرا للجمعية الوطنية في نابلس (١٩١٩ ـ ١٩٣٢) فعضوا وسكرتيرا للمؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في القدس (١٩١٩) فعضوا في المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق ومقررا للدستور (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا مؤسسا في حزب الاستقلال العربي في دمشق (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا في المؤتمرات العربية الفلسطينية (١٩٢١ ـ ١٩٢٧) فعضوا في لجانها التنفيذية لغاية (١٩٣٣) فعضوا في المؤتمر العربي العام في القدس وفي لجنتهالتنفيذية (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) فمؤسسا وعضوا لحزب الاستقلال العربي في فلسطين وخازنا (١٩٣٢ ـ ١٩٣٦) فممثلا لحزب الاستقلال في اللجنة العربية العليا لفلسطين وسكرتيرا لها (١٩٣٦) فعضوا في وفد اللجنة الى عاهلي العراق والسعودية (١٩٣٧) فأحد ممثلي هذه اللجنة والناطقين باسمها أمام لجنة التحقيق الملكية البريطانية (١٩٣٧) فمندوبا لهذه اللجنة في المؤتمر العربي العام المنعقد في بلودان (بسورية) وسكرتيرا عاما (١٩٣٧) فعضوا منتدبا في دمشق لادارة وتمويل الثورة العربية بفلسطين (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) .

وبسبب نشاطه في تغذية الثورة الفلسطينية حاكمته السلطات الفرنسية في دمشق امام محكمة عسكرية فحكمت عليه بالسجن خمس سنوات قضى منها ١٦ شهرا في سجني «المزة» و «القلعة» وافرج عنه سنة ١٩٤٠ اثر انهيار فرنسة في الحرب .

وفي عام ١٩٤١ بارح دمشق ولجأ الى تركية خشية ان تقبض عليه السلطات البريطانية التي احتلت سورية وفي عام ١٩٤٥ عاد الى دمشق وما زال فيها.وفي عام ١٩٤٨ الم به مرض فاجريت له عملية جراحية ، وثقل سمعه الذي بدأ سنة ١٩٣٢ فاعتزل السياسة وانصرف الى النشاط العلمي .

في المجال العلمي : لم يتح لهذا المفكر العصامي اكثر من الدراسة الاعدادية لكنه شمر عن ساعد جده وانكب على المطالعة والدراسة الشخصية واستمر على ذلك دون انقطاع ، وكانت حصيلة هذا الجهد طائفة من المؤلفات والمخطوطات وعشرات المحاضرات في نوادي فلسطين وسورية وعشرات المقالات في مجلات وجرائد فلسطين وسورية ولبنان ومصر وعشرات الاحاديث من اذاعتي دمشق ومكة .

ومن حسنات سجنه في دمشق ان حفظ القرآن الكريم وكتب اصول مؤلفات كتبه القرآنية وهي :

١ ـ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة من القرآن .
٢ ـ سيرة الرسول عليه السلام من القرآن .
٣ ـ الدستور القرآني في شؤون الحياة .

وفي هجرته الى تركيا كتب اصول التفسير وكتابه القرآن المجيد الذي جعله بمثابة مقدمة للتفسير بالاضافة الى اصول كتبه حولالحركة العربية الحديثة وتركيا الحديثة وبواعث الحرب العالمية الثانية .

واشتهر المترجم له بايمان ثلاثي صلب هو : ايمانه بالله وبالاسلام والعروبة وبمتانة في عقيدتيه الدينية والقومية .

وشعاره في الحياة : تقديس الواجب والتزام الحق ومواجهة احداث الزمان بالتفاؤل والصبر ، وأخيرا ... مساعدة الانسان ما استطاع الى ذلك سبيلا .

نموذج من نثره : «اختلفت آراء الباحثين في منشأ الجنس العربي الذي سمي خطا بالجنس السامي قبل وجوده في جزيرة العرب .فمنهم من قال ان اجداده من العراق ومنهم من قال ان أجداده جاؤوا من العراق ومنهم من قال انهم جاؤوا من افريقية ومنهم من قال انهم مزيج من افريقيين وسكان حوض الابيض المتوسط ومنهم من قال انالجنوبيين منهم حاميون والشماليون ساميون، ومنهم من قال ان اليمن هي منبتهم.

وليس من الميسور الجزم في هذا كما انه ليس من طائل وراءه لانه يعود الى الحقبة السحيقة في القدم التي توزع خلالها البشر على وجه الارض بتأثير العوامل المتعددة والمتنوعة والتي تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

على انهم مهما اختلفوا فان معظمهم متفقون على ان الجزيرةالعربية منذ أقدم الازمنة التاريخية المعروفة كانت ماهولة بجماعات متشابهة في الملامح والطبائع تتكلم لغة مشتركة وان تعددت لهجاتها . وان الاقوام التي سميت خطا بالاقوام السامية وسجلت نشاطها السياسيوالاجتماعي والمدني والعمراني والعقلي والديني في الجزيرة ثم في وادي النيل وبلاد العراق والشام هم من هذه الجماعات . ففي اكناف جزيرة العرب تكونت الجماعة العربية الاولى ، ومنها ابتدأت الهجرة العربية الى أطراف تلك الجزيرة والى ما وراء هذه الاطراف في مصر وتخوم بلاد ايران .

وليس هناك من ينكر امكان كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ أقدم الازمنة التي سجل الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الاقطار الاخرى ، وبتعبير ادق منذ زمن

---

(١) تنتسب أسرة «دروزة» الى عشيرة «الفريحات» المستوطنة قرية «كفرنجة» بمحافظة اربد (الاردن) وقد نزحت الى نابلس في القرن الحادي عشر الهجري وجاء لقبها من «الدرازة» بمعنى «الخياطة» .

اقدم من الزمن الذي تشير اليه الآثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم أو نقوش مصر وبابل واشور والتي يرجع بعضها الى اربعة آلاف عام واكثر قبل الميلاد ، ولا سيما ان هذه الآثار تدل على تقدم يسير في مضمار الحياة السياسية والمدنية والاجتماعية والعقلية لا يمكن ان يكون قد تم الا نتيجة تطور وتدرج يرجعان الى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقشت او كتبت فيه . وكل ما في الامر انه لم يكشف عن آثار اقدم كما كشف عن آثار اقدم في وادي النيل والعراق .وليس من المستبعد ان يكشف عن آثار اقدم بالنسبة لسكان الجزيرة حينما يمكن القيام بتنقيبات واسعة كما أمكن في مصر والعراق ، ولا سيما ان في مختلف انحاء الجزيرة خرائب ومقابر واطلالا كثيرة لم ينقب فيها تنقيبا واسعا ».

من آثاره القلمية : وهذه اسماء مؤلفاته المطبوعة مرتبة حسب سني طبعتها الاولى ومكانها :

١ ـ وفود النعمان على كسرى أنو شروان سنة ١٩١١ (بيروت).
٢ ـ مختصر تاريخ العرب والاسلام (جزآن) سنة ١٩٢٥ (القاهرة).
٣ ـ دروس التاريخ العربي سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٤ ـ دروس التاريخ المتوسط والحديث سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٥ ـ دروس التاريخ القديم سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٦ ـ دروس في فن التربية (مترجم عن الفرنسية) سنة ١٩٣٧ (القاهـرة) .
٧ ـ تركية الحديثة سنة ١٩٤٦ (بيروت) .
٨ ـ بواعث الحرب العالمية الاولى (مترجم عن التركية) سنة ١٩٤٦ (بيروت) .
٩ ـ عصر النبي وبيئته قبل الاسلام (مقتبس من القرآن) سنة ١٩٤٨ (دمشق) .
١٠ ـ سيرة الرسول (جزآن) (مقتبس من القرآن) سنة ١٩٤٨ (القاهـرة) .
١١ ـ القرآن واليهود سنة ١٩٤٩ (دمشق) .
١٢ ـ القرآن والمرأة سنة ١٩٥١ (صيدا) .
١٣ ـ القرآن والضمان الاجتماعي سنة ١٩٥١ (صيدا) .
١٤ ـ القرآن المجيد (مباحث متنوعة في القرآن) سنة ١٩٥٢ (صيدا) .
١٥ ـ حول الحركة العربية الحديثة (ستة اجزاء) سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ (صيدا) .

الاول : في انبعاث الحركة في زمن العثمانيين الى آخر عهد حكومة فيصل في دمشق . والثاني : في الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان وبلاد المغرب وكفاح العرب ضده وتحرر لبنان وسورية منه . والثالث والرابع والخامس : في تاريخ الانكليز والصهيونية في فلسطين وكفاح العرب ضدهما . والسادس : في مشاكل العالم العربي .

١٦ ـ مشاكل العالم العربي (نال جائزة من الجامعة العربية) سنة ١٩٥٢ (دمشق) .
١٧ ـ الدستور القرآني في شؤون الحياة .
١٨ ـ الوحدة العربية سنة ١٩٥٨ (بيروت) .
١٩ ـ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم سنة ١٩٥٨ (القاهرة) .
٢٠ ـ تاريخ الجنس العربي في مختلف الادوار والاقطار (في سبعة اجزاء) (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) (صيدا) .
٢١ ـ مأساة فلسطين سنة ١٩٦٠ (دمشق) .
٢٢ ـ جهاد الفلسطينيين سنة ١٩٦٠ (دمشق) .
٢٣ ـ العرب والعروبة في حقبة التقلب التركي (٣ اجزاء) .
٢٤ ـ عروبة مصر في التاريخ وبعد الفتح الاسلامي (رسالتان) سنة ١٩٦١ (القاهرة) .

٢٥ ـ التفسير الحديث (١٢ جزءا) سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ (القاهرة).

٢ ـ درويـش المقـدادي

ولد (١) في طيبة بني صعب (قضاء طولكرم)بفلسطين سنة ١٨٩٩ وتلقى تعليمه في كتاب قريته كما تلقى تعليمه الابتدائي في طولكرم قاعدة القضاء ، وهنا لاحت عليه مخايل الذكاء فعزم والده المرحوم الشيخ عبدالرحيم على تسليحه بثقافة عربية اسلامية فارسله الى مدرسة المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت وكانت منارة من منارات القومية العربية ، يحاضر فيها بعض رواد النهضة العربية أمثال الزهراوي وطبارة والمحمصاني .وفي هذا المصنع تفتحت مداركه ونضج تفكيره وتركزت فيه خصائص فريدة بارزة كالدقة في العمل والحفاظ على الوقت والحرص على الوعد وتنظيم شؤونه .

ولما استكمل درويش دراسته الاعدادية والثانوية وايمانه بالعروبة والاسلام في المقاصد الخيرية الاسلامية عام ١٩١٨ لم يكتف بهذه الحصيلة من المعرفة بل تطلع الى المزيد منها يطلبه في الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس التاريخ والادب والاجتماع واطلع على الوان من الثقافة الغربية فتفاعلت هذه الالوان والوان اخرى من الثقافة العربية والاسلامية في قلبه وعقله فكان عربيا في قلبه اسلاميا في ايمانه غربيا في تفكيره .وفي عام ١٩٢٢ نال الشهادة من الجامعة الاميركية بتفوق كما نال اعجاب استاذه البحاثة المعروف الدكتور فيليب حتي الذي كان يرى في درويش مفخرة من مفاخر الفكر العربي ويعقد عليه اكبر الآمال في بعث تاريخ الامة العربية بعثا جديدا وتدوينه علميا دقيقا .

استهل درويش حياته العملية استاذا للتاريخ في « دار المعلمين» بالقدس (١٩٢٢ ـ ١٩٢٥) وخلال عمله مدرسا أسس فرقة كشفية سماها «فرقة خالد بن الوليد» وعندما علم الانكليز بذلك طلبوا منه الغاءها أو الحاقها بكشافة بادن باول الانكليزية او الاستقالة من «دار المعلمين» فصاح درويش في وجه مدير معارف فلسطين البريطاني قائلا :
«وهل تلغى كشافة خالد بن الوليد ذلك البطل الذي لم يغلب طيلة حياته؟ لا...لا...لن تلغى ولن تلحق بكشافة بادن باول البريطانية وهذه استقالتي» .

وعين درويش استاذا للتاريخ في «الكلية الاسلامية» بالقدس (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) فنذر نفسه لبعث روح امته وتجديد شبابها ففرس في نفوس طلابه حب الامة التي تحدر منها ، ودعا الى الاعتصام بحبل الله والتمسك باهداب الدين الطهور والاعتزاز بالعروبة ، وهو يرى انه لن يصلح أمر هذه الامة اليوم الا بما صلح به أولها .

وغرس الفقيد هذه النبتة المباركة في فلسطين ما مكنه العهد الاستعماري البغيض ، ثم عزم على غرسها في كل قطر عربي ، فرأى في العراق الارض الطيبة لهذه البذور فيمم أرض العراق عام ١٩٢٧ليؤدي رسالته استاذا للتاريخ في داري المعلمين ببغداد والموصل وسلخ هناك مدة خمسة عشر عاما ، يحاضر ويوجه وينشىء ، وانتعشت روحه في هذا الجو القومي الطليق وعاش متعاونا مع صديقه المربي المعروف الاستاذ ساطع الحصري على تحقيق :

(١) فرض نظام الفتوة على سائر المعاهد الثانوية والعليا في العراق.
(٢) اصلاح جهاز التعليم وانظمته واساليب التدريس .

وخلال عمله في العراق زار بغداد شاعر الهند « طاغور » فخطب درويش خطبة نفيسة عرف فيها الفيلسوف العظيم وقال فيها : « ان طاغور فيلسوف يعمل بفلسفته لانه شرقي ، بعكس فلاسفة الغرب الذين لا يعملون بفلسفتهم ».

وبعد أن حلل المقدادي نفسية هذا الفيلسوف وقف «طاغور» شاكرا

---

(١) من ذرية المقداد بن الاسود الصحابي الجليل وتشبها به اتخذ اسمه لقبا للعائلة .

العراق على حفاوته بشخصه وفي خطبته اوما الى درويش قائلا : « لم يفهمني أحد في الشرق او في الغرب الا هذا !»

وفي ثورة عام ١٩٢٩ التي شبت بفلسطين قام درويش خطيبا في مدينة نابلس وحرض العرب على قتال الانكليز وقال لهم : « قابلوا هؤلاء البريطانيين واليهود بالسلاح الابيض ودمروا مزارعهم وافنوهم بالقتال المرير ! » وهنا اعتقلته السلطات البريطانية وسجنته وبعد فترة خرج بالكفالة وعاد يعمل في العراق .

وأراد المقدادي الوقوف على التراث العربي والاطلاع على آثار المستشرقين فيه فالتحق عام ١٩٣٥ بجامعة برلين يدرس ويعد (اطروحة) للحصول على شهادة الدكتوراه لكن نشوب الحرب العالمية الثانية في خريف عام ١٩٣٩حال دون اتمامغرضه فعاد الى بغداد وزاول التعليمهناك.

وابان دراسته في برلين قلده هتلر وسام الصليب المعكوف تقديراً لمواهبه العلمية وخلقه المثالي وبعد ان علق الوسام على صدر هذا العربي الكبير قال : « ان المقدادي يجمع بين الاخلاق الشرقية والمعانيالنفسية السامية وهي صفات العمل الغربي» .

وعندما حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١) في العراق التحق درويش بها وقاتل الجيش البريطاني وقتل فيها كثير من طلابه الجامعيين فحكمت عليه المحكمة العرفية البريطانية بالاعدام لكن وساطة المرحوم نوري السعيد خففت الحكم الى السجن خمس سنوات ، واودع درويش معتقلا في بغداد ومنه ارسل الى معتقل في بيت المقدس ، وظل يرسف في خشخشة القيد حتى أفرج عنه في عام ١٩٤٥ وهنا اغتنمت العناصر الوطنية الافراج عنه فعينته مديرا للمكتب العربي في القدس وعضوا في المشروع الانشائي (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) .

ولما اجتاحت النكبة الكبرى فلسطين عام ١٩٤٨ لجأ درويش الى دمشق فرحبت به الجامعة السورية في عهد رئيسها الدكتور قسطنطين زريق وعينته استاذا للتاريخ حتى عام ١٩٥٠.وفي نهاية هذا العام عين مديرا لمعارف الكويت (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) فمديرا مساعدا للمعارف وظل يشغل هذا المركز (١٩٥٢ ـ ١٩٦١) الى ان لحق بربه .

وخلال عمله في معارف الكويت زار الباكستان واتصل برجال العلم في كراتشي واتفق معهم على جعل العربية اللغة الرسمية للدولة بدلا من الانكليزية وعاد الى الكويت معتزا بهذا الاتفاق وصرح للصحافة بقوله : «لقد كسبنا في الباكستان أمة عربية تناهز الثمانين مليونا ، ولا بد ان يتحطم الاستعمار البريطاني أمام هذه القومية التي تمتد من المحيط الى المحيط ».

وفي السنوات الطويلة التي سلخها هذا الرائد العربي مسؤولا في معارف الكويت سعى الى تأسيس «المعهد العربي الكويتي الاردني» في القدس واختار له رئيسا منفذا الوطني المثالي الاستاذ روحي الخطيب أمين القدس. وكلل الله مسعى درويش بالنجاح وحقق هذا المشروع القومي النافع بتبرعات المحسنين الكويتيين وأقيم في بيت المقدس وغايته تربية وتثقيف ابناء الشهداء العرب أينما كانوا .

وابان عمله في معارف الكويت أصيب بمرض عضال فنقل الى لندن للمعالجة لكنه عاد الى بيروت يائسا من الشفاء وفاضت روحه ليلة ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٦١ مأسوفا على علمه الغزير وعقله النير ووطنيته الصادقة .وتقديرا لعلمه وفضله واخلاصه ولما أسداه لامته من جهد ونضال في سبيل استقلال العرب وانقاذهم من ربقة الاستعمار أقيمت حفلات التأبين في بغداد وطولكرم والكويت .

لقد أفنى درويش سني حياته مناضلا في سبيل امته ، وعاش في عالم خاص هو «عالم العروبة» وظل يتطلع الى اليوم الذي يرى فيه امته العربية موحدة الصف والغاية والهدف والراية ، لكنه لحق بربه وامته أضيع من الايتام في مأدبه اللئام !

من آثاره القلمية : كتب درويش طائفة من الابحاث والمقالات في كبريات المجلات العربية وقد تناول فيها المواضيع القومية والتاريخية والتربوية ووصف رحلات كبار المؤرخين العرب والمسلمين ، وقام برحلات تاريخية جغرافية سيرا على قدميه في ارجاء الوطن العربي ورفيقه فيها الدكتور نقولا زياده استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت .ومن تلك الرحلات (بيروت ـ جنين) و (صفد ـ الاسكندرونه) و (القدس ـ البحر الميت) .

وصنف درويش كتبا تاريخية قيمة منها :

(١) تاريخنا : وضعه بالاشتراك مع الاستاذ أكرم زعيتر ، وقد اتسم هذا الكتاب بالاسلوب القصصي التاريخي الجذاب وطبع عام ١٩٣٥.

(٢) تاريخ الامة العربية : هذا الكتاب صورة حية لادب الفقيد وغزارة علمه ودقة بحثه وتنظيمه وتبويبه ، وقد طبع عام ١٩٣٦ وجاء في مقدمته : «الغاية من تدريس التاريخ القومي بث الفكرة القومية حتى ينشأ الطلاب وهم مؤمنون بأن لهم كيانا وتاريخا وأمة ، ولكي يحترموا امتهم وتقاليدهم ، فان الامة اليائسة البائسة التي يحتقرها ابناؤها مقضى عليها بالفشل والذل والهوان .ونريد من ابناء البلاد ان يتيقنوا بان امتهم جديرة بالحياة وان لها الحق في ان تعيش حرة متحدة مستقلة ، ونعلم طلابنا التاريخ حتى يكونوا أهلا لحل مشاكلنا الحاضرة وتفهم مجتمعنا ، كما انهم يتحققون النتائج الوخيمة التي تنجم عن التفرقة والفوضى والانانية وعصبية القبائل».

(٣) تاريخ الكويت وآثارها (مخطوط) .

نموذج من نثره : في العدد ١٧ من مجلة «العربي» الكويتية نشر درويش مقالا بعنوان «ابن المقرب ـ شاعر مجهول» ولطرافة الموضوع الذي عالجه آثرنا اثبات بعضه كنموذج لنثر فقيدنا الكبير :

سأطلب حق آبائي وحقي ولو من بين أنياب الافاعي

وهو الذي يقول :

فاطلب لنفسك عن دار القلى بدلا ان جنة الخلد فاتت لم تفت سقر

يمثل لنا هذا الشعر وغيره مما ورد في ديوان الشاعر ابن المقرب الثورة والتمرد على ما أصابه في دياره على يد فريق من امراء الاحساء الذين اغتصبوا حقه في الامارة وصادروا أمواله وسجنوه وعذبوه ، فلما خرج من السجن ذهب الى العراق وزار البصرة وبغداد والموصل وتجول في انحاء البحرين ، ثم عاد الى وطنه ونظم القصائد مستعطفا ناقما . ولكن امراء الاسرة العيونية بالاحساء في اوائل القرن السابع للهجرة (اوائل القرن الثالث عشر للميلاد) بقوا على حذر منه بعد ان سمعوا قصائده ووشايات المقربين من حاشيتهم ، وهو يشبه المتنبي من هذه الناحية : المتنبي حاول بشعره وأسفاره واتصاله بأمراء مصر والشام ان يكون ذا ولاية وملك ، فلم يفلح ، كذلك فعل ابن المقرب بالخليج العربي والعراق ، فلم يحقق امنيته !

أما شعر ابن المقرب فهو طبعا دون شعر المتنبي ، الا ان الروح واحدة في قصائده بالفخر والحماسة والمطالبة بالحق .

ومع انه غير معروف الا عند فئة قليلة من الادباء الا ان كثيرين منهم بالمملكة العربية السعودية والخليج العربي عرفوه وحفظوا شعره واعجبوا بقصائده ، حتى ان المرحوم الملك عبدالعزيز آل سعود كان يكثر من قراءة ديوانه في شبابه ، ولما تولى الحكم كان يستشهد بشعره ، وأمر ان يكتب البيت التالي على لوحة علقت في قصره :

اذا خانك الادنى الذي أنت حزبه فواعجبا ان سالمتك الاباعد !

وبعد ان سمعت البعض من ادباء الكويت يردد بعض أشعاره أحببت معرفة سيرته فأخذت اسأل عنه .وكان بالكويت الاديب السيد احمد مبارك ، وهو من ادباء الاحساء بالمملكة العربية السعودية فسألته عنه ، فروى لي بعض أخباره ، وتلا علي الكثير من شعره الذي يحفظه، وعلمت منه أيضا ان بدار الكتببالقاهرة ست مخطوطات لديوان الشاعر.

اسمه علي بن مقرب بن منصور ... ولقبه جمال الدين ، وكنيته أبو عبدالله .يعرف بابن مقرب او ابن المقرب العيوني البحراني وينسب الى بلدة العيون بالاحساء .

لاقط اللآلي

في أي عطر حالم غمس الجناح
ولأي سر شاقه غيـر المتاح
طيري المرفرف في ضلوعي
يشدو ويحسو من دموعي

في ريشه الذهبي ومضات خفيه
وعلى اللهاة تحار أنغـام شجيه
وهم تراوده الظنون
ومنى تأبـى ان تكون

نادتـه عبر القفر روضات انف
لاحت غوامضها له خلف السدف
وغصونها الخضر النضيره
تحميه من وهج الظهيره

فيها له ما يشتهي عش وزاد
ولهيبها لا يستحيل الى رماد
أزهارها ابدا نديه
في فجرها مثل العشيه

هي نجمة في الغرب شقراء السنا
ضاءت له بين الدراري موهنا
شفت له عن سرها
في خفقة من نورها

بل ذاك حلم راع طيري في رقاده
ما ارتاح من خطرات رؤاه على فؤاده
اذ يرتجي ما لا ينال
ويعيش في أسر المحال

تلك الذرى سمقت فأخفتها السحائب
الا سمادير استثارتها الرغائب
غامت فليست تستبين
ولا يحيط بها اليقين

لكن طيري ليس يثنيه المدى
يشتاق في الغيب المرجى موعدا
ضربت قوادمه الرياح
وطار يهزأ بالجراح

لبى نداء رن في وجدانه
ومضى الى الافلاك في طيرانه
فلعل عند اللانهايه
حلا لألغاز البدايه

سيحط طيري عند آفاق عجيبه
فيهـا يفوز بكل أمنية غريبه
ويظل يلتقط اللآلي
من بين حبات الرمال

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الاسرة العيونية فقد كان لامرائها اليد الكبرى في القضاء على حركة القرامطة ، اولئك الذين كانوا قد تغلبوا على الاحساء واقامـوا لهم فيها دولة قوية عام ٢٨٦ هـ بمساعدة قبيلة عبدالقيس وغيرها من قبائل ربيعية واتخذوا «هجر» عاصمة لهم واسموها «المومنية» واسمها «الهفوف» في الوقت الحاضر ، كماانهم تمكنوا من السيطرة على جنوبي العراق وقطعوا طريق الحج ودخلوا مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة عام ٣١٧ هـ (١٢ كانون الثاني ٩٢٠ م) وانتزعوا الحجر الاسـود من الكعبة ونقلوه الى الاحساء وبقيـت دولتهـم حتـى عـام ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) وكان لحركتهم اثر كبير في سقوط الخلافة العباسية ،ودخول آراء ومعتقدات غريبة في المجتمع العربي ، ولهذا نجد شاعرنا يفتخـر في عدة قصائد بما فعله أجداده الذين قضوا على هذه الحركة فيقول :

سل القرامط من شظى جماجمهم ... فلقا وغادرهم بعـد العلى خدمـا
من بعد ان جل بالبحرين شأنهـم ... وأرجفوا الشام بالغارات والحرما

وهو يذكر ما أصابه على يد عشيرته ويدعو الى مغادرة البلاد التي يظلم المرء بها فيقول :

وان وطن ساءتـك أخـلاق أهلـه ... فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فمـا «هجـر» أم غذتـك لبانهـا ... ولا «الخط» ان فارقتها لك والد

ويقول أيضا :

في كل أرض اذا يممتهـا وطـن ... ما بين حر وبين الدار من نسـب
اذا الديار تفشاك الهـوان بهـا ... فخلهـا لضعيف العزم واغترب ! »

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

المساء يحط على كل شيء ، والانوار نجوم بعيدة برتقاليـــة اللون . والسيارات صغيـــرة ، صغيرة ، تتراكض على الدرب .

ودقت الساعة والبيت ساهم . ومن المذياع ستذاع قصة لن تسمع. عتاب يشبه الآه ، تنطلق عبـــر السكون ، عتاب اخرس لشيء مبهم.

ومع ذلك فالقصة كانت قـــد كتبت ، قصة قصيرة ، قصة ذات مساء اذ كانت تجلس هناك ، على ذلك المقعد ، قرب المذياع ، والساعة تتكتك ببطء ، وهي بمنديلها الابيض وضفيرتها الفضية تمسك مسبحـة كبيرة تصلي .

قصة قصيرة عن عادة من العادات كانت تقام في شهر تموز في حلب.. قصة قصيرة كتبت لتسمعهـا ذات يوم من المذياع .. لكن دقات الساعة ما تزال تتكتك بانتظام والبيت ساهم، والقصة اعيدت كتابتها وقد تذاع مرة ، لكنها لن تكون هنا لتصغـي اليها .

حدث ذات مساء ان كانت تجلس على مقعدها هنـــاك قرب المذياع الصامت بمنديلها الابيض بضفيرتها البيضاء ، بمسبحتهـــا البيضاء ، تصلي وفجأة سمعت اصواتا .. اصوات من الماضي ، اصوات من الحاضر ، اصوات تحاصر الجدران الاربعة حيث كانت تجلس .

كانت تستمع الى اهازيج النساء تأتيها من بعيد .. من بعيد . اهازيج النسوة في اخر ليلة من ليالي حزيران في اول ليلة من ليالي تموز . كانت تتراءى لها نساء الحي ، جاراتهـا واقفات على الشرف وعلى الاسطحة وقرب ابواب الدار ، تلوح كل منهن بزجاجة تطيح بها بعيدا . يا لصوت تحطيم الزجاج على ارض الشارع.. يا لاصواتهن تردد : حطمنا الشر .. حطمنا الشر .

انها تبتسم لنفسهـا اذ تذكر ، كيف كانت بدورها تملأ زجاجة ماء تدور بها حول راس ابنتهـــا وصهرها واحفادها ثم حول راسها ثلاث مرات لترسلها فيما بعد الى الشارع .

كانت ارض الشارع مفروشـــة بشظايا الزجاج ، واذا ما مـــرت سيارة ، وكانت السيارات قلمـــا تمر في ذلك الشارع ، ارســـل السائق صيحات التزمـــر فتكون صيحاته مبعث سرور صاخب للنسوة الفرحات ..

كان الشارع ذاك كأنه الـــدار الواسعة التي تحمل في جوانحها كل اهل الحي .. كالمنزل الواحد كان ذلك المنزل الكبير .. الحي القديم . كانت كل جارة تشتـــرك في هموم جارتها ، كان كل جار يجالس جاره في الامسيات يلاعبـــه الطاولة او

بين عالمين
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الانسة رينه عبودي

يتحدث ويصغي اليه . وكم كـــان الاطفال فرحين ، يمرحون ويرتعون في ذلك الحي .. منزلهم الكبير.. صدق من قال ان كل يوم يمضي لا يأتي بيوم مثله وتنهدت ..

ثم عادت تصلي .. وكانـــت تكتكة الساعة ترافق صلاتها .

اليوم اصر حفيدها على الفداء ان تلغى هذه العادة ، قال :

ـ لن نحطم اي شيء هذه السنة. آن لنا ان نضع حدا لمثـــل هـــذه العادات السخيفة .

ولم تسمع رد صهرها عليه ، ان صهرها بات كثيرا ما يلوذ بالصمت هذه الايام الاخيرة .

قالت ابنتها : بل سنحطم ككل سنة .. هذه هي العادة فهي تجنبنا الشر ، شر هذا الشهر .

قال حفيدها الصغير : ما الذي تقولينه يا اماه ، اذا كسرنا زجاجا نبعد الشر عنا ، ثم ما ذنب هـــذا الشهر المسكين ؟

قالت ابنتها محتدة : هذا ليس من شأنك .

قال حفيدها الكبير : كفانا عادات سخيفة ، بالية ..

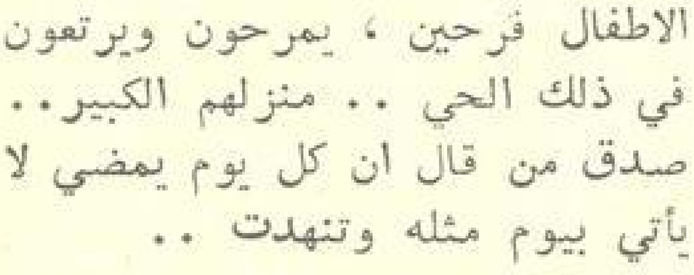
قالت ابنتها : هذا ليس من شأنك انت الاخر .

قالت الحفيدة : هل نسيت يـــا اماه اننا لم نعد نسكن في الحـــي القديم واننا الان في حي انيق لا اعتقد ان هناك من سيكسر الزجـــاج الليلة فيـــه .

واضاف حفيدها الصغير : ثـــم اننا نقطن في الطابق السادس واذا قذف احدنا بزجاجة واصابت رأس انسان يجتاز الشارع او يسير على الرصيف لقتلته لا محالة .. وهنا تكون الطامة والله اية طامة .

وصمتت ابنتها .. وسمعت فيما بعد اصوات رفع صحـــاف الطعام والشوكات والسكاكين والكؤوس.. وسمعت ايضا صوت ورق جرائـــد تفتح ورنا صمت ما بعد الغداء .

وقبعت في مكانها تفكر بالذي قيل امامها بينما كانت ابنتها تذهب الى المطبخ وتعود منه تساعدها الحفيدة .. كانت قابعة في مكانها وقد ماتت الرغبة في نفسها ، الرغبة فـــي الحركة ، في النهوض ومساعدتهما في هذه الاعمال المنزلية .. لقد كان لها الدور الاعظم في هذه الدار في يوم من الايام . اما الان فهي تعجز عن تقديم اية مساعدة . لقـــد اقعدها ضعف بصرها عن اشيـــاء كثيرة لا ضعف بصرها بل انعدامه تماما هذه الاونة الاخيرة .. اقعدها ضعف بصرها فهي قلما تدور فـــي



المنزل ، فهي قد تتفقد في اخر الليل مكان كل فرد من افراد الاسرة وخاصة مكان حفيدتها لتتأكد من وجودهما في السرير ومن انهما قد عادا الى البيت بسلام . كانت تسير متلمسة الجدران ، هذه الجدران الملساء التي لا تحمل ذكريات ، فهذه الدار ، دار جديدة رائحة الدهان ما تزال تعبق فيها . لكم تحن نفسها الى جدران البيت القديم ، تحن حتى الى تلك الصراصير الكبيرة التي كانت تتراكض في مطبخه الواسع المعتم . وتنهدت ثانية وفكرت بالذي قيل ظهر هذا اليوم . احقا لن يحطم احدهم الشر ، وكيف يمضي هذا الشهر على خير ان لم يحطم الشر؟

لم لا تقوم بالعمل هي نفسها . لا احد الان في المنزل ، يمكنها ان تنتهز الفرصة، مؤمنة للاسرة السلامة دون علم منها .. لكن اين لها بالزجاجة وكيف ترميها من هذا العلو الشاهق ؟ ان الفكرة صعب تنفيذها .

وعادت تصلي .

وخطر لها فجأة ان من عادة ابنتها ان تضع قرب الثلاجة قناني الشراب والخل الفارغة ليصعد احد الاولاد في اوقات فراغه ، ليصعد بها الى السقيفة . من السهل سحب واحدة منها . اجل ذلك في منتهى اليسر والسهولة . وغمرها الفرح ونهضت مستبشرة تريد ان تطير وفجأة شعرت بثقل جسمها ، هذا الجسم الذي ازداد ثقله جدا .. نهضت ببطء وسارت متمهلة في الممر الطويل المؤدي الى المطبخ ، وهناك ما ان لمست يدها ظهر الثلاجة حتى انحنت ورفعت بتأن رأس قنينة . مشت بها الى حيث الماء فملأتها وعادت بها تسير في الممر الطويل لتدخل الى كل غرفة . كانت كلما وصلت الى سرير من اسرة افراد العائلة ادارت القنينة مرات ثلاث ثم حين انتهت من هذه العملية ادارت القنينة حول رأسها ومشت مضطربة الى حيث الشرفة وحين وصلتها توقفت فجأة ، سمعت من جديد ما قاله حفيدها : « اننا نقطن في الطابق السادس .. الطابق السادس » وماذا لو اصابت هذه القنينة احدا ؟

هالها الامر لكنها قبل ان تقفل راجعة فكرت بالمكروه الذي قد يصيب احباءها .. المكروه الذي قد يصيبها هي نفسها . وبقوة شجاعة تضرعت مرات ثلاث وقذفت الزجاجة وعادت ادراجها .

ان مقعدها الان فارغ ، لكن في تلك الليلة ما كادت تجلس في هذا المقعد حتى فتح الباب وسمعت ابنتها تصيح : اماه ، ما الذي فعلته؟

وحفيدتها تقول : جدتي .. لقد كدت تقتلين جارنا الذي يقطن في الطابق الثالث .

وعادت ابنتها تقول : كان المسكين عائدا الى بيته واذا بالقنينة تمر على مدى شعرة من رأسه .. المسكين حين اذكر صيحات رعبه واستنكاره .

قالت الحفيدة : لقد كان ما يزال يرتعد وهو يصعد معنا في المصعد .

قالت الابنة : هوت القنينة من كل هذا العلو ولم تتحطم .. لكن يا امي كيف فعلت هذا ؟

واضافت : لقد عرفت القنينة في الحال .. قنينة خلنا القديمة .. كان رأسها قد طمر في تراب احدى الشجرات المزروعة على الرصيف.. من هذا العلو الشاهق ولم تتحطم.

وهنا سألت الجدة : ألم تتحطم ؟

قالت ابنتها : لا .

احنت الجدة رأسها في تفكير عميق ثم بخطى متمهلة سارت الى غرفتها .

كان ذلك في مساء بعيد حين كانت الجدة ما تزال تجلس على هذا المقعد قرب المذياع في الدار الجديدة .. حين اتتها صدى صيحات نسوة الحي تردد بين الاهازيج :

ـ حطمنا الشر .. حطمنا الشر ..

دمشق **رينه عبودي**

عابر طريق

أتذكر يا عابرا للطريق ... جمودي اللهيف ووجدي العميق
أتذكر ارناءة من عيوني ... حكت سر قلبي ولهفي الطليق
فاني برغم ازدحام الطريق ... ورغم عشاري بغير رفيق
لأذكر صوتا ألم بسمعي ... وأذكر خطوا حوته طريقي
وأذكر أفقا تراءى رحيبا ... ووجها اظل بستر رقيق

وبنت وبنا ولكن رؤى ... تطوف بروحي المعنى الفريق
رؤى رسمتها لحيظات نشوتي ... تفجر دوما بفوري السحيق
وكنا وكان هنالك شيء ... يشد اليك وجودي العريق
يشد بروحي لكل خيال ... يمر وان عابرا للطريق

دمشق **سلافة العامري**

الخريف في دمشق

* * *

مقل الخريف على الثرى تجري ... بدموع ثاكلة على قبر
تنهل ناشجة وليس بها ... داء يمض ولوعة تفري
والريح تزخر في مساربها ... كاليم في مد وفي جزر
تهوي زعازعها مجلجلة ... في شاسع بقوادم النسر
فتطيش أغصان لهبتها ... عن لوثة وتميد من ذعر
وتمد أغصان على جذع ... يد ضارع في ربقة الاسر
نفثت بها الادواء فارتعشت ... تهتز كالمقرور من ضر
وتناثرت أوراقها بددا ... دون الثرى سطرا على سطر

والشمس تومىء وهي شاحبة ... من خدرها بأنامل صفر
ترنو بمقلة موجع كحلت ... اجفانه بالسهد والمر
وتغض بالجفنين مجهشة ... لوساوس بمدامع القطر
عصفت غواربها مشعشعة ... خلف الغمام بذائب التبر
وجرت أشعتها بمنهمر ... في غامر ينساح عن غمر
في كل منعطف لها شعل ... وضاءة كالانجم الزهر
خلعت على الكثبان أردية ... من ذائب الالوان والفجر
فاذا الربى من سحر ما خلعت ... شعل الضحى سكرى من السحر

والماء يضرب في مساربه ... متعثرا حيران لا يدري
يهوي على حذر وتمسكه ... حينا وساوسه فلا يجري
ويكاد يعثر في تخبطه ... من رعشة بيمينه تسري
زفراته في كل منعطف ... يجري به شعل من الجمر
وبكل منحدر يسيل به ... لمدامع أثر على الصخر
وكأنما الصفصاف شاركه ... برح الجوى ولواعج الصدر
فحنا يبث النهر ما ضمنت ... أضلاعه من غصة تفري
والنهر في الاحواض مرتعش ... يحكي النزيف يدف من سكر

والغيم أرخى من غلائله ... دقت صحائفه ورققها
طررا على الكثبان والقفر ... نصل الصبا في متنها يبري
تطوى على قسر وتنشرها ... في الافق عاصفة على قسر
وتظل تخبط كالضرير سدى ... في شاسع يمتد كالبحر
مل الغمام من السرى فشكا ... برح السرى وحنا على النهر
أفضى بقول غير متلبس ... لمسائل وحكى بلا ثفر
فشفى الغليل وليس في يده ... من أمره شيء من الامر
والريح تعبث في صحائفه ... بالطي أحيانا وبالنشر

خلع الخريف على الربى حللا ... من ذائب الالوان والعطر
تاهت دمشق بها وعاودها ... صلف المدل يتيه من كبر
عقد الغمام على مفارقها ... تاجين من شرف ومن فخر
عصفت بها الاحداث من قدم ... حسدا لها بحوادث نكر
لم يطغها ترف وما وهنت ... قدم لها يوما على عسر
شابت ذوائبها وما فتئت ... من روعة التاريخ كالدهر
في كل منعطف بها عظة ... تروى وملحمة من الشعر

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسـى الناعوري

الكاتب الايطالي غايتانو راغونيزي

بقلـم عيسى الناعـوري

* * *

تمهيد : في عام ١٩٦٢ دعيت لالقاء محاضرات في جامعة باليرمو ، في صقلية ، وهناك عرفت الكاتب الايطالي الاستاذ غايتانو راغونيـزي ، أحد اساتذة كلية الآداب في الجامعة عينها . وكان راغونيزي وزميلـه الاستاذ جوفاني سانتجيلو ، والمستشرق الاستاذ اومبرتو ريتسيتانو ، يجلسون معي الى الطاولة التي ألقيت من خلفها محاضرتي عن روايـة «الفهد» . ثم اشتركوا في الرد على اسئلة المناقشين ومناقشاتهم حول أمور مختلفة من الادب الايطالي المعاصر في الجلسة عينها ، ثم فيالندوة التي تلتها في اليوم التالي.

وفي تلك الاونة تفضل راغونيزي فاهدى الي كتابه «الادب الروائي في القرن التاسع عشر». كما تفضل سانتنجيلو فاهدى الي كتابا له عن الروائي الايطالي الشهير «فيرغا» والدراسات النقدية التي كتبت عنه. وعنوان الكتاب «النقد الفيرغوي» .

ثم عدت فلقيت الصديقين مرة أخرى في جامعة باليرمو .وتفضل راغونيزي فاهدى الي كتابه الجديد الضخم «تفسير فيرغا ـ دراسات وأبحـاث» .

وأرى الان لزاما علي ان أتحدث عن هذا الكتاب الجديـد القيم الذي يبحث في أدب واحد من عمالقة الادب الايطالي الحديث ، هـو (جوفاني فيرغا) الذي يعتبره الايطاليون أبا للرواية والقصة في القرن العشرين ، وزعيم المدرسة الواقعية .

وقبل ان أتحدث عن كتاب الصديق راغونيزي لا بد لي من الحديث عن هذه المدرسة الواقعية وزعيمها فيرغا ، اولا ، لكي يعرفه القارىء العربي ، ويدرك أثره في الادب الايطالي.ذلك لان من العبث ان اتحدث عن كتاب مكرس لدراسة ادب فيرغا دون ان يعرف القارىء من هو فيرغا هذا ، وما هي اهميته ، وآثاره الادبية .

فيرغا والمدرسة الواقعية : اذا كانت المدرسة الادبية الواقعية في فرنسا تعزى الى بلزاك وزولا ، ويضمون اليها ايضا دي موباسـان ، وفلوبير ، فانها في ايطاليا تعزى الى لويجي كابوانا ، وجوفاني فيرغا ، ويضمون اليها غراتسيا ديليدا .

واذا كان بلزاك ، في فرنسا ، يعتبر نقطة البداية فـي الحركـة الواقعية ، واميل زولا عامل تثبيتها ، وأديبها الاكبر ، فان الايطاليين يعتبرون (كابوانا) نقطة البداية في المدرسة الواقعية ، او الطبيعية ، وفيرغا عامل تثبيتها ، وأديبها الاكبر ، على الاخص بروايتيه الشهيرتين «أسرة مالافوليا» و «المعلم السيد جيزوالدو» .

وتختلف المدرسة الواقعية الايطالية عن زميلتها الفرنسية في انهـا انصرفت الى معالجة الواقع الايطالي الصرف ، لا الانساني بشكل عام. فأشخاص روايات فيرغا ، مثلا ، كانوا صقليين مئة بالمئة ، وأشخاص روايات غراتسيا ديليدا كانوا من واقع جزيرة سردينيا ، ومن بيئاتهـا الفقيرة الخاملة المتألمة .وقد تاثرت هذه المدرسة ـ سواء في فرنسا ، أم في ايطاليا ، بالنهضة الصناعية والعلمية في اوروبا ، وبظهور كارل ماركس وانجلز ، وما تركت فلسفتهما الاقتصادية المادية من أثر واسع في الحياة العادية في أوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيرا ماديا واقتصاديـا وآليـا .

لقد كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها المبدع ، بينما كان صديقه كابوانا ناقدها الاكبر ، وناشر فلسفتها ، بما يمتاز به نقده من حيوية الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته في الخلق والابداع بما ألفه من اقاصيص وروايات ومسرحيات منتزعة كلها ـ او اغلبها ـ من واقع الحياة الصقلية .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو مانتزوني خالقا لهذه المدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، وعلى الاخص بروايته الشهيرة «الخطيبان» لولا ان مانتزوني كان حريصا على الجوانب الخلقية ، يحكم على الاعمـال والاشخاص في روايته على أسس خلقية ، بينما تترك المدرسة الواقعية الحكم على الاعمال والاشخاص الى القارىء نفسه ، لا الى المؤلف .

كما ان هذه المدرسة كانت تحرص على عدم كشف الدناءات والمساوىء الانسانية علنا ، او التشهير بها أمام القراء ، بل كانت تعطف علـى المحرومين من أبناء الشعب ، وتشيد بمزاياهم الايجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس ، ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك.وهذه المزايا كلها نجدها مصورة أروع صورة في آثار فيرغا الادبية المستمدة مـن الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستسلمة الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟ ولد فيرغا في مدينة كاتانيا ، في جزيرة صقلية ، عام ١٨٤٠ ، وتوفي عام ١٩٢٢ ، بينما ولـد زميلـه كابوانا ـ وهو أيضا من كاتانيا ـ قبله بعام واحد ـ عام ١٨٣٩ ، وتوفي قبله بسبعة أعوام (عام ١٩١٥) .

ولقد أحس فيرغا منذ حداثته بميل شديد الى الآداب ، وبحاجته الى بيئة تساعده على تغذية ميله هذا . وفي عام ١٨٦٥ غادر صقليـة الى فلورنسا حيث وجد البيئة التي يريد ، فاقام فيها مدة ، ثـم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدأت حياته الادبية بدايتها الجدية . فاقام في ميلانو الى أن عاد منها عودته النهائية الى مسقـط رأسه ، حيث توفي عـام ١٩٢٢ .

في الفترة التي بدأ فيها فيرغا حياته الادبية كانت الحركة الادبية الواقعية واسعة الانتشار في فرنسا واوروبا .وكانت قد ظهرت في مدينة ميلانو حركة ادبية جديدة اطلق على أصحابها اسم «شعث الشعور» ـ وبالايطالية Scapigliatura وهي مدرسة تمردية قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا ، اذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : (جوزيبي روفاني ـ ايجينيو تارگيتـي ـ جوفاني كاميرانا ـ كارلو دوسي ـ ايميليو براغا ـ أريغو بويتو) وكان مؤسس الحركة هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(جوزيبي روفاني) واما ابرز اعضائها واكثرهم شهرة فهو (ايميليو براغا). ولم يزد عمرها على عشر سنوات (من ١٨٦٠ الى ١٨٧٠) . وقد انغمس هؤلاء الشبان المتمردون كل الانغماس في حياة فوضوية بوهيمية ، وفي الكفر بكل المثل العليا في الحياة ، وراحوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون . وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي) بالسل وعمره ٢٨ سنة ، وقضى (كاميرانا) منتحرا ، ومات (براغا) ـ وهو أشهرهم ـ ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمـره .

عند ظهور هذه المدرسة المسلولة ـ او المسطولة ... ـ كان فيرغا في حدود الثلاثين من عمره .وفي عز انتشارها كان قـد وصل الـى فلورنسا ، ثم انتقل ابان حياتها الى ميلانو ـ مهد هذه الحركة ـ وفي هذه الفترة جاءت اعماله الادبية مزيجا مضطربا من أثـر الواقعيـة الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية ـ فوضوية شعث الشعور ـ وهذه الاعمال التي انتجها فيرغا في هذه الفترة هي : (خاطئة ـ حكاية بلبل ـ النمر الملكي ـ ايروس ـ وحواء) . وعلى الرغم من النجـاح الذي لقيته هذه الروايات فانها لم تبلغ السمت الذي كان فيرغا يتوق الى تحقيقه .ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك الواقعيةالادبية. فهناك رسخت شهرته بين عمالقة الادب الايطالي ، ولا سيما حين ظهرت روايتاه الشهيرتان : «اسرة مالافوليا ـ والمعلم السيـد جيزوالدو» المستمدتان من واقع الحياة الصقلية المتألمة ، وحين اصبح شخوصه ممن يدعوهم باسم «المغلوبين» .

بدأت الفترة الجديدة في حياة فيرغا الادبية بقصة عنوانها «نيدا» ظهرت عام ١٨٧٤ ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعيـة الاخرى في كتبه التالية : (حياة الحقول ، ١٨٨٠ ـ خبـز اسـود ، ١٨٨٢ ـ أقاصيص قروية ، عام ١٨٨٣ ـ في الطرقات وغيرها . الا ان فيرغا بلغ الذروة في روايتيه الكبريين (أسـرة مالافوليـا ـ والمعلـم جيزوالدو) وقد ظهرت الاولى عام ١٨٨١ ، والثانية عام ١٨٨٩ .ويمكن ان تضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج ايلينا ، ١٨٨٢ ـ ومن حصتك على حصتي ، عام ١٩٠٦) في هذه الروايات كان فيرغا منصرفا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان في عفوية احاسيسه واعماله ، والى الدنيا في الاعيبها العجيبة .فهو شديد العطف علـى الضعفاء ، والمقهورين ، والمغلوبين على أمرهم ، الذين يحنون رؤوسهم لمصيرهم ، يتفهمهم بعطف عميق حتى في أخطائهم .

لقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيـا القصور الباذخة والحياة المترفة في المدينة الصاخبة ليستروح عبيـر أرضه الصقلية ، ويعيش مع شعبه الفقير الساذج ، ويتذوق طعم الخبز البيتي اللذيذ . لقد أفلحت الواقعية في ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش في أعماق نفسه مـن بيئته الصقلية الاولى .

راغونيزي،و«تفسير فيرغا»: بعد هذا الذي رأيناه من اهمية فيرغا في الادب الايطالي المعاصر ، ليس غريبا ان يتصدى لدراسته عشرات من كبار الكتاب والنقاد الايطاليين ، وأن تصدر حول حياته وأدبـه عشرات الكتب ، ومئات الابحاث في الصحف ، والكثير مـن الشروح والمنتخبات الادبية .فلقد عني بدراسته وتحليل أدبـه عمالقة النقـد الادبي في ايطاليا ، وعلى رأسهم الناقد الاشهر بنيديتو كروتشـي . وكان من بين من تخصصوا في دراسته ، والكتابة عنه ، وتدريس آثاره الادبية ، الصديقان الكبيران غايتانو راغونيزي ، وجورجيو سانتنجيلو، من أساتذة كلية الفلسفة والآداب في جامعة باليرمو . اما سانتنجيلو فقد أصدر كتابا بعنوان «النقد الفيرغوي» درس فيه ابحاث مختلـف الدارسين والنقاد الايطاليين الذين عنوا بدراسة فيرغا وآثاره الادبية ، واستعرض آراءهم وناقشها نقاش الخبير الواعي لموضوعه . ثم أعـاد طبع الكتاب مرة اخرى في الاعوام الاخيرة ، واضاف اليه فصولا جديدة استكمـالا للبحـث .

واما راغونيزي فقد جمع في كتابه «تفسير فيرغا» كل ما كتبه من أبحاث تتعلق بهذا الاديب الروائي الكبير منذ عام ١٩٣١ حتى عام صدور الكتاب (١٩٦٥) .وقد جاء كتابه هذا في ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ، مشتملا على أحد عشر فصلا ، كلها فصول واسعة مطولة . وفي هـذه الفصول درس راغونيزي مؤلفات فيرغا في عهد الشباب ، كما درس بواعث الحلم في أعماله الادبية في عهد النضج ـ وقارن بين فيرغـا وفلوبير الفرنسي ـ وبينه وبين مانتزوني، واستعرض رأي بيراندييللو ـ عملاق المسرح والرواية والقصة الايطالية المعاصرة ـ في فيرغا .وكذلك درس اثر مدرسة «شعث الشعور» في مؤلفاته الاولى في مطلع حياته الادبية .هذا الى فصول اخرى في دراسة مؤلفاته كلها دراسة تحليلية استقصائيـة عميقـة .

في الحديث على مؤلفات فيرغا في عهد الشباب يقول راغونيزي : « استيحاء الخبرة الانسانية مباشرة ، وخلع بعض الاحداث والاحوال الشخصية الواقعية على الاشخاص وعلى اعمال الخيال الشعرية مرارا غير قليلة ، هذا كان الاسلوب ـ ان لم نقل الهدف الملازم ـ الذي ظل جوفاني فيرغا امينا له في روايات عهد الشباب...ولسنا نعجب حين نرى أن فيرغا قد انتزع دوافعه وحوافزه في رواياته الوطنية الاولى من حياة جزيرته صقلية المضطربة حين كانت تسير نحو الوحدة الايطالية سيرا يطوي معاني المأساة ، وكذلك من نشاطه الخاص في حياته الوطنية والصحفيـة » .

ويرى كذلك ـ ويرى معه نقاد آخرون ـ ان حياة فيرغا في مـدن الشمال الايطالي الكبرى ـ ولا سيما فلورنسا وميلانو ـ قـد تركت آثارها الواضحة في عدد من رواياته .ولكنه يـرى كذلك ان هنـاك تأثيرات اخرى مباشرة في بعض رواياته ، ومن اهمهـا تاثير الروائي الفرنسي فلوبير ، مؤلف «مدام بوفاري» و «التربية العاطفية» ، وتأثير الروائي الايطالي اليساندرو مانتزونـي ، مؤلـف الرواية الكبـرى « الخطيبان » . ثم لا ينسى ان يشير الى مدرسة «شعث الشعور» في بعض مؤلفاته الاولى . وهو يذكر المؤلفات الفيرغوية المتأثرة بالاخرين، ويناقشها ، ويبين مواطن التأثر فيها ، مقارنا بينها وبين الآثار التـي تأثر بها فيرغـا .

وهذا الذي يستعرضه راغونيزي استعراضا سريعا فـي الفصل الاول من كتابه يعود فيفصله تفصيلا وافيا في الفصول اللاحقة . ففي الفصل الذي عنوانه : «فيرغا وفلوبير» يبدأ بالمقارنة بين رواية فيرغا التي عنوانها «زوج ايلينا» ورواية «مدام بوفاري» لفوستاف فلوبير : يقارن بين شخصيات الروايتين ، وكلام الروايتين وأحداثهما ، ليبيـن وجوه الشبه ، او على الاصح وجوه التأثر .وهي مقارنة تجعلنا نلمس مدى تأثير فلوبير في أدب فيرغا ابان شبابه . وقد رأينا في ما تقـدم عن المدرسة الواقعية ان فلوبير كان من كبار قادة هذه المدرسة الفرنسية التي تأثر بها المذهب الواقعي الايطالي تأثرا مباشرا .

وفي الفصل الذي عنوانه (اللغة العامية في روايـة «الخطيبان» وروايات فيرغا) يعقد راغونيزي مقارنة طويلة اخرى بين فيرغا وسلفـه مانتزوني .ولقد سبق ان ذكر راغونيزي نفسه في الفصل الاول من كتابه «الادب الروائي في القرن التاسع عشر» ان مانتزوني كان حجر الاساس في الواقعية الايطالية.وقال : «بعد الثورة التي قام بها مانتزوني فـي الصياغة النثرية في رواية «الخطيبان» نجد نقطة الالتقاء بين مختلف الاتجاهات الروائية في ايطاليا في القرن التاسع عشر في روايات فيرغا، أعني في واقعيته الراسخة المتمكنة ، التي هي موسيقيـة اساسيـة كذلك .ان واقعية «الخطيبان» تتجدد عميقة في الكاتب الصقلي فيرغا.»

وفي الفصل الثاني من الكتاب عينه يقول راغونيزي ان فيرغـا «تلميذ كبير لمانتزوني» . ويضيف : «ان لحب فيرغا للصيغ الثابتـة المتماسكة اكثر من نقطة اتصال واحدة مع صفاء الاسلوب المانتزوني »

على ان هذا الذي قاله راغونيزي هناك في كتابه «الادب الروائي في القرن التاسع عشر» كان يتعلق بالشكل وحده . اما هنا في كتابه الجديد «تفسير فيرغا» فانه يتناول الشكل والمضمون معا . واول ما يتناوله رواية «نيدا» لفيرغا ، فيجد ان هذه المرأة ـ نيدا ـ « في صورتها المصغرة جسدا وروحا قد أخذها فيرغا اساسا من الصور التي ابدعها صاحب «الخطيبان» بشكل مدهش » .

ولا يقف راغونيزي عند رواية «نيدا» وحدها ، بل يمضي في تحليل عدد آخر من روايات فيرغا في شبابه وكهولته ، ويعقد بينها وبين رواية «الخطيبان» مقارنة ضافية ناجحة جدا ، تجعلنا نحس معه بطابع مانتزوني واضحا صريحا ، ونثق بصحة قوله في ختام المقارنات المتعددة في ذلك الفصل : «يبدو ان المثال الكبير الذي تقدمه رواية «الخطيبان» قد شغل فيرغا في سياق مباشر مع مانتزوني ، كأنما يعترف اعترافا جازما بأن مانتزوني أستاذه ، وقوله : «وهكذا يختم فيرغا حلقة أعماله الروائية ، التي كان قد بداها برواية «الحب والوطن» ، محافظا على ما يشبه الإمانة المثالية لقمة أعمال مانتزوني الادبية .ولكنها أمانة من أعطى الادب الايطالي اعمالا اخرى جديدة في القمة ».

ولست أريد ان اقف طويلا عند الفصل الذي عنوانه « فيرغا في نظر بيراندييللو» ، على الرغم من أهميته ، فهو يستعرض فيه خطابا كان بيراندييللو قد ألقاه في مدينة كاتانيا ـ مسقط رأس فيرغا ـ عام ١٩٢٠ ، بمناسبة العيد الثمانين لمولد فيرغا .ولكن ما يهمنا من هذا الفصل ما قاله راغونيزي في مستهله عن علاقة فيرغا وبيراندييللو ، وهو : «اذا قارنا بين بيراندييللو وفيرغا ، يبدو لنا جليا ان الكاتب الاغريجنتي ـ نسبة الى أغريجنتو ، بلدة بيراندييللو ـ قد عرف الكاتب الكاتاني ـ نسبة الى كاتانيا ، بلدة فيرغا ـ وأعجب باعماله الادبية . وهناك مشابه غير منكورة بين هذين الكاتبين اللذين انجبتهما صقلية ، الا أن هذه المشابه روحية اكثر منها لفوية ، او مشابه اسلوب وفن».

وفي مكان آخر يذكر راغونيزي أن بيراندييللو كان يعتبر فيرغا «معلمه».

ونجيء الان الى الفصل الذي عنوانه «ملاحظات حول فيرغا وذوي الشعور الشعث» ، لنرى أثر هذه المدرسة «الخنافسية» ـ ان جاز لنا التعبير ، لما بين أصحاب تلك المدرسة الميلانية وبين خنافس بريطانيا اليوم من شبه في المظهر وفي الاستهتار ـ في بواكير أدب فيرغا .يقول راغونيزي في مستهل هذا الفصل : «في السنوات العشر التي كان فيها فيرغا ينشر بواكير رواياته ، كانت قد ازدهرت في ميلانو اسرة من الشعراء لقيت أهمية تاريخية مرموقة في أدبنا الايطالي الحديث ، وقد دخلت في التاريخ باسم «مدرسة الشعور الشعث الميلانية» .ونحن نعرف ان هذه المدرسة قد عبرت عن تذمر روح الزمن .وواضح الان ان مأساة ذوي الشعور الشعث كانت صراعا بين الواقع والمثالية يعذب نفوسهم ...وبدقة اكثر ، كانت تعني قلق الانسان الموزع بين الواقع الذي يسمره الى الارض ولا يمنحه الرضى ، واللانهاية البعيدة المنال التي تجتذبه اليها ...غير ان هذه الاسرة كان في حضنها اتجاهات واقعية نلمسها واضحة حية في «براغا» ـ وهو اشهر اعضائها ـ »

ثم يتحدث راغونيزي عن فيرغا فيقول : «كان لمؤلفات فيرغا في عهد الشباب اكثر من نقطة التقاء واحدة مع مؤلفات براغا . وقد أشار اكثر من ناقد الى ان كاتبنا هذا قد تأثر بهذه الاسرة». ثم يذكر بعض المشابه التي رآها النقاد ، ويشير الى ان فيرغا كان في نحو الثلاثين من عمره حين وصل الى ميلانو ، واتصل بأعضاء هذه الاسرة ، وصادق أكثرهم . على انه يعود فيقول، بعد سرد المشابه التي تأثرت بها روايات فيرغا بهذه الاسرة : «على أنني لا أعتقد ان في وسعنا ان نتحدث عن تقليد مباشر من فيرغا لهذه الاسرة» .وفي مكان آخر يقول : « وعلى كل حال لقد كانت مسالك الكاتب الصقلي وتصوراته الشبيهة بمسالك الكاتب الميلاني ـ ويعني به «براغا» ـ وزملاءه من ذوي الشعور الشعث وتصوراتهم ، تنبع من حافز كان ظاهرا لديه منذ الحداثة .ونحن انما نبرر هذه المشابه لكي نظهر ان فيرغا قد أحس بالتذمر الروحي الذي كان ميزة الزمن ، والذي كان يتمثل في أدب المدرسة الشعثاء».

ان هذه المقارنات الطويلة الممتعة التي يسوقها الصديق راغونيزي في كتابه الضخم النفيس ، لا تعني التقليل من قيمة أدب فيرغا ، مواطنه الصقلي ، بل على العكس ، تبرز اهمية هذا الروائي الكبير ، صاحب (اسرة مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو) التي جعلته يشغل أقلام الباحثين والنقاد منذ مطلع هذا القرن حتى اليوم ، وسيظل يشغل أجيالهم الى ما شاء الله .

وليس هناك من عبقري لم تجد اقلام النقاد آثارا بارزة في أدبه ، ومشابه بين آثاره وآثار عباقرة آخرين من مختلف العصور . وعهدنا بالشاعر الايطالي الاعظم دانتي اليغييري والضجة الكبرى التي ثارت حول «كوميديته الالهية» ما يزال حيا امامنا .ولكنها ضجة لم تستطع ان تنقص شيئا من قيمة أدب دانتي ، بل على العكس ، زادت من أهميته وشهرته وذيوعه .والعظماء يخلص أدبهم ويزداد جلاء وصفاء كلما ازداد حك معدنهم بالنقد والدراسة .

عمان

عيسى الناعوري

المطر والنوافذ المضيئة

هي الريح لا غيرها ، في ليالي السهاد ،
ليالـي السهـر .
هي الريح لا غيرها ، في احتجاب القمر
هي الريح تأتي ، تغني . ووقع المطر
على الشرفات : غناء الطيور ،
ثغـاء الخراف ،
نقيق الضفادع في جنبات النهر ،
وشدو الجداول في المنحدر ،
وهمس الحلي ، وضحك الجواري العراب،
ولحن الوتـر !
« فيا غيمة انى شئت امطري »
وعودي علينا بوفر وخير
لتخضر دنيا بحضن الشتاء
وتزهو السنابل بين الزهر
وتجلو السنونو سماء الربيع
وتسعد أم ،
ويلعب في الشمس طفل وهر .
فيا ريح غني فأنت الحنان
ويا غيم هيا ، فرو التراب
لان المسطر
على الشرفات ، غناء الطيور
ولحن الوتر !

دمشق

صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رفع الرجل عينيه عن الجريدة ، والتفت نحوي وقد وشت نظرته عن رغبة في الحديث . ثم عاد ينقل بصره بيني وبين الجريدة ، وكأن رموشه تطول وتطول ، حتى لتكاد تتشابك مع رموشي وتشد عيني لتقرأ ما انتهى هو لتوه من قراءته ؛ ثم قال بحدة ، دون ان ينتظر حتى ان افرغ من قراءة ما اشار اليه باصبعه :

اتصدق ؟. هذا كذب . كلام جرائد . انا لا اعرف من انت ، ولا من تكون واكلمك ، لاني احس برغبة في الكلام . وان تحس برغبة في الكلام وتتكلم فعلا ليس بالامر السهل . ولكن لا بد ان تتكلم فالكلام شيء رائع . أروع شيء في الدنيا ان تقول ما تريد قوله .

انا موظف ، ولي مرتب وعلاوات صرفتها او لم اصرفها لا اذكر ، اتصدق . حولت مرتبي على البنك من اجل سلفة ، انها مبلغ صغير . انا أب ولي خمسة اولاد ، اربعة في المدارس ، وكلهم يأكلون ويبدو انهم لا يشبعون ، اتصدق . وام محمود مريضة . نظرها ضعيف ، ولا ترى على بعد متر . انا نقلت من كفر الشيخ الى مصر . مصر جميلة اي نعم . وفيها دكاترة واساتذة متخصصون يمكنهم علاج ام محمود اي نعم . قال الدكتور مرة ان النظر نعمة . وام محمود تصرف ثمانية جنيهات في الشهر . أقلت لك ان لي خمسة اولاد يأكلون ويتعلمون ، لا تؤآخذني انها الرغبة في الحديث . انا اسكن في المنيره . هناك بجوار خط المترو . قطار حلوان . هل رأيت المنيره ايام الفيضان . انا اسكن في بدروم والمياه حولنا من كل جانب غمرت درجات السلم . كان لابني كلب كان يجري وراءه ، هناك في كفر الشيخ . وابني حزين جدا هذه الايام . لقد هرب الكلب ، خرج يوما ولم يعد . وابني حزين ، كثيرا ما يسألني عن سبب هروبه وانا ادخل البيت من النافذة وابني حزين لهروب كلبه ، اتصدق .

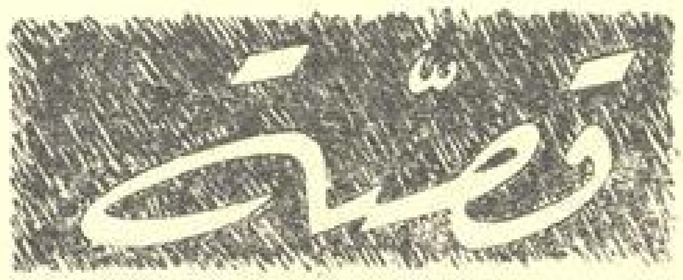
كنت اقول اني حولت مرتبي على البنك من اجل سلفة . ثلاثة شهور . والسلفة تسدد على عام ونصف . لا بد انك تعلم . وقد دلني بعض الناس على شقة خالية ، اتصدق ؟. ولكني ذهبت . وكان للرجل في جبهته (زبيبة) صلاة . وكان من ذلك النوع الذي يوهمك من اول نظرة بالتقوى ، فلا تملك الا ان تثق به . هل تعلم ، لقد طلب خلوا . اتصدق ؟ طلب الرجل مائة جنيه . انا موظف وعملي متصل بالجمهور . للناس عندي مصالح . بعضهم يعزم علي بسيجارة وانا لا ادخن . ولم



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الخالق الخولي

افكر ابدا يوما ان ادخن . الم يعزم عليك واحد مرة بسيجارة وتقبلتها . نحن شعب يقدم السيجارة وسيلة للتعارف . للتعارف هه . انت تعلم ذلك . والسيجارة لها سحر . ودائما تذكرني بمرض ام محمود وبصرها الذي اوشكت ان تفقده . والدكتور قال ان النظر نعمة . والناس يصرون دائما ان يعزموا علي بالسجائر . ولكني خائف ان يضطرني التفكير في مرض ام محمود ان تمتد يدي وتقبل مرة سيجارة واصبح مدمنا . لم يكن يخطر على بالي مطلقا



ان ادخن وانا في كفر الشيخ . الناس هناك طيبون . تأملوا جدا لفراقي واعطوني خطاب توصية من اجل شقة ، كنت احتفظ عليه في جيبي واظنه خاتم سليمان الذي يفتح كل متغلق . لقد ذهبت به الى المحافظة ، ولكن هل تعلم ؟ وقفت طويلا امام موظف الاستعلامات ، وتعرضت لأسئلة واستفسارات من السكرتير الخاص للمدير . واخيرا ، اخيرا حظيت بمقابلة مدير مكتب الرجل المسئول الذي احمل اليه الخطاب . ترى ماذا حدث :

قال لي : وتقابل سيادته ليه . . انا هنا لعرض مثل هذه المسائل . سيادتك تعال بعد اسبوع . . يعني كل حين .

وطال الحين طال . . وسافرت الى كفر الشيخ . اعطوني خطاب توصية اخر ، من اجل شقة ايضا . هل تعلم . لقد ملأت هذه المرة استمارة رغبات . استمارة رغبات اتصدق .

ـ اين تريد ان تسكن ؟

قلت في اي مكان .

عدد الغرف المطلوبة ؟

قلت اي عدد .

وطال الحين . . طال . . ربما عامين . . ربما عاما . . لم اعد اذكر . هل قلت لك قبلا ان الرجل « ذو الزبيبة » طلب مائة جنيه . والسلفة كلها خمسون جنيها ثلاثة شهور كاملة من مرتبي خمسون جنيها . انا لي مدة خدمة ـ خمسة عشر عاما وانا موظف ، ولي علاوات صرفتها او لم اصرفها انا لا اذكر اتصدق . واليوم اول الشهر نحاستي تحمل رقم ١٣٩ امامي وقت طويل . هل صرفت نحاستك انت . قطعا لا بد انها معك . ارجو الا اكون قد عطلتك . فاليوم اول الشهر . سأذهب بأم محمود الى الدكتور . موعدي اليوم لادفع ثمانية جنيهات . سنترك الاولاد وحدهم . حتى الرضيع سنتركه مع اخوته . الكبير

اعتراف

لم أخفي الفداة عنك الحقيقه ... أنا لان في هواك غريقه
لا تقل لي : فات الاوان فاني ... لك حتى الممات اوفى صديقه
كم تألمت حينما غبت عني ... لتداوي جراح حب عميقه
وتحملت يا صديقي خطوبا ... حرمتني من الحياة الطليقه
لم يرق بعدك الوجود لعيني ... بعد ان كان روضة وحديقه
كل يوم في وحدتي كنت أتلو ... أسطرا قد كتبتها لي رفيقه
يا حبيبي ونور عيني أجرني ... من هوى في الفؤاد زدت حريقه
وأعد لي عهد الوصال لعلي ... من دياجير سكرتي مستفيقه
انا في حاجة اليك ، ونفسي ... لم تجد للعزاء أي طريقه
كنت بالامس استحق احتقارا ... وأنا اليوم باحترام خليقه
كنت اخطأت مرة ، فاعف عني ... واطو ماساة ذكرياتي العتيقه
لست انسى وقد وقفت ببابي ... تشتكي لوعة الفؤاد وضيقه
فتجاهلت ما تعاني ، وأحرى ... بي اذ ذاك ان اكون رفيقه
أنت ـ لا شك ـ طيب القلب ، شهم ... وكريم نحو النفوس المشوقه
لن تطيق الاسى يحطم قلبي ... ويلاشي انوثتي ... لن تطيقه
فترفق بأدمعي ، وبآهي ... قد كفى هذه الخطوب المحيقه

عمان — عبد الرحمن سالم عاليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكثر تعقلا من الاخرين . لا يحاول ان يخوض في الماء الراكد في بير السلم . وتصور ، احيانا يخرج عن حزنه بسبب هروب كلبه ليروي لنا نكتة . انه يرويها ويضحك ، يضحك حقيقة من اعماقه ، واحس لضحكته بنفس الرنين ونفس الصفاء الذي كان لها في كفر الشيخ . ولكنه يضحك ، ثم يسكت . يصمت ليتسلل اليه الحزن بمجرد ان تزايل الابتسامة شفتيه ، كأنه يؤنب نفسه ، ويوبخها ، ويتألم لان كلبه هرب وتركه . لم يعد يصدق ما سمعه عن وفاء الكلاب . وانا قلت للرجل ذي الزبيبة أمر عليك غدا !.

قال ومعك الامانة ..

قلت تتدبر يا سيدي .

وأم محمود ليس عندها مصاغ . ولا حتى دبلة الخطوبة . وقال لي صديق على السلفة . وكلها عام ونصف عام ، مدة بسيطة ، اتصدق. لقد ضحك صديقي لما سألته قرضا هل قلت لك أن مدير الرجل المسئول الذي قال مر كل حين يدخن بكثرة. حقيقة فاتني ان اقول لك ذلك . وانا رجل كما سبق ان قلت لك انني لا ادخن . وهذه اول مرة اصرف فيها من البنك ، وكلها خمسة ايام واسحب السلفة .

وامس ذهبت للرجل ذي الزبيبة، وكان يسبل عينيه في خشوع ، والكلمات تخرج من فمه تمتمة هامسة لا تكاد تسمع . هل تعلم : قال خمسون . قلت نعم . هم في الحقيقة ٥ و ٤٨ وساكملهم من مرتبي . خمسة ايام ويكون المبلغ كله بين يديك . هل تعلم قال وهو لم يزل سادرا في تمتمته الهامسة ، وجفنيه اكثر انطباقا والمسبحة (الكارم) الصفراء تتساقط حباتها من بين اصابعه ، كل حبة بدقة ، دقة غليظة مكتومة ، كدقات الصداع الذي يصيب راسي . راسي الان اصبح فريسة لصداع لا يفلح معه دواء . اتصدق ؟ كنت اكتب الشعر وانا في كفر الشيخ . هل تحب ان تقرأ الشعر ؟. انا نفسي كنت احب قراءته واكتبه . ولكن الصداع لم يعد يفارقني . صداع له دقات ، كدقات المسبحة الكارم الصفراء يكاد يدق عنقي . آسف كنت اريد ان اقول ان الرجل ابدى بالغ اسفه لانه اجر الشقة ، اتى من دفع فيها المائة جنيه .

نحاستي تحمل رقم ١٣٩ . وانت هل معك نحاسة. قطعا معك نحاسة. لا بد آتانت لصرف مرتبك. الصراف ينادي على رقم ٩٨ . نحاستك رقم ١٠١ . معذرة لقد اردت فقط ان احكي لك عن الرجل ذي الزبيبة والخلو الذي طلبه . ولكني خضت اشياء كثيرة . آسف لازعاجك . فابني احيانا يروي نكتة رغم حزنه على هروب كلبه . يرويها ويضحك . يضحك حقيقة . ثم يسكت . يصمت . ليتسلل اليه الحزن من جديد .

ج٠ع٠م — عبد الخالق الخولي



محمد رجب البيومي

يتحدثون عن ثورة ابن الزبير

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كان عبدالملك بن مروان يجلس في ساعة من ساعات ضيقه وقلقه بقصر الخلافة متأملا مفكرا وعن يمينه عمرو بن سعيد بن العاص وعن يساره أخوه بشر بن مروان .. وكان الحديث يجري عن سيطرة عبدالله بن الزبير على العراق والحجاز .. وكيف طاول عبدالملك وأعياه .. حتى نفدت الحيل وقل الرجاء فقال بشر لاخيه : يا امير المؤمنين ان أفعال يزيد قد تركت الحجاز جمرة تشتعل ، وليس بمعقول أن تهدأ النفوس هناك فتهفو الينا مشاعر أهل الحرمين ، وهم يعلمون أننا يوم الحرة أبحنا المدينة ثلاثة أيام بعد قتال عنيف ، فنهبت الاموال وأزهقت الارواح ! وتكشف انتصارنا عن تهور فاضح هتكت به الحرمات ! واندلعت الاحقاد !!

وانبرى عمرو بن سعيد يقول : ولم يقف الامر عند المدينة بل زحفت جنودنا الى مكة فأوقعت اهلها في حصار شديد ، وقاوم عبد الله بن الزبير جيوش الخلافة مقاومة بارعة فاحبه المكيون والمدنيون ، وحفظوا له يده البيضاء في الذود عن الحرم وحماية البيت العتيق !!

فنظر عبد الملك اليهما ثم قال : نظلم يزيد اذا حملناه ملامة في ذلك اذ احرج في امره وسب في اخلاقه فارتضى الاسنة مركبا غير ذلول !!

لقد رفض المدنيون بادىء ذي بدء بيعته وجاهروه بالعصيان ، فأرسل اليهم الاموال واستقدم منهم الوفود فما نزلوا بساحته حتى غمرهم بالاعطيات الجزيلة والثراء الباهر ، وظن أن هؤلاء الذين تقلبوا في نعمته سيكونون ألسنة مخلصة تهتف باسمه وتنشر أمداحه ! ولكنهم انطلقوا بالمدينة يكفرون آلاءه ويلعنون خلافته ! ويقولون لحاه الله من صاحب لهو وشراب وحيوانات وغناء !! ثم يستمطرون عليه اللعنات فأضرموا الثورة في النفوس !! وزعزعوا دعائم الاستقرار .. ووالله لو كنت مكانه ما صنعت غير الذي كان .

فقال بشر في أدب يراجع أخاه : رويدك يا امير المؤمنين ، فنحن لا نلوم يزيد ان حارب أهل المدينة حتى أذعنوا لخلافته ! ولكننا نلومه ان بالغ في النقمة وأسرف في الانتقام ، فحين قطفت جيوشه ثمار النصر تجبر قائدها الغاشم مسلم بن عقبة !! وأسرف في القتل اسرافا منكرا وأباح المدينة ثلاثة أيام لمن ينهب ويسلب ويهتك !! وقد كان في الاغضاء سعة ! وفي التسامح تهدئة واستتباب !!

فقال عبدالملك معقبا : حقا ان مسلم بن عقبة قد جاوز الحد فألهب الصدور .. وما أظن يزيد قد دفعه الى ذلك ولكن نشوة النجاح قد أعمته فتنكب عن الطريق .

فرد عمرو بن سعيد بن العاص يقول : لقد كنت يا أمير المؤمنين واليا على المدينة من قبل يزيد ، وسست الناس بالملاينة والاحتيال ، ففضب يزيد علي ! وأوصى مسلما بالانتقام والارهاب فهما بلا ريب شريكان فيما كان ... واذا كان مصرع الحسين قد ألهب علينا النفوس الهابا نعاني من صعابه ما يؤرق ويخيف فان استباحة الحرمين الشريفين قد أمدت الضرام بضرام آخر فما ينقطع له لهيب!

فالتفت عبدالملك الى أخيه بشر وقال في غيظ : وقد انتهز ابن الزبير كل سانحة تحين ، فجمع حوله الناس وبنى لنفسه ملكا عجز عن انشائه الحسين بن علي! وهو من هو بين العرب والمسلمين !! فعبس بشر في أسف وقال : صدقت يا امير المؤمنين فابن الزبير داهية اريب وقد حدثته نفسه بالخلافة منذ استخلفه عثمان رضي الله عنه على داره قبل مصرعه !! فقال في نفسه لا بد أن أجالد عليها القوم .. واني لأعلم انه ـ وحده ـ هو الذي حمل أباه الزبير على شقاق علي ، كما استطاع أن يؤثر على خالته عائشة فقادها يوم الجمل الى حرب عادت عليها بالخذلان .. أفكان يعارض عليا ويخضع بعد ذلك لبني مروان !!

فقال الملك بعد تفكير مقلق : ما أظن أحدا ادرك خوافي ابن الزبير كما ادركها معاوية بن أبي سفيان .. فقد لمس تطلعه للسيطرة ، وأدرك ما يثور في احفائه من ترصد وارتقاب فجاهده وأوعده ، وأوصى يزيد بالحيطة منه !! فيا له من خليفة بصير ...

فرفع عمرو بن سعيد رأسه كمن يستأذن في الحديث ـ فقال له عبدالملك وقد حدجه ببصر نافذ ـ

ارى على شفتيك كلاما يا عمرو فماذا تريد !!

فقال عمرو في تأدب مصطنع : أحب ان أؤكد ما قاله أمير المؤمنين فقد سمعت معاوية يناقش ابن الزبير بمكة في أمر البيعة ليزيد ، وقد أطرق القوم حائرين لا ينبسون واندفع عبدالله يقول : « نخيرك يا أمير المؤمنين بين احدى ثلاث أيها أخذت فلك رغبة وفيها اختيار ، ان شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبضه الله ولم يستخلف ، فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم ، وان شئت فاصنع ما صنع أبو بكر اذ عهد الى رجل بعيد ،وترك من ولده ورهطه الادنيين من كان اهلا لو أراد ، وان شئت فاصنع ما صنع عمر بن الخطاب فقد صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها اهلا » تكلف معاوية البشر واتجه بنظره الى الحسين بن علي وقال لابن الزبير « اياك أن تقع في عرانين عبد مناف اما والله لئن دفعت في بحور بني هاشم وأمية لتغطنك بأمواجها ثم لتوهين بك في أجاجها »

فتلفت عبدالملك يسأل عمرو بن سعيد : وهل سكت ابن الزبير بعد هذا التحقير!! فلجلج عمرو قليلا ثم تشجع يقول فياهتمام! ليتهسكت يا أميرالمؤمنين! لقد غلبتهسلاطة لسانه فاندفع يقول بمرأى ومشهد منالناس : اسألكم بالله أتعلمون أن ابي حواري رسول الله وان أباه ابو سفيان وأن أمي أسماء بنت أبي بكر وأمه هند آكلة الاكباد ، وجدي الصديق وجده المشدوخ ببدر وراس الكفر ، وعمتي خديجة وعمته أم جميل زوجة أبي لهب وخالتي عائشة أم المؤمنين وأنا عبدالله !! فبهت معاوية وانتقل بالحديث الى غرض بعيد !!

اكتأب عبدالملك لما جاء على لسان عمرو فهو يعرف من دخيلته ما يوحي بشماتته وحقده وها هو ينتقص معاوية على لسان ابن الزبير ليجرح الخليفة من طرف خفي .وكأن بشرا لاحظ ما يدور بنفس الخليفة فعجل يقول :

«لقد سمعت ما قلته يا عمرو .. وأزيدك أن معاوية اجتمع به ليلين قناته الصليبة في أمر يزيد فأطرق مفكرا ولم يجب فقالله معاوية ما لي أراك مطرقا اطراق الافعوان في أصول الشجر فرد في سرعة جاهدة أنا أناديك ولا أناجيك أخوك من صدقك القول لا من كذبك الحديث ففكر في الامر قبل ان تندم يا أمير المؤمنين.. »

فقال عبدالملك يعقب على صاحبيه : ان انسانا اتعب معاوية واحرجه ، لا بد ان يتعب عبدالملك ويضنيه !! ثم نظر الى عمرو ولم يتكلم فتقابلت العينان لتفصحا عن سر كظيم ولكن بشرا يوجهالحديث الى عبدالملك ويقول ملاطفا:

لا عليك يا أمير المؤمنين .. فسحابة ابن الزبير ستنقشع عن قريب .. ولئن انتصر معاوية على علي في مكانته ورئاسته وسابقته فمثلك من يستطيع سحق ابن الزبير بجهد يسير ... فنظر عبدالملك الى أخيه ثم قال: لقد انتصر معاوية على علي لان ابن ابي طالب ـ شهد الله ـ صريح لا يمالىء ولا يخادع أما ابن الزبير فمراوغ خداع يناديك من اليمين ويثب عليك من الشمال وفي موقفه الاخير من العراق ما يعطي الدليل .

فتعجل بشر يسأل متجاهلا وماذا أتاك عن موقفه بالعراق يا أمير المؤمنين .

فزفر عبدالملك كمن ينفس قليلا عن برح كظيم وقال : لقد لمس ابن الزبير موجة الندم على مصرع الحسين تفمر النفوس فشجع المختار الثقفي على قتال ابن زياد فقذف المختار بعدته وقوته وجالد بشيعته وذويه حتى أدرك النصر وقتل صاحبنا في عرينه ثم حمل راسه الى ابن الزبير بمكة واستتب له الامر بالعراق فأصبح صاحب الكلمة الاولى واذ ذاك تألب عليه ابن الزبير فأشاع عنه الاراجيف وملأ الجو حوله بالسموم !! حتى شك الناس في امره وغايته !! ولم يلبث أثناء هذه البلبلة المضطربة ان بعث اليه بمصعب اخيه فأخذه على غرة وقتله مع اكثر من معه ! ثم أعلن نفسه حاكما على الكوفة وأصبح العراق والحجاز من الان في حوزة الزبيريين !!

فقال بشر مغتاظا ولماذا سكت الخليفة عن الفريقين دون أن ينتهز هذه الوقائع فيسير بها الى ما يرضيه !!

فعجل عبدالملك بقوله : هما عدوان لدودان فلنترك أحدهما يأكل الاخر .. فاذا افترسه وخرج من الحومة متعبا ، توجهنا اليه باذن الله !! وهذا ما أفكر فيه !!

فقال عمرو بن سعيد في تخابث حيا الله أمير المؤمنين ووفقه فيما يريد !! غير اني احاذر ان يمتد الحبل لمصعب في الكوفة فتثبت دعائم أركانه هناك ويشد عضد أخيه بالحجاز فنصبح منهما على خطر عظيم ، واذا كان لي بعض الرأي لدى الخليفة فاني أرى المبادرة في السير الى العراق لنجالد الزبيريين ..

فنظر عبدالملك الى عمرو كمن يستشف في نفسه مكيدة تنسج خيوطها تحت أستار الظلام .. ثم طوى ما هجس في نفسه من شك في صاحبه وقال متجاهلا :

ان الخوارج لن يسكتوا عن مصعب وقد جاءتني الانباء أن القتال بينهم سجال !! فلنترك هذا الظافر المنتصر يصطدم بعدوه الجديد .. ولتعلمن نبأه بعد حين.

فقال بشر مندهشا : هل اختلف الخوارج مع ابن الزبير يا أمير المؤمنين ؟ لقد كان يرمض أحشائي ان أجدهم على وفاق أكيد ...

فقال عبدالملك في صدق : يا بشر ، أنت تعرف خبث ابن الزبير وقد مالأ القوم في مبدأ أمره فأوهمهم أنه ينشد الحق الذي ينشدون !! واستمال فريقا منهم بدعوى الصلاة والزكاة والخشية من الله !! ولكن فريقا آخر قد اكتشف طويته ففضحوه بأسئلتهم المحرجة ! وتكشفت الاجابة عن شقاق عنيد !!

فأسرع بشر يقول متهللا : لقد خفي عني ما جد من أمر الخوارج مع ابن الزبير فماذا عند أمير المؤمنين .

فاعتدل الخليفة في مجلسه ونظر الى أخيه نظرة مخلصة وقال : جاءتني أنباء الامس أنهم أحرجوه بالاسئلة الصريحة فسألوه عن رايه في ابيه الزبير وفي عثمان وطلحة وعلي وعائشة فأمهلهم بعض أيام وهم لا يرضون منه بغير تكفير الجميع ... حتى اذا ضيقوا عليه سبيل الانتظار قال في خداع ماكر «ان الله أمر في قتال الكافرين بأرأف مما تودون فقال لموسى وأخيه في فرعون: «فقولا له قولا لينا يذكر أو يخشى» وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات فنهى عن سب ابي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو رسوله الامين ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة والزبير ان تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب ابي ، وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التصريح ولن ارضى به» فتفرق عنه القوم ناقمين ، وحاربهم مصعب فباء منهم بشر مستطير .

فقال بشر في فرح : الحمد لله لم ينفع ابن الزبير احتياله الدقيق فارتطم بطود مكين !!

فقال عبدالملك ، معقبا على أخيه وسأتهيأ بجند الشام ، للخروج اليه في مأزقه فيقع بين أسدين كاسرين واغنم الفوز عن قريب .. ثم رفع عينيه الى عمرو وقال في تطلع كن معنا يا ابن سعيد !! فانت منا ونحن منك !!

فاضطرب عمرو كمن أحس سهما يتوجه اليه وقال في حيرة انا فداء امير المؤمنين .. وأدرك بشر ما يجول في خاطريهما عن فراسة صادقة !! فاستأذن من اخيه كي ينهض مع عمرو في جولة بالفوطة بعد ان تشعب الحديث.

قام الرجلان فودعهما امير المؤمنين .

توجه عبدالملك بعد أيام بكتائبه العديدة الى العراق ، ولم يتجاوز أرباض عاصمته حتى جاءه النبأ بثورة عمرو بن سعيد عليه في دمشق ، واغتصابه امارة المؤمنين واحتلاله قصر الامارة فدعا بشرا أخاه وقال له في أسف حائر لقد قرأت والله ما بنفس هذا الآثم المجترىء ليلة اجتمعنا معا بدار الخلافة نتناقش في أمر ابن الزبير ولمحت في تخاوص عينيه دليل الغدر والخيانة ، وأفهمته حينئذ عن طريق التلميح ما وقع في نفسي منه !

فقال بشر وقد أدركت ذلك يا أمير المؤمنين فعجلت بالانصراف معه الى الفوطة وأخذت أتصرف معه في شجون من القول لاستديم ولاءه فما انصاع الى قبول ، واني أطمع أن يوفدني امير المؤمنين الان ، فأعرض عليه ـ خديعة واحتيالا ـ ولاية العهد فأستميل خاطره ثم أرى ما يتكشف عنه عناده الغدور فقال عبدالملك في انقباض متجهم .. عليك به ان شئت فأبلغه ما تريد .

تابع الجيش الشامي سيره الى الكوفة يقوده عبد الملك مبديا من البسالة والصبر ما بعث في نفوس قومه كثيرا من التفاؤل والاقدام وقد التزم سياسة التواضع والرفق ، فكان يسأل كل جندي من رجاله عن مأمله ومبتغاه وتبسط في الحديث مع السوقة حتى ضمن اخلاصهم ووفاءهم !! ولم يشأ ان يشن الحرب فجأة على مصعب ، فتتلاحم قوتان متكافئتان ، احداهما غريبة نائية لا تعرف منعرجات الطريق وملتمسات النجاة والاخرى قريبة تملك من المعرفة والدربة ما تحوز به التفوق والانتصار ، بل لجأ الى الحيلة والدهاء .. فبعث بعيونه الى أجناد مصعب يستوضحون أمره ويكتشفون غوامضه ، وأتوا اليه يعلنون ما شاهدوه في نفوس الجند من التذمر والغضب فالامير الزبيري كأخيه عبدالله شحيح بخيل لا يجود عليهم بغير ما يمسك الرمق من الكفاف الضئيل ، وقد سئموا معاناة التقشف ومكابدة الحرمان !

فأخذ عبدالله يفكر في الامر تفكير المنتهز المباغت ، واستعرض ما حمله من أوساق الذهب وأحمال الفضة فرأى شيئا كثيرا يبهر العيون ويجذب الاعناق ، فبعث بكتبه الى قادة كتائب مصعب وأخوانه !! وجعل يمني كل قائد بالولاية ويغريه بالذهب ، حتى انجذبت له النفوس عن رغبة واحتفال ...وجاءت اليه ردود القوم تعلن ولاءها الخالص وانضمامها الى جيش الشام حين تأزف الساعة المنتظرة ، ولم يشذ عن القواد غير ابراهيم بن الاشتر وقد آثر الوفاء على الغدر ولم يأخذ مقلته بريق النضار أو تمل بنفسه أحلام الامارة .. فعرض كتاب عبدالملك على مصعب وأخبره خبر زملائه من القواد ثم اقترح عليه ان يبيدهم بسيفه كيلا يفسدوا الجيش اذا دارت الرحى وحمي الوطيس ولكن مصعبا خاف العاقبة وتريث في الامر حتى يهتدي الى السبيل ، ولم تلبث ان فاجأته جيوش عبدالملك فتزعم الجند وأبدى من ضروب البسالة والحمية ما أكبره به أعداؤه ومبغضوه !! ولكن الخيانة تتطلع برؤوسها ، وشعاع المال يجذب اليه قلوب ذوي المطامع فخذله أعوانه في موقفه الحاسم ومأزقه الكريه !! ونظر فاذا القلة القليلة من ورائه والكثرة الكاثرة الب عليه مع خصومه .. فغامر بروحه ونال الشهادة كريما مهيبا لم تخفض له راس ، أو يلحقه هوان ..ثم دخل عبد الملك الكوفة وقد ضم العراق الى خلافته فبايعه اهلها طائعين راغبين فخطبهم مبتهجا بما نال وأرهب ورغب وبشر وأنذر ، ثم رجع مسرورا الى دمشق .. وقد أسند الى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر ابن الزبير بالحجاز آملا أن تحين نهايته عن قريب !!

وطارت الانباء الى عبدالله بمكة فلاعه مصرع أخيه لوعة اليمة ، وأراد ان يعلن النبأ الفاجع الى معشره فصعد الى المنبر ليقول بعد ان حمد الله الا ان خبرا من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه ثم يرعوي ذوو الالباب الى الصبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناس

قد حرت كيف اسوس الناس قاطبة ... وكيف اطفىء حقد الصدر مضطرما
وكيف أجعل حبي في صدورهم ... ـ وقد زرعت بكفي ـ ينبت الكرما
لئن شممت شذا من نبل بعضهم ... فجلهم من فؤادي قد أسال دما
وان كبحت لساني عن مثالبهم ... تعففا ، قيل : يخشى البطش والنقما
وان تصاممت عما أرجفوا ، حسبوا ... ـ يا للفباوة ـ اني اشتكي الصمما
وان تغاضيت عن لؤم به نكبوا ... راحوا يذيعون اني مبتل بعمى
وان رددت الاذى الطامي لنحرهم ... قالوا : فتى الشعر للخلان قد ظلما
قد حرت في امرهم ، لا در درهم ... ولا الى الشر يوما حركوا قدما
فليغفر الله ما قالوا ، وما اجترحوا ... من المآثم ، مهما اثمهم عظما
فان صدري رحب لا يضيق بما ... يأتون من منكر مهما طغى وطما
اني تعودت من دهري مدى عمري ... ان أشرب الصاب من كأسيه والالما
ومن بلا الناس مثلي ، لا يقيم لهم ... وزنا ، اذا التهبت احقادهم حمما
فمن اتى البحر بالنيران يضرمه ... رآه يطفىء غيظ الجمر محتدما
والحلم كالفجر ان وافت مواكبه ... راحت تبدد من جيش الدجى الظلما

صيدا — **محمد العدناني**

وكريم الاجر وأما الذي أفرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة أسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه بأقل الاثمان فان يقتل فقد قتل اخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين !! أو ما والله لا نموت حتفا كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف!!ثم نزل ليأخذ اهبته لقتال باسل ، وكفاح مرير!

وفي يوم عابس رهيب تتدفق جيوش الحجاج من الشام والعراق على جبل أبي قبيس بمكة ثم تنصب على هضابه المجانيق لترمي الكعبة بالنيران المشتعلة فتهوى عليها بالصواعق والقذائف فاذا ارتجف الجنود قليلا لمهاجمة بيت الله صرخ فيهم الحجاج متوعدا وتقدم بنفسه فواصل القذائف غير هياب ! فتعطلت مشاعر الحج ، واخذت كتائب الغزاة تغير على المسالك والدروب فتقتل الشيوخ والاطفال والنساء !! وأقبل اهل مكة خائفين فزعين يطلبون الامان من الطاغية وقد أرهقهم الجوع والعطش واللهب بعد حصار ظالم عنيد.. ويتحقق عبدالله من نهايته فيفد الى أمه ذات النطاقين ويقول في أسف دامع : يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا !!

فتقول أسماء في صرامة متماسكة انت أعلم يا بني بنفسك فان كنت على حق فأمض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك ليلعب بها غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد انت!! فيصيح ابن الزبير ، والله ما أردت غير رضوان الله ثم يخرج الى القتال وقد عزم على الموت ليصبح استشهاده الفاجع خاتمة المأساة !!

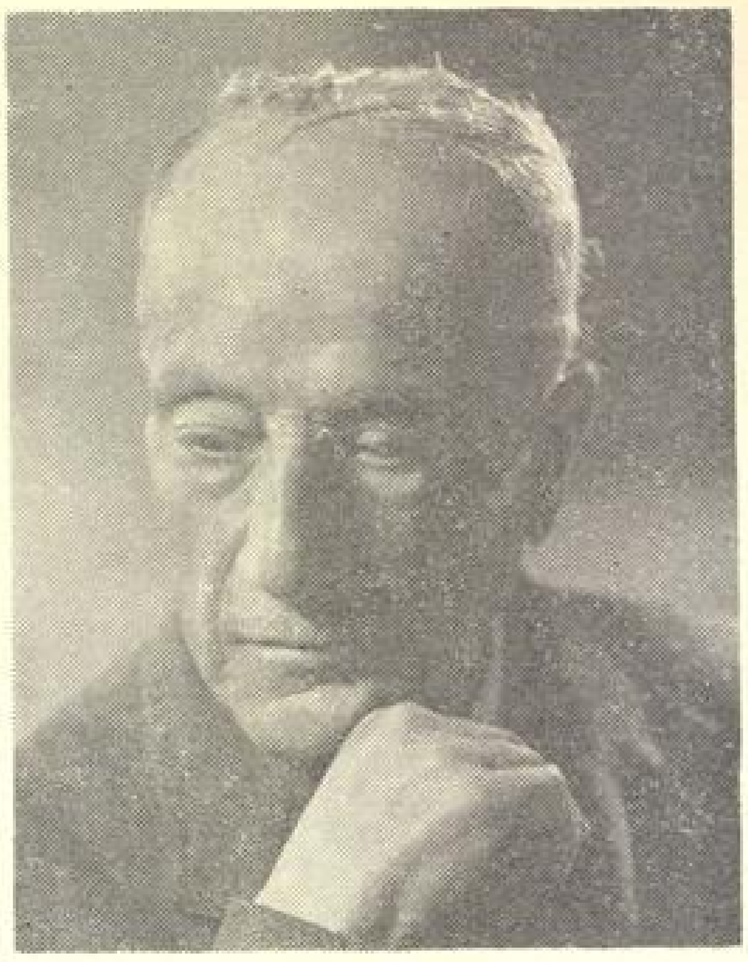
ويبحث الحجاج عن فارس نجدي ، يعرف عنه الوثب السريع ليحمل النبأ السار الى عبدالملك بدمشق فيقابله الخليفة فيخبره الحديث فيسر عبدالملك ويثني على الحجاج ثناء المحب الفخور ثم يسأل في تشف ناقم عن نهاية ابن الزبير فيجيب الرسول :

لقد أبدى مع ضعف عدته وقلة عدده جلدا صابرا وبأسا عظيما،لقد ملك عليه الحجاج أبواب المسجد الحرام وحاصره به فأخذ ليلته يصلي ويتهجد ثم اغفى قليلا حتى اذن الفجر فنهض للصلاة وفرغ منها ليستعد للنزال ويقول للبقية الضئيلة ممن معه « يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن نفوسكم كنا أهل بيت عظيم في العرب ، أما بعد فلا يرعكم وقع السيوف ، غضوا الابصار عن البارقة ، ولا يلهينكم السؤال عني فلا يقولن أحدكم أين عبدالله الا من كان سائلا عني فاني في الرعيل الاول احملوا على بركة الله يا له من نصر لو كان له رجال !»

فنظر عبدالملك الى رسول الحجاج ـ وقد لمح تأثير حديثه في النفوس ـ وقال في عجب ! مهلا يا فتى نجد فلقد كدت تجذب الى ابن الزبير أعناق بني قومنا في الشام !! اني لاعرفه صبورا جبارا ولكنه رام التي لا يرومها من الناس الا كل حر معمم . ثم تعلو وجهه ابتسامة المرتاح فيقبل عليه الملأ مهنئين .

الفيوم ـ دار المعلمات — **محمد رجب البيومي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حبيب الخوري

الاخلاق والسعادة

بقلم حبيب الخوري

* * *

ليس ثمة من ريب في ان السعادة هي الهدف الذي يرمي اليه الدين والفلسفة والصوفية والعلوم الاخلاقية والفلسفية. وقد ذهب الفلاسفة في تعريفها وتحديدها مذاهب شتى حتى بلغت العشرات . ومن اهم هذه الحدود قولهم : انها «الذروة العليا في الخير» او هي«ابعد ما ترمي اليه جميع الاعمال الادبية» ، او هي «اسعاد الاخرين» ، او هي « الاستمرار في الرجاء والامل» . واني لعلى مثل اليقين من ان هذين الاخيرين من التحديدات هما الافضلان لقربهما من السلامة والحقيقة . وانني ممن يفضلهما على سواهما. ولا ندحة لنا ونحن في بدء القول ان الادلاء بملاحظتين هامتين او بالحري مبدأين خطيرين هما (١) ليس كل خير نعطاه في هذه الدنيا سعادة .ولقد أيد ذلك ابن مسكويه في كتابه الذي هو في مجموعه او جوهره بحوث هامة في السعادة منتزع معظمها من اليونانية .واشار اليه فرنسيس باكون بقوله المشهور : ــ ان تسعة اعشار متاعبنا ومصائبنا كانت خيرات وبركات أغدقت علينا ، ونحن حولناها الى عكس ما أريد بها . (٢) ان السعادة موجودة في داخلنا وقرارة نفوسنا واعماقها ، وان السر كل السر في السعادة قائم في ما نسميه «بالقوة المحولة» الكائنة فينا . وهذه القوة المحولة الرائعة هي مزيج من نبل الخلق ، والاعتدال والاتزان الناجم عن العقل والقلب المهذبين اللذين ليس بينهما سجال ، بفضل ما نالهما من تثقيف حقيقي ، وما احوج هذين الركنين الاعظمين في الانسان الى التهذيب والتثقيف .

ورد في أساطير الاقدمين ان بنات البحر كن يجلسن على صخور في احدى الجزائر ويرقبن عن كثب السفن المارة على مقربة منها ، حتى اذا كانت منها قاب قوسين اندفعت بكليتها الى العزف والغناء الخلابين ، فتأخذ الملاحين الدهشة والنشوة فينسون امرهم وما هم فيه فيغرقون جميعا .وعبثا حاول اولو الامر اتقاء شر تلكم الجنيات ووضعوا شتى الطرق ومختلف الوسائل للتخلص من غوائلهن ، من مثل سد آذان الملاحين او شدهم الى سواري السفن .ولم يكفوا شرهن حتى جاؤوا بأورفيوس اله الموسيقى واخذ يعزف بما يفضل عزف اولئك ، فلم يتمالك الموجودون في السفن ان ولوا وجوههم شطر اورفيوس واعرضوا عن بنات البحر كل الاعراض فسلموا. ان عبرتنا من هذه الاسطورة واضحة وهي اننا لا نريد اي نوع من السعادة ، بل نريد بالاحرى ذلك النوع المنبثق من نبالة الخلق وقداسة الحياة وسمو المثالية .نريد هناء وصهورا بشيء من الحزن والالم لكي تتكامل فينا الحياة السعيدة تكامل السلك الكهربائي بجزئيه الايجابي والسلبي. نريد سرورا لا نتمتع به ساعة ونتحسر ــ من جرائه ــ ساعات بل قل اياماوسنين . نريد غبطة لا يسدل عليها الستار .لسنا نود ان ننظر الى مسراتنا نظرتنا الى غدير او نهر تحف به الزنابق وتعلو سطحه الازاهير وتملأ قعره الاوحال او نظرتنا الى ستارة المسرح وهي طافح وجهها جملا ومترع ظهرها تشويشا وقبحا .

ان من حقنا المشروع وواجبنا الاسمى ان نكون سعداء من هذا اللون من السعادة .ليس لان السعادة أمرا مستحبا من قبل صاحبها فحسب ، بل لانها تبعث من قلب صاحبها عن طريق العدوى او الانتقال هناء لكل من يتصل به . كالرجل الذي ارتقى جبلا في حين كان الثلج يتساقط تساقطا عظيما. ولما أخذ يدب فيه نعاس المثلوجين، اذا به يرى رجلا غطى معظمه الثلج وهو غائب عن الوعي . فأقبل عليه يسعفه بكل ما أوتي من قوة او واسطة وتمكن اخيرا من ايقاظه وانعاشه ، وبذلك تمكن من ايقاظ نفسه والجنوح عن الموت الزؤام .

وعلى قدر ما نسرف في وضع مقدرات للسعادة واجراء مقابلات بين انواعها نقع في الغموض وعدم التثبت من أمرها.ان هناك اناسا اسعدهم الحظ بأن كانت لهم أمزجة رائقة وطباع راضية وظروف حسنة فلم يسعهم عند ذلك الا ان يكونوا هانئين الهناء كله ، في حين ان اخلاقهم بسيطة وهم ليسوا على مستوى ادبي عال ، على ان للهناء الذي يملكه صاحب الخلق النبيل ميزة وهي انه وان لم يكن شديدا وفياضا كصاحب الخلق البسيط ، أشد رسوخا وادعى الى السلامة في الملمات ، فاذا ألم به مصاب واحد لا سبيل الى مجانبته كالموت او فقدان الصحة او خسران الوظيفة او ضياع المال ، قضي على سعادة صاحب الخلق البسيط قضاء مبرما ، على حين ان صاحب الخلق المتين اذا حل به ذلك الشيء عينه ، استطاع ان يكيف نفسه ونجا بعض الشيء مما ألم به .ان نبل الخلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا جعلناه الهدف الذي نرمي اليه في كل مساعينا وجهودنا التي نبذلها في سبيلنا وسبيل الغير ، كان له ميزة على السعادة . ومما اجتمعت الكلمة عليه ، انه في مقدور كل منا ان يفلح في نيل السعادة ، اذا لم نجعلها غايتنا العظمى في الحياة ، واذا افنينا انفسنا في السعي وراء اسعاد الآخرين ، او اذا اضفنا الى هذه الحقيقة حقيقة اخرى راهنة ، وهي ان التضحية والقداسة هما ام الفضائل حق لنا ان ننظر الى الحياة نظرة المتفائل لا المتشائم .

ولا شيء اشد خطورة لنا ، ونحن ننظر في حقيقة السعادة ونبحث في حالاتها ، من مجانبة خطأ كلف الناس بحثا كثيرا في مشكلات السلوك . وهذا الخطأ هو القول : ان السعادة قد تقوم مقامها سلسلة من انواع السرور متصلة ، على ان بطلان هذا القول يثبت من الاختبار والواقع . فقد نسعد لاكلة لذيذة ، او شعة من النور وايقاع من الموسيقى او لمحة من الذكاء او فعلة من اللطف سعادة موقتة آنية . ومع ذلك فالسعادة ليست بمنأى عن المسرات ، فهي تضاعف مسراتنا ، كما ان كل حالة من حالات السرور تزيد في سعادتنا . وقد يكون الامر على العكس من ذلك ، فالالم قد يذهب شيئا من سعادتنا ، كما ان السعادة قد تذهب بقسم من الالم . وليس ثمة من سعادة تامة للذي يشعر دائما بالم حاد ، ومع ذلك فالسعادة قد تكون عظيمة ، اذ تذهب بحدة الالم . ولذا كان من حسن الرأي ان نربي فينا عواطف السرور ونجانب الالم ، لاننا ان سعدنا امكننا توسيع نطاق مسراتنا عن طريق السعادة ، واصبح تأثيرنا اشد واعمالنا اقوم .

غير خفي ان هنالك مثلثا للسعادة او اركانا سامية ثلاثة ، وهي الصحي والفكري والروحي . ولسنا نأمن العثار ، اذا نحن قصرنا همنا على السعي وراء واحد منها فقط واهملنا الاثنين الاخرين . فاذا اكتفينا بالتقوية البدنية قوينا الحيوان فينا وبالتقوية الفكرية العميقة دون الاخرين قوينا الشيطان الذي فينا ، وبالتقوية الروحية فقط قوينا فينا الناسك المنهزم من الدنيا ، ولذا كان من كمال السعادة واعظم مقوماتها ان نربي فينا هذه الاركان الثلاثة على اقدار متساوية . وفي وسعنا تزيد السعادة اذا وسعنا دائرة مسراتنا بطرق ثلاث ، الاولى ان نتحقق افراحنا ما دمنا نملكها . للرجل الصحيح الجسم والسعيد هناء في نهوضه في الصباح ومشاهدته نور الشمس ، في تروضه وحلاقته ، في اغتساله وفطوره ، في مشيه الى محل شغله ، وتحيته لاصحابه ، في شروعه في عمله وما الى ذلك . وعلى عكس ذلك السقيم التاعس ، فانه يجد في كل ما سبق ذكره عبئا ثقيلا . الثانية ان نتقاسم الافراح والآلام ، فان السرور الذي يشاطرك فيه الغير سرور مضاعف ، والالم الذي يقاسمك اياه سواك الم مخفف . وهذه فلسفة راهنة في الحياة يجدر بنا اتباعها . الثالثة ان نتحاشى الافاضة في شرح آلامنا وأتعابنا التي لا بد منها وان ننزع عن تكبيرها ، فان بعض الناس يقومون ويقعدون عند اقل مزعجة اعتيادية مما نراه في كل يوم . وهنا لا بد من القول ، ان المباسطة والمفاكهة لخير ما نتذرع به لتحسين الحالة من هذه الوجهة . ولنذكر دائما ان المفاكهة ترياق عظيم . وان الندم امر العواطف واقلها فائدة . ولنعود انفسنا المداعبة ولنرضها في تلك القوة الكامنة فينا ، وهي قوة الاثقال من شيء الى آخر . لننظر الى الاشياء السارة لا القبيحة ، ولننظر الى المستقبل بالعين ذاتها ، فاذا تمكنا من الاقلاع عن التأسف على الماضي ، فعلينا ان نقلع عن انتظارات المستقبل وما هو مخبأ لنا في طياته ، على ان كل ذلك قلما يجدينا في سبيل اسعاد انفسنا ، اذا كانت اخلاقنا مشوشة التركيب غير متماسكة البناء .

ان من كل الواجبات الموضوعة على الانسان في هذه الحياة ، لا شيء اهم من تهذيب الخلق وتدبيره . فما هو الخلق ؟ . ليس الخلق بالامر الذي يولد فينا ، في طبائعنا وامزجتنا ، بل هو امر نكتسبه تدريجيا على اقدار غير متشابهة وكل منا يتطور في خلقه اما تطورا ايجابيا او سلبيا ، فلا حياد لخلقنا ولا وقوف . أما مواد الخلق الخام فهي الميل والمزاج والطبع والجبلة . ولذا كان من اهم عوامل الشقاء عدم التلاؤم في ميول الخلق ، كما ان اهم عوامل السعادة اتحاد تلك الميول وتعاونها . فسعادتنا وشقاؤنا يكونان على قدر ما ننظمه من الميول في اخلاقنا . وصاحب المزاج المنظم تنظيما محكما تأتيه الفضيلة والسعادة صاغرتين . اما الذي ليس له من عواطفه او ميوله مركز يتولاها منه ويسيطر عليها كلها ـ وهو صاحب الخلق الناقص أو هو الذي تسيطر عليه عاطفة واحدة مثل الطموح أو الحب أو الاخلاص ـ فتتلاشى سعادته بتلاشي الغرض الذي يرمي اليه ، وباخفاق جميع رغائبه المسيطرة عليه .

قال بارك : كيف نكمل بناء الخلق ؟ كيف نجد مقصدا مركزيا تخضع له باقي المقاصد ـ مقصدا لن يتسرب اليه اللغو أو يصبح لا تأثير له ولا جدوى البتة من تصاريف الحياة ومجرياتها او افول نجم الهناء أو قيام هجمة من الاقدار . هنالك مقصد واحد كهذا ، وهو انما ينجم عن عاطفة واحدة ، هو قصد الحصول على نبالة الخلق ، وهذا ينجم عن احترام النفس . ان احترام النفس في امكانه تكوين العاطفة الرئيسية ، وهو وحده يحمل المرء دون ريب على السلوك الحسن في كل الظروف المعقولة . ان العواطف الادبية تتماثل واحترام النفس خطورة في بناء الخلق ، لانها اذا كانت ناقصة منحرفة كان الخلق ناقصا او ملتويا مهما كان قويا مكملا في بنائه .

فالى احترام النفس ايها المواطنون ، الى تدريب الميول وتوحيدها الى بناء الخلق الكريم . الى السعادة عن هذه الطريق . واذا اتفق ان تصادم الخلق الكريم والسعادة ، فلنضح السعادة ولنحتفظ بالخلق النبيل ، وهذا هو مثلنا الاعلى وشعارنا الاسمى .

القدس **حبيب الخوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عقلاء المجانين

بقلم جبران جبور

* * *

الحديث عن عقلاء المجانين طريف ، عزيز المثال . وقد تهيأ لاحدى خزائن الاستانة ان ضمت بين جدرانها مخطوطة في هذا الباب للنيسابورى نادرة الوجود . والعقل في رأي بعض الحكماء مقرون بالجنون كما ان السلامة مقرونة بالداء . جاء في الحديث الشريف «كفى بالسلامة داء» . وقال حميد بن ثور :

ارى جسدي قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما .

وفي اطواق الذهب «الجنون فنون ، والفنون جنون» فهو يقرن فرط الفنون بالجنون وهو ما نسميه بالحالات النفسية والشذوذ العبقري في اكثر العلماء والفنانين والادباء . وبهذا المعنى يقول العلامة ابن السعد شعرا :

طويت لاحراز الفنون ونيلها رداء شبابي والجنون فنون
فلما تلقيت العلوم وحزتها تبين لي ان الفنون جنون

والمجنون عند الناس من يسمع ويسب ويرمي ويخرق الثياب ، او من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون . وللمجنون اسماء في اللغة كثيرة ، منها الاحمق والمعتوه ، والاخرق ، والمائق ، والرقيع ، والمسوس والمختبل ، والمهووس وهو ضرب من المجانين ، والمجذوب والاهوج . ولكل منها تعريف . ومنها المدله والابله والمستهتر . كل هذا يعد في نظر العرب جنون ، ولذا قالوا الجنون فنون . ويقولون للمبالغ في الجنون: جنونه مجنون، قال الشافعي:

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون .

وقال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت اجمل من قول بعض نساء الاعراب : العشق داء وجنون . وعقلاء المجانين كثر فمنهم من اعتقد بدعة فأدركه شؤمها فجن، ومنهم من يسمى مجنونا بلا حقيقة كالسكران ومنهم من جن من خوف الله سبحانه وغيرهم .

وسأحدث في سلسلة احاديث شيقة عن جنونهم وفنونهم . قال النيسابوري :

سمعت الصولي يقول : اعتل عبدالله بن المعتز ، فأتاه ابوه عائدا وقال له : ما عراك يا بني ؟ فانشأ ينشد :

ايها العاذلون لا تعذلوني وانظروا حسن وجهها تعذروني
وانظروا هل ترون احسن منها ان رأيتم شبيهها فاعذروني
بي جنون الهوى وما بي جنون وجنون الهوى جنون الجنون

قيل : فتتبع ابوه حاله حتى وقع على الجارية التي شغف بها ابنه فابتاعها بسبعة آلاف دينار ووجهها اليه . قال العنزي وهو احد اولئك المجانين يصف محاسن حبيبه الذي جن به ويذكر ملامحه :

ابدر بدا ام وجهك القمر السعد اليل دجا ام شعرك الفاحم الجعد
انرجسة هاتيك ام هي مقلة اتفاحة ذاك المضرج ام خد
اموج اذا وليت ام كفل بدا اغض لجنين في الغلالة ام قد
كفى لو تأملت الذي بي لقت لي اهذا جنون ثابت بك ام وجد

وكان الشبلي وهو من عقلاء المجانين ايضا يقول ذات يوم لاصحابه : السنت عندكم مجنونا وانتم اصحاء ؟ زاد الله في جنوني وزاد صحتكم ، ثم انشد :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ما لذت العيش الا للمجانين

وروى عن احد المجانين ، ان مر قوم من الاعراب بالصحراء فابصروا بقرب موضع يدعى دير هرقل مجنونا يرمي الناس بالحجارة ويقول :

الله يعلم انني كمد لا استطيع ابث ما أجد
نفسان لي نفس تضمنها بلد واخرى حازها بلد
وكان حاضرتي كغائبتي وأظنها تجد الذي أجد

وحكي عن حبيب بن محمد بن خالد الواسطي قال : دخلت يوما على علي بن هشام فوجدته باكيا حزينا ذاهب النفس فانكرته وسألته عما دهاه فقال : اعلم اني مررت الان بالخريبة ، فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول :

الا ليت ان الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون خذ بالصبر انك هالك وللصبر مني في مصابي اجزع

قال ابو علي الحسن بن احمد القزويني : سمعت بعض السماح يقول : رأيت مجنونا في القفار وهو يرقص ويقول :

حبكم في القفار شردني آه من الحب ثم آه .

وانشد الزنجاني لبعض الاعراب المجانين قوله :

احبك حبا لو علمت ببعضه اصابك من وجد علي جنون
لطيفا على الاحشاء اما نهاره فسكت واما ليله فانين

وقد اورد بعضهم البيتين لقيس بن الملوح المجنون. ومما اورده النيسابوري عن عقلاء المجانين ما جاء عن ابن اسماعيل الضرير قال : حدثنا وانشدنا ايوب بن غسان المجنون قوله :

ودعتني بعبرة من جفون اضمرت فيضها حذار العيون
ومضت خلفها وقد خلفتني الف عشق وفورة من جنون
فشكوت الفراق بالنفس الدائم ثم هتكت سر الظنون

وكانت العرب تقول : الشباب شعبة من الجنون . ومما يروى عن اولئك المجانين العقلاء ما حدث به خلف بن عمر الصوفي قال : سمعت ابا يزيد يقول : جننتني بي فمت ، ثم جننتني به فعشت ، ثم جننتني عني وعنه ففبت ، ثم اوقفتني في درجة الجنون ، وسألتني عن احوالي الثلاث فقلت : الجنون بي فناء ، والجنون به بقاء ، والجنون عني وعنه ضناء ، وانت في كل الاحوال اولى بنا . ولعل هذا من شطح الصوفيين وفرط هيامهم وحبهم وفنائهم فيمن يحبون ... قال مالك بن دينار : رأيت بالمصيصة شيخا في عنقه غل وسلسلة والصبيان

ذكريات

ما كنت للآلام محتضنا ... لولا هوى بالامس قد ومضا
ماض لنا يقتات من دمنا ... ركض الزمان به وما ركضا
ذهبت حلاوته وقد تركت ... نجوى تئن ومدمعا مرضا
الذكريات هي التي بقيت ... والكل غير الذكريات مضى

وسفينتي مرساتها انكسرت ... وتحطمت في بحر آلامي
كم حام حول شراعها أمل ... متموج عذب الرؤى سام
شاهدته يهوي وتبلعه ... لجج عنيفات ... كأيامي
فاذا به في ناظري شبح ... وبخاطري اضغاث احلام

أيامنا كانت موشحة ... بالنور ، بالالوان ، بالقبل
نغدو على النسرين منفلتا ... وننام بين روائع الغزل
دنيا من الالحان قد رقصت ... نشوى تفور بخمرة الامل
الاغنيات لها مزغردة ... في مهرجان ناعم جذل

وعلى المدى الوردي كم رقصت ... ارجوحة غنى لها القمر
الطل كان يزورها ثملا ... متشوقا ... ويضمها الشجر
القى الضياء على مراشفها ... قبلاته وتبسم السحر
الحب يحلو في مرابعها ... والشعر والصبوات والسمر

عش الهوى ! والنجم يحرسه ... والزنبق الوسنان والسحب
أنسيتنا ..؟ نحن الألى نشقوا ... عطر الهوى ورحيقه شربوا
حتى اذا ما اشتاق تضحية ... فعلى جذوع الحب قد صلبوا
لا تندهش ان ظل في دمنا ... يجري الفرام ... فاننا عرب

عمان — شجاع الاسد

يرمونه وهو يقول :

ان من قد ارى على صور النا ... س وان فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت اليه فقلت : أمجنون أنت ؟ قال : انا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ، ثم مر وانشأ يقول :

داريت امري بالجنون عن الورى ... كيما اكون بخالقي مشغول
يا من تعجب في الانام لمنطقي ... ماذا اقول ومنطقي مجهول

وسمع عمران بن علي الرقي يقول : كان ابان بن سيار وهو من عقلاء المجانين الذين ورد ذكرهم في كتب الادب رئيس القراء والفقراء بالرقة .وكان مع ذلك اهل علم ، فأكل الذئب بنيا له وكان واحده وكان مشغوفا به فلم يتمالك ، فهام على وجهه وغاب مليا ثم عاد وقد برم بالناس ، فجنن نفسه وجعل لا تطمئن به دار ولا يستقر به قرار ، فخبرت بشأنه ، فأتيته باصحاب لي فالقيته في الجامع يكلم بعض الاساطين فقلت : يا ابان اجننت ؟ فقال نعم عندك وعند رفاقك ، فقلت وكيف ؟ فانشأ يقول:

جننت عن عقلي لديكم وما ... قلبي والله بمجنون
اجن مني واله الورى ... من اشترى دنياه بالدين

قال عمران : وكنت قد ابتعت ضيعة من بعض السلاطين ، فعلمت انه يعنيني ، فوالله ما عاودته ابدا .

الكورة ـ لبنان — جبران جبور

تاريخ مهرجان بعلبك الدولي

بقلم كميل ابو صـوان

* * *



اوحى الجهاز الهندسي الجبار الذي انبثق عنه اكروبول بعلبك التأمل الذي لازم قواعد المسرح السحرية والايقاع الرائع للمقطوعات الموسيقية .

ويعتبر بيار بولون اول من عرف هذه الهياكل خلال الاجيال الحديثة اذ انه زار بعلبك ابان فترة النهضة ليقدم الى اوروبا عظمة هذا الموقع ، وقد جاء من بعده كبار المسافرين الى الشرق فتعرفوا الى روعة هذا المكان وتذكروا ماضيه فتخيلوا الانقاض وقد احتوت المؤمنين والكهنة ، والمؤمنات ومقدمي القرابين .

ويعتري التبديل الكهنة فاذا بالاله حداد يصبح لوس او جوبتير واثار بانس يتحول الى افروديت او فينوس بينما هرمس يصبح مركور وذلك وفقا لما تشير اليه الاكتشافات التي يعلن عنها المؤرخون والاختصاصيون .

لقد شهدت بداية عصرنا هذا التنقيب الذي قام به العلماء الالمان ثم تعاقب من بعدهم العلماء الافرنسيون الى ان انتهى الامر الى اللبنانيين وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت الانقاض في الفترة هذه ، قد بدأت في اوروبا لتشكل اطارا للحفلات المسرحية والموسيقية والباليه. وفي عداد اثار لبنان انتشر الى جانب رجال الفكر اللبنانيين خلال صيف ١٩٢٩ ، عدد من علماء اللغات والاداب القديمة الذين اضطرتهم صدف الحرب الى ارتداء البزات وهم كاترو وبيار ليوتي وجاكيه وروبير ولوهليك ، اصدقاء بلدنا القدامى وقد اجتمعوا خلال امسية حول الجنرال غورو في بعلبك بتاريخ ١٤ آب ١٩٢٢ حيث القى عدد كبير من الاشخاص الشعر بصوت مرتفع فكان تجاوب الاصوات رائعا وتقرر اعداد امسية في نطاق الهياكل واقيمت هذه الامسية في ٨ تشرين الاول عام ١٩٢٢ في اعقاب حفلة العشاء التي أحيتها بلدية بعلبك بالاشتراك مع نادي السياحة عند مدخل الانقاض وقد قام بدور الاله بعل جورج فايسيه ، الصحافي الافرنسي ، مؤسس جريدة «سوريا» فالقى مقطوعة شعرية تتناول «الماضي العجيب» وهي بعنوان «استارتيه» كما قامت السيدة شارل دباس بدور هذه الالهة التي تحيط بها الباكيات والراقصات وهن الانسات : دانون ، هانموغلو، كرامي ، عكاري ، كابتريل ، شهوان ، حداد ، كحلا ، موجين ، شحاده ، وستميل ، وقد اشرف بونينج على ضبط الرقصات .

اما الموضوع فتناول قصة الحب المشؤوم بين فينوس استارتيه وأدونيس الشاب واقيمت هذه الامسية في الساحة المسدسة الاضلاع عند مدخل هيكل جوبتير وحضرها حوالي اربعمائة شخص وهكذا بدأت اولى ليالي بعلبك .

لقد احيت الجمعية الوطنية لانماء الثقافة اللبنانية والحفاظ عليها الحفلات الاولى عند اقدام اعمدة هيكل جوبتير واسست هذه الجمعية هيئة مؤلفة من السادة : ميشال شيحا ، سعيد عقل ، جوزف نجار ، موسى ده فريج ، جوزف اوغورليان وفؤاد البستاني الخ ...

وقدمت مأساة « الفرس » لمؤلفها اكزيل في ١٨ ايلول ١٩٤٤ في هيكل باخوس وضمت فرقة الانشاد في الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة مع فرقة المعهد الشرقي في زحلة لاداء «نشيد السلام» من وضع واعداد بنيدار والاب رايا وافتتحت هذه الحفلة بالباليه الذي قامت بادائه طالبات معهد الرقص التابع للسيد تين بتروسكي وكوفكنك وقد تميزت الانسة ايفي رافتو بولس عندما قدمت وصلتها .

وحددت اسعار الدخول بخمس عشرة ليرة لبنانية وصادفت هذه الحفلة اقبالا كبيرا واشرف على تأمين الانارة موظفو القاعدة الجوية في رياق الذين استعملوا مكبرات الاضواء الجوية والمولدات الكهربائية المتحركة بالاضافة الى الاخصائيين الكهربائيين الذين انتشروا في كل ناحية من الانقاض .

وقد اعد الموضوع بالشعر الحر جان تيبو سمبولت استاذ اللغة اليونانية لدى كلية بيروت العلمانية وقام بالترجمة بول مازون . اما الموسيقى فوضعها جاك شاليه من كونسرفاتوار باريس. ووزعت الادوار كما يلي :

السيدة شارل دباس : الملكة اتوسا ارملة داريوس ووالدة اكزرجس.
السيد نصري حداد : ظل داريوس .
السيد موسى دي فريج : اكزرجس .
السيد راوول حبيقة : الرسول .
السيد كميل ابو صوان : كوريفيه .

اما الملابس فقد اشرف على اعدادها السيد فيورست بالاشتراك مع زوجته .

وقدمت اربع حفلات عام ١٩٥٥ من وضع : جيراندو ، كورتيل ، انويل وفيرجيل وكان ذلك باشراف السيد جان مارشا ، احد افراد الكوميدي فرانسيز والسيد طوني قزي ، متعهد البرامج والحفلات في باريس . وقد ابدى رئيس الجمهورية اهتمامه بهذا المشروع مما حمل جمهور المشاهدين على التصفيق لمسرحيات « حرب طروادة لن تكون » «وبوليوكت» «وانتيجون» «وبيكوليك» التي قدمت في هيكل باخوس .

لقد تحسنت وضعية الطرق المؤدية الى بعلبك وتم اعداد الهياكل وذللت عقبات الانارة والسير وتيسرت مواجهة تحضير الحفلات المتعددة واعداد الاماكن المعدة للمسرح .

وقد مكن انشاء «جمعية مهرجان بعلبك الدولي» التعاقد مع «اوركسترا همبورج السمفونية» لعام ١٩٥٦ التي تضم جورج لوديج ، جوتيم ، وليون بارزان ، ووليام كمف ، والدومانسنيلي من فرقة «المسرح تلجوى المفتوح» مع روبرت اتكنس الذي قدم مسرحية هملت وليلة شكسبير الثانية عشرة من فرقة جان مارشا التي قدمت «يوليوس قيصر» لشكسبير «ومتريدات» لجان راسين «والالة الجهنمية» لجان كوكتو . وقد قدمت هذه المسرحيات فوق مدرج هيكل جوبتير .

وبدأت منذ ذلك الحين في بعلبك الحفلات الثقافية القيمة .

وفي عام ١٩٥٧ قدمت فرقة جان لومي بارد مسرحية «امفيترون» لموليير و «بيرنيه» لراسين وقصة «فاسكو» لجورج شحاده كما قدمت فرقة «لندن اولد فيري» مسرحية «تاجر البندقية» و«انطوان وكليوباطرة» لشكسبير بينما قدمت فرقة «اوركسترا سانتا سبيليا» في روما مقطوعات موسيقية لكل من ماتش ، بريفتيك ، غروميتو ، باريكيان ومكيلانجلي.

وتميز العام بولادة فرقة الفولكلور اللبناني مع المغنية فيروز وقد تطلب ظهور هذه الفرقة الفريدة من نوعها وهي من صنع الرئيسة زلفا شمعون الشخصي ، وقتا طويلا من العمل والجهد المتواصل وقد دل نجاحها على ضرورتها .

اما عام ١٩٥٩ فشهد ما قدمته فرقة مونبارناس وحاشبون باتي «فيدر» لراسين ، «اليكتر» لجيراندو و «بلوتوس» لاريستوفان ، اما اوركسترا «موسيقى روما» واوركسترا «نيويورك للهواة» مع سيبرزولبكن والمغنية اللبنانية روزاليندا الياس وهي مجموعة اكدت التناسق الصوتي في الداخل ورحابة مدرج هيكل باخوس وقد دشنت فرقة «باليه رامبير» خلال العام ذاته فن رسوم الرقص الدولية امام هيكل جوبتير الرحب .

وقدمت فرقة الفولكلور مغناة «عرس في القرية» لفيروز كما قامت

نحن ضمير الكون

تمزق ضمير الخير ، كم انت واهم ... تضيء شموع الليل ، والليل داهم
تلون أستار الدجى في سذاجة ... وتوقظ عين الصبح والصبح نائم
سدى، يا ضمير الخير، لن تطفىء الدجى ... طغى الليل ، واشتدت عليك العظائم
فكم من فتى غض الغضاريف غافل ... تسنم ظهر الناس والدهر واجم
وكم من غبي ميت القلب والنهى ... يتوج رضوانا على الخلد قائم
وكم جاهل في الارض .. بات معلما ... يحج له هاد ويرجوه عالم
كأن الزمان الشؤم يلعب عابثا ... ويمطر ويلات ، ونحن نسالم
وتنهشنا الايام .. والقلب صامد ... على الجرح خفاق الاغاريد ناغم
ونغزل نور العين صبحا وأنجما ... ونشعل كهف الليل والليل قائم
ونبعث في الارض الموات جداولا ... تسرف حواليها الطيور الحوالم
نلون وجه الكون ماء وخضرة ... وقد كان يعلوه الشجا والسخائم
ونرفع في الآفاق صرحا ممردا ... هو الخير هتان الشآبيب ساجم
نطل على الدنيا كفاحا مخلدا ... يسطره التاريخ .. والدهر راغم
فنحن ضمير الكون نغدو وننثني ... رسالتنا خير الى الناس دائم
لنا الدمع والويلات والموت والشجا ... وللناس منا الطيبات الفواغم

عمان

راضي صدوق

ARCHIVE

فرقة «حاضرة فيلوريان» خلال ١٩٦٠ ، بقيادة بلانشون ، باداء مشهد رائع ، وقدمت لاول مرة تحت اعمدة هيكل جوبتير مسرحيتان : «ادوار الثاني» لمارلو و «الفرسان الثلاثة» لاسكندر دوما وعقب ذلك مسرحية «روميو وجولييت» والرواية الهزلية ، «الاخطاء» لشكسبير وقدمت هاتين المسرحيتين فرقة «بريستول اولدفيك» واشتركت اوركسترا تنوتجارت بحفلات الموسم مع مونستجز وفورمييه .

اما المغنية صباح فقدمت مشهدا فولكلوريا « التقاليد» » .

ولاول مرة في الشرق قدم خلال ١٩٦٠ مشهد «العالم المخيف» من وضع جان فرنسوا نويل وموسيقى جون هوتشكس.

لقد تم تامين التجهيز الكهربائي الدائم في بعلبك ، واختتمت فرقة الاوركسترا الوطنية للراديو والتلفزيون الافرنسية الموسم الدولي بتقديمها مقطوعتين لكليوفس وصاندور .

وقدمت فرقة «الكوميدي فرانسيز» عام ١٩٦١ ، «بريتانيكوس» و «خيانة سكابان» بالاضافة الى مسرحية «جزيرة العبيد» لماريفو .

وشكلت الاوبرا بدعة عام ١٩٦١ حيث قدمت فرقة «اوبرا ميلان» حفلة «تتويج بوييه» مع لورا لوندي ورومانو روما ، وقد صادف كل من دافيد بلير ومارجو فونتين نجاحا باهرا في «الباليه الملوكي» وقدمت فيروز ونصري شمس الدين بنجاح هائل مغناة «البعلبكية» .

وشهد عام ١٩٦٢ «مجموعة باريس الغربية» و «مقطوعة موسيقية من خمسة اقسام «لجان بيار رامبل وقدمت فرقة «اوبرا باريس» المجموعة الغنائية لجلاك مع اوركسترا الراديو والتلفزيون الافرنسية كما قدمت فرقة هنري دوبلييه» «رانودارميد» لجان كوكتو .

واستقبلت فيروز بحرارة عندما بدت في مغناة الاخوين رحباني «جسر القمر» وقدمت فرقة «كوميديا الشرق» خلال صيف ١٩٦٢ «هوراس» و «الامراة الشرسة» و «موسيقى روما» بالاضافة الى اوركسترا السمفونية لراديو برلين التي قدمت د. كورافاس وجوزيه اينوربي وحواليـــن .

اما حدث هذه السنة فكان اشتراك «باليه القرن العشرين» لبيجارت وقدمت فرقة الكوميدي فرانسيز خلال ١٩٦٤ ، مسرحيتين : « لوبورجوا جنتيوم » و « امفيترون » لموليير بالاضافة الى مشهد من مسرحية «سيرانوده برجيراك» .

ان «الباليه الملوكي» مع مارجو فونتين ورودلف نوريق وفرقة الانشاد من اكاديمية فيينا و «بتسبرج سمفوني اوركسترا» مع ستنبرج وجانيس وتريجبر ، ومهرجان سترفع لوسرين» مع بومغارتز وفورنيه والفولكلور اللبناني مع صباح ووديع الصافي : هذه المجموعة رفعت هذه السنة الى مقام ما سبقها من الاعوام وذلك بالاضافة الى مسرحية انطوان معلوف «الازميل» وهي اول المسرحيات العربية التي قدمتها فرقة المسرح الحديث في بعلبك .

وفي العام الماضي نقلت فرقة «اوركسترا موسكو» بقيادة رودلف بارشي الى اوروبا الشرقية ما قدمته في المهرجان وقد سبق حفلات الباليه الناجحة تقديم مسرحية «اندروماك» و «دون جوان ده موزارت» حيث انشدت المغنية اللبنانية لويزا بوزابالیان اروع اغانيها مع مصاحبة اوركسترا جمعية الانغام في الكونسرفاتوار .

اما الفولكلور فكان ايضا من النوع ذاته .

هذه هي بعلبك وقد بلغت عامها العاشر في دنيا الحفلات .

كميل ابو صوان

الضحايا

بقلم حسني سيد لبيب

قاد السيارة في الصباح الباكر .. سيارة مزدحمة تضيق بركابها . يسمع الشتائم واللعنات تنصب عليه من الركاب ، ولا يستطيع ان يجيب .. فقط يحاول ان يميز بأذنيه صوت صفارة المحصل ، بعد كل محطة يقف عندها . حاول ان يفكر في الشتائم التي يتلقاها .. وما ذنبه هو في ذلك ؟. هل هو مسئول عن هذا العدد الهائل .. وعن توصيلهم في الموعد المناسب ؟.. لا .. ليس مسئولا عنهم ، وعن مواعيدهم المناسبة .. انه يقود السيارة كما ينبغي .. وليس عليه بعد هذا واجب اخر .

لكنه يريد ان ينتقم لكرامته من هؤلاء الانذال .. ولكن !.. كيف السبيل الى الانتقام ؟.. اجل كيف؟ هل يترك القيادة ويضربهم جميعا؟.. أم ماذا يفعل ؟.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة .. وفي هذه اللحظة تنبه الى فتاة صغيرة تعبر الطريق ، انها تشبه ابنته لحما ودما .. وبسرعة خاطفة انحرف بالسيارة انحرافا هائلا ، ظن الركاب خلاله ان السيارة ستنقلب بهم .. وسار بعد ذلك في طريقه الطبيعي ، وسط شتائم الركاب ولعناتهم .. لكنه اغلق اذنيه ، واعرض عن سماع هذه الالفاظ الجارحة ، فقط يريد ان يسمع صوت صفارة المحصل .. انها تحدد سيره .. ثم عاوده التفكير في الطفلة التي كادت روحها ان تزهق ، لولا ان تيقظ .. ولولا أن الله امر بالستر .. انها تشبه ابنته سمية لحما ودما .. وقد تكون هي .. ولكن !!.. وعاودته الابتسامة الساخرة مرة ثانية .. فكيف تنهض ابنته من فراشها والمرض يأكل صدرها ؟.. اجل كيف ؟!

انهم يلعنونه .. لكنهم مساكين ، فهم لا يعرفون انه يفكر في ابنته الوحيدة المسلولة .. ولا يعرفون انه لولا هذا التفكير اللعين ، لما أودى بهم الى حافة الهلاك .. انهم يشتمونه ... ولا احد يستطيع ان يمنعه من هذا التفكير . انهم يشتمونه .. ولا احد يقدر على انقاذ ابنته الوحيدة سمية . انهم يشتمونه .. لكن !.. كل هؤلاء لن يكونوا معه في المساء وهو يتعذب بصوت سعالها ، الذي ينهال على اذنيه كسوط عذاب . كلهم لا شيء .. لا احد .. لا وجود .. كلهم في تفكيره يضيعون سدى ، ويمضون هباء . وهذه الشتائم التي تجرح كرامته ، لا يستطيع ان ينتقم منها .. انه مشغول عنها بابنته .

عذبته افكاره ، وأضنته خواطره .. فحاول ان يركز انتباهه في الطريق .. اسرع بالسيارة ، فجميع الركاب يريدون الوصول الى اعمالهم في الموعد المناسب ، والا .. فالشتائم سوف تنهال عليه .

وفعلا أخذ ينهب الطريق .. لكن النار تأكل راسه ، والعواصف تودي بعروق يديه المتفرعة كفروع الاشجار. انه يلاحظ ارتعاش يديه القابضتين على عجلة القيادة .. لكن لا مفر من السرعة .. وعلى ابنته ان تضيع وسط هذا الزحام ، وان تغيب عن وعيه ، وتضيع من وجوده .. ولا شيء .. لا شيء في تفكيره .. ابنته لا وجود لها ، ابنته ضاعت وغابت في صمت هائل .

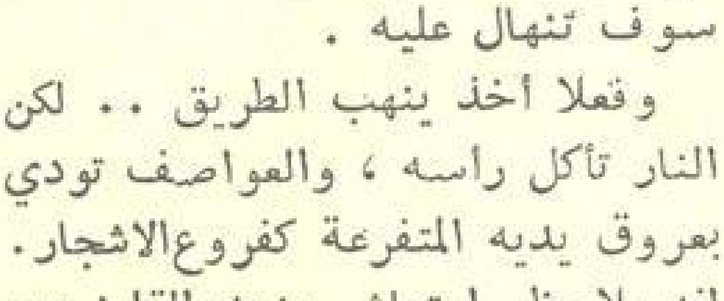
ابنته تعشق الحياة ... وعليه ان يعمل من أجل الحياة .

وتراقصت الدموع في عينيه ، ولمح خلالها شبح رجل يعبر الطريق .. انه رجل انيق يبدو عليه الثراء .. هذا الرجل لا يمكن ان يكون معذبا، مثله ، او تراوده هذه الافكار الاليمة .. لكنه يتباطأ في المسير ، والسيارة التي يقودها تنهب الطريق بسرعة غير عادية .. لا بد من انقاذ الرجل .. انه يشعر بيديه تضغط على آلة التنبيه ، وسمعت أذناه هذا الصوت الرهيب فكادت طبلة اذنيه تتمزق .. واصوات الشتائم والسباب تأتي اليه من كل ناحية ، واحس بسواد هائل يحتل جدران راسه .. انه مسجون في هذا الجسد العاجز . جسده ليس الا جدران رهيبة تحبس انفعالاته ، وتسجن ارادته .

غاب طيف الرجل ، والاصوات تهلل وتصيح .. والناس تجري من امام ومن خلف تريد اللحاق بالسيارة، يريدون منه ان يقف .. يجرون ويتصايحون ويفرغون احقادهم ، فتصل هذه الاحقاد الى اذنيه .. ليس في الامر شيء جديد ، فالناس دائما يكبلون رغبته وارادته ، ويطيحون بمصيره ووجوده .. ولكن — رغم هذا — عليه ان يقف ، عليه ان يطيعهم ..

نظر الى يديه فرآهما في مكانهما على عجلة القيادة .. ولمح العروق النافرة وهي ترتعش ، ويداه تهتزان .. فعرف انه لم يضغط على آلة التنبيه ، وانما خانه شعوره .. وبحركة سريعة اوقف السيارة ، وأيدي كثيرة تحاول ان تمسك بخناقه .. وهبط من السيارة ، فرأى طيف الرجل الذي كان يعبر الطريق .. رآه كومة من اللحم تنزف منها الدماء الساخنة .

كومة من اللحم تنزف منها الدماء



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليها

وغـادة مـن بلـدي تعيش مـلء خلـدي
غالبـــة ، ظافـــرة بالمشتهـى ، بالمقصد
قبلهـا الربيـع فالجمال بعـــض المـــورد
والسحر فـي عيونها كحلهـــا بمـــرود
أحبهـا انثى ، وان تجفو، وان لـــم تعـــد
فكـم رعاهـا خاطري وكـم هفـا توجـدي
خطوتهـا زنابـق الغورعلـى الـدرب النـدي
تحملنـي أشواقهـا الـــى مفـان جـدد
فأنتشـــي وأرتـوي وأنتهـي وأبتـــدي
احبهـــا مرسومـة في القلب،قبل مولدي
انشدها يـا غايتـي فداك يومـي وغـدي
ويـا رؤى الحنيـن في حلـم غوي المورد
موعدنا ، انت اذا شئت... فهـل مـن موعد ؟

محمد شمس الدين

.. شيء فظيع !..
ولكن !...

عيناه مبهورتان ، وجوفه يحترق، وقلبه يتمزق .. والناس يحيطون به ، ويسجنون ارادته .. ولكن لا ... يجب ان يسيطر عليهم . زعق فيهم :

ـ يا ناس .. اعرف انه مـــات وانتهى .. لقد لمحته وهـــو يعبر الطريق .. لكني لم افعل شيئا .. انه .. انه مات شهيدا .. مـــات شهيدا ..

واغرورقت عيناه بالدموع ، وراح في نوبة بكاء حادة .. واحترقت الكلمات على لسانه :

ـ كومة لحم .. هكذا المصير .. ولكني لم أقتله ، وانما قتلته الافكار السوداء التي تعيش في ضمائرنا.. لقد لمحته وهو يعبر الطريق .. كان انيقا ، وشابا .. هكذا يصبح كومة لحم !.. يا لسوء المصير !!.

وينظر الناس اليه وهو يزعق فيهم بكلماته ، ولا يملكون ان يقولوا شيئا .. سوى كلمات ضعيفة فاترة ..

وعيناه تنظران الى كومة اللحم وبريق هائل يشع منهما .. واخذت كومة اللحم تذوب شيئا فشيئا ... الى ان صارت طيفا يقترب منه ، ويمد يدا ليصافحه بها ، بابتسامة كبيرة .. انه هو .. بأناقته ، وثرائـه ، وشبابه .. فتمتد يده المرتعشة الى اليد الممدودة بلا تردد ، ويصافحه في راحة وطمأنينة .. انه الان يراه بعينيه ، لكـن الموقف يختلف .. فمنذ لحظات كان يراه من خـــلال غلالة الدموع التي ملأت مقلتيه ، لكنه الان يراه بعينيه ، بعد ان جفت الدموع .

وترقد ابنته سمية على سريرها مبتسمة ، فرحة . والرجل الانيق يداعبها ، ويضحك معها .. اتى لها باللعب والحلوى .. والطبيب يقف بجوار سريرها وهو يبتسم .. ان الموقف يبعث على الارتياح والطمأنينة .. فسمية قد استغرقت في نوبة ضحك متواصل لاول مرة منذ زاملها المرض ، واختبأ في صدرها .. لم يعد يرى سمية وهي تسعل ، ذاك السعال الذي يؤلم اذنيه .. فسعالها يشعره بحال صدرها المسلول وهو ينزف الدماء .

الان قد هدأ تماما وارتـاح .. ضاعت من رأسه تلك الفكرة التي تلح عليها ، بأن العالم والناس لا شيء ، لا حقيقة ، ولا وجود .. انهم اليوم اصبحوا شيئا ، وحقيقة، ووجودا ..

وابتسمت شفتاه ابتسامة كبيرة، واخذ ينظر الى الحشد الملتف حول كومة اللحم .. كما اخذ ينظر اليهم وهم يضيقـون الخناق حولـه .. فزعق فيهم وهو يرى كومة اللحم لم تزل تنزف الدماء :

ـ انا امامكم ، لن اهرب .. ولن اضيع .. ولكن ابقوا معي .. فاني اراكم كجدار استطيع ان ارتكن اليه.

والتمعت عينـــاه ، وتصلبـت شرايينه ، وسقط على الارض اعياء .. نام جسده بجوار كومة اللحم ، بدون ان ينزف قطرة دم واحدة .

القاهرة حسني سيد لبيب

الادب العراقي الحديث

بقلم خالص عزمي

* * *

تتميز عصور الادب العالمي بميزات يستطيع بعضنا ان يلمح معالمها ظاهرة جلية وان يحدد مركزها وعمقها وتياراتها مما يقرأ ويقارن ويستنتج ، فهو يستطيع ان يدرك كنه المجتمع ، اي مجتمع ، من خلال ادبه ، وان يدرك الادب من خلال المجتمع الذي يقرأ عنه ، ومن العصر الذي يتعقب آثاره ومعالمه . وحينئذ ، وفي جميع الاحوال ، يستطيع احدنا ان يتعرف على الابعاد والمساحات الذهنية التي كان الادب يمتد اليها او يستحوذ عليها .

فالقرن السابع عشر مثلا تميز في آدابه بالكلاسيكية ذات النزعة الانسانية والقرن الثالثعشرتميز بالنزعة الفلسفية العقلية ،والمحاججة الفكرية والاغراق في التأمل.والقرن التاسع عشر تميز بالرومانتيكية ، حيث اعقبتها بعدئذ الواقعية والرمزية .ثم تميز القرن العشرين ، بالنزعة التعقيدية والتداعي ، واظهار الوعي الباطني ، والحوار الداخلي الى الوجود بالشكل المتعارف عليه بالسيريالية ، ثم برزت بعدئذ الوجودية ثم الواقعية الحديثة .

ولست هنا في معرض توضيح هذه المذاهب والحدود الوهمية الفاصلة بين بعضها البعض وانما الذي اود ان اركز عليه هو ان الادب العالمي ، والاوروبي بشكل خاص ، يتميز باستقلال المدارس الادبية وانضواء الادباء كل تحت مذهب ادبي معين يعالج عن طريقه ما يحس به وما يريد التعبير عنه بأسلوب مميز .

ولكن هل نستطيع ان نلقي الاضواء على الادب العراقي من خلال مقاييس المدارس الادبية التي تطرقنا اليها ؟ نحن اذا ما انطلقنا من هذه النظرة الواقعية الى مجالات ادبنا العراقي ، نجد ان مثل هذه التحديدات الفنية الفاصلة تكاد تكون معدومة ، فليس هناك فواصل مذهبية في التعبير الفني عن الادب وليست هناك مدارس ادبية متبلورة تختص بنوع يؤكد المعاني والافكار دون الاساليب والفلسفة . وليس هناك عصر ادبي نستطيع ان نطلق عليه عصر الواقعية الحديثة او عصر السيريالية ، او الرمزية مثلا... بل هناك عصور زمنية في ادبنا اما ان تتميز بالنهضة في مختلف المجالات او بالركود ، وذلك يستتبع بالطبع مدى التطور الاجتماعي ونظم الحكم السائدة فيه ، ويتتبع الانتاج من حيث الكم والكيف .

فالشعراء والادباء والنقاد والكتاب العراقيون انصرفوا في عهود مختلفة الى معالجة مواضيع متشعبة فلم يأمنوا بالاختصاص او بصورة اوضح ، بالانتاج الادبي ذي الاطار محدد المعالم . بل كانوا ، وما زال بعضهم ، يعالجون مواضيع مختلفة وعلوم وآداب متنوعة ، فهي جملة افكار يزاحم بعضها الاخر . ويعارض جزءها كلها ، بحيث اصبحت الاشعار والقصص والمسرحيات والمقالات في ادبنا الحديث ذات اجواء واساليب متنوعة قد تتنافر شكلا ومضمونا في كثير من الاحيان .

فانت تجد في الانتاج العراقي الادبي ، انماطا من الرومانسية ، والواقعية ، والرمزية والوجودية والصوفية ، والسيريالية الى غير ذلك من صور تلك المذاهب والمدارس الادبية . ونحن يندر ان نرى شاعرا رومانتيكيا وحسب ، او شاعرا وجوديا فقط ، بل لا بد وان نرى في شعره ، قصائد تختلف موضوعا وفكرة واسلوبا ونفسا .

هذا بالطبع لا ينطبق على الادب العراقي الحديث اجمالا ، اي الى فترة الخمسينيات بالذات ، بل ينصرف معناه الى أدبنا العربي في تلك الفترة بشكل عام ، على ان هذا ، لا يمنع من القول بأن الادب العراقي الحديث باطاره العام ، تمكن من ان يخطو خطوات طيبة نحو الامام في بعض الفترات وان يزاحم آداب البلاد العربية الاخرى في بداية هذا القرن حتى اوائل الاربعينيات ثم يستقل بشخصيته فيتقدمها في بداية الخمسينيات .

حينما نجيل النظر في ادبنا العربي بامعان وتجرد نرى : انه في الوقت الذي كانت تلمع فيه اسماء كبار الشعراء والادباء في مصر ، من امثال : البارودي ، وحفني ناصف ، واسماعيل صبري ، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم ، والعقاد وشوقي ، ومطران ، والمنفلوطي والمازني وقاسم امين وزكي مبارك وعبدالله نديم وجرجي زيدان ، نرى اسماء ادبائنا وشعرائنا العراقيين تضاهيها بريقا واشعاعا من امثال : الزهاوي ، والعبيدي ، والنجفي ، والهنداوي ، والدجيلي ، والكاظمي والرصافي والجواهري ، والبناء ، والشرقي ، والبصير ، والشبيبي باقر ورضا ، والاثري ، والكرملي والقاضي منير ، وطه الراوي وشكري الفضلي وحافظ جميل ، وابراهيم صالح شكر ، وابراهيم حلمي العمر وغيرهم . فقد كانت نشاطاتهم الادبية تبرز على صفحات الصحفالادبية التي ظهرت آنذاك في العراق ، كلفة العرب ، والفلاح ، ولسان العرب ، والاستقلال والبلاد وحبزبوز وشمس المعارف والناشئةوالهاتف والفرى . ولم يقف نتاج الادباء العراقيين على الصحافة العراقية بل تعداها الى الصحف العربية الهامة آنذاك كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة والاهرام والمؤيد والمقطم واللواء .

ولقد كان لنهضة الترجمة والتاليف التي عمت مصر وسوريا آنذاك حيث طفت الصبغة العلمية الحديثة والنزعة الادبية الغربية ، اثرها المباشر على الادب العراقي الحديث الذي يتميز ، حتى بوادر تلك النهضة ، بالنزعة التقليدية والمحاكاة في الادب .

وعلى هذا فقد تميز الادب العراقي في العشرينات والثلاثينات بثلاث ظواهر هامة نوجزها بما يلي : ـ

اولا : انكباب الادباء العراقيين على كنوز الادب العربي القديم ينهلون منه ما شاء لهم ذوقهم وحسهم الادبي ونزعتهم الدينية ان ينهلوا. يتأثرون بأساليبه وافكاره الى حد بعيد وينحون منحاه في كثير من الاحيان .

ثانيا : تأثر بعض الادباء العراقيين بالنهضة الحديثة الاوروبية وانصرافهم الى الكتب المترجمة والمجلات ذات النزعة العلميةوالمصطلحات والاساليب الحديثة ، ينهلون منها ويطعمون بها آدابهم ويطورونها بشكل جديد محبب خال من المبالغة والتهويل .

ثالثا : الاصالة ، والعاطفة المتأججة ، وشعور الادباء بالمسؤولية الوطنية واتخاذهم الادب بابا ينفذون منه الى مجال الصراع والتحدي العنيف لكل ما يقف حائلا دون تطور مجتمعهم وتقدم بلادهم .

بالاضافة الى هذه الظواهر الثلاث هناك حقائق بينة في الادب العراقي تميزت بها تلك الفترة وهي :

(أ) ـ قوة الصياغة ، واشراق الديباجة ، والاعتماد على محسنات البلاغة .

(ب) ـ التمهيد المطول للمقال او القصيدة والاسترسال في الموضع.

(ج) ـ غزارة الانتاج وتعود الوانه ومراميه واساليبه . بالاضافة الى التكرار في الفكرة والاجترار في المواضيع بصورة عامة .

(د) ـ الجموح العنيف في الادب السياسي ، بحيث ضاعت كثير من الافكار الادبية في خضم الصراع السياسي بين الادباء .

لا بد لنا ونحن نستعرض الاطار العام لادب تلك الفترة ان نقول كلمة في النقد الادبي ، فهو صورة متممة لملامحها .

لقد تميز النقد في تلك الفترة بالعاطفة الشخصية والتحليل

---

* نص المحاضرة التي القاها الكاتب في الجمعية البغدادية ببغداد

البسيط ، واعتماد العلاقات الخاصة و (الصداقات) ، اساسا للهجوم والكر والفر والتبرير والاعتذار ، دونما تاكيد على المضمون ودونما رعاية لمفهوم الموازنة المنطقية المجردة من الحقد والتقريع .

فقد كان جل النقد ، لا كله ينصرف الى الطعن الشخصي والبحث عن العيوب واقتناص الاخطاء والبحث عن قصور اللغة والاسلوب .

ولكنه والحق يقال ، ان بعضا من الادباء البارزين آنذاك قد توصلوا (باصالتهم ، وتفهمهم لمعنى الظهير الادبي) الى اسس الطريق العلمي في النقد الادبي. كابراهيم صالح شكر ، وابراهيم حلمي العمر وطه الراوي وانستاس ماري الكرملي .ورضا الشبيبي ومعروف الرصافي ، ورفائيل بطي ومحمود الملاح ، ومحمود احمد السيد ويوسف رجيب .. الخ .

وعند نهاية الثلاثينات بدأت الحركة الادبية في العراق تتعثر وراحت الصحف الادبية والفكرية عامة تتساقط واحدة بعد الاخرى ، وكاد الميدان الادبي يخلو من فرسانه ، فقد مات بعضهم وانزوى البعض الاخر بسبب ضنك العيش ، وانصرف الاخرون الى وظائف الدولة بعيدين عن الجو الادبي .

وقد لعبت الحرب العالمية الثانية دورا قاسيا في حصر الحركة الادبية في نطاقها الضيق فقد طفت المجلات الدعائية وتوقفت الكثير من المطابع عن العمل بسبب ابتعاد الكتاب عن التاليف الادبي الى جانب ندرة ورق الطباعة في الاسواق .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها وتعود الحياة الطبيعية الى العالم اجمع حتى بدأت المطابع تدور ، وتدفق الورق على الاسواق ومعه آلاف الكتب والمطبوعات الفكرية . وبدأت الحركة الادبية في العراق تنتعش تدريجيا ، وما كاد عام ١٩٤٨ يحل حتى ظهرت المجلات والكتب الادبية ودواوين الشعراء والقصص والروايات في اسواق الادب ، وراحت تعبر عن احاسيس الادباء تجاه مجتمعهم وبلادهم والظروف الداخلية المحيطة بها .

لقد ساعدت كثير من العوامل على نضج الحركة الادبية في العراق في تلك الفترة ، منها الوضع السياسي والاقتصادي والتطورات الحديثة في المجتمع العربي ودخول آلات الطباعة الحديثة وتخرج العديد من ابناء العراق ومن بينهم الادباء في الكليات العراقية والجامعات الخارجية وتدفق الكتاب العالمي والعربي والصحف والمجلات المختلفة . وقيام المؤسسات الثقافية بتقديم المساعدات المالية لتشجيع التاليف والنشر والترجمة .

واستمرت هذه النهضة الادبية تتعاظم بعد عام ١٩٥٠ حيث صدرت مجلات ادبية عديدة مثل عالم الغد ، الحارس ، اخبار الساعة ، الاسبوع ، الرسالة الجديدة ، الوادي ، الثقافة الجديدة ، المثقف ، الفكر ، الكتاب. .الخ.وغيرها من المجلات ، اما الصحف اليومية فقد كانت تخصص صفحة من صفحاتها للادب والفكر والفن يسهم فيها ابرز الكتاب والشعراء والفنانين .

وقد استمر هذا الزخم الادبي في الصحف والمجلات ، رغم تعطيل الكثير منها حيث كان الادباء يعرضون عن ذلك بما يصدرون من مؤلفات، حتى بلغ اوج النشاط في بداية ثورة تموز عام ١٩٥٨ ففي هذه الفترة (من عام ١٩٥٠ ـ لغاية ١٩٥٨) برزت القصة القصيرة الفنية الى الوجود والرواية الحديثة ، وظهرت المسرحيات والتمثيليات ، كما ظهر العديد من دواوين الشعر الحر لشعراء العراق البارزين في هذا الميدان ، وفيها معظم نتاج تلك الفترة للاوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك .

وقد باتت الصحف والمجلات الادبية تتسابق من اجل الحصول على نتاج الادباء العراقيين كما راحت المطابع العربية تعنى عناية خاصة بالانتاج العراقي . بل ذهبت المجلات الادبية في البلاد العربية (كالاديب والاداب والهلال والحكمة والقلم الجديد والرسالة والثقافة والمعرفة) الى محاولات اوسع في اجتذاب الكتاب العراقيين اليها . حتى ان مجلة الاداب اللبنانية ـ وهذا على سبيل المثال ـ جعلت من بعض الكتاب العراقيين على رأس محرريها ، يغمرون المجلة بانتاجهم ويغربلون انتاج الاخرين . وقد برز في هذه الفترة ادباء على مستوى عال من الثقافة وعمق التجربة والاصالة .

ومن جراء ذلك ... ظهرت دراسات ادبية عراقية عميقة متبلورة في مختلف مجالات الادب ..الذي تميز آنذاك بالعمق والتحليل والدقة في التعبير ، واصبح للادب العراقي شخصية مستقلة ذات طابع ولون خاص .

لقد عالج الادباء العراقيون فنون الادب ، ونحوا منحى ادباء المدارس الفنية في العالم فظهر التداعي في القصة والشعر ، وظهر الحوار الداخلي ، وظهرت الفلسفات الادبية في الكتابة ، وقد قام الفنانون العراقيون الذين عادوا من اوروبا بدور مهم في تطعيم الادب بانتاجهم وبنقدهم الفني .

وعلى هذا فقد ابتعد الادب العراقي عن مجال الاجترار والتكرار الى حد ونبذ اللغو والاطالة ، والاقتناص البلاغي الى غير ذلك ،واصبح الفكر هو المسيطر الاول على الحركة الادبية في اطارها الشاعري الخاص .. فظهرت تفسيرات جديدة لمفاهيم الادب واللغة ، واعطيت للكلمة الواحدة حياتها الواسعة لتتطور وتنمو وتزدهر تحت ظل معان كثيرة ، واصبح النقد الادبي يعالج الموضوع برمته لا يتسقط الاخطاء ولا يقتصر على عبارة ولا ينقد الجزء دون الكل بل ينقد موضوعيا ويساير النمو العضوي للنتاج ، ولا يقتصر على الاسلوب او الشكل .

وتميزت الحركة الادبية في تلك الفترة بظهور الشعر الحروالاعتزاز بالشعر العمودي والشعبي مع تطوير لغته وانفتاح الابواب امام المسرحية العراقية الهادفة والقصة المتحركة والرواية الطويلة . ومع ان هذه الاتجاهات قد دخلت بعمق في الادب العراقي بحيث اضحى من المتعذر تقويضها او محوها من الوجود اي انها اثرت في ادبنا تاثيرا جديا ، وحولت اذهان الادباء الى مفاهيم جديدة متطورة ، الا ان اندفاع الحركة الادبية لم يستمر طويلا فقد راحت الحركة الادبية في العراق تتقهقر تدريجيا وراح الادباء يبتعدون عن المسرح الادبي ويشرنقون انفسهم ويسربلون نتاجهم بتعبيرات غير مباشرة وبمعميات المعاني ، وبتلاشي الحركة الادبية تساقطت المجلات الفكرية واحدة بعد اخرى حتى اضحى الميدان الادبي وكأنه مجرد قلعة اثرية عفى عليها الزمن ليس فيها سوى معالم صامتة تشير الى تواريخ حياتها الزاهرة .

وهنا تتبادر الى الذهن اسئلة ثلاثة : (١) ما هي اسباب الركود الادبي ؟. (٢) ما هي مظاهر ذلك الركود ؟ (٣) وما هي الحلول لانعاش الحركة الادبية ؟.

ارجو ان لا يغرب عن البال ان المكان الذي احاضر فيه الان هو جمعيتكم البغدادية المحترمة التي يمنع نظامها الداخلي من التطرف الى ما لا يبيح التحدث فيه : ولهذا فانني ساقصر الكلام على الجوانب الادبية والاجتماعية والنفسية التي ادت الى هذا الركود .

اولا ـ اسباب الركود :

٢ ـ انعدام التشجيع الادبي والمادي بشكل واسع وواقعي .

ب ـ شعور الاكثرية الساحقة من الادباء ان ميدان الادب قد جر عليهم مشاكل هم في غنى عنها .

ج ـ القلق من المستقبل ، وعدم وجود الضمان المادي لمعيشة الادباء من اقلامهم .

د ـ الخسائر المادية التي تعرض لها الادباء حينما اقدموا على طبع مؤلفاتهم ومجلاتهم لسوء التوزيع وعدم وجود ما يعوضهم عن ذلك.

واحسب ان هذه الاسباب تكاد تكون طبيعية في اطارها العام بعد الثورة اذ ان مجتمعا جديدا قد ولد بمفاهيم جديدة ..وان طبقة من الادباء قد ظهرت الى ميدان الادب الذي لم يتميز بالاستقرار والضمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملل

•

وعلى الاقـل
جارين كنا كنت افقر من سأل
عن نبذة من اي شكل
عن نتفة حتى وشل
عن خطوة اخرى سأخطوها . وهل ؟
وخدعت نفسـك طالما خدع الملل
شوقا صغيرا فاكتهل
وسألت يا ما قد سألت ولم أقل
الا وشل
الا حطامـات الجمل
هيهات لا الهو بدنياك الوديعة يا حمل
ابكيت قلبك مرة . ما كنت اقسى من فعل
وعلى الاقل
كنت الصديق الوذ منك ومن تصورك البطل
أنا كنـت ابخل من نخل
كم كان يربكني الخجل
حتى الخجل ؟
احببته حتى الخجل !
.. وقرأت قصتك اللطيفة في عجل
وعرفت من بدء الحكاية انني ذاك البطل
صنم تشبث وانفعل
انكرته !؟ هل كان افقـر من سأل
عن نبذة من اي شكل
عن نتفة حتى وشل

لندن — صلاح نيازي

لكي ينتج الاديب في مناخ صحي مطمان .

ثانيا ـ مظاهر هذا الركود الادبي : ـ استطيع ان الخص مظاهر هذا الركود بالنقاط التالية :

(آ) عدم وجود مجلات ادبية متنوعة يصدرها الادباء تختص في نواحي الادب المختلفة كالقصة والرواية والبحث والنقد والشعر .

(ب) عدم وجود نواد وجمعيات ادبية نشطة يلتقي فيها الشعـراء والكتاب على اختلاف نزعاتهم الادبية يبدون فيها آراءهم ويناقشون مـا جد في مجالات الادب .

(ج) عدم وجود مسارح دائمة تعمل علـى جـذب الادباء اليها لكي ينتجوا مسرحيات على مستوى رفيع.

(د) عدم وجود مجلات تعنى بالترجمة والتعريب ونقل الادبالعراقي الى القارىء الاجنبي والعكس بالعكس .

(هـ) عدم وجود نهضة سينمائية تستطيع اجتذاب الكتاب اليهـا للاسهام في كتابة قصص الافلام والسيناريو والحوار .

(و) قلة عدد الكتب والدواوين الشعرية وقلة عدد الذين يسهمون في النشاطات الادبية المختلفة واقتصار الميدان الادبي على عدد ضئيـل جدا من الادباء العراقيين .

(ز) قلة عدد المحاضرين في القضايا الادبية في النواديوالجمعيات على كثرة عددها في العاصمة والالوية . اذ لو رجعنا الى انظمةالنوادي والجمعيات في العراق لوجدنا فيها فقرة تنص على تشجيع الحركـة الثقافية ..ولكن كم منها قد طبق ذلك واسهـم فـي تنشيط الادب والفكر بشكـل عـام .

(ح) قلة الصفحات الادبية الممتازة في الصحافة اليومية .

(ط) انعدام الصحافة الادبية الراقية في الالوية والاقضيةوالنواحي وندرتها في العاصمة بغداد ، وهي مركز الاشعاع الفكري والحضـاري في تأريخنا الادبي .

ثالثا : الحلول لانعاش الحركة الادبية : ان الحلول التي ارتأيها في هذا المجال هي حلول لا يجوز تجزئتها اذ ان بعضهـا يلازم البعض الاخر ويعتمد عليه . وارى ان ابرزها يتحدد بالنقاط التالية :

١ ـ ضمان حرية التعبير بأوسع ابوابه وبحدود النظام والقانون.

٢ ـ التشجيع على اصدار المجلات الادبية ذات المستوى الرفيع يسهم فيها ادباء بارزون وتساعد الدولة على دعمها وتشجيعها .

٣ ـ اصدار مجلات ذات اختصاص في مجالات الادب ، كالقصة والرواية والشعر والنقد : وانني هنا ادعو الى اصدار مجلة للشعـر بشكل خاص تتضمن الاقسام الثلاثة التالية : قسـم للشعر العمودي والاخر للشعر الحر والثالث للشعر الشعبي .

٤ ـ تخصيص جوائز للدولة لاحسن كتاب عراقي او ديوان شعـر او قصة او رواية وما الى ذلك .

٥ ـ تشريع قانون للتفرغ الادبي ـ يدفع الادباء الى الانتـاج الجيد . ويضمن لهم العيش الكريـم .

٦ ـ دعوة الجمعيات والنوادي الى تبني اصدار مجلات فكرية والى تحديد مواعيد في برامجها السنوية للندوات الادبية والمحاضـرات والمناظرات وتقديم مسرحية واحدة على اقل تقدير دعما للادب وتشجيعا للنهضة المسرحيـة .

٧ ـ اصدار مجلة للترجمة والتعريب تهتم بالانتاج العراقي خاصة.

٨ ـ التأكيد على اسهام الادباء العراقيين في جميع مجالاتالاعلام الادبية والطلب الى الصحف العراقية كافة بضرورة تخصيص احدى صفحاتها للادب والفكـر .

٩ ـ الدعوة الى تشجيع اصدار مجلات ادبية في الاقاليم والاقضية والالوية وان تختص تلك المجلات بأدب القرية او الناحية او اللواءالذي تصدر به ، لكي تتبلور الصورة الواقعية للادب العراقي .

١٠ ـ التقليل من الاجترار الادبي ، والتأكيد على الادب الابداعي في القصة والرواية والشعر والمسرحية .

١١ ـ قيام الادباء من جانبهم بالاسهام في كل تلـك الحقـول ، وتشكيل مجموعاتادبية خاصة تأخذ على عاتقها دراسة الكتبوالمسرحيات والدواوين الشعرية وطرحها على المجموعة للبحث والتدارس وبذلـك ينطلق حوار ذهني حولها ، يعود بالخير على الحركة الادبية .

١٢ ـ تبادل الكتب والمراسلات مع الجمعيات والنوادي الادبية في الخارج وتشجيع الزيارات الادبية ما بين الاقطار المختلفة .

١٣ ـ تكريم الادباء وتقديم المكافآت المادية والمعنوية لهم ولعوائلهم من بعدهم . ونصب التماثيل لهم واطلاق اسمائهم على الشوارع المهمة في مسقط رؤوسهم ، واصدار الكتب عنهم ، لكي يكون ذلك حافـزا للشباب على متابعة اعمال ونتاج ادباء بلادهم والاقتداء بهم .

١٤ ـ تهيئة مهرجانات ادبية في موسم معين ، في كل قريـة او مدينة ، يتبارى فيها ارباب القلم ويطرحون ما لديهم من آراء ونتـاج فكري ، تكون حصيلته نهضة ادبية شاملة .

بغـداد — خالص عزمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



غـــادة افاميـــا

مسرحية شعرية ـ عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات ببيروت

كان حدثني صديقي الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، منذ ثلاثة أعوام ، عن عزمه على نشر هذه المسرحية الشعرية الوطنية ، العاطفية : «غادة، او ثوار افاميا » ، ورحبت (١) آنئذ بالفكرة ، وباركت عزمه ، في أمل ان يرى هذا النتاج الشعري الحديث عنده النور بين دفتي كتاب ، بعد ان رأى كثير من نتاجه الشعري المسرحي ، الاول ، والسابق ، النور على صفحات الجرائد ، والمجلات (٢) ..

وفي الحقيقة ، ان عناية مؤلفنا الشاعر الكبير عدنان مردم بك بالشعر المسرحي ليست بنت يوم ، أو ليلة ، ولا بنت سنة ، او سنتين ، او ثلاث سنين ، وانما هي (حس) ابداعي ، اصيل عنده ، يرجع الى أيام اليفاعة ، والشباب ، الى ثلاثين عاما خلت ، أيام كانت «التطلعات» الى ادب مسرحي ، شعري ، او نثري ، مجرد حماسة لابتكار، وتطوير ..ايام لم يكن من رائد للمسرح الشعري ، في الادب العربي غير أحمد شوقي ..بينما كانت سورية تجد بنواديها الفنية ، وفرقها المحترفة لايجاد المسرح ، والمؤلف ، والنص ، والجمهور على السواء ، ثم لم تقو على ايجادهم الا لفترة قريبة ، بعد الاستقلال ، وفي مطلع الستينيات من هذا القرن الحالي ، القرن العشرين ، فتأسست «الفرقة القومية» ثم أوجدت الدار ، وهي مسرح ابي خليل القباني بدمشق ، وقدمت العروض المتتالية ، ووجد النقد الفني والادبي ، مما لم يسبق اليه من قبل ..

وقد كنت أحث صديقي الشاعر الكبير عدنان مردم بك على السماح للفرق الفنية ، والتمثيلية بتقديم شعره المسرحي ، خاصة ، والى الان لم تقدم هذه الفرق ، خاصة الرسمية منها الا نتاجا (٣) عربيا ، وسوريا نذرا ، منه عرض شعري واحد ..

ولست أخفي ان هذه المسرحية «غادة ، او ثوار أفاميا» بالذات، مثل مسرحية «العباسة» ، و «يوسف وزليخة» لمؤلفنا عدنان مردم بك قد طلبت مني ، ومن الصديق المؤلف ، مرارا لتقدم في المسرح القومي عندنا ، او من فرق هاوية ، ومحترفة اخرى ، مثل «رابطة الممثلين» ، او فرقة التلفزيون، وغيرها .

وقد كان الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، مع ذلك ، يتردد في القبول ، او في السماح بتقديمها للجمهور ، ويروح يسألني ، في هدءات من لقاءات في ندواته ، في داره الميمونة العامرة ، في زقاق فخر الرازي بدمشق ، هل تستطيع فرقتنا الناشئة تقديم مسرح شعري ، أم هل تستطيع فرق محترفة، وهاوية ، لا تزال تلوب في موضوعات عامية، وبوليسية، او درامية مفتعلة ، او سوقية ، تقديم ادب ذهني ، تحليلي ، شعري ، وفصيح ؟!

وأروح بدوري أشجعه ، او على الاقل أبث الثقة في نفسه بهؤلاء الشباب الذين يبنون صرح نهضتنا المسرحية باللبنات التي يجدونها جاهزة امامهم .. وحقا اننا اليوم في نهضة فنية ، ادبية تعانق الفن المسرحي ، والادب المسرحي على السواء ، وان (الاشواط) التي قطعها التاليف المسرحي ، النثري ، او الشعري ايضا اشواط مشرفة ، او على الاقل مطمئنة (٤) .. وتكاد تشارف ان تواكب الاشواط التي قطعها الفن المسرحي عندنا ..

ومن هنا ، فان (موقف) نقدنا ، وجمهورنا من المؤلفين المسرحيين، ومنهم شاعرنا الكبير عدنان مردم بك اليوم ، في عام ١٩٦٦ ، غير موقفهما منهم عام ١٩٣٥ .. ان (الاستهلاك) المحلي ، اليومي تقريبا ، اليوم ، الذي للفرق الرسمية ،والمحلية ،الهاوية ،والمحترفة ، هو الذي يتطلب (الانتاج) الجيد ، والبسيط ، وعلى المؤلفين ان يستجيبوا له ، وانهم فاعلون ..

البناء المسرحي : تقع «غادة ، او ثوار افاميا» في اربعة فصول ، كل فصل منها يحوي على عدة مشاهد غير مرقمة ، احيانا اربعة مشاهد، واحيانا ستة مشاهد ، او اقل ايضا ، وتتسلسل هذه الفصول ، ومشاهدها على النحو التالي :

الفصل الاول : الجيش الروماني الفاتح ، المغير ، يجوب ساحة مدينة «افاميا» الرئيسية بزهو ، وخيلاء بينما يستمر الفتك ، والبطش بالاهالي..في الزقاق (تميم) ، و (نايف) ابناء شقيق (الوليد) زعيم المدينة يتحاوران في انتصار العدو ، وخيلائه ، وفتكه وقوته .. تطل عليهما «غادة» ابنة الوليد مستنكرة الحال التي عليها البلاد ، وحين يسالانها لم جاءت تؤكد انها جاءت لاستطلاع الحقيقة ، ثم ينسحبون...

تسمع جلبة بين الجنود ،والشعب ، ويظهر الضابطان الرومانيان «سابا»، و «روبين» بين جنودهم يتحاوران في الفتح ، وعلى الخصوص حالة التقتيل ، والفتك بالشعب ..ان «سابا» متفجر ، يستنكر بشكل ظاهر حال جيشهم ، ومعاملته للبلاد ، فيلمح له «روبين» بانه يجبن ويلين ، من دون شك ، بسبب الحب ، ثم ينسحب ..

تظهر «غادة» ، ويكون لقاء اول بين «سابا» ، و «غادة» ويكوز تأمل في الحال ، وبوح في الحب ، وشكر على الصنيع الذي أسداه لاهلها من الرأفة بهم ، فيؤكد لها أنه سيقيم من نفسه حصنا لهم .. ونعود من جديد الى مشهد الناس ، وجلبتهم ، ليظهر «الوليد» ، و «نايف» ، و «تميم» يتحاورون في حالة العذاب ، والهوان ، التي هم عليها ..

الفصل الثاني : اجتماع سياسي ، وعسكري بين القائد العام «بيدا» واعوانه ، ومنهم «سابا» و «روبين» ، يتبين منه ان الفتح مضى عليه شهر ، والقوم لم يوهن لهم عزم عن المقاومة ..هنا لا يتوانى «سابا» من انتقاد حالة الظلم ، والفتك التي خلفها الجيش ، وينبههم ان السيوف لا تفتح القلوب ، فيعود «روبين» يلمح له بالحب ، ليسأله القائد العام «بيدا» : من تكون الفتاة التي يحبها !؟. فيخبره صراحة، بأنها «غادة» ابنة الوليد الحسيب والنبيل والشريف .. الا ان القائد العام يبادره بنعتهما بأنهما اعداء لهم ، فلا يرعوي لذلك ، ويستمر يمتدح الوليد ويفصح عن حبه ..

يقدم «الوليد» بينما القائد العام «بيدا» يتهدد ، وينذر .. يستفسر «بيدا» من «الوليد» عن سبب قدومه ، فيجيبه بأنه قدم من أجل التفاهم ، والاخاء والتعايش بسلام ، فيطلب «بيدا» منه دليلا على ذلك ، ضحية تقدم في عيد النصر الذي سيقام في الغد .. ورغم تقديم «الوليد» نفسه ثم تقديم الشابين بعده ايضا نفسيهما ، ولو وديا ، يطلب «بيدا» الفظ «غادة» ضحية ، ويصر على ذلك ، فيستنكر «الوليد» ، وصحبه ذلك ، ثم يرفضه ..

الفصل الثالث : في دار الوليد ، بعض وجوه افاميا ، وثوارها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحاورون في حال البلاد ، وطلب العدو..ويبدون استعدادهم للمقاومة، والقتال .. بينما الوالد «الوليد» حائر بين حبين الوطن ، والابنة ..

يدخل عليهم رسول من «بيدا» ليأخذ الضحية ، واذا به «سابا»!! فيخبرهم بأنه جاء مكرها ، وأنه قبل بالمجيء حبا بالواجب ، في حين هو يحبهم ، وهو بالاحرى معهم ..هنا تدخل «غادة» فتهون عليه ، فيبادرها بالغزل ، الا ان الاهل تفهمه انه ان كان فعلا يحبها وجب عليه ان يرفع الاذى ، والعار عنها ، ويطول المكوث .. واذ بـ « روبين » والجنود يحضرون يتفقدون رسولهم « سابا » ويحيطون بالحضور وبالضحية ، ورغم أن «سابا» يطلب من «روبين» الانصراف ، ويطلب اليه الرجوع الا ان «روبين» يصر على اصطحاب الضحية ..

الفصل الرابع : عيد للنصر ، ولحرق «غادة» ، بعد ذبحها .. عرض عسكري لذلك .. بينما الشعب متحفز وثائر .. يبدو «سابا» في الشارع العام متبدلا ، يتحسر بل ينقم ، الثوار يتوعدون .. ويمر موكب « بيدا » الى المذبح .. ونتقدم من «المذبح» ونسمع الكاهن يرتل للنار ، ونرى «غادة» مقيدة تقاد اليها ، وحولها بعض اهلها ، وسابا ، وروبين ..

يطلب بيدا من سابا ، بغلظة ذبح غادة فيفاجأ ، ويحجم عن ذلك، ويرفض .. ثم يلين ، او بالاحرى ينقلب على سيده الفظ ، ويتناول السيف يهوي به عليه ، ويرديه قتيلا .. لولا ان روبين يبادره بطعنة انتقاما لسيده ، فيرد له بدلا عنها طعنة ، ويموت الصديقان الضابطان سابا وروبين مطعونين ايضا .. هنا يتقدم الاهل ليفكوا قيد غادة ، ويقتادوها الى قصرها ..بينما يترحم الوليد على سابا ، مذكرا بجميل صنيعه معهم ..

مصادر المسرحية : تلك هي المسرحية ، في بنائها الفني ،الادبي، كما وضعها المؤلف .. انها (سرد) قطاعي ، لحادثة ثورة على الظلم والعسف ، والفلظة والفظاظة .. ثورة تتحقق وتنتصر ، وتنجي ابنة زعيم وطني ، ظل مع شعبه يقاوم بكرامة وشرف حتى انتصر ..

لا شك السرد هنا ، هو الذي يفتح المجال لكل من التحليل ،والتفنيد .. مثلا لمواقف الهوان ، والعذاب عند «الوليد» .. والحب والواجب، عند «سابا» .. والمقاومة ، والثورة عند «نايف» ، و«نعيم» ثم الانتصار.

هل نقول ان (المسرحية) ، اذن ذهنية، مواقفية، ما دامت تحليلات لتجارب ، وتفنيدات لمعان كبرى ؟. ثم وهذا هو الاهم ، ما صلتها بالتاريخ ووقائعه ؟!.. سألت الصديق المؤلف من اين استلهم موضوع مسرحيته ، وهل لها اساس من تاريخ ؟! فأجابني بأنه تخيلها تخيلا ، او بالاحرى تفكرها تفكرا ، وأنها اذن متخيلة ، متفكرة .. ثم أردف الى ذلك يقول :

ان بذرة تكوين المسرحية «فكرة» حق الشعب في سيادته ،وحريته، وغلبة هذا الحق على ظلم المحتل ، وعسفه ، وبطشه .. وانها «ثمرة» من ثمرات تجربة سورية العربية مع المحتلين المنتدبين ، والتي انتهت بالاستقلال وجلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد ..

لنقل ، بعبارة اخرى ، ان المسرحية صدى كفاح الشعب ضد المغير المحتل ، ثم انتصاره عليه .. وقد حمله المؤلف موضوعا اسطوريا عاطفيا .

فنية المسرحية : ولكن ، مع ذلك ، اين الثقل في العمل المسرحي فيها ؟! هل هو الموضوع العاطفي ، اي الحب بين غادة ، وسابا .. بين ضحية لجيش فاتح ، هي ابنة زعيم وطني ، وبين قائد منتصر يحبها ، ثم لا تهون عليه .. ام هو الموضوع القومي ، اي الثورة ، والمقاومة ، حتى النصر !.

ومن يثور هنا ؟!.وهل نجاة «الضحية» هو بفضل ثورة الشعب؟!. الملاحظ ان «الحادثة» الكبرى في المسرحية ، التي تحتم الحل والخاتمة، أيضا هي انقلاب الضابط الروماني «سابا» على سيده وقتله ، مدفوعا بحبه ، لفظاظته وغلظته .. كان بمقدور المؤلف ان يعطي الشعب قسطا اوفر ، من المبادرة للثورة وتنفيذها ، اكثر من النقمة او التحفز ..الا ان الحادثة الكبرى ، وهي انقلاب العاشق غطت على ذلك .. ولذلك رجعنا ، من جديد ، الى اجواء الحب وتفنيدها ،و الى الموقف الشاق الذي يتعذب فيه قائد مغير بين حبه ، وواجبه .. ورجعنا بالتالي الى تحليلات قطاعية ، وسرد قطاعي ايضا ..

وفي الحقيقة ، المسرحية من النوع الدرامي الحديث ، وكدت أقول «التشيكوفي» ، الذي يقوم على عرض المشاهد ، ووصفها ، وتفنيدها ايضا من الخارج ..لولا أنها تعج بالتحليلات ، وتغلب السرد .. أي انها سردية تلحد الى النوع القطاعي ، دون ان تتنكر للاصول السلفية من حكي وتحليل وتفنيد ..

الفتح ، والفتك بالمغلوب ، ثم طلب المهادنة ، وبالتالي طلب ضحية ، والتي تكون «غادة» عشيقة سابا احد قواد الجيش المنتصر.. ثم عذاب العاشق بحبه وواجبه والذي اخيرا لا تهون عليه محبوبته .. كل ذلك ، كان ترفده مشاهد جانبية وقطاعية ، وايضا اساسية للشعب ، والسابلة والوجهاء والقواد حتى ينتهي العمل المسرحي بانتصار الثوار ، ونجاة ضحيتهم ..

لنلاحظ ايضا ، ان الذي يقرب المسرحية من النوع القطاعي الحديث ، انها لا تقوم على قاعدة الوحدات الثلاث ، وحدة الزمان ووحدة المكان ، ووحدة العمل ايضا ..اذ الزمان فيها اكثر من اربع وعشرين ساعة ، ونتبين من حوارات المسرحية ان تأزم الحال ، وايضا العمل المسرحي فيها استغرق زهاء شهر ونيف من المقاومة ، والاخذ والرد .. بينما المكان منوع وليس واحدا ، فهو الساحة الرئيسية ثم الشارع العام ثم الدور والقصور والمذبح وغيرها .. في حين العمل المسرحي هو الفتح والتضحية ، وهو الحرب والسلم ، وهو الحب والواجب وهو الانقلاب والارتداء وهو المقاومة والانتصار .انه متشعب في اتجاه سردي وتحليلي وتفنيدي قطاعي في الاساس .

الموضوع ، والامكان فيه : هل نصادف في التاريخ ، او في الواقع مثل هذا الموضوع الذهني الوطني العاطفي المتفكر المتخيل على حد قول المؤلف ؟. ان فكرة التضحية بالانسان مبثوثة في تاريخ الشرق القديم ، وايضا اليونان ، للطقوس الدينية والمدنية والعسكرية ..وقد كانت التضحيات تصيب ابناء الملوك والامراء والقواد وتصيب ايضا ابناء المغلوبين من الاعداء ..

ومنها ما رواه «الوقيانوس السميساطي (٥) في نبذته « في الآلهة السورية » عن استمرار عادة رمي الاولاد من على بوابات معبد هنييرابوليس حتى زمانه،اي منتصف القرن الثاني الميلادي ، اي اوائل العصور الرومانية في سورية ، وهي على الارجح صورة للتضحية بالاولاد في سورية ..

ومنها ما يروى عن تضحية «سلوقس نيكاتور» مؤسس المملكة السورية ، بفتاة من بنات اللاذقية عند بناء اللاذقية ، وهي رواية مطعون فيها ، ووجه الطعن فيها انه ابتنى عشرات المدن في سورية والعراق ، ولم يرو عنه في احداها تقديم أضحية من بني البشر ..

ومع ذلك ، اذا ذكرنا ان التقاليد الدينية الشرقية نفسها كانت فدت أضحية الانسان ، منذ فترة سحيقة ، عند البابليين ثم الاشوريين ثم مع ابراهيم الخليل والعرب ، استطعنا تفسير ندرة مثل هذه الاخبار عن التضحية بالانسان .. وفي المسرح اليوناني ، والفرنسي مسرحيات تقوم على حوادث التضحية بالانسان ، منها مثلا التي حول «ايفيجينيا» ، وغيرها ..

واذن ، لا غرو ان يطرق شاعرنا الكبير عدنان مردم بك موضوعا اسطوريا ذا اساس ثابت في شرقنا القديم ، والحديث ، فيعيدنا الى أجوائنا الشرقية ، والسورية القديمة .. اما لماذا جعله في « الفترة الرومانية» في سورية العربية ، فلعله وجد من الطرافة المقابلة بين حب الرومان للواجب وغلظتهم فيه ، وبين الحب ، او ايضا بين حق الشعب

في سيادته ، وبين مقاومة وثورته ، فاصطنع له هؤلاء الاشخاص ..
أمثلة متنوعة : من الامثلة على التصوير الخلقي ، تهديد «بيدا» بتعذيب الوليد ، وفيه يقول :

بيدا للجندي :

ما شانه حتى أتا ني واردا يتوسم
أتراه جاء لكسب عط ف أم أتى يتظلم
سأريه ما يصمي الفؤا د من الشجون ويؤلم
حتى يكون لغيره درسا يغص به الفم

ومن الامثلة على تصوير بطش المغير المحتل اقوال السابلة :

أحد الناس :

انه الجيش فاهربوا حذرا من معاطب

صوت :

أبتاه اني قد أصبت

صوت آخر :

أخي بربك سارع

ان الذئاب محيطة والعنف ليس بنافع

ـ صوت قعقعة اسياف الجند ـ أحد الناس :

اني قضيت ولست من ريب المنون بجازع
وطني فداك أقاربي وعشيرتي واضلاعي
الناس تبلى والحقا نق فوق كل مطامع

ومن الامثلة على الصراع في نفس الوليد بين حب ابنته ووطنه قوله :

اذا فكرت في فقد ابنتي او فقد اوطاني
سخوت مع المصيبة با بنتي وكتمت اشجاني
أغص بمقلتي والدم ع نيران باجفاني
ولم أنبث على وجع بآلامي ، لانسان
أحب بنيتي حبي الحياة بجفن نشوان
وليس بمانع عن وا جب ، حب ولا ثاني
وما حب البنين بصا رفي ، عن حب أوطاني
كلا الحبين يعصف صا خبا ، بعزيف شيطان
وما ولد الفتى الا المنى بجفون وسنان
نحس بها ويعيا النط ق ، عن شرح وتبيان
وحب الارض من شرف ومن دين ، وايمان
وما حب اذا ما قيس يعدل حب أوطان .

ومن الامثلة على المكاشفة بين الضحية وعشيقها ، ساعة يقدم على اهلها لاقتيادها الى المذبح ، هذا الحوار البديع :

غادة :

هون عليك فليلا فالامر ليس جليلا
وما الردى بمخيف لمن يروم جليلا ..
علام تجزع جبنا وتستفيث ذليلا !

والعمر ، ما أنت دا ر ، طيف يلم قليلا ..
وهل عرفت خيالا ألم يوما طويلا ؟!.
ما كان يشجي حما مي ، ان رد خطبا جليلا
دمي يقل لاهلي فدى وكان قليلا
أليس بذل حياتي للاهل شيئا نبيلا ؟!

سابا :

أريدك للهوى تحيين ناعمة بآمال ..
أريدك طائرا يشدو بأسحار وآصال
شبابك كالضحى يفتر عن حظ واقبال
وابصر فيك أكوانا تميس بثوب مختال
وفي عينيك من فتن الصبا اضواء آصال
جليل ان يوارى الحسن في حفر بأسمال
ويرمى بالصبا الفينان عن عرض كصلصال !.

وليد :

أجئت مغازلا والا مر لا يدعو الى الغزل!.
رثيت لعلة ونسيت آلافا من العلل
وشفك شجو من تهوى وضقت به من الملل
تثور الغادة وتصيح اشفاقا كمختبل
وكم من غادة طرحت على الاطلال كالظلل

سابا :

أكان هناك من ذنب اذا افصحت عن وجدي
نطقت بلاعج البلوى ورحت اقص ما عندي
وما ذنب اللسان اذا أفاض بحرقة الوجد
وهل من ريبة ان رحت أفضي بالذي عندي
أكان يعيبني وجد كشوب النار في الوقد
اداري جاهدا قلبي بمكذوب من الوعد
وأخدعه بآمال تثير شجا ولا تجدي
لواعج للهوى اشقى بجامح نارها وحدي
وقد نزهت اشواقي عن الاطماع والحقد
وقد طهرت عن درن هواي ولم أخن عهدي..

نايف (ساخرا) :

ان الذي يهوى الجمال يجود في بذل الكثير ،
ليس الهوى حسن البيا ن ، يصاغ ، بل صدق الشعور
وأرى هواك من اللسان ن وليس من وحي الضمير
لا يستوى قول وفعل في القياس من الامور
قد يحسن المأثور غير الحر من قول مثير
ان الذي يهوى الجمال يجود في بذل الوفير
ليس الهوى حسن البيا ن من النظيم ، او النثير
العشق تضحية وبذل بالقليل ، وبالكثير..

تميم :

لو كنت تصدق في الهوى لرعيت من تهوى بصدق
وسللت سيفا دونها لتذود عن حب وحق
أين الدليل ولم تصن عهدا ولم تصدق بنطق..
هلا غضبت لمن تحب وذدت عنها ذود صدق
وغدا سيلقى بالتي نهوى لنيران ، وحرق..

الخ..الخ.. مما يجعل المسرحية محاولة ارتياد قطاعي ، لاستكشاف النفوس والافئدة والعزائم والآراء ..

الاسلوب والحوار : لم أنوه حتى الان بالحيوية في الحركة المسرحية ، وبالتالي بالحيوية في الحوار المسرحي في غادة ..ومع ذلك تلك خصيصة هامة ، مهيمنة على المسرحية كلها ، تجعلها تلامس بفصولها ، ومشاهدها تجارب الابطال خفقة خفقة ، وعزيمة عزيمة ، عند كل حنية من حنايا العمل المسرحي ..

(١)ـ تجد التنويه بذلك ، في كتابنا «الادب المسرحي في سورية» دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ٨٢ ، والكتاب جرد تحليلي ، نقدي للادب المسرحي السوري ، العربي ، منذ ابي خليل القباني ، الى اليوم.. (٢) ـ نشر عدنان مردم بك بين عامي ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦ ، في جريدة الايام ، ومجلتي الانسانية ، والعرفان فصولا من مسرحياته : عبد الرحمن الداخل ، ومصرع الحسين ، وجميل بثينة ..وغيرها .. (٣) ـ لم تقدم «الفرقة القومية» حتى الان من نتاج عربي ، سوري ، غير مسرحية «البيت الصاخب» ، لوليد مدفعي ، في حين منذ خمسة اعوام قدم « النادي الشرقي» عندنا مسرحية «مجنون ليلى» لاحمد شوقي بك..(٤) ـ مؤخرا ، في سورية نشر عمر النص وسليمان العيسى مسرحيات في موضوعات ذهنية وقومية .. (٥) ـ كنت اول من ترجم الى العربية نبذة «لوقيانوس» السميساطي ، ونشرتها مع شروح وتعليقات مختلفة في مجلة الحوليات السورية للآثار ..

والحوار فيها حي ، رشيق ، معبر ، مليء بالمكاشفة والزخم والحياة ، ويظل يرفده أسلوب شعري صادق شفاف ومنوع ، هو تارة تقريري وصفي ، وتارة تحليلي تفنيدي ، وتارة اخرى حكمي وعظي ..

اما سبكها فرصين ، جزل ، يجري مع الطبع ، لا تكلف فيه ، ولا تعسف ، لا افتعال لمشاعر ، ولا تصنع لمواقف .. وهذا دليل على صدق المعايشة للاحداث ، واصالة الحس المسرحي عند المؤلف ..

والملاحظ ان البحور كلها ، في المسرحية تقريبا ، مجزوءة ، وتلك سنة يؤثرها المؤلف منذ شبابه الاول ، ومحاولاته الاولى في الادب المسرحي ، سبق بها الشاعر عزيز اباظة التي يصطنعها اليوم ..

وأخيرا ، قد تعرض هذه المسرحية بشكلها الحالي الذي هي عليه، وقد يجد بعض المخرجين ، او الفنانين ضرورة ما للتبديل فيها ، بحذف او اضافة لتقديمها ..الا أنها تظل ، في كل الاحوال قبسا من روح عدنان مردم بك الكبيرة ، وفكره الانساني ، وذوقه الرهيف ، وفنيته المستكشفة .. وفي ذلك غنى للفن ، والادب على السواء .. والى اللقاء في نتاج لشاعرنا الكبير ، جديد ..

دمشق — عدنان بن ذريل

●

سبعة أبواب

رواية ـ تاليف عبدالكريم غلاب نقيب الصحفيين بالمغرب ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة

قيل لي ، قبل ان اقرأ «سبعة ابواب» ،انه احسن ما كتب الاستاذ عبد الكريم غلاب . وليس قليلا ما قرات للاستاذ عبدالكريم غلاب . فكان من الصعب على اصدار هذا الحكم حتى بعد قراءة «سبعة ابواب» . فانا ما ازال اذكر اعمالا ادبية قصيرة ومسلسلة كانت تلمع ساطعة كالاحجار الكريمة بين تلال الطين ، او اناشيد من السهل الممتنع بين المعلقات والحوليات والمدائح ..كثير من الاعمال المجيدة فلتات في لحظات عبقرية نادرة ..

وقد قضيت ساعات متوترة مع الاستاذ غلاب وراء ابوابه السبعة.. والذي ادهشني هو ان بطل القصة لم يكن متوترا ، او هكذا كان يبدو لي ، هادئا كصفحة بحيرة ..كنت اكاد اصرخ احيانا ، كما كنا نفعل في السينما ونحن صغار : ها هم وراءك !

ولكن لا يزيد الاستاذ غلاب على ان يلتفت الي بابتسامته الناعمة ، ليقول بصوته الدافيء :

ـ اعرف .

«سبعة ابواب» كتبت بصدق ورهافة حس وبساطة في تناول الاحداث ، وشرحها ، لم اعرفها في غير الاستاذ غلاب .

كنت غاضبا من اجله ..وكان صابرا طوال المحنة يسير فيها بخطوات مهيلة خلف جلاديه ، ولا ينسيه الشبح الاسود الحاقد ان يلاحظ اللفتة الطيبة ، والابتسامة المشجعة ، او الدمعة الصادقة من عين حارس شيخ ـ يؤمن بالغريزة ان هذا شر وظلم .

وحين كنت أثور ، كنت ارى وجه الاستاذ غلاب وهو يرنو الي من خلال السطور ويبتسم بحلم الانبياء ، وصبر الصديقين ، فاشعر بالخجل . ولعل السر يكمن في اختلاف مزاجينا .. الاستاذ غلاب خال من «النيروسيس» وعقد الاضطهاد ، لذلك يثيرني بحلمه ، فاتهمه بفقدان القدرة على الغضب .ثم اعود اتساءل : هل يمكن ان يثيرني لو لم يكن هو ثائرا .. واكتشفت رهافة الاحتجاج في صمته الغاضب وهدوئه الثائر ..

وليس أقدر من المحن والاهوال على ارهاف الاحاسيس البشرية. وكم تبلد النعمة قلبا طالما غرد في حضن الحرمان .. والامثلة على صدق هذا كثيرة في سبعة ابواب .. استمع اليه وهو يصف السماء يراها من خلال مثلث في قاعة الاستراحة بالسجن :

« .. اعتقد انني لم ار السماء جلية بهية مترعة بالحسن كما رأيتها من خلال المثلث .كانت تصفو حتى لكاني ارى وجهي في صفاء وجهها ، رغم الابعاد السحيقة فيما يخيل ناظري .كانت الوانها تتفاعل مع ما في نفسي من الوان .زرقتها لا تحكي لونا معروفا من دنيا الارض .. ولعله مما اختصت به السماء فعجزت كيمياء اهل الارض ان تصنع مثيله . وكانت السحب احيانا تغلفها فيتجلى فيها هذا الصراع الضوئي الذي يعطي الوانا فضية زاهية ، او سحابية غامقة .. وكانت احيانا تشع الشمس في جنباتها فتحسبها ذهبية فاتنة .. وكانت في بهائها وجلالها تستبد بناظري حتى لكأنني اتطلع الى الحرية بين احضانها .. كانت المتنفس الوحيد الذي اتخلص فيه من عالم القيود والسدود ، فاجد في رحابة صدرها وامتداد آفاقها ما يخلصني من رقابة السجان وانطباق جدران الزنزانة..»

هذا الشعور الرائع بالسماء لا يمكن ان يعبر عنه الا محروم من جمالها ..وعند قراءة هذه الفقرة فقط يدرك الواحد منا كيف يقضي حياته منحني الرأس ينظر الى الارض او الى وجوه الاخرين وافواههم وهي تنفتح لتاكل او تتفوه او تفتاب ..وهنا ايضا ندرك ما قاله المثل : « أحسن الاشياء في الحياة نحصل عليها مجانا ..»

وينتقل الاستاذ غلاب الى وصف سماء أخرى .. هذه المرة السماء نفسية روحية محضة وهي زيارة الزوجة والابن الصغير .. وقد ترك هذا المقطع في نفسي اثرا عميقا :

« كنت فيما أحسب اكثر الزملاء صبرا واقواهم احتمالا .ولكني كنت افقد صبري اذا تاخرت زوجي عن زيارتي في الساعة المحددة من اليوم المحدد ..كنت احمل هما لا اطيقه ، يبدأ ركوبي قبل الموعد بيومين ، حتى اذا ما اقتربت الساعة المحددة ، وجدت صبري قد انهار ، ووجدت غما يملأ دنياي ، وكأن شقاء الحياة كلها يعمر قلبي . وكنت حينما اسمع اسمي او رقمي مقرونا بكلمة «بارلوار» أخطو عتبة الزنزانة في اضطراب لا تقوى ركبتاي على كتمانه مهما تجلدت . واذرع الممر في غير عجلة ، ولكني مهما ابطأت خيل الي اني اسرع . ذلك ما أحاول كتمانه .. كنت كالسكران الذي يحاول ان يخفي سكره .. ولكنه يفضح نفسه حينما يقف لتثبت الارض من تحت اقدامه .. وكنت اقطع الطريق في غير صبر حتى اذا وصلت الى باب غرفة المقابلة وجدته مقفولا في وجهي..فان طائفة اخرى من المسجونين تأخذ حظها من المقابلة ..

كنت ادخل الغرفة فتطفو الابتسامة على وجه زوجتي ، وهي التي غالبا ما كانت تزورني ..انها ابتسامة التشجيع التي كانت تنطلق من عقال الآلام والوحشة والوحدة لترد الي عالم ما بيننا ، في لحظاته القصيرة ، البهجة والامل..

في رواية «سبعة ابواب» كثير من هذه الاشراقات المؤثرة التي تثبت بدون جدل ، ان العمل الادبي المنبثق عن الواقع خير الف مرة مما يصنعه الخيال ..

وكنت اود لو ذكر الاستاذ غلاب زملاءه بأسمائهم واوصافهم ، لوجدنا انفسنا اقرب الى روح الرواية مما كنا ..والدليل على ذلك الدفء الذي شعرت به وهو يتحدث عن صلاح ، رحمه الله ، وهو شخصية في اصالة طيبتها تزيد مأساة الوطنية عمقا ، والهوة بين الخير والشر اتساعا ..

وروايات مثل «سبعة ابواب» لا تحلو قراءتها الا في مثل هذه الايام ، وبعد مرور السنين على الاستقلال .. فهي ذكرى وعبرة لشباب

ما بعد الاستقلال .. ولدوا تحت سماء جميلة لم يرفعوا عيونهم ابدا لتاملها ، والاولى لهم ان يعرفوا ما اعطاه كبارهم من دماء واعصاب ليجلوا لهم عنها الظلمة والغيوم .

الرباط ـ المغرب **حسن الشريف**

●

الشرق في فجر اليقظة

تاليف انور الجندي ـ ((؟)) صفحة ـ مطبعة (؟)

ليس في وسع اي باحث ، مهما اوتي من الوقت والعلم ، ان يخرج هذه الصفحات التي تجمع بين التاريخ والادب ، الا ان يكون الاستاذ انور الجندي ، الذي توافر له الوقت ، وطاوعه قلمه ، وسعت اليه المراجع ، وتيسرت له المقابلات والمحادثات .

رسم الاستاذ المؤلف صورة المجتمع من عام واحد وسبعين وثمانمائة بعد الالف الى عام تسعة وثلاثين وتسعمائة بعد الالف ، اي منذ اواخر القرن التاسع عشر الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، في قطاعاته المختلفة ، من خلال الندوة والمدرسة والمقهى ، وعيادات الاطباء ومكاتب المحامين ، ومن ثنايا ندوات الفن وحلقات الشعراء ، ومجالس الفكاهة ، وصيحات المرأة ، ورسائل الادباء ، ورحلات المسافرين ، مسجلا الاهتزازات التي كان يمنى بها هذا المجتمع ، وتسير في مجالاته من جد وهزل ، وتجربة وخطأ ، وفكاهة ونقد ...

بدأ الاستاذ الجندي كتابه برسم صورة المجتمع المصري قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني اليه ، ولا سيما ما انبعث من الازهر الشريف في اواخر القرن الثامن عشر ، وقيادته الرشيدة ، وبروز علمائه الاعلام الذين مهدوا لهذا التطور الذي اصاب العالم العربي ، واحدث هذا الانقلاب الذي تمثل في الشيخ الدردير ، وعمر مكرم ، ورفاعة الطهطاوي ، وعياد الطنطاوي ، وحسن الطويل ومحمد عبده ، وحسن العطار ، ومن سار على نهجهم ، وتأثر بتعاليمهم ، وعمل على ان يكون قدوة ونبراسا .

ولقد استطاع العلامة جمال الدين ، ان يهز الشرق كله ، ويروع النائمين ، ويمسح بيده الكهربية ، كل من لامسه ، او صافحه ، حتى وقفت الهند وايران والافغان وتركيا ومصر ، تزيل عن كاهلها كل ما علق بها من تعاليم يفنة ، وتنفض عنها غبار الجهل والتخلف .

ارخ المؤلف لهذا التحول الذي اصاب العالم من وراء الكتابة والندوة والحكمة التي كان يجتمع لها جمال الدين ، ويعمل على ان تتغلغل في الاعماق .

لكن هل وقف جمال الدين بتعاليمه عند الازهر وحده ، ام هل اثر في مجالات اخرى غير هذا الازهر الذي انقسم شبابه حيال تعاليمه ؟؟ يقول المؤلف نقلا عن الاستاذ سليم عنحوري ، وكان اكثر لصوقا بالفيلسوف واعرف الناس بنظام حياته الخاصة : « انه كان يقطع بياض نهاره في داره ، حتى اذا ما جن الظلام خرج متوكئا على عصاه الى ملهى قرب الازبكية ، يدعى : «قهوة البوسطة» وجلس في صدر فئة تتالق حوله على هيئة نصف دائرة ، ينتظم في سمطها : اللغوي والشاعر والمنطقي والطبيب والكيماوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي ، فيتسابقون على القاء ادق المسائل عليه ، وبسط اغوص الاحاجي لديه ، فيحل اشكالها فردا فردا ، ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها واحدا واحدا بلسان عربي مبين ، لا يتلعثم ولا يتردد ، بل يتدفق كالسيل .. من قريحة لا تعرف الكلال ، فيدهش السامعين ، ويفحم السائلين ويبكم المعترضين ، ولا يدع هذا الشأن شأنه ، حتى يشتعل رأس الليل شيبا وترعى غزالة الصبح نرجس غزالة الظلم ، فيقفل الى داره بعد ان ينقد صاحب الملهى ، كلما يترتب له في ذمة الداخلين في عداد ذلك المجتمع الانيق . »

وقد انفضت ندوة جمال الدين بعد ما اثمرت هذا الثمر اليانع ، واعقبتها ندوة الاستاذ الامام محمد عبده ، الذي خلف استاذه في حمل لواء تعاليمه الكريمة ، ونهضته بالشرق ، ومحاربته الجمود الفكري الذي اقتلع جذوره السيد جمال الدين ..

وليس شك في ان تسجيل هذه الندوات التي قام باحصائها واثرها في الادب والفكر الاستاذ انور الجندي بالشيء المهم .. فكثير من الادباء كانوا يسمعون عن هذه الندوات ، وان كانوا قد لحظوا اثرها في جل ما كتب او سجل عنها طيلة قرنين او ثلاثة . والحق ان القاهرة قد شهدت عشرات الندوات والسهرات التي كانت تضرب اطنابها هنا وهناك في جنباتها ، يفوح منها عبير العلم كل ليلة ويشع منها نور العرفان ، فصالون «نازلي فاضل» كان يؤمه النوابغ ، وكانت قهوة «متاتيا» مجلسا لبعض رجال القلم ، كذلك كانت قهوة «جراسيمو» وقهوة استانبول و «الاسبلندديار» ...

وفي الحي الحسيني وجدت هذه النزعة مجالها في بعض مقاهي الحي الذي اطلق عليه : «لقب الحي اللاتيني» تشبها بما يطلق في باريس على الحي اللاتيني الذي يجاور «السوربون» و«الكوليج دي فرانس» و «البانثيون» ، فضلا عن اندية ادبية كان لها دوي ، واثر محمود في الادب والعلم ..

ولقد خص الاستاذ انور الجندي ، ندوة السيد البكري بالخرنفش بفصل من هذا الكتاب ، واشار الى المناقشات التي كانت تدور فيها ، والوفود التي تحج اليها عشية كل يوم ، وما كان لاصحابها : خلفا عن سلف من اثر في التوجيه الادبي ، والتطور الذي اصاب العمود الفكري في صميمه .

على ان الذي يدعو الى قراءة هذا الكتاب ، وضع كل ناد في موضعه ، وانفراده ببعض الميزات ، وطابعه الذي عرف به ، فقد كانت ندوة شيخ العروبة احمد باشا زكي على شاطىء النيل ، بجيزة الفسطاط ، يغلب عليها السماط الذي يشترك فيه كل من يحضرها ، وكانت ندوة احمد تيمور بالزمالك ، تتسم بروح الرعاية والمرح والنكات والنوادر ، وان كان صاحبها يجد بالتنقيب في الكتب ، ويغوص بين المخوطات ، كما كان صاحبه احمد زكي باشا ، وكانت هناك ندوة طلعت حرب ، وتاريخها معروف مشهور يقترن بالتحول الاقتصادي والحركة الوطنية المصرية ..

ووسط هذا التاريخ ، لم ينس الاستاذ المؤلف ، ندوتين من ندوات القاهرة كانتا قطبي الرحى ، ومداري التوجيه بين هذه الندوات ، هما:

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهمون في نشر الثقافة

ندوة الشاعر الراحل : السيد حسن القاباتي ، بداره بالسكرية بالقرب من باب زويلة ، تحت سور القاهرة القديم ، وندوة البابلي بالمعادي ، او بالسيدة زينب .. ولكن الذي يؤخذ على الاستاذ المؤلف، في ذكر ندوة القاباتي ، انه ذكر ان الشاعر حسن القاباتي ، هو الذي بدأ بالاجتماع فيها ، ولكني استطيع ان اجزم بأنني كنت من رواد هذه الندوة سنين عدة في عهد صاحبها الشاعر ... ولم أدرك انا ، ولم يدرك المؤلف نفسه ، عهد الشيخ مصطفى القاباتي ، المؤسس الاول لهذه الندوة ، التي اكملها السيد حسن في عصرنا الذي خرجنا فيه نسعى الى الاندية ، ونبحث عن الندوات .

اما دار البابلي ، فقد عمرت كثيرا ، وطار اسمها في كل مكان ، بما عرفت به من الفكاهات العذبة ، والنكات المستملحة ..

وهناك عشرات الاندية ، أرخ لها ، وابرز طابعها ، وما اتسمت به ، الاستاذ المؤلف،وان كان في هذا التاريخ كثيرا ما يعتمد على الصحف والدوريات التي كانت تسجل احداث هذه النوادي ، وتبرز حوادثها على حسب ما يهوى اصحابها ، او يشتهي الراندون منهم .. فلم ينصرف الناس عن مقهى «الحلمية» بموت الشاعر الهراوي ، وانما كان يفشاه: «الزين والاسمر وكثير من ادباء الجيل ، ويكفي ان يكون الشاعر الراحل عبدالله عفيفي في مقدمة من كانوا يزورون هذه الندوة صباح مساء وهو في طريقه الى عمله في قصر «عابدين» وكان الراحل الشاعر حسن القاباتي ، كثيرا ما يبعث بي الى هذا المقهى ، لاستطلع وجود هذا الشاعر وغيره من جلة الادباء ، ثم يصطحبني واياه في عربة «حنطور» الى ذلك المكان حيث نقضي شطر الليل الاول ، ثم نعود وقد اكتمل عقد ندوته بداره بالسكرية ..

والحق ، ان تعداد المؤلف لهذه الندوات ، يعد ضربا لم يسبق اليه كاتب من قبل سواء في القديم او الحديث ، لان جمع المادة التي يعمر بها المجلس ، واصطحاب الرواد ، وتناولهم هذا التناول الامين ، لا يتسير الا لعالم بمسالك هذه النوادي ، يلم الالمام الواسع بهذه الكتائب التي يهمها الغلب في الحديث ، والسبق في الرد والمجادلة ، وليس في مقدور اي كاتب ان يجمع هذا المتنافر على صعيد واحد ، وان اتفقت هذه الاندية في الغرض والاتجاه ، تمهل للادب ، وتفتن في النهوض به ، وتدعو الى التحليق حول موائده ..

وقد عقد الاستاذ الجندي ، فصلا ممتعا ، عن «الكتاب» ، وما كان يمثله القرن التاسع عشر ، وآراء كبار الكتاب فيه ، ثم ما كان عليه الازهر الذي كان يتغذى منه ، والازهر والجامعة القديمة ، والشخصيات التي اثرت في المجتمع «وعبت تعاليمها من هذا الجامع العتيد ،كالدكتور زكي مبارك ورأي الاستاذ العقاد فيه والدكتور طه حسين ومقالبه ومشاغباته مع اساتذته ودروس الشيخ المهدي ، والتجديد الذي دخل الازهر ، والصيحات التي علت ضد البغاء والمسكرات ، وتمثلت في الشيخ ابي العيون ، والدكتور احمد غلوش .

ولم يفت المؤلف ، ان يسجل الى جوار النواحي الادبية ، ومكاسبها ، النواحي الاقتصادية والتعاونية والطبية ، بارزة على يدي : عمر لطفي ، وعلي ابراهيم ومحجوب ثابت ، وابراهيم ناجي ، وعشرات غيرهم من الادباء الفلاسفة المتفننين غير ابواب شائقة ، تحرر للمحاماة، واثر كبارها ، والدعوة الى تحرير المرأة ودفاع قاسم امين ..

على ان الملفت للنظر حقا في هذا الكتاب ، انه بدىء بالتاريخ للادب ، واثر ندواته فيه ، وختمه صاحبه بالفن ، واثر المغنين الذين لعبوا دورا هاما في ميدان الموسيقى والغناء ، وما فعله الشعر في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ممثلا في البارودي وشوقي وحافظ ، فضلا عن شعراء الفكاهة والمداعبات الذين احتلوا من النفوس مركزا ، ومن القلوب مكانة : كعبدالحميد الديب ، ومحمد مصطفى همام ، وحسين شفيق المصري ، وبيرم التونسي ، وطاهر ابو فاشا..

غير ان الفصلين اللذين عقدهما المؤلف في هذا الكتاب بعنوان «رسائل الادباء» و «ذكريات الصحافة والطيران» يعدان بمثابة «الرقعة» او الحشو ، بجانب ابوابه الكثيرة المائعة .. وليس بنافع المؤلف الفاضل ، ان يدافع عن الاثبات بحجة استكمال التاريخ لهذه الحقبة .. فلقد كان يمكن ان يأتي بجديد في هذه الرسائل ، او ينشر ما وقع بين هؤلاء الادباء انفسهم من صراعات عادت بمكاسب على الادب ، وزادت من حصيلة الادباء .. والا ماذا يعني او يفيد من نشر رسالة وجهها احمد زكي الى شكيب ارسلان ، او من الانسة « مي » الى فريد وجدي، او من مصطفى لطفي المنفلوطي الى حسن انور الموسيقار .. او من الدكتور عبدالوهاب عزام الى ابنته ، او من محمد المويلحي الى سليم سركيس . وماذا يفيدني اذا علمت : ان عزيز خانكي قد عمل بالمحاماة، خمسين عاما ، وان الدكتور علي عبدالسلام خريج جامعة كمبردج ، الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة ، قد امضى عشر سنوات في مستشفى المجاذيب .

والواقع ان الاستاذ انور الجندي ، قد شعر بانه اثقل على القارىء ، وشق عليه بمطالعة هذين الفصلين ، او هما لا يعفيانه من اللوم ، او يأخذانه بجريدة ، فبادر الى سوق طائفة من احاديث الظرفاء والندماء الذين ترددت أسماؤهم كثيرا ولعبوا دورا هاما في مجالي الظرف والندامة ، ولكن نشر هذه الفكاهات ، لم يكن بالشيء الذي ينتظره الادباء من اديب كالجندي ، له مؤلفات عدة ، وابحاث مشرقة تدل على سعة اطلاعه ، واجتهاده في كثير من مجالات الآداب والفنون.. ودون ما شك ، فان رواية هذه النكات ، واثباتها على علاتها ، دون مناقشتها او ابداء الرأي فيها ، ليدل دلالة واضحة ، على ان المؤلف، يريد ان يضخم من صفحات الكتاب ، او يسلك نفسه في عداد الذين يمطرون المكتبة العربية كل عام بسيل جارف من المؤلفات ..

فحوادث هذه الحقبة التي حددها المؤلف ، لا يستعصى ارواؤها على ناشئة الادب ، وشداة البيان ، فاكثرها مثبوت مسطور في اكثر من كتاب ، واكثر من صحيفة ، ويحفظه عدد ضخم من الادباء ، وان كان للاستاذ الجندي العذر في اثبات هذه النوادر ، فهي ـ في نظره ـ تمثل قطاعا خاصا لفترة محددة الزمان والمكان ، وان كنت انا شخصيا لا اعفيه من اللوم .. اذ ليس من الصعب على رجل مثله ، شغل نفسه منذ سنين عدة بهذا الجانب الحيوي من التاريخ الادبي اللامع ، ان يأتي بجديد ، يحمد له في باب من ابواب الادب ، وينظر اليه الادباء على انه حسنة من حسنات الجندي أجهد نفسه وعقله في تقديمها خالصة لوجه الله والادب ..

ومن المطاعن التي وجهت الى هذا الكتاب الجليل ، واصبحت وصمة عار تلازمه ، الى ان يمضي فيه صاحبه برأي ، تلك الاخطاء اللغوية والنحوية التي لا يصح ان يخرج كتاب كهذا بها ... فمن اول صفحة الى اخر سطر ـ وما اكثر صفحات الكتاب ، وعدد سطوره ، تختال اخطاء مشهورة ، وتمسك بعيني المطالع ايا كانت ثقافته ، وحظه من العلم والثقافة ، غير تلك الاخطاء المطبعية التي طفت على حروف جل الكلمات ..

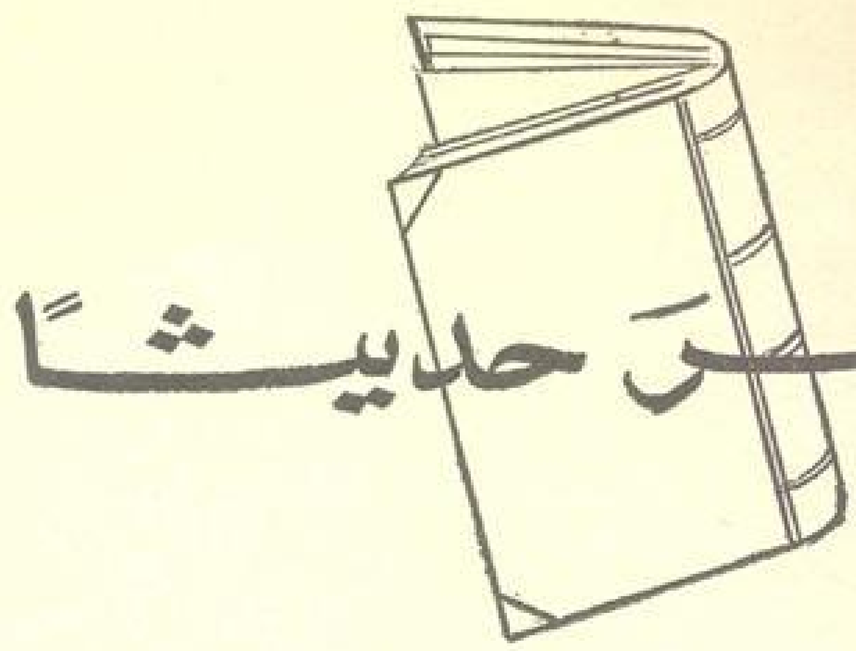
ومهما ابتدع الاستاذ الجندي من اعذار ، او اظهر من تواضع ، فلن يعفيه اي قارىء من هذه الكوارث التي لحقت بهذا الكتاب،فشوهت من خلقته ، واذبلت من يناعته ، وغضت من تيهه ودله ، ووقفت حجر عثرة امام شموخه واستطالته ..

على اني خدمة للادب ، اضع نفسي في مراجعة تجارب هذا الاثر الرائع ، ان اراد الاستاذ انور الجندي اعادة النظر في طباعته من جديد ، ولعلي لا اكون مفاليا ، اذا قلت : ان الاستاذ المؤلف لن يتأخر، او يتوانى او يهمل في هذا الرجاء الذي كان مجمع الرأي لكثير من الادباء .. فلعل ، وعسى ...

القاهرة

ابو طالب زيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● ليالي الرقمتين ـ مجموعة شعرية ـ امين نخلة ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ـ مطبعة المطبعة بجونية لبنان .

● حبات زمرد : دراسات وطرائف شرقية ـ تأليف شفيق معلوف ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابعوزارة الثقافة والارشادالقوميبدمشق.

● الغريبة ـ مجموعة قصصية ـ تأليف سلمى الحفار الكزبري ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة اطلس بدمشق ـ مطبعة الانشاء بدمشق.

● بقايا الغدران ـ مجموعة شعرية ـ احمد محمد آل خليفة ـ ١٣٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ المطبعة الشرقية بالبحرين .

● شعراء اليمن المعاصرون ـ تأليف هلال ناجي ـ ٢٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت.

● شلال الاسود ـ تأليف محمد الصباغ ـ طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة ـ ٨٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات دار الكشاف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الفجر الكاذب ـ قصص مغربية قصيرة ـ تأليف احمد عبد السلام البقالي ـ ١٣٢ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ منشورات دار الكشاف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ثورة الحسين : ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية ـ تأليف محمد مهدي شمس الدين ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت . (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الموقف العربي : محاولة لتطبيق مبدأ العلاقات ـ تأليف الدكتور خيرالله عصار ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة الاصلاح بحماه سورية .

● ديوان الناصري ـ جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبدالله الجبوري ـ الجزء الثاني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة العاني ببغداد .

● قل كلمتك وامش ـ تأليف كامل مروة ـ ٤٤٨ صفحة ـ منشورات جريدة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ترانيم الاطفال ـ تأليف المحامي عبدالقادر عياش ـ ٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة «تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات رقم ١٣ » ـ طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● هؤلاء خرجوا من القطيع ـ رواية ـ تأليف خضر نبوه ـ طبعة ثانية ـ ١٠٨ صفحة ـ مطابع دار الفندور ببيروت .

● ادب القصة في سورية : دراسة وتحليل لادب ٢٤ قاصا ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ صمم الغلاف نعيم اسماعيل ـ ٤٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي ـ مطبعة الايام بدمشق .

● الادب المسرحي في سورية : دراسة في المسرحية العربية السورية منذ ابي خليل القباني الى اليوم ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ مصمم الغلاف غازي الخالدي ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي ـ مطبعة الايام بدمشق .

● الموشحات الاندلسية : نشأتها وتطورها ـ تأليف سليم الحلو مدرس قواعد الموسيقى والغناء في المعهد الموسيقي الوطني ببيروت ـ تقديم الدكتور احسان عباس ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم موسوعي ـ مع نوطة موسيقية للموشحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● انسانية الغثران ـ مجموعة قصص ـ تأليف خضر نبوه ـ ١١٢ صفحة ـ مطابع دار الفندور ببيروت .

● الذين لا يبكون ـ مجموعة قصص ـ تأليف عايدة مطرجي ادريس ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اراء في الاصلاح التربوي ـ تأليف الدكتور عمر التومي الشيباني ـ ١٧٨ صفحة ـ الكتاب رقم ١ في سلسلة «الكتاب الليبي» ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ المطبعة الحكومية طرابلس ليبيا .

● سباعيات لرباعيات الخيام ـ ترجمها عن الانكليزية المهندس محمد جميل العقيلي ـ ٧٠ صفحة ـ مع النص الانكليزي ـ وعدة لوحات ـ مطبعة الاتحاد باللاذقية سورية .

● اغنية الميلاد ـ مجموعة شعرية ـ خالد زغبية ـ ٨٢ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حصاد الذكريات ـ مجموعة شعرية ـ عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد ـ تقديم محمد عبدالغني حسن ـ ٢٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة المحامي فتح‌الله صقال ـ ووزع هدية من مجلة «الكلمة» افرانها ونصرانها ـ مطبعة الضاد في حلب سورية .

● اللهب المقفى ـ مجموعة شعرية ـ حافظ جميل ـ تقديم السيد منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي الاسبق ـ مصمم الغلاف جميل حمودي ـ ٢٠٠ صفحة ـ الكتاب الاول في سلسلة «ديوان الشعر العربي الحديث» ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الجمهورية ببغداد .

● انا من الشرق ـ قصة طويلة ـ تأليف ابريزا المعوشي ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● الزوجة الفنية ـ مسرحية ذات ثلاثة فصول ـ تأليف دنيا مروة ـ ٨٠ صفحة ـ منشوراتدار الكتابالجديد ـ مطابعمعتوقاخوان ببيروت.

● نبضات قلب ـ شعر ـ محمد حسين آل ياسين ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● كمشة حلا ـ مجموعة من الشعر العامي اللبناني ـ جوزيف غصين ـ تقديم سعيد عقل باللغة العامية ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات لبنان ـ مطابع فؤاد بيبان وشركاه في جونية لبنان .

● اشواق صغيرة ـ مجموعة شعرية ـ علي محمد الرقيعي ـ ٦٨ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب في ليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس ليبيا .

● نبذة عن تاريخ تأثير الطب العربي على اوروبا ـ تأليف بيتر باخمان ـ ١٦ صفحة ـ منشورات المعهد الثقافي الالماني في طرابلس لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة الأديب في شهر



الجدية في العمل خلال احد عشر شهرا

من كانون الثاني الى تشرين الثاني ١٩٦٦ ، احد عشر شهرا مرت حافلة ، خاصة في حقل التجهيز.ويبدو واضحا ان التجهيز المائي هو القطاع الاساسي الواجب تقديمه .وهكذا كان ان وصلت المياه الى ١٢٩ قرية خلال العام ١٩٦٦.ومن المقرر الا يبقى في عام ١٩٦٨ قرية واحدة في لبنان دون كهرباء.

وتجدر الاشارة الى ان المشاريع الملزمة من كانون الثاني حتى تشرين الثاني ١٩٦٦ ، تبلغ قيمتها ٧،٥٢٢،٣٨٨ ليرة لبنانية ، (منها ٥،٩١٠،٤١٤ لمياه الشرب ، و ١،٦١١،٩٧٤ للري). وثمة مشاريع ستلزم حتىنهاية العام الجاريتبلغ قيمتها ٤٤،٢٩٣،٠٠٠ ليرة (منها ٢،٢٤٧،٠٠٠ لمياه الشرب و ٢،٠٤٦،٠٠٠ للري) .

والغاية من ذلك ليست تامين المياه لكل مواطن وحسب ، بل ينبغي في الوقت نفسه ، تحسين الزراعة . ويبدو ان من الواجب ارواء مساحات جديدة من الارض دون اللجوء الى انشاء بحيرات اصطناعية. وفي عام ١٩٦٧ يبدأ ري ٣٠٠،٠٠٠ دونم في البقاع والجنوب وجبل لبنان من مياه الليطاني .

على ان اعمال الحفر تسترعي ، اكثر فاكثر ، اهتمام الدوائر الفنية.وقد كشف التنقيب عن وجود خزانات واسعة من المياه الجوفية في شكا وزغرتا .والمهندسون متفائلون كذلك بنتائج الاعمال الجارية في سهل عكار ، على الرغم من عدم ظهور نتيجة ايجابية حتى الان . الا ان البحيرات الاصطناعية هي قيد التنفيذ ، وستتيح ارواء مساحات واسعة لم تستثمر بعد .

وفضلا عن ذلك ، هناك دراسة عامة لمياه لبنان قيد الاعداد .وهي تستهدف الافادة الى اقصى حد من المياه للري ، وكذلك تفادي بعض الفيضانات الموسمية .وقد تم تلزيم مشروع نهر ابو علي في ١٢ ايار ١٩٦٦ وتجري الاعمال فيه على مدى ٢٤ شهرا .والغاية منه هي تنظيم المجرى وضبطه لتلافي الفيضانات المفجعة التي تغمر المناطق المحيطة به.

والمبالغ المرصدة له موزعة كما يلي : الاستملاكات المخصص لها مبلغ اربعة ملايين ليرة قد بلغت ٣،٢٦١،٨٦٩ ليرة ، انفق منها ٢،١٢٦،٨٢٨ ليرة في عام ١٩٦٦ ، و٢.٠ مليون ليرة مخصصة لاعمال تقويم المجرى . وقد انفق مبلغ ٣،٨٠٩،٨٩٩ ليرة ، خلال العام الجاري الذي شهد بداية الاعمال المقرر انتهاؤها سنة ١٩٦٨ .

اما مشروع نهر بيروت الذي يستهدف ناحيتين معا ، الاولى صحية والثانية تنظيمية ، فتقدر اكلاف اعماله بعشرين مليون ليرة . وستبدأ هذه الاعمال في مطلع عام ١٩٦٧ المقبل. وسيكون دفتر الشروط جاهزا في كانون الاول ١٩٦٦ . وفضلا عن حفر الاقنية ، يقضي المشروع بانشاء شوارع على طول الضفتين ، وايجاد طريق دولي يتصل بمرفأ بيروت ، واقامة اعمال فنية ، وخاصة مقسمات وتقاطعات تسهل حركة السير.

اما التجهيز الكهربائي الريفي فهو قيد الانجاز . وخلال عام ١٩٦٦ الجاري ، وصلت الكهرباء الى ٣٢٠ قرية في مختلف المناطق ، اي بمعدل قرية تقريبا كل يوم.وقد بلغ مجموع انتاج لبنان هذا العام ٨٦٠ مليون كيلوات ساعة.ومع تضاعف الانتاج في السنوات الست المقبلة ، سيبلغ في سنة ١٩٧٢ مليارا و ٧٠٠ مليون كيلوات ساعة ، وفي سنة ١٩٧٨ يرتفع الى ثلاثة مليارات ونصف مليار كيلوات ساعة .

ومن اجل زيادة انتاج الطاقة الكهربائية بدأت الاشغال في معمل الجية الحراري وسيكلف ٥٧ مليون ليرة لبنانية ، وكذلك بدأ العمل في محطة جون المائية المقدرة اكلافها بمبلغ ٤٢ مليون ليرة . وعلى نهر الليطاني بدأ حفر القناة الرئيسية لجر المياه .

وفضلا عن ذلك ، هناك ثمانية مراكز بقوة ١٥/٦٦ كيلوات ساعة (رفعت الى ١١ بواسطة المحولات) قد انجزت في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٦ . ومدت خطوط بقوة ١٥ كيلوات الى بعض القرى .

وفي ما يلي جدول بالمنجزات :

	بداية العمل	انتهاء العمل	اهمية العمل
اللبوة	١٥-١٠-٦٤	٣٠-٦-٦٦	٧٠كلم - ٢٧ مركزا
عنجر - جنين - مركبا	٢٥-١٠-٦٤	٢٥-٥-٦٦	٨٠كلم - ١٢١ مركزا
مرجعيون - صيدا	٢٠-١٠-٦٤	٣٠-٥-٦٦	٨٠كلم - ٣٤ مركزا
مرجعيون - النبطية - الجنوب	٣ -١١-٦٤	٢٠-٥-٦٦	٣٣كلم - ١٥ مركزا
جبل لبنان	١٠-١١-٦٤	١٠-٣-٦٦	٢٤كلم - ٢٢ مركزا

اما شبكة المواصلات فهي تتحسن وتتسع باطراد . فالاعمال في مرفأي بيروت وجونية قد انجزت او هي على وشك الانجاز . وزود مرفأ طرابلس باربعة مستودعات وكذلك برافعات ومقطورات .

وينتهي العمل في الحوض الثالث من مرفأ بيروت في نهاية السنة. وتقدر قيمة التجهيزات التي سيزود بها بمبلغ ٢٢ مليون ليرة . اما الانشاءات الاخرى (الارصفة والاهراءات) فتنجز قبل نهاية العام . وكان قد انجز تجهيز مقعر لجر السفن في شهر آب الماضي .

وهناك سياسة عامة للموانىء قيد الاعداد ، من اجل استثمار المرافىء اللبنانية على خير وجه ، في مجالات السياحة ، وصيد الاسماك ، والتجارة .وكذلك يدرس الان مشروع يرمي الى انشاء حوض رابع في مرفأ بيروت . ولهذه المناسبة ليس من المستبعد التفكير في توسيع مرفأ طرابلس .

ومن جهة ثانية قدمت جملة مشاريع لتعزيز وسائل النقل البحري. وقد انجز الجسر P2 والجسر P3 في ٣١ اذار ١٩٦٦ . وفي بداية ١٩٦٧ يكون اوتوستراد جونية - المعاملتين - طبرجة قد انجز .

وفي نطاق السياسة الرامية الى تعميم الطرق ، انفق مبلغ ٧،٨٠٩،٦٨٧ ليرة لبنانية من مشروع الاربعة والثمانين مليون ليرة لشق طرق الى القرى المحرومة من سبل المواصلات .

ويتابع مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى ، درس مشروع يتعلق بانشاء خط سريع للشاحنات بين بيروت ودمشق ، وخاصة بين بيروت وشتورة .وهذا الطريق سيمر في نفق او عدة انفاق ، ويكون صالحا للسير صيفا شتاء .وكذلك الطريق الساحلي الذي يصل صيدا بطرابلس هو قيد الدرس .

وتجدر الاشارة ، في ما يتعلق بالمواصلات داخل العاصمة ، الى ان خطوط الاوتوبيس قد اصبحت تخدم المناطق الرئيسية من مدينة بيروت .

اما الاتصالات الهاتفية ، فقد تم تلزيم ٢٤،٥٠٠ خط جديد للعاصمة ، وركب منها ٣٢٠٠ خط .وبعدما عمم الهاتف الالي على زحلة وبعبدا ارتفع عدد المشتركين فيه الى ٨٥ بالمئة .وهناك مشروع معجل بتركيب ٥،٠٠٠ خط جديد معروض على مجلس النواب .

واستعمال «التلكس» يبدو ضروريا اكثر فاكثر.وقد كان هذا الجهاز الذي انشىء عام ١٩٦٢ يملك ١٠٠ خط ، مع امكان زيادتها الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٢٠ خطا. ويبلغ مجموع الاتصالات المقدرة للسنة الجارية ٦٠٠،٠٠٠ دقيقة .وهناك الان قيد التنزيم مشروع يقضي بتجهيز الف خط جديد. ويدرس كذلك امر استخدام الكواكب الاصطناعية والخطوط تحت الماء.

وفي حقل النقل الجوي ، سجل مطار بيروت الدولي زيادة بلغت نسبتها ١٣ بالمئة في حركة الركاب ، و ١٣ بالمئة في حركة الشحن . وفي ما يلي بيان ذلك بالارقام :

	المسافرون	الحمولة بالطن	البريد
١٩٦٦ (المقدر)	١،٣٥٩،٠٠٠	٣٤،٠٠٠	١٤٤٠٠ (٢٥،٤٠٠)
١٩٦٥	١،١٩٥،٩١٨	٣٠،٣٦١	١٤.٦٩
الفرق	١٦٣،٠٢٢	٣،٦٣٩	٣٣
الزيادة	١٣ بالمئة .		

وكان مطار بيروت موضع سلسلة من التحسينات واعمال التوسيع خلال عام ١٩٦٦ . وكان من نتيجة انتهاء القسم الاول من الابنية ومن منشآت الطيران المدني ، ان زادت المساحة ١٥٠٠ متر مربع .وسيضاعف انجاز القسم الثاني من هذه المساحة .

وقد زيدت مساحة الابنية المخصصة لمراقبة نقل البضائع من ٤٠،٠٠٠ متر مربع الى ١٠،٥٠٠ متر مربع .وقد جهزت بآلات مبردة لحفظ البضائع . وانشئت فيه صالة جديدة لاستقبال السياح تبلغ مساحتها ٢٠٩٠٠ متر مربع ، اي اربعة اضعاف مساحة الصالة السابقة. وهي مزودة باحدث التجهيزات الفنية والوسائل التي تتيح للمسافر الانتقال بسهولة .وسيؤمن بساط متحرك توزيع الحقائب .

والى هذه الاعمال المهمة ، تضاف اعمال اخرى في الحقل الزراعي . وقد وزع المشروع الاخضر ٦٠٠،٠٠٠ غرسة ، وساهم في استصلاح ١٥٠،٠٠٠ دونم من الارض .وبلغ مجموع المساعدات المالية للمزارعين ٣ ملايين ليرة لبنانية .

واتسع هذه السنة نطاق اعمال التحريج في الجبال اللبنانية الى مساحات جديدة بحيث انها ستبلغ ٢٥٠٠ دونم حتى نهاية العام الجاري، خاصة في مناطق الباروك والكنيسة وراس بعلبك وهركبا والارز.ولقد اتضح ان هناك اكثر من مليوني دونم هي قابلة للتحريج.ويقدر مجموع اكلاف هذا العمل بمبلغ ١٥ مليون ليرة .وهناك اقتراح قيد الدرس يرمي الى ابدال الماعز بالغنم والبقر لحماية الاحراج .

واخيرا ، انطلقت في لبنان بداية حملة واسعة النطاق ،تستهدف القضاء على زراعة الحشيشة المخدرة ، والاستعاضة عنها بزراعة اخرى اكثر فائدة .وكانت هذه السنة سنة تجربة .وستمتد زراعة دوار الشمس في عام ١٩٦٧ على مساحة ١٥٠،٠٠٠ دونم ، وستتخذ تدابير لتأمين دخل للمزارع لا يقل عن ١٢ ليرة في الدونم .

اما في حقل التعليم والتربية ، فقد كان التجهيز موضع اصلاحات عدة .من ذلك ان البرامج قد عدلت بحيث تؤمن تخريج ٢٨٠٠ فني في العام بدلا من ٣٥٠ يتخرجون حاليا من المدارس المهنية ، اي بزيادة ثمانية اضعاف .

وفضلا عن ذلك ، عين ١٢٠٠ استاذ للتعليم الثانوي . وسيبدا العمل في بناء كلية العلوم في الجامعة اللبنانية في شهر اذار ١٩٦٧ . ومن المتوقع ان تفتح هذه الكلية ابوابها لاستقبال الطلاب في تشرين الثاني ١٩٦٨ .

وعلى صعيد الاسكان ، ان دفعة اولى تتناول بناء ١٨٠٠ مسكن شعبي ، سيبدأ العمل بها في مطلع عام ١٩٦٧ ، في الحدث وفي صور . وكذلك تجري الاستملاكات حاليا ، للدفعة الثانية ، وهي تتناول انشاء ٢٢٠٠ مسكن في المكلس وفي صيدا .

والضمان الاجتماعي لا ينفك يتسع نطاقه . وقد بلغ عدد المسجلين في صندوق الضمان حتى الان ١٦٣،٠٠٠ عامل . و ٦٥،٠٠٠ يتقاضون تعويضاتهم العائلية . وبلغ مجموع ما تقاضاه الاجراء من هذه التعويضات، بين اول تشرين الثاني ١٩٦٥ (وهو تاريخ بدء العمل بهذا الفرع) و ٣١ آب ١٩٦٦ ، سبعة ملايين و ٥٣٧،٣٦٣ ليرة لبنانية ، اي بمعدل شهري مقداره ٧٥٣،٧٣٦ ليرة .

وفي مجال السياسة الصحية العامة ، اعدت دفاتر شروط (المستشفيات والمستوصفات الصحية) ضمن نطاق الاعتمادات المرصدة في مشروع الـ ٢٧٢ مليون ليرة ، ومقدارها ٤٨،٦٠٠،٠٠٠ ليرة ، وهي مخصصة للنهوض بالمستوى الصحي .

اما انشاءات معرض لبنان الدولي في طرابلس ، فقد انجز منها ٦٠ بالمئة . وتبقى هناك الدراسات الاضافية للطرق والمداخل والحدائق. وينتهي العمل في البناء الرئيسي خلال السنة . ومنذ الان تجري اتصالات مع مؤسسة روكفلر لاستخدام خبير فني في تنظيم المعرض واستثماره .ومن المقرر ان تنجز جميع التجهيزات الفوقية والتحتية خلال عام ١٩٦٩ .

وثمة العديد من مشاريع التجميل المدني قيد التنفيذ . وستنجز مشاريع مدينة جونية في ٣٠ كانون الاول ١٩٦٦ . اما مشاريع مدينة بيروت فهي كثيرة ، وبعضها قد انجز : منها المدخل الشرقي الذي كلف ١١ مليون ليرة ، والمسلخ الحديث وبلغت اكلافه ٨ ملايين ، وشارع الرئيس فؤاد شهاب الذي فتح للسير جزئيا ، وقد كلف ١٢ مليون ليرة .

وهناك حدائق عامة فتحت للجمهور ، في برج ابي حيدر والمدور والرميل ، وتبلغ مساحتها ١٥٠،٠٠٠ متر مربع . وثمة مشاريع اخرى ينتهي العمل فيها قريبا.منها حديقة المصيطبة (مساحتها ٤٦٠٠ متر مربع) ، (واكلافها ١،٢٠٠،٠٠٠ ليرة) ، وصلة التباريس ، مار نقولا التي يبلغ طولها ٦٥٠ مترا ، وعرضها ٢٠ مترا ، وقد بلغت اكلافها



تدشين المعمل الحراري بالجيه

مشهد للعمل في الحوض الثالث

٥ ملايين ليرة.ووصلة شارع بشارة الخوري ـ البسطة التي بلغت اكلافها ٢،٥٠٠،٠٠٠ ليرة ، ومشروع الصنائع ـ الاونسكو (انجاز شارع ليون نحو البحر) .

واخيرا هناك عدة مشاريع ستلزم قبل نهاية عام ١٩٦٦ ، وهي : الحديقة العامة في السيوفي ، حديقة حرج الصنوبر ، جسر المدخل الشرقي ، وصلة الطيونة ، قصر العدل ، وصلة قصر العدل ـ فرن الشباك ، وصلة شارع الشام ـ شارع اديب اسحق .

وقد وضع مخطط لتنمية صيد السمك ، يستهدف جعل السمك اكلة شعبية ، والحد من استيراد اللحوم ، ورفع مستوى حياة صيادي الاسماك . ويرمي المشروع الى جعل الانتاج يتزايد تدريجيا حتى ٢٥ الف طن ، وجعل الاستهلاك المحلي يرتفع الى ١٢ كيلوغراما للشخص . وتحقيقا لهذه الغاية ستنشأ مدرسة للتدريب على الصيد في البترون، وستجري ابحاث بحرية في عرض الشاطىء اللبناني الذي سيشهد ازدهار صناعة صيد الاسماك .

وعرف الحرير نموا سريعا في السنوات الاخيرة . وقد وافق مجلس الوزراء على خطة لتنمية تربية دودة الحرير على مدى ١٥ سنة، الامر الذي يتيح للبنان ان يصبح سادس بلد منتج للحرير في العالم . فضلا عن ذلك ، فقد بدأ مصنع كفرشيما يعمل وتبلغ طاقة الخانق ١٣٠ الى ١٤٠ الف كيلوغرام في السنة.اما طاقة الغزل فتبلغ ١١٠ الاف كيلوغرام ، بمعدل ٨ ساعات عمل في اليوم . والى جانب التجهيزات القائمة حاليا ، يمكن اقامة وحدة ثانية من الالات .

والقطاع السياحي يتطور تطورا سريعا ، وهو في وضع سليم . ويبلغ معدل الزيادة ٢٠ بالمئة سنويا ، و ٩٥ بالمئة من اراء السياح وانطباعاتهم عن لبنان هي مشجعة .واكثر ما يسترعي اهتمام الاوروبيين والاميركيين ، هي المواقع الرئيسية .

امة في العمل ، ذلك هو المشهد الذي يريد لبنان ان يعطيه عام ١٩٦٦ . والواقع ان ما يجب ان يدركه كل مواطن ، هو قيمة الوحدة الوطنية الحق ، وسلامة الاقتصاد . ومن هنا يبدو بناء لبنان الحديث في نظر المواطن من الاهمية بمقدار ما يدرك ان النجاح هو رهن ، على الاخص ، بعمله اليومي الدائب الصبور .

●

تطوير صناعة الادوية في لبنان

لقد اثبتت التجارب في البلدان النامية ، وخاصة في البلدان التي لا تملك الثروة الطبيعية القادرة على تامين المداخيل الدائمة المستمرة ، ان الصناعات المتخصصة هي في طليعة الوسائل الكفيلة بتامين الازدهار الاقتصادي والنمو المتزايد في الدخل الوطني والفردي . من هنا ان صناعة الادوية الناشئة في لبنان جديرة باهتمام المسؤولين الذين يتعين ان يوجهوا القطاع الخاص في سبيل توظيف الاموال وانماء هذه الصناعة بحيث تصبح موردا حيويا من موارد البلاد .

فقد نشأت هذه الصناعة في لبنان سنة ١٩٥٦ ، واصبحت تضم اليوم عددا من المصانع التي تمكنت مع قلة عددها ، وضآلة الاموال الموظفة فيها ، وحجم انتاجها ان تؤدي عملها بنجاح ، وتغطي بعض حاجات السوق المحلية .

والمعروف ان لبنان يستورد سنويا بما لا يقل عن ٢٥ مليون ليرة لبنانية من الادوية المختلفة لحاجات الطب البشري والبيطري ، في الوقت الذي لا يصدر فيه اي مادة من هذه الموارد والمستحضرات . ويمكن القول ان هنالك امكانيات واسعة لتطوير صناعة الادوية اللبنانية بحيث تتمكن من تخفيض الاستيراد وحصره ببعض المستحضرات والعقاقير التي تخصص في صنعها فريق سباق الى الكشوف العلمية والتجربة الصيدلية من المختبرات العالمية الكبرى ، كما تتمكن في الوقت نفسه من سد حاجات متزايدة في الاسواق العربية والاسواق الافريقية والاسيوية عامة .

الناحية الفنية :

اما من الناحية الفنية ، فاول ما يتبادر الى الذهن هو تامين الموارد الاولية لهذه الصناعة ، وهنا لا بد من الاشارة الى انه ليس من بلد منتج للادوية في العالم يمكنه الاكتفاء بموارده الاولية الخاصة لتطور صناعته ، فمن الضروري اذن استيراد المواد الاولية من الخارج، وهو متيسر في اي وقت من الاوقات ، كما يمكن استكمال الحاجة الى تلك المواد باستعمال ما تيسر منها في السوق المحلية ، وهو وان كان ضئيلا يساعد على صناعة بعض الاصناف .والجدير بالذكر ان تطوير الصناعات الكيميائية للنفط في بعض البلدان الشرقية المنتجة للبترول من شانه ان يؤمن طائفة لا يستهان بها من المواد الاولية لصناعة الادوية.

هذا في ما يتعلق بالمواد الاولية ، اما الاختصاص البشري ،فاعتقد انه متوفر جزئيا في الوقت الحاضر ، فمعظم اطبائنا وصيادلتنا يتخصصون في المعاهد والجامعات العالمية الكبرى ، ويقومون بدورات تدريبية وتجريبية في المراكز الصحية والمختبرات الكبرى ، وسيكون في وسعهم ان يدخلوا الاصناف الجديدة من الادوية التي تلائم طبيعة بلادنا واهلها ومناخها ، كما تلائم المحيط وامراضه الخاصة ومشكلاته الطبية المختلفة ، فضلا عن ان انشاء المصانع الجديدة ومساندة هذا الانتاج سيحفز الاجيال الطالعة من الاطباء والصيادلة على التوجه في خط معين من الاختصاص ويجعلهم اقدر على تامين حاجة المصانع الوطنية الى الجهاز الفني والبشري اللازم .

الناحية الاقتصادية :

واما على الصعيد الاقتصادي ، فتجدر الاشارة الى ان اسعار الادوية تضاعف لدى بيعها للمستهلك اللبناني ، باعتبار ما يتعين من ارباح لتجار الجملة والصيدليات ، وباعتبار ما يتعين من نفقات النقل والتامين الى آخر ما هنالك من رسوم وخلافه . وفي هذا التلميح ما يغني عن التصريح بان تطوير الصناعة الوطنية للادوية لا يخفض فقط حجم الادوية المستوردة بنسبة كبيرة ، انما يؤدي في الوقت نفسه الى تخفيف الاعباء عن كاهل المستهلك ، ويساهم بالتالي في حصر وازالة مشكلة اجتماعية ما تزال تشغل المسؤولين في الاجهزة المختلفة وتحرك الرأي العام ، واعني بها مشكلة الدواء .

ويمكن مراجعة الجداول المثبتة في ذيل هذا البيان لمعرفة حجم الادوية المستوردة وما تبلغ اسعارها سنويا ، (سعر الاستلام في مرفأ بيروت ، اي نصف سعر البيع بالمفرق على وجه التقريب) .

ولا ريب في ان تطوير هذه الصناعة ، سيلقى التأييد من جهة ثانية ، في الاوساط العربية كافة ، باعتبار ان العالم العربي يستورد الدواء باسعار باهظة من العالمين الاوروبي والاميركي ، وسيجد في الانتاج اللبناني وسيلة ناجعة لسد حاجاته المتزايدة من اصناف الادوية بالسرعة المطلوبة والاسعار الملائمة .هذا مع العلم ان انتاج الادوية يكاد يكون منعدما في معظم البلدان العربية ، وحتى في معظم البلدان الاسيوية والافريقية .

هذا ، ويتعين اول الامر ان يستعين لبنان بالشركات العالمية المتخصصة في انتاج الادوية من امثال «فروست» وغيرها ، فتشارك هذه المؤسسات الكبرى في تامين المصانع اللبنانية للمستحضرات الطبية والكيميائية ، وتؤمن للبنان عن طريق مشاركتها منافع متعددة اهمها :

١ ـ المراقبة العلمية والفنية الدقيقة ، وبالتالي الجودة والفعالية للدواء .

٢ ـ ان اقتران الاسماء العالمية الكبرى باسماء الشركات اللبنانية، يكسب صناعتنا الناشئة ثقة في السوق المحلية والعالم العربي ويسهل

تصريـف الانتـاج .

٣ ـ الاستفادة من اجهزة التوزيع والدعاية والتسهيلات المصرفية وغيرها من الامور التي تحصل عليها الشركات العالمية بمختصر الوسائل.

والواقع ان المؤسسات اللبنانية التي نشأت حتى الان في نطاق صناعة الادوية قد استعانت بشركات عالمية كما هو مبين في الجـدول ادناه ، وبدأت تعطي نتائجمرضية، سواء في جودة الانتاج او في تصريفه.

واننا اذ نلفت المسؤولين والقطاع الخاص الى اهمية هذه الصناعة وتطويرها انما نعمل بدافع من ايماننا بالقدرة اللبنانية علـى مجـاراة التطور الصناعي والاقتصادي في العالم ، هادفين بوحي فخامة رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو الى تأمين المزيد من المداخيل الثابـتة التي يرتكز عليها الاقتصاد الوطني في سبيل مستقبل افضل .

ادوية للطب البشري او البيطري

	الاستيراد : الكمية كلغ	القيمة ل.ل	التصدير :الكمية	القيمة
١٩٦٢	٣،٥١٣،٢١٣	١٤،٢٧٩،٣٧١	٢٧،٦٧٤	٤١٣،٩٧٩
١٩٦٣	١،٢٨١،٥٦٣	١٧،٩٥٦،٤٩٨	١٩،٣٨٧	٢١١،٨٣٨
١٩٦٤	١،٢٥٨،٤١٨	١٨،٦٩٠،٧٠٠	٦٣،٨٠٣	٥٧٥،٥٥٠

معلومات عن معامل الادوية في لبنان

الجمهورية اللبنانية ـ وزارة الإقتصاد الوطني ـ مصلحة الصناعة

اسم المؤسسة	موقعها وعنوانها	تاريخ التاسيس	الرأسمال	عدد العمال	الاصناف المنتجة
شركة صناعة الادوية للشرق الاوسط (مفيكـــو)	الجمـهور هاتـف ٥٥١.٧٧	١٩٥٦	١	١١٠	مواد صيدلانية ـ مستحضرات طبية
شارل اي فروست وشركاه	ذوق مصبح هاتف ٩٣٠٣٧٠	١٩٦١	١	٤٩	مواد مبيدة للحشرات . مستحضرات طبية
شركـــة سيـرلايـــز	بيروت شارع عبد العزيـــز هاتـف ٢٥٧٧٣٦	١٩٦٥	٢	٢٨	مستحضرات صيدلانية . مستحضرات طبية .
		المجموع	٤	١٨٧	

يوجد بعض المختبرات التي تنتج بعض الامصال الطبية يبلغ رأسما لها حوالي ٥٠٠ الف ليرة لبنانية وعدد عمالها حوالي (٢٠) عاملا .

احسان بيضون

بيـروت عاصمـة المصـارف

لا جدال في ان بيروت قد اصبحت اليوم عاصمة المصارف في الشرق الاوسط ، وتجدر الاشارة الى ان عدد المصارف المعترف بها من قبـل الدولة قد ارتفع من سبعة عام ١٩٤٥ الى اربعين في بداية عام ١٩٦٠ والى ٩١ خلال عام ١٩٦٦ ، وانه لازدياد فريد من نوعه لا يقل شانـا عن تنوع الجنسية ، اذ ان هناك اولا المؤسسات اللبنانية والمؤسســات المختلطة «لبنانية واجنبية» كما ان هناك من جهة ثانية المصارف العربية، العراقية والسعودية والاردنية والمصرية والتونسية والكويتية ، بالاضافة الى المصارف الافرنسية والاميركية والايطالية والسويسرية والهولندية والباكستانية والالمانية والسوفياتية والايرانية والكندية .

عوامـل النهضـة الستـة :

هناك ستة عوامل رئيسية حققت هذه النهضة المدهشة في القطاع المصرفي وهـي التاليـة :

١ ـ موقع بيروت الجغرافي وهي مرفأ لبنان وسوريـا وبغـداد وطهران وكابول مما جعل العاصمة اللبنانية نقطة التقاء للتجارةالدولية في هذه البقعة من العالم .

٢ ـ حرية القطع التي وجدت منذ عام ١٩٤٨ اذ ان لبنان هـو البلد الوحيد في الشرق الاوسط الذيتتوفر فيه حرية شراء العملات الاجنبيةوبيعها والذي ليسفيه أي عائق يحول دون حركة رؤوسالاموال.

٣ ـ استقرار الليرة اللبنانية الناجم عن سياسة مالية سليمة من حيث توازن الموازنة من جهة وتوازن ميزان المدفوعات من جهة اخرى .

٤ ـ سياسة استقرار القطع التي اتبعت منذ عام ١٩٥٣ وهـي السياسة التي اسهمت الى حد بعيد في ايجاد جو من الثقة فيما بين راسالمال اللبناني والاجنبي ، وقد حالت هذه السياسة دون التقلب العنيف في العملات الاجنبية اذ ان الدولار بعد ان طرأت عليه تقلبـات عديدة ومتواصلة ، عاد واستقر سعره على ٣.٨ غروش لبنانية وهـو السعر الرسمي الذي وضعه مصرف لبنان عام ١٩٦٥ ، وذلك بعـد ان كان سعره يتراوح ما بين «٣١٥ و ٣٢٠ غرشا لبنانيا» .

وهكذا يشعر رجال المال بالطمانينة من حيث السياسة النقدية التي تشجع على توظيف الاموال والادخار ، يضاف الى ذلك انعدام اي عائق يحول دون حركة رؤوس الاموال سواء كان ذلك في الدخول ام الخروج.

٥ ـ اسهمت التقلبات التي طرأت على بعض البلدان في تدعيم طابع بيروت الوحيد كعاصمة المصارف .

٦ ـ السرية المصرفية التي انشئت بموجب القانون الصـادر بتاريخ ٣ ايلول ١٩٥٦ مما عزز وضع بيروت الممتاز وكانت الغاية من تحقيق هذه السرية اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية مقابل ضمانـات تتعدى حدود التقاليد المهنية .

كيف تتم حماية زبائن المصرف اللبنانـي ؟

لقد نصت المادة الثانية من قانون ١٩٥٦ على ما يلي : « يحظر على كل مدير او موظف مصرف او الاشخاص الذين يطلعون بحكم وظائفهم على المعاملات المصرفية والمراسلات ان يذيعوا ما يعلمون عن اسمـاء الزبائن وممتلكاتهم او عما يعنيهم وذلك لاي كان ، فردا ام سلطة عامة ، ادارية عسكرية ام قضائية ، الا في حالة تفويض صادر عـن الشخص المعنى او في حالة نزاع حول احدى العمليات المصرفية فيما بيـن المصارف وزبائنهـا ».

ويعاقب في لبنان كل من ينتهك حرية السرية المصرفية بالسجـن من ثلاثة اشهر الى سنة واحدة .ويجدر التوقف عند هذا التشريعالذي يعتمده عدد ضئيل من البلدان فيما عدا لبنان وقد كتب في هذا الصدد

الاستاذ «فابيا» الاستاذ في معهد الحقوق والعلوم الاقتصادية في بيروت ما يلي :

«ان ذلك ناتج عن الرغبة في ان يفيد لبنان من كونه ملجأ للممتلكات الاجنبية وذلك بفضل استقراره الداخلي وتفهم حكومته للحرية وضآلة ضرائب الدخل لمصادر متعددة وانعدام الحواجز التي تحول دون حرية استيراد رؤوس الاموال وتصديرها ، ويضيف الاستاذ فابيا قائلا : وقد استعمل هذا الملجأ على نطاق واسع ، عدد من مواطني البلدان الشرقية المجاورة والقريبة وقد رغبوا في ان يصفوا قسما من ثروتهم بعيدا عن السياسة ، وقد حقق هذا القانون اقصى ما يمكن تحقيقه من السرية لكافة العمليات وذلك بالنسبة للاشخاص والسلطات على حد سواء .

الخدمات المتعددة التي تؤمنها المصارف :

ما هي الخدمات التي تؤمنها مصارف بيروت لزبائنها ؟ ان هذه المصارف في الدرجة الاولى ، مصارف معدة لاستقبال الودائع وقد بلغ مجموع هذه الودائع اربعة مليارات ليرة لبنانية «مقابل ١٦٦ مليون عام ١٩٤٣ اي العام الذي شهد استقلال البلاد».

وتدفع المصارف في مجموعتها ، فوائد لاصحاب هذه الودائع بنسبة ٢ بالمئة اما فوائد حسابات الادخار فتبلغ ٤ بالمئة بينما ترتفع هذه الفوائد الى ٥ بالمئة وذلك في بعض الحالات الاستثنائية وهذه هي بعض الاحصاءات :

- تبلغ حاليا حسابات الادخار : ٨٠٠ مليون ليرة تقريبا .
- حسابات الشيكات : ٦٥٠ مليون ليرة تقريبا .
- الحسابات الجارية : ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية .
- الودائع لآجال محددة : ٤٥٠ مليون ليرة تقريبا .

وهناك ايضا حلقة اخرى من الخدمات تدخل في نطاق النشاطات المصرفية التقليدية وهي : الاعتمادات المصرفية .

ان نسبة الفوائد التي يدفعها المدينون تتراوح ما بين ٥ بالمئة و٩ بالمئة وفقا للحالات وتقدر حاليا قيمة السلفات والحسابات المدينة بمبلغ ثلاثة ملايين ليرة تقريبا ويذكر في هذا المجال الاعتماد العقاري والسلفات على السندات والاعتماد المعد للموظفين وغيرهم ممن يتقاضون الاجور والاعتماد المعد للاستهلاك والاعتماد العائد الى شراء الشقق بالتقسيط .

بعض الخدمات ذات الطابع الاختصاصي :

ان المؤسسات التي تعنى بالاعتماد في بيروت تؤدي الخدمات التي يلازمها طابع الاختصاص منها :

- عمليات القطع : بيع وشراء العملات الاجنبية
- الاعتمادات : تداول المستندات استيرادا وتصديرا
- الحسابات المرقمة : تفيد من السرية المصرفية
- الضمانات : يفيد منها المتعهدون والتجار
- ادارة الاملاك :
- عمليات البورصة والسلفات على السندات
- دفع نسبة الارباح للمساهمين
- تأجير الصناديق الحديدية لحفظ الاشياء الثمينة والمستندات الهامة وحلى النساء
- دراسة وضع الاسواق

ان التجهيز المصرفي في لبنان يفتقر الى قسم للاعتمادات المتوسطة والبعيدة المدى مما يحول دون انشاء سوق مالية في بيروت . وقد حاولت الحكومة معالجة هذه القضية فانشأت مصرف الاعتماد الزراعي والصناعي والمالي ، وهي شركة مختلطة للانماء واعطى الاختبار نتائج محدودة وانه لمن المتوقع ان تحل هذه العقدة نهائيا عندما يتم انشاء مصرف للانماء «وهو حاليا قيد الدرس مع المصرف العالمي»

بيروت : نعم ـ طنجة : لا .

هذه هي لمحة موجزة عن العوامل الرئيسية التي عملت من بيروت عاصمة المصارف في الشرق الاوسط ومركزا ماليا دوليا هاما ومع ذلك يجب الا تقارن وضعية بيروت بالنسبة لوضعية طنجة التي طالما بقيت ملازمة لها حتى السنوات الاخيرة اذ ان طنجة تشكل مركزا طبيعيا دوليا ما لبث هذا المركز الطبيعي ان تلاشى عندما الغي القانون الدولي. اما بيروت فتتمتع بقوتها المالية الخاصة بها وذلك بصرف النظر عن وجود بعض المؤسسات الاجنبية الهامة .وكما ان قناة السويس تؤمن مرور البضائع بين اوروبا والمحيط الهندي كذلك بيروت فانها تؤمن ايضا مرور رؤوس الاموال .

وختاما لهذا الحديث هل هناك من حاجة للتذكير بان انشاء مصرف لبنان خلال نيسان ١٩٦٤ ، وهو من احدث مصارف العالم ، يسهر على تطبيق قانون العملة والاعتماد يؤمن للقطاع المصرفي « الحرية في ظل النظام والطمأنينة » ؟

●

الزراعة اللبنانية والمشروع الاخضر

من أصل اربعمائة مليون ليرة لبنانية ، يوفرها القطاع الزراعي للبلاد، في حقل الاقتصاد الوطني ، يكاد انتاج الزراعة لا يصل الى اكثر من ثمانية عشر بالمئة من المجموع المشار اليه .

ثم ان هذا القطاع يحتل جهود حوالي ٢٥٠ الف شخص من مجموع السكان البالغ عددهم ٥١٠ الاف نسمة. وتجدر الاشارة الى ان الفاكهة وغيرها من المحاصيل الزراعية هي من اهم المواد الرئيسية التي يصدرها لبنان الى الخارج وفقا للاحصاء التالي :

- ١٠١٥٩٠ طنا من التفاح
- ٩٩٠٢ طنا من البرتقال
- ٤١٦٠٣ اطنان من الليمون الحامض
- ٩٨٧١ طنا من الموز
- ٢٢٩٥ طنا من العنب .

وكل هذا امثلة على ما صدره لبنان الى الخارج عام ١٩٦٥ .

اهمال الارض

ان اهمال القرويين للارض منذ بضع سنوات ، يهدد تهديدا خطيرا الزراعة اللبنانية ، هذا القطاع الحيوي لاقتصادنا الوطني . اذ لم يعد في الوقت الحاضر سوى ٣٢٦ الف هكتار من الارض المزروعة ، اي بنسبة ٢٠ آرا للمواطن . مع العلم ان مجموع سكان لبنان يبلغ زهاء مليونين ومئة الف نسمة . لذلك يقدر اهل الاختصاص في التغذية . مساحة الارض الزراعية اللازمة المماثلة لتلك التي هي موجودة في لبنان ، بمئة « آر » للمواطن ، عندما تكون الشروط الفنية المتوفرة ، تضاهي الشروط الفنية ذاتها المتوفرة في البلاد .

ان متوسط المساحة المزروعة في أوروبا الغربية يبلغ حوالي ٣٥ « آرا » . ولكن هذه البلدان اكثر انتاجا ، بفضل التجهيز الزراعي التقني ، الذي يتطور باستمرار ، ويتوفر للمزارع الاوروبي .

ثم ان اهمال المناطق الريفية ، يزيد في خطر انجراف التربة ، الامر الذي يضاعف مساحات الارض المهملة ، ويدعو في الوقت نفسه الشعب اللبناني ، ولا سيما في ضوء تزايد السكان ، الى تكثيف جهوده ومضاعفة نشاطه خلال الخمس والعشرين سنة المقبلة ، اي يوم تتدنى مساحة الارض المزروعة حتى عشرة « آرات » .

وفي هذا الشأن ، بل في نطاق اهمال الارض بالذات وخطره على لبنان في المستقبل ، يمكن ان نأخذ لنا مثلا احصاءا تحقيقيا عن بلدة «ايعات» القائمة في سهل البقاع الزراعي ، فان حوالي الفين من سكانها ، من اصل الفين وخمسمائة ، قد نزحوا الى المدن ، بعد ان اصبح مدخولهم الزراعي عاجزا عن سد حاجاتهم ، او توفير ما هو جديد منها وملح بنتيجة الظروف التي اوجدتها تطورات المستوى المعيشي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك احصاءات عديدة في هذا المضمار . منها تحقيق جرى في عدد من القرى الجبلية اللبنانية ، واثبت ان اكثر من ثمانين بالمئة من القرويين الذين يعتمدون في معيشتهم على الانتاج الزراعي ، قد تجاوز السنوات الخمسين من العمر .

وفي الواقع تقدر مساحة الارض الزراعية المهملة بحوالي ٣٠٠ الف هكتار ، منها سبعون الفا استحصلت جلولا مسورة «بالحجارة الناشفة» . وقد اقتضت جهودا مضنية خلال القرون الثلاثة الماضية . ولكن هذه الجلول القائمة في الجبال والمحرومة من اية عناية وترميم ، قد تهدمت ، وجرفت السيول تربتها عبر السواقي والانهار الى البحر ، بعد ان اصبحت عارية من النبات وسائر الاشجار التي كانت بمثابة الحصون المنيعة لحفظ تربتها ، وبالتالي العامل الاول في اخصابها .

وقد كان لاهمال الارض ، على صعد متعددة ، نتائج مضرة للغاية ولا سيما في حقل الانتاج الزراعي ، مما حمل البلاد على استيرادكميات كبيرة من المواد الغذائية ، ولا سيما الحبوب ، واللحم ، وغيرها من المواد الحيوانية .

وبالتالي ارتفع مجموع ما يستورده لبنان من المواد الزراعية الى ٣٢٥ مليون ليرة سنويا . غير ان تجارب السنوات الاخيرة ، قد اظهرت بصورة لا تقبل الشك ، انه عندما يزداد النشاط والاهتمام بالشؤون الزراعية ، يصبح بامكان المنتج تحسين مستوى حياته . وقد كانت النتائج في هذا الشأن ، مشجعة ورائعة ، وهذا يعود الفضل فيه الى مشاريع الري التي نفذت خلال السنوات الماضية ، فقد ارتفعت الحاصلات الزراعية الساحلية من ١٠٠ الف ط ن ١٩٥٥ الى حوالي ٢٢٥ الف ط ن ١٩٦٥ ، ومن خمسة ملايين و ٨٠٠ الف ليرة لبنانية عام ١٩٥٥ ، الى ما يقارب ٤٥ مليون ليرة لبنانية عام ١٩٦٥ .

اما نقص الانتاج الزراعي الحاصل في القطاعات الزراعية الاخرى، فليس له ما يبرره على الاطلاق .

الغابات والمراعي

ان اختصاصيي المشروع الاخضر يرون ان غابات لبنان التي كانت، فيما مضى ، تغطي حوالي ٢٧٠ الف هكتار من مساحة البلاد ، لا تشمل في الوقت الحاضر سوى ٧٤ الف هكتار .وبذلك انخفضت الاحراج من مستوى ٢٥ الى سبعة بالمئة . بينما المعدل الوسطي الضروري لتأمين التوازن الحيوي للماء، والارض، والمناخ، هو ثمانية عشر بالمئة.

اما على الصعيد الاقتصادي ، فان هذا النقص الخطير في مساحات الغابات ، لا يفسح المجال امام الصناعات الخشبية ، للتقدم والازدهار، هذه الصناعات التي تضطر ، ازاء رداءة الخشب المحلي ، الى الاستعانة بخشب الخارج ، والاستيراد منه سنويا بما يفوق مبلغ ثلاثين مليون ليرة لبنانية .

وفيما يتعلق بالمراعي ، فان المساحات التي يمكن استثمارها ، قد تدنت بسبب كثرة استخدامها ، بالاضافة الى اهمال الاسباب التي تساعد في انمائها او مضاعفتها .

وفي هذا الصدد كتب مدير المشروع الاخضر الدكتور مالك بصبوص يقول :

ان اختفاء النبات ، وانعدام المروج الاصطناعية ، يلحق ضررا بالغا في انماء تربية الحيوان ، وحمايته ، كما يترك آثارا سيئة فيالحقلين الاقتصادي والاجتماعي .ذلك ان الانتاج الحيواني امر مهم جدا ، من ناحيتي تأمين العمل للفلاح طيلة السنة ، وزيادة الدخل .ثم ان تربية الحيوان ، تمثل افضل صلة واوثقها بين الفلاح وارضه ، بالاضافة الى انها مصدر لا بأس به لمواد التسميد اللازمة لمضاعفة الانتاج وتحسين انواع الغذاء .

وفي الحقيقة ، بقي الاهتمام بتربية المواشي ، في معظم انحاء البلاد ، غير كاف ، وبالتالي يحمل هذا التخلف لبنان على استيراد كميات كبيرة من المواد الحيوانية ، تقارب قيمتها سبعين مليون ليرة لبنانية سنويا .

اهمية المشروع الاخضر

بالاستناد الى ما سبق في هذا التحقيق ، يتضح لنا مدى ما يحمل الحكومة اللبنانية على تنفيذ منهاج واسع النطاق للتنمية الزراعية في خلال عشر سنوات ، والمعروف باسم المشروع الاخضر . اما مهمة المشروع الاخضر ، فهي تكملة لسائر مشاريع التجهيز : ماء ، كهرباء ، طرق ...الخ. وهي المشاريع التي تقوم بها الدولة في الوقت الحاضر، وتتلخص بالعناصر التالية :

١ ـ الدرس والتصميم الهادفان الى التنمية الزراعية ، والى ايجاد الجهاز الاداري الكفوء للنهوض بها .

٢ ـ تحسين قيمة الارض ، وزيادة خصبها .

٣ ـ تحقيقات اقتصادية ، والبحث عن اسواق لها .

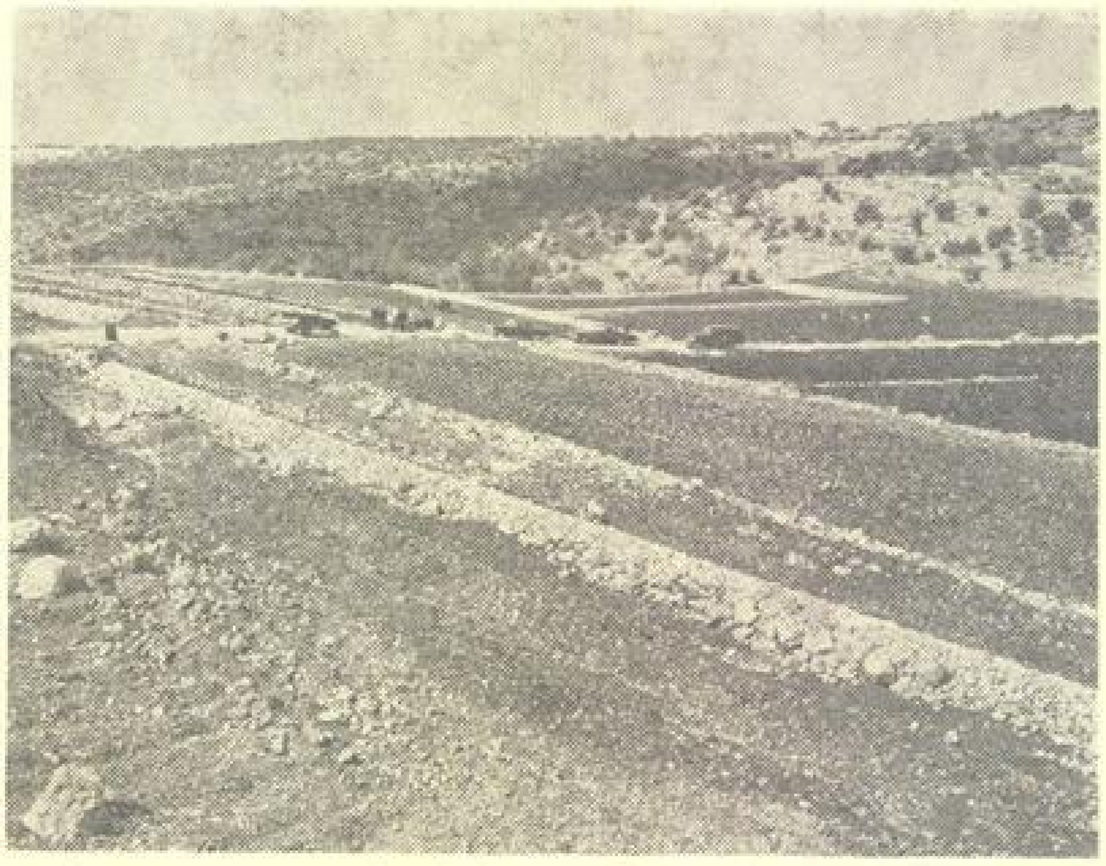
٤ ـ انتاج الاغراس وتوزيعها لزيادة المحاصيل ودعم اقتصاد البلاد.

٥ ـ مراقبة الماعز ، وتنمية تربية المواشي .

ويتضح من ذلك ان الهدف الاخير هو ابقاء القروي في ارضه ، وتقييم الارض المهملة ، وتأمين دخل كاف يسد حاجات سكان الريف .

اعادة تقييم الارض

ان اعمال التقييم ، التي ينهض بها المشروع الاخضر ، تستحق اهتماما خاصا . لان المسؤولين قد وجدوا اسلوبا ثوريا في تسليف المزارعين ، يتلاءم والاسلوب المالي.وذلك عندما يعرض مزارع على



الدبيـــة ـ جبـل لبنـان



ديـر مار شعيا ـ جبـل لبنان

المشروع الاخضر مشكلة زراعية ، او طلبا يتعلق بشان من شؤون الزراعة . فيتوجه مهندس مختص الى الارض ، موضوع الطلب ، ويناقش المزارع بصدده ، ثم يضع تقريرا عن التكاليف التي يقتضيها العمل . اما العمل نفسه ، فيبدأ عن طريق الجرارات التي يستأجرها بالجملة المشروع الاخضر من الملتزمين على اساس كلفة العمل في الساعة بثلاثين ليرة لبنانية ، في الارض العادية ، اي بما يعادل ثلاثين يوما من العمل ، يقوم بها عامل ، وتكلف ٢٥. ليرة لبنانية . كما يراقب تنفيذ العمل يوميا المهندس والمزارع اللذان يوقعان محضر العمل .

وحسب الطريقة المالية المتبعة في الوقت الحاضر ، يسهم المزارع، بنسبة تراوح بين ١٠ و٢٥ بالمئة من كلفة الاعمال .وذلك وفقا لاهمية الاعمال نفسها . ويسلف المشروع الاخضر هذه القيمة لمدة عشر سنوات ، على ان يبدأ استيفاؤها من السنة التي تلي انتهاء العمل . والجدير بالذكر ان المشروع الاخضر ، يأخذ فائدة قدرها واحد بالمئة ، يغطي بها النفقات المصرفية ورهن الارض .

مساوىء الطريقة الحالية

بعد اختبارات عدة ، ظهرت مساوىء متعددة ، بالنسبة لاساليب التسليف القديمة ، ذلك ان مساحات كثيرة من الارض لم يشملها المشروع الاخضر اما لانها في مناطق ، لم تجر فيها بعد عمليات المساحة، او لانها مرهونة ، او ان هنالك عددا من المالكين مقيمين ومغتربين .

ومن جهة ثانية ـ فان عدد المستفيدين الذي كان يزداد باستمرار، ومعاملات المبالغ الصغيرة المتوجبة على المزارعين ، اثارت مشاكل عملية صعبة الحل .ومن هنا نشأت الطريقة الجديدة ، ذات الطابع الثوري.

مشروع ثوري

يستوحي المشروع الجديد هدفا اساسيا له ، هو تمكين الدولة من مساعدة كل مشروع ، واستعادة المبالغ التي تسلفها . لذلك جاء المشروع الجديد حريصا على تحقيق النقاط التالية :

١ ـ يسهم المزارع بـ ٢٥ بالمئة .

٢ ـ عدم رهن الارض .ويعفى من كثير من المعاملات السابقة .

٣ ـ السماح للمشروع الاخضر باستيفاء ٢٥ بالمئة من المزارع ، وايداع المبالغ المستوفاة في مصارف عدة مقبولة ، وذلك في حسابات مقفلة لمدة عشرين سنة ، وبفائدة مركبة قدرها سبعة بالمئة . وهكذا تتضاعف المبالغ المودعة كل عشر سنوات .

٤ ـ السماح بايداع مليون ليرة لبنانية لا غير في كل مصرف .

اما حسنات المشروع على الاجمال فهي :

١ ـ تستوفي الدولة ما دفعته على المدى الطويل .

٢ ـ تجنيب المشروع الاخضر متاعب عديدة ، ومعاملات ادارية باهظة النفقات ، تستقطب امكانات بشرية ضخمة ، يمكن استخدامها في حقول اكثر انتاجا .

٣ ـ ادخال جميع الاراضي اللبنانية ، بما فيها غير الممسوحة ، في نطاق المشروع الاخضر .

٤ ـ تؤمن الدولة ، وبطريقة غير مباشرة ، سيولة نقدية للقطاع المصرفي ، يكون بالمستطاع تسليف مبالغ منها ، على المدى الطويل ، لاستخدامها في تنمية القطاع الصناعي والزراعي والسياحي .« وقد وافق مجلس الوزراء على هذا المشروع» .

دراسة الارض والسوق

في الوقت نفسه ، يقوم المشروع الاخضر ، بدراسة الارض ، ويقدم النصائح العلمية للمزارع ، حول استخدام الارض لزراعات توافق نوع التربة ، بالاضافة الى دراسة كل الطاقات والامكانات الرامية الى تصريف الانتاج في كل منطقة ، آخذا بعين الاعتبار اوضاع البلدان المضاربة ، ومعطيات الاسواق الخارجية ، خلال العشر سنوات او العشرين سنة المقبلة . وبهذه الطريقة يمكن استخلاص ما يمكن الحصول عليه من نتائج ، لتقرير كمية الانتاج ونوعيته ومدى المطلوب منه في الاسواق .

ارقام احصائية

ما هي النتائج التي توصل اليها المشروع الاخضر منذ بدء نشاطه ١٩٦٥ ؟ مما لا شك فيه ان الارقام التالية ، تعطي فكرة واضحة عما نحن بصدده .

ـ ففي سنة ١٩٦٥، وهي السنة التي تعتبر نقطة البدء في مباشرة العمل ، استخدم المشروع الاخضر ٥١ جرارا في أعمال زراعية متعددة، ثم قفز هذا العدد الى ٦٧ جرارا في عام ١٩٦٦ ، ويتوقع ان يستخدم المشروع عددا اكبر من هذه الجرارات عام ١٩٦٧ .

ـ قامتم الجرارات بما تقارب ٦٥ الف ساعة عمل ١٩٦٥ ، يقابلها ٩٥ الف ساعة ١٩٦٦ .

ـ سنة ١٩٦٥ قسم المشروع الاخضر احد عشر الف دونم من الارض مقابل ١٥ الف دونم سنة ١٩٦٦ .

ـ في عام ١٩٦٥ تناولت الاعمال ٩١ قرية ، مقابل ١٦١ قرية خلال عام ١٩٦٦ .

ـ ارتفعت قيمة القروض الزراعية عام ١٩٦٥ الى مليونين ونصف مليون ليرة لبنانية ، مقابل اربعة ملايين سنة ١٩٦٦ وارتفع عدد المستفيدين من ٨٧٣ سنة ١٩٦٥ الى ١٥٠٠ عام ١٩٦٦ .

ـ اما الاعمال المنفذة فهي كما يلي :

نزع الصخور ، ونقب الارض ، وتمهيدها ، وبناء الجلول بالحجارة ، كما لحظ المشروع الاخضر في منهج اعماله بناء صهاريج ماء للارض القابلة للري ، وانشاء طرق زراعية ، بالاضافة الى الموازنة الملحوظة للمشروع الاخضر ، والتي تبلغ ٤٠ مليون ليرة مقسطة على عشرة اعوام . وهذا مما يفسح المجال ، لتقييم مساحة قدرها ١٥ الف هكتار ، وذلك يعني من ناحية ثانية استثمار حوالي ١٥٠ مليون ليرة لبنانية ، بما فيها اجور العمال وعائلاتهم .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

بمناسبة حلول اعياد

رأس السنة والميلاد

اجمل هدية يمكن ان تقدمها كتاب

الحرب العالمية الثانية

الجزء الاول

لريمون كارتييه

اخراج رائع وترجمة موفقة

الثمن ٥٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



احمد الصافي النجفي

احمد الصافي النجفي.. عالم هر

بقلم الدكتور جلال الخياط

* * *

ندرس بعض الشعراء على انهم مقلدون وآخرين على انهم مجددون ، وبين التقليد والتجديد والقديم والحديث دارت دراساتنا الادبية والنقدية ، الا ان هناك ظاهرة مشرقة تتابى هذا التقييم النقدي يمثلها الشاعر احمد الصافي النجفي (١) فهوليس بمقلد ولا مجدد وهو ليس بقديم او حديث ولا يمكن ان ينضوي تحت لواء هذه المدرسة او تلك ، هو شاعر وفارس او شيء ما بين هذا وذاك ، كان وما يزال نسيج وحده ، وهنا تكمن اهميته الادبية ، ورجلا له قدر من الشجاعة استطاع به ان يتحدى عصره وان يجوب في مفازات غريبة غير مطروقة ، ولقد أكد النقاد ومن كتبوا عنه على هذه الناحية البارزة فيه التي تعزله عن الذين عاصروه ، ويرى الشاعر رشيد سليم الخوري : « ان شعر الصافي دنيا من الفن قائمة بذاتها ، ولا ضريب له في موضوعاته البسيطة وصوره الجميلة ومعانيه الساخرة » (٢) ، ويقول عنه الدكتور عبد الواحد لؤلؤة في مقالة له بعنوان البطولة والتشرد عند احمد الصافي النجفي : « وشبه يقين بانه قد احرز انجازات تميزه عن كثير من ابناء جيله » (٣) .

« وجد الصافي نفسه شاعرا بالصدفة ـ على حد اعترافه ـ فقرر ان يبقى شاعرا » (٤) ، بالرغم من ان الزهاوي كان قد ادعى انه اول من اكتشف الصافي : « واني لمفتخر باني اول من اكتشف هذا النجم الجديد ودل عليه هواة الادب العصري » (٥) ، والغرابة اول ما يمكن ان يلاحظه القارىء في دواوين الشاعر العشرة ،

فالصافي يحب الحيوانات لانه يؤمن بأنها اكثر وفاء من الانسان وأقل لؤما :

احب الكلب واسم الكلب بل من دعاه الناس عند السب كلبا

ويشبه نفسه بالبعوضة والفيل :

بعوضة انا في الدنيا وحين ارى بعض الورى فكأنني بينهم فيل

وله قصائد اخرى في الحيوانات ، كلها ثناء عاطر عليها ، من وصف لملكة الحيون ، ورثاء لكلب ، ونواح على ديك ، ومحاورة بين البق والبرغوث ، في حين ان زملاء الشاعر كانوا منغمرين او مندهشين بالمخترعات الحديثة التي وصفوها باعجاب او متنقلين من محفل الى آخر يلقون قصائدهم الخطابية النارية التي كانت تؤجج حماس الناس الوقتي فيصفقون لها كثيرا ويستعيدون ابياتها مرة واخرى .

ان هذا الشاعر وحيد ، غريب ، ذو شخصية منفردة لا يحب الناس ولا يثق بهم بالرغم من ارتياده المقاهي ليلا ونهارا :

يبعدني طبع عن الناس نافر فاحسبني بين الورى جالساوحدي

ولم يتخذ له صديقا في هذه الحياة بالرغم من الآلاف الذين جالسهم في مقاهيه ومظانه : « لي بنفسي غنى عن الكائنات » ، فلا يجد مفرا من مصاحبة نفسه ومصادقتها :

انا بين الورى غريب وما لي غير نفسي من صاحب في الحياة

ونفوره من الناس وابتعاده عنهم يحبب اليه اليأس فيمدحه . ويقينا ان شاعرا آخر لم يفكر يوما بان يطري محاسن اليأس ويستلطف جماله :

ما اجمل اليأس يعطي للنفس استقلالا
اذ ليس يبقى لنفسي بالكائنات اتصالا

الا انه يشكو الوحدة بالرغم من ذلك ويرحب باللصوص الذين يدخلون داره :

افرطت وحدتي ببيتي حتى احسب اللص زائرا محبوبا

وهو شديد الفخر بنفسه معتزا بها كل الاعتزاز كفارس من فرسان القرون الوسطى ذي مثل وعادات لا يمكن ان يفرط فيها ، ولقد اعاد في بعض قصائده سيرة دون كيشوت التي ابتدعها سرفانتس في الفروسية :

سموت بشعري فوق جيلي ولم يزل يشك بشعري معشر البلهاء

ويؤمن ان شاعريته فاقت ذاك الذي ملأ الدنيا وشغل الناس :

في الشعر قدما قد اتى متنبي وشعاع شعري للتنبؤ ماح

ويقول انه انسان متفوق دون الناس جميعا ويستعمل الكلمة الانكليزية ليعبر عن ذلك :

قد ارتقت نفسي « لسوبرمن » بين اناس لم تزل ناسا

ولقد اكثر شعراء آخرون كالرصافي والزهاوي من معالجة المشكلة الكبرى : الفقر ، بقصائد مطولة كثيرة يصفون فيها آلام الارملة واليتيم ، الا ان للصافي رأيا خاصا فوريا في القضاء على مشكلة الفقر هو ان يخصى كل فقير كيلا ينجب نسلا يعاني الفاقة :

كم غني لم يعطه الله نسلا وفقير يبلى بنسل كثير
فلو ان الامور كانت بكفي كنت اخصي في الكون كل فقير

ولانه مفلس دائمي اذ لم يتخذ له مهنة او وظيفة واعتمد على دواوينه وما تدر من ربح ـ خلافا لفريق من الشعراء الذين عاصروه وتاجروا بأشعارهم وآرائهم في سوق المدائح ـ فقد اكثر من الحديث عن المعوزين والشحاذين :

ومقهى قد جلست به وعقلي من الافلاس قد بلغ الجنونا
ارجي الرزق من ربي ولكن ارى الشحاذ نحوي مقبلينا
امد الى الاله يدا واخرى ارد بها جيوش السائلينا
وكم احمق فيهم دعاني اميرا فامتلى قلبي شجونا
دعاني بالامير وكنت اولى بان ادعى امير المفلسينا
وكم من جاهل فيهم اتاني يجر بناته تلو البنينا
ينادي قد عجزت فاطعموا لي صغاري ان تكونوا راحمينا
فقلت عجزت عن شغل ولكن قويت على ولادتك المئينا
ومن ينسل كنسلك دون شك يصبه العجز او يلق المنونا
فليت تطيق شغلا في نهار وشغل الليل تعجز عنه حينا
فصرتم ان رآكم اجنبي يقل هذي بلاد السائلينا

ولم تقتصر الغرابة على موضوعات شعره وحدها بل حصل له في حياته ما يفوقها غرابة من انه بعد ثورة العشرين في العراق هرب الى الكويت واشتغل عامل بناء يحمل الجص والطابوق ، فثقلت عليه الحياة وقرر الذهاب الى ايران عن طريق النهر الا ان الزورق الذي اقله تحطم في الخليج ، والشاعر لا يعرف السباحة فارسلت العناية الالهية اليه صندوق شاي خشبي كان في الزورق فتعلق به الشاعر حتى ادركته النجدة وانقذته من غرق محقق (٦)

لقد نظم هذا الشاعر في اي موضوع خطر على باله فطفت النثرية على قسم من اشعاره وذهب مارون عبود الى : « ان شعر الصافي ينقصه كثير من الدم فهو بحاجة الى كمية وافرة من زيت السمك » (٧) ، ولعله قصد بذلك النثرية التي حتمها الجولان في كل ما هب عند الصافي ودب من افكار ، واظن اننا لو قمنا باحصاء لعدد الموضوعات التي نظم بها الشعراء العرب والاجانب لفاقت موضوعات الصافي ما عداه من الشعراء لتنوعها وشمولها فهو لايعترف باغراض الشعر القديمة المعروفة من مدح ورثاء وغزل وهجاء ، ومن هذا المنطق وحده يمكن ان نعتبر الصافي رائدا للشعر الحر ! الا ان اكثر موضوعاته مفرقة في الغرابة ، لم يطرقها سابق او لاحق ، منها انه يدعو الله ان ينشوه جميع النساء حتى لا يقع في غرامهن :

يا رب شوه لي وجوه الغيد كيلا اعذب منهم بصدود

ويصف شحاذا وصباغ احذية ويهجو عمال المطابع والمصححين لكثرة الاخطاء المطبعية في دواوينه ، ويكره البرلمانات ويهنىء ملك بريطانيا حين تخلى عن العرش ليتزوج امرأة مطلقة ، ويتحدث عن حلاق ، ويقول واصفا عجوزا :

يا عجوزا هي للاناف جيفة ولعزرائيل في الارض خليفة
هي لولا القبح ما كانت عفيفة فهي رغم الانف عذراء شريفة
ان حكمت فلسفة لا تعجبوا قبحها صير منها فيلسوفة

ويبكي على ديك ذبحه واكله ثم ندم على ذلك ، وحتى الشورباء والقنابل الذرية وجدت مكانا في شعره ، ومن أغرب ما وجدت في دواوينه انه ينظم الشعر وهو نائم وقد جاء احد ابياته بالشكل الآتي :

الشطر الاول :

عثرت بنا رجل السعادة حينا

الشطر الثاني :

« وقد نسي الناظم بقية البيت حين استيقظ »

ان الصافي النجفي ليس شاعرا مقلدا فقد كتب بهذه الموضوعات التي لم يسبق اليها ، وهو غير قابل ان يقلد فموضوعاته خاصة به ، ولقد كانت غرابة موضوعاته رد فعل لموجة التقليد والنفاق التي سادت الشعر في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، وصورة تعكس حياته الوحيدة المشردة فقد كان مضطربا بين البداوة والحضارة والقيم القديمة والوافدة ، لم يستمد قوته من قبيلة او حكومة او حزب ، ولم يتحدث الى الجماهير شاعرا خطيبا ، ولم يمدح الكبار ، ولم يدع الفلسفة ، ولم يدع الى الاصلاح الاجتماعي ، وقد ذكر الشاعر نفسه سببا لعزوفه عن التقليد :

حماني من التقليد ما عشت انني اذا رمت امرا لم اجد من اقلد

وبين رايه في شعره المستقل بهذين البيتين :

لي في الشعر عالم مستقل انا منه فرد بدون خلاف
لم اشارك غيري لاني كربي واحد لا شريك لي في القوافي

الصافي مرآة نفسه وحياته فهو خير مثال عفوي على نوع خاص من اللامنتمين ، وقد تنبه الشاعر الى هذه الحال فقال :

انا في الشعر كالغريب فجيلي في عكاظ او بعد ذا العصر جيلي

ولم يكن الصافي مجددا ، ولم يدع هو التجديد ، اذ انه لم يبتدع طريقة جديدة في نظم الشعر ، وما كان له ، الا ان غرابة موضوعاته وجرأته في تناولها عزلته عن الآخرين وميزته بين الشعراء ، واعماله الادبية نفور عما هو معتاد وشذوذ ظاهر له طرافته .

ان غرابة هذه الموضوعات اكسبت الشاعر طابعا مستقلا متطرفا فهو من اوائل الشعراء الذين استقلوا

---

(١) ولد سنة ١٨٩٧ في النجف الاشرف ، وهو يزاول نشاطه الادبي اليوم موكلا بفضاء الله يذرعه ما بين سوريا ولبنان . (٢) انظر احمد الصافي النجفي ، اللفحات ، بيروت ١٩٥٥ ، ص٣. (٣) عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة « العاملون في النفط » ، العدد ٤٥ ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٩. (٤) المصدر السابق ، ص٩. (٥) تركي كاظم جودة، احمد الصافي النجفي ـ حياته وشعره ، بغداد ١٩٦٧ ، ص٤٥ . (٦) المصدر السابق ص ٢٩ وما بعدها (٧) مارون عبود ، على المحك، بيروت ١٩٤٦ ، ص ٥٥ ، (٨) ناصر الحاني ، ملحق جريدة الجمهورية الادبي ، العدد ٨٤ ، بغداد ١٩٦٧ ، ص١ (٩) احمد الصافي النجفي، اشعة ملونة ، بيروت ، بلا تاريخ ، مقدمة بقلم الياس ابو شبكة، ص٤ (١٠) احمد الصافي النجفي ، التيار ، دمشق ١٩٦٤ ، مقدمة بقلم منير القاضي، ص٥ . (١١) عبد الواحد لؤلؤة ، العاملون في النفط، ص٢١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من شعر الطائفة

شمخت وانت احقر من حقير ... وصرت من الهرير الى الزئير
وابطرك انتصارك ليس فيه ... سوى معنى الوقوف على الشفير
جنيت على مصيرك غير دار ... وكم لبس الردى ثوب العبير
رأيت البطل يعلو ثم يهوي ... بصاحبه الى الدرك الاخير
ربيب السوط لا تفرح فانا ... جمعنا لؤلؤ العقد النثير
بشير الصبح هز العرب هزا ... فما احلاك يا وجه البشير
توحد رأينا بعد اختلاف ... والف صفنا صوت النفير
اخي في الجرح هل يشجيك دمعي ... وهل يعنيك في الجلى هديري ؟
تشابه دربنا سهلا ووعرا ... ولم يخرج مصيرك عن مصيري
لئن شرقت او غربت سعيا ... فدار الاهل آخرة المسير
مصاب القدس ايقظ كل غاف ... فهلا قمت يا غافي الضمير
عدوك لا يقر له قرار ... وانت تغط في نوم قرير
تساوى في الجناية من توانى ... ومن اغضى عن الواني الظهير
ومن والى الدخيل بغير اجر ... ومن والاه بالاجر الكبير
زفير اللاجئين الى الثريا ... الا يهتز قلبك للزفير ؟
اذا لم تنسحب ارجا وظلا ... فلا تك بينهم لفح الهجير
ليقذي المجد ان تقسو عليهم ... وانت وان كرهت من العشير
اذا شاع الحريق ببيت جار ... فبيتك قد يصير الى السعير
ومن يخذل اخاه في الرزايا ... يظل على الزمان بلا نصير

اخي في الجرح لا تعذل كبيرا ... ولا تنف الملامة عن صغير
جميع العرب مسؤولون عما ... الم بحرمة الوطن الاثير
اتينا بالعدو الى حمانا ... ونمنا هانئين على الحرير
تنازعنا على السفساف غنمي ... مطامعه فجاع الى الكثير
يميننا لو رأى منا اتحادا ... لخارت ركبتاه من الصفير
يقولون السلاح فقلت انا ... لنغنى باليسير عن الغزير
اذا لم يشدد الايمان كفا ... نبا سيف الامير بن الامير
سكون البحر يملؤنا خشوعا ... ولا نعني بثرثرة الغدير

شباب الوثبة الكبرى سلام ... لانتم معقد الامل النضير
قلوب العرب حائمة عليكم ... تحيط خطاكم باسم القدير
طوينا صفحة الماضي ، فهلا ... فتحتم صفحة اليوم المنير
سنبقى مضغة التاريخ حتى ... نطهر ارضنا من كل نير

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

بأنفسهم ووقفوا على ارجلهم دون ان يستجدوا عونا من الآخرين ، ولم يتبعوا مذهبا ادبيا خاصا او ينضووا تحت لواء مدرسة معينة ، ويشيد الدكتور ناصر الحاني بشعر الصافي ولفته المبسطة : « فلقد وجدتني اعيش بعالم شاعر انماز بصفات لم نرها في الذين عودنا على الاستماع اليهم او العيش معهم من معاصريه ، انه فريد حقا بما اوتي من لفة ، لا تكاد تنكر منها كلمة لانها مما الفنا وسمعنا » (٨) ، ولقد امتاز شعره : « بوضوح الفكرة وسهولة الاداء وصدق الحس وقربه من الطبيعة » (٩) ، « وخلوه من التعقيد » (١٠) ، « ان الصافي سوف يعيش بقية عمره متشردا يحلم بالبطولة » (١١) ، فتحية الى هذا الشاعر البطل الذي ضرب للشعراء مثلا يحتذى في الاستقلال الشخصي .

بغداد — جلال الخياط



سعد صائب

نظير زيتون .. مترجماً

بقلم سعد صائب

* * *

ثمة اسطورة رواها الاغريق ، اود وانا انفضها لكم لو ترقبم على خواطركم ، لتروا ان حال فقيدنا التي درج عليها خلال الاعوام التي امضاها مغتربا في وطنه ، تبين عن انه كان يعيش الاسطورة ، ويحيا مضمونها ...

يحكي الاغريق ان « الفينق Phenix » كما يسمونه هم ، و « العنقاء » كما تسميه العرب طائر خرافي يقطن الصحارى العربية ، ويعمر اجيالا عديدة .. وكان اذا شعر بدنو اجله ، بنى عشه بغصون يطينها بالطيب ، ويعرضها لحرارة الشمس ، فتلتهب ويحرق نفسه حيا فيها ... ثم تتكون من رماده شرنقة تنشق عن « فينق » جديد يحمل بقايا ابيه الى « هليوبوليس ـ بعلبك » ليضعها في هيكل الشمس ...

لكاني بهذه الاسطورة لم ترو الا لفقيدنا ، وكاني بالاغريق عنوه حين ابتدعوها ... او لم ينبئنا بحديث ادلى به يوما حين خير بين العودة الى البرازيل او الاستقرار في وطنه ، انه يختار العودة ؟ او لم يقل في تواضع جم ينطوي على اسى وحسرة « ... لأن في وطني مئات مثلي ، ومن هم اعلى شانا مني .. اما في البرازيل فالامر بالعكس ... لقد قضيت في الوطن اكثر من عشر سنوات ، كنت في غضونها مشلول الحركة ، في مثل الجدب والجفاف والارض القفر .. كنت شبه ضائع ، تائه الخطى ، بل شبه رجل جائع متهدم يلتهم لحمه ، يلتهم نفسه ، وينقض كيانه حجرا حجرا ، فلا انا انا ، ولا هذا السبيل سبيلي ... وكنت ارضى لنفسي ان تحترق تحت حرارة الشمس لاولد ولادة جديدة من رمادي ، كما تحترق « العنقاء » لتولد من رمادها نفسه في الاسطورة المشهورة .

أجيلوا الرأي مليا في هذه الزفرة الصاعدة ، او هذه الشكاة المريرة ، التي فاض بها قلب فقيدنا الكبير ، ألا يناسمكم شعور ان نفسه كانت تحترق حقا تحت لهيب شمسنا ، كيما تولد من رمادها ثانية ؟ وانه كان يتحرق ويتضرم من تغربه وضياعه في وطنه الذي فاء اليه جذلان ، بعد هجرة امتدت سبعة وثلاثين عاما ؟.

والسؤال الذي لا بد لي من طرحه هنا : ما الذي ولدته هذه النفس الخيرة لاجيالنا القادمة ؟ .. ماذا وضعت في هيكلنا المقدس ، قبل ان ضاعت وجاعت وتهدمت ثم ما لبثت ان احترقت بلهيب شمسنا فأمست رمادا ؟ .. ماذا وهبت للفتنا ، لادبنا ، لتراثنا ؟؟ ...

ليس لي على الجواب قدرة في هذه الهنيهة ، الا ما خصصت بالحديث عن الترجمة كما أداها الفقيد ، بيد اني ارى لزاما علي ان أستهل كلمتي منوها بما تتشوق نفوسكم الى معرفته والاطلاع عليه ، أعني رأيي في اختلاف اسلوبه في الكتابة عنه في الترجمة ، لا سيما وقد كان له حظ في كليهما بسق فيه ...

ولعلكم تتساءلون بينكم وبين انفسكم فيم اساغ هذا النمط الذي درج عليه في كتاباته ، ولم يسفه في ترجمته ؟ ... فيم لم يعدل عن « السجع » وكانت له مندوحة عن استعماله ؟ ... الم يكن عنده من الطبع ما لو ارسله على سجيته ـ كما فعل في ترجماته ـ لجرى مجرى الماء ، ورق رقة الهواء ؟ ...

الحق اقول جوابا على تساؤلكم ، ان فقيدنا ما نسج على منوال « السجع » الذي طالعتموه في آثاره ، الا لانه كان شديد الغار على لغته ، شديد الحرص على اصالتها ، فما ان تمكن منها حتى اسلست له فأخذ قلمه ينبض ببلاغتها ، وراح قلبه يهزج بها ، فكانت له كما قال بحق : « تجربة في السجع المديد المتناغم الذي تؤلف فيه السجعة الواحدة مقطعا كبيرا وكانه مقطع قصيدة واحدة » ...

ومهما قيل في انه كان يحتذي في هذه التجربة مثال القدامى من كتابنا وادبائنا ، فحسبها انها جاءت منه صادقة ترتاح اليها نفس كل من روض لسانه على الصواب ، وسكن اليه قلبه ... وحسبها كذلك انها نابعة من غيرته ، من حرصه ... نابعة من نزاهة نفسه ، من ذوقه، من تمكنه ، ولم يكن فيها مقلدا او مقتديا .. فكان لالفاظه الجزلة في الاذن نغمة لذيذة كنغمة الاوتار ، وكانت له في كلامه البليغ بهجة رائقة لم نعتدها في كلام المعاصرين من كتابنا وادبائنا ... هي اذن تجربة ادبية جريئة جديدة ،عاناها فقيدنا بعمق ، اغترفها من معين قلبه ، واستمدها من عفو هواجسه ، شاء لها ان تلائم بين اماله في تجديد السجع ، وبين قدرته على ارساله ارسال الامن المطمئن ، فجاءت الفاظه فصيحة ، والفصاحة من طبيعته ، وتتالت مبينة ، والبيان سجية من سجاياه ، مؤكدا فيها ان كل اسلوب فصيح جزل متين ، صالح لان يكون مادة لفن الادب ما دام نابعا من تجربة يحياها الكاتب ويحسها ... يحسها لاجل ذاتها ، ويوصلها الى قارئه في الصورة التي ابدعها .

لم يثرني على ابداء هذا الرأي ما وجب علي من الحق في مودة فقيدنا ، بل أثارني عليه اعجابي الغامر بحسن تجاور الفاظه وبلاغتها ، ووضعه كل كلمة في موضعها ، وملاءمته بينها ، بحيث انتظمت له معانيها ... ومبعث هذا كله يرجع الى صدقه في التعبير عن نفسه من نحو ، وجدة مذهبه الذي ارتضاه لاسلوبه ، وصحة طبعه فيه من نحو اخر ، هادفا بهذا الصدق ، وتلك الجدة الى تقليب القارىء العربي من فن الى فن لئلا ينسى لغته ، في زمن اضحت لغتنا فيه منسية ، لكثرة من مالوا بها الى العامية ، من قعدت بهم الفصاحة ،

(*) كلمة القيت في الحفلة التي اقيمت في « نادي الرابطة الاخوية الجديد بحمص » مساء يوم الجمعة ١ ـ ٩ ـ ١٩٦٧ بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة الاديب نظير زيتون .

وكثرة من مالوا بها الى الكذب ، من قعد بهم الصدق ...

اما اسلوبه في الترجمة فقد دل فيه فقيدنا على موهبة وقدرة على التعبير السهل ، اضافهما الى موهبته ، وقدرته في الكتابة والانشاء . ولئن نحا فيه منحى اخر يغاير ما ألفناه في اسلوبه الكتابي فلانه راعى النص الذي ينقل عنه ، حفاظا على الامانة التي لا بد ان يحملها كل من يتصدى لنقل أثر من لغة اجنبية الى لغته الاصلية ، كما تجنب مراعاة لهذه الامانة كل ما يكسب الترجمة تعمية او غموضا او انحرافا عن المعنى الذي قصد اليه واضع الاثر .. ولو شاء لعمد الى السجع ، بيد انه تنحى عنه ، ناهجا نهج القلة القليلة من مترجمينا الافذاذ امثال « الزيات ، ومحمد عوض محمد ، والمازني » وسواهم من الغيارى على مجدهم الادبي ، الحريصين على اصالة لغتهم الذين امتازت ترجماتهم بأسلوبها الجميل ، وفصاحة كلامها وسهولة لفظها ، وبهجة عبارتها .. وهي خصلة اعوزت الكثيرين ممن يتصدون اليوم لنقل الاثار الاجنبية الى لغتنا .. واخال ان « المازني » كان ـ من بين اولئك الرواد الفحول ـ كفاء لفقيدنا في الترجمة ، لانه كما وصفه العقاد : « يترجم النثر في اسلوب كأسلوب الجاحظ وخالد بن صفوان ، ويترجم الشعر في اسلوب كأسلوب البحتري والشريف الرضي » .

ولو اطلع « العقاد » على ترجمة فقيدنا لما زاد على ما وصف به المازني ... ولعل مأتى براعته فيها ، فهمه اسرار الترجمة التي « ليست مجرد نقل فحسب ، بل هي في الحق خلق جديد . وليست عملية الخلق هذه بمقتصرة على عالم الاصل ، بل هي كذلك في عالم التلقي » وابلغ ما يطلب النجاح في مثل هذه الحال « المعايشة والتجاوب والمشاركة ، والحرص على نقل روح المؤلف الى اللغة المراد الترجمة اليها » ... « ومن البدهيات ان الترجمة تبعدنا عن الروح الاصيل للنص المترجم ، ولكن بقدر ما يكون المترجم امينا يستطيع ان يقربنا من هذه الروح . ومن هنا تتحدد مهارة المترجم ، فالمحك لمهارته ، هو امانته وحرصه على روح النص من نحو ، ومحاولته نقل هذه الروح الينا في أسلوب نفهمه من نحو اخر . ولقد وقعت في حوزي رواية « اعتراف » للكاتب الروسي « مكسيم غوركي » التي نقلها فقيدنا الى العربية ، فتباشرت بها وابتهجت ، ورحت التهمها مستغرقا في قراءة صفحاتها . ولكم استفزتني غبطة حين وازن صديق اديب يتقن الانكليزية بين النص العربي والنص الانكليزي ، وانباني ان مترجمنا الامين كان حريصا اشد الحرص على روح النص ، لم يمل عن مدرجته ، ولا خرج عن معناه ، وزادعليه حرصه على استلهام روح المؤلف نفسه وفهمه هذه الروح فجاءت الترجمة العربية وكأنها منقولة عن الاصل لا عن لغة ثانية ...

ولئن ذكروا ان الشاعر الالماني غوته اطلع في اخر ايامه على ترجمة فرنسية لرائعته « فوست » اصدرها الشاعر الفرنسي المعروف جيرار دونرفال فأعلن عن رضاه عنها ، واعجابه بها ، وقال لبعض محدثيه انه منذ سنين لا يحب ان يقرأ « فوست » في الالمانية ، وان هذه الترجمة الفرنسية قد حببت اليه النظر في هذا الكتاب .. فانني على يقين ان لو قدر لمكسيم غوركي ان يعيش الى هذا العصر ، وان يتقن العربية ، ويطلع على روايته في ثوبها العربي القشيب ، لقال في ترجمتنا مثل ما قاله غوته في ترجمة جيرار دونرفال ..

وعندي ان مدار حذقه فيها ومستقر تجويده ، انه شغل في طلب اللغات باله كما شغله في طلب لغته ، فوقف على اسرارها ، وعرف خفاياها ، وتمثل روحها ، غير ال جهدا ولا مستفرغا وسعا في الاغتراف من معينها الثر وينبوعها العذب ... ولقد غلبه منذ شبابه حب اللغات كما غلبه حب لغته ، فاتقن البرتغالية والاسبانية والانكليزية والم بالفرنسية ، فنفذ الى لبابها ، وغاص في اغوار اثارها الادبية ، وتمرس في نقل روائعها (1) بخاصة حين تولى تحرير جريدة « فتى لبنان » في البرازيل عام ١٩٢٦

وها أنذا اورد لكم نبذا اخترتها من بعض ابواب هذه الرواية التي سماها « أين الله ـ او ـ اعترافات ابن الشعب » لتستدلوا بها على اسلوب فقيدنا في الترجمة الذي اسلس له ، وتستبينوا منهجه في اختيار الفاظه التي ينفش لها فؤاد قارئه ، وترف نفسه الى سهولتها وجزالتها ، وعذوبة جرسها ، بحيث اضحت اشد ما تكون صلة بفن الترجمة الجميل ....

يقول في الفصل الثامن على لسان « ماتفي » بطل الرواية : «كان بين المدينة والدير مسافة ثلاثين فرسخا، فجددت في السير، وفي صباح اليوم التالي كنت هناك اسمع القداس الذي حضرته جماهير لا تحصى ... كان الدير غنيا ، والراهبات كثيرات ، وكان الكاهن يتلو الصلوات بسرعة كمن يقوم بفرض لا مهرب منه .. وكانت الراهبات اللواتي يؤلفن الخورس مشرقات الوجوه ذوات قسامة ووسامة ، وقد ارتحت كل الارتياح الى ترتيلهن الجميل الذي يصعد بالنفس الى الاعالي .. وكانت الشموع تذرف دموعا بيضاء كأنها تبكي الشعب » .

ويقول في « الفصل الخامس عشر » : « عندما رأيت الشرائع مخروقة الحرمة ، والبشر يعيثون فسادا فقدت سلامي الداخلي واضطربت روحي . ثم عزمت على مغادرة عملي فسلمت متاجري لابنائي وضربت في الارض هائما على وجهي ، متنقلا من مكان الى اخر ... وها قد مضى علي الآن اربع سنوات اشرقت فيها واغربت فرأيت حتى ما رأيت ، وسمعت حتى ما سمعت .. لقد اجتاحت جرذان الرذيلة الصرح الديني ، واعملت في دعائم الشريعة اسنانها قضما وقرضا ، وستظل دائبة على عملها حتى تنهار الدعائم وتسقط الجدران فوق ساكني الصرح » ....

ويقول في الفصل الثامن عشر : « ما اجمل الحقول وما احلى الارض التي تطأها اقدامنا مخملية ، وتفترشها وثيرة .. ففي الحقول تبدو الارض مستديرة جلية غير غامضة ، فاذا استلقى المرء فوقها شعر وكأنه توسد صدر امه ، او كأنه عاد الى ايام الطفولة ببساطتها وسذاجتها ونقائها .. يستلقي المرء على الاعشاب بين الازاهير والورد فتنتعش قواه بروائحها الذكية ، ويحس وكأنه مضطجع على مهد الطفولة فيبتسم وكأن يد النسيم البليل تدغدغه ، ثم تتراءى له عرائس الغابات ، وحوريات الليل راقصة حوله عازفة منشدة اغاني الحياة وترانيم الجمال والفن وتنفتح امام باصرته كوى السعادة غير المتناهية ويشاهد كوثر الحب ، ويسمع خريره الرقيق ... اذا ما افاق من نومه خجل ان يطأ الارض التي افترشها واقبل على الاعشاب والازاهير وسائر النباتات التي كست الارض حلتها الخضراء يشبعها تقبيلا ...

ما اجمل الحياة في الخلاء ، في الحقول ، في الهواء الطلق ، لا يصد هبوبه حاجز ولايقف في وجهه سد ... ما احسن الارض ، يتكيء عليها المرء فيشعر وكأنه متكيء على صدر حبيب يغار عليه ، ويشكو اليه ما يجول في صدره فيصيح : «مباركة انت ايتها الارض الحبيبة » ...

ذلك هو أسلوبه في الترجمة ، لا اخاله الا وسكر آذانكم بحلاوته ونعش ارواحكم بسهولته ، واسترق قلوبكم بحسنه . وتلك لعمري اجادة لا تواتي الا من كانت له معرفة تامة باللغتين ، وطبع جواد

---

(1) للفقيد كتب اخرى مترجمة منها رواية « النبي الابيض » للروائي الانكليزي هول كاين تدور احداثها حول نضال مصر في عهد الخديوية ... ورواية «مركيزة سنطوس » للمؤرخ الروائي البرازيلي الدكتور باولو سيتوبال تدور حوادثها حول انتفاضة البرازيل واعلان استقلالها عن البرتغال ... ورواية « ارلندا المناضلة » تشرح الحركات الثورية التي قامت بها المنظمات الارلندية في سبيل استقلالها عن التاج البريطاني ... ومنها « فلسطين العربية » وهي مجموعة دراسات وآراء حرة لكتاب انكليز ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نحن قلبان توأمان

في ذكرى المأسوف عليه نظير زيتون في حمص

★ ★ ★

عقدت حمص للفقيد الكبير ... مأتما قد عقدته في ضميري
ودعتني الى رثاء فتاها ... أفأرثي مصيره أم مصيري ؟
نحن قلبان توأمان ، وقانا ... من جفاء النوى عناق الشعور
كنت أحيا على رجاء لقاه ... صرت أحيا على نداء الحفير
حبه كان واحة ظللتني ... وشفتني من الظمأ في الهجير
وارتني كيف اليراع يصلي ... ويجلي على بيان العصور
ثكلته أم اللغات فسالت ... أدمع الضاد من جفون العشير
كان خلف البحار كنز الجوالي ... فقدا في الديار كنز القبور
لن اعزي به ولن اتعزى ... ألم الخطب فوق صبر الصبور
يا نظيري في غربتي ومآبي ... ما أمر الحياة دون (نظير)

فيشي ـ فرنسا

جورج صيدح

بالكتابة في لغته ... ولست اشك في ان معرفة فقيدنا التي حازها ، وطبعه الجواد الذي فطر عليه ، يدحضان رأي الجاحظ القائل ، « ان اللغتين اذا التقتا في اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها » . اذ نرى العربية والانكليزية قد التقتا في لسانه ، فلم تدخل احداهما الضيم على صاحبتها ، بل سارتا في قرن واحد وهما اشد ما تكونان تآخيا ومحبة ...

وبعد ... لقد كان فقيدنا من جلة كتابنا ، وائمة ادبنا المعاصر ، له فنون من القول ما جاراه فيها اديب ، ولا ماثله فيها كاتب ... هوى لغته الهوى البرح ، وعشقها العشق المضني ، وبلاها ووقف على اسرارها ، فاستجابت له قريحة فياضة ، وبديهة غزيرة ، وقلب ذكي وريشة سمحة ، فمضى يهزج في بيانه هزج الآمن المطمئن ، لا يتعصى عليه طلب لفظة الا اسلس له، ولا يلتبس عليه معنى الا فضه، ولا يند عنه اسلوب الا وجده عند ارادته وحسب بغيته .. اخذ بأزمة الكتابة ونهض بأعبائها ، واستقل بثقلها ، فكان من أبين من نطق لسانا بين كتابنا مقيمين ومغتربين ، على الرغم مما عاناه من ضياع وتحرق ، وما لقيه في حياته من عنت ونكران .. وكأني به وهو يعاني ضياعه وتحرقه ويلاقي عنتنا ونكراننا ، كان يردد بينه وبين نفسه قول شاعرنا :

ازين شقائي بالاباء فانثني ... وبرد هنائي في الحياة منمنم
واحمل الامي مدلا بحملها ... على الناس .. نعم الفارس المتألم

وليس عجيبا ان يتألم فارس الحرف في بلادنا ، وان يظل مغتربا حتى في وطنه « لان حبه له ، للغته ، لدمه ، اقوى من قيود الزمان ، واعظم من ابعاد المكان ، واسمى من عذاب الحياة » ..

ولئن اخترمت المنية فارسنا الابي الجريء بعد ان أهدف للسبعين فأوجع قلوبنا فقده ، فعزاؤنا انه كان طوال حياته رفيف الاخلاق ، صادق القلب ، جم التواضع ، وانه كان للغته التي احبها ، حافظ فصحاها ، وحامي ذمارها . قام بواجبه نحوها ، فصان بآثاره القيمة تراثها ، وأغنى بترجماته الرائعة ادبها .. وتلك خلال قمينة بأن تثير اعجابنا وتشحذ همم نقادنا ومؤرخي ادبنا المعاصر ، وتحركهم للكتابة عنها ، ليصرفوا عنايتهم اليها ، ويخصوها بالحظوة وينزلوها المنزلة التي تستحقها .

حسبي الساعة وحسبكم ، وقد لفعنا المصاب فأورثنا الحزن واللوعة ان نتصبر ونتعزى ، ونأتسي بأمير الشعراء ، حين فجع بشاعر النيل فناح عليه جزعا :

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها ... وامام من نجلت من البلغاء
ما زلت تهتف بالفصيح وفضله ... حتى حميت امانة القدماء

دمشق

سعد صائب

نظـير زيتـون

فجع الشاعر بالنعي الذي جاءه من حمص يحمل نبأ وفاة صديقه الاديب المهجري الكبير المرحوم نظير زيتون ، فكانت هذه القصيدة التـي ارسلها الى حفل تأبين الفقيد بحمص لتلقى نيابة عنه .

★

أيهـا النـازح يـوم البرحـاء ... انت واللـــه اميـر الشهـداء
ان مـن مـات علـى ساح النهى ... مثل مـن مات على ساح اللقـاء
أجل يمضي بنـا ... ليس لنـا ... حيلة فيـــه اذا حـم القضـاء
مات بالسيف فريق ... وعلـى ... غير متـن السيف ماتت فرقـاء
ويموت الليث فـي الغيل ، وفي ... خارج الغيل .. على حـد سواء

يا أخي في اللغة الفصحى ، وفي ... نسب كالشمس ممدود الـرواء
جمعتنـا احرف مـن عـزة ... وخيوط جدلت مـن كبريـاء
ونمـانـا للمعـالي وطـن ... ثابت الاساس ، مرفوع البنـاء
يلتقي المحنة مـن غيـر أسى ... ويلاقي الخطب مـن غيـر انحناء
صابر في الباس .. ما مالت به ... كفة الباس ، ولا خاب الرجـاء
يجـد النكسة طاقـا للعـلا ... ويـرى الظلمة بابـا للضيـاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـا نظيرا .. لم نجد مـن علمه ... ومجـالي خـلقه مـن نظـراء
لـك في القـول بيـان مشرق ... وعبـارات فصيحات وضـاء
فاتـن الآداب ان تسجع .. وان ... أنت لم تسجع فشيخ الادبـاء
لم يخنك اللفظ .. ان تستدعه ... هـرع اللفظ ، فلباك ، وجـاء
تنزل اللفظـة فـي منزلهـا ... وتؤديها علـى خيـر أداء
لا تـرى الالفاظ حشوا زائـدا ... أو كلامـا يتمطى في الهـواء
فأذا سجعـك شـيء رائـع ... تتشهـاه نفـوس البلـغاء

يـا معيد السجع مـن ديواننا ... بعد ما قلنـا : على السجع العفاء
أنـت شنفت بـه آذاننـا ... فتلفتنـا جميعـا للـوراء
نسمع المـاضي الذي كان لنـا ... فيه أمجـاد ، وفخر ، وعـلاء

القاهرة ... محمد عبد الغني حسن

الجاسوسة

بقلم سارة ناعوره

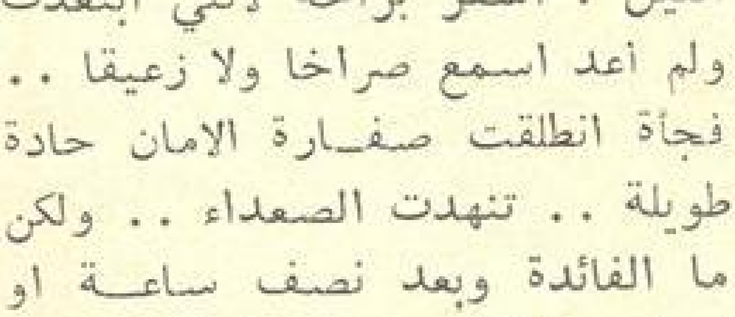
بصوت هادر كالرعد ، كخوار ثور ، كمواء قطة ، كانت الاصوات تتعالى بكلمة واحدة اطفي النور .. اطفي النوور ... ارجوكم اصمتوا ... اطفأتم انوار الفندق كلها من المولد الرئيسي .. الا يكفي هذا ؟ من يشعل النور في تلك العمارة ... ليطفئه عديم الاحساس .. وتعالت صفارة الانذار معلنة بدء غارة اخرى

خفق قلبي بشدة ، قفزت عن السرير .. ما كان يجب ان اخلع ثوبي ... اين حذائي ... اصوات القنابل والمدافع تشتد وتقترب . لايجب اشغال عود كبريت .. أاملكه اولا ؟ يجب ان انزل الى الملجأ ... اسمع اصوات ابواب الغرف الاخرى تفتح وبعضها يغلق بشدة كالاف المطارق . وكانت فتاة تبكي بصوت عال . حتما انها الهام ... لا زالت تبكي منذ بداية الحرب لانها بعيدة عن لبنان .. شعرت بالاشمئزاز .. بالغضب . لن انزل الملجأ ،يكفي اني جائعة ومضطربة ، اطفي النور يالي هناك .. اطفي . لا زالت الغارة مستمرة على القاهرة ، اشعر بالاختناق ، امسكت باول ثوب تلمسته والقيته على جسدي لكني ادركت انه الازرق بسبب العقدة على الخصر . تحسست ارض الغرفة واختطفت حذائي البسه وخرجت بارتباك اتلمس الحائط بيدي ، بحذائي بجسدي حتى وصلت امام المصعد الذي تحلق حوله العشرات وهم يهمهمون واحدهم يضرب الباب بعصبية يريد النزول فضاق صدري وفضلت ان أنزل الدرج اللولبي من الطابق السابع حنقا .

عندما اصبحت في الشارع وجدت اني استطيع الرؤية بصورة افضل من الغرفة لان النهار لا زال يلملم بقاياه ، لكنني لا زلت اشعر بالاختناق .. ولعل الجو الحار يزيد في هذا ، اود ان اركض ... سرت في الشارع وكنت اسمع افراد الدفاع المدني يصرخون بي ، امشي عالرصيف .. بجانب الحائط ليتركوني وشأني فأنا التي ستموت اخيرا .. وصلت لا ادري اين ... اشعر بالجوع الشديد ، حقا فانا لم آكل منذ الصباح ، لكن الآن جميع المطاعم مقفلة ابوابها وهذا ؟ ياللجشع لازال يبيع الطعمية ، توقفت لاشتري ولكن لما نسيت اني لا احمل معي قرشا واحدا ؟ هذا المفتاح احمل انبيعني به ايها الاحمق ؟

كنت لا ازال اسير وانا اسمع اصوات المدافع ، والمعركة لا زالت مستمرة .. الوجوه كالحة الما ، كل الوجوه ، الاعين تبكي ، وتبكي دما ، لست وحدي من يشعر بالاختناق الجميع يشعرون بهذا ، الجميع يتمنون حمل السلاح ويريدون التوجه للجبهة . لا يستطيعون .. فلا يجدوا سوى الصراخ مساهمة وتنفيثا .. هذه قاعة سينما قصر النيل ؟ اشعر براحة لانني ابتعدت ولم أعد اسمع صراخا ولا زعيقا .. فجأة انطلقت صفارة الامان حادة طويلة .. تنهدت الصعداء .. ولكن ما الفائدة وبعد نصف ساعة او نصف دقيقة ستقوم غارة اخرى ومعارك اخرى ؟

بدات اسير على مهل ، الطريق فارغ ، احسست براحة ، راحة شديدة .. لكن لما يضايقني الحذاء ؟ لويت قدمي ياه انني البس الفردة اليسرى مكان اليمنى وبالعكس . افتخر دائما برباطة جاشي فاين مني الآن ورباطة الجاش هذه التي تجعلني لا اشعر طوال هذه الطريق بأني اسير بطريقة مزعجة . تنبهت الى نفسي فاصلحت وضع ثوبي قليلا وتحسست شعري المرسل على كتفي ، كان يجب أن اعقده ، سمعت خلفي صوتا يقول :



— الست خائفة ؟ الساعة الثامنة ؟ والغارات ! ما اسمك يا حلو ..

تابع خطاه خلفي ، كاد يلمسني لكني ابتعدت الى الرصيف الآخر تبعني فأسرعت وقلبي يخفق خنقا اسرع خلفي ..يا لثقيل الدم هذا . قررت الا ارد عليه وعدت اسير سيرا طبيعيا لكنه اصبح بجانبي .

— اسكن وحدي

مرت سيارة عسكرية مسلطة نورها الازرق الخافت فاستطعت تمييزه ، طويلا ، نحيلا ذا عينين خبيثتين ، وما ان مضت السيارة حتى اصبحت على الرصيف الآخر . طاردني ايضا .

— قشطة .. يا قشطة .

— بارل تي لا لنغ فرنسيس

— ما بترديش ليه

— يو سبيك انغلش .

قلت في نفسي حمار.. بزاقة .. ابن كلب .. فف

وصرخت به : — اذهب عني للشيطان ايها الوقح .

— حسنا .. لسنا بناس .. مش قد المقام .

اف اخيرا تركني هذا المنحوس كنت قد وصلت المتحف مقابل اوتيل هيلتون وانا في حالة نفسية اسوأ واشعر بتعب شديد .. لا بد اني سرت مسافة طويلة ، لكني تابعت طريقي في شارع مظلم وفجأة وجدت نفسي وجها لوجه مع النيل . عبرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكورنيش وجلست على اول مقعد حجري صادفته .

وضعت قدمي على الحاجز امامي اسندها وانا اراقب الافق الغربي الذي لا زال محمرا ، لكن اشعة القمر كانت تطغى على بقية النور فتمتصها وتتكسر على صفحة الماء . كم اشعر برغبة للرسم . اين كنت في تلك الفرفة بل في ذلك السجن الخانق ، هه .. هنا لا دفاع مدني ولا من يحزنون ولا شيء سواي والماء والقمر والسماء .. لاول مرة منذ بدء الحرب اشعر باني افضل حالا مما كنت .. لكم كنت غبية اذ أسجن نفسي ضمن جدران اربعة .

بدأت اسمع بعض الخطوات المتلاحقة السريعة وفجأة ارتفع صفير صفارة الانذار متقطعا عاويا رهيبا . ارتبكت لكني لم اتحرك ولم اشعر بالخوف كما في غرفتي . لن افكر الآن اذا كانت القنبلة ستقع فوق راسي ام لا فعلى الاقل استطيع ان اراها الآن اذا كانت ستسقط فوقي او قربي . ولما افكر بانها ستسقط علي ؟ الا يوجد سواي في القاهرة ؟ ثم ان المدفعية المضادة جد قوية كما اسمع ولا تستطيع اية طائرة اختراق اجواء المدينة . اليوم؟ سمعت ان هدفهم الجسور على النيل .. وانا ؟ على النيل .. بدأت الخطوات تقترب مني . لما توقفت بجانبي ؟ اسند احدهم جسده على الحاجز امامي وقال :

ـ مساء النور ..

ـ مساء النور ..

ـ كويس انك بتردي

رباه انه هو .. بعينه الذي كان يطاردني في الشارع ؟ ظننته احد افراد الدفاع المدني . الم يمض لغير عودة .. هذا اللعين تبعني كلص لكن من معه .. شعرت بالخوف .. افضل حل الا ارد ولكن سأنادي تاكسيا . نسيت اني لا احمل سوى هذا المفتاح .. قبضت عليه جيدا . سأدافع عن نفسي لكن اذا وجدت تاكسيا سأدفع له حين وصولي ، لكن اين هو .. ؟ اين هو .

ـ انا ساكن وحدي . الساعة ثمانية ونصف « لسه بدري » .

ـ «حنوصلك بعدين البيت » .

ساعتين بس .ما بترديش ليه ؟

وتقدم اخر ورائي وقال وهو يجلس بجانبي :

ـ عندها حالة نفس .

نهضت عن المقعد كمن لسعه ثعبان ومشيت خطوات احاول العودة من حيث اتيت .

الطريق امامي مظلم اكثر من السابق . لا ارى تاكسيا واحدا او انسانا ولكني مشيت وفجأة سمعت ورائي صدى خطوة ، خطوتان ... عدة خطوات

ـ خمسة .. خمسة جنيه مش عاوزه ؟

ـ حد يشارك معايا ؟

ـ قوي .. انا كمان خمسه

ـ كويس يا جلال .. اسمعي بقوا عشرة

ـ طيب نزودهم شوية ؟ مش عاجبك كمان .. طيب بلاش احنا مش عاجبينها ..

ـ بقى اسمعي .. انت حتمشي معانا بخاطرك او لأ .

اسرعت بالسير ، اسرعت الارجل ورائي . توقفت فجأة اذ ادركت انني اسهل هدف في هذا الظلام . توقفت الخطوات .. عدت للسير فعادت فتيقنت انهم يريدونني ان ابتعد اكثر داخل الشارع وفاجئتهم بمروري السريع وانا اعود الى حيث كنت على الكورنيش حيث الظلام اقل وهناك اسرعت بالسير على الرصيف .

طاردتني الخطوات ، صوت القنابل لا زال يتعالى ، اصوات بعيدة جدا تنادي ، اطفي النور ، لم اكن لاجرؤ على النظر خلفي لارى عددهم ولكني كنت على ثقة من انهم ليسوا اقل من اربعة .. ولاول مرة منذ بدء الحرب شعرت بمدى ضعفي وخوفي اريد اي انسان ، اي بوليس ، اي ضوء .. منذ البداية وانا اكره الظلام فكيف اذا كان في مثل هذا الموقف ؟

لا زالت الخطوات والكلمات تلاحقني ولا زلت اسمع من البعيد صدى الانفجارات ، من سيخرج من الملجأ ؟ اي بوليس سيهتم بي في هذه اللحظة سأصرخ .. كيف سأصرخ ؟ اسمع بوضوح صدى كل خطوة من خطواتنا ، لا استطيع الصراخ .. ماذا سأقول ؟ وفجأة بدأت اركض ، واركض بكل قوتي ، اكاد ابكي لكني لا استطيع ... الشارع طويل طويل .. ركضوا ورائي . انتقلت الى الرصيف الاخر كان كل سلاحي ان اركض .

ـ مصطفى لف من هناك .

كنت اركض بكل ما اوتيت من قوة لكنهم اخيرا ادركوني واحاطوا بي وسط الشارع فانسللت من بينهم وتبعوني واحاطوا بي مجددا ... سرت .. ساروا حولي كدائرة .

ـ مش عاوزه تروحي معانا ؟

ـ احنا مش كويسين ؟ مش عاجبينك ؟

امسك احدهم بخصلة من شعري وشدها

ـ كلب

ـ الشعر الحرير

احسست بيدين خلف رقبتي .. اخرى امسكت بيدي ، سحبت يدي بشدة وانا ادفعه واتملص من الاخر لم استطع الصراخ . وفجأة سمعت صوت محرك سيارة وهدر بقوة اكثر ..

ـ جرها للناحية دي وسكر .

دفعت احدهم وركضت ، فجأة سلطت علينا الانوار الزرقاء الخافتة ثم نزل شبح ابيض . انه ضابط بوليس

ـ فيه ايه هناك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبـــار

القصيـــدة الثانيـــة

★

قد عدت من تلك الطريق
ورويت من ذاك الرحيق
ومضيت في درب المنى أرتاد غايته القصيه
فكشفت من تلك الشوارد كل غامضة خفيه

ان كان طال بي المسير
وكان أصلاني الهجير
فاليوم تدنو روضتي ويلذ لي العذب الزلال
وأجوس في أرجائها متفيئا تلك الظلال

هي روضة عبر القفار
تشتاقها المهج الحرار
طارت أبابيل الاماني فانطوى نجد وواد
لتحط تحسو من ينابيع الرضا غير الثماد

تجسدت خلف السراب
مدينتي ذات القباب
هشت ((وبار)) لمقدمي واستضحكت أسوارها
وولجت باب مدينتي فتبلجت أسرارها

أبراجها من عسجد
تزدان بالزبرجد
طوفت في ساحاتها بين أساطين الذهب
لاتنشي من حسنها بعجب بعد عجب

ها قد دنت بعد البعاد
مدينتي ذات العماد
أمضي مع النور على طرائق من سندس
مسدد الخطو الى محراب قدس أقدس

ويفيض قلبي بالسرور
اذ لا حجاب ولا ستور
واذ الضياء يشع من روحي فيملأ عالمي
ويبدد الظلمات من حولي ويسري في دمي

جاوزت أطباق السماء
وعلوت ما فوق العلاء
وسبحت في فلك يدور فلا زمان ولا مكان
وسموت حتى كان تحتي المشتري والشعريان

اتصلت بحاضرنا العتيد
أحلام ماضينا البعيد
وغدت اماني الامس واقعنا الذي نحياه جهرا
فعرفت بل أفشيت من أمر الهوى ما كان سرا

امتدت لنا كف الحنان
تأسو الذي اجترح الزمان
طابت لنا يا ليتها دامت سويعات النعيم
من بعد أن جزنا الى ميعادها الدرب القديم

الجزائر

جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنفست الصعداء وصرخ لعين :
ـ انها جاسوسة يهودية .
كنت قد انهرت تماما فلم اشعر بسعادة كبرى ولا اي شيء . فقط عرفت انني اصبحت بأمان ، بدأت دموعي تتدحرج على وجهي . لم يكن لدي ما اقوله .. لانني لم اعثر على كلمة مناسبة ، ماذا سأقول ؟.

لم اكن لاستطيع قول اي شيء . ولم اعد ادري اي القنابل اسمع ، اهي داخل رأسي تطرقه ام لا زالت المعركة مع العدو مستمرة في الخارج . ابتعد بي الضابط يحقق معي واحتجت للحظات استعدت بها قدرتي على التفكير والنطق حيث شرحت له ما حدث ، اعطى اوامره بالقبض عليهم وهو يعتذر ولكن .. كانوا قد مضوا بعد ان ادوا مهمتهم بالقبض على جاسوسة .

اصعدني للسيارة ، اعادني للفندق بينما كانت صفارة الامان تعلن نهاية غارة .

سارة ناعورة

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

خلوصي الخيري - نقولا الدر

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ خلـوصي الخيري

رجل دولة ، ورائد من رواد الفكر العربي المعاصر ، وهبه الله خصبا في التفكير ، واصالة في الرأي ، وبراعة في عرض القضايا السياسية وسبر اغوارها ، وفي تحليل المشاكل التي تواجه العالم العربي ، وجمع في شخصه المعرفة القادرة بالحكمة الفاعلة !

ولد « خلوصي » في الرملة البيضاء بفلسطين عام ١٩٠٨ لعائلة عريقة توارثت العلم كابرا عن كابر لاجيال عديدة ، وأكمل دراسته الاولية في الرملة ودرس القرآن على الشيخ محمد القادري من علماء الرملة .

وقصد بيت المقدس لتلقي دراسته الثانوية ، فوزع سنيها بين مدرسة المطران ومدرسة الفرندز برام الله والكردينال فراري (كلية تراسانطه فيما بعد) . وبعد ان نال الشهادة الثانوية انتسب الى الجامعة الاميركية في بيروت ، ونال عام ١٩٢٨ شهادة بكالوريوس في السياسة والاقتصاد واللغة العربية .

وطلبا للمزيد من العلم يمم لندن ودرس الادارة المدنية ، وهي تشمل دروسا اقتصادية وسياسية وادارة مدنية ، في « مدرسة الاقتصاد اللندنية » احدى كليات جامعة لندن وامضى فيها مدة سنتين وفي عام ١٩٣١ عاد الى فلسطين وعين موظفا كبيرا في مكتب المطبوعات بالقدس ، وظل يعمل فيه لغاية ١٩٣٥ ثم نقل الى الادارة وعين قائم مقام في القدس ، وتنقل بين حيفا وجنين ونابلس وبيسان والرملة .

وفي صيف عام ١٩٤٥ استقال من الجهاز الحكومي والتحق بالمكاتب العربية ايمانا منه بان ذلك اجدى وانفع لخدمة القضية الفلسطينية وشرح ظلامتها للعالم الاميركي ، وعين رئيسا للمكتب العربي في واشنطن وامضى في عمله هذا عاما ونصف العام ثم استقال وعاد الى مسقط رأسه .

وبعد حلول النكبة المروعة الاولى (١٩٤٨) وهام عرب فلسطين على وجوههم ، لجأ « خلوصي » الى رام الله متكتلا فيها مع نفر من اخوانه لعرقلة الجهد الذي بذل عام ١٩٤٨ لعقد الصلح مع اسرائيل .

وفي فترات واقعة بين اعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٩ شغل في عهود مختلفة وزارات الاقتصاد والزراعة والصحة والمعارف ، وانتخب عدة مرات عضوا في المجلس النيابي ، ودعا الى معارضة بناءة والنظر في تعديل الدستور الاردني بحيث ينسجم ووعي الشعب .

وكانت وزارة الاقتصاد الموئل الرئيسي لعمل السيد الخيري كوزير خلال السنوات العشر التي تولى خلالها منصب الوزارة . وفي هذه الفترة برزت الغالبية العظمى من المشاريع التي تقوم عليها الآن نهضة الاردن صناعيا . وكانت وزارة الاقتصاد تحت اشرافه مرجع الخبراء ومكان التخطيط والدراسات التمهيدية التي انتهت بقيام صناعات الاسمنت والفوسفات ومصفاة البترول والدباغة والاجواخ والبوتاس والسكر وغيرها . ولقد سارت هذه الصناعات سيرا حسنا ، مع ان صناعتي البوتاس والسكر لم تظهرا الى عالم الوجود بعد ، فان الدلائل تشير الى صحة الدراسات والاستنتاجات التي قامت بها وزارة الاقتصاد في عهد السيد الخيري . ومع ان بعض الناقدين يأخذون عليه واسع خياله ، فان هذا الخيال الخصب نفسه هو الذي تنبأ بنهضة الصناعة الاردنية ، ومهد لارساء قواعدها وانتظام سيرها .

وفي ربيع عام ١٩٥٨ بدأت المفاوضات السياسية بين الاردن والعراق لقيام الاتحاد العربي ، فعين السيد الخيري وزير الدولة للشؤون الخارجية ، ولم يكن تعيينه هذا من قبيل الصدفة ، لكنه جاء نتيجة لرأي ممحص ومعرفة ثاقبة ، فانت اذا استمعت لحديث السيد الخيري في الشؤون العامة لفت نظرك تحول نظره في المشاكل السياسية العربية والعالمية ودراسته الواسعة لهذه المشاكل وأسسها وحلولها ، هذا مع لباقة رجل السياسة في العرض والسرد والاقناع ، وهذا الذي تسمعه يمثل في الحقيقة ميله الفطري للسياسة والشؤون العامة .

وانتهى الاتحاد العربي بين الاردن والعراق بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، تلك الثورة التي اطاحت بهذا الاتحاد ، وكان السيد الخيري وقتذاك في بغداد فاستهدف للخطر لكن الله تعالى كتب له السلامة بعد ان ظل في مستشفى الرشيد العسكري مدة ٣٥ يوما قيد المعالجة .

وبعد عودة السيد الخيري من بغداد الى عمان عين عضوا في مجلس الاعيان ، وفي عام ١٩٥٩ دخل الوزارة الاردنية لآخر مرة كوزير للاقتصاد ثم انصرف الى العمل الحر ، وفي عام ١٩٦٣ انتخب عضوا في الوفد الذي مثل فلسطين في اجتماعات هيئة الامم .

اشتهر السيد الخيري بذهن متوقد ، وعقل متفتح ، وقدرة خلاقة مبدعة ، وأكثر ما ساعد على تكوين اتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية دراسته في « مدرسة الاقتصاد اللندنية » مدة سنتين ، وكان من اساتذة هذه المدرسة وشيوخ الفكر في بريطانيا امثال « دولتن » وزير المالية في وزارة حزب العمال برئاسة مكدونالد ، و « جنكنز » صاحب التأمين الاجتماعي و « روبنز » و « فاينر » وهما من مشاهير اساتذة تلك المدرسة و « لاسكي » سكرتير لجنة حزب العمال البريطاني .

وتأثر السيد الخيري بالمؤلفات السياسية ولذا عكف على آثار «برنارد شو » و « وب » وزوجته « بياتريس » الشهيرة ، وقرأ « برتراند راسل » و « ويلز » فاعجب بمؤلفاتهما وآرائهما ، ولقد أبانت له هذه الكتب الافكار والمذاهب ، وربطتها بحياته العملية ربطا محكما حتى صارت جزءا منها .

وتأثر السيد الخيري بـ « ابن خلدون » صاحب المقدمة الشهيرة ايمانا منه بأن فلسفته تبحث بعمق في الحياة العملية التي يعيشها العرب ويمارسونها . ومن الناحية الادبية يطرب كثيرا للشعر الجاهلي عامة وللمعلقات خاصة ، ويثير استغرابه كيف سميت (الايام) التي قيلت فيها مثل هذه الاشعار (جاهلية) وهي على مستوى رفيع من الذوق والخيال والقوة ؟!

والحل الامثل في نظره للوضع العربي المريض المتخلف هو الحل الذي يقوم على أسس اقتصادية سليمة ، واهم ما يوفر هذه الاسس الاقتصادية هو القضاء على التجزئة ، واقرب الحلول لتحقيق هذا ... هو الحل الاقتصادي السليم .

والعالم العربي في وضعه المهلهل الحالي يعتبر عند الخيري كيانا مريضا في حاجة الى معالجة جذرية ، والمعالجة الجذرية هذه هي ازالة التجزئة والنهوض باقتصاديات هذا العالم الممتد من المحيط الى الخليج واستغلال موارده وثرواته الطبيعية الهائلة وتأمين انتشار هذا التقدم بحيث يشمل افراد المجتمع العربي كله ، مع شعور السيد الخيري بان هذا العمل يتطلب كفاءات (فوق العادة) من قبل القيادات التي تتصدر العالم العربي .

والنكبتان الفلسطينيتان المروعتان ، في نظر السيد الخيري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كشفتا للشعب العربي كله وللفئات المثقفة بشكل خاص ، عن حقيقة الواقع العربي المريض ... وان ما يجري في العالم العربي الآن هو نتيجة مباشرة لمحاولات تقوم بها الطلائع والقيادات العربية لتبديل هـذا الواقع .

وفي رأي السيد الخيري ان من غير المستغرب ان تفشل بعض هذه المحاولات ، وان ينجح البعض الآخر ، ومبـدأ التجربة والخطأ للوصول الى « الحل الامثل » ينطبق على هذه المحاولات كلها .

وليس فيما نشاهده ، مما يجري في العالم العربي ، مما يثير في نفس السيد الخيري الجزع والخوف ، اذ قد ثبت تاريخيا ان الشعوب التي سبقت الشعب العربي في مثل محاولاتها هذه لتصحيح اوضاعها ومعالجة امراضها ، قد مرت بمثل هذه المراحل . وكل مـا يرجوه هذا المفكر الواعي ان لا تطول هذه الفترة اي فترة التجربة والخطأ

نموذج من نثره : ١ ـ «تستهل الحكومة بيانها بتواضع محبب ولكنه في الوقت نفسه غريب فتقول « انها لم تكن على صلة مباشرة بشؤون الحكم ولا على الخطط والتفصيلات التي كانت تعالج بها قضايا البلاد العامة « وانهم » جاءوا الى الحكم وليس امامهم الا واقع الشعب بظروفه الدقيقة التي تجتازها سواء في امورها السياسية او الاجتماعية وسواء في معالجتها لقضايا حريات الشعب وفلسطين واللاجئين » الى اخر ما هنالك . ولولا خشيتي ان افسد على الحكومة هـذا التواضع الجميل لقلت انه تواضع مبالغ فيه وانه لا يقوم على اساس من الحقيقة فلقد عاصر دولة الرئيس والكثرة من زملائه قضايا هذا البلد منذ نشأتها واني لا اكاد اذكر مرحلة واحدة من مراحل تطور هذه القضايا والمؤتمرات التي انعقدت في سبيل ايجاد حلول لها لم يكن لدولته او لاحـد زملائه اثر بارز فيها ، فمنذ الحرب الفلسطينية يوم كان دولته وزيرا للدفاع الى الهدنة الاولى فالهدنة الثانية فالاتفاقية السعيدة « اتفاقية رودس » فمؤتمر لوزان فأروقة هيئة الامم فمؤتمر باريس الخ الخ ولعل من شأن هذه الحقائق ان تزيد في روعة هذا التواضع وبالتالي في تقديرنا له واعجابنا به .

٢ ـ ثم ينتقل البيان بعد ذلك الى موضوع المحافظة على استقلال البلد وسيادتها وتأمين الحريات الاساسية للشعب ، ويسترسل في ذلك حين يستحيل الى نشيد من الانشاد ، « ويمس شغاف القلب » على حد تعبير دولة الرئيس بالامس وانه لمن المؤسف حقا ان تصطدم هذه الانشودة العذبة المحببة بواقع مرير يتلخص في ان هذا البلد في وضعه المالي والاقتصادي لا يستطيع ان يدفع اكثر من ثلث نفقات الدولة البالغة ١٤ مليونا تقريبا وان ما تبقى من هذه النفقات وهو في حدود ٩ مليون جنيه يقوم بدفعها المكلف الاجنبي . وما لم تتمكن الحكـومة الاردنية من استبدال هذا الواقع بواقع آخر يمكنها من الاستغناء عن هذه المساعدات فان انشودة الاستقلال والسيادة والحريات في هـذا البلد ستظل الفاظا لا تنطوي على معنى حقيقي وصورة لا روح فيها ولا حياة . ومهما اختلفت درجة تحسس الحكومات المتعاقبة بهذا الـواقع فالذي اعرفه انا وانتم ان الحرية والاستقلال كل لا يتجزأ فلا يجوز ان يقال مثلا ان بلدا من البلدان مستقل ٢٠ ٪ او ٥٠ ٪ او ٩٠ ٪ وانما يقال هذا البلد او ذاك مستقل او غير مستقل كما لا يجوز ان يقال ان شعبا من الشعوب متحرر ٥٠ ٪ او ٧٠ ٪ او ٩٠ ٪ وانما يقال ان شعبا من الشعوب متحرر او غير متحرر وعلى ذلك فان اية حكومة تقوم في هذا البلد في ظل هذا الواقع القاسي لا يجوز مطلقا اعتبارها حكومة متحررة . ولما كانت القاعدة الاساسية ان « فاقد الشيء لا يعطيه » فان اية حكومة من هذا النوع لا يمكنها ان تؤمن للشعب حرياته واستقلاله وسيادته بل لا تستطيع ان تؤمن بقاءه في وطنه .

٣ ـ الامن الداخلي : اما قضية الامن الداخلي فلم تكن في يوم من الايام مشكلة ذات بال فلقد تعاقبت الحكومات ولم تعجز واحدة منها في تحقيق هذا الامن وذلك بفضل ما توافر من القوى التي تكلف هذا البلد ما يقرب من ثلث الموازنة . اما المشكلة الحقيقية فهي في توفير الامن الخارجي وحماية ارواح سكان تلك القرى الصابرة المرابطة على الحدود من الهجمات المتكررة التي تشنها القوات اليهودية وليس في بيان الحكومة ما ينبيء بان هذا الحال سوف يتبدل او يختلف عما كان عليه في السابق بل ان هناك ما يشير الى ان الحالة قد تسوء بسبب انشغال الحكومات العربية بقضاياها الداخلية كما ان للتوتر في العلاقات بين الدول العربية من جهة والحكومة البريطانية من جهة اخرى اثره في تدهور الحالة على الحدود الاردنية اليهودية واني اود ان الفت نظر المجلس الكريم في ان الحالة على الحدود تستدعي الحذر والانتباه الشديدين .

ثم يستعرض البيان قضية فلسطين فيقول « ان قضية فلسطين ليست قضية اردنية فحسب وانما هي قضية العرب اجمعين افرادا او شعوبا او دولا . ولا تستطيع اي دولة عربية او غير عربية ابداء رأي معين او فرض حل معين بصدد تسويتها الا بضمان الحقوق العربية فيها والا في نطاق التفاهم العربي التام » .

ثم يسترسل البيان فيقول : « غير ان الاردن بحكم موقعه الجغرافي ونتيجة للتطورات التي وقعت بعد نكبة العرب في فلسطين يشعر بانه يحمل العبء الاكبر من الآثار المترتبة على تلك النكبة والحكومة تقديرا منها للمسؤوليات الجسام التي تواجهها ترى من واجبها ان تتبنى سياسة واضحة لتستلم زمام المبادرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فتبقي عليها حية في نفوس العرب وتعمل على اشراك العالم العربي معها في الوقوف جنبا الى جنب امام الخطر الصهيوني الجاثم على جزء عزيز من اجزاء وطننا العربي » .

والشيء الجديد في هذا البيان هو عزم الحكومة على تسلم زمام المبادرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وهو شيء جميل وهام واني شخصيا أؤيده كل التأييد ولكني اتساءل : ما هي السياسة الواضحة التي على اساسها تبغي الحكومة ان تتسلم زمام المبادرة هـذا فقد بحثت عن ذلك في بيان الحكومة ودققت فلم اجد اثرا لمثل هـذه السياسة . نعم هنالك اشارة الى وجوب تأمين الحقوق العربية في فلسطين وضمان التعاون العربي التام مما يدخل في باب المبادىء العامة ولا يمكن اعتباره سياسة واضحة او غير واضحة في حال من الاحوال . وما لم تتوفر مثل هذه السياسة فان تسلم زمام المبادرة يظل امـرا بعيد المنى بل يكاد يكون مستحيلا ! » .

٢ ـ نقـولا الـدر

كان شعاره طالبا ومناضلا في سبيل امته كلمة بـول دومير رئيس الجمهورية الفرنسية الاسبق : « أحبب وطنك بكل قواك واسع الـى رفعته واعلاء شأنه بين امم الارض قاطبة ، اخدمه باخلاص وكرس له جهادك ونشاطك ، ابذل ذلك في سبيل الـدفاع عـن كـرامة بلادك واستقلالها ، وليكن الحرص على كرامتها حتى يبقى هذا الوطن العزيز مرفوع الراس دائما بين سائر الامم ! » .

ولد « الدر » في شفاعمرو بفلسطين وأتم دراسته الابتدائية في مدرستها الاميرية وانتسب الـ « كلية كردينال فراري » (كلية تراسانطه فيما بعد) ، بالقدس الشريف وتخرج منها في صيف ١٩٢٦ وبعد عام دخل الخدمة العامة موظفا في مصلحة الجمارك والتجارة الفلسطينية وامضى الشطر الاكبر من خدمته في قسم النفط .

ولما ايقن من ان الخطر الصهيوني يحدق ببلاده ويستشري شره اخذ يمارس المعالجات السياسية بأسماء مستعارة لحظر النشـاط السياسي على موظفي الحكومة . ومن الاسماء المستعارة التي كان يذيل بها مقالاته « ابن الصحراء » كما اخذ ينشر مقطوعات ادبية في بعض الصحف والمجلات العربية واتخذ من جريدة « فلسطين » اليافية مسرحا لنفثات قلمه ، وفي نيسان ١٩٣٦ نشر مقالا ادبيا في مجلة « المقتطف »

القاهرية .

وبعد سقوط حيفا (١٩٤٨) في يد العصابات الصهيونية نزح « الدر » الى الاسكندرية اولا وبعد عام انتقل الى بيروت حيث اخذ ينشر في صحفها بحوثا سياسية وادبية ، وفي صيف عام ١٩٥٢ وقع عليه الاختيار ليتولى تحرير الشؤون العربية في جريدة Daily Star الانكليزية التي تصدر عن « دار الحياة » في بيروت ، وفي حزيران ١٩٥٤ تولى رئاسة هذه الصحيفة .

ولأسباب سياسية استقال في آب ١٩٥٩ من عمله في الصحيفة المذكورة وعاد الى نشر بحوثه السياسية والادبية في الصحف والمجلات البيروتية . وفي ايار ١٩٦٤ انتخب نائبا لرئيس المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي عقد في بيت المقدس ، وفي آب من هذا العام اختير عضوا في اللجنة التنفيذية الاولى لمنظمة التحرير الفلسطينية وعهد اليه برئاسة دائرة الاعلام والتوجيه القومي . وفي اثناء رئاسته هذه انشئت اذاعة « صوت فلسطين » في القاهرة (آذار ١٩٦٥) كما انشىء مركز الابحاث التابع للمنظمة الفلسطينية في بيروت . وفي شهر حزيران ١٩٦٥ استقال من اللجنة التنفيذية فعاد الى البحث والتاليف .

وفي ١٩ ـ ٣ ـ ١٩٦٧ توفي هذا العربي المؤمن في مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت فنعته نقابة المحررين في لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ودفن ظهر اليوم التالي (٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٧) في مقبرة راس النبع للروم الكاثوليك وأبنه نقيب المحررين في لبنان ومدير منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وكانت جنازته مشهدا وطنيا ولف جثمانه بالعلم الفلسطيني .

تميز نقولا منذ عهد دراسته بالاخلاص لأمته والتفاني في سبيل قضيتها الكبرى ونذر قلمه لشرح ظلامتها على صفحات بعض الصحف الانكليزية والصحف العربية ، وكعربي مؤمن بعروبته ، فخور بأمته ، هام « الدر » بالنبي العربي الكريم الذي ارسله الله هدى ورحمة للعالمين ، وغالى بالكتاب الذي انزله الله عربيا فصان الامة العربية من الفناء وابقى على وحدتها . واعتزازا بالكتاب الكريم كان يدسه في جيبه او ينشره على مكتبه ، او يحمله في يمينه .

وفي رأيه ورأي كل عربي مؤمن ان العرب لولا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رسولا كريما ، ولولا القرآن الذي انزل على هذا النبي المختار لانصهرت هذه الامة في بوتقتي الاستعمارين الفارسي والروماني ولطفى عليها اللسانان الفارسي والروماني . ودونك رأيه في ام اللغات وفضل القرآن الكريم عليها :

« ان لغتنا هي روح قوميتنا ، وبدون لغة حية لا تحيا قومية ، ولذلك فان كل خدمة للغتنا انما هي دعم لقوميتنا وعز لامتنا ، وحصن منيع نقيمه حولنا دفاعا عن كياننا ووطننا .

اللغة تحمينا وتذود عنا ، وتمدنا باسباب القوة والمنعة والخلود ، ولهذا يرهبها المستعمرون الطامعون فينا والعاملون على قهرنا واخضاعنا واقتطاع بلادنا . ومن اجل هذا نراهم دائبين على مهاجمة لغتنا ، محاولين طمسها او تمزيقها ، طمعا منهم في تمزيق قوميتنا وتفتيت أمتنا ، ثم تخليد هذا التفتيت ـ اذا استطاعوا ـ بفرض تعدد اللهجات وتنوع اللغات .

هذا ما حاولته فرنسا في الجزائر ، وهذا ما يحاوله الغزم الصهيوني في فلسطين المغتصبة ، وهذا ما طفق المستعمرون الغربيون يحاولونه في غير فلسطين والجزائر من الاقطار العربية ، وذلك بكل ما في وسعهم من صور واساليب خفية مختلفة ، فيها من ضروب المكر والدهاء ما يذهل العقل .

من هنا ينبع حرصنا الشديد على هذه اللغة الكريمة ، واعتصامنا بها وحدبنا عليها حدبا يؤجج ضرامه حب بالغ لها ، لما تتصف به من جمال وملاحة ، ولين وسماحة ، تستطيع اذا شاءت ان تفاخر بها لغات العالم كلها قديمها وحديثها .

وهنا لابد من كلمة يفرضها علينا الواجب دفعا للشكوك والاوهام واحقاقا للحق ، وهي كلمة تتلخص في سؤال بسيط جدا وهو : « لماذا يحلو لبعضهم حشر القرآن الكريم حشرا كلما اثير موضوع الصعوبة في لغتنا او تطوير قواعدها ؟ وما دخل القرآن في هذا الموضوع ؟ »

ان القرآن « لا يحنط اللغة العربية بقواعد الماضي » كما يزعم بعضهم ، ولا يحول دون « اعادة النظر في بنيانها لتتلاءم مع عقلية العصر » كما يزعم آخرون ، لان هذه القواعد ليست من وضع القرآن حتى نتهمه بعدم الرغبة في تغييرها . ان تطوير القواعد هو من واجبنا نحن ، والقرآن يساعد على ذلك ، ولا يحول دونه كما يدعون . فاذا كنا نحن مقصرين في اداء واجبنا ، فلماذا نحاول وضع الذنب في ذلك على القرآن الكريم ؟

وارخص من هذا الزعم زعم بعضهم بان القرآن يحاول فرض اسلوبه على الناس ، ونحن نربأ بأنفسنا ان نضيع الوقت بدحض هذا السخف

ان فضل القرآن الكريم على اللغة العربية لا ينكره الا العمي او المكابرون ، لان القرآن هو الذي صان لنا هذه اللغة سليمة معافاة في اروع صورها واساليبها ، رغم النوائب التي انتابتها ، والدياجير التي اكتنفتها . فلو تخيلنا صائغا عبقريا تناول قطعة ذهبية فصاغ منها ما لا يخطر على بال ، من بدائع الصور والاشكال ، ثم اختزن هذه الروائع في خزانة فولاذية لا يقوى الدهر على تحطيمها او افسادها او العبث بما فيها ، لو تخيلنا هذا المثل ثم طبقناه على لغتنا لكان القرآن الكريم هذه الخزانة الخالدة التي صانت لنا هذه اللغة وما فيها من فرائد ومعجزات .

اما الزعم بأن لغتنا صعبة لان القرآن صعب معقد يستعصي « فهم الكثير من آياته وجمله ومفرداته » على « الاكثرية الساحقة من المسلمين المتعلمين » فكلام متهافت ينقض بعضه بعضا ، لان القرآن ليس صعبا ولا معقدا ، وهو كتاب وضاء مشرق ، واضح كل الوضوح لمن يشا لعقله ان يعقل . وهب ان كتابا ما في لغة ما كان صعبا معقدا ، فهل من الضروري ان تكون اللغة كلها صعبة ومعقدة ؟

على ان لغتنا نفسها ليست صعبة ولا معقدة ، وانما هي على النقيض من ذلك تماما ، لغة رقيقة سلسة لينة ، قريبة من العقل والمنطق ، بل انها لاقرب الى العقل والمنطق من كثير من اللغات الاجنبية التي يستشهد بعض الناس بيسرها وسهولتها . ان ما يقال عن سهولة الانكليزية او الفرنسية او الالمانية مثلا ليس الا كلاما سخيفا او كلاما باطلا يمليه الخبث او الجهل ، لان قواعد هذه اللغات ليست سهلة كما يدعون ، فضلا عن ان الشذوذ في هذه القواعد اكثر مما عندنا منه بكثير . ولكن طرق التدريس عندهم ، ومداومة النظر في قواعدهم ، لما ييسر العسير ويقرب البعيد !

اما زعم بعضهم بان غنى العربية بالمفردات والمترادفات هو من اسباب صعوبتها وتعقيدها ، فانما هو كذلك كلام سخيف او رخيص ، لان هذا الغنى الفريد لما يسهلها ويطوعها ، ولكل واحد ان يغترف من هذا البحر الخضم على قدر ما يشاء او يقدر . ومتى كان غنى المخزن الزاخر بمختلف البضائع والبدائع ، من جميع الحجوم والرسوم والالوان ـ متى كان غنى مثل هذا المخزن ، يا ترى ، مدعاة للسب والعيب والانتقاص الا عند مشتر احمق ، او حسود اخرق ؟ »

وفي المجال الفلسطيني يعتبر « الدر » من اعلى الاصوات في معركة الفكر والقلم ، ومن رأيه ان الطريق العملي لتحرير فلسطين هو « المدفع » ، ويجب ان يحمله شعب فلسطين اولا والبترول العربي ثانيا ، اذ هو من امضى الاسلحة في معركة التحرير ، ولو خلصت النيات ـ كما يرى الدر ـ فان الامة العربية تستطيع بما تملكه من ثروات لا نظير لها ان تفرض رأيها على اقوى الدول في العالم .

من آثاره القلمية : لو قدر للدر ان يجمع ما كتب ونشر من بحوث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طفولة

●

يروق لي الجديد فأشتهيه ... ويأبى ان يدوم لي الجديد
وكم حلم تبدد حين أفضى ... الى شيء وفي نفسي المزيد
وكم من دمية حطمت يوما ... على قدمي وما امتنع الحديد
أراني كل يوم في صراع ... مع الدنيا واجهل ما أريد
كأني لم أزل طفلا وحولي ... دمى أشهى ملامحها البعيد

وديع ديب

سياسية وادبية لأثرى الخزانة العربية باعلاق نفيسة . وحسبه فخرا كتابه الاول « هكذا ضاعت وهكذا تعود » وقد صدرت اول طبعة منه في ايلول ١٩٦٣ متضمنا شرحا علميا وافيا لخطر النفط العربي وعلاقته بكارثة فلسطين وتحريرها .

وقبيل ان يلحق «الدر» بربه كتب الي يقول: «عندي للنشر كتاب سياسي خاص بفلسطين طبعا ، وكتابان غير سياسيين ، ولكني لم أختر لهما اسماء بعد لاني لست متعجلا النشر لأسباب خاصة » .

ويقرر الذين اتيح لهم قراءة كتاب «هكذا ضاعت وهكذا تعود» انه من اهم المصادر التي تعالج القضية الفلسطينية لانه قائم على دراسة علمية مركزة .

نموذج من نثره : « استاذنا الجليل الشيخ « ابو رشيد » من اظرف خلق الله ، وارجحهم عقلا ، وابلغهم مقالا ، وهو من اولئك المفكرين الذين يحلو لي ان ادعوهم « أدباء اللسان » لانهم يتحدثون ولا يكتبون، فيحتاجون الى من يسجل آراءهم واقوالهم كي ينتفع بها الناس وقد سمعت منه حديثا عن قداسة « الارض » وجمالها ونفاستها لم اقع على مثله في ادب غربي ولا شرقي .

كنت معه في الحقول والغابات في أصيل يوم انيق ، من ايام الربيع المضيء الصداح ، وقد عبق الجو بروائح العبهر والنرجس والقندول والسنديان ، فطفق يملأ رئتيه ويقول :

« هذه انفاس الارض الزكية يا بني ـ انفاس هذه الغادة التي لا جمال في الدنيا كجمالها ولا سحر كسحرها . وأين جمال كليوباترا وسميراميس ومدام دي‌بومبادور واشباههن من هذا الجمال الآسر الفريد»

وكنا على رابية تشرف على سهل فسيح ذي تراب جميل كالحناء والياقوت الاحمر ، فقال :

« انظر ما اجمل هذه السجادة الالهية الفاخرة ، التي تتخذها هذه البلابل والغزلان ملاعب ومسارب لها ، وهي معتصمة بالصمت الابدي ، وفيها من الطلاسم والاسرار ما يبعث في قلبي الرهبة والخشوع ... فكم حي رأت ، وحديث وعت ، وجسم غذت ، ودم شربت ، وميت وارت ، وفاتح استقبلت وشيعت !

واني لأعجب ، والله ، كيف يستسيغ بعض الناس بيع مثل هذه الثروة الخالدة ، ولو كان الثمن دينارا ذهبيا لكل ذرة من ترابها ... وانت ترى ان الناس يشترون متر القماش بثلاثة دنانير او اكثر ، فيبلى بعد بضعة اشهر .. وهذه التي لا تبلى ولا تسرق ولا تحرق يباع الالف متر منها بثلاثة دنانير !

وهب اني قلت لك « عندي آلة اودعها الدينار فترده الي خمسين» أفلا تعجب ؟ فاي شيء تلك الآلة ، سوى هذه الارض الوفية الطيبة المباركة ، التي تودعها الحبة فتردها اليك اربعين ... او ستين ... او ثمانين ... حسب نشاطك ووفائك ! ثم ان الارض كالعرض ... أي انها من المقدسات والحرمات التي لا تباع لاتقاء شر ، او دفع مسغبة او هوان ... وهي الى ذلك ، ملاعب صبانا ، وذكريات شبابنا وثرى آبائنا واجدادنا ، تكنز عظامهم في احشائها بحب وحنان ، بحيث لا يلحق بتلك الاعظم الكريمة اهانة ، ولا يعلق بها دنس ... فاذا باع المرء ارضه ، فكأنما باع عرضه ، وذكريات صباه ، وعظام آبائه واجداده والكنز الجميل الخالد الذي يغذوه حيا ، ويحنو عليه ميتا ، ويظلله بالازاهر والرياحين ... ! » .

وهنا هب واقفا وقال ، وفي عينيه بريق قدسي : « والله ، لولا خشية الوقوع في الكفر ، لقلت ان هذه هي الابدية التي يدخلها الناس عندما يموتون ... أفلم يزل آباؤنا واجدادنا منذ آلاف السنين كما سنزول نحن وذرارينا الى آلاف آلاف السنين ، وهي هي لا تحول ولا تزول ؟! » .

وسكت الشيخ فطرقت اسماعنا اغاريد البلابل والشحارير وقد سكرت وجنت فراحت تصدح سمفونية الربيع الخالدة ، والجبال منصتة بخشوع ، وكأنها جاءت من مكان بعيد لحضور هذا المهرجان الالهي وهي في ابهى حلة من الزهر الباسم وضياء الشمس الذهبي الوهاج .

وامتد سكوت الشيخ ، ونسينا حالنا ، حتى لاح لنا من بعيد شبح انسان ، فاذكرنا اننا على الارض ، لا في السماء ... فنهض الشيخ وقال :

« هذه هي الارض يا بني ! انها وطن وكرامة ... فمن لا ارض له لا وطن له ، ولو كان في يده الف جنسية وجنسية . ومن لا وطن له ، لا كرامة له ، ولو كنز المال وملك الجاه ولبس الطيلسان والارجوان وهذه كلها ، والارض ايضا زخارف باطلة الا اذا كانت في مواطن الصبا وملاعب الشباب ، وفي ربوع القوم والاهل والاحباب ! » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم



الى كوركيس عواد

الاستاذ العظيم وعلامة العراق

* * *

كركيس يـا ابـن الجهبز العواد ... يـا لابسا حلـلا مـن الامجاد
زعم العراق بأن جوهرك الـذي ... ما مثله فـي الدهر مـن وقاد
ملـك لـه ولاهلـه وقبيلـه ... والمجمع العلمـي ذي الاجـواد
كـلا وربك أنت ملـك للحجى ... في كل سهل فـي البلاد ووادى
شرف العروبة ان تفـوز بعالم ... في مثل قدرك فـي مجال الضاد
يـا عارف المخطوط فـي مكنونه ... وعليـم خاف فـي مـداه وبادي
أمؤلف الكتب التـي أهديتنـي ... قد كنت لـي فيها الدليل الهادي
ان الديارات التـي أجليتهـا ... رهبانها خلـدوا مـع العبـاد
يـا ليتني فيهم فأشرب كأسهـم ... مـن خابيات عتقـت لمعـاد
وتميل بي جوقات لحن في المسا ... وعلـى الصبـاح رفيفة الانشاد
سبح بمـا شئت الاله فانما ... لغـة القنوت قريبـة الابعـاد
يـا باحث العصر التوالف أقبلت ... ترتـاد وردك باللهيف الصادي
كنت المبين لامـة فـي علمهـا ... مثل الصوى في الدرب ذي الاجهاد
تلـك الصحائف عاشرتك بعمرها ... أخوات نـور اللـه فـي الايراد
شغلتك عن كـل الحسان وفنها ... يـا مـن رآك بدرسك المعتـاد
اطلعت «ماري الكرملي» ابا اللغي ... شافي الانام وخـدن كـل فؤاد
شق البهاء لـه مباهج لحيـة ... كانـت وسام جلالـه المرتـاد
هو فيلسوف اللفظ معجم عصره ... فـوق الحروف ومطلب القصاد
هذا كتاب العين فـي مخطوطه ... هو صانهُ عـن ربقـة وفساد
أأخـا المجامع ان اعدت وجوده ... فلقد نضوت بـذاك ثوب حـداد
يـا ليتنـي أدركتـه فعرفتـه ... هـو فـي اللسان بقية الاجداد

شوقي الى بغداد مشبوب الهوى ... فاسكب لي الآداب مـن بغداد

دمشق

زكي المحاسني

الصداقة بين الواقعية والمثالية

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

ان شعور الانسان بالغربة في هذه الحياة ، يقتضيه التماس الصديق ،الحاني العطوف، ليكون موضع انسه ، ومستسر نجواه ، يفتح له مغاليق قلبه ، ويبثه ما تعانيه نفسه ، وما يكابده في هذه الحياة ، من اصناف الالم ، وليطلعه على ما يخفق في جوانحه من نظرة الى الكون والحياة ، وليعينه اذا تجهم له الدهر العابس، على مجابهة الصعاب، مسترشدا برأيه ، في حل ازماته المعنوية والاجتماعية ، ويصدقه الود ، ويمحضه الاخاء ، صديق كالماء ، خال من الاقذاء ، ترتاح لاشراقاته النفسية ، وتنفذ بروحك ، الى كل خلجة من خلجاته الروحية .

وحياة الانسان ، يغمرها الجفاف ، اذا خلت من نسمات الاصدقاء الندية ، وارواحهم النقية ، ويلابس الانسان السأم والملل ، اذا افتقد الصديق الحاني ، البار العطوف ، وابدع انواع العطف ، هو العطف المعنوي ، فهو غذاء الروح ، يجدد النفس آمالها وامانيها ، فتنتعش اذا ما أوشكت على الضمور واليأس ، كما تنتعش الروضة الذابلة ، اذا ادركتها بالري والعناية ، واطلقت الماء يجري في اعماق التربة ، منسابا الى جذورها ، يحمل دفقات الحياة ، جرعات متتالية ، فتتألق البهجة في مباسمها ، وتثب الفرحة الى اغصانها واماليدها ، فتنعقد الخضرة فيها ، فرحة طاغية ، تواقة للنور والحرية .. واذا ما عنيت الصديق .. فانما اعني الصديق المثالي ، ولا اعني الاصدقاء بوجوههم ، والاعداء في قلوبهم ، والحساد في ضمائرهم ونفوسهم .. ويصادف الانسان كثيرا من هؤلاء في حياته الاجتماعية، فيطوي مباذلهم واحقادهم وحسدهم ، على يأس ومرارة، يجترع مرارة الحياة اذ كتبت في صكوكها ، والواحها ، بأن يكون لهم خيط طويل ، في نسيج حياته ، يدسون له السم الخفي ، فيجترع كأسه ، غير حافل بما يحوي من العذاب .. وحياة الانسان الحر ، حافلة بأمثال هؤلاء ! ، اذ لا بد لحياة الصفو والحرية ، ان يكدرها الحسد ، والبلاء اللاحق ، ما دامت سنة الحياة، العراك والنضال ، سواء كان ظاهرا جليا ، او خفيا مستترا ...

فكما ان سنابل القمح التي تعانق الوضاءة والنور ، بطلاقة وحرية ، يخالها الناظر ، اقراصا حمراء ، تسبح في غلالة من النور ، نسيت الشمس وهي جانحة للمغيب ، ان تلمها وهي تسحب شباكها ـ بداخلها وهي في روعة المنظر وجمال الفتنة المتألقة ، بعض الحشرات والهوام ، لتفسد ذراتها ، وتسلبها الحيوية والنماء ، فكذلك الاصدقاء الاعداء ، هم اشبه بحشرات السنابل ، والاعراق والدوالي ، يعيشون فسادا في حياة الانسان الهادئة ، لما يتلظى في قلوبهم من جمرة الحسد لا تهدأ حدتها ، الا اذا الحقت الاذى ، وافسدت على الغير حياته .. وفي اكثر ، ما قرات في الادب العربي ، لمست الصرخات المدوية ، والانات المشجية ،تنبعث من قلوب الشعراء ، قصائد ومقطوعات ، يرسلونها تتدفق بالالم والاسى ، ينعون غدر الصديق ، لان دقة احساسهم ، ورهافة شعورهم، وما يغدقونه من العطف على اصدقائهم ، وندرة ، ما يلمسونه ، من التجاوب والعطف ، أورثهم الالم ، لانعدام الصديق الذي يتخيلونه ويصورونه في مشاعرهم واحاسيسهم .

فأبو العلاء المعري على كثرة تجاريبه في الحياة ، أوسع الاصدقاء هجوا ، وتأنيبا ، ووجد العصا ، ابر به من كل خدن وصاحب .. وليس الذنب ذنب الصديق ، انما هو ذنب الحياة ، التي اغدقت عليه الاحساس المرهف ، ودفعته الى التماس الصديق المثالي ، المقترب من ملائكية الطبع والروح ، وامثال هؤلاء الاصدقاء من الندرة ان يصادفهم الانسان في حياته .. يقول :

واوسع بني حواء هجرا فانهم ... يسيرون، في ليل من الغدر لا حب
عصا، في يد الاعمى .. يروم بها الهدى ... ابر به .. من كل خدن وصاحب

وانه يفضل الوحدة في كسر بيته ، على ملازمة اصدقاء ، يداجون وينافقون ، ويتمنون في انفسهم سماع نبأ نعيه .. يقول :

تخير .. فاما وحدة ، مثل ميتة ... واما جليس في الحياة منافق
أردت رفيقا .. كي ينالك رفقه ... فدعه .. اذا لم تأت منه المرافق

واما ابن الرومي ـ فلا تجد فيما تنقب له من شعر يتعلق بالصداقة والاصدقاء ، الا تهكما ، وعبثا وسخرية، يطبع البسمة على شفتيك ، وكيف لا تبتسم ، اذا اطلعك على صورة صديق . غريب الاطوار ، لا يضمر لابن الرومي الاكتفاء في هذه الحياة ، بالطعام ، والكساء ، والمأوى ، فاذا ابتسم له الدهر ، ونال اكثر من هذا ، لينفقه على الكماليات وغيره ، فانه يعبس ، ويتجهم ، انه يريد له نفسية شحاذ ، ترتبط هنائته ، بالكساء والطعام، وديوانه حافل بأمثال هذه الصور العجيبة ، وقد ضحكت من صورة شعرية ، يصور صديقه ، يدافع عنه ، عند من يحطون من شأنه ، وينزلون من قدره ، ويخفض من منزلته ، اذا ما راى الناس ، تشيد بذكره .. انها صورة الصديق الاناني ، يضع ابن الرومي تحت جناحه ، يرفعه ويخفضه في آن واحد ، فكأنه الميزان ، ينزل من قيمته ، اذا رجح قدره عند الاخرين ، ويرجحها ، اذا تدانت منزلة ابن الرومي عند بعضهم . يقول :

في ذكرى نظير زيتون

أقبلت أسكب في «المياس» اشجاني ... وأسفح الدمع بين الآس والبان
وأنثر الشوق من قلبي ومن نظري ... على بساط بدمع الفجر ريان
وأسمع الطير أناتي فتسمعني ... أشجى الاغاريد في عطف وتحنان
مالي أداري جراحاتي واكتمها ... فينكأ الجرح تلو الجرح كتماني
مالي أغالب احزاني فتغلبني ... وتستبيح حمى السلوان أحزاني
في كل يوم ارى خلا يفارقني ... يا رب رفقا بخلاني واخواني
أخا المروءة لم تنزل على جدث ... لكن نزلت على جنات رضوان

عشقت فيك الندى والنبل فارتفعت ... نفسي وزاد بحب الخير ايماني
اذا افترى مفتر قابلت فريته ... ببسمة الصفح ارضاء لوجداني
ليس الضغينة من طبعي، ومن شيمي ... اني اقابل كفرانا بعرفان
انا بنو السلم ما جرنا على احد ... وما اردنا الاذى يوما لانسان
ونستضيء اذا ليل الخطوب دجا ... بالنيرين : بانجيل وقرآن

يا حمص يا جارة «الميماس» روعني ... نعي «النظير» وفرط الحزن ابكاني
حملت حبي وما حملت من قبل ... الى محيا كوجه الشمس نوراني
« الضاد » تسألني عنه فيخبرها ... دمع يلوح على اهداب اجفاني
سجع الحمام على قرطاسة نغم ... تخاله عزف نايات وعيدان
قد كان للعلم والاخلاق مفخرة ... وكان ابلغ من قس وسحبان
آي من الفن والابداع ينسجها ... ذوق « النظير » باحكام واتقان
في هيكل الخلد ذكراه معطرة ... كأنها فوح اوراد وريحان

حلب

عبد الله يوركي حلاق
صاحب مجلة « الضاد »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي صديق .. اذا تنوول عرضي ... او رأى يوم نوبتي .. ذب عني
فاذا ما رأى .. مشيدا، بذكري ... او رأى يوم غبطتي .. حطمني !

الى غير ذلك من الصور النفسانية لا يقدر على اصطيادها ، الا من كان كابن الرومي في ذكاء القريحة ، وقوة الاحساس ، والخبرة العميقة في اصطياد المشاعر المتناقضة ..

واذا كان ابو العلاء المعري ، نفض يده من الصداقة والاصدقاء ، واستأنس بعواء الذئب ، واصابته الرجفة ، من صوت الانسان ، فان « ابراهيم الدباغ » بعد رحلة طويلة في ميدان الحياة ، واختبار تجاريبها اغلق الباب على نفسه ، في اواخر حياته ، واحتجز نفسه ، في غرفته ، واطلق على نفسه رهين الاحباس ، اذ لم يجن من معاشرته الاصدقاء والاخدان ، الا الالم واليأس ، لانه يريد صديقه مثله ، مثاليا ، يقول :

عشت ماعشت، لست أخشى عدوا ... وعدوي في كل فج ، صديقي
ليس معنى الصديق .. الا سراب ... شغلتنا حروفه ببريق
درة في محارة .. تدع الباحث عنها .. في بحر هم عميق

ويختلف بشار بن برد عن هؤلاء الشعراء ، لانه كان واقعيا ، ولم يكن مثاليا مثلهم ، يتجاوب مع واقع الحياة، ويقبل خيرها وشرها ، وهو نفسه كان يتدفق احيانا بالشر على اصدقائه ، ولم يصغ من طينة اولئك المثاليين .. يقول :

اذا كنت في كل الامور معاتبا ... صديقك.. لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا .. اوصل أخاك فانه ... مقارف ذنب ، مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت، وأي الناس، تصفو مشاربه

حقا ، ان من يفرق في المثالية ، تنثال عليه الصور العابثة ، يجتنيها من مرارة الحياة ، وعلى الانسان ان يتقبل الواقع ، ويجتهد في رفعه وتحسينه .

عمان ـ الاردن

مصطفى درويش الدباغ



نظير زيتون

رثاء نظير زيتون

بقلم عبد المعين الملوحي

* * *

وانت ، وحدك ، يا ابا عيسى تعود الى وطنك من بين الوف المهاجرين لتدرج في كفنك ، وانت وحدك ترجع الى بلدك والى حجارتها السود التي عليها درجت وبها تعثرت لتتخذ منها قبرا ..

اخوانك في بلدك كلهم من قبلك تمنوا مثل عودتك وطلبوا مثل قبرك وكفنك : نسيب عريضة وندره حداد وعبد المسيح حداد ، ونمر سمعان ... كلهم ماتوا وفي قلوبهم حسرة : ما ظفروا بكفن من نسيج حمص تأنق في صنعه حائك ماهر يقبع في جورة نول سحيقة في حي باب الدريب ما لمست ايديهم كمشة تراب احمر كأنه الحرير يشقها في قلب الارض فلاح سكران في كروم فيروزة ، ما اسندوا جنوبهم الى شحفة حجر اسود يكسرها حجار شديد البأس في ارض الوعر ... كلهم ماتوا هناك في ديار الغربة ضائعين في قبور ضائعة ...

وانت تقول : او يحسدونني على موتي في بلدي ، ايحسدونني ان وجدت لي في ارضي قبرا وفي داري كفنا ؟ ...

لا تسخط ، فقد كنت تحس البخس في الحظوظ احساسا شديدا ، والم النفس من البخس شديد ، واسمع اقل لك :

لئن ظفر بعضهم في غربتهم بحياة عريضة فقد ظفرت انت في بلدك بموت عريض .

قبلك مات لنا في المهجر اديبان كبيران وشاعران عظيمان ، كانا من ابناء هذا البلد ، وكان حظك خيرا من حظيهما .

هذا اخوك ندره حداد كان يذكر حمص كلما ساءه امر او سره أمر ، كان يتمنى ان يكون قبره فيها ، حتى وهو يحتضر :

هكذا كلما سررت بأمر لاح في الحال رسم حمص لفكري
فتمنيت أن أرى في العمر تربة أشتهي تكون لقبري
عند لفظي الاخير من انفاسي

بل انت احسن حظا من نسيب عريضة ، كان يتمنى ان يعود الى وطنه ، ولو حشو كفنه :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي الى حمص، ولو حشو الكفن واهتف اتيت بعائر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود

وانت تعلم اننا حاولنا ذات يوم ان ننفذ وصية الشاعر الغريب ، وان ننقل رفاته من تلك الارض الظالمة ، حاولنا ان ننقله من نيويورك ... ثم كففنا عن المشروع وظل الشاعر يرقد حزينا مع « الارواح الحائرة » .

كففنا عن المحاولة ، واجهض المشروع ، لانا في بلد يجهض فيه كل شيء : حتى الرجال .

ها انت وقد ذكرتك باخويك وصديقيك تنبسط اساريرك وتنداح البسمة على شفتيك .

يا ابا عيسى :

ساذكرلك ما حييت موقفين ـ والحياة كلها موقف رجولة او موقفان ـ اما اولهما فتبدو فيه اديبا كبيرا ، واما الثاني فتبدو فيه عربيا كبيرا .

كنت في طريقك الى البرازيل ، تحمل حقيبتك بيد ، وتمسك اباك بيد ، كنت يومئذ في الثامنة عشرة من عمرك .. ووقفت في الطريق عند باب هنالك وترددت ، وقال لك ابوك عيسى : ما بكيا نظير ؟ وسكت ثم سألك فسكت ، ثم سألك فقلت على استحياء : ابي هذا كتاب الشيخ حسين ، وفيه تعلمت ... وقال لك : ساهدي الشيخ نحيتك فسر بنا ، وعدت فترددت ثم قلت لابيك على استحياء : اريد مصحفا ... وهرع ابوك الى الكتاب .. وحمل لك عيسى قرآن محمد ...

كانت هذه الوقفة سنة اربع عشرة وتستعمائة والف وكانت الوقفة الثانية بعد العدوان الثلاثي الاول على الامة العربية في مصر ... سنة ست وخمسين وتستعمائة بعد الالف ...

كانت يوم كتبت كتابك الذي عشت ومت وانت تعتز به ، ثم جعلت عنوانه ، من وراء القبر : انهيار امبرطورية وولادة امة .

فأخبرنا ثم اخبرنا ، وانت اليوم فعلا وراء القبر : متى تنهار الامبراطورية حقا ، ومتى تولد امتنا العربية صدقا ؟

يا ابا عيسى :

لم اسمع في جنازتك ، كما كان ينبغي ان اسمع ، ولم القِ في قبرك حفنة من تراب ، هي آخر ذكرى الاحياء من الاموات ، واخر عهد الاموات بالاحياء ، كما كان ينبغي ان القي ... بل لم اسمع بنبأ موتك الا بعد ايام ، كنت خلالها ما تزال في ذهني ذلك الانسان الرزين ، والصديق الوفي الامين ، وانت حتى بعد موتك ما تزال في ذهني تحمل هذه الصورة ... لكأننا لا نصدق موت الموتى الا حين نمشي في جنائزهم ، والا حين نداليهم في قبورهم ، والا حين نودعهم بحفنة من تراب ...

يا ابا عيسى :

ما خلنا انك تخلينا في مثل تلك السرعة وتمضي ، القاعة الكبيرة في بيتك القديم تحن الى خطاك ، وسقفها العالي يشتاق الى صوتك المدوي والى قامتك الفارعة ، وجدرانها المزخرفة تتلهف الى لمسات يديك ، ومكتبتك تكاد كتبها تقفز من رفوفها حبا لنور عينيك ، وقلمك ينط فوق منضدتك حرصا على ان يكون بين انامله ... ونحن اصدقاءك واخوانك وابناءك ها هنا نرثيك ، وكأنك ترثي لنا ، ونندبك وكأنك

(*) القيت في حمص في ١ ـ ٩ ـ ١٩٦٧ في حفلة تأبين الاديب المهجري الكبير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الكهوف العميقة

ان نفسك تحمل شيئا من نفسي
ايها العملاق الضائع
المحيط الكبير يغسل قدميك
والشعاع يمر من بين اصابعك ممزق الاوصال
وفي الاعماق :
قارورة ، مغطاة بالغبار
عطرها كمين
كل يفنى وشيء خالد ابدا
شيء باق وحده في الكهوف العميقه
لا يدع السيف يخترق قلبه
سيغدو انشودة بيضاء
تغسل دموع المتالين .. وتعلمهم الصمود
وستكون عزائي . !!

حلب — هناء الطيبي

تنوح علينا ونجتهد في الكتابة عنك ، وكنت تجد الراحة في الكتابة الينا .

يا ابا عيسى :

كانت حياتك شطرين : شطر في الحنين الى الوطن وانت في المهجر ، وشطر في الرغبة في العودة الى المهجر ، وانت في الوطن ، وظللت سنوات طوالا توقع مقالاتك باسم نزيل حمص ... ثم كأنما تصورت لك حفرتك هذه التي تنزلها الان ، فكففت عن هذا التوقيع ، فانت اليوم ولد من اولادها تحنو عليه حجارها السود وترابها الاحمر ، ويسقيه غيثها المدرار ، ويسقط عليه الطل عند الصباح وتهب عليه الرياح الصاخبات عند المساء ، وانت في تلك الحفرة نائم كأنك يقظان ، لان اثارك ما تزال تنطق باسمك ، ويقظان كأنك نائم لانك لا تستطيع ان تضيف الى ما كتبت اثرا جديدا ، ونحن ها هنا وراءك نعد ايامنا التي تفصلنا عنك ، وليالينا التي نقضيها بعدك ، ثم لا ندري مهما نكن ماهرين في الحساب متى نلتقي ؟ وانت تقول لي في شيء يشبه الغضب ؟

وانت ايضا تريد ان تموت ؟

واقول لك صادقا : كلا والف كلا ، ما ازال ـ والحمد لله ـ لا احسد احدا على موته ، لا يحسد الموتى الذين يرقدون في بطن الارض الا الموتى الذين يدبون على ظهرها ولكني اريد ان اعيش لاشترك في عمل كبير :

اريد ان اشهد العدوان يتكسر على صخور قومي ،
اريد ان ارى عودة الوحدة الى وطني
اريد ان المس صرح الحضارة الجديدة الذي تبنيه امتي ...
لا اريد ان افرح بوجودي فردا ولكني اريد ان افرح بوجودي امة . وعندئذ ، عندما يندحر العدوان ويرتد خاسئا ، وهو حسير ، عندئذ ، عندما تتحقق الوحدة ويصبح حلم مائة مليون من ابناء امتي عروسا حلوة ملء السمع والانف والعين .

عندئذ عندما نبني حضارة الانسان بكل انسانية الانسان . عندئذ هيء لي الى جانبك مضجعا في ارض حمص ، قل لبنات حمص يسفحن علي من عيونهم الجميلة عبرة ، قل لرجال حمص يلقوا على جثتي كمشة من تراب ، قل لصاحب النول في باب الدريب يعد لي كفنا باهر النسيج ، قل للحفار يشق لي قبرا في التراب الاحمر على درب فيروزة ، قل للحجار تتلألأ تحت معوله الاحجار السود كما يتلألأ الماس .

وهيهات ... هيهات يا ابا عيسى .. فلست اعيش مثلك في حمص فأتمتع بطيبات الموت كما تمتعت ، انا اعيش ـ كما تعلم ـ في دمشق ، ونحن هناك في العاصمة نملك جمعية تتولى دفن الموتى على احدث اساليب الحضارة في القرن العشرين : الاكفان ، لكل واحد منها ثمن ، والقبور ، لكل واحد منها ثمن ، وحتى الصلاة والاذان لهما ثمن ... جمعية يهمها من الموتى ثلاثة ارقام : العدد ، الربح او الخسارة ، اليكون ...

ولقد حققت هذه الجمعية اهدافها في شكل رائع ، حتى ان الناس هناك يتحدثون انها سوف تتطور في سرعة خارقة ، وان الموتى ـ عما قريب ـ سيموتون اوتوماتيكيا ، ويغسلون انفسهم اوتوماتيكيا ويقبرون انفسهم اوتوماتيكيا ، وآنذاك ستفتخر الجمعية انها حققت اقصى منجزات الحضارة في القرن العشرين .

وآنذاك سيقتصر حديث الناس عند موت موتاهم على النجاح الباهر الذي حققته جمعية دفن الموتى ، وعلى اسعار البصل والباذنجان في سوق الهال .

اما انا فاعاهدك يا ابا عيسى اني سأفر اليك من العاصمة فرارا . سأعود الى بلدي ذات يوم حيا او ميتا .

حيا ، وانا عجوز ، يتبعني الصبيان في ازقة حمص وهم يصرخون : انظروا : لقد كان هذا في يوم من الايام معلما مجنونا يعلم في وجدان . ويلحق بي الكتاب والشعراء الجدد ثم يكتبون : اقرؤوا لقد كان هذا ذات يوم كاتبا احمق : يؤمن بالمثل العليا . كان شاعرا ابله : ينظم فطرات دمه شعرا ، ويرثي احبابه وكأنما يرثي نفسه . وسيطاردني الاطفال هاتفين : اسمعوا لقد كان هذا في يوم من الايام يحب الاطفال ، يقبلهم ، يحشو جيوبه جوزا ولوزا وسكاكر ليطعمهم ، كان يقول لهم : تعالوا الي فاني اشم فيكم روائح الجنة .... عطر المستقبل ...

وانا اسير في بطء اقرع بعصاي طريقي ... واضحك من كل قلبي من ذلك المجنون الكبير الذي كنته ذات يوم .

ساعود الى بلدي ذات يوم حيا او ميتا .

ميتا مسجى في تابوت على ظهر سيارة ـ كما فعل اخوتي وابناء عمومتي من قبلي ـ جسدا يسبق السيارة التي تحمله ويطير شوقا الى الارض الحبيبة التي سوف تضمه ، ولسوف يعجب السائق ويخاف ـ في السيارة ساحر ... شيطان او ملاك ... وانا اضحك في خبث واقول له ، هون عليك يا صاحبي ... فليس في السيارة ساحر ؟ ولا شيطان ولا ملاك ، فيها انسان مشتاق يحن الى مشتاق بعد طول فراق.

يا اخي واستاذي نظير :

حسبي من رثائي لنفسي ما كتبت : لست اريد ان اوجع القلوب البيض التي تتوجع لفقدك اكثر مما توجعت ، ولا ان ابكي العيون السود التي تبكي لموتك اكثر مما بكت ، حسبي ان اضمك الى زاوية من زوايا قلبي جرحا جديدا ، وان اضمك في حنية من حناياه قرحا جديدا ، ان كان ثمة في قلبي مكان لجرح جديد .

دمشق — عبد المعين الملوحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموظف الجديد

بقلم عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود بك ، رئيس الديوان ، لطيف يساير المراجعين ويكسب ودهم بكلمة معسولة او بفنجان قهوة يقدمه الى كل منهم . تفيض الابتسامات من وجهه في سهولة وتفيض منه في سهولة . يرحب بالمراجعين بصوت قوي مشبع بالثقة بالنفس والايحاء بالاحترام . انه قوي الاعصاب صلب العضلات وان كان متقدما في السن قليل شعر الراس ذابل العينين من كثرة التحديق في الاوراق الرسمية متقبض الجبين والخدين من كثرة صراعه مع الزمان .

(محمود بك رزين عبوس لئيم يعامل الموظفين الصغار الذين يعملون معه في شدة وحذر وخبث . يأمر كثيرا وينتقد كثيرا . سليط اللسان لا يعرف معهم الحياء والانسانية والذوق . كل همه ان يكون مسيطرا متفوقا آمرا ناهيا) .

ـ هل تعرف الموظف الجديد الذي عين مساعدا لك يا محمود بك ؟

هز محمود بك راسه في رزانة ثم اجاب في هدوء :

ـ كلا .

فابتسم رشيد ابتسامة متفتحة طويلة العمر ثم قال :

ـ انه جامعي متخصص الى التاريخ والفلسفة .

(حمار لا يفهم من الدنيا شيئا . ولست ادري كيف نال الشهادة) .

ـ متخصص الى التاريخ والفلسفة ؟ وما حاجتنا الى موظف كهذا ؟ اننا في حاجة الى موظف يتقن الاعمال الرسمية . خير له ان يعمل استاذا في مدرسة لا مساعدا في هذه الدائرة .

(ان امر الوزارة عجيب . لست ادري السبب الذي من اجله ارسلته الى هنا) .

ـ مسكين ! انه لم يوفق في شغل منصب استاذ في مدرسة فلم يجد بدا من ان يعمل موظفا في دائرتنا .

(انه جامعي بائر ، فلست ادري كيف تحتمله) .

ثم التفت رشيد الى محمود بك قائلا :

ـ متى يقدم ذلك الموظف ويباشر عمله ؟

ـ اليوم .

وبعد برهة دخل زهير . شاب في مقتبل العمر مبتسم الوجه لامع الحدقتين طويل القامة انيق اللباس جميل المظهر . قدم نفسه الى رئيس الديوان وصافحه هو ورشيدا .

(شاب طموح يكتم في نفسه ثورة عارمة ويتمنى لو ان كل شيء انقلب راسا على عقب وصب في القالب الذي يريده) .

ـ اهلا وسهلا ! تفضل ! ....

هات فنجانا من القهوة يا ربحي .

جلس زهير بجانب رئيس الديوان ، واخذ يسرح نظره فيما حوله من اضابير وسجلات وعلب لحفظ الاضابير .

ـ كيف حالك ؟

ـ حفظك الله !

ثم قدم الى زهير فنجان من القهوة ، واخذ يحسو ما فيه في تؤدة ورقة وادب . وبعد قليل دخل الآذن وانبأ رئيس الديوان بالذهاب لمواجهة المدير . ثم خرج محمود بك ورشيد من الغرفة ، وبقي زهير وحده فيها .

وبعد بضع دقائق اخذ الموظفون يدخلون الغرفة بحجة البحث عن اضابير والحافز الحقيقي لذلك هو رؤية الموظف الجديد زهير وتعرف اخباره . راحوا ينظرون اليه من طرف خفي ، واخذ بعضهم يحادث بعضا ملمحين اليه في جراة :

« لم يبق علينا الا ان نعلم تلاميذ قم ! الى بيتك ! من مدرسة الى مدرسة ! » .

ثم خرجوا . ودخل محمود بك ، وطلب من زهير ان يكتب مسودة كتاب .

ـ لا . لا تكتب الكتاب في هذا الشكل .

(انك جاهل في هذه الامور) .

ويجري رئيس الديوان قلمه على ورقة امامه بسرعة فيكتب كتابا آخر ، ثم يقرؤه متشدقا ويقول ناظرا الى زهير :

ـ يجب ان يكون الكتاب الرسمي موجزا ومؤديا المعنى المطلوب في وضوح ودقة .

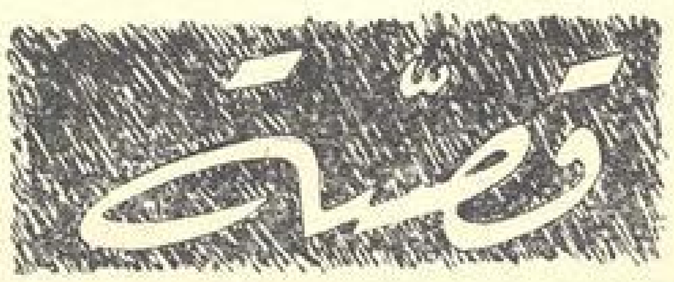
(انك في حاجة الى وقت طويل لتتعلم كتابة الكتب الرسمية) .

فحدجه زهير بعين ساخطة دون ان يفوه بكلمة .

خرج رئيس الديوان . ثم دخل الموظفون الغرفة ، واخذوا يصافحون زهيرا مرحبين ، وجلسوا بجانبه يحادثونه :

« ما فرع المعرفة الذي تخصصت اليه ؟ الحياة مدرسة ثانية . لماذا لم يعينوك استاذا في مدرسة ؟ الخبرة شيء غير العلوم . الانسان يقضي عمره كله وهو يتعلم . اهلا وسهلا »

ثم انصرفوا . وقد شعر زهير ان كلا منهم اغمد فيه خنجرا ومضى جعل يقلب عينيه فيما حوله في سخط وذهول وكآبة . شعر بالغربة في اول يوم من ايام عمله في تلك الدائرة ، وشعر ايضا انه من العسير



عيه أن يعمل في راحة وهدوء . لا بد له من الجهاد والمقاومة ليحتفظ بوظيفته بين اولئك الموظفين الذين لم يتخذ من بينهم صديقا له بعد .

(اصوات من الداخل : سأريكم كيف اتفوق عليكم . انني وان كنت الآن لا اتقن ما تتقنون من الاعمال الرسمية لا بد ان اتقنها فيما بعد مستعينا بما امتاز به عليكم من معارف وسعة اطلاع) .

(منظر في الداخل : يقطب في وجوه الموظفين ، ثم ينطلق لسانه محدثا عن الجامعات واهميتها وعن الثقافة العامة واثرها في الاذهان والنفوس والطباع . فبدا استاذا امام تلاميذ .)

*

ـ ما بالك مطرقا مفكرا ؟ اين يسرح فكرك ؟ لك ايام وانت في هذه الحال .

ـ لا شيء .

(انني مغموم . اكاد انفجر ضيقا)

ثم صمت بعد ابتسامة من زوجته وابتسامة منه . ابتسامتان موجزتان احداهما حية والاخرى ميتة .

جلست ليلى بجانب زهير ملتصقة به وقالت في دلال :

ـ لا بد ان يكون هناك شاغل لذهنك . ان هذا لم يكن من عادتك قل لي ، ماذا تشكو ؟ كن صريحا يا حبيبي .

(انني لا اصدقك . انت كثير الكتمان . اريد ان اشاركك في مشاغل نفسك كما اشاركك في الحياة المنزلية) .

وجه فاتن فيه مفناطيس خفي يجذب اليه انظار المعجبين ، وفيه تفتح غريب يسر العيون بشكله كما يسر النفوس برائحته الخفية . انها قطعة بشرية فنية تحل الاعجاب محل الفم وتلهي بحركاتها وحديثها عن الاستسلام الى التفكير .

(ان الثورة المكبوتة في نفس زهير اقوى من جمالها . غلت يديه وقيدت رجليه ، وحبست لسانه وجمدت نظراته ، واحاطت وجهها الفاتن بضباب خفي من غمه ، ووضعت في اذنيه قطنتين من ذهوله)

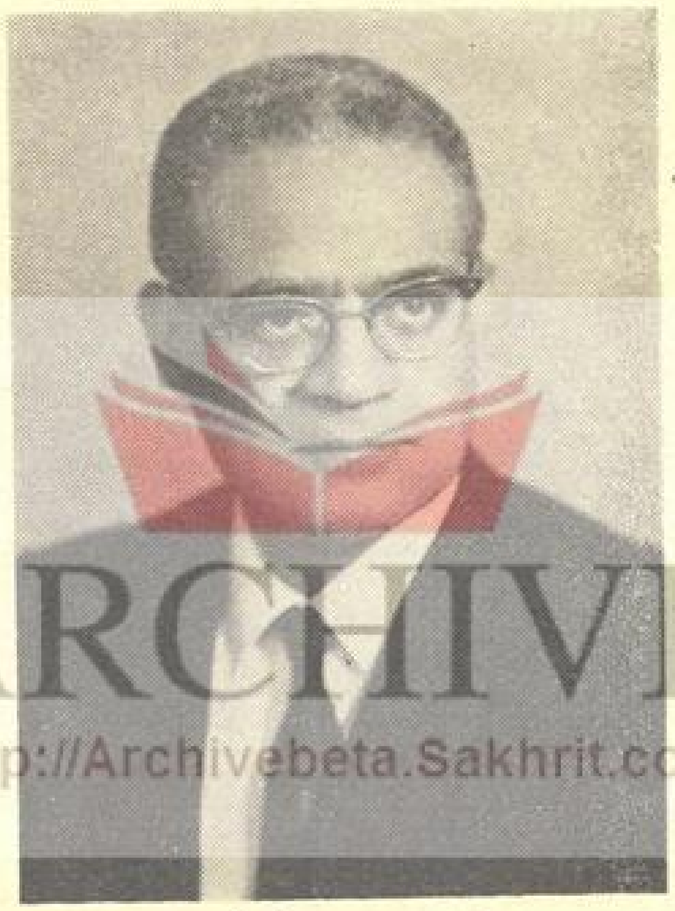
ـ ان الموظفين الذين اعمل معهم ثقلاء لئام .

وانطبقت شفتاه في قوة وتقطيب كأنه عض كتف احد زملائه الموظفين من الغيظ .

فتنهدت ليلى وقالت :

ـ ماذا رأيت من لؤمهم ؟

ولكنه لم يجبها . شعرانه ان اجابها عن سؤالها اظهر ضعفه امامها . أجابها عن سؤال ود ان



عبد الحميد الانشاصي

●

تساله اياه بدلا من ذلك السؤال الذي لم يطق سماعه فقال :

ـ لقد ابغضوني لانني امتاز عليهم بما كسبته في الجامعة من معارف وعلوم .

(انهم اشباه اميين . معلوماتهم لا تتجاوز اللغة الرسمية وتسجيل الاوراق وحفظها في الاضابير وحفظ الاضابير في الخزائن) .

فالقت ليلى يدها على كتف زوجها في رقة وقالت :

ـ سايرهم يا عزيزي . ومع الوقت ينشأ تفاهم بينك وبينهم . قدم اليهم علبة سجائرك . اشتر وقية شوكلاته من النوع الفاخر وقدمها اليهم . ان السجائر والشوكلاته لا تكلفك الشيء الكثير من النقود ولكنها تجلب اليك الشيء الكثير من الهناء وصفاء الذهن .

(انك خريج جامعة وواسع العقل يمكنك ان تدبر امورك بينهم)

فهز زهير راسه في تألم وقال في عناد :

ـ انهم لا يستحقون سيجارة واحدة ولا قطعةواحدة من الشوكلاته

(انهم يستحقون الصفع واللكم والضرب)

فأطلقت ليلى ضحكة موسيقية ثم قالت :

ـ اوف ! هل انت ساخط عليهم الى هذا الحد ؟ ماذا فعلوا بك ؟

ـ لقد ائتمروا بي قبل ان اباشر عملي .

(كأنني عدو لهم ، وان لم اسيء اليهم في حياتي ابدا بل لم اعرف منهم أحدا) .

ـ تجاهل اعمالهم وجاملهم . عاملهم بحلم يخجلوا من انفسهم .

ـ انهم يعدون المجاملة غباء والحلم ضعفا .

ـ جرب . حاول ...

ـ لقد خبرتهم .

ـ لا بد ان يغيروا سلوكهم في النهاية .

ـ سوف اغير سلوكهم في النهاية

*

ـ اين وضعت كتاب مدير دائرة الاشغال العامة ؟ في اي اضبارة وضعته ؟

(لقد ارتكبت الوزارة خطأ كبيرا حينما عينتك وارسلتك الي مساعدا)

ـ ان ترتيب اضابيركم ليس صحيحا . يجب ان ينظم فهرس آخر للاضابير يختلف عن الفهرس الحالي .

(اتركوا لي هذه المهمة وانا اريح الدائرة بما ابتكره من ترتيب جديد)

ـ هه ! عظيم ! فيلسوف ! ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الفهرس ثمرة لحك ادمغة كبار الموظفين وذوي الخبرة . ولا يمكنك ان تزيد حرفا واحدا على ما ابتكروا

(خير لك ان تعود الى الجامعة لتأخذ دروسا في كيفية القيام بالاعمال الرسمية وكيفية شغل وظيفة كوظيفتك) .

وهكذا احتدم الجدال بين محمود بكرئيس الديوان ، وزهيرمساعده . وكان الثاني يتكلم وهو منهمك في البحث عن كتاب مدير دائرةالأشغال العامة في الاضابير الكثيرة التيبعلو بعضها بعضا في الخزانة المعدة لها . كان يبحث في غيظ وحركة عصبية كادت تمزق أوراق الاضابير كأنما اراد ان يمزق ثياب رئيس الديوان من سخطه عليه وبغضه اياه . لقد شعر بألم شديد يحز في نفسه حينما أسمعه رئيس الديوان تلك الكلماتالجارحة . استكثر علىنفسه أن يجرح ذلك الموظف الذي لم يبلغ من الثقافة خمس ما بلغه هو منها ـ كرامته ويحط من قدره من أجل كتاب وضعه في اضبارة غير الاضبارة المعدة له .انه حديث العهد بهذا النوع من العمل . فلم لا يعامله رئيسه بحلم ولطف حتى يتقن عمله؟

قال رئيس الديوان في جمود :

ـ ابحث عن الكتاب في جميع الاضابير التي في الخزانة حتىتعثر عليه . ليس هناك طريقة غير هذه الطريقة .

غاظه هذا الامر يلقيه عليه من لا يستحق أن يكون أعلى مقاما منه ، فتوقف عن البحث في صلابة واباء ممسكا خصريه بكفيه وناظرا الى محمود بك في تحد وتمرد . فحدجه هذا بنظرة منذرة ، ثم خرج من الغرفة في سرعة . وبعد قليل عاد الى مكانه قائلا لزهير بنفمة مشبعة بالكبرياء والتشفي :

ـ المدير يريد أن يراك .

(اذهب اليه لكي تأخذ نصيبك من التحقير فتتعلم كيف تنفذ أوامري) .

حينما دخل زهير على المدبر وجده عابسا ومتحفزا للوثوب عليه بمخالب من الكلمات السامة وبنيوب من الالفاظ الحادة .

ـ انك دائما تضيع الكتب التي ترسلها الدوائر الى المكتبة . فأين يسرح ذهنك حينما تضعها في الاضابير ؟ انك بعملك هذا تضيعنا وتضيع اعمالنا . يجب ان تعمل بعقل .

(كأنك لم تتلق في الجامعة من العلوم شيئا) .

فقال زهير في حدة :

ـ انني اعمل بعقل .

(لو أن في الدنيا انصافا لكنت رئيسا عليك) .

ـ اخرج .

(حيوان) .

ـ هذه كلمة ثقيلة لا توجه الى رجل مثلي . انني لست خادماهنا . لماذا لاتترك لي فرصة اتفاهم فيها معك ؟ ان الفهرس يعوزه ترتيبغير الترتيب الحالي . ورئيس الديوان يأبى ان يكل الي اعادة ترتيب الفهرس . دعني ارتبه .

ـ ان رئيس الديوان هو المسؤول عنه ، وما عليك الا أن تعمل بما يقوله لك .

خرج زهير ينتفض سخطا . وحينما دخل على رئيس الديوان صوب اليهنظرة حادةكاد يلتهمه بها، ثم قال بصوت قوي مرتفع :

ـ لابد منتغيير ترتيب الفهرس . لابد من تغييره . بغير ذلك لا يمكن ان ينظم العمل في هذه الدائرة .

(أصوات من الداخل : كلكم لئام ! انكم متآمرون علي . ولكنني لن أخضع لكم . سأغير الفهرس كله سواء ارضيتم أم ابيتم) .

(منظر في الداخل : يمسكزهير محمود بك من يده ويجذبه اليه في عنف ، فينهض عن الكرسي مرغما ، ويجلس زهير فيمكانه ويأخذ في ادارة عمل الدائرة) .

قال محمود بك في هدوء متكلف ونغمة ساخرة واضعا كفه علىخده:

ـ كيف تغير الفهرس ؟

(غيرك الله) .

ـ ارتب فهرسا في سجل بأرقام الكتب التي ترسل الينا من الدوائر وتواريخها وموضوعاتها ـ كتب كل دائرة على حدةمع بيان ارقامالاضابير التي وضعت الكتب فيها .

(هل فهمت الآن يا غبي ؟) .

فقهقه رئيس الديوان ثم قال :

ـ فلسفة جديدة ! (لا شك انك مجنون) .

*

« ـ انا لا اطيق العمل مع رئيس الديوان . انه جلف . والمدير أجلف منه .

ـ واذن فخير لك أن تنتقل الى دائرة اخرى فقد تجد فيها موظفين تنسجم معهم .

ـ لا ، لا . أريد أن ابقى فيهذه الدائرة . ـ لماذا ؟ هل تريد أن تظل تعمل بينهم حتى ليتلفوا صحتك ويقضوا عليك ؟دعهم وشأنهم وانتقل الى وزارة التربية والتعليم مثلا فان كثيرين من موظفيها من حملة الشهادات الجامعية . انك تستطيع ان تتفاهم معهم في سهولة . ـ كلا، كلا . يجب ان اقاوم اولئك الاوغاد حتى انتصر عليهم . اما انا او هم »

وبينما كان زهير وليلى غارقين في الحديث اذ دخل عليهما اخو ليلى ، فأنباته هذه بما جرى لزوجها مع الموظفين والحت عليه بأن يقنعه بالانتقال الى وزارة التربية والتعليم حيث يعمل أخوها . فألقى هذا يده على كتف زهير ومال برأسه الى ناحية ، وقال بنغمة هادئة مخفضة:

ـ واذن فأنت متضايق من العمل في الدائرة .

ولكن زهيرا خجل ان يكون صريحا معه لئلا يبدو امامه ضعيفا . لذا لم يبد تأففا من عمله في الدائرة بل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حب بلا قيد

دعني فاني قد عرفت طريقي ... وعرفت أنك منقذي ورفيقي
وعرفت أنك قد غزوت جوانحي ... بروائع النجوى لقلب مشوق
فعمرت قلبي بالمحبة وانثنى ... جذب الحياة مفارقا لطريقي
وفتحت لي افقا جميلا خيرا ... يفضي بمعنى للحياة عميق

ان كنت أدعى في غرامك مارقا ... أو كنت ضمنا مؤمنا بعقوقي
اني احبك لا ابالي لائما ... ما كنت في حبيك خدن رقيق
اذ لم تكن قيدا يذل مشاعري ... أبدا ولا ذنبا يقر مروقي
أحببتني حبا أضيق برفضه ... اذ لست مأسورا ولا بوثيق
حتى الوفاء ابحت لي هزئي به ... أنقذتني من هاجس المعشوق
ومنحتني حريتي أطلقتني ... ما كان حبك موثقا لطليق

دمشق — سلافة العامري

لزم الصمت والكتمان . فقال أخو ليلى مواصلا كلامه :

ـ لا بد من نقلك الى وزارة التربية والتعليم فقد كان تعيينك في هذه الدائرة على سبيل الخطأ . وان المستوى الثقافي للموظفين هناك أعلى بكثير من المستوى الثقافي لزملائك . دعني اسعى لك .

فهز زهير راسه بالنفي ، وقال في هدوء مصنوع :

ـ لا رغبة لي في الانتقال .

(أنني لست جبانا حتى انهزم وافر من بين اولئك الأوغاد) .

ـ لماذا ؟

(هل ترضى ان تعيش مهموما مغلوبا على أمرك ؟) .

ـ اريد ان اقيم برهانا لزملائي انني اكثر نفعا منهم وسع عقلا .

ـ ولكنهم كثيرون وانت واحد .

(لا بد ان يتغلبوا عليك في النهاية) .

ـ وان يكن .

(محال ان انسحب من بينهم . لا بد من ان اتفوق عليهم) .

*

قدم محمود بك استدعاء الى المدير يرجوه فيه منحه اجازة مدتها ثلاثون يوما يقضيها في ربوع لبنان للاستجمام . وقد وافق المدير على طلبه . وفي غيابه اسند العمل الى زهير . الآن خلا الجو له . ليس من آمر عليه في الغرفة التي يعمل فيها واذن فان في امكانه ان يغير ترتيب الفهرس كما يشاء . ولكن لا بد من ان يجهد نفسه ويرهق اعصابه ليحقق امنيته . امامه الآن فرصة قد لا تعود اليه ان هو تركها تمر دون ان ينتهزها .

أخذ يكد ويداب موجها جهده نحو ترتيب الفهرس . بذل كل ما يستطيعه من جهد ، واعمل فكره في تنفيذ طريقته الجديدة ليريح نفسه ويريح الموظفين عند استعمال الفهرس . عمل في الدائرة وفي المنزل . راح يسهر في المنزل حتى ساعة متأخرة من الليل . ان ذلك العمل ليتطلب جهدا شديدا . ولابد من ان يضطلع به مهما كلفه الامر .

واخيرا اتم عمله . اعد فهرسا جديدا يسهل استعماله على كل موظف ، ثم عرض ما ابتكره على المدير ، فرفع حاجبيه ووسع عينيه اعجابا بما رأى وقال لزهير مبتسما ابتسامة الرضى :

ـ ان طريقتك ممتازة . مدهشة ان هذا لم يكن يخطر ببالي ابدا . احسنت !

(لا شك انك اذكى وابرع من محمود بك واجدر منه برئاسة الديوان) .

ولم يكد زهير يسمع ذلك التقدير من المدير حتى شعر بارتياح عظيم ، وايقن انه اصبح سيد الموقف بين الموظفين .

(اصوات من الداخل : لقد نجحت . انا الآن سعيد . هناك عدل في الدنيا . هناك اشخاص منصفون)

(منظر في الداخل : يجلس زهير الى طاولة رئيس الديوان ويأخذ في الكتابة عليها) .

ولما عاد محمود بك من اجازته وعلم بالامر كاد يصعق غيرة وحسدا . ولكن المدير لم يمهله حتى ينتقم من زهير بل اوصى بنقله من مكتبه الى مكتب آخر من الوزارة ، واستمر زهير على عمله رئيسا للديوان ، واكتسب شهرة واحتراما بين زملائه .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظافر القاسمي

منام

بقلم ظافر القاسمي

* * *

أويت الى رابية من ربى لبنان ، فرارا من الحر اللاهب الذي اجتاح بيروت ، ومن هذه القائظة التي تضيق على الناس الانفاس ، ولانعم بالنسيم العليل الذي وهبه الله لهذا الجبل الاخضر ، فكان آية الآيات بسحره وجماله ، وبما زينه من بديع صنعه ، وبما استحدثت به يد الانسان من مفاتن . وقد بدا لي ذات يوم ان اتجول في احراجه ، وان امتع البصر والنفس جميعا بالهدوء الساجي الذي يطلق النفس من محابسها ، ويرسلها على سجيتها ، وينبه فيها غرائز الحق ، وبواعث الحب ، ومنابع التفكير السليم ، والمنطق المستقيم ، فاستظللت بشجرة من اشجار الصنوبر ، استوى ساقها ، وتفرعت اغصانها ، حتى اضحت كالظلة الحلوة ، خضرتها سندسية ، واستدارتها كروية ، ومنظرها يبعث الراحة والاطمئنان ، ومن بين اغصانها تنطلق اصوات « الزرازير » ، التي تتحدث عنها الاساطير ، ويحلو لاهل الجبل الاخضر — لبنان — ان يفسروها ، كأنهم قد اوتوا حكمة سليمان ، فيقولون : ان هذين الصوتين المختلفين ، نداء بين مخلوقين ، احدهما اسحاق ، والثاني يعقوب ، ولا ينفكان يناديان بعضهما ، آناء الليل واطراف النهار .

في هذا الجو الساحر ، جلست ساعة اتأمل ما حولي من الروابي ، وما فيها من احراج احدثتها يد الله ، وما في هذه الروابي من بيوت بديعة التنسيق ، قد علتها تيجان حمر من القرميد ، فائتلفت خضرة الشجر ، مع بياض الحجر ، ومع حمرة العمرة . والظاهر ان النعاس قد اخذ بمعاقد اجفاني فاغفيت ، مسندا الى الشجرة الخالدة ظهري ، ومسلما الى رب العرش العظيم امري . والنائم — كما تعلم — قد تعتريه الاحلام ، فيرى فيها صورا قد تكون احلى من صور اليقظة واروع . ولا جناح عليك اذا انت ذهبت مذهب علماء النفس ، والباحثين في اللاشعور ، واعتبرت ان هذه الاحلام ، التي تنتاب الانسان في المنام ، انما هي انعكاس لهواجسه في اليقظة . كذلك لا حرج ان شاء الله ان انت اعتبرت الاحلام صورة من صور العالم الاخر ، كما يرى بعض رجال الدين ، ممن ارهق نفسه في تفسير الاحلام . وايا ما كان ، فقد حلمت ، يعني رأيت مناما ، كما نقول بالعامية الدارجة . ولست ادري هل اكتب هذه السطور وانا في اليقظة او في المنام ؟ وكل الذي ادريه ان هذه السطور قد كتبت . وقد لا يعنيك ما رأيت ، كما لايعنيك ان تقرأ ما كتبت ، فاذا كان لديك بعض من فراغ ، وانت محتار كيف تملؤه ، وخيل اليك ان في قراءة هذه السطور بعض المتعة لك ، او ما يسميه الفرنسيون : « فقدان الاجود faute de mieux فانت حر ، وليس لي عليك سلطان ، بل العكس هو الصحيح ، القارىء هو صاحب السلطان على الكاتب ، له ان يحكم بما يرى انه الصواب ، او الحق . وقديما قيل : « من ألف فقد استهدف » ، هذا على الرغم من انني بعيد كل البعد في هذه الاسطر عن التأليف !

رأيت يا سيدي انني قد امتطيت جناح طائر . ولم يكن هذا الطائر « القطا » الذي تمنى الاعرابي ان يستعير جناحه ، لعله يطير الى من قد هوي ، كذلك لم يكن هذا الطائر من نوع « البوينج » او « الكارافيل » او غيرهما مما استحدث الانسان في هذا الزمان . وليس في مقدوري ان اصف لك جناح الطائر الذي امتطيت، لسبب بسيط واضح ، هو انه « شفاف » ، كأنه من نور ، او بالنور اشبه . ولا ادري كيف استويت عليه بثقلي ، ولكنني ادري انه احتواني ، وانني كنت في امتطائه مرتاحا ، ايما راحة ، لم اعهدها ابدا في هذه الطائرات التي حلقت بي في الجو ، على كثرة ما امتطيتها في رحلاتي . ولست اذكر المادة التي صنع منها مقعدي . انها ليست ريش النعام ، ولا شيئا يشبهه . ولعلي اجاوز الحق اذا انا تصورت ان مقعدي كان مركبا من مادة ، فلقد اخبرتك ان طائري « شفاف » ، فكيف يمكن ان يكون مصنوعا من مادة . وعلى انه لم يكن في صحبتي احد ، كنت اشعر بأن الدنيا كلها كانت معي ، وانما اعني دنياي أنا : اهلي واصدقائي واحبائي جميعا ، وحتى مكتبتي . كأنهم كانوا يحتفلون بي لسبب من الاسباب ، او كأني انا الذي احتفل بهم ، وما لي لا اقول احتفل بلقائهم . ولم يكن في هذه الرحلة الجوية كلام ، ولا طعام ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا موسيقى ، ولا مضيفات ، ولا انـــوار خضـــراء ولا حمراء ، مما الف الناس في رحلاتهم الجوية ، وكذلـك لم يكن صمت . ولو سألتني عن الذي كان ، لاجبت بكلمة واحدة ، هي « النعيم » . ان الناس يتحدثون عن هـذا « النعيم » في الحياة الدنيا ، وتتحدث عنه الديانات في الكتب المقدسة ، في الحياة الآخرة . تحدث عنه البحتري في انفاس الاحبة ، وتحدث عنه غيره كثيرون . واكـاد اجزم ان احدا مـــن اهل الدنيا لـــم يستمتع به كما استمتعت انا في هذه الرحلة على جناح الطائر الشفاف. لقد شعرت به الى الاعماق ، وكدت اقبض عليـه بكـل قواي ، لئلا يفلت مني ، ولعلـــي حاولت ان اشق عن صدري لاغلق جوانحي عليه ، لكي لا اغادره ابدا ، او لكي لا يغادرني هو .

وسلك بي الطائر طرقا جوية لا عهد لي بها ، ولـم يكن في وسعي ان اسأله عـن غاية الرحلة . ولكني كنت اتبين ، وانا في الجو ، معالم ليست غريبة عني ، لعـل بعضها مما عرفت ، ولعل بعضها مما نسج خيالي ، ولعل بعضها مما تمنيت ان يكون . ولقد كان مركبي «الشفاف» يعرف ما في نفسي على ما يظهر ، فبعد ان ارتفع بي في الجو آلاف الاقدام ، اخذ يهبط رويدا رويدا ، فلما دنـا فتدلى ، عرفت انني فوق منطقة استأثرت بحبي كله . لقد مر طائري فوق « مضايا » (١) ، ثم اجتاز « بقين » (١) ، ثم انحرف قليلا ليمـر فـوق « الزبداني » (١) و « حاليا » (١) ، حتى اذا اقترب من « بلودان » (١) ، رأيته يحوم فوق بيت يقع على الطريق من «ابي زاد »(١). لقد عرفت فورا انـــه بيت استاذي وصديقي شفيق جبري . هذا البيت الذي ابتناه حجرا حجرا ، وجعل فيه مكانا يمكن ان يكون ذات يوم حديقة ، وما هـــو اليوم بالحديقة ، لان الشاعر الكبير لم يغرس فيـه زهرة ولا نبتة ، او هكذا تركته قبل سنتين على الاقل . فلمـــا هبط الطائر « الشفاف » ، وانال قدمي ظهر الارض ، رأيت الصديق الشفيق ، على عهدي به ، قـــد انتحى زاوية من الرواق ، واشتمل بعباءته ، ونثر امامه وعلى جانبيه المعاجم ، وبعض اجـــزاء الاغاني ، والاقـــلام والقراطيس ، وقعد ينخل « بقايـــا الفصاح » (٢) ، ويعيش مع أئمة الشعر في ازهى عصوره ، ويردد عجبه من الحكم الذي اصدره « بلا شير » على الاصبهاني ، في انه « لم يكن صاحب اسلوب » (٣) ، وكأني سمعته يقول مع حسن حسني عبد الوهاب (٤) : هؤلاء المستشرقون لم يعرفوا شيئا ذا بال عن الثقافة العربية حتى اليوم . ان كل الذي عرفوه هو « المنهج Méthode » . ومن تتبع اخطاءهم ــ وما اكثرها ــ لرأى العجب العجاب !

نهض الصديق الشفيق لتحيتي ــ او هكـذا رأيت في المنام ــ على عادته ، بعد ان وضع ما في حجره مـن كتب واوراق ، وكان وئيد الخطو ، كما يمشي الوجـل ، واخذت قامته المديدة في غير سوء تتهادى فيما سماه هو الحديقة ، هاشا باشا ، وقد فتـح ذراعيه ، وعانقني عناق المشتاق ، فلما استقر بنا المجلس قال :

ــ أي ريح طيبة جاءت بك ؟ قلت :

ــ انه شهر آب . كنت في السنة الماضية فـــي « الدمام » في مثل هذا الشهر ، وما ادراك مـا الدمام في شهر آب ! وقد ذكرت يومئذ مجالسي اليك في هذه البقعة المباركة من الوطن الصغير الجميـــل ، فكانت وسيلتي في تحيتك ان اكتب « انـا والرياضة » ، وان اهدي ما كتبت اليك ، على صفحات « الاديب » . امـا في هذه السنة ، فقد هيأت لـــي الاقدار رحلة اليك ، ارجو ان لا تسألني كيف كانت مطيتها ، ولعلـك تعرف نبأها بعد حين . المهم اننا قد التقينا (ولو في المنام) ، فلنعب من نعيم هذا اللقاء ، مـا وسعنا العب . ومـن يدري ؟ فقد ينقضي عام آخر ، ولا نلتقي فيه .

ضحك الشاعر حتى بدت نواجذه ، واخذ فـــي ترتيب الكتب والقراطيس المتناثرة ، فرجوته ان يدعهـا كما هي ، ففي تناثرها دليل الصدق في صحبتها ، وفي تصفيفها دليل اتخاذها زينة . وجلسنا متقابلين علـــى سريرين ، ننهل ونعل من صافي الود ، ومـــن حديث الفكر والعقل ، ننبش القديم من الذكريات ، ونستشهد بمحكم الآيات ، ونتمثل بروائع الابيات ، حتـــى غـدا مجلسنا روضا من رياض الجنة . وبينا نحـن في هذا النعيم المتصل ، اذ ورد علينا شخص سريع الخطو ، والى قصر القامة اقرب ، كأنه يخشى فوات الفرصة ، فما كاد يقترب منا حتى عرفت انه استاذي وصديقي الاخـــر « بدوي الجبل » ، هذا الذي وفق الـــى اضاعة اسمه الاصلي الذي سماه به ابوه ، حتى لاكاد اظن انه قد نسيه هو ، واذا لم تخني ذاكرتي فقد سماه ابـــوه « محمد سليمان الاحمد » . هذا البدوي المرهف الحس ، الذي ملك ناصية لغة قريش ، فأحسن التصرف فيها ، واحكم اداءها ، وجرت في شعره كالعذب السلسل ، قد خف الينا وكأننا على ميعاد (ولا تنس دوما ان هذا كله فـي المنام) ، فقبلني على عادته مرة وثانية وثالثة ورابعة . ثم قعد ينفث عبارات الشوق والترحيب .

قلت للشاعرين العظيمين :

ــ ما اطيب هذا المجلس ، يلتقـي فيـــه البدوي

---

(١) اسماء قرى ومواقع في أشهر واجمل مصطاف في سورية. (٢) هو عنوان لبحث متسلسل ينشره العلامة شفيق جبري في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ويذكر فيه الالفاظ الفصيحة التي مازال العامة يستعملونها ، ويخيل للناس انها عامية . (٣) وقد رد الاستاذ جبري على « بلا شير » في مجلة المجتمع بدراسة نشرت منذ سنتين. (٤) هو شيخ علماء تونس، وقد حدثني برأيه هذا في نيسان عام ١٩٦٤ في داره ، وكنت يومئذ اشارك فـي حلقة دراسات عقدتها الجمعية الدولية للعلوم التاريخية .

عيشة الاديب

جنتي عالم من الشعر فيه ... ما يشوق النفوس دوحا وزهرا
جنتي عالم يلونه الحسن ... فتسمو الحياة زهوا وسحرا
منهل للجمال تنهل منه النفس ... ما يملأ الجوانح بشرا ...
وتهل الاطياب في ضفتيه ... فتنث الاشذاء في الروض عطرا
فاغني لله اعذب لحن ... ستعيه الاجيال دهرا فدهرا
والتهاويل في الربيع تهادت ... تغمر النفس ، بالمسرة غمرا
والحساسين والبلابل تشدو ... فتثير الانغام ، روضا ونهرا
عرس للطبيعة البكر فذ ... باركته السماء سحرا وجهرا
تتعاطى الكؤوس فيه العذارى ... فيفيض الالهام في العيد شعرا
نقتل الجوع في النفوس ونطفي ... ظمأ قامحا تحول جمرا
واصطفاق الاوتار لمسة حب ... نضرتها اصابع الله نضرا
وارى عيشة الاديب عذابا ... حفرتها الغيوب في الصدر حفرا
شاعر ينظم الحياة قريضا ... ويذيب الانفاس في الشعر بئرا
كل ما في الوجود ملك حلال ... لاديب يفجر الشعر فجرا
فالسماء التي تعالت قبابا ... لقنته الالهام سطرا فسطرا
انه النسر سابح في فضاء ... ملأته مواكب الوحي نورا
يتهادى على الاثير اختيالا ... في رحاب الفضاء كالضوء حرا
فاخفض الرأس حرمة لاديب ... لم يفارق حوباه اثما ووزرا

لاباز ـ بوليفيا — جورج كعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشفيق . ولم يكن هذا المكان وحده مكان لقائكما ، بل انتما ملتقيان ايضا في اذهان الخاصة ، لا بل خاصة الخاصة من الناس . وقد ادى هذا اللقاء ذات يوم الى تداخل شعريكما ، ونسبة ما لاحدكما الى الاخر . وليس هذا عجيبا ، ولا سيما في المواضيع التي كانت لكما فيها مشاركة . كنت ذات يوم من ايام تموز ١٩٦٢ في فندق شبرد ببحمدون . وقد فوجئت بصديق عتيق ، هو محمد احمد محجوب ، جمعتني معه مؤتمرات المحامين العرب . كان نقيبا للمحامين ، ثم اضحى وزيرا للخارجية، ثم رئيسا للوزراء . وهو قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، شاعر . ولعل من يلقاه لا يرى فيه رجل السياسةالمحنك الذي قال عنه « تاليران » : « السياسي المحنك هو الذي يرتجل ما يقول ، ويعد ما لا ينبغي ان يقول » ، لا يرى فيه السياسي المحنك ليس غير ، بل يرى فيه ايضا ، وقبل هذا ، وبعد هذا ، الشاعر ، الذي يتذوق الجمال في كل شيء خلقه الله ، فيكاد يلتهمه ، او يكاد يذوب فيه . وقد قال لي ذات يوم : هل تحفظ قصيدة بدوي الجبل في حفلة تأبين المغفور له هاشم الاتاسي التي يقول فيها :

هذي الربوع بنو امية اهلها ... المجد يضحك في ذراها الضاحي

قلت : ومن قال لك ان هذا البيت لبدوي الجبل ؟

قال : هكذا روي ، والقصيدة لم تصل الينا .

قلت : البيت لشفيق جبري ، لا للبدوي ، وهو من قصيدة عصماء ، سوف اقدمها اليك ، ولست اعجب في ان يتناقل الناس بيتا لجبري على انه للبدوي ، ولا العكس ، لانهما في هذا المضمار فرسا رهان ، وكم عارض احدهما الاخر في قصيدة من نفس البحر والروي.

وبينما كان الشاعران العظيمان يتساجلان في معارضاتهما ، كنت اشعر ان الطائر الشفاف قد اختطفني والقاني على جناحه ، وعاد بي الى الرابية التي اقلني منها ، وفتحت عيني ، فاذا انا مكاني تحت شجرة من اشجار الصنوبر ، في الجبل الاخضر .

ضهور الشوير ـ لبنان — ظافر القاسمي

تهنئة بيوبيل الاديب

لرشاد علي أديب

* * *

أزف التهنئات الى اديب ... مجلاة (بيوبيل) الاديب
أجل مجلة علما وفنا ... وآدابا لدى الفطن الاريب
تفيد ثقافة وتثير فكرا ... وتنشي النفس بالرأي المصيب
حوت من كل معرفة ثمارا ... وازهارا ونفح هوى وطيب
فما الثمرات في البستان تزهو ... وما الزهرات في الروض الخصيب؟
تزين بحوثها الصفحات حسنا ... وتكسو النقد بالبرد القشيب
وتجلو من بنات الشعر غيدا ... حسانا فاتنات للقلوب
عرائس من خيالات وقصف ... وتصوير بديع أو نسيب
يتهن ملاحة ويضعن عطرا ... ويبدين العواطف للحبيب
فلا بدع اذا اشتهرت ودوى ... صداها في الشمال أو الجنوب
وجاز نتاجها الآفاق صيتا ... وعم النفع منها للشعوب
وأولاها بنو العرب احتفاء ... واعجابا بجوهرها العجيب
فتلك مجلة سمت ارتقاء ... ومنزلة برائدها اللبيب

هنيئا للاديب بما رأته ... من التكريم والود القريب
سبكت تحيتي درا بشعري ... وضمخت التحايا بالطيوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهجة الربيع

* * *

تاه الربيع بحسنه وتبخترا ... وحبا مفاتنه البهيجة للورى
وجلا السماء بلونه وصفائه ... وكسا بنضرته وروعته الثرى
ضحكت له الدنيا وأشرق وجهها ... وافتر بارق ثغرها مستبشرا
وتهللت جنباتها وتزخرفت ... هضباتها وسرى النسيم معطرا
وتخايلت بمطارف من زبرج ... وزبرجد فحلت وراقت منظرا
وتطاول الشجر المدل بظله ... وحفيفه متأنقا مخضوضرا
وتبسم الزهر اللطيف كمائما ... أحبب به متفتقا ومزررا
وشدت ولحنت الطيور غناءها ... فوق الغصون وفي الخمائل والذرى
حنت لها الغدران من وله بها ... فجرى وصفق ماؤها متفجرا
متلألئا في جريه مترقرقا ... كالماس أو كالدر شف مجوهرا
ان الربيع هو النعيم بأرضنا ... تحسو النفوس به الطلى والكوثرا
لم يبد في الكون البديع نظامه ... الا ليسبي مبصريه ويأسرا
بل لم يطل على الوجود جبينه ... الا ليخلب ناظريه ويسحرا
لله ما أحلاه فصلا رائعا ... تزهو حلاه وما ألذ وأنضرا

تجد القلوب بـه الحبور فتنتشي ... ثملا وما عبت رحيقا مسكـــرا
وتـرى العيون مباهجـا بروائـه ... فتظل هائمة بـه ممـا تـرى
تهفو الجوانح والضلوع اليه مـن ... شغف فيعلـق بالشغاف مصورا
كل امرىء يرجو التمتع منه عـن ... كثب ويبغي ان يـدوم منـورا
مهمـا يشـد بجمالـه وجلالـه ... ذلق فصيح القول يبـق مقصرا
تنمي أناملـه النبات موشعـا ... ومزركشا حول المدائن والقـرى
وتنمنم الوشي المطـرز سندسا ... وتحوك نسجـا للطبيعة أخضرا
وتبين ألـوان الزهـور فابيض ... يتلـو هنالـك أصفرا أو احمـرا
غمست بسحر مـا وعـاه ساحر ... أنـى وكان الفعل منـه مـزورا
هي بدعة من صنع ربي جل مـا ... صنع البديع لكي يثيـر ويبهرا
يزجي الربيع الطلق عرسا حاليـا ... يحلو مشاهدة ويزهـو مظهـرا

ويزف في حلـل الجمال عرائسا ... قلدن ياقوتا يـرف وجوهـرا
ويقيم أبهـى مهرجان حافـل ... يحبو الطبيعة بهجة أنـى سرى
ويمتـع الابصار والالباب مـن ... متـع المحاسن نظـرة وتصورا
وينعـم الاجسام والارواح فـي ... نعـم الحيـاة لتستريح وتحبـرا
ويوشوش الدنيـا بهمس نسيمه ... ويرشها طيبـا ومسكا اذفـرا
تشدو بلابلـه وتصدح ورقـه ... مرحـا فتطرب سامعيها الحضرا
وتضوع انفاس الرياض مشيعـة ... ندا ورندا فـي الجواء وعنبـرا
ويريك آيـات النهـار مضيئة ... والليل مؤتلق الكواكب مقمـرا
ليت الفصول الباقيات جميعهـا ... مثل الربيع زمانهـا والاشهـرا
لكـن رب الناس شاء تبـدلا ... وتحولا طـول المـدى وتغيـرا
سبحانه فـي ملكـه يجري بـه ... مـن لطفـه مـا قد أراد وقدرا

مـاج الربيـع نضارة وجلا لنـا ... وجها بشوشا بالملاحـة أزهـرا
طاف السهول قريبهـا وبعيدها ... وعلا الجبال وجاب وهدا في السرى
واختال من زهـو ولألأ مشرقا ... متضاحكـا متباهيـا متبختـرا
فازدانت الدنيـا ورف بهاؤهـا ... لمـا تنقل فـي الثرى وتأطـرا
مست يـداه الترب جدبـا ماحلا ... فربـا وعـاد مفوفـا ومنضـرا
وغدا موات النبت حيـا زاهرا ... متبسمـا متعريـا متـأزرا
وتبـرج الدوح الظليـل بروضه ... متبرعمـا أو مزهرا أو مثمـرا
وعلت أغاريد الطيـور فأسكتت ... دفـا ونايـا للغناء ومزهـرا
لابدع ان هـام الانـام صبابـة ... بحلى الربيع ونـوره مـا أسفرا
اني لاهوى ان أشاهـد حسنه ... في يقظتي ما دمت حيـا والكرى
وأود صحبتـه لاشعـر أننـي ... غصن الشباب فلا أسير القهقرى
ألقى الحيـاة هنيئـة ولذيـذة ... لمـا أراه وانتشـي متخـدرا
وأقر عينـا باجتـلاء فتونـه ... وأطيب نفسا فيه حتى تسكـرا
ويعود لي عهـد الصبا فأضمه ... متمتعـا متنعمـا متذكـرا
هـو خير فصل تنجلي أيامـه ... عن حلـو عيش ما أحب وأخيرا
بـل فتنة الدنيا وجنة عدنهـا ... يأتي عـن الخلد البديع معبـرا
مـن شاء نعت بهائـه وروائه ... حصرا يظـل بعيـه متحيـرا
أنا بالربيع الخصب مغرى مولـع ... ما أخصب الاغراء فيـه وأكثـرا
تزهو بـه دنيـا الانام طلاقـة ... وحلى وترفل كالعروس تبخترا

جبلة ـ سورية

رشاد علي أديب



لويجي بيرندللو

لويجي بيرندللو وظلال الوهم الكبير

بمناسبة مرور مئة سنة على مولد الكاتب الايطالي الكبير

بقلم يوسف عبدالمسيح ثروة

* * *

لويجي بيرندللو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) قاص وكاتب مسرحي ايطالي ولد في جرجنت في صقليا من ابوين متوسطي الحال ، وعلى اثر نكبة مالية نزحت اسرته الى بالرمو ، وهناك نهل الصبي معارفه الاولى ، ومن هناك سافر الى روما فالتحق بجامعتها ولكنه لم يجد فيها ما يرضي طموحه، وبنصيحة احد اساتذته انتقل الى بون وفيها واصل دراساته الاكاديمية بعد ان اجاد اللغة الالمانية ، تعلما ودراسة وهضما وممارسة .

عرف الصبي في بواكير شبابه الحب ، فمال الى الشعر يستخدمه وسيلة للوصول الى قلب من احب ، ولكن الشعر الذي نظمه ـ مع اتصافه بالسخرية المرة ، واللوعة الفاجعة ، والالتماعات الموحية ـ لم يسعفه فيما قصد اليه ورنا اليه ، ذلك ان عاطفته على تأججها وعنفها ، كانت اميل ما تكون الى الانفعالات الـــذهنية لا المشاعر المتجاوبة مع الاستجابات التلقائية الشديدة الفعالية ، التي تتأثر بالاحداث فتنجذب نحوها انجذابا عفويا عارما . ولهذا السبب ترك الشعر للشعراء واخذ بناصية القصة يداريها ويعالجها معالجة جادة ..

واذا بالشاعر ينقلب الى قاص مجيد يحسن لم اشتات الاحداث، ليحوكها حبكة موصولة الجوانب والاطراف . متناسقة السياق ، متكاملة التكوين ، منطقية المسرى ، طبيعية المضمون ، منسجمة الشكل ..

وذلك بعد ان حل به المقام في روما ، بعد ان اكمل عدته من الدرس والتحصيل في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، فاختلط بالاوساط الادبية والفنية ، وخرج من عزلة الدرس الى واقع الحياة ، واخذ يتجرع ـ من اول وهلة ـ مرارة الحياة بروح رياضية عالية .. اذ كانت الخطوب تنتظره بفروغ صبر ، لانه كان مقدرا عليه ان يكون ابنها البار وهو لما يزل في عنفوان شبابه .. فبعد ان تزوج بماريا بورتولانو ، انجب منها ثلاثة اولاد ، ابنين وبنتا وعاش واياها فترة وجيزة من الزمن في روما عيشة سعيدة . ثم مرضت زوجته مرضا عصبيا انتهى بها الى الجنون المطبق ، وحلت بأبيه كارثة مالية حطمت تجارته ... وزاد الزمن القاسي من ضرباته ، بان اصيبت زوجته علاوة على الجنون العصابي بجنون الكراهية الفظيعة بحيث انها لم تعد تحتمل وجوده .. ظنا منها انه خرج على نطاق اخلاصه لها وباعها بخسة ، بيع التراب . ومع ذلك ، استمر يعمل في دأب ومواظبة عجيبة ليغطي نفقات عائلته ، من دواء وطعام وكساء واجور سكن .. حتى انه لم ير بأسا ان يشتغل معلما للصبيان بصورة خصوصية لقاء ليرات معدودات وهو ذلك الكاتب القاص النابه الذي يتحكم في قلمه تحكم السيد المطاع . وهكذا ضحى باعز ايامه واثمنها في سبيل واجبه بصفته ابا وزوجا ، من غير مقابل . ويهون ذلك كله ، وتهون التضحية ـ على عظمها وفداحتها ـ لو كان الامر بغير مقابل ! بل الذي افجع لويجي واثر فيه اشد التاثيرواساء اليه افظع الاساءة ، انه كان يقابل من زوجته بعنف مر ، بشجار دائم ، برد نسوي غيور مجنون ، بلعنات تنصب عليه ، بجحيم يصطلي فيها ويتجرع زفيرها ، ويعاني لظاها ، حريقا اثر حريق في كل ارجاء نفسه المعذبة .. لويجي يولج ليله بنهاره عملا وكدا وتعبا وضنى لا يعرف فترة لراحة ولا املا في اطمئنان ، ولا تطلعا في مستقبل . ومع ذلك ، فهو لا ينقطع عما هو ماض فيه ، من جهاد رتيب ادكن ، للحصول على لقمة العيش ، ومن جهاد باسل رفيع في سوح الادب ، وفي هذه الاونة بالذات ، الاونة التي تدك الجبال ، برز لويجي لدانتزيو ، الشاعر المداح ، المماليء للفاشية بعدئذ ، بمقالات في النقد الادبي تفضح حقيقة مكانته ، ومقدارها في جعبته من هزيل العدة وتافه الشأن .. وكان لهذه المقالات دوي ، اي دوي ، في الاوساط الادبية ، وزاد في اهمية هذا الدوي انحياز الناقد الادبي الكبير كابونا الى جانب القاص الناقد الطالع ...

وجاءت الحرب العالمية الاولى ، لتزيد من مآسيه ، فاذا بابنه الاكبر ستيفانو يتطوع في الجيش ويجرح ويؤسر ، وتظن الزوجة ان المسئول عن ذلك كله هو الاب ، لانه هو الذي انتزع منها ابنها ليقدمه طعاما للمدافع ، وتعطف عليه ابنته ، فيحمل ذلك الامر الام على الاعتقاد بان ابنتها هي عدوتها ، هي الاخرى ، فما تعود تطيق وجودها في البيت ، وتنحل اواصر العائلة . ويظل الاب حائرا بين مقت زوجته الشديد ، وبين حنانه على ابنته التي تجبر على ترك البيت لتلتجيء الى احدى القريبات في فلورنسا . وتنتهي الحرب ويعود الابنان الى البيت .. ولكن البيت يظل شعلة ملتهبة من الظنون والشكوك . ويظل لويجي يقاسي الالام المزعزعة لاشد النفوس صلابة . وتحمل الزوجة المسكينة الى احدى المصحات لتتخلص من الجحيم الذي لم يعد يطيقها ولم تعد تطيقه .. ويبقى لويجي يئن تحت ضربات القدر ، يتحمل الهموم صابرا مكافحا وهو يتأرجح بين العطف على زوجته المنكوبة بعقلها وبين حالته النفسية التي لا تطاق .

مسرحية ((حسب تقديرك))

ويتحول لويجي فجاة الى المسرح ليجد فيـه ضالته المنشودة . فماذا يكتب وكل حياته مآس صارخة ؟ ان المسرح الذي اتخذه خدينـا له ، هو وحده القادر على التعبير عن حياته تعبيرا فنيا اصيلا ، فهو لا يعكس الواقع الذي يعيشه حسب ، بل هو الواقع بعينه . وليس للويجي غير ان يصب في هذا المسرح ما في نفسه من مشاعر واحاسيس وعواطف ، وكلها قوة درامية متفجرة ، لا تتقمص واقعا ، ولا تمثله ، ولا تعرض حياة معينة . انها قو ى درامية حية ، لا تنفصل عن وجودها الزمني والمكاني ، الا لكي تقفز من عالم اليوم ، عالم الوهم الكبير ، الى اجواء الخلود .. فتكون الشخوص التي تكون محاور فنه شخوصا خالدة .. بعد ان كانت على ارضية العالم الراهن ، اوهاما واضغاث احلام ..

وفلسفة لويجي التي استنبطها من حياته الخاصة، فلسفة تشاؤمية بحت . فهي لا تقر بوجود الحقيقة ، واذا اقرت بها فلكي تكون حقيقة نسبية . على حسب الزمان والمكان اللذين توجد فيهما ، وعلى حسب الوضعية النفسية التي تتعلق بها . فمن انت ؟ ومن انا ؟ ومن هم ؟ ومن نحن ؟ اسئلة لا بد من طرحها بصورة جدية ، لانها واردة . لاننا لا نعرف لها اجوبة شافية . قد لا تكون انت من انت وقد لا اكون انا من انا ومن هم من هم ومن نحن من نحن . وقد نكون جميعا اوهاما وظلالا للوهم الكبير . فما هي الحياة ؟ اهي الوهم الذي نعيشه ؟ ام هي حياة الواقع الذي يطحننا طحنا ؟.

انه يعتقد ، كما اعتقد شكسبير ، ان المسرح ليس شيئا منعزلا عن العالم ، (فالعالم مسرح ونحن الممثلون) ونسبية الحقيقة بل حتى الشك فيوجودها اطلاقا تجد لها اصداء واضحة المعالم بينة القسمات في مسرحيته « حسب تقديرك » « فماذا يمكننا ان نعرف عن حقيقة الآخرين على وجه الدقة (١) .. اننا ـ في الواقع ـ نتعب انفسنا ونتعب الاخرين في البحث عن حقيقة الآخرين وماهية الاشياء .. ومعنى ذلك انه لا يمكن معرفة الحقيقة ... لان الكشف عنها عسير غير ممكن بل هو متعذر ومستحيل ايضا .. اما تفكيرنا فلم يعد ذا بال .. لان الامور تجري بصورة محيرة للعقل . ولما كان لكل حقيقته ولما كان كل انسان انسانين . هذا الذي تتقمصه متظاهرا ، وهذا الذي يستقر في قرارة نفسك .. تبعا لانشطار الانسان الاجتماعي بتاثير البيئة .. فالقول بوجود حقيقة ثابتة قول مردود لا يصح الركون اليه لانه بعيد عن الواقع كل البعد . واذا كانت الحقيقة هي مسالة اعتقاد فلكل اعتقاده وما يسلم به » وهكذا فالام فرولا تعتقد في هذه المسرحية ان صهرها بنزا رجل مجنون ، ذهب منه عقله يوم ذهبت زوجته الى احدى المصحات بسبب لوثة اصابتها .. وجنون هذا السيد يعرف بجنون الوهم الخاطىء .. انه يعتقد جازما ان زوجته قد توفيت ومن ثم فقد تزوج امرأة اخرى .. وتعتقد الام ان ابنتها شفيت وعادت الى بيتها سليمة معافاة وهذا الاعتقاد وهو خلاف اعتقاد الصهر تماما .. ولكن الامر المحير في الموضوع ان كلا من الام والصهر يجزم باحقية ما يذهب جزما قاطعا ، كما يستطيع كل منهما اقناع الاخرين باحقية ما يذهب اليه .. وهنا تنقسم الاراء في البلدة .. هؤلاء يؤيدون السيد بنزا واولئك يؤيدون السيدة فرولا ، الام ، وحجة كل منهما اقوى من حجة الثاني ..

ففي معرض تبريرها لسلوك صهرها تقول : « ربما كان نوعا من المرض يشبه الحب الغامر ـ المغلق ، هذا هو الموضوع ، نعم حب خاص بها ، يفرض على الزوجة ان تعيش في داخله ، دون ان تخرج منه على الاطلاق ، ولا ينبغي ان يدخل فيه احد على الاطلاق » واذا علمنا ان الصهر يمنع الام من زيارة (ابنتها) ، عرفنا مدى ما في هذا التبرير من دلالات ومعان ...

اما بنزا فيعزو جنون الام الى واقعة معينة .. انها راته مع زوجته الثانية من شباك الحجرة التي كانت محتجزة فيها فظنت ان ابنتها ما زالت حية ، فاخذت ترتعد وتضحك ، وتخلصت دفعة واحدة من اليأس القاتم الذي حل بها ، لتقع في هذا الجنون ، في هذا السجن الذي ضاع مفتاح بابه فظل مغلقا على من فيه .. ولكن هذا التفسير تفسير غريب ـ على رأي الام ـ وحجتها في ذلك : انه مضطر ان يقدم هذا التفسير الغريب .. فبهذه الفكرة امكن ان يعود اليه الهدوء ، وان تعود اليه الثقة بنفسه .. اما الزوجة المسكينة فكان مقدرا عليها ان تتظاهر بانها ليست هي ، بل واحدة اخرى .. انها ليست هي بالنسبة لزوجها وهي هي بالنسبة لامها .. غير ان الام لا تستطيع ان تقترب منها لتراها والا انقلبت حال الزوج وضاع صوابه . ومن اجل ان يظل هدوءه على ما هو عليه من اتزان .. ضاعت الحقيقة وضاعت المعايير وظلت الام في واد والصهر في واد والزوجة المأخوذة في واد آخر .. لقد خلق كل من الام والصهر « صورة في خياله لها قوام الحقيقة ، وبات كلاهما يعيش هذا الخيال في وئام تام وسلام متبادل . وليس في الامكان هدم هذه الحقيقة التي ابتدعاها بنفسيهما ، ايا كانت الاداة . » ومن ثم «فالخيالهنا والحقيقة هنا» وهما متجاوران لا يستطيع احدهما التخلص من الاخر ، ولا التمييز بينهما لانهما ملتصقان . وهكذا بات من المتعذر معرفة ماهية الخيال وماهية الحقيقة !. وبات الجميع بين الخيال والوهم متارجحين .

اما السيد لدزي الشكاك الذي ينظم من اول الامر الى جماعة الباحثين عن الحقيقة فهو يمشي مع المنطق الذي سايرناه الى اقصاه فينكر وجود السيدة فرولا نفسها ويقول مخاطبا جماعته : « هل انتم متاكدون من وجودها ؟. ويستطرد : ولكن فكروا قليلا ! اذا حكمنا المنطق خرجنا بان التي توجد في هذا البيت ليست الا مجرد شبح .. لانه لا يمكن ان توجد هناك اية سيدة . لا توجد ! انا على الاقل ، اشك الان في وجودها . » واذن فمن غير الممكن الكشف عن الحقيقة .. واذا كان الصهر والام مجنونين ، فهل ابنة السيدة فرولا هي الاخرى مجنونة؟ الا يمكن التوصل الى الحقيقة من طريقها ؟ لقد بلغ البلبال بجماعة الباحثين عن الحقيقة وعلى راسهم المحافظ ان امر الاخير بحكم سلطته باحضار الزوجة لتبين جلية الامر .. واخيرا خضع الزوج لما اريد به وبزوجته .. واذا بها تجبر على الحضور بين يدي المحافظ .. لتقول مخاطبة الجميع ، « ماذا تريدون مني ، يا حضرات السادة ؟ انا مأساة كما ترون ، ينبغي ان تظل مختفية ، لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل العلاج عن طريق الاشفاق يفلح ويثمر » . فيجيبها المحافظ متاثرا: « نحن نقدر هذه الشفقة كل التقدير ، ولكننا نريد فقط ان تقولي لنا » .. وهنا تكمل السيدة بنزا قول المحافظ : « ماذا ؟ الحقيقة ؟ الحقيقة في حد ذاتها هي : اني فعلا ابنة السيدة فرولا » . فيتنهد الجميع بارتياح ويقولون : آه .. وتستطرد السيدة بنزا في الحال وبالطريقة السابقة نفسها : وزوجة السيد بنزا الثانية » .. وهنا تعقد الدهشة وخيبة الامل انفاس الجميع فيقولون : « اوه ! وكيف ؟ » فتتدارك السيدة بنزا الامر بقولها : « نعم ، اما بالنسبة لنفسي ، فلا احد ! لا احد » .

ولما تصل القضية هذا الحد المحير من الاشكال يتنبه المنطق الارسطي في نفس المحافظ ويسوقه الى القول : « آه ، لا ، بالنسبة لنفسك يا سيدتي اما ان تكوني هذه او تلك ، واحدة او الاخرى ! » فترد عليه السيدة بنزا : « لا يا حضرات السادة ، بالنسبة لنفسي ، انا ما يعتقده الاخرون .. » وهنا ، وقد اغلق الشك باب اليقين ينبري لدزي لجماعته فيقول مؤكدا ما كان يذهب اليه دائما : « هاكم ، يا حضرات السادة ، كيف تتكلم الحقيقة ! »

مسرحية « ستة شخوص تبحث عن مؤلف »

وقد طور بيراندييللو فكرة الوهم هذه ، وضياع الحقيقة ، الى حد غريب في مسرحيته الشهيرة « ستة شخوص تبحث عن مؤلف » وفيها ينقلب مسرح الحياة الى مسرح حقيقي ، وتزول الحواجز بين المسرحين فلا يعود للتمثيل بمعناه المسرحي المعروف اي اثر في الوجود البشري وتصبح الحياة نفسها تمثيلا مأساويا عجيبا لا ينتسب باي صلة الى التمثيل المسرحي لان مسرح الحياة ينتقل بصورة عفوية مروعة الى خشبة المسرح. فينهزم الممثلون التقليديون تاركين وراءهم كل مواصفاتهم، واساليبهم وادواتهم وكل تقاليدهم .. تاركين ـ في الوقت نفسه ـ السيد المخرج ، المدير الفني ، ليستقبل الممثلين الاحياء ، وليندمج معهم ، في اخراج جديد ، لم يكن ليخطر على باله ولم يكن ليحلم به.. الشخوص الستة هم : الاب والام وابنة ربيبة وابن وولد وطفلة ..

---

١ ـ شواهد مسرحية « حسب تقديرك » من ترجمة الاستاذ محمد اسماعيل محمد .

الاولاد كلهم من الام الا الابن فهو الوحيد من الاب والام . والسبب ان الام علقت باحدهم فهجرها زوجها بسبب خيانتها له .. ولكنه يتلطف ـ بعد وفاة خليلها ـ ان يعيدها الى بيته مع اولادها .. وهنا تبدأ مأساة المسرحية بالتفتح والانكشاف .

وقبل ان ندخل في صلب الموضوع لا بد من كلمة حول شخوص المسرحية : فالاب مجموعة من تناقضات ، فهو لطيف مطواع ـ وفي الوقت نفسه ـ عنيف ، شكس ، وتبدو الام فزعة محطمة ، كأن ثقلا لا يحتمل من العار والذلة ، قد بهضها بفداحته . اما البنت الربيبة ، فهي ذات نفسية مقحامة جسور ، وذات وجه يتلألأ جمالا . على حين يمتاز الابن بموقف عنيف من السخرية الموجهة الى الاب ، وبلامبالاة وعدم اكتراث يخص بهما الام . كما يبدو كأنه جاء الى المسرح بالرغم من ارادته ..

ها هو الاب يحدث المدير الفني وكأنه يقدم نفسه وجماعته : « .. اننا جئنا الى هنا بحثا عن مؤلف » . وبعد ان يحار المدير بامر الجماعة ومن يبحثون عنه ، يستمر الاب في شرح غرضه بقوله : « .. انت تعرف جيدا ان الحياة مليئة بحماقات غير محدودة ، وهي ليست بحاجة لكي تبدو معقولة ، لانها حقيقية » . واذا ما قلبنا مجرى الحياة ـ على وفق رأي الاب ـ امكننا التوصل الى ما يعرف بالجنون . وبذا نكون قد خلقنا حالات مقبولة عقلا ، من اجل ان تبدو حقيقية . واذا كان هذا يعد جنونا فهو جوهر مهنة التمثيل اذ اليس رسالة السادة الممثلين هي اضفاء الحياة على شخوص خيالية (فنطازية) ، لكي تأخذ امكنتها على المسرح ؟ واستكمالا لهذا الرأي وتأييدا له يدلي المدير الفني بدلوه قائلا : « .. نحن فخورون بما اضفينا من حياة على اعمال خالدة ، هنا ، على هذه الخشبة بالذات ! »

وفكرة الخلود التي اشار اليها المدير سرعان ما يتلقفها الاب جاعلا منها فكرته بقوله: «... محظوظ من يولد بصفته شخصا من الشخوص، فهو يستطيع ان يضحك حتى على الموت . لانه لا يستطيع ان يموت . اما الانسان ، الكاتب ، اداة الابداع والخلق ، فميت لا محالة ، بينما ابداعه لا يموت » . ولكي يدعم الاب رأيه هذا يضرب الامثال ببعض الشخوص الخالدة من اضراب سانخو بانزا ودون ابوندبد وبعدهما جرائيم حية وجدت لها ـ لحسن حظها ـ ارحاما خصبة ـ وما هذه الارحام غير الخيال الذي ينعشها ويحييها ويبعث فيها نفسا خالدا لا تستطيع صروف الزمان اخفاته واخماده . وحين يسأل المدير عن النص المسرحي الذي تعتمده الشخوص لتقديمه على المسرح يجيبه الاب بصورة طبيعية في غاية البساطة بقوله : « .. الدراما فينا ، ونحن الدراما . نحن متلهفون على تمثيل ادوارنا كل التلهف » . وعندما يتساءل المدير عما يقصده بقوله عن امرأته انها ارمل وهو لا يزال على قيد الحياة ، يجيبه وكله سخرية : « هنا تكمن الدراما التي تخصها . كان لها خليل، رجل كان ينبغي ان يكون هنا » . الا انه غير موجود لانه دفعه الى خارج الوجود ، على الرغم من انه هو المسؤول عن التجاء زوجته الى ذلك الرجل الذي قدمه الى زوجته بنفسه كما تقول الام مخاطبة الجماعة : « .. انه هو الذي اعطاني ذلك الرجل ، وهو الذي اجبرني على الالتحاق به » . واذا كانت قد تركت ابنها وهو في الثانية من عمره فهي لم تفعل ذلك الا مكرهة وبفضله هو نفسه .

وتمضي سنون عدة ، ويلتئم شمل العائلة مرة اخرى ، ويستمر الممثلون الحقيقيون في عرض واقع الحياة ، بعد موت العشيق ، ورجوع الام الى جادة الصواب مع اطفالها الجدد ، وعلى رأسهم البنت الربيبة الذكية الاريبة التي تشير الى والدها (الجديد) بقولها : « وكانت ثمة المئة ليرة التي اوشك ان يقدمها لي عربونا .. ايها السادة » . وتقدح هذه الكلمات قدحا فيتطاير منها شرر مرعب ، وتبدأ الحرائق بالانتشار، واذا بالجمع كله ، كل الحضور ، مبهوتون ، متوترون ، منكمشون ، مبهورون ... العربون .. العربون الملعون معروف ومشهور ، وهو ختم قديم من اختام اقدم مهنة في العالم .. والفتاة تدري ما تقول لما تتناول مدام بيس بحديثها الجهنمي النغمة : « .. مدام بيس هي واحدة من السيدات اللواتي يجتذبن الفقيرات من العوائل الصالحة الى مقاصيرها .. بحجة بيع الارواب والستر » . وحين تحتج الام قائلة : « عيب . عيب ، يا بنتي » . تعوي البنت وتصرخ : « عيب . حقا عيب . هذا هو انتقامي . انا اموت في سبيل ان اعيش ذلك المشهد.. هناك الديوان والمرآة والستارة ، وقبالتها المائدة الصغيرة التي تحتوي على المظروف الازرق ذي المئة ليرة .. كنت استطيع ان اخذها .. لكن ، ايها السادة، عليكم ان تستديروا ظهوركم الي الان . فانا اكاد اكون عارية ، كما تعلمون . غير اني لا احمر خجلا ، بل اترك ذلك الاحمرار اليه (مشيرة الى الاب) » .

اما الاب الذي يفلسف كل شيء ، فلا يرى بأسا من القول بكل برود : « ... القضية كلها كلمات في كلمات . ولكل منا عالمه الخاص. نحن نظن اننا نفهم بعضنا بعضا بينما نحن على خلاف ذلك تماما » . ولما تتدخل الام دفاعا عن مسلكها بقولها مخاطبة المدير ، « .. بعد ان تزوجني .. من يعرف لماذا ؟.. كنت امرأة تافهة فقيرة .. » لا يتورع الزوج من القول : « انها بكماء ، بكماء عقليا .. عندها الكثير من العاطفة . نعم ، ولها قلب طيب يحن على الاطفال ـ لكن الدماغ ـ ابكم الى حد اليأس منه ! » ثم يتحدث بالبرود نفسه عن امين سره مشيرا الى زوجته بقوله : « .. لقد تفاهما لانهما كانا روحين متحابين متقاربين ، في الواقع . من غير ان يبدو بينهما اي ظل لاي شر . فهما لم يكونا ليستطيعا حتى ان يفكرا فيه » . ويستطرد قائلا : « كنت استطيع ان اراهما يسألان بعضهما بعضا كيف يمكن ان ابقى محافظا على اتزاني وهدوئي . وهذا وحده كان كافيا ان يجعلني في حالة من الغضب المستمر » . وتبلغ القحة الاب الى حد الاعتزاز باستقامته الاخلاقية ومدى طموحه الشخصي في توفير هذه الاستقامة لافراد عائلته جميعا ، وهنا تنفجر الفتاة الربيبة ضاحكة وتحدث المدير قائلة : « تصور الاستقامة الاخلاقية منبعثة منه ، اذا تسمح ـ من عميل مقاصير معينة، كمقاصير مدام بيس ؟ » لكن هذا كله لا يؤثر ـ في شيء ـ في نفسية الاب الرفيعة ، المتعالية ، ذات الشرف السامي .. ولهذا فهو يقول بملء فيه : « ... البؤس . التعاسة . الشقاء كل ذلك ينحصر في الانسان الفريد الذي يأبى التورط في صلات مخزية .. ليس هو طاعن السن حتى يتخلى عن النساء وليس شابا يبحث عن واحدة لا مؤاخذة عليها » . والاب من هو ؟ هو كسائر الرجال ، الا انه احسن منهم ، لانه ـ في الواقع لا يخاف من ان يكشف بمعاونة ضياء الذكاء حقيقة عار الوحشية الانسانية الحمراء ، ذلك العار الذي يغمض معظم الرجال عيونهم حياله ـ . اما المرأة ، ولننظر الى حالتها ، فحالما تجد نفسها بين ذراعي رجل ، تغمض عينيها اغماضة تشير الى رسالتها في الحياة، وتقول من طريق تلك الاغماضة : « اعم نفسك ، لانني انا نفسي عمياء».

وهنا تهب الفتاة المعطوبة لتقول ردا على هذه الفلسفة ، « .. هذه التعقيدات الذهنية ، تجعلني مريضة ، تقززني ، كل هذه الفلسفة التي تكشف عن الوحش في قرارة الانسان قصد انقاذه ، كل ذلك امر لا استطيع تقبله .. لانه يعني رمي كل اثر من اثار الانسانية ، كل مطمح عنيف ، وشعور نقي ، وحس بالمثل العليا ، وواجب ، وحشمة وعار .. وعندئذ لا يبقى شيء ابعث على التقزز والنفور من ذلك الندم ، من تلك الدموع ، التي هي دموع التماسيح ولا شيء غيرها » .

واذا كان كل شيء مجرد تظاهر ، واذا كنا ـ في الحياة ـ لا نمثل غير الادوار التي وضعت لنا ، فاننا نجد انفسنا عائشين في جو من العزلة القاتلة ، ولهذه الاسباب فالاب منغمر في تمثيل الحياة تمثيلا صادقا ، لان تمثيله لا ينفصم عن واقعه الحي ، والام تدرك انها تعيش هذا الواقع في عذابه المر ، كل لحظة من لحظات الزمن الكافر ، ذلك ان اولادها متعلقون بها ليجعلوا ما تقاسيه من العذاب واقعا طافحا

سحابات صيف

غـــدا ترحلين الـــى مجهـــل ... وتطوين ذكـــرى هـــوى أول
وتـــورق فـــي مقلتيـــك المنـــى ... على وقـــع أغنيـــة الجـــدول
وتنسين وعـــدا رعتـــه النجـــوم ... وسبعا تجـــوب مـــع الشمـــال

وأمس رأيتـــك عبـــر الزحـــام ... واغضيت عنـــي ، فيـــا للعذاب
كانـــا غـــريبان لـــم نرتشف ... كؤوس الطلى في اعالي السحاب
ولـــم نمـــلأ الدوح عند المساء ... جوى ، او نلـــون درب الشباب

الا فاذهبـــي ان مـــا بيننـــا ... تناهبـــه زمـــن غـــادر
ومـــا قـــد تبقـــى عـــراه الذبول ... وأودى بـــه عـــاصف ماطـــر
كـــأن السنين سحابـــات صيف ، واوهـــامهـــا حلـــم عابـــر

غدا سوف تدرين معنـــى الهوان ... اذا أثقلتـــك صخـــور المـــلال
غـــدا تبحرين مـــع الذكريـــات ... خـــلال الدجـــى نحو شط المحال
علـــى مركب هائـــم أخضـــر ... تهدهده خيبـــة فـــي الخيـــال

ستمضي السنـــون وراء السنين ... وتصفعنا سخريـــات اليقيـــن
ونمسي حيارى بـــلا غايـــة ... ولا أمنيـــات تـــروي الحنيـــن
ونعبـــر كهف الاسى والدمـــوع ... وندفن بـــالحشرجـــات الظنون

القنيطرة ـ سورية — رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالحيوية والحركة والديمومة ، اما ابنتها فقد تركتها وفرت فضاعت ..

ومن ثم ، فان الشخوص ، بما فيهم الاب ليسوا غير ما هم عليه ، وليس لهم من حقيقة خارج هذا الوهم الكبير ، علـــى حين ان المسالة بالقياس الى المدير الفني وزملائه الممثلين لا تعدو ان تكون بحق وحقيقة نوعا من اللعب والتلاعب بمشاعر الاخرين . بينما ان هذا اللعب الفني ليس ـ في الواقع ـ غير حقيقة الشخوص الوحيدة . وعلى ذلك فمـــا نعده حقيقة اليوم يصبح غدا وهما من الاوهام ، لان اوهام الحقيقـــة تتمثل في كوميديا الحياة التي لن تنتهي ولن تستطيع ان تنتهي فهـــي والفد على موعد دائما . ومؤدى كل ذلك على حسب قول المدير مخاطبا الاب : « .. لقد قدمت نفسك لي بصفتك « شخصا من الشخوص » ابدعه مؤلف لم يعن بعد ابداعه ان يؤلف مسرحية درامية من مبدعاته ». وهنا يجيبه الاب بالتوكيد قائلا : « هذه هي الحقيقة البسيطة. سيدي» ولكي يجعل لهذه (الحقيقة) سنادا من الواقع يمضي الاب الى القول : « .. حالما يولد (الشخص) يكتسب استقلالا ، وينفصل حتى مـــن مؤلفه . لكي يمكن لاي انسان تخيله وتصوره ، في اوضاع لم يحلـــم المؤلف نفسه بان يضعه فيها . وعلى ذلك فهو يحوز على معنى لم يضفه المؤلف عليه » . ومن هنا ، فان المؤلف الذي هـــو خالق الشخوص ، عاجز عن السيطرة على شخوصه لانها تصبح كيانات مستقلة متى مـــا انفلتت من بين اصابعه . وفلسفة نيرنديللو هذه تجد لها احسن التطبيق في مؤلفات دستويفسكي القصصية خاصة .

اما فلسفة بيرنديللو ـ في الحياة ـ فيمثلها احسن التمثيل قول الاب : « كل انسان حقيقي يعيش على مستوى اعلى مـــن مستـــوى الحيوان والنبات بعض الشيء لا يعيش من اجل العيش ، من غير ان يعرف كيف يعيش ، ولكنه يعيش من اجل ان يضفي معنى وقيمة على حياته » . وردا على هذه الفلسفة يقول المدير : « يا سيدي ، الدراما عمل ، عمل لا فلسفة متخبطة » . وتاتي الفتاة الربيبة لتؤيد المديـــر بقولها وهي تشير الى اختها الصغيرة وهي تلعب في الحديقة : « ان مسرتي الوحيدة هي ان اراها سعيدة لا يهمها شيء في الحديقة بعـــد بؤس تلك الغرفة المرعبة وقذارتها حيث كنا نحن الاربعة ننام معا . وانا انام معها (تقصد الاخت الصغيرة) بجسمي الدنس المعدي » . وتضيف الى ذلك بعد ان تشير الى اخيها الكبير : « انه مضطر ان يبقى هنا، لا انفصام لعروته من السلسلة » . ويعرف الابن هذه الحقيقة ولذا فهو يقول : « اذا كنت غير مستطيع على الذهاب ، فسابقى هنا ، ولكنني لن امثل ابدا » .

ومن هنا ، فان الابن يريد ان يظل خارج نطاق التمثيل ، ويظن انه يستطيع ذلك ، غير انه ما ان يلتفت بوجهه نحو المرآة حتى يجد صورة مرعبة مفزعة تنهض امامه لتبعث في قلبه كل الرعب وكل الفزع ، واذا به حقيقة غول مفزع ... صنع ما لا تصنعه الفيلان ، واذا بالام تريد ان تعترف بالجريمة النكراء ولكنه يمنعها من ذلك بالقوة قائلا : « الا تستحين ، اتريدين ان تصري على اراءة عارنا لكـــل الناس » . وتشاء الاقدار ان تملي ارادتها ويموت الولد منتحرا بعد غرق الاخت الصغيرة ويصرخ الاب قائلا : « نظاهر ؟ حقيقة . نعم حقيقة » . واذا بالكـــل ظلال للوهم الكبير .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

صانع الزجاج

★

حمم من الرمل المذاب بالويل تنذر والخراب
طلعت بحمر بيارق وكأنها كسف العذاب
صهرت بمضطرم اللظى فجرت كمنهل الرباب
وغدت جواهرها الهباب لرقة أو كالسراب
كسف تدافع غربها كالموج في ثبج العباب

برم الحديد ولم يكن ليضيق صدرا بالصعاب
وارتد عنها مشفقا كطعينة حذر الحراب
حمم وكيف بمدحها يجري لسان أو يحابي

مدت الى اكر اللظى يد حاذق مد اغتصاب
وجرت برفق دونها بعد التمعن والحساب
نفذت الى أكر اللظى كالغيب ينفذ من حجاب
يختار منها بعد لأي ما يلائم عن صواب
وكأنه البزاز ينقد ما استجد من الثياب
أو صانع يزن اللآلىء فاحصا من خوف عاب
وتدور في كفيه طابات تشعشع كالشهاب
وتلين في دورانها كالشمع من دون الثقاب

ما زال صانعها بصقل يدريها كالمحابي
ويقوم في تثقيفها ليجيء بالعجب العجاب
حينا يعالجها برفق كعاتب في اقتضاب
وتراه حينا يصرف الانياب من غصص العذاب
وكأنه من صدره يوري التهابا بالتهاب
ما زال يصقل دائبا بتريث كتل التراب
حتى غدت قطع الحجارة في اللطافة كالهباب
وتسلسلت ذراتها كالنور لينا في انسكاب

السحر ما صقل الفتى وأتى من الفن اللباب
حال التراب بفنه متعا تتيه على السحاب
من كل آنية مشعشعة كأحلام الشباب
شفت جواهرها بتثقيف كمؤتلق الغياب
وصفت جوانبها كغرب الدمع في جفن الكعاب

بنت التراب وليس سرك خافيا عن ذي صواب
أغلاك ما أزرى بصايغك المسهد من عذاب
ما كنت غير حصيلة لشبحى يقطع بالرقاب

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« جراندة » الكلب

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

اسمه بالاسبانية « جيرالدو سمبافور » ويلقبه الاسبان « بالباسل » واحيانا يلقبونه « بالسيد البرتغالي » تشبيها بالسيد الكنبيطور (الكمبيادور) وهو المغامر الذي كان يعمل في شرق الاندلس ايام ملوك الطوائف ولكن العرب في الاندلس كما تروي لنا المصادر العربية كانت تطلق عليه اسم « جراندة الكلب » او اذا اردت الاسم العربي الكامل له مع باقي الصفات المنعمة عليه فهو «العلج جراندة الكلب الجليقي » . ومن الطريف ان المصادر العربية تقتصر احيانا في اشارتها اليه على كلمة « الكلب » . وفي بعض الاحيان لا يتمالك القارىء من الابتسام لهذه التسمية واذكر اني في عدة مرات وضعت الكتاب جانبا لاستغرق في الضحك مع ان الموضوع جدي غاية في الجدية ، ولا شك ان رد الفعل هذا هو آخر ما كان يقصده المؤرخ العربي آنذاك .

عاش « جراندة » في عصر الموحدين ايام الخليفة ابي يعقوب يوسف وكان نشاطه في المنطقة الواقعة الآن في وسط البرتغال . وكانت البرتغال في ذلك الحين مملكة ناشئة قام « الفونسو هنريكيز » بتأسيس دعائمها وهو الذي عرفه العرب باسم «ابن الرنق» . وكان سلطان العرب قويا حتى منطقة لشبونة شمالا وموازيا للنهر التاجه وكان العراك سجالا بين العرب والبرتغاليين فاذا قوي ساعد العرب مدوا سلطانهم الى الشمال قليلا فاخذوا « شنترين » والقلاع المحيطة بها واذا قوي ساعد البرتغاليين مدوا سلطانهم الى الجنوب قليلا فاحتلوا « بطليوس » وما يحيطها من قلاع . وكان ثمة على العموم توازن في القوى بين الطرفين .

وهنا يأتي ذلك الدور المهم الذي كان يلعبه «جراندة» اذ كان من الرجال المرتزقة الذين لا يدينون بأي ولاء الا لانفسهم . وكانت معه عصابة من الرجال المرتزقة الذين يعملون معه وعددها حوالي ثلاث مائة وخمسين شخصا . وكان « جراندة » يتساوم مع ملك البرتغال على مدينة من المدن العربية الواقعة على الحدود فاذا اتفق معه على سعر لها قام باحتلالها وتسليمها له . وكانت له خطة بسيطة يتبعها دائما ولم يحد عنها اذ انها لم تفشل مرة واحدة ولهذا لم يكن من اللزوم تغييرها . وهذا ابن صاحب الصلاة وهو من المؤرخين المعاصرين يصف لنا كيف كان « جراندة » يقتحم الحصون العربية فيقول :

« كان الكلب يتسلل في الليالي المطرة الحالكة الظلمة الشديدة الريح والثلج وقد اعد آلات من السلالم من اطول العيدان بعلو سور المدينة التي يروم فاذا نام السامر (الحارس الليلي) في برج المدينة القى تلك السلالم الى جانب البرج ورقي عليها بنفسه اولا الى البرج وينقض على السامر ويقول له تكلم على ما كانت عادتك لئلا يشعر الناس بنا فاذا استوفى طلوع حملته ألزمه في اعلى سور المدينة وصاحوا بلفتهم صيحة عظيمة منكرة ودخلوا المدينة وقتلوا من وجدوه واستلبوه واخذوا كل من فيها سبيا وفنيا » .

وسقطت على هذا النحو عدة مدن عربية كانت اولها مدينة ترجاله Trujillo وهي شمال ماردة قرب نهر التاجه واخذها «جراندة» سنة ١١٦٥ م واخذ بعدها يابرة وباعها مع ترجالة الى « ابن الرنق » ثم سار الى مدينة قاصرش Caceres فاحتلها واحتل بعد ذلك حصن شربة Serpa وحصن جلمانية Jurumena واقترب من بطليوس اهم المدن في تلك المنطقة . وبقيت تلك الحصون الواقعة على الحدود تتساقط واحدة بعد الاخرى الى ان فطن احد الولاة بان « جراندة » يعمل لحساب من يدفع له اكثر من غيره وانه لا يرتبط بولاء معين لجانب دون آخر فدس له كتابا بان يأتي الى اشبيلية حاضرة الموحدين ليتساوم معه على ثمن بعض الحصون الاسبانية . وقبل « جراندة » ورد بكتاب قال فيه بانه لا مانع « عنده من ان يدخل في خدمة الخليفة وهو لذلك يلتمس قبوله عبدا وخادما للخليفة » .

ودخل « جراندة » اشبيلية مع صحبه عام ١١٧٤م ولكن في تلك الفترة بالذات انعقدت هدنة بين الخليفة وبين « ابن الرنق » وساد الهدوء والسكون حدود المملكتين ولذلك انقطع رزق « جراندة » ولم يدر والي اشبيلية ما يصنع به فاقترح على الخليفة ان يأخذه معه الى افريقيا فسار في ركاب الخليفة الى المغرب عام ١١٧٦م وعينه الخليفة للخدمة في منطقة السوس والاستفادة من مواهبه في اخماد الثورات الصغيرة التي كانت تقوم في افريقيا ضد حكم الموحدين بين الحين والآخر .

ولكن ما ان وصل السوس واستقر في عمله حتى غلبت عليه طبيعته الاصلية فأرسل سرا الى «ابن الرنق» ملك البرتغال يساومه ويعرض عليه ان يجهز اسطولا لفتح هذه الناحية وبذلك تمتلك البرتغال بعض المراكز على ساحل المغرب وتشاء المصادفات ان يضبط الموحدون بعض تلك الرسائل ويقفون على نوايا «جرائدة» فيرفعون امره الى الخليفة وعندئذ يصدر الخليفة اوامره سرا الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاذي الاخير

يـا ملاذي الاخير ... يـا كلماتي ... يـا شموعا تذوب فيهـا حياتي
لـم يعـد لـي الا حروفك أهـوا ... هـا ، وتصفي لزفرتـي وشكاتي
أنت دنيا صباي ، فيـك شظايـا ... من شبابي ، ومـن لظـى جمراتي
.. موقد أنت نـاره وهـج القلـ ... ـب ، وبقيـا رمـاده ذكرياتـي
ونثـار الدخان أشـلاء عمـر ... وظـلال اللهيب اوصـال ذاتـي
فأنـا فيك ... ثاكـل يتلـوى ... وأنـا فيك .. هائم فـي فـلاة
وأنا فيـك .. ثائـر يتحـدى ... بسنى فكـره ظـلام الطفـاة
يزرع الليل فـي عيـون الحيارى ... والمضاميـن انجمـا مزهـرات
ويرى الشمس تورق الحب والزيتو ... ن .. فـي ارضنا الخراب الموات
ويـرى الماثـل الحزين تدلـى ... ، بيـن صلبانـه ، عناقيـد آت

يـا ملاذي الاخير ... يـا كلماتي ... يـا صبايا حبي ... ويـا زهراتي
أنت ينبـوع طيبتي ، يشرب الـز ... نبق مـن عذبـه الزلال الفرات
فيـك ري لكـل قلـب كسيـر ... صوحت روضه يـد العاصفـات
... كلماتي ، وفيك ، قنديل ضمير ... ي ..... يشـع فـي ظلماتـي
ودموعي التي تقطر فـي قلبـي ، ... وخوفـي ، وحيرتي ، وصلاتـي
وبكائي بـلا نشيـج ، وصمتـي ... مخبـأ مقفـل علـى آهاتـي
... انا اشقى وأنت كنـز ابعدي ... سوف يشقى ـ كما شقيت ـ رواتي!

لاعرتـك الخطوب يـا كلماتـي ... يـا عذارى قلبي ... ويـا فلذاتـي
أنـا ان عشت بيـن قومي غريبـا ... واذا انكـرت بـلادي سماتـي
فعزائي ... اني زرعتك ، فـي أر ... ض عذابـي ، لاليئـا رائعـات
ستشق التراب عـن الف ثغـر ... عابق ... يستقي الهوى مـن رفاتي
سوف يروي في فجر كـل ربيـع ... للصبايا ، عني ، وعـن مأساتي .

بغداد — حسين جليل

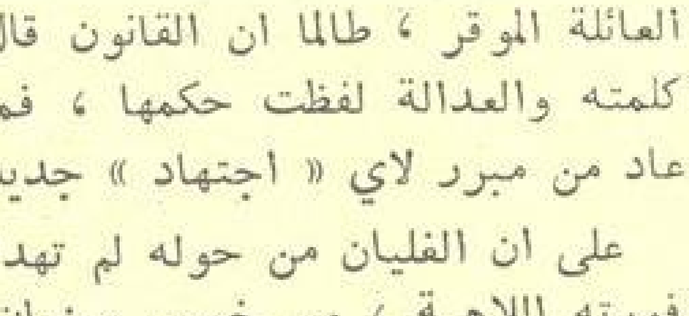
عامله بدرعة موسى بن عبد الصمد بان يقسم « جراندة » واصحابه على القبائل ثم يقتل جراندة لما ثبت من خيانته وبعث « بجراندة » الى درعة فسار اليها مع اصحابـه وهناك نفذت فيهم اوامر الخليفة . وبذلك تنتهي قصة هذا المغامر .

تذكرنا قصة « جراندة » بالحقيقة الانسانية الباقية وهي ان في العالم فريقا من الناس يمكن شراء (مواهبهم) وان ضمائرهم بضاعة للبيع وولاءهم هو من نصيب من يدفع ثمنا اكثر من غيره . ولو نحن فتشنا تفتيشا عن شخصية مضادة لشخصية « جراندة » لما وجدنا افضل من شخصية الخليفة الموحدي يعقوب المنصور فهو من النوع الانساني الآخر نوع الثبات على العقيدة والايمان التام الذي لا مساومة فيه ولا هوادة . وكان الدفاع عن الاندلس يشكل عنده قوة من اكبر القوى الدافعة في حياته وعندما رجع الى حضرة مراكش بعد انتصاره في موقعة « الارك » عرف انه لم يربح معركة فاصلة بل ربح فترة من الهدوء والاستقرار سيقوم بعدها الاسبان من برتغاليين وقشتاليين وغيرهم بالهجوم مـرة ثانية محاولين انتـزاع الحصون العربية فقال لاشياخ الموحدين وهو على فراش الموت : «اوصيكم باليتيمة والايتام » فقالوا له « ومن هي اليتيمة يا امير المؤمنين ومن هم الايتام » فقال « الاندلس هي اليتيمة واهلها من العرب والمسلمين هم الايتام فاستوصوا بهم خيرا ولا تتركوهم » .

لندن — فؤاد جبور حداد

قاتل من نوع آخر

بقلم عبد الله الشيتي



قالوا له : الدم ينادي الدم يا حمدان

وهتفوا به مشجعين : لا يغسل الدم الا الدم ياحمدان . الدم ينادي الدم ياحمدان .

وحمدان ليس في هذا الوارد ابدا .. انه لا يود ان يصدق كل الذي قالوه وصوروه له من ضروب الشجاعة والبطولة التي تدخل في باب الثأر .

وهو وان كان فتى صغيرا لم يتعد الثامنة عشرة من عمره ، يشعر بينه وبين نفسه بأن الجريمة لا تعالج بجريمة اخرى او بجريمة مماثلة . ذلك ما زرعه في نفسه منطق الاشياء التي هضمها بفطرته .

ومع مرور الايام ، ازداد اعتقاده يقينا بانه من غير الجائز ان يحل « المشكلة » القديمة بمشكلة جديدة وبين الحين والحين ، كلما ثارت ثائرته ، يود ان يأخذ المسدس الصغير من امه المهتاجة ، ويذهب من فوره الى ذلك الرجل الآمن ، قاتل أبيه ، ويفرغ في رأسه وصدره الرصاصات الخمس لعله يرضي امزجة المشجعين المتحمسين من حوله ويضع حدا لحيرته وتساؤلاته الفائرة في داخله كالبركان ، وشيك الانفجار .

قالوا له .. ان اباه سقط يتخبط بدمائه الغزيرة امام دكانه بسبب خلاف طارىء على صفقة تجارية بسيطة نشب بينه وبين احد الباعة من جيرانه المنافسين . واصدرت محكمة الجنايات وقتئذ ، حكمها على القاتل بالسجن خمس سنوات مع الاشغال الشاقة ، بجناية القتل الغير المتعمد ، ولان ما حدث كان في تقدير واجتهاد هيئة المحكمة والمحلفين مجرد مشاجرة عادية تحدث بين مطلق اثنين كل يوم ، بيد ان لكمة قوية من قبضة البائع الجار قضت على « ابي حمدان » فورا ، بعد ان استقرت على صدغه الايمن فمات لساعته .

مرت السنوات الخمس في سرعة خاطفة بالنسبة لذوي القتيل وابناء عشيرته ، وكانت سنوات مشحونة بالاسى والتفجع ، ونيران الغضب تشتعل في صدور الاهل والاقارب ، ويزيدها اشتعالا وضراما حقد دفين يتوالد .

كان « حمدان » هو الانسان الوحيد الذي يستطيع ان يختاره القدر لانزال حكم الموت في قاتل ابيه باعتبار ان « مجلس العائلة » قرر ومن اول جلسة طارئة عقدها ، نفاذ شريعة الثأر القديمة .

لكن حمدان ، في عنفوان اطلالته على الحياة المخضوضرة من حوله ، لم يقتنع او انه لم يشأ ان يقتنع بوجاهة هذا العذر ، ولا بالحجة الواهية التي ساقها اليه مجلس العائلة الموقر ، طالما ان القانون قال كلمته والعدالة لفظت حكمها ، فما عاد من مبرر لاي « اجتهاد » جديد

على ان الفليان من حوله لم تهدأ فورته اللاهبة ، من خمس سنوات الى الان ، وعلى نفس الوتيرة ...

ـ هوذا قاتل ابيك خرج من السجن ياحمدان وعاد لمزاولة اعماله يسرح ويمرح على هواه .

ـ انت ابن ابيك الوحيد ، فمن يأخذ للمغدور حقه من غريمه سواك ـ يا حمدان ؟ اليست فيك نخوة الشباب ولا شجاعة الاقدام ؟

ـ لو كان ابوك قد خلف بنتا لكان ذلك أفضل له بعد موته ، من ان يخلف وراءه جبانا رعديدا مثلك .

ظل الدوي يملأ اذنيه ويهدر في نفسه كقصف الرعد .. ولطالما كان يهرب من وجوه هؤلاء الناعقين النادبين ليختلي بنفسه ، وليصم اذنيه بكلتا يديه ... الهدير ... الهدير .. لا يفتأ يناديه . وما ان يهدأ روعه قليلا حتى يبدأ مع نفسه في حوار مكرور قد اعتاده : .. انا لست جبانا . الحياة عندي لاتساوي قشرة بصلة .. لماذا يتهمونني بالجبن هل يعقل ان اخاف السجن وانا اتعذب في كل يوم اكثر بكثير مما يتعذبه السجناء انفسهم ؟ انني انا ايضا سجين هذه العادة القديمة البالية .. عادة الاخذ بالثأر . لم اذن وضعني والدي المرحوم في المدرسة ، وانفق علي تعب العمر كله ؟ اليس من اجل ان يعلمني الحياة كما يجب ان تعاش ؟ والقانون اليس القانون سيد الجميع وفوق الجميع لا سلطان لاحد عليه ؟ اليس القانون هو الذي يقول كلمته في الخارجين على النظام ؟ والثقافة ؟ ما معنى انه يصنف نفسه شابا مثقفا اذن ؟ الم يسجن قاتل ابيه خمس سنوات مع الاشغال الشاقة ؟ ولو ان القضاء العادل ارتأى موجبا لاعدامه أفما كان أدانه واعدمه جزاء جريمته ؟ اليس ما حدث كان بمحض الصدفة ، مجرد مشاجرة عادية ، انتفت فيها قرينة القتل المتعمد كما قال ذلك محامو الدفاع واقتنع بوجاهة الحكم محامو الادعاء الشخصي والحق العام ايضا ؟

كل هذه الاسئلة كانت تدور في رأس حمدان كالطاحونة ... وكان صراع داخلي في نفسه يحاوره ويناوره : ـ اقتله .. لا تقتله ... اقتله .. لا تقتله !

وسرعان ما يخرج حمدان الى الهواء الطلق يفتح له صدره ويعبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنهم مستبد . ومع قدوم كل مساء بعد ان تغيب الشمس في القرية الكبيرة الهاجعة وراء التلال السمر يغفو حمدان قلق النفس مجهدا ، وشفتاه تتمتمان : ـ لا .. لن اقتله لن اقتل انسانا عوقب على فعلته .. انسانا لم يكن يقصد القتل ، حتى لو كان هذا القتيل ابي !

وفي الصباح ، يذهب الى ثانوية المدينة القريبة لاكمال تحصيله ، ويختلس النظر فيما هو جالس بين رفاقه الى كتاب اشتراه حديثا ، وظهر اسمه من العنوان البارز على الغلاف « الجريمة والعقاب » !

كانت عيناه الحائرتان الحزينتان ، تلتهمان هذه الاقوال الصغيرة المتلاحقة يختزنها في ذهنه المكدود :

ـ لماذا نخاف العقاب ولا نخاف الجريمة ؟

اي جدوى في ان نحل مشكلة بمشكلة اخرى ؟

ـ ما معنى ان نغسل الدم بالدم ؟

وتهتف اعماقه زاجرة : استيقظ يا حمدان .. افق من سباتك .. لا تستسلم للحيرة والتساؤل . عش ودع غيرك يعش ، امر لا يكفي يا حمدان .. بل عش وساعد غيرك على ان يعيش هذا هو المطلوب في الانسان المثالي !

تللك الحكمة الذهبية اختزنها من نصائح اساتذته في المدرسة وتوجيهاتهم قبل اليوم . ويشعر لو ان يدا خفية تريد ان تطبق على عنقه كالكماشة .. آه لو ان اباه يعود حيا للحظة واحدة فقط حتى يسأله :

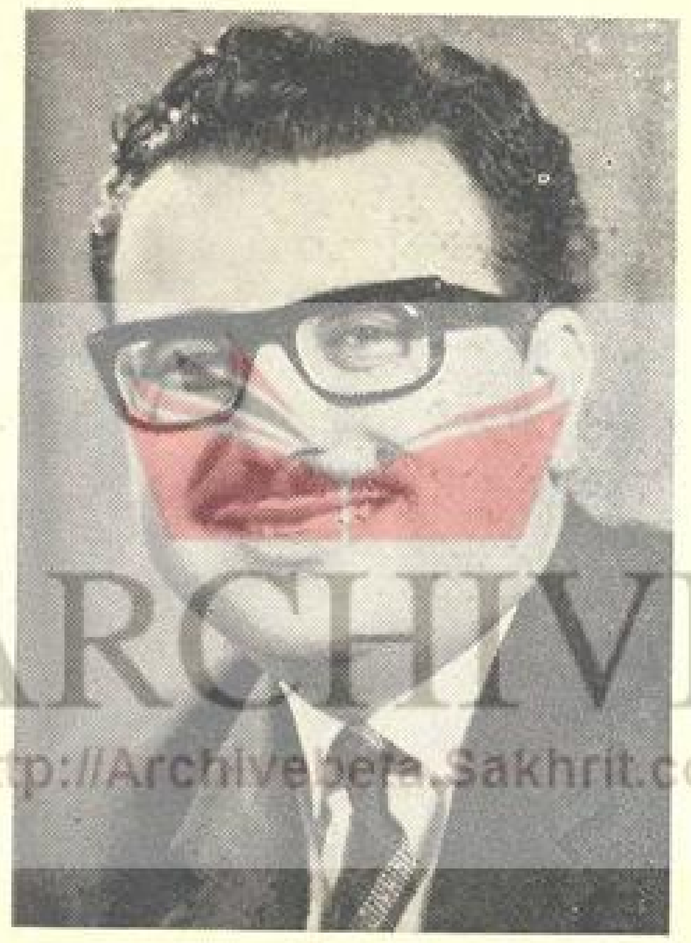
ـ هل تريد ان انتقم لك من قاتلك يا ابي ؟

وينتهي الدرس . ويقرع جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، ويخرج حمدان تائها مع رفاقه الى الازقة الترابية الضيقة ويعاوده شيطانه بهذا الحوار من جديد :

ـ اقتله .. لا تقتله . اقتله .. لا تقتله . بل يجب ان اقتله (يقولها لنفسه بحزم) هذا اذا كنت ابن ابي حقا ، فـ (نواف) ليس اشجع مني ولا اوفى لابيه مني عندما ذبح قاتل أبيه بالسكين من الوريد الى الوريد . قالها حمدان بصوت مسموع وخشي من ان يكون قد سمعه احد من رفاقه الذين يحيطونه دائما بنظرات الاشفاق والعطف والفضول ، ثم دلف في احد الازقة الضيقة مهرولا ، كأن احدا يتبعه .

★

بدأ جسم حمدان ينحف . لم يعد يأكل كما يجب . فقد شهيته للطعام وبالتدريج فقد شهيته للحياة . كاد يفقد اعصابه . صورة قاتل ابيه



عبد الله الشيتي

•

التي يجهل معالمها تتخطف نظراته في كتبه وكراريسه ، وفي حلمه ويقظته ، وفي ليله ونهاره ، واهله من حوله ما برحوا يحمسونه لاخذ الثأر ومحو « العار » ـ انت يا حمدان جبان .. من لنا سواك يأخذ بثأر العائلة من القاتل الذي عاد الى دكانه بجوار دكان ابيك المغلقة يتحدانا جميعا ؟ اقتله يا حمدان . لا ترحمه فهو لم يرحمك ولم يرحمنا خذ بثأرك وثأرنا منه . خلصنا من شره ، ودع اباك يرقد في ضريحه قرير العين ، ناعم البال مرتاحا .

ما زال الدم المسفوك على الطريق يصرخ يا حمدان .. ما زالت روح ابيك تحوم فوق رؤوسنا تطالب بالثأر .. الثأر .. الثأر ..

تصبب العرق غزيرا من جبهة حمدان ، وأحس بما يشبه الدوار وكاد يتهاوى على الارض اعياء ، عندما دخلت عليه امه في غرفته ، وهي مسربلة بالسواد ، وتجاهلت كعادتها حالته النفسية السيئة ، وبدأت تثرثر على مسامعه معزوفة كل يوم بل كل ساعة من ساعات الليل والنهار :

ـ يا حيف على الشباب الذين مثلك يا حمدان ! ليتني انجبت بنتا لكان ذلك افضل منك الف مرة . ابوك يموت غدرا وانت تسكت عن الانتقام من قاتله ؟ انت جبان يا حمدان ، ما فائدتنا منك ومن علمك ما دمت لا تستطيع ان ترفع رؤوسنا بين الناس ؟ يا خسارة ما انفقه ابوك على تربيتك وتعليمك . لشد ما انت ولد عاق وضيع . وحمدان يجد لها تبريرات كافية . يحاول ان يمسك اعصابه . يحاول ان يقاطعها بكلمات متوسلة يائسة :

ـ ولكن يا امي ارجوك ان تصغي الي . حاولي ان تفهميني . انني .. وتقاطعه امه غير مبالية بتوسلاته :

ـ انك لن تكون ابني ولن اكون امك حتى تبدل ثيابي السوداء هذه بثياب بيضاء جديدة ، ثياب الفرح بعد قتل المجرم واخذ الثأر . ويصيح حمدان وهو يجمع كتبه ودفاتره المبعثرة من حوله ..

ـ هبي ان المجرم كان اقدر مني وقتلني انا الآخر ؟ ترد امه بهدوء : غافله . اقتله من ظهره . اكمن له من خلفه . قال حمدان : ثم ان المجرم نال عقابه ، والعدالة قالت كلمتها حاولي ان تفهمي ذلك يا امي . وتزجره امه ـ اسكت يا جبان . ليس لمثلك حديث القانون والعدالة . المجرم لما ان قتل اباك لم يكن يفهم عدالة او قانونا . ان السنوات الخمس التي

عوقب بها القاتل لم تشف غلتي ولم ترو ظمأي للثأر وظمأ اسرتك . هو لم يرحمنا حتى نرحمه . انك لو قتلته يا حمدان فستكون عقوبتك طفيفة . سجن بضعة اشهر ليس اكثر . أتدري لماذا ؟ لانك اخذت بثأر ابيك ثم تنتهي المسألة عند هذا الحد ونرفع رأسنا جميعا بين الناس .. قل لي متى يا ترى نرفع رأسنا بين الناس .. متى ؟

تساءل حمدان : طيب ، واذا ادانتني المحكمة بجرم القتل عمدا عن سابق تصور وتصميم كما يقول المحامي هل ستسرين عندما تشاهدينني معلقا من رقبتي بالمشنقة ؟ اظن انك يومها سوف تحتاجين الى كل الثياب السود في العالم .. وضحك بسخرية يخفي وراءها عصبيته الظاهرة ، لكن امه اخرجت من جيب سترتها الداكنة مسدسا صغيرا جديدا ، وتمتمت بكلمات كأنها فحيح الافعى : ـ خذ هذا المسدس . اشتراه لك خالك منذ ايام . يجب ان تترصد قاتل ابيك وتصرعه امام دكانه وامام الناس يتخبط بدمه مثلما صرع والدك المرحوم .. خذه وجربه من فورك . خالك يقول ان استعماله سهل جدا انظر .. يكفي ان تصوب المسدس هكذا الى ظهر القاتل او صدره ثم اضغط هكذا على الزناد ، فتخرج الرصاصات دفعة واحدة وينتهي الامر بلحظات .

وبيد مرتجفة تناول حمدان المسدس الصغير المحشو بالطلقات الخمس وتدافعت كلمات امه كالقذيفة وهي تمسح على شعره باناملها الناحلة :

ـ قو قلبك يا ولدي . شد حيلك وليكن الله معك . وحذار ان تطلع اي انسان على هذا الامر كي لا يأخذ قاتل ابيك الحيطة لنفسه ، ويلجأ الى الشرطة لحمايته . ظل حمدان صامتا لا يحير جوابا ، وقد اطرق برأسه الى الارض ساهما شاردا كأن جبلا من الهموم يجثم فوق كاهله ، وظلت يده ترتعش والمسدس يلمع ببريق مذهل مخيف .

في المساء كان حمدان امام دكان قاتل ابيه . كان اسم القاتل عباس وفوجيء بأن عباسا ليس موجودا . قال له صبي المحل ـ لقد ذهب الى البيت ليعتني بزوجته المريضة . تساءل حمدان ـ اهو متزوج اذن ؟

قال الصبي ـ وعنده ولد وحيد اسمه خالد . قال حمدان ـ كم عمره قال الصبي ـ خمس سنوات . رزق به وهو في السجن . وتمتم حمدان بينه وبين نفسه وهو يتابع سيره ـ خمس سنوات ؟؟ وخمس رصاصات .. في عمر الجريمة . لا بد انه رزق به يوم قتل ابي ، هنا امام الدكان المغلق ؟ كنت صغيرا عامذاك لا افقه شيئا . وهز رأسه فيما لحق به صوت الصبي يصيح تعال . انني اناديك يا شاب . قل لي من انت حتى اخبر معلمي ، ولماذا سألتني كل هذه الاسئلة . هل تريد منه شيئا .. هل تريد ان ابلغه اي شيء ؟

واجابه حمدان بدون مبالاة ـ لا شيء يهم .. لا شيء يهم . اذهب الى عملك . وقبل ان يستدير الصبي استدرك حمدان قائلا ـ اسمع يا غلام ! هل يبعد بيت معلمك من هنا كثيرا .. ؟ اجاب الصبي ـ انه في الحارة الثانية بعد ان تقطع هذا الزقاق ، تجده على يدك اليمنى . اول بيت بابه عريض ولونه اخضر . وتمتم حمدان ـ لونه اخضر ؟ تماما بلون عيني حبيبتي يسرى . واسرع حمدان الخطى . سوف يذهب الى البيت من فوره . سيقرع الباب وسيخرج اليه عباس . سيقول له ببساطة : انت قتلت ابي ، ويجب ان اقتلك لاثأر له . امي تريد ذلك وافراد الاسرة اصدروا حكمهم عليك واختاروني انا .. ابن القتيل فخذها من يدي .

عاد حمدان يتمثل « جريمته » قال لنفسه : ـ امي معها حق ! امي تقول ان علي تنفيذ الحكم في القاتل لاني ابن القتيل ولكي انجو من العقاب الشديد بدافع من حمية الاخذ بالثأر سوف لن ادعه ينبس ببنت شفة ، ولن امكنه من الفرار . سأنقض عليه بكل قوتي واهشم رأسه بقبضة المسدس . سوف ابادر الى مسدسي فأفرغه في رأسه .. لا .. في صدره احسن واضمن . وتسمر فجأة . هذا هو البيت عند المنعطف والباب العريض الاخضر مفتوح على مصراعيه .. لونه اخضر ؟ تماما كلون عيني حبيبته يسرى . من يدري ربما لن يقدر لنا ان نتزوج .. ثم من يرغمها على الانتظار والزواج من .. قاتل ؟ هز رأسه غير مبال . ووقف قبالة الباب المفتوح يسترق البصر . برز امامه طفل صغير يلهو بدمية حلوة تكاد تشبهه ، واخذ يتفرس في وجه الصغير الذي راح بدوره ينظر الى الغريب الواقف في الباب ويبتسم .. حاول حمدان ان يعبس ويفتعل الصرامة الحادة .. انه ابن قاتل ابيه ، وعليه ان يكون قاسي القلب ، لا يرحم . عليه ان ينهي مهمة القتل فورا ، فهو قد استعد وتمرن واصبح « جاهزا » للتنفيذ . سأله الطفل ببراءة ـ بدك بابا ياعمو قال حمدان ـ ما اسمك يا ولد ؟

ـ اسمي خالد . تعال عندنا !

قال الصغير هذا وهو يبتسم ويقترب منه . امسك الصغير بيد حمدان كأنه يعرفه من قبل . وحاول ادخاله عنوة الى البيت ، فيما راح الطفل ذو السنوات الخمس يزقزق كالعصفور ـ تعال ادخل معي يا عمو بابا هون . الدكتور جوا .. انا بحب الدكتور . مامامريضة كتير .. انت عندك لعبة متلي ؟ الدكتور بدو يشفيلي ماما يا عمو !

ووجد حمدان نفسه يحمل الصغير الثرثار بين يديه وراح يعابثه ـ انت بتحب بابا اكثر او ماما يا خالد ؟ وطفق الصغير يغمغم وهو يقضم

الغائب

أيها الغائب عنا لو تعود !
أنت لا تدرك ما حل بنا
بعدك الايام ، جفت ... صوحت ..
صوحت أيامنا ،
بعد أن دامت لنا طيبا وجود

آه لو تعلم أنا ،
غربة تجري بنا الايام للدار الغريبه
لهفة صادية النجوى ، وأحلام كئيبه
دمعة في كل آن ،
وشرود ،
وعذاب ،
ومتاهات عجيبه

أيها الغائب قد شلناك كبرا
في مآقينا وغنيناك ألحانا وشعرا

وأنتصرنا لك ، للبسمة ، للدنيا الجديده
تشعل الرقصة والنشوة فينا
تحمل الفرحة واللقيا السعيده

أيها الغائب عنا
عشت في اعصابنا شوقا مريدا
حملتك النظرة الولهى حضورا ،
وتصبتك وجودا
ولئن طال غيابك
وجفانا الزمن القاسي ،
وما هل ايابك
عشت فينا
عشت في أعماقنا
ورصدناك مع الشوق سنينا

موسى صرداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعة حلوى كان يلهو بها ـ انا بحب ماما وبابا . بحب بابا كتير يا عمو لاني ما شفتو من زمان .. ماما بحبها بس بابا كان مسافر .. ماما مريضة ياعمو .. انت عندك امك ؟ انتفض حمدان . واصطدمت يد الطفل الصغير بطرف المسدس في جيب حمدان وصاح من الفرح ـ هذا « فرد » مش هيك يا عمو ؟ بابا جاب لي واحد صغير تعال شوفو . بابا كل يوم بيجيبلي لعب حلوة كتير وهدايا . هذا « فرد » فلين مش هيك ؟ عندي واحد متلو . هز حمدان رأسه موافقا . اعاد الطفل الى مكانه على الارض وسأله الصغير بس هذا الفرد كبير . هذا لمين ؟ الك يا عمو .. او لابنك ؟ وتمتم حمدان ـ لا يا خالد . هذا الفرد لابوك . انا ما عندي اولاد . هذا منشان « ابوك » ! وضحك الصغير ببراءته واندفع نحو حمدان مهرولا يحضن ركبتيه . ومره اخرى حمله حمدان بين يديه وهم بطرق الباب وهو يتحسس المسدس واذ برجل طويل القامة حزين القسمات نحيف البنية يخرج من غرفة مجاورة وهو ينادي باعلى صوته ـ خالد اين انت ياخالد .. تعال هنا ياخالد . والتقى الاثنان . ساد الصمت لحظة . عباس وحمدان وجها لوجه . وانفلت الصغير يركض باتجاه ابيه ـ بابا بابا .. هذا عمو . وتحسس حمدان المسدس ثانية في جيبه وارتعشت يده . تساءل عباس وقد خط الشيب شعر رأسه ـ من انت يا بني ؟ تفضل .. تفضل ادخل . هل استطيع ان اخدمك ؟ هل تبحث عن احدهنا ؟ هل .. قاطعه حمدان وهو يشيح بوجهه ويرتعش ـ انا حمدان ابن الذي قتلته من خمس سنين .. اتذكر ؟ وبسرعة اخرج حمدان المسدس وصوبه باتجاه عباس . مضت فترة صمت ثقيلة . الرجل فاغر فمه دهشة وذهولا . والطفل نفسه قد ماتت البسمة في وجهه واكفهرت قسماته . وفجأ اختلجت عينا حمدان وراح يبكي بكاء حادا مرا وهويقول بكلمات متقطعة واهنة :

ـ ابنك يمنعني من قتلك . اتسمع ايها الرجل .. ؟ لقد جربت انا اليتم . ابنك يمنعني من قتلك . عيناه البريئتان تتوسلان الي كي ابقيك له . هيا .. هيا اغرب عن وجهي . ابتعد عن طريقي . ابتعد ، ارجوك . سقط المسدس من يد حمدان على الارض يغمره التراب ، وهرول راكضا في الزقاق الضيق لا يلوي على شيء ..

عبد الله الشيتي

مكتبة الاديب



دراسات في الادب العربي والتاريخ

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ (؟) صفحة ـ منشورات الدار القومية بالقاهرة ـ المطبعة (؟)

تتجلى الملامح العريضة في هذا الكتاب ، اكثر مما تتجلى في هذه القضايا الجديدة التي عرض لها المؤلف من خلال دراساته الواسعة ، واطلاعاته الكثيرة الواعية ...

ولقد تثير هذه القضايا التي تناولها الاستاذ محمد عبد الغني حسن التساؤلات اكثر مما تثير التسليم الذي عودنا اياه الباحث في جل تواليفه ، وجملة مصنفاته التي تلعب الان الدور الخطير في تشكيل المكتبة العربية ، وتأخذ وضعها بين اللدات الفضليات في الوطن العربي الكبير .

اثارت هذه الدراسات الواعية جملة تساؤلات : كان اكثر الباحثين يقفون حيال بعضها موقف الريب او التشكك او الوقوف دون رأي ، اللهم الا ما كان يجري داخل المنتديات ، او داخل النفوس ، او ما يكتنف العقل ، وهو يراجع ، او يعتور التفكير حين يهم باليقين او القطع او الانتهاء الى رأي في مثل هذه المشكلات التي صاحبت الادب هذه الاعمار العديدة ..

والتوفيق الذي صادف هذا الدارس في هذه الدراسات لا يقل بحال عن التوفيقات التي صاحبته في اكثر القضايا التي عالجها ، او وقف لها بالتجلية والوضوح والتبيان .

على ان المحامد تقصر عن الاتساع ، اذا قلنا ان بعض قضايا هذا الكتاب لم يتناول من قبل ، او لم يعرض له بالدراسة ، او لم يفتح بابه الا بعد ان راده الاستاذ عبد الغني حسن في بعض مجلات العالم العربي ، او صحفه المنطلقة ، فكانت دراسات ودراسات بنيت على الحاصل الذي هدي اليه الباحث ، او النتيجة التي ختمت بها الدراسة ..

وما نعلم ان باحثا من البحاث تعرض لمراثي الشعراء لنبى هذه الامة العربية ، وما خطر لدارس ان يجمع رسائل الاباء الى الابناء، او يعرض بالتحليل للاخوة الادباء المؤلفين ، او عرف ان ابن خلدون كان شاعرا : غير ما صح للدراسة التحليلية المقارنة والحوار والحنين الى الاوطان ، او ما داعب النسيم والنخيل ، او صور الفقر والغنى والحريق في الشعر ...

غير ان المضي في السرد لا يغني عندي عن الوقوف امام هذه القضايا الخطيرة التي اصبحت مدار بحث ، ونقطة تحول في الدراسات الادبية الجادة ، وان كان العرض والاستكناة والمناقشة هي محك هذه القضايا التي جمعها هذا الكتاب بعد طول المعاناة والممارسة والبحث والتقصي والتعب والجهد ...

يعرض الاستاذ عبد الغني حسن للاخوة المؤلفين في الآداب ، ويسرد طائفة من هؤلاء الاخوة الذين اشتركوا في عمل واحد ، ويحلل الاثر الذي اشترك فيه الاخوان او الاخوات ، ويدفع الى الاستغراب كما يساق الى الظن اذا اشترك شقيقان في بحث واحد او قصيدة واحدة او نظما ديوان شعر برمته ، حتى وقف مع المعري في عجبه من اشتراك الخالدين : ابي بكر محمد وابي عثمان سعيد في ديوان شعر واحد ...

ولعل الفصل الذي عقده الباحث حول رسائل الاباء الى الابناء ، يعد من الفصول الممتعة التي ضمها هذا الكتاب .. فالغاية من هذا الفصل الدراسة ليس الجمع واطلاع القراء على هذه الحصيلة التي وعاها الكاتب، وان كان الدافع اليها تنشئة البنين تنشئة صالحة على اساس من الخلق والمعرفة ...

والذي يلفت في هذا المساق ، ليس وحده هذه الثروة المخبوءة التي كشف عنها الباحث ، وانما المناقشة والادلاء بالرأي .. فحين يعرض الاستاذ عبد الغني حسن لرسائل حافظ عوض ، ورسائل احمد امين ، يهمه الوصول الى السر في كتابة هذه الرسائل ، والفرق بينها « فحافظ عوض كتب رسائله الى ولده المغترب في سبيل العلم وخص بها ولده ، ولم يستحضره في ذهنه حين كان يكتب ، وانما كان الابن حاضرا ... والثاني كتب الرسائل الى ولده على مرأى ومسمع من الناس ، ولعل الناس قرأوها في مجلة الهلال بمصر قبل ان يقرأها الابن في انلجترة ، ولعل الاب لم يخص ولده بهذه المنشورات رسالة رسالة ، وانما اكتفى بأن يطلع الابن عليها منشورة في المجلة » ...

ويعنى الباحث الفاضل بفارق اخر يمضي به في اثبات حجيته في الفوائد الجليلة في هذه الرسائل .. ذلك .. « ان رسائل حافظ عوض قد نشرها ابنه في كتاب قدمه هو بنفسه ، ضنا بنصائح والده ، واما رسائل احمد امين فقد جمعها هو بنفسه وقدمها ، مؤملا ان ينتفع بها الجيل الحاضر كما انتفع بها ابنه ...

على ان الدلالة الصادقة على التقسيم الفرقي بين رسائل الرجلين، لا تخلو من همزات القطع التي وضعها الباحث على جل مسائل هذا الباب .. فيبدو الكاتب في هذه المناقشة ناعم الملمس ، حلو السمات، وان كنت انا شخصيا اتلمس له كثيرا من الاراء المعصوبة التي يتبنيها المدقق في مساق هذه الاراء ...

ولا يعترضن معترض ، ان كان للباحث وسط هذا العجاج رأي يريد ان يفصح عنه ، وان كان من طرف خفي .. فالاستاذ عبد الغني حسن يمشي الهوينا ، وهو يسرد او يناقش ، ولكنه يقف ليحاسب ، وان كان في حسابه سليم النوايا ، مأمون الجوانب .. ففروق الزمان بين رسائل حافظ عوض ورسائل احمد امين ، وهي فروق قليلة لاتزيد على الثلاثين عاما ، تريه الفرق بين عهد وعهد وبين مهد ومهد ، وان كانت الفوارق هنا ، لا تغني عن الدفاع ، او تقوم حجة على عصر وعصر ، او عهد وعهد او بيئة وبيئة ، ولكنها فوارق ، يفصل فيها التزمت بين عقل وعقل ، وان تلمس لها الباحث الاعذار ، وجمع لها من الادلة العقلية ، ما يعم به النفع ، ويتم به القصد ...

ويذهب الباحث الى الاندلس حيث يجد علي بن سعيد واباه موسى ، ويثبت الحوار الذي دار بين الاب وابنه في ابيات له وفي قصائد لشعراء اخرين ، ثم لا يفنيه ما دار من حوار شعري بينهما ، فيسلك واياه طريق النصح النثري الذي هو مجال هذه الرسائل ، وميدان حكمائه ، ومسرح التمثل والتمثيل فيه ...

ولم يفت الباحث ، وهو يوفي دراسته ان يذهب الى العصر الجاهلي ويوغل في صدر الاسلام ، ويثبت نصيحة عمر بن الخطاب لابنه عبد الله ، ونصيحة علي بن ابي طالب لابنه الحسن ، ثم يدخل العصرين : الاموي والعباسي ويثبت اشهر رسائل النصح التي وردت فيهما ، ثم هذا النقد الناعم لاحمد امين وهو يضع امام ابنه قصة لقمان لابنه التي تعد نموذجا واثرا وان اثارت في النفس اسئلة عجيبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرة عن شخصية لقمان ولغة رسالته : أكانت العربية ام اختا من اخواتها السامية ؟ وعن كيفية وصول هذه الرسائل الى الادب العربي؟ ومن الذي وضع اول نص عربي لها في تراثنا ؟؟

ويتحدث المؤلف عن الاساليب الكتابية للرحلات العربية في القديم والحديث ويتابع الاهتمام بالخلافات بين كل رحالة واخر من حيث المنهج والاسلوب ، والرؤية والتصديق والاتصال والمحاولة والدراسة والموازنة والاستعداد والقبول والارتياح والولوع ، ويصاحب جملة الرحالة في مذاقهم الخاص في تدوين رحلاتهم ، ثم يختلف ان كان ثمة ما يستدعي الاختلاف في النظر الى الرحلة ، او الوصف المشاهد ، او الطعم الذي يؤثره هذا الرحالة على ذلك .. فمن ابن جبير الى ابن بطوطة الى الشدياق الى الريحاني الى رفاعة الطهطاوي الى فتح الله الصقال..

ولقد كان الاستاذ عبد الفني حسن محقا في عقده فصلين عن : « اصول الالفاظ المعربة » ، و : « غايتنا من احياء المخطوطات » ... فلغات العالم كله عرضة للاخذ منها او لاخذها هي من غيرها ، سواء أكانت غالبة ام مغلوبة .. وليس في هذا الاقتراض او هذا الاخذ من باس ما دام يسد حاجة عند المقترض ، كما يسد المال والمتاع حاجة عند الاقتراض ، ثم تلك المناقشة الطريفة التي عمر بها هذا البحث عن المفردات المعربة في اللغة العربية الى الالفاظ المعربة في القرآن الكريم ، وآراء بعض العلماء ...

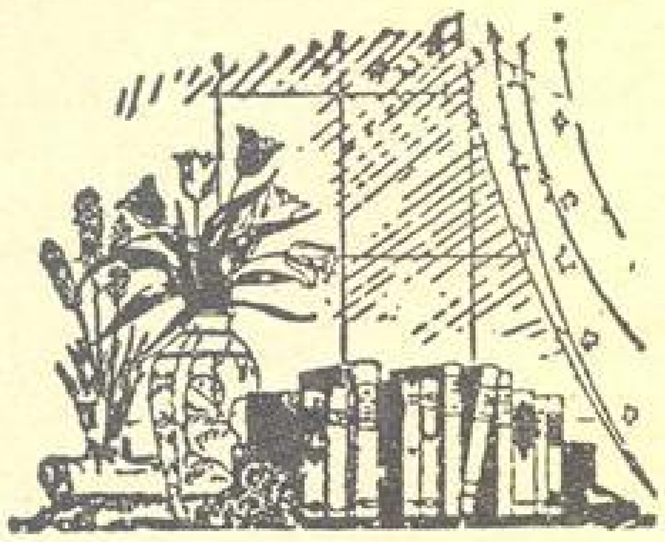
غير ان الغاية التي انتهى اليها الباحث من احياء المخطوطات ، هي الاختيار والربط والمدى الذي يربط الامة العربية بثقافتها القديمة ربطا يكون ذا صلة قوية بين هذا الحاضر ، وذلك الماضي بعد الغربلة وازالة ما لم نكن في حاجة اليه .

والواقع ان حركة احياء التراث على هذه الصورة لما يبعث على الجور على مجهودات علماء اعلام ، تركوا تراثهم الى حركة البعث التي تنظره في يوم من الايام ، او حركة الظهور في ازمان قد ترجع اليها ان هي راجعت ماضيها وعرفت شأو هؤلاء العلماء ، ولكن ان نحن اهملنا هذا التراث وقصرناه على ما يربطنا بماضينا دون غيره من سائر الاتجاهات ، كانت النتيجة بتر هذا المجهود والقضاء على هؤلاء الاعلام، كالذي نفعله اليوم في عملية الاختصار والحذف لبعض هذه الكتب ، ونتناسى ذلك المجهود او تلك المجهودات التي عكف عليها الذين اولعوا باثبات الاسانيد والرواة ، وان كان لا يقف هذا الاثبات حائلا ، او يكون سببا في تعطيلنا عن المضي في ركب العلوم والثقافة العالمية المعاصرة.

والدقة والضبط في معاجمنا اللغوية اكثر ضرورية واكثر لزومية .. فالمعنى لا يبلغ كماله ولا يصل الى السامع او القارىء دقيقا او محكما ، الا اذا كان معتمدا على الدقة ، مرتكزا على الامانة ، والا كانت البلبلة والاختلاط وعدم الوضوح او كان هذا الضد الذي يفسد هذا المعنى ، ويستحيل الى غير ما اريد له ... لذلك كان هذا الرأي الذي دعا فيه الاستاذ عبد الفني حسن الى المراجعة والمعاودة بالضبط والتحقيق والغربلة والنخل لهذه المعاجم ، حتى يكون هذا الربط بين هذا التراث الحاضر ، وكنوزنا في القديم ..

ويمضي الحديث في هذه الدراسات الى مؤلفات الغزالي وآثاره والاشتراك والافتراق بين الاخوين ورأي الفرنجة والمؤرخين العرب فيه، وما قد اصاب مصنفات الفيلسوف من تغيير في عناوينها ، فبدت وكأنها كتب جديدة غير كتبه المتعالمة المتعارفة ، ونقده وانصافه ، حتى تعدى هذا الانتصاف رجلين في كتابين ، هما : « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » للراغب الاصفهاني ، و « المستطرف في كل فن مستظرف » للابشيهي .

ثم يقف المؤلف الفاضل وقفة كبيرة امام هذا الباب من ابواب الشعر الذي لم يجمع في كتاب ، ولم يتناول بالدرس والشرح والتحليل ، اللهم الا تلك السطور التي وردت متناثرة في بعض الكتب وتضاربت حول جلها الاقاويل حتى ليروع المطالع لاخبار الرثاء ، انه



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل*ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
Tel : المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يجد في كتاب الطبري على طوله وضخامته وتوسعه في اخبار الرسول وولوعه برواية الشعر المناسب لاحداث التاريخ بيتا واحدا من قصيدة رثى بها النبي عليه السلام !

وبحسب الاستاذ عبد الفني حسن ، ان يكون له فضل هذا الباب، والالمام به والتوسعة فيه . فقد تابع المناقشة لابن الاثير في كتابه « الكامل » وابن هشام في « سيرته » وما قاله حسان بن ثابت في صاحب الدعوة الكريمة ، وانفراده بين شعراء المراثي بعاطفة خاصة عن شعور شخصي وانفعال ذاتي ، نبعت من لصوقه بالنبي الكريم ، فضلا عن شعور الرثاء العام المعبر عن عظيم المصيبة وفداحة الخطب بالمرثى ، وان كانت هذه المراثي لم تقف وحدها على حسان بن ثابت ، بل تشارك معه شعراء وشواعر في الرثاء العام للنبي عليه السلام ...

وليس ينهض دليلا على المعاناة ، هذا الباب وحده ، فقد لحق به عدة ابواب ، هي الحوار في القصيدة العربية على مختلف مراحله في جميع العصور ، الى جانب الحنين الى الاوطان في الشعر العربي ، الى تصوير الشعر الحديث للفقر والغنى ، الى الحياة في شعر العرب ، غير شعراء اللهيب والنسيم والنخل .

ولا اخالني بحاجة الى الاعتراض على الحجية التي دفعت الاستاذ عبد الغني حسن الى ضم هذه الموضوعات التي احتواها موكب التاريخ، فما احسب الكتاب في حاجة بعد ما حمل من هذه الدراسات الخطيرة، الى : الثورات في المجتمع الاسلامي ، والمعاهدات والمهاونات في الاسلام ، وصور الحيلة والدهاء ، وعنصري الحيوية والاعلاء ، وهذه اللقاءات مع الغزاة والفاتحين والمهن والمجتمع العربي ، والفكر العربي بين الاستظهار والتفكير والتجربة ، وكتابة السير والتراجم ، وملاحظات الجبرتي ، وابن خلدون بين الشعوبية والتصوف ، والدعوات الملتوية والسلام ومناهضة الحروب .. اقول هذا واعطي لنفسي الحق في الاعتراض والدفاع .. الا ان يكون الباحث الجليل يريد اثراء المكتبة العربية بهذه الاطلاعات المرموقة في التاريخ بعرضه المعروف بالاستطراد والمناقشة ، ومساق حوادث هي انفع للادب ، وأثرى للاديب ، الا ان الرأي عندي ان تكون كتابا بذاته ، يتوسع في بعض ابوابه ، ان لم تكن كتابين ، يراعي في احدهما التناسق بين عدة الابواب التي يجمعها ، ويلاحظ في ثانيهما الترابط بين الموضوعات التي يقع عليها الاختيار .

لكن مهما كان الامر ، ومهما وقف هذا الاعتراض ، فدراسات الاستاذ عبد الغني حسن ، لا يتطرق الى طرافتها ونفعها اي شك او تصاب على مر الازمان بالوهن او الضعف ، فهي دائما محل تقدير البحاث ، وملتقى لكثير من الاراء ، ويكفيها ان تكون مراجع ، بجانب انها آداب وتاريخ .. تعلم وتحيل وتخلق في الدارس الاهتمام ، وتنبه فيه الوعي .. وما اعتراضي الا على الشكل والتقسيم والتبويب ، لا على الدراسة في ذاتها او المعالجة في نفسها ، وهذا ما يجعلني دائما انتفع بها واستفيد من مطالعتها ، وافاد من شحناتها الديناميكية التي تخدر العقل ، وتجعله دائما مشدودا ومندفعا الى البحث عنها .. وفي اي مكان ..

القاهرة

ابو طالب زيان

•

المـــــورد

معجم ضخم للغة الانكليزية ، العربية ـ تاليف منير البعلبكي ـ ١٠٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ المطابع الاهلية اللبنانية ببيروت

اعجبت في كلامي على الكتب وعرضها وتحليل اجزائها وممارسة شخوصها بالوصف والتعريف ومطارحة مؤلفيها ، جوانب الراي والمناقشة ، في بعد عن الجدل والتدليس ، باديبين عظيمين الاول صديقي الاسبق الكاتب العربي عمر الفاخوري والثاني الكاتب الفرنسي الفذ فرانسيس دو كرواسي .

لقد كان من طبعهما تفهم المؤلف والتفرس في تاليفه ، لان كلا الامرين متلازمان ، وكان النقاد العرب القدامى يقولون : من الف فقد استهدف .

وكان يعجبني كرواسي بشيء من الخاصية لانه يؤثر التغلغل الى ذات المؤلف وبذلك خطط في دراسات الادب الحديث مبادىء التحليل النفسي ، ومن رايه ان الناقد اذا عرف المؤلف بذاته او كان معاصرا له كتب بشفاء الغليل ، ولم يتخذ الوهم والخيال سبيلا اليه ، ومن مذهبه ان النقد والدراساتعملة فكرية يجب ان تكون متداولة ومعروفة.

جالت بخاطري هذه الافكار وانا انظر بفرحة وطرافة ود وقرابةعهد الى معجم « المورد » لمؤلفه الاستاذ الكبير منير البلعبكي لاشرب منه كاسا روية هي نخب صدوره ، وهاجت بي الذكرى وانا ادلف الى منهله الثرار ، فمررت بها على شخوص ثلاثة من رفقة العمر هم الادباء الكبار : بهيج عثمان وسهيل ادريس ومنير البعلبكي ، كانوا كالاقانيم الثلاثة في الادب والفكر بل كانوا كالنعميات الثلاث ، اللواتي جلست طويلا اتفرس جمالهن الآلهي في متحف اللوفر بباريس سنة ١٩٦٠ في لوح دولاكروا .

كنت في تلك الاستغراقة الصوفية الروحانية امجد الخالق في اشعة الجمال الذي لا يفنى وقد انسكبت حتى الابد على جسوم النساء.

اما الاصدقاء الادباء الثلاثة فبعثوا في وجود الفكر العربي المعاصر أشعة الادب والعلم والمعارف ، فكان لبنان الحبيب موئل ثمارهم ومجنى مغارسهم الواعية وخواطرهم الوقادة العتيدة .

لقد انساب من بينهم الاديب الكبير الدكتور سهيل ادريس فادار مجلة « الاداب » وبقي الاستاذان النابغان بهيج عثمان ومنير البعلبكي يديران مجلة « العلوم » وظل هؤلاء جميعا ومعهم معشر رافد يديرون دار العلم للملايين ، دارا للنشر الحديث والطباعة والتوزيع من الطراز الافضل الموثق .

انهم لم ينقطعوا عن دخائل المعرفة مع انبساط آفاق التجارة ، فاعطوا العالم العربي ثمارا شهية في العربية وضروب التواليف ما اطار لهم الصيت البعيد ، واخر ما ظهر من هذه الثمار منتوج ضخم هو « المورد » المعجم الانكليزي ـ العربي واني بمستشف القياس وممارسة الدرس والبحث في علم المعاجم والموسوعات الذي الي في محاضراتي الجامعية تدريس مادته ، يتاح لي ان ابدي القول واحكم الرأي في هذا المعجم المبدع الجديد ، فاعده جهدا ضخما عريضا في ميدان التاليف المعجمي باللغة الانكليزية والعربية . وهذه المعجمات وان تكن تلم المامة جيدة بمفردات اللغة الانكليزية وبعض المصطلحات العلمية والفنية الا انها لم تعد تفي بشكل متكامل بمطاليب المترجم في هذا الوقت .

فمعجم « المورد » يعد عونا كبيرا ورفدا علميا حديثا للمترجمين ولاساتذة المدارس الثانوية والعالية ولطلاب الجامعات والمعاهد الثانوية، وللباحثين اجمعين في الادب الانكليزي في اللغتين الانكليزية والعربية بوسيلة المعاجم .

واذا ادرت الطرف لارى وجوه التمييز واعرض على التنقير هذا المعجم برزت لي فيه الامور العلمية الآتية :

١ ـ ان الباحث عن المصطلحات او المفردات الادبية او الفنية او الحضارية الحديثة ، كان يجد نفسه في نطاق من الحيرة قبل ان يرد « المورد » ويحس انه بحاجة للرجوع الى المعاجم الكبرى في اللغة الانكليزية ، وهي معاجم غير مترجمة الى العربية ، لفتها منها واليها ، مثل قاموس ويستر الكبير واكسفورد وغيرهما من القواميس الضخام

ذوات الشروح المتواترة التي تستغرق الكلام في تفسير القول ويغوص الباحث فيها فيهدر الوقت بجدوى يسيرة . اما « المورد » فقد مارس الشروح الدقاق باختصار مفيد ، فأمكن استخراج المعاني فيه بسهولة واطمئنان .

٢ ـ اعتمد المؤلف الموفق الاستاذ الكبير منير البلعبكي في تأليف معجمه على القواميس الكبرى وأبان بها ثبتا مفصلا في اول المعجم .

٣ ـ وتقدم عناصر معالجة اللفظ في معجمه على توضيح اللفظ بين معترضتين فبين الى أي جزء من اللغة ينتمي هذا اللفظ ، هل هو اسم او فعل او صفة ... ثم يوضح الطريقة لقراءة الكلمة (أي الى هجائها) .

٤ ـ يشتمل هذا المعجم على امور موسوعية كثيرة .

٥ ـ يحتوي « المورد » على مئة الف كلمة مما يوضح مدى شمول المعجم الانكليزي والاميركي المعاصرين .

٦ ـ تتحدث مقدمته عن المجال الذي تجود بـه الكلمة بمعانيها ومراميها ، وعن طريقة الترتيب الابجدي والفكري الـذي سار عليه المعجم .

٧ ـ يكاد « المورد » لما فيه من ازدحام المعارف ان يقترب من موسوعة او دائرة معارف مختصرة ، بل لعلي أجده في سعة باكثر من ذلك ، حين اراه يشتمل على اسماء الاعلام ولا يكتفي بأولئك الذين عاشوا ، وما زالوا يعيشون ، وانما يحتوي ـ الى ذلك ـ على اسماء اعلام ابدعتها القصص وخلقتها المسرحيات العالمية (اي شخصيات خيالية) مثل شخصية « شايلوك » ونوردها كما ظهرت في الصفحة ٨٥٢ من « المورد » .

شايلوك : مراب لا يرحم Shylock (Shilôk) (N.)

٨ ـ يزدان المعجم بصور ورموز وهذا ما يميزه من بعض المعاجم الاخرى التي سبقته في الظهور .

٩ ـ في اول « المورد » مفتاح للنطق يحتوي على الرموز المستعملة لتوضيح النطق بالنسبة لكل كلمة في المعجم .

١٠ ـ ان « المورد » قاموس حي مساير للعصر بحيث تجد فيه مصطلحات Idiams وكلمات علمية وادبية وفنية ومصطلحات فلسفية وتعابير سياسية وتعليمية . ولم يخل من الادلة التاريخية والاثرية ، وهو يساير تطور هذه الشؤون وما جد منها حتى تاريخ ظهوره لعام ١٩٦٧ . ولقد لبس رداء العصر متخذا من الالفاظ والكلمات حوار الدهر كله .

١١ ـ ويعني « المورد » بالالفاظ العامية واللهجات المتبعة في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ليساير العصر ويتمرس بعناية ملحوظة بالادب الانكليزي والاميريكي المعاصرين .

وهذه الالفاظ يطلق عليها الانكليز كلمة Slang وتصادف المترجم في كتاب او قصة او حديث ادبي انكليزي او امريكي ، فيجد نفسه في عراك معها للوقوف على صحة معناها ، فيفوص في البحث والدرس وفي المراجع وقد لا يحصل في اوبته على شيء ولا يهتدي الى سبيل. اما معجم « المورد » فقد خفف هذه الصعوبة وازال ذلك التصادم فتحطمت العثرات امام المترجمين والقراء والباحثين .

لم يكن من طبعي في النقد والتحليل ان الجأ الى التقسيم العلمي لكني في كلامي اليوم على معجم « المورد » حملت نفسي حملا على هذا التقسيم الذي يفرضه البحث المعجمي و « المورد » من الكتب التي اعجبتني ورضيت عنها . ومن عرف الاستاذ العلامة اللغوي منير البعلبكي معرفتي به وعاين صبره الطويل واناته الواعية وعلمه الغزير ، ولفته الصافية ، حتى اخرج للناس هذا الاثر العظيم ، فانه يعتبر مثلي ، عمله من اروع ما ظهر في عالم التاليف والطباعة الحديثة في القرن العشرين .

واختيار اسم « المورد » امر يعرفه العرب منذ عهود الجاهلية حين كان الكلأ والماء كل شيء في حياة الصحراء ، وظل المورد خلال العصور يروي العطاش حتى في صميم الحضارة الحديثة ، انني حين جلست في ظلال مساء صيف تحت نوافير ساحة الكونكورد بباريس خلال اشعة الكهرباء التي كانت تمازج انحدار المطافر المائية ، كنت اتمنى ان اشرب منها ، لقد كانت هي « المورد » بذاته ومنذا الذي لا يشتهي نهلة ظاميء من الماء النمير ومن « المورد » الصافي .

دمشق — زكي المحاسني

صدر

للدكتور شاكر خصباك

حكايات من بلدتنا

مجموعة قصص

•

الارتياد والكشف الجغرافي

•

منشورات المكتبة العصرية ببيروت

زكي قنصل شاعر الحب والحنين

دراسة ـ تأليف عبد اللطيف اليونس ـ ١٨١ صفحة ـ طبع في بونس آيرس الارجنتين

صاحب هذه الدراسة الاستاذ عبد اللطيف اليونس من ادباء سورية وسياسييها البارزين ، عرفته المكتبة العربية في مجموعة طيبة من المؤلفات وعرفته دنيا السياسة نائبا عن صافيتا في المجلس النيابي طوال سنوات ودورات كثيرة . وعندما ترك ربوع الوطن الى سان باولو في البرازيل ، حصر نشاطه في الكتابة والتاليف ، فاخرج لنا ثلاثة كتب عن « المغتربون ـ ١٩٦٤ » و « شاعر عبقر ـ ١٩٦٦ » و « زكي قنصل ـ ١٩٦٧ » . وهناك طائفة اخرى من المؤلفات ما تزال قيد الطبع .

استهل المؤلف الكريم كتابه هذا بقوله ان الاستاذ زكي قنصل انتزع لقب « شاعر غلواء » من المرحوم الياس ابي شبكة ، وتساءل عما

اذا كان يجوز له هذا ، وعما اذا كان يجوز لنا ان نجيزه !. ثم انتهى الى القول ان هذا اللقب طغى على اسم الاستاذ زكي قنصل ، وصار يعرف به بين الخاصة والعامة ، كما طغى من قبل لقب « النابغة الذبياني » على زياد بن عمرو و « شاعر عبقر » على شفيق معلوف ، و « بدوي الجبل » على محمد سليمان الاحمد و « شاعر النيل » على حافظ ابراهيم ...

ويتابع المؤلف فيقول ، « المهم ان ابا شبكة صار في دنيا الخلود .. وان لقب شاعر غلواء صار يعرف به مغترب من يبرود !. والاهم منه ان زكي قنصل قد حافظ على كرامة اللقب ، وزاد في شهرته وذيوعه وغناه . » .

بقي ان نعرف رأي انصار المرحوم ابي شبكة في هذا الموضوع !

قسم المؤلف الفاضل دراسته لشعر الاستاذ زكي قنصل الى اربعة ابواب هي : الوطنيات ، والغزل ، وانسانيات ، ومتفرقات . وقد تناول في كل باب من الابواب الاربعة قصائد معينة ، فدرسها وعلق عليها وحللها ، فكان في بعض ما كتب منصفا ، وفي بعضه مقرظا اكثر منه ناقدا ، وفي بعض اخر جزارا يحمل السكين ، يلوح بها .. ولكن دون ان يذبح !. وفي جميع الاحوال يبقى طابع الثناء والاعجاب، اللون المميز لهذه الدراسة « اللطيفة » ..

ومهما كان الامر فان امثال هذه الدراسة عن شعراء المهجر تحتاجها المكتبة العربية ، وتحتاجها واجهات المكتبات العامة ، ليعرفها ويتعرف اليها من يعنيهم الامر من ادبائنا وجيلنا المثقف الصاعد .

شيء اخير احب ان اقوله في هذه الكلمة العجلى ، هو ان الدراسة التي بين ايدينا تحتاج في ختامها الى مجموعة مختارة من شعر الاستاذ زكي قنصل ، ولا تكفي قط الابيات القلائل التي استشهد بها المؤلف الصديق في معرض الدراسة والتحليل ، لان زكي قنصل من شعراء العرب المجيدين في المهجر ، وشعره يحتاج اليه جميع محبي الادب والشعر .

دمشق — عبد الغني العطري

•

الانسان روح لا جسد

تأليف دكتو رءوف عبيد ـ جزءان ١٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في دار الفكر العربي بالقاهرة

اقامت الروح الوجود واقعدته في البحث في ماهيتها وكنهها فتضاربت اقوال الفلاسفة واختلفت مذاهب الباحثين فلم يهتدوا الى ذلك سبيلا.

وقد يستدل مما ورد في الكتاب الكريم (ويسألونك عن الروح) ان البحث عنها كان منذ قديم وكان على جانب عظيم من الاهمية . وانها لجديرة حقا بأن تكون مسألة المسائل وسيدة المباحث . فقد أشار الله تعالى الى الجواب تلميحا لا تصريحا بقوله الكريم (قل الروح من امر ربي) أي انها من عالم الابداعيات الذي لا يفهه الا من اوقفه الله على اسرار الخليقة الخاضعة للامر القدسي . وكان السائلين كانوا ممن لا تستطيع عقولهم ان تدرك الشرح الذي يختص بسؤالهم عن الروح . فورد باقي الآية الشريفة مخبرا عن ذلك القصور في الفهم بقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أي ان العلم الذي انتم عليه الان ليس بكاف لان تفهموا به البيان الذي ترغبونه .

ومهما بلغ الانسان من التقدم في العلوم فان مسألة الروح بالنسبة له ما تزال من اغمض المسائل بل كانها ما تزال كما كانت عليه من قبل عشرين جيلا بالرغم من ان الله تعالى ارشدنا الى معرفة هذا السر وحل هذا الرمز فهو الذي علم الانسان ما لم يعلم .

وكانت الصلة بين عالمي الروح والمادة تعتبر فيما مضى خرافة ما بعدها خرافة ، ودجل ما بعده دجل . بل انها كانت تعد من الامور التي لا يصح ان يقبلها عقل باي حال . وكانت تقابل بمعارضة شديدة عن أهل العلم انفسهم ..

ولقد كان الموضوع فعلا في غاية الخطورة وليس من السهل ان يقدم المرء على دراسته والغوص في اعماقه واستجلاء غموضه ، والكشف عن مكنون سره .

فكثيرا ما لقي الدارسون لهذا الموضوع والمتصدون له من صنوف التهكم والنقد المرير الشيء الكثير . وطالما لقوا من العذاب الوانا ، ولكم قاسوا الامرين على مر السنين والقرون بفعل الغيرة والعناد والاحقاد .

وبمرور الزمن ، وبالتدرج شيئا فشيئا ، اقبل نفر من ابرز علماء الفيزيقا والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحية ، واخذ الاهتمام يتزايد شيئا فشيئا في بلاد العالم المختلفة، حتى نشات حركة واسعة النطاق للبحث العلمي في الروح ، سرعان ما كان لها صداها في اغلب بلاد العالم بما في ذلك بلادنا المصرية ، فشملت بلاد الحضارة المعروفة ، وفي نفس البيئات العلمية التي قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الان . ولقد احتضنتها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا ووصلت كلها الى نتيجة واحدة ايجابية حاسمة وهي : ان في الانسان عنصرا روحيا متميزا بغير ما ريب عن عنصره المادي . ومنها ما وصل صراحة

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

على كل عربي ان يقرأ

الحرب العالمية الثانية

موضوعات يعالجها الكتاب بجزئيه

- ((هتلر)) من النشأة الوضيعة الى الذروة
- دور المصفحات في الحرب الحديثة
- الحرب في الجبهات الاوربية كافة
- الحرب في الشرق الاقصى
- الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية
- الحرب البحرية

الجزءان بسعر ١٠٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبشكل حاسم الى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين: احدهما مادي منظور ، والاخر غير مادي ولا منظور .

وهكذا كانت لهذه الكشوف قيمتها الفزيرة الكبيرة التي غيرت وجه التاريخ الانساني في تقدم العلم والعرفان .

وهكذا كان هناك اناس تمتلىء قلوبهم بالنور فلا يطيقون بعد ذلك ان يعيشوا في الظلام . فكانوا يعملون جاهدين على تفهم اخطر حقيقة كونية ادركها عقل الانسان بالفطرة ثم بالفلسفة النظرية ، ثم بالتجربة العملية ، ليطمئنوا على قدرهم وعلى مصيرهم . وهم بذلك يفتحون اذهانهم على امور كثيرة كانت غامضة في الحياة ، ولا يمكن ان يفك مغاليقها الا هذا البحث العملي فيما وراء الطبيعة ، الذي هو بمثابة رأس قنطرة الى عالم بل الى عوالم غير محدودة تعيش فيها كائنات بشرية غير منظورة منا ، كانت تعيش بين ظهرانينا .

والعلم الروحي الى ذلك دعوة قوية للتحلي بمكارم الاخلاق وتعزيز لايماننا بالله في عظيم عدله وحكمته ورحمته .

وكان الظامىء الى المعرفة والباحث عن الحقيقة اذا اراد احدهما ان يشبع نهمه او يروي غلته او يزود نفسه بشيء من العلم في هذا الموضوع لا يجد امامه سوى ما كتب بلغات اجنبية من مجلدات ضخمة لا عد لها ولا حصر . يرجع اليها الباحث او الدارس كلما اعترضه في الحياة سؤال وقف امامه حائرا ، تحز في نفسه الحسرة والالم لعدم وجود مثيل لها باللغة العربية ولو مترجما . الى ان فيض الله لهذا الامر الجليل عالما عاملا هو الدكتور رءوف عبيد الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، فعكف على هذا الموضوع سنين عديدة يدرسه ويمحصه ويستجلي غوامضه . بل لقد بحثه طيلة هذه السنين على اعتبار انه مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، والبينة على من ادعى .. فحصل فيه على قدر من المعرفة اقنعه ان من واجبه ان يكتب فيه لانه جدير بعناء هذه الكتابة . وبالرغم مما صادفه من عقبات ومعوقات وصعوبات ، امكنه ان يتخطاها جميعا بشجاعة وصبر وثبات وايمان ، اخرج لنا موسوعة فذة هي : « الانسان روح لا جسد » في مجلدين ضخمين يقعان في ١٣٢٠ صفحة من الحجم الكبير .

ولقد بذل المؤلف بالحق في هذا العمل الضخم جهدا كبيرا في سبيل خدمة اخطر حقيقة وصلت اليها جهود العلماء واكثرها ارتباطا بالانسان في حاضره وفي مستقبله على السواء . وكيما يحقق غايته المرجوة في تعريف القارىء او الدارس تعريفا صحيحا باهم الجوانب العامة في علم الروح الحديث .

وهو اذ يعرض للموضوع انما يعرضه من جميع زواياه العلمية والفلسفية والاجتماعية ، ومن جميع نواحيه ، عرض عالم خبير قوي الحجة ، قوي البيان ، قوي الايمان ، واضح الجادة ، غزير المادة ، طويل الباع ، واسع الاطلاع ، يدفع الحق بالوجه الاحق .

واذا كان من رأي شيشرون مشرع الرومان ومحاميهم العظيم « ان الدفاع عن الفلسفة اجل خدمة يؤديها الانسان لوطنه لان الفلسفة تثقف العقل وتهذب النفس وتغري بالتزام الفضيلة وتقي المرء شر الضلال » فان هذا القول لا يصدق على امر قدر صدقه على هذه الروحية العلمية بالذات ، كما جاءت في هذه الموسوعة التي بينت مدى عمق تاريخ الروحية في الخافقين .

ولقد راعى دكتور رءوف في الطبعة الجديدة من مؤلفه الضخم عدة امور منها :

١ ـ التوسع في بيان الاسماء والمراجع العلمية الموثوق في قيمتها وفي مكانة اصحابها ، وفي اصالة اساليبهم العلمية ، والتي تعالج الجوانب الفاصلة في مصير هذا العلم .

٢ ـ الاستزادة من البينات والوقائع الهامة التي تكشفت عنها بحوث عدد وفير من علماء الصف الاول في الجامعات المعروفة وخارجها. وذلك بالاضافة الى البينات الوساطية ـ الفيزيقية والعقلية ـ التي افسح لها هي الاخرى مكانا في الطبعة الحالية يتجاوز كثيرا مكانها في الطبعة السابقة .

٣ ـ التوسع في الناحية الوصفية لعالم الروح لانها تمثل ناحية نجح هذا العلم في تبديد الكثير من غموضها ، والقاء اضواء جديدة عليها .

٤ ـ وقد حرص ايضا على ان يوفي الجوانب الفلسفية حقها من العناية على هدى ما خطته اقلام ابرز فلاسفة الروحية وعلمائها ، وما تنادى به الارواح الراقية من تعاليم راقية .

ولقد وزع المؤلف موضوعات موسوعته بجزئيها ـ على تسعة ابواب متتابعة على النحو الاتي : عجالة عن الروح عند الاقدمين ـ في نشاة العلم الروحي الحديث ـ في بعض الاسماء والمراجع فيه ـ في بعض البينات والوقائع ـ في موقع عالم الروح ـ في ظروف الحياة فيه ـ في الثواب والعقاب ـ في بعض المشكلات الفلسفية الاخرى التي يعالجها هذا العلم ـ في الروح بين العلم والاعتقاد .

وهو اذ يعالج الموضوع من هذه الموضوعات انما يلم بشتاته ويحصره ويعرضه عرضا مستفيضا مسهبا غير تارك فيه زيادة لمستزيد ، ولم تفته شاردة او واردة الا اشار اليها ، بطريقة سائغة شائقة ، وباسلوب اخاذ جذاب يبعث في النفس الهدوء والراحة والسكينة .

فما كان اسعدها تلك الساعات التي امضيتها مع كتاب « الانسان روح لا جسد » . فهو بالحق كنز ثمين للباحث عن الحقيقة .

ولست ادري بالضبط ماذا حدث من ترتيبات ومقدمات اتاحت لي الفرصة لوقوع هذا الكتاب بين يدي لاقبل على قراءته بنهم شديد ولذة لم اعهدها من قبل تحيطني روحانية احسست بها وكاني سابح في فضاء وسيع او في ملكوت لا عهد لي به .

ثم ما كان اسعدني بعد ذلك بلقاء دكتور رءوف عبيد والتعرف به والاستمتاع بحديثه في موضوع الروح ، وما تشعب من الموضوع الى

صدر حديثاً

المصطلح

معجم انجليزي عربي

للمفردات العلمية والفنية

حسن السمران

دار صادر دار بيروت

فروع : هل الخلود حقيقة علمية ؟.. الروح بين الايمان والالحاد ، الروح بين التأييد والانكار ، هل هناك جسد اثيري ؟.. موقف علم النفس الحديث من الجسد الاثيري للانسان ، الهالة البشرية ، ظواهر الروحية والعقل الباطن ، حاستنا السادسة ، دور علم الروح الحديث والربط بينه وبين العلم .. الى غير ذلك من موضوعات سرح بي فيها بعيدا بعيدا ، ثم افقت بعد وقت لاقول لنفسي : يا سبحان الله ، ان تدبيره عجب !.. أين كنت وهذا الرجل ؟ وكيف تم اللقاء والتعارف بيننا ؟ لا بد وان هناك اتصالا روحيا بيننا بحيث حدث هذا التفاهم الفكري قبل ان نلتقي ..

فشكرا على ما اتاح لقرائه من زاد علمي وغذاء روحي لا يسعهم ازاءه الا ان يرددوا ما قاله له شوقي من عالمه الاخر :

أخي أطريك اذ أطريت علما ... جلى الحق وضحا وانتشارا
يحاديك الصمود بيأس ليث ... تصدى للشكوك ومن اثارا
فلذ بالعلم و « الحق » اعتصاما ... وذد شك المناهض ان اغارا
وصنف من مآثرك الغوالي ... لعلم الروح ! سر فالركب سارا
يناصرك الخلود بكل مجد ... وبالعرفان يهديك اليسارا

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

●

ابن نباته امير شعراء المشرق

تأليف الدكتور عمر موسى باشا ـ (؟) صفحة ـ منشورات دار المعارف بالقاهرة

حين يأتي الحديث عن عصور الانحطاط يتبادر الى الذهن اهمال الباحثين لهذه الفترة التي تمتد قرونا عديدة في تاريخ الادب العربي . وتمثل امام الانسان صورة النقاش المحتدم بين الذين يصرون على تسميتها « عصور الانحطاط » والذين يرفضون هذه التسمية بحجة ان ادب هذه الفترة لم ينفض عنه الغبار ، فربما تكشف عن مذاهب جديدة ، واعلام كانوا طوال القرون الماضية يشكون الاهمال .

والاستاذ عمر موسى باشا دخل هذه العصور وطلع علينا بكتابين، احدهما هذا الذي بين يدي : « ابن نباته المصري امير شعراء المشرق».

لقد اراد الكاتب ان يوفي اديبه حقه من البحث فالم الماما قويا بكل ما كتبته عنه المراجع واستمد منها ومن ديوان الشاعر صورة لابن نباته جعلته اديبا كبيرا وزعيما للشعر في زمانه .

والحقيقة ان للكتاب قيمة تاريخية في استعراض حياة ابن نباته والتعرف على الاشخاص الذين مدحهم موزعين على فترات حياته الست ـ كما قسمها الكاتب ـ وهذا يمهد تمهيدا قويا لدراسة فنية تجلو بوضوح المؤثرات في حياة الشاعر والعوامل التي كونت مذهبه الشعري.

وقد وعدنا الكاتب بهذه الدراسة منذ الصفحات الاولى من الكتاب ولكنه اخذ بيدنا الى استعراض تاريخي حافل صور لنا فيه حياة الشاعر مع ممدوحيه ، ثم انتقل الى أدبه فرافقنا العرض التاريخي لاثار المؤلف الشاعر الى ان وصلنا الى الموضوعات الشعرية فاذا بها ثلاثة موضوعات: المديح والرثاء والغزل ، ألم بها الكاتب المامات قصيرة وكانت غايته في كل ما يقول دعم الرأي القائل : « ابن نباته امير شعراء المشرق » حتى لكاننا نشعر بنوع من العاطفة تشد الكاتب الى الشاعر فلا تريه الا الجمال وتطمس نقاط الاساءة مهما كانت بارزة .

فابن نباته زعيم مذهب الرمزية في الشعر العربي . هذا ما لوح به الكتاب منذ صفحاته الاولى وسرنا بنهم نبحث عن هذه الرمزية الجديدة فلم نجدها الا في الصفحات الاخيرة من الكتاب حين وصلنا الى مذهب ابن نباته الرمزي . اما الرمز فهو الثورية عند الشاعر والتي تجمع المذهبين الشامي والمصري بشكل طريف رائع ، فترينا الثورية بالاسماء والالفاظ وبتضمين اشعار القدماء بحيث تصبح ذات دلالات جديدة لم تكن تحملها في مكانها من الشعر القديم .

وما دام المذهب الرمزي الغربي يعتمد على الايهام في الشعر فالثورية عند ابن نباته اساس الرمزية عنها اخذ الغربيون اصول مذهبهم الجديد . وهكذا فالرمزية ليست شيئا مبتكرا وانما مذهب قديم له قواعد وجذور ترتبط ارتباطا قويا بأصولها من الشعر العربي!

لقد اراد الكاتب ـ كما قلت ـ ان يطمس في ادب ابن نباته كل ما يشينه وان يتغنى بشعره كما نتغنى بقصائد فحول الشعراء . ولكننا ،والحق يقال ، وجدناه يغالي في اطراء الشاعر وكيل عبارات المديح له . فالعامية عنده استخدام للمصطلحات الحديثة ومسخه لاشعار القدماء رمزية ، والتلاعب بالالفاظ رمزية ايضا اما الخيال الغزلي السقيم فيجب علينا ان نهتز له طربا !

نحن لا نشك ان ابن نباته كان علما في عصره ولكن هل يحق لنا ان نضعه في مصاف الاعلام الذين يحتلون مكان الصدارة في ادبنا الخالد بمناقشة بسيطة للرمزية لا تصلح حجة على صدق ادعائنا !

واذا اراد الكاتب ان يبحث له عن مكان كهذا فيجب عليه ان ينظر في معانيه وخياله والفاظه ، فاذا وجد شيئا طريفا في هذه الدعائم الثلاث ، التي لا يقوم الشعر بدونها ، استطاع ان يسمي ابن نباته اديبا كبيرا وعندها يحق لنا ان نناقش الثورية ونرى هل تؤلف شيئا نادرا في عالم الشعر .

اما والكاتب لم يفعل شيئا من هذا ولم يقارن بينه وبين أي اديب من ادباء عصره فلا يمكن ان يقتنع انسان بصدق نظريته .

وكل من رجع الى شعر الشاعر ، حتى الذي اورده الدكتور عمر باشا امثلة على سبق الشاعر ، سيجد المسخ لاشعار القدماء وفساد الصور وتفشي العامية . وسيجد ان الثورية عنده لا تختلف عن الثورية عند بقية الشعراء الا من حيث الكم . واذا كان الكاتب يريد ان يجعلها

صدر حديثا

جراح جميدة

تأليف عيسى الناعوري

قصة النضال العربي والعدوان الصهيوني

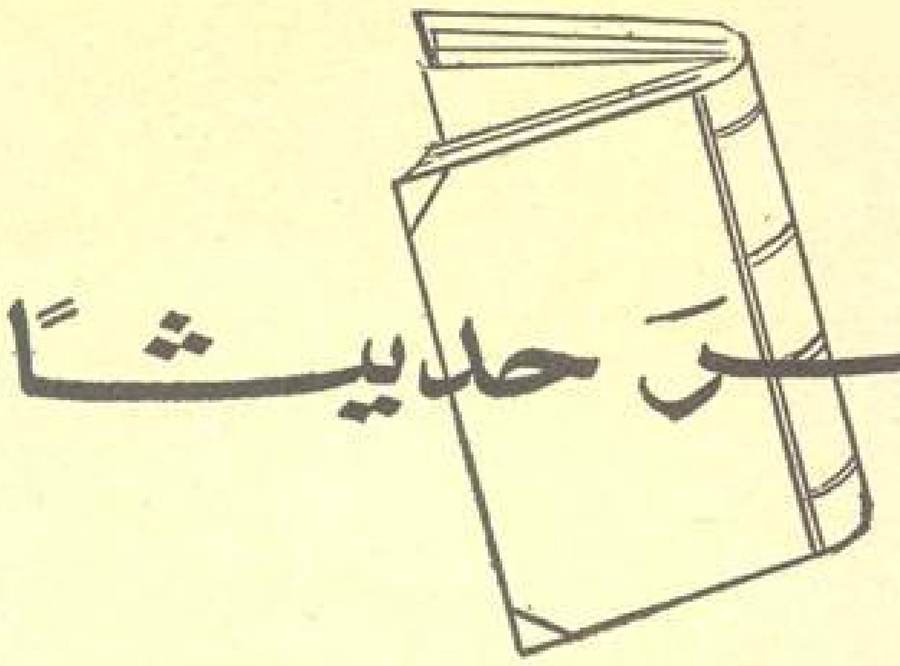
الغاشم على الضفة الغربية

من ٥ الى ٧ حزيران ١٩٦٧

●

منشورات مجلة السياحة ببيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● ابو ذر الغفاري ـ تأليف علي ناصر الدين صاحب قضية العرب ـ الطبعة الثانية ـ ١٥٢ صفحة ـ سلسلة الثائرون العرب في التاريخ ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ طبع على نفقة الدكتور توفيق الاعور ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الملك سيف بن ذي يزن ـ تأليف علي ناصر الدين صاحب قضية العرب الطبعة الثانية ـ ١٠٤ صفحة ـ سلسلة الثائرون العرب في التاريخ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ المطبعة التجارية ببيروت.

● ضائعة في المدينة ـ رواية ـ تأليف سلوى هرمز ومظهر الملوحي ـ الغلاف بريشة زكريا توما ـ ٤٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز المطبوعات ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● جراح جديدة ـ قصة النضال العربي والعدوان الصهيوني الفاشم على الضفة الغربية من ٥ الى ٧ حزيران ١٩٦٧ ـ تأليف عيسى الناعوري ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات مجلة السياحة ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة)

● الظامئون ـ قصة طويلة ـ تأليف عبد الرزاق المطلبي ـ تقديم الدكتور ماهر حسن فهمي ـ الغلاف تصميم جميل حمودي ـ ٢٤٤صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة القصة والمسرحية ـ منشورات مديرية الثقافة العامة ببغداد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● رماد الليل ـ مجموعة قصص ـ تأليف عامر رشيد السامرائي ـ تقديم عبد الله نيازي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة القصة والمسرحية ـ منشورات مديرية الثقافة العامة ببغداد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● الماسونية بلا قناع ـ اعداد وتقديم ابو صادق ـ ٢٦٤ صفحة ـ منشورات دار البصري ببغداد ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● السينما في البلدان العربية ـ تقرير اعده جورج سادول لليونسكو ـ (لم يذكر اسم المترجم) ـ ٢٩٦ صفحة ـ وملحق من ١٨ صفحة مصورة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت ـ المطابع الاهلية اللبنانية بيروت .

● ديوان حسن عبد الباقي الموصلي ١١٠٠ ـ ١١٥٧ هـ ـ حققه ونشره محمد صديق الجليلي ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجمهورية بالموصل العراق .

● الاصطياف في حمام العليل ـ من التراث الموصلي ـ تأليف محمد صديق الجليلي ـ ٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل العراق .

● خطوات الى الافق البعيد ـ قصص قصيرة ـ تأليف برهان الخطيب ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة اهل البيت في كربلاء العراق .

● الملح في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بدمشق ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٧ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ المطبعة السليمية في دير الزور سورية .

● حكايات من بلدتنا ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور شاكر خصباك ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت.

● الامام الشاهرودي السيد محمود الحسيني ـ تأليف السيد احمد الحسيني ـ ١٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الثالث في سلسلة اعلام الامامية ـ مطبعة البيان ببغداد .

● الكوخ فرس زرقاء ـ مجموعة شعرية ـ ظهير كنيفاتي ـ الغلاف واللوحات بريشة المهندس محيي الدين خطيب ـ ٢٤٠ صفحة ـ دار الشرق للنشر والتوزيع (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حمدان ـ قصيدة في ثلاثة اناشيد ـ مروان الخاطر ـ صمم الغلاف مصطفى ي. ارناؤوط ـ ٦٦ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ مطابع الايام بدمشق .

● دروس الحيض والاستحاضة والنفاس ـ مطابق لفتوى السيد محمود الحسيني الشاهرودي ـ ٢٨ صفحة ـ الكتاب الثالث في سلسلة رسائل اسلامية ـ منشورات مكتبة الشريف المرتضى العامة بالكاظمية العراق ـ مطبعة الاداب بالنجف الاشرف العراق .

● حياة الشريف المرتضى ـ تأليف السيد احمد الحسيني ـ ٤٤صفحة ـ الكتاب الاول في سلسلة دراسات اسلامية ـ منشورات مكتبة الشريف المرتضى العامة بالكاظمية العراق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الغضب ـ مجموعة قصص ـ تأليف حسب الله يحيى ـ تقديم محمود العبطة ـ ٨٠ صفحة ـ المطبعة العصرية بالموصل العراق .

● كل ما سبق وكتب اعلاه يمكن الاستغناء عنه اذا حققت اشارة واحدة بسيطة الى فعالية البداية من الصفر الواعي ـ صور ومشاهد وقصص ـ تأليف مصطفى ابو لبدة ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع الخال اخوان وشركاهم ببيروت .

ام المذهب الرمزي الغربي فلا يصح ان نقول ان الغرب اخذ عن ابن نباته ولم يأخذ عن سواه .

اما الايهام الذي يجعله الكاتب اساس الرمزية الغربية فهو في الحقيقة لا يكون الا جزءا بسيطا في هذا الاساس ، وفي اعتقادي انه لا توجد علاقة بين الايهام ، كما يريده الغربيون . والايهام كما يريده شعراء التورية العرب ، ففاية الشاعر العربي حين يوري ليست اكثر من التلاعب بالالفاظ والتفنن في طرق ايرادها في الجمال ولا يقصد من وراء ذلك سوى العبث اما شعراء الغرب الرمزيون فشعراء مغلقون على انفسهم لا يريدون التصريح فيلجأون الى الرمز ، ومتى كانت غاية الشاعر العربي من التورية عدم التصريح بما يريد !

والحقيقة ان الدكتور عمر موسى باشا عمل مشكورا فكشف حياة أديب من ادباء القرن السابع والم بشعره ولكن هذا الالمام طلع علينا بنظرية لا تقوم على اساس نقدي ثابت .

دمشق — سكينة الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

جهاد شعب فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٨

رسالة ماجستير لصالح مسعود بويصير

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

« فلسطين » هي اللحن الحزين في حاضر العرب والمسلمين ، ولم يشهد تاريخ العروبة والاسلام مأساة كمأساة فلسطين ، واذا كانت فلسطين في الماضي قد احتلها من اشعلوا نيران الحروب الصليبية الاستعمارية التي حاولت الاختفاء وراء اسم المسيح واسم الصليب ، فان هذا الاحتلال الصليبي لم تبلغ به النكبة مبلغ النكبة التي اصابت العرب باحتلال الصهيونيين لفلسطين ، لان الصليبيين لم يدعوا تملك فلسطين . ولم يزعموا لانفسهم ولا للناس ان فلسطين وطنهم او ملكهم، وكانوا يشعرون في قرارة نفسهم انهم طارئون ، وانهم محتلون ، وانهم ـ يوما ما ـ سيرحلون ، واما الصهيونية الباغية الفاجرة فانها اعتدت واحتلت وفجرت فزعمت ان الارض ارضها ، وان الوطن وطنها ، وان اصحابه الاصليين الشرعيين غرباء يجب ان يخرجوا وان يصبحوا لاجئين مشردين في مشارق الارض ومغاربها .

وقد عاون الصهيونية على ذلك العدوان الاثيم اولئك الذين اعطوا ما لا يملكون لمن لا يستحقون وهم الانجليز الذين ان يستطيع مر العصور والدهور ان يمحو ما فعلوه بالعرب والمسلمين ، ولذلك تستحق فلسطين اكبر عناية من الباحثين ، وليس بكثير عليها ـ بل من حقها ومن واجبنا نحوها ـ ان تتوالى الدراسات عن كل جوانب المأساة ، لعل ذلك يكون اسهاما في الشعور بعظم النكبة الذي يلزم ان يؤدي الى القيام بالواجب الجليل : واجب غسل العار ، والاخذ بالثأر ، وتحرير الدار ، واعادة الوطن السليب الى اهليه .

ولعل من توفيق الله سبحانه وتعالى ان يقوم الاستاذ صالح مسعود بويصير المجاهد العربي الليبي بالاسهام في هذا الواجب العلمي القومي بتقديم رسالته للماجستير عن « جهاد شعب فلسطين من سنة ١٩١٧ ـ الى سنة ١٩٤٨ م » لتفنيد الفرية الضخمة التي رددها اصحاب المآرب والمطالب وهي ان شعب فلسطين قد أهمل في واجبه نحو وطنه أو قصر في الدفاع عنه .

وفي مساء الخميس ١٧ اغسطس سنة ١٩٦٧ شهدت قاعة الامام محمد عبده بجامعة الازهر بالقاهرة جمعا ضخما من قادة العرب والمسلمين ، ومن علماء الازهر الشريف وشباب جامعته ورجال ليبيا والجمهورية العربية المتحدة وغيرهما من أقطار الوطن العربي ، وقد جاءوا ليشهدوا المناقشة العلنية لهذه الرسالة التي قدمها الاستاذ صالح مسعود بويصير للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب ـ وقامت الاذاعة اللاسلكية للجمهورية بتسجيل المناقشة لتنقلها الى الملايين في انحاء البلاد العربية وغيرها .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور عبد العزيز الشناوي المشرف على الرسالة واستاذ التاريخ الحديث بجامعة الازهر ، والدكتور محمد رفعت رمضان استاذ التاريخ بجامعةالقاهرة ، والدكتور ابراهيم شعوط استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الازهر . وبعد افتتاح المناقشة بذكر الدكتور المشرف للقرارات المتعلقة بالرسالة ذكر عن الاستاذ صالح مسعود انه احد قادة الرأي في ليبيا ، ذلك القطر العربي الشقيق الذي يحمل له الشعب المصري اصدق مشاعر الاخوة والمحبة، وربطتبين الشعبين روابط وثيقة منذ عصور موغلة في القدم ، وجاء الاسلام فعاش الشعبان في ظله الظليل يسودهما التعاطف الاخوي والتضامن العربي .

وكان مما قاله الدكتور الشناوي : ان الاستاذ صالح مسعود ابن بار من ابناء الازهر الشريف نشأ في رحاب الازهر الشريف ، وتخرج في كلية اللغة العربية ، وحصل على الشهادة العالية منها بدرجة « جيد جدا » ولم يقطع صلته بالازهر بعد تخرجه فواصل علاقته بأساتذته القدامى ، يكن لهم كل حب وتقدير ، وأعلم ان هؤلاء الاساتذة يبادلونه حبا بحب وتقديرا بتقدير .

ولقد آثر الاستاذ صالح مسعود الابتعاد عن المناصب السياسية ، وتفرغ لخدمة بلاده ، فعمل رئيسا لتحرير جريدة « برقة الجديدة » في بني غازي خلال سنوات الاعداد للاستقلال الليبي عقب الحرب العالمية الثانية ، ثم اسس مجلة الفجر الليبي ، وكان لهذه المجلة فضل الاسهام بقوة في توعية الجمهور الليبي لتظل شعلة الجهاد متقدة لا تخبو ، وبعد ان ظفرت ليبيا بالاستقلال اسس جريدة الدفاع الليبية ، فكانت صوتا حرا نزيها . ودخل مجلس النواب الليبي ، واختير وكيلا له عدة سنوات ، فكان أحد أقطاب المعارضة فيه .

والاستاذ صالح مسعود يمثل طرازا فريدا بين رجال السياسة والصحافة ، فالى جانب اشتغاله في ميدانين يستغرقان الوقت والنشاط والجهد والتفكير ، لم يغفل العلم ، لانه سلاح يتزود به المناضلون في الحقل السياسي والمجال الصحفي ، فعكف على الاستزادة منه ، يصيب منه ما شاء له نهمه العلمي ، وعكف على هذه الرسالة لا يهدف منها الى تحقيق كسب مادي ، او شغل منصب رسمي ، او نحو ذلك من مغانم قد تهفو اليها بعض النفوس ، وقد أتاه الله سعة في المال فاخضع هذه السعة لخدمة بحثه ، فشد رحاله الى لندن عدة مرات ، واطلع على وثائق مهمة تدور حول موضوعه في المتحف البريطاني وفي وزارة الخارجية البريطانية ، وصور هذه الوثائق والحقها برسالته . ثم تردد على بيروت مرات ، مستثبتا مكتبة الجامعة الاميركية فيها حيث تزخر بوثائق مهمة في موضوعه ، وصور منها دستور فلسطين الذي وضعه الانجليز لازهاق عروبة فلسطين وجعلها وطنا قوميا لليهود .

وصالح مسعود يغمره حماس دافق لابراز دور عرب فلسطين في قضية فلسطين ، وهو دور اهمله الباحثون او شوهوه ، حتى صارت الفكرة العالقة باذهان الكثيرين ان الشعب العربي الفلسطيني لم يقم بثورة هادرة عارمة كما فعلت الجزائر فأراد صالح مسعود ان يصحح هذه الفكرة الخاطئة بالشواهد والبراهين .

ومن الطريف ان مجاهدا فلسطينيا هو الاستاذ احمد صدقي الدجاني تقدم منذ سنتين برسالة ماجستير كان موضوعها « الحركة السنوسية في ليبيا » وتكلم فيها عن جهاد الشعب الليبي للحصول على حريته واستقلاله ، وكان صالح مسعود يريد ان يقيم الدليل على ان الامة العربية واحدة متجاوبة ، فهذا فلسطيني يكتب عن ليبيا ، وهذا ليبي يكتب عن فلسطين ، فكأن الحواجز المصطنعة التي صنعها الاستعمار لم تستطع ان تمزق الاواصر المؤلفة بين الشعوب العربية ، وفي مقدمتها اواصر الدين واللغة والفكر .

ومن المواقف الحميدة للاستاذ صالح مسعود انه قد تجاوب مع امته العربية عقب العدوان الصهيوني الاستعماري الاثيم على الارض العربية في يونيو سنة ١٩٦٧ ، فتبرع لصالح المجهود العربي الحربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعشرين الف دولار .

وبدأ الاستاذ صالح مسعود بعد تقديم المشرف له بما سبق يعرض رسالته ، وسرني منه انه لم يلجأ الى الطريقة التي يلجأ اليها اكثر الذين يتقدمون برسائل علمية للماجستير او الدكتوراه ، وهي طريقة اعداد العرض مكتوبا ، وتلاوته من اوراق ، فان هذه الطريقة لا احبها ولا استريح اليها ، لانها تظهر صاحبها بمظهر الحاكي او التالي لكلام مسطور امامه ليس غير ، وبذلك تضعف الرابطة العاطفية والتأثيرية بينه وبين مشاهديه وسامعيه ، مع ان المفروض ـ بل الواجب ان يكون ـ هو ان صاحب الرسالة ملم بها ، يعيش في موضوعها منذ عهد ملائم ، ويستحضر عناصرها ، ويستطيع ان يعبر عنها باسلوب سليم مبين .

لم يلجأ صاحب الرسالة الى هذه الطريقة ، بل اخذ يعرض رسالته مستعينا بنقاط بحث امامه ، ينظر اليها حينا وينصرف عنها الى ذاكرته احيانا ، وتدفق بيانه في هذا العرض ، فاخذ يتابع القضية الفلسطينية منذ بدايتها حتى حلت النكبة ، وكأنه لا يتحدث بكلمات مسموعة فحسب ، بل يعرض شريطا للاحداث ويعلق عليه بما يجليه ويحدده .

وقد حرص في بداية العرض على ان يذكر الدوافع التي حفزته الى اعداد هذا البحث ، فهو من ليبيا التي ذاقت المرارة القاسية من احتلال الطليان ، وهو يشعر بالوقع الاليم لهذا الاحتلال ، ولذلك يستطيع ان يقدر الظروف التي عاش فيها شعب فلسطين تحت وطأة الانتداب البريطاني وهو عربي مؤمن بان فلسطين جزء من وطنه ، لانه من المؤمنين بوحدة الامة العربية ذات الرسالة الاسلامية الخالدة، وهو معجب بالابطال من بلده الذين ذهبوا شهداء في سبيل الحرية والكرامة فمن الوطنية ايضا ان يكون معجبا بالابطال من مجاهدي فلسطين ، وهو اخيرا يضيق بالافتراء على شعب فلسطين ، وابناؤه هم اخوته واشقاؤه ، فلا يستطيع الصبر على التحريف والافتراء .

ومن خلال العرض المبسوط الممتد عرف السامعون ان فلسطين عرفت منذ عهد بعيد ، وعلى تعاقب مراحل التاريخ بانها القسم الجنوبي من بلاد الشام « سوريا ولبنان والاردن وفلسطين » وان العرب الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل الميلاد بالفين وخمسمائة سنة ، وظلوا يعمرونها ويحكمونها اكثر من الف وخمسمائة سنة ، حتى سميت حينا من الزمان باسم « ارض كنعان » وان اليهود احتلوا جزءا منها فترة من الزمان ، على حين بقي الكنعانيون محتفظين باجزاء عديدة من فلسطين ، وبعد حين تحطم احتلال اليهود ، وعادت فلسطين عربية ، واستقبلت هجرات العرب من الجزيرة وسوريا ولبنان ، وبعد ربع قرن من الزمان تقريبا من ظهور الاسلام ، فتح العرب فلسطين منقذين لها من ايدي الرومان الذين احتلوها حينا من الوقت ، وظلت فلسطين عربية اسلامية حتى نكبها الانكليز بالانتداب ثم التهويد .

وتبين الرسالة ان « صك الانتداب » قد وضعته في الحقيقة الصهيونية العالمية ، وان اليهودي الامريكي « بنيامين كوهين » كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية سنة ١٩٢٢ وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه ، ومع ذلك جاء الصك يحمل في ظاهره صورة المستند الصادر من جمعية الامم التي الزمت به بريطانيا ، كما لو كانت بعيدة عن وضعه ، ومجبرة على تنفيذه ولكن الايام اثبتت عكس ذلك تماما ، ولذلك كان من التبجيح الوقح ان يقول رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٣٠ « ان عصبة الامم هي التي وضعت صك الانتداب ، وان بريطانيا ملزمة بذلك » ويكفي للتدليل على توقح هذا التبجح ان نجد اريك راموند الانجليزي يقول حين كان في وظيفة السكرتير العام لعصبة الامم : « ان الجمعية لم تضع صك الانتداب ، بل ان الحكومة البريطانية هي التي وضعته بالتفاهم مع اليهود » ولا عجب فهي صاحبة وعد بلفور المشئوم الذي صدر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ والذي اعطى فيه من لا يملك لمن لا يستحق .

وتعرض الرسالة بعض نصوص هذا الصك الاثيم ، لتريك كيف نص فيه واضعوه على التكفل بانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، والاعتراف بهيئة يهودية تشير وتعاون في ادارة فلسطين ، وتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، وتسهيل حصول اليهود على المهاجرين الى فلسطين على الجنسية الفلسطينية ، وصبغ فلسطين بالصبغة اليهودية في كل شيء ، حتى يكون ذلك متمشيا مع كلمة تشرشل السياسي البريطاني الماكر « كا نمن الضروري ان يعلم الشعب اليهودي ان وجوده في فلسطين حق وليس منة » .

ومما يدل على النوايا المجرمة التي انتوتها بريطانيا منذ عهد بعيد نحو فلسطين وعرب فلسطين ان اللورد اللنبي القائد العام لجيوش الحلفاء قد اعلن ـ قبل ان يتقرر مصير فلسطين في مؤتمر الصلح وقبل ان يحدد المصير الذي ينتظر شعب فلسطين ـ انه قد وجه الدعوة الى اليهودي البريطاني السير هربرت صموئيل ليساعد على تسوية شئون فلسطين ، وفي يناير سنة ١٩٢٠ اعلن ذلك اليهودي انه ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومته لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وهكذا صار هذا اليهودي الانجليزي اول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين .

وتعرض علينا الرسالة فصلا رائعا عن دستور فلسطين الذي اصدرته انجلترا سنة ١٩٢٢ ، حيث يريك ان هذا الدستور قد نص على انه يجوز للمندوب السامي ان يقسم فلسطين الى اقسام ادارية او الوية ، وتناط به جميع الحقوق في الاراضي العمومية وكافة المناجم او المعادن ، وله ان يهب او يؤجر اي ارض عمومية ، وله ان يعزل اي شخص يشغل وظيفة عامة ، وله ان يعفو عن اي مجرم حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدرت حديثا رائعة الشاعر

فارس سعد

طوفان النور

ملحمة في اثني عشر نشيدا

●

منشورات عويدات ـ بيروت

ولو كان قد ادين من محكمة ، ويؤلف المندوب السامي مجلسا تشريعيا ، ولكن للمندوب السامي الحق في فض المجلس او حله ، وله الحق في ابقاء او الغاء اي قانون يصدره المجلس ، وله حق التغيير لتشكيل المحاكم الدينية وصلاحيتها ، وله حق اخراج من يشاء من فلسطين ، بل حق الغاء اي حكم من الاحكام الواردة في الدستور ، وان يضيف اليه ما يشاء .

وهكذا فليكن الطغيان الانجليزي ، ولتكن جريمة انجلترة في ايجاد مأساة فلسطين ، فمنذ استولت بريطانيا على فلسطين عام ١٩١٨ اخذت تعمل على تسليم فلسطين لليهود ، مما ادى الى انفجار الثورة العربية في فلسطين في ابريل سنة ١٩٢٠ ، ومع ذلك مضت بريطانيا عن طريق مندوبها السامي اليهودي البريطاني هربرت صموئيل في تهويد فلسطين ، ففتح ابواب المناصب لليهود على الرغم من قلة عددهم بالنسبة الى العرب الاكثرية الغالبة واصحاب البلاد ، حتى صارت مناصب اليهود اربعة اضعاف مناصب العرب ، وسلم ادارة المهاجرة الى مدير يهودي اسمه « هايمون » كما سلم ادارة التجارة ليهودي آخر ، ولم يبق ادارة الا راسها يهودي ، او ساعد مديرها الانجليزي شخص يهودي ، بحيث نستطيع ان نقول ان الدولة المنتدبة على فلسطين هي اليهود تساعدهم انجلترا .

وبين صاحب الرسالة كيف حارب العرب اليهود والانجليز معا ، واخذ عرب فلسطين الذي لا يجدون سلاحا ولا مناصرة يقاومون اليهود المدربين خلال سنوات طويلة وتساندهم بريطانيا بجيوشها وسلطانها واستمر هؤلاء العرب في ثورة مستمرة ، يفقدون الشهداء بعد الشهداء، ويصاب منهم الجرحى بعد الجرحى ، ومع ذلك قاوموا ببسالة وهددوا اليهود في كثير من المواقع والمواطن ، وكان عرب فلسطين يحاربون في جبهتين : جبهة مع الانجليز ، وجبهة مع اليهود ، وقامت معارك كثيرة بين العرب من جهة واليهود والانجليز من جهة اخرى في مدن الناصرة وطبرية ونابلس والمجدل ويافا وعكا وصفد والخليل وحيفا والقدس وغيرها من مدن فلسطين وقراها وطرقها وشوارعها ووديانها وسهولها وجبالها والمستعمرات اليهودية فيها .

ويقوم الباحث الاستاذ صالح مسعود بتتبع الصحف والمجلات والمؤلفات والمنشورات والوثائق لتنظم منها سلسلة مستطيلة ممتدة لجهاد شعب فلسطين ضد الصهيونية والانتداب ، ذلك الجهاد العربي الذي اشترك فيه الرجال والنساء ، والشيوخ والشباب ، والزراع والعلماء ، وكل طوائف الشعب العربي في فلسطين ، دون مبالاة بالموت او الاعدام او نسف الانجليز واليهود للقرى ، او الحرمان من الحقوق الفردية والجماعية .

ويصور لك ـ معتمدا على مختلف المصادر والمراجع ـ كيف طوقت بريطانيا بقواتها مدن فلسطين وقراها ، بحجة التفتيش عن السلاح وعن المشتركين من العرب في اعمال المقاومة للصهيونية والاحتلال وانزلت بريطانيا بالاهالي خلال عمليات التفتيش اقصى صنوف الارهاب والتعذيب والتنكيل ، فضربت الشيوخ والاطفال ، واعتدت على النساء ، واجهضت الحبالى ، واتلفت المئون واحرقت المزروعات ، واقتلعت الاشجار ، وقتلت الماشية ، ودمرت الاثاث والمقتنيات ، ونسفت البيوت والمنازل ، وفرضت على الاهالي غرامات مختلفة مرهقة .

وتتحدث الرسالة عن شهداء سقطوا من الفلسطينيين في حومة الدفاع عن ارض فلسطين ، امثال الشيخ عبد الحميد وفؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم واحمد حسن القوصي وحسن العريري ومحمود حسان وتتحدث عن الشيخ عز الدين القسام الذي كان داعية من دعاة الاسلام وبطلا من ابطاله ، واشترك في ثورة سورية ضد الفرنسيين ، ثم جاء الى حيفا واتخذ مقامه فيها وجعل يبث روح الجهاد والنضال خلال دروسه الدينية ، ويعلم قومه انه لا كرامة لمسلم يرضخ للاعداء او يعاملهم او يطمئن اليهم ، ومن وراء روح القسام النضالية بدأ المثلث العربي « جنين ، نابلس ، طولكرم » يشهد سيلا من الاغتيالات السرية للضباط الانجليز ونسف القطارات ، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني ، وقتل اي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالا مريبا .

وكانت هذه الاعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفي فترات متعاقبة بنظام وترتيب ، وسرت روح الجهاد بين الشعب ، فتتابع تنظيم التشكيلات السرية ، وزادت متاعب البريطانيين ، وكان الشيخ القسام رجلا مخلصا صادقا ، فربأ بنفسه عن ان يدعو الى الجهاد ولا يجاهد ، او يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، فخرج مجاهدا معهم حتى نال الشهادة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٥ مع فريق منهم ، ورثاه فؤاد الخطيب ، فقال فيه :

اولت عمامتك العمائم كلها ... شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة ... غير الزعامة والطريق امان
ما كنت احسب قبل شخصك انه ... في بردتيه يضمها انسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة ... في الخلد لا عنت ولا احزان
شهداء بدر والبقيع تهللت ... فرحا ، وهش مرحبا رضوان

وتبين الرسالة كيف تابعت امريكا بريطانيا ، فاشتركت معها في الجريمة النكراء التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا ،حيث احتضنت امريكا الصهيونية ، فقد وافق الرئيس الامريكي ويلسون على تصريح بلفور ، وقال في بيان له : « انني مقتنع بان امم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبنا قد اتفقت على انه سترسى في فلسطين اسس كومنولث يهودي » .

وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٢ وقع الرئيس الامريكي « هارون » على قرار الكونجرس الامريكي الذي ينص على تهويد فلسطين ، وفي العام نفسه اعلن اليهود في امريكا انهم سيجمعون ثمانية عشر مليون دولار لجمعيات الوطن القومي في فلسطين ، وقامت مؤتمرات صهيونية عالمية في امريكا ، وفي اثناء المعركة الانتخابية سنة ١٩٤٤ التي كانت بين روزفلت وجون ديوي على كرسي الرئاسة تسابقا في تاييد القرار اليهودي لانشاء دولة يهودية في فلسطين ، وطالب رجال الدين في امريكا بفتح ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصارعها ، بل المدهش المذهل ان روزفلت فاوض الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٤٥ على اقامة مستعمرات يهودية في ضواحي المدينة المنورة اقاء عشرات الالاف من الجنيهات الذهب ولكن الملك رفض ذلك .

وحينما التقى وايزمان الزعيم اليهودي بالمستر ترومان رئيس الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧ طلب وايزمان راجيا من الرئيس الامريكي ان يدخل تعديلا في مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فيجعل تقسيم منطقة « النقب » طوليا بدل تقسيمه عرضيا ، فما كان من ترومان الا ان اصدر امره للوفد الامريكي بان يجعل منطقة النقب كلها من نصيب اليهود .

ومن هذا يتضح ان سياسة امريكا كلها كانت تعمل على طرد العرب من فلسطين ، واحلال اليهود محلهم .

ويحدثك الاستاذ صالح مسعود عن الثورات التي توالت من شعب فلسطين ، وكيف ازدادت ضراوة سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، ثم يحدثك عن جهاد الفلسطينيين عام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، وعن معركة القسطل ومعركة يافا ومعركة حيفا ومعركة عكا ، وكيف تألفت مجموعات المجاهدين الفلسطينيين ، فهذا هو الجهاد المقدس الذي يقوده عبد القادر الحسيني ، وهذا هو فريق حراس الحرم الشريف الذي يقوده عبد الحميد المدني ، وهذا هو فريق شباب القدس ويقوده بهجت ابو غربية ومحمد عادل النجار ، وهذا فريق اهل الخليل ويقوده عبد الحليم الشلف ، وهذا هو فريق قرى الوادية ويقوده رشيد عريقات ،

وهذا فريق جيش الانقاذ ويقوده جمال رشيد ، وغيرهم وغيرهم مما ذكرهم بتفصيل .

ومن اروع ما سجله الباحث في رسالته تصويره لبطولة المجاهد العربي الفلسطيني الشهيد عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل، ويعقد مقارنة مؤثرة بين استشهاد عبد القادر الحسيني واستشهاد موسى بن ابي الفسان ، ذلك انه ـ كما يقول الباحث ـ حينما اجتمع الزعماء في بهو الحمراء الكبير بغرناطة الاندلس ، ليوقعوا عهد التسليم لفرديناند وازابيلا ملك الاسبان وملكتهم ، وليحكموا على دولتهم بالذهاب ، وعلى امتهم بالفناء والمحو ، لبث موسى بن ابي الفسان وحده صامتا عابسا وقال « اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، واني لارى روح الشعب قد خبت حتى ليستحيل علينا ان ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، وانتقاما لمصائب غرناطة ، وسوف تحتضن امنا الغبراء ابناءها احرارا من اغلال السفاح وعسفه ، ولئن لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته ، انه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا الله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .

وصمت موسى ، وساد المجتمعين سكون الموت ، وسرح الخليفة ابو عبدالله البصر ، فاذا اليأس ماثل في تلك الوجوه التي اضناها الالم ، عندئذ صاح : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله ، انا لله ، لقد كتب على ان اكون شقيا ، وان يذهب الملك على يدي » .

وعندما رأى موسى ان الجماعة قد اخذت فعلا في توقيع صك التسليم ، نهض غاضبا وصاح : « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سيوفون بعهدهم ، ان الموت اقل ما نخشى ، فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدها ، وتخريب بيوتنا ، وهناك نساؤنا وبناتنا ، وامامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والاغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمجارف ، هذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الموت ، اما انا فوالله لن ارضى ولن اسلم » .

وغادر المجلس وذهب الى داره فتدجج بكل سلاحه من راسه الى قدمه ، واندفع يقاتل ويصارع اعداءه ببسالة وبطولة حتى لحق بربه .

ويقارن صاحب الرسالة بين مجلس غرناطة وبين موقف عبد القادر الحسيني مع الذين ذهب اليهم يطلب منهم السلاح ليجاهد به مع رفاقه في انقاذ فلسطين ، فابوا ان يعطوه السلاح ، فصرخ في وجوههم قائلا : « سيكتب التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، اما انا فساحتل القسطل وسأموت في سبيل الله » وهكذا احتل عبدالقادر الحسيني القسطل ولكنه نال الشهادة فيها .

وقد ابان الاستاذ صالح مسعود ان الشعب الفلسطيني لم يكن سلبيا حين رفض العروض البريطانية الاثيمة التي عرضت عليه، واقام على ذلك الشواهد والدلائل ، واكد ان الشعب الفلسطيني لو قبل ما عرضته بريطانيا لكان معنى هذا ان يكتب الشعب الفلسطيني على نفسه بنفسه تسليم فلسطين الى اعدائه وحاشاه .

ثم تكلم عن قضية الارض وكيف تمسك شعب فلسطين بارضه رغم جود القوانين واللوائح واثقال اوامر المندوب السامي ، وقدم احصائية مستندية ان اليهود لا يملكون من ارض فلسطين ملكا شرعيا الا جزءا ضئيلا لا يؤلف حيا صغيرا في مدينة كبرى ، واثبت صورا من اوامر المندوب السامي لسلب الارض ، كما اثبت قوانين غريبة قائلا انها لا يمكن ان تكون قد اعلنت في غير فلسطين ومنها « ما يبيح للمندوب السامي عدم التقيد بالعدل والمساواة والتشريع العام الا حيث تسمح بذلك الظروف » .

وتحدث ايضا عن الهجرة الفلسطينية وذكر مسوغاتها وقارن بينها وبين هجرات عديدة شهدها التاريخ القديم والحديث .

ثم تعرض الباحث لانحراف البعض من الفلسطينيين ممن لم يكونوا اوفياء لوطنهم ، او ممن تهاونوا في اداء واجباتهم ولكنه اوضح ان انحراف القلة لا يشين الشعوب ولا يطعن الامم ، وضرب الامثلة على ذلك .

ولقد كان الاستاذ صالح مسعود خلال المناقشة متمكنا من موضوعه ، يدلي بمعلوماته الغزيرة عن قضية فلسطين بنواحيها المختلفة ، في بديهة حاضرة ، وبيان قويم ، وادب جم ، وتواضع ملحوظ ، مع اعتزاز بالرأي ودفاع عن الفكرة ، واجاب اجابات رشيدة عن مختلف الاسئلة والاستفسارات التي ابديت سواء أكانت في صميم الموضوع او خارجه ، وحينما احس ان عبارة قد وردت على لسان احد الذين ناقشوه من الهيئة الجامعية تضمنت شيئا من التعريض برأيه في احد الاشخاص ، غضب غضبة ليبية حتى اضطر قائلها الى الاعتذار عنها ..

وبعد اكثر من اربع ساعات صدر قرار لجنة المناقشة وهو منح الاستاذ صالح مسعود بويصير شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر بدرجة « ممتاز » وابدى رئيس اللجنة اسفه لان درجات الماجستير لا يوجد في نظامها « مرتبة الشرف الاولى » وقال ان هذه الدرجة لو كانت موجودة لاستحقها صاحب الرسالة ولاعطيت له ، لان الرسالة مشرفة وهي فخر لجامعة الازهر .

وفي رأيي انه يجب التعجيل بطبع هذه الرسالة الممتازة بوثائقها ، حتى تكون اسهاما فكريا في مناصرة قضية فلسطين التي يتوقف على الفصل فيها مصير الامة العربية .

القاهرة

احمد الشرباصي

صدر حديثاً

المصطلح

معجم انجليزي عربي

للمفردات العلمية والفنية

حسن السمان

دار صادر — دار بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

كيف ينقدون الكتب؟

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل ان تفتح الصحف والمجلات ابوابها لنقد الكتب او تقريظها ، او بعبارة دقيقة قبل ان تنشأ المطبعة وتعم ثمارها الطيبة جمهرة القراء ، كان النقد في اكثر احواله وقفا على المتخصصين ، فاذا ظهر مؤلف يستدعي النقد تصدى له ناقد في مثل مكانة المؤلف ان لم يزد ، واصدر كتابا مفصلا خاصا بوجهة نظره ، لذلك ترى تراثنا الادبي يضم فيما يضم كتبا نقدية افردت لنقد كتب معاصرة لها او سابقة عليها تصدى لها الناقدون بالبحث والتمحيص ! وطبيعي ان الذي يهتم بنقد كتاب علمي او ادبي في كتاب خاص يجد لديه ما يقول! بل ان الذين يتعرضون من السابقين للنقد الجزئي في مؤلفاتهم الموسوعية يصدرون في اكثر امورهم عن اصالة وعمق وان جرهم الحفاظ الى بعض القسوة المتطرفة كما نشهد في موسوعة الضوء اللامع للسخاوي مثلا ! فالنقد القديم في اكثر امره موضوعي دسم اذ يقوم به المتخصصون عن جدارة واهتمام

ولكن انتشار الصحف والمجلات دفع اصحابها اليوم الى تخصيص باب للكتب الجديدة يتحدث كاتبه عما يراه في المؤلفات المعاصرة عارضا او ناقدا ، مجيدا او مفندا وذلك با بمفيد يرشد القراء الى ما تنتجه المطابع من ثمار ، وتعظم فائدته اذا نهض بتحريره ناقد متمكن يوازي المؤلف في تمكنه وتضلعه ان لم يزد عنه تمكنا واستيعابا حتى يستطيع ان يبرز محاسن الكتاب او يحدد اماكن الضعف فيه عن حيدة واخلاص ! وقد راينا من اعلام النقد في ادبنا المعاصر من شقوا طريقهم الادبي في مضمار الصحافة نابهين . اذ يفيئون الى ثقافة واعية . وبصر ناقد واستشفاف ماهر ! ولكننا راينا مع ذلك كثرة كثيرة من ادعياء النقد في شتى الصحف يومية واسبوعية وشهرية . يزعمون لانفسهم حق الحديث عن المؤلفات الجديدة ، ويحتفظ كل كاتب منهم لنفسه بلقب الناقد ، يدعيه في اعتداد وثقة . ثم يدفعه ذلك الى التطاول على كل مؤلف يقع في يده دون تحديد ، فمرة يتحدث عن كتاب ادبي ، ومرة يتحدث عن كتاب علمي في الفلسفة او الاقتصاد او القانون او الطب ! وكان صاحبنا قد جمع اشتات المعارف في عصره ، فلا يغادر كبيرة او صغيرة الا خب فيها ووضع !

والذي يقدر قيمة النقد يهوله ان يحدث ذلك ويستعظمه ، وربما عد ذلك بادىء ذي بدء معجزة خارقة تتاح لعبقري من عباقرة البيان اوتي ادراكا محيطا جعله قواما على فروع المعرفة في عصره ، ولكن الذي يحدث — للاسف — غير ذلك تماما ! فالناقد من هؤلاء الادعياء يلتزم خطة سطحية لا يحيد عنها رغم سأمها وتكرارها ! هي خطة سطحية تتفرع الى طريقين طريق يتبعه اذا حاول ان يمدح وطريق آخر يسنه اذا حاول ان يقدح ! والمدح هنا والقدح كذلك ليسا نتيجة دراسة او الم ، ولكنهما تكيف ذاتي تحدوه مشاعر الكاتب واحاسيسه الخاصة فاذا حاول التملق الى كاتب كبير ، او الاستفادة من جاهه الواسع فالمدح واجب مفروض ، واذا حاول التحرش بكاتب آخر بدا له ان يتحرش به دون سبب موضوعي ، فالقدح واجب مفروض ايضا ، وكلا الطريقين — على طريقته الخاصة — سهل ميسور .

لقد تعودت ان اطالع ما يكتب هؤلاء ! وكم حاولت ان اثني نفسي فما استطعت اذ لا بد ان الم بباب الكتب الجديدة في الصحف والمجلات ، جل او هان ، وبذلك استطعت ان افهم طريقة هؤلاء الناقدين — حفظهم الله — في معالجة ابوابهم الدسمة ، فعرفت كيف يمدحون او يقدحون . وفق منهج امي ضحل يكتفي بقراءة مقدمة الكتاب المنقود في اول صحيفة منه ثم بقراءة الفهرس في آخر صحيفة منه كذلك ، وما بين المقدمة والفهرس لا يقرا اذا أحسنا الظن بالسيد الناقد ! او يقرا ولا يفهم اذا اردنا ان نعترف بالحق صراحة .

اما تفصيل هذا المنهج الامي اذا سلك سبيل المدح فانه يبدا باسطر معدودة عن موضوع الكتاب تليها اسطر معدودة عن مؤلفه ثم بسرد معوج لابواب فصوله كما استشفها الناقد من الفهرس وحده مضيفا اليه ما يوحي من العنوان من خواطر تنأى في كثير من احوالها عما يهدف

اليه الكتاب ! على هذا السرد السطحي الممجوج يقوم المقال وبه يتسنم الناقد الكبير عرشه حتى اذا فرغ منه لجأ الى التشبث بكلمة لغوية وقع في عثرتها الكاتب دون ان يعتصم بالقاموس او باللسان !

وتطبيقا لهذا المنهج اقدم ما يتعذر ان يكتبه احد هؤلاء الامائل عن كتاب كعبقرية عمر للعقاد مثلا لاعطي للقارىء نموذجا قريبا من تقدهم البارع فيه ما يلذ ويشوق كان يقول احدهم ـ مثلا ـ وهو يقتعد منصة النقد الحديث !!

« عمر بن الخطاب شخصية فذة في التاريخ . قل ان تصادف مثلها فيما تعرف من عظماء الدول وقادة الشعوب ، ففي عهده ازدهر الاسلام وامتد الى مساحات بعيدة من الارض اذ اشرق نوره على الآفاق بقيادة هذا البطل الملهم الذي قاد السفينة في امواج مضطربة حتى حملت النور الى اصقاع داجية فازاحت الظلمات ، وطبيعي ان يكثر الحديث عن الفاروق في كل عصر وجيل ، وقد ظهرت في المكتبة الحديثة عدة مؤلفات تتحدث عن عمر ، ولعل آخرها كتاب العقاد عنه ، والاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، علم من اعلام الادب في مصر فهو كاتب سياسي تسقط مقالاته الافتتاحية في امهات الصحف رؤساء الوزارات ، وهو شاعر كبير حمل لواء التجديد في الشعر مع عبد الرحمن شكري وابراهيم المازني حتى اوجد مدرسة شعرية ذات طابع خاص . وهو ناقد ادبي خطير سن مبادىء جديدة في دنيا الادب واسقط قممها عالية كشوقي والمنفلوطي والرافعي والاب انستاس ! ثم هو مؤرخ كبير تحدث عن اعلام التاريخ بقوة وعمق ! وكتابه اليوم عن عبقرية عمر من سلسلة ابحاثه التاريخية القيمة بداه بفصل يتحدث عن عمر العبقري فذكر علامات العبقرية في الرجل ساردا من صفات عمر النفسية والعقلية ما يدل على هذه الصفة البارزة لديه ، واستشهد باقوال مهمة لرسول الله ولابي بكر في الفاروق متخذا من اعماله الشخصية ما يوضح ذلك وفي الفصل الثاني تحدث عن امتياز عمر وكيف خلع عليه الامتياز هيبة جليلة بين معاصريه مستشهدا باقوال عائشة عنه وكم لها عنه من حديث ثم شفع ذلك بكلام عن العبقرية للعالم الايطالي لومبروزو ، اما الفصل الثالث فيتحدث عن صفات عمر التي حباها الله اياه من القوة والعدل والرحمة والاستقامة والايمان وهي صفات نعرفها لدى الفاروق وقد فطن العقاد الى شواهدها المأثورة فأوضحها في عمق ودقة ثم تحدث في فصل تال عن مفتاح شخصيته الخلقية فجلى العقاد وبرز في هذا الباب اذ ان الكاتب قد تعود ان يعرف دقائق كل من يتحدث عنهم معرفة وافية ، وبذلك يهتدي الى السر في عظمة المتحدث عنه اهتداء يتعذر على غيره ممن يطيلون الكلام في غير طائل ، ثم جاء حديث العقاد عن اسلام عمر فذكر الناقد قصته مع اخته حين اسلمت دون مشورته ووصف غضبته وامتشاقه السيف وذهابه الى بيتها غانيا مؤثرا الانتقام الباتر والعقاب الرادع حتى اذا استمع الى بعض آيات القرآن نزلت السكينة على قلبه فاطمان الى الاسلام » .

ثم يفصل صاحبنا هذه الحادثة في اسهاب ممل كأنها مما يغيب عن عقول تلاميذ الصف الاول من المرحلة الابتدائية وهي وجدها تحتل اكثر من نصف المقال ، وما اريد ان اتبعه في تفصيل هذه الواقعة فاجعل القراء يضيقون بمقالي ساخطين ، ولكني اشير الى ان هذا الصنف من النقاد لا يتورع ان يأخذ مسامعك بالرعود مجلجلا في غير ميدان ليقول لك ما لا يخرج عن الحقائق البدهية من امثال السماء فوقنا والارض تحتنا ! وما الاسراف في سرد قصة اسلام عمر وامثالها لديهم إلا صورة ناطقة بالخواء والغفلة وكثافة الاحساس بل جموده احيانا !

ويلتزم الناقد اللامع مذهبه فيتابع الحديث عن فصول عمر والدولة الاسلامية وعمر والحكومة العصرية وعمر والنبي وعمر والصحابة وثقافة عمر وعمر في بيته ، وصورة مجملة ! ولكن اي حديث يتابع ! انه حديث العنوان وما يوحي به ، وكتاب مثل عبقرية عمر للعقاد لا تغني معرفة عناوين ابوابه شيئا ، اذ ان الكاتب الكبير يلج الى مسارب لا يدركها غير من كان في مثل تفكيره وابداعه ، ولكن اخواننا النقاد ممن نتحدث عنهم يظنون انهم قد احاطوا علما بكل شيء وان الحديث عن الفاروق لا يتطلب جديدا من العقاد فيكتبون من الذاكرة وكأنهم الوا سلفا بما ذكر الكاتب الكبير !

فاذا فرغ الناقد من متابعة فصول الكتاب ! قال ان مما لاحظه على المؤلف استعمال نحو كلمة السداجة دون البساطة ! كما كرر كلمة ساهم واولى منها كلمة اسهم ، ثم وقع المقال بامضائه كاثر هام ينشر في جريدة سيارة لناقدها الادبي الكبير !

هذه صورة متخيلة لما يكتبه اذا سلك سبيل المدح ! ولا بد ان نشفعها بصورة متخيلة اخرى لما يكتبه اذا سلك سبيل القدح ، وسيظن القارىء لاول وهلة ان كلا السبيلين مختلف في تقدير الناقد لبعد ما بين القدح والمدح من مسافات ! ولكن الغريب حقا ان كلا السبيلين متفق تمام الاتفاق ، وذلك وحده مكمن العبقرية لدى الناقد الحصيف . فهو اذا اراد ان يتحدث عن عبقرية عمر قادحا لا مادحا ، بدأ بمقدمة عن عمر لا تختلف عن المقدمة السابقة ! وذلك مقبول، فاذا انتقل الى الحديث عن المؤلف طواه في عجلة ليلج الى ابواب الكتاب فيستعرضها ـ في مجال القدح ـ كما استعرضها في مجال المدح تماما ! ولكنه ذكي نبيه فهو يشفع كل باب بانه معروف لم يأت بجديد ، او انه قد طال في غير موجب ، فاذا انتقل الى فصل آخر قال انه مبتور لم يستوف حق

الكلام ! هكذا هكذا !! دون ايضاح لما اغفل الكاتب ان حكمنا على فعله بالبتر ولما اغفل فيه ان حكمنا على فصله بالاطالة! ثم التمحك في الممتلكات العمومية نحو اغفال بعض المصادر والطبع على ورق غير مناسب والغلو في ثمن الكتاب ! ولا بد من المحافظة بعد ذلك على ماخذ لغوي او مأخذين ! ثم يوقع المقال معتقدا انه فجر قنبلة الموسم وانه اسقط الكتاب فلا نهوض !

هذا ضرب من النقد قد ذاع وفاش في انهار الصحف وابواب المجلات . وكان من الاجدر أن نغضي عنه لان من القراء كثيرين من الاذكياء الذين يضحكون باخرين لتفاهة ما يقرءون ! ولكن الخطر كل الخطر . ليس في ذلك ، بل في نفسيات هؤلاء الناقدين (الكرام) حين يغش احدهم نفسه فيرى انه ناقد من طراز سانت بيف او طه حسين على الاقل ! ومما يجسم له هذا الوهم ما يقع فيه ادباؤنا الكبار حقا من ضعف مشين ! اذ ما يكاد الناقد يتعرض بالحديث عن كتاب لاديب شهير او قصصي كبير حتى يتلقى خطابات الشكر المسهب يعرضها على اصدقائه كأوسمة لامعة تشير الى مكانته لدى زعماء الادب في الامة ! ويا لله من دخائل بعض النفوس لامعة او خاملة ! فانت تسأل حنقا مغضبا عن كاتب ضليع ترضيه هذه التفاهة في عرض مؤلفه ، فيشكر بالتليفون ثم يكتب بالبريد ! ثم يبعث بعدها مؤلفات له كهدية متواضعة للناقد الخطير ، تأكيدا للود ، وتوطيدا لعلائق الصداقة ! هذا الاتجاه المريض من ادبائنا الكبار هو مكمن الخطر في تدعيم هذه التفاهات ومبعث ما نراه من ادعاء وتطاول ، والناقد المسكين في تفكيره الضحل ، وهزائه الفث معذور حين يظن نفسه شيئا كبيرا ! اليس فلان وفلان وفلان من زعماء الادب في الامة يحرصون على وده ويهدونه كتبهم ، ويرسلون اليه بطاقات التهنئة في شتى المناسبات ثم يسألونه معاودة الحديث !

كل ذلك التكالب — واهون منه — قد دفع باصحابنا الادعياء الى جمع ما يعتقدون انه مقالات نقدية في كتب خاصة بالنقد ! فصرت ترى احدهم يصدر كتابا يختار له عنوانا جاذبا مثل « في الميزان » « تحت المبضع » « اضواء ناقدة » « على الصراط » ويزفه هدية لعشاق النقد في الادب العربي ! وما هو غير هذه الامشاج المختلطة من معسول الراي وتافه العرض ! يالله ! لقد كنا نعد المقال الواحد عورة سيئة في صحيفة سيارة فاذا به فصل راسخ من فصول كتاب ! واذا روعة الطبع ، واناقته وجودة الورق وتصاعته ، و براعة الريشة المصورة على غلاف الكتاب ، اذا بذلك وحده كل ما يروق القارىء الحصيف ! واذا الناقد المؤلف يوالي النقد في صحيفته متهيئا الى اصدار كتاب نقدي جديد !

لقد استهدت في صدر هذا المقال بنموذج مخيلته لما يتصور ان يكتبه احد هؤلاء عن تيقرية عمر لعقاد ! وقد اخترت كتابا للاستاذ العقاد بالذات لاشير الى حادثة يعرفها كثير ممن كانوا يرتادون ندوة هذا العملاق الكبير ! فقد كتب احد هؤلاء الاغرار عرضا لكتاب « يسألونك » في صحيفة سيارة ثم ارسله بالبريد المسجل للكاتب الكبير واخذ يتوقع ان يدق الهاتف في مكتبه سريعا بادارة الجريدة ليتلقى عبارات الشكر من المؤلف كما اعتاد ان يتلقاها ممن يتمتعون بشهرة العقاد دون خلقه وادبه وسلوكه !ولكن الساعات تمضي ، وكذلك الايام دون ان يتحدث العقاد . فما جاء يوم الجمعة الخاص بندوة العقاد حتى اسرع المسكين للقاء الرجل مع تلاميذه ومرتاديه ! وقد تخيل ان مجرد النطق باسمه سينهض العقاد من مكانه ليحيي الناقد الفذ ، معتذرا اليه عن التاخير . ولكن الناقد المغرور يدخل ويقدم نفسه للرجل فلايقابل بغير ما يقابل به كل مرتاد للندوة ! فيجلس على مضض ، ويظن ان العقاد سيقطع حديثه ليتجه بالشكر اليه وتمضي اللحظات دون شيء ، فيضيق صاحبنا بموقفه ويسأل في غير مناسبة : هل قرأ الاستاذ نقدي لكتاب « يسألونك » ولكن العقاد يقهقه ملء فمه ويقول هو انت ! الله يجزيك يا شيخ ! انت مالك ومال « يسألونك » يا ابني !!

فيشهر الناقد ويشعر بحرجه في الندوة فيلتقط انفاسه ويسأل وماذا فيما كتبت يا سيدي ! فيقول العقاد: انت لم تقرأ الكتاب يا بني ، فاقرأ ثم تعلم ، ولا تكتب شيئا الآن !

وتتلاقى النظرات ! ويسيل العرق على بعض الوجوه ثم يقفز صاحبنا مستاذنا في عجلة واضطراب !

هذه نادرة نعرفها للعقاد ! ثم تسأل بعدها متحسرين كم في ادبائنا الكبار مثل استاذنا العقاد ؟ واذا كنت لا استطيع ان اغفل موقفا لي يناسب هذا الموضوع ، فانني اذكر ان احد هؤلاء ظنني اهلا للخير فتعطف علي باهداء كتابه النقدي ، وطلب مني ان اضع (تعريفا) مناسبا له اجره المادي ، لينشر في صحيفته اليومية ! وظن تلك يدا كريمة يتفضل باهدائها الي ، فغاظني ذلك حتى احتقني ثم رايت ان اعابثه فأثرت منهجه النقدي اذ ابتدات بكتابة كلمة ركيكة تتضمن التعريف بعنوان الكتاب ثم بعناوين ابوابه فقط وختمتها بتصيد كلمتين لغويتين ، ولكني لم التزم بخطوات منهجه اذ اهملت الحديث عن المؤلف الكبير !! وتقدمت بما كتبت اليه فهز راسه وهو يقول في غيظ — انت يا عم من مدرستي ! مبروك فلم اتمالك ان قلت ! مدرستك ! العفو يا سيدي !

الفيوم — دار المعلمات

محمد رجب البيومي

نظير زيتون

القيت في ذكرى الاربعين في مدينة حمص في اول ايلول ١٩٦٧
للفقيد الادب الكبير المرحوم نظير زيتون

ايها الراحل الحبيب الينا ... كنت في الامس بيرقا في يدينا
عهدنا والزمان انك باق ... ما بقينا فكيف جرت علينا
اترى هزك الحنين الى من ... راح من صحبنا . فازمعت بينا
تاركا خلفك الاسى لمحبيك ... وذكرى كالريح تعصف فينا
واحنيني الى ليال من العمر ... تقضت . من صفوها ما روينا
يوم كنا على منابر (سان بولو) ... هزاريين نبدع التلحينا
ببيان يذوب كالسحر في الاسماع ... او في الطروس من اصغرينا
نتهادى على اللآلىء من نظم ... ونثر فنرقص السامبينا
نتبارى الى الدفاع عن الحق ... ونمضي لا نحفل الشائنينا
صور للنضال تشمخ بالمجد ... شموخ الشباب في بردتينا

يا لشوقي الى ازاهر ايام ... جناها الزمان من روضتينا
يا لشجوي على رفيق اغتراب ... وزفير من صفوة المنشئينا
وصديق كزنبق الحقل طهرا ... واريجا يعطر العابرينا
ادب مزهر تنيه به الفصحى ... وتزهو مباسما وعيونا
خلق من سماحة الله فيه ... نفحة تشرك الحسود خدينا

ما لحزني يزيد ان ذكروا (نصرا) ... و (حسني) وما لدمعي هتونا (١)
ما لقلبي وفيه من ضور الا ... ثنين وجهان لا يغيبان حينا
يشهد الله كلما رف طيف ... منهما في الكرى هتفت حنينا
اي معنى من عالم الوحي ... والالهام لم ينسجاه شعرا رصينا
اي موج على شواطىء بحر ... اللهو .. لم يصطفق على ضفتينا
ذاك عهد للطيبات وان ولى ... فقد بلغت الخلود الينا ؟
ذكريات في النفس تلهب احلامي ... وتسفي على الفؤاد شجونا

قل لحمص اذا نزلت بحمص ... وهي ام البلابل النازحينا
صرت من فرط ما سقتك الليالي ... من خوابي الاسى من المدمنينا
نحن صنوان في الرزيئة يا ... حمص كلانا ينهنه التابينا
ان كاسا سقاك منها (نظير) ... قد سقانا : فاجرقت شفتينا

لو درت امة المفاوير سوريا ... وقد كان سيفها المسنونا
من هو الباسل المناضل عن امجاد ... ابناء قومه الثائرينا
من تحدى المستعمرين بعزم ... ويراع كم حطم المفترينا
لمشت تنشر النجوم زهورا ... فوق من زين التراب دفينا

(١) نصر سمعان ـ وحسني غراب هما من كبار شعراء حمص في البرازيل رحمهما الله

جبيل ـ لبنان

شكر الله الجر



نظير زيتون

ظاهرة السجع في اسلوب نظير زيتون

بقلم ممدوح السكاف

* * *

السمة الواضحة ، والعلامة المميزة في شخصية نظير زيتون ، وفي ادبه هي الطموح للاسمى والانقى والاجود ... فتى في الرابعة عشرة من عمره يهجر مدينته حمص مع مواكب المهاجرين الى امريكا الجنوبية، لا عن ضيق في الرزق او قلة في الموارد المالية فاهله من الميسورين المنعمين ، بل رغبة في الكشف والتبصر والسياحة البدنية والعقلية ، وانسياقا مع حلم هذه الارتال الكثيفة في حياة لها طعم جديد ، ونكهة جديدة في ارض جديدة .

ويصل الفتى الى القارة البكر ، وفي عقله الطفل احلام وتصورات براقة بالغنى الوفير ، يأتيه من عرق جبينه وكده وكفاحه ، وبالشهرة الذائعة يسهر من اجل بزوغها وانطلاقها الليالي ، ويشقى النهارات . وعكف لدى حلوله في « سان باولو » على التجارة الصغيرة كسائر المهاجرين ، وتقلب في اطوار شتى ، ومراحل متعددة اكثر من عشر سنوات ، وانتهت ـ على حد قوله ـ بانه رجل لا يصلح للتجارة التي غازلها على غير وصل ، فانقلب الى الصحافة والادب ، يحقق في ميدانهما طموحه الذي اخفق في العمل التجاري ، ونما وترسخت قدمه في محراب الحرف ، والكلمة والصورة .

وطموح الشباب لا يحد ، لانه جذوة متقدة ، واحساس طماح بالرفعة والعلو ، واستمرار شهي للمغامرة والانعتاق . وهكذا اقبل نظير زيتون وهو في غمرة نشاطه وقوته واندفاعه الشاب يعمل في الصحافة وفي الادب وفي الترجمة وفي الخطابة يعطيها جميعا من ذات نفسه ، ويخلص في خدمتها اخلاص الصوفي في عبادة ربه ، ويبعد عن قداستها الطفيليين والمدعين ، ويروض قلمه على الانسجام المتناسق مع صفات وخصائص كل منها ، حتى يوفيها حقها منفردة ومجموعة ، على الصعيد الخاص ، وعلى الصعيد العام .

ولكن ... كيف كان اسلوب نظير زيتون في جماع ما دبج وخطب وترجم ؟ ...

ومعروف ان الفقيد كان في مقدمة اعضاء العصبة الاندلسية العاملين في المهجر الجنوبي ، وهذه العصبة كانت قاعدة انطلاق وابداع ، ومركز اشعاع وتحرر من الرواسب . نعم انها محافظة من حيث التقيد بقواعد اللغة العربية ، ولكنها غير محافظة من حيث الانعتاق الفكري ، والادبي ، وانما هي مجددة تجديدا بناء فللعقل عند اعضائها مكانته العليا وحرمته فلا يمتهن ولا يشك بقدرته ، وللخيال الوثاب المعتدل ، دوره واصالته في العمل الادبي دون تجنيح غائم معيب ، وللديباجة العربية الصافية قدرتها على التعبير الواضح الجميل .

وقد كان اسلوب نظير زيتون في جميع ما انشا وصاغ يقبس من هذه الصفات ، ويسير على هديها ويتقيد باصولها ، فهو اسلوب تتاخى فيه الرصانة والسلاسة في وحدة متناغمة ، مع دقة متناهية في استعمال الالفاظ وانزالها في اماكنها واحيانا لامات منها واتدثر ، شرط ملاءمته لعنصر التجديد ، وانسجامه مع معطيات التفكير والثقافة في العصر الحديث ، وهو اسلوب يجري هونا في غير عناد ومماحكة وتعمل ، ومتكاء الاول ، اصول مكينة من علوم اللغة ، واشراق زاهر في التعبير والتصوير ، مع تلوين مقلي ، وحجة متينة ، واعتماد كبير على الجدل والمناقشة والتحليل والمقارنة ، تسربت اليه ، بلا شك ، عن طريق التفكير والمنهج الخطابي (١) . وانت واجد في طريقته الكتابية، اسلابا فكرية ، من القديم والحديث تدل على اتساع ثقافته وتنوعها ، فقد تاثر من الناحية البيانية ، والبلاغية بالجاحظ والتوحيدي والاصفهاني وابن القفع ، وكان للقرآن الكريم والحديث الشريف ، ونهج البلاغة اكبر الاثر في نفسه اسلوبا وفكرا ، كما تاثر في بعده حياته الادبية بالريحاني ونعيمة والعقاد من المحدثين . (٢)

وقد وصف اسلوبه مرة فقال : « اما اسلوبي فمتطور ، لا آخذ بالقديم على علاته وهو الى البداوة اقرب منه الى الحضارة ، ولا انحو نحو المجددين على علاته وهو الى الفرنجية والركاكة اقرب منه الى الفصاحة والبلاغة . (٣)

وقد استمر نظير زيتون طوال حياته الادبية يسير على هذه الطريقة الاسلوبية المرسلة في الانشاء المصفى العذب الرشيق حتى كان عام ١٩٥٨ وعندئذ حدث الانقلاب الاكبر في اسلوبه ومال كلية الى السجع ، يعتمده في مقالاته الذاتية والوصفية والنقدية ، وفي رواياته وقصصه ، وفي خطبه المنبرية ومرثياته ، وحتى في رسائله الخاصة الى الاصحاب والاصدقاء من الشعراء والادباء .

وقد لفت هذا الانقلاب او التحول في اسلوب نظير زيتون ، نظر عدد من النقاد وكثير من القراء في المهجر والوطن ، خاصة وان السجع في العصر الحديث اضحى حلية قديمة وتزويقا لا غناء فيه ، وهو من مخلفات عصور الانحطاط في تاريخنا الادبي والفكري والسياسي .

واللجوء اليه في هذه الفترة الحديثة من حياتنا يعد ردة ادبية الى عصور واساليب تحنطت وباخ معناها وتاثيرها وفقدت جاذبيتها ورواءها وباتت تشكل سقما وفسادا ، في الذوق ، بعد ان بلغ التجديد مداه وطلعت على الفكر العربي مدارس مستحدثة في الفن والادب ،

(*) القيت هذه الكلمة في قاعة النادي الارثوذكسي بحمص في الاول من ايلول ١٩٦٧ لمناسبة الاحتفال بذكرى اربعين فقيد الادب العربي في المهجر والوطن الاستاذ نظير زيتون .

ومذاهب مختلفة في المحتوى والشكل ، كالرمزية والبرناسية والطبيعية والواقعية .

وقد تعرض نظير زيتون من جراء استعماله لاسلوب السجع ، والاصرار عليه دون اية مهادنة ، لحملات شديدة الوقع من بعض النقاد الذين وجدوا في هذه الظاهرة الاسلوبية ، احياء لقديم مات في عصر متجدد ، متطور ، منفتح اخذ باسباب التقدم والرقي والانطلاق في شتى مناحي الحياة من اختراع وعلوم ، وفلسفة وفكر ، وادب وشعر.

غير ان احد النقاد وهو الاستاذ عيسى الناعوري ، لم يهاجم ظاهرة السجع في اسلوب نظير زيتون ، ولكنه استغربها في كتابه « ادب المهجر » اثناء حديثه عن ادبينا الراحل ، اذ يقول : « ولست ادري ما الذي اغراه بهذا الاسلوب وهو الاديب الصافي الديباجة ، الناصع البيان ، حتى كانت مرثيته الطويلة للمرحوم عادل زعيتر مجموعة ضخمة من الجمل المسجوعة المتلاحقة ، ليس بينها وبين اسلوبه المألوف المحبب اية صلة » . (٤)

ولكن من النصفة بمكان ، وقبل ان نحكم على هذه الظاهرة في ادب نظير زيتون ، ونقوم خطوطها ومرتسماتها، ونجدد صفاتها وميزاتها، ان نبحث عن السبب الذي حدا بالفقيد لانتهاج هذا الدرب الاسلوبي الشاق ، واعتماده في معظم كتاباته حتى اخر رسالة كتبها قبل وفاته ووجهها للاستاذ الكبير « ألبير اديب » (٥) وان نتحرى ايضا موقف نظير نفسه من هذا اللون من ادبه ، وفلسفته تجاهه وفلذلكتها وتعليلاتها ؟ ...

واحب ان اشير هنا الى ان اهتمامي بدراسة ظاهرة السجع في اسلوب نظير زيتون قديم قدم صداقتي بالمرحوم ، فاول ما لفت نظري قراءة اثاره هذه الظاهرة ، وقد تناقشنا طويلا وعميقا فيها ، وكان من رأيه في الحوار الذي اجريته معه ، ونشر في مجلة الاديب الغراء (٦) ان « السجع لون عربي اصيل عريق ، عرفه العرب في الجاهلية والاسلام وعصوره المتاخرة . يكفي ان نذكر القرآن الكريم لنتجلى لنا روعة السجع ووقعه الاخاذ . والسجع كما افهمه واتداوله منزلة بين النثر والشعر ، والنثر العادي الدارج او اذا شئت سمه النثر الصحفي ، سهل المنال ، خفيف الاحمال ، ميسور الوصال ، يجري هينا على كل قلم . والسجع الذي التزمه احيانا وفي موضوعات معينة، يختلف كل الاختلاف عن سجع المقامات ، حيث لا تتعدى السجعة الواحدة فقرتين او ثلاثا بمعنى واحد تقريبا اما اسلوبي في السجع فيقتلز في السجعة الواحدة الى عشر فقرات او اكثر ، ولكل فقرة انطلاقة ، ولكل فقرة اشراقة ، ولهذه حلاوة ، ولاخرى طلاوة ، في تناغم وايقاع ، ولا اعرف كاتبا مارس هذا الاسلوب في سجعاته ، ولعله طراز فني جديد في ادبنا الحديث ، وان كان كثيرون يمقتون السجع ويعدونه من مخلفات العهد البائد لما فيه من حشو وتكلف يبعدانه عن الابداع ، فالسجع كما قلت منزلة بين الشعر والنثر ، وانا لا استطيع ان ارتفع الى الشعر ـ لا النظم ـ لاعبر عن افكاري واحاسيس نفسي ، ولا ارضى لادبي ان اهبط به الى النثر العادي الدارج الذي يعالجه كل قلم بسهولة ، فكانت لي تجربتي في السجع المديد المتناغم الذي تؤلف فيه السجعة الواحدة مقطعا كبيرا وكانه مقطع قصيدة واحدة . قلت انها تجربتي ، فسنرى ما يؤول اليه امر هذه التجربة!!.

وهكذا نقع من خلال هذا الجواب على الاسباب التي دفعت نظير زيتون الى اتخاذ السجع طريقة في التعبير ، انه البحث عن شخصية ادبية ذات اسلوب متميز ، في زمن يكتب فيه معظم الكتاب والادباء نثرا واحدا ، يختلف باختلاف الروح والقريحة طبقا لاختلاف النفوس والمنازع والتأثيرات الحياتية والثقافية .

ومعروف ان الاسلوب ـ كما يقول بوفون ـ هو الكاتب، والمبقري هو الذي يبتدع اسلوبا جديدا لا اثر فيه لتقليد هذا او ذاك ، وادبنا الراحل كان يعتبر منحاه في السجع نوعا من التجديد الملتزم المتروي او سمه اذا شئت (التجديد الكلاسيكي) .

قلنا سابقا ان نظير زيتون استعمل اسلوب السجع في السنوات الاخيرة من حياته في عدد من الفنون الادبية غالبا ، فهل اعاقه هذا الاسلوب بكل قيوده الثقيلة وشروطه القاهرة عن التعبير الوافي المنسرح عن افكاره واحاسيسه وانطباعاته ؟ وهل شل من فعاليته الذهنية على حساب التنميق والرصف المونق للالفاظ ؟. ان هذا السؤال يدفعنا الى استعراض مينة من اثاره ، وتحليلها ، ولكننا هنا لسنا في سبيل ذلك ، غير اننا نستطيع ان نقول بوجه عام ، ان قلم نظير زيتون المرن المتمرس ورصيده الفكري ، وقدرته البالغة على صب المعاني بعد مداورتها ، وثقافته الموسوعية ـ وهو عضو المجامع اللغوية في كل من دمشق والقاهرة ـ كان اكثر عملقة من مارد السجع بسراديبه وسجونه ومقالبه ، واسمع معي مقدمة نقده لمجموعة شعرية بعنوان «لمع مشرقية » للاستاذ امين البرت الريحاني (٧) : « مما احلاك لعمك الريحاني الكبير سميا ، وما اجدرك بعهده وفيا ، ولادبه وليا ، وعلى تراثه الرائع وصيا ، وبتعاليمه حفيا ، ولرسالته العربية تليا هديا ، ومن كوثره شاربا رويا . »

او قوله في مقطع اخر من المقالة نفسها « ولست كما تعلم ممن يطلقون كلامهم جزافا ، ولا ممن يغرفون بالاخرين خفافا ، ولا ممن يرسلون كيل المديح طفافا ، ولا ممن يرعون مع الاسامر خرافا ، لا ، لست واحدا من هؤلاء ، ولكنني ممن يحذرون وأد المواهب ، وممن يحرصون على الكشف عن المواهب السوالب ، المهملات الضائعات في مطاوي الغياهب ، او المنصرفات عن المشارق الى المغارب ، »

وواضح ان هذه اللآلىء المنثورة من حنجرة عربية اصيلة ليست نثرا عاديا سهلا ، يجري على كل قلم ولسان ، وانما هي قوافي قصيدة منسرحة تقلب فيها الصور والتخيلات والكنايات وسواها ، والشفافية الشعرية المرهفة ، وتحمل معظم صفات الاسلوب السجعي عند نظير ، من نفس مديد ، في الفواصل والفقرات ، وتقليب واقتناص للمعاني المبتكرات ، واختيار انيق للفظة الموحية المصورة ووقع موسيقي تتالف فيه ايقاعات الالفاظ وانغامها مع الانطلاقات الفكرية وظلالها .

وهكذا يحق للاستاذ جورج صيدح ان يعرف نظيرا واسلوبه وشخصيته الادبية والقومية بقوله « اديب حمصي كبير ، يعد من امراء البيان المنثور ، لا في المهجر فقط ، بل في الاوطان العربية ايضا ».(٨)

ولنا ان نقول اخيرا ، ان ظاهرة السجع ، في اسلوب نظير زيتون ، هي تجربته الخاصة ، اختارها واثقا من اختياره ، وظل مثابرا على تطبيقها ، وتبنيها حتى وفاته ، ودافع عنها بكل حجته وقدراته ، فاشتهر بها ، واصبح علما عليها . ولنقاد الادب ممن يهتمون على وجه الخصوص بالادب المهجري ودراسته ان يقولوا رأيهم فيها ، ويسهموا معنا في تقويمها .

حمص ـ سورية

ممدوح السكاف

---

(١) انتخب نظير زيتون مدة خمس عشرة سنة متوالية خطيبا للنادي الحمصي في « سان باولو » بالبرازيل ـ راجع « الاديب » ابريل ١٩٦٧ في فصل « حوار مع الاديب المهجري نظير زيتون ص ٥٦. اجراء ممدوح السكاف » . (٢) الرجع السابق . (٣) في مقابلة مكتوبة غير منشورة اجرتها معه في حمص الادبية اللبنانية «سونيا عبد» ١٩٦٤ (٤) راجع « ادب المهجر » للاستاذ عيسى الناعوري . ط : دار المعارف بمصر ـ ص ٥٤٣ . (٥) راجع عدد كانون من « الاديب » ١٩٦٧ . (٦) راجع عدد نيسان من « الاديب » ١٩٦٧ . ٧٠ راجع عدد مايو من « الاديب » ١٩٦٧ ص ٤٢ . (٨) راجع : « ادبنا : وادباؤنا في المهاجر الامريكية » للاستاذ جورج صيدح ـ ط : ثانية بيروت ١٩٥٧ ـ ص ٤٢٦ .

الزلزال

بقلم حسني سيد لبيب

وجم الجميع عند سماع النبأ . ولم يصدقوه في أول الامر .. لكن المذياع ظل يردده مرارا .. فالمدينة يتهددها زلزال خطير . قيل النبأ بلهجة حازمة جازمة . في الساعة الرابعة والنصف مساء اليوم . ستبتلى المدينة بزلزال خطير . تناقل الناس الخبر بقلق وذعر وهم لا يدرون حقيقة الخبر تماما . صغار السن سألوا :

ـ ما معنى كلمة « خطير » ؟ !

وكانت الاجوبة مختلفة . صوت عجوز واهن يغمغم :

ـ ستطمس معالم مدينتنا ، مدينة « السلام » ..

وشاب فتي يصرخ : ـ انقف عاجزين ؟ ..

وآخر يقول في حسرة ومرارة :

ـ لن يكون هناك سلام ... ! .

وبسرعة ، امرت الحكومة الاهالي بالهجرة ، فادركوا ما ذهبوا اليه من ان مدينة « السلام » ستفنى عن آخرها . تحولت البسمات الى دموع مريرة ، وانقلب الغناء بكاء ... الكل في حالة هياج وذعر ، الكل احس بالخطر الزاحف كالتنين نحوهم مع عقربي الساعة .

يتفرق الناس في حيرة ، ثم ما يلبثوا أن يتجمهروا .. وفي كلتا الحالتين كان الموقف اكبر من ان يتناقشوا فيه او يلغوا حوله . تلتقي العيون في العيون ولا تعي حقيقة الامر او تدرك حدود المرئيات او تتعرف على الاشخاص . كل واحد منهم لا يتبين من حوله من الناس ، وانما تتراءى في مخيلته صورهم كاشباح متحركة برغم الضياء الذي عم ارجاء المدينة .

★

تعانقا في صفاء ، والتقت الشفاه فعبرت تعبيرا جميلا عما عجز اللسان عن البوح به . لكنهما بوغتا برسول يقلق خلوتهما .. ركض ناحيتهم صائحا :

ـ زلزال خطير .. ستفنى .. ستضيع .. لك الله يا مدينة السلام ..

وفجاة ، تغير الموقف .. تجمدت الشفاه المتعانقة . لم يقويا على الانعتاق ، فظلا في عناقهما كانهما لن يريا شمسا بعد الآن . لم يحفل الرجل بعناقهما ، وانما هز سالم من ذراعه :

ـ اقول زلزال خطير ، أفق ...

تنبه سالم بفعل الهزة العنيفة ، وقال :

ـ نعم ، زلزال خطير ... لهذا جمدت ..

تساءلت اخلاص مبهورة : ـ كيف ذلك ؟! .. كيف ذلك ؟! ..

عاد الرسول الى الحديث فقال :

ـ ستفنى مدينتنا الجميلة .

بكت اخلاص وتشنجت ، ومن خلل دموعها قالت :

ـ لا اكاد اصدق ، فمدينتنا اجمل ما في العالم .. والرب حاميها ..

نظرت الى سالم فالفته ساهما لا يقوى على الوقوف ، ارتكن الى جدار البيت في شبه اغماء وانثالت من فمه كلمات كثيرة عن جمال المدينة ، وينابيع المياه التي تخلب اللب ، والربيع الدائم ، والناس الطيبين الذين احبوا بلدهم واعطوها من عمرهم الكثير . ولم يضنوا عليها بما تريد من كفاح وعمل وايثار .

ظل يغمغم بكلمات كثيرة في تلاحق اخناه واعيا فواد فسقط على الارض اعياء .

استبد الذعر بالجميع . تساءل الناس عما يجب ان يفعلوه . لكن الجواب ليس حاضرا . ولا احد يقوى على التفكير ، فالخطر يزحف كالتنين . وبمرور الزمن يشتد الخطر ، ويحين الحين لانفجاره المروع .

تلقى الشيخ عبد المهيمن النبأ في هدوء ، ولم يرتجف ، ولم يهتز له رمش .. اطلق لفكره العنان . وما هي الا ساعة من التأمل والتفكير الشاق ، سرعان ما اهتدى بعدها الى قرار ووثق فيه .

الناس تردد اسم الشيخ ثم تعرض عن التفكير فيما ينتويه . فقد احس الجميع ان الشيخ ليس في مقدوره أن يفعل شيئا سوى الصلاة وتفويض الامر الى الله حامي حماها من كل سوء ، فلم يفكر احد في اللجوء اليه . وتيقنوا مما ذهبوا اليه لما لمسوه من انزواء الشيخ في هذه الساعات الحرجة الحاسمة .

خرج الشيخ من عتبة داره المتواضعة ، وقد قيل ان عمر هذه الدار يربو على الثلثمائة عام ، وان لها تاريخا عظيما .. وما ان بدا للعامة حتى التفوا حوله سائلينه عن المصير . جاء الجميع سراعا وفي قلوبهم خفقات امل ولدت فجاة ، بل ان بعضهم ذهب به التفاؤل الى بعيد ، فادرك ان خلاص المدينة في يد هذا الشيخ الحكيم . الكل جاء ، الرجال والنساء والاطفال . واكتظ الجميع في الساحة الواسعة التي تواجه الدار ، واشرأبت الاعناق وتطاولت كي ينعموا النظر في الشيخ ، وحين الفوه هادئا سكنت زوابع القلق وعواصف الهياج : ففي الافق ثمة امل ما يأتلق .

صمت الجميع . وارهفوا الحس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ا يقوله الشيخ :

ـ ماجدوى الكلمات يا احبائي؟.. لكنني احب ان تكونوا واثقين من قدرتكم على الاختيار .. فلا توجد قوة ايا كانت جبروتها تستطيع ان تجبرنا على امر ما . احرار نحن يا احبائي ، حتى في هذه الظروف.. احرار نحن يا احبائي . واني ارى ان هناك طريقين علينااختيار احدهما .. اما ان نبقى كما نحن او نترك مدينة السلام .. اذا بقينا فسنضمن حياتنا على هذه الارض . وفناءنا فيها .. وسنكون جزءا من تاريخ مدينة السلام العظيم . واذاتركناها: فسنكون قوما غرباء بلا تاريخ من ارض اخرى غريبة علينا .. فماذا تختارون ؟ .

لم يتدبروا الامر او يفكروا فيه وانما اجابوا بصوت واحد :

ـ سنبقى في المدينة ، ولن نغادرها .

فاضت عينا الشيخ بالدموع وقال :

ـ وانا اخترت نفس الشيء ، لكني طلبت منكم الاختيار حتى ازداد بكم ايمانا .. ولقد كنت على ثقة مما تختارون .. امضوا يا احبائي في شعاب المدينة ، واعملوا ، وغنوا، واسجدوا لله .. فما احسب ان الزلزال بجبروته وعنفوانه سيبيد احرار العالم ، او يطمس معالم مدينتكم الجميلة .

لكن سالما لم يوافق .. شد على القوم .. هرع الى الشيخ وهزكتفيه بقوة وهو يصرخ :

ـ انفني ؟.. زلزال يدمرنا ، ولا نتزحزح .. اهذه هي الحكمة ايها الشيخ ؟ !.

رد عليه الشيخ : ـ وهل من الحكمةايها الشاب ان نتركحضارتنا؟

ـ نحن قادرون على صنعها من جديد .

ـ نحن جزء من هذه الحضارة ، ايها الشاب .

ـ اذا نجونا نحن . تكون قد انقذنا جزءا من حضارتنا . اما اذا بقينا فلن تكون ثمة حضارةولن يذكرنا التاريخ .

ـ التاريخ ما التاريخ يا ولدي ؟ انه صنيعة الاحرار . ومادام نكن احرارا ، فليس هنالك ثمة تاريخ لنا .. وحرية الانسان هيفي قدرته على الاختيار .

صرخ يائسا :

ـ عاطفيون انتم . لكن لا .. مدينتي الجميلة لن تزول : لن تفنى .. سيعاد بناؤها من جديد . ونحن نبناؤوها .. وعلينا ان ننج من المصير الكئيب ، ثم نعود اليها من جديد . ونعمل ، ونبني ، ولن نيأس .. والآن ، سأقنع الناس بالهجرة ، فقد فضلوا البقاء على الرحيل خوفا منك .

ابتسم الشيخ ابتسامة هادئة ، ولم يعقب بشيء .

مضى سالم في ثورة وقوة . اخذ يقنع الناس بالرحيل ، وما من مجيب !.. فلم ييأس ، استعمل شتى الطرق ، وما من مجيب !.. الكل يقولون له : لا .. ولم يتزحزح واحد منهم قيد انملة . حتى ابيه ، رفض الرحيل واتهمه بالسذاجة وعدم التمييز . وامه اصرت على موقفها ووبخته ..

ـ يا لك من احمق !.. اتترك ارضنا الحبيبة ، وتدعي اننا سنعود يوما ما اليها ؟.. يا ولدي ، وليات الزلزال بقوته وجبروته ، فلن يقهرنا زلزال ما دمنا صامدين ..

وحين لمس الاب عناد ابنه قال له :

ـ يا ولدي ، كم اشفق عليك!.. اعتراه اليأس ، واقترب من حافة الجنون .. اخذ يجوب انحاء المدينة ويتعرف على معالمها وهو لا يكاد يصدق ان زلزالا سيقع ويحيل الارض الى خراب ودمار . حقا ؛ كم هي جميلة !. وادرك السبب في اصرار الناس على البقاء .. مريرة هي الحياة خارج ارض السلام .. لكن !.. صوت المنطق يصخب في اعماقه . فلم تبق سوى ساعات قليلة ثم تحدث الطامة الكبرى !..

بدا رجال الشرطة يعنفون القول مع الاهلين . بعد ان استبان الموقف واتضح ، حتى يتنازلوا عن قرارهم ويتركوا المدينة ، لكنها محاولات غير مجدية .. فالكل مصممون ، باستثناء سالم الذي راح في نوبة جنون يائس .. اطلق احد رجال الشرطة الرصاص على شاب ثائر .. حتى يكون عظة للجميع ، لكن شيخا مسنا اقترب من الضابط وقال :

ـ اذا اردتم ان تجبرونا على تغيير موقفنا ، اقتلونا جميعا .. وحينذاك لن تحقق الحكومة هدفها الذي تبتغيه وهو حمايتنا .

اجاب الضابط في صلافة :

ـ هناك حل افضل ، وهو ان ناخذكم بالقوة في عربات مقفلة الى خارج المدينةفي ظل حراسةمشددة.

ابتسم الشيخ وقال :

ـ لن تجدوا من تضعونه في مثل هذه العربات الحديدية .. وسنفضل الموت في بيوتنا على تركها ، وقد اتفقنا جميعا على الانتحار اذا ما حاولت الحكومة اجبارنا على ذلك .

ـ يالكم من قوم صامدين !. ناس يجابهون الموت بمثل هذه القوة! ..شيء لايصدق .. لقد .. لقد..

كان الضابط مترددا حائرا ،لقد قرر شيئا لكن خطورة هذا الشيء جعله مرتبكا غير قادر على البوح . صمت قليلا .. ثم حسم الأمر بقوله :

ـ لقد قررت ان ابقى معكم ، ومن يشاء من جنودي .

وترك الضباط لجنوده حرية التصرف في مصائرهم ، فاصروا جميعا على البقاء .

تناهى الى سالم ما قرره الضابط، وجنوده ؛ فزعق فيه :

ـ حتى انت ، ايها الضابط ، تلقي بسلاحك وتترك اهلنا في غيهب وعماهم !. حتى انت تتخلى عن المسؤولية !.

ابتسم الضابط وقال في ثقة : ـ يجب ان نصمد .

ساءت حاله ، وتحول في هذه الساعات القليلة الى رجل آخر يهذي بالكلمات بلا رابط او هدف . ورن صوت في اعماقه يقول : هؤلاء القوم خائنون ، يتمسكون بمدينتهم الجميلة حتى الموت ، ولا يتزحزون. جميل منهم هذا الصمود ، لكنه ممقوت .. انه يعني الفناء ،الفناء.. رانا اكره هذه الكلمة ، امقتها .. الهي .. النجاة . النجاة ..

الروابي الخضر ،والمعابد والمنائر، والدروب .. وكل ما شيدناه سيتحول الى تراب وخرائب ، حتى الناس سيصبحون رمادا .. ولن يكون لنا تاريخ او مستقبل ، اوتكون لنا ذكرى . ستنفى مع مجدنا ودليل عظمتنا . لكن لا ... يجب ان نبقى ان نعيش .. يجب الا نموت !. هذا الشيخ اللعين اصاب الجميع بجرثومة الفناء ، نفث سمومه في صدورهم ، يا له من شيخ متهالك متفان !. انه لا يحس بما نحس به نحن الشباب من امان وآمال واحلام ، ولا يدرك كنه رغائبنا التي نعلق تحقيقها الى مستقبل الأيام .

وداعبت خياله صورة اخلاص ، فانقبض قلبه للمصير المظلم الذي يتعرض له حبهما الوليد . اخلاص هي الوجه المشرق للحياة وسط هذا الخضم الجارف من المتعصبين لموقفهم الاحمق . سيذهب اليها ؛ ليكن الآن .. عامل الوقت مهم . ولكن ، ماذا يقول له ؟. ايا ترى يسالها عن موقفها ؟.. هل هي الى جانب هؤلاء الحمقى .. ام الى جانبه ؟. لا .. ليس ينبغي عليه ان يسأل .. هي حتما الى جانبه ؛ هي تحبه ولا تتخلى عنه ؛ وهي ايضا قطعة غالية من روحه . لا تعيش الا به ، ولا نجد طعما لحياة بدونه .

راودته فكرة راقته وتحمس لها . وفي الحال توجه ركضا الى اخلاص. عمرت البهجة كيانه كله ؛ فأخذ يغني . ولما لحظ الناس تبدل حاله ايقنوا انه تخلى عن موقفه وآمن بموقفهم الجريء ، والدليل على ذلك تلك البهجة التي انطوت عليها سرائره، كما كان الغناء صورة واضحة ودليلا اكيدا على ما ذهبوا اليه . ارتاحوا لذلك ولم يعنفوا القول معه او يسخروا من جنونه . لم يتمالك احد اصدقائه نفسه حين التقى به ، عانقه وقبله ، ثم قال :

ـ حسنا فعلت .. اذاهب اليها، الى اخلاص ؟..

اومأ سالم مبتسما .

ولم يحاول صديقه ان يسأله عن سر هذا التغيير ، حتى لا يذكره بالجنون الذي مسه منذ حين ، مما قد يسبب الما ما ، فتركه على امل في اللقاء قريب .

عاود الغناء ، كان الطريق الى بيتها محفوفا بالمروج الخضر والترع المائية الهادئة التي يسبح فيها البط في وداعة وهدوء . ولم يكتف بالغناء ، فقد تناهى اليه صدى موسيقى رقيقة كانسام الربيع وزغردات ضوء القمر الفضي .. موسيقى تتدفق نغماتها في تتابع شيق وايقاعات راقصة .. تناهت اليه فشنفت اذنيه وبعثت البهجة في كيانه . فتجاوب معها ورقص رقصة الحياة التي لا يعرف لها انتهاء . وضمنها كل ما في احساساته من امل في مستقبل الايام .

وفجأة رآها .. رأى اخلاص تنهب الطريق في الاتجاه المعاكس فاحتضنها في شوق ، وقبلها في لهفة . لكنها كانت جامدا جامدا ؛ ولم تتجاوب مع فرحته الغامرة وحنينه الظامىء . قالت له :

ـ كنت ذاهبة اليك .

ـ القلوب عند بعضها . كنت اقصدك كي نتفق على ان ننجو نحن الاثنان مما يتهددنا من فناء .

ـ ننجو نحن الاثنان !.. يعني نهرب .. ولماذا نحن الاثنان ؟..

ـ كل الناس لا يريدون ...

ـ ولماذا ننفرد نحن بمصير غير مصيرهم ؟.

ـ من اجل حبنا ..

رمقته بعينيها وتملت فيه قليلا . حاولت ان تهرب من عواصف القلق التي تؤلم خافقها وتضنيه ، قالت لسالم :

ـ حبنا !.. ما الحب ؟.. يتهيأ لي اننا نواجه كلمة لم نتعرف بعد على معناها .. ما معنى الحب ؟..

احساس غريب ينتابني .. اتدري جوابا على هذا السؤال ؟! .

ـ الحب !.. هو الحياة ..

ـ وما الحياة ؟.

ـ الحياة !.. هي الحب ..

حملقت في عينيه كأنها تسبر اغوار نفسه ، وقالت في قوة :

ـ الحب هو الحياة ، اجل .. لكن الحياة هي الأهل والوطن .. ولا بد من الاثنين لتكون هناك حياة، وحب .

جمد في مكانه ، ولم يقو على التفكير او الكلام ، وتبدل الموقف تماما ، وقال .

ـ ماذا تعنين ؟.

ـ اعني ، اذا هربنا نحن الاثنان، من اجل حبنا كما تقول ، فسنفقد الاهل والوطن .

قال في شبه رجاء

ـ اخلاص : ارجو ان تفهميني .. النجاة لا تعني الهروب .. حتى هذا : قد يكون موقفا شجاعا . ولست اريد النجاة من اجل حبنا فقط . ولكن من اجل مدينة السلام؛ مدينتنا الحبيبة .. حقا سنعيش غرباء فترة من الزمن ، لكننا سنرجع ونعمر المدينة ونبث في تربتها نفس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاني التي تعيش في قلوب اهلنا الطيبين . انظري الى الجمل المحيط بنا ، والى الطبيعة المرفهة ، والى الجداول المنسابة في الوديان الخصيبة والزوج الخضر ، والى الناس والعمائر والبنايات الرائعة .. انني احفظ معالم المدينة ، حتى بيت الشيخ عبد المهيمن بما يحمله في طواياه من غموض واسرار . احفظ كل ذلك وتعيه ذاكرتي ... وحتما سترجع يوما ما الى هذه الارض ، فالارض لا تفنى مهما اصابها ، وسنشيد مدينتنا من جديد .. نفس المدينة .. لا .. اني اذهب الى بعيد ، فسابث في الابناء ـ أبنائنا ـ نفس المعاني الجميلة التي ولدت هنا وتعيش هنا . اخلاص ، انهما مهمة كبيرة تخلى عنها الجميع ، لكني متمسك بها ، وارجو ان تساعديني على ادائها .

صمتت اخلاص ، وكان صمتها ذاته لا يبعث على الارتياح . قال سالم في شبه يأس :

ـ افهم من صمتك انك ترفضين؟

خانها الموقف ولم تستطع مغالبة دموعها

ـ لاول مرة ارفض ... ارفض باسم الحب .. حبنا يا سالم ولد هنا ، ويجب ان يبقى هنا ، حبنا لن يعيش في ارض غريبة . حبنا نستمده من ضياء هذه الشمس ، ومن قلوب هؤلاء الناس الطيبين ، ومن هذه الارض الجميلة برواسيها ومروجها وعمائرها".

نظر الى ساعته ، وقال في قلق :

ـ الوقت لا يسعفنا . الساعة الآن الثانية . لم تبق سوى ساعتان ونصف وتكون الطامة الكبرى . الناس منشغلون عن الحدث الجلل بالعمل والغناء كعادتهم ، وكأنهم واثقون من الحياة ..!

ـ لماذا اذن نفقد نحن ثقتنا بالحياة

ـ حتى انت يا اخلاص !.. حتى انت ..! لا احد معي .. لا احد معي

ولما احس بالبكاء يخنق صوته ، فر من امامها دون ان يتفوه بشيء . توجه الى بيت الشيخ عبد المهيمن ، منساقا الى غريزته . فقد احس دافعا خفيا يسير عليه ذلك ، فطاوعه بينما الدموع تنهمر في سخاء وخيل اليه انه ملأ المدينة كلها بانهار من دموعه .

في الساحة الكبيرة التي تواجه البيت العريق ، تقبع شجرة ضخمة يبدو ان عمرها هو عمر هذه المدينة . تأمل الشجرة وتملى في جذعها الضخم العتيق ، والفروع الملتوية ، فاحس برهبة وغموض .. احس برهبة من هذا العمر المديد الذي عاشته الشجرة ولم تيأس بعد من الحياة . ترى ، هل سيفنيها الزلزال ام انها اقوى ؟! هي شجرة صامدة لا تهرم او تموت ابدا ... فكيف يقضي الزلزال عليها ؟! شيء لا يصدق . كما احس بخوف من المصير المجهول الذي لا يرحم . مصير كئيب لن يرحم شيئا في المدينة ، حتى هذه الشجرة برغم صمودها وعشقها للحياة ! . وهذا البيت العريق ، كيف يصبح حطاما بعد قليل من الزمان ؟! كيف يطوي معه السر الذي يخفيه ؟!

الشجرة والبيت سلبا لبه ، واكتنفت مشاعره احاسيس غامضة لا تستبين في صور محددة واضحة ، وانما تتداخل وتختلط ببعضها فلا تكون شيئا ما . وتراءت في خاطره معاني الحب والحياة والصمود والموت والنجاة ، واشياء كثيرة استعصر عليه ان يفهم مدلولاتها الحقيقية وانما اختلطت كل هذه المعاني في وعاء نفسه الثائرة اليائسة . عقربا الساعة يدوران . وقلبه يخفق خفقات سريعة تشعره ببشاعة التنين الزاحف الى قلب المدينة .. وزغردت المعاني المختلطة في اعماق نفسه ، واصبحت كلها تعني شيئا واحدا هو مدينة السلام . اما الشجرة والبيت ، فلن يزولا ، لن تفنيهما اية قوة طائشة .. حفر على الشجرة والبيت عبارة «عاشت مدينة السلام» ثم ضاع مع المعاني المختلطة في صمت هائل .

وقف الشيخ عبد المهيمن في وقار وهيبة قبالة الجذع المسجى في ظل الشجرة العتيقة . احتوى الظل الجذع كله .. ترقرقت العبرات في مقلتيه .. وتمتم :

ـ يا له من مسكين !.. لقد صدق الاكذوبة الكبرى !!

وسرعان ما انتشر النبأ في ارجاء المدينة ، وتجمهر الناس في الساحة الكبيرة ، وارتجف الجميع لما حدث ، وهم بعضهم بالبكاء .

اذهل اخلاص ما حدث ، وكان الما أبلغ من ان تعبر عنه الدموع فاحتبست في المآقي دموعا جامدة قاسية ، وكان عذابها اقوى من ان تعبر عنه بالصراخ فطوته في احشائها وبدت فتاة جامدة الملامح لا تعي كنه المرئيات ، ولا تفهم مما يتقوله الناس شيئا ، وبدت كغزالة شاردة هي الى الاموات اقرب . ذهب الشيخ عبد المهيمن اليها ليعزيها ، قال في صوت خفيض :

ـ يا له من مسكين !.. احب كثيرا وادماه الحب ، كان يحبك ، ويحب مدينته ، ويحبنا جميعا . لكنه احب الى درجة الجنون ، ويحق بنا ان نفخر باستشهاده ، فارضنا كانت في حاجة الى شهيد حتى يكون ايماننا اقوى واعظم .

ارتمت في احضان الشيخ ، ولم تقو على البوح باحاسيسها الدفينة المبهمة ، صاحت :

ـ خدعته الاكذوبة ...

ـ لا تحزني ، فلا بد من شهيد !.

تلألأت الدموع الحبيسة ، لاول مرة . وبكت بكاء مرا .. امتزج الحزن بالامل الحلو ، وترقرقت على وجنتيها الدموع كحبات اللآلىء نمحتهما في رقة واطلت بناظريها الى مشارف المدينة تملي فيها النظر ، فاحست بان حبيبها يعيش في المدينة الخالدة .. راح شهيدا ، لكن روحه الخالدة ترفرف في سماء المدينة وتسترق السمع الى اغاني الحب والحياة .

القاهرة حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنا بيت هناك

ثريا ملحس



كالح وجهي وقلبي فرقدان
عالق رمشي وعظمي فحمتان
قذفتها نار نابالم ..
ويدي كالخيط دقت كل باب
كل ما ابغيه امي
وامي وجهها بارد جمده غدر الافاعي
عظامه تنفك من هول القدر
سمعت بتشريدنا مرة اخرى
الطفل بلا أهل يركض نحو السراب
والاهل فرقهم برابرة الزمان
والارض دنسها قوم كفروا بالانسان
كفروا بالقيم ورب السماء
من زمان مسخوا شياطين
والشياطين مزقوا القلوب
والقلوب جوفاء فارغة
والصدور قورت .. بلا ضمائر
ركبوا فوق الانامل وحش القنابل
مضت امي قبل الضياع
اسمع الصوت يجلجل كالرعود
ارفع الصخر عن باب داري
صخر بلادي شرر
امشي وفي دروب حيفا الم الحصى
والحصى نار لهب.. في القدس وبيت لحم واريحا
في تلك الدروب امشي غريبا في دياري
وجوه الشياطين تسد طريقي
والوحوش تفتك باهلي
واهلي هناك واهلي هنا
اسأل الناس في العالم
(والناس عيونهم طويلة كالجراد)
يمشون جوفا في التراب
اسأل عن أم عن صديقة
والهواء ثقيل ثقيل رماد
والرياح بلا هبوب هدها الحريق
والشجر يتثاءب من الضجر
تحشرج الاوراق فيها كالغريق
انتظر .. وانتظر .. وننتظر
وجها يطل من ارضي الحبيبة
فلا الوجه وجهي ولا الخبز من الديار
(وقفنا في صف طويل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ننتظر دورنا ودور الآخرين
نشتري خبزا من فرن باريحا
ونركض في بساتين اريحا
نعد بياراتنا في اريحا)
لنا بيت هناك وتدنا اساسه
رفعنا فوقه الرايات عمرا
وفي القدس الحبيبة .. قرب اسوارها العتيقة
انتظر .. وانتظر .. وننتظر
الدار داري والاهل اهلي
والمقابر تملأ رحب الديار
امي واخوتي الصغار
كانوا بالامس لنا واليوم للدمار
مروا بنا يغنون للشجر
للبرتقال .. والبوملة .. والثمر
والناس في العالم دقوا نعش الضمير
ذوبوه في المحيط
كتبوا عليه : هنا يرقد الضمير
ثم نقنقوا كالضفادع :
((السلام .. من أجل السلام قتلنا الضمير !))
حياؤنا من الغدر .. طاطات منا الرؤوس
حياؤنا من التاريخ .. قفع منا الانامل
حياؤنا من الضمير .. اعمى البصائر
رحنا نلوك جلودنا ((بلو .. كنا))
لو كنا كالبرابرة الاكاسر
ندوس الحضارات في الماضي وفي الحاضر
افاقت اخلاقنا العتيقة
تضرب لنا المثل قب المثل
وتخزنا بالابـر
وتمدنا باعصابها اوتادا عميقة
تعتز بانساننا العربي والحروف القديرة
ونلتقي بصهيون الخبيث على ارضنا يجول
يغتصب الديار بلا حق يصول
كالبربر والمغول .. يتحدون الوجود
يقتلون .. يفتكون .. يذلون الحضارة
ونصرخ نحن ابناء الحضارة
ابناء الحق القديم .. ابناء الصدارة
ونصرخ في ضمير الغرب الذي موته السموم
سمومه حقد صهيون .. والكذب والرياء والوقاحة
بالامس كنا نفرح بشبر من ارضنا
بالحي الذي شهد الولادة
بياراتنا كانت كبيرة
واليوم قطعها اللصوص
مصمصها الدود وخربتها القذارة
واركض بالقلب الى نابلس
اغيب في ملاويها والتلال
لا اصدق الاذن ولا العين
كذب اللصوص كذب الخبر
وغزة حصن منيع لا يضيع
الى متى نخرس .. نسكت القلب العنيد ؟
الى متى يعيث المرابي في بيوتنا واو خيمة ؟
حجرا تركته امام كل دار
قلت لكل حجر ان يقفز في فم الدخيل
داري .. فراشي .. اشيائي الصغيرة
سرقها اللصوص بلا قلب ولا دليل
يعبون يخورون في ظل النهار
قلوبهم ارانب وفي اليد سلاح بربر
جذورهم نخرة من زمان
لا ماء في عيونهم ولا حرام
كالدببة ينهشون الصدور
كالثعابين يلتفون حول المجازر
عيونهم جيف .. قلوبهم اخرى
تاريخهم جيف سود وعار
والصوت من بعيد يحدو بنا
صوت امي واخوتي الصغار وكهولنا
حفاة يركضون فوق القفار
يغنون : ((عائدون نحن عائدون))
ويلعنون ويلعنون
فان كانت دياري خيمة احب داري !
وان كانت يدي بلا سلاح
الا يحق لي سكنى دياري ؟!
ان كان قلبي جملا
الا يحق لي سكنى خيامي ؟!
ان كنت اميـا
الا يحق لي العيش في دياري ؟!
والصوت من بعيد يحدو بنا
..... الصغار وكهولنا
. . . . . .
يغنون ((عائدون نحن عائدون))
وفوق صدورنا جمر الحريق

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد الفرا — عبد الرحمن بشناق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور محمد الفرا

في نهاية القرن التاسع عشر وفي مباشير العشرين حفلت جامعات اوروبا والولايات المتحدة بنفر من الشباب العربي الناهض ، غشوها طلبا للعلم ، فكانوا طلائع النهضة العربية الحديثة .

وظل منسوب تلك البعوث العربية في ارتفاع مستمر ، حتى كان يتعذر عليك ان لا تجد في اية جامعة من تلك الجامعات طلابا من الاقطار العربية ، يتلقون العلم على نفقة حكوماتهم او على حساب ذويهم ، وكان لفلسطين العربية من اولئك الرواد حصة الاسد ، وكان للدكتور محمد الفرا موضع الصدارة من هذه الطلائع المباركة .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ذر قرن هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ وبمولدها شهدت منابرها العثرات من فحول الساسة العرب وهم يصاولون الاستعمار ويصارعون الصهيونية ، ويشرحون القضايا العربية جملة وتفصيلا ، ويصورون مبلغ اللالمات التي اصابت العرب في فلسطين ، وكان في طليعة اولئك الساسة المفوهين الدكتور محمد الفرا الذي عرف بنظره الثاقب كيف يهتبل الفرص ، ويحدد الزمن الملائم لعرض كل قضية عربية ، وكيف يكسب لها الانصار ، ويدمغ باطل الصهيونية والاستعمار !

وبكياسة السياسي اللبق استطاع ان يلفت انظار الساسة في الندوة العالمية الكبرى الى الحق العربي ، ويستقطب الانصار المجردين من الهوى الى قضايا العالم العربي .

ولد « محمد » في خان يونس بفلسطين واكمل دراسته الابتدائية فيها ودراسته الثانوية في يافا عام ١٩٤٦ ، وتنادى مع مجموعة من شبان يافا الى معالجة الامراض الاجتماعية والسياسية التي انتابت فلسطين وعرض المشاكل التي تواجه عرب فلسطين والبحث عن انجع العلاجات . وفي ذلك الحين كان اجماع كلي على الاستياء العام من الاحزاب العربية بفلسطين ومن النعرات العائلية والطائفية التي تستغلها بريطانيا وتشجع عليها لتفتيت وحدة الصف العربي .

وبعد جلسات عقدها اولئك الشبان قرروا ان خير السبل هو القضاء على تلك الامراض مهما كان الثمن ، وان على الشعب الفلسطيني واجبا قوميا ومسؤولية عسكرية هدفها التوعية والاعداد ليوم التحرير ، وهذا يستدعي تأسيس منظمة قومية باسم «النجادة» واختاروا لها «الفرا» امينا سرا ، ونصت المادة الاولى من دستورها على ان « لا حزبية ولا طائفية ولا عائلية » فاغرت هذه المادة الشبان العرب بالانتظام في صفوفها ، واصبح لها فروع في المدن والقرى الفلسطينية ، واخذت الاحزاب باجتذابها الى صفوفها ، لكن القائمين على شؤونها اصروا على تطبيق دستورها ، وكان للفرا موقف صلب في هذا الشان .

وسرت العدوى الى « الحزب العربي الفلسطيني » فاسس منظمة سماها « الفتوة » وراحت هذه تنافس « النجادة » لكن سماحة الحاج محمد امين الحسيني ، نظر الى النتائج قبل المقدمات فسعى الى توحيد هاتين المنظمتين في منظمة اسماها « منظمة الشباب العربي » ، وتفاديا للمشاكل وقع الاختيار على الفريق المتقاعد محمود لبيب ، احد قادة الجيش المصري ، قائدا عاما للمنظمة الجديدة واختير الفرا امينا لسرها .

وفي عام ١٩٤٧ ازداد الضغط الصهيوني على سكان يافا فوجد الفرا ، بالاتفاق مع عدد من رجالاتها ، الدعوة الى اجتماع عام عقد في « النادي العربي الارثوذكسي » لبحث اوضاع الامن في يافا ، وحضر الاجتماع عديد من شخصيات المدينة ، واتفقوا على تأليف مجلس امن وانتخب « الفرا » امينا لسره ، واخذت « منظمة الشباب العربي » ومجلس امن يافا يطالبان الحكومات العربية وسماحة المفتي بالاسلحة لكن الحكومات العربية لم تستجب الا للقليل من المعتاد .

الى الولايات المتحدة : وبعد ان تأكد « الفرا » من ان الحكومات العربية عاجزة عن تحرير فلسطين قصد الولايات المتحدة في مطلع عام ١٩٤٨ والتحق بجامعة Suffolk بولاية ماساشوستس لدراسة الحقوق وفي عام ١٩٥٠ نال درجة بكلوريوس وانتسب الى جامعة بوسطن بالولاية ذاتها ونال عام ١٩٥١ درجة استاذ في الحقوق ، كما نال في نفس العام « جائزة مالوبسن » لكتابة احسن مقارنة عن العدالة في العصر الروماني والعصر الحديث . وفي عام ١٩٥٢ التحق بجامعة بنسلفانيا للاعداد للدكتوراه فطلب اليه الدكتور فريد زين الدين ، رئيس الوفد السوري عهد ذاك ، الانضمام الى الوفد السوري للمساهمة في الدراسات اللازمة للقضية الفلسطينية .

وبناء على طلب من السيد الفرا وافق عميد كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا على ان تكون مدة دراسته سنتين بدلا من سنة واحدة، وفي عام ١٩٥٧ قدم اطروحة بعنوان « صلاحيات المنظمة العالمية وسيادة الدول الاعضاء » وبعد مناقشتها منح « الفرا » درجة الدكتوراه في الفقه القانوني .

وخلال السنوات الطوال التي سلخها الدكتور الفرا في الولايات المتحدة شجع على انشاء « منظمة الطلبة العرب » وفي عام ١٩٥٤ انتخب رئيسا للجنة التي وضعت اول دستور لهذه المنظمة ، كما انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية ونائبا للرئيس .

وفي عام ١٩٥٥ اسست الجامعة العربية في نيويورك مكتبا للدعاية العربية فانضم الدكتور الفرا اليه رئيسا لقسم الامم المتحدة وعمل فيه اربع سنوات قام خلالها بالدعاية العربية في الجامعات الاميركية وفي محطات الاذاعة والتلفزيون ، كما اعد دراسات مختلفة عن القضايا العربية في الامم المتحدة ، بما فيها قضايا الغرب العربي وقضية الجزائر بصورة خاصة .

في السلك السياسي : وفي عام ١٩٥٩ انضم الدكتور الفرا الى السلك السياسي الاردني وعين نائبا للمندوب الدائم في المنظمة العالمية بنيويورك ، ومثل الاردن في عدد من دورات الجمعية العامة وفي المجلس الاقتصادي حيث انتخب نائبا للرئيس ورئيسا للجنة الشؤون الاجتماعية وللجنة الدستورية المنبثقة عن المؤتمر التحضيري للتجارة .

وفي عام ١٩٦٣ نقل الدكتور الفرا الى السفارة الاردنية بالقاهرة وزيرا مفوضا ومثل الاردن في مجلس الوحدة الاقتصادية وانتخب اول رئيس لهذا المجلس ، كما مثل الاردن في دورات مجلس الجامعة العربية .

الى الامم المتحدة : وفي صيف عام ١٩٦٥ نقل الدكتور الفرا مندوبا دائما للاردن في الامم المتحدة ، وممثلا في مجلس الامن ، وتبنى الدفاع عن قضية كشمير في مجلس الامن وطالب بحق اهلها في تقرير مصيرهم . وتقديرا للجهد الذي بذله في دفاعه هذا انعم عليه المشير ايوب خان رئيس جمهورية باكستان ، بوسام نجمة باكستان، كما دافع عن قضية الاكثرية الافريقية في روديسيا ، وتبنى مشروع القرار التمهيدي الذي طلب اقراره قبل سماع الشكوى ، ويعتبر مشروع هذا القرار اول « سابقة » من نوعها في مجلس الامن ، ويتضمن

دعوة الدول الاعضاء الى عدم الاعتراف بنظام الاقلية البيضاء في روديسيا ومقاطعتها اقتصاديا . وباصرار من الدكتور الفرا اقر هذا القرار قبل الدخول في صلب الشكوى ، الامر الذي حال دون الاعتراف بنظام أيان سميث (يعني الاقلية البيضاء) . ولدى بحث الشكوى اوضح الدكتور الفرا وجه الشبه بين سياسة بريطانيا في فلسطين وسياستها في روديسيا .

وفي اذار ١٩٦٦ ترأس الدكتور الفرا جلسات مجلس الامن ، وخلال رئاسته طرحت قضيتا قبرص ودخول المانيا الشرقية في عضوية الامم المتحدة . وفي المجلس الاقتصادي والاجتماعي المنبثق عن هيئة الامم كان الاردن العضو العربي الوحيد في هذا المجلس ، ولقد اثار الاتحاد السوفياتي قضية الاكراد ضد العراق ، فعارض الدكتور الفرا بحثها لعدم ادراجها في جدول الاعمال . وفي اليوم التالي تقدم المندوب السوفياتي بقضية حول هذا الموضوع ، فشجب الدكتور الفرا هذه القضية فهب المندوب السوفياتي الى مهاجمة الدكتور الفرا بقوله : « يحاول المندوب الاردني بدفاعه هذا التقرب من العراق ، والسوفيات يعلمون مدى الخلاف الناشب بين الاردن والعراق ! » فرد الدكتور الفرا بقوله : « إن السوفيات يجهلون ان العرب امة واحدة، وان اية خلافات محلية تنجم بينها هي خلافات وسيلة لا خلافات هدف وان السوفيات هم الذين يحاولون استغلال مثل هذه الخلافات ! » .

قام الدكتور الفرا من نفسه في مجلس الامن مدافعا عن القضايا العربية ، فتبنى شكوى سورية ضد اسرائيل عام ١٩٦٦ ، وشجب شكوى اسرائيل ضد سورية ، كما فضح نوايا الولايات المتحدة الموالية لاسرائيل ، وكشف القناع عن المناورات والمؤامرات التي احاطت بالسموع .

وعندما تقدمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، اثناء بحث شكوى السموع ، بمشروع قرار يدين سورية ذكرنا فيه « لقد ثبت للمجلس ان منظمتي « الفتح » و « العاصفة » قد ارتكبتا اعمالا تسللية في اسرائيل » التفت الدكتور الفرا الى فولد برغ رئيس الوفد الاميركي وخاطبه بقوله : « لقد كنت قاضيا في المحكمة العليا ، الا ترى ان اي قرار يبنى على الشك هو قرار فاسد ومردود ومطعون فيه؟ فكيف توصي المجلس باتخاذ مثل هذا القرار ؟ » ، ثم اضاف الدكتور الفرا : « لقد ظهرت اليوم منظمة جديدة تعمل داخل اسرائيل هي منظمة « ابطال العودة » فلماذا لا تدخل هذه المنظمة الجديدة في القرار الذي تطلبه ؟ اي : لماذا لا تقول اما « الفتح » او « العاصفة » او « ابطال العودة » هي المنظمة التي ارتكبت اعمال التسلل موضوع الشكوى ؟ ثم ان هناك مليوني بطل من ابطال العودة ، وكل منهم فدائي .. و « الفتح » و « العاصفة » فلماذا لا يدخلون في هذه الفقرة ؟ » . وزاد الدكتور الفرا على ذلك قوله : « هناك سؤال اوجهه الى الحكومة الاميركية واريد جوابا عنه وهو ، « عندنا مليونا فلسطيني على طول خط الهدنة ، ولهؤلاء حقوق في اراضيهم المغتصبة ، وهم يرفضون التخلي عنها لاسرائيل الغاصبة ، فهل من رأي الولايات المتحدة ان تودعهم السجون حفاظا على سلامة المعتدي الاسرائيلي ؟ واذا لم يكن لدينا « سجن » يستوعب المليوني فلسطيني ، فهل ترى امريكا ان بناء هذا « السجن » ضرورة ماسة ؟ واذا كان هذا مستحيلا افلا ترى امريكا ان المنطق يفرض علينا التعمق في تحري الاسباب الحقيقية التي ادت الى هذه المشكلة ، لا معالجة القضية الفلسطينية معالجة سطحية ؟ » .

كان الدكتور الفرا في جميع هذه الشكاوى ينبه الى عدوان توسعي اثيم تعد له اسرائيل وتسعى الى تحقيق مرحلة جديدة من مراحل حلمها القديم « من الفرات الى النيل » . واخر تلبيه وجهه في مجلس الامن عندما نشرت « جروسالم بوست » في عددها الصادر بتاريخ ٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ تصريحا لجاليلي الوزير الاسرائيلي جاء فيه « سيأتي اليوم الذي يعترف فيه قادة العالم بان القدس هي عاصمة اسرائيل » . وقبل الهجوم الاسرائيلي على سيناء وغزة والضفة الغربية وعلى قسم من سورية (٥ ـ ٦ ـ ١٩٦٧) نبه الدكتور الفرا اكثر من مرة الى ان اسرائيل تعتدي وتقتل وتبطش رغبة في اجلاء العرب وخلق فراغ يسهل تحقيق التوسع الاسرائيلي ، ولهذا طالب الفرا ان لايتوانى مجلس الامن عن وضع حد لهذه النوايا الخبيثة واتخاذ قرار بناء يعالج القضية معالجة جذرية لا معالجة سطحية تستغلها اسرائيل لتحقيق نواياها التوسعية .

وعندما اضطرت الاردن الى قرار وقف اطلاق النار في الحرب العربية الاسرائيلية وقف الدكتور الفرا معلنا في مجلس الامن « ان معركة المصير العربي لن تنتهي ... لانها معركة الوجود العربي ، معركة الحياة والحرية ! » واكد للمجلس انه مهما تعددت المؤامرات التي تحيكها الدول التي تحمي اسرائيل فالامر المؤكد ان الحرية ستنتصر ، وان روح الميثاق ستسود ، لانها روح الحق وروح العصر وهي اقوى من روح العدوان ! » .

وكشف الدكتور الفرا عن الدور الذي لعبته الدول الغربية وامريكا بصورة خاصة ، هذا الدور الذي كان من اسباب الهزيمة خصوصا وان امريكا زودت اسرائيل بالهبات والمساعدات المغطاة من الضرائب وبالاسلحة ومدرعات « الباتون » الاميركية التي زعمت الولايات المتحدة انها زودت اسرائيل بها للدفاع عن النفس ، لكنها استعملت للهجوم والفتك والتدمير .. لتمكين اسرائيل من الحصول على الاراضي العربية وطرد المزيد من السكان العرب ! » واستطرد الفرا بقوله : « لقد مكنوا اسرائيل من انتصارات كبيرة غير انهم واسرائيل لم يتمكنوا من قهر الروح المعنوية القوية ولا الايمان العربي، ولا الارادة الصلبة . لقد خسرنا مناطق وقرى كثيرة وخسرنا المقدسات، وفي وسع اسرائيل وشركائها في الجريمة ان ترتكب المزيد من الجرائم، وان تخطط للمزيد من المؤامرات ، ولقد تتقدم لتحقيق حلمها « من الفرات الى النيل » ولقد تحملها اطماعها على غزو عمان وبغداد ودمشق والقاهرة لكن الشيء الذي تعجز عن اجتراحه هو قهر تصميمنا على الحياة ... على التمتع بالحرية والعمل لها ، لان هذه هي رغبة الامة ... رغبة الضحايا ... لكنها رغبة قوية في طرد الغزاة مهما كان الثمن حفاظا على الوطن العربي ! »

نموذج من نثره : والدكتور الفرا بالاضافة الى غزارة علمه ، وسعة اطلاعه في دنيا الحقوق فهو اديب عميق التفكير ، وله جولات موفقة في دنيا القصة القصيرة ، ودونك نموذجا منها :

« في مكتبتي بالقاهرة (١) ... اجلس لاعد مشروع قرار لمجلس الوحدة الاقتصادية يقضي بالغاء جوازات السفر وتسهيل التنقل في الوطن العربي الواحد !

تقف امام السفارة سيارة .. ينزل منها شيخ عجوز .. اراه يسأل بواب السفارة سؤالا ثم يهرع نحو مكتبي ... يصعد سلم العمارة اللولبي في خفة غريبة رغم ثقل الشيخوخة المضني ... يدخل مكتبي ويلقي بنفسه على يدي مقبلا ، وفجأة اجد احدى يدي تغمرها لحيته الفضية الطويلة ... واحس دموعه تتساقط على يدي واهب مذعورا متسائلا منفعلا ... والتفت الى هذا الرجل الوقور ... الدموع تنهمر من عينيه ، وينظر الي نظرة الرجل الكبير المحطم القلب ، المشرد الذهن، الموزع الفكر ، السارح في عالم كله قسوة والم ... واخذت اهدىء من روعه !

يجلس الى جانبي ويشرع يقص علي قصة من مأساة ... وقضيت ساعة اسمع قصة سبعة عشر عاما ، بعثت في نفسي الانفعالات شتى ...

---

(١) وتمت هذه القصة في القاهرة والدكتور محمد الفرا ممثلا للاردن في جامعة الدول العربية ولقد حملته اريحيته على ان يسهد في ونائمها

هادئة مرة ... ثائرة اخرى ... اعادت الى ذاكرتي « القضية المفقودة » ... المتداولة في سوق المساومات والاهات والتمنيات ... وراح يبني لوعته وحزنه وغيرته على شرفه يقول : « قصتي يا عم ... تبدأ ساعة ضاعت فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ ... عندما احتل اليهود المنطقة المجاورة لقريتي « الشيخ مونس » . لقد سمعنا بوحشيتهم واعتدائهم على النساء وقتلهم الاطفال ، فدب الذعر فينا واخذ عربنا في الرحيل ... وكان رحيل النسوة والاطفال واجبنا الاول !

وشاءت الظروف ان يجيء زوجتي المخاض في تلك اللحظة ، فتضع طفلة اسميناها « عالية » وتموت الزوجة بعد الوضع بساعات .. فاغوص في دوامة من المآسي : هذه الزوجة لا بد من الاسراع في دفنها في مسقط راسها .. وهذه الطفلة في المهد ولا بد من مرضع لها فمن المحال ... وهؤلاء الاطفال بانتظار الرحيل ... وها انا اقف حائرا لا ادري كيف السبيل الى الفرج ؟! ماذا اصنع ؟ اين اتجه ؟

ادور في حلقة مفرغة ... واظل واقفا حيث انا ... ويأتيني جاري « حسين » ويقول : « يا ابا فلاح ... لا تجزع ولا تياس ... انصرف الى دفن الزوجة واعطني الطفلة ... وسترعاها زوجتي وتعتبرها طفلتها ، فهي ام لطفل رضيع اخر ! » .

ثم يعيد : « لا تياس ... ولا تحزن ... ان الله كريم ... افضالك علينا كثيرة يا ابا فلاح وستحظى « عالية » بكل رعاية وعناية ، وما يكتبه الله لنا يكتبه لها ... اذهب وتوكل على الله ! »

قبلت « عالية » الملفوفة في نصف متر من قماش اسود وسلمتها الى فصيلي المصري الذي كان يحضر كل سنة طلبا للرزق ، ويقيم عندي وفي بيادتي بلا مقابل في موسم البرتقال .

وبعد ساعات ازداد الضغط اليهودي علينا واخذت انباء التقتيل والبطش والتشنيع تشق طريقها الينا ... فلذنا بالفرار ، وتفرقنا ايدي سبا !

وقضيت الايام في معسكر اللاجئين بنابلس ، ولم تمض ثلاثة ايام على وفاة زوجتي ... ولم اعلم اين استقرت النوى بابنتي « عالية » !

وعشت حياة الخيام .. والذل والفاقة .. وقست الايام علي ... ورحت ارقب اخبار « عالية » اين هي ؟ كيف تعيش ؟ واستيقظ في الليل واحدث النجوم المنثورة في كبد السماء عن همومي ... واسالها في ظلام الليل : « اين انت يا « عالية » ؟ كيف حالك ؟ وارود احدث نفسي في سكون الليل الوانا من الاحاديث ... ثم انتهي الى القول : « لا يجمعنا مكان الا « الشيخ مونس » ... هناك افترقنا ... وهناك نلتقي ! وتختلط احاديثي ، اذا ما اصبح الصباح ، باغاني العائدين ووعود من اذاعات الحكام العرب وتجار السياسة ... وما اكثرهم !

وطال المقام .. وتعثرت العودة .. وكبرت ابنتي في عالم اجهله .. وانا تائه لا ادري اين اتجه ... اعرف طبعا ان ابنتي مع الاسرة التي كانت تقيم في ديارنا من بادية سيناء ... ولهذا اشعت الاخبار مع كل قاصد غزة وسيناء وسالت عن ابنتي كل قادم !

واخيرا ... وبعد خمسة عشر عاما جاءني لاجيء فلسطيني يقول ان ابنتي في مصر بعزبة « اكس » القريبة من المنصورة ، وقد التقى اباها بالتبلي في احد حقول القطن ، ورآها تجمع القطن هناك مع بعض اللاجئين الذين جاءوا من اجل العيش ... تماما كما كان يعمل الحاج حسين في حقول البرتقال الجميلة ... في بلدي المغتصب الحبيب ... وكادت المفاجاة وشدة الفرح ان تقضيا علي ... ووجدت نفسي اهب من مقعدي فرحا ... مقبلا هذا الرسول الطيب الكريم ... واملم ثيابي واستلف بعض النقود من ولدي الجندي الرابض على خط الفداء ... واهم بالسفر الى ارض الكنانة .. وسرعان ما يسقط في يدي عندما اجد ان « الدار قفر ... والمزار بعيد » العلاقة بين بلدين في الوطن العربي الواحد لا تسمح بالسفر ... والاتصال يجب ان يؤجل ... الن لا بد من توكيل من يحضر الفتاة .. وظننت ان الامر سهل !

ارسلت الوكالة الى قريب لي يقيم في قطاع مقطوع من الوطن الحبيب ، وذهب الوكيل بعد ان سمح له باجتياز الحدود والسدود .. ولاذ بالبوليس ... فجيء بابنتي في حراسة من الشرطة ... وحز في نفسها ان يكون اول اتصال لابيها عن طريق سلطات الامن ... ورات البنادق والسلاح ... وانتابها الخوف من جديد ... وتصورت ان اباها جبار قاس لا يعرف الحنان ... وحالما بلغت مركز البوليس اعلنت ان لا ابا لها الا من تبناها ولا تريد عنه بديلا ..! واعطيت حرية الاختيار .. فاعادها البوليس الى العزبة ... ونمي الخبر الي فازددت تعاسة ... وملمت احزاني وذكرياتي ومآسي لاعيش فيها من جديد !

عدت لاعيش في جو من الالام .. في مخاوف وآلام الماضي ... اتطلع الى عدالة السماء : فقدت زوجتي ... ابنتي تنكرت لي وآثرت الا تعود الي ... وهكذا انتزعت قسوة القدر ارضي وزوجتي وابنتي .. بل كل شيء في هذه الحياة ! ووجدت الا امل لي الا بمحاولة اخرى اقوم بها بمفردي لعل الله تعالى يكتب لي النجاح ، لكن هذه المحاولة تحتاج الى سفر ... والسفر مرهون بتطور العلاقات بين بلدين عربيين من وطن واحد !

ومرت الايام وازداد هول المصيبة بعد الذي وقع ... استيقظ صباحا لاسمع الانباء من الاذاعات العربية ... وكلما وجدت لاجئا يقرأ الصحف القى معه وناشده الله العظيم ان يقرأ لي ما يتعلق بعلاقات الدول العربية التي اعيش فيها كما تعيش فيها « عالية » وهكذا دواليك اواصل ليلي بنهاري ... ونهاري بليلي متنقلا من اذاعة الى اخرى ومن جريدة الى جريدة ..!

سنتان كاملتان واخيرا لاحت بوادر الفرج ... فاعلن مؤتمر القمة العربي الاول والتقى « الاخوة » وتحسن الجو ... وقصدت القاهرة لاكون منذ الان !

هذه قصتي ... وهذا عنوان ابنتي .. ويا عم انا داخل عليك .. وعلى كل فرد من عائلة « الفرا » ... ساعدني ... انا لا استطيع البقاء هنا طويلا اذ لا احمل الا القليل من النقود ، ولا اريد ان اكون عالة على غيري من الناس .. ان الله اخذ مني كل شيء وابقى لي عزة النفس . انت لا تريد ان احرم هذا واكبر نفسي في هذه السن ... ارجوك !

حزت قصة الشيخ في نفسي ، حتى اذا تنفس الصبح كنت مع هذا الرجل الفاضل اقود سيارتي مسرعا الى المنصورة ، احمل في جيبي كتابا من وزارة الداخلية في القاهرة الى المسؤولين هناك لتسهيل مهمتي ... وبعد ساعات التقينا بالفالية « عالية » ... رآها ابوها فراح يبكي ... اما هي فاعرضت عنه وابت مصافحته وقالت انها لا تعرفه ... ولا تريده ... انه بعث اليها بالبوليس وبالبنادق والسلاح ... انها قضت ليلة كاملة مع العابثات بالقانون ... وازداد بكاء العجوز الشيخ ، وحز في نفسه انها لا تعلم من امر القصة شيئا .

قالت : اذا كان هو ابي فلم لم يتعرف علي من قبل ؟ لماذا سكت سبعة عشر عاما ثم تذكرني ... الاني كبرت ؟ أهو دافع الانانية ؟ أهو الطمع في مهر وكسب ؟ لا ... لا ... انني لا اريده !

وقليلا قليلا اخذ ضابط بوليس المنصورة ، الرجل الطيب الخبير بنفسية اهل العزبة يوضح لها ما جرى ... ويشرح لها ما كابده والدها ... الايام الطويلة المضنية من الارق والسهر والعذاب ... واخذ يستشهد بي و .. فاخذت احدثها عن النكبة وظروفها وعن نصيبها منها ... قلت لها انها لن تؤخذ بالقوة او الخطف ، كما كانت تظن ، وساقف الى جانبها ضد اي عنف ... ولن يتدخل البوليس الا لمصلحتها ، ولن ناخذها الا بعد رضاء تام ورغبة اكيدة ، وبعد ضمان مني وتعهد مكتوب ! ها هو الحاج حسين قادم ... انه لم يعد يقوى على المشي الا بعكاز طويل يتكيء عليه .. يرتدي جلبابا ابيض طويلا .. ويعتمر طاقية من الوبر ملفوفة بشال من القطن الشفاف الناعم ... انه لو شاء بين طويلين ولحية قصيرة ... لقد اقعدته الايام وهدته الحاجة ومتطلبات الحياة

... فقصر نظره واصبح لا يرى الا قليلا ، همس في اذني قائلا ، « انني ابو « عاليه » بالتبني واستطرد قائلا :

« عاليه كل شيء لنا ... هي المعيلة لي أنا المقعد العجوز ... والمعيلة لزوجتي التي ارضعتها وربتها ... وهي المدبرة لمعيشتنا ، الساهرة على راحتنا ... ولك ان تتصور ما يتركه في نفوسنا رحيلها عنا بعد ان كبرت وترعرعت بيننا واعتمدنا على الله وعليها ... ومع ذلك هي يا ابني امانة (لابي فلاح) ... هي دمه ولحمه وشرفه ... هي امانة له في عنقي حافظت عليها ... ولم افرط بها ... لقد كنت انا الشيخ العجوز المقعد اسافر الى القاهرة كل عام لتجديد اقامة «عاليه» كاجنبية ... فلسطينية ... ادخر القروش طيلة العام لتغطية نفقات السفر ولدفع الرسوم ... اتكبد كل هذه المشقة وانا الرجل الذي ترى ... لا لشيء سوى المحافظة على اسمها الصحيح لانني كنت اتوقع مثل هذا اليوم .. ان (ابا فلاح) رجل طيب اكرمني واحسن لي ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟! انني سعيد وفرح بلقائه ، ومع ذلك فانا شارد الذهن ، تعيس ، اشعر كأن الدنيا برحابتها تضيق في وجهي بسبب قرب سفر « عاليه » ... غير ان لي رجاء يا ولدي هو الا تاخذوا البنت الا برضاها ... ليبق الوالد معنا اسبوعين او ثلاثة ، فتراه ابنته كل يوم .. وتعود وجهه .. ويقدم لها ثوب العيد .. وهدايا الايوة ... ثم يغادر ويعود ، وتتصل انت بـ « عاليه » ... فتعود وجوههم ويرق قلبها ... وانا كفيل بالنجاح ...! واتفقنا على هذا الترتيب ... وعاش « ابو فلاح » عدة ايام مع ابنته ثم عاد الى مخيمه وبقيت البنت ثم اخذت اصطحب ابن عم الفتاة الى العزبة والمنصورة بين الحين والاخر . الى ان ايقنت « عاليه » بحقيقة الحال ، فلم تعد تسأل هل سنخادعه الى اسرائيل ... لم تعد تقول اننا سنلقي بها في احضان العدوان الصهيوني ، بل اخذت تسأل عن ابيها ونحن اليه ... ثم طلبت ان يعود ليصطحبها الى مخيم العائدين !

وجاء « ابو فلاح » ووقعت على صك التعهد والضمان ووصل التسلم للحاج حسين وبسذاجة احتفظ بهذه الورقة كشهادة تنطق ببراءة ذمته ، وهي في الواقع تشير الى ما يتميز به الرجل من شرف ونخوة ومروءة واعتراف بالجميل ... ووعدت الحاج حسين بان تزوره « عاليه » في العيد من كل سنة !

وهب سكان العزبة كلهم ييكون تارة ويغنون ويبكون تارة ... اصوات صافية مجلوة تنادي : « مع السلامة يا عاليه ... اذكرينا يا عاليه ! » وخرج الرجال وعمدة القرية وشيخ الخفر يرسلون التمنيات الممزوجة بحزن الوداع ... والكل ينادي مودعا : يا حبيبتنا يا عاليه.. العزبة كلها ... القلوب كلها ... تحتفل بعيد « عاليه » .. مع السلامة يا « عاليه » ! لم تلا ذلك نحيب غريب ... انها اصوات انسانية عذبة تصدر من قوم كلهم طيبون ، وتمثل ارق العواطف الانسانية واصدقها !

ترآى لي انه ليس يكاد على حظ البنت العاثر فحسب بل على ماساة الرجل الذي لاقى العذاب والهوان ... ماساة كبرى تبعث الحسرة والالم ... ماساة مليون لاجيء ... اصحاب المشاكل والذكريات المؤلمة ... كلها تتطلع الى يوم العيد .. عيد العودة بعد ضروب من الذل والجور والهوان ...

ثم ماذا !

لم تنته القصة عند هذا الحد ... فقد مضت السنة الاولى ونقلت الى نيويورك لاجد امامي في شهر العيد رسالة من « العم حسين » الاب المقعد التبني يطالبني بالعهد ان العهد كان مسؤولا ... لم تحضر ابنته « عاليه » من مخيمها الى المنصورة والى عزبة اكس بالذات كما توقع.. لم تحضر يوم العيد وما زال ينتظر العودة .. ويستنجزني الوفاء بالعهد ... ان العهد كان مسؤولا !

(١) من مقدمة كتاب « البستاني والياذة هوميروس » لكاتب هذا الفصل وقد نشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٦٢ .

٢ ـ عبد الرحمن بشناق

يؤمن « عبد الرحمن » بالادب انه رسالة عقل الى عقول ، ووحي خاطر الى خواطر ونداء قلب الى قلوب ، وان الادب في لبابه قيمة انسانية ، وليس قيمة لفظية .

ولد « عبد الرحمن » في قيسارية بفلسطين عام ١٩١٢ وتلقى دراسته الابتدائية في طولكرم والثانوية في الكلية العربية ببيت المقدس . وفي عام ١٩٣٠ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وبعد ان نال شهادة بكالوريوس آداب منها قصد جامعة كمبردج في بريطانيا وتخرج منها عام ١٩٣٧ بدرجة استاذ علوم ، وعاد الى فلسطين وعين استاذا للادب الانكليزي في الكلية العربية بالقدس فوكيلا لمديرها العربي المرحوم احمد سامح الخالدي .

ولما انتابت فلسطين النكبة الاولى (١٩٤٨) عمل في الاذاعة البريطانية بلندن مدة ست سنوات (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) وفي عام ١٩٥٤ التحق باسرة البنك العربي في عمان واسند اليه منصب مرموق المكانة.

وفي عام ١٩٦٢ انتخب عضوا في اللجنة الملكية لشؤون التربية والتعليم في الاردن ، ولقد طافت هذه اللجنة بالاقطار العربية وبالدانمرك والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة للوقوف على برامج التعليم الحديثة ولدراسة فكرة تاسيس جامعة في الاردن ، وفعلا تحققت هذه الامنية الغالية في صيف عام ١٩٦٢ .

وعمل « عبد الرحمن » عضوا في لجنة المناهج التي انشأتها وزارة التربية والتعليم مستقلة من جهازها عام ١٩٦٣ كما عمل في لجنة مكتبة امانة العاصمة وفي مجلس ادارة مؤسسة الاسكان ، وهو في جميع ألوان نشاطه مثال المواطن الدؤوب المخلص في غير تهاون او اعتداد . وهو الى ذلك كله انيس المشرب واسع الاطلاع عميق الثقافة ، يملك ناصية اللغتين العربية والانكليزية ، ويتمتع بتقدير الاصدقاء والغرباء من المواطنين والنزلاء على السواء .

والذين عرفوا « عبد الرحمن » على مقاعد الدراسة يقررون انه من المغرمين في رعاية النظام واداء الواجب ويقولون ان ما يزعجه : (الرجل) الضعيف امام آرائه ، و (الرجل) الذي لا يفكر الا بالحاق الاذى بغيره و (زامور) السيارة في الصباح والمساء !

ويقول لداته ان ما يعجبه : (الرجل) المتواضع ، و (المطالعة) في سبيل المعرفة ، و (الشعور) بالواجب و (الاخلاص) في العمل !

ومن مآخذ « عبد الرحمن » على البشرية انها تشقى وفي وسعها ان لا تشقى ... ويقول : « أليس عيبا ان نقصر عن الكمال ، وفي الوسع ان يكمل الكمال ؟! » .

من آثاره القلمية : حالت النكبة الفلسطينية الروعة دون مضي « عبد الرحمن » في الترجمة والتاليف ، وله من الآثار المطبوعة :

(١) سبيل المجد او الجهاد الذهبي

(٢) المنتخب من الشعر الانكليزي

نموذج من نثره : « ... وظهرت (١) « الياذة هوميروس » في ترجمتها العربية قبل اكثر من خمسين سنة ، وقد شهد الادب العربي المعاصر نهضة مباركة في الترجمة من ذخائر الامم الاخرى لكن ذخيرة البستاني ستظل في المكانة الاولى بين آثار الامم المنقولة الى العربية . و « البدوي الملثم » الفضل في بعث الاهتمام بالبستاني من جديد في هذا الكتاب الجميل الذي بين يديك . وحبذا لو نظرت وزارات التربية والتعليم في الاقطار العربية في الكتاب وقررته لمدارسها لتطلع الاجيال الناشئة على عبقرية هوميروس وجهود البستاني ونبوغه ، في قالب انيق مستساغ ، وتتم الفائدة لو وجد في مكتبة كل مدرسة كتاب البستاني كاملا ليرجع اليه المتأدبون من الاساتذة والتلاميذ .

والاستاذ الاديب ، يعقوب العودات ، عرفه قراء العربية بـ « البدوي الملثم » ونود ان نميط اللثام عن وجهه برهة في هذه

ظنون

ويقول لي والسهد يرسم هالة حول العيون
من ذا الذي حدثته بالامس والنجوى شجون
وسكبت في اذنيه لحنك مشجيا هل تذكرين
ماذا ترى اخفيته عني ستنهبني الظنون
اهناك غيري في فؤادك صارحيني من يكون
اني وهبتك مهجتي ومنحتك القلب الحنون
ووهبتك الاحلام والامال لم اك بالضنين
واظلت في محرابك النجوى بهمس الحالمين
ما هان حبك لحظة ولديك آمالي تهون
انا يا منى الاحلام شرقي ، وفي قلبي فتون
اني اغار عليك من ظني ويعصف بي الجنون
اني على رغم الوقار اذوب اما تخطرين
ويراك غيري ثم يبدو في سمات العاشقين
هل تعلمين حرارة الشرقي ليتك تعلمين
الوهم يشقيه ويقتله فليتك ترحمين
اني انانني المشاعر بي سمات الواهمين
اني (انانني) اغار عليك ملتهب الحنين
فاجبته لا ليس غيرك في الخيال وفي اليقين
ستظل لي سر الهوى يا ملهمي طول السنين
ان كنت لا تدري فسري كامن طي الجفون
فسل العيون تجبك صادقة بانني لا اخون
لا ليس غيرك في فؤادي رغم اني لا ابين
لك ما مضى لك حاضري لك يا حبيبي ما يكون

مصر الجديدة — روحية القليني

المناسبة الطيبة التي جمعتنا بـ « هوميروس » و « البستاني » ، لكي يراه القارىء بوجهه الصبوح الباسم ، ونفسه الطيبة الرغدة ، وعلمه وتواضعه ، وسعيه المتصل لخدمة المعرفة وخدمة القارىء العربي . واني لارى شبها عظيما بين « العودات » و «البستاني» ، في غزارة معرفتهما، وتعطشهما الدائم للمزيد منها ، وفي اسفارهما البعيدة ونشاطهما المتنوع ، وفي ذوقهما الفطري السليم الذي يرشدهما الى نفائس الحياة. ومن يلق « البدوي الملثم » يوما فسوف يلقاه ابدا ساعيا لخير صديق، وانه لنعم الصديق الوفي ، او ذاهبا الى مطبعة او خارجا من مكتبة ، فهو انشط من يقرأ ومن يكتب . يدبج الكتب والمقالات بخط يده ويصقلها ثم يعيد خطها وصقلها ، فتتعاقب الساعات وتكل الايدي وتزوغ الابصار، وهو جالس في مكتبته غير مبال الا بما بين يديه من كتاب . وقد اغنى المكتبة العربية حتى الان ببحوث طريفة ، طبعها بطابع التدقيق والتمحيص، منها « اسلام نابوليون » و « القافلة المنسية » و « الناطقون بالضاد في امريكا الشمالية » و « الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية » و «شاعر الطيارة : فوزي المعلوف » .

وتذكرني كتب « البدوي الملثم » في بعض نواحيها بكتب «الجاحظ» ومن سار سيرته من الاقدمين ، فهو ياخذ بيد القارىء فيطوف به بين العصور المختلفة والموضوعات المتباعدة والاقوال المتباينة ، في رفق ويسر، فلا يجد الملل الى نفس القارىء سبيلا . وكتابه الذي بين ايدينا الان بحث علمي موضوعي ، لكنه في الوقت ذاته حديث طلي ، يوشحه بالملح فلا يدع فرصة سانحة الا ساق النكتة الملائمة او قص الحكاية المناسبة. وتراودني نفسي بسرد نماذج من طرائفه ، ولكني اطلت الوقوف بينك وبين الكتاب فاليك به ، فان امامك سويعات جميلة في رفقة « هوميروس » و « البستاني » و « البدوي الملثم » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



مصطفى عبد الواحد

فكرة الشعر الجاهلي عن العاطفة

بقلم مصطفى عبد الواحد
ماجستير في الأدب والنقد

* * *

ليس هناك تحديد قاطع لاولية الشعر الجاهلي ولا ادلة واضحة تحدد وتطور اغراضه . ولكننا من خلال ما تناقله الرواة المحصون وما اطمأنوا الى نسبته الى شعراء الجاهلية نستطيع ان نتبين صورة مجملة تنبىء عن موقف الشعر الجاهلي من العاطفة بين الرجل والمرأة .

وتلك العاطفة قديمة موغلة في القدم ، ولكن تناولها من جانبها الفني لا بد ان يتأخر عن الاحساس بها ، شان كل عواطف الانسان ومشاعره .

والحق ان التعبير عن هذه العاطفة من جانبها الفني يرتبط كل الارتباط باوضاع المجتمع وما يرتضيه من قيم. اي ان نظرة الادب اليها تسمو بسمو قيمها في المجتمع وتهبط بهبوطها .

وقد كانت المرأة في المجتمع الجاهلي ذات اثر بارز . لكن نظرة الرجل اليها في اتجاه المجتمع الغالب لم تتعد الجانب الحسي ولم ترتفع الى آفاق الوجدان السامية .

ذلك ان المجتمع الجاهلي لم تكن تتجاذبه الوان الثقافات ولم يكن للمثل الفكرية فيه نصيب ، بل كان مجتمعا فطريا لا يحفل بغير دوافع الفطرة ولا يستجيب لغير نوازع الغريزة .

وليس ذلك ازدراء به ولا تجنيا عليه ؛ لكنها سنة الاجتماع وقانون الحضارة ان الانسان لا يخرج من البساطة الى التركيب ولا من السذاجة الى التجربة والمعاناة الا وفق عوامل خاصة ، من شيوع الثقافة وصراع الافكار واحتكاك الآراء والمثل . ولم يكن للعرب في جاهليتهم حظ من ذلك ، فقد كانوا امة امية لا حظ لها من الثقافة ولا معرفة لهم بالعلم والفكر ، بل كانوا يعيشون على الموروث من التجربة والمألوف من العادات والتقاليد ، ومن هنا كان وضعهم للمرأة ذلك الوضع الفطري الساذج وصراحتهم في التعبير عن مشاعرهم الحسية نحوها .

هذه هي المعلقات السبع التي عني الرواة بجمعها واتيح لها حظ وافر من الشهرة والذيوع ، تتبدى فيها الصورة الحسية لنظرة الشعر الجاهلي للصلة بين الرجل والمرأة ، وان كان فيها بعض الاحاسيس العاطفية التي سنتعرض لدلالتها فيما بعد .

اول تلك المعلقات تنسب الى امرىء القيس بن حجر الكندي (١) . وهو من اهل نجد (٢) . ويذكر ابن قتيبة انه « يعد من عشاق العرب والزناة ! وكان يشبب بنساء منهن فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذري ، وهي التي يقول فيها :

كدابك من ام الحويرث قبلهـا وجارتها ام الرباب بماسل (٣)

ومنهن عنيزة وهي صاحبة يوم « دارة جلجل » .. فاي مكان يضع فيه امرؤ القيس هؤلاء النسوة اللاتي يشبب بهن وتفيض اشعاره بوصفهن ! .. انه لم يرتبط باحداهن ارتباط اخلاص ووفاء ، ولم يكن يرى فيهن الا وسائل لمتعته ومجالات للهوه وفتونه ، لا يعنيه في شيء ان يحتكم في علاقته بهن الى عاطفة او دين او خلق ... ويدلنا على ذلك الخبر المشهور الذي يقال انه كان مناسبة معلقة امرىء القيس الدائعة (٤) . ولذلك لم يستطع امرؤ القيس ان يرتفع عن هذا الاسفاف في شعره ، فصور فيه نزواته واغراقه في الفحش والتبذل ، مما عابه عليه النقاد الاقدمون . يقول ابن قتيبة : « ويعاب عليه تصريحه بالزناء والدبيب الى حرم الناس ، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وان فعلته » .

والحقيقة ان امرأ القيس يدين نفسه بالفجور في معلقته ويصور نظرته اللاهية الى المرأة وازراءه بكل قيمة في سبيل بلوغ اربه من متعة عالآثمة حتى ليحلف بالله فاجرا ، ولا يرعى حرمة قومه وجيرته . ولا يعنيه بعد ذلك ان ينثر في معلقته بعض الابيات التي يذكر فيها لفظ « الحب » دون ادراك لحقيقته او ارتقاء الى افقه . فهو حين يقول :

اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل

لايعني حتما اذعانه لسلطان او خضوعه في سبيل ارضائها . فان السياق الذي يرد فيه هذا البيت لا يوحي بشيء من ذلك : فقد سبقه الحديث عن يوم «دارة جلجل» وما اقترفه فيه : واسفانه في الاعتراف بنزواته :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول

كما تلاه ايضا الحديث عن جرأته وفحشه :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا علي حراصا لو يسرون مقتلي

وهذا ما يقطع بان الغزل الذي افتتح به امرؤ القيس معلقته ليس الا صورة باردة ادركها بعقله ولم تصل الى وجدانه او تختلط بنفسه ، فهو ليس بالوفاء الذي يصف به نفسه ولا بدقة الشعور الذي يصوره بقوله :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقد كانت النزعة الغالبة في الشعر الجاهلي في مجال الغزل ان تكون الاوصاف الحسية للمرأة هي المجال الذي تتردد فيه افكار الشعراء والموطن الذي يحومون حوله ، فيتنافسون في اجادة الوصف وابتكار الصورة ويتفننون في ذلك ويخترعون .

فهذا زهير بن ابي سلمى يشبه امرأة بثلاثة اوصاف في بيت واحد فقال :

تنازعت الها شبها ودر البحور وشاكهت فيهما الظباء

ثم قال مفسرا :

فاما ما فويق العقد منها فمن ادماء مرتعها الظلاء
واما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحة والصفاء

وهذا عنترة بن شداد العبسي لا يرى في المرأة التي اعجب بها الا شاة قنص ممكنة للمرعى :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسي أخبارها وتعلمي
قالت رأيت من الاعادي غرة والشاة ممكنة لمن هو مرتمي
وكأنما التفتت بجيد جداية رشا من الغزلان حر أرثم

ولكن هذا لا يعني ان الاحساس بالعاطفة الصادقة لم يعرف طريقه إلى قلوب شعراء الجاهلية ، ولكن المراد ان قيم العصر الذي عاشوا فيه ومثله كانت تحدد وعيهم وتؤثر في تصويرهم وتعبيرهم .

فاذا تجاوزنا الصور الحسية المسفة في شعرهم وجدنا ان امثل نظرة الى العاطفة عرفها ذلك الشعر تتمثل في اشعار يملؤها الاسى على ما فات ، حين يتذكر الشاعر لحظات السعادة التي مرت فيهتف باكيا كأنما يأسى على نفسه ويندب حظها ! على نحو ما يقول عبيد بن الابرص :

تغيرت رسوم من سليمى دكادكا خلاء تعفيها الرياح سواهكا
تبدلن بعدي من سليمى واهلها نعاما تراعاها وادما تراتكا
وقفت بها أبكي بكاء حمامة اراكية تدعو حماما أواركا
اذا ذكرت يوما من الدهر شجوها على فرع ساق الدرت الدمع سافكا
سراة الضحى حتى اذا ما عمايتي تجلت كسوت الرحل وجناء تامكا
كأن قتودي فوق جاب مطرد رأى عانة تهوي فولى مواشكا

فهو يقف على الرسوم يبكي شجوه ويذرف الدمع : حتى يشفي نفسه من الشجن وتفارقه عماية الحزن . فيعدل الى ناقته السريعة المدربة على الاسفار يكوهها الرحل فتولي به مسرعة .. فليس في هذا الشعر عاطفة ثابتة . ولكن فيه اشجانا طارئة تثيرها الرسوم وتنشئها الذكريات .

وقد كان يدفع العربي الى ذلك الشعور انه ليس لحياته طابع الاستقرار ، فالديار تعمر ثم تقفر ، والاحباب يظعنون يخلفون له اللوعة والحسرة ، فكان بكاؤه في الحب بكاء على نفسه واسى على ذهاب انسه وفقد متعته .

فلم تكن المرأة في نظر الشاعر الجاهلي غير وسيلة لاكتمال البهجة واحتياز المتاع : فهي تضاف الى لذة المطعم ووفرة المتاع ، على نحو ما يرسم لنا سلمى بن ابي ربيعة في ابياته :

ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون
يجشمها المرء في الهوى مسافة الفائنط البطين
والبيض يرفلن كالدمى في الربط واللهب المصون
والكشح والخلخلي آمنا وشرع المزهر الحنون
من لذة العيش والفتى للدهر والدهر ذو فنون (٥)

فهنا تتضح المقاييس الجاهلية لخفض العيش ودعة الحياة يتقدم فيها الشواء والخمر والظهر السريع ، ثم تأتي المرأة في حليها وزينتها مع وفرة المال وانغام المزهر .

لا غرو ان كان الجاهلي يبكي على فقد المرأة في اسى ، لكنه لا يستطيع التعبير عن العلاقة بينه وبينها في صورة مثالية ترتفع عن الحس وتتصل بالعاطفة في ثباتها ووفائها ، اذ لم يكن لديه من المشاعر والمثل النفسية ما يسمو به عن الحس ويلهمه الصور ويمده بالتجارب .

وعلى هذه النظرة تسير المعلقات السبع في البكاء على الاطلال واسترجاع الذكريات البهيجة مع الاحباب اياما انقضت او يسترجع ساعات من طيب العيش ولذته.

وعلى هذه النظرة تسير المعلقات السبع في البكاء على الاطلال واسترجاع الذكريات البهيجة مع الاحباب الظاعنين .

يقول الحارث بن حلزة اليشكري :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شماء فادنى ديارها الخلصاء
لا ترى من عهدت فيها فابكي اليوم ولها وما يحير البكاء

ولكنه لا يلبث ان يتسلى عن ذلك بناقته السريعة التي تطوي به الآماد :

غير اني قد استعين على الهم اذا خف بالثوى الاجراء

ويقول زهير بن ابي سلمى :

قلما عرفت الدار قلت لربعها الا انعم صباحا ايها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

وبعد ان يصف هؤلاء الظعائن يبين قصده من السؤال عنهن والاشتياق اليهن والبكاء عند آثارهن فيقول :

وفيهن ملهى للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم

وبذلك تتضح لنا دلالة الوقوف على الاطلال على

نوع العاطفة التي كانت تملأ قلب الشاعر الجاهلي وتدفعه الى البكاء .

فهل يمكن القول ـ مع ذلك ـ ان العشق بمعناه الحق ـ من استيلاء العاطفة على القلب والوفاء لها والارتفاع عن اللهو والمجون في النظرة الى المرأة لم يعرف طريقه الى اهل الجاهلية ؟ اننا لا نملك اصدار الاحكام القاطعة في هذا المجال ، ولكننا نملك الملاحظة والاعتبار بالشواهد التي بلغتنا عن الجاهليين واشعارهم . وكل ما يمكن الاطمئنان اليه في هذا الشأن ان البيئة العربية قبل الاسلام بظروفها ومثلها واهدافها كانت ذات اثر قوي في توجيه العرب نحو النظرة النوعية للمرأة ، فلم لديهم من خفض العيش او من الفراغ من الهموم والشواغل او الاطمئنان والاستقرار ما يوجههم الى علاقة تعدو مطالب الغريزة ، ولم يكن لديهم من الثقافة والمثل الفكرية والنفسية ما ينشىء لديهم نظرة ذات قيم عالية ومشاعر سامية . فكانوا الى السذاجة والفطرة اقرب من التعقيد والتثقيف .

غير اننا لا نعدم في اخبار الجاهليين صورا نادرة لاستحواذ العاطفة على القلب وغلبتها على الشاعر حتى تصل بصاحبها الى الموت .

فهذا عبد الله بن عجلان النهدي يصفه ابن قتيبة بانه «من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقا (٦) » ونضيف الى كلمة « المشهورين » القليلين ، فان الموت في الحب لم يكن امرا حسنا في النظرة الجاهلية بل كان دليلا قويا على وهن العقدة وضيق الروية ، فبامكان العاشق الجاهلي ان يتسلى باخرى او بناقة سريعة او كأس من الصهباء ! ويدلنا على شهرة ابن عجلان هذا وغرابة المصير الذي انتهى اليه ما ذكره ابن قتيبة بعد ذلك في قوله : وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

ان مت من حب فقد مات ابن عجلان

واما خبر موته ، فهو على ما يذكر ابن قتيبة : انه بعد ان بلغه زواج هند التي كان يهواها من ابي سفيان بن حرب فقال :

الا ان هندا اصبحت منك تخرما واصبحت من ادنى حموتها حمى
فاصبحت كالمقهور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسا واسهما

قال : ومد بها صوته ، ثم خر فمات .

والامر هنا ـ كما نرى ـ لا يخلص للعاطفة ، ولا الشعر الذي ذكره يفضي بالحسرة او ينضح باللوعة ، ولكننا نتبين فيه عواطف اخرى غير الحب ، ويدل على ذلك تعقيب ابن قتيبة على هذا الخبر بقوله : « وهذا الشعر يدل على ان هندا كانت تحته ، فطلقها ثم تبعتها نفسه (٧) » .

وهذا الخبر ينسب ايضا لمسافر بن ابي عمرو بن ابي امية ، على ما رجحه صاحب الاغاني (٨) فيذكر انه لما خرج الى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة فقدم ابو سفيان بن حرب فساله عن اخبار مكة ، وهل حدث بعده شيء ؟ فقال : لا ، الا اني تزوجت هندا بنت عتبة . فما تمسافر اسفا عليها . ويدل على صحة ذلك قوله : « واصبحت من ادنى حموتها حمى » ، لانه ابن عم ابي سفيان بن حرب .

وايا ما كان الامر ، فان ذلك لا يعتبر عشقا ادى الى الموت بقدر ما يعتبر حسرة بالغة على فوات الحظ وكمدا على غلبة القرن وفوزه دونه بمن يهوى .

ومن هذا القبيل ايضا ما رواه صاحب الاغاني عن المرقش الاكبر من موته عشقا بعد ان زوجت ابنة عمه التي كان يهواها من غيره ورحيله الى ديار زوجها ، وهي قصة يغلب عليها التصنع ويوضع فيها الشعر في غير موضعه ، ولا تبدو عليه اصالة الرواية وصدق الاحداث .

ونحن في هذه الملاحظة لموقف الشعر الجاهلي من عاطفة الحب لا نتحامل على الجاهليين ولا نجردهم من العاطفة والاحساس الكريم ، ولكننا نرعى الخصائص الفكرية واحكام البيئة والتاريخ ، ونسير وراء دلالة الروايات وايحاء الاشعار .

ولذلك كان من احكام البيئة فيما بعد حين تغير المفهوم الثقافي والاجتماعي ما كان ، فكان لذلك اثره في خلق العاطفة الكريمة وفي الارتقاء بالوجدان العربي وامداده بصور رقيقة نبيلة سمت بالخيال العربي الى آفاق لا تسامى ، وكانت تعبيرا صادقا عن المثل الانسانية والقيم الخالدة التي خلقت المجتمع العربي بعد الاسلام .

القاهرة — مصطفى عبد الواحد

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ ـ ٥٢ . (٢) المصدر السابق (٣) من ابيات المعلقة . وماسل : ماسم ماء . (٤) الخبر في الشعر والشعراء ١ ـ ٧١ . (٥) الحماسة لابي تمام ٢ ـ ٧ـ٨ . (٦) الشعر والشعراء ٢ ـ ٦٩٥ . (٧) الشعر والشعراء ٢ ـ ٦٩٦ . (٨) الاغاني ٨ ـ ٤٦ ـ ٤٧ .

جذوة

لا تخمد الجذوة ، يا خافقي
قد دم لها اشواقك الباقيه
لا تترك الايام تمضي سدى
ما دام مسراها الى الهاويه
لا تخمد الجذوة ، يا خافقي
طيب الاماني لم تزل .. باقيه !

حلب — علي الناصر

أجنحة الدخان

بقلم جهاد الكاتب

عندما بدأت اهبط مع الاصدقاء الاربعة درج الملهى الملتوي قرصت نفي عفونة ممتزجة برائحة الارض المنسولة . في نهاية الدرج وقف باب ينفتح على ممر طويل ينتهي الى صالة ذات سقف واطيء مصبغ باللون الاحمر . شعرت انني اختنق. لقد عاهدت امل ان اكون معها الى الابد ، وان احبس كل حبي لها وحدها ، وان امنع عيني عن كل امرأة دون وجهها الرائع ، وان اطمس كل الدناءة في نفسي ... فاكتأبت ..

في الصدر ، وعلى شكل نصف دائرة ، مصطبة كبيرة ، تعلو عن الارض نصف متر . جلسنا قربها بعد ان قادنا رئيس الخدم الى طاولة مستطيلة ، وصفق ، فحضر بعد دقيقة خادم قصير ، اسود الشعر ، عيناه غائرتان .. مطموستان ، انفه مقعر ، وفمه عريض يمتطيه شاربان رفيعان ، قال صديقي الذي جلس الى يميني :

ـ ماذا تشرب ؟

كنت لا ازال اتفحص الصالة ماذا اشرب .. همست في اذنه :

ـ قهوة .. أو عصير ليمون .

ضحك باقتضاب ، ثم صك اسنانه ، ومال رأسه الى راسي :

ـ لا تفضحنا اطلب مشروب الرجال .

هممت ان اقول شيئا ، ارتبكت ، ففككت ربطة عنقي .

لا ادري كيف قادني الاصدقاء الى هذا المكان ، كانوا يعرفون كرهي هذه الاقبية ، ويتندرون بذلك ... يسالونني ماذا تعرف عن النساء . واظل صامتا ، استمع واريد ان اتكلم .. ان اقول شيئا عن النساء . كانوا يحاولون دوما جري الى الملهى او الى اي مكان يحتسون فيه خمرا ، وكنت ارفض واعارض ، واجد نفسي شجاعا ، بل بطلا في معارضتي ، كنت افضل ان اسحب الدثار فوق راسي واحلم . احلم كيف سألقاها ، ماذا سأقول ، اي هدية سأقدم واستعيد كل ذكرياتي معها ، اعيد في خاطري كل كلماتها ، واحاول احيانا ان اوجه اليها رسائل ، اضمنها كل خواطري ومشاعري .

لا ادري كيف استطاع الاصدقاء اقناعي بان الملهى يعرض مسرحيات قصيرة مضحكة ، ولوحات فنية لا علاقة لها بالعري ، وان ساحرا هنديا لم يروا مثيلا له في حياتهم يعرض الاعيب مشوقة .

وجدت نفسي فجأة في مأزق : انني لا اشرب خمرا ، لم اتذوقه طوال عمري الذي يداعب الخامسة والعشرين ، ولكنني سمعت عن طعمه ، وعرفت لونه ، وشممت رائحته فكرهته . واحتج امام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاصدقاء بان معدتي لا تقبل خمرا ، تقذفه حال نزوله اليها ، والطبيب منعه عني لان كبدي ضعيف لايحتمل هزات كحولية .. اتهرب بهذا من مواجهتهم بالحقيقة . اخاف ان اقول لهم : انه محرم .. لقد عاهدت امل الا اذوقه .. لا بد انها ستشعر بخيانتي فانا اعتقد ان روحينا واحدة .. واحدة .

قال احد الاصدقاء يخاطب الخادم :

ـ خمس زجاجات « عرق » .



اختفى الخادم وراء باب جانبي مضاء . وراحت عيناي تجوسان . اضواء خافتة . زنود معباة . وسيقان ملتوية تلمع . زجاجات تتداعب كؤوسها . رائحة خمور ، عطور . وبرودة لذيذة تعانق الهمس . كانت الموسيقى قد بدأت تدغدغ مسامعنا بعد ان تربعت الفرقة الموسيقية صدر المنطقة .

من حولنا تناثرت نساء شبه عاريات . اجسامهن مشوية بالدهون العيون تلمع . الرؤوس تتلفت . ترشق نظرة الى ساقين يهتزان .. ضحكات طويلة ناعمة تخترق الصالة . وعند سقفها تجمعت غيمات دخان صغيرة .

احسست انني ادخل عالما جديدا غريبا . كان اصدقائي يتهامسون ويشيرون باصابعهم الى امرأة تجلس بالقرب من الباب وحيدة الى طاولة ، يحجب وجهها برقع دخان مستمر :

ـ حزينة .. احرقت فمها بالسجاير .

ـ غدا تنسى ان صديقتها قتلت نفسها بالسم .

ـ لماذا قتلت نفسها ؟

ـ كبرت .. وخف الشغل .

ـ وهذه ؟

ـ فيها روح .. لسنة او سنتين

ـ وبعدها ؟

ـ الى جهنم ..

وضحكوا . راقبتها فترة من الوقت فشعرت بحزن نحوها .

كان الخادم قد بطح على الطاولة خمس زجاجات قصيرة مفلطحة مع خمسة كؤوس قاعدتها اصغر من فمها ، ووزع صحونا زورقية فيها فستق ، واخرى دائرية فيها شرائح بطاطا مقلية ، ووضع وسط الطاولة سطلا صغيرا يمتلىء بقطع الثلج ..

راقبت الايدي وهي تنتزع السدادات ، وقد غلت الوجوه ابتسامات خافتة . اتسعت رائحة

المشروب في انفي فخنقته . وفتح صديقي زجاجتي وملأ كاسي وخلطه بالماء فاصبح ابيض كالحليب :

ـ اشرب حليب السباع .

امتلكت بالكاس وانا اشعر بالف حزام يشد يدي .. المشروب حرام . طعمه غير مستساغ .. يفقد الانسان عقله . يقولون انه دواء الذاكرة ، بغسلها . هذا هروب ، ما دمنا قد خلقنا فعلينا ان نعيش .. ان نعيش كما نريد .. لا كما تريد الحياة .. الحياة تريد غير ما نريد .. تصدمنا تسلب سعادتنا .. علينا ان نثبت . سمعت احدهم يقول :

ـ اشرب .

قذفت الى فمي بضع حبات من الفستق . احسست بمرارة الخيانة فندمت ، جرحت كل جدي ... احسست انني انتحر ، ان الانسان عندما يخون يقتل نفسه بيده .. سمعت الا اشرب . رفعت كاسي ولامست المشروب بشفتي المتعانقتين فنفذت رائحته النتنة الى رأسي . وتظاهرت انني بلعت شيئا . كان الاصدقاء ينظرون الي . قال احدهم :

ـ للذيذ . في الاول تشعر بحرقة في الحلقوم وللدع في اللسان ... واخيرا تشعر بنشوة ..

اية نشوة هذه ، اذا كان الانسان غير راض عن عمله . اذا كان الندم يذبح رقبته . سألت احدهم :

ـ متى يبدأون ؟

ـ لقد بدأوا .

ـ اقصد الساحر ..

واحسست ان ضحكته محشوة بالسخرية .

انطفأت انوار الصالة ، وانسكبت انوار كاشفة ملونة من السقف على ارض المصطبة . علت ضربات الطبل فانفرج جانب ستارة قصيرة في الصدر وقذف راقصة .

لاحقتها الانوار .. رفعت كاسي الى فمي .. علا الصياح والتصفيق . لم كتفاها . غافلت الاصدقاء وسكبت قسما من المشروب تحت الطاولة . ثم اكلت قطعتين من البطاطا . وابتسمت . في الظلام يستطيع الانسان ان يفعل كل شيء دون ان يراه احد .. سادفع ثمن المشروب الذي اسكبه . ولكنني سعيد لانني اتخلص من شيء لا احبه .

انطلقت صيحات .. وتفجرت الصدور بآهات عميقة .. انفقأت الف عين .. وسال الف جرح ... في المقصورات الجانبية ذات الجدران الواطئة كنت اقدر واتصور ما يمكن ان يجري فيها . لزني صديقي :

ـ صفق ..

صفقت ، وانا الاحق جد المراة بنظراتي . الموسيقى كانت قلقة لا تستقر على لحن والزبائن يخورون وهم يرددون اغان قصيرة على وقعها .. ويغضبون .. ويهدأون . فكرت ان اذهب في اليوم التالي الى امل ، واعترف لها بانني ... بانني سمحت لعيني بالرقة ، وانا نادم . انها الان تنام وهي تحلم كما احلم انا .. ابتسامتها تصبغ كل وجهها .. وجديلتها على الوسادة قنديل ملائكي . ان الحب يجعل قلب الانسان نظيفا ، يكنس منه كل غبار ..

افقت من تأملاتي على صوت المذيع يقدم بلبلا صداحا .. وخرج البلبل المراة . غنت ، فقرفت الغناء كرهت جسدها المكتنز بالخطايا .. وحاجبيها المرسومين بيد الشيطان ، وشعرها المصبوغ بدم الشر . تقيأت اذناي هذا الغزل الدنيء الذي انسكب على مسامعها ... هذه الفجة والصراخ من اجل الجسد . اخفيت وجهي بكفي وانا اشعر بغربتي في هذا المكان ، حتى اصدقائي لم اعد اشعر بصلة تربطني بهم .. انني اشفق عليهم . كلهم عيون جائعة ظمآنة وانا جائع مثلهم .. ولكنني اعرف ان الحياة تعيدنا بهذا الفخ . نتحطمنا . اذا كانت الحياة لا تمنحنا ما نريد ، فيمكننا ان نحلم بما نريد . الا يحب هؤلاء الخائرون ؟ هل تنتهي رجولتهم بقضاء سهرة .. ليلة لا يعرفون ما يصنعون ؟

شعرت برطوبة تتسرب الى قدمي . فالقيت نظرة خاطفة اليها ، وابتسمت لقد سكر جذائي . وقفز ذهني اليها . رائحة المشروب كريهة . يجب ان امحو كل الاثار . كيف انظر الى وجهها غدا .. كيف اكلم العذوبة والطيبة .. باي لسان اعترف لها ، واي حجة لي ... هل ستقتنع بقصة الساحر .. اجل ستقتنع فانا اعرفها .. اعرف ذلك القلب الذي صنعته يد الصدق . سأضع على يدها ، اصابعي فوق اصابعها ، والامس شعرها المنسوج بشعاع الشمس . انني اعذب نفسي . الا يكفي ان يعذب الانسان نفسه للتكفير عن خطيئة . سألت احدهم :

ـ متى يأتي دور الساحر ؟

ضحك وهو يتمايل مع لحن موسيقي حاد :

ـ في الاخر .

علي اذن ان انتظر ، ولماذا انتظر ؟

كان اصدقائي قد خذلتهم الخمرة واستولت على اجسادهم .. وراحوا يتناقلون الفاظا قذرة ويتداولون نكات فاضحة .. ويضحكون حتى تسقط رؤوسهم على الطاولة ، ويخبطون باقدامهم ويضربون بقبضاتهم ظهر الطاولة .. ثم التفت رؤوسهم وراحوا يتهامسون وبدا على وجوههم شيء من الجد . وفهمت انهم قرروا ان يكملوا سهرتهم بعد الخروج من الملهى .

اعلن صوت سريع ان الفقرة القادمة للراقصة المبدعة الفنانة : ...) واشتعلت القاعة بالتصفيق والصفير .. وعزفت الموسيقى لحنا نمهيديا قصيرا . وحين ظهرت الراقصة نهض كثيرون .. حيوها . ارسلوا لها قبلاتهم بايديهم . عانقوا كل قطعة من جسدها باعينهم ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعرفت انها تلك المرأة التي كانت تجلس قريبا من الباب . ران الصمت وراحت الراقصة تتلوى .. كل جسدها يتحرك .. رقبتها . ايديها . اصابعها . بطنها .. ساقاها ، كلها تتحرك . شعرت بضيق .. كل هؤلاء يتحركون .. تحركهم امراة ساقطة ، تبيع وهم يشترون . ولمت نفسي ، لتصنع ما تريد ، ان كل انسان مسؤول عن تصرفاته . ولكنني لا استطيع إن اكون مثلهم اؤجج حواسي دفعة واحدة لامراة لاتربطني بها سوى هذه الطاولة وهذا السقف خفت ان اذكر شيئا لاصدقائي من هذا .. فقد يتهمون رجولتي .

شعرت انها تنظر الي بطرف عينيها .. لم اكن اصفق ولا اتمايل . ويبدو اني اثرت فضولها . لعلها تسخر مني . ان مئات من الزبائن يتلوون .. جاءوا ليتلووا مع حركات جسدها . قذفتني باكثر من نظرة عميقة . فكرهتها .. كرهت ضحكتها الغزيرة . فصديقتها التي ماتت تتمدد الان في قبرها المعتم الرطب وآلاف من الدود تنبثق من عينيها ، من فمها تأكل لسانها ، وساقيها ، تلتهم صدرها .. قلت دون وعي :

ـ الله يلعنك .

لم يسمعني احد . ان الانسان ينسى دوما ما يجب ان يتذكره . لزت صديقي بغضب :

ـ كيف ترقص ، وصديقتها ميتة

اجابني وكلماته تختلط بالتصفيق والاهات والمداعبات :

ـ كلنا سنموت .

ايقنت انني افكر في اشياء تافهة بالنسبة الى غيري . في حين اغطيها كل اهميتي .. اذا كانت الحياة هي ان ننتظر الموت ، فاني افضل ان نقتل اطفالنا يوم ولادتهم . اننا لم نخلق من اجل ان نموت .. خلقنا لنثبت اننا جديرون بالحياة . لم تمح صورة امل من ذاكرتي دقيقة واحدة .. كان وجهها يرسم امامي بقتل كل غيمات الدخان . يطمس كل وجوه الراقصات .. يسخر من هذه الاهات الكريهة الخارجة من اعماق الدناءة . وهذه الصيحات الملوثة بنداءات فاجرة لا تستحق الحياة . سألته :

ـ متى يأتي دور الساحر ؟

لم يجب عني .. وادركت انني اتطفل عليهم .. اقطع عليهم لذتهم ، اشوه حياتهم . لقد فصلتهم الراقصة عن دنياهم ، سحرتهم . انهم يقتلون انفسهم .. ينتحرون . شيء تافه . تافه ، الندم يكبر في صدري لانني لوثت حياتي .. اشرعت نافذة ليتسرب منها دخان يحرق الحلقوم ، يدمع العينين ، يخنق الانف . يقولون لي انت خيالي .. عاطفي والحياة فيها كل شيء ، الخير والشر المجنون والعاقل . يجب ان يكون لكل شيء ضد . ويتهمونني بان قراءاتي اثرت على تفكيري وشلته ، حقنته بلقاح يمنع عنه البقاء والصمود واقول : ان اجمل شيء في الوجود هو ان يشعر الانسان بان انسانا آخر يهتم به .. كنت اعلم انني لن التقي معهم في خط واحد ، ومع ذلك فانا اصحبهم الان ليثبتوا لي عكس ارائي الشاذة المغايرة لكل واقع .

وحدثت وراءنا ضجة صغيرة ، فقد حشرت طاولة بين الطاولات ، وحملت مقاعد وجلبت اخرى ، والبست الطاولة ثوبا جديدا . وانطرح صحنان كبيران محشوان بالفاكهة ، ووزعت ثلاثة كؤوس ، وفتحت زجاجة طويلة غير التي نشربها . جلس ثلاثة من رجال الامن مديدو القامة ، ضخام الجسم . قال صديقي وقد لحظهم بطرف عينه :

ـ الدورية ..

رئيس الدورية له وجه مغولي وشاربان ملتويان . اندفع الى الخلف يبتسم . مسح شاربيه . مال اليه احد الشرطيين وهمس في اذنه طويلا فانفجر بضحكة قذرة وعيناه تتسللان الى احداهن . لماذا لا انهض واطلب منه ان يفتش الزوايا المعتمة : المقصورات . فما يجري فيها لا يعقل ، لا يمكن ان يحدث امام الناس كلهم .. هناك اشياء يجب ان تظل سرا بين المرأة والرجل . اننا نتشبه بالحيوانات ، نقلدها . انه مسؤول عن القانون ، عن الاخلاق . والمقصورات المعتمة يجب ان تضاء . ليس لان الدين يمنع ذلك . . بل لان هذا يحطم اسطورة الاخلاق .

قفز احد الزبائن الى حلبة الرقص وادركت انني شططت في تأملاتي الاخلاقية المثالية . حاول التنكير إن يعانق الراقصة ، فصدته بيديها ، ارتمى على الارض ، وضجت الصالة بضحكات ، هجم من جديد .. وفجأة ثارت رجولتي .. كل رجولتي المباة في جسدي ثارت . ووجدت نفسي على المصطبة . امسكت بيده وقذفته بعيدا . وفي الحال امسكت ذراعي عشرون يد وقادتني الى مقعدي . صاح رئيس الدورية خلفي يخاطب اصدقائي دون ان يتحرك :

ـ امسكوا صديقكم السكران .. دعوه ينام في بيته .

وقال رئيس الخدم ذو العضلات بلهجة آمرة :

ـ لا نريد مشاكل . خذوه واغسلوا وجهه .

سمعت همسا وصراخا يتردد « سكران .. سكران » . انا لم اسكر ، حذائي هو الذي سكر ، كلهم مخمورون ، الراقصة ، والزبائن ، والخدم ، ورئيس الدورية . خجلت من نفسي فصورة امل امامي تشعرني بسخريتها ، بضحكتها البريئة ، انها تقول لي : لماذا جئت الى هنا ؟

همس صديقي في اذني غاضبا :

ـ لماذا لا تنظر .. وتسكت .

ورد عليه اخر :

ثلاث قصائد

موطن اجدادي

ارضي ...
ارض الامجاد
مذ كانت
موطن اجدادي !
صنعوا
للدهر عجائبه
واقاموها
كالاطواد

فهنا حرف
كان ليبقى
أبد الدهر
شعاعا هادي !
وهنا « هرم »
يصفع كبرا
وجه الموت
بكل عناد !

قل لي :
من ذا يخلق
شيئا يبقى
ابدا ...
مثل بلادي ؟

القدس

القدس صرح ممرد
لامة الحق ، أوحد .
عيسى توطن فيه
وأسرى ، وصلى محمد !
قال الجناة : « يداري
يهوده .. يتودد ! »
وذاك محض افتراء
على الحقيقة ، مفسد !
يا قدس ! صلى اليك
محمد وتهجد ،
لانها قطب دنيا
من اليقين ، تجسد !
ان لم تعودي الينا
فكيف ربك يعبد ؟

ارضي اغلى

ما اجمل رائحة
الارض !
تزكو بالطول
وبالعرض !
فكان العطر
لها مدد ،
ينداح اليها
او يفضي !
بعض من ارضي
عطر سنى
والبعض غلا ...
فوق البعض !

رشاد دارغوث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هذه اول مرة يشرب .

وفكرت : ليس كل ما نراه يمكن السكوت عنه ، انني ارى ولا يمكن ان ابدو نائما .. يجب ان نتدخل في اي لحظة لتثبت اننا موجودون . اننا نعيش . قال لي احدهم :

ـ الملهى مفتوح من اجل هذا ..

ـ والساحر ؟

رمقني صديقي بطرفه ، ثم انغمست يداه بالتصفيق .

كانت عينا الراقصة تطفح بالهزء بالدهشة .. بالرثاء ، بكل شيء . تعاتبت نفسي ، قرعتها . لقد خلقنا لشيء عظيم .. لا ان نقعد ونصفق . انني لا ادري ماذا افعل .. فنحن نجري وراء نهاية سعيدة ، ولكنني لا اؤمن اننا سنصل .. ها انا اشاجر رجلا لا اعرفه ، لم يحدثني يوما . لم ار وجهه ، ولم يقذفني بكلمة نابية ، لماذا اعتبر نفسي دوما مسؤولا عن شيء لا يخصني ؟!

انطفأت الموسيقى الصاخبة : وذابت معظم الاضواء . ولم يعد امامي سوى رؤوس منتفخة . كانت عيون اصدقائي قد احمرت ، وشعشت شعورهم ، قلت :

ـ انتهوا ؟

واهتزت الرؤوس .

ـ ولكن الساحر لم يطلع .

قال احدهم :

ـ حظك سيء : في كل يوم يطلع الساحر .

الا في هذا اليوم ، لم يخرج الساحر ، لماذا ؟

انسللت من بين الاصدقاء متنكبا خيبتي وندمي ، شاعرا بقبح الهزيمة . تدفقني درج الملهى الى الشارع فاحتضنني هدوء لذيذ .. سرت املأ صدري بالهواء الرطب . ووجدتني امر امام بيتها .. اقف قليلا انظر الى شرفتها .. الى العتمة التي تظلل غرفتها . شعرت بغصة في حلقي .. وتذكرت ان والدي لا بد قد استيقظ الان ليصلي ، فاسرعت .

حلب — جهاد الكاتب

غربة الروح عند التوحيدي والمباغ

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

ان تمسك بعض العباقرة ، بالمثل العليا ، وحنينهم الى المجهول ، الذي يخفق في نفوسهم ، ومشاعرهم ، واحاسيسهم ، بما في مجتمعهم ، من نقص خلقي واجتماعي وثقافي . وعدم تقدير مجتمعهم لهم ولافكارهم ، انبت شعور الغربة ، في نفوس اولئك العباقرة . فهم يقتاتون من احزانهم والامهم ، ويعمق شعور الغربة في انفسهم كلما اشتد باسها ، ويشتد نموها حتى لكان هذه الغربة تصبح غريبة عنهم .

لقد عاش ابو حيان التوحيدي ، فيلسوف الادباء ، واديب الفلاسفة في عصر امتلأ بالمفاسد الخلقية ، والاجتماعية ، فامتلأت نفسه ، بالاسى والشجن ، والتف عليها يمضغ احزانه ويجتر آلامه ، وعاش في عزلة غريبة نفسانية ، فهو حاضر في مثاله مع مجتمعه ، تتقزز روحه من مفاسده ، منفردة بأساها ، وعناد الدهر ، يقعده عن انقاذ مجتمعه ، وتطهيره مما ران عليه من المفاسد الاجتماعية .

انه يحس بمجتمعه احساسا صادقا ، وشدة الاحساس وخيبة الامل ، ولدت فيه التوتر النفسي ، فامتراه الاسى والشعور بالغربة . انه شعور المحبة اليائسة ، التي لم تقدر ان تصنع شيئا ، فارتدت الى اعماق نفسها ، تنشد الثورة عليها ، والتنقل بها ، من حال الى اخرى ، فهو بركان ثائر يتمخض عن اللهب والحمم ، لا يهدأ ولا يركد ، يشتعل باطنه بحرارة يضيء وهجها جوانبه ...

لقد فرضت حياة الوحدة والعزلة على التوحيدي فلم يجد الصديق الصدوق ولا الصاحب القريب ، ولا المجتمع الذي يقدر ما في افكاره ، من سمو ورفعة ، وعرف الشقاء ، حتى في ملازمة الادباء الذين عقدت لهم الرياسة ، وزاد في تفويرة المه ، والشعور ببؤسه الروحاني ، انه بعد سفرة طويلة مشيا على الاقدام ، لينزل في رحاب الصاحب بن عباد ، الوزير العظيم ، وليتشد الهدوء والراحة والاطمئنان على العيش الرخي في ظله ، ادركته خيبة الامل ، فلم يلق الا المعاملة المهينة المغلفة بالاحترام الظاهري .. اقام الصاحب مأدبة دعاه اليها ، امتلأت صحائفها ، بشتى المأكولات التي حرمها في صباه ، ومن ضمنها (المضيرة) وهي اللحم المطبوخ باللبن والبصل . وكلما تناول لونا كان الصاحب يعظه ويقول : لا تكثر الاكل منه . لانه يسبب مرض السكري . ولا من ذاك . لانه يزيد من ضغط الدم : والتوحيدي مغيظ محنق الى ان اخذ في تناول المضيرة . وعدد الصاحب مساوىء الاكثار منها . فاغتاظ التوحيدي وقال له .. ارجو من مولاي ان يترك التطبيب على مائدته !! لقد وجد من المنغصات ما اورثه خيبة امل شديدة ، وكيف لا يخيب امله ، بعد ان رأى المضيف يقيم الخوان ، يمنعه عن مد يده بكثرة الى اصابة ما رصف على صحائفه من الوان الطعام ، ولم يكن قصد الصاحب التطبيب على طعامه ، وانما كان يضمر للفيلسوف بغضه ، فلقد اقتحمه بنفسيته العظيمة ، وعلمه الواسع ، فتفنن في طرده باسلوب لبق ، لقد يئس ابو حيان ، فانتهزها فرصة وغادر قصر الصاحب مؤثرا الفقر والعيش الجديب : على حياة الذل والمهانة .

وكيف لا يشعر امثال التوحيدي بالغربة ، ونضال الدهر ، تصفعهم من كل جانب وهو القائل « ان الغريب من طالت غربته في وطنه ، وقل حظه من حبيبه وسكنه » والقائل ايضا « يا هذا الغريب من اذا ذكر الحق هجر ، واذا دعا الى الحق زجر .. يا رحمتا للغريب ، طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير » .

ان الغريب بحيث ما حطت ركائبه دليل
ويد الغريب قصيرة ولسانه أبدا كليل

ويشبه التوحيدي ، في غربته الشاعر ابراهيم الدباغ ، فلقد عاش الدباغ طفولة مؤلمة ، يتيم الابوين ، مما ادى به الى الانتقال ، من يافا الى القاهرة وهو لم يتم الثانية عشرة من سنه ، فعب من الثقافة من ازهرها ، وتخرج منه الى ميدان الصحافة ، فانشأ مجلة الانسانية ومرآة الادب ، والزمان ، والعفاف ، وحرر في عدة مجلات وجرائد ، وعاش طيلة حياته غريبا يدعو الى المثل العليا ، في الوطنية والاجتماع والانسانية ، والحياة الفاضلة والروحية البعيدة عن النفاق والكذب ، يتجلى كل ذلك ، في كل ما كتبه من نثر ، وما نظمه من شعر ، لم يبع كرامته في سوق القرش ، ولا ضميره في المزاد العلني ، انفة وكبرياء واخلاصا ، احتفاظا بمبادئه العالية ، يحس البؤس والغربة ، حتى في العيش الرغيد ، والحياة الهانئة ، عاش حياته ، حليف السقم والتمرد ، ومحاربة الظلم ، لان المظالم اكتنفته في طفولته الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، يضيق بالكون ويشعر بالعزلة ، حتى مع كثرة احبابه واصدقائه وعارفي فضله . يقول في قصيدة طويلة :

نفس يضيق الكون عن وجودها ... ثابت الى اليقظة من همودها
كم اقفت من حيز وحلقت ... في جوها . فضقت من قعودها
لم ترتض الارض لها محطة ... وافقها في سعة عن بيدها
لو ان نفسي لحياة سكنت ... لم تجن غير البؤس من رغيدها !

رندة الاندلس

قال المعتضد والد المعتمد بن عباد عندما اخذ رندة :

لقد حصلت يا رندة ... فصرت للكنا عقدة

وعندما زرت (رندة) تذكرت ابيات المعتضد ونسجت على منوالها :

لقد جئناك يا رندة ... فما احلاك من بلدة
جنان الارض اندلس ... وفيها انت كالوردة
تذكرنا ابن عباد ... وابطالا اتوا بعده
تذكرنا ابن حفصون ... وقوما ناصروا عهده
ففي واديك من قومي ... رجالات ذوو نجدة
لقد عاشوا وقد رقدوا ... كرام العيش والرقدة
لقد جئنا نحييهم ... فقد طالت بنا المدة
حماة الثغر تحنانا ... فنحن اليوم في شدة
اعادينا بارضينا ... اعدوا اوفر العدة
لهم في البغي انصار ... ذوو ازناد مشتدة
لهم ظفر وانياب ... على الاهلين ممتدة
فحتى صخرة الاقصى ... بها اعلامهم عدة
ونحن اليوم في بلوى ... وفي ارزاء مربدة
فيا اجدادنا عفوا ... لساني كاره سرده
عسى الرحمن يكفينا ... بلاء نرتجي صده
اتاني بعد ذا صوت ... يزيل الحزن والوحدة
به عطف وتحنان ... به النبرات معتدة
لقد دالت ممالكنا ... وكانت حلوة رغدة
فقل للاهل يا ولدي ... بان النصر في الوحدة
فلا يتفرقوا شعبا ... وان يتكاتفوا عنده
فما في الامر من لبس ... وما في الامر من جده
وسرنا بعد ذا نطوي ... شعاب الارض من رندة
وصوت الريح في اذني ... يقول ((النصر في الوحدة))

لندن

فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى »

لقد كان يسعى الى القرش الشريف ، فيرجع بشجا حلقه ، كالنسر يعف عند الصيد ، ويعطي نصيبه للغراب ، عاش حياته مرهف الحساسية ، شديد الحياء ، يعف عن الصيد الذي تاباه حياة الكرامة والانفة ، ويقبل عليه اولئك الذين اوتوا رصيدا من المكر والدهاء الاجتماعي ، ولعله ايضا يشبه الفيلسوف « افرانتش كافكا » فيما يعبر عنه بقوله انه كان يمد يده الى الاشياء والاحياء ، يمدها ما وسع المد ، لكنها كانت قصيرة لا تبلغهم ، فليس عليه الا ان يردها الى اصلها : فيغمض عن المشهود . يقول الدباغ من قصيدة طويلة كما قال كافكا في نثره :

ما زلت احتال على حقي ... لعله يكتب في رزقي
اسعى الى الرزق ، ولكنني ... ارجع منه بشجا حلقي
اطوي له الارض فيجتازني ... منربا في سرعة البرق

ويقول ايضا من قصيدة طويلة :

لي ضمير به شقيت ، فيا من ... يشتريه ، يريحني من ضميري
انا منه في حالتين ، فما زلـ ... ـت ، اميرا عليه وهو اميري
يطلب الاصغرون مني صغارا ... وهو يابى الا مكان الكبير

لقد وهب الدباغ نفسه للوطن والدين والانسانية ، وعف عن الصغار الذي يطلبه منه الاصغرون ، وعاش حليف السقم والالم ، في غربة نفسية ، وازدرى بالمال ، يعرضه عليه ارباب النفوذ ، بكثرة كاثرة ، في سبيل الانحراف عن مبدأ الانسانية ، والكتابة وفق ما يرغبون ويشتهون ، والالم مطهر تنسيغه الارواح الكبيرة فهو جوهر الصفاء والنقاء .

عمان ـ الاردن

مصطفى درويش الدباغ



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

حتى قويت شوكتهم

اولئك الذين هاجروا بايمانهم .. وهم لا يحملون مع ذلك الايمان غير جلابيبهم ، وجلابيبهم وحدها ، حتى ان الذين في قلوبهم مرض ، كانوا يغمزونهم بها ، فيسمونهم : (الجلابيب) ، يعيرونهم بفقرهم ، ويسخرون بهم لفرط حاجتهم ، ولشدة بؤسهم ...

اولئك المؤمنون الصادقون .. الذين هاجروا طائعين مختارين عن وطنهم مكة ، وقد تركوا فيه : اموالهم وتجارتهم ، وما يملكون ..

تركوا فيه : الاهل ، والاحبة ، واتراب الصبا ... تركوا فيه : مسارح الطفولة ، وما احبها الى النفس من مسارح .. تركوا فيه: مرابع الذكريات الحبيبة : وقد يعيش المرء حياته كلها ، وهو يتشد السلوان في ظل هذه الذكريات ، كلما ضاقت في وجهه المسالك ، وحربته كالحات الامور ..

تركوا ذلك كله ،طائعين مختارين ، ليفروا بايمانهم هربا من ائمة الكفر ، حين كانوا ضعفاء في وجوههم ، لا يملكون لكيدهم ردا ولا دفعا ..

وهؤلاء المهاجرون بايمانهم لهم اشباه بيننا اليوم .. فلقد هاجروا مثل هجرتهم ، وهم لا يحملون معهم شيئا من متاع الدنيا ، وتركوا في اوطانهم اموالهم ، وتجارتهم ، وما يملكون .. وتركوا فيها مثل الذي تركه اسلافهم الغابرون ..

تركوا ذلك كله طائعين مختارين : هربا بحريتهم من اعداء الحرية والحياة ، لانهم لا يملكون من القوة ما يردونهم به على اعقابهم ،حين سلحهم الباطل بما لا قبل لهم به ..

وكما كان اسلافهم السابقون في هجرتهم غير منهزمين ، وانما كان ذلك منهم تحفزا واستعدادا ، اذ كيف ينهزمون من امر هو احب ما في دينهم اليهم ، ولذا فهم يسمونه (الشهادة) ، حين يخافه اعداؤهم فيسمونه (الموت) ؟بل كيف ينهزمون ، وهذا القرآن الذي تمتلىء به قلوبهم ، يتردد في اسماعهم مرتلا :

« ان يكن منكم عشرون صابرا يغلبوا مئتين ، وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون .. »؟!

كما كان اسلافهم السابقون في هجرتهم يستعدون ويتحفزون .. فانهم كذلك ..

كانوا وهم يخرجون بحريتهم غير منهزمين فرارا من الموت على نحو ما يصنع الضعيف الجبان ، وانما كان ذلك منهم مداورة الجريء الحازم حين ينحاز الى رفاقه ، ليتحين معهم الفرصة الملائمة ، والثغرة التي يلجون منها على عدوهم ، ليضربوه الضربة التي لا تقوم له بعدها قائمة

اليس اسلافهم حين وجدوا مكانا يثبتون اقدامهم فيه ، تريثوا حتى قويت شوكتهم ، ثم تصدوا لاعدائهم ائمة الكفر ، يصارعونهم ويقارعونهم ، حتى كانت الغلبة عليهم ؟!

فما لهم ــ اذن ــ لا يفعلون فعلهم ، وقد تهيأت لهم مواطىء الاقدام هناك ، في اوطانهم التي اخرجوا منها ، فيسارعون بالعودة اليها ، لتقوى بهم الصفوف ، وتشتد بهم العزائم ، ثم يتريثون الى ان تقوى شوكتهم ، وعندها ينتصفون من اعدائهم ،لكي يعيشوا في اوطانهم احرارا ، لا ينازعهم فيها منازع ؟! ...

ما لهم لا يفعلون ذلك .. متخذين العبرة ، فيما فعله اسلافهم ، ليدركوا مثل الذي ادركوه من الغلبة والتفوق والانتصار ؟!.. ما لهم لا يتمثلون بقول الشاعر :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

من يدري ؟!

قال لي : « اتدري ماذا اتمنى على الله ؟! .. »

قلت : « من اين لي ان اعلم الغيب ؟!! ماذا تتمنى على الله ؟! هل لك ان تعلمني ؟! .. »

قال : « اجل؛ سوف اعلمك ؛ ان الذي اتمناه على

الله . هو ان يظللنا يوم من ايام هذا المستقبل العريض . فاذا نحن نفتح اعيننا على نظام اعده المسؤولون عندنا . لهذه السجون المنتشرة في انحاء بلداننا العربية . فاذا هم يوحدونها في سجن واحد لكل قطر ، يحيلونه الى مركز للتقويم والتهذيب ، يقيمون فيه شتى انواع الصناعات المختلفة ، ويوفرون فيه لهذا السجين مجال الخبرة العملية ومجال الخبرة الثقافية ..

ويقبلون به على ذلك .. يرغبونه بالاجر المنصف . يحجزون منه جزءا لقاء ماتنفقه الدولة عليه ، لكي لا يكون عالة على المكلفين في بلده . ويقتطعون منه جزءا يدفعونه الى من يعولهم من أهله . ويرصدون ما تبقى يوفرونه دينارا فوق دينار ، حتى يحين موعد الافراج عنه ، فيجد ذلك المبلغ سندا يتكىء عليه ..

وعندها سوف يلج ابواب الحياة من جديد .. يلجها انسانا آخر غير الذي خرج منها يوم سجنه .. فلقد زودوه بالخبرة .. ولقد سلحوه بالمعرفة .. ولقد رفدوه بالعون المادي ..

ثم ـ الى جانب ذلك كله ـ وجهوه خلال سجنه : بما قرأ ، وما سمع ، وما شاهد ، توجيها يبتعد به عن مسالك الشبهات ، ومزالق الريب ..

تلك هي امنيتي التي اتمناها على الله .. وما ادري هل يستجيب لي ، فاذاهو يحقق هذه الامنية ذات يوم ».

قلت لصاحبي : « تلك امنية غالية ، ويخيل الي ان الذين يتمنوها من مثلك كثيرون ، وربما لا حصر لهم .. ولن يبعد ان يستجيب الله لك ولهم ، فاذا هو يلهم المسؤولين عندنا ليقدموا على تحقيقها .. »

كذلك قلت لصاحبي .. ثم رأيتني اردد بيني وبين نفسي ، كانني اتمنى مخلصا ، ان يصبح هذا الذي قلته لصاحبي حقيقة ، فاذا انا اقول دون ان افصح :

نعم .. لن يبعد ذلك ابدا .. ومن يدري ؟! فقد يفاجئنا القدر ذات صباح ، واذا بهذه الامنية قد تحققت .. اجل .. من يدري ؟!

اما تذكر ؟!

هل سمعت ـ عمرك ـ ان مادحا يمدح لك انسانا لانه بلغ الذروة في عمل الشر وصنع الاذى ؟ ان الذي الفه الناس هو ان يمدحوا خيرا محسنا . لانهم اكبروا منه عمل الخير وصنيع الاحسان .

وهل تراك تتوهم ان عمل الخير لا يكون الا نفعا توصله للاخرين فتحس بهجوارحك احساسا ماديا ؟ لن توهمت ذلك فانت مخطىء . ان في كل نفع خيرا من غير شك ولكنه ليس الخير كله . ان من الخير ما هو اقل من ذلك مشقة عليك : ان من الخير ان تقابل سواك بالمجاملة الحسنة والتلطف بالمقالة . بل هو ما يوضحه القول الكريم في الحديث الشريف : « الكلمة الطيبة صدقة » .

وفي ظل هذا المفهوم : اثر عن السيد المسيح انه كان يقابل ايذاء معارضيه وتهجمهم عليه بالقول المهذب والرد الحسن ، فاذا ما ساله اتباعه عن تصرفه هذا اجابهم بقوله : « انهم يبذلون ما عندهم . وانا ابذل مما عندي .. »

كما اثر عن الحسن بن علي انه كان يبلغه ذم احد جيرانه له عند جلسائه وتحامله عليه تحاملا ظالما . فكان يغضي عن جاره هذا ، حتى اذا ما تكرر منه ذلك ، حمل اليه مع رسول طبقا مملوءا تمرا ، واوصاه ان يقول له : انه هدية من الحسن اليك .. ، فاذا ما سئل عن سر هذا العمل اجاب : « انه حمل عني وزر ذنوبي حين استغابني عند صحبه فوجبت علي بذلك مكافأته ».

يا اخي القارىء : ما اردتك ان تكون السيد المسيح في تسامحه . ولااردتك ان تكون الحسن بن علي في سعة صدره . وانى لك ان تبلغ مراتب الصفوة من الانبياء والصالحين ، ما اردت ذلك ابدا ، وان الذي اردته هين بسيط ، انت وانا واخرون غيرنا نقدر عليه حين نشاء ، ولا يكلفنا كبير جهد او عناء .

الست تعلم ان النار المدمرة حين تلتهم الاخضر واليابس انما تبدأ من شرارة صغيرة هينة لا خطر لها ! وكذلك الشر ، فهو يبدأ بكلمة صغيرة هينة ، وانك حين تقابل انسانا غاضبا بغضب مثل غضبه ، تكون بذلك قد طرحت الوقود على النار فاضطرمت وتاججت ، ونجم عنها ما نجم من شر واذى . وانك لو قابلت غضبه بالابتسام والكلام العذب وسعة الصدر لكبحت بذلك جماح غضبه ، وارغمته على ان يعود الى الاعتدال وعدم التطاول . اما تذكر الآية الكريمة : « ادفع بالتي هي احسن ..؟ » اما تذكر قول الشاعر :

ان الامور صغيرها مما يهيج له العظيم ؟

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

شاعر

يا اجراس الصمت ومزايد الغبطة
اهزجي الآن في قلبي
بالسنة من ضباب المروج وعطر الدوالي
منذ قليل هبط شاعر من عالم الجليد
في عينيه اقمار ولهيب
وفي شفتيه سماء
من زنابق وقمح ونجوم

دمشق — سليمان عواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيد حسن القاياتي كما عرفته

بقلم تلميذه وصديقه
محمد مصطفى البسيوني

* * *



يوجد في ادباء العربية بمصر ، واكثر ربوع الضاد في الشرق من يجهل اسم السيد حسن القاياتي قريع شوقي وحافظ ومطران ، ورصيف حفني والبكري والمويلحي . وعضو مجمع اللغة العربية بمصر ، وصاحب الجاه الادبي المؤثل ، والندوات العلمية الساهرة ، في النصف الاول من هذا القرن!

اجل ، لا يوجد في ادباء العربية من يجهل اسم السيد حسن القاياتي ، ومع ذلك فقد سكت زملاؤه من الشيوخ وتلاميذه من الشبان عن القيام بالواجب الادبي في تحليل شعره وتشريح نثره ، وفيهم من بلغ الجهارة والنباهة بمسعى القاياتي ! واذا كنا نفتقد الوفاء الحر في حملة الاقلام ، وخطباء المنابر ، فاين نجده بعد ذلك في شتى الطوائف من الناس ؟

لقد مر ما يقرب من الاعوام العشرة على وفاة شاعر الرقة والجزالة معا حسن القاياتي . وان الذاكرة لتعبر الزمن في كل يوم لتستعيد الامسيات الحافلة التي كان يعقدها في بيته العتيق المريق الذي يتوسط عطفة السكرية ، والتي عرفت فيما بعد بعطفة القاياتي ..

ففي رحبة هذا البيت ، ذات الفناء الواسع ، كنت ترى الارائك مصفوفة، ومعدة في كل يوم لاستقبال الزائرين من كبار الادباء وناشئتهم ، ومن مريدي التصوف ومجبيه وكنت ترى اقداح الشاي العربي الهنيء تدار على القاعدين من حين لآخر ، فيرتشفون الادب والعلم ، والشاي في آن .

كما تشهد هذا المتكأ من عل نخلة سامقة تشرئب في وسط الفناء ، لو تحدثت لروت مما تسمع ادبا ، ولحكت مما ترى عجبا ، وقد حدثني « السيد » رحمه الله ان هذه النخلة شهدت ميثاقا مبرما عقده في ظلها — وفيما بينهم — زعماء الثورة العرابية برئاسة احمد عرابي .

فبيت القاياتي اذن بيت جمع فيما بين الجدر ، عديد الصور ، وشتى الذكريات ، فهو بيت الدين والعلم ، وبيت الادب والسياسة ، فمن اعلامه في الدين السيد احمد عبد الجواد احد علماء الازهر وشيخ الفشنية في القرن التاسع عشر ، والسيد عبد العظيم شقيق شاعرنا السيد حسن . ومن زعمائه في السياسة السيد محمد عبد الجود والد اديبنا الكبير ، وشقيقه السيد احمد ، في الصف الاول من زعماء الثورة العرابية ، وقد ابعدا الى الشقيقة سورية نفيا لمدة اربعة اعوام . وفي السياسة كذلك يحدثنا التاريخ عن الشيخ مصطفى القاياتي ، ومن بعده شقيقه السيد ابراهيم شيخ الفشنية السابق بالازهر الشريف كابطال للثورة المصرية سنة ١٩١٩ . وهي اسماء خالدة فذة ، لها — الى جانب الدين والسياسة — دور في الادب جد عريق كان فارسه المحجل السيد حسن ، والرجل مع منزلته الادبية كان يتمدح بدور عائلته السياسي ، ولا ينسى ان يتحدث في ثقة واعتداد عن بعض ذكريات طفولته ، عندما طرق بابهم طارق ، فذهب ليرى من الزائر ، فاذا برجل فعل الزمن بهيئته كل سوء ظهر اثره في ثيابه ، ولحيته ، وانحناء ظهره ، فسأل « الطفل » : «هل السيد محمد عبد الجواد بالدار ؟ فلما استفسر « السيد » عن اسمه اجابه « بانه احمد عرابي » اجل !! زعيم الثورة المزموق في عهدها الثائر ، وكانت كل كل البيوت قد تنكرت للرجل بعد عودته من المنفى ، مجاملة للخديو وللقصر ، الا بيتا واحدا ، هو بيت القاياتي فيا لله ما ابجل .

ان بيتا اجتمعت فيه امامة الدين ، وزعامة السياسة وريادة الادب والفكر ، هو دون شك بيت يفتح للكرم والجود اوسع الابواب فلقد كانت تؤمه الوفود من الواحات وبلاد المغرب ، واقاليم مصر الوسطى لتجد فيه الاهل والسهل جميعا . . اما السيد حسن القاياتي فهو في ذلك الحفل اليومي رائد ، وفي تلك الندوة العامرة امام ، يضفي على المكان من مهابته مهابة ، ومن بساطته بساطة ، حتى لتكاد تلمح روح « السيد » تشع في كل شيء هنا ، وهناك ، وهو بعد جالس في الصدارة يتحدث في هدوء يلزم مريديه الزاما على التسمع الدقيق ، والانصات العميق

ولقد كان الرجل مؤمنا بدوره الادبي ايمانا شديدا ، ولعله كان يرى في اقامة هذه الامسيات الإدبية في داره تحقيقا ما لرسالة يؤمن بها ، وهي جمع رواد الادب ومريديه في صعيد واحد ، يؤلف الشمل ويلف الجمع ، وقد ذكر هذه المعاني يوما في صحيفة الاهرام بعددها الصادر في ٢٨ — ٧ — ١٩٤١ ، عندما تحدث عن « النادي الادبي الرياضي في الدولة الاموية » ثم ذيل حديثه بدعوة صادقة يقول فيها :

« اما اخوتنا الادباء العصريون والشعراء ، فان اليهم هذه الدعوة الكريمة المربحة ، لقد تصرم ايها الادباء منذ اقيم ذلك النادي الاموي العربي ، ستون حجة ، ومئتا حجة والف كاملة ايقظت العصور من الغفوة ، وكشفت الغرة ، ما استجدت الحياة مدنية ، من همجية ، وحضارة من غرارة ، فاين منتدياتكم الادبية اليوم ، تؤلف الشمل ،

(*) كتبت بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاته في ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٥٧

وتلف الجمع ، ويأوي اليها من رجالات البيان بأوعية الفكر بالادب البكر .

اواه من شملي البدد وآه من نومي المشرد

ولعل ايمان القاياتي بالندوات الادبية ، ودورها في ترقية العقل والوجدان ، وتكريم الانسان ، هو الذي دفعه يوما الى الترحيب بتاليف جماعة تضم الادباء الشبان بالفيوم ويطلق عليها اسم « الندوة » وقد حياها الرجل بابيات مشجعة اذكر منها :

زهرا شباب الحمى بندوتهم زهو قريش بدار ندوتها

وهكذا كان الروح الادبي الاصيل هو ملهم القاياتي في ادبه ، وفي معاملاته الادبية ، يحفز الرائد ، ويشجع الناشيء ، وهو قمة في كل حال ..

بل لقد كان الروح الادبي الاصيل هو الدافع الامثل لسلوك « السيد » الذي يشير الى خلق قويم ينسل من اصل كريم اذ كان متصل النسب — من جهة امه — بالحسن السبط رضي الله عنه ، ومتصل النسب — من جهة ابيه — بابي هريرة رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد اورثه ذلك النسب العربي مع جهارة البيان كرم اليد واريحية السماحة فقد كان يعيد احاديث الفتوة العربية بسخائه العطاء في كل مكان يؤمه ، وكازينو فاضل بالحلمية شاهد على ذلك ، اذ ما يكاد يحله حتى يتقاطر عليه الحشد الحافل من الادباء كبارا وصغارا ، وكل يعرض عليه آخر ما انتج ، والسيد صريح يعقب على كل اثر فني بما يستحق ، وكثيرا ما يعمد الى قلمه الاحمر فيضعه في رقاب القصائد تنقيحا وتصحيحا ، فاذا فرغ من مجلسه ادى من جيبه اثمان ما شرب المجتمعون على متابعة وتكرار لا يسأم معهما نقده الادبي تصحيحا ، ونقده المعدني اجرا ومكافاة !! حتى اذا انتقل الى مجلسه بالسكرية اعاد المنتدى وحضر الشادون والمتادبون ، ولئن تغير المكان ، فما تبدل النقد والبيان !! وهذا العطاء السمح عن طبيعة واستعداد لا عن تكلف وافتعال ، فهو من هذه الناحية شبيه لصديقه الاستاذ الاكبر مصطفى عبد الرازق حبا للادب ، واستجابة للاريحية ، ودواعي الفتوة ، واذكر ان الدكتور احمد بدوي قد اشار الى هذا الشبه في خطبته الاكاديمية بمجمع اللغة العربية حيث قال :

« احسست وانا اتصفح هذه السيرة الحميدة ان بين سلفي السيد حسن القاياتي وبين اعز اهلي على نفسي واحبهم الى قلبي المرحوم مصطفى عبد الرازق شبها كبيرا في المظهر والمخبر ، وكلاهما بر ودود ، وكلاهما سخي مبسوط الكف والوجه في آن معا ، وكلاهما حسن الذوق لما يقرا ويكتب ، ولما يسمع ويقول ، وكلاهما مشبوب العاطفة في حياء جم ، وكلاهما مترفع في غير استعلاء ، وفي حياة كل منهما حيرة فلسفية تهز النفس حنينا الى الماضي ، وتدفعها نزاعة الى الجديد » (١) .

ولقد تجلى هذا الخلق الكريم الذي تحلى به اديبنا القاياتي في ادبه ! فكان شعره ونثره بما فيهما من جزالة في المبنى ، ورقة في المعنى صورة صادقة حية تكاد تتجسم لتشير الى اخلاق « السيد » ونهجه في الحياة . لقد ابى خلقه ان ينافق الناس ، فكان ادبه بمنأى شاسع عن الملق والمجاملة اذ يندر ان ترى قصيدة مدح في شعر القاياتي بعصر سارت به الاماديح كل مسار ، فاذا رايته يمدح — وقلما يفعل — فانما يمدح صادقا اهل الثناء .

لقد كان الرجل صديقا للفيلسوف المرحوم مصطفى عبد الرازق منذ زمالتهما في طلب العلم بالازهر ، ثم ارتقى مصطفى الى الوزارة ، فالى مشيخة الازهر ، وكلتاهما مما يوجب تهنئة الصديق للصديق ، وقد جاشت بنفس القاياتي كشاعر مطبوع نوازع تدفعه الى تزكية صديقه في سعادته المواتية ولكن احساسه الدقيق صرفه عن ذلك مخافة ان يظن ظان ان المدح للوزارة والمشيخة لا للمودة والصحبة ، فواد عواطفه وادا ، وهو يكابد من كتمانها ما يتضرم من الجمر تحت الرماد الخادع ، الا ان القدر الفاجع لم يمهل صديقه الشيخ الاكبر فاختطفه الموت على غير ميعاد ، وهنا فاض الطوفان الحبيس بين الشواطىء عن اليمين والشمال الى حيث يهدر موجه هديرا باكيا بقصيدة من عيون الرثاء جاء فيها :

يا مصطفى امسل الدجا ... في امة خطبت حجاها
فطر اللانك ربها ... في مثل خيمك واحتذاها
الشمس بينك والعلا ... تهل عارفة دجاها
للدين بيت ثاقب ... للجامعات ، وما بناها
في هدى طه يعتلي ... ناديك ام في علم طه
فتكت بنفسك هزة ... كالنار يتلهبا لظاها

هذا الاحساس الرقيق صرف الشاعر عن مواقف كثيرة لو انتهزها لدوت باسمه الصحف كما دوت باسماء تلاميذه ، ومريديه ، فقد كان بخلقه المثالي حربا على الوصولية والانتهازية في زمان (كل من داج وصل) وحسبك ان تعلم ان الصحف الوفدية حاولت ان تجر القاياتي الى معاركها الحزبية باعتباره عضوا بارزا في البرلمان الوفدي آنذاك ، فابى كل الاباء ، ولم يخص الجرائد الوفدية وحدها بنفثات قلمه ، بل جعل ترائه الحفيل نهبا مقسما بين جميع الصحف فكنت تراه في : الجريدة ، والدستور ، والاهرام ، والسياسة ، والبلاغ ، وكوكب الشرق ، كما تراه في الرسالة ، والثقافة ، والازهر ، والمنار ، والبيان ، وهو في كل ذلك يذوب روحه ، وعصارة نفسه ، يعرفه القراء تمام المعرفة حتى ولو كتب بدون توقيع اذ ان طابعه من البروز والوضوح بحيث ينادي تلقائيا على صاحبه دون امضاء .. وقد فطن الى ذلك اديب مصر الكبير الاستاذ المرحوم عبد العزيز البشري حين تحدث عن ادب

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع عشر سنة ١٩٦٢ ، (٢) مجلة الازهر ، مجلد سنة ١٩٤٨ مقال بعنوان « الطائر المحكي »

ربيعي

خرجت لنزهتي يومـــا ... ونـــور الفجـر مرفض
وقـد سال علـــى الوادي ... فمحمـــر ومبيـــض
فقال الورد لـــي مهـــلا ... وقـــال السوسن الغض
ربيعـــك ذا فعانقـــه ... فقـــد انقلـــك المـــض
فقلت وناظري يرنـــو ... الـى برق لـه ومض
ربيعي لم يجيء بعـــد ... ولـم تنعم بـه الارض

ربيعي يـوم لا جهـل ... علـى الارض ولا بغض
ولا فقـــر ولا حـرب ... ولا رفـــع ولا خفـض
ولكـــن رحمـة عمـم ... وحـــب خالص محض

تبسم ساخـرا منـــي ... غراب .. مـا لـه نهض
وصاح البوم... من حولي ... بنـــاؤك سوف ينقـض
وعمرك ســـوف تخسـره ... وشملـك سوف ينفـض
فهـــذا الابـد الداجي ... كتـــاب مـا لـه نقـض
فقلـــت ورائدي امـل ... كـــان شعاعـه فيـض
وعزمي مـا بـه وهن ... وجفني مـا بـه غمض
ربيعي سوف ابلقـــه ... وان طـال بـي الركض
وان مت علـــى الدرب ... وزايـل قلبـي النبـض
فبعضي ســوف ادفنـه ... ويبقى خالـدا بعـض
فتزدان بـــه الدنيـا ... وتفـرح امـــه الارض

حلب — عمر ابو قوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« السيد » فقال في صدق واخلاص : (٢)

« لو تهيأ للبيان ان يتمثل خلقا ، لما جمع بيان السيد حسن القاياتي الا على صورة صاحبه ، وفي مثل شكله ، ودله بسواء بسواء ، ولو لم يكن قدر لي ان ارى السيد حسنا ، ثم رايته ، بعد ان نهلت من بيانه ، لخيل الـي ان اتهدى وحدي الى ان هذا الانسان صاحب هذا البيان.

عرفت السيد من صدر ايام الطلب في الازهر ، وسرعان ما امتد بيننا حبل المودة فكان من يوم منجمه يرسل الكلام : ويقرض الشعر ، اذ شعره واذ نثره صورة صادقة حق الصدق ، لسلاسة نفسه ، وجزالة طبعه ، وحلاوة خلقه ، بل انك لتحس في بيانه بالحياء الذي تحسه فيه نفسه » .

وهكذا نرى ادب « السيد » صورة واضحة الملامح لخلقه ما ورث منه وما كسب ، وفي ديوانه الذي اصدره سنة ١٩١٠ ، وفي آثاره بالصحف والمجلات قرابة خمسين عاما او تزيد ، شاهد لمن يريد ...

هذا قليل من كثير مما اعرفه عن الرجل ، وانـي لارى واجبا على تلاميذه الكثيرين ان ينهدوا الى تحليل ادبه ، وتشريح بيانه ، حيث اكتفيت هنا بذكريات عابرة عـن حياته ، ولعل الاديب الكبير الاستاذ محمد شوقي امين المحرر الاول بمجمع اللغة العربية ، والاديب البحاثة الدكتور محمد رجب البيومي ، وهما في طليعة المتذوقين لادب « السيد » يقومان ببعض الواجب في هذا المجال ، فيعملان على جمع ديوانه الثاني المبثر في شتى الصحف والمجلات ، وهما بعد من رواة شعره وحفظة آثاره ، وما ذلك عليهما بعزيز .

الفيوم — ج. ع. م. — محمد مصطفى البسيوني

مسرحيات وليم بتلر ييتس

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

وليم بتلر ييتس (١٨٦٥ – ١٩٣٩) شاعر وكاتب مسرحي ارلندي ولد بالقرب من مدينة دبلن ، ومنذ نواعير شبابه انكب على مائدة الادب ، ولا سيما الشعر ، فعب من هذه المائدة ما استساغ ، واخذ سحر الكتاب من قلبه مأخذا شديدا ، حتى انه تاه في اروقته ودهاليزه ، ولم يعد يستطيع العيش بغير رفد الحرف الوهاج والكلمة المثيرة ..

وفي سني شبابه اشتد ساعد الحركة الاستقلالية الارلندية ، واخذ بارنيل الزعيم المعروف مقاليد الدفاع عن وطنه ، البالس الذي وطأه الانكليز الغرباء ، فداسوا مقدساته ، وعبثوا بشرفه ، ومضوا دماء ابنائه وبناته ، واهانوا كرامته ، وقضوا على تاريخه ، واستبدوا بوجوده ، واستغلوه ما استطاعوا الى الاستغلال سبيلا ، ومزقوا شمل وحدته ، هذه اولستر في الشمال وتلك ايرلندة في الجنوب ، الاولى بروتستانية ، والثانية كاثوليكية .. وكان الجزيرة الواحدة جزيرتان .. فكيف لا يتحزب ييتس الشاب مع من تحزب من الشباب ، دفعا للضيم ، وسعيا الى وحدة الوطن واستقلاله ، والبات وجوده واحياء تراثه والمشاركة الفعلية في نضاله وجهاده ؟ واذا كان الشعب الايرلندي قد غلب على امره ، فهو لم يقهر ولن يقهر ، فقوة الشعب العظيمة وان ضعفت وهانت بالتشتت والتبعثر ، فهي لم تزل حية ، في الجلدوات المتناثرة هنا وهناك ، في اعماق الريف ، في المدن الضيئة الثوارع ، في المزارع والمعامل ، بين ابناء الشعب الواحد ، في التاريخ الاسطوري والفولكلوري لهذا الشعب السلتي ذي الماضي العريق . ومع ان بارنيل وحزبه لم ينل الحكم الذاتي الذي سعى اليه بعزيمة وارادة جبارتين ، اذ أنه قضى نحبه سنة ١٨٩٠ فان اتباعه حذوا حذوه وظلوا يجاهدون الجهاد الصادق بصبر واناة وروية . واذا كان لكل بلد تراثه الاثير لديه ، ذلك التراث المتمثل في اغانيه الشعبية ولغته الخاصة ، واساطيره المتميزة ، فان الشعر الغيلي Gaelic والانكليزية الارلندية التي ترجم اليها ، استطاعا ان يجدا لهما الطريق الى الحياة ، والى الادب ايضا : الاول على يد دوغلاس هايد والثانية على ايدي ليدي غريغوري و جـ.م سنج . وهنا جاء دور ييتس ، مؤسس الحركة الدرامية الارلندية ، ليثبت اصالة الاساطير السلتية وقدرتها في الواقع الدرامي الحي على التجسد وبعث الحياة في الوحدة الثقافية للامة ، ايقاظا للمشاعر البطولية الكامنة (١) . ولما كان هذا العمل يقتضي ايجاد مسرح متلائم مع البيئة الثقافية الحديثة ، ليكون لهذه الاساطير مفعولها السحري في قلوب الناس وعقولهم معا ، لكي تلتهب الروح الوطنية التي مضى على سباتها قرون وقرون منذ القرن الثاني عشر ، فقد عقد العزم كل من ييتس وادور مارتين وجورج مور والليدي غريغوري على تأسيس « المسرح الادبي الارلندي » سنة ١٨٩٨ . وبعد ذلك بامد قصير تحول هذا الى مسرح « آبي » الشهير الذي أصبح الدعامة الاولى في حركة احياء التراث الايرلندي ، من جهة ، والموجه الروحي للتيار الوطني الذي انتهى بانتصار ايرلندا واستقلالها من ربقة الهيمنة الانكليزية العاتية ..

وفيما كان هذا التيار بين مد وجزر ، كان ييتس يعمل ليل نهار وبغير انقطاع ، على قرض الشعر وكتابة المسرحيات . الا ان ذلك العمل المنهك لم يحل بينه وبين قلبه فقد شغف حبا بـ « مود غون » الناضلة الارلندية الباسلة التي كرست حياتها برمتها لرسالتها المقدسة ، ولذلك لم يكن لها من الوقت ما توفره لقلبها وليتس الذي ارادها ان تكون له وحده ، ولا سيما اذا علمنا ان ييتس الشاعر ، الصقر الذي يتمطى في الاعالي ، كان يكره السياسة بالمفهوم الذي كانت تقدسه «غون» . وكان يكره الالتزام باي قضية لانه يرى نفسه فوق كل قضية وهذا ما حمله على الابتعاد عن الشؤون العامة على الرغم من انتخابه نائبا سنة ١٩١٩ . وييتس المؤمن بالعاطفة والغريزة ، لا يرى طريقا غير تحريرهما من كل القيود والاصفاد ، وهو لا يرى في السياسة والكهنوت الا غربا من هذه القيود والاصفاد ، ولو اكتفى الامر لديه عند هذا الحد لهان ، الا انه يغالي ويشتط في المغالاة ، الى حد نكران نشاط الفكر (المنطقي المنظم) ومن ثم فهو حرب على العقل ، لان العقل يبحث عن الحقيقة التي تنشأ عن التجربة الموضوعية بينما هو يبحث عن الرؤيا الخالصة ، ومع انه كان يريد أن يجمع بين الرؤية والحقيقة في وحدة عضوية ، الا انه ظل طوال حياته يجهد بحثا وراء الرؤية تاركا وراءه الحقيقة وهي تبحث عن نفسها .. و « الباحث عن صورة لاكتشاف العقل الحديث لنفسه » على ما كان يقول ييتس في اواخر ايامه ، لم يجد تلك الصورة ، لانه ظل مصرا على اعتبار تحرير الغريزة ، وخاصة غريزة الجنس مقصده الاول في الحياة لانها الركيزة التي تستند اليها العاطفة ، وهي المجال الذي كان يطوف بين ارجائه ..

والشعر ، في رأي ييتس شعر طليق ، بعيد عن « الشعور بالخجل والمسئولية » لا يقيم وزنا لاية مقاييس او معايير او تقاليد ، انه حر بمعنى الحرية المطلقة ، يتناول ما يريد تناوله بغير التزام « وهو يدور في فلك الوثنية والصور الوحشية والالهة المحرمة » وهو لا يهتم بشيء اهتمامه بقوة الحياة وينبوعها المتدفق ، اما (المعنى الحقيقي) لـ « مصير الانسان فلا ينكشف إلا عن طريق الرمز الشعري الذي يحافظ على سلامة القوة الخلاقة عند الجنس البشري (٢) . » ومن ثم فمصير الانسان متعلق كل التعلق بالرمز الشعري لانه لا ينكشف له الا بواسطته ، ولان هذا الرمز هو السياج الذي يحافظ على اسرار القوة الخلاقة ، التي لا تعدو بلغتنا الاعتيادية الغريزة الجنسية ذاتها .. ولهذا السبب بعينه فهو يقول في قصيدته « السياسة » : « كيف يتسنى لي انا ، والصبية الجميلة تقف قريبة مني ، ان اركز انتباهي على السياسة الرومانية او الروسية او الاسبانية ؟ (٣) » .

اما مأساة الشعر في العصر الحديث فلا تتبدى واضحة الا في تمزق الشعور والعاطفة والغريزة تحت قدمي جبار عنيد هو الفكر ، فالفكر في منطقه القاسي ، في علمه المنظم ، في احتوائه على كل مقاصد الحياة ، واستيلائه على مقاليد المدنية والعمران والحضارة ، جعل الهدف الواحد في الحياة هدف الملايين ، ومن ثم جعل تحجر القلوب امرا لا بد منه ، وفي هذا الصدد يقول ييتس « القلوب ذات الهدف الواحد ، تبدو خلال الصيف والشتاء ، وكأن السحر يشدها الى حجر ليعكر مجرى الحياة » . (٤) ورد الفعل العنيف هذا الذي يبديه ييتس للمدنية العصرية رد مشروع معقول ، لان الالية ومكنة كل حقول المعرفة الانسانية وسيطرة المال على نفوس البشر جعلت هذه النفوس الات بدورها وافرغتها من مضامينها الانسانية ، ومع ان ييتس لم يشر الى هذا الواقع المرعب ، الا ان نفوره من كل شيء رتيب ، من الكنيسة والدولة والاحزاب والسياسة والمال والعلوم الوضعية ، يمكن اعتباره منطلقا لفهم نفسيته ، ولو ان روزنتال يحاول جاهدا الا يتطرق الى هذه الخلفية المهمة كل الاهمية في تقييم ييتس بصفته شاعرا في كتابه « شعراء المدرسة الحديثة » وقد تكون له في ذلك مقاصد غير خافية . المهم لدينا ، ان ييتس الشاعر اهتم بالمسرح اهتماما لا يقل عن اهتمامه بالشعر ، وهو – في الصدد – قد ابدع ايما ابداع ، اذ جمع بين الاساطير والاقاصيص الشعبية وبين الوقائع التاريخية والروح الشاعرية الخلاقة ، في مسرحيات تنبض بالحركة والبهاء

والجـلال .

مسرحية على شاطىء بيل

واهم هذه المسرحيات هي (على شاطىء بيل) و (كاليغ ابنة هوليهان) و (الكونتيسة كاثلين) والاولى مأساة تتناول مشكلة الاختيار والجبر ، تلك المشكلة الخالدة التي لم تتوصل الانسانية ـ في تاريخ مسيرتها الطويلة ـ الى حد مقبول لها بعد . فكوتشولين (الذي يمثله الاحمق) رجل عاطفي ، اختار الحرية ، واجتاز العقبات المتحجرة ، فعرف معنى العمل والاندفاع نحو مباهج الحياة ومسراتها ، فهـو (يرقص ، ويصيد ويحارب ويحب من يحب) وكل همه في الحياة ان يحيا متمتعا باكبر قدر من الحرية ومن الانطلاق والعلوية . امـا كونتشوبار (الذي يمثله الاعمى) فهو داهية ، مكار ، خداع ، يلـوذ بالعقل كلما احتاج الامر الى حل معضلة من المعضلات ، ومن ثم فهـو هادىء ، رزين ، ينتهز الفرص ، للوصول الى غايته الاولى والاخيرة وهي السيطرة على ولاء كوتشولين البطل الشجاع الذي يقف كالطود الشامخ ، يحول بين الاعداء وبين الوطن الام . لقد « قتل كوتشولين الملوك ، وابناء الملوك ، وقتل فيلان الماء وسواحر الهواء .. » فلمـاذا لا يحتمي به الملك الضعيف كونتشوبار ؟

ها هما كوتشولين وكونتشوبار يدخلان القاعة الكبرى في دندیلكان وهو محل اجتماع بالقرب من البحر .. وكوتشولين لا يزال يحـدث صاحبه : « تريد مني ، الان والان ، وهدا بالولاء لك ، لتضيف حصاة الى كومة الحصى ، لا بد لي ان اكون تابعالك ، بل عبدك ، لان طفـلا غريبا مـن بلاد (ايفي) وجد الشاطىء متروكا بغير حراسة » . فكيف إلى ذلك الفر الى الشاطىء لو لم يكن كوتشولين منهمكا فـي العيد او الرقص او احتساء الخمر بعيدا عن الانظار والاسماع مع اصحابه المعربدين ؟ » .

وهذا الاستفهام الاستنكاري لا يكتفي به كونتشوبار ، بـل هـو بصفته ملكا ، صاحب سدة ملكية وراثية ، يعير سلالته باكبر العناية ولذلك فهو يقول : « لا بد لي ان اترك بلدي لابنائي قويا ومستقرا ». ولاجل ذلك فما على كوتشولين الا ان يتنازل عـن ارادته الحرة ، ويروح ويجيء بارادة الملك ، ويجلس في مجلس الشورى بين شيوخ قبيحين طاعنين في السن . وهو الـذي كان مجرد اسمـه يضفـي السلامـة والامن على البلاد .. ان ابناء كونتشوبار يسرون اباهم ويطالبونه بالحد من نفوذ كوتشولين لان الملك اذا ذهب فحال سبيله فسيلقون تحـت رحمة كوتشولين ، وهو « النار التي تحرق الارض ، ولا يستطيع اي كان ان يمسها » . وما ان عبر الملك عن مخاوف ابنائه تلك ، حتى تغيرت ملامح كوتشولين ، واستبد به الغضب واخذت كلماته تتنفس قائلة : « .. وتذهب الحكاية الى ابعد من ذلك . علي ان اطيع اي طفل تضعه على العرش كائنه انت . » فلا يكون من امر الملك الا ان يقول : « انك تذهم لانك لم تحظ باطفال من صلبك » . هذه الكلمة ، بالقياس الى رجل يفتقد الاطفال ، صفعة شديدة الوقع في النفس والروح والوجود معا ، ولذلك نجد نفس كوتشولين متازما حردا غضوبا حين يقول : « اظن نفسي محفوظا لاني لن اخلف روحا شاحبة او مسخرة تتجـرف مدمدمة في الاروقة حيث كنت اضحك واغني » . ويذكره الملك تعقيبا على قوله بالمراة (القاسية) التي فضلها كوتشولين على بنات الملوك في سكوتلنده حيث تعلم فنون الحرب والفروسية ، فتهزه الذكـرى فيقول : « آه ، كونتشوبار . انك لم ترها ، براسها الضحوك الشامخ، المليء بالحركة والانتفاض ، وعينيها الهادئتين الرزينتين .. حـين كان الحب يسري في عروق بدنها .. انها ـ على الرغم من جدبها وافتقادها للولد ، كانت تملك من الجمال ما يعوز كل الملكات والعاشقات ، ولذلك كانت جديرة كل الجدارة بان تلد الملوك » . ولكن كونتشوبار ، بدلا من مسايرة كوتشولين ـ في تهويماته ، يوكد من جديد حال البلـد ووقوع الهجوم عليه بقوله : « ان اعدائنا يزدادون ، ويهاجمون اسوارنا، وانت بين الجدران ، تزداد عربدة وصخبا كل يوم ، واذا ما تكلمت على هذه الشؤون ، خلق خيالك ، كانه عصفور الدوري ، يتقلب فـي الهواء . » لا شك في ان الملك عاجز عن دفع البلاء بغير يد كوتشولين القوية وقلبه الناري ، وان الملوك الصغار والشعب كله بانتظار قسم الولاء الذي لا بد منه لكي تعم الطمانينة وتخلد النفوس الى الاستقرار، فقوة كوتشولين هي قوة النظام والقانون ، المتمثلة في الملك وقوة الشعب التي تدعم كوتشولين وتمنحه الباس والعزم والقلب الكبير .

كوتشولين رمز للشجاعة والفداء والايثار والرجولة والشهامة ، وهذا الرمز لا يتجلى في شيء تجليه في قول كوتشولين نفسه وهـو يرى الملوك الصغار تتبعه صاغرة ، « ان هؤلاء صقور تبعتني الـى الاجواء ونظرت في الشمس مليا » . والصقر الكبير كوتشولين يتعلى في الاعالي ، وينظر في سخرية على الصقور الصغار وهي تحـاول التعلق به والوصول اليه .. غير ان الامر المهم هو مسالة الدفاع عن البلد ، ورد كيد الاعداء الى نحورهم . المهم ان يعرف الصقر المحلق عاليا ان الوطن في محنة والاعداء يتقدمون وليس الوقت وقت لعـب ومسرة ومباهج ، فلا بد من شيء من الماء يصب في دمه ، فقد حـان الوقت لذلك ، ليكن القسم ، ليكن باي شيء ، بالقمر ، بالشمس ، بالماء بالضياء او بالهواء ، لان ارادة الرجل الوحشية يمكن تطويعها علـى الضد من ارادة المراة .

وتحل ساعة مراسيم القسم ، وتخرج كلمة الولاء من فم كوتشولين مدوية عالية تعلن العزم الاكيد على الطاعة للملك والولاء له . ويفتح الباب ليدخل شاب من (ايفي) ، عـزيـز الجانب ، قوي الشكيمة ، عنيف ، مندفع ، مدجج السلاح ، تثيري النيران من فيه متكاثفة مع كلماته ، ويهجم الملك على الشاب بغية الاجهاز عليه ، ولكن كوتشولين يحول بينهما وبين ما يبغيان .. ويضع يده على كتف الشاب ويتوجه بكلماته الى كونتشوبار مؤكدا له ان الولد يشبه اكبر الشبه تلـك المراة التي تحدث عنها اليه .. ثم يتساءل موجها كلامه الى الشاب : « ... يا فتى ما الذي جلبك الى هنا ؟ الا تخاف من الموت ؟ » .. وحين يشرح كونتشوبار تحدي ملكة « ايفي » لبلده وما يتطلب ذلـك من مواجهة .. يجيبه كوتشولين : « حسنا ، ثم ماذا ؟ » فيلتاث الملك ويقول : « الظن الامر غير ذي اهمية ، كان ذلك ليس الا تهويمة اخف من الهواء ، ونزوة لحظة لا اهمية لها ولا قدر لانك لا تملك من يخلفك ، ولذا فليس لك ان تفكر كما افكر ، انا الذي ساخلف عرشا لا يرقـى اليه العار » ..

ويحملق الشاب في وجه كوتشولين ويلتقط كلماته اللطيفة برضا وسرور وتقر عينه بهيبته وشهرته ويريد ان يتزحزح من روح الخصومة والقتال . لكن ماذا سيقول الناس عنه في مملكة « ايفي » . سيقـال عنه : انه جبن في الساعة الحاسمة ، لقد انهار وتبعثر وعاد الـى مملكته يجر اذيال الخيبة والعار . ولكي يتدارك هذا الامر يتدخـل كوتشولين في صميم الموضوع ويقول له : « .. ساعطيك هدايا تعرف كل « ايفي » انها مني ، (يريه المعطف) هذا ما اعطاني اياه والدي ، حين جاء يجربني بعد ان انطلقت في الفجر من البحر الغني .. او قل لها انني كنت خائفا ، او ما شئت . لا . قل لها انني سمعت غرابا اسحم ينعق في الجهة الشمالية من البيت ، فخفت » . وينتشر الخبر بين الملوك الصغار ، ان السحر قد اصاب كوتشولين بمس لا شفاء لـه منه . وخاصة وقد تمنت في عدم اكتراثه حيال تحدي الشاب ورغـم الحاح الملك ان يرد الصاع صاعين على مثل هذا التحدي ، فلا بد مـن وجود ساحرات طائفات في الهواء .. وهنا لم ير كوتشولين مناصا من القول : « نعم ساحرات ساحرات الهواء » ويلتفت الى الشاب ليقول له : « لماذا فعلت ما فعلت ؟ من الذي دفعك الى هذا الفعل ؟ » ولكن الفتى ينكر ذلك كل التكران .. وتمضي الاقدار تخطط المصائر بهدوء

وبعد وعدم اكتراث .. ويخرج البطلان الى الساحة ليتواجها لاخر مرة ، الابن يواجه اباه ، والاب يحس بان من يواجهه هو ابنه . ولكن الملك الكبير وسائر الملوك والانظمة والقوانين تابى الا ان يقتل الاب الابن .. لتكون للماساة حلاوة ابدية على مر الزمن وكر العصور .. وبعد ان تلطخت يد الاب بدماء ابنه ينتابه السحر حقا ، ولكنه الان ليس السحر المعروف ، انه الجنون بعينه .. ويعود كوتشولين الى قاعة العرش ليجد العرش فارغا ، ويظن كونتشوبار عليه فيضربه بحد السيف ويقول : « انت الذي فعلت ما فعلت ، انت الذي جلست هناك ، وبيدك صولجان الملك ، كالمعتق يختلس ملعقة مسروقة » .

وتمضي الحياة بين الاحمق والاعمى الى غايتها ، من غير ان يعرف المرء نهايته .. ويشتد جنون كوتشولين ويمضي الى البحر لكي يحاربه ، ويمتشق حسامه ويمضي اليه بقوة وعزم وثقة بالنصر ، ويستقبله البحر استقبال الفاتحين ، ويحتضنه احتضان الشهداء اليامين ! ..

مسرحية كاثلين ابنة هوليهان

اما مسرحية (كاثلين ابنة هوليهان) فهي تبحث عن ثورة الشعب الارلندي سنة ١٧٩٨ بعد الثورة الفرنسية الكبرى ، وفيها يعرض ييتس لنا شخصية كاثلين البطلة الاسطورية عرضا شعبيا بسيطا منبثقا من اعماق الشعب متلازما مع امانيه وطموحه ، خلفيته حياة ريفية خشنة : الفلاح بيتر المعروف بتكثيره وبخله والابن الشاب ميشيل ، وهو في عشية زواجه ، والبيت كوخ بالقرب من كيلالا والام بريدجت ، فلاحة حريصة على بيتها ، عرفت بمساعدة زوجها كيف تكون بيتا .. والكل بانتظار « داليا » خطيبة ميشيل وزوجته الموعودة .. الحديث بين الاب والام يجري كما هو المعتاد في مثل هذه البيئة الريفية : الاب يتحدث عن الدوطة مسرورا فرحا والام تشاطره الحديث وتزيد عليه بشيء من الكلام على ترتيب البيت وتنظيمه .. وتحل عجوز غريبة على العائلة التي بانتظار الخطيبة . وبعد ان يضع بيتر المال في مكان امين لئلا يكون عرضة لنظر طارىء غريب ، يلتفت الى العجوز متسائلا : « هل اتيت من بعيد ؟ فتجيبه : لقد اتيت من بعيد ـ بعيد جدا ، قليلون من سافروا بعيدا كما سافرت ، وكثيرون من لا يرحبون بي » (٥) لقد طال بالعجوز التجوال منذ اللحظة الاولى ، اللحظة التي بدأت فيها مسيرتها .. وردا على تعجب بريدجت من عدم هلاكها رغم كثرة طوافها تعترف بالتعب والكلال وتقول : « في بعض الاحيان تتعب قدماي وتكل يداي ولكن قلبي لا يكل » .

واذن فارلندا المناضلة ، المتمثلة في كاثلين قد نالها التعب وانهكها الكلال ، لكن روحها الساحقة الجبارة ، قلبها النابض بالاخلاص والولاء والنضال ، لا يكل ولا يمل ولا يتعب انه قلب كل الشعب ، قلب كل من ابناء الشعب .. وتحار بريدجت في معنى طوافها وتتسائل بسذاجة ريفية : ماذا حدا بك الى الطواف ؟ فتجيبها القديسة المجاهدة : « ازدحم البيت بالغرباء » . هكذا بكل بساطة وروعة وجلال ودقة واصالة تعلن القديسة عن الحقيقة الرهيبة العظيمة ، حقيقة احتلال الانكليز لارلندا ، فالبنت رمز لارلندا اما الغرباء فهم الانكليز المحتلون الطغاة .. ان ارلندا البلد الوديع ، قاسى الاهوال من الاحتلال ، وقد تركت المآسي طابعا واضحا على وجه هذا البلد الجميل وهل من هول اقسى من سلب ارض الوطن . ها هي العجوز تقول : « لقد اخذوا ارضي مني » . وهنا تتحرك غريزة التملك في نفس بيتر فيقول : « هل كانت كبيرة المساحة ؟ » فترد عليه قائلة : « اربع مزارع جميلة خضراء » (٦) .

وتتحدث العجوز عن العديد من الرجال الذين ماتوا من اجلها ، ويمضي بيتر البخيل في غيه ، فيحسب ان ما فاتته المسكينة قد ذهب بعقلها ، بينما تمضي القديسة في الحديث عن شهداء الماضي والمستقبل وتحاول ان تقنع ميشيل بالاقتراب منها ، وهنا ترتبك بريدجت وتساورها الشكوك فتقول مخاطبة زوجها متسائلة : « هل تظن انها على صواب ؟ ام هي من عالم بعيد ؟ » لكن زوجها يعد قول العجوز هذرا ويعزو هذا الهذر الى العوز والالم .. ويحاول بتأثير شديد من زوجته ان يقدم شلنا الى العجوز ، فترفض ام ارلندا ذلك وتقول : « لو اراد احد ان يساعدني فلا بد ان يهبني نفسه » .. امر محير غريب هذا الذي تتحدث عنه القديسة ، امر اثار حب الاستطلاع الشديد في نفس ميشيل ذاته ، فجعله يتساءل : « هل تشعرين بالوحدة في طوافك بالطرقات يا سيدتي ؟ » فتجيبه : « بي افكاري وامالي . ولا اي آمال هذه ؟ » سؤال في مكانه طرقه ميشيل ليطلع على كنه المسألة : فياتي الجواب حارا : « الامل في ان استرد حقولي ثانية . الامل في ان اطرد الغرباء من بيتي . »

وكيف تستطيع ذلك ؟ انها تستطيع ذلك بمساعدة اصدقائها الذين يتجمعون الان . وهي ليست خائفة ، فلو هزموا اليوم فسينتصرون غدا ويلح الفراد العائلة لمعرفة هويتها فتخبرهم انها « كاثلين ابنة هوليهان » ويلكشف المستور عن البطلة القديسة .. ويؤخذ ميشيل بسحرها وينصت بكل جوانحه وهي تقول : « ان من ياخذ على عاتقه مساعدتي فقد اخذ عملا جللا . كثيرون من ذوي الوجوه النابضة بالحياة اليوم ستصير وجوههم تحاكي صفرة الموت . كثيرون ممن يسيرون بين التلال والحقول الخصبة والاراضي السهلة سيصبحون وهم يعيشون في اراض وعرة في بلاد بعيدة . وسيتحطم كثير من آمالهم » . وتستطرد في الحديث عن التضحية والفداء ، ومن خيبة الامل ، وضياع الاموال ويتم الاطفال وثكل الامهات وترمل الزوجات . ومع ذلك كله تخرج كاثلين من الكوخ وهي تنشد « سيذكرون الى الابد ـ سيعيشون الى الابد ـ سيتكلمون الى الابد ـ وسيسمعهم الناس الى الابد . » فهم الخالدون المخلدون ، الذين وهبوا حيواتهم رخيصة من اجل الغد المستقل الاخضر الذي سيطل على البلد ، بلد الجميع ...

وفيما هم في شغل شاغل عن ليلة الزفاف ، كان ميشيل في شغل شاغل اخر ، لقد انتفضت في نفسه روح المواطنة واشتعلت النيران في قلبه ، فنسي كل شيء سوى ذلك الصوت الداوي الذي اطلقته القديسة وهي في طريقها الى العراء ، الى خليج كيلالا ، حيث ينزل الفرنسيون الاحرار لمساعدة اخوانهم الارلنديين الباحثين عن الحرية ، وها هو باتريك شقيق ميشيل الاصغر يقدم من مكان تلاقي الفرنسيين والارلنديين ويقول : « ان الرجال جميعا يهرعون من التلال لينضموا لاصدقائهم الفرنسيين حتى يطردوا الانكليز جميعا من ارلندا » . فماذا يفعل ميشيل اذن ؟ ان اباه وامه وخاصة خطيبته يريدونه ان يبقى معهم ، ولا سيما والليلة ليلة زفافه ، ولكن اي زفاف له معنى والعبودية تطوق عنقه والذلة تصفد قدميه ؟ وما معنى ان يكون مرتاحا في بيته الصغير ، كوخه الحقير ، ووطنه تمرح فيه الذئاب وتسرح ، وخيراته تنهب واعراسه تستباح ، وحريته تخنق ، واحراره يلقون على المشانق او يقذف بهم الى غياهب الزنزانات او يبعدون الى المنافي ؟ ومع ذلك ينهار ميشيل بسحر عناق خطيبته ، لكن رجولته تعود اليه بفعل صوت العجوز وهو يردد « .. وسيسمعهم الناس الى الابد » . فيندفع الى الخارج اثر الصوت . واي صوت . لم يكن

---

(١) دبليو . اي . ارمسترونك في مقدمة « الدراما الارلندية الكلاسية» (٢ ، ٣ ، ٤) شعراء المدرسة الحديثة م.ل. روزنتال ، ترجمة جميل الحسيني . (٥) شواهد مسرحية « كاثلين ابنة هوليهان » ترجمة هدى حبيشة من « مختارات من المسرحيات القصيرة » . (٦) الاشارة هنا الى ولايات ارلندا الاربع : اولستر ، مونستر ، لينستر ، وكونوت . (٧) هذا القول منسوب الى اللاهوتي الكبير القديس توما الاكويني .

صوت عجوز ، بل صوت فتاة شابة كأنها ملكة .

مسرحية الكونتيس كاتلين

اما مسرحية (الكونتس كاتلين) فهي مزيج شاعري بين اسطورة « الكونتيس كاتلين اوشيا » وبين شخصية مود فون البطلة الارلندية الجميلة التي قامت بادوار عظيمة للتخفيف عن وطأة المجاعة التي حدثت سنة ١٨٩٧ والتي اجتاحت فلاحي كيري ودونيغال ، نحن الان في ارلندا في الايام القديمة ، في غرفة بيت يملكه الفلاح شيموس روا ، والغرفة تقسم بين جدرانها زوجته ماري وابنه تيغو الصبي . ماري تستشعر خوفا من انتفاضات دجاجتها الرمادية ، وتيغو يتحدث عن المجاعة التي ضربت الارض ، تيغو يخرج من الغرفة ويعود اليها مرعوبا لانه رأى طالبين ، اذا صحت التسمية ، بل بوشتين ذاتا قرنين ووجهين يكادان يشبهان وجهي انسان .. انه لا يرى فائدة من صلاة امه .

ويدخل شيموس فتهب الزوجة معربدة في وجهه معاتبة له على ابطائه فلا يجد الزوج الا ان يؤنبها على قلقها وهذرها ، فلقد مضى عليه نصف نهار في الغابة يبحث عن شيء من الطعام فلا يجد شيئا ، ذلك بان الجفاف الذي اصاب الارض أمات حتى الجرذان والقنافذ .. فكيف يستطيع ان يجلب شيئا للعشاء .. انه جلس بين الشحاذين في مفترق الطرق ، فلما وجدوا غريبا يقاسمهم نصيبهم من الزكاة تجمعوا عليه وانهالوا عليه ضربا بالعصي والحجار ، ماذا اذن الم يبق شيء في البيت ؟ في البيت رغيف متفسخ ، وشيء من الطحين يكفي لرغيف آخر ، ودجاجة في الخن ..

وبينما افراد العائلة في همهم يتباحثون تدخل كاتلين وحبيبها الشاعر البل ومربيتها اوونا ، فتسلم على الجميع وتذكرهم بالقلعة الرمادية القديمة ، ماري تعرف القلعة وتعرف انها تقع بين جدران لا يمكن اختراقها منها ، كان ما يزعج العالم لا يمكن ان يجد طريقا اليها .. وتتعرف ماري على الكونتيسة من كلمة قالتها الاخيرة ، ويتكلم شيموس عن الخبز فيقول : « من مدة طويلة عشت عيني بالخبز او بما يشتريه » .. اذن هم جياع كما هي حال الاخرين والكونتيس لا تدري بحالهم وهم سكان الغابة الاقربين الى قلعتها . اذا كان شيموس قد قال شيئا فهو يعتذر عما بدر منه ، فكيف لامثاله ان يتشكوا ؟

وتقدم الكونتيس ما تبقى في محفظتها من فضة الى شيموس ، فضة لا تجد طريقها الى اي نوع من الطعام ، فالخبز واللحم يندران كل يوم والاسعار ترتفع الى حدى لم يسمع بها انسان من قبل . وتغادر الكونتيس المكان مع حاشيتها ، ويظل شيموس يتطاول على مقدسات زوجته ، وتجيبه بعنف فينهال عليها ضربا لكي يثبت سيادته.

وبينما افراد العائلة في مناقشة حادة ، يدخل احد التاجرين اللذين يبحثان عن الارواح المستعدة لتبيع انفسها باي ثمن لسلطان التجاره ويتحدث عن مهمتهما فيقول مبتدئا : « نحن تاجران قد طوفنا العالم .. وجئنا الان نبحث عن ركن هادىء ، لنعد نقودنا » . غير ان ماري لا تحسب هذا التاجر غير شيطان رجيم ، غير شبح لا وجود له ، ولذلك يعجب التاجر الاول من رأيها هذا ويقول : « من الغريب ان تحسبنا اشباحا ، اذ ليس من وجود اكثر اصالة ، في ملتقى العالم ، من وجود التجار وهم يشترونكم ويبيعونكم . » انهم شياطين ـ على رأي ماري والا كان عليهم ان يطعموا الجياع او يمنوهم بالمال ، ولكن اين هم الفقراء المستحقون ، ان التاجر لو عرفهم لما تنصل هو وصاحبه من رفدهم والاسهام في مساعدتهم . ماذا يريد هذا التاجر ؟ انه وصاحبه لا يريدان شيئا لا يملكه كل البشر ، ها ان البشر قد باعوا ماشيتهم وحقولهم وادواتهم . كل ذلك لم يبق منه شيء . ان التاجر يقول : لا لم يبيعوا كل شيء بعد . فثمة شيء بخاري يمكن الا بعد شيئا . هذا ما يخسره البائع ـ انه ذات ثانية يسمونها خالدة ارضاءا للاقاصيص والحكايات » . اذن فقد جاء التاجران يبغيان شراء الارواح .

وهذا ما فطن اليه شيموس واقره تيغو فلماذا ينبغي لهم ان يموتوا جوعا ؟! القضية بسيطة ، الموضوع يمكن ان يعتبر لا شيء . ولا سيما والاقدار لا تصب من جعبتها غير المجاعة ، والشيطان يقدم المال ، الاب والابن متفقان ، اما الام المؤمنة الورعة ، فقد كاد الياس يجرفها لولا بقية من الايمان انتفضت في نفسها وجعلتها تقول : « يا محطمي الارواح . ان الله سيدمركم قريبا وستجلون كالاوراق في النهاية ، وتعلقون كالحشرات الميتة على ابواب الله » . وهنا يتدخل التاجر الثاني ويقول : « العني ما شئت ، فللقديسين ايضا احلامهم »؟ ويضيف التاجر الاول الى قول ماري قوله : « ولو كنا لا نعدو غير حشرات ارسلها سيدنا لاحتلال العالم ، فهو في النهاية سينتزع اضلاع القمر الشاحبة وسيطفيء النجوم والكواكب ليعود (الكون) الى الليل الاصيل » .

وتعود كاتلين ، في مشهد الغابة ، الى الظهور مع الليل وادونا ، والمسؤول عن ادارة قلعتها . المسئول يخبرها ان بعضهم تمكن من اخذ نصف حمولة عربة من القرنابيط والفرار بها ، وتعليقا على هذا الخبر تقول كاتلين متسائلة : « هل قتل اي من الناس ؟ » وحين تطمئن من ان هذا الامر لم يحدث تمضي في قولها : « النهب او الجوع ، الموت جوعا ، هذا هو الخيار» .و « قد قال احد اللاهوتيين المجتهدين، ان الناس الذين يموتون جوعا يستطيعون ان ياخذوا ما هم بحاجة اليه، من غير ان يصيبهم ذنب من الذنوب (!) » . فتندهش المربية من هذا القول متسائلة : « بريء ولص ،لا بد ، اذن ، من وجود قطان مكسورة على الجدار . » ان كاتلين تؤمن ان الله يغفر الذنوب اذا ما ظل الايمان سليما غير مزعزع ، فليس من روح في العالم يمتاز عن غيره من الارواح .

وفي هذه الغابة ، تجمع المصادفة بين كاتلين وبين شيموس وابنه تيغو ، شيموس مسرور لانه استطاع ان يبيع (قبضة) من الريح وابنه فرح ساخر ، لان شيئا لا يعدل قلامة ظفر يباع بالمال الذي يشرى به الشراب والسرور والهناءة ويزيد على ذلك ابوه بقوله : « اذا كان ثمة ارواح فهي التي تنأى بالجسد عن المرح ، واذا كان ثمة عالم آخر ، فحري بي ان اضع لقتني بالذين يستطيعون ان يدفعوا المال ، لا بتلك الايدي التي افرغت المجاعة من الجبة » .

ومع محاولات كاتلين لاقناع شيموس وابنه ، بعدم المضي في سبيل الشيطان ، فانهما يرفضان الانصياع لمشورة كاتلين ، ويمضيان في طريقهما غير عابئين ولا مكترثين . وتنتزع كاتلين من نفسها كل هم غير العناية ببالغي ارواحهم ، وتعود الى البيت ، قلعتها المشهورة لتجد التاجرين وقد حلا ضيفين عندها ، وتحاول ان تدفع البلاء عن عباد الله ، ولكن بغير جدوى ، ان التاجرين يستطيعان بسبب غفلة كاتلين من سرقة خزينتها ، فكيف يمكنها اذن وقد ذهب المال ، ان تفدي تلك الحشود العديدة من النفوس ، الا ان الياس مع كل ذلك لا يستطيع ان يدخل على قلبها ، ذلك القلب المليء بالايمان ، بالخير ، بالثقة بمستقبل الانسان . فماذا تفعل وقد غلبت على امرها ، وسلب منها مالها ؟ انها تستطيع ان تفتدي الناس ، فباي شيء اثمن من نفسها ، تستطيع ان تفعل ذلك ؟ ويكون الفداء العظيم ، وتتحرر النفوس بموت نفس واحدة . ها ان الصفقة قد تمت بين التاجرين والنفس العظيمة الممثلة لكل الخير والبر والانسانية والعدل ، وهنا يتنفض روح كل ذلك في الوجود ، ليلغي الصفقة المشؤومة ، وتنتفض اوونا المربية من سباتها لتقول : « قولوا للذين يمشون على ارض السلام انني سأموت واذهب الى التي احبها . فالسنون كالثيران السود الكبيرة تدوس العالم .. وانا اتحطم تحت اقدامها السائرة » .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

الغارة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

نزل الى الشارع فاذا الشمس على امتداده .. تلسع وتكوي .. وشبان يزرعون ما بين ضفتيه في خفة وسرعة ، ملوحين للمارة .. والمارة يتدافعون فوق الطوارين في غير تزاحم . ونفخ في غيظ . فقد ايقن انه سيعود الى بيته ماشيا .

وفي حين اخذ المارة يتوقفون بين لحظة واخرى عند مقهى او متجر .. يتلقفون بضع كلمات يرعد بها صوت المذيع .. ثم يعاودون السير وهم يتراشقون نظرات ازدحم فيها الرضا والغضب ، بقي هو ـ دونهم جميعا ـ يمشي وحده .. في خطو ثقيل .. لا ينظر الى عابر به ولا يتلقى نظرته .. ولا يتوقف عن السير لحظة .

وبعد ان قطع ثلثي الشارع او يزيد .. احس بالم في قدميه فتوقف .. وانتحى جانبا مستظلا باحدى الشرفات .. ودار بعينيه وقد ازاح عنهما الشرود بنصف وعي .. سنقاتل .. في وجه العدو شياطين في الجو .. سنهزم الصهيونية ..

وتشبثت نظراته باللوحات الملصقة على واجهات البيوت . كلمات تؤجج الحماس .. هذه قيمة الكلمة .. قال لهم ذلك فاوشكوا ان يسخروا منه .. يريدون ان يندفع مثلهم في هوس وجنون .. ينظم المرور او يدس الناس داخل المخابىء .. كما فعل زملاؤه اليوم حين امروا الموظفين ان يبارحوا مكاتبهم ويعجلوا بالنزول الى البدروم .. ليته بقي وجده في مكتبه .. لكنه حبها فرصة لالقاء كلمة في جموع الموظفين يستفز بها حماسهم .. لم يدر بخلده انهم سينصرفون عنه .. شدهم منه المذيع الذي راح يعلن في حماسه الاهوج .. سقوط عدد جديد من طائرات العدو .. هللوا وصفقوا فضاع صوته وتلاشى .

وعاود المشي صامتا .. وفي نهاية الشارع انعطف الى شارع اخر .. ولم يكد يخطو فيه بضع خطوات . حتى راى تاكسي اوقفه بعض الشبان واحاطوا به .. وتميز غيظا عندما لمح داخل التاكسي امراتين ممتلئتين .. هم اذن لا ينظمون المرور او يحافظون على الارواح .. وانما يلهثون وراء نزوات وطيش .

وقبل ان تنفرج شفتاه لترميهم بسخطه ، سمع احد الشبان يقول :

ـ قلنا ممنوع مرور العربات اثناء الغارة .. فارجوكما النزول . وبخصوص الحقيبة فسيحملها احدنا بدلكما ..

وتسمر في مكانه غير مصدق ما سمع .. وانفتح باب التاكسي .. وعقب نزول السيدتين ، مال احد الشبان داخل التاكسي ، وتناول حقيبة كبيرة ، حملها في يده ومشى بها في اثرهما ، في حين اخذ الباقون يتبعثرون من جديد .

وتملكه ضيق خانق .. ولم يشا ان يتبع الشاب والسيدتين ... فاشاح عنهما .. وانصرف يستانف السير صامتا شاردا ..

ووصل شقته متعبا .. ونام وقت القيلولة كعادته عقب الغداء .. وحين استيقظ من نومه قبيل الغروب .. فتح النافذة واقتعد مقعدا قربها ..

ومضى يقلب بصره بين صفحات كتاب امسكه بيديه .. وبين الدرب الذي تطل عليه نافذته .. ركود وصمت .. لكن عما قليل سوف يضج الدرب بالاقدام التي تقطعه جيئة وذهابا طوال الليل .. لكم يلعنهم . لا هم ياتون عملا نافعا .. ولا هم يريحون راسه من زعيقهم ودبيب خطوهم .. فيخلو الى كتبه وكتاباته ما حاجة الناس الى ما يفعله اولئك الشبان .. اليس الناس بقادرين على اطفاء النور دون حاجة الى زعيق ياتيهم مفزعا مرعبا .. لكن ما يحيره هو امر عم خليل .. العجوز الذي ناهز السبعين .. فماذا يدفع بعجوز مثله لان يطوف الدروب والازقة .. يصيح باصحاب الشرفات والنوافذ المضيئة .. وهو يداعبهم بكلمات حلوة .. هل تراه يخاف الموت ؟ بعض الذين بلغوا من العمر ما بلغ .. يرهبون النوم خشية ان يطبق عليهم الموت بغتة .. ويؤثرون الجري في كل مكان ظنا منهم ان هذا يفجر في شرايينهم دماء الحياة فلا تتوقف ولا تجف .. لكن حسنين ونعيم وعلي .. وكلهم مثقفون مثله ما حافزهم الى الانضمام الى اولئك الذين يضيعون وقتهم بلا عمل نافع. لا .. ليسوا في مثل ثقافته .. بل هم ليسوا موهوبين مثله .. هو كاتب موهوب .. قال له ذلك احد الاساتذة الذين سمعوا قصته الاخيرة

وانتبه على صوت جاءه عن قرب والتفت ينظر من النافذة .. واذا بحسنين يناديه باسما .. وقام واقفا .. وانحنى يطل براسه وصدره من النافذة .. ويمد يده يصافح صاحبه ..

قال حسنين في جد ظاهر :

ـ اسمع يا صالح .. نتوقع الليلة غارة فمارايك او جئت تمر معنا .. انه عمل وطني وعلى فكرة نريد ان تعمل لنا مجلة حائط نعلقها في النقر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجاب صالح وقد تخضب وجهه ببسمة واهنة وحياء غير ظاهر :

ـ من ناحية المجلة اعملها ... فالكلمة لها اثرها في المعركة .. اما از الف في الحواري صارخا اطفئوا النور يا من هناك .. فهذا عيب على امثالنا ان يفعلوه ..

وتمتم حسنين :

ـ هذا الذي تراه عيبا لا يقل بحال من الاحوال عن الكلام الذي ابديت استعدادك لكتابته في مجلة .. وانزل معنا وجرب ..

واطال حسنين الحاجه .. وبقي صالح على تردده حتى غلبه الحاح صاحبه .. فغير ملابسه ونزل الى الدرب يمشي الى جواره ساكتا .

وقضى صالح فترة في مقر الدفاع المدني ينصت في استغراب ودهشة الى الاوامر التي تندفع من بين شفتي مسئول الجماعة . فتتخاطفها الآذان المتناثرة حوله في اهتمام وشغف .

وحين نزل الليل .. اخذ السكان يتدافعون الى الدروب والازقة .. تسبقهم اصواتهم مناشدة باطفاء النور وقام حسنين وصالح يطوفان بالحي مثل الآخرين .

وبعد ساعات قليلة .. اختنق الحي كله بالسكون والظلام .. وانقلب اللف والدوران يصعدان السام الى نفس صالح .. ويؤكد ان له خوائهما .. عندئذ توجه الى صاحبه قائلا :

ـ ما لزوم لغنا هذا وقد اطفأ الكل النور ؟

رد حسنين وبسمته تبرق في الظلام :

ـ لا بد ان نبقى هكذا طول الليل

هتف صالح في استنكار :

ـ طول الليل تلف وندور ..

ورنت من خلفهما ضحكة خفيفة ، فاستدارا على الفور ، واذا هما في مواجهة عم خليل .. العجوز الذي ناهز السبعين ..

وبادرهما العجوز وبسمة مشرقة تملأ غضون وجهه :

ـ هل اتعبتك ليلة واحدة يا صالح؟

وقال صالح في صوت ارعشته المباغتة :

ـ لا ابدا .. لكن ..

وقاطعه العجوز وقد انزوت بسمته وبان الجد على قسماته :

ـ في حارة العلي بعض شقق ما زال النور الداخلي فيها مضاء .. قالوا ان عيالهم يتعشون اذا حدث شيء فسارعوا اليهم ليطفئوه ..

وسكت العجوز ... وهم صالح ان يقول له شيئا .. لكنه لم يجد ما يقوله له فلبث صامتا يحملق فيه وساد صمت ثقيل ..

وبغتة .. عوت صفارة الانذار ، ومضت تمزق السكون بعوائها الرهيب .

وهب العجوز صارخا :

ـ اجروا يا اولاد .. لا تتركوا نورا مضاء ..

وهم بان يجري ، لكن قدمه تعثرت ، فانكفأ على الارض .. وكان حسنين قد انطلق مهرولا ، ولم يبق متبلدا في وقفته غير صالح ..

ورأى صالح عم خليل ، وهو يهوي على الارض . فصاح وهو يدنو منه في لهفة متعجلة :

ـ عم خليل ..

ورد العجوز في صوت متهدج :

ـ اجر انت لتساعد زملاءك ...

وطفق يحاول النهوض .. فانبرى صالح يرفعه من تحت ابطيه ..

وهمس العجوز وهو يربت فوق ظهر صالح باحدى راحتيه :

ـ اذهب يا صالح فها انذا قد نهضت ..

ثم انتصب واقفا ، ومضى مسرعا وهو يلهج بصوت يتماوج بين ضعف وقوة : اطفئوا النور ..

وتولت صالح قشعريرة هزت بدنه ، وهو يرى العجوز يضيع في الظلام ، ولا يبقى منه غير صوته الذي استمر يجيئه من بعيد هاتفا :

ـ استعدوا يا رجال .. وراعوا المخبأ والادوار الارضية ..

وفجأة ، اندفع صالح كالقذيفة : وصوته يخرج من حلقه مرتعدا بالانفعال ..

ـ اطفئوا النور هناك ..

ولم يدر كم مرة دار دروب الحي وازقته .. فبعد فترة كان الدوي والقصف يفتتان السكون .. والبرق الخاطف يمزق الظلمة المتكاثفة ...

وسمع اصواتا تأتيه من وراء الظلام :

ـ المخبأ هناك ..

ـ امشوا فوق الارصفة ولاتخافوا

ـ افتحوا الادوار الارضية يا رجال ..

ورجال يبصره في الظلام المحيط به .. وعانقت عيناه صبية يرتجفون خوفا وهلعا .. وهم يتعلقون بأذرع نسوة يهرولن بثياب النوم .. ورجالا يضمون الى صدرهم اطفالا ويجرون.

وفاضت نفسه حزنا .. وود لو آمنهم جميعا من خوف وفزع ...

وتذكر ان المخبأ يبعد عن البيت الذي يسكن طابقه الارضي .. فاتجه اليه مسرعا .. وهناك وجد كل سكان البيت يتزاحمون عند الباب الخارجي .. ففتح شقته وادخلهم اليها .. ثم انسل الى الشارع ثانية.

ورجع بعد قليل الى شقته ... كي يسأل من فيها ان كانوا يحتاجونه في شيء .. واشعل عود ثقاب .. ولبرهة لمح وجوها كثيرة تتجه اليه والاضطراب يلقي على صفحتها ظلالا ثقيلة .. واحس برغبة في البكاء .. لكنه تماسك .. واستمر يحدق في الظلام بعد ان انطفأ عود الثقاب .. وخيل اليه ان عيونا من حوله .. ينبثق منها بريق يكاد يجلو الظلمة .. فيرى كل شيء ... وان همهمتهم تستحيل انغاما تهدهد سمعه .. وانفاسهم تهب عليه ... دافئة .. تذيب في نفسه برودة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توبة مغترب

أتيت الي تسمعني
حكايا تجرح الاحساس بالاحلام تفجعني
وقلت بانها بلهاء ساذجة تصدقني ...
وتغفر كل أخطائي كعادتها وتعذرني
أتيت - سلاحك الكلمات ... تسكرني ... تخدرني
تقول : برغم آلامي .. برغم الحزن ينهشني
برغم جميع ما القى من الارزاء والمحن
برغم البعد عن وطني
برغم مشقة الاسفار تضنيني وتنهكني
فما من قوة في الارض او شيء يغيرني
وليس سواك من احد .. مدى الايام يشغلني

ترى هل انت تعرفني
أتذكر اننا يوما تلاقينا .. أتذكرني
أحقا انت من قد كان فوق الارض يحملني
وبالاحلام يغمرني
احقا انت من يشقى .. ليحميني ويسعدني
عرفتك « سندباد العصر » للاوهام تجرفني
عرفتك تسكب الكلمات كالوهان في أذني
تفكر في سعادتنا . . تفكر كيف تفرحني
وتسأل دائما عني .. وتخلص لي ... وتعبدني

أتدري ؟ ... انت تحزنني
تحملني بما تحكيه كل مصائب الزمن
تطهرني من الاحقاد ... تبكيني ... وتضحكني
فقل ما شئت لا تخجل من الماضي ... أتفهمني ؟!

عمان ـ الاردن — عبد الرحمن عاليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووحشة ..

وانسابت دموعه رغما عنه .. واستدار خارجا .. وقبل ان يتخطى عتبة البيت .. دوت صفارة الامان، فارتد عائدا من فوره . وعم الهرج لحظة بدأ سكان البيت الذين اكتظت بهم شقته ، يزحفون عائدين الى مخادعهم ، وقد انجابت ظلال الاضطراب عن قسماتهم ، وتلاشى الخوف من عيونهم .. ووقف قرب السلم يودع صاعديه في صمت .. وبقي يلاحقهم بنظراته حتى توارروا عنه .. وحين اغلق باب شقته على نفسه .. احس أن الصمت فيها انيس .. والفراغ الذي يعمر جنباتها غير موحش .. ولم يحسهما يوما هكذا .. رغم الفته لهما سنين طويلة .

واستغرقه التفكير لحظات : انقلب بعدها باسما ؛ فقد هداه فكره الى قرار : وعقد العزم الا يحيد عنه؛ ولشد ما كانت دهشته عندما لجأ الى سرير نومه .. فلم يفاجئه كما اعتاد وهو يتقدم منه .. ذلك الخرف من الارق .. وانما لقيه شعور للذيذ .. راح يدغدغ اوصاله ... فتمدد فوق الفراش وهو يبتسم في نشوة .. ثم اغمض عينيه .. وسرعان ما غط في النوم .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

سفارة الفكر والادب

بقلم وداد سكاكيني

* * *

يتميز عصرنا الحضاري والفكري الذي نعيش في اطواره التحررية وتياراته المتضاربة ، بتلاقي الشرق مع الغرب ، وتمازج الثقافة بينهما على اختلاف الوانها وفنونها ، ولا ريب في ان رواد التطور والتجديد في نهضتنا قد سبقوا الى سفارة في الادب والتدريس والصحافة قبل السفارة الدبلوماسية سواء منهم الذين كتبوا بلغات الغرب شعرا ونثرا ، ام الذين علموا العربية في جامعاته ومعاهده أو نقلوا لقراء الفرنجة روائع من تراث العربية واصولها ، كما صنع امين الريحاني في نقل غرر من ادب المعري في لزومياته من لغتها الى الانكليزية ، ومثلما كتب جبران خليل جبران بهذه اللغة نفسها بعض مؤلفاته ، فكان ابداعه فيها سبيلا لشهرته العالمية ، ولاتزال بعض المواهب العربية وبخاصة اللبنانية تفيض نبوغا وفنا في لغات الغرب ، ويقرأ الناس آثارها متشوقين الى مطالع الشرق وفتون طبيعته وملامحه منذ عرفوه في « الف ليلة وليلة » .

وكان للمستشرقين من العلماء والمفكرين بوادر الفضل والسبق في نقل التراث العربي الى لغاتهم مع صعوبة اللغة العربية التي تعلموها بدأب وشوق ، ولم يتقن اكثرهم نطق الفاظها والتغلغل في اسرارها وبلاغتها، وان عاشوا بين اهلها ، لكنهم تفوقوا بالدراسة المنهجية والخطة العلمية ، وكان « كارادوفو » في مجلداته « مفكرو الاسلام » من اسبق الفاتحين لهذا الباب .

وقد غاب منذ قريب عن عالم الفكر والتراث المستعرب الكبير « ماسينيون » ، الذي نقل الى لغته الفرنسية آثار التصوف الاسلامي ، ووقف عمره وعلمه في التأليف والتحقيق على الدراسات المتعلقة بهذا التصوف ، مثلما عرفته الجامعات الغربية والعربية ومجامع اللغة محاضرا ومشاركا في البحوث الشائكة عن طوائف متطرفة او متصوفة .

ولو عدنا الى تاريخ التلاقي الفكري والثقافي بين الشرق والغرب لتلمسنا في تضاعيفه تأثير ادبنا في ادب الغرب ، وقد تناوله بالتفصيل كثير من المستعربين في دراساتهم ومؤلفاتهم ، وفي كتاب المؤلف البحاثة « روم لاندو » صفحات مشرقة ، شرح فيها دور العرب في الحضارة ، مؤيدا اثر ادبهم القديم في ادب الغرب وثقافته ولا ابعد في التقصي والتأويل لأشير من قريب ومن بعيد الى الاقتباس والمحاكاة فيما وجدنا من الصور والقيم الانسانية العربية في آثار كثير من الروائع العالمية ، وفي اعقاب العصر الغابر كان للبعثات العلمية والقنصلية في بعض آفاقنا وعواصمنا دور كبير قام به رجالها ونساؤها على مسرح السياسة والمدرسة ، فقد اهتم بعضهم بنقل التراث الاسلامي والعربي الى بلادهم وخزائن كتبهم والتطواف في بلاد الشرق لجمع المخطوطات والذخائر الفنية والوثائق التاريخية ثم حشدها في مكتبات الغرب ومتاحفه ، ولان لأدباء الغرب الجوالين رفد ملحوظ لهذه الامور التي كانت منابتها في ارضنا وديارنا ، فقد وفدوا عليها تواقين الى تفهم حياتها وحضارتها القديمة والحديثة ثم عادوا بانطباعاتهم وذكرياتهم التي فتحت لهم منافذ واسعة في ادب بلادهم وامجادها ، وكان من هؤلاء المستطلعين « دور جليس » الذي ألهمته دمشق روايته المشهورة « قافلة بغير جمال » ، والكاتب « بيير لوتي » الذي خدم البحرية في بلاده وعاش مدة على ضفاف البوسفور حيث استوحى صورا شرقية لقصصه ورحلاته ومن عجب ان لا يلحظ ادباء العرب ما لاحظ الروائي الاديب « شبنكلر » الذي قال : ان المساجد الاسلامية ابت في حضارتها الا أن تلبس على رأسها رداء البداوة ، فكانت لها قباب تشبه الخيام ...

هذا وصف دقيق جاء به كاتب من الغرب مشهور ، فكيف فات ادباءنا هذا التشبيه الذي بادر اليه الغريب بينما نجد في تاريخ ادبنا ان النابغة الذبياني كانت تنصب له قبة من أدم في سوق عكاظ فيجلس تحتها للتحكيم بين الشعراء وتبيان اقدارهم وخصائصهم في نقد شعرهم وتقويمه .

فالفكر والادب في السفارات العربية والاجنبية قديما وحديثا رفدا كل وعي وتطور في الحياة والمجتمع ، وفي شتى الصلات والمؤثرات التي لم تنقطع منذ القرن السابع عشر حتى عصرنا الذي تجددت فيه الروابط واشتدت ، وان تكن المنازع العلمية والمادية شاءت ان تقلل من شأن الادب ، وهي تعلم انه أحتوى قيم الآثار الانسانية والوطنية ، ولولاه لبقيت مهملة جامدة لا تدخل البحث والتاريخ ، بل لولا سفارته وعنايته بشؤون الوعي والتطور في هبات العرب للحرية والسيادة القومية لما تجاوبت صيحات الرواد في هذا المجال ، وبخاصة بعد جلاء الحكم العثماني الغاشم عن بلادهم واقتحام الاجنبي عزتها في استقلالها غصبا وبأشتات الاسماء والاسباب ، فالفكر العربي الحديث والادب الصادق كانا وراء كل حركة ثورية او انتفاضة متجددة متوثبة للنضال والكفاح ، وكأن القدر قد رصد لانبعاث الامة العربية وتحريرها مما عوق نهضتها وسيادتها اقلاما ومنابر تهتف للهبة الكبرى والوعي الشامل ، على ان تستعد وتتزود بالتعليم والتربية ومقومات الحياة البانية العادلة ، فكانت سفارة الفكر والادب في النصف الاول من هذا القرن حافز التلاقي والتجاوب في القريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبعيد ، وفي شتى المحن والخطوب التي اصابت البلاد العربية من جراء التخلف والاستعمار ، وقد شدت هذه السفارة بأقلامها الحرة وصحافتها الادبية الاواصر والعلاقات بين الجيران والاخوان ، وكان التاريخ واللغة والعقيدة عماد هذا التجاوب الروحي في ارجاء العرب لجمع شملهم وتسديد خطاهم بعد ان كان التلاقي في البحوث والدراسات مقصورا على المختصين والمستشرقين وقد غدا القارىء العربي الحديث تواقا للوقوف على احدث ما ابدعت المواهب العربية والغربية ، بل لم يكن هذا جديدا ، فان رواد الفكر العربي المعاصر واعلام التجديد والنقد قد بذلوا اضخم الجهود في تأليفهم وآثارهم او في ترجمة الروائع العالمية عن لغاتها ومصادرها ، ومنهم من وصلت مؤلفاته الى الغرب في تطلعه الى نتاجنا الحديث ، فكان الادب بانسانيته وروعته سبب الوصول والانطلاق .

ومما يحمد لنخبة من ادبائنا المتفوقين والسابقين تلفت العالم لادبنا الحديث فيما الفوا وقدموا من كتب قيمة نقل اكثرها لعدة لغات ، لكنها للدسيسة العنصرية والصهيونية لم تلق جوائز المجامع الغربية الكبرى التي تدعي انها انسانية عالمية في المكافأة والتقدير .

وكانت العبرة الاخيرة فيما منحت «نوبل» في العام الماضي يهوديين من اسرائيل والمانيا كافأتهما بجائزتها ، لان ادبهما جاء معبرا عن هدف الصهيونية وفي نطاق تعاليمها الدينية وباللغة العبرية فدلت هذه الجائزة المرصودة لغير غايتها على الحكر والتحيز ، وايدت حجة الادباء العرب فيما رددوا بمقالاتهم عن جائزة نوبل وكيف يحولها التعصب والتعسف الى مغمورين ضعاف في ادبهم وآثارهم ، او الى مشهورين يتملقهم ويستهويهم ، فهل تكون هذه المغالطة التقديرية حافزا جديا لمضاعفة الجهود العربية في التعريف بأدبائنا الموهوبين المتمكنين ومؤلفاتهم القيمة ، ولعل السفارة الفكرية والدبلوماسية تقوم بهذه المهمة في الآفاق الغربية ، وبخاصة اذا كان ممثلوها من ذوي المعرفة والبيان ، وقد عرفنا منهم شعراء وكتابا لم نتبين لاكثرهم مشاركة ضئيلة او جزيلة في هذا الامر .

ولئن رددت القول الى ما قرأت في مختارات الدبلوماسي السابق الاستاذ جمال الفرا لشعر السويديين وكبير شعرائهم ، فاني كنت اتمنى بدلا من نقله نماذج ومنتخبات الى لغتنا ، ان لو صنع سفيرنا المفكر عكس ذلك ، فعرف المثقفين هنالك والمسؤولين ببعض المؤلفات العربية التي تقف جنبا الى جنب امام مؤلفات الذين حازوا جائزة نوبل في الآداب ، وقد عاش الاستاذ الفرا مدة في بلد هذه الجائزة واكاديميتها ذات الحق في التقدير والتكريم .

ألم يكن الاجمل والافضل ان يصطنع السوائح ويبادر الى الكتابة والمحاضرة ، وهو القدير فيها فيسبق انداده الى السفارة الفكرية العربية ويؤدي فيها رسالة جديدة للتعريف جهده بنوابغ الفكر والادب في مصر ولبنان وبعض البلاد العربية من الذين طال جهادهم في التأليف والنقد وقدموا كتبا صادقة الشعور والتعبير قرأها الناس في الشرق والغرب معجبين بموضوعاتها الاقليمية والعالمية

اما « مختارات » الاستاذ الفرا لكبير الشعراء السويديين فقد زادتنا دلالة على ان ادب تلك البلاد الثلجية النائيه تفمره البرودة والسطحية ، لكن سفيرنا السابق كفانا التعليق عليها بقوله : ان للسويد من صناعاتها الالكترونية ما يغنيها عن نظم القريض ...

واما النثر الذي اعجبه في ادب تلك البلاد الشمالية فكان برأيه متمثلا في رواية الكاتبة السويدية « سلما لاغرلوف » وربما قرب ادبها الى نفسه كما قال هو انها حازت جائزة نوبل في الآداب ، فكانت بحسبانه المرأة الاولى والوحيدة التي حصلت على هذه المكافأة السخية ، وقد عد رواياتها من الآداب العالمية ، لكن الاستاذ الفرا رجع اليها بعد سنين وزار « فيرملاند » التي جعلتها اطارا لأكثر صورها وحوادثها ، ففوجيء وهو يقرأ الصفحات الاولى بان الرواية لا تثير اعجابه هذه المرة ، فأغلق الكتاب قانعا باطلاعه الاول على الطبعة الاولى ، على ان السفير السابق قال انه لا يدري اذا كان كر السنين هو الذي بدل مقاييسه واحساسه او ان ذوقه الفني ونضجه الفكري هما اللذان غيرا رأيه الاول ؟

اما قوله بأن « سلما لاغرلوف » هي الاولى والوحيدة التي حازت جائزة نوبل في الآداب فينفيه الواقع اذ ان اللواتي اخذنها كن اربع اديبات ظفرن بهذه الجائزة العالمية وهن السويدية لاغرلوف والايطالية « جرازباديلادا » والاميركية « بيرلبك » المشهورة ، والنروجية « سيغريد اندسيت» والاستاذ الفرا مشكور فيما كتب عن ادب السويد فلا اتجنى عليه او اتحيف اختياره، لكني ذكرته بصدد الامال المعقودة على سفراء الفكر والادب ممن اتقنوا اللغات الاجنبية والدبلوماسية ، فهؤلاء ترتجى منهم المشاركة في التعريف بأحسن ما في ادب بلادهم وتراثها وفنونها ، لعل المعنيين بهذا الشأن ان يخففوا من تغاضيهم عنا وتجاهلهم ما وصل الى بلادهم ومكتباتها من نتاج ادبائنا المعاصرين الذين نقلت آثارهم الى كثير من لغات الفرنجة وفيهم من يستحق جائزة نوبل التي لم يذق طعمها اديب عربي حتى هذا العام ، واما الذي ترجم من الكتب العربية التافهة الى الاجنبية فقد ادخل الضيم على ادبنا عند الغرباء .

ومهما تكن الدسيسة والضغينة في تنقص المؤلفات العربية المأثورة وادعاء الاعداء بأنها لا ترقى الى مصاف الآثار الفكرية والادبية التي حازت تلك الجائزة ، فان نقل ما يدور حول هذا الموضوع ينبغي ان يتردد في صحافة الغرب وثقافته ، وان يتصدى للتحاور فيه متمرسون بالادب واللغات وصداقة المفكرين في البلاد التي عاشوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الروضة التي عشقتها

الى الحالمين بالسعادة الغارقين في الخيال

* * *

لي روضة كنت اغني حولها ... مزدانة بالزهر والقطوف
اهيم ما بين رياحين بها ... نشوان من عبيرها اللطيف
خمر فلا لون ولا طعم لها ... لكنها تستاف بالانوف
فتنت في طروقها كل ضحى ... وطالما طال بها وقوفي
اما الفراشات على اوراقها ... عند الضحى تعد بالالوف
اهرع في النهار والليل لها ... وارتمي في ظلها الوريف
انقل الطرف فتأتيني الروى ... مسحورة الخيال والطيوف
من كل عذراء خيال ترتمي ... في افق احلامي بلا شفوف
تلهمني الشعر فاشدو بالمنى ... وحدي بلا كأس ولا اليف

وذات يوم جئت مشتاقا لها ... هيمان مثل العاشق اللهيف
فهز اعماقي وادمى خاطري ... رأى احتضار زهرها الرهيف
وقفت استفسر عن ذبولها ... في حسرات الثاكل الاسيف
وبعدما صعدت انفاسي بها ... عرفت اني جئت في الخريف!!

بمباي ـ الهند ... احمد محمد الخليفة

او يعيشون فيها ، وعلى الدأب في هذه التوجيه والتعريف يخف ضغط الناقمين والمتربصين لآثارنا في موضوعاتها الانسانية والحضارية .

ومن يدري فربما منح جائزة نوبل احد الافذاذ العرب من المفكرين والادباء فبدا له ان يردها كما ردها سارتر او تحظي الاكاديمية السويدية مفمورا من الكتاب والشعراء، وفي هذا الامر اشارة الى انها عالمة بأدبنا الحديث او مصرة على التحدي ، وهي في الحقيقة غير جاهلة او غافلة عن شكوى العالم واتهامه اللجنة الحاكمة باهمال العرب الذين خلدوا تراث الانسانية وشاركوا في بناء حضارتها وقد اعترف لهم بالفضل والسبق اعلام الفكر والحرية والمعرفة في قديم الغرب وحديثه ، وان العرب لا يزالون يمدون التراث بآثارهم العالمية التي فرضت وجودها وقيمتها على قلتها باللغات الاجنبية ، وقد شاع ذكرها وموضوعها في ادب العالم وعاش عليها جيل بعد جيل .

ومهما يكن الامر ، فان السفارة العربية بالفكر والادب والصداقة والدبلوماسية في آفاق الغرب وعواصمه ومعاهده مدعوة للمشاركة قدر الطاقة والسانحة في هذه القضية التي تخوض الاقلام العربية في ملابساتها وما يدور حولها كلما منحت جائزة نوبل لاديب كبير او خامل مغمور ، وبوسع هيئة الامم التي انشئت لخير الانسانية والحضارة ان تنشيء جائزة عالمية لنوابغ الشرق والغرب على السواء ، فقد تستمد وهي في حيرتها السياسية من الفكر والادب قوة وسدادا ، ولعل جامعة الدول العربية تبادر الى رصد جائزة كبرى لمن تراه جديرا بها من ذوي النتاج الفكري والادبي الذي يحتوي الشروط والقيم وتحقيق الهدف في بلادها المتطلعة الى العدل والانصاف .

دمشق ... وداد سكاكيني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أضواء على الاسلوب الادبي

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

قديما قالوا « الاسلوب هو الرجل » .. اي ان كل كاتب له اسلوب يتميز به عن غيره ، وذلك لامر بديهي وبسيط ، وقد يتطرق بنا الحديث ـ في البداية ـ في علم النفس وربما علم الاجتماع ايضا ، حتى نقوم بتفسير تلك العبارة ذات الايحاء القوي ، والايجاز البليغ تفسيرا صحيحا .

ان كل كاتب ـ واي انسان ـ يخضع لعوامل نفسية تختلف اختلافا بينا عن تلك التي يخضع لها كاتب غيره . ومن ثم تكون له تلك العوامل النفسية صورة مستقلة خاصة به ، أضف الى ذلك تأثير البيئة على الفرد ، وكذلك التكوين الاجتماعي لاسرته .. كل تلك المؤثرات تجعل الكتاب يختلفون ليس فقط في الاسلوب الادبي ، ولكن في طريقة التفكير ذاتها ، اذا نحن ادخلنا عامل الثقافة وتنوعها .

ولست ادعي اني سأضيف جديدا في امر الاسلوب الادبي ، لانه موضوع قديم ، علاوة على « كلاسيكيته » وعدم مرونته اذا نحن طرحناه كقضية ادبية ذات بال . ولكن قد يكون هناك جديد مفيد ، اذا نحن اطلعنا على قول الاستاذ عادل كامل بان « الاسلوب فكرة قبل ان يكون لفظا » (١) . وبرغم انه قد مضى عليها غير قليل من السنين ، الا انها تعكس مفهوما تقدميا . فليس الاسلوب مقصودا لذاته ، وانما يأخذ صورته الشكلية من الفكرة التي يتضمنها . وقد يختلف اسلوب كاتب ما من موضوع لآخر ، لكنه اختلاف هين يسير ، لان هوى الكاتب في اطاره الشامل قد يتغلب على موضوعية التفكير . وبذلك نستطيع ـ ولو انها استطاعة محدودة ـ ان نتعرف على الكاتب من اسلوبه . واذا افترضنا صحة هذا الزعم ، ثم حاولنا ان نفسر هذه الصحة ومنشأها فلن نجد تناقضا بين ان يكون للكاتب اسلوب متميز وبين القول الذي اثبتناه بأن الاسلوب فكرة قبل ان يكون لفظا .

فأسلوب الكاتب يتحدد من طريقة تفكيره ، اي انتظام الموضوع في ذهنه . وهذا التحديد يأتي في تسلسل منطقي ، ويخضع ـ كما قلت آنفا ـ للعوامل النفسية والبيئية والاجتماعية والثقافية . وقلما يشذ الكاتب على هذا التسلسل المنطقي الذي يدخل في اطار طبائع الانسان ، والانسان يصعب عليه تغيير طبعه الا بتقادم السنين ، التي تضيف الى تلك المكونات لشخصيته ، بعدا آخر هو الخبرة التي تأتي بتقادم الزمن ، وما في ذلك من مران ومحاولة لتغيير المفاهيم التي وعاها كحقيقة ثابتة .

وعلى هذا ، فان طريقة التفكير ذاتها تحدد اسلوبا بعينه يميز شخصية الكاتب ويبرز ملامحها . واذا حاولت ان اوجز هذا التحليل ، استطيع ان اضع حقيقة اخرى لا مجال للشك في صحتها ، واظننا جميعا متفقين على تلك الصحة .. وهي ان الالفاظ لا تجري على اللسان او تتطرق الى الذهن ، الا لفكرة تريد ان تخرج .. فكرة تولد في الذهن ، ووسيلة اخراجها هي التعبير . والتعبير في حاجة ملحة الى اداة تعطيه الصور الحسية الملموسة ... تلك الاداة هي اللفظ .

فالفكرة تولد في نطاق الذات ولا تتعداها .. ثم يستظهرها اللفظ صورة واضحة بينة للاخرين . والاسلوب ما هو الا مجموعة كلمات تتركب في صورة معينة لتكون جملا .. ومن مجموع الجمل تتكون الفقرات التي تكون اعمدة بارزة للموضوع المطروق . وهذا التركيب يختلف من انسان لاخر ـ كما قلت ـ حسب طريقة تفكيره ، وتسلسل تلك الافكار في مخيلته . ومن ثم فليس هناك اي تناقض بين ان يكون للكاتب اسلوب يميزه ، وبين ان تكون الفكرة سابقة على اللفظ .

لست احاول تقديم جديد في هذا المضمار ، لان الموضوع الذي اعالجه ـ كما قلت ـ موضوع قديم ، وقد عولج من قبل مرارا . وربما في هذه الفترة من حياتنا الادبية ، قد تخلصنا من اسار اللفظ ، وتعديناه الى الجوهر الاصيل وهو الفكرة .. وبالفكرة وحدها يكون ادبنا حيا ، ثم يأتي اللفظ ـ كوسيلة فقط ـ للتعبير عن افكارنا الادبية .

والذي اعنيه بهذا المقال ، هو التوكيد على ان الفكرة وحدها هي التي تقيم اساسا متينا للادب الحي الذي يكتب له الخلود . ويدفعني هذا التوكيد الى دعوة الادباء الى نبذ الشكل اللفظي والتحرر منه ، وان يكون همهم الاول هو المضمون والفكرة الحية .

ولكن اهتمامنا بالمضمون لا يجب ان يصرفنا عن صحة الاسلوب التي لا بد منها لكل من يمارس الكتابة ، ولايمكن ان تخلق فكرة جيدة بأسلوب مهلهل سقيم .

ان سلامة اللغة ،وصحة الاسلوب ، هما البداية الحقيقية للاديب الفنان .. ليس هذا فحسب ، وانما استطرد بحديثي الى موضوع اخر هو الصدق الفني ، وهو موضوع طويل لست ابغي الخوض فيه في هذا المقال ، وانما الذي يعنيني منه هو علاقة هذا الصدق الفني بأسلوب الكاتب . فكلما كان الكاتب صادقا صدقا فنيا ـ وهو غير الصدق المطلق ـ مع فكرته ، ومخلصا لها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان له اسلوب واضح جميل . فالاخلاص مولد فعلي للاسلوب الجيد ، وقد يشمل من المحسنات البديعية والعبارات الرشيقة الموحية ، ما تقدر على تذوقه واستيعابه وما يكون اشبه بسيمفونية موسيقية حالمة تشبع النفس بروحها الخلاقة . ويكون ذلك الاسلوب اعظم قدرا واسمى منزلة من ذاك الذي يعمد كاتبه الى الشكل الادبي ويركز فيه كل طاقاته ، التي لا شك تتبدد في غير موضعها ، ولا يتبقى له من الطاقة ما يستطيع بذله في التفكير الحي الخلاق الا النذر اليسير الذي قد يغنينا عن موضوعه كلية ، ونفضل معه الراحة والهدوء .

بقيت لنا في الاسلوب الادبي ما يسمى بعناصره . والحديث عن عناصر الاسلوب ليس الا استطرادا ، واستيفاء للموضوع من جميع جوانبه . والذي يهمنا من تلك العناصر هو علاقتها بالكاتب ، فهل يضع الكاتب لاسلوبه عناصر معينة والتي حددها البعض وحصرها في ثلاثة هي : اختيار اللفظ وصياغته وموسيقى العبارة ؟

لا سلطان على الكاتب الا سلطان الفكرة ، او قل التفكير المبدع الخلاق . وبرغم ان طريقة تفكيره تكون ذات ايحاء لفظي ، فان الاسلوب يتحدد في ذهنه حسب تناسق التفكير . ويكون لكل كاتب اسلوب ، هذا الاسلوب لايحدده قبل الكتابة وانما يصير مكملا لشخصيته . وعلى النقاد فحص نصوصه الادبية واستظهار خصائص اسلوبه، والتي لم يكن يفكر فيها قط .. « ونحن لا نستطيع تحديد شخصية الاديب تحديدا واضحا بعد فترة ما من ظهوره الادبي .. ولكننا قد نحتاج الى فترة طويلة يكون الاديب خلالها قد وضع من المؤلفات الادبية ما يشبع الدارس له » (٢) .

وسأحاول ـ قدر جهدي ـ ان اتحدث عن عناصر الاسلوب الادبي ، محللا كل عنصر .. ومدى تقيد الكاتب به ، او مدى التزامه بخصائص معينة في كتاباته .

فعن اختيار الالفاظ ، فما احسب كاتبا مبدعا سيجعل من اختيار اللفظ شيئا ذا بال . وانما اللفظ الحسن يفرض نفسه تبعا لذوق الكاتب ومدى فهمه لاسرار اللغة ومواطن الجمال فيها . فاللفظ المناسب ، ينساب في سهولة ويسر ويفرض نفسه دون عناء لغوي .

وهنالك عنصر مهم من عناصر الاسلوب ، هو صياغته ، فلا شك ان طريقة الصياغة الادبية تحدد نوع الاسلوب . كما ترتبط الصياغة بعمق الفكرة واصالتها واهميتها . فعمق الفكرة قد يضطر كاتبا الى التفسير وتتبع جزئيات الحدث اوالموضوع في سبيل الوصول الى هدفه الكلي الناتج عن تجميع تلك الجزئيات وارتباطها ببعضها . ونستطيع وصف تلك الصياغة بالاستطراد . وقد يدفع العمق ذاته كاتبا اخر الى ان يوجز التعبير مع القدرة في اختيار الالفاظ الموحية التي تغني عن سطور كثيرة مملة ، وهي ما تسمى بالصياغة الجزلة . وقد يدفع العمق كاتبا ثالثا الى الاستشهاد بأمثلة تؤيد او تدحض الفكرة التي يتناولها وتلك الصياغة تقرب من الصياغة العلمية التي تعتمد على الدليل لاثبات الفكرة .

وتتاثر الصياغة ايضا بمدى جودة الفكرة ، فالفكرة الجيدة تفرض الصياغة الجيدة ، وان تبعية الصياغة للفكرة تجعلنا لا نرتبط بالصياغة لانها تأتي طواعية في صورة مناسبة ، ما دامت الفكرة ذات اصالة وعمق فنيين واصالة الفكرة تبعث في نفس الكاتب روحا جديدة تحفزه الى ان يصوغ عبارات قوية ، والاصالة قد تعني الايمان بالفكرة وما يشيعه ذلك الايمان في النفس من مدلول قوي ، يعمل على توليد العبارة الموحية المعبرة . كما ان اهمية الفكرة او جدواها يؤثر تأثيرا قويا على اهتمام الكاتب وعنايته بالفكرة التي احتضنها او قل للطريقة التي يصوغ بها افكاره .

اما موسيقى العبارة ، فهي ترتبط برهافة الحس لدى الاديب الفنان ، ومدى تذوقه للموسيقى ، علاوة على استكشافه لخبايا اللغة واستظهاره ادق خفاياها . كما ترتبط موسيقى العبارة بالحالة النفسية التي يكون عليها الكاتب اثناء الكتابة .

نخلص من هذا كله الى ان اختيار اللفظ وصياغته تابعتان للفكرة بدرجة كبيرة ، ولذا نجد ان هذين العنصرين قلما يستحوذان انتباه الاديب المبدع ، فهما يأتيان طواعية مع التفكير المبدع . اما موسيقى العبارة ، فهي مستقلة الى حد كبير عن الفكرة . وقد يكون هذا العنصر حدا فاصلا بين الاديب الفنان المبدع وبين غيره من محترفي الكتابة ، حيث ان تلك الموسيقى ترتبط بالحس المرهف ، وهو خاصية مهمة بالنسبة لاي فنان مبدع ، كما ترتبط بالحالة النفسية له ، وهو ما يجعلنا نحس باختلاف موسيقى الاسلوب لفنان ما من نص ادبي الى آخر .. وهو عنصر ذو ايحاء نفسي قوي لدى القارىء الذواقة . فالقارىء يكره ان يكون الفنان صورة مكرورة ، يسير في كتاباته على وتيرة واحدة ولا يعمل على تغييرها ، ففي ذلك رتابة واملال يشعر القارىء فيهما انتفاء عنصر الخلق لدى الفنان .. لان الخلق الفني يعني في المرتبة الاولى التغيير، وبالتغيير تكون للعمل الفني صبغته الحيوية التي تربطه بحياتنا ، تلك الحياة التي الفيناها تجد في التغيير والتناقضات فيما بينها اصلا ثابتا نتعرف به على كينونتها وان لم نصل بعد الى صيرورتها .

القاهرة — **حسني سيد لبيب**

---

(١) ـ عادل كامل : مليم الاكبر ـ طبعة سنة ١٩٤٤ ، ص ٢٦ . (٢) ـ مجلة الادب ـ اكتوبر ١٩٦٥ ـ من مقال « رسالة الاديب » للكاتب .



الصوت الحزين

(رمزية من أجل الجرح)

* * *

من وراء الوجود أسمعت صوتا ... يتلوى كالنادب المحزون
قلت يا صوت فيك رنة دمع ... مثل دمعي وحرقة كشجوني
أترى أنت من صداي وحزني ... قد تمثلت لي فهجت ظنوني
وتري لا يحن أجمد أو بح ... فقيثارتي تبكي حنيني
ضج وجدي ولست أهدى سبيلا ... لشكاة فهل يطول رنيني
سأل الليل عن هيامي وسهدي ... فأجاب الصباح طلع جفوني
وتغنت بقصتي ذات دل ... عذبتني وجن فيها جنوني
بهواها من عهد عاد سلالات ... تمشت جياشة في القرون
مثل بحر أمواجه تتلاقى ... في شطوط منثورة في العيون
حير الروح جرحها فبكاها ... كل قلب على مثار الفتون
نورها في الورى يشع كالهام ... نبي يسري بسكب هتون
أين غابت ؟ ولحنها عندليب ... رحت أجتابه حفيف غصون
كيف نامت على الثرى مثل سكرى ... وهي لم تدر ما سبيل المجون
شعرها كان بالضفائر يسبي ... عبقري الخصال طيف فنون
ويك يا ريح هل هببت عليها ... بسموم فأدرجت كد فين
لا ورب العلى فليس لها موت ... ولا فقد طرة وجبين
ستعود العروس ، أبهى من الصبح ... وأحلى من فاتنات وعين
لبوة همهمت وأسد شراها ... ملء أرض الكماة ملء العرين
تتوارى الذئاب خوف لظاها ... في شتيت من الوهاد لعين
أيها الصوت عد الينا طروبا ... لست أرضاك في النداء الحزين

دمشق

زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما يتنفس الصباح ، وتزول خيوط الظلمة عن الكون ، تنطلق القطعان الى المراعي في سهول جرابلس الشاسعة . من القرى تتجمع في السهوب ترعى الكلا ، وتثغو ، فتتصاعد الى العلاء سيمفونية رائعة تعزفها قيثارة الطبيعة وتوقعها الحان الخلود ، فتأتي خلابة لايعتورها نشاز . حداء الراعي يختلط بثغاء القطيع ورنين الاجراس وهرير الكلاب ونداء قبرة حزين يرافق ما تعزفه الطبيعة من ساحر الموسيقى ورائع الغناء .

وتفتح ام محمود عينيها ، رافعة صوتها بالابتهال الحار ، وهي تطل من باب غرفتها الطينية على الزقاق الضيق ، وقطعان الخراف تمر مسرعة من هناك والغبار يتصاعد . وينضم خروفها السمين الجميل الى القطيع فهي دائما تودعه في الصباح لتستقبله في المساء والبسمة تشرق على وجهها .

منذ سنة ودعت ابنها الوحيد محمودا الذي سافر الى دمشق لخدمة العلم . وسيظل محمود هناك سنة اخرى يعود بعدها الى امه ... وهكذا ظلت وحدها في البيت لا يؤنس وحدتها الا خروفها الحبيب . واقسمت انه عندما يعود محمود ستذبح الخروف وستدعو الاهل والاصدقاء الى حفلة كبيرة . ستغني ، وستأكل اللحم ، وستقبله وستعلن للملأ انها ستخطب له عروسة جميلة . من يدري ؟ هل ستكون العروس كابنة سليم الخاطر . تلك الشقراء الفاتنة التي رأتها مع والدها وامها ذات اصيل . انها من المدينة ومن الساحل السوري كما يقولون طويلة ، رشيقة ، ناعمة ، قدها الميادة يتثنى بلين . ذات عينين براقتين وشعر اشقر يلتف حول وجهها المشرق . اما والدها سليم الخاطر فقد كان قصير القامة يميل الى البدانة ابيض الوجه مشرق الجبهة يحيي من يراه بأبتسامة مشرقة يبدو انها تنضح بالطيب . يلاطف كل الناس ويداعب اهل القرية والقرى المجاورة بملح ونوادر لا تفتأ تتردد على فمه . كان برأي كل القرويين الطف وانظف موظف دولة عرفته المنطقة . أحبه الجميع واخذت الهدايا ترد الى منزله فيتقبلها وعبارات الشكر والامتنان تذوب على فمه رقيقة متواضعة . تعلقت القلوب بالموظف العبقري وانهالت عليه الدعوات وحفلت الولائم بما لذ وطاب ومضى سليم الخاطر متبخترا كالطاووس مزهوا بما يفعل .

وقد كان يقول لزوجته لبيبة التي حضرت لزيارته الم اقل لك انني ذكي . بلساني هذا احتل القلوب واشار الى لسانه وبواسطته

الذئب

بقلم رياض نصور

سأملك الدنيا . انني أديره كيفما يقتضي واقع الحال ، واستطيع أن اجعل الحنظل حلوا وبالعكس . لهذا اعيش كالامير اتذبذب وفق ما تشاء المصلحة .. هذه سياستي ، وهي سياسة حكيمة والله ... وتضحك السيدة لبيبة مرتبة على كتف زوجها موافقة .

ويقطع دابر الضحك برقية وردت من ولدهما العزيز في اللاذقية يخبرهما انه نال الشهادة . وسر سليم اكثر فأكثر لان الدهر يضحك له وحمل لبيبة وطاف بها الغرفة



وهو يقهقه وقبلاته تغمر وجه زوجته وعنقها وصدرها وهي تمانع وتصرخ . ولم يكتف سليم الخاطر بذلك ... بل تقدم من الخادمة التي تضاحكت وغنجت واستسلمت له وهو يدور بها ويقبلها وتلوذ بصدره والغرفة بهما تدور .. فالسيدة لبيبة لم تحب زوجها ابدا ، فما كان ذلك الرجل الوفي لها الحريص على سعادتها . كان انسانا مقامرا خليعا ماجنا . وسلاحه في الحياة هذا اللسان الزلق الناعم وتلك الطلاوة في حديثه مع الناس .. كان انانيا يريد ان يربح ويستأثر بأي شيء ، وان يحصل على اية حاجة لا يهمه الا الربح ويخسر ما يربحه دائما على موائد القمار . كان يعرف ان زوجته لا تحبه فاعطاها الحرية لتفعل ما تشاء . هكذا حصل على حريته بالمثل . وكان يبدو للناس انه اسعد انسان في الوجود وكل من في المنطقة كانوا يقولون انه ملاك في صورة انسان . وخوفا من ان يبيع الملاك ممتلكاته ويخسرها على موائد القمار او ان تعرض في المزاد العلني سجلها باسم زوجته التي أصبحت المالكة لعدة عقارات في اللاذقية ، ومن جملتها ، قصر تسكنه العائلة .

«وام محمود» كانت تقف عند حافة بابها الخشبي عندما مر موكب (الملاك الانسان) فحياها برفق مرددا : كيف صحتك يا خالة وتحشرجت الكلمات في فم ام محمود وزمت عينيها وهي تردد من فرط سرورها بكلمات مبهمة . كم ودت ان تقبل يدي هذا السيد الذي اسعدها بالتحية . وهي فقيرة مسكينة تلوذ بالكوخ ولا امل لها سوى عودة ولدها محمود . انها منسية مهملة ، ضائعة ، لا يعرفها او يكلمها احد .. أما في المساء وعندما تعود القطعان من المراعي فتستقبل خروفها بالضحك والبكاء وتحدثه بما يجول في راسها من احاديث : اترى اين محمود الان ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهل ساحصل على عروس جميلة ؟ اترى اعيش لارى ولدي الوحيد في كنفي ؟ استقبله واتنشق رائحته بملء كياني؟اسيضمني محمود بيديه القويتين ويقول لي يا أمي بملء فيه؟ ويصغي الخروف الى ام محمود ويثغو ، فتضمه العجوز وتقبله وكانها تقبل محمودا .

في المساء قرر سليم الخاطر ان يسافر مع العائلة الى اللاذقية للاحتفال بنجاح ولده مروان . ويضحك وهو يقول لخادمته لا تنسي ان تضعي على ظهر السيارة الشادر وقطعة الحبل كالعادة . وتبتسم زوجته فهي تعرف ما يخطط زوجها الذكي .. انه يستطيع ان يفعل ما يشاء وبأبتسامته يحصل على ما يريد .

وهكذا مضت سيارة الموظف الكبير وعلى متنها سليم الخاطر وعائلته . كانت تقطع السهوب مارة بين القطعان المتناثرة على المراعي ترعى وتثغو متفرقة هنا وهناك .. وتقف السيارة الكبيرة بين القطعان المتناثرة وكأن خللا طرأ عليها فعطلها عن الحركة .. وينظر سليم هنا وهناك مراقبا الراعي البعيد الذي لا يشك قط بالموظف الكبير وتدور عينا سليم الذكيتان تبحثان عن اسمن خروف . الخروف الثقيل قادم غير ان يدي سليم القويتين رفعتاه الى السيارة وربطتاه بالحبل بسرعة ، وغلفتاه بالشادر .

ويقود سيارته من جديد وهو يضحك ويختلط صدى قهقهته بثغاء الخرفان المذعورة .

ـ لبيبة انه اكبر خروف حصلنا عليه حتى تاريخه ، اسمن واحلى من الخراف السابقة .. كم ستكون الحفلة التي سنقيمها ممتعة ؟وسنأكل الكثير من اللحم ؟ الست ماهرا ؟ وتضحك لبيبة وهي تقرب اذنها الصماء قليلا من زوجها لتسمع جيدا ما يقول وتردد : انت اذكى انسان في الوجود يا سليم ، فكل الحفلات التي نقيمها لا تكلفنا شيئا الم تحضر لنا السفرة الماضية الكثير من الهدايا وكيسين من الحبوب حصلت عليهما بذكائك وحكم بطيرتك الى جانب الخروف الذي كان هزيلا جدا مما دفعك الى انتقائه اكثر نصحا هذه المرة . لقد اصبحت خبيرا بارعا بأقتناص الخراف .

وهكذا كانت وما زالت الارض تضحك للموظف الكبير .. وكمافي القرية كذلك في المدينة ، الجيران عبروا له عن حنينهم وشوقهم له مع حبهم وتقديرهم واحترامهم .

وانهالت الدعوات راسا هاتفيا على الاهل والاقرباء والاصدقاء . وذبح الخروف وتصاعدت رائحة الشواء هنا وهناك والضحك والرقص . انها حفلة شيقة يقيمها اهل القصر ويأكلون ويشربون في صحة مروان ونجاح مروان .

كانت ام محمود تلتطم راسها وهي تمضي صارخة في ازقة القرية تبكي . لقد ضاع خروفها وهو كل ما تملك ... وتساءل الناس : هل جنت ام محمود ؟ لم يستطع الراعي ان يقول شيئا . كانت ام محمود تصرخ اريد خروفي . وينظر اليها الراعي في ألم والدمعة في عينه مرددا كعادته كلما فقد خروفا من القطيع ، ونادرا ما يحصل ذلك : اكله الذئب .

وتقع المراة على الارض محطمة هزيلة شاحبة لا تدري ما تفعل . تريد ان تقول شيئا ولكن ليس عندها ماتقوله سوى البكاء والعويل.

ويمر بها اطفال القرية ضاحكين وبينها وبين عودة محمود سنة طويلة وليس لها من عمل . لن تودع خروفها في الصباح لتستقبله في المساء كالعادة . وليس عندها اي شيء تعده لاستقبال « محمود » ... وتتناول حجرا كبيرا تضرب به الارض بقساوة وهي ما زالت تصرخ انها تريد ان تحطم راس الذئب .

اللاذقية — رياض نصور

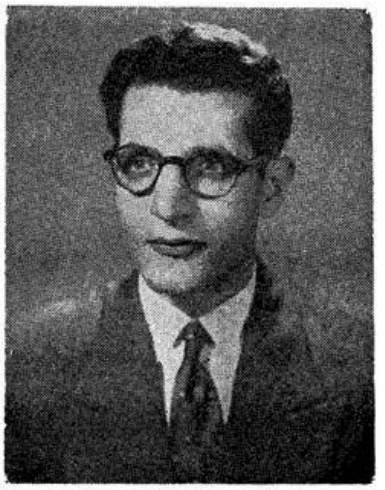
اللقلوق

★

هضاب ما كروعتها الهضاب — تعلق في مناكبها السحاب
وأطواد سمت في الجو حتى — لتهلع من مزالقها العقاب
يحار المدلجون على رباها — أنار ما تلألأ أم شهاب
كأني بالتلال قد استدارت — كؤوسا والنجوم لها الحباب
فما اللقلوق الا صرح مجد — يرف على خمائله الشباب
جنان الله في الدنيا ودار — لها أبدا على الفردوس باب

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

مـرارة الاخفـاق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

تروي بعض الطرائف ان غادة جميلة تنافس حولها لفيف من الشباب ، ردحا كبيرا من الزمان ، كل يقدم لها ولاءه واخلاصه وقلبه ، فلم تلتفت الى احد ، حتى اضطرت بمرور الزمن ان تتخير بين اثنين وقعا منها موقعا متفقا بحيث لم تستشعر نحو احدهما رغبة تفوق الاخر وارادت ان تحسم النزاع فقالت في صراحة : انها لا تفضل احدا منهما على اخيه ، ولكنها ستهب نفسها لمن يفوز في صراع قوي ينشب بينهما ويقرر غلبة احدهما . فالتحم الشابان في صراع حاد نزولا على رغبتها ، وانتصر احدهما لا محالة ! ثم نهض اليها مفتوح الذراعين يحدق بعينيه ليرى ابتسامة القبول والحظوة ، ولكنه بغت حين شاهد حسناءه تشيح عنه وتنكب على العاشق الصريع تضمد جراحه وتعلن انه الفائز بفؤادها !

دهش النظارة وتساءلوا عن سر هذا الاختيار العجيب فأجابت في حماسة انها لا تستطيع الا ان تحترم هذا الذي جرح جسمه وسال دمه من اجلها ، اما المنتصر فيكفيه من الفرحة نشوة الانتصار وتصفيق الاكف !

تروى هذه الطرفة كمثل نادر في تقدير المخفق واحترام جهده ! ولكن اي مخفق نقدر ونحترم ؟ انه قطعا ليس الخامل الكسول الذي يضيع على نفسه الفرصة السانحة ويتثاءب دون نشاط اذا حان موعد العمل الكادح فذلك لا يستحق سوى الازدراء ! اما المخفق الذي يبذل جهده الجاهد ويستعد للامر استعداد اليقظ الحريص ثم يفوته النجاح لعامل فوق قدرته فانه ممن يستحقون التقدير ، وهذا ما عنته الحسناء حين آثرت عاشقها الجريح .

والاخفاق سلاح نفسي باتر لانه يعصف بالارادة عصفا ، ويهدم دون هوادة ما يتجمع من عزم في كيان المخفق حتى ليعرقل سيره اذا سار ، بل انه يرى صاحبه ما لا يرى سواه في وجوه الناس ويسمعه ما لا يسمع ، فكل نظرة اليه تؤول الى تهكم واستهزاء من البعيد والى عطف ورثاء من القريب وكل همس بين اذنين حديث عن كبوته وتندر بعثرته ! ومن ثم ترى المخفق لا يني متطلعا في وجل هالع الى ملامح الوجوه متسمعا الى همسات الافواه مما ينطق بمحنته الداخلية في افصاح مبين ، اذ لو وقف انسان ما ، على قارعة الطريق يتصفح وجوه المارة من الرائحين والغادين لامكنه بسهولة ان يميز الانسان الناجح في عمله ، المعتز بمجهوده ، من العاجز المخفق الذي تؤوده العقبات وتقف الموانع دون ما يبتغيه ، فهو يرى الانسان الاول طلق الوجه ، قوي الحركة ، هادىء النظر ، على حين يرى الثاني ممتقع الوجه عابسه ، ساهم النظرة حائرها ، شارد التفكير في ذهول وكما يمر بك المريض الشاحب فترتاح لشحوبه وتأسى لعلته ، فكذلك يمر بك العاجز المخفق فتأسى لمنظره المكتئب وانقباضه الموحش ، وعزمه المتضعضع ، ولسنا نعد وجوه الشبه بين المريض في جسمه ، والمخفق في عمله ، فكلاهما يكابد من الاشجان ما يؤرق عينه ، ويقض مضجعه ، ولكننا نجد مريض الجسم في كثير من احواله مبعث الرحمة ومثار العطف من مخالطيه ، فهو يتبسط لهم في شرح الامه الجسمية ، وعلله العضوية فيجد الاذن السامعة ، والقلب الرحيم واللسان الناصح ، اما العاجز المخفق في عمله فيعترض الهم طريقه ويرين اليأس على خاطره فيبيت ليله ساهدا ويظل نهاره مكدودا ملتاعا ثم لا يستطيع في اكثر اموره ان يكشف للناس مناحي فشله ومواضع اخفاقه ، واذا اضطر الى ذلك اضطرارا لجأ الى تشويه الحقائق ليبرىء نفسه من سمات الضعف ، وبواعث العجز والاخفاق ، اذ انه من الصعب البالغ على الانسان ان يعترف بعجز لحقه فيما يسهل اداؤه بالقياس الى زملائه ، فاذا سئل عما اصابه من اخفاق حاول ان يحيل على غيره اذا وجد من الاسباب المتوهمة ما يجيز ذلك في بعض الاذهان ، ثم يجهد نفسه في اختلاق وسائل التبرير وحجج الدفاع ، وهو يعترف في اطواء نفسه بحقيقة قصوره وتقصيره ، ومكمن فشله وقنوطه ولكنه لايستطيع ان ينفس عن صدره كما ينفس المريض ذو العلة الجسمية بذكر الحقيقة الكارثة بقلة حيلته وخيبة مسعاه ، فليترك المرجل يغلي مضطرما في صدره محتدما في احشائه دون ان يجد وسيلة لتهدئته وتسكينه ، وقد يتجسم اخفاقه

أمام عينيه اذا تكرر ثانية وثالثة ورابعة كما يحدث أحيانا، فيفقد الثقة في نفسه ويزعزع بواعث الاطمئنان من قلبه ، فيصبح المخفق هيابة نكسا يحجم عن المشاركة في كل عمل مثمر كيلا يطارده الاخفاق ـ كشأنه الامس ـ فيصير مضغة الافواه من جديد ، وفي الناس من يتلذذون كثيرا بالحديث عن المخفقين فيظلون مادة سخريتهم ولهوهم لا يبرحون حديثهم الراوي ، وكأنهم بذلك يريدون ان يقولوا اننا لسنا من طرازهم ، وبذلك يستشعرون بعض التيه النفسي الكاذب اذ سلموا من اخطاء المنكوبين ، بل ان في الناس من يجسمون اخطاء معارفهم تجسيما مذهلا ينقبض له المنصفون ، فهم اذا عثروا على زلة هينة اخذوا يجوفونها تجويفا ويضخمونها تضخيما ليثبتوا للمئهم انهم بمنأى عن الزلل والسقوط ، ومثل هؤلاء لا يرحمون المخفق اذا وجدوه بين ظهرانيهم ، فحديث اخفاقه انشودة عذبة تطرب الاسماع ، ولا حيلة لنا في هذا الطراز من الناس فان تقدم الانسانية في ركبها المدني يسمح ببقائه دائما دون استئصال ! هؤلاء الطغام من الاوشاب يزيدون تبريح المخفق بلاء فوق بلاء ، فهو يحذر السنتهم القارصة ويتخيل في نفسه احاديثهم الزارية فاذا دفعته الظروف القاسية الى عمل جديد تخطفته الحيرة ، وتقاذفته الدهشة مقدرا عاقبة الخذلان امام هؤلاء الاوغاد ومن ثم لا يفرغ لروية متأنية ، او يركن لتدبير سديد ، ومهما جد المتردد الهيابة في امر فلن يبلغ في انجاحه مبلغ الحازم المصمم ، الواثق من خطواته ، الهازىء بنقد المفرضين ، واراجيف الموتورين ! فانه سيقطف من الثمرة اضعاف ما يقطفه المتردد الخؤور ، والويل له من هواجسه الحالكة اذا خلا الى نفسه فوازن بين مسعاه الضئيل ومسعى غيره من ذوي الحزم والعزم !

واذا كانت النفوس متفاوته في الذكاء والقدرة على الافادة من التجارب ، ووضوح الرؤية البصيرة لمحيط العمل ومتدرجاته المتعددة وزواياه المتشعبة فان النجاح والاخفاق يرجعان غالبا الى الخطة التي ينتهجها الانسان في ميدانه وفق استعداده الشخصي وقدراته النفسية ، والفشل داء مزمن لم تستطع التربية المعاصرة اجتثاث جذوره وان ساعدت على تضييق مجاله بعض المساعدة ! وليس التعليم المدرسي والجامعي ممايعصف ببلواه ،اذ اننا نرى بعض المخفقين نهلوا من الثقافات العالية وظفروا بالدرجات العلمية ذات الشرف حتى اذا تركوا مقاعد الدراسة وخاضوا لجة العمل غرقوا في الخضم ! وقد تجمعهم الملابسات مع من هم دونهم في مجال واحد ، فيخفق الجامعي وينهض من دونه ! وقد طال حديث المربين في الشرق منذ اكثر من نصف قرن عن فساد الطريقة التعليمية التي تستهدف تحصيل العلوم والمعارف دون اهتمام بالتربية النفسية والخلقية وتهيئة المواطن السوي وبذلت في هذا المضمار جهود كثيرة قام بها رواد التربية المعاصرة ممن وقفوا على أحدث النظم التربوية في أوربا وأمريكا ! ولكن مرور نصف قرن أو يزيد على قيام الاصلاح التربوي في مصر وبعض البلاد العربية لم يعقب اثرا ذا بال في التوجيه والتسديد .

والطريق العملي للنجاة من الاخفاق الا يخدع المخفق نفسه في شيء ! فعليه ان يواجه نفسه مواجهة صريحة ليتعرف مواطن ضعفه ومهاوي سقوطه ، فيزن عمله على ضوء نتائجه ليدرك الثغرات المتسعة التي تسرب من منافذها الفشل ، ففي ذلك الادراك التفات اليقظة الحريصة ، وتفيير من الخطة المعوجة واستعداد لمعالجة الداء ببلسم شاف ، كما ان في استشارة الناصح المخلص، وتأمل سلوك الناجحين ، ومنازعهم في الاخذ والعطاء فائدة حقيقية لمن يقف عليها ، فاذا بدل المخفق خطته واستشار ذوي النصيحة الخالصة بدأ العمل في حزم وثقة ، وعليه مع ذلك الا يتعجل الثمرة اليانعة من بابها القريب فاذا ابطأت عنه لبعض الاسباب فليسبح وراءها سبحا طويلا مستثيرا همته المصممة ، ثم ليواصل السير الى النهاية فمن يدري فلعل النجح قريب !

وكم من الناس من ساءت حظوظهم بدءا ثم حسنت نهاية فما وهنوا لاخفاق ، او استكانوا لكارثة ، اذ ليس الفشل ضربة لازب على بعض الناس يواجهونه انى يقصدون !

أكتب ذلك وانا أعرف ان بعض القراء سينفضون رؤوسهم ساخرين ثم يقولون نصائح وارشادات يعرفها كل الناس ! ولن يأتي العلاج الحاسم بوعظ منبري ونصح أخوي ! يقولون ذلك ثم يديرون وجوههم وكأنهم فرغوا من المشكلة ووجدوا لها العلاج الحاسم ! فاذا سألتهم وجه الرأي صاحوا كخطباء مصاقع : لنصل الى البواعث النفسية ، لنحلل واقع المخفق ونعمد الى ظروف بيئته وواقع عمله وأسرار تكوينه ثم لنفحص عقده الكامنة ، ولنقف على احلام يقظته وهواجس نومه !! وانت لا محالة تعرف سلفا جميعما يقولون !

ولكن هذا التشريح الشخصي وذلك التحليل النفسي لن يكونا في مقالة تنشر لجميع الناس على وجه عام ولكنه علاج ذاتي شخصي مكانه العيادة النفسية لدى عالم متخصص !! ونحن ننصح هؤلاء المرضى بارتياد العيادة النفسية ذات الطبيب الحاذق ففيها كثير من النفع دون مراء ، ولكن وجود العيادة النفسية لا يمنع كاتبا أن يسطر ملاحظاته العامة لجمهرة القراء كمايلمسها ! ونحن لانتحدث عن مخفق خاص ، أو فاشل معين فنقف بالحديث عنده وحده انما نشير الى ملاحظات هامة نلمسها لدى الكثرة

---

(١) يتشدد بعض اللغويين في منع كلمة الفشل بمعنى الخيبة ويقصرها على الضعف ، وقد جرينا في هذا المقال على الاستعمال الاول لذيوعه ولوجود ما يبرره من التاويل .اه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الفاشلين ، كما نشير بعلاج عام يفيد في مجموعه اذ يلقى بعض الضوء الكاشف وهو لا محاله ينفع ذوي الاخفاق المبدي فيقفون على مكامن أدوائهم قبل ان يمتد الحريق .

وآفة الاخفاق اليأس ! فهو العاصف المدمر الذي يقيد كل خطو عن العمل ، واذا تمكن من انسان فقد حطم ارادته وشل تفكيره اذ يجسد المخاوف أمام عينيه فيتوهم لكل عمل جديد نهاية اليمة ، ولكل تجارة خسارة مرتقبة ! ومن نقاط الضعف لدى المخفق انه يعتقد أن غيره من الناجحين لم يذوقوا كؤوس الخيبة في خطواتهم الطويلة على درب الكفاح مرات ومرات ثم شحذوا العزائم وواصلوا السير في تحد للصعاب حتى قهروا الفشل قهرا ، بل يعتقد في أطوائه أن هؤلاء الفائزين قد وثبوا الى النصر وثبا في طريق فرش بالازاهير وهذا ما يكذبه الواقع ، فليس النجاح في العمل ورقة يانصيب تؤخذ بقرش فتكسب في الحال مئات الجنيهات اذ ان النجاح والخيبة والكسب والخسارة والعلو والهبوط أدوار طبيعية على مسرح الحياة تتعاقب متتالية ولن تقطف الثمرة النهائية الا بعد صراع تدخر له القوى ، وتحشد العزمات ، وقد تأتي الخيبة عن أسباب لا ترجع الى تقصير الخائب وقصوره بل الى مناقضات الحياة وهبوب الريح من جهة غير متوقعة وهذا ما لا حيلة فيه لأشد الناس ذكاء وأقواهم عزيمة !

ومن حسن الحظ أن ذلك لا يطرد ، اذ ان رحمة الله تأبى ان يكون الانسان محاصرا دائما بقوى غالبة تفسد خطته ، وتأتي على بنيانه من القواعد ، ونحن نرى ان الذين تصدمهم الحياة بما لا يتوقعون ، بعد ان أحسنوا العمل وأتموا التدبير سرعان ما ينهضون وقد ضمدوا جراحهم وتأهبوا لجولة عاجلة تأتيهم بالنصر السريع الا من شذ ! وقد يجنح انسان سوي الى عمل لا يلائمه فيتخبط في فشله ، ويكون الاخفاق لديه نتيجة اختيار مخطىء ، ولا غرابة في ذلك فبعض العقلاء يجهلون مواهبهم الأصيلة فلا يسلكون السبيل الى استغلالها بل يقومون بما يتعارض مع قدراتهم الكامنة من أعمال ، فيحاربون في حلبة لا يقدرون على الصيال بها ، ولو عدلوا الى ميدانهم المناسب لجلوا ظافرين ! ونحن نشاهد في المجال الأدبي — على سبيل المثال — من يتعاطى الشعر وهو كاتب ، ومن يكتب المقالة وهو روائي ثم يصر على ممارسة انتاج لا يبرز حقيقة معدنه ! واذا جاز ذلك في الحقل الأدبي وفرسانه من ذوي التفكير والدراية فهو في غيره من الحقول المتنوعة أكثر جوازا ، وما الصانع الذي يترك صناعته ليفتح حانوت بقالة الا أحد عشرات الأمثلة لما نريد !

ومن المشاهد أن الاخفاق في بعض أحواله يكون متوهما لا حقيقيا اذ يتخيل ، لبعض الناس انه غير موفق في عمله ويلتمس من الأسباب الموهومة ما يؤكد له هذا التخيل ، ولو تأمل حقيقة واقعه بعيدا عن سرف الآمال وسبحات الاوهام لادرك انه موفق غير متعسر ، ولامر ما يتبدد الصفاء النفسي مع توافر أسبابه ، وينجم الكدر الروحي مع انقطاع بواعثه لدى المسرفين في الآمال الواثبين بأجنحة الشطط الى دنيا تعبق بالأريج ! وقد ينساق هذا الصنف من الحالمين الى مقارنة زائفة يعقدها بين نصيبه ونصيب غيره ممن أسعفتهم ظروف استثنائية لا تطرد مع سائر الناس فبلغوا شأوا من الثراء والجاه لم يتح لجمهرة العاملين ! فاذا ارتقى زميل ما من غير طريق مألوف ، فلن يكون ذلك اخفاقا لمن نهج النهج الطبيعي من زملائه ! ولن يكون ذلك مظنة خيبة لدى من يقلبون كفا على كف متحسرين ! واذا كان الضعف الخلقي نفسه هو الذي أتاح الارتقاء من غير وجهه لدى بعض الوصوليين فان الضعف الخلقي هو الذي يجعلنا نعد انفسنا مخفقين اذ لم تتح لنا ظروف شاذة كظروف صاحبنا السعيد ! ويا لها مأساة أنا لا أنكر أن الموازنة بين النظراء عمل غريزي لافكاك منه ! فكل زميل يضطر الى قياس نفسه بغيره ممن يتساوون معه في العمل والملابسات ! ولكني انكر ان تكون الموازنة على اساس النتائج دون المقدمات ! فلا بد أن يقدر الموازن المنصف في اعتباره خطرات النجاح والخيبة قبل ان يجعل النتيجة النهائية مجال الحكم والترجيح ! وبذلك تنخفض أقدار مرتفعة ، وترتفع جهود متواضعة لدى من يؤثرون الصراط القويم !

اعرف تاجرا امينا يرعى حدود الله في واجبه ، فلا يتعسف في اجتلاب ربح زائف ، وقد وفقه الله في عمله ففنم الكسب المعقول ورزق الحياة المسعفة ، ولكنه مع ذلك قلق متضجر يلقي الحياة بنفس ضائعة وصدر منقبض ويعتقد فيما يصارح به خلصاءه أنه مخفق عاجز فاذا استوضحته رأيه ذكر زميلا له كان يشتغل برأس مال كماله ، ثم استغل بعض منافذ التموين الحكومي لحسابه فاختزن واحتكر ، ونجا بحيله الدقيقة من المسؤلية القانونية وهو الآن يقتني العقار ، ويشتري الارض ، ويفتح المتاجر ! هذا الثراء الشاذ مبعث التياع صاحبنا ومكمن ضيقه المتأزم ، فليته يعلم أنه أسعد حظا من صاحبه حين اطمأن الى سلامة طريقه فنجا من عقدة التأثم ، وسلم من ثورة الضمير التي تشب كثيرا في نفوس أعتى العصاة حين يستعرضون مخازيهم الفاضحة في هداة الليل ، ولكل انسان طائره في عنقه ، يذكره بما قد اقترف مهما تغافل فأطال .

آن لنا ان ننظر الى الاخفاق نظرة موضوعية فندرس بواعثه ونتعرف اسبابه ، ثم نعمل على مواجهة الحقائق كي نقترب من العلاج الراشد ، ومن المفيد ان نطيل في تشخيص هذا الداء البغيض متمهلين فلعله اخفاق متوهم لا عجز متحقق عند الكثيرين (١) .

الفيوم — دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

لقاء في غرناطة

مهداة الى الصديقة الشاعرة سلمى حفار الكزبري
ذكرى لقائنا في غرناطة

★ ★ ★

يا عذبة البسمة يا ساحره ... وسلوة للمهجة الحائره
يا حلوة العينين ، هذا اللقا ... عذب كأحلام الصبى الناضره
حمدت غرناطة من أجله : ... من أجل هذي الهبة النادره
ولم تكن لولاك غرناطة ... ـ رغم البها ـ فتانة ساحره
لكنها الان بدت جنة ... ما مثلها الجنة في الآخره
اني هنا لشاعر عابر ... يلقى هنا أختا له شاعره
جئنا من الشرق ولكننا ... لم نجتمع في أرضنا العاثره
غرناطة أقرب من جلق ... تجمعنا في زورة عابره
روحان للحسن بنا صبوة ... وحب أمجاد لنا داثره
شاعرتي ، فلنسترح ههنا ... ولنستعد أيامنا الغابره
فها هنا كانت عهود لنا ... أخبارها مرموقة عاطره
تروي الفتوحات أحاديثها ... كأنها أسطورة باهره
وماتني آثارها حية ... بكل مجد شامخ عامره
لو تنطق الحمراء لاسترجعت ... أبهاؤها أيامها الزاهره
كأنها انشودة حلوة ... تبعثها قيثارة آسره

رفيقتي ، نحن هنا صحوة ... من حلم ، أم حلم ساخر ؟!
أنحن مبعوثان في حاضر ... ماض، أم الماضي هو الحاضر؟!
هل بعث التاريخ من أمسه ... فكان فينا بعثه الباهر ؟!
لسنا غريبين ، فقد ضمنا ... معا هنا تاريخنا الغابر
هنا تلاقينا ...

هنا خطونا ... كان له ايقاعه الآسر
في جنة العريف ميعادنا ... ضمخه أريجك العاطر
مع مطلع الشمس نلاقي الضيا ... في حلم ليس له آخر
عيناك ...

يا للسحر ! يا للرؤى ! ... سحرهما لي فاتن قاهر
لا تغمضي عينيك ...
لي فيهما ... اصباحي المعطر الساحر

غرناطة ... عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجارب من بلاغة اليوم

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

مع مطلع القرن العشرين ، وبفعل الاحتكاك المباشر مع الغرب وآدابه ، تنبهت الأذهان الى التجديد الادبي ، والنقدي ، والبلاغي ، فقد اصطبغ الأدب العربي في نتاجه الجديد ، الحديث ، في البلاد العربية والمهاجر آنئذ بصبغات جديدة ، حديثة في الشعر والنثر ، أنواعهما ، موضوعاتهما واساليبهما .. الامر الذي ساعد على التأصيل النقدي ، والبلاغي ، وتوطيد مبادراته ، وذيوعها ..

وعندما انشئت الجامعة المصرية القديمة ، عام ١٩٠٨ ، استقدمت الهيئة الادارية فيها عددا من المستشرقين لتدريس الادب ، واخذ المستشرقون يطبقون مناهج البحث العلمي الادبي في دراسة الأدب ، الامر الذي كان له أثر كبير أيضا في التأصيل النقدي ، والبلاغي ، ناهيك بأثره في التجديد الأدبي نفسه ، واللذين كانت تطمح اليهما النفوس وقتها ..

وقد استطاعت البيئات الجامعية العربية أثرها ، الجامعة المصرية الحديثة ، التي تجددت عام ١٩٢٨ ، ومدرسة الآداب العليا ، في الجامعة السورية ، والتي تأسست عام ١٩٢٩ ، وغيرهما أن تجدد في طرق البحث الأدبي ، وتجدد في مفاهيم الادب نفسه ..

وقد دخل الادب العربي بذلك ، بالفعل ، مرحلة جديدة من حياته ، وعلى الخصوص نقده ، أو التاريخ له ، وبلاغته ، وهي المرحلة العلمية المنهجية الحديثة التي تنصف المادة المدروسة ، والمنهج الذي يصطنعه الدارس لتمحيصها ، وجلائها ، من دون ان تغمط حق الراي ، أو الذوق ، او ان يهملهما في ذلك ..

يلاحظ الدكتور محمد مندور في كتابه « الأدب ومذاهبه » مصر ، ط ٣ ، ص ٩ وما بعدها ، أن التعريف الحديث للادب ، من انه ، أي (الأدب : صياغة فنية لتجربة بشرية) ، انتشر عند دعاة التجديد المحدثين وخاصة في الشعر ، وذلك بفعل تأثرهم بالغرب وآدابه .. صدر عنه ابراهيم عبد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد عند نقدهما لأحمد شوقي ،وحافظ ابراهيم ، وخاصة في كتاب الديوان ، كما ظهر مدلول التعريف واضحا في كتاب « الغربال » لميخائيل نعيمة ، وفي مقدمات دواوين شعرية عديدة ، نشرها احمد زكي ابو شادي ، والعقاد ، والمازني ، وغيرهم ..

ومن المؤسف ، كما يلاحظ الدكتور مندور أثر ذلك، أن تفهم هؤلاء الدعاة المجددين للأدب ومضمونه حسب هذا التعريف كان قاصرا ... فالتعريف غربي حديث ، وقد ضيعوا من مفهومه .. ولذلك انبرى يوضح في صفحات مركزة من كتابه المذكور المقصود من (تجربة بشرية) ، وانها ليست التجربة الشخصية فقط ، كما كانوا يظنون، أو يذهبون الى ذلك ، وانما تشمل ايضا تجارب أخرى ، التاريخية منها ، والأسطورية ، والاجتماعية ، والخيالية يدلل عليها بنماذج وامثلة من ادب خليل مطران ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهما ..

ان تطور الحياة الادبية الحديثة ، في هذا المثال، جاء عن طريق التأثر بالاقتباس ، والترجمة ، وظهر على شكل تفاعل الادباء ، والنقاد على السواء مع الجديد ، والدعوة اليه .. أن تأثير الأدباء ، والنقاد في الحياة الادبية ، وفي التأصيل النقدي ، والبلاغي الآخذ بالنمو ، والازدهار آنئذ ، لا يقل قيمة ، وأهمية ، وخطرا عن أثر البيئات الجامعية العربية وقتها فيهما ..

العامل الفعال عامل بناء وتجديد في المثال ، لا شك في ذلك ، لنقل عامل تسوية أنتاج حديث ، أو تسوية نقد حديث . أي انه عامل من الحياة نفسها ، وليس من بيئة جامعية معينة ، أو بيئة علمية معينة .. والموضوع تمثل حديث للأدب ، حسب تعريف حديث له ،وماذا حصل؟.. لقد تقلص التمثل ، وجدت دلالته ، واقتصر شموله على التجربة الشخصية دون سواها ..

ولا شك أن تفاعل الادباء ، والنقاد مع ظروف التجديد الذي كانوا يطمحون اليه ، والمسار الذي قطعه التجديد الأدبي ، وما اصطبغ به من صبغات ولونيات ، كل ذلك ساعد على التأصيل بفعل الحياة نفسها ، وسوف نرى أن البلاغة ، ودراستها الحديثة تسير هي نفسها متفاعلة مع الحياة العربية الحديثة ، والتي لا تنفك تصطفي ، وتختار، وتميز ، وتفرز ، وتقنن ، وتقبل ما تقبل ، وترفض ما ترفض ..

مثال آخر بارز من واقع أدبنا العربي ، ونقده ، ودراسته في مطلع القرن العشرين .. لقد كانت (اللغة الرسمية) في الدولة العثمانية ، خاصة في الفترة الاخيرة ، هي اللغة التركية ،وقد كان رصيد اللغة العربية في الاقطار العربية آنئذ ، ظاهر الأهمال ، خاصة في التعليم الرسمي ، والاميري ، وكان يدرس آنئذ باللغة التركية ، وهو رصيد شعبي مقتصر وقتها على تعليم القرآن الكريم ، ومبادىء من نحو وصرف وبيان ..

في حين كانت الطريقة القديمة في التعلم ، والتعليم، أي عن طريق مجالس المدرسين ، والوعاظ في المساجد، أو عن طريق المؤدبين في البيوت شائعة آنئذ ومتواترة ، واستمر الأخذ بها حتى قيام الحكم الفيصلي العربي في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سورية ، اثر الحرب العالمية الاولى ..

وقد عملت الحكومة الفيصلية ، وهي اول حكومة عربية سورية تحكم البلاد السورية بعد التحرر من حكم الاتراك على تعريب الدواوين ، وانشأت مدرسة للكتاب والمنشئين لتعليم موظفي الدولة الكتابة العربية السليمة ، ويحدثنا الاستاذ خليل مردم بك الذي كان يعمل آنئذ ، مميزا في ديوان الحكومة ، ينقح الرسائل الرسمية الصادرة ، والواردة ، أن الحكومة الفيصلية كلفته بالقاء دروس في الأنشاء ، والكتابة على الموظفين ، ففعل ، ثم ما لبث أن جمع محاضراته في كراس سنتحدث عنه بعد قليل ..

ويقول الامير (مصطفى الشهابي) ، في حال اللغة العربية ، آنئذ (١) :

« .. ومن النادر في ذلك الزمن ان يجد المرء شابا في مقتبل العمر يكتب بالعربية ، في يسر ، وصحة ، وسلاسة ، ولا شك في ان الشبان في ايامنا هذه سيتعاظمهم قولي ان لغتنا الضادية كانت تدرس بالتركية في المدارس الحكومية ، وانه لولا بعض المدارس الاهلية من اسلامية ومسيحية ، ولولا العادة القديمة في تلقي علوم اللغة ، والدين على العلماء في البيوت ، او المساجد لما وجدنا في ذلك الزمن كاتبا قادرا على تأليف كتاب عربي او على كتابة مقال في صحيفة عربية .. »

كانت تلك الحال حالنا في اواخر القرن المنصرم ، واوائل القرن الحالي ، ومع ذلك لم تعدم البلاد العربية السورية آنئذ نوابغ مبدعين حملوا مشعل الادب ، والنقد ، والبلاغة ، الفوا فيها ، ونافحوا عنها ، والذين اذكر منهم (٢) ، مثلا ، الاب لويس شيخو ، الذي كانت كتاباته موسوعة الجيل الادبية ، والنقدية ، وترك كتبا قيمة في علم الادب ، والانشاء ، والعروض ، والخطابة ، والشعر والتاريخ الادبي ثم محمد كرد علي الذي خدم الفكر والادب واللغة آنئذ خدمات جليلة ..

ناهيك بالفنانين والادباء المبدعين الذين طوروا اساليب الاداء الادبي عن طريق المسرحية ، والرواية ، مثل ابي خليل القباني ، وتلاميذه ، ومنهم داود قسطنطين خوري ، وغيره ، او مثل معروف الارناؤوط الذي كان يترجم انئذ المسرحيات والقصص المختلفة ، ثم نبغ في الرواية التاريخية العربية الاسلامية ، وغيرهم ..

وكراس الاستاذ خليل مردم بك يحمل عنوان «كتاب دروس الأنشاء » ، ولا يزال مخطوطا ، واطلعت عليه عند الاستاذ عدنان مردم بك ولد اديبنا خليل مردم بك ، ولخصته من عنده ..

يقول خليل مردم بك في مقدمة مؤلفه :

« اما بعد فهذه دروس في الانشاء العربي ، كنت القيتها في مدرسة (الكتاب والمنشئين) التي اسستها الحكومة العربية في أوائل سنة ١٣٣٧ هـ لارباب الوظائف خاصة . فكان الموظفون يجتمعون ضحوة كل يوم في بهو الحكومة لسماع ما يلقى من دروس الانشاء ، والنحو ، والصرف ، وكان عهد الي بتدريس الانشاء ، فبدا لي ان اجمع في هذه الرسالة ما القيته عليهم ، لعل مستفيدا يصيب منها فائدة : والله الموفق سبحانه » .

ويحوي لكراس على جانبين ، جانب تاريخي عن الكتابة العربية منذ عصر النبي حتى العصر الحديث ، ثم جانب نظري ، ولنقل نقدي مقنن ، من اقوال ائمة الادب ، ونقد العرب القدامى ، امثال الجاحظ ، وبشر بن المعتمر وابن عبد ربه وغيرهم .. كما يحوي على مختارات من النصوص الادبية من مختلف العصور العربية ..

نقرأ،مثلا ، في (تمهيد في الكتابة والانشاء) مايلي :

« ينقسم كلام العرب الى قسمين الشعر والنثر، وكل منهما يشتمل على فنون ومذاهب ، أما بحثنا الان فنقصره على النثر ، او فرع منه نعني الكتابة والانشاء ، واللذين لا بد لطالبهما من الوقوف على بعض العلوم كالنحو ، والصرف والبلاغة .. »

ثم يضيف « والاطلاع على كتب البلغاء ، واستقراء كلام الفصحاء ، والنظر في اساليبهم ، واقتفاء اثارهم ، وتتبع مناحيهم في رسائلهم ومحاوراتهم ، والامعان في فهم ما وضعوه من الاشراط ، والاخذ به .. كي ترسخ في النفس ملكة يقدر معها صاحبها على الابانة عن مقصوده ، اذ ان الاعراب ، وحده ، غير واف بالحاجة» وبالفعل ان جمع الاقوال والشواهد ، ثم العرض التاريخي لتطور الكتابة في الكراس ظاهر الغاية ، وهي اعطاء فكرة عن فن الكتابة ، ثم السماح بالتعاطف مباشرة مع امثلتها (٣) ..

هذه الجوانب المختلفة في الكراس تنمي بالفعل الملكة التي يقدر معها صاحبها على الابانة عن مقصوده .. هذه الملكة ستساعده ايضا ، على حد قول المؤلف ، على تمييز الجيد من الرديء ، وملاكها على حد قوله ايضا ، الطبع الرقيق ، والذوق الصحيح ، والقريحة الوقادة ، والذكاء الغريزي ، والميل الطبيعي الى الادب ..

ومما عكسه النقد الادبي انئذ ، حملات احمد شاكر الكرمي على الاساليب الركيكة ، والمبتذلة التي تفشت في الكتابة انئذ ، او دفاعه عن عمود الشعر ، اوزانه ، وقوافيه ..

يتألف الشعر الادبي ، على حد تعبيره (٤) ، من اجزاء اربعة ، هي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية . يشترك الشعر مع النثر في الجزئين الاولين ، وينفرد عنه في الجزئين الاخيرين ..

اللفظ : اتفق عامة شعراء العرب ، ونقادهم ، على ان يكون اللفظ شريفا غير مبتذل ، ولا مهجور ، وان يكون

منسقا تنسيقا خاصا يخالف تنسيق النثر بالضرورة ، وقد وافق جمهور الافرنج والعرب في امر اللفظ في الشعر ، وان الشعر يجب ان يكون له معجم خاص يخالف معجم النثر ..

يعلق احمد شاكر الكرمي على ذلك ، مسجلا تقهقر اللغة الشعرية في ايامه ، فيقول (٥) :

« ويستطيع القارىء بعد ان عرف قيمة شرف اللفظ ، وتنسيقه في الشعر عند العرب والافرنج ان يدرك سر تقهقر السواد الاعظم من شعرائنا في سورية ، والمهجر خاصه وسبب تاخرهم .

فان اولئك الشعراء قد اسفوا في لغة منظومهم ، وبعدوا عن النسق الشعري فيه بعدا عظيما ، وجعلوا قصائدهم واشعارهم لا تمتاز عما تنشره صحف الاخبار في لغتها واسلوبها ، والصحف كما هو معلوم هي الينبوع الوحيد الذي يستقي منه هؤلاء مادة لغتهم ، حتى اصبح الابتذال في اللغة والاسلوب صفة غالبة على منظومهم الذي يسمونه عصريا .. فجنوا بعملهم ذلك على الشعر ، وطعنوه في اشرف مقاتله .. »

المعنى : ويرى انه اجزاء الشعر ، وابعدها عن الخضوع للتحديد العلمي ، ولذلك ينتهج نهجا خاصا يسرد فيه اهم الصفات التي نص علماء الادب على وجوب اتصاف المعاني الشعرية بها ، من غير التفرقة بين راي عربي ، واخر افرنجي .. قال (٦) :

« رأينا فيما قرأناه من الموسوعات ، وما رجعنا اليه من المظان ، ان اهم ما يلزم ان تتصف به المعاني الشعرية ، اربع صفات هي : الاطراب ، والسمو ، والشمول والجدة »

ثم يشرح هذه الصفات ، فالاطراب هز النفوس ، وتحريك عوامل ارتياحها ، والسمو التباعد عن المعاني السوقية المبتذلة ، ويبدو في الافكار السامية ، والخيالات العالية ، والعبارات المهذبة ، والشمول في بعد الغور واتساع المدى ، والتعدد ، والجدة وهي ابتكار المعاني غير المطروقة ..

ويعلق احمد شاكر الكرمي على هذه الصفات . فيقول (٧) :

« وعسى ان اكون بعد كل هذا قد استطعت ان اقرب حواشي هذا الموضوع الصعب الذي هو ابعد الموضوعات من الجري على سنن التحديد العلمي .. ليعلم القراء ان الشعر باعتباره اثرا من اثار الفن ، يجب ان تتصف معانيه بهذه الصفات الاربع الجامعة ، فتكون تلك المعرفة ميزانا عادلا في ايديهم يزنون به تلك الترهات والاباطيل التي تطن في اذنهم كل يوم ، والتي يسميها اهلها شعرا ، وما هي من الشعر بشيء .. »

يتحدث احمدشاكر الكرمي عن اثرها في الوزن والقافية فيقول (٨) : « والمقصود بالوزن : جري الكلام على مقاييس خاصة ، اما القافية فهي اخر البيت .. » ثم يقول : « وقد اختلف الناس في امرهما ، فذهب فريق من المتأخرين الى انهما غير ضروريين للشعر ، وانه يتحقق بدونهما ، وقال بعضهم ان الوزن ضروري ، اما القافية ففير ضرورية ، وارتأى فريق اخر من المتقدمين ، وتابعهم على رأيهم كثير من المتأخرين ايضا ، ان الشعر هو الوزن والقافية »

ثم يورد الاراء المتطرفة ، في نظره في ذلك ، ويرد عليها فيقول : « كان ممن ذهب الى عدم ضرورة الوزن والقافية في الشعر المرحوم زيدان ، فقد قال في كتابه : تاريخ اداب اللغة العربية ، ج١ ص ٥٤ :

« ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون ، فيحصرون حدوده بالالفاظ ، وهو تعريف النظم ، لا الشعر ، وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر .. وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعا في النفس ، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه في النثر .. »

ويعلق على مجمل زعمه (٩) ، فيقول (١٠) : « وهذا راي غير قويم ، لان هذا القالب الذي يسبك فيه الشعر كما يقول زيدان ، او هذه الصورة الموسيقية هي التي تميز

---

(١) العروبة تكرم خليل مردم بك ، دمشق ١٩٦٠ ، كلمة الامير مصطفى الشهابي ، ذكريات اربعين سنة ، ص ١٨ . (٢) راجع في مجموعة « الادب العربي في اثار الدارسين » ، بيروت ١٩٦١ ، دراسة الدكتور محمد يوسف نجم ، الفنون الادبية ، وفيها يتحدث عن سليمان البستاني ،وروحي الخالدي وقسطاكي حمصي ، ص ٣٠٨ وما بعدها ، والشدياق ، وشاكر شقير ، وشاكر البتلوني ، وابراهيم اليازجي ص ٣٣٥ وما بعدها ، ويمكننا ان نضيف جبر ضومط الذي خدم البلاغة آنئذ ، وغيرهم . (٣) في خاتمة الكراس يعدد المؤلف الكتب التي يستفيد الطالب من مطالعتها ، وهي : القرآن الكريم ، نهج البلاغة ، كليلة ودمنة لابن المقفع ، البيان والتبيين للجاحظ ، كتاب الصناعتين لابيهلال العسكري ، رسائل الصابي ، رسائل الخوارزمي ، رسائل الهمذاني ، الالفاظ الكتابية للهمذاني ، الاعجاز والايجاز للثعالبي ، رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ، مختارات المنفلوطي ، النظرات للمنفلوطي حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، البؤساء ترجمة حافظ ابراهيم، الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران ، مجلة الضياء لليازجي ، مجلة المقتبس لمحمد كرد علي ، مجلة الزهور لانطون الجميل . (٤) « احمد شاكر الكرمي » مختارات من اثاره ، دمشق ١٩٦٤ ، مقالته عن مشاهير شعراء العصر ، لاحمد عبيد ، ص ١٢٧ ـ ١٤٠ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) ـ المصدر السابق الذكر ، ص ١٢٩ و١٣٠ و١٣٣ . (٩) ـ يورد دليليه على ذلك ، وهما القولان القديمان : ـ الشعر كلام ، واجوده اشعره ـ حيث لا يشترط وزن ولا قافية ، و : ـ الشعر شيء تجيش به صدورنا ، فنقذفه على السنتنا ـ . المصدر نفسه ، ص ١٣٤ . (١٠) و(١١) نفس المصدر ، ص ١٣٣ و١٣٥ . (١٢) للفائدة والتاريخ نسجل هنا ، اننا نجد في المصدر السابق الذكر ، ص ١١٩ وما بعدها، مقالة علمية ودقيقة وجامعة يتحدث فيها الكرمي عن الانتحال في الشعر العربي القديم ، نشرت في (الكوكب) القاهرية عام ١٩١٩ ، اي قبل تفصيل الدكتور طه حسين القول في نفس الموضوع بنحو سبع او ثماني سنين .

الحدق المراض

مرضي من الحدق المراض ... أولي على الحب اعتراض
بي علة مكتومة ... والوجد يفرضها افتراض
قلبي جناح الطير منتفض ... بلقياك انتفاض
وكفى باني قد ملأت ... القلب حبا والوفاض
كم فرصة ضيعتها ... يا حبذا لو تستعاض
أنا لا أتوب عن الهوى ... ولو اعتلى رأسي البياض

ذكرى الهوى

على ذكرى هواك انا حييت ... وحبك لي هو الهم المميت
وحين تقول عينك مت هياما ... وشوقا كيف اني لا اموت
وبي جوع اليك فعلليني ... فهل لي من شفاهك تلك .. قوت
نعتك بالبهاء وذا قليل ... وتخجل منك هاتيك .. النعوت
فعذل بيننا ووشاة سوء ... وحساد من النعمى تموت
وحين تطلعت عيناك شوقا ... سكت وكاد يرديني السكوت
أحدث ثم اغني الغير قصدا ... وغيرك في حديثي ما عنيت ..
فانك خير من نظرت عيوني ... وامتع من به يوما حظيت

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر من النثر ، فلو كانت غير ضرورية لما جعل الناس الشعر فنا قائما بذاته يخالف النثر ، ويفترق عنه .. »

ثم يتابع حديثه في القافية ، فيذكر ان اعداء القافية وحدها من المتأدبين المحدثين كثيرون ، ولكن قليلين من اقدموا على النظم بلا قافية ، ولم يورد أسم احد منهم ، ثم يضيف ، وجاءت منظوماتهم غثة محرومة من تجانس الايقاع ..

كما يذكر ان النوع الذي يسمونه الشعر المنثور اكثر في نتاج الادب الحديث من الشعر الموزون غير المقفى ، كما يقول ، وهو نوع قلد به اهله ما يسمى الشعر الحر عند الفربيين ، وقد انكره كثير من علماء الغرب ، ثم يرفض الاعتراف به كشعر (١١) .. لان الشعر في عرف الفن ، في نظره ، واصطلاح العلماء لا يكون من غير وزن ولا قافية ..

وليس تحليل الشعر الى عناصره ، في هذا المثال بالعمل الجديد انئذ ، انه بالاحرى العمل المتوارث قديما وحديثا ، ولكن الجدة فيه هي في وصل القديم المتوارث بالجديد المستجد ، بناء على رصد ، وتفنيد ..

واما تكريس الصفات الجامعة للشعر ، او للمعاني الشعرية ، وعلى الخصوص ابتداء من مقارنة بين التراثين المتفاعلين وقتها العربي والافرنجي ، فخطوة جديدة حقا ، وهي تأصيلية (١٢) ..

ان الحس البلاغي ظاهر فيها ، ولكنه ظل ممزوجا بالنقد الادبي .. ومن هنا تناوب الوصف والمغيار في الحديث ، او ايضا التقييم والتأصيل ، وفي الحقيقة ، لم تكن الفترة تسمح بأكثر من ذلك ..

دمشق ... عدنان بن ذريل



مشهد من مسرحية العباسة

العباسة وصالحة يتساران

●

العباسة :

ما ضر (جعفر) لو تحاشى ... النار أو حذر الشرر
ما بالله وهو الاريب ... يكاد يعثر من عور
من نام قرب النار لم ... يأمن من النار الخطر
ولكل نار حين تعصف ... ما يزيغ لها البصر
وأمرها ما راح ينهش ... في الصدور من الوحر

صالحة :

عجبا أمن داع لهذا ... اليأس والدنيا أغاني
والارض في حلل الربيع ... تدل زهوا بافتنان
في كل سفح للربيع ... وساوس ملء الجنان
وبكل منعرج له ... ما طاب من ثمر الاماني
قيثاره غرد يجل ... عن المثالث والمثاني
ولكم بألوان الربيع ... من الروائع والبيان
احسانه ابدا جديد ... في النواظر كالامانى
ليس الربيع سوى ... ابتسام طاف في ثغر الزمان

العباسة :

ليس الربيع اذا ... تكاثرت الشجون بمسعد
في أضلعي نار يصفق ... غربها كمعربد
ووساوس لا تستقر ... كتائه في فدفد
أخشى غدي وأخافه ... خوف المتاعب من غدي
وأخاف كل نميمة ... من شامتين وحسد
أنا ان جزعت فلم يكن ... جزعي وخوفي عن دد
الناس أشباه الذئاب ... بمنهج وبمقصد
وأرى الجميع لمنكر ... ضربوا بليل سرمدي
يتخبطون وكلهم ... ذئب السريرة واليد

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

القس عقل عقل - مصطفى المباغ ابراهيم مطر

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ القس عقل عقل

في « رام الله » عروس المصايف الفلسطينية ولد « عقل » ودرج في بيت سياجه العلم والادب ، واقبل على اقتناء الكتب والمطالعة والكتابة ، وكان للطبيعة الضاحكة في مسقط رأسه أثر بعيد في رعاية تلك البذور وصقل المواهب .

في صيف عام ١٩٣٩ انهى « عقل » دراسته الثانوية في مدرسة الفرندز برام الله وفي عام ١٩٤٠ انتسب للجامعة الاميركية في بيروت ونال عام ١٩٤٧ بكلوريوس في الآداب والعلوم واحرز دبلوما في اللاهوت من كلية اللاهوت للشرق الادنى في بيروت فشهادة في الفلسفة الشرقية واللاهوت من كلية المطران بكلكتا (الهند) .

وفي ١٢ آب من عام ١٩٤٧ اجتمع بالمهاتما غاندي قديس الهند في احدى ضواحي كلكتا ودار بينهما حديث حول مبدأ اللاعنف في ضوء القتال الذي دار عامذاك بين الهندوس والمسلمين واجمل حديثه الودي مع زعيم الهند الروحي في مقال نشرته جريدة « فلسطين » اليافية ، وعاد الى فلسطين وطنه برسم المهاتما غاندي موشحا بتوقيعه . وتركت تلك المقابلة التاريخية في نفس « عقل » ابلغ الاثر ، وكان لصورة الشمعة الحية التي لمحها في وجه المهاتما غاندي اقوى العوامل التي ساعدت في تقرير مستقبله .

وفي عام ١٩٤٨ سيم « عقل » شماسا في الكنيسة الانجيلية الاسقفية العربية في فلسطين وعمل في نابلس ورفيديا وبعد عام نقل الى رام الله وتنقل بين هذه وبيت المقدس ، وفي عام ١٩٥٠ سيم قسا وعمل في القدس وبيت لحم ثم نقل الى بيروت عام ١٩٥١ ، وما لبث ان التحق بالجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٥٥ واكمل المواد المقررة لدرجة (الاستاذية) في الفلسفة لكن ظرفا قاهرا حال دون تقديم اطروحته لهذه الدراسة .

من ابرز خصائص هذا القس الوطني صراحة لا تضارعه صراحة ومجاهرة بالحق متى آمن به وحرب على الباطل متى رآه يصول ويعربد واعرابا عن نوازع نفسه شرع في نشر مقالات اتسمت بالتوعية الوطنية وصرخات ارسلها الى الضمير العالمي شارحا هول النكبة الفلسطينية والظلامة التي اناخت بكلكلها على صدر وطنه المغصوب ، وشعبه المغلوب . وما لاحت له فرصة الا اهتبلها لشرح هذه المأساة الانسانية التي لم يرو التاريخ لها مثيلا والتي ستظل لطخة عار في جبين الانسانية حتى يصحح الخطأ ويأخذ العدل مجراه !

وتعبيرا عن اشواق قومية تعتلج في صدر هذا العربي الواعي اسهم في تحرير طائفة من الصحف والمجلات الفلسطينية ، وحرر في جريدة « فلسطين » اليومية عام ١٩٥٠ بابين هما « حديث الاحد » و « من هنا وهناك » كما حرر ثلاثة ابواب في جريدة «اخبار الاسبوع» هي « في الصميم » و « عند المنعطف » و « ومضات ورعود » بتوقيع (ع.ع) وثلاث زوايا هي « من النافذة » و « دموع واوحال » و « لقطات الاسبوع » بتوقيع « ابو ابراهيم » كما حرر ايضا ثلاث زوايا اسبوعية في جريدة « فلسطين » هي « من حديقتي » و « خواطر توجيهية » و « احديات » بتوقيع « عين عين » وحرر في « جريدة « الدفاع » اليومية زاويتين اسبوعيتين هما « على درب التحرر » و « من الفجوة » بتوقيع (ابوا ابراهيم) وحرر بابا اسبوعيا في جريدة « جروزاليم ستار » اليومية التي تصدر بالانكليزية في بيت المقدس بعنوان « تأملات الاحد » واذاع من « اذاعة الشرق الادنى » برنامجا يوميا لاكثر من سنة بعنوان « صباح الخير » كما اذاع من « اذاعة كندا » طائفة من الاحاديث عن الاراضي المقدسة وتراث الشرق الادنى .

وعندما يتصدى هذا القس الواعي للحديث عن القوميات والشعوب يعتز باصالة الانسان العربي وطيب ارومته ويفاخر بتاريخ الامة العربية ويؤمن بوحدتها الكبرى وبتطوير هذه الامة لما هو افضل علميا واجتماعيا لتشغل المكانة الجديدة بها بين الامم المتحضرة الواعية .

واسهم القس عقل مع زملائه الواعين بفلسطين في تعريب « المجمع الانجيلي الاسقفي العربي » وبذلوا الجهد منذ عام ١٩٥٠ فاكتمل تحقيق هذه الامنية القومية عام ١٩٥٨ باستقلال شخصية هذا المجمع عن الانكليز واشراف العرب الانجيليين انفسهم على ادارة شؤونه الكنسية وتصريف اموره الراعوية .

ومن الانصاف ان نقول : لقد تركت النكبة الفلسطينية في نفس هذا العربي المؤمن الواعي جرحا داميا . ففي الثورات التي شب لظاها على ثرى فلسطين اندمج وذووه في اتونها ، وكان بيت والده المرحوم ابراهيم عقل احد ملاجىء الثوار ، وكان شقيقه الطبيب الانساني الدكتور فريد عقل يرتاد الكهوف والجبال ليعالج ثوار بلاده ويداوي جراح المناضلين العرب .

ورغم ما اصاب فلسطين من غصص وآلام ، وما انتاب الشعب العربي الفلسطيني من تعذيب وتشريد ظل القس عقل يؤمن بعدالة السماء وبقهر الظلم وعودة الحق الى نصابه . وانبرى يذكي في نفوس مواطنيه شعلة الامل ، ويخاطبهم بمقالات تفيض تفاؤلا بالغد المشرق ، ويؤكد لهم ان الوطن السليب سيعود لاهله ما دام ايمانه بالشعب العربي الفلسطيني لن يتزعزع !

وفي رأي هذا الراعي الواعي ان ما من امة بلغت مرتبة السيادة التامة والمجد المؤثل الا وعانت الكثير .. الكثير .. في مرحلة المخاض.. ومخاض الامة العربية بدأ فعلا بالثورات الفاسطينية المسلحة منذ اعلان وعد بلفور . وقد يعتقد البعض ان مرحلة المخاض هذه قد طالت غير ان الحقيقة ان ساعة الميلاد لم تحن بعد !

وللقس عقل مواقف تاريخية في الدفاع عن القضية الفلسطينية في عدة محافل وندوات عبر الهند واوروبا وكندا والولايات المتحدة ، وقام بثورة عالمية ضد محاولة « الكردينال بيا » تبرئة اليهود في المجمع المسكوني الذي عقد في الفاتيكان عام ١٩٦٣ ودعا في المؤتمر العربي المسيحي الذي عقد في اريحا الى عروبة نهر الاردن والابقاء عليه عربيا .

وفي كل محاولة يثير الاجنبي بسبابته التفرقة بين الشقيقين العربيين كان القس عقل حربا عوانا على تلك المحاولات ، ايمانا منه برباط القومية العربية ، وظل يدعو الى وحدة هذين الشقيقين ليقفا بعقيدتيهما السماوية سدا منيعا في وجه اية عقيدة الحادية او فلسفة عادية مستوردة ، فالارض التي كانت مهدا للعقائد السمحاء تستصرخ اهلها ليعيشوا في وحدة ووئام وليظلوا منارة تهتدي بها البشرية جمعا .

والصهيونية ، في رأي هذا القس المؤمن بربه وبشعبه ، ليست فكرة طارئة او نظرية سياسية مستحدثة ، وانما كانت وما زالت تلك

الروح الخبيثة التي بذرت بذرة الغرور في معتنقيها وسلاحهم «التلمود» الذي يقول ان بني اسرائيل وحدهم « شعب الله المختار » وما عداهم من الشعوب فـ « دواب وبهائم » !

ولتسترد البشرية روعها يدعو القس عقل كل مؤمن في الشرق والغرب للاجهاز على « اسرائيل » هذا الوحش المرعب ، ولا يرى سبيلا لذلك الا باتفاق العرب ووحدة صفوفهم واستغلال طاقاتهم واستثمار مواردهم الطبيعية للقضاء على هذا الداء الخبيث والورم البغيض .

وفي صلاته صبحا ومساء يدعو الله ان يطيل في اجله لتكتحل عيناه بيوم الثأر من الصهيونية الباغية المجرمة ، عندما يسهم مع اخوانه في دفع ثمن خلاص فلسطين وتوفير القوة لوحيده « ابراهيم » والجيل العربي الصاعد .

من آثاره القلمية : لم يودع القس عقل صفاف الحروف مؤلفا من مؤلفاته المخطوطة ، ولقد اعد كتابين للطباعة هما ، « ايقاع الجوانح » و « عند المنعطف » .

نموذج من نثره :

« التقى احدهم ذات مساء ، بضرير يحمل مصباحا مضيئا ... فاستوقفه وسأله عن نفع النور لشخص مثله ، فقد حاسة البصر بالمرة

فأجاب الاعمى : صحيح انه لا يفيدني شخصيا ، وانا لا احمل المصباح لنفسي ، بل لغيري ، حتى يراني هؤلاء فيتجنبوا الاصطدام بي .. و .. كم من الناس لهم اعين للنظر ، ولا ينظرون .. وكم من الذين يبصرون فعلا ، لكنهم لا يتبصرون ..

ترى ! اي صنف من المواطنين انت ، يا اخي ..؟ واي نوع من النظرات تحملها عيناك لتوزعها على الاخرين ؟! هل هي نظرة الاخوة والرحمة ، ام الغدر والقسوة ؟ وما هي الاشعاعات التي يبثها بصرك ؟ هل هي اشعاعات الضغينة والمكر والحسد ؟ ام انها خيوط الانسانية البهية ، والرفق والصفاء .. ؟!

ولكن ، من اين هذه الاشعاعات ؟ وهل مجرد العين مصدرها ؟ ام ان هذه ليست سوى مرآة تعكس ما في البصيرة من اراء ودوافع ، وما في القلب من نوايا ونوازع ... ؟!

هذه الاسئلة ، وعشرات غيرها ، خطرت في بالي طيلة الاسبوع المنصرم .. وكان مبعثها اكثر من حادثة عابرة ، او خبر .. فانا شخصيا تعرضت لازمة نفسية عنيفة كنت احاول فيها الصمود امام نظرات غيري المشحونة بالنميمة والاذى.. ولولا مصباح العزيمة والايمان والرجاء الذي رفعته في وجوههم ، لتعثروا بي ، وداسوني دون هوادة تحت اقدامهم الموحلة ..

وفي مدينة عجلون ، اسفت لحادثة سرقة بعض اواني كنيسة اللاتين هناك .. غير ان ما المني فعلا ، هو تطور الحكاية فجأة ، بصورة ادت الى اثارة بعض التحزبات المستوردة ، والنعرات المستحدثة مما نحن في غنى عنه ، ولا قدرة للاسرة الاردنية الصغيرة المتماسكة النامية على تحمله ..

وفي بيروت ، كادت تلك النظرات المستهترة الجانية ذاتها ، ان تصدع بنيان الشعب اللبناني الواحد ، بسبب حماقة تصرف استاذ اجنبي في الجامعة الاميركية هناك .

حتى ولو كان تصرف مثل ذلك الدخيل مقصودا ـ وهذا ليس واردا كما فهمت من مصدر مسؤول ـ كيف نسمح لانفسنا نحن اهل البلد في لبنان ، او اي بلد عربي اخر ، ان نسلك مسلكا عاطفيا ارتجاليا يزعزع وحدة شعبنا ، ويلوث سمعة امتنا .. ؟!

اين البصيرة عندنا ؟ واين دوافع الاخوة في قلوبنا ؟ لقد تعبت ايدي بعضنا من حمل المصابيح في وجوه غيرهم .. اما من نهاية لمثل هذا التعثر الطائفي الرخيص المضني بين مواطن عربي واخر ؟ ام ان ازمة شعبنا العربي ما تزال في حقيقتها ازمة بصائر واخلاق اكثر مما هي تعدد وجهات نظر ، واراء ؟!

من اساطير الاقدمين ، اعتقاد بعضهم ان الكرة الارضية ترتكز على قرني ثور هائل ، مما دفعهم بالتالي ، الى محاولة تفسير الاحداث الطبيعية الطاغية كالزلزال وغيره ، على ضوء وضع الارض الخطر تحت رحمة ذلك الثور ، وبالنسبة لدرجة هيجانه وجموحه ..

واني لاتساءل ههنا ـ في عصر النور والتحرر ، الى متى نقبل على انفسنا ان نربط مصيرنا بهذا « الثور » او ذاك ؟! »

نموذج من شعره : في ١٥ ايار من عام ١٩٥١ ، ومن كل عام ، عاودته ذكرى النكبة الفلسطينية المروعة ... ذكرى يوم اسود ... اسفر عن بيع فلسطين العربية بابخس ثمن فانشا هذا الوطني المؤمن يقول بلسان (اللاجيء) المعذب :

وحدي انا وحدي اسير
عبر الدروب الكالحه
صوب الربوع الجانحه
لا فجر يبدو لا اصيل
في هجعة الليل الطويل
فاض الاسى عز المصير

وحدي انا وسط الخيام
اجتر عار النكبة
أشوى بنار النقمة
لو يدركون لوعتي
ابناء قومي اخوتي
حتى متى الحر يضام ؟!

هل ياترى بيارتي يوما تعود ؟
هل استوي في قريتي مثوى الجدود ؟
اين عهود القوم اصحاب الوعود ؟
اين اخي ومن سيجتاز الحدود ؟

لا ... لست وحدي في الطريق
الله لي خير رفيق
في الفرصة المناسبه
للثار والمحاسبه
نحو الديار السائبه
انقض للعود الاخير

٢ ـ مصطفى درويش الدباغ

في يافا ام البذل والفداء ، وعروس التضحية والعطاء ، ولد «مصطفى» سنة ١٩٠٨ ولما بلغ السابعة ادخله والده مدرسة «دار العلوم الاسلامية» في عهد مديرها عارف البديري . وقد تميزت هذه المدرسة بابناء الطبقة الممتازة فيها وبنخبة من افاضل المدرسين امثال : عارف البديري ، عيسى السفري ، جميل الخالدي ، الشيخ بديع الشرقاوي وغيرهم .

وبعد ان انهى « مصطفى » الصف الثاني الثانوي فيها رغب والده في الحاقه بـ « دار المعلمين » في القدس لكن صغر سنه حال دون هذه الامنية .. فانتسب لمدرسة انكليزية بيافا واكمل فيها تحصيله باللغة الانكليزية ، وبالنظر للنفقات المادية التي يستهدف لها طالب العلم خارج فلسطين عين « مصطفى » كاتبا في محاكم يافا وخلال عمله هذا عكف على المطالعة ، فولع بقراءة آثار الاوائل والثوامل والهوامل والمقابسات والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي والحيوان والبخلاء للجاحظ واثار الاواخر للعقاد والرافعي ومطران وسعيد تقي الدين ، وانصرف الى اكمال تحصيله باللغة الانكليزية ودرس على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيخ سليم اليعقوبي الشاعر اليافي المعروف مبادىء علم البيان والبديع . وفي سنة ١٩٢٥ صدر «ديوان الزركلي » للشاعر خير الدين الزركلي وديوان « الطليعة » للشاعر المرحوم ابراهيم الدباغ سنة ١٩٢٦ فاستظهرهما « مصطفى » الذي حباه الله ذاكرة عجيبة .

واقبل على قرض الشعر وكانت باكورة نظمه قصيدة رحب فيها بفيلسوف الفريكة امين الريحاني عندما زار يافا سنة ١٩٢٧ فلاقت اعجاب اهل القلم وتقدير اهل الفضل الامر الذي شجعه على نشر منظومه ومقالاته الادبية والنقدية عن شعرائنا المعاصرين في امهات صحف يافا .

وفي سنة ١٩٣٢ فتحت مجلة « ابوللو » لصاحبها الدكتور احمد زكي ابي شادي صدرها لشعر الدباغ وانتخبته « جمعية ابوللو » الشعرية عضوا فيها وانبرى ينشر مقالاته في « السياسة الاسبوعية » القاهرية وفي « الفجر » اليافية . وقد اتسمت بالوان نفسانية ووجدانية . وفي سني الحرب العالمية الثانية اشرف على تحرير الصفحة الادبية في جريدة « الشعب » اليافية والصفحة الادبية في جريدة « الحرية » اليافية ، ونشر مقالات تناول فيها شعراء فلسطين بالاضافة الى ابحاث اجتماعية وادبية .

وخلال عمله في محاكم يافا التحق بمعهد الحقوق في القدس ونال الشهادة سنة ١٩٣٤ وعين رئيسا لكتاب محاكم الصلح بيافا ، وقبيل انتهاء الانتداب نقل رئيسا لكتاب المحكمة المركزية في نابلس وبعد توحيد ضفتي الاردن عين رئيسا لمحكمة بداية نابلس ومنها نقل قاضيا لطائفة من مدن الاردن الى ان استقر قاضيا في محكمة الاستئناف بالقدس . وفي عام ١٩٦٥ احيل على التقاعد فبارح بيت المقدس الى عمان واتخذها مقرا له .

من اثاره القلمية : كتب « مصطفى » الكثير من المقالات والفصول ونظم عشرات القصائد لكنه افتقدها في مكتبته بيافا وقد آل امرها الى اليهود ، ورغم النكبة النكراء التي اجتاحت الوطن المغصوب قدم « مصطفى » للخزانة العربية :

١ ــ وحي الشاطىء : مجموعة من المقالات الذاتية .
٢ ــ من الاعماق : مجموعة من المقالات الوجدانية (مخطوط) .
٣ ــ وحي اليراع : مجموعة من قصائده (مخطوط) .

نموذج من شعره : نظم « مصطفى » قصيدة مطولة بعنوان «ميلاد الهدى» وفيها يخاطب النبي العربي الكريم بقوله :

يا ايها (الهادي) انرت جوانحي ... واثرت فيها شعلة حمراء
ملك اليقين مشاعري فاسالها ... لهبا وفجر دمعة خرساء
طوفت في الماضي وفي احلامه ... وجلوت منه الحكمة الغراء
لما غمزت الشرك في داراته ... وهدمت من نظم الضلال بناء
سلوا عليك من العزائم صارما ... وسللت من نور الاله سناء
فاذا السنا يقتات من شهواتهم ... ويذرها فوق الثرى اشلاء

ومنها :

من كان يدرع العقيدة مغفرا ... ويريق في جنباته الاضواء
لان الحديد له وطامن صاغرا ... وجلا يجر ذماءه استخذاء

ومنها :

كالدوح يهزأ بالعواصف سامقا ... لا خاشيا برقا ولا انواء
مد الظلال على السماء تطاولا ... فكان في كبد السماء سماء

ومن قصيدة مطولة بعنوان « انغام حزينة » انشد الدباغ :

اين الفد المخبؤ سر دفينه ... علي ارى فيه شعاع حياتي
واطل من يومي على مكنونه ... فاصول مجترئا على غدواتي
اين الحقيقة انها عصافة ... مثل الرياح الهوج في الفلوات
وتمر في اعصارها مجتاحة ... امل النفوس وجامح الخطرات
ولكم قبضت على الرياح فلم اجد ... غير الفراغ يفيض من قبضاتي
كم في الرياض ازاهر منثورة ... جذابة النفحات والبسمات
مد الردى في جوفها اشواكه ... وبثغرها المملوء بالضحكات
فذوت على الاغصان وهي ضواحك ... بعد امتلاء الروض بالنفحات
ومنى من الامال كان لها صدى ... في خاطري تجري وفي نبضاتي
اتوسم البشرى وبارق ثغرها ... يا ليت تدنيني لها خطواتي !!
فذوت كزهر الروض في ريعانه ... بين النحيب وواكف العبرات !

ومن مطولات الدباغ قصيدة بعنوان « ابن زيدون » الوزير والشاعر الاندلسي ومنها :

وطوى الهضاب الى ربى اشبيلية ... وجلا بأذيال الدجى يتعثر
والريح تصفر في الفلاة ملاحنا ... غضبى ، تثير السافيات وتزأر
في كل هامسة يحس يد العدا ... فرقا يخاف من النسيم وينفر
حتى اذا طلع الصباح بشائرا ... والنجم في اوج السماء مبعثر
لمح الفتى اشباحها ورأى بها ... املا على قنن المآذن يسفر
فدنت تميط له القباب لثامها ... وعلى غدائرها المنى تتحدر

ومنها :

من كان في طلب العظائم همه ... ومن العظائم ما يجل ويكبر
فالحب يدفع للسوامق والذرى ... من كان في يوم السباق يغبر

نموذج من نثره : « وكان الفتى مستغرقا في عمله ، ذلك العمل الرتيب المرهق يقف بينه وبين امانيه في الحياة فيقطع اندفاقها في تيارها ، وكان صراع بين نفسه وبين ذلك العمل فهو من عشاق الحرية الطليقة في اقصى حدودها ، وعمله يقف سدا امامها ، يكبح من اندفاع امادها . وفي كل يوم تحتدم المعركة بين الحرية الطليقة والعمل المحدود ، ويسقط الفتى صريعا مسجى تتساقط نفسه الما ، وتتنزى حسرة وكمدا وانه ليشهد الحرية الصريعة في نفسه وغير قادر ان ينشلها من هذا العنت والارهاق وتلمح اثار قلبه الدامي ، وحريته الصريعة مرسومة على وجهه ، وفي الحركات المرتبكة التي تصدر عنه ، وتلك الاشارات واللفتات الغريبة تحمل في مطاويها الالم والحرية الذبيحة التي فقدها في سماحة طفولته وعنفوان شبابه .

وكم يرى مستغرقا في عمله ، وتقف امانيه في حسرة واكتئاب تندب حظها العاثر الضائع في اضابير الملفات ، وبين هذه الاوراق التي علاها الغبار ، تحمل من عنفوان البشرية الوانا متعددة ويأبى مدادها الاسود الانطماس او التلاشي في عالم اللانهاية ، لان عنفوان البشرية العابس، وقساوتها الحمقاء اشد حلوكة من هذا المداد الاسود ، تمونه بالسواد كلما شامت منه بارقة انطماس او خلجة انكماش ...

وكان الفتى يلمس مهازل الحياة تتصارع في عنف ، ثم تلتقي متكدسة في مجرى ديوان عمله ، ثم تتجمع اوراق وصحائف بيضاء ، او صفراء ، فيهزل مع الهازلين ، تارة تراه متهكما من مرارة الحياة ، وتارة مشفقا ورحيما ، وطورا غاضبا صاخبا ، وتارة لا مباليا ، فكانه وقد التقت الحياة امام عينيه ، ولمسها بحسه واسفرت له عن كيانها المحجب ، ووصل الى الصميم من عمقها ، لم يجد شيئا امامه ليجيل فيه عينيه وقلبه وعقله اخذ يتهكم ويهزل ، ويسلق الناس بالسنة حداد.

كان هذا الفتى مرهف الحس ، شاعري القلب ، والفؤاد والمزاج ، يتألم للنفوس الصريعة الضعيفة تنهزم وهي مدحورة امام القوى العنيفة التي تعاركها في ميدان الحياة فيتألم لهذا الصراع العنيف ، ولهذا الاجتياح الكاسح ، فيقف في صف الضعفاء ، يدافع عن الحرية المسلوبة ، امام القوى العنيفة ، يمد لهم يد المعونة في رفق وفي السراء والضراء ، وكان نفس الانسان تأبى جبروت المتظلم في الغير يندفع وراء الضعفاء فيسلبهم الحرية والهناء ، فتقف المروءة موقف المدافع ليرد للضعفاء حقوقهم المسلوبة وارادتهم المغتصبة . وانه لمستغرق في احلام يقظته ، ومندفع وراء التقاط صور نفسه مختالة في حلمها اللذيذ المؤلم ، فاذا بصديقه الغائب عنه ، والذي تجافاه مدة عامين ، يقطع عليه حبل احلامه بقرعه باب غرفته ، ويحدق الفتى ببابها فاذا بوجه الصديق صديق الشباب والحياة الطليقة ، صديق الادب والشعر يحييه تحية العاتب الخائف من صدمة نفسية يخبئها القدر في كمه ، ثم ينثرها في وجهه . وفي التفاتة بارعة نسي الفتى ما كان مصدرا للجفوة فانطلق يحيي صديقه تحية ايناس ومحبة ، وتعانقا بحنان ورفق ، وقد ضم عناقهما ذكريات حقبة من الزمن لمسا فيها الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واندفعا في بحرها الطامي يعبان من صفوها ومن كدرها ما شـاءت الحياة ان تدفع به اليهما ..

وجلس الصديق الى جانب صديقه ، وكان صمت عجيب ينطـق بحديث يتألق حيوية ، يقف فـي ساحـل الشفاه تتلمس الانسراب فيطويه الخجل فيرتد صارخا متماسكا يندفق في لحظات الصمت قويا متدافعا ، تنطق به العيون والانفاس الحارة والوجوه الصامتة المتكلمة .

وشاء الفتى الا ان يعاتب صديقه عتاب الصمت ، وكانت بـه سجاحة والمعية فاخذه الى مشرب في اطراف المدينة تحيط به حديقة غناء ، وكانا يختلفان الى هذا المشرب الانيق الذي ركبته يد فنان صناع ويقضيان فيه اوقات لهوهما مع لداتهما يتنادمون على عزف الاغاريـد ورقص القيان ، وكانت الموسيقى المحزنة والطروبة تلمس الشغاف من قلوبهم ، وهم ما بين راوية للشعر والادب او مبتكر نكتة ، او محدث تصغي له الانفاس والقلوب .

وهناك بين ظلال تلك الحديقة الغناء ، اخذت الذكريات القديمـة تطل من مرقدها ، تلحنها اغصان الاشجار الوارفة والاوراق النائمـة ، وكل شيء في المكان يدعو للبهجة والسرور ، لان اشباح الذكر البهيجة اضفت على المكان وشاحا لطيفا كله سرور ومرح وايناس ، وقد تغيرت نفس الصديقين وغرقا في حديثهما ، وانهما لكذلك واذا بالقادم يسأل صديقه في لطف وحذر قائلا : لقد كنت اشعر بالانقباض والوحشـة قبل ان احضر الى هذا المكان ، ولكنني يا صديقي سرعان ما انداح هذا الالم عني ، حين حضرت معك الى هذا المكان احسست بالسرور وبلفتة غريبة ازالت من نفسي غشاوة الالم ، فتفتحت كما تتفتح الوردة فـي ظل الفجر وهو يبتسم لها ويداعبها برفق ليطلق حريتها الحبيسة مـن اغلفة البراعم والاوراق . ولا اعـرف لهذا الامر سرا فهـل للمكان والذكريات علاقة في هذا الامر ؟!

فقال الفتى : لقد شعرت مثلك وانا في هذا المكان بانني خلقت من جديد ، وانني رجعت الى مطالع شبابي ونزعت عني ما ران عليه من اعوام جديدة ، والان اؤمن بدورة الزمن العكسي فاني الان ابـن الامس الضحوك الثنايا الجائم في اطواء نفسي ، لقد طردت منـي الاعوام الجديدة وتقلصت بالامس فعاد ، الامس حاضري ، واني لاؤمن بالمكان وفي مطارح الذكريات القديمة الضاحكة ذكريات الشباب العاتب الضاحك المتفتح للحياة ...

ان المكان والذكرى تأسر الحاضر ، وتحيي الامس ، واني لاؤمـن بالزمن وانطلاقه في بحر هذا الوجود ، فهل يرسل الذكريات مـن مراقدها سواء كانت عابسة دكناء ، او ضاحكة زهراء وذكريات الالـم يهيجها الزمن في اعماقنا اذا دقت ساعة ذكراها في النفس ، وتعمق الذكرى في النفس وتتجسد فنلمسها في الحاضر تطوف فوق بحـره الطامي وتخلق النفس خلقا جديدا .

لقد استغرق الشابان فـي حديثهما واستعرضا ذكريات الامس وعاشا في متحفه البهيج ، وتفتحت امامهما الحياة كما تتفتح الليلـة المقمرة عن قمر زاهر ونجوم سواطع تتلألأ فـي اجواء هـذا الفضاء الرحيب . ثم دلفا الى خارج المكان فاذا بوحشة غريبة تمس نفسيهما مسا عنيفا وارتد الحاضر في يده معول ليجتث الذكريات القديمـة ويبتلعها ، فانسرب الامس الى عالم الابد ، الى عالم النفس السحيق مختفيا عن العيون والانظار يشيعانه بنظرات ساخرة وعيون تقـذف الشرر ، وبكآبة خرساء تضفي على الليل اشجانا فو قاشجان . »

٣ ــ ابراهيم مطـر

من عرف ابراهيم مطر عرف فيه اديبا اصيلا وصاحب قلم خصب اضفى على لغة الضاد طائفة من المعربات وزين رفوف الخزانة العربية بشتى المؤلفات ونقل الى ام اللغات روائع من الادب الغربي .

ولد ابراهيم في بيت لحم المدينة الخالدة وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة شنلر ــ تسمى مدرسة شنلر وتسمى «دار الايتام السورية» وقد اسسها يوحنا لودفيغ شنلر عام ١٨٦٠ ــ ومنها انتقل الى مدرسة شنلر في بيت المقدس وبعد ان تخرج منها انتسب الى دار المعلمـين في القدس في عهد مديرها الدكتور خليل طوطح وامضى فيها خمس سنوات ــ ١٩٢٢ ــ ١٩٢٦ ، ونظرا لذكائه والمامه بثلاث لغات حية هي : العربية والالمانية والانكليزية اختارته ادارة المعارف العامة بالقدس في بعثة الى الجامعة الاميركية في بيروت ونال عام ١٩٢٩ بكلوريس اداب بامتياز في الادب الانكليزي ثم عاد الى فلسطين وعين معلما في ثانوية الناصرة وظل فيها حتى عام ١٩٣٩ ، وبعدها نقل الى يافا معلما للادب الانكليزي في العامرية .

وبعد حدوث النكبة الفلسطينية دعي الى بيروت وعهد اليه بتحرير مجلة « النشرة » التي تصدرها الارسالية الاميركيـة وادارة مكتبـة « المشعل » .

من آثاره القلمية : تقدر الاثار التي تحمل اسم ابراهيم مطـر بأربعين اثرا . ودونك اسماء ما اتيح لنا الاطلاع عليه :

(١) الترجمة المختارة بالاشتراك مع حسين غنيم . (٢) مبـادىء الترجمة . (٣) الترجمة المختارة . (٤) الترجمة العالية (بالاشتراك مع جميل سعيد) . (٥) الترجمة الحديثة في ٣ اجزاء (بالاشتراك مـع فيليب صايغ وفايز الياس) . (٦) كواكب ورواد . (٧) مخطوطـات البحر الميت . (٨) قصص من الادب العالمي . (٩) ١٠٠ قصة . (١٠) لغز الحياة (١١) قصة آل مايو (١٢) الانسان ومشكلة الالم (١٣) هؤلاء خدموا الشرق العربي في بدء نهضته . . (١٤) الكتاب المقدس فـي اللغة العربية . (١٥) واحات الفردوس .

(وابراهيم) احد محرري « قاموس الكتاب المقدس » (وقـد صدر في جزئين) بالاشتراك مع الدكتور بطرس عبد الملك والدكتـور جون طمسون ، وكتب مقدمة هذا القاموس الدكتور فيليب حتي .

ونظرا لغزارة علمه اسهم في ترجمة « المادة الدينية » للموسوعة العربية الميسرة التي صدرت في القاهرة عام ١٩٦٦ .

نموذج من نثره : « تلاقى نسر وقبرة على صخرة عالية فـوق احد المرتفعات فاستهلت القبرة الحديث بتحية النسر ، فقال لها :

ــ كيف تجرأت على مكالمتي وانا ملك الطيور ، الا تعلمين بانـه لا يجوز لك مخاطبتي قبل ان ابدأ بذلك ؟

اجابت القبرة : لقد ظننت اننا من اسرة واحدة .

فتطلع اليها النسر بازدراء وقال لها : ومن اخبرك اننا من اسرة واحدة ؟ .

قالت القبرة : ذلك لانني استطيع ان احلق الى العلاء بقدر مـا تستطيع انت ، وزيادة على ذلك ان في وسعي ان اشدو ببعض الانغام ، فاطرب من يعيش على ارضنا من مخلوقات ، اما انت فلا تستطيع ان تجلب المسرة لاحد من الناس !

غضب النسر واهتاج ثم قال : لكن لا تنسي ايتها المخلوقة الحقيرة انني بوخزة من منسري استطيع القضاء عليك !

ولما طار النسر حطت القبرة على ظهره واخذت تنتف بعضا مـن ريشه ، فحلق عاليا ليتخلص منها لكنها ظلت ممتطية ظهره . واخيـرا عاد فحط على ذات الصخرة التي طار منها ، ولكن القبرة بقيت متمسكة بظهـره ..

ومرت سلحفاة من تلك الناحية فجذب نظرها هذا المشهد الغريب، وللحال استغرقت في الضحك .. فتطلع اليها النسر وقال : اتضحكين مني يا من تعيشين زاحفة على الارض ؟!

قالت السلحفاة : ضحكت لاني رأيتك استحلت الى حصان ، اذ ان عصفورا صغيرا امتطى ظهرك !

فاشاح النسر برأسه وقال : اذهبي في طريقك ايتها السلحفاة ، ولا تتدخلي في شؤوننا .. فهذه مسالة عائلية تخصني وتخص القبـرة اختي ! (عرب هذه القطعة عن كتاب The Wanderer لجبران خليل جبران) .

الاردن ــ عمان

البدوي الملثـم

الى روح نظير زيتون

لعمرك مـــا يجدي البكـا والتلهف ... وهذي سيوف العرب منا تقصف ؟
نهادن دهرا مـــن طبائعه الخنـى ... ونحـــن بأخلاق المصائب أعرف
وحقك .. لا أرثيك .. أنت مخلـد ... على الدهر.. ما دامت هنالك أحرف
فأي حديث لـم تجل فيـه فارسا ... كأن الـــذي تحكيـــه در مؤلف ؟
وأي مقـــال لـــم تزنـه بمنطـق ... ومن بحرك الزخار كم كنت تغرف ؟
تعيد الـى الفصحى مطارف عزهـا ... ولفظك بالمعنـــى الجميـــل يفوف
سجعت كمـا غنـى الحمام قصائدا ... وأطربت حتى قيـل : انـك مسرف
وكيف لطير الايك ان يحبس الغنـا ... ويهـــدأ مشتاق ويسكـن مدنف ؟
وحب بديع القول فيـــك سجيـة ... وأنـت بأبكـــار القلائـــد تطـرف
مخرت بحـــور العـز ترفع شأنهـا ... وكنت بأمجـــاد العروبـــة تهتـف
وافنيت عمرا بيـــن طرس وفكـرة ... وكان سواد الشعب في الجهل يرسف
فأوضحت أبعـــاد الطريق لسائـر ... على غير هـــدي بالمسيـرة يعسف
وكنت منارا فـــي الدجنة ساطعـا ... وكنت مزارا حوله الناس طوفـــوا
« نظير » المعالي . .اين منا مجالس؟ ... وأين الـذي بالامس كنـــا نؤلف ؟
نحقق قـــولا او نهيـــم بفكـــرة ... ونحن علـــى كشف الحقائـق عكف
أأخلفت عهدا كـــان بالامس قائمـا ... وأنت عن الصرم المشتت تضعف ؟
عهدتـك سباقـا لكـــل مليحـــة ... فما لك لا تصغي الينا .. وتخلف ؟
وقفت على «العاصي» وفي الحلق غصة ... وكانت بنات الفكـر حولـي ترفرف
أسائل عمـن أثلـــج الصدر قولـه ... ومن كان مـن روض الازاهر يقطف
فجاوبني «العاصي» الاسيف وقال لي: ... على مثل هذا البحـر ناسى وناسف
وساقية عند « الدوير » (١) لقيتها ... تفلسف من معنى الهوى ما تفلسف
تجوب بأطـراف الحقول حزينـــة ... وتلفحها ريح مـــن السقم حرجف
تسائل عـــن الف أحـب أنينهـــا ... لذاك عيـون المـــاء تبكـي وتذرف
وسرت مع الصفصاف أسمع همسه ... فكان عـن الاسرار والصحب يكشف
يقول : مضوا واستودعوني رسائـلا ... تكاد بها نفسي مـــن الحـزن تتلف
فوا أسفا اذ فرق الدهـــر بيننـا ... وواحسرتا ممـــا الليالـــي تكلـف
أخي .. ان مـا أبغيه دمعة شاعـر ... على جدث بالطهـر والصدق يعرف
توسدت أحجارا رجاها «نسيبنا»(٢) ... تحن علـــى الكتاب منـــا وتعطف
فيـا ظلهـــا بـرد ثرانـا فانمـــا ... حجارتها السوداء أنـــدى وألطـف
ويا نسمة هبت من «الوعر»(٣) خففي ... يكاد لهيب الشوق في الصدر يعصف
ويا «حمص» ان غاب البنون عن الحمى ... وأطفئت الانوار والناس اوصفوا (٤)
هنالك فـــي دار الخلـود لقاؤنـا ... فلا كبـد تشقى ولا القلب ينـزف

---

(١) متنزه قرب حمص . على ضفاف العاصي . (٢) هو الشاعر نسيب عريضة . حيث يقول :

يا شوق قد طال البعاد عـــن الوطن ... هل عودة ترجى ؟ وقـــد فات الظعـن
عد بـي الـى حمص ولو حشو الكفن ... واهتف : أتيـــت بعائـــر مـــردود
واجعـل ضريحي من حجار سود

(٣) متنزه قرب حمص طيب الهواء ، طالما تغنى به الشعراء . (٤) أوصف : سار مسرعا ..

حمص — عبدو مسوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي



كانوا ثلاثة جنود اسرائيليين مسلحين وقد ارتسمت على وجوههم امارات السخط والحقد . مشوا على الحجارة الملساء المرصوفة بها الطريق الضيقة التي كانوا يسيرون عليها — الطريق المؤدية الى دار فهد محمود . لم ينسجموا ببياض بشرتهم وزرقة عيونهم ولباسهم ولغتهم مع الجو المحيط بهم . مشوا تحت سقوف تعلوها ابنية قديمة استطاع الزمان ان يفتت وجوه حجارتها ويغشى الابتسام اللامع على صفحتها ويحوله الى عبوس اصفر غامض . ولكنه لم يستطع ان يغير طباع ساكنيها واخلاقهم . ما زالوا اشداء غير يثقون بنفوسهم ويعتزون بعنادهم ويحبون مدينتهم كما يحب احدهم والده وامه واخته او زوجته وابنه وابنته.

واخيرا توقف الجنود الثلاثة بعد ان لفظ احدهم بضع كلمات عبرية واشار بأصبعه الى دار منخفضة الباب قائلا :

— هنا . هذه هي دار فهد محمود

وقال جندي ثان :

— يجب الا يفلت منا هذا الرجل المشاغب . ان الدور هنا صغيرة ومتلاصقة ، فقد يقفز من سطح الى آخر وينجو منا .

وقال الثالث :

— ان رأيته يفر قتلته .

وطرق احدهم الباب طرقا خفيفا. فانبعث صوت امرأة من الداخل قائلا :

— من هذا ؟

فأجاب الطارق بلهجة عربية مبهمة:

— انا . افتحي ! (اسرعي !) .

فداخل المرأة خوف من لهجة الطارق ، وقالت بلهجة مستنكرة :

— من انت ؟

(ان الصوت ليس صوت رجل عربي)

ولكن الطارق كرر كلمته :

— افتحي (اسرعي ! اسرعي !) .

— ماذا تريد ؟

(لاأريد ان افتح باب الدار . انصرف)

فطرق الجندي الباب طرقا حادا قائلا بصوت حاد :

— افتحي ! (افتحي والا كسرت الباب) .

ففتحت المرأة الباب جزئيا في بطء ، ثم اطلت على الجنود الواقفين وراءه ، فتراجعت في ذعر وادركت انهم يبحثون عن زوجها . سرحت نظرها في وجوههم متفرسة ثم قالت :

— ماذ تريدون ؟

(ان زوجي ليس في الدار) .

ولكن الجنود لم يجيبوها بكلمة بل دخلوا الدار مقتحمين ، وتفرقوا في ساحة الدار باحثين بأعينهم ، وقال احدهم للمرأة :

— اين زوجك ؟

(لا بد ان يكون مختبئا في احدى زوايا الدار) .

فخرج ولد صغير يبلغ السابعة من عمره على أثر سماعه سؤال الجندي، ثم تقدم اليه قائلا :

— ابي ليس هنا . انتم غرباء . اخرجوا لئلا يعلم بالامر حينما يعود الى الدار فيقتلكم .

فتبادل الجنود نظرات مبتسمة . ثم كرر الجندي سؤاله للمرأة :

— اين زوجك ؟

— ان زوجي ليس في الدار .

لقد خرج لمزاولة عمله .

(لقد فشلتم في مهمتكم فانصرفوا من هنا) .

— ما هو عمله ؟

— انه مزارع .

ولكن الجنود لم يصدقوها ، ودخلوا غرف الدار مفتشين في دقة واهتمام فلم يعثروا على فهد محمود . — ثم صعدوا الى سطح الدار باحثين فلم يجدوه . ولما هبطوا الى ساحة الدار قال احدهم للمرأة :

— اين ذهب زوجك ؟ اخشى ان يكون قد فر من الدار .

فحدجته المرأة بعين ساخطة ، وقالت بعد برهة مؤكدة كل حرف لفظته :

— قلت لكم ان زوجي ليس في الدار .

(انصرفوا !) .

فشعر الجنود بغيظ من تصرفها ذاك . وقال لها احدهم مقتربا منها ومحدقا الى عينيها وهو يهز رأسه منذرا :

— سوف نرى فيما بعد .

(سوف ابرهن لك انك تكذبين علي . وبعد ذلك اعرف كيف اعاقبك)

فصاح الصبي :

— الا تصدقوني انا وامي ؟ قلت لكم : ان ابي ليس هنا . اخرجوا !

فهم أحد الجنود بالفتك به . فلاذ الصبي بأمه . فوقفت بينه وبين الجنود لتحميه . ثم ان الجنود خرجوا من الدار وقد ثقل الفشل على رؤوسهم . وقال احدهم لزميليه وهم يسيرون في الطريق الضيق :

— حتى نساء مدينة نابلس واولادها الصغار اجرئاء لا يخشون احدا .

★

كان الوقت ليلا . ظلمة دامسة لفت الاشجار بأجنحتها الغرابية وبسطت شرشفها البني اللون على السهول . وكان فهد محمود يسير بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، وقوية

ولكنها خفيفة ، ومتعثرة ولكنها جريئة . بدا في مظهر متشرد هائم على وجهه ، ولكنه كان في داخله بطلا مغامرا . بدلته بسيطة رخيصة، ووجهه الاسمر قليل اللحم كثير الشقوق ، غير انه يستر تحت بشرته اعصابا مشدودة وعضلات مكتنزة نم عليها التماع زجاجي انبعث من عينيه الصغيرتين الحركتين كأنهما نجمان متلألئان يلقيان على طريقه ضوءا هاديا . وقد حمل بيمناه حقيبة فيها قنابل ومتفجرات . حصن نفسه بمسدس على جنبه الايمن وبخنجر على جنبه الايسر . لم يسمع لخطواته صوت فقد صنع نعل حذائه من المطاط القوي السميك

مضى عليه وقت طويل وهو يمشي على قدميه وحيدا في صمت وسكون متجها نحو الغرب . قطع الطريق العام الذي كثيرا ما كانت تسير عليه السيارات العربية لنقل المسافرين العرب من بلد الى اخر . فألقى عليها نظرة متحسرة صحبتها تنهدة عميقة كأنفاس بحر يافا في الليل . ثم مر ببيارة برتقال واسعة فوقف ازاءها مسرحا بصره في اشجارها المظلمة وسياجها الشائك .

(أصوات من الداخل : هذه بيارة المرحوم راضي النابلسي . يالله ! أهكذا يملكها اليهود ويحرم صاحبها الذي انفق ماله وسني شبابه وهو يغذيها بدم قلبه وعرق جبينه حتى أثمرت وافادت ؟ مسكين ! لقد مات من شدة تحسره عليها) .

(منظر في الداخل : يأتي راضي النابلسي بسيارته الفخمة ويقفها عند باب بيارته ، ثم ينزل منها هو واصدقاؤه . وبعد ذلك يجلسون في قصره الكبير الذي يحتوي على اثاث ثمين وتحف غالية . ثم يتحدثون حديثا طليا ويتبادلون النكات بصدور منشرحة وابتسامات مشرقة) .

وبعد برهة واصل فهد محمود السير ذاهلا مشغول البال ، ثم انتبه لنفسه واخذ يفكر في موقفه :

« ها أنا أقدم روحي لكم يا ابناء وطني . انه لايثلج صدري الا الانتقام لي ولكم من اعدائنا الذين شردونا وسلبونا دورنا واراضينا . ما زالت تلك الدور والاراضي عربية بذكرياتنا فيها وبأملنا العظيم في استردادها وطرد المغتصبين منها . ما زالت ملكا لنا باموالنا وذكرياتنا وأملنا . »

★

ـ لقد تأخر ابي في هذه الليلة . انه لم يعد بعد الى الدار يا امي . فماذا جرى له ؟

ـ سيعود قريبا يا بني ، فلا تخش شيئا .



عبد الحميد الانشاصي

●

ـ ان أبي قوي مقدام يا امي .

ـ ما في ذلك شك يا ولدي . وهو شهم ذكي يعرف كيف يعمل من اجلنا ومن اجل وطنه .

ها قد اقترب الفدائي من المستعمرة اليهودية التي يقصدها . لقد خفتت الاصوات من حوله . الناس نيام ولا احد يتجول في تلك المستعمرة سوى الحرس والخفراء . اقترب من مصنع الحلويات الكبير الذي ينتج كميات ضخمة من الشوكلاته والملبس وغيرها . لقد صمم على هدمه . انه الان واقف امام الغرفة التي تحتوي على ماكنات المصنع . اخذ يتلفت يمنة ويسرة مجيلا عينيه الصغيرتين فيما حوله ليتأكد من ان حرس المستعمرة بعيدون عنه . ولما ايقن ان المكان خال منهم اخرج قنبلة من حقيبته وقذفها في غرفة الماكنات فسمع لها دوي عظيم ملأ الجو رعبا كما ملئت الغرفة كتلا متساقطة من الاسمنت وغيره . ثم انتقل الى مكان اخر من المصنع والقى قنبلة ثانية ، فانفجرت في مستودع الحلويات الكبير ، ثم القى قنبلة ثالثة فنسفت الصالون الواسع الذي يعمل فيه العمال ، فتهدم سقفه محدثا ضجة هائلة . وبعد ذلك القى الفدائي حوله نظرات فاحصة بسرعة غريبة . وفر راكضا مبتعدا عن المصنع . وظل يركض حتى انتهى الى بيارة برتقال ، فقطع بعض اسلاك سياجها الشائكة ودخلها وهو يلهث . وقد سمع صياحا ينبعث من مكان بعيد . أخذ يتجول في البيارة على مهل وهو يرهف السمع . كانت اوراق الشجر الخضر تتحرك في بطء في الهواء المظلم كمجاذيف القيت في اليم الى جانب قوارب توقفت عن الحركة . وقد علق بحذائه وحل نشأ من ارتواء تربة البيارة بماء يزيد على حاجتها . الان قلبه يخفق خفقانا عاديا . لقد ذهب القرع الذي سببه الركض في قلبه .

احس بجوع شديد وظمأ . ان الطعام الذي كان في حقيبته تناوله في اثناء الطريق وهو متوجه الى المستعمرة . اعمل فكره برهة ، ثم عمد الى شجرة كبيرة من البرتقال واخذ يتحسس ثمرها وكان اخضر صغيرا غير ناضج . وكلما وقعت يده على ثمرة اقتطفها والتهمها دون ان ينزع عنها قشرها . ثم راح يتجول في البيارة باحثا عن ماء . لم يتمكن من العثور على انبوبة او صنبور هناك . ولكن قدميه غاصتا في قليل من الماء تجمع تحت شجرة برتقال . فانبسطت اسارير وجهه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارتياحا . ثم انه انبطح على الارض ومد راسه فوق حفرة الشجرة واخذ يعب مما تجمع فيها من الماء . ولما أروى غليله عمد الى مكان احيط بأشجار كثيفة الاغصان وجلس هناك ليستريح قليلا . استراح جسمه ولكن عقله لم يسترح فقد كان يفكر فيما صنع . شعر انه القى عنه حملا ثقيلا بعد ان انتقم من اعدائه الذين سطوا على وطنه .

(اصوات من الداخل : لست ادري لم يتهمنا اليهود بالاعتداء عليهم ويأبون ان نتهمهم بالاعتداء علينا ، ان كنا نعتدي على املاكهم بالهدم والاتلاف فانهم يعتدون على ارض وطننا ومنازلنا وأموالنا بالسلب والنهب . ومهما انتقمنا لانفسنا منهم فانا لا نزال في حاجة الى مزيد من النشاط لاتلاف ما هو اكثر من المصانع ومحطات المياه والبنزين ، ولقلب القطارات) .

(منظر في الداخل : يأخذ الفدائي في رفع قضبان السكة الحديدية عن مساندها ، ثم ينتظر قليلا فيمر قطار بضائع ، وحينما يصل الى المكان الذي رفعت عنه القضبان الحديدية يتدهور ويسقط على الارض . ويهتدي الى مستودع كبير للذخائر العدو فيلقي فيه قنبلة ضخمة فيلتهب بأجمعه وتبلغ نيرانه عنان السماء) .

وانه لفي تصوراته اذ سمع صوت صفارة ينبعث من مكان قريب عن يمينه ، فأيقن ان رجال الشرطة على مقربة منه وانه لابد ان يكون اصحاب مصنع الحلويات قد استعانوا بهم للبحث عنه والقبض عليه . اصبح الان كتلة من الانتباه والاستماع . سمع قلبه يخفق في اذنيه . العالم كله انتقل الان الى الجهة اليمنى التي سلط عليها لاقطة اذنه .

نهض من مكانه في سرعة ، واستأنف المسير . ينبغي له ان ينتقل من ذلك المكان الى مكان اخر بعيد وازداد اقترابا من الشبح الاسود عن رجال الشرطة والا وقع فريسة بين ايديهم ، وبذلك يضيع تعبه سدى فكأنه لم يهدم المصنع وكأنه لم ينتقم من الاعداء . وبعد برهة شق نباح كلب طريقه الى اذنيه ، واذن فان لديهم كلاب الاثر . خفق قلبه خفقانا قارعا . ان كلاب الاثر تساعد رجال الشرطة كل المساعدة على الاهتداء اليه . فماذا يصنع ؟ ركض وركض . ابتعد عن الجهة اليمنى حيث يتجول رجال الشرطة بكلابهم . وكانت بيارة البرتقال التي يركض فيها واسعة جدا ، فلم يدر متى ينتهي الى سياجها فيخرج منها ويختبىء في مكان لا يناله فيه أحد .

نادت صفارة من الجهة اليمنى ، فأجابتها صفارة من الجهة اليسرى . فتوقف منصتا وقد شعر بارتباك وخوف . انه وحيد . لا احد بجانبه يستشيره او يطلب منه عونا . فما عليه الا الاعتماد على نفسه . ايقن انه اضحى محاصرا . الى اين يذهب ؟ لا شك ان رجال الشرطة اهتدوا الى مكانه . محال ان يبقى في تلك البيارة . لا بد ان يخرج منها مهما كلفه ذلك من ثمن . انه مسلح ولكنه لا يستطيع ان يقاوم عددا كبيرا من رجال الشرطة . زاد من سرعة ركضه . ضاعفها . فاصطدم راسه بفرع شجرة برتقال شرسة الاغصان والجذع . وقد علق شعر راسه ببعض اطراف فروعها فتوقف عن الركض لاهثا . ولما خلص شعره راسه من فروع الشجرة شعر ان تلك البرهة القصيرة التي قضاها وهو يخلص شعر راسه من فروع الشجرة قد حببت اليه الاستراحة من الركض ، فصار يسير مترنحا وهو في حيرة من امره . لقد اغلقت ابواب النجاة في وجهه ، ولكنه لم ييأس . فارقه نشاطه الجسدي وقوة رجليه ، ولكن حرارة الامل ما زالت مدخرة في اعصابه وفي تلافيف قلبه ومخه . انه لم يصدق انه في الامكان ان يقع فريسة بين يدي الاعداء . لقد نجا منهم مرارا . نجا في اضيق الاوقات . وهو موقن انه لا بد ان ينجو منهم الان .

سبحت بعض كلمات في الهواء . كلمات عبرية تقترب منه . متى يخرج من تلك البيارة اللعينة ؟ تارة يظن ان سياج البيارة على مقربة من يمينه فيسير يمنة في امل دافق . وطورا يخيل اليه ان السياج عن يساره فيركض في الجهة اليسارية .

وفجأة سمع صوت اصطدام شيء بشيء على مسافة ليست بعيدة عنه . فتوقف عن السير مصغيا . خطر في باله ان رجال الشرطة قد دخلوا البيارة . ثم أطلق كلب بعض طلقات من نباحه المزعج ، فعكر سكون الليل وزاد الفدائي تفكيرا ونفسه تعكيرا . واذن فهم متجهون نحوه ليقبضوا عليه .

وانه لسائر مبتعدا عن مكان الصوت اذ بدا له شيء ضخم اسود فتسمر فهد محمود في مكانه وقد تجمعت قواه كلها في عينيه . يريد ان يعرف ما هو ذلك الشيء الاسود المنتصب هناك . هل هو رجل ؟ وانه ليحدق اذ رأى شيئا فيه يتحرك ، فظن انه شخص يريد ان يطلق النار عليه . فركض الفدائي ثم تسلق شجرة ودس نفسه في لفيف من اغصانها وفروعها . ولكن نظره لم يفارق ذلك الشبح الاسود . انه لم يفارق مكانه . ما زال واقفا هناك كأنه تمثال . والغريب انه لم يطلق عليه رصاصة واحدة كما توقع . واذن فهو ليس رجلا . ليس شرطيا كما توهم . هبط الفدائي من الشجرة الى الارض ، ثم انتزع مسدسه عن جنبه وصوبه الى ذلك الشبح الاسود وراح يقترب منه شيئا فشيئا . لاح راسه ضخما ، فتوقف عن المسير يحد قاليه . لعله يريد ان يخدعه بسكوته وجموده ليتمكن منه فيقتله . نفد صبر الفدائي : « من انت ؟ » ، غير انه تماسك منتبها لنفسه ،

غربة وارتحال

أنا راحل عبر وادي الضباب ... أنا راحل عند كل غياب
أنا راحل لا تسلني لماذا ... فاني واياك شلو ونواب

سمعيت تعربد في مسمعي ... وتفزو الحنايا بما يستطاب
فنمتد روحين في كل قفر ... وننأى رفيقين عبر السراب
ونلهث خلف ارتحال يلبي ... نداء الحنين وغر الطلاب
فخلت حطام الاماني جميعا ... وانت معي طي هذا العباب
تلملم شعثي وتسمو بحبي ... فودعت نشوى دروب اليباب

وكان الوداع وداعا غريرا ... وكانت رؤاي طيوفا كذاب
فما كنت في ولا كنت فيك ... وكنا معا في طريق العذاب
وكنا غريبين نسعى حثيثا ... لنفرق غربتنا في التراب

دمشق — سلافة العامري

واكثر من التحديق اليه ، فتبين له انه جذع شجرة صفصاف قديمة كانت نابتة بين اشجار البرتقال فقطع اصحاب البيارة اغصانها واحرقوا جذعها فظل قائما هناك .

هناك حديث بالعبرية في وسط البيارة . وهذا ما جعله يهرع الى شجرة برتقال ضخمة ويتسلق جذعها ثم يكمن بين اغصانها اللفاء . لاح له ضوء كاشف من مصباح يدوي ، فتداخل بعضه في بعض بين فروع الشجرة واوراقها . انهم قادمون نحوه يتقدمهم الضوء الكاشف وكلاب الاثر . وقفت الكلاب على مقربة من الشجرة التي اختبأ الفدائي فيها واخذت تنبح . سلط رجال الشرطة الضوء عليها وعلى الاشجار المجاورة، ولكنهم لم يروا الفدائي فقد غطته الاوراق تغطية كاملة . فانصرف رجال الشرطة من المكان ، ومضوا في طريق العودة نحو باب البيارة . وظل الفدائي مختبئا حتى ايقن انهم خرجوا من البيارة . ثم نزل عن الشجرة واتجه الى شرق البيارة ماشيا على مهل ، وقد بدا الاطمئنان يتمشى في اعصابه وعروقه . لم يتغير اتجاهه . ظل سائرا نحو الشرق .

وبعد مضي ربع ساعة وجد نفسه مواجها سياج البيارة ، فوقف يتنفس الصعداء . قطع بعض اسلاك السياج ، ثم خرج من البيارة وقد زال عنه الخوف والارتباك وصفا ذهنه من الافكار المنغصة . انه الآن واقف في مكان خال من الناس والاشجار . وقف في سهل ممتد امام بصره . لم تبد فيه اضواء ولم تسمع حركات . مشى في ثقة وامان واطمئنان . مشى كالقائد الظافر المنتصر . لقد قام بمهمته خير قيام. هدم المصنع الذي انفق عليه اصحابه الوفا من الدنانير . شعر بارتياح عظيم يطرد التعب من ساقيه وقدميه والخوف من قلبه ، ويمطره شؤبوبا من الراحة والفخر . اعتدلت قامته، وارتفع رأسه وصدره ، واستردت يداه حركاتهما الطبيعية ورجلاه نشاطهما العادي كأنه لم يعان من المشقات والمصاعب شيئا . لقد زادته المشقات والمصاعب عزيمة وعنادا ، وصمم على تخريب اشياء اخرى غير المصنع في وقت قريب . لم تفز يده بشيء ثمين كما تفوز يد الصياد بالسمك بعد جهد وتعب وصبر وانتظار . ولكنه فاز بالنجاة من اعدائه بعد ان الحق بهم خسارة كبيرة . وهذا اثمن من كل ما يمكنه حمله من الذهب .

انه الان عائد الى بلده سالما من كل اذى . وهناك يدخل منزله فيعانق زوجته ويقبل ولده ، وفي الصباح يسمع ان الجرائد اليهودية نشرت نبأ نسف مصنع الحلويات .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكهولة بين الابوة والامومة

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اجمل الشعر ، ما يصدر عن تجربة واحساس ، واروعه ما امتزج فيه الالم مع الحنين ، والحياة الانسانية منذ ان انبلج ركبها ، والالم يتمشى في عروقها واوصالها ، ولهذا نحب الشعر الزاخر بأصناف الالم ، المستمد من اعماق الحياة ، لاننا نطالع انفسنا ، ونتقراها في صحيفته ، نحب الشاعر المحب ، انقلب حبه الى ثورة عاتية متمردة ، انصبت في شعره وقوافيه ، فلاحت جمرا ملتهبا ، نشعر بحرارة القلب الذي انضجه الالم ، وحرارة الروح المتوقدة ، والانفاس الملتهبة ،يصف اشواق النفس، ورغبات الروح ، منطلقا من الوصف الحسي المادي الى وصف الاحاسيس المعنوية ، ونحب أيضا الشاعر المتألم، من فقد أعز عزيز عليه ، في هذه الحياة ، يصف اثر الألم في نفسه ، وثورة احزان الروح ،واستخلاص العبرة والتجربة ، لان كلا الشاعرين استطاع أن ينظم آلامه شعرا صافيا سائغا ...

ونسر من شاعر آخر ، وصف وقائعه في الحياة ، ووصل الى ما يبتغيه دون معاناة او جهد ، واذا طلب المتعة والجسد ، وصل اليهما ، عن طريق الحيلة والشيطنة ، دون ان يلهيه الم ، او يثيره رهق ، ولكن شعره ، ووصفه لا يروعنا ، ولا يدخل الى مكان الاثارة في نفوسنا ، لانه لم يجبل بالالم ، ولم يلمس الصراع روحه ، ولا نفذ الى قلبه ، بيد اننا نستسيغ ، هذاالشعر لفنيته ، وقدرة الشاعر ، على تصوير ما وقع له بصدق وأصالة ، وبساطة في السرد ، وطبيعة الانسان في أعمق اعماقها ، تهش وتسر لهذا القص ، لانه يخاطب الغريزة ، وكل ما له علاقة بالغريزة ، ومفاجآتها ، وتحايل الشاعر ، للوصول الى ما يبغيه ، من المتعة ، والجرأة أحيانا والوقوف جهرة امام من يملك الشرف المصون ، فيقتحم عليه حصنه غير مبال ، أقول كل هذا ، يولد الدهشة والاستغراب في القارىء ، لان الشاعر استطاع انيكشف عن جسارته ، ويرينا جبننا بعد ان تملك غرائزنا ، وليست صور الشاعر هذا ، الا رواية تمثيلية من نوع الفودفيل تتواقر فيها المفاجئات الغريبة الناتجة عن الخيانات الزوجية .. ان أصدق مثال للشاعر المتألم هو مجنون ليلى ، وقيس ، وكثير عزة،وغيرهم من الشعراء العذريين العرب ، والفريد دي موسيه ، ولامارتين من شعراء الفرنجة ، واصدق مثال للشاعر الثاني اللاهي هو امرؤ القيس وعمر بن ابي ربيعة من العرب اللذين نشآ في احضان الرفاهية والدلال ، وكازانوفا ، وموباسان ، من كتاب الافرنج .

واذا كنا نستسيغ شعر الألم في الحب ، فاننا ايضا نعجب من شعر الالم يصدر عن شاعر متألم حقا ، فقد أعز نفس عليه ، واي ألم يفجؤنا ، ويكون أشد وقعا ، من قوة الالم الصاعق يحسه الانسان مفاجأة ، ساعة انتزاع والدته ، او والده ،بضربة من ضربات القدر المباغتة ، وهو في سن الكهولة ، وهي مرحلة النضج ، واستيعاب حقائق الحياة المدخرة في حقيبة تجاربه .. ان الكهولة معرفة وخبرة ونضوج ، وقوة احساس ، وسعة افق ومدارك ، فاذا اصطدمت بالالم الصاعق ، فان وقعه ، يكون اليما وشديدا عليها ، والطفولة لا تستوعب الالم ، ولا يعمق في نفسها ، لانها لم تقبض على جذور حياتها ، ولم تتمكن من تثبيت قواعدها في الحياة ،فاذا ما واجهت الألم فانه لا ينفذ الى الصميم ، من عقلها وفؤادها ، ويمر عنها ، دون ان يحتفر له مسالك ودروبا في حناياها ، كما تمر الحمى على الطفل ، فان لذعه ألمها الا انها لا تلبث ان ترتد عنه وشيكا فينقلب الفتى ، جذلا يطفر الى حياته الاولى حياة المرح والسرور ، دون ان تحدث الحمى ندوبا ، او جروحا في نفسه .

حين فقد محمد الهراوي الشاعر المصرى والدته كان في سن الكهولة ، والهراوي نشأ على الفضيلة ، وترعرعت معاني السماء في نفسه ، ان ضربة القدر المفاجئة هزت مكامن الحزن والالم ، فاهتاجت شاعريته وتدفقت وكتب قصيدته الرائعة «الى امي» يصف فيها امه وكيف كانت تراعيه ، وتحنو عليه طفلا ، فشابا ، كل هذا يملأ القصيدة ، فتشعر بقوة الوصف الفنية ، وبقوة شعوره وحنانه ، وقوة المفاجأة التي اصابته ، ومباغتة القدر ، انك لتشعر باللهب والحزن يسريان في حنايا القصيدة ، بأناة وهدوء كما يسري اللهب في كتل الحطب الضخم ، وليس كما يسري في الهشيم والنبات النذل ، وتشعر بالانسانية الحقة ، والبر والوفاء : يقول الهراوي فيها :

تكشفت للاحداث بعدك يا امي ... فيا طول ما القى ، من الحزن والهم
لي الله ، يا اماه ، ما انا بالذي ... تعود انيقوى ، على الحادث الجهم
تلمست حزني في المصاب ، وعزني ... لقدغاب عني في الثرى مصدر الحلم

الى ان يقول :

فقدت ابي طفلا ، فلم ادر ما الاسى ... وافقدتها كهلا ، فهد الاسى عزمي
سلوني احدثكم .. عن اليتم بعدها ... فان اليتيم الكهل ، اعرف باليتم
فيا ليت ايام الحياة ، وقفن بي ... لدى موضعي منها من اللثم والضم

حقا ان اليتيم الكهل أعرف باليتم ، وهذا هو بيت القصيد ، وقد وقع لي وانا كهل ما وقع للهراوي ، فافتقدت والدتي . وعرفت معنى الحياة حين افتقدتها ، واصبت بالحزن المض الذي يشوي النفوس ، ويلهب الاعصاب ، فانضجني الالم ، وصحوت انسانا جديدا

مهد

لفقيد الشعر والشباب ميشال نعمه بمناسبة ذكراه الثانية

في الشارع المهجور وحدي ... وحدي على أطياف سهد
الليل عانق ظلمتي ... فتبادلا بردا ببرد
والجو أقتم عابس ... لا ضوء لا نجمات تهدي
روحان ساهرتان لا ... يطويهما غسق ويودي
أنا والبلاطات الرفيقات ... اللواتي كن مهدي
شبح يموج على الثرى ... أم طائف في زي مرد
ألوى بقبضته علي ... فلم أبادله برد
شبح تراءى واختفى ... عجلا كبارقة لرغد
هن البلاطات الرفيقات ... اللواتي كن مهدي
أم تهلل لي وتغمرني ... وتفرق اثر بعدي
لم أغف عمري فوق صدر ... خافق في فيء وجد
لا ، لا أريد الضوء ، اني ... أبتغي الظلمات وحدي
لكم النهار تركته ... وتركت أعمالي وجدي
وأود أن ابقى لصيقا ... بالحجارة كل عهدي
أن أهرق الايام في ... العتمات في تصخاب حقدي
أن أطرح الجسد الجبان ... وأغتدي في همس وعد
فوق البلاطات الرفيقات ... اللواتي كن مهدي

ميشال نعمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استقرت معاني الحياة الحقة في نفسه ، ان افتقاد الاصل الذي ننبعث عنه ، ينمي عقلية الانسان ، فيسعى لتأصيل جذوره ، واحياء صورة تماثله ، تسير في الحياة ، ترث عنه جميع مقاوماتها ابتغاء للبقاء والثبات ، واذا كان الهراوي رثى والدته ، وجاد علينا بمعاني الفضيلة والمروءة والنقاء ، فان ايليا ابو ماضي رثى والده ، بقصيدة ولاعتقد ان سورة الحزن ، كانت تتخايل في قصيدته كما كانت تتخايل في قصيدة الهراوي ، فقد ملأها بفلسفة الموت والحياة ، وغير ذلك من المعاني المألوفة المطروقة ، واكبر ظني ، ان بعد الدار ما بين الشاعر ووالده ، الابن في نيويورك ، والوالد في لبنان ، وبعد الزمان ، وعدم التقائهما ، انقصا من حرارة المصاب في نفس الشاعر لان الانسان خلق الوفا ، تتكيف معانيه ، وتسمو وتهبط، وتفتر حرارة لوعته ،بمقدار ما يتصل بين الحياتين ، من معاني الالفة ، حتى ولو كان المفقود أبا ، ولكن القصيدة امتازت بملاحة نسجها يقول :

طوى بعض نفسي اذ طواك الثرى عني ... وذا بعضها الثاني يفيض به جفني
ابي ! خانني فيك الردى فتقوضت ... مقاصير احلامي ، كبيت من التبن

ومنها :

فاعظم مجدي كان انك لي اب ... واكبر فخري كان قولك : ذا ابني

والبيت الاخير يذكرنا بالمتنبي في رثاء والدته ، والقصيدة كلها على هذا النسق ، تفتقر للحزن العميق والألم الصاعق الذي يطل علينامن خلال قصيدة الهراوي.

اننا بحاجة ماسة لقراءة دواوين شوقي والمطران والعقاد وابو شادي ومحمد عبد الغني حسن وصيدح، والمعلوف ، والدباغ ، والهراوي ، ومحرم ، والبارودي ، وابو الفضل الوليد ، وعدنان مردم بك ، وفارس سعد ، وعبدالله حلاق ، وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة الآن باسمائهم . لانها تمثل شعر الحرية والانسانية ، وصدق الوصف ، ودقة التصوير .لقد أذهل شبابنا شعر الفجور والجنس . فهم يتهالكون على قراءة دواوينه ، اقبالهم على قراءة دواوين شعراء الرفض والسأم، والموت والغربة، على مطالعة شعر السياب الذي يستقيه من بئر اليوت ـ والأساطير ، شعر الحزن على الانسانية جمعاء ، وقبل أن نحزن على الانسانية ، علينا ان نحزن على انفسنا ،ونصف حياتنا وصفا دقيقا،ليجيء شعرنا مبنيا على قاعدة العروبة والاسلام ، يمثلنا على حقيقتنا ، ونضيف الى حديقة ادبنا ، أدبا أستصفيناه من حدائق الامم الأخرى ، تتمثله كما تتمثل النحلة الرحيق من الأزهار .

عمان ـ الاردن

مصطفى درويش الدباغ



يوسف عبد المسيح ثروة

جيرهارت هاوبتمان والهرم السحري

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

الحديث عن جيرهارت هاوبتمان (١٨٦٢ ـ ١٩٤٦) حديث متشعب واسع ، بحاجة الى دراسة مستفيضة ، وتقص كثير ، فهو علم من اعلام المدرسة الطبيعية في بدء نشوئها ، في القرن التاسع عشر ، وهو رائد المسرح الاجتماعي الالماني ، الذي احتضن قضايا الانسانية المعذبة ، في مختلف وجوهها وصورها ، في حوالك حياتها البائسة ، وفي ألق تطلعاتها الباسمة ، وفي كل شان من شؤونها . وهو ـ في ذلك كله ـ يصدر عن بصيرة نفاذة ، ومشاعر انسانية سليمة غير مشوهة ، صريحة واضحة ، معبرة كل التعبير عن خوالج الناس الاعتياديين البسطاء المعذبين ، المحكوم عليهم بالشقاء في عالم الشقاء ..

ومع ان ابا جيرهارت كان على بسطة من العيش وبحبوحة من النعمة ، فان الصبي لم يستطع ان يحصر نفسه في نطاق اسرته الضيق فقد كان قلبه الساذج الرقيق قلب انسان حقيقي يحب اخوانه واخواته ـ في هذا الوجود الزائل ـ محبة عميقة شفافة ، تنبىء عن صفاء طوية وسلامة نية ، وصدق احساس . واحساسه بالرفقة الانسانية ـ على تباعد السلم الاجتماعي ـ لم يمنعه من رفقة الطبيعة ـ في جمالها الفتان ومناظرها الخلابة ، بين وديان سليزيا وجبالها الشامخة حيث مسقط رأسه في قرية اوبرسالتس برون بين هذه الغابة الساحرة وتلك .. انه كان يربط بين مشاعره نحو سكان الريف في سفوح جبال اويلن من فلاحين ونساجين وعمال مناجم وبين مشاعره الفياضة نحو سحر الطبيعة وجلالها . فاذا بالنقائض تتجلى امام عينيه ، غنى الطبيعة وكرمها .. وشح ابناء الانسان وتكالب بعضهم على بعض ، هؤلاء يمتصون اولئك حتى القطرة الاخيرة من الدم ، واولئك يسحقون هؤلاء حتى العظم ، واذا بعد الالوف من السنين ، الشرعة الغبية شرعة الظفر والناب ، هي هي ، الاقوى هو صاحب الحق الذي لا ينازع ، والاضعف هو صاحب الباطل الذي يولد معه بالفطرة والمصادفة ، ولا يصبح هذا الباطل حقا ولا هذا الضعيف قويا ، ما لم يستكلب ، يستذئب ، يستأسد ، فينال ما يريد بمشيئة القدر ، اذ الحق هو القوة كما يقول المثل الالماني المعروف ، في عالمنا المنكود هذا ..

والفتى يرى الفوارق بين البشر ، فلا يعرف لها معنى ، هذه اشباح النساجين وعمال المناجم والفلاحين ، تتردد بين بيوتهم الحقيرة ، زرائبهم ، اكواخهم وبين المزارع التي يعملون بها على حساب غيرهم والمناسج التي يلازمونها ـ في عمل مرهق اشد ما يكون الارهاق ، والمناجم التي ينحدرون اليها في سواد الليل وبياض النهار ، وهم لا يفرقون ـ في اجوافها ـ بين سواد وبياض ، ايديهم متورمة ، ظهورهم محنية ، قلوبهم ممزقة ، حلوقهم جافة ، انفاسهم مستعصية ، جلودهم متحجرة .. ويرى اهله وعشيرته الاقربين فاذا بالوجوه الصبيحة ، والعيون القريرة ، والجباه العالية والاعطاف الهفهافة ، والبسمات الزواخر بالرخي من معالم الحياة ، والسري من مباهجها ، والشهي من اطايبها ... والكل في المعجم ، اي معجم ، بشر ، اخوة ، بل اشقاء ، متساوون في نظر القانون والنظام ، والكل اوراق شجرة باسقة ، سنديانة قديمة واحدة ونقاط محيط واسع واحد ، فيحز في نفسه ان يجد هذه الفوارق ، بهذه السعة من الفتق ، لا يعرف لها مبررا غير المصادفة ، وليست المصادفة ـ مهما تكن ـ مبررا ، مهما يكن هذا المبرر تافها .. الطفل يؤخذ بما يرى وبما يتحسس ويشاهد ويشعر ، فتمتلىء نفسه كآبة وتتفطر ينابيع وجدانه عن مشاعر دافقة ، وعواطف سيالة تمتاز بسمة المشاركة والتعاطف والايثار .. ويمرض الفتى وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ، بعد التحاقه باحدى الثانويات في مدينة بريسلاو ويستعيد صحته بعد حين ليجد نفسه وقد سئم الدرس والمدرس والمدرسة جميعا ، واذا به يتعثر في دروسه ، فلا يستطيع ان يجتاز اي صف الا بشق النفس ...

وهكذا يظل الصبي متنقلا من مدرسة الى اخرى من غير ان يحرز نجاحا ما ، في معارج الرقي والتقدم ، فقد واكبه كسله في كل صف توصل اليه ، فلم يستطع اجتياز حتى المرحلة الثانوية .. لكن ذلك لم يمنعه من الانغماس في المسرح ومشاهدة ما كان يعرض على خشبته من مسرحيات كان لها اوقع التاثير في نفسه التي شغفت حبا بالفن المسرحي منذ باكورة شبابه .. هذا فضلا عن فن النحت الذي جذب اليه بتاثير احد اصدقاء اسرته فدخل في سنة ١٨٨٠ في مدرسة الفنون والصناعات في بريسلاو ولكن لم يستمر بقاؤه في هذه المدرسة الا ايماضة من الزمن ، اذ حال انهيار اسرته ماليا دون اتمامه لتعليمه .. فاذا بالشاب يجد نفسه طليقا بين زمرة من البوهيميين يعبثون في بريسلاو ما شاء لهم العبث ، غير ان هذه الحياة لم ترقه طويلا ـ لفوضويتها وانعدام الهدف فيها ـ فقر قراره على الدراسة في جامعة بينا ، وفيها استمع الى خيرة الفلاسفة الطبيعيين ، من اصحاب التطور الداروينى .. وبعد جولة بحرية قصيرة ، عاد الى روما ـ على امل الاستقرار فيها ـ ثم ارتحل بعض مرض الم به الى برلين وهناك تزوج بماري يتنيمان ، ابنة احد تجار درسدن المعروفين ، بمساعدة اخيه كارل ، وهكذا استتبت له الحياة الرضية ، والعائلة السعيدة بعد طول عناء ونصب وكد ، وضرب في الارض ..

ها هو الان وقد تحسنت احواله ، يستعيد قوته الابداعية ، ويمرن قلمه ليواجه المستقبل بمقدرة جديدة ، بعد ان حصل على تجارب كثيرة ، في حياته ، فمسيرة الحياة التي اجتازها ، بين رفعة الغنى وذلة الفقر والحرمان ، واختلاف الاحوال والظروف ، وصعوده مرة اخرى الى نجد اليسر ووسعة ذات اليد ، واغتناؤه عن سائر الناس ، هذه المسيرة امدته بزاد لا ينفد وبكنز لا يفنى من الحكمة الواقعية وبمعرفة عميقة عن حياة الناس وواقعهم الاجتماعي ، وبصرته بآفات المجتمع وادوائه ، بالصناعة الحديثة تخلق عمالا ، احتياطيا من الفلاحين المعدمين ، ليعملوا في المناجم ومعامل النسيج ، في احوال وشروط يتعذر على الشيطان ان يجد افظع منها ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية قبل الشروق

وجيرهارت الامين لرسالة الصدق ، المتاثر بشللر وابسن وزولا ، الذين عرضوا الواقع وعرضوا بكل ما يشوه الحياة من قبح واسفاف وشر ، لم ير مناصا من ان يسري مسراهم ، وهم السنة الصدق ، واعداء الزيف والتشويه والرياء ، انه تابعهم مخلصا امينا ، لا لانهم سبقوه في جرأة القول والقلب والضمير ، ولا لانه اراد ان يتتلمذ عليهم ، بعد ان رغب عن التتلمذ على المدرسين الاعتياديين ، ولا لانه وجد سبيلهم هينة فاحتذاها ، لا لهذا وذاك ، بل هو فعل ما فعل ، ايمانا بنقاوة قلبه ويقظة ضميره ، وسلامة طويته .. واعتقاده الراسخ: ان الفن كظاهرة اجتماعية تعبير عن واقع حي بأرقى صورة جمالية .. ومن هنا ، ومن تاثره بالمدرسة الطبيعية التي كانت في مطلع انبثاقها على عهده ، والتي اهتمت بمنطلقات العلم ، كنظرية التطور وتاثير البيئة في الانسان فضلا عن عوامل الوراثة ، وجعلت همها مركزا ـ في النتاج الادبي ـ في تصوير الواقع الاجتماعي ككل ، والاخذ بنظر الاعتبار الاكيد قاعدة الهرم الاجتماعي السحري ، اي تلك الطبقة العريضة من عامة الناس ، من العمال والفلاحين والكسبة ، وجميع المنسحقين تحت وطأة هذا الهرم الرهيب .. من هنا ، لا من مكان اخر ، انطلق هاوبتمان كالسيل الجارف يهدد سدود التقاليد والمواضعات .. فظهرت له مسرحيته « قبل الشروق » سنة ١٨٨٩ .. وهي اول مسرحية طبيعية المانية تلتزم حدود المذهب الطبيعي التزاما بينا ، بتصويرها الدقيق لفضائح المجتمع وتفسخ افراده وتاثير التصنيع في زعزعة القيم الاجتماعية وخراب الاسر ، بسبب الانحلال الخلقي ، وتضعضع كل مقومات الريف المحافظة ، من جراء غزوة المال العاتية .. وكل ذلك باسلوب شفاف غاية الشفافية ، يمتاز بارهاف الحس ، وصدق العرض وجمال العبارة ، وبعد الرؤيا وصفائها ..

فصهر الاسرة هوفمان يمثل الواقعية النفعية تمثيلا صريحا وهذا ما يحمله على مخاطبة صديقه لوط بقوله : « .. ما سياتي سياتي ! فعلى المرء ان يتصرف تصرفا واقعيا .. وعليه الا يواجه الاشياء بالركض نحوها .. ونصيب جيلنا الراهن كثير من الشر ولكن لا ينبغي لك ان تستبدله بشر اخر اشد خطرا !! اما لوط الذي يحل ضيفا على الاسرة فهو في واد اخر ، واد اخضر ، يانع الخضرة ، زاهر ، باسم ، لانه يعيش في تهويماته وخيالاته ، فهو يجد افظع الصعوبة في ان يحل في وادينا ، نحن المساكين من ابناء البشر المعذبين ، لانه يجده واديا مليئا بالاقذاء والزيف والقبح ، ولا سيما الزيف فهو واضح المعالم فيما اعتدنا عليه من عادات واخلاق ومقومات .. وطبيعي ان تكون لهذه الادواء كلها مفعولها في نفسية لوط ، في شعوره بالمسؤولية تجاه اخوانه ، هذه المسؤولية التي يسميها هوفمان « اثما » ولهذا السبب فهو يحث صاحبه على الابتعاد عنها ، لان الانغماس فيها لا بد ان يؤدي الى الهلاك، فالعمال لهم حقوق مشروعة ، ومصالح مقبولة معترف بها قانونا ، وكل مشكلة من مشاكلهم يمكن حلها « من فوق » ذلك انهم ـ اي العمال ـ لا يعرفون صالحهم من طالحهم .. وهذه الثورة من تحت ، لا تعني غير الانزلاق السريع في النكبة » . لانها تنبعث بصورة تلقائية لا يتحكم فيها العقل ولا تديرها ايد قديرة ولا نفوس بصيرة ، فتضيع هباء !

وتحل مناسبة فينفرد لوط بهيلين ابنة المزارع كراوس ، صاحب الضيعة ، فاذا بهما متقاربان في المشارب ، متجاذبان في الوجدان ، متداخلان في الروح ، ومن ثم كان الحديث بينهما سلسبيلا عذبا ، الفنى يبهر لوط فيقول « الثروة تفيض من ابواب المزرعة ونوافذها » ، فكيف حدث ذلك ؟ حدث ان الفحم اكتشف تحت سطح (فتسدورف) بالمصادفة ، فاذا بالمزارعين الذين كاد الاملاق ينزع منهم الارض ، يصبحون اسياد الارض وما تحت الارض ، لكن ذلك كله لا يعني شيئا بالقياس الى هيلين فهي لا تجد في كل تلك الثروة غير فراغ يتضمنه كل شيء هناك ، فالمزرعة على كثرة من فيها من بشر ، مزرعة فارغة لانها بحاجة الى نفوس صافية وقلوب محبة ، وعقول نيرة تملأ المكان حياة وحركة وانتعاشا وسعادة ..

وفي مناسبة اخرى يقدم هوفمان صديقه لوط لحميه كراوس ، فاذا بالاخير بعد مجاملة متكلفة يقابله بهذه الكلمات : « .. انني اسف لما بدر مني من تصرف . ولكننا نستقبل مرارا وتكرارا سيلا من الافاقين هنا ، انك لن تعتقد ذلك .. انهم صليبنا ، وهم اكثر من ذلك يسرقون ما يقع تحت انظارهم كالغربان . » ويحل وقت العشاء واذا بالسيدة سيلر صديقة السيدة كراوس المصون تتحدث عن فلسفة الحياة ، عن اللذة والالم ، عن قيم المجتمع الارستقراطي الالماني ، فتقول : « كان صاحب المعالي الوزير فون شادندورف يقول : « ان اعظم الخيرات التي يحظى بها الانسان في الحياة هي المدافع والقمار والبنات . » ويعود حبل الحوار الى الانعقاد بين هوفمان ولوط ، الاول ينتفض مما يتصوره من صاحبه فهو يقول : « انك لن تستطيع ان تجعل مني زاهدا . لان الزهد يسلب كل متع الحياة . » ومع ذلك فهو يعترف ان الانغمار في تعاطي الكحول ربما يقلل من ضبط النفس ، ولهذا فان لوط يقول : « انك تعترف بان دمان الكحول قد يؤدي الى ضعف الوازع النفسي ، ولهذا فانا اعد هذه الاماسي المخمورة اماسي داكنة باهتة » . ويستعيد لوط ذكرى اسلافه الاقوياء ، الاصحاء ، فيقول : « ان اسلافي كانوا اقوياء اصحاء معتدلين ، فكل حركة اقوم بها ، كل مجهود اؤديه ، كل نفس اسحبه يذكرني بما انا مدين لهم . ومن ثم فقد عزمت عزما اكيدا على ان انقل هذا الارث الى ذريتي تماما كما ورثته بنفسي » . وفي هذا الجواب ، يلخص هاوبتمان فكرة تاثير الوراثة ، علي حسب المذهب الطبيعي ، تلخيصا بالغ الاهمية ، لانه ينطلق من الاساس الذي انطلق منه كل من دارون العالم ، وزولا الفنان ، فجاء الان هاوبتمان الكاتب المسرحي ، ليضعه على مشرحة العمل الفني ، بصورة عفوية ، متناسبة مع المقام ، متكاملة مع السياق ، في طبيعتها وبساطتها ومعقوليتها .

وتتحدث السيدة كراوس عن هيلين ، ابنة زوجها وعن الكتب التي تقرؤها فتقول : « .. شللر وغوته اثنان من المجانين المتوهين ، اذ كان لهما وجود ، انهما لا يستطيعان ان يفعلا شيئا غير كتابة الاكاذيب ، غير انهما قادران ان يقدما لها افكارا . » واذن فهيلين مجنونة كالكتاب الذين تستوحيهم ، وهي خيالية بعيدة عن واقع الحال ، تريد الحمامة الصغيرة ان تطير من هذه الدار الفاجرة ، حيث الوالد المبتذل ، وامرأة الاب المنغمسة في الموبقات مع عشيقها « كاهل » لكن اين ذلك النسر الانساني الذي يتمكن من التحليق بها في اجواء الحرية وافاق الخلاص ؟ ها هو لوط يهبط في الدار ، فهل له ان يكون نسرها ، هل له ان يمد لها يد الانقاذ ؟ بيد ان لوط لا يسعى مسعاها ، فهي ان كانت تريد ان تنجو بجلدها ، بذاتها من العذاب المحيق بها ، لا تفعل ذلك الا من اجل نفسها ، ولهذا فنضالها نضال شخصي بغية سعادة شخصية ، على حين ان لوط لا يكتفي بذلك فهو يريد الخلاص للجميع، لجميع الانسانية من عذابها المقيت ، وهذا ما يجعله يقول : « انا لا استطيع ان ارى ما يحيط بي من مرض وفقر وعبودية ودناءة .. واذا لم يكن كل من حولي راضيا ، فهيهات ان ارضى . » وما علة كل ذلك ؟ علة كل ذلك هو زيف الاشياء ، وهنا تتساءل هيلين : « هل لك ان تعطيني امثلة على هذا الزيف ؟ » فيجيبها لوط : « حسنا ، من الزيف مثلا ، ان يجوع الانسان الذي يريق عرق جبينه في العمل ، ويحيا الانسان الكسلان في وفرة من غنى العيش والمال ـ القاتل في ايام السلم عرضة للعقاب وهو في ايام الحرب جدير بالثواب . » ويمضي لوط محللا ما عثر عليه بالتجربة ، وما استقاه من الكتب ، وتمضي هيلين تصغي اليه بكل نفسها وقلبها ووجودها ، ويصيبها الرعب والارتباك والانبهار مما تسمع ، فلا تكاد تصدق اذنيها ، ولهذا السبب يعترف لها لوط بالحقيقة المرعبة ويقول : « لو ان المرء يعرف كل ما اعرفه انا اذن صدقيني لظل شيء يسير من راحة الضمير وهدوء الفكر . »

ويشتد البوس في قلب هيلين وتجد نفسها ذات مرة مع صهرها هوفمان فتحدثه بذات نفسها وتقول : « .. امرأة اب فاجرة ، تريدني ان اتزوج عشيقها .. هذه هي الحياة هنا .. كلا ليس من حق اي كان ان يجبرني على تحطيم حياتي . » ويستدرجها هوفمان الى ما يريد فيقول ، « كلانا في المصيبة سواء » ويمد ذراعيه اليها فيقبلها ، ويطلب متوسلا ، ان تحل محل اختها في تربية ابنه ، وتنغلق حلقة هذا الاستدراج واذا بالنوايا السود تكشر عن انيابها وشياطين الشهوة تتنزى ، فترده ردا عنيفا وتصرخ في وجهه : « انهم ـ تعني اصحاب البيت ـ اطفال بالقياس اليك ، هذا ما اراه واضحا وضوح النهار . » فيتظاهر هوفمان بالغضب ويقول : « هيلين ، هيلين ، انت لست في وضعك الطبيعي ، كل هذا ليس الا جنونا . » ويومىء بالاشارة والعبارة الى لوط ، فما تسمع هذه العبارة حتى ينفجر غضبها عارما صارخا : « لم لا يكون لنا الحق ان نتحدث معا ؟ انه انسان ليس احدنا جديرا بان ينظر في وجهه ، لو كان في العالم عدل وانصاف » الا ان هوفمان يعزو هذه الجاذبية المنبعثة من لوط الى طلاقة لسانه التي تدير ليس رؤوس النساء فحسب بل رؤوس الرجال العقلاء ايضا .. فهو يملأ رأس الانسان بافكار خيالية تدفعه دفعا الى متاهات والى مناهضة التقاليد والاخلاق بدعوى الحرية والاخاء والمساواة .. وطبيعي ان تكون مثل هذه الافكار الخيالية عند هوفمان اخطر من السرقة وامعن شرا منها .. ويسعى هوفمان للالتقاء بلوط فيكون له ذلك ، ويحاول ان يخدعه بما تيسر له من خدع فيقول له مجاريا اياه : « ساكون اخر شخص يقف في طريق المطاليب المشروعة ، التي يتقدم بها المضطهدون والمستغلون . » ولكن لوط ليس من هؤلاء الذين يخدعون ، انه يجيب صاحبه : « من المؤكد ان واجبي تجاهك بصفتي صديقك لا يعني خيانة قضيتي » وعند هذا الحد من المكاشفة ، يسقط برقع المجاملة من وجه هوفمان فيقول : « بصراحة ، ان تظاهرك بما تتظاهر به يثيرني ، كما لا تثيرني اشد الوقاحة صلافة . »

ويقسو هوفمان على صديقه لوط قسوة لا تدع للصداقة مجالا فيعيره انه هو الذي يغري عمال المناجم بالمشاكسة وعدم الرضا ، وبالمرارة والثورة والخروج على الاداب والاخلاق والمدنية وبانه ينسج قصصا لحظوظ من ذهب يعدهم بها ، وفي الوقت نفسه يبتز قروشهم الحقيرة التي يجهدون على توفيرها . وتأخذ الصلات بين هيلين ولوط في التلاحم والتقارب بمرور الايام ، حتى يغدو لوط وكانه لا مفر له من ان يسقط في فخ الحب الذي وضعته له هيلين بكل لطف وبساطة وحب . امور هيلين تجري على حسب ما تهوى وتشتهي ورغباتها تتحقق رويدا رويدا وهي لذلك فرحة مرحة كالطائر الذي يجد عشه بعد هجرة طويلة . وبينما الايام تجري رخية ، اذا بحظ هيلين ينقلب ظهرا على بطن ، واذا بالقدر ينصب لمن ينصب الشباك شباكا ، ويحل الدكتور شيمل ضيفا على الاسرة ، كما حل قبله لوط ، ويلتقي الصديقان الحميمان بعد طول فرقة ، ويطلع الدكتور على جلية الامر في دار كراوس ، فينذهل مما يجد ويتمور ويسر صاحبه لوطا بما في دخيلة نفسه اثر انطباع ما انطبع فيها ويقول : « قصة هذا البيت قصة شرب طويلة وشراهة وفجور في المحارم . » ويستمر في اقتلاع ازهار الحب واحدة واحدة من بستان لوط ، وزرع شوكة في مكان كل زهرة ، فاذا باليقين الثابت يبدأ في التزحزح فالتزعزع ثم الانهيار والتلاشي ، ها قد استطاع العلم من خلال الدكتور ان يصرع الشاعر في قلب لوط ، وهذا كله ما شعرت به هيلين بمرارة وحنق ، واستباقا للاحداث نراها تنذره بقولها : « .. الفريد لا تدعني هنا ، لا تهجرني ، فكل شيء سينتهي اذا ما تركتني و ذهبت . » بيد ان هذا الانذار لا يأتي بثمرته المرجوة لان الصلات بين الدكتور ولوط تشتد متانة بمرور الوقت وتتسع اذنا لوط لسماع صاحبه واذا بالاخير يقول وقد احس بما بين هيلين ولوط من علاقات : « ما اسخف الامر ، وتبني حياتك الزوجية طول العمر على ذلك ، اذن خير لك ان تبني على الرمل » . ويعقب لوط على ذلك بقوله : « هل تتصور انني اجد في من احب ملاكا تحيط به هالة ؟ » ان لوطلا زال يتشبث بهيلين التي اصبحت بحكم الوضع الجديد جزءا من وجوده ، فهو لاول مرة قد عرف ما كان فيه من برود وميكانيكية وجفاف ، وما كانت عيه جهوده من انعدام الروح والمزاج والفعالية .. لكن هذا التغير الذي احسه بوجود هيلين الى جانبه ، لم يعد سوى سحابة صيف ، فما هو الحب والامل والرجاء غير خرافات وخداع ودجل ؟ وكلها مخدرات تعطى من حين الى حين للانسانية المعذبة كي تكون الامها محتملة . ويحاول لوط ان يقوم بشيء يخلص سفينته من الغرق ، بان يتشبث بحبل هوفمان الذي ما زال متينا ، ولكن سكين الدكتور الحادة تقطع عليه هذا الرجاء ، فاذا به يقول : « انك لا تعرفه (يقصد هوفمان) معرفة جيدة . لم تمض الامور الى حد تدميرها (يقصد هيلين) ولكنه بالتوكيد قد لوث اسمها ،فالشخص الذي يتبع هوى نفسه ولذتها قادر ان يفعل كل شيء . وعند هذه الحجة تنهار مقاومة لوط ، ويصبح امر ارتحاله وحيدا من الدار مسالة وقت لا غير ، وتحين الساعة ويدلف لوط الى عربة شيمل ويرحل الاثنان ، الاول وقد فاز بصديقه والثاني وقد فر من من وضع فيه كل امله .. وتدرك هيلين ماذا حدث بعد ان يخبرها الخادم بالحقيقة ، وتدخل الى غرفة هوفمان الفارغة ويسمع صوت وينقطع نفس ، وتنغلق ابواب الدار وتصطفق ، ويشتد انين الخادم وينفجر ولكن كل ذلك لا يهز وترا في نفس كراوس الذي يظل مترنحا في مشيته وصوته الوحشي المخمور يملأ البيت : « اه ، هي ـ الست املك زوجا من الفتيات الحلوات ؟ » ومع صدى هذا الصوت الإبح ينتشر صوت ملائكي مخنوق ، انه صوت هيلين الذي لم يعد له مجال ـ في هذا البيت ـ غير الانطلاق من سجنه الذي ضاق به ذرعا ، بعد ان ترك جثة هيلين الهامدة فيختلط هذان الصوتان اختلاط الشر بالخير ، في هذه الدنيا التي لا تنتهي من رقصة مجنونة ، الا لتبدأ باخرى اشد جنونا من سابقتها ...

مسرحية النساجون

ولننتقل الان الى «النساجون» فماذا نجد ؟ نجدها طرفة واي طرفة من حيث انها اول مسرحة تعالج حدثا معينا هي تمرد النساجين في احدى قرى سليزيا سنة ١٨٤٤ ابطالها ابطال اعتياديون ، من عمال النسيج الذين يشعرون فجاة بآدميتهم تعود اليهم ، فينتفضون على الظلم والاستغلال اللذين يقاسون منهما الامرين ، فما يعود ثمة ذكر للابطال الاسطوريين ولا للسادة النبلاء والكهنوت الارجواني .. ها هم الناس المظلومون ـ ولاول مرة على المسرح ـ يدركون تمام الادراك ان جلودهم تسلخ واتعابهم تباع بارخص من التراب ، وحياتهم تهدر بين الانوال وظهورهم تقوس ، واعمارهم تقصر ، وهم لا يكادون يجدون بلغة العيش ، انهم يتنقلون من مذلة الى مذلة صابرين يتصببون عرقا ومسكنة وشعارهم يقول « من يحسن نسيجه تحسن حياته (١) » بحثا عن شيء من النقود « الذي تهترىء جلود ارجلهم بحثا عنه » . وفي كل مكان يطفح البؤس ويضرب الفقر باطنابه « فاذا المصائب يقفو بعضها بعضا » وماذا عن ساعات العمل في هذه المصانع والشروط الصحية ؟ ساعات العمل غير محددة ، وكيف يمكن تحديدها ولا قانون في البلد ولا نظام .. اذ كل شيء متعلق بمروءة صاحب المصنع .. يريد ان يعمل العمال كل النهار وقسما من الليل ، فيعمل العمال ـ على وفق ما تشاء ارادته .. وعن الاجور ، من يحددها ؟ ليس من حق اي كان ان يحددها غير صاحب المصنع ايضا ، لانه رب العمل والعمال معا ، ولما كان من صالح رب العمال ان تكون ساعات العمل طويلة والاجور واطئة ، فينبغي ان تكون الحال كذلك ، والا فالعمال احرار ، في كل شيء ، في ترك العمل والالتجاء الى الغابات واكل البقول البرية والبلوط ، وهم احرار ايضا في الموت جوعا !

شخوص المسرحيـــة كثيرون ، ولكن المهم منهم على التحديـــد : درايسفر ، صاحب مصنع الاقمشة القطنية والناظـــر بفايفـر والاب كيتلهاوس وهايده قائد الشرطة ، والعامل المشاغب بيكر والشيخ باومرت والعديد من النساجين والنساجات .. تجري احداث هذه المسرحية في كاشباخ بجبال الاويلن .. وفي مصنع الاقمشة القطنية ..يتقدم بيكـر الى طاولة المحاسبة التي يقف خلفها الناظر بفايفر ، حسب دوره وينقده الاخير بأجره ، فيتسلمه كانه يتسلم حية رقطاء ويـدور علـى نفسـه ويخطب الجميع قائلا : « انها لصدقة اللؤماء لا اقل ولا اكثر فالمـرء يظل يطأ بقدميه اخشاب النول .. ثمانية عشر يوما وكانه اعتصر اعتصارا يكاد رأسه يبور من الغبار والحرارة اللاهبة فانه يسعد بالحصول على ثلاثة عشر غروشنا ونصف » ما هذا اللغو الفارغ ؟ كيف يسمح بيكـر لنفسه ان ينساق مع الشيطان ، انه اذن والشيطان من معدن واحد . ويحدث ان يمر درايسفر بالغرفة ، فيومىء بفايفر الى بيكر ، كانـه يذكره به فيتذكر رب المعمل ويقول « أهذا هو ؟ » وهنا يلتفت بيكر اليه ويقول ، « اجل ، اجل ، » ويشير الى نفسه « هذا هو » ويشير الـى درايسفر ويقول « وهذا انت » بيكر يعرف نفسه معرفة جيدة ، ويعرف رب العمل كذلك فالمسافة بينهما محددة متسمة ويكفي لتثبيتها اسمـاء الاشارة والضمائر ..

ويتوعد درايسفر العمال ويهددهم ، اذ كيف يجسرون ان يمـروا امام داره العامرة ، وهم « شرذمة من السكارى او عصابة من الاشقياء السفهاء مساء امس وهم ينشدون تلك الاغنية السافلة » ... غير ان احدا من هؤلاء العمال لا يستطيع ان يرد عليه بكلمة غير بيكر ، فتحدث بين الاثنين مشاجرة يثور على اثرها درايسفر ، ويستنجد بالشرطة من طرف خفي ، او هو يكاد يتظاهر بذلك ، ولكن بيكر لا يتزحزح من مكانه ويظل يناوشه الكلمة الثقيلة بعد الاخرى .. ويخرج درايسفر مـن الغرفة ذليلا ليرى منظرا بشعا اخرا ، ان غلاما يقع مغشيا عليه فـي باحة المعمل ، والكل يهرعون اليه ، هذا يناوله شيئا منعشا وذاك يحرك وجهه ، وهنا ينتصب بيكر ليقول : « اعطوه شيئا لياكله ، وحينئـذ يعود الى رشده . » هكذا وبهذه البساطة يجابه بيكر اكبر معضلـة فيحلها حلا معقولا عمليا ، في اللحظة والتو . ذلك انه رجل عملي يعرف دقائق الحياة ، فيفصلها على كل انسان على حسب مرتبته في الهـرم السحري المعروف . لكن من المسؤول عن حالة الغلام هذه ؟ طبعـا ان درايسفر ليس مسؤولا مطلقا . على الرغم من قوله : « .. على مـن يقع اللوم اخر الامر ؟ من الطبيعي ان يقع علينا نحن اصحاب المصانـع قطعا فنحن المذنبون في كل امر » لانه لم يدفع بالغلام الى العمل دفعا ، طالما هناك خيار وحرية .. وانما الذي دفع الغلام الى المجاعة هي اسرته الكبيرة ، والمسؤول الاول فيها ابواه طبعا . وكيف يكون درايسفـر مسؤولا عن هذه التوافه من الامور وهو « يخوض مغامرة كبيرة لا تخطر على بال العامل ولو في المنام ، وهو لا يعرف في بعض الاحيان ما يأتي وما يدع » من كثرة عمليات الحساب والاحصاء ، كما عليه ان « يفكـر ويقدر مئات المرات بلا توقف وان يخوض معارك ومنافسات يتوقف عليها الموت او الحياة » ايمكن ان يكون مثل هذا الرجل انسانا بلا قلب ، يعضه هذا الكلب او ذاك من كلاب الصحافة .. ان هؤلاء يتهمونه بالبذخ في العيش والتنعم في اللذائذ في حين لا يكاد النساجون المساكيـن يستطيعون ان يسدوا رمقهم بما يقدمه لهم من اجور تافهة حقيرة ! هذه تهم كاذبة وزور وبهتان ، درايسفر رجل لا يمكن ان يكون قاسيا ، ولا يمكن ان يقذف بالنساجين لاتفه الاسباب خارج ابواب المعمل ، لا ، لا ، لا يمكن ذلك ، فما زالت دماء الانسانية تجري في عروق درايسفر ، ومصداق ذلك « انهم (اي العمال) يريدون ان يتحدثوا عـن الجوع وعندهم من فائض المال ما يستطيعون به ان يعبوا الخمر من الاقـداح الكبيرة عبا .. »

أرأيت كيف تكون وجاهة الاسباب ؟ أرأيت المنطق لاول مرة فـي العهد المبارك الجديد يمشي على قدميه بخفة ورشاقة وثقة ؟ ومن ثـم فمن حق درايسفر ان ينصح امثال هؤلاء الاوغاد من اتباع بيكر بالابتعاد عنه ، وان ينصح لبقية العمال ان يكبحوا جماح هؤلاء الاشرار .. لان الامور اذا ما تجاوزت حدها انقلبت ضدها ، واذا بدرايسفر الحريص على مصلحة العمل والعمال ، مضطر اضطرارا الى ان يصفي حساباته ويترك العمل .. وعندئذ تحل الطامة الكبرى ، فكيف يكون مصير العمال وقد تعرضت بضاعتهم الحية ، قوة عملهم الى كساد ، انهم سيندمون على ما فعلوا ولات ساعة مندم اما اذا كان الاجر قليلا الان ونصيـب العمال من خيرات الدنيا يسيرا ، فلا بأس ، اليس مـن الاحسن ان يحصل الانسان على كسرة خبز من ان يموت جوعا . غير ان كسرة الخبز هذه ، على ضآلتها تندر مع الايام ، فلا تكاد تصل الى الافواه الا لماما حتى يطبق اليأس اطباقا على النفوس ، فاذا باحدى اليائسات ، مـن العاملات تقول : « خير الامور بالقياس الى كل واحدة منا ان يرأف بنا ربنا وياخذنا من هذا العالم » . فتجيبها صاحبتها : « انا لا اجـد لنفسي مخرجا على الاطلاق ، فنحن نعمل ما وسعنا العمل ، ونظل نسعى الى ان نسقط على الارض » واذن فان الحياة عسيرة جدا تنضح الامـا ومصائب وماسي . ويلخص الشيخ انزورجه هذه الحياة بقوله الفصل : « نحن هنا لا نستطيع ان نعيش ولا ان نموت .. وكل منا يقاوم حتـى الرمق الاخير، غير انه لا بد له ان يستسلم اخـر الامـر . » ويقارن الشيخ بين هذا العهد وعهد شبابه فيقول : « انهم (يعني ارباب العمل) يسرقون منا ما تبقى لنا من لقيمات الخبز ويقترون علينـا ويختلسون قوتنا ما وجدوا الى ذلك سبيلا » بينما « كـان اصحـاب المصانع في تلك الايام يدعون النساجين يعيشون ايضا . »

ويعود محرض اخر من الجيش يدعى بيفر ليكمل المسبحة حبة واذا به يقول والحضور كلهم اذان صاغية : « لو اننا استطعنا ان نتدبر امورنا ونوحد صفوفنا لانزلنا باصحاب المصانع كارثـة كبيـرة » لان « شياطين الجحيم ، الذين يفترشون قوت المساكين ستكـون اللعنـة جزاءهم . »

وتتفاقم النقمة شيئا فشيئا ، وتشتد نذر الاعصار الكبير ،وتهتز عروش ارباب العمل ، وبخاصة عرش درايسفر الصغيـر ، ويثـور اللصوص الصغار على اللصوص الكبار ، وتقوم القيامة ، واذا بالجلود المسلوخة تنبعث حية ، والحشود الادمية تنطلق كالسيل الجارف تجرف في طريقها كل اسس الكيان الاقتصادي الجديد .. الانهيار مستمـر وبسرعة فظيعة ، المقاومة قليلة غير ذات جدوى .. المدافعون عن الكيان قليلون ، فضلا عن جبنهم وخبثهم ، ولكنهم يفطنون في اللحظة المؤاتية، الى سدنة النظام من الانكشارية ، فيستعيذون بهـم طلبا للنجاة ... فينجدونهم على اكوام الجثث المتخلفة على هذا الرصيف وذاك هنـا وهناك ، في ظل هذا النظام المترنح الـذي وجـد طريقه الـى متحف التاريخ !

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

(١) شواهد مسرحية (النساجون) ترجمة محمد جديد .

سؤل؟

يا لغة الاجراس
أتولد الاشياء والدهشه
ويولد الاحساس
كالصوت والرعشه

دمشق — صالح درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود الحسنية

التفاعل بين البيئة الجغرافية والانسان

بقلم محمود الحسنية

* * *

ميز الاغريق بين الظاهرات الطبيعية والبشرية المختلفة ، فنسقوا المعلومات ، ووضعوا لها الابواب ، وكان لهم الفضل في وضع اسس علم الجغرافيا ، شأنهم في بقية اكثر العلوم المزدهرة ، وقسموا علم الجغرافيا الى قسمين رئيسيين : قسم مبحثه مركز الكرة الارضية من المجموعة الشمسية ، ودرس ابعاد خطوط الطول والعرض ، وقسم مبحثه وصف البلدان والاقاليم ، وكلمة Géographia تتكون من مقطعين : Graphia وصف ، و Géo الارض. ولم يفت علماء الاغريق ان يمروا باحوال البلاد الاجتماعية فيلاحظوا تأثيرات المناخ واجواء البيئة الجغرافية على سكان الاقاليم ، مما حمل هيبوقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٧ ق م) بكتابه « الجو والماء والاقاليم » على ان يدون الفوارق التي لاحظها بين سكان المناطق الجبلية الذين كانوا يتصفون بطول القامة وبالشجاعة وبين سكان المناطق السهلة الذين كانوا يتصفون بنحافة القامة وبحب السيادة .

وقد دل ارسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق م) في كتابه « السياسة » على الارتباط القائم بين المناخ وبين طبائع الشعوب : وشرح سترابون (٥٨ ـ ٢١ ق م) اثر تضاريس الارض ، والمناخ ، والعلاقات المكانية في ايطاليا ، التي اسهمت في ابراز عظمة روما ، واخص سترابون طبيعة البلاد العربية بدراسات جغرافية وافية .

وركز عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٧٠٨ هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) في مقدمته الشهيرة والتي تعتبر اول بحث منظم في علم الاجتماع ، على اثر المناخ في طبائع الشعوب ، وتأثير الهواء والشمس في الوان البشر واخلاقهم وافضى به هذا البحث الى ان يدون التاريخ بانه خبر الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس، والعصبيات ، واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال .

وعن مقدمة ابن خلدون اخذ الغرب اصول علم الاجتماع فكتب شارل مونتسكيو (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) في مؤلفه « روح القوانين » بان الانسان كائن فرد او وحدة طبيعية تقابله قوتان كبيرتان يتأثر بهما : الارض باقاليمها، والمناخ بتقلباته . ثم ازداد اهتمام علماء الاجتماع والاقتصاد والمفكرين بدراسة المجتمعات البشرية وبمشاكلها ، واشاروا الى ان الناس لا يعيشون في فراغ ، بل في بيئات متفاوتة التكوين والتفاعل ، تتلاءم صفاتهم مع ظروفها ، وان البقاء للاصلح ملاءمة معها ، وهذا ما اوضحه روبير شارل داروين (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) في كتابيه : اصل الانواع ١٨٥٩ ، وتطور الانسان ١٨٧٩ ، من ان العلاقة بين الكائن الحي والبيئة ، علاقة ملاءمة وتكيف ، فعلى الكائنات الحية ان تتلاءم مع هذه البيئة ، وتتكيف مع حاجاتها ، وان هذه الملاءمة عملية مادية حتمية ، وللبيئة في نظرية داوين ، قوة عارمة .

وعلى هذه النظرية ركز هربرت سبسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) قواعد الاخلاق ، وبنى ارنست هايكل (١٨٣٤ ـ ١٩١٩) اسس علم الاجتماع ووضع هيبوليت تين (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) مقاييس القيم مشددا على ان « الجنسية » والبيئة والزمان » هي العوامل الثلاثة التي تفسر الحوادث واليها نرجع في درس تطورات التاريخ ، ولم يشذ عن هذه النظرية اي من كارل ريتر (١٧٧٩ ـ ١٨٥٩) وفريدريك راتزل (١٨٤٤ ـ ١٩٠٤) منظمي الاصول الحديثة للتفكير الجغرافي . اما تأثير الانسان على البيئة ، فلا يقل شأنا عن تأثيرها عليه . فسواحل اوروبا الطويلة المتعرجة وامزجة بيئتها البحرية تعكس على السكان نمو ثقافات صالحة تنطبع بها ، واجواء البحر الابيض المتوسط الخصبة ساهمت في ظهور قوة الاساطيل البحرية ، وازدهار حضارة كل من فينيقيا وقرطاجة واثينا .

وهكذا فالسماء الصحوة الصافية استرعت انتباه العرب وجذبتهم الى دراسة النجوم والكواكب ، وقادهم هذا الدرس الى النبوغ في علم الفلك ، حيث اشتهر فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل من فضل بن سهل النوبختي المتوفي عام ٨١٥ م ، واحمد بن كثير الفرغاني في عصر المأمون ، وعبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي ٢٩١ ـ ٣٧٦ هـ ، وابو الوفاء محمد بن يحي بن اسماعيل بن العباس البوزجاني ٣٢٧ ـ ٣٧٦ هـ ، وابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس وقد رصد كسوف القمر وخسوف الشمس من المرصدالذي بناه لهخصيصا العزيزالفاطمي فيجبل المقطم، المتوفي بمصر في الثالث من شهر شوال سنة ٣٩٩ هـ ، (٣١ ـ ٥ ـ ١٠٠٩) ومسلمة المجريطي اقليدس الاندلس المتوفي سنة ١٠٠٧ ، مؤلف « تعديل الكواكب » و« اثار البلاد » ومترجم كتب بطليموس « المجسطي » والنظرية البطليموسية في هيئة الافلاك وقد ترجمت تآليفه الى اللاتينية في سنة ١٥٣٦ م بمدينة بازل بسويسرا ، ثم ابو الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٥٠ م ؟) مؤلف « الاثار الباقية في القرون الخالية » وقد طبع لاول مرة في لابزيغ ١٨٣٨ م وابو الحسن القفطي ١١٦٧ ـ ١٢٤٨ م ، وزكريا بن محمد القزويني ١٢٠٣ ـ ١٢٨٣ م ، الملقب « بلينوس العرب » ، ومن مؤلفاته « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » .

وهذا العلم عرف العرب الفلك بانه مدار النجوم التي يضمها ، كما جاء في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » وسمي فلكا لاستدارته ، ولكل كوكب من الكواكب السيارة التابعة فلك يسبح فيه ، ورتب حسب منزلته : فالقمر في الفلك الاول ، وعطارد معناه النافذ في الامور ، في الفلك الثاني ، والزهرة مأخوذ من الزاهر الابيض ، في الفلك الثالث ، والشمس سميت كذلك لشبهها بالشمسه ، تتوسط الكواكب السبعة ، في الفلك الرابع ، والمريخ مأخوذ من المرخ ، شجر تحتك اشجاره اغصانه فتوري النار فسمي بذلك ، لشبهه بالنار فياحمراره في الفلك السادس ، وزحل مأخوذ من زحل اذا ابطأ سمي بذلك لبطئه في سيره ، في الفلك السابع .

ولم ينس العر ب بان يلاحظوا تأثير الارض والفلك على الاشياء ويربطوا تاريخ الانسان والعمران بالاحوال الاقليمية ، وعللها واسبابها وقد شرحه اعلامتهم ابن خلدون ، بما اوتي من بصيرة حاذقة وعلم غزير ، فضبط فيها كل شارد وارد ، واستنتج بان سكان البادية تأقلموا ببيئة خشنة المظهر العام ، كما ان المدينة والاقاليم المتحضرة خلعت على سكانها من طبيعة بيئتها وتربتها اثر النشاط الاجتماعي .

وهذا ما حدا بفريدريك راتزل ان يدرس طبيعة الانسانعلى ضوءعلاقته بالبيئة الجغافية ، حيث توصل الى علم جديد يعرف بالجغرافية لبشرية Anthropogéographie اي توزيع السكان وتجمعهم على سطح الارض توزيعا جغرافيا ، وعنه تفرع علم الجغرافيا السياسية الذي يقوم على وحدة اماني الشعوب ومراعاة امزجتها وامكاناتها . وعلم الجغرافية الاقتصادية الذي يعد الانسان ليساهم في توفير سبل العيش الكريم لمجموعة سكان الاقاليم باستثمار مواردها الطبيعية . كيف لا والانسان هو ابن سطح الارض تطعمه وتربيه وتوجه انظاره وتعده لمجابهة الصعاب وتذليل العقبات .

وقالت تلميذة راتزل مس الن سمبل : « اننا لن نستطيع ان ندرس الانسان دراسة علمية ، وهو منفصل عن الارض التي يفلحها ، او الارض التي يدب عليها او البحر الذي تمخر سفنه عبابه ، كما اننا لن نستطيع ان ندرس الحيوان القطبي منفصلا عن البيئة القطبية ، او ابن البادية بعيدا عن الصحراء وجدبها » .

وهكذا تولد البيئة الجغرافية العوامل الطبيعية الرئيسية للتاريخ ، وهذه العوامل من حيث تأثيرها على الانسان هي :

اولا ـ عوامل ذات تأثير مباشر مثل المناخ واثره على لون الجلد والصفات الجسمية وملاءمة الانسان لظروفه .

ثانيا ـ عوامل ذات تأثير غير مباشر مثل الموقع الجغرافي ، والقرب والبعد من مراكز الحضارة وما يؤديان في النهاية الى تقدم او تأخر الانسان .

ثالثا ـ عوامل تؤثر فيالنمو الاقتصادي والاجتماعي اما ان تزيد من نموه ، فيتطور ويتقدم واما ان تعيقه فينكفيء ويتقهقر .

ومن المعلوم الواضح ان عناصر البيئة كثيرة ، منوعة، فعلى المرء ان يختار منها ما يتلاءم مع قابلية شخصيته فيكيفها حسب طاقته المادية ومقدرته العقلية اذ ان العقبات الطبيعية لم تمنع الانسان من التفكير في التغلب عليها . فاستصلاح الاراضي وضبط مجاري الانهار وشق الانفاق واقامة الجسور والسدود والمنشآت الزراعية والصناعية واستثمار خيرات الارض الظاهرة منها والدفينة الى عملية غزو الفضاء دليل الانسان على تخطي العقبات وتكييف الاجواء القاسية التي تحول دون التقدم نحو العمران والرفاهية وتنفيذ الرغبات .

وبما ان الجغرافيين يدرسون الارض من حيث كونها وطن الانسان ، فهم في جميع دراساتهم الطبيعية لايهملون الجانب الانساني ابدا ، كما انهم لا يهملون الجانب الطبيعي لدى دراسة جميع فروع الجغرافيا البشرية .

وهذا ما نلاحظه الان في عملية اطلاق الصواريخ والاجرام التي تحاول غزو فضاء الفلك فالانسان هو محور كل دراسة وبحث ، وسواء نجحت محاولة الغزو وتحققت اهدافها ، ام لم تنجح وتذهب مع شعر ابي العلاء (٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ . ٩٧٣ ـ ١٠٥٨) وتساؤله حين قال :

يا ليت شعري وهل ليت بنافعة ماذا وراءك او ما انت يا فلك ؟
كم خاض في اثرك الاقوام واختلفوا قدما فما اوضحوا حقا ولا تركوا

في معبد الذكرى

★ ★ ★

ليت الزمان يعيد لي احلامي ... ويرد عهد صبابتي وغرامي
ويمد في أجلي ولو امدا به ... القى الحبيب قبيل يوم حمامي
اني مضيت ارى خيالا واقفا ... قربي واشباح الديار أمامي
لم يبق مني الدهر بعد فراقه ... الا عيونا بالدموع طوامي
يا حرها من أدمع سالت على ... جفني القريح تبثها آلامي
لو لم تشط بي النوى عنه لما ... أفرغت دني او عققت قدامي
وصبوت للوكر القديم يرد لي ... عهد الهوى بمسارح الآرام
أيام كان الحب يجمعنا على ... صدر الربى ومناكب الآكام
اني احن الى الربيع وقد كسا ... تلك الربى بجماله المتسامي
والطير تبعث من شجي حنينها ... لحنا يردده الغدير الطامي
والشمس تحتضن الجبال ظميئة ... لندى الصباح وزهره البسام
والحور نشوان المعاطف ينثني ... جذلا امام ترنح الانسام
انا ما عتبت على الزمان تذمرا ... من موطن قد ضاق فيه مقامي
انا ما غضبت على الوجود تظلما ... من مهجر قد ساء فيه ختامي
كلا ولا اسفا على أدب ذوى ... أودعته نفثات قلبي الدامي
أوليته محض الندى بقصائد ... دبجتها بمدامعي وهيامي
فرجعت عن حلمي الوجيع وقد بكت ... نفسي ظلامة حملة الاقلام
انا ان أسفت فانما اسفي على ... زمن نعيش به بغير سلام

وطني اجلك ان تنام على الاذى ... رهن الشقاء مقيدا بزمام
قل للاولى وأدوا السلام وخلفوا ... حرم العدالة موطىء الاقدام
مهلا غزاة القدس نخبركم غدا ... ما يفعل الصمصام بالصمصام
برزت من الغاب الاسود يقودها ... عزم الشباب الى النجيع ظوامي
تمشي الى الثار العميم كانها ... تمشي الى الوطر العزيز السامي
تهب النفوس رخيصة وقد دعا ... داعي العلى والمجد للاقدام

خوخوي ـ الارجنتين

فائق جبور

شمس تغيب ويقفو اثرها قمر ... ونور صبح يوافي بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا اممًا ... شتى ولم يدر خلق اية سلكوا
وقال انك طبع خامس نفر ... عمرى لقد زعموا بطلا وقد افكوا
رامو سرائر للرحمن حجبها ... ما نالهن نبي لا ولا ملك

والجغرافيا هي العلم الذي يوحد بين الظاهرات المختلفة من طبيعية وانسانية ، وهي الجسر الطبيعي بين العلوم الطبيعية والاجتماعية ، تحلل الظاهرات وتعيدها الى اصولها في بيئتها بحثا عن كل نشاط اجتماعي يستهدف خير العالم .

ومع سعي علماء الطبيعة واهتمامهم المتزايد بالرفاهية الانسانية ، يقابله اهتمام من اجل تحقيق تلك الرفاهية يقوم على كيفية استغلال الجماعات البشرية لموارد كل بيئة جغرافية .

ومن مرحلة الحياة البدائية ، الى مرحلة توزيع السكان على سطح الارض وكثافتهم وهجراتهم ، الى مرحلة التطور وظهور المجتمعات المعقدة الحديثة ، الى دراسة العمران البشري وضبطه وتطوره في المدن والارياف وفق مقاييس خبراء علم الاحصاء ، يحمل الانسان مع كل مرحلة اثار بيئته الجغرافية ، كما تحمل هي بعض اثاره الانسانية .

محمود الحسنيه

استلقت الصبية الجميلة على فراشها الوثير بتراخ ورمقت النافذة المطلة على الحقل بنظرة متفائلة يكتنفها سؤال كبير ، وما لبثت ان لمحت غيمة كثيفة تختلط بزرقة السماء ، وتبشر بهطول المطر ، فابتسمت بدلع .. وتقلبت على جنبها ، ولكنها ما عتمت ان نهضت الى النافذة ، وامعنت في السماء جيدا ، فتأكد لها ان المطر لا شك هاطل ، والزرع في الحقل سيرتوي بعد ظمأ طويل . وسنابل القمح الذهبية ستنمو بطول شاهق .. والتباشير كلها تؤكد ان الموسم الزراعي سيكون خصبا ، وان محصوله سيغطي الخسارة الكبيرة التي اصابت الزراعة في الاعوام الثلاثة الماضية التي بخل فيها المطر على الزرع ولم يهطل الا قليلا ..

وهزت الصبية راسها ، وزفرت بضيق ، ثم حدقت في ارض الحجرة بامعان طويل ، والابتسامة الصغيرة عالقة بوجهها . وصمتت وهي تحدث نفسها بشيء دفين كثيرا ما ضاقت بكتمانه « .. غدا .. غدا سيتحقق املي .. وسأتزوج (البك) الذي كان يؤجل زواجنا الى ان ينتعش بثمرة المحصول » .

واتسعت الابتسامة على ثغرها .. وملأت كل وجهها ، وغدت مشرقة ، كأن السماء قد استجابت لدعواتها الطيبات التي كانت ترددها في مطلع كل فجر ..

البك .. ألم يهمس في اذنيها في امسية مشحونة بالعاطفة المشبوبة التي كان يحملها اليها ما بين جوانحه كلما جاءها الى الحقل في القرية الصغيرة التي تبعد عن المدينة مسافة ربع ساعة ، كان يقطعها بسارته الزرقاء الفاخرة ..

ـ سأتزوجك يا « سعدة » في نهاية الموسم ، عندما نبيع المحصول ونلعب بالليرات الكثيرة كتراب الحقل ..

وضحكت يومذاك سعدة باطمئنان له ، وهو يداعبها بخبث شرير ، ويلقي بظهرها الى صدره ، ويده تجوس بجرأة فاضحة في خصلات شعرها التي تستره عصبة محلاة بقروش فضية .. وبعض ارباع من الليرات الذهبية .. وحبات من الخرز الازرق .

والبك الذي تنتظره الصبية الحلوة ابنة الناطور العجوز في الحقل الكبير هو « لطفي » صاحب مكتب « الفجر » لتسهيل المعاملات العقارية والقضائية ، والاستاذ (كما يحلو له ان يسمي نفسه) رجل في الخامسة والاربعين .. قسماته الجامدة لا تدل على صفاء .. عيناه الهزيلتان تنمان على مكر متأصل في نظراته .. وثغره متسع يكشف عن ـ تكشيرة ـ في



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم منور فوال

شفته السفلى . وانفه المدبب يشوه ملامحه ، مما أضاف الى نفسه عقدا شاذة ابعدت اكثر الناس عنه .... اذ ان الوسائل التي كان يسلكها في سبيل الوصول الى المادة غير مستقيمة . فهو لا يتردد ابدا ان يطرح نفسه بالذات في اسواق المساومة لقاء قروش زهيدة صدئة تزيد في ثروته . واذا اراد الانسان ان يعرف ماضي لطفي وجده متشعبا في مفارق كثيرة .. لقد عمل في مستهل حياته بحرف متنوعة استطاع من ورائها ان يجمع ثروة طيبة استغلها في تجارة الورق .. والجلود والسمن .. الخ ..



وهكذا .. تخطى الصعاب الى ان استقر في مكتب « الفجر » وغدا (استاذا) . ولكم كان يغضب اذا لم يسبق اسمه كلمة (يا استاذ) ، اذ يعتبر هذا اهانة غير مغتفرة .. لم ؟ ولماذا .. ؟ أوليس هو مدير مكتب ويستطيع ان يدخل وزارة العدل ويلاحق معاملات القضاء من غرفة الى غرفة .. ومن محكمة الى محكمة .. ؟ لهذا كله كان يشتاط غضبا اذا استبدلت كلمة الاستاذ بكلمة السيد .

الايام توأردت .. واخفت ماضي لطفي الذي لا يشرف ببريق الذهب ، ورصيده الذي يفقو في صناديق البنوك .. والسيارة الزرقاء الفاخرة التي كانت تضمه في جوفها كلما اراد التنزه في الشوارع طولا وعرضا والى جانبه حسناء في عمر الزهور او امرأة تكون قد كلفته بمعاملة نفقة على زوجها المهاجر او عجوز ثرية يخدعها بمعسول الكلام كي يبتز مالها باسم الرسوم القضائية او رشوة موظف كسول .. الخ ..

الايام .. الايام كانت الى جانب لطفي في كل ما يعمل . وازداد تباهيا على اترابه .. وكان يساعده في مكتبه شاب خذلته الحياة في النجاح .. فوجد عند لطفي كل نجاح .. اذ كان يمهد له سبيل الاتصال بالنساء اللواتي لهن قضايا في المحاكم والسجل العقاري ... فقد كان يقضي معظم يومه في ردهة القصر العدلي وعيناه تبحثان عن امرأة لا تدل ملامحها على معرفة بشؤون القضاء .. فكان يتقدم منها بعد ان يصلح من هندامه ، ويصفف شعيرات راسه ، ويقول لها :

ـ يلزم خدمة يا ست ؟ ..

وتبهر نظرات الست بالشاب الانيق .. ويفتر ثغرها قليلا ثم

تطلب اليه مساعدتها او ارشادها الى مكان تروم قصده .. وبعد اخذ ورد طويل يذهب بها الى لطفي حيث يتم الاتفاق معها على ملاحقة القضية نظير اجر محترم ، اذا كانت الست لا ترضيه كرجل .. وان كانت جميلة فالجمال يشفع لها ، ويتفق معهاعلى مبلغ رمزي بعد ان يرسم خطة في افكاره لاصطيادها ..

وكم ... وكم من النساء كن ضحيته . ثم لم يكن ليتورع ابدا عن ان يقدم المخدوعات المعوزات الى معارفه بعد ان يملأ رؤوسهن بأوهام الزواج من صحبه .

لم تكن عين رقيب ترقبه .. اذ كان على صلة بشخصيات بارزة تؤازره في المحن لقاء سهرة ممتعة في مكتبه . لا سيما وانه كان يستخدم فتاة ـ كسكرتيرة ـ يشترط فيها دائما الجمال قبل الثقافة .. والدلع قبل الاتزان .. والميوعة قبل الاخلاق ، فهو لا يحب الموظفة ان تخفض نظرها الى الارض حياء. فانطبيعة عمله ـ في اعتقاده ـ تتطلب طراوة الفتاة وغنجها . فان سارت امام الزبائن يجب ان تتثنى كالراقصات فوق زجاج الموائد ... والا يكف ثغرها عن اطلاق الابتسامات المثيرة لهذا وذاك .

هذا ما كان يذكره على مسامع كل فتاة تخضعها الحياة لعمل الذل مقابل لقمة عيش مريرة .

وبالفعل كان يتوافد على مكتبه شخصيات كبيرة يهمها ان تمضي الفراغ برؤية الوجوه الجميلة ... والاجساد الملتوية.. وتشنف اذانها بأصداء الضحكات الناعمة التي ترسلها الموظفة لهؤلاء ..

لم تكن الحياة في عرف لطفي اكثر من ساعات عابثة يقطعها لهوا في كأس سوداء .. وامرأة ضحية . ثم يوردها كالبضاعة الى اصدقائه الافاضل او على حد تعبيره الاساتذة وهؤلاء الاساتذة هم رجال عابثون يقتلون الحياة بجسد امرأة اعوزها القدر للعيش .. او هم اخذوا بيدها الى السبل الملتوية .. ثم يمجونها بقطع بصاق حقير ، بعد ان يثقلوا يدها المرتجفة بخمس ليرات مهترئة مسمومة ، ويشيعونها بنظرات ساخرة .

وعلى هذا الشكل المريب قطع لطفي فترات حياته . وظفر بثروة طائلة اخفت شوائن سلوكه . واظهرته للاغبياء بمظهر البك الوقور الذي يحسب له الحساب في القرية الصغيرة التي اشترى فيها حقله الكبير الذي يشرف على حراسته الناطور العجوز ، وابنته سعدة .

سعدة الصبية الحلوة التي كانت تنتظر البك بلهفة كل مساء ، حيث يعود اليها ويقضي معها وقتا طيبا ، الى ان كسر فيها غصن الحياة وتركها والموت يتوعدها ، ويطوف بأشباحه الرهيبة حول جسدها الجميل يحاول ان ينبش بأظافره الطويلة الناشبة ربيع حياتها ..

ولكم بكت سعدة فوق قدمي البك الوقور تستجديه الحياة بألفاظ فيها الضراعة واللوعة .. وفيها مرارة العمر كله ..

ـ الرحمة يا سيدي البك، الرحمة يا سيدي البك .. ثم تمسح دموعها ولطفي ينظر اليها باشمئزاز كبير .. وبضحكة يكتنفها دهاء حافل بالفضائح . وكانت كلما بكت بين يديه ضارعة مستجدية يشيح بعينيه عنها. ويطيب تضرعها بالوعد المزعوم :

ـ سأتزوجك يا سعدة عندما نبيع المحصول ..

وتنزل تلك العبارات في اذني الصبية كنغم جميل ، تسبح في غمرة اجوائه حالمة ثم تقدم للبك خدمة المساء المعهودة .

وولت سنة .. وتلتها اخرى .. واخرى ... والصبية الحالمة تعيش على اصداء النغم الجميل ، وتمنح البك عصارة شبابها ، ورونق مفاتنها وهي تبذل العطاء ببراءة مطلقة تدعمها الاحلام الهانئة التي ستفدو بعدها زوجة البك الثري الكبير ، ذي الثياب الانيقة التي تختفي وراءها براثن الشر ..

امهل القدر لطفي على طغيانه ، وامهله كثيرا ، الى ان كان يوم اراد فيه ـ كالعادة ـ ان يذهب الى حقله مع خيوط فجر جديد .. فالصبية تنتظره وفي قلبها وله فاضح ، وفي عينيها ايات حب مقيم ، تغذيه اصداء اللحن الرائع . فاستقل سيارته الزرقاء ، وسار في الطريق العريض ، وثغره يردد اغنية غير مفهومة ، وفجأة اختل مقود السيارة واصطدمت بعامود كهربائي ، اخترقته الى سور حجري مرتفع ، فتهشمت واجهتها ، وكسر زجاجها واستقرت في مكانها حطاما اسود . وما هي الا دقائق حتى كان رجال الاسعاف والنجدة يقومون بواجبهم ، ويخططون الحادث الذي اودى بحياة لطفي الى ما نهاية ..

الصبية الحلوة ما زالت ترمق النافذة المطلة على الحقل بنظرة يكتنفها سؤال كبير .. والابتسامة تملأ وجهها كلما لمحت الغيمة الكثيفة تتلبد في السماء تنذر بهطول المطر . والابتسامة تتسع ، والغيوم تغطي زرقة السماء الصافية .

وولت ساعات والمطر لم يهطل .. والصبية تحملق في السماء كأنما تروم لو تصعد اليها وتمزق جمود الغيم لتسحب قطرات الغيث لتروي بها الارض بعد ظمأ طويل ، كي يكون المحصول وفيرا ، وتزف الى البك ، الذي يجيء اليها كل ليلة ويهمس في اذنيها معسول العبارات التي تعيش على اصدائها حالمة .. ولكن المطر خذلها .. وجمد في السماء . والبك لم يعد اليها ابدا ..

القاهرة **منور فوال**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ديوان حميد الهلالي

١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة بالقاهرة

من هو حميد الهلالي ؟ صاحب هذا الديوان الذي ينشر مشروحا لاول مرة هو الشاعر « حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالي » ، وقد كان يكني بكنى كثيرة ، فتارة يقولون : ابو الاخضر ، وتارة : ابو خالد ، وثالثة يقولون : ابو لاحق . والتكنية عند العرب معروفة مشهورة في الجاهلية والاسلام . فقد كان الشاعر الاعشى ـ مثلا ـ يكنى بأبي بصير ـ وهي كناية الضد ، لان الاعشى كان لا يبصر الا قليلا جدا ـ وكان النبي عليه السلام يكنى ابا القاسم ، كما كان عمر بن الخطاب يكنى : أبا حفص ، وكان علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجه ـ يكنى أبا الحسن .

ولا تعجبن ايها القارىء الكريم اذا وجدت ان ابا شاعرنا حميد يسمى « ثورا » ! وقد تقول ان هذه التسمية اليوم غير مناسبة ولا ملائمة . وهذا حق ! ولكن العرب كانوا يسمون ابناءهم بأغرب الاسماء، سواء أكانت اسماء حيوان مثل اسد ، وكلب ، وكلاب ، او اسماء طير مثل غراب ، وصقر ، او اسماء جماد مثل صخر ، ومطر ، وحجر ، وبحر ، وحصن . وليس في هذا موضع لغرابة ، فان كثيرا جدا من الاسماء الاجنبية اليوم تحمل اسماء الحيوان والنبات والطير والجماد والزهر والسمك ، مثل : مستر (وود) بمعنى خشب ! ومستر (بريدج) بمعنى كوبرى او جسر ! ومستر (فلاور) بمعنى دقيق ، او زهرة ومستر (فيش) بمعنى سمك ..!

وشاعرنا حميد من المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وادركوا الاسلام ، بل لقد قضى في دين محمد عليه السلام اكبر شطر من حياته ، وهو في هذا غير الشاعر حسان بن ثابت الذي شطر حياته شطرين متساويين احدهما في الجاهلية والاخر في الاسلام ، وعاش في كل منهما ستين عاما ، وبهذا بلغت حياته عشرين ومائة عام .

ولا شك ان حميد بن ثور عاش في الاسلام ، فهي حقيقة مسلم بها وقضية مفروغ منها ... ولكن الشك حول العهد الذي بلغه في الاسلام ، فمن قول انه توفي في أيام عثمان بن عفان ـ وهو ارجح الاقوال ـ ومن قول انه ادرك العصر الاموي وامتد به العمر الى عهد عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني امية . ويستند القائلون بذلك الى بعض اخبار تروى له مع شعراء في زمان عبد الملك ، واذا صحت هذه الاخبار فان حميدا يكون من المعمرين ...

شاعر المعمرين !! وكبر السن ...! وتدلنا بعض اشعار حميد على انه كان حقيقة معمرا طال به العمر ، واضعفه الكبر ، واحنى ظهره الزمان .. ومن شعراء العرب من بلغوا من الكبر وطول العمر حدا سئموا معه الحياة وملوا معه البقاء وتمنوا على انفسهم الموت . فالشاعر الجاهلي الحكيم زهير بن ابي سلمى ـ صاحب المعلقة الميمية المشهورة المملوءة بالحكم والامثال ـ يبلغ الثمانين عاما فيمل الحياة ، ويعبر عن ذلك الملل والسام قائلا في قصيدته المشهورة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عاما ـ لا ابا لك يسأم !

اما الشاعر الجاهلي الاخر : النابغة الذبياني ، فقد رأى في طول العيش ضررا على الانسان ، فان كبر السن يفنى بشاشة الوجه ونضارة الجسم ، ويبقي مرارة الايام بعد حلاوتها ، ويرى المرء من السوء ما لم يكن له به عهد ، حتى لا يرى في الحياة شيئا يسره ، ويقول في هذا :

المرء يأمل ان يعيش
وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى
بعد حلو العيش مره
وتسؤوه الايام حتى لا يرى شيئا يسره !

وما ارق الشاعر الذي بلغ الثمانين ، فاحتاج الى ترجمان يصب له كلام الناس في الاذن لان سمعه أصبح ثقيلا . ويقول في هذا :

ان الثمانين ـ وبلغتها ـ قد احوجت سمعي الى ترجمان !

والانسان في حياته معرض للمرض بعد صحة ، وللتوعك بعد سلامة ـ فبينما يرى المرء قويا اذا به يضعف ويهرم ، وبينما يرى صحيحا معافى اذا به يعتل ويمرض ، وما بلغت الصحة حدها الا كانت دليلا على الافول نحو المرض ، ولهذا قال النبي عليه السلام : « لو لم يكن لابن آدم الا الصحة والسلامة ، لكفاه بهما داء قاتلا » . وقد اخذ الشاعر حميد الهلالي هذا المعنى فنظمه في بيتين يقول فيهما :

ارى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما
ولا يلبث العصران يوما وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما

التحسر على الشباب المدبر وبكاؤه ـ حين بلغ الكبر وعلو السن من الشاعر حميد الهلالي اخذ يندب شبابه المدبر ، ويتحسر على ما ضاع من ايامه ، وهي نغمة تجدها دائما عند المعمرين ، سواء أكانوا شعراء ام غير شعراء .. فالشعراء يعبرون عن تحسرهم بالشعر الذي تطاوعهم اداته ، وغير الشعراء يتحسرون بآهة ينفثونها ، او حسرة يصنعونها ، او كلمة يقولونها .. والمؤدي في الحالين واحد ، وهو التحسر على ايام الشباب ، حيث العمر ريق ، والزمان نضير ، والصحة مواتية ، والبصر صحيح ، ومتاع الحياة يجاب بايسر مجهود ... وتروى للشاعر (حميد) ابيات خمسة في التحسر على الشباب يقول فيها :

ليس الشباب عليك الدهر مرتجعا حتى تعود كثيبا ام صبار
مالي قد اصبحت الا قد تنقضي بعض النواكث حبلا بعد امرار
من بعد ما كنت فيها ناشئا غمرا كانني خارج من بيت عطار
لقد ركبت العصا، حتى قد اوجعني مما ركبت العصا ظهري واظفاري
لا ابصر الشخص الا ان اقاربه معشوشبا بصري من بعد ابصار !

واذا شرحنا بعض الفاظ هذه المقطوعة الغريبة على بعض القراء ، وجدنا هنا صورة جميلة مؤثرة للشباب المدبر الذي لا يعود ابدا ، ولا يرجع الا اذا عادت الارض الحرة ذات الحجارة السوداء الى كثيب .. وهيهات ذلك ان يكون !! ويقول الشاعر في البيت الثاني ، لقد أصبحت لكبر سني وضعف حالي كالآل ـ او السراب ـ الذي يخدع رائيه ، فيحسبه شيئا وما هو بشيء ... وقد نقض الزمان ـ او حوادث الزمان ـ حبلي ، وعمل على تحلل ابرامه بعد ان كان حبلا شديد الفتل ـ وهذه الصورة كناية عن الضعف الذي عمل فيه الزمان على توهين قوة الشاعر . وفي البيت الثالث تذكر الشاعر المسن ايام شبابه حيث كان ناشئا حدثا ، وغرا لم يجرب الامور ، وكان يتمتع باللهو ، ويترف بالنعيم ويتطيب بالعطر ، كأنه خارج من دكان العطار، كما يقال بلغة زمانه ، او خارج من عند « الكوافير » كما نقول نحن بلغة عصرنا ، ولسان زماننا !!

وفي البيت الرابع يصور لنا الشاعر المسكين كيف الجاه الزمان الى ان يتخذ « العصا » يركب عليها ، ويستند اليها ، ويستعين بها

على اقامة ظهره المقوس ، ومنكبه المنكس . ولقد طالت ملازمة الشاعر لركوب العصا ، وكثرة ملازمته لها ، حتى اوجعه ظهره ، وآلمته اصابعه واظافره من كثرة قبضه بيده عليها ...

وفي البيت الخامس يصور لنا حميد الهلالي ضعف بصره ، وعشى عينيه ، فلا يبصر الشخص الا عن قرب قريب ، ولا يتبين المرئيات الا عن كثب ، بعد ان كان يبصر بصرا طبعيا قويا ...

موقف الشاعر « حميد » من الاسلام ـ لا تكاد المصادر والمراجع تسعفنا بما نطلبه من السيرة المفصلة والحياة الشاملة لحميد الهلالي في جاهليته واسلامه . لولا هذه الاخبار الادبية المبعثرة هنا وهناك والتي نستطيع ان نلم منها حياة الشاعر في سطور . ومن عجب ان الشاعر حميد الهلالي لم يجمع له شعر في ديوان قائم بذاته الا في هذه الطبعة المصدرة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٥١ . ولكن بعض ابيات شعره الدائرة يستشهد بها في كتب النحو واللغة والصرف والبلدان والامثال . ويظهر انه من الشعراء الهادئين الذين دخلوا الاسلام في صمت ، واعتنقوا الدين الجديد في هدوء ، فلم يقف من الدعوة الاسلامية موقف حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة مثلا في الدفاع عنها ونصرة نبيها عليه السلام . لقد كان « حسان » مثلا واقفا امام المشركين بالمرصاد ، يعيد هجماتهم على الدين الجديد ، ويكيل لهم الصاع صاعين ، والنبي عليه السلام يشد ازره ، ويؤكد له ان روح القدس يؤيده . ويجترىء حسان بن ثابت على قريش كلها ، وعلى الشرك كله ، فيقول مخاطبا « ابا سفيان » :

الا ابلغ ابا سفيان عني ... فانت مجوف ، نخب ، هواء
ان سيوفنا تركتك عبدا ... « وعبد الدار » سادتها الاباء

ويقول مخاطبا المشركين في سخرية قاتلة :

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه ، وينصره سواء
فان ابي ، ووالده ، وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

اما حميد الهلالي ، فلم يكن من شعراء الدعوة ولا المدافعين عنها ، بل اكتفى بالقبول لها ، والدخول فيها ، والاهتداء اليها ، شاكرا لله ، ساجدا له ، مؤديا الزكاة ، ومقيما الصلوات ... وما اصدقه وهو يقول :

حتى أرانا ربنا محمدا ... يتلو من الله كتابا مرشدا
فلم نكذب ، وخررنا سجدا ... نعطي الزكاة ، ونقيم السجدا

غرور الحياة ... ـ لقد ادرك حميد الهلالي كما ادرك غيره من شعراء العرب تفاهة الحياة وغرورها ، وعدم دوامها على حال واحدة ، وقصر الايام مهما طالت ، وتقلب الحياة بالاحياء ، ما بين اعطاء وأخذ ، وزيادة ونقص ، واقبال وادبار ، وسعد ونحس . وقد يسبب هذا الادراك عند بعض الشعراء انتهاء الى فلسفة انتهاب اللذات ، وسرعة الاستمتاع ، واقتناص فرص اللهو ما دامت الحياة زائلة ، والدنيا باطلة ... كما نجده مثلا عند عمر الخيام ... وقد يسبب عند شعراء اخرين عزوفا عن اللهو ، وجنوحا الى الزهد او الاعتدال . فالشاعر عمر الخيام اسرف على نفسه في اللذات ما دام البقاء في الدنيا معدوما .. وكذلك فعل قبله الشاعر المخضرم « سحيم » اما شاعرنا « حميد » فقد مال به ادراك غرور الحياة الى الاعتدال جدا في طلب الحياة .. فما تكالب على مال ، ولا تهافت على لذة ، ولا اسرف في لهو . وما اصدقه وهو يقول في غرور الحياة ، وفي الاماني الكواذب التي نعلل النفس بها يوما بعد يوم ، وقد تعلل بها القدماء من امثال « عاد » « وتبع » فما بقوا ولا خلدوا ، وما نزال نتعلل بها اليوم ، كان عبر الماضين لم تنفعنا ، وحوادث السابقين لم تردعنا :

وكائن لقينا من نعيم ولذة ... واعجبنا المصطاف والمتربع
وقلنا لعل الماء يربو فنقتني ... وعل غلاما ناشئا يترعرع !
أماني عام بعد عام تعللت ... بأمثالها للناس عاد وتبع
ولكنما الدنيا غرور ولا ترى ... لها لذة الا تبيد ، وتنزع



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلله ما فوق السماء وتحتها له المال يعطى من يشاء ويمنع

الحكمة عند الشاعر حميد ـ لا نستطيع ان نعد حميدا الهلالي شاعرا حكيما يقف على المستوى الذي يقف عنده الشاعر زهير بن ابي سلمى مثلا ، فالشاعر زهير قد امتلأ شعره بالحكم والامثال ، حتى لنجد له في معلقته الميمية ابياتا كثيرة في الحكمة وخاصة تلك التي تبدأ بقوله : (ومن) . كمثل قوله :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قوم يستغن عنه ويذمم

اما الشاعر حميد الهلالي فلم يقف شعره على الحكمة والمثل ، وان كان يروى له هنا وهناك بيت حكيم يصلح للتمثل به والاستشهاد. ومن ابياته في ذلك قوله :

قضى الله في بعض المكاره للفتى برشد ، وفي بعض الهوى ما يحاذر

أليس هذا المعنى المعزي للنفس والمسلي لها عند نزول المكروه ، يذكرنا على الفور بقوله تعالى : « عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم » ؟

ومن ابياته المشهورة السائرة سير الامثال قوله :

اذا لم يحدثك الفتى عن بلائه أتاك بما يبلى الفتى من يعاشره

وقد صدق شاعرنا ، فان هناك اناسا يستحون ان يتحدثوا عن انفسهم ، ويخجلون من ان يجعلوا من ذواتهم موضعا لحديث ... فهم لا يشيرون مطلقا الى عمل عملوه ، او الى فضل اتوه ، او الى بلاء حسن قاموا به في الحروب مثلا .. ومثل هؤلاء الناس الحيين المتواضعين لا يختفي فضلهم ، ولا يضيع بلاؤهم ، فانهم اذا لم يتحدثوا عنه فسوف يأتي من عشرائهم من يحدث به ، لان الفضل لا يخفى ، حتى ولو اخفاه صاحبه ...

ومن ابيات حميد الجارية مجرى الامثال قوله :

وقد يركب الامر الذي ليس حاله اذا ما اضافته اليه الضرائر

والضرائر : هي الضرورات ، وكثيرا ما تدفع المرء الى ركوب شيء ليس من طبعه ان يركبه . وهذا المثل يؤدي معنى قولنا الان « للضرورة أحكام » فلا بد للمرء ان ينزل على امرها حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ...

الهجاء الساخر .. !! ـ يظهر ان الهدوء كان غالبا على طبع الشاعر حميد الهلالي ، كما كان الاعتدال مزية في سلوكه في الحياة والمجتمع . فقد مدح مثلا ، وهجا ، وتغزل ، وتهكم ولكنه لم يكن مسرفا ولا مجاوزا الحد ! لقد كان يمشي في ذلك باعتدال . وقد كان من الممكن ـ مثلا ـ ان يسرف في الغزل والتشبيب كما فعل معاصره الشاعر سحيم عبد بني الحسحاس ، الذي صدر ديوانه في « المكتبة العربية » ، وقد كان من الممكن ان يهجو مثلا ويطيل لسانه في اعراض الناس ـ كما فعل من بعده « الحطيئة » الذي لم يسلم من لسانه احد ، حتى ابوه ، وأمه ، بل حتى نفسه ... ولكن الاعتدال كان فضيلة الشاعر حميد . ولعل من اخبث هجائه ما قاله في رجلين ارسلهما الى محبوبة له يحملان رسالة منه اليها .. ولم يهج الرجلين بالطبع لانهما يؤديان له خدمة غزلية ، ولكنه انتهز هذه الفرصة فهجا قبيلة كان يعاديها ـ وهي قبيلة حيرم ـ واوصى الرجلين الرسولين ان ينتسبا ـ اذا ضبطا ـ الى قبيلة « حيرم » هذه لانها قبيلة ذليلة لا يخاف باسها ، ولا تخشى الغارة منها ...

ولكن هجاءه اللاذع الساخر حقا هو ما قاله يهجو به الربيع العامري حينما كان واليا على اليمامة ، فقد ذكرت بعض كتب الادب والنوادر في أخبار الحمقى ان الربيع هذا بلغ من حمقه انه اخذ القود ـ الثأر ـ من كلب لكلب اخر ، لان احد الكلبين عقر صاحبه ..! وقد شاعت هذه الحكاية وذاعت ، حتى تندر بها الناس على والي اليمامة، ووجدها الشاعر حميد فرصة طيبة للسخرية من هذا الوالي الاحمق، فقال يهجوه :

شهدت بأن الله حق لقاؤه وان الربيع العامري رقيع

اقاد لنا كلبا بكلب .. ولم يدع دماء كلاب المسلمين تضيع

رثاء الخليفة الشهيد عثمان ... ـ قلنا ان الشاعر حميدا الهلالي كان من المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وادركوا الاسلام ، وقلنا ان بعض المراجع تقول ان عمره امتد الى أيام الخليفة الاموي الخامس عبد الملك بن مروان . وايا ما كان الامر فقد ادرك حميد عهد عثمان بن عفان ـ بدون شك ـ وادرك مقتله والقرآن بين يديه ، واحس خطر هذه الفتنة الداهمة على الاسلام والمسلمين ، فقال فيها شعرا رقيقا مؤثرا يصور به مصرع الخليفة الشهيد ، ويحمل على الذين سفكوا دمه الطاهر ظلما ومعصية . ونتركه هنا يقول في هذه المرثية :

اني ورب الهدايا في مشاعرها وحيث يقضى نذور الناس والنسك

ورب كل منيب بات مبتهلا يتلو الكتاب اجتهادا ليس يترك

لا أنكرن الذي اوليتني ابدا حتى اعد مع الهلكي اذا هلكوا

ان الخلافة لما أظعنت ظعنت عن اهل يثرب اذ غير الهدى سلكوا

صارت الى اهلها منهم ووارثها لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا

السافكي دمه ظلما ومعصية أي دم ـ لاهدوا ـ من غيهم سفكوا

والهاتكي ستر ذي حق ومحرمة فاي ستر على أشياعهم هتكوا ؟

والفاتحي باب قفل لا يزال به قتل بقتل الى دهر ومعترك

وقد كان الذي توقعه الشاعر حميد ، فقد فتح مقتل الخليفة عثمان بن عفان بابا للشر والنزاع والخلاف بين المسلمين ...

القاهرة محمد عبد الغني حسن

•

تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري

تأليف الدكتور محمد زغلول سلام ـ ٢٧٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف بالقاهرة

يحاول المؤلف في هذا الكتاب ـ كما يقول ـ ان يستدرك ما فات من المحاولات السابقة من جمع شامل لتراث النقد العربي والتأريخ له منذ أقدم عصوره ..

وهو يصرح في المقدمة انه انتهج الى جانب المنهج التاريخي التطوري منهجا تحليليا تكامليا ، يعرض للنوع الادبي وتناول النقاد له في الحقبة التي يتناولها .. وقد بدأ الكتاب بمقدمة لدراسات النقد والبلاغة العربية تناولت : الناقد والنقد عند العرب ، والمؤثرات في النقد ، والبلاغة مفهومها ومصطلحاتها ، ومعنى الفصاحة والبيان والبديع .

وقد كان المرجو في كتاب يعرض لتاريخ النقد العربي ان يبدأ بدراسة تاريخية لمصطلح « النقد » او يبين متى ظهرت هذه الكلمة بمعناها الادبي ولكن المؤلف يكتفي ببيان مفهوم النقد عند ابن سلام الجمحي وابن رشيق دون ان يعنى بما سبق ذلك من عصور ..

وبعد هذه المقدمة يتناول المؤلف ماهية الشعر وآراء النقاد فيه ، فيسير على نفس الطريق من اغفال ما قبل العصر العباسي في النقد ، فهو يبدأ بتعريف قدامة بن جعفر للشعر ، ثم الآمدي وغيره ..

ولا اريد من ذلك ان هناك تعاريف سابقة للشعر ، ولكن المؤكد ان هناك مفهوما للشعر عرفته العرب منذ العصر الجاهلي او ان هناك موضعا فنيا وضع العرب فيه الشعر ، وما دمنا نوقن ان النقد العربي قديم الجذور ، والكتاب يريد التأريخ له منذ اقدم عصوره فقد كان لا بد من الاشارة الى معنى الشعر عند العرب منذ صار فنا أدبيا ..

ولا ندري ، هل اراد المؤلف في هذا الفصل ان يعرض لماهية الشعر وآراء النقاد فيه عند العرب ، أم أنه يريد النقد الغربي الحديث ايضا؟

فهو في خلال عرضه لآراء نقاد العرب القدماء في الشعر يورد آراء للنقاد الاوروبيين ، كنقله عن « جويو » وسبنسر ، وفولتير وكولردج ، ثم لا يلبث ان يعود الى نقاد العرب ، دون موازنة او ربط بين هذا وذاك.

وقد كان المنهج التاريخي التطوري ـ الذي أعلن المؤلف انه التزمه في دراسته يقضي بعرض هذه الافكار وفق اصالتها وتطورها ، ولكن المؤلف لا يجد مانعا من عرض آراء نقاد العرب ، ثم العودة الى آراء ارسطو او عرض اراء المحدثين من الاوروبيين ثم الرجوع الى اراء العرب.

وبعد هذا التمهيد يدخل المؤلف مباشرة في قضايا النقد تحت عنوان : « من قضايا النقد » فيعرض لطبقات الشعراء ، ثم اللفظ والمعنى ، ثم السرقات ولا نفهم لهذا الترتيب من معنى ، فهو ليس مرتبطا بالعصور ولا مبنيا على جانب التطور ، فالسرقات قضية نقدية عرفت في كل عصور النقد العربي من الجاهلية حتى اليوم ، وان كان المؤلف لا يحاول التحديد الزمني في شيء من ذلك ، ففي حديثه عن الطبقات يقول : « وكانت تهيمن على جو النقد تقريبا قبيل عصر التدوين في القرن الثاني الهجري » مع انه ينقل بعد ذلك عن لبيد رأيه في أشعر الناس ، ولبيد شاعر مخضرم ، ثم يقول : « وقد جمعت هذه الاحكام وامثالها اواخر العصر الاموي او في الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة وتداولها الرواة من بعد ، وسجلت في كتب النوادر واخبار الشعر والشعراء منذ القرن الثالث الهجري » .

وقد كان عليه ما دام في صدد التاريخ لقضايا النقد ان يوضح لنا تطور هذه القضية او يسجل لنا التتبع الدقيق لورودها في كتب النقد القديمة حتى نستطيع تمثلها ونحيط بتطورها . اما هذه الاحكام التقريبية الشائعة ، فليست من سبيل تاريخ النقد .

وان كان المؤلف يعود بعد ذلك الى طبقات الشعراء ، فيعيد بعض قوله السابق ، ولكنه يشير الى ان اول من حاول جمع الشعراء الفحول في كتاب من علماء القرن الثاني ابن سلام والاصمعي ، في كتابيهما : « طبقات فحول الشعراء » وفحولة الشعراء ، ويعرض بالدراسة للكتاب الاول فقط ، مع انه يقول : « .. ولهذا نبدأ بالحديث عنه » فكان مقتضى ذلك ان سيتناول كتاب الاصمعي ايضا ..

ولا نجد في الكتاب كله فصلا يخلص لتاريخ النقد غير هذا الفصل الذي جعل عنوانه « دراسات نقد الشعر ومناهجها قبل ابن سلام » وفيه يشير بايجاز الى النقد في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وبني امية ، ثم الى الحركة العلمية واثرها في النقد في القرن الثاني ثم يشير الى مقاييس الشعر والشعراء على وجه الاجمال .

وبعد ذلك يسير الكتاب حتى نهايته على استعراض كتب النقد في القرنين الثالث والرابع والوقوف عند بعض آرائها واتجاهاتها النقدية ، فيعرض كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ثم البديع في نقد الشعر لابن المعتز ، ثم طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز وعيار الشعر لابن طباطبا ـ وهو كما يقول المؤلف يسبق عرضه ـ والموازنة للآمدي . ثم يعرض للدراسات التي قامت حول ابي الطيب المتنبي ، وهي الرسالة الحاتمية في مآخذ المتنبي ، والكشف عن مساوىء المتنبي للصاحب بن عباد ، والمنصف في الدلالة على سرقات المتنبي لابن وكيع التنيسي والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني .

ويعود بعد ذلك لدراسات اخرى في نقد الشعر ، فيشير الى ما في كتاب الكامل للمبرد من آراء نقدية ، والى كتاب التشبيهات لابن ابي عون وديوان المعاني لابي هلال والموشح للمرزباني ثم صنعة الشعر للقالي ، وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري .

ولا نرى مبررا لتجاهل المؤلف لكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر مع انه يشير اليه في مكتبة النقد في القرن الرابع في نهاية الكتاب. مع ان دراسة كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر كانت من الضرورة بمكان لما يمثله قدامة من تأثر بالنقد اليوناني ، كما يقولون ، وكنا نود ان يوضح المؤلف قضية اتصال النقد العربي بالنقد اليوناني ويفصل فيها ، من خلال دراسته لكتاب قدامة ، بدلا من هذه الاشارات الموجزة التي ينقلها عن بعض الدارسين المعاصرين .

ويختم المؤلف كتابه دون خاتمة ، ودون استعراض لمسار النقد العربي من نشأته حتى القرن الرابع ليخرج بنتائج من دراسته ويوضح « خط التطور » الذي يؤكد في المقدمة انه واضح تماما في هذا الكتاب!

ولا نأخذ على المؤلف بعد ذلك غير اهماله الاشارة الى المراجع في نقوله ، في اكثر الاحيان ، وقد نجد في الصفحة الواحدة عدة نقول يشير الى مصدر بعضها ولا يشير الى مصدر الباقي ، مع ان الدراسة الجامعية المتخصصة تلتزم الاشارة الدقيقة الى المصدر والصفحة وكذلك فعل في مراجع الكتاب فلم يشر بدقة الى الطبعات ، وبعض هذه المراجع مطبوع اكثر من طبعة بعضها محقق وبعضها غير محقق .

ولا ننكر على المؤلف جهده الذي بذله في دراسة هذه الكتب النقدية ، فهو فائدة محققة ، لكننا نريد منه في الطبعة التالية ان ان يتضح المنهج التاريخي في الكتاب وان يهتم بتحديد المراحل وابراز الاتجاهات .

القاهرة — مصطفى عبد الواحد
ماجستير في الادب والنقد

●

شعراء من كربلاء

من القرن السابع الهجري حتى مطلع القرن الرابع عشر

دراسات أدبية ـ تأليف سلمان هادي الطعمة ـ ٣٦٨ صفحة ـ مطبعة الاداب في النجف الاشرف

تتمتع مدينة كربلاء بتاريخ حافل بالعلوم والاداب بوصفها ملتقى أرباب الرأي والفكر ومجمع الاعلام والفضلاء .. وظل هذا التاريخ شاهدا لنخبة ممتازة أضافت الى تراثنا العربي تراثا لولا غوائل الدهر لبقي ساطعا امام الدارسين والمتتبعين .. ان الكشف عن التراث الدفين مهمة تتطلب الكثير من المتاعب والمشقات من أجل رفع غبار النسيان والاهمال عن أسماء الشعراء وهذا ما لاقاه صديقنا الكاتب الاستاذ سلمان هادي الطعمة عند تأليفه دراساته « شعراء من كربلاء » .

لقد كانت مصادر دراساته تعتمد على دواوين بعض الشعراء وهي بخطوط أصحابها بالاضافة الى اقتباسه بعض المعلومات من الصحف القديمة الصادرة قبل وبعد الحرب العالمية الاولى وبعض مصادر اخرى لا تتجاوز أصابع اليد .. ومما يؤسف له بان هناك كثيرا من الشعراء ـ كما يقول المؤلف في المقدمة ـ لا يزالون قيد الضياع لكثرة الحوادث المؤلمة الحزينة التي مرت على المدينة في عهود الظلام من ثورات وحروب واوبئة وفوضى ورعب ومطاردة حتى ان بعض الشعراء لم يعرف له مصير أمثال الشيوخ يوسف بريطم واسحق المؤمن وموسى الاصفر .. من خلال هذه الحوادث استطاع المؤلف ان يخرج بهذا السفر النفيس الذي يستعرض فيه واحدا وخمسين شاعرا من القرن السابع الهجري حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري وكلهم من الشيوخ الاجلاء والسادة الافاضل .

يتناول المؤلف التعريف بكل شاعر مع مقتطفات من شعره الى ذكر اثاره اما مصادر دراستهم فتكاد تتفق لانها على أشياخ عصرهم وعلماء زمانهم ثم عن طريق المجالس وحضور المناظرات والمناقشات التي كانت تدور آنئذ .

كان قسم كبير من هؤلاء الشعراء قد اهملوا تدوين شعرهم او نشره بين الناس وكان عامل الفقر يلعب دوره في تنقل الشاعر من بلد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اخر سعيا وراء الرزق كما كانت الحوادث الرهيبة تترصد انفاسه وحركاته كل هذه الاسباب مجتمعة دعت الى ضياع شخصية الشاعر وضياع هذا التراث الادبي من تاريخ الادب في العراق ومما يدعو الى الاسى ان يهدي العلامة السيد عبد الحسين آل طعمة ديوان الشاعر فضولي البغدادي بنسخته الخطية النفيسة الى الوالي جمال باشا عندما زار كربلاء عام ١٣٢٩ هـ .. ومن يدري فلعل الباشا أهداه بدوره الى مرافقه الذي لا يقيم جملة ولو بسيطة باللهجة العامية الدارجة !!

ولبعض هؤلاء الشعراء نسخ خطية من دواوينهم ترقد في هدأة من ضجيج المطابع يكاد يغمرها النسيان وتتفاقم عليها مراجل الازمان امثال دواوين : محسن ابو الحب ومحمد مهدي القزويني وعبد الوهاب آل الوهاب وعبد الكريم النايف وحسين العلوي ومحمد صالح القزويني وعباس ابو الطوس وابراهيم العلوي .

ومن بين هؤلاء وهؤلاء الشاعر الشاب المنكود الحظ الذي ولد عام ١٩٣٠ وتوفي عام ١٩٥٨ وهو في عمر الورود « عباس ابو الطوس » صاحب ديوان « هدير الشلال » غير المطبوع شاعر ابتلاه الله بالفقر والمرض صور آلامه في قصيدة رائعة .. وهي بعنوان « الداء » يقول فيها :

أأظل أبحث عن أمان بعثرتها النائبات
وسعادة سحقت لطافتها الليالي الغامضات
وملاعب عصف الفناء بها وكفنها الممات
لم تبق غير الذكريات وهل تفيد الذكريات ؟

كم ليلة قد بت منطويا على نفسي السجينه
أشكو همومي للنجوم وحر آلامي الدفينه
وأصب في سمع الزمان أرق أنغامي الحزينه
وأحن وجدا كلما خطر النسيم على المدينه

بقيت هناك ملاحظات حول الكتاب وهي : بان المؤلف يذكر في الصحيفة ٢٤ خبر استشهاد نصر الله الحائري كما ذكره في الصحيفة ٣٢ ولكنه لم يذكر السبب المباشر .. كما وردت عدة استدراكات في الكتاب منها في صحيفة ٣١ ، ٥٢ ، ٣٥٢ الى ٣٥٧ وكان ينبغي ان تكون في مواضعها .. الا ان الكاتب معذور في ذلك لانها جاءت متأخرة بعد التحقيق والتدقيق .. اما الاغلاط المطبعية فقد جاوزت الورقتين وهذا أمر سوف لا نلاحظه مكررا في الطبعة الثانية ان شاء الله وهذا غير بعيد على مؤلف كتاب تراث كربلاء .

الكوت ـ العراق **كاظم محمد حسين**

•

القمح والعوسج

تاليف عبد الجبار داود البصري ـ ١٩٩ صفحة ـ من الحجم الكبير ـ مطبعة الجمهورية ببغداد

ان كلمتي « القمح والعوسج » تختصران ابرز مفاهيم المذهب النقدي الذي يحظى بشعبية اكثر من غيره .. اي انهما يفترضان ان يكون النقد عملية ابراز المحاسن والثراء والخصب في الاثر الادبي الى جانب ابراز المعايب والجفاف والظمأ . هكذا يبدأ الاستاذ البصري مقدمة كتابه هذا معللا كلمتي « القمح والعوسج » .

والكتاب يحتوي على مجموعة من المقالات في النقد وفق في بعضها وقصر في البعض الاخر . واذا كان الادب صورة الحياة بما يرسمه لها من معالم قوية بارزة وبما يلقيه من ضوئه الخالد على جوانبها المظلمة فان النقد هو الجانب الاخر لصورة الحياة بتصحيحه لبعض اجزاء الصورة او تكميله لها او توجيهه للفنان نفسه عرض صورته على الناس كما يقول الدكتور ماهر حسن فهمي .

وعندما يطلع القارىء على النقد فانه يضم الى تجاربه تجارب اخرى توسع دائرة معلوماته . والنقد يأخذ بيد الادباء وينير لهم الطريق وكثيرا ما نرى شعراء يحيدون عن منهجهم ويغيرون طريقتهم تحت تأثير حركة النقد ، وكثيرا ما سلط النقد انواره الكشافة على عبقرية فنان مغمور فأصبح من المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان وتشرئب نحوهم الاعناق . فالنقد صورة لازمة للاديب وربما يتطور النقد او تتبدل مقاييسه او تختلف مفاهيمه ولكنه يبقى دائما وابدا موجها مهما تطورت الظروف وتبدلت الاحوال .

يقول المؤلف في صحيفة (١٨) عن الشعر الحر (.. الشعر الحر فهو لا يهدم التراث العربي في الشعر ولكنه يكمله) بينما يقول في صحيفة (١٩) ما يناقض قوله هذا « .. وبالرغم من ظهور ابعاده المستحدثة على سطح الحياة الاجتماعية فان وراء تغيراتها قوة خفية تعمل باستمرار والشعر الحر عادة مستحدثة ظهرت على سطح المجتمع العربي ، ولكن الدراسة العميقة لاصولها واسبابها تثبت انها جزء من التمزق الكبير الذي اصاب الثقافة العربية نتيجة الاتصال بالغرب ، وانها تدل على وجود قوى اجتماعية هائلة كانت تعمل لتغيير وجوه المجتمع » .

في صحيفة (٤٤) يتكلم المؤلف عن النازحين من القرى فيقول : « انهم يحنون الى الماضي .. ويحبون كل ما يذكرهم به » ولا شك ان ابرز صور الريف في المجتمع العربي زراعة القمح ، والذي اراه خلاف

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

في كل مناسبة سعيدة خير هدية تقدمها :

الحرب العالمية الثانية

موضوعات يعالجها الكتاب بجزئيه

- «هتلر» من النشأة الوضيعة الى الذروة
- دور المصفحات في الحرب الحديثة
- الحرب في الجبهات الاوربية كافة
- الحرب في الشرق الاقصى
- الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية
- الحرب البحرية

الجزءان بسعر ١٠٠ ليرة لبنانية



ظهر حديثاً

● جبران حيا وميتا ـ مجموعة تشتمل على مختارات مما كتب ورسم جبران خليل جبران ومما قيل فيه ـ قدم لها وعني بتأليفها واخراجها : حبيب مسعود ـ الطبعة الثانية ـ ٨٥٠ صفحة ـ مع عدة لوحات بريشة جبران ـ حجم كبير ـ اصدرته لجنة جبران الوطنية في بشري لبنان ـ دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● الادب الشعبي ولغته ـ تأليف وليم صعب ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مجلة البيدر ببيروت ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● زوارق العبير ـ مجموعة شعرية ـ مصطفى الجوزو ـ ٢٠٠ صفحة ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● الفنان والتمثال ـ مسرحية ـ تأليف لويجي بيراندللو ـ ترجمة خليفة محمد التليسي ـ ١٦٨ صفحة ـ الكتاب ٤ في سلسلة الكتاب الليبي ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة بطرابلس ليبيا .

● النواعير ـ مجموعة خواطر وتعليقات ـ تأليف جبران مسوح ـ الغلاف بريشة الفنان ارتو ـ الجزء الاول ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الرائد في حلب ـ مطبعة ميتم الروم الكاثوليك في حلب .

● احلام الزورق الغريق ـ مجموعة شعرية ـ عبد القادر حميدة ـ مصمم الغلاف زهران سلامة ـ الرسوم الداخلية لنبيل تاج ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

● قاموس احياء الالفاظ ـ تقديم وتحقيق وشرح اسامة الطيبي ـ الجزء الاول ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الوفاء للطباعة والنشر بدمشق .

● تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب ـ تأليف عبد الرحمن يوسف بن الصايغ ـ حققها وقدم لها وعلق عليها هلال ناجي ـ ١٢٦ صفحة ـ دار بوسلامة للطباعة والنشر بتونس .

● فلسطين ـ افتتاحيات نشرت في جريدة « الحياة » قبل النكسة واثناءها وبعدها ـ تأليف كامل مروة ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات جريدة الحياة ببيروت .

● اصداف الصمت ـ مجموعة شعرية ـ رياض فاخوري ـ ١٠٠ صفحة ـ مطابع الخال اخوان ببيروت .

● الحياة والشباب : كيف تعيش طويلا وتظل شابا ـ تأليف الدكتور اريك تريمر ـ نقله الى العربية محمد اديب العامري ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الغزاة ـ تأليف اندريه مالرو ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● العبقرية المنسية : كامل الصباح ـ تأليف يوسف مروة ـ تقديم سعيد عقل ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات مروة العلمية ببيروت ـ مطبعة فغالي ببيروت .

● الحان عربية على أوتار من الغرب ـ تأليف فؤاد الكعبازي ـ ١٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات صحافيا ببيروت ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● غزليات من الفرات ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية ـ ١١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٨ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ المطبعة السليمية بدير الزور سورية .

● ورد واشواك ـ مجموعة شعرية ـ عبد المجيد اليربوعي ـ ٦٢ صفحة ـ منشورات ادارة الفنون والثقافة بليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة بطرابلس ليبيا .

● معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية ـ تأليف عبد الكريم غلاب ومحمد العربي المساري وعبد الجبار السحيمي ـ الجزء الاول ـ ١٨٨ صفحة ـ سلسلة كتاب « العلم » ـ مطبعة الرسالة بالرباط المغرب .

ما يراه المؤلف ، اذ ليس في كل لحظة يجد الانسان نفسه في حاجة لان يقول الشعر ، ولا في كل حالة يحس الدافع اليه . هناك تجارب شعورية معينة تثير انفعالات شعورية خاصة لا يستنفذها الا التعبير الشعري ، وهؤلاء الشعراء الذين عناهم الاستاذ البصري لم نجمهم في الاربعينيات بعد الحرب العالمية الثانية ولا شك انهم قد عانوا ما عاناه كافة افراد الشعب للحصول على الخبز حيث التجمهر على المخابز والافران والتدافع بالمناكب وهذا هو كان له التاثير الاكبر في اشعارهم وقديما قال الشاعر العربي :

واذا غلاء شيء علي تركته ... فيكون ارخص ما يكون اذا غلا
الا الدقيق فانه قوت لنا ... فاذا غلا يوما فقد نزل البلا

جاء في الكتاب بعض التكرار فمن ذلك على سبيل المثال في صحيفة (١٠٦)

باسمكم يا اخوتي غنيت في ليل التتار

تكرر في صحيفة (١٠٨) وفي صحيفة (١٢٥) وفق الاستاذ البصري في نقد الشاعر حافظ جميل في لهبه المقفى الى ابعد حدود التوفيق مما يستاهل الثناء ويستوجب التقدير .

اما في نقده للمرحوم الاستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري فلم يوفق كثيرا وقد جانب جادة الصواب فمن ذلك ما جاء في صحيفة (١٤٦) حيث ذكر وجود تناقض في قصيدة الناصري قائلا ... فهل يبقى الهلال الى اخر الليل والحقيقة ان القمر يظهر على شكل هلال في التربيع الثاني وقبيل ان يدخل في المحاق .

والحقيقة ان الناصري من اولئك الشعراء الذين ينتسبون في الواقع الى كل قطر والى الانسانية جمعاء ، وقصائده كلها تنبض بحرارة وبعذوبة غنائية فريدة لا نجدها في الشعر العراقي التقليدي او الكلاسيكي كشعر الرصافي كما يقول الدكتور احمد زكي ابو شادي (قضايا الشعر المعاصر صحيفة ٢٠٠) :

ان شعر الاستاذ الناصري ينبض بالحركة ويفيض بالطاقةالشعورية فيستهوي الالباب ويأخذ بمجامع القلوب لما فيه من ايقاع قوي منسق ومن صور وظلال وحلاوة جرس .

وفي الختام لا يسعني الا ان اشيد بالجهود التي بذلها الاستاذ عبد الجبار داود البصري في كتابه القيم هذا الذي ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه واتمنى له مزيدا من التقدم في عالم النقد ولمؤلفاته الرواج والازدهار .

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المؤتمر السادس للدراسات الاسبانية العربية في قرطبة

بقلم عيسى الناعوري

في قرطبة الجميلة ، عاصمة الفكر العربي الاندلسي ، وعلى ضفاف نهرها الشهير المعروف باسم « الوادي الكبير » ـ أو « غواد الكبير » كما يدعونه اليوم بالاسبانية ـ عقد المؤتمر السادس للدراسات الاسبانية العربية من صباح يوم الاثنين ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ الى عصر يوم الاثنين ٢٣ اكتوبر . وكانما جاء هذا المؤتمر ليعيد الى المدينة الاندلسية العريقة مجدها الثقافي القديم ، ويؤكد أنها ما تزال الى اليوم مركزا ثقافيا جديرا بالاهتمام .

لقد كانت قرطبة أول مركز للثقافة العربية الاسلامية في الاندلس، وظلت على ازدهارها الفكري طوال الفترة الاولى من الفتح الاسلامي. فلما قامت فتنة البربر في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري ـ قضت هذه الفتنة على ازدهار قرطبة وعمرانها ، فتفرق علماؤها وشعراؤها ومفكروها ، وانتشر ما كان في قصورها من نفائس الكتب ، فكان ذلك عامل نهضة وازدهار فكري في سائر أنحاء الاندلس .

في هذه المدينة، وفي معاهد الثقافة فيها، ظهر وتتلمذ عدد غفير من ابرز مفكري الاندلس وعلمائها وشعرائها ، من امثال : ابن زيدون ، وابن عبد ربه ، وابن حزم ، وابن رشد ، وابن شهيد ، وغيرهم .

وعلى الرغم من مرور الزمن ، ومن تحرر اسبانيا من كل حكم غريب ، فما زالت الامجاد العربية والاسلامية تتحدث الى الاجيال بلسان العظمة والخلود : من مسجدها المدهش المعجز ، ومن اسوارها وقصورها وقلاعها العربية التي لم تستطع أيدي الزمن ان تمتد اليها بسوء ، وكذلك من الزخارف والنقوش في بيوتها الحديثة التي ماتزال متأثرة بالطابع العربي الصرف . وما يزال الاسباني يعتز الى اليوم بتاريخ اندلسيته العربي ، وبأعلام العرب والمسلمين الذين نشأوا على أرضه ، فهم جزء من تاريخه ، ومن امجاده الخالدة . وهو ماض في تكريم أولئك الاعلام العرب الاندلسيين : يقيم لهم التماثيل في الشوارع والساحات ، ويحتفل بذكراهم احتفالا يدل على الاعتزاز والفخر .

ولقد كان أحدث هذه التماثيل تمثال ابن رشد الذي اقيم في قرطبة ، والذي كان سببا من أسباب عقد مؤتمر الدراسات الاسبانية العربية السادس أخيرا في مدينة قرطبة .

ولست أريد أن اتحدث الان عن مدينة قرطبة التي يبلغ عدد سكانها اليوم مئتي الف نسمة ، ولا عن اثارها العربية والاسلامية الخالدة ، ولا عن نهرها العريض ، او عن مدينة الزهراء القريبة منها عند سفح جبل العروس ، بل أكتفي بالحديث عن مؤتمرها الثقافي الاخير .

هذا المؤتمر هو الحلقة السادسة من سلسلة الابحاث الاسبانية العربية ، وقد اشترك في الدعوة اليه : مدرستا الابحاث العربية في مدريد وغرناطة ، والمعهد الثقافي الاسباني العربي في مدريد ، ومعهد الدراسات الاسلامية في مدريد التابع للجمهورية العربية المتحدة . وقد عهد برئاسة المؤتمر الى المستشرق الاسباني لويس سيكودي لوثينا باريدس ، وعهد بسكرتيريته الى زميله المستشرق منويل أوكانيا خيمينس ، الاستاذ في معهد الدراسات العربية في مدريد .

ولم يكن المؤتمر هذه المرة مقتصرا على مجرد الابحاث في الفكر الاسباني العربي ، بل كان للفيلسوف العربي الاندلسي ابن رشد نصيبه الكبير من ابحاث المؤتمر ، وكان من الحوافز الرئيسية على عقد المؤتمر في قرطبة ، وذلك بمناسبة اقامة تمثال ضخم له في هذه المدينة . ولهذا كان عدد غير قليل من محاضرات المؤتمر يدور على ابن رشد ، وفلسفته ، واثاره الفكرية في العلوم ، وفي الفقه ، وعلى حياته كمفكر وسياسي وطبيب .

كانت حفلة الافتتاح في قاعة الفسيفساء في قصر الملوك المسيحيين. وقد افتتح المؤتمر رئيس بلدية قرطبة ، فالقى كلمة ترحيب بالوفود المشتركة فيه اعرب فيها عن اعتزازه واعتزاز قرطبة بعقد هذا المؤتمر فيها .

ثم كانت المحاضرة الاولى في القاعة عينها لرئيس المؤتمر الاستاذ لويس سيكودي لوثينا . وفي المساء نظمت للوفود جولة ليلية في أحياء المدينة وحول اسوارها العربية .

في الايام التالية كانت الجلسات تعقد في قاعة نادي الصداقة ، وفي كل جلسة كانت تلقى اربع محاضرات أو خمس . واغلب المحاضرات القيت باللغة الاسبانية ، وواحدة منها بالايطالية ، وثلاث محاضرات بالفرنسية . أما اللغة العربية فقد القيت فيها اربع محاضرات فقط، والذين القوها هم : عبد الله كنون (المغرب) وعيسى الناعوري (الاردن) ومحمد بالروين (ليبيا) وأبه ولد انه (موريتانيا) . وهناك اثنان اخران من العرب القى احدهما محاضرته بالاسبانية ، وهو الدكتور خالد الصوفي (سوريا) والقى الثاني محاضرته بالفرنسية ، وهو سليمان مصطفى زبيس (تونس) . ولقد اشترك في المؤتمر عدد كبير من المستشرقين ، والى جانبهم عدة مندوبين من الاقطار العربية .

وكان بين المستشرقين بعض الفرنسيين ، والايطاليين ، والانجليز، والالمان ، الى جانب الكثيرين من المستشرقين الاسبان .

كانت الجلسات تعقد في الساعة التاسعة صباحا ، وتستمر حتى الواحدة ، أو بعدها بقليل ، بعد الظهر . وفي المساء كانت تنظم للوفود حفلات استقبال ، أو ولائم كبيرة ، أو جولات الى هناك وهناك. ومن هذه الجولات واحدة في جامع قرطبة العجيب الخالد ، وأخرى الى قلعة الحرة والجسر الروماني على الوادي الكبير ، وثالثة الى مزرعة المتادور الشهير (القرطبي) أتيح لنا فيها أن نشهد مصارعة بسيطة مع ثلاثة عجول من عجول التدريب ، قام بها ثلاثة من الشبان العاملين تحت التدريب في مزرعة القرطبي . اما الزيارة الاخيرة فقد كانت الى اطلال مدينة الزهراء ، في سفح جبل العروس .

بعد ظهر يوم الاحد في ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٩٦٧ عرض السفير الليبي في قاعة نادي الصداقة شريطا سياحيا ملونا عن ليبيا ، حضره رئيس البلدية وعدد من اعضاء الوفود ، كما حضره سكرتير السفارة السعودية وزميله سكرتير السفارة العراقية في مدريد . وفي نهاية العرض قدم سكرتير السفارة السعودية الى رئيس البلدية عباءة عربية والبسه اياها ، وقدمت أنا ايضا اليه هدية عربية اردنية تتألف من شماغ أحمر وعقال ، والبسته اياها . ، وقد القى كلمة قصيرة ، وهو يرتدي هذه الملابس ، عبر فيها عن تقديره لهذه الهدايا العربية ، واعتباره اياها عربونا للصداقة المتينة التي تربط بين العرب واسبانيا.

وفي مساء ذلك اليوم عينه اقام رئيس البلدية حفلة عشاء كبرى تكريما للوفود ، وقد ذكر في الكلمة التي القاها على المائدة انه يعتز بانه يحمل اسما عربيا هو (دي قزمان) أي ابن قزمان . وابن قزمان هو اشهر زجال عربي عرفه تاريخ الاندلس العربية ، وكان من قرطبة.

في اخر يوم من أيام المؤتمر – الاثنين ٢٣ – ١٠ – ١٩٦٧ – عقدت الجلسة الاخيرة في نادي الصداقة . وعند الظهر انتقلت الوفود كلها الى الساحة التي اقيم فيها تمثال ابن رشد ، حيث جرى احتفال رسمي كبير – على الرغم من المطر – بازاحة الستار عن التمثال . وكان الاحتفال برئاسة رئيس البلدية ، وبحضور رجال الحكومة المحلية، والسفير الليبي ، وممثلي السفارات السعودية ، والعراقية ، والموريتانية الموجودين . وقد عزفت فرقة موسيقى البلدية النشيد الوطني في بداية الاحتفال وفي ختامه ، والقى رئيس البلدية كلمة عن ابن رشد الفيلسوف والعالم العظيم ، وأعرب عن اعتزاز قرطبة بان يكون ابن رشد احد ابنائها .

بعد الاحتفال انتقلت الوفود الى قصر الملوك المسيحيين القريب ، لكي يكون ختام المؤتمر في قاعة الفسيفساء عينها التي تم فيها افتتاحه . وكانت الجلسة الختامية برئاسة رئيس البلدية ، وبحضور كل من اشتركوا معه في تدشين التمثال من الرسميين . واستمعت الوفود الى اخر محاضرات المؤتمر وكانت للدكتور حسين مؤنس . فلما انتهى منها نهض رئيس البلدية ، وشكر الوفود والقائمين على المؤتمر، وأعلن ختام اعمال المؤتمر رسميا .

هذه خلاصة موجزة لاعمال المؤتمر خلال الايام الثمانية التي عقد فيها . وانني لاعتقد انه كان ناجحا الى حد بعيد . واني لشديد الاعتزاز بانه كان لي شرف المشاركة فيه ، وتمثيل بلدي في مؤتمر يكرم فيه احد نوابغ امتي العربية العظام هو ابن رشد .

بعد أن انتهى مؤتمر قرطبة هذا أتاحت لي وزارة الاعلام والسياحة الاسبانية فرصة للقيام بجولة في ربوع الاندلس زرت فيها غرناطة ، وملقة ، واشبيلية ، كما زرت فيها طليطلة ، والاسكوريال ، وشاهدت الاثار العربية الخالدة التي تملأ النفس اعتزازا بالماضي العربي المجيد ، بمقدار ما تملأ النفس ألما لحاضر الامة العربية . وليس هذا مجال الحديث عن هذه الجولة الاندلسية .

عمان – الاردن — عيسى الناعوري

•

التعليم المهني واهميته بالنسبة للبنان

بقلم الدكتور جميل جبر

لقد اصبح للتعليم المهني ، في مختلف حقوله ، شأن بارز في عصرنا . ولا عجب فالتصنيع ميزة التطور في هذا الزمن . واكثر البلدان نموا هي اكثرها تصنيعا اي اكثرها استخداما للالات في اعمالها الانتاجية .

والتصنيع يقوم على ثلاثة عناصر رئيسية : رأس المال ، العنصر البشري المهيأ والاسواق . وربما كان العنصر البشري المدرب للعمل تخطيطا وتوجيها وتنفيذا هو الاهم ، لان رأس المال يتوافر لكل مشروع يثبت مردوديته وقابليته للتقدم ولان الاسواق الخارجية تتأثر بالمنافسة التجارية نوعا وسعرا ، وللادارة دورها الكبير في تسهيل المهمة عن طريق الحماية في نقطة الانطلاق والمعاهدات الاقتصادية في سائر المراحل .

اما المادة الاولية او الخام فلا تبدو ، على اهميتها ، عنصرا رئيسيا بدليل ان الدول الصناعية الكبرى ، باستثناء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، تعتمد على استيراد هذه المواد . فانكلترا التي اشتهرت بصناعة النسيج تستورد كل موادها الخام من الخارج ثم تصدرها ناجزة الصنع .

وفي هذه الوقائع رد على سؤال فيه شك بامكانية التصنيع في لبنان لقلة المواد الاولية فيه .

معلوم ان تربة اسرائيل ليست باغنى من تربة لبنان ومع هذا استطاعت ان تطور صناعتها وتصنيعها الزراعي الى مدى بعيد .

وقد علمتنا المحنة الاخيرة ان التفوق الصناعي عامل مهم في تقرير مصائر الشعوب فكيف السبيل للسير الصاعد في نهج تصنيعي يلائم مقتضياتنا الحياتية .

ان القضية بالنسبة الى لبنان هي قضية عنصر بشري متخصص ليس على مستوى المهندسين بل على مستوى ملاكات التنفيذ من معاوني مهندسين ورؤساء ورش ووكلاء وعمال مدربين ومزارعين مدربين ، اي على مستوى المتخرجين من مدارس التعليم المهني الذي يشمل الزراعة .

لا شك ان الاقبال على التعليم المهني آخذ بالازدياد لا سيما بعد ان انشأت الدولة بعض المدارس العصرية في مختلف المحافظات . لكن هذا الازدياد يبدو بطيئا بالنسبة للمتطلبات ، فهو ما زال عاجزا عن تلبية الحاجة الحاضرة فكيف لو تكاثف التصنيع ، وهو ما نرتجيه في تركيز اقتصادنا على قواعد ثابتة وفي اقامة بعض التوازن بين عناصر دخلنا القومي فنرفع معدل الصناعة المنخفض جدا (١٢٪) .

حسنات هذا التعليم

ومن حسنات التعليم المهني انه يخفف الضغط عن التعليم الثانوي والجامعي توجها الى المهن الحرة ، هذا التعليم الذي يهدد بازمة بطالة خطيرة ويجعل مردوده اقل من كلفته طارحا قضية الانفاق في سبيله على بساط البحث من حيث انتاجيته وجدواه .

الكثيرون من حملة البكالوريا يسعون الى وظيفة ادارية باجر شهري يقل عن اجر العامل الامي ومنهم من لا يحالفه الحظ فيبقى عالة على المجتمع . بينما العامل المهني المتخصص زراعيا او صناعيا يكسب ضعفي هذا الاجر ووكيل الورشة او معاون المهندس اضعافه فضلا عن ان هؤلاء لا يضطرون دائما بحكم اعمالهم الى السكن في المدن المكتظة بالموظفين نظرا لتمركز الادارات والمؤسسات الكبرى فيها ولا يتكبدون مصاريف باهظة للايجار اذ يقطنون الضواحي والقرى التي تقفر يوما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيومـا .

التعليم المهني يساعد اذن على نهضة القرية اللبنانية وقد يحل مشكلة انصاف المتعلمين وحتـى خريجـي الجامعات الفائضين عن حاجات البلاد . وفوق هذا يؤثر على التطور الاقتصادي وزيادة الدخل عن طريق تعزيـز الصناعة والزراعة اللتـين بدورهما تنميان التجـارة والخدمات العامة .

وللتعليم الزراعي بما فيه تربية المواشي والدواجن اهميته الخاصة بالنسبة الى لبنان لان نصف سكانـه يعيشون على الزراعة التي لا يكاد يتجاوز معدلها بالنسبة للدخل القومي العام ١٥٪ وقد كان هذا المعدل قبل ١٣ سنة حوالي ٢٠٪ .

وتعود ضآلة هذه النسبة الـى قلة الاختصاص والدربة مما يجعل استثمار الارض زراعيا ادنى بكثير من حده الاقصى كما يهبط بمستوى النوعية فـي الانتاج . ولا تختلف الحال عن ذلك في تربية المواشي والدواجن . فحبذا لو نشأت في كل منطقة مدرسة زراعية وصناعية رسمية كانت ام خاصة ، تدرب علـى احدث الاساليب والوسائل . ولا نعلن سرا لو قلنا ان في اسرائيل مئـة ومدرستين بين مهنية وزراعية تمول معظمها مؤسسات خاصة .

العمـل اليـدوي

يقال ان اللبناني لا يحب العمل اليدوي ويؤثر عليه العمل العقلي حتى لو نال منه نتيجة ادنى . والواقع ان الانسان ، بطبيعته ، عدو لما يجهل . والمسؤولية هنـا تقع ، الى حد كبير ، على طريقة التعليم فـي المدارس العامة ، لان الطالب يكاد يجهل كل شيء عـن الحرف والمهن والصناعات والزراعات والتربية الحيوانية فـي الصفوف الابتدائية والثانوية بينما البلدان المتطورة تدخل في برامجها التعليمية دروسا خاصة للتعريف والتحبيب بمختلف الحقول المهنية التي يمارس فيها العمل اليدوي فضلا عن المشاغل والمحترفات التي تجاور المدارس والتي يؤمها الطلاب على سبيل الهواية والاختبار فينمو فيهم الميل الى « القردحجية » Bricolage مرحلة التدرج الى المهن .

ثم ان التعليم عندنا ما زال نظريا في معظمه بينما هو في المفهوم العصري يجري اكثره في المختبر وفـي قلب الطبيعة فيفسح للطالب مجال ممارسة العمـل اليدوي فيحبه ويحترمه .

بعد هذه المرحلة التمهيدية التـي يتعرف فيهـا الطالب من قريب الى سائر المهن يبدأ طور التوجيه المهني والاختيار بواسطـة اساليب البسيكوتكنيك والسبـر النفساني فينصرف بعضهم حسب كفاءاته الـى التعليم الجامعي والبعض الاخر الى المهن التي قد يبرع فيها .

وفي سبيل اثارة نهضة فعالة في التعليم المهنـي لا بد من تضافر جهود الدولـة والبلديات والمؤسسات الخاصة بحيث تنشأ المدارس الاولية بعـد الشهادة الابتدائية ، والثانوية بعد الشهادة التكميلية التي تعطـي بكالوريا تقنية .

ان شأن التعليم المهني خطير بالنسبة للبنـان ولا سيما في هذه المرحلة التي تتوثب فيها البلدان العربيـة جمعاء الى النهوض العلمي والتقني علـى اسس وظيفية حديثة تلبي مقتضيات التطور .

جميل جبر

•

تمويل التعليم في لبنان

من النتائج المباشرة للابطاء في وضع خطة تنمية اقتصادية واجتماعية طويلة المدى في لبنان ، اننا لا نملك بعد خطة تربوية جديرة بهذا الاسم . فالخطة التربوية توضع في ضوء الخطة الاقتصادية والاجتماعية ، ومـن الاهداف الوطنية في الانتاج والتوزيع تنسحب اهداف النظـام التعليمي وتتحدد حاجات البلد لاعداد السكان في كـل مرحلة من مراحل التعليم وفي كل نوع من انواع الكفاءات التي ينتجها النظام التعليمي . وتكون كلفة الخطة التربوية هي قيمة الانفاق اللازم لتأمين تلك الحاجات .

وفي غياب الخطة التربوية ، يمكن اعتبار الانفـاق الفعلي على التعليم مقدار ما يبذل من جهد على التعليم . فقد بلغت اعتمادات وزارة التربية الوطنية فـي مشروع الموازنة الاخير حوالي ١٠٥ مليون ليرة ، اي مـا يصل الى حوالي ١٥ بالمئة من مجموع الموازنة . وتعتبر هـذه النسبة من اعلى النسب في العالم كما يتبين من الجدول التالي المأخوذ من بيان المكتب الدولي للتربية في جنيف عن النسبة المئوية المخصصة للتعليم فـي موازنات بعض الدول في السنوات الاخيرة :

سوريا	١٨ ٪	افغانستان	١٥ ٪
مصر	١٣	لبنان	١٥
تركيا	١١	روديسيا	١١
اليابان	١٠	السويد	٩
بلجيكا	٨	اسبانيا	٨
فرنسا	٨	يوغسلافيا	٨
بريطانيا	٦	الولايات المتحدة	٢

ويجدر بالذكر ان هذه النسب قد تؤدي الى الخطأ

اذا اعتبرت وحدها ، لان الانفاق على التعليم لا يقتصر على ما يخصص في موازنة الدولة العامة في كثير منها ، بل يتعداه الى ما يخصص في موازنات الادارات المحلية في بعضها والى انفاق القطاع الخاص في معظمها . لذلك قد تكون نسبة الانفاق العام والخاص الى الدخل الوطني اكثر صدقا في تمثيل الجهد الاجمالي على التعليم . ولا تتوفر لدينا احصاءات دقيقة عن انفاق القطاع الخاص على التعليم في لبنان . ولكن بعض الارقام قد تمكننا من الوصول الى تخمين له .

فقد بلغ التوزيع التقريبي للتلامذة والطلاب بين مدارس ومؤسسات القطاع العام ومدارس ومؤسسات القطاع الخاص ما يلي :

	قطاع عام	قطاع خاص
الابتدائي على انواعه	١٨٠ر٠٠٠	١٩٠ر٠٠٠
الثانوي	١١ر٠٠٠	٦٥ر٠٠٠
الجامعي	٦ر٠٠٠	١٢ر٠٠٠
	١٩٧ر٠٠٠	٢٦٧ر٠٠٠

فاذا اخذنا بعين الاعتبار ما يلي :

ـ ان كلفة التلميذ الابتدائي في القطاع الخاص اقل بكثير من كلفة التلميذ الابتدائي في القطاع العام .

ـ ان التعليم الجامعي في المؤسسات العامة لايشتمل على الطلبات ذات التكاليف الباهظة (الطب ، الهندسة . .) امكننا التخمين بان انفاق القطاع الخاص على التعليم في لبنان يفوق انفاق القطاع العام (١٠٥ مليون ليرة) وقد يبلغ ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ مليون ليرة في السنة . وهذا ما يجعل مجمل الانفاق على التعليم في لبنان (حوالي ٢٥٠ مليون ليرة) يبلغ حوالي ٨ الى ٩ بالمئة من الدخل الوطني . وهي نسبة مرتفعة جدا ، قد تكون بين اعلى النسب في العالم . كما يظهر من الجدول التالي الذي يبين النسبة المئوية المخصصة للتعليم من الدخل الوطني في بعض البلدان :

سوريا	٣ ٪	بريطانيا	٣ ٪
مصر	٢ر٥	بلجيكا	٣
تركيا	٢	اسبانيا	١
اليابان	٤ر٥	فرنسا	٢ر٥
السويد	٣ر٥	الولايات المتحدة	٣

ويجب الا تكون هذه النسبة المرتفعة من الدخل الوطني التي ننفقها على التعليم سببا للتمادي في الرضى عن النفس ، فكلنا يعرف اننا ما زلنا بعيدين عن الوصول الى كل غاياتنا من نظامنا التعليمي ، وقد يكون تفسير ارتفاع النسبة في احد الاسباب التالية :

اولا ـ تقدير منخفض للدخل الوطني .

ثانيا ـ ارتفاع في كلفة التعليم في لبنان نرى بعض مظاهره في فتح مدارس كثيرة تعجز عن اجتذاب العدد الملحوظ لها من التلاميذ ، وفي تراكم اعداد كبيرة من المعلمين في مناطق محدودة ، وفي الايجارات العالية التي تدفع دون النظر الى كلفة الخدمة الحقيقية ولاعتبارات غير تربوية .

ثالثا ـ عدد السكان قد يكون اقل من العدد الامثل بالنسبة لكلفة التعليم ، مما يزيد كلفة التجهيزات الاساسية التي يضطر الى حملها النظام التعليمي ويرفع كلفة تعليم الفرد .

ورغم هذه الكلفة المرتفعة للتعليم في لبنان ، فانه يواجه كثيرا من المشاكل يقتضي حلها انفاقا اكبر . فوزارة التربية الوطنية لا تكتفي بموازنتها التي تتزايد بمعدل يقرب من ١٠ بالمئة في السنة ، وتطلب باستمرار زيادة اعتماداتها حتى بوسائل غير طبيعية مثل (رسم العلم) الذي يتردد الحديث عنه بين فترة واخرى من اجل تحقيق مشروعين اثنين من مشاريعها : تعميم التعليم الابتدائي ونشر التعليم الثانوي .

والواقع ان لبنان ، شأن معظم البلدان النامية ، يواجه مشكلات متعددة تحتاج الى تمويل ، ويتعين عليه حلها في السنوات القادمة . من اهم هذه المشاكل تعميم التعليم الابتدائي المجاني ، زيادة سنوات التعليم الالزامي ، تحسين نوعية التعليم في المراحل التكميلية والثانوية ، زيادة الاهتمام بالتعليم الفني والمهني (صناعي ، تجاري ، زراعي ، سياحي) التوسع في التعليم العالي وفق حاجات الانماء الاقتصادي والاجتماعي ، اعداد المعلمين والمعلمات ، العناية بالبحوث والدراسات التربوية ، تشجيع البحث العلمي .

ونحن نعلم ان هذه المهام ذات بعدين : الاول افقي يتوقف على ازدياد عدد السكان الذي ينتج زيادة طبيعية في عدد الاولاد في السن الدراسية تبلغ حوالي عشرة الاف ولد في السنة . والثاني عامودي يتوقف على نوعية التعليم الذي نريده لابنائنا في مراحله الابتدائية والثانوية والجامعية ، ويتحدد الى مدى كبير بالتحدي الذي نجابهه من عدو يتميز بالتفوق في التجهيز البشري ، وبالتطلع الحضاري الطموح الذي نتميز به .

وهذا ما يجعل عبء التمويل في حقل التعليم اكبر ويتطلب اعادة النظر في النظام التربوي في ضوء الاعتبارات التالية :

اولا ـ تلاؤم النظام التربوي مع اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا ـ القضاء على كل انفاق غير مجز ، بحيث لا تحمل مواردنا كلفة اكبر من الكلفة اللازمة ولا تصل الى مردود اقل من المردود المرغوب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استفيدوا الآن من

التعرفة العائلية

الخاصة في رحلاتكم في الشرق الاوسط

تخفيض ٥٠٪



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمنح هذا التخفيض بالشروط الآتية :

١ – يجب ان تتم الرحلة بكاملها بالدرجة السياحية وفي الحدود الجغرافية لمنطقة الشرق الاوسط (البحرين والعراق والاردن والكويت ولبنان وقطر والمملكة العربية السعودية والسودان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة واليمن).

٢ – يجب ان يدفع الزوج (او الزوجة) بصفته رب العائلة التعرفة العادية ذهابا وايابا بالدرجة السياحية.

٣ – الزوجة (او الزوج حسب الحالة) المرافقة والاولاد من ١٢ الى ٢٦ سنة يدفعون ٥٠٪ فقط من التعرفة العادية الكاملة ذهابا وايابا بالدرجة السياحية.

٤ – يجب على جميع افراد العائلة السفر معا طوال الرحلة. فاذا تعذر ذلك بسبب عدم وجود اماكن في الطائرة، وجب على الافراد المتخلفين من العائلة المبادرة الى السفر بأول طائرة لاحقة تابعة لأية شركة طيران تتوفر فيها الاماكن.

٥ – يجب ان تتم الرحلة بأكملها خلال المدة من ١٥ تشرين الاول الى ١٥ آذار. يحق لرب العائلة وحده استعمال قسيمة العودة من تذكرته خلال مدة سريان مفعولها العادية.

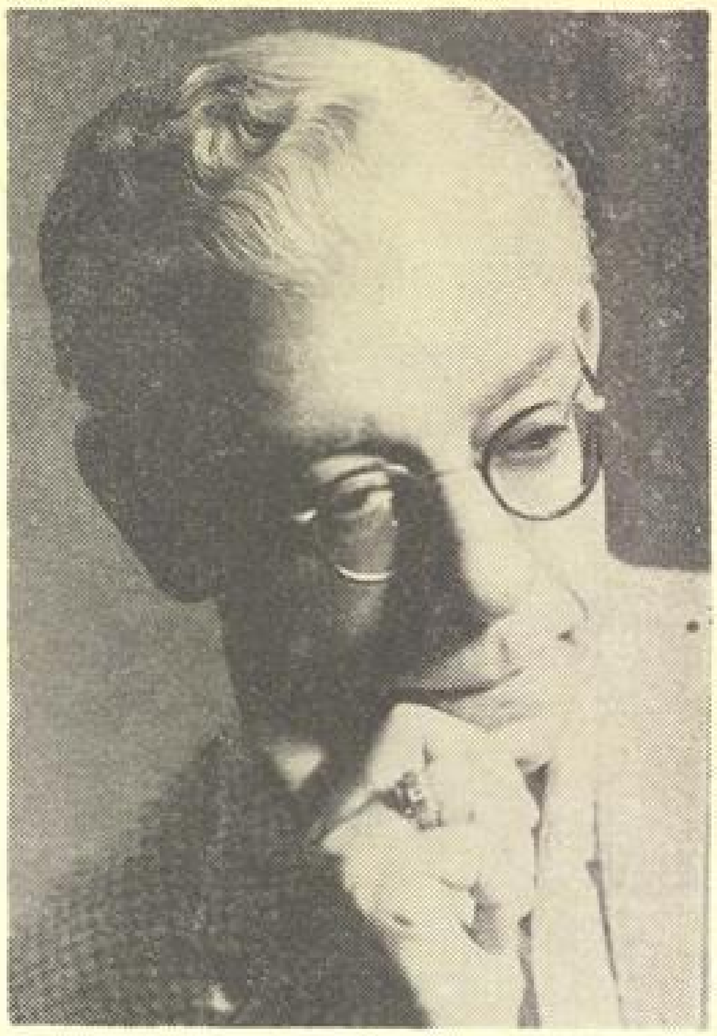
طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية يقدم لكم كل اسبوع ٥٠٠٠ مقعد على متن طائراته من بيروت الى بلدان الشرق الاوسط.

للاستعلامات وحجز التذاكر خابروا وكيل
سفرياتكم المعتمد لدى "ايماتا" او :

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

Associée d'AIR FRANCE

مكتب الحجز مفتوح ليلا ونهارا – تلفون ٢٩٢٢٢٠ (١٠ خطوط)
مكاتب بيع التذاكر : باب ادريس – تلفون ٢٩٢٤٠٠ (٢٠ خطا) – يمكن شحن البضائع على جميع الخطوط



ابراهيـم المصـري

ابراهيم المصري، الطب، الانسان

بقلـم نقـولا يوسـف

* * *

كلما سألت نفسي عن سبب تريثي في الكتابة عن الاديب المعاصر الكبير، والصديق الوفي القديم ابراهيم المصري وقفت دائما عند جواب ذي شطرين ، احدهما : ان مقالة مهما طالت لا تسع حياة أشبه بالشجرة الشامخة العتيدة ، وأدبا كالاغصان المتشعبة المديدة ، الا أنها شجرة تعلو كل يوم وتزهر ، وترتجى وتثمر .. حياة تيعنت في الطول على الستين ، وفي العرض على المئتين .. وانتجت من ثمار الكتب ما أربى على الثلاثين .. واختزنت عاطفة مشبوبة لم تزل في رونق العشرين ! «حياة أديب أعطى الحياة الادبية كل جهده ونشاطه ، وظل لمدى نصف قرن يغذيها بقصصه ومقالاته ومترجماته ودراساته » .

وثانيهما : ان مريديه ما برحوا يتوقعون ان يصور لهم هذا الكاتب الصريح ، بقلمه البارع الخبير ـ قصة حياته ، وكفاحه وخبراتـه ، وذكرياته واعترافاته ـ في كتاب لا يلبث أن يصبح مرجعا أصيلا في تاريخ الحركة الثقافية العربية في نصف القرن الاخير .. وكان قد شرع منذ عهد قريب في نشر البعض من هذه التجارب والذكريات تارة في مقالة ، وأخرى في قصة او في حديث صحفي يمليه ..

ثم طرب قراؤه يوم أخرج لهم الاديب الفنان ، فوزي سليمان (في ديسمبر ١٩٦٥) كتابا عن « ابراهيم المصري وأدبه ـ دراسة تحليلية » .. وجاء الكتاب في ثمانين صفحة ، ومع ذلك ختمه مؤلفه بقوله : « ان الكلمة الاخيرة عن ابراهيم المصري لا يمكن ان تحققها دراستنا المتواضعة هذه ، لان الكاتب ما يزال يبدع وينتج ، وهو قد يتطور ايضا وتبرز فيه امكانيات جديدة تقتضي من الناقد المنتبه اليقظ بحثا أوفى وأشمل » .

ولقد بدأت صلتي بالكاتب ابراهيم المصري ، في القاهرة ، حيث ولد ونشا ، وكتب واشتهر ، وما زال بها مقيما لا يبرحها الا فيما ندر..

وكان ذلك في العشرينيات التي أعقبت ثورة عام ١٩١٩ .. وكان طبيعيا ان نتعارف ونتآلف في تلك الفترة الانتقالية التاريخية ، التي انتفض فيها الشعب بأسره ، وانطلق من عقاله ، كما تنطلق الطيور الحبيسة الى الفضاء الرحيب ، مضطربة بين أشياء كثيرة فوتها عليها القيد الطويل الامد .. وكنا في زهرة العمر وفسحة الامل ، نعيش مع عاصمة صارخة تعاني مخاضها . نصحو على شعارات الحرية والاستقلال ، وهتافات بسقوط الاحتلال والاستغلال . ونضحى على مصادمات بين الرجعية الجامدة ، وبين التقدمية الصاعدة . ونمسي على اجتماعات ومجالس وبعكوكات ، يضم بعضها المجددين الثائرين من أهل القلم والساسة والفنانين ، ويلم البعض الاخر أهل القديم المستكينين من المحافظين والرجعيين والنفعيين .. وفي احدى ندوات أصحاب الجديد في قهوتهم ، وكانوا يطلقون عليها اسم : « مدرسة الادب الحديث » عرفت ابراهيم المصري ، الفتى الثائر والاديب المكافح .. وظلت صداقتنا الى الساعة متجددة ، لم تبلها صروف الزمان وتغيرات المكان !.

اما حياته فقصة عنوانها : « الكفاح » كفاح الفقر ، وكفاح المرض، وكفاح الرجعية والجهل .. فقد قدر له ان يعيش فقيرا مستورا ، ومريضا متداويا ، ومفكرا سابقا لعصره ، واستطاع بارادته ان يتغلب على هذه العقبات ..

ولد ابراهيم المصري بالقاهرة في ٢١ نوفمبر ١٩٠٠ ونشا في حي « القبيسي » بالفجالة ..وكان لهذا الحي الشعبي العتيق أثر عميق في نفسه ، وكثيرا ما انعكست انطباعاته على مقالاته وقصصه .. وشب في أسرة طيبة متوسطة الحال يعولها والد موظف بالمحكمة المختلطة ذو مرتب صغير ، توفي تاركا في مهب الريح عددا من الصبية أكبرهم ابراهيم التلميذ بالمدرسة فخرج منها ليعول نفسه وأسرته ..

وكان هذا الوالد مولعا بحفظ الشعر العربي القديم ، والتحدث عن المتنبي والبحتري وابي تمام ، يتلو أبياتهم بين الحين والحين .. وكان ابنه ابراهيم يصغي اليه وهو ينشدها بطريقته الخاصة ، فتتفتح بذور الملكة الادبية الكامنة في نفسه منتظرة الري والسقي لتنمو وتزدهر .. « وقد أشاع في ميل أبي الى قول الشعر وتحدثه الدائم عن الشعراء شغفا بالادب ألهبته في نفسي مطالعة القصص البوليسية اولا ثم القصص الادبية التي كانت تنشرها مجلات ذلك العصر ولا سيما « مسامرات الشعب » ..

وكان قد أدخل بأحدى المدارس الفرنسية بالقاهرة حيث تلقى دراسته الابتدائية وبخاصة مبادىء العربية والفرنسية ، ثم انتقل منها الى « كلية الخرنفش » ليتلقى المواد التي تؤهله للحصول على شهادة الدراسة الثانوية المتوسطة (الكفاءة) وكان بين معلميه هناك أستاذ أديب هداه الى مؤلفات كتاب الادب الفرنسي الكبار فأولع بفلوبير واميل زولا وبلزاك وموباسان وستندال من القصاصين ، وباعمال بسكال وفولتير ومنتسكيو ودوسو من المفكرين ، مما فتح عينيه على أضواء جديدة للفن والفكر .. ثم أخذ يطالع روائع المسرح العالمي مما خلفه الاغريق وشكسبير وجيته وراسين وأبسن .. وهكذا اقترن في ذهنه حب الفكر بحب القصة وشغلته هذه المطالعات عن مواد مدرسته المؤدية الى النجاح في الامتحان ، ولم يظفر بهذه الشهادة ، ووقف في التعليم المدرسي عند هذا الحد ..

وخرج أديبنا يبحث عن مورد للعيش ، وليستكمل في جامعة الحياة ما فاته من خبرات ودراسات .. ووجد بعد عناء وظيفة في « البنك العقاري المصري بالقاهرة » مدونا «للكوبونات » .. وظل عدة أشهر يغالب رتابة العمل اليومي وقيد الوظيفة وذلها ، ويفر أحيانا الى كتاب ادبي او قصة يخفيها في درج مكتبه ، ولكنه لم يستطع ان يغافل عين رئيسه في المصرف طويلا ، ولم ير هذا في تلك الكتب التي يكدسها في مكتبه غير ملهاة لا تمت لاعمال المصرف بصلة فحذره مرة واخرى ، وانتهى الامر بفصله ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظل اديبنا ثلاث سنوات متعطلا يبحث عن عمل ، ولكنه لم يضع هذه السنوات هباء .. فكان يذهب كل صباح الى دار الكتب بناحية « باب الخلق » بالقاهرة ، ويكب على المطالعة والتثقف بالمجان . وفي الظهر ينتحي مكانا من مطعم شعبي يقدم الفول ، ثم يعود الى دار الكتب ويلزمها حتى توصد أبوابها .. وأما الليل فالى بعكوكات الادباء ومقاهي الفنانين ، والى « مدرسة الادب الحديث » !..

وكانت تلك الجماعة التي أطلقت على منتداها « مدرسة الادب الحديث » تضم عددا من الادباء الشباب الداعين الى التجديد في الادب العربي ، والخروج به الى الميدان العالمي ، والاحتفاظ بروحه القومي ومظهره المحلي الشعبي .متسابقين الى قراءة أهم المؤلفات في الادب الاوروبي الذي يطمحون الى مناقشته ..

وظل أفراد هذه الجماعة يجتمعون (فيما بين ١٩١٨ و ١٩٢٥) في المقاهي والبيوت ويتفرقون ، ويتناقشون فيما طالعوه من كتب انجليزية وفرنسية ، وما ترجم اليهما من قصص روسية والمانية . وينشرون في بعض الصحف محاولاتهم في القصة القصيرة والنقد الادبي .. وفي مقدمتهم : الكاتب المسرحي محمد تيمور (حتى وفاته عام ١٩٢١) ، وأحمد خيري سعيد (المتوفي عام ١٩٦٢ وكان قد هجر مدرسة الطب الى الصحافة وترك الكثير من القصص والمقالات منشورة في الصحف والمجلات ، وأطلق عليه لقب « ناظر المدرسة ») ، ومحمود طاهر لاشين (مهندس التنظيم المتوفي عام ١٩٥٤ وصاحب مجموعات قصصية تصور المجتمع المصري ومنها «يحكى ان » و « حواء بلا آدم » وغيرهما) .. ودكتور حسين فوزي (الفنان العالم الرحالة ـ صاحب عدد من المؤلفات في الموسيقى والتاريخ والرحلات) .. وحسن محمود صاحب قصة « الجدة الصغيرة » وغيرها ، وابراهيم المصري .. وآخرون ..

وبدأ هؤلاء الادباء ينشرون بواكير نتاجهم في صحيفة « السفور » التي ظهرت عام ١٩١٥ وفي بعض الصحف الصغيرة ، ثم انشأوا لهم مجلة اسبوعية باسم : « الفجر » ظهر عددها الاول في يناير ١٩٢٥ .. ونشر بها أيضا الى جانب الرواد السالفي الذكر : محمود تيمور ، ويحيى حقي ، وابراهيم ناجي ، وفرج جبران وغيرهم . ثم توقفت المجلة بعد ان تكبدت خسائر مالية ..

وقد سجل بعض الكتاب في السنوات الاخيرة ذكرياتهم عن هذه المدرسة وأدبائها ومنهم يحيى حقي في كتيب نشره بعنوان « فجر القصة المصرية » .. والدكتور حسين فوزي في مقالة طريفة بجريدة الاهرام جاء بها :

« لم يطلقوا على جماعتهم اسم « المدرسة الحديثة » تزعما ولا تحديا وادعاء ، بل تندرا وسخرية بأنفسهم وتعاليمهم الثائرة . فهم مدرسة السخرية بالحياة البرجوازية الرتيبة ... مخلصون لما كانوا يسمونه المثل العليا في الفن والادب ، يطالعون ويناقشون الادب الروسي العظيم قبل الثورة البلشفية ، ويبحثون عبثا عما جاءت به تلك الثورة من أدب جديد ... ثم ينصرفون الى الآداب اليونانية القديمة والانجليزية والفرنسية والالمانية .. كلهم نشأوا على معرفة قويمة بأدبهم العربي ، ينادون بتجديد أنماطه وقوالبه مع الاحتفاظ بسلامة اللغة ، وان ذهب بعضهم الى المطالبة بالتحرر من قيود الفصحى في الرواية العصرية او على الاقل في لغة الحوار...مجهولون مجهولون ينزعون في انطلاق فكر عجيب نحو التجديد في شتى مظاهر الحياة المصرية ، وينفعلون بتاريخ بلادهم كله : فرعونيا وقبطيا واسلاميا .. يشنون حملات للاصلاح في صحف هزيلة منزوية ... وتهاجم أساتذة الجيل الكبار دون ان نقرأ لهم شيئا وهم لا يحسون بوجودنا ... »

وبينا كان ابراهيم المصري يتنقل كالطائر الشريد بين تلك الندوات والجماعات ، وبين دار الكتب ومسارح التمثيل ، اذا بالقدر يفجأه بموت شقيقه الاصغر عقب مرض صدري وكان يعمل مدرسا في احدى المعاهد الفرنسية بالقاهرة . وجاءه مدير هذا المعهد وطلب اليه ان يشغل هذا الفراغ الذي تركه أخوه في منتصف العام . ودفعته الحاجة الى قبول هذه الوظيفة على مضض .. واشتغل بالتدريس في ذلك المعهد حوالي ست سنوات (١٩٢٤ ـ ١٩٣٠) .. ولكنه لم ينقطع خلالها عن المطالعات ، كما حاول ان يكتب بعض القصص والمقالات ، ويرسلها الى بعض الصحف والمجلات ، كان منها السفور ، والفجر ، ثم البلاغ اليومي والاسبوعي ..

ثم حدث أن اختلف مع مدير هذه المدرسة على الاجر .. فتركها ولم يعد بعد ذلك الى مهنة التدريس .. وتعطل فترة حتى ارسل اليه صاحب البلاغ ـ الذي عرفه من مقالاته التي نشرها له ـ يطلبه للعمل محررا بجريدته ..

الصحفي الاديب

ولنرجع لحظة الى عام ١٩٢٠ ـ والشاب ابراهيم المصري ابن العشرين ـ يعاني أزمة باكرة في حياته المليئة بالشدائد والازمات .. كان يبحث عن مورد للرزق ، وكان فقيرا مفلسا ويعوزه الجواز المدرسي « الشهادة » التي تؤهله لاحدى الوظائف . وكل ما يملك في دنياه قلم أديب فنان طموح لا يشفع في غير عمل صحفي عدته القلم وحده .. وكان من الصعب فيما مضى ان يعيش الاديب من أدبه ، ولهذا اشتغل معظم حياته بالصحافة ليعيش وان كان أديبا قبل ان يكون صحفيا ..

واذا بصديقه الكاتب احمد خيري سعيد يهبط عليه في القهوة ويبشره بالعثور على عمل لهما بجريدة « الامة » بالاسكندرية .. فليعد أمره للسفر اليها في صبيحة الغد .. وحمل الزميلان قلميهما وارتحلا. وكانت جريدة « الامة » هذه تصدر هناك منذ ان انشأها المرحوم توفيق طنوس عام ١٩١٥ ثم اتخذها عبداللطيف الصوفاني من زعماء « الحزب الوطني » عام ١٩٢٠ لسانا لحزبه .. واشترك الاديبان في تحرير بعض أبوابها مع رئيس تحريرها سعيد طليمات ، وكتابها : العرارجي ، وسليمان حافظ وعوض جبريل .. وعكفا على العمل أياما ثم طلبا مبلغا من المال (تحت الحساب) يستعينان به على العيش ، فنفحتهما ادارة الجريدة ستة قروش ، واتضح لهما ان الجريدة تعاني مثلهما أزمة مالية ، واشترى الاديبان بهذه القروش مقدارا من الفول السوداني سدا به الرمق وهما يتمشيان على شاطىء البحر ، ويتناقشان في تجديد الادب .. ولما عادا مرة اخرى يطلبان نقودا استمهلهما مدير الصحيفة ، فثارا واعتزما على الرحيل .ولما لم يكن معهما أجر السفر باعا شيئا من ملابسهما وكتبهما ، وعادا الى القاهرة يبحثان عن عمل ..

وبعد لأي عثر الزميلان على عمل بجريدة « المنبر » اليومية بالقاهرة ـ وكانت صحيفة قديمة أسسها عام ١٩٠٦ المرحومان محمد مسعود وحافظ عوض .. ثم أصدرها الاديب جورج طنوس ـ وكانت ايضا في ضيق مالي ، فامتثلا لحكم القدر وقبل كل منهما مرتبا شهريا قدره اربعة جنيهات كانا يتقاضيانه ريالا بعد آخر .. ولما عجزا عن الصمود ، خرجا الى التعطل ، وعاد ابراهيم المصري الى قواعده بدار الكتب يقضي سحابة يومه في مطالعات لا حد لها ..

وما كاد مسرح رمسيس يبدأ بالقاهرة حركته التمثيلية في اوائل ١٩٢٣ ويجمع اليه عددا من مهرة الممثلين ومؤلفي التمثيليات ومترجميها حتى اجتذب اليه ابراهيم المصري فكان اول من قدم الى هذا المسرح تمثيلية مؤلفة تنقد المجتمع المصري المعاصر ، وهي روايته « الانانية » التي مثلتها فرقة رمسيس عام ١٩٢٣ ، وأتبعها برواية « الفريسة » فمثلت بعدها .. ثم بمسرحيته « نحو النور » التي لم تمثل ـ كما سيلي ـ وكان اديبنا يأمل ان يعيش بقلمه القدير من التاليف للمسرح، ولكنه عرف بعد تجربة ان مسارح عصره بالرغم من نهضتها هذه ، لا تغني الكاتب من جوع ..

وفي تلك الفترة رأس ابراهيم المصري تحرير مجلة « التمثيل » الاسبوعية التي صدرت بالقاهرة عام ١٩٢٤ ، وأخذ ينقد بها المسرح وتمثيلياته ، وممثليه وممثلاته ، ويكتب المقالات الادبية ويترجم اشعار

تاجور .. وكتب معه زكي طليمات في هذه الصحيفة تحت اسم مستعار، كما نشر بها توفيق الحكيم بعض بواكير مقالاته عن صفات الكاتب المسرحي ، وعما اذا كانت غاية التمثيل الاصلاح الخلقي .. وأوحت هذه الصحيفة النقدية الى بعض نقاد المسرح باصدار صحف مماثلة ، فظهر في العام نفسه (١٩٢٤) عدد منها يحمل أسماء : التياترو ، والفنون ، والموسيقى والمسرح ، وفي العام التالي (١٩٢٥) صدرت مجلة « المسرح » لعبد المجيد حلمي ، الى آخر الاسماء المتوالية حتى اليوم ..

ولما لم يجن ابراهيم المصري من عمله الصحفي والمسرحي شيئا يذكر ، فقد قبل الاشتغال بالتدريس ـ كما سلف ـ مكان أخيه الراحل، وبقي في هذه المهنة ست سنوات ، كان خلالها يبعث بقصصه ومقالاته الى بعض الصحف وعلى رأسها جريدة « البلاغ » ، ومن ذلك مقالته عن الشاعر الهندي تاجور يوم جاء الى القاهرة عام ١٩٢٦ فنشرتها «البلاغ» على صفحتها الاولى وكانت أول مقالة تحليلية عن هذا الشاعر الكبير تنشرها الصحف العربية .. وهنا عرف صاحب الجريدة كاتبنا وأعجب بقلمه ، فما كاد ابراهيم يخرج من تلك المدرسة التي يعلم فيها عام ١٩٣٠ حتى أرسل اليه أحد محرريها يطلبه الى الانضمام لاسرة البلاغ ، وليظل هناك اكثر من ثماني سنوات .

وكان الصحفي المعروف المرحوم عبدالقادر حمزة قد أصدر بالقاهرة في يناير ١٩٢٣ جريدة يومية باسم « البلاغ » ، وألحقها في نوفمبر ١٩٢٦ بصحيفة اسبوعية كبيرة اختصها بالآداب والفنون والعلوم سماها « البلاغ الاسبوعي » .. وحشد لتحريرهما اقلاما معروفة تشترك معها جهود الادباء الهواة ، وكان في مقدمة محرريها : الاستاذان عباس محمود العقاد ، وأحمد حافظ عوض .. وكان الاول ينشر مقالاته السياسية في « البلاغ » اليومية منذ بدء ظهورها ، والمقالات الادبية ومنها « ساعات بين الكتب » منذ صدور « الاسبوعي » كما حرر بهما : سلامه موسى ، وابراهيم المازني ، وزكي مبارك ، ومحمد لطفي جمعه ، ومصطفى الرافعي ، وحبيب جاماتي ، وابراهيم المصري . وفي صفحة المسرح : محمد علي غريب ومحمد علي حماد .. وراجت الصحيفتان في معظم حياتهما بسبب تلك الاقلام البارعة ، ولمناصرتهما لحزب الوفد وزعيمه المغفور له سعد زغلول .. وراح ابراهيم المصري يكتب في هاتين الصحيفتين ، الدراسات الادبية والنقدية ، والتراجم وملخصات الكتب العالمية مما جمع بعضه في كتبه المنشورة وقتذاك : « الادب الحي » ١٩٣٠ و « الادب الحديث » ١٩٣٢ و « الفكر والعالم » ١٩٣٣ و « صوت الجيل » ١٩٣٤ و « وحي العصر » ١٩٣٥ ثم « مختارات عالمية من الشعر الغرامي » ١٩٣٨ ..

ووجد ابراهيم المصري على صفحات البلاغ اليومي والاسبوعي ، ميدانا فسيحا لآرائه الحرة ، ولنزعته التجديدية ، ودعوته الاصلاحية ، فقد كان عبد القادر حمزه يجمع في شخصه بين الكاتب السياسي والاديب الباحث ، وكان من رأيه ان لا تقتصر الصحيفة على السياسة والخبر ، بل تشمل ايضا مختلف فروع الثقافة فافرد صفحة للآداب وأخرى للفنون وللاقتصاد وللمرأة .. ثم كان يشجع المساجلات والمناظرات في جريدته ، حتى بين محرريها الهابا لحاسة الفضول لدى القراء .. وأسهم ابراهيم المصري في تلك المساجلات الادبية ، وكثيرا ما كان هو وزميله في الغرفة سلامة موسى يناوشان بحملاتهما التجديدية بعض الكتاب المحافظين مثل زكي مبارك والرافعي وغيرهما ..

وهناك خارجا كانت تدور المناقشات القلمية بين صحيفتي البلاغ وبين جريدتي السياسة اليومية والاسبوعية ، وكانت اولاهما قد صدرت عام ١٩٢٢ والثانية في مارس ١٩٢٦ ، وكان كلاهما لسانا لحزب « الاحرار الدستوريين » ويكتب فيهما الدكتور محمد حسين هيكل رئيس التحرير ، والدكتور طه حسين ، ومصطفى وعلي عبدالرازق وعبد العزيز البشري ، وعبدالله عنان ، وزكي عبدالقادر ثم انضم اليهم ابراهيم المازني .. الى جانب عشرات الكتاب غير المحترفين ..

وكانت هذه السنوات التي أمضاها ابراهيم المصري بجريدة البلاغ من أخصب سني حياته الادبية ، وأوفرها انتاجا .. ولكنها لم تدم طويلا .. اذ عاشت هذه الجريدة وسط الاعاصير السياسية والخصومات الحزبية التي عصفت بالكثير من صحف ذلك العهد .. وقد أنشئت « البلاغ » لتكون لسان حزب الوفد ، وما كادت تبدأ حملاتها على الاحتلال الانجليزي وأعوانه منذ صدورها حتى اعتقل صاحبها وأغلقت جريدته بعد شهرين ..ثم أفرج عن الجريدة وصاحبها بعد ثلاثة اشهر من الاعتقال .. وراحت البلاغ تشن حملاتها على الاحزاب غير الوفدية ، واصطدمت بجريدة « السياسة » .. وعندما اختلف صاحبها مع النحاس باشا رئيس الوفد بعد وفاة الزعيم سعد زغلول ، بدأت الجريدة معاركها القلمية مع الصحف الوفدية ، واتخذت سياسة مستقلة وتأزمت حالها المادية ، وخرج معظم محرريها يبحثون عن العمل في صحف أخرى من اجل العيش .. وتركها ابراهيم المصري كما دخلها خاوي الوفاض .. وكان في وسعه لو غامر في معترك السياسة الحزبية وجرد قلمه في ميادينها ، ان يحرز ثروة كما فعل غيره ، ولكنه آثر ان يربأ بنفسه عن ذلك ، وأن ينقطع عن لقمته وأدبه ولو عاش ومات فقيرا ..

وتوفي عبد القادر حمزه في يونيه ١٩٤١ ، وخلفه ابنه المرحوم محمد عبد القادر حمزه على رئاسة تحرير البلاغ حتى أغلق ابوابه كما أغلقت جريدة السياسة وغيرها .. وتحولت مجلداتها الى دور الكتب يردها اليوم الباحثون والمؤرخون والناقدون ..

وكان ابراهيم المصري منذ عام ١٩٣٤ يكتب أيضا بمجلة «الاسبوع» الادبية التي كانت تصدر اولا منذ مايو ١٩٢٦ باسم المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني .. ثم تنازل عنها للاديب ادوار عبده سعد ـ وكان محررا لمجلة « الفكاهة » احدى مجلات « دار الهلال » ـ فتركها ليصدر « الاسبوع » في ثوب جديد ، وكان الصحفي الاديب اسعد حسني سكرتيرا لهذه المجلة ، فاستكتب عددا من كتاب عصره فنشروا بها القصص والمقالات ، ومنهم الكاتبة مي زيادة . وكانت لابراهيم المصري بها عدة أبواب يقوم بتحريرها منها : « أصداء العالم » والبريد الاوروبي ، وباب النقد .. وشاء صاحبها التوسع فاشترى لها مطبعة بالدين ولم يستطع سداده فباع المجلة ومطبعتها ، وما عتمت ان أغلقت أبوابها ..

وازاء هذه التجارب رأى ابراهيم المصري ان يحقق حلما قديما ، ويصدر مجلة ثقافية يكون هو صاحبها ورئيس تحريرها ، وظهرت هذه المجلة بعنوان « الادب الحي » في أول مارس ١٩٣٧ مصدرة بهذه الكلمة التي تعبر عن أهدافها وآمال صاحبها :

« سبيلنا : ـ هذه مجلة الفكر الحر والرأي الصريح . أنشئت لتكون صحيفة الجيل الجديد من الادباء ، تقدم شخصياتهم ، وتكشف عن أعمالهم ، وتتيح لهم جميعا فرصة التعبير عن آرائهم في جراة ونزاهة وصدق . فكل أديب مستنير الذهن ، متحرر الفكر ، عصري النزعة ، لم يشخ عقله وقلبه ، يجد في هذه المجلة ميدانا رحبا لملكاته ومواهبه . وكل اديب فهم الادب على اعتبار أنه رسالة سمو نفساني ، ورسالة اصلاح اجتماعي ، يجد في هذه المجلة القوة المعنوية التي تساعده على القيام بواجبه وتادية رسالته . فحرية الفكر ، وحرية التعبير والجهاد الحق ، يقوم به الشاب المثقف الموهوب لتجديد الادب المصري والمجتمع المصري هي الغايات التي تنشدها هذه المجلة وهي سبيلنا التي لن نعدل عنها ما دام في الصدر نفس تتردد ، وفي القلب مسكة من حرارة وحياة . »

وقد لبى أصدقاؤه الكتاب نداءه فنشروا بها المقالات والقصص والقصائد ، وظهرت بها الى جانب قلم صاحبها أقلام : محمود تيمور ، وابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، ومحمد امين حسونة ، ونقولا الحداد ، ومحمد علي ثروت ، وسليم سعده ، ومحمود الشرقاوي

وغيرهم . وللاسباب المادية المعهودة توقف صدور هذه المجلة بعد ان صـدر منهـا نحو عشرة أعداد ..

ودعي ابراهيم المصري لرئاسة تحرير مجلة « الهلال » الشهرية ، فكان يكتب بها مقالة بتوقيعه وغيرها بلا توقيع ، غير أبواب المجلـة العامة .. كما كان يكتب في مجلة « المصور » الاسبوعي وغيرها مـن مجلات دار الهلال ، او يترجم بها موضوعات منوعة .. وترجم ثلاثـة كتب عن الفرنسية أهديت الى قراء الهلال وهي : « تاريخ الحـب » لمارسيل تينير (١٩٣٧) ورواية « الماضي الحي » لموباسان (١٩٣٧) و « مختارات عالمية من الشعر الغرامي (١٩٣٨) ودام هذا العمل المضني بدار الهلال حوالـي سنتيـن ..

وهنا وقعت المأساة التي قاسى منها الامرين فقد أسرف أديبنا في الاجهاد الذهني ، وفي التهافت على الكتابة والمطالعة ، فانهارت أعصابه ولم يعد في مقدوره ان يقرأ او يكتب .. فهجر القاهرة وترك القلم ، واستقر بضاحية « عزبة النخل» في أطراف القاهرة . وظل أربعة أعوام يعاني وطأة المرض ، وذهنه عاجز كل العجز عن كتابة أي سطر او قراءة أي عنوان ، ولكنه صبر وتحمل ، وصمد لا على العجز الذهني فقط ، بل على الفقر والبؤس أيضا فباع أثاث بيته وباع مكتبته الكبيرة ليأكل ويعالج ، ولم يعن به أحد خلال تلك السنوات المريرة غير زوجته الطيبة الوفية .. حتى ارتـدت اليه قـوى ذهنه شيئـا فشيئا وخرج من المأسـاة ظافـرا ..

وعندئذ وحينما استطاع ان يمسك القلم ، طلب اليه ان يحـرر بجريدة « اخبار اليوم » ، وبدأ منذ ذلك العام (١٩٤٢) ـ وما برح حتى اليوم ـ يكتب في صحف تلك الدار : الاخبار اليومية ، وفـي اخبار اليوم ، وآخر ساعة ، والجيل ـ الاسبوعية .. وهناك نشـر القصص والمقالات ، وأفرد له باب بعنوان : « قلوب في البريـد » يجيب فيه على اسئلة القراء ومشاكل الاسرة في أسلوب يجمع بيـن عظة المجرب الحكيم ،ودقة العالم النفساني .

الكاتـــب المسرحـي

وعاصر ابراهيم المصري نشأة المسرح العربي الحديث ، وتطوره ، ومده وجزره .وتردد على مسارح القاهرة كبيرها وصغيرها ، واندمج في أوساطها ، وشاهد نوابغ الممثلين والممثلات من الشرقيين والغربيين.. ثم عرف منهم وصحب الكثيرين .. فكان صديقا لجورج أبيض وسيـد درويش وعزيز عيد وزكي طليمات وغيرهم من كبار الفنانين ... ولخليل مطران ومحمد تيمور وابراهيم رمزي مـن الكتاب المسرحيين .. وكان المسرح مدرسة ليلية يقضي بها أجمل الساعات ، كما كانت دار الكتب مدرسته النهارية يقضي بها أثمن الساعات .. وراح يقرأ تمثيليـات أبسن وهنري بيك وبيورسون الى جانب روائـع شكسبير وموليير وراسين .. ثم يجول في ميدان النقد الفني وينشر انطباعاته عما شاهد وقرأ في الصحف وبمجلة «التمثيل» (١٩٢٤) التي كان يرأس تحريرها..

وكانت بالقاهرة منذ فترة الحرب العالمية الاولى وفي أعقابهـا ، حركة مسرحية تحتذي المسرح الاوروبي ، وتعرب رواياته او تقتبسها ، وتتأثر الجهود السالفة لفرق القرداحي واسكندر فرح وسلامه حجازي ومن سبقهم .. ومنذ ان عاد جورج أبيض من بعثته بفرنسا عام ١٩١١ الف فرقة بدأت تمثل بالفرنسية فترة ثم كون فرقة عربية من ممثلـي الفرق القديمة ومثل معهم روايات عطيل ومكبث وهاملت لشكسبير من ترجمة خليل مطران ، وبعض روايات موليير ورواية لويس الحـادي عشر ، وبعض الروايات العربية المؤلفة مثل « الحاكـم بأمـر الله » لابراهيم رمزي التي مثلتها فرقة أبيض وحجازي بـدار الاوبـرا في القاهـرة عـام ١٩١٥ .

وكانت فرقة جورج أبيض تتنقل في البلدان العربية ناشرة الوعي المسرحي أينما حلت.وما لبثت ان تألفت فرقة عبدالرحمن رشدي المحامي عام ١٩١٧ وكان مما قدمته عام ١٩١٨ رواية « العصفور في القفص » لمحمد تيمور .. كما اشتهرت فرق زكي عكاشة ومنيرة المهدية ونجيـب الريحاني وعلي الكسار بروايات « الاوبريت » ..

وكان ابراهيم المصري يتنقل بين تلك المسارح العربية وبين الفرق الاوروبية التي تفد في الشتاء الى القاهرة وشهد تمثيل سارة برنار ، وزاكوني ، وجان هرفييه ، وارميتي نوفيللي ، ورقص آنا بافلوفا وعزف هوبرمان .. ويبدي اعجابه أو تنديده ، وأسره اسلوب خليل مطـران في ترجماته العربية لشكسبير مما أضفى على تمثيل عملاق المسرح جورج أبيض روعة واعجازا الى حد انه كان يشهد جورج ابيض وهو يمثـل رواية عطيل ترجمة مطران كل ليلة تقريبا حتى حفظ الرواية عن ظهر قلب . كما حفظ فقرات طويلة من روايتيه مكبث وهملت .. وان الروح « الليريكية » التي تشعر بها في مؤلفات ابراهيم المصري ترجع فـي الواقع الى تأثره بفن شكسبير الذي عبر عنه مطران بالعربية أبدع تعبير.

كما كان للكاتب فرح انطون أثر كبير في توجيه الشاب ابراهيـم المصري الى مطالعة المؤلفات العالمية .. واتفق ان سافرا معا عام ١٩٢٠ مع فرقة جورج ابيض الى دمشق في الرحلة الوحيدة التي قـام بها ابراهيم خارج الاقليم المصري ، والتي استغرقت شهرا واحدا ، وكانا يعملان في النطاق الاداري للفرقة . وفي هذه الرحلة توطدت الصلـة بين فرح وابراهيم وظلا صديقين حتى وفاة الاول عام ١٩٢٣ .. وكـان فرح انطون اديبا مستنيرا يقرأ الادب الاوروبي الحديث ، ويترجـم روائعه في مجلته « الجامعة » ويؤلف القصص والمسرحيات ويكتب عن المفكرين ، وقضى حياته القصيرة بين الصحافة والمسرح .. فكان يحث صديقه على مطالعة هذا الادب ويعيره مؤلفات الكتاب ، فقرأ ابراهيـم الكثير مما كتب روسو وبرناردين ، ونتشه ومونتسكيو وماكس نرداو ، وبردو ... وأضاف اليهم دستويفسكي وغوركي وترجنيف ...وغيرهم.. وكان يناقشه في آرائهم ولم يزل ابراهيم المصري يحفظ لفرح انطـون هذا الجميل بقدر ما يحفظ لمطران أثر مترجماته لشكسبير وأثر شعره الخاص في نفسه . وأيضا ما استلهمته من نتشه في ارادة الكفـاح ومن انسانية دستوفسكي .

وعندما افتتح يوسف وهبي «مسرح رمسيس» بالقاهرة عام ١٩٢٣، واختار له نخبة من الممثلين والممثلات الممتازين ، تحركت في نفـس ابراهيم المصري نزعته المسرحية ، فعكف على وضع المسرحيات التـي تعالج الادواء الاجتماعية المتفشية في عصره لتكون صورا واقعية هادفة من نتاج الاقلام العربية الجديدة .. وسط الروايات المترجمة والمقتبسة، والغنيفة غالبا،مما هو بعيد عن روح المجتمع الشرقي وعاداته وحاجاته.

وكانت « الانانية » باكورة مسرحيات ابراهيم المصري ـ درامة في ثلاثة فصول ، مثلت لاول مرة على مسرح رمسيس يوم ١٩ مارس ١٩٢٣ وتقع حوادثها في يوم واحد في قصر أحد باشوات ذلـك العهـد .. (وقام بتمثيل أدوارها : روز اليوسف وفاطمة رشدي وعزيز عيد وزكي طليمات وحسين رياض ومختار عثمان وغيرهم ..) ثم طبعها المؤلـف فيما بعد بذيل كتابه « الادب الحي » عام ١٩٣٠ ـ في لغة فصحـى سهلة ـ وقدمها بكلمة ضمنها رأيه في التأليف المسرحي ، وهو المذهب الذي سار عليه في سائر تمثيلياته ، قال فيها :

« .. في رأيي ان ليس الفن في التحدث عن أية واقعة او رسم أي شخص ممن نصادفهم رسما فتوغرافيا يبعث الدهشة او اللهو بل في اختيار الحادثة او الشخص ، والنظر الى قيمتهما وما يرسلانـه حولهما من أصداء بعيدة الوقع في المجتمع . او بمعنى أوضح اختيـار حادثة ذات أثر في حياة الفرد والمجموع معا . وهذا ما حاولته هنا .. اعترضتني مشكلة اللغة ، فوجدتني اذا أنا كتبت الرواية كلها بالعامية ، أفقدتها روح جوها الفاجع وخرجت بها عن نوعها ونزعت منها أهم عناصر المأساة التي لا يثبت الجمال الا في اطارها ، وهي موسيقى الالـوان الخالقة بما تحتويه من جلال اللفظ المنسجم ، وروعة التعبير المتغلغل في خفايا العاطفة ، وبهرة الاستعارات الملازمة للاوضاع الوجدانيـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤثرة بالاجمال كل مميزات تلك الكمية من الحلم الشعري في تخيل الحقائق التي منها ينبع الجمال واليها ينتهي الفن . ثم رأيت من جهة أخرى ان مستلزمات الموضوع الذي اخترته ادماج بعض مشاهد كوميدية خفيفة تتناول وصف الاخلاق السطحية المتواردة في غير دائرة التحليل النفساني ، فلم أتردد في كتابتها بالعامية البحتة حفظا لجوها هي أيضا من الجفاف والثقل والتزييف . قد أكون بفعلي هذا هدمت التناسب الشكلي ومزجت ببعضها الوانا جد متنافرة . ولكني اضطررت لذلك اضطرارا بحكم الوسط المصري نفسه . ثم لقد رأيت ان العبرةبالجوهر أي دقة الملاحظات وعمقها وصدق عواطف الاشخاص وتمشيها مع نفسياتهم بحيث لا يكون هناك تناقض او غش او افتعال ، ذلك ما رسمته لنفسي قبل مباشرة العمل . فهل حققته بتمامه ؟ لا ، وعلى كل فهي محاولة اولى أرجو ان اكون بواسطتها قد وفقت الى المزيد في المحاولات التالية . »

وتعالج مسرحية « الانانية » مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات التي كانت يومذاك متفشية بين الطبقات المثرية من أجل اللهو والمتعة .. كما تصور الجيل المصري الجديد الذي نشأ عقب ثورة ١٩١٩ مصطدما في تطوره بتلك الرواسب وبغيرها من العادات الرجعية .. وفي ذلك الصراع الذي تدور حوله « الدرامة » نرى أحد الباشوات الاغنياء المستهترين في سعيه الى الزواج على امرأته من فتاة في مثل سن ابنته ، فتلجأ زوجته الى الانتقام لكرامتها ، وتعرف هذه الفتاة بابن الباشا من زوجة أخرى ، فلا يلبث أن يحبها ويطمح الى الاقتران بها ، وعندئذ يشب الصراع بين والد أناني له زوجة وولد وبين ابنه الشاب المطالب بحقه في الحياة .. ويلجأ هذا الاب الى الايقاع بين ابنه وبين الفتاة ، ويعلنه في الوقت نفسه أنه سيتزوجها . وفي ثورة باكية يخاطب الشاب أباه « لست أبي ! لست منك في شيء .! لسنا منكم ولستم منا .. نحن الحياة وانتم الموت .. نحن نكره بيوتكم المشادة على سلطة الزوج المستبد ورياء الزوجة ... »

وفي النهاية لا يجرد المؤلف هذا الوالد من كل عاطفة أبوية ، وتغلبه هذه العاطفة ، ويترك الفتاة لولده ويرتحل فترة الى قريته ...

ثم يقدم ابراهيم المصري تمثيلية ثانية الى مسرح رمسيس بعنوان « الفريسة » ـ مأساة نفسية تصور سلطان الرجل المطلق في الاسرة الشرقية وقتذاك ـ وتمثل الصراع بين زوج يرى من حقه ان يطلق امرأته متى شاء بعد أن يستنزف شبابها ويستولدها البنين ، وبين زوجة من الجيل الجديد تطالب بتأمين حياتها وتوطيد مستقبلها في كنف الاسرة .. وفي النهاية نشاهد هذه الزوجة ، وقد رأت زوجها يعذبه مرض مفاجيء ، تشفق عليه وتنزل عن مطالبتها بحريتها وحقها لتؤاسيه وتعالجه في اخلاص تمليه عواطفها واختيارها .. ولم تطبع هذه التمثيلية الى الان ..

وكانت مسرحية « نحو النور » ثالثة تمثيليات ابراهيم المصري التي قدمها الى مسرح رمسيس ولكنها لم تمثل قط .. فقد عرضتها الرقابة يومئذ على اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة ، فقرأها وأشار بحذف بعض فقراتها التي تتعرض للمطالبة باقرار العدل الاجتماعي بين الطبقات العاملة الفقيرة .. ولم يقبل المؤلف هذا الحذف .. ثم نشرها فيما بعد مع كتابه « الفكر والعالم » المطبوع عام ١٩٣٣ .

وبطل هذه التمثيلية شاب أديب له مبادئه ومثله العليا التي يدعو اليها بقلمه ، ويعيش بسببها فقيرا مضطهدا .. وهو في مطالبته بتحرير الفلاح والعامل والمرأة ، وتأمينهم ضد الفقر والمرض والجهل ، وفي دعوته الى «محاربةالتقاليد التي تنمي في الانسان أنانيته الجنائية وتحول بينه وبين تضحية نفسه في سبيل استقلال بلاده ونشر المساواة العادلة بين الناس .. » ـ يصطدم اولا ـ بالبيئة المتخلفة التي ارتفع هو عن مستواها ، وثانيا ـ بعقبة الفقر الذي يكبله ، وثالثا ـ بامرأته التي لا تفهمه وتراه غارقا في أوهام لا تجلب عليه غير البؤس والصعلكة وهي التي تريد ان تعيش كغيرها امرأة في المجتمع ، ورابعا بجماعة الوصوليين الذين يحاولون استغلال حاجته الى المال كي يحولوه عن مبادئه ويضموه اليهم وصوليا خائنا مثلهم ..

ثم وضع ابراهيم المصري مسرحية « العادل » في فصلين ، ومثلتها فرقة فاطمة رشدي على مسرح « حديقة الازبكية » بالقاهرة عام ١٩٤٣ وتصور أزمة وجدانية تولدت في نفس شاب تصطدم مبادئه وآراؤه بحبه وعواطفه . ويريد ان يحقق فكرة العدل ولو بتضحية أبيه . ولم تطبع هذه المسرحية بعد ..

وكانت خامسة مسرحياته « المرأة وشيطانها » ـ درامة في ثلاثة فصو ـ ومثلتها ايضا فرقة فاطمة رشدي عام ١٩٤٤ ـ وهي رواية اجتماعية هادفة . ولم تطبع ايضا ..

وعلى شاشة السينما العربية الناطقة ظهرت له رواية « الحب لا يموت » التي قامت ببطولتها الفنانة راقية ابراهيم ..

ولم يتابع ابراهيم المصري بعدها نشاطه المسرحي ، وانصرف كلية الى القصة القصيرة التحليلية والى الدراسات والنقدات الادبية ، وذلك لما رأى ما أصاب الحركة المسرحية في الاربعينيات من نكسة ..

القصة القصيرة

وكان ابراهيم المصري يكتب قصصه القصيرة وينشرها في الصحف منذ فجر شبابه . ومن تلك البواكير الناضجة قصته « سخرية الميول » المنشورة في ذيل كتابه « الادب الحي » عام ١٩٣٠ ، وقصة «الخريف» في كتابه « الادب الحديث » ١٩٣٢ .

وتواكبت اقاصيصه خلال الاعوام الاربعين الماضية ، وكان يجمع أشتاتها في مجموعات تظهر كل مجموعة منها بين عام وآخر .. وأمامنا الآن من هذه الكتب القصصية المنشورة نحو خمسة عشر كتابا تحمل هذه العناوين :

قصص البطولة والوطنية ١٩٤٣ ـ خريف امرأة ١٩٤٤ ـ قلوب الناس ١٩٤٧ ـ نفوس عارية ١٩٥١ ـ قلوب الخالدين ١٩٥٣ ـ كأس الحياة ١٩٥٥ ـ الانثى الخالدة ١٩٥٧ ـ الانسان والقدر ١٩٥٩ ـ وثبة الاسلام (قصص تاريخي) ١٩٦٠ ـ صراع الروح والجسد ١٩٦١ ـ قلب عذراء ١٩٦٢ ـ عالم الغرائز والاحلام ١٩٦٢ ـ الباب الذهبي ١٩٦٣ ـ صور من الانسان ١٩٦٥ ـ خالدون في الوطن ١٩٦٦ (تاريخي).

والى جانب هذه القصص الموضوعة ، كان يشرك قراءه في متعة الاطلاع على القصص العالمي فلخص الكثير من الروايات الممتازة كما نرى في كتابه « الادب الحديث » ١٩٣٢ .

وتظهر قيمة الكاتب في هذه المجموعات باعتباره قصصيا وفنانا أصيلا يمتاز بنظرة عميقة عن الحياة مستمدة من تجارب كثيرة وملاحظات انسانية دقيقة تهذبها الثقافة ويصقلها الفكر . ويضاعف التحليلالنفسي من قيمتها ، ويضع الكثير منها بين الاعمال القصصية الفنية الجديرة بالبقاء .

فهو رائد من رواد القصة العربية المعاصرة ، القصة التي تلمح فيها اطياف ثقافة عالمية تأثرت باكثر من فكر .. وهو أحد المفكرين الذين حملوا المشاعل ويسروا النور لمجتمع ادبي تذبذب في تكوينه الاول بين ميراث عريض من تراث قديم ، وكنز بريقه يفتن العيون ولكنه مستورد من الخارج ..

ويتحدث ابراهيم المصري عن فنه القصصي في أحد أحاديثه الصحفية فيقول :

« ان تأثر القصاص ببعض أقطاب القصة في الغرب ضروري الا انه في رأيي لن يستطيع ان يكون فنانا أصيلا الا اذا تحرر من ثقافته جهد المستطاع ، وهبط الى أعماق نفسه ، وحاول ان يعرف منزعه هو ومواهبه ومؤهلاته هو ، وان يستلهم كل هذا لابداع عمل مستقل شخصي يميزه عن سواه .. وليست العبرة في القصة بسرد الحوادث

الغريبة ، فمحاضر البوليس مملوءة بالحوادث ، ولكننا لا يمكن ان نعتبرها قصصا ، لان المهم هنا هو الحالات النفسية التي تفضي الى هذه الحوادث » .

ويقول : « القصصي هو الذي يستطيع ان يستشف أسباب الحادثة وعواملها ودوافعها وهو الذي يستطيع ان يصف كل هذا ويحلله في شخصيات تنبض بالحياة .ومن المحال طبعا ان نعرف ما هي النفس البشرية وكيف تتحرك وتتفاعل عواطفها ، الا اذا تثقفنا اولا ثقافة غزيرة ، ثم عشنا حياة زاخرة بالاحداث ، والروائي الحق هو الذي يدرك ان عليه ان يعيش ليفهم الحياة بعد ان يكون قد تثقف ، وان يرتمي بجماعه على النار ليعرف ما هي النار ـ نار الحياة ، بشرها وبخيرها ، بحلوها ومرها ـ مادة القصة هي هذه النار ، وبدون نار لا يتقد اي فن ولا تنبض اية روح.... »

الدراسات الادبية

وكذلك جمع ابراهيم المصري الكثير من مقالاته ودراساته وتراجمه ونقداته في عدد من الكتب ظهر اولها : « الادب الحي » عام ١٩٣٠ ، ثم « الادب الحديث » ١٩٣٢ ، و « الفكر والعالم » ١٩٣٣ ، و « صوت الجيل» ١٩٣٤ و «وحي العصر » ١٩٣٥ و «عشرة من الخالدين» ١٩٦٤.

وقد عالج في كتابه الاول « الادب الحي » بأسلوب تحليلي : شخصية الاديب الفنان ، وبين النبوغ والعبقرية ، وبين العلم والدين ، ثم نقد الادب العربي بمصر في أبحاث عن : « فن القصص في مصر » ، و « شعراؤنا وجنوب الطرب » و « العقلية العربية » ، و « أين هو الادب المصري ؟ » .. وتحدث عن الشعراء تاجور ، ودانوتزيو ، والفريد دي موسيه ، والقصاص دستويفسكي ، وذيل كتابه هذا بأقصوصة موضوعة « سخرية الميول » ..

وفي كتابه « الادب الحديث » تناول بالتحليل والتلخيص بعض المؤلفات الفرنسية المشهورة مثل : ارتقاء المرأة للوسيان روميه ، والعبقرية والحب لجورجيت لوبلان ، ونظرات في العالم الحاضر لبول فاليري ، ومرض الكلام لاوسيب لوريه ، وكلمات العصر الحاضر لجستاف لوبون ، وخيانة الكتاب لجوليان بندا .. كما لخص ثماني قصص لبعض كبار القصة بفرنسا مثل اندريه جيد ، وزولا ، وبوردو ، وبول بورجيه وغيرهم .. وذيل هذا الكتاب ايضا بقصة من تأليفه « الخريف » ..

وفي « الفكر والعالم » المذيل بمسرحية « نحو النور » أبحاث عن : الحضارة والآلات ، ومعنى الحضارة ، والفنون في عصر الآلات، والفن والقوة ، وفن الاسلوب ، والمثل الاعلى للفرد .. وعن نهضة الشعب الاسباني ، واضطراب اوروبا . ثم تراجم تحليلية لمارسيل بروست ، وشارل بودلير ، وبيرون ، وانجلو ..

وتكلم في « صوت الجيل » عن : البطولة والعظمة ، والشخصية الانسانية ، والفنان والمرأة ، ونظرات في فن القصة ، والمتعلمون والشعب ، والنقد في مصر ، وجحيم المثقفين . كما بحث في عالم راسين ، والعالم الشكسبيري ، وانا تول فرانس ، وتاجور ، ونهضة الصين وأدبها ، واليابان الحديثة ، والاوروبيين وغاندي ، وأفرد فصلا عن ابراهيم ناجي الشاعر ..

وبحث في « وحي العصر » في وعي البيئة والعصر في الادب الحديث ، والصدق في الادب والحياة ، وأدب السرعة ، والانسانية والحب ، والشرق على مذبح الاستعمار . كما كتب عن عدد من كبار أدباء الغرب مثل تولستوي ، وبول بورجه ، ورومان رولان وغيرهم .. ولخص عددا من القصص العالمية .. وترجم لغيرهم في كتابه « عشرة من الخالدين » .

وتمتاز جميع هذه الدراسات الادبية والاجتماعية بروح التجديد في الفكر والحياة ، واصالة الثقافة النابعة من الشرق والغرب ، كما أنها تتناول بالدرس طائفة كبيرة من أعلام الادب والفكر والفن . وقد فتحت هذه الدراسات لناشئة المتأدبين عندنا آفاقا جديدة في وسعهم ان يستلهموا منها روائع الفن والفكر ..

الدراسات النسوية

ويلاحظ ان ابراهيم المصري قلما تخلو قصة من قصصه او مسرحية من مسرحياته أو بحث نفساني واجتماعي من الاشارة الى المرأة . وهو في ذلك يرى ان المرأة تمثل دورا رئيسيا بل خطيرا في حياتنا . فهي أمنا واختنا وحبيبتنا وزوجتنا ، والمخلوقة التي نتاثر بها في حداثتنا ورجولتنا . بل هي المخلوقة التي نستوحيها آمالنا وأحلامنا ، فنسعى في الحياة من أجلها ، ونتخذ منها حافزا ومشجعا ، ونهرع اليها ساعة الشدة والالم كي نجد فيها ملاذا لنا وسلوى . وهي قد تعذبنا ولكنا نستمرىء هذا العذاب بل ونطلبه أحيانا يقينا منا أنه يضاعف من تمرسنا بالحياة .. ويضاعف من فهمنا لها واحساسنا بها ويجعلنا نعيش وان كنا نتعذب ونتالم .. وهو يرى ان الصراع قائم بين الرجل والمرأة منذ الابد ، ولكن هذا الصراع هو الذي يشعر الرجل برجولته وبقيمة بطولته ، ويهديه الى فهم الحياة والشعور بها من طريق الاصطدام بالمرأة التي تمثل له مختلف غرائز ونزعات واتجاهات الحياة ..

وليس من شك في ان الاديب الفنان الذي يحاول ان يكتب القصة لا يستطيع ان يغفل في قصصه تصوير هذا الصراع . اذ لا حياة للرجل بدون المرأة ولا حياة للمرأة بدون الرجل . والذي يهمل الاهتمام بالمرأة يهمل نصف الحياة .

وقد ظهر لابراهيم المصري في هذه الدراسات النسائية عدد من المؤلفات اهمها :

مدرسة الحب والزواج ١٩٥٢ ، دروس في الحب والزواج ١٩٥٤ ، الغيرة ١٩٥٦ ، المرأة في حياة العظماء ١٩٦١ ، الحب عند مشاهير النساء ١٩٦٢ ، الى جانب كتابيه المترجمين : تاريخ الحب لمارسيل تينير ١٩٣٧ ومختارات من الشعر الغرامي ١٩٣٨ .. ويضاف اليها أيضا كتابه : « قلوب الخالدين » ١٩٥٤ الذي يجمع بين القصة والدراسة والترجمة ، ويكشف عن قوة المرأة حين تلتقي بقوة العبقرية الممثلة في عدد من كبار الادباء والفنانين ..

وهذا الاهتمام بتحليل ما خفي من جوانب شخصية المرأة في علاقتها اليومية بالرجل ، والكشف عن شخصية الرجل الذي لا يتم الا باصطدامه قلبا وروحا وجسدا بشخصية المرأة ، وتصوير حياة الكثيرين من أعلام الفنون والآداب حين تقع تحت تأثير المرأة وحب المرأة ، هذا الاهتمام كان قليلا وخاطفا وغير متعمق في أدبنا العربي الحديث نظرا الى احتجاب المرأة الطويل الامد عن المشاركة العملية مع أخيها الرجل في مجتمعاتنا فأثارت هذه المؤلفات والكتابات اقبالا لدى الشباب على مطالعتها والانتفاع بها في حياتهم العاطفية والزوجية . وبخاصة في عصر عمت فيه الشرق العربي نهضة اجتماعية واقتصادية نرى آثارها اليوم في ائتلاف الجنسين في مختلف نواحي الحياة العامة.

الشاعر

ومما يلاحظ علي ابراهيم المصري ميله الشديد لقراءة الشعر العربي والعالمي وتذوقه .. والواقع أنه قصاص وشاعر ، وان كان ينثر الشعر ولا ينظمه .. وتسبح معظم قصصه في جو وجداني تقترن فيه الحقيقة بالشعر ، والروح الواقعية بالتصور الذهني المشبع ببديع الاخيلة . وهذا المزيج هو الذي تمتاز به قصصه . وبعضها يشبه سيمفونيات وجدانية تتجلى لا في التحاليل النفسية فقط بل في الاسلوب الشعري الموسيقي أيضا . ومما يدل على نزعته الشعرية أنه كتب كثيرا من الشعر المنثور وان كان لم ينشره في كتاب بعد ..

ومن رأيه ان يتجنب الشعراء عندنا نزعة الاسترسال في قصائدهم وان يحاولوا ضبط العاطفة وتركيزها في عدة أبيات على نمط « السونيت » اي المقطعات الشعرية الافرنجية . فتصبح العاطفة بارزة

الى اللقاء اصيمتي

★ ★ ★

أمـاه ! حقـك لا المدامـع تنفـع ... شيئـا ولا حكـم المنيـة يـردع
أودعت جسمك في الثرى واحسرتي ... فكأنمـا قلبـي هنالـك .. مـودع
لا ليـس أمـي مـن دفنت بلوعـة ... لكـن حشاشتـي التـي تتقطـع !
أتذكـر الماضـي فيأنـس خاطـري ... وأعـود مـن هول المصيبة أجـزع
أتمثـل الماضـي وأنـت بجانبـي ... يا حبـذا أيامـه لـو ترجع ...
يا ليـت لي الامـس القريب بعائـد ... وأظـل أنعـم بالحنـان وأرتـع
يا لبـوة بيـد الممـات فريسـة ... مالـي يـد أواه .. ماذا أصنـع ؟
غيـر البكـاء عليك كـل هنيهـة ... تتوجعيـن كمـا أنـا أتوجـع
وأنـا أمـوت على شقائـك حسـرة ... وأكـاد أسمـع عنـك مـا لا أسمع
قالوا الدواء فقلت خدعـة خـادع ... قالوا الطبيـب فقلـت مـاذا ينفع ؟
والجسم نصـف في التراب موسد ... والنصف في درب الفناء مودع ...
نصـف يعيش لصيق نصـف مائـت ... والمـوت بينهمـا يطـل ويرجع !..
ودعتنـي بكـآبـة ومـرارة ... فكأننـي أمـل الحيـاة أودع ..
تتبسمين وثـم تخفيـن الاسـى ... عنـي وعينـك مثل عيني تدمع ...
صلـة الامومـة والبنـوة بيننـا ... لكنمـا حبـل الرجـاء مقطـع !
أزف الرحيـل ويا فجيعة مـا أرى ... وعيونـنـا مـن بعضنـا تتـودع
أبكـي اليـد السمحاء يطويهـا الردى ... فكأنمـا يطـوي العطـاء ويمنـع !
تلـك التـي بالمكرمـات خليقـة ... وبهـا الفضيلـة مثـل شمس تسطع
يا بنـت خير أب وأم فـي الـورى ... وكريمـة الجديـن أصلـك أرفـع
يـا وردة غـزت القلـوب بعطرهـا ... وغدا الضريح بطيبهـا يتضـوع !..
فالى اللقاء .. أميمتـي وعزيزتـي ... لا بـد مـا يومـا بقربـك أهجـع
من قبل موتك لم يجل في خاطـري ... ان الجواهـر في الثـرى تستودع !

زحلة ـ لبنان

رياض معلوف

وحية وبالغة التأثير في النفس ..

ومن رأيه أيضا ان الشعر يجب ان يذهب الى ما وراء المنطق وما وراء العقل الواعي ، وان يعب ما استطاع في أغوار العقل الباطن وصوره وأحلامه ، بحيث يعبر عن التفاعلات النفسية وما تولده في المخيلة من احلام ورؤى . وهذا قد يضطر الشاعر العصري الى تحطيم قوالب الشعر القديمة وابداع قوالب مستحدثة . فيجب ألا نضيق نحن بهذه القوالب المبتكرة وألا نظل عبيدا للقوالب القديمة، فالعبرة في الجوهر الانساني العاطفي التصوري العميق الذي يبدعه الشاعر ويستطيع ان يلمسنا عواطف وصورا ورؤى للحياة صادقة وقوية كانت غريبة عنا وكنا لا نحس بها ولا نفطن اليهـا ..

أما الالهام فيجب ان ينبع من نفس الشاعر وبيئته بحيث يجيء شعره معبرا عن ذاته ومحيطه ويكون في الوقت نفسه شعرا انسانيا يخاطب كل فرد في كل شعب وفي كل زمن ..

وبعد ـ فلعل هذه المقدمة تحفز ناقدا اديبا على دراسة حيـاة ابراهيم المصري وأدبه في تفصيل وتحليل يستوعبه كتاب واف مكمل.

رمل الاسكندرية

نقولا يوسف

وشائج الفلسفة والفن

بقلم الدكتور صلاح الدين المحايري

* * *



بد للباحث في مصادر الفن الاولى ان يعالج الفوارق بين : (١) الجمال (٢) والخير (٣) والحقيقة وهي القيم الفلسفية السامية التي تحفز البشرية الى الوثوب من هوة الحيوانية الساحقة الى ذروة الانسانية العليا وتحقيق الاحلام المجنحة التي كانت وما زالت تجول في رؤوس المصلحين والطوبويين على سطح هذا الكوكب ، ويستطيع بهذه المقارنة ان يرسم في مخيلته حدودا سوية للقيم الثلاث . فاذا كانت الحقيقة ينبوعا صافيا يرده الفيلسوف والعالم ليرويا ظمأهما للمعرفة الخالصة ، وكان الخير سبيلا قويما لارضاء الحافز الاجتماعي او دافع القطيع ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ وهو حافز جوهري رسيس في نفس رجل الفضيلة ، فالجمال باعث (بنائي) تأملي مجرد من شوائب الحيوانية منطلق من قيود الضرورة . ويقول الفيلسوف الانكليزي المعاصر صموئيل الكسندر في كتابه الفن والفريزة «ان الحافز الجمالي وما يقترن به من شعور نوعي خاص يتولدان من الميل (الانشائي) في الحيوان بل هما تلك الفريزة (البنائية) البدائية تتجاوز طور الحيوانية الى نطاق الانسانية ثم تغدو تأملا صافيا لا تلابسه المنافع والقيود » .

وجدير بمن يبحث في نشوء القيم وتطورها ان يدرك ما للعقل وللوسط الذي يكتنفه من خطورة في اصطناع تلك القيم وتحديد فوارقها والوانها ولا ريب ان الفن الجميل الذي يمزج فيه الفنان شخصيته بالقوالب المادية التي يسكب فيها فنه يقف موقفا وسيطا بين الخير والحق او بين الفضيلة والعلم . (١) « فالعلم » ظاهري موضوعي تسيطر فيه ظواهر الطبيعة الاولية فتخضع العقل لقوانينها المحتومة . (٢) و «الفضيلة» باطنية ارادية تحاول ان تفرض نفوذها في الكون الخارجي وتنشد في رحبه دنيا جديدة رفيعة من صنع يدها المحسنة (٣) اما «الفن» فقوامه ثنائية متوازنة بين الذات والموضوع لا يطغي فيها احدهما على الاخر ، وهو في هذه الثنائية باطني ذاتي اذ تتآلف عناصره المستمدة من الانطباعات الكونية والنفسية في صميم العقل الباطن ، وهو ظاهري موضوعي حين ترتسم معانيه ومشاعره واهتزازاته في الفاظ وقوالب وخطوط والوان وانغام متسقة ماثلة للحس والعيان .غير ان هذه الفوارق السطحية لا تصل الى الاغوار وينتظم القيم الثلاث جميعها تماثل متغلغل في كيانها لان نشدان الحقيقة ليس نزوعا فكريا وادراكا عقليا للواقع فحسب ، بل هو فهم ذاتي لعالم الوعي الخفي او «اللاشعور» ايضا ، فهو ، لذلك يضم «الخير» و «الجمال» في تضاعيفه كما يضم عناصر واجزاء ومظاهر مباينة لهما ، وهذا المصدر المشترك للقيم السامية هو مفتاح الصلات بين الفلسفة والجمال ، بل هو المنهل الصافي الذي تصدر عنه الحياة والفن معا ، واذا كانت الحياة حب الاشياء والطموح الى تحقيق غايات ملموسة معينة فالفن ـ كما يقول علماء الجمال ـ حب هذه الحياة ذاتها بما تضمه جوانحها من طمحات وميول شتى فهو ليس في جوهره موهبة مستقلة بل شكلا منصهرا يتجرد من ادران الغايات المادية وتلتقي فيه اغلال الضرورة وافراح الحرية في تآلف جميل .

ويرى النقادة الجمالي «دالاس» ان المصادر التي يستمد منها الفن مواد فنه الاولية ثلاثة : (١) التآلف المولد او تآلف الحركة Dynamic Harmony وهو امتزاج متوازن للمشاعر المتضادة في ثنايا الاعصاب ، فليس يطيب المزيج (الدرامي) للعواطف المتنافرة من حزن وفرح وبغض وحب الخ على التعبير في كلم متناسق جميل الا في حدود التآلف المذكور . (٢) التآلف الثابت Static Harmony او (الجمال الصافي) وهو تأمل للاشياء الجميلة في ذاتها كالاشكال الهندسية المتناسقة والالوان الصافية والنظريات الرياضية المضبوطة ، وجماع هذه الاشكال والصفات يولد وجودها الفرح ولا يبعث اختفاؤها على الالم ، خلافا للتآلف الاول الذي يستقر اثره في النفس بعد اختفاء مسبباته الحسية (٣) والمصدر الثالث لا يمت بصلة القربى الى العقل الواعي ـ او (تآلف الارادة) كما يدعوه «دالاس» الذي يشتمل على المصدرين السالفين بل ينبع من العقل الباطن ويدعوه «دالاس» بالسحر الخفي، وهذا المصدر ـ في رأي صاحبنا ـ لب لباب الفن فقد يخلو الاثر الفني من احد العنصرين الاولين ولكنه يظل اثرا عظيما ما دام السحر الخفي شائعا فيه .

وعندي ان في هذا القول الذي يسهب فيه «دالاس» جانبا من الحق ولكنه لا يخلو من المغالاة في بعض نواحيه لان الفن الذي يستمد مصادره من العقل الباطن فقط دون ان يعبأ بمصدري التآلف في العقل الواعي ـ على حد التقسيم المذكور ـ هو فن ابتر رتيب تتكرر صوره ويتلاشى فيه الابداع والا فما الفرق بين الفنان الاصيل اليقظ والحالم الفارق في سباته الذي تتعطل فيه قوى الوعي ، او النحلة العجماء التي ما برحت تبني خلاياها منذ وجودها الاول على وتيرة واحدة خالية من الابتكار ؟

لقد قلنا فيما سبق ان رائد الحقيقة ينشد ادراكا للواقع وفهما لعالم الوعي كما يطمح الى استكناه غوامض (اللاشعور) واسراره الخفية ، وان هذا المصدر المشترك للقيم السامية هو مفتاح الصلات بين الفلسفة والفن فما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي مواضع الاشتراك والافتراق والتبادل بين الفرعين ؟

يقترن مدلول (الفنون الجميلة) في الذهن بتلك الاثار الانسانية الخالدة من قصائد ، ولوحات وتماثيل ، ومبان ، والحان موسيقية ..الخ..وهي قوالب وصيغ يصب فيها رجال الفن ذوب قلوبهم وكوامن نفوسهم وما نقش في افئدتهم من انطباعات الكون الرحيب فتغدو اوثانا قسيمة ينعم بفتونها عبدة الجمال وينشدون في ظلها ومضات عابرة من التأمل تنطلق فيها الافراح من اوزانها لا تلابسها قيود الضرورة واغلال المنفعة .

قد يعد البناء ليصبح مثوى يفيء اليه المرء في راحته ويصب الاناء ليكون مثابة تقر فيها الزهور الندية سويعات قبل ان تتناثر اوراقها وتذبل كؤوسها ، ولكنهما اذ تتآلف خطوطهما وتزهو نقوشهما وتنعكس فيهما رؤى الفنان المعمار واحلام الصانع الماهر يتجردان من شوائب النفع وينعتقان من وثاق (الارادة) العمياء التي تخيلها (شوبنهور) دافعا خفيا ازليا يقرر مصائر ابناء الفناء ويسدد خطاهم بأقدار محتومة لا يستطيعون انفكاكا منها لاستنشاق نسمات الحرية البليلة الا في غمرة من رؤى الفن تعنو فيها (الارادة) للتأمل البهيج . واكثر ما يكون المرء انطلاقا من اسار الارادة في درر الشعر وفواتن الرسم والنحت والمثالة وروائع اللحن والغناء ، اذ هي مفترقة عن العمائر الشامخة والاواني المنقوشة وما شبهها في قيمها الجمالية الصافية وفي خلوها من أوضار الفوائد المادية .

ومما يدهش له المرء ان يرى جميع الباحثين في القضايا الفلسفية العامة يعمدون الى الاستقصاء في معالجة الروابط بين الفلسفة والعلوم وان يمعن جلهم في تفهم الصلات بين الفلسفة والدين وانهم قلما يبحثون في ماهية العلاقة بين الفنون الجميلة والفلسفة لا يستثنى من ذلك سوى (الشعر) . لا جرم ان هنالك اسبابا تجعل الشعر متفوقا على الفنون الاخرى في هذا الصدد وسنعرض لهذه العلاقة وطبيعتها فيما بعد ، غير ان الفن في افقه الوسيع وفي شتى صوره والوانه يؤلف من الوشائج التي تربطه بالفلسفة قضية جوهرية لا تقل خطورة عن القضايا الاخرى التي عالجناها .

لا ريب ان كثيرا من الاثار الفنية خالية في اغوارها من المعاني الفلسفية وهي ، لذلك ، لا صلة لها فيما تهدف اليه من تفهم الروابط بين الفن والفلسفة ، فثمة لوحات تؤلف في جوهرها انماطا من الخطوط والالوان لا يبين القصد فيها ، وقصائد وقطع موسيقية تنتظمها جميعا سلسلة ايقاعية متعاقبة من الجروس والاوزان والانغام والاصوات تكاد ان لا تفصح عن غاية معينة ، ومع هذا ففي ميدان الفن متسع رحيب تبرز فيه المعاني الفلسفية الخطيرة في ابهى حللها (كما هو الحال ، مثلا ، في نماذج الشعر التأملي والخلقي) . ومن يمعن مليا في هذه الاثار يجدها مخالفة للعلم ، مماثلة للفلسفة في اهتمامها بالمعاني والمقاصد والقيم وفي نظرتها الكلية للاشياء وفي محاولتها ان تكتنه بواطن هذه الاشياء دون ظواهرها . واذا كان الكثير من ثمار الفن الجميل سطوحا ومظاهر لا أعماق لها ، او كانت نماذج حسية وانعكاسات ضوئية وانطباعات سمعية بحتة ، فالاثار الخالدة تمعن قصيا في الاغوار وتنفذ الى المعاني المستسرة في الباطن . زد على ذلك ان الجمال في الصورة الحسية ، او الاثر الذي لا يتعدى تخطيط المظاهر السطحية ليس وسيلة او (ظاهرة) نسترشد بها لمعرفة العناصر الاولية في اللوحة او القصيدة فحسب ـ كاللون الذي تطلى به اللوحة والوزن والقافية اللذين تنظم بهما القصيدة ، بل هو ، ايضا (قيمة) يكتشفها المتأمل البصير في الاثر الماثل لناظريه . ومن الحقائق المشاهدة المأثورة في فني التصوير والنحت ان التمثال واللوحة في تمثيلهما للاشياء والكائنات الطبيعية يتحليان بصفتين مختلفتين : (١) فقد يعرضان لنا حوادث واوضاعا معينة تغنينا عن الوصف اللفظي ، وآية ذلك ما نراه في الكتب والاسفار الحديثة المختلفة من صور يعتاض بها المؤلفون عن التبسط في سرد الحوادث والافاضة في وصف تفاصيلها . (٢) وقد يمثلان لنا وضعا لا يؤبه له وحادثا غير خطير في ذاته ولكنهما بالرغم من ذلك ، يهزان كوامن نفوسنا ويؤثران في شعورنا بما يشيع في اجزائهما من الروابط الشكلية المنسجمة كما هو الامر في البناء والموسيقى .

فالانطباعات في الحالة الاولى تثير في صفحة مخيلتنا مشاعر وتجاريب نعانيها في الحياة الواقعية ، فمشاهد الحب ومناظر القتال الدامية تماثل ذكريات عاطفية منقوشة في عقلنا الباطن لا تتجاوز حوادثها ومحتوياتها الحدود التي تتحيز فيها الخطوط والظلال والالوان الماثلة امامنا . اما الموسيقى والتصوير في شكليهما الصافي فلا يثيران في النفس تجربة معينة وشعورا محدودا بالرغم من الروابط الجاذبة التي تصلهما بعواطف السامع او المشاهد ، وهما يتميزان بما يطبعانه في النفس من احساسات مبهمة ، واغلب الظن انهما يستمدان عناصرهما الاولية من قرارة النفس وطوايا العقل الباطن ، وثمة اثار فنية تجمع بين الحالتين فهي تمثل اوضاعا معينة وحوادث زمنية محدودة تتخللها جميعا بدوات غائمة واخيلة مبهمة تنبع من دخيلة الفنان وهي دخيلة وعرة المفاوز بعيدة المنال يحجبها عن النظر قناع جسدي صفيق تتسرب من خلاله اشعاعات باهتة يستشفها النظر الجديد والبصيرة النافذة وتبقى دونها ظلمات كثيفة بعضها فوق بعض . وللقارىء ان يمعن في هذه الاثار الاصيلة جميعا وان يجيل ناظريه في تفاصيلها وهو لا بد عائر وراء هذه الظلال والالوان والمعالم على قيم علوية تشيع في نفوس رجال الفن الافذاذ وتعزف بهم عن رتابة الحيوانية الدميمة ومسالك الالية الجامدة .

واذا كانت القيم الجمالية جوهر الفن ومصدر الاصالة فيه فهي في طليعة القيم التي تتناولها الفلسفة وتحاول النفاذ الى كنهها . ولذا كانت الروابط التي تصل الفلسفة بالفن على جانب عظيم من خطورة الشأن . وحسب الذي ينشد تفهما لهذه الروابط الوثيقة وتحقيقا للمثل الرفيعة التي تنطوي عليها جوانح عباقرة الفن ان يصرف سويعات يستطلع فيها اسرار بعض اللوحات الرائعة ويستجلي غوامض المعزوفات (السمفونيات) الخالدة .

ترى ما هو السر الذي يتفلفل في ظلال وطيوف (العشاء الاخير) وهي اللوحة الخالدة التي اراق فيها «ليوناردو دافنشي» الجبار ذوب عبقريته الفنية وسجل فيها انطباعات بصيرته ؟ بل ما هي المعاني والقيم والخلجات التي تترقرق وتنعكس في وجوه الحواريين وقد انتصب المسيح بينهم يشعرهم بدنو الساعة الرهيبة لتطهير البشر مما تغلغل في نفوسهم من آثام وعلق فيها من أدران ، وينبؤهم بالخيانة الغادرة تخطر بينهم في اهاب حواري ومسوح قديس ؟ رؤوس فخمة تموج وتضطرب بالنبأ الصاعق ووجوه منقبضة ونظرات ذاهلة مشدوهة يمتزج فيها الحب والهلع والحزن ، وتلتمس في جوارها موضع الصل الارقم وتكاد لولا الذهول ان تتبينه في سحنة شيطانية ماكرة وعضلات متقلصة متشنجة في العنق والوجه وعيون غائرة تطل من وقبيهما نفس غادرة مجرمة تنطوي على الاظفار والمخالب الدامية ، ويخيل لي ان (ليوناردو) قد استقطر الدناءة الانسانية في صفحة هذا الوجه الذي يمثل (يهوذا الاسخريوطي) وحصره في نطاق صغير ليسهل انتقاشه في الواعية الخفية .

وفي سقف كنيسة (السكستين) تاريخ حافل واقاصيص عجيبة تزدحم بالحوادث وتعج بالخلائق قوامها في الظاهر وجوه واجساد وهياكل وسلسلة من الخلائق الفها الناس وطالعوا اخبارها في الكتب المقدسة والنصوص المدونة ولكنها جميعا ، من فصل النور من الظلمة الى حكايات الهبوط والطوفان والشهادة والخلاص والدينونة ، ادوات وذرائع ابدعتها مخيلة (ميكلانجلو) الخصيبة لتضم في أطرها صور الخزى وتنظم في معالمها بوادر الظلم ونوازع الانعتاق التي يحفل بها عصره وليفزل منها ـ ساحرنا العظيم ـ خيوط اوهامه وآلامه وينسج فلسفته ومثله واحلامه .

واروع من هاتين القصتين ملحمة نظمها (بتهوفن) في انغام متساوقة وامواج صوتية متسقة ترتفع مدوية مجلجلة حتى تكاد تنفجر وينفرط عقدها ثم تهبط مسرعة متخافتة الى ان تعود ركزا تتلقفها النفوس دون الاسماع ، وهي حكاية تلك العاصفة الباطنية المحتدمة في صميم ذلك العبقري المارد ، وهي سيرة الآلام البشرية مختزلة مكثفة في قلب ذلك الموسيقي العظيم ، منعكسة من صفحة حياته المريرة . ملحمة ويا لها من ملحمة ! يتجلى فيها الصراع المخيف بين الاقدار المحتومة وبين النفس الانسانية المتشوقة الى الانطلاق في الآماد الوسيعة ، الظامئة الى احتساء كؤوس مترعة من افراح الحرية والسعادة .

تصور الليل ساجيا وفي سجفه نذر خفية والصبح مسفرا وفي اردانه سحب قواتم ثم تخيل عقيبهما الاعاصير الهوج السافية تغزو مفاوز الارض ، والرعود القواصف تصم الاسماع ، وفي ملاوات عابرة تنطلق فيها الفكرة الموسيقية من ثنايا الغياهب الكثيفة ، يطل الامل مترنحا شاحبا ويشرف الفرح مريرا ملبدا وتضطرم فيها العواطف ملتاثة ممزوجة بالسم الناقع ، فاذا ما اتقدت في الافق حمرة الشفق وارتسمت في جوانبه خيوط الغسق ، الفيت العاصفة هامدة والغياهب اشلاء ممزقة وما أعجب الليل الوليد ينحسر قبل اكتماله عن نهار صاف مشرق تطرب اغاريده وتسكر نسائمه وهمساته وقد وشت حواشيه يد انسانية صناع وفرضت افراحه ارادة عبقرية جبارة . هذه هي السمفونيا التاسعة التي نسجها بيتهوفن من خيوط عقله وقلبه فكانت حدثا فريدا واثرا باقيا خالدا يتكرر كظاهرات الطبيعة واحداثها الازلية .

اي ظفر تاريخي جسدي يضارع في جلاله هذا الظفر الروحي ويصل في سمته الى الذروة السامقة التي بلغها موسيقينا العظيم ؟ وهو ـ كما وصفه (رومان رولان) الاديب الافرنسي الكبير ـ « شقي ، فقير ، مريض ، منعزل يتجسد فيه الالم وتنكر الدنيا عليه الامل ، فيصوغ من شقائه فرحا يغمر به العالم ، وما اجمل القول الذي كان يردد مزهوا وقد استأنف به حياته الجديدة فأصبح شعارا للنفوس التي تستشعر البطولة في صميمها : انشد الفرح في غمرة الالم » .

وقس على ذلك امثلة كثيرة يتيه فيها السمع والنظر ويشرد اللب والبصر .

فهل يجوز ، بعد هذا ، ان نرى في آثار الفن الوانا وخطوطا وانغاما مشتتة شاردة ، وان ننكر في آثار الفن الرفيعة ما تتضمنه من مقاصد وقيم ومعاني شاملة ، هي نفسها دعائم يرتكز اليها صرح الفلسفة الباذخ ؟.

واحسب ان هذه الحقيقة كانت تدور في خلد (ارسطو) حينما وجد في «الشعر فلسفة لا تضمها صفحات التاريخ » . والشعر بمفهومه (الارسطاطي) يدل على الفنون الجميلة ، كما يرمز «التاريخ» في المفهوم نفسه الى العلوم الوصفية ، وموجز ما ينطوي عليه راى فيلسوفنا ان الفن ادنى وشائج واواصر الى الفلسفة من العلم .

ولعمري ان الصلة التي تخيلتها الاساطير الاغريقية بين ربات الفن في قمم الاولمب وبين افذاذ الفلسفة والمبدعين على وجه هذه البسيطة ، هي صلة الدماغ بالوتين النابض دون انفصامها برودة الموت وخمود جذوة المعرفة .

دمشق **صلاح الدين المحايري**

الانسانية في أدب مي

بقلم وداد سكاكيني

* * *

لا بد لمن يبحث في أدب « مي زيادة » ويستجلي صوره وآثاره ، من أن يلقي نظرات عليها طويلة ليستطيع أن يتبين فنها ووجهتها وطابع اسلوبها وثقافتها ، فاذا ألقينا نظرة عامة على أدب مي في مختلف اشكاله ومراميه ، كمن يحيط بجمع من الاشياء فى لمحة واحدة ، فان أول ما يتجلى لنا من هذا الادب هو الانسانية ، ونحن اذا أحصينا الادباء الانسانيين في تاريخ الاقلام والافكار منذ قال سقراط وكتب افلاطون حتى سيرة الانسانية المعذبة لألبير كامو الذي مات حائرا مدهورا ، نجد الطابع واحدا عند هؤلاء ، فقد مارسوا اكتناه الروح الانسانية في الحياة والمجتمع ، وفي مظاهر الفكر والفن ، وكانت الدروب تقضي كلها الى نقطة واحدة هي الانسان وحده ، وهو الذي كان مصير كل شيء في الوجود اليه ، ومنطلق كل شيء من عنده ، فمؤلفات مي واحدا بعد واحد من « أزاهير حلم » الذي صورت فيه بالفرنسية أطوار حياتها الاولى كانت تدخل فيه الى نفسها واحساسها لتعبر عن الانسان المتسائل عن أسرار الكون والطبيعة الى «سوانح فتاة» و « ظلمات واشعة » و « بين الجزر والمد » و « المساوات » وغير ذلك من كتبها ومحاضراتها ، نرى ميا فيها تعالج المشكلات الانسانية قبل أن تعالج غيرها ، لكن على طريقتها ومن وجهة رأيها .

وكان تمحيص مي لهذه الامور يبلغ الاعماق والطوايا، ولا يقنع بالسطوح حتى أكاد اصف آثار مي بأنها كانت المرآة الصافية لادبها وحياتها قبل محنتها .

على ان هذا الادب الذي عكفت فيه مي على ذاتها فراتها في فصول من النثر شائقة التعبير فنية الطراز أو في حديث يرويه مرتاد مجلسها او رسالة كتبتها على سجيتها لم يكن الا فيضا من أصالة وابداع ، فقد أوتيت هذه الاديبة موهبة خصبة في الاداء والخيال وفي التأمل والتفكير ، وكانت مثل طائر غرد حط على غصن في الدوح ، فأنس بالظل والنسيم وطاب له الشدو والتفريد، وما كان دوحها الاول الا في منبتها لبنان ثم على ضفاف النيل حيث تألق أدبها في آفاقه وتفتح قلبها على حب أهله ومجاليه .

ومي زيادة حين طالعت آثار من تقدموها من أعلام الفكر والبيان كالشدياق واسحاق ، وجبران والريحاني ، وولي الدين واسماعيل صبري ولطفي السيد ، تأثرت بثورتهم على التخلف والهوان ، وانطلقت في تعبيرها وثقافتها ، ولم يكن أحد من هؤلاء الا انسانيا في تفكيره ورسالته ، وقد استوحت مي روح الشرق في عاداتها دون تعنت او تكلف ، ولما درجت في طريق الادب كان بستان خواطرها آذن زهره بعد الربيع بالثمر ، فطلعت على الناس كاتبة وخطيبة ، وما كانوا يسمعون مثل كلامها من عربية في أيامها ، ثم قرؤوها بمقالاتها ودراساتها التي جمعت في كتب ومنشورات فتبينوا فيها أدب الانثى التي سبقت الرجال قبل الاوان، وكان ناضحا بانسانيتها وطبعها.

لم يكن بالهين المألوف ظهور هذه الاديبة ابان الصراع بين القديم والحديث في نهضتنا المعاصرة ، وفي حدة النقد لدعوة المفكرين والمصلحين الى تحرير المراة العربية بالعدل والتعليم ، لكن ميا وقد أوتيت ما أوتي قادة الفكر والادب من مواهب ومزايا ، استطاعت ان تفرض شخصيتها بينهم وفي ارقى المجتمعات مشاركة بلباقة وفطنة في نشر الوعي والتطور والحرص على سلامة العربية ومقومات الامة والانسانية بالكتابة والخطابة والقدوة الحسنة وتمثيل المراة الموهوبة بأحسن سيرة وابلغ حجة وبرهان .

اما ابداع مي فقد تجلى في أدبها العربي الاصيل الذي تحرر من التزويق والزخرف وكانا زينة التعبير في زمانها عند المحافظين والمقلدين ، على أن ميا التي طاوعها القلم والاداء كان اسلوبها نسيج وحده ، فقد ابدعته من عند نفسها وسليقتها ، ما قلدت فيه اديبا او خطيبا فكان تعبيرها عن شعورها وتفكيرها يشف عن ذوقها وفنها ويدل محتواه على تجاوبها مع الحياة والمجتمع الذي عاشت فيه .

وقد مثلت مي في أدبها انسانية المراة وحنانها وأشواقها ، ولما كتبت القصة والرسالة وألفت الدراسة الادبية والقت المحاضرات عدت من رواد الفكر والادب في نهضتنا المعاصرة ، اذ تلاقت مع هؤلاء في النزعة الانسانية التي ظهرت في مؤلفاتهم واتجاههم ، وكان لها أثر عميق في حياة الادب والادباء على ضفاف النيل ، فقد جعلت من دارها ندوة لهم ، فأعادت الى تاريخ العرب سيرة المجالس الفكرية التي ظهرت قديما في أزهى عصور الحجاز وبغداد والاندلس ، وقد استطاعت مي ان تجعل من لهجتها العذبة وعربيتها الرشيقة لغة حديث وتحاور لا تنطع فيها ولا تقعر ، فدلت على نبوغ الموهوبة اذا اتيح لها التشجيع والتقدير .

وكان الطموح يحفز ميا للتفوق والظهور ، فتزودت خير زاد من الثقافتين العربية والغربية ، واتقنت تسعا من اللغات الاجنبية ، وقد شاقها أن تصل الى القمة التي بلغها نفر من نوابغ الادباء العرب في هبات التطور والتجديد دون ان تعبأ بحدة الحنين الى ما يسعد الفتاة ويحقق فطرتها ويؤنس وحدتها اذا امتحنها الزمان ، وتخلى عنها المتهافتون عليها في زهرة عمرها ، لكن نبوغها المبكر شغلها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغنية الى صغيري

سيظل الغناء عذبا نديا ... وتفيض الحياة خصبا وريا
سيظل الفؤاد يعمر نورا ... ويخبو الشقاء في محجريا
ستفيض الدموع في حدق العين ... طالما انت باسم يا بنيا
ابتسم ، يابني ، أنت صغير ... لم تزل ساذج الضمير نقيا
انت ما زلت نفحة من أريج ... ونشيدا من السماء عليا
نفحة من ضمائر الغيب ، كونا ... لم يزل غامض الرؤى ، مطويا
وصدى في متاهة الروح ، يغفو ... صامت اللحن ، خاشعا ، أبديا
لا تفق من طفولة اليوم ، اني ... أفتديك الشباب . ظل نديا
أنا أخشى عليك من شظف الدهر ... فتحيا على الوجود ، شقيا
ظل طفلا تهيم في ريق العمر ... ولا تفد ، في الحياة ، عتيا
ظل كالزهرة الضحوك .. طهورا ... لا تدنس وجدانك القدسيا
انما العمر ، يا بني ، اكتئاب ... وخريف يشظ .. يصخب غيا
والوجود الكبير .. درب طويل ... تائه الخطو ، لا يفيق مليا

ايه يا (رائدي) الصغير تبسم ... ان في ثغرك الجميل لريا ...
غيهب في جبينك الحلو يغفو ... فيلسوف الآمال ، بكرا ، شهيا
ان تبسمت فالصباح جميل ... وكئيب اذا بدوت أسيا
انت من روحي الكئيب ابتسام ... نسجتك الاحلام روحا سويا
فابتسم ، يا بني، يرجع فؤادي ... كالصباح الجميل .. أبعث حيا
ابتسم ، يا بني ، ينطفىء الليل ... ليصحو النهار في عينيا
ويعود الربيع للامل الذاوي ... وتزهو النجوم بين يديا

عمان — راضي صدوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برسالة لا تستطيع ان تقوم بها كل اديبة ، فانصرفت الى أدبها وقلمها ، معبرة في بعض آثارها وخواطرها عن قلقها حينا وشوقها الى الامومة الكامنة في جنسها ، وربما انساب تعبيرها في هواجسها دون ان تدري ...

وألفت كتابا في «المساواة» بحثت فيه عن مياسم الطبقات الاجتماعية ، وكيف نشأت واتسمت بمظاهرها ودرست محاولات الفلاسفة والمفكرين لتكوين مجتمعات واعية فاضلة ، وقد أمعنت مي النظر والفكر في مذهب «ماركس» والمشكلات فيه وتناولتها بالنقد والملاحظة ، وكانت قضايا المحرومين والمظلومين تشغل بالها وتشير اليها بمقالاتها ولكن دون ان تجعلها موضوعا قائما على دراسة الاسباب ، فالعطف الانساني كان رائدها في نزعة الرحمة عندها نحو المظلومين والمحرومين .

وفي أدب الرسائل فاض قلب مي بالانسانية المثلى ، فكان بينها وبين الذين توددوا اليها وتحاوروا معها رسالات نضحت بالذوق واللباقة في تعبيرها والاهتمام بشؤون الفكر والحياة والمجتمع ، ولعل اروعها ما دار بينها وبين الرجل الذي فاز بقلبها ، وهو اديب مثلها مضى الى المهجر « بأجنحته المتكسرة » وبواكير الهامه ، فكان بينهما على بعد الديار والامصار أحلام واشواق ، ثم حالت عوائق في اللقاء حتى دهمت العلة هذا الحبيب البعيد وغيبه الموت قبل ان تراه .

ان مولد الانسان في نظر بعض الشعراء والحكماء كأبي العلاء يشبه موته ، وربما كان المهد كاللحد ، وهكذا نجد ميا التي كانت منحة للانسانية وحجة للمرأة العربية في نهضتها الحديثة ، قد سطعت كنجم في الدجى وغابت عند الصباح .

ومثل النجم الذي يبقى ساطعا في النهار ولا تراه الاعين ، بقيت مي زيادة ساطعة في أدبها وآثارها التي تمثلها وتردها بانسانيتها التي عاشت فيها على الارض ، وادت بمنازعها وقلمها رسالة الادب من وجهتها التي آثرتها ووافقت طبعها ومزاجها .

دمشق — وداد سكاكيني

كانوا ثلاثة .. امرأة ورجلين ، يتدافعون بالمناكب ليصل آخرهم قبل اولهم ، والليل في منتصفه ،والظلام الشديد يلف كل الدنيا ويطويها ، والسماء مكتظة بالغيوم وهي تبشر بهطول المطر في كل لحظة مقبلة ..

كانت المرأة في مقدمة الموكب ،ومن خلفها ، على بعد خطوات قصيرة ولدها الذي يناهز الخامسة عشرة من عمره ، وفي المؤخرة كان الزوج يبذل مجهودا كبيرا ليلحق بهما .. وكان يحاول ، ويبذل من قوته واعصابه الكثير ليتصدر مقدمة الركب ..لكن، اشياء كثيرة كانت تحول دون تمكنه، في مقدمتها تقدمه في السن وتصلب الشرايين في الجسد ..

و .. ابرقت السماء .. وارعدت مذعورة ..

وتصبب من جبين السماء العالي حبات صغيرة من ماء غيمة رعناء لم تقو على البقاء اكثر في مكانها ، وارتعش الكون بعد لحظات قليلة .. واقبلت من ابعد ابعاد الدنيا المزيد من السحب .. اقبلت من كل اطراف الدنيا لتصب لعناتها على هذا المكان من العالم .. وانهالت الامطار ..

تباطأت المرأة ، واخفضت من ركضها قليلا ، واشراب عنقها نحو السماء تبحث فيها عن القليل من الرحمة .. ثم التفتت الى الوراء نصف التفاتة لتبحث عن الرجلين .. ورات ولدها على بعد خطوة منها .

ـ اين والدك ..

نفض الابن من ثيابه حبات المطر ، والتفت الى الوراء يبحث بعينيه القلقتين عن والده ، وقال :

ـ سيأتي ، فقد تركته ورائي .. لكن ، مالك تلهثين يا أماه ..

قالت بلا مبالاة وفوق وجهها تنام خيبة الدنيا كلها :

ـ لا شيء ..

ـ لم يبق الا القليل ونصل ..

ـ كم بقي ..

ـ مسافة عشر دقائق ونحن نركض ..

واحسا معا على حركة خافتة تنبعث بتثاقل من ورائهما ، التفتت الام بسرعة الى الوراء شبه مذعورة ، ورات زوجها يزحف ببطء وارتخاء نحوهما وصدره يلهث من شدة التعب .. نظرت اليه نظرة خرساء باهتة لا معنى لها ، ورفع هو راسه اليها.. تاملها لحظة سريعة ، وقال وهو يبتلع انفاسه بصعوبة :

ـ لماذا توقفتما .. لماذا ..

رد الابن وهو يركل الارض بقدمه:

ـ كنا ننتظرك ..

وقالت الام وهي تبتسم لزوجها بضيق لتشد من عزيمته على المضي في الدرب الطويل بلا يأس :

ـ الا تجلس قليلا لتريح نفسك..

ثم اردفت وهي تتأمله بحنان واحترام معا :

ـ اجلس ، فما زال هناك بعض الوقت على بزوغ الفجر.. اجلس..

ـ كلا ، هيا بنا نواصل الطريق ، وتذكر ان الحياة دائما للذي ينتهز الفرص .. واردف وهو يتطلع في سماء عينيها المتعبتين دائما :

ـ اننا بحاجة الى كل دقيقة لنصل الى هناك .. ان الحظ يحسب دائما بالثواني .. في لحظة واحدة قد تجدين ان كل شيء هو لك وحدك ، ثم .. في اللحظة المقبلة قد تفتحين عينك فلا تجدين سوى السراب يملأ الدنيا .. لذلك ، يجب ان نكون هناك مبكرين لنسبق الكل ..

قال الابن وهو يتأهب للركض :

ـ ان والدي معه الحق يا أماه.. فلنركض ..

الام بملل ونظراتها تتيه في كل صوب من السماء :

ـ يا لها من ليلة ..

الابن وهو ينقل نظراته بقلق الى المكان الذي تجول فيه نظرات أمه :

ـ ليلة متعبة ..وانني اكره المطر ..

بحدة وغضب ، لكن ما زال في الصوت نفحة من حنان ، قال الاب :

ـ كفاكما تشاؤما .. وكونا متفائلين ، وليكن رائدكما .. العمل دائما من اجل ان نعيش بأمان فوق هذه الارض ..

الام وهي سارحة في السماء :

ـ اووه ..لكم بت اكره هذه اللقمة ، واكره الدنيا كلها .. في كل مرة اسأل نفسي ، لماذا لم اخلق لاعيش كما تعيش غيري من النساء .. لماذا .. لماذا خلقت لاشقى في هذه الدنيا .. وكم سيطول هذا الشقاء يا الهي..

ـ انت تفكرين اكثر مما يجب ، وهذا خطأ يا ايتها المرأة ، ودائما تبتعدين عن الواقع الذي انت فيه ، لذلك فمكتوب عليك الشقاء دائما..

ـ لكن لماذا .. لماذا أشقى دائما..

ـ باحلامك السرابية هذه لن تزيدي الامر الا تعقيدا، لذلك انصحك بالعودة الى الواقع الذي خرجت عليه وتتركي هذه الاحلام لغيرك من نساء الارض ..

ـ احلامي السرابية ..

ـ احلامك هذه ، لذيذة ، مريحة، وناعسة .. ولكن الحقيقة التي نحن فيها تعارضها بشدة ..

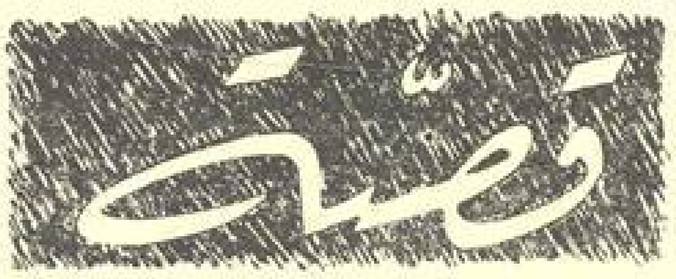
ـ هل تدري كم تأخذ مني هذه الاحلام .. هل تدري ..

ـ كل وقتك ..

ـ بل كل عمري..ولشد ما اتمنى لو اعيش كما تعيش غيري من النساء، براحة ، وهدوء ، وطمأنينة ..اتمنى

بارقة أمل
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حازم مراد



ان افتح عيني ذات صباح فأجد ان احلامي هذه قد تحققت .. وليس هذا على الله بكثير ..

ـ كلا .. لكن ، لماذا نشرك الله ، دائما في متاعبنا ..

ـ لا ادري ..

بتأفف وضجر ، وهو يتأهب لمتابعة الطريق ، قال :

ـ حاولي ان تحصري تفكيرك بالواقع الذي نحن فيه .. واقعنا نحن الثلاثة ..

بحقد، وهي تلوي شفتيها امتعاضا:

ـ اني اكرهه .. اكرهه ، هذا الواقع القذر ، الدنيء .. اكرهه ..

تضايق الابن في مكانه ، وقال وهو يدير نظراته ما بين والديه :

ـ اماه ، فلنسرع وكفاكما كلاما لن يطعمنا سوى الهم والكدر ..

قال الاب وفوق شفتيه تبرق ابتسامة حزينة :

ـ انت مصيب يا بني .. اما انت ايتها المراة .. لست الوحيدة ، وهنالك فلن أزيد الموقف الا تعقيدا ..

الام بتذمر : ـ لانني امراة .. امراة كغيري من النساء ، قد جبلت كما جبلت غيري من طينة واحدة ، لكن الاقدار لم تكن رحيمة معي فسودت حياتي وجعلتني احترق حتى الموت الف مرة في اليوم ..

ـ لست الوحيدة على اي حال يا ايتها المراة.. لست الوحيدة ، وهنالك الكثيرات غيرك ، وهنالك من هن دون مستواك .. ولكل امراة ظروفها وحظها في الدنيا ..

ـ لا تهمني غيري من النساء ، وتهمني نفسي قبل كل نساء الدنيا..

الاب بضجر وهو يتطلع في جوف السماء ويلعن في سره :

ـ حكايتنا ستطول .. ومن الخير لنا ان نسرع قبل ان يدركنا الوقت فتهلكنا افكارك هذه يا أيتها المراة التي لا تحاولين ان تفهميني .. فلنسرع ..

و .. تحرك الموكب.. وسار الابن في المقدمة ، ومن وراءه الام ، وعلى بعد خطوة كان الاب يجر جسده جرا من مكانه ليدفعه على السير ..

كان سيرهم بطيئا في لحظاته الاولى .. ثم اخذوا يسرعون ببطء .. اسرع الابن ، وكان ما يزال في مقدمة الموكب ، وكان من الطبيعي ان تلحق به الام ، ويضطر الاب ان يضاعف من سرعته ليبلغهما ..

ومضت لحظات سريعة .. وتحول سيرهم الى ركض سريع ..

واضطربت السماء .. ابرقت ، ثم ارعدت ، ثم انهالت من جوفها الامطار بغزارة .. وغارت اقدامهم في الوحل ، وتبللت ثيابهم ، ولم يأبهوا .. كان اهم ما يهمهم ان يصلوا قبل غيرهم الى المكان الذي سيشتغلون فيه ..

و .. بلغوا مكان العمل ..

اجال الاب بنظراته في ارجاء المكان الكبير يبحث فيه عن سر الموت الذي يلفه من كل الجوانب ، واصغت اذناه لحظة .. وكانت على استعداد لالتقاط صوت دودة تنخر في الارض على بعد ميل ، وانتابته موجة قاتمة من الدهشة .. الصوت.. الاصوات .. اين دوي المكائن الذي يسبق الآذان ، الصوت الذي كان يمقته ويتمنى اللحظة لو يدوي والى الابد في اذنيه .. وضجيج العمال الذي كان يملأ كل الدنيا من حوله .. اين هم العمال .. اين .. كان يتمنى لو يسبق كل عمال الارض الى هذا المكان .. الان ، يتمنى لو يجتمع عمال الكون كلهم في هذه البقعة من الارض ليؤمن بأن المكان مكان عمل ..

وسأل الابن امه بلهفة وشوق ورأسه يدور في كل جهة من المكان :

ـ من اين ندخل ..

رد الاب وانفاسه تتلاحق في صدره المتعب :

ـ تعالا من هنا ..

وسارا من خلفه .. ووقف الاب عند منتصف الطريق المؤدي الى المدخل ، وترددت نظراته قليلا تبحث بحيرة واضطراب عن سر هذا السكون القاتل ، وتتابعت انفاسه ، وخفق القلب في الصدر ، واضطرب .. وخامرت نفسه القلقة هواجس شتى .. ومد يده بتردد الى الباب الحديدي الكبير ليدفعه فيفتح لهم الطريق الى الداخل ..

و.. سمعوا صوتا من بعيد يصيح بهم على حين غرة :

ـ قفوا في اماكنكم ..

اجفلوا في مكانهم .. وببطء وتراخي حاول الاب ان يستجمع بعض حيله ويلتفت قليلا الى الوراء ، لكن صيحة اخرى اشد من الاولى واقسى اردعته في الحال وشلت كل قواه :

ـ لا تتحرك .. الم تسمعني ايها الرجل ام تريد ان تعرض حياتك للموت ..

سأل الابن امه وهو يرتعد من الخوف :

ـ ماذا حدث يا أماه.. ماذا حدث..

ردت الام وانفاسها تلتهب من الخوف في صدرها :

ـ لا تخف يا بني .. لم يحدث ما يخيف ..

همس الاب للأم بصوت مبحوح يخنقه التردد :

ـ هناك شيء نجهله .. وعسى ان تمر هذه الليلة بسلام ..

زمجر الصوت ايضا وهو يقترب منهم :

ـ بلا حركة والا اطلقت عليكم الرصاص..لا تحاولوا ان تتحركوا..

واقتربت الاقدام الثقيلة ايضا .. واقتربت ..واقتربت .. وفي كل لحظة كانوا يحسون بانفاسهم يزداد تلاحقها في الصدور ، وبالقلوب تدق بعنف وخوف ..

و .. وجها لوجه ، صافحت نظراتهم الخائفة وجه الرجل الغريب الذي يهددهم بالرصاص ، واحسوا بالمزيد من الخوف يتسرب نحوهم ، وخارت كل قواهم وهم يرون البندقية الكبيرة مسددة اليهم ويده على الزناد.

اراد الاب ان يتكلم ، لكن الرجل

عاجله وهو يسدد بندقيته الى صدره تماما :

ـ ماذا جئتم لتفعلون هنا في هذه الساعة ..

ابتلع الاب انفاسه بصعوبة ،وقال وهو يرخي عينيه الى الارض :

ـ انت الحارس كما ارى ..

قهقه الحارس عاليا ، وقال بسخرية تدعو الى الخوف والحذر :

ـ وانت اللص كما ارى ..

ـ فليسامحك الله ايها الرجل ..

ـ لا تحاول ان تنكر ..

ـ انكر ماذا .. اهذا كلام يقال ايها السيد ..

ـ لصوص .. انتم لصوص .. وجوهكم تقول هذا .. حركاتكم في الظلام تقول هذا .. خوفكم وانتم متلبسون بالجريمة يقول هذا ..

ـ هل ترى لنا اوجه لصوص ..

ـ لا اجد في الوجوه اية مسحة براءة ..

لم تطق المرأة ان تسكت اكثر ،وقد كانت تود لو ان زوجها يفض الموقف، وقالت بحزن يلفه بعض الخوف :

ـ اننا حقا من فقراء الناس ، لكننا لا نرضى ان نوصم باللصوص .. ونحن اشرف من هذه التسمية ايها السيد .. اشرف ..

قال الحارس ونظراته تنصب في عيني المرأة :

ـ اشرف .. كل اللصوص حين يضبطون متلبسين بالجريمة يتخاذلون منذ اللحظة الاولى ويحاولون استجداء من يقبض عليهم .. كلكم هكذا .. لكنكم بهذه الكلمات الرقيقة لن تقنعوني ابدا ..

المرأة ايضا واوصالها ترتعد من الخوف :

ـ اهذا كلام ..

ـ الا يعجبك هذا الكلام ..بالطبع لن يعجبك ، لكني خير من يفهم مثل هذه الزمرة من الناس .. والعشرات من امثالكم قد سبق لي وتعاملت معهم من قبل ان اتعرف عليكم ..واللصوص انواع وانواع .. كالبضاعة تماما.. فيهم النوع الطيب الرقيق المهذب ، وفيهم النوع المتوحش الشرس .. وانتم .. انتم من اي نوع ..

ـ لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاء..

ـ اسمعي ايتها المرأة .. كنت في اول عهدي بهذه الشغلة اصدق بسرعة ، وكنت امتلك قلبا رقيقا لا يعرف الحقد ولا الغضب .. اتدرين ما الذي سببه لي هذا القلب العطوف الممتلىء رقة .. أتدرين ..

ـ لكننا يا سيد ..

الحارس مقاطعا : قلبي العطوف هذا قد اوقعني في الكثير من المتاعب، وجعل الرؤساء يغضبون علي دائما.. لكني ، وبعد ان تمرست في هذه الشغلة استطعت ان اضع قلبي على الارض واسحقه بأقدامي .. وكما ترين ، لم يبق لي قلب .. واستطعت ان اتوصل من خلال تجاربي الكثيرة مع امثالكم الى شيء .. هل تريدين ان تعرفي ما هو ..

لم يقل احدهم اي شيء ، وعاد الحارس الى القول :

ـ تعلمت ان لا اعطف ولا اعفو على الذين يخالفون القانون ويعاكسونه.. اتعرفون لماذا .. اتعرفون .. لانهم يضرون بالمصلحة العامة ..

نفد صبر الاب ، وقال وما يزال خوفه في تزايد من البندقية المصوبة نحوه :

ـ اية مصلحة عامة هذه يا سيد..

ـ المصلحة العامة .. هل تريد ان اشرح لك هذه العبارة ..

ـ كلا ، لا أريد .. واؤكد لك اننا لسنا من هؤلاء ..

ـ كل الذين قد قبضت عليهم اكدوا لي هذا .. ثم ، بعد التحقيق ثبت انهم من هذه الزمرة المخربة التي تدوس على القانون وتضر بالمصلحة العامة ..

ـ لكننا لم نفعل اي شيء يضر بالمصلحة العامة ..

ـ يقول لم نفعل .. وماذا تريدون ان تفعلوا اكثر من هذا الذي فعلتموه .. ما الذي تريد ان تفعله اكثر .. قل لي .. قل لي ، ماذا تريد ان تفعل اكثر ..

ـ انت قل لي ما الذي فعلناه لننال منك كل هذا الغضب ..

ـ انتم دستم على القانون .. والقانون ، هل تعرف ما هو القانون ايها الرجل الجاهل .. هل تعرف ماذا تعني كلمة القانون..هل تعرف..

ـ لا اريد ان اعرف ..

ـ بالطبع لا تريد .. انت تريد ان تسرق فماذا تفعل بالقانون ..

ضاق صدر الاب بالحارس ،وقال ونظراته تتيه في كل صوب من المكان تبحث فيه عمن يعرفه من الناس لينقذوه :

ـ قد لا تصدق لو قلت لك اننا جئنا من مكان بعيد الى هذا المكان وتحملنا كل هذا العناء من اجل العمل في هذا المكان .. وقد اوعدوني البارحة ان يشغلوني هنا ، وهذه زوجتي ، وهذا ولدي ..

قال الحارس بيقظة وحذر :

ـ قل غير هذا الكلام .. ومهما ستقول فلن يشفع لك عندي ..

قالت الزوجة وهي تردد نظراتها ما بين زوجها والحارس :

ـ انها الحقيقة .. وصدقنا ..

ـ اية حقيقة هذه .. وما قيمة الحقيقة هذه بعد ذهابكم .. قولي لي ، هل ستبحث معي هذه التي اسمها حقيقة عنكم لو ثبت انكم من اللصوص ..

ـ لكننا لسنا منهم.. الا تصدق..

ـ لا اصدق ؟ .. كلا .. لا اصدق ..واين هو الدليل الذي استند عليه لأصدق مثل هذه الاقوال الفارغة .. اريد الدليل .. اين هو الدليل ..

ـ وجوهنا فيها الدليل .. هل ترى لنا اوجه لصوص .. اهذه وجوه لصوص ام وجوه اناس فقراء قد شردهم الفقر واقلقتهم الحاجة الى اللقمة فأقبلوا من أبعد ابعاد الارض بحثا عن اي شيء يسدون به رمقهم .. انظر الينا ، وماذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملاح التائه

الى روح الشاعر الخالد علي محمود طه في ذكراه السادسة عشرة

★ ★ ★

هذي ضفاف النيل كل صباح ... ترنو وترجو عودة الملاح
أين الشراع الطلق أين خفوقه ... في الثائر العاتي وفي الضحضاح
قد كان يرسو في الضفاف محدقا ... في الافق عبر ربى وعبر بطاح
ويردد النغمات من أشعاره ... ما بين اودية الربيع الضاحي
فتهب اسراب العذارى في الضحى ... نشوى لخفق شراعه اللماح

يا أيها الملاح عد لشواطىء ... من بعد نأيك في أسى ونواح
ان الضفاف الخضر أمسى حلمها ... في كل ليل أوبة الملاح
تبغي شراعا كان يسبح هائما ... في النيل بين عرائس الادواح

ان الندامى لم يغنوا للهوى ... لحنا ولا رفعوا كؤوس الراح
يتساءلون عن ابتعادك كلما ... غنى الربيع بلحنك المراح

يا أيها الشادون في ركب الهوى ... قد ضاع مزمار الهوى في الساح
وتفرق السمار بعد ضياعه ... فاليوم ليس رجوعهم بمتاح

قد تاه ملاح الضفاف وضاع في ... لجج البحار وبين عصف رياح

البحرين — احمد محمد الخليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تريد اكثر ..

تردد الحارس قليلا قبل ان يقول ونظراته تتفحص المرأة والرجل معا ، ثم تستقر على الابن :

ـ لكن .. الا تعلمون ان العمل يتوقف هنا كلما تهطل الامطار .. الا تعلمون ..

تناسى الاب في لحظة كل الدنيا ، وتناسى البندقية المصوبة الى صدره، وهب من مكانه فجأة على كلمات الحارس الاخيرة ، وتمتم من خلال موجة الحزن والكآبة التي اخذت تظلل كل شيء من حوله لتعيده الى العدم ، وقال :

ـ لماذا لا يشتغلون .. ما شأن الشغل بالمطر ..

رد الحارس ببطء وهو ينزل بندقيته الى الارض :

ـ لانهم يحفرون الاساس .. هل تريد ان تعرف ما هو الاساس ..

ـ اعرف .. وقد اصبنا بخيبة امل كبيرة .. واأسفاه ..

تردد الحارس ايضا ، وقال :

ـ عودوا من حيث اقبلتم ..

قالت المرأة وهي تنفض عن كواهلها كل الخوف الذي كان قد اعتورها :

ـ هل اقتنعت بأننا لسنا من اللصوص ..

رد الحارس بجفاء وهو يرمقها ببلاهة :

ـ كلا .. لكن ، من الافضل ان اترككم لحالكم ، فلربما كنتم من غير هؤلاء ..

تمتم الابن وهو يتعلق بعيني والده المتعبتين :

ـ هل نعود ..

ـ ليس لنا غير العودة.. هيا بنا..

قالت المرأة باشفاق :

ـ فلنركض .. لعلنا نصل كوخنا بسرعة ..

قال الرجل بيأس ونظراته ما تزال تائهة تبحث في المكان عن بارقة امل ضئيلة :

ـ لم يعد للسرعة في حسابنا اي مكان ..

و .. بمنتهى التثاقل ، وبتراخي وضيق ، قفلوا عائدين من حيث اقبلوا .

بغداد — حازم مراد

عيسى منون - بولس سويد

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ عيسى منون

على ضاحية مشرقة من ضواحي بيت المقدس تجثم «عين كارم» البلدة الصغيرة الوادعة التي تظللها اشجار السرو والصنوبر وتزينها الدوالي والتين والزيتون . وفي هذه «العروس المزينة» ولد الشيخ عيسى منون عام ١٨٨٨ ونشأ وترعرع ثم رحل الى مصر طلبا للعلم في الازهر الشريف على يد كبار علمائه .

وفي عهد طفولته لمح فيه جده أحمد منون مخايل النجابة والاقبال على الدرس والانكباب على المطالعة فكان يشجعه على المضي في ذلك ويهيء للحفيد ما يحقق رغباته ويشبع نهم نفسه الطموح . وفي تلك السن المبكرة هيأ الله له استاذا عالما اختصه بمزيد من العلم هو الشيخ يوسف الحبية فقرأ عليه مبادىء العلوم من النحو والصرف والفقه والتوحيد فتفوق على أقرانه واستوعب العلوم المقررة في منهاج الدراسة من الحساب والتاريخ والتقويم وجودة الخط ، الامر الذي حمل استاذه على ان يختاره لمشاركته في تدريس الطلاب وتحمل اعباء المدرسة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ونظرا لما لمس الاستاذ في تلميذه من ذكاء نادر وقدرة تامة على اداء الدروس للطلاب شجعه على تأدية امتحان يعقد في مكتب مدير معارف القدس لاختيار مساعد للشيخ حبيه . وبعد ان تقدم الشاب النجيب للامتحان حاز اعجاب المشرفين اذ رأوا ان كفايته العلمية وثقافته الممتازة تؤهلانه لان يكون استاذا في احدى ضواحي القدس لكنه آثر البقاء مدرسا في مسقط راسه .

الى الازهر الشريف : وبعد عام أمضاه الشيخ عيسى في عمله الجديد بارح والديه عام ١٩٠٤ مبحرا من ثغر يافا المدينة العربية الى مصر وانتسب الى الازهر لتلقي العلوم من منابعها الصافية وانهارها المتدفقة وهناك أدرك نخبة ممتازة من الشيوخ الاجلاء الافذاذ أمثال : الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي والشيخ عبدالحكيم عطا والشيخ أبو عليان ـ وقد كان آية من آيات الله في دقة الفهم واشتهر عنه ذهنه لم يكن يقبل الخطأ ـ والشيخ محمد بخيت والامام الشيخ محمد عبده والشيخ دسوقي العربي والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ احمد نصر . وفي هذا المعهد الشريف حبس نفسه على طلب العلم بعزيمة صادقة وهمة لا تعرف الملل .

وبعد انتساب الشيخ منون للازهر بخمس سنوات ادخلت مشيخته الانظمة الحديثة ووضعت الطلاب في سنوات دراسية تناسب مؤهلاتهم العلمية وجعلت مدة الدراسة اثني عشر عاما ، ولهذا الفرض أجرت اختبارات وعقدت لجانا لفحص الطلاب فأسفرت نتيجة امتحان الشيخ عن الحاقه بالسنة التاسعة الدراسية مع انه لم يمض على انتسابه للازهر الا خمس سنوات ونال أعلى الشهادات وهذا تفصيلها :

شهادة الاهلية : في عام ١٩١١ دخل امتحان هذه الشهادة من الدرجة الاولى وكان موضع اعجاب اساتذته وتقديرهم . شهادة العالمية : بعد أن نال الشيخ منون شهادة الاهلية من الدرجة الاولى سمت به همته الى التقدم لامتحان شهادة العالمية وكانت عهدذاك أعلى درجة علمية في سائر انحاء العالم الاسلامي ، ولقد دلت أجوبته على ذكاء نادر وذهن صاف وطلاقة لسان وجودة بيان ، وظهر أمام اعضاء لجنة الامتحان شخصية علمية فذة .

ومما يروى ان الشيخ حسين والي دخل على اللجنة في ذلك الحين وجلس يستمع الى اجوبة الشيخ منون والتفت اليه متسائلا : « اني لأعلم بأن ابناء القطر السوري مشهورون بالادب وقرض الشعر وسأرى الساعة اذا كانت هذه الشهرة في محلها اولا ! » ثم وجه للشيخ سؤالا دقيقا في اجزاء الدوائر العروضية فأجاب : « ان العروضيين انما فعلوا ذلك لاستيفاء اجزاء الدائرة » فسر الشيخ والي بجواب دقيق لسؤال غامض لا يتنبه اليه او يجيب عنه الا من اوتي حظا من الفطنة والذكاء .

التدريس في الازهر : كان الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الازهر في عداد اعضاء اللجنة التي امتحنت الشيخ منون ولقد أسر في نفسه ان ينتفع بهذا الشاب الفلسطيني اللامع وينفع به ابناء الازهر لما أنس فيه من براعة وسعة أفق فعينه مدرسا في القسم الاولي وبعد سنوات رقي مدرسا في القسم الثانوي فمدرسا في القسم العالي وفي هذه الفترة وضع مؤلفه النفيس «نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول » .

وحينما انشئت أقسام تخصص مادة التوحيد واصول الدين ، وهي التي تخرج اساتذة للتدريس في الكليات ، انتخب الشيخ منون استاذا لتدريس هذه المادة.

وفي عام ١٩٣٩ نشر كتابه « نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول » فتقدم به الى جماعة كبار العلماء للحصول على عضويتها فانتخب عضوا بالاجماع في الجماعة ومنح كسوة التشريفة من الدرجة الاولى عام ١٩٤١ .

انتخابه شيخا لرواق الشوام : وبعد وفاة الشيخ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحيى الخليلي شيخ رواق الشوام انتخب الشيخ منون بالاجماع شيخا لهذا الرواق وكانت باكورة اعماله عنايته بالاوقاف المحبوسة على الطلاب ، فجدد دارسها ورمم ما تداعى منها .. ومن مآثره الحميدة انه جعل من بيته العامر ندوة علمية يغشاها الطلاب ليغترفوا من منهله العذب وانه حمل ذوي الشأن في الجامعة الازهرية على فتح أبواب مدرسة القضاء الشرعي المغلقة في وجوه الطلاب غير المصريين اذ كان من شروط الانتساب ان يكون الطالب حاملا لشهادة العالمية المصرية ، وان يكون حنفي المذهب فذلل الصعاب في وجوه الطلاب .

وثمة مأثرة اخرى انه سعى الى اقناع ولاة الامر بقبول الطلاب في كليات الازهر وهي : كلية الشريعة وكلية اصول الدين وكلية اللغة العربية وكان من شروط الانتساب ان يكون الطالب حائزا على شهادة الدراسة الثانوية ولم يكن هذا الامر ميسورا للطلبة الغرباء الوافدين من شتى انحاء العالم الاسلامي .

طلاب البعوث الاسلامية : كان الكثيرون من طلاب البعوث الاسلامية يفدون الى الجامع الازهر وهم لا يجيدون اللغة العربية ، وكانت الانظمة المعمول بها لا تفي بحاجاتهم العلمية ولا تحقق الغاية التي من أجلها فارقوا أوطانهم ، فضج الطلاب من هذا الوضع ورجوا الشيخ منون ان يطلع ذوي الشأن على مبلغ الضرر الذي يصيبهم فسعى الى استصدار قرار من فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر بتأليف لجنة من بعض مشايخ الاروقة برئاسة الشيخ منون للنظر في حالة أولئك الطلاب وشكاواهم ونسبت للشيخ الاكبر فتح ابواب كليات الازهر والاقسام النظامية في وجوههم .

الطلاب الفلسطينيون : وبعد ان نفضت بريطانيا يديها من انتدابها على فلسطين تمهيدا لقيام دولة اسرائيل وأجلت عرب فلسطين عن ديارهم وقعت الطامة الكبرى وسقطت مدن وقرى فلسطينية فانقطعت موارد الطلاب الفلسطينيين المنتسبين الى معاهد الازهر الشريف وكلياته واقسامه فهب الشيخ منون الى جمع تبرعات طائلة لمساعدتهم وتوزيع الاعانات المالية عليهم .

مشيخة كلية اصول الدين : وفي خريف عام ١٩٤٤ اسندت هذه المشيخة للشيخ منون تقديرا لعلمه واخلاصه في عمله وسارت الدراسة في عهده سيرا حميدا وأقبل الطلاب على اداء واجباتهم على أحسن وجه .

مشيخة كلية الشريعة : وفي ربيع عام ١٩٤٦ اسندت هذه المشيخة للشيخ منون وكلية الشريعة في الازهر تعد بحق أعظم كلياته واجلها شأنا واكثرها اهمية اذ ينتظم في سلكها العديد الاوفر من طلاب البعوث الاسلامية وهي التي تخرج للامة العلماء والاساتذة والمدرسين والقضاة الشرعيين ورجال المحاماة .

لما قصد الشيخ منون كلية الشريعة لمزاولة عمله الجديد لمس ان الدراسة هناك ليست منتظمة الفصول لاسباب تتصل بظروف سياسية كانت تسود ذلك العهد وعلم ان نفرا من طلاب الكلية قد فصلوا وان لفيفا من الاساتذة والمراقبين نقلوا الى المعاهد الدينية وان جملة اسباب حملت طلاب الكلية على الانصراف عن الدراسة تضامنا مع المفصولين ، فعمل فضيلته على تسوية الامور واعادة الطلاب المفصولين والاساتذة المبعدين الى مقاعدهم ، وبذلك زالت مخاوفهم وهدأت نفوسهم . وأمضى الشيخ منون زهاء عشر سنوات عميدا لكلية الشريعة فساس شؤونها سياسة مصلح خبير وغرس في نفوس طلابها الورع والتقوى والعمل على ضوء كتاب الله وهدي رسالة التوحيد .

يعتزل العمل : وبعد ان أمضى الشيخ منون في خدمة الازهر الشريف اثنتين واربعين سنة وشهرين كاملين في عمل مثمر متواصل طلب من مشيخة الازهر اعتزال العمل ليتفرغ لبحوثه العلمية الخاصة ، بعيدا عن قيود الوظيفة ومتطلباتها . وتقديرا للجهود التي بذلها في حقل الازهر الشريف اقام اساتذة كلية الشريعة وطلابها حفلة تكريم لفضيلته وفي الكلمة التي ألقاها أوصاهم بالازهر خيرا وحضهم على ان يكونوا رواد رحمة ومعروف وخير . ومن قصيدة القاها الشاعر الشيخ ابراهيم علي أبو الخشب قوله :

شيخي وانت اطيل المدح مبتعدا ... في القول أو أرسل الاوزان مقتربا
ارضيت ربك فيما كنت تفعله ... من واجب وصنعت الخير محتسبا
حتى بلغت منى هيهات يبلغها ... سواك مهما عدا في السير أو وثبا
ونحن حولك ود خالص ، وهوى ... محض يدوم على ايامنا عجبا
باه الملوك بنا واسخر بما ملكوا ... ملكت منا المقال الحلو والادبا

في لجنة الفتوى : ولم يمض على اعتزال الشيخ منون العمل أيام معدودات حتى تلقى كتابا من فضيلة شيخ الجامع الازهر يدعوه الى مواصلة عمله في لجنة الفتوى بالازهر ويعرب عن امله في ان لا يحرم الازهر من جهوده وبحوثه العلمية .

في لجنة الحديث : وفي آخر حياته انتخب رئيسا للجنة الحديث التي الفت في الازهر لمراجعة كتاب «الجمع بين الصحيحين » الذي اهتمت مشيخة الازهر باخراجه خدمة للسنة الكريمة ، وظل رحمه الله يعمل في لجنة الحديث هذه بهمة ومضاء عزيمة حتى وافاه الاجل المحتوم.

وفي ليلة الاثنين مساء الاحد الموافق ٦ كانون الثاني ١٩٥٧ فاضت روح هذا العالم الجليل ونعته مشيخة الازهر وكليات الشريعة واصول الدين واللغة العربية ومعهد القاهرة ومعهد الزقازيق والهيئة العربية العليا لفلسطين ورابطة الطلاب الفلسطينيين بمصر كما نعاه سماحة الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الى العالمين العربي والاسلامي ونوه بمكانة علمه وتبحره في العلوم الاسلامية. وختم سماحته نعيه الشيخ عيسى بقوله :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ولقد عاش رحمه الله وفيا لمصر العزيزة كما كان وفيا لاهله وقومه بفلسطين ، ولو شاء رحمه الله لتولى اكبر المناصب العلمية في وطنه الاول ولكنه كان يرى في بقائه بمصر نفعا أوسع لطلاب العلم من مختلف البلاد الاسلامية ، واستمر على ذلك مؤديا لواجبه الديني والعلمي حتى وافاه الاجل وانتقل الى رحمة ربه راضيا مرضيا فكانت وفاته خسارة كبرى حلت بالمسلمين بفقد هذا العلامة الجليل الذي قل نظيره بين أهل العلم والدين » .

ودفن هذا العلم الفذ في قرافة الامام الشافعي بالقاهرة .

من آثاره القلمية : ١ ــ كتاب «نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول » .

٢ ــ كتاب « المجموع » للامام النووي الحافظ الورع وفيه شرح لمذاهب العلماء كلهم ، بعد ان تم طبع الاجزاء التسعة من كتاب « المجموع » توفي الامام النووي قبل اتمام الجزء العاشر فرأى الشيخ عيسى منون ان هذا الكتاب عظيم الشأن ومنزلته في الفقه الاسلامي عامة وفقه الامام الشافعي خاصة لا يدانيه فيها مدان ، ونظرا لجلال قدر هذا الكتاب وسعة مباحثه وشموله التام لآراء الائمة ومذاهبهم شمر عن ساعد جده فبدأ عمله من أول كتاب النكاح لاهمية مباحث الاحوال الشخصية وحاجة اهل العصر الى تدوينها ، وقد أنجز من هذا العمل الجبار نحوا من مئة كراس من القطع الكبير ، والكراس الواحد يقع في اربعين صفحة ولكن وفاته حالت دون اتمام هذا المشروع الجليل .

٣ ــ رسالة في مناسك الحج .

٤ ــ محاضرات في التوحيد واصول الفقه .

٥ ــ رسالة في الرد على القائلين بجواز ترجمة القرآن .

٦ ــ رسالة في الرد على من يدعون الاجتهاد في هذا الزمان .

٧ ــ رسالة في حكم قتل المرتد .

وكان الشيخ منون رحمه الله يشترك مع جماعة كبار العلماء في اذاعة محاضرات دينية في شهر رمضان المبارك تذاع على العالمين العربي والاسلامي وفيها يتناول تفسير بعض آي الذكر الحكيم ويشير الى كثير من اسرار الشريعة السمحاء .

نموذج من نثره : « (١) الترجمة هي ابانة معنى كلام من لغة من اللغات بكلام آخر من لغة اخرى . قال في «المصباح» : يقال ترجم كلام غيره اذا عبر عنه بلغة أخرى .

من المعلوم عرفا ان ترجمة اي كتاب أو رسالة تكون مساوية للاصل ومحاذية له في حكاية المعنى ونسبته الى ما هو منسوب اليه في الاصل . فترجمة « انا انزلناه في ليلة القدر » تكون بلفظ من لغة اخرى يفيد الاخبار من الله بأنه انزل القرآن في ليلة القدر ولا تكون الترجمة حقيقية الا اذا اتفقت الفاظ اللغتين في افادة هذا المعنى من غير زيادة ولا نقصان ، وحينئذ يجوز ان تحل الترجمة محل الاصل وتستوي اللغتان في الاعتماد عليهما والاحتجاج بكل منهما عند الحاجة الى العمل بهذا المعنى ، ولا يتحقق ذلك الا اذا كان المترجم حاذقا للغتين واقفا على مراد المتكلم الاول من كلامه بطريق من الطرق دون الاعتماد على مجرد فهم كلامه لمعرفته بأصول لغته . وبغير ذلك تكون الترجمة تقريبية وتتفاوت في القرب من الاصل والبعد عنه حسب قوة المترجم وضعفه .

والترجمة التقريبية لا تحل محل الاصل في الاعتماد عليها في موطن العمل المبنى على مقتضى ما تفيده النصوص ، لكن العرف العام بين الناس يعتبر الترجمة حالة محل الاصل مطلقا سواء كانت حقيقية او تقريبية وسواء كانت الترجمة واحدة او متعددة من لغة واحدة او من عدة لغات ، وسواء كانت المتعددة متفقة او مختلفة ، كترجمة التوراة والانجيل ، فانهما تسمى في العرف بالتوراة والانجيل ، وككتاب كلية ودمنة لبيديا الفيلسوف الهندي فان اصله باللغة الهندية وترجم الى عدة لغات ومنها العربية ويسمى الجميع كليلة ودمنة وككتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » الذي ترجمه المرحوم فتحي زغلول فانه يسمى بهذا الاسم في ثوبه العربي كما يسمى بذلك في ثوبه الانجليزي . وهكذا كثير من الكتب المترجمة لا يتحاشى الناس عن اطلاق اسم الاصل على الترجمة من غير تصريح بها وذلك لاعتقادهم ان الترجمة والاصل شيء واحد لا يختلفان الا في اللغة .

فلو عقدت معاهدة بين دولتين مختلفتي اللسان ووضعت موادها بلغة احدى الدولتين بمشاركة اولي الامر من الدولة الثانية العارفين بتلك اللغة ثم ترجمت الدولة الثانية تلك المعاهدة بلغتها لا تكون تلك الترجمة معتمدة عند الدولة الاولى بحيث يصح الرجوع اليها عند الاختلاف في تطبيقها الا اذا كانت تلك الترجمة معتمدة من تلك الدولة : بأن يوافق على نصوصها بتلك اللغة اولو الامر منها عن العارفين بلغة الدولة الثانية ، وحينئذ يستوي أصل المعاهدة وترجمتها في كل شيء : في الاسم والمراعاة في التطبيق والرجوع الى نصوص أيتهما عند الاختلاف بين الدولتين » .

(١) في عام ١٩٥٥ اهتم المؤتمر الاسلامي بالقاهرة بموضوع ترجمة القرآن الكريم ووجه الدعوة الى الكثيرين من كبار علماء الاسلام لابداء رأيهم في هذا الموضوع الخطير فنشر الشيخ منون رده ببيان مستفيض جاء في ٢٦ صفحة والكلمة المنشورة كنموذج لنشر فضيلته هي مقدمة ذلك البيان .

٢ ــ الاب بولس سويد

في بلدة عيلبون بفلسطين ولد الاب بولس سويد عام ١٩٠٧ ومنذ حداثته سمع صوت الله يدعوه الى ارتداء المسوح ، فلبى النداء ودخل المدرسة الاكليركية في دير المخلص

قرب صيدا عام ١٩٢٠ وفيه عكف على درس علم اللاهوت والتعمق في اللغة العربية فبرع فيها وكانت المطالعة هوايته الكبرى .

وفي عيد الصعود من عام ١٩٣٣ سيم شماسا انجيليا فكاهنا وبعد سيامته قضى ثلاث سنوات يعلم في دير المخلص ثم نقل استاذا الى المدرسة البطريركية في بيروت يدرس الادب العربي حوالى عشر سنوات واختصر كتاب « الانسان ذلك المجهول » للدكتور كاريل ، فلمع اسمه في عالم الادب واشتهر كصاحب قلم خصب واخذت السلطات اللبنانية والفرنسية تسندان اليه مهمة فحص الطلاب في امتحانات البكالوريا .

وتقديرا من الحكومة الفرنسية لنبوغ هذا الكاهن ذي الموهبة النادرة في فن الترجمة والتعريب قدمت له منحة مجانية للتخصص في الادب الفرنسي ، فقصد باريس عام ١٩٤٧ ودخل جامعة السوربون ، وبعد خمس سنوات سلخها في مدينة النور باحثا منقبا عاد الى لبنان عام ١٩٥٢ مسلحا بشهادة الدكتوراه وكانت الاطروحة التي قدمها تدور حول « الشيخ ابراهيم اليازجي واثره البناء في تجويد النثر العربي وتحضيره في القرن التاسع عشر من القرن العشرين » .

« ... وقد جلا (١) في اطروحته هذه وجه الشيخ ابراهيم وبين قسماته ومقومات شخصيته ، ونفض عنها ما علق بها من لهث المتشدقين والمتحذلقين ، ومن فحيح المتعنتين والمتزمتين ، وصفار النفوس والقلوب ، بحيث برز الشيخ ابراهيم من هذه الدراسة في صورته الكاملة المجلوة ، واطاره الوسيم في الزمان والمكان والمقام . كل ذلك بلغة وبيان وعبارة شهد بصحتها وسلامتها وصلاحها اعضاء اللجنة الفاحصة ، فنوهوا بذلك عاليا في المناقشة التي نوقش بها الكتاب . »

وفي لبنان لم يمكث الاب سويد طويلا لان آفاقا واسعة كانت تنتظره ليعمل فيها بكفاءة ونشاط فبارح لبنان عام ١٩٥٤ الى مكسيكو عاصمة المكسيك لادارة شؤون ابنائه المغتربين من طائفة الروم الملكيين .

وفي صيف عام ١٩٥٥ يمم باريس ثانية لمعالجة داء اصاب عينه ، فانتهز الفرصة ليحمل الحكومة الفرنسية على تحقيق اقتراح قدمه لتأليف لجنة خاصة تضطلع بنقل روائع الادب الفرنسي الى العربية ، ثم عاد الى المكسيك فوافته المنية فجأة في ١٩ كانون الاول ١٩٥٥ قبل ان يرى نتائج الاقتراح الذي قدمه خدمة للثقافة العربية ، وبوفاة هذا الاب العالم خسر الادبان العربي والفرنسي اديبا

(١) الرسالة المخلصية عدد ٢ شباط ١٩٥٦ بقلم الاستاذ يوسف أسعد داغر . (٢) المصدر السابق . (٣) من مقال بعنوان «موت الذئب» للشاعر الفرنسي الفرد دي فينيي وقد عربه المترجم له ونشره في العدد العاشر (١٩٤٦) من «الرسالة المخلصية» .

موهوبا كان يلم بخمس لغات حية هي العربية والفرنسية والايطالية واليونانية واللاتينية .

« ... استبحر (٢) علمه بالادب العربي ، ولا سيما بالحديث منه ، فوقف على التيارات الكبرى وربط ما بينها من عوامل الاثر والتأثر ، والتفاعل والانفعال . فاستقامت له من ذلك كله جملة عامرة متينة ، حسنة السبك ، مفتولة العضل ، رشيقة القوام ، راسخةالقدم، وطيدة التركيب ، جزلة في انسيابها وانسياقها . وقد تكشف عن موهبة نادرة في الترجمة والتعريب ، بعد ان استحكم من الالفاظ والمباني ، والمصطلحات الفنية والمشتقات العلمية ، ما يجعلك في حيرة من امرك في التفضيل بين الاصل والترجمة ، لما في الترجمة ،ترجمته، من توفيق وتجال ومحاكاة ، ولما في عبارته من سبك وصب ومن جناس وايناس وجرس ونبرة موسيقية ! »

من آثاره القلمية بالعربية :

١ ــ الانسان ذلك المجهول ، اقتباس عن الدكتور كاريل .

٢ ــ القديس بولس . ٣ ــ مقالات في الرسالة المخلصية .

٤ ــ الصلاة ، معرب عن الدكتور كاريل .

وهنالك خمسة كتب مخطوطة لم تنشر بعد هي : ١ ــ حياة ابراهيم اليازجي . ٢ ــ التعريب : نظرات ونماذج . ٣ ــ الرجل الذي قتل هتلر . ٤ ــ دراسات حول الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر . ٥ ــ الانسان ذلك المجهول (ترجمة كاملة) .

اما آثار قلمه بالفرنسية فهذا تفصيلها :

١ ــ ابراهيم اليازجي : الرجل والاديب (اطروحة دكتوراه في جامعة السوربون وهي تحت الطبع في الجامعة اللبنانية) . ٢ ــ امين الريحاني : الكاتب . ٣ ــ (اسم الفاعل) في اللغة العامية والفصحى .

نموذج من نثره : « وكانت (٣) السحب تتعالى على القمر ، كما يرى الدخان متعاليا على الحريق ، وكانت الغابات حالكة يمتد سوادها حتى الافق . وكنا نسير سكوتا في العشب الندي وملتف الشربين ، اذ أبصرنا في ظلال اشجار الراتينج آثار الاظفار الكبيرة للذئاب المترحلة التي كنا قد اخذنا عليها طريقها ، فأوجسنا حابسين أنفسنا لا تنبعث لنا قدم . ولم تكن الغابة ولا السهل يطلقان زفرة في الهواء ، خلا ان الدوارة الشجية كانت ترسل صيحاتها الى عنان السماء . ذلك لان الهواء اذا علا عن الارضين لم يكن دانية يمس الا الابراج المتفردة، وكان يخيل ان اشجار السنديان المتضامة في المنحنى مع الجلامد تستريح مسترسلة الى النوم على مرافقها . كان اذن كل شيء ساكنا ، اذ خفض اكبر الصيادين المنبثين في الطلب رأسه جاثما على الرمل ثم قال في خفوت ، وهو الذي لم يخطىء قط في مقال ، ان هذه الاثار الحديثة تدل

نـــداء

يـا غافـلا عـن فؤاد ذاكـر أبـدا ... ومبقيـا فيـه أشجانـا وأحزانـا
عشنـا علـى الدهر أياما سأذكرها ... ما عشت في الدهر ترجيعا وتحنانا
كانـت قصارا ، كأيام الربيع ، حوت ... من كـل فـن مـن اللـذات ألوانـا
صفا ودادك لي ، حتـى نسيت بـه ... أحـداث دهري تعذيبـا وحرمانـا
وخلت ان الليالـي سالمـت وصفـت ... وقلـت : يا دهر نسيانـا وغفرانـا
واستبشـر القلب بالآمال يرفعهـا ... كالطفل . يبني قصور الرمل فرحانا
حتـى عدا قـدر قـاس فحطمهـا ... وبـدل الامـل المرجـو أشجانـا

يا ويح للدهـر : غنانـا فأسعدنـا ... حتى اذا اللحن هـز القلـب أبكانـا
يا مـن أراه لقلبـي واحـدا أحـدا ... لا يرتجى ، غيره ، في الناس انسانا
ومن حفظت لـه عهد الهـوى أبـدا ... لا تستطيـع لـه الايـام سلوانـا
: هل أنت باق على ودي وذاكره..؟ ... أم استحال ـ على الايام ـ نسيانـا

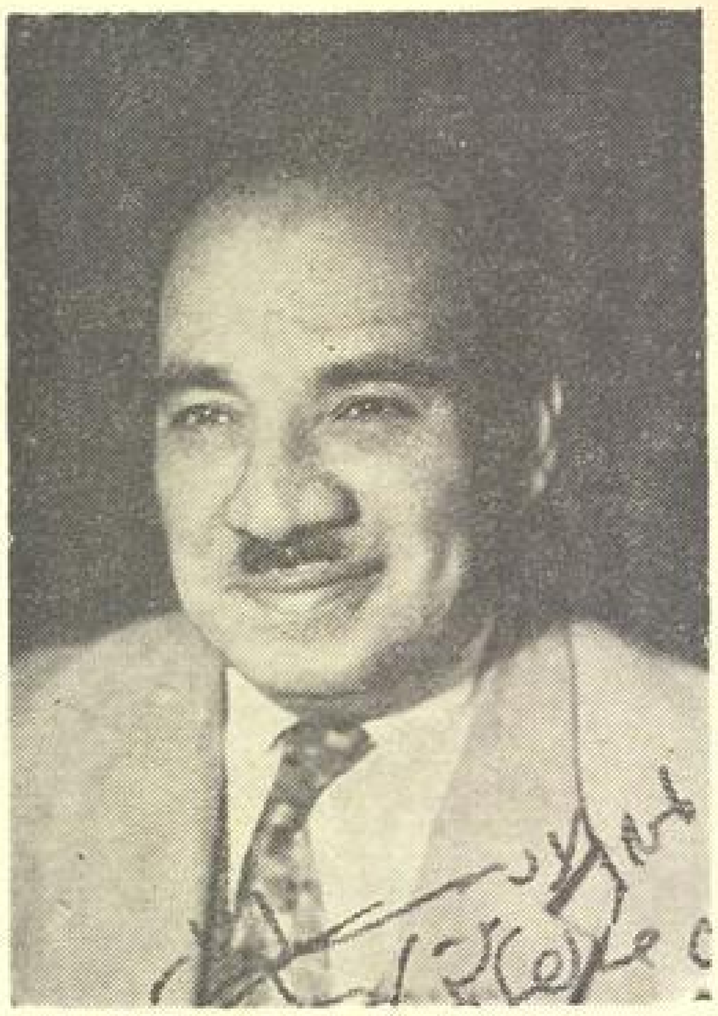
ان غبـت عنـي عمر الدهر مغتربـا ... فـود قلبـي بـاق حيثمـا كانـا

مصر الجديدة — محمود الشرقاوي

على مشية ذئبين عظيمين بصحبة جرويهما وعلى رسـوم أجفانه وذاق حتفه ولم يرسل صيحة واحدة .
مخالبهما الغلابـة . فوقفت مسندا رأسي الى بندقيتي الفارغة مفكـرا

اعددنا جميعنا عند ذاك مدانا ، واذ أخفينا بنادقنا ، غير قادر على تمالك نفسي في اللحاق بالذئبة وجرويهـا
وبياضها الشـديد اللمعان ، أخذنا نتقدم خطـوة خطـوة وقد أراد الثلاثة انتظار الذئب ، وبدلي ان أيمه الجميلة ،
مباعدين أغصان الشجر ، ثم وقف ثلاثة من الرفاق ووقفت لولا جرواها ، ما تركته وحده يقاسي ذلك الازل الشديد ،
أجيل طرفي فيما يتلمسونه ، واذا بي أبصر عينين تشعان ولكن واجبها كان يقضي عليها بان تنقذهما سالمين حتـى
نورا ، وأرى دونهما الى العداء اربعة أشباح لطيفة تتراقص تستطيع ان تلقي عليهما كيف يحسنان احتمـال الجوع ،
على ضوء القمر بين اشجار الاريقي ، فكانت اشباحهـا ويتنكبان حياتهما عقد عهد المدن الذي قعه الانسان مع تلك
متشابهة وكان رقصها كذلك . الدواجن التي تسعى دائبة في سبيل مستقرها ان تـطرد
أما جروا الذئب فكانا يتلاعبان في سكوت وهما على أمامه ملاك الغاب والصف الاولين .
يقين من انه على قيد خطوات دونهما ينيط الرجل عدوهما فوا أسفاه ! لقد فكرت مليا فتولاني الحياء منا نحـن
وراء الجدران مهوما . وكان الذئب قائما ، والى جـذع البشر اذ نحن برغم هذا الاسم العظيم أوهى ما نكون منة!
شجرة دونه تستند الذئبة مريحة أشبه ما تكون بتلـك أما كيف يجب ان تفارق الحياة وآلامها جميعها ، فذلـك
التي نحتها الرومان من حجر وعبدوها قدما . ثـم جـاء ما تعرفينه يقينا أنت أيتها الضواري العظيمة ! واذا فكر
وجثم ونشبت مخالبه الحادة في الرمل فنصب فخذيـه المرء في ما كان على هذه الارض ، وما يترك بعده ، أيقـن
مقعيا ، وأيقن انه هالك لا محالة اذا كان قد أخذ بغتة ، أن الصمت وحده عظيم ، وسائر ما بقي وهن .
فقطعت عليه طريقه ، وسدت سبله كلها . اذ ذاك تناول أجل ! لقد فهمتـك أيها الراحـل الوحشي ، وان
بين شدقيه المتوقدين رصاص بنادقنا ، وكانـت مدانـا نظرتك الاخيرة قد نفذت الى قلبي ! وكأنها كانت تقول :
المرهفة تتشابك كالملازم في رحيب احشائه ، حتى آخـر « ان استطعت فاجعل نفسك تبلغ بالدرس والتفكير ذلك
لحظة اذ قضى السلوقي خنقا يتمرغ على رجليه ، قبـل الشأو الاعلى من الاباء الرواقي الذي بلغته أولا أنا وليـد
حينه بكثير ، حينئذ تركه الذئب ، ثم أخذ يحدجنا ببصره. الغاب . ان الانين والبكاء والدعاء ، كلها خور على السواء.
وظلت مدانا في خاصرتيه الى نصبها وقد أثبتتـه علـى فقم حازما بواجبك الطويل والثقيل في السبيل الـذي
العشب مضرجا بدمه ، وكانت بنادقنا تحيط به في شبه شاء المصير ان يدعوك الى سلوكه ثم بعد كن نظيري ! قاس
هالة مشؤومة . على انه ما زال يحدق الينا ثم سجا على العذاب واقض نحبك دون ان تنطق ! » .
الارض من جديد وهو يلحس الدم المترشش على شدقيـه
غير متنازل الى البحث عن معرفة أمر هلاكه بـل أطبـق

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



انـــور الجنـدي

عبدالرحمـن الرافعـي

بقلم انـور الجندي

* * *

عند ما نعي عبدالرحمن الرافعي (٣ ــ ١٢ ــ ١٩٦٦) الي، كان ثبتا لتاريخ طويل وذكريات عديدة تجري أمام خاطري حية متجددة ، فمنذ أيام الطلب في الصعيد ، كنت اقرأ اسمه في صفحات مجلة السياسة الاسبوعية ، أمام كتابه « تاريخ الحركة القومية » الذي بدا اصداره عام ١٩٢٩ ، ووالى العمل ، كل عام كتابا حتى استوفى دراسة تاريخ مصر الى سنوات سبع بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وكان يصدر كل حلقة من هذه الكتب في ميعاد ذكرى شقيقه « أمين الرافعي » التي تحل في ديسمبر ، تقديرا واحياءا لرجل عظيم مات في شرخ الشباب وفي أبان المعركة الوطنية ، والحق ان اسم ال « الرافعي الفاروقي » كان علما على تاريخ طويل قديم من العلم والفضل في مجال الثقافة والقضاء ، ثم كانت درره الاربع في العصر الحديث ممثلة في (عبدالحميد الرافعي ، مصطفى صادق الرافعي، امين الرافعي ، عبدالرحمن الرافعي) . هذا البيت من طرابلس الشام ، أبرز هؤلاء الاعلام ومن قبل اباء لهم كانوا مثلا عاليا في العدل والقضاء ، ثم كان هؤلاء الاربعة مثلا غير مكرر في البطولة والسماحة ، وفي الاباء والكرامة ، هذا الطابع الذي اتسمت به الشخصية العربية الاسلامية الانوفة عن ان تحني راسها ، او تستسلم للظلم، او تقف موقف المهانة .

والحديث عن مواقف امين الرافعي مع سعد زغلول، ومعارضته في الرأي في عنف واصرار ثم دفاعه عنه بعد نفيه ، ثم العودة الى مخاصمته فيما يراه الحق ، واحتمال كل عنف وقسوة واضطهاد ليكشف عن اصالة عجيبة ، وايمان يفوق الوصف في هذا الرجل السمح النحيل ، اما عبدالرحمن الرافعي فقد كان المحامي الذي ترك قضايا الناس لقضية كبرى ، هي قضية مصر ، والذي عاش عمرا طويلا في صف المعارضة في البرلمان المصري (١٩٢٤ ــ ١٩٥٢) صامدا في ايمانه وموقفه ومفاهيمه ، مفاهيم الحزب الوطني الذي انشأه مصطفى كامل وتفتحت عيناه عليه مؤمنا وموواليا وجاريا معه ، ومصاحبا لخليفة مصطفى : الرجل الذي اطلق عليه «قديس الوطنية» محمد فريد ، ومن خلال ذلك الحب الصادق للرجلين ، انشأ عبدالرحمن الرافعي عمله الكبير في مجلداته الستة عشر عن الحركة الوطنية منذ اوائل القرن التاسع عشر مارا بعصر محمد علي واسماعيل والثورة العرابية والاحتلال البريطاني وثورة ١٩١٩ والحياة السياسية بعدها الى ثورة ١٩٥٢ .

ومهما قيل في تقييم هذا العمل ووصفه بانه اشبه باليوميات الصحفية ، وانه خلا ــ الا القليل من التحليل الفلسفي للتاريخ ــ مهما قيل في ذلك فانه عمل ضخم اعطى الباحثين ثروة من الاحداث والمواقف والنصوص التي أمكن ان تكون قريبة الى يد كل مثقف ، ويمكن القول بأن الباحثين الذين اشتغلوا بالدراسات التاريخية الوطنية المصرية ــ جميعا بلا استثناء ــ سواء من كتب منهم مقالات صحفية وهي تعد بالالوف ، او اصدر دراسات موسعة انما استفادوا من موسوعة الرافعي ، ولعل أبرز ما تتسم به هذه الدراسة ــ اذا ما قيل انها متحيزة لان صاحبها من رجال الحزب الوطني الذي شارك في الحركة الوطنية وكانت له في الاغلب وجهة نظر حزبه ، اذا ما قيل هذا قلنا ان وجهة نظر الحزب الوطني كانت اكثر وجهات نظر الاحزاب وطنية ، وابعدها عن التحيز للاستعمار أو القصر وانها اسلم الخطوط واقربها الى الايمان بالعمل الوطني وان اربابها بعدوا عن الحكم وظلوا بالرغم من توسع النفوذ الحزبي لاحزاب ما بعد الحرب العالمية الاولى يحتفظون بطابعهم ومفاهيمهم ــ الا قليلا ــ وكان عبدالرحمن الرافعي بذلك من اسلم الباحثين واكثرهم تجردا وقدرة على عرض القضايا والاحداث، ولعل ابرز ما يتمثل فيه نزعته التاريخية تلك القدرة التي اوتيها للكشف عن اخطاء اسماعيل وفؤاد في ظل حكم اسرتهما ، والكشف عن جوانب من حياة زعماء مصر لم تكن من اليسير ان يكشف عنها بعض الموالين للاحزاب السياسية التي ولت الحكم . واذا كان العقاد قد كتب مؤلفه الضخم عن سعد زغلول زعيم الوفد، وكتب هيكل مذكراته السياسية بوصفه ممثلا لحزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحرار الدستوريين ، فان موسوعة الرافعي تتسم بطابع اكثر حيادا من موقف الكاتبين بالنسبة لحزبيهما ، ذلك ان الحزب الوطني كان اكثر الاحزاب سلامة في موقفه ، وابعدها عن الاتهام بالصلة ايا كانت هذه الصلة بالاستعمار.

ومن هنا كان ذلك الاعجاب والحب الذي قرب بيني وبين عبد الرحمن الرافعي ،فقد قدمت القاهرة عام ١٩٤٦ من الريف ، وبدات عملي في مجال الادب والصحافة ، وتطلعت الى « تصحيح المفاهيم » في مجال السياسة والوطنية وهي القضية الاولى والكبرى في ذلك الوقت فعكفت ادرس الحركة الوطنية في مصر على ضوء الصراع الذي كان قائما اذ ذاك وملت ميلا اكيدا الى اتجاه الحزب الوطني ، ونأيت عن صراع حزب الوفد والاحرار وما تفرع من احزاب نبعت كلها من «الوفد» الذي تقدم عام ١٩١٨ للدفاع عن القضية المصرية وحصل على توكيل « الامة » .

وعندما اصدرت كتابي « اخرجوا من بلادنا » وفي أعماقه ثورة على الاستعمار والنفوذ الاجنبي والاحتلال والقصر والاحزاب ، كنت قد انتفعت بآرائه وكتاباته عن سعد زغلول ، وكان ذلك متصلا بكتابات الاستاذ فتحي رضوان في هذا المجال ، هنالك كان لا بد ان اهدي اليه مؤلفي ، وأترقب رأيه ، وقد تفضل رحمه الله فارسل الي خطابا ما زلت احتفظ به ، كان ابرز ما فيه بعد الثناء على كتابي المستمد من اثاره ، هو القول باني اوجه التاريخ لوجهة الوطنية واتخذها سلاحا للثورة وتأجيج العواطف والمشاعر وان المؤرخ يجب ان يكون محايدا .

هنالك دارت بيني وبينه مناقشة في هذا الامر ، قلت فيها ان اية قيمة لنصوص التاريخ اذا لم تكن عجينة طيعة لتوجيه العمل الوطني وتدفعه الى مقاومة الاستعمار والاستبداد ، وكانت أيام ١٩٤٦ تحمل في أطوائها كل مقدمات ثورة ١٩٥٢ التي فجرت هذه الطاقة من بعد .

وكان كتابي يحمل صورة من مواجهة عمر مكرم للحاكم العثماني ، الى جوار حملة مصطفى كامل ومحمد فريد على الاحتلال الانجليزي الى تخاذل سعد زغلول ، ومتابعته للنفوذ البريطاني ، وما انشق عن مدرسته التي تكونت ١٩١٨ من احزاب تصارعت خلال تلك الحقبة وتمزقت وشغلت بالحكم عن القضية الكبرى وتحولت الحركة الوطنية من خلالها الى عملية ممارسة سياسية ، ذلك كان المعنى الذي استبطنه كتابي « اخرجوا من بلادنا » الذي لم يرض عنه استاذنا عبد الرحمن الرافعي . ولما تابعت هذا الكتاب بآخر عن الاحزاب السياسية ، وبين لاظوغلي وقصر الدوبارة ، وغيرها كان يلقاني في مكتبه مشفقا ، يحاول ان يقول لي كلمة ما ، ولكنه يجريها في عبارة رقيقة حين يقول : انني احس انك ناقم على النظام البرلماني والدستور والعصر كله ، عصر الملكية الدستورية وكان ذلك هو الحق ، ولكن الاستاذ الرافعي الذي هاجم سعد وهاجم الاستعمار البريطاني وهاجم اسماعيل وفؤاد، كان يعيش في اطار النظام الملكي البرلماني الحزبي ، وكان عضوا في مجلس النواب فالشيوخ خلال مدة ما بعد ثورة ١٩١٩ مشاركا في العمل السياسي . ولقد كنت أود ان اتابع استاذنا الرافعي في طريق دراسة التاريخ الوطني لولا ان توسعت افاقي في دراسة تاريخ الاسلام والعرب والحضارة وجريت في افاق عريضة . اما استاذنا فقد عاش في قضية الحركة الوطنية حياته كلها ، ووقف نفسه عليها ، واستطاع بحق ان يكون رائد البحث فيها .

ولقد التقيت بالاستاذ الرافعي طويلا ، وأحببته ، وجلست معه طويلا في مكتبه ، مكتب المحامي امام محكمة النقض ، الحافل بالمجلدات الضخمة من المؤلفات القانونية والتاريخية ، ولقد كان رحمه الله سمحا ، مشرق الوجه، بشوشا ، مليئا بالحياء ، كثير الاطراق ، والصمت . ولكنه يحمل في اعماقه اصرارا على ارائه،وايمانا بها لا يتزعزع.

وكان على قدر كبير من المروءة فقد قصدته مرة في ان يضمنني لدى بنك مصر في قرض ، فلم يكن يسمع بالامر حتى غادر مكتبه معي مهرولا الى البنك ، راضيا ، وتلك هي المرة الوحيدة التي طلبته في غير مطلب الفكر ، والادب ، والتاريخ . ولقد دعاني مرة السيد وجيه اباظة، وكان مديرا لشركة كبرى من شركات النشر والاعلان ودفع الي موسوعة الاستاذ الرافعي ، طالبا مني ان اعد كل كتاب منها للنشر مختصرا في سلسلة كان على وشك اصدارها باسم « كتاب النيل » ودعاني ان ابدأ العمل فورا ، فسارعت بتلخيص كتابيه «تاريخ الحركة القومية» ثم استدعى الامر ان أسافر الى الاسكندرية لالقاه ،متحدثا معه ، في شأن امضاء العقد الذي يجيز للشركة اصدارها، غير ان الاستاذ الرافعي الذي فرح بلقاء تلميذ من تلاميذه وهو يقوم بعمل يتصل بموسوعته ، أصر على « نظام معين» ولم أفلح في اقناعه بالتنازل عن رأيه ، فقد كان يخشى ان تقضي هذه الكتيبات المختصرة على الموسوعة الكبرى ، وان كان قد رضي عن ان اقوم بتلخيصها مطمئنا الى ان عملي سيكون كما لو قام هو به . ووقف المشروع ..

ولقد عشت حياتي الادبية من بعد أعد الرافعي واحدا من الابرار الذين يملأون نفسي واعتز باتصالي بهم ، حتى في الايام الاخيرة قبل وفاته كلما مررت بداره في الدقي .

ولقد اصطبحت به ذات يوم ، وانا أركب السياره الحافلة من أمام دارنا في طريق الهرم ، وهو عائد من رحلة باكرة الى الاحراش والحدائق ، يجدد يومه ، فكان لرفقتنا تلك الفترة حتى اوصلته داره صدى حلو في نفسه ، فقد تحدثنا حديث الحب والود ، وكان على عادته مشرقا باسم الطلعة ، فكها ، لصوته رنة عجيبة ، اذا اراد ان يصور نفوره من شيء او اعتراضه عليه ، كنت اداعبه واقول له ، انت الذي عارض سعد زغلول يوم كان لا احد يستطيع ان يعارضه في مجلس النواب حتى قال لك كلمته

الخالدة : هل عندكم تجريدة ؟ (وكان الحديث عن السودان وموقف الانجليز منه) . ولقد حدثني طويلا عن تفصيلات متعددة من حياته ، عام ١٩٥٨ وكان قد بلغ السبعين وهو المولود في ٨ فبراير ١٨٨٩ .

قال : دعاني محمد فريد ان اشتغل بالصحافة محررا باللواء ، وقبلت دعوته ، وكان هو الذي شجعني على الكتابة والترجمة. غير اني لم البث ان عدت الى «المحاماة» وبقيت اكتب في الصحافة دون ان احترفها .

وهو يعزو الى المحاماة فضلا ، ويرى نفسه في مجال كتابه التاريخ الوطني محاميا يدافع عن قضية كبرى . ولم يلبث عبدالرحمن الرافعي في خلال حديثه ان قال ما سبق ان رددت به عليه عام ١٩٤٦ قال : لقد كانت امنيتي الاولى بكتابة التاريخ بعث الشعور الوطني في نفوس الناس .

وعنده ان الانتاج الفكري يكون في الكهولة اقوى منه في الشباب ودليله انه بدأ كتابة التاريخ القومي عام ١٩٢٩ وعمره ٤٠ عاما .

وقد سجلت في مذكراتي (عام ١٩٥٦) موقفي منه وموقفه من التاريخ قلت : « كنت لا أعجب لشيء ـ في العهد الماضي الذي انتهى عام ١٩٥٢ ـ لكثرة ما تفشى النفاق في الصحافة والادب وكتابة التاريخ ، ان يقف عبد الرحمن الرافعي على قدميه ، وان يكتب تاريخ مصر في حرية ، دون ان يبالي بغضب الاقوياء او ينافق زعماء السياسة . ولكن يزول العجب عندما نعلم ان الرافعي قد رضي ان يعيش محاميا ، وانه لم يكن يطمع ان يكون عضوا في شركة او وزيرا في وزارة ، او رجلا من الحاشية . كان قد اعد نفسه ليكتب تاريخ مصر في حرية دون ان يخاف شيئا ، او يجعل لعامل من العوامل اثره في الحيلولة بينه وبين ان يقول الحق .

وليس يستطيع أي مؤرخ ان ينسى ان عبد الرحمن الرافعي كتب تاريخ فؤاد في ظل حكم اسرته، كما كتب تاريخ اسماعيل في أيام ابنه فؤاد وكشف عن الاخطاء التي وقع فيها ، وصور العوامل التي كانت من اسباب فقدان مصر استقلالها . وقد جرى بيني وبين الاستاذ الرافعي محاورة في شأن تجريد التاريخ وتوجيه التاريخ ، وكان من رأيي ان التاريخ عجينة طيعة وان علينا ان نستفيد منها في التربية وبناء المثقفين . ولعل الفارق بيني وبينه في ذلك انه (مؤرخ) وانا (مفكر) ..

هذا ما كتبته منذ عشر سنوات ، والرافعي حي ، ولعل مفهومي للتاريخ قد تغير أو تطور ولكني اذا كان لي ان أضيف شيئا فانما هو ان الاستاذ الرافعي يرحمه الله قد وقف في المراحل الاخيرة من تاريخ الحركة الوطنية (في خلال سنوات ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠) موقفا فيه بعض المجاملة لقوم ، او بعض الخصومة لآخرين في ظل مفهومه الشخصي ، وأنه قد تجاهل بعض الحركات الشابة التي برزت في خلال تلك الفترة كمصر الفتاة وحزب الفلاح والانصار وحزب العمل وغيرها ولم يقومها تقويما كافيا .

ولعل ابرز ما يتسم به عبد الرحمن الرافعي هو انه عاش في محيط الحركة القومية المصرية ووهبه عمره كله، ولم يسجل هذا العمل الذي وهبه كل فكره وعمره بغير ثلاثة مؤلفات : حقوق الشعب ، نقابات التعاون الزراعية ، الجمعيات الوطنية .

وللرافعي مذكرات مطبوعة تحدث فيها عن حياته من (١٨٨٩ ـ الى ١٩٥١) وفيها يرسم صورة نفسه بقلمه على هذا النحو :

« اول ما اعترف به انني شديد الحياء ، لازمني هذا النقص منذ صباي ولم يفارقني في ادوار حياتي ، وانا لا املك المرونة الكافية التي يقتضيها الانسجام مع المجتمع ، انا مهذب مع الناس ، ولكني اعترف بأني لست مرنا كما ينبغي ، وان لي عيبا اخر هو العناد ، على ان العناد لم يبلغ بي مبلغ التنطع والسخف ، على اني اعاند فيما اعتقد فيه اعتقادا راسخا بعد دراسة عميقة واني حسن الظن بالناس اكثر مما يجب ، ومن عيوبي اني احسن الظن بالحوادث ، واني متفائل اكثر مما ينبغي وكثيرا ما تأتي النتائج على غير ما اتوقع ، ومع ذلك لا اتعلم ولا اغير من نظري الى الناس والحوادث . »

والحق ان الرافعي رحمه الله قد صور جانبا واحدا من حياته ، اما الجوانب الاخرى وهي حافلة بالايجابية والسماحة والقوة والدأب على العمل اكثر من ثلاثين عاما لاخراج ما لا يقل عن عشرة الاف صفحة من تاريخ مصر مع المراجعة والبحث وتحقيق النصوص ، هذه الجوانب ان كان قد اغفلها الرافعي فانها حقيقة واقعة . وهو بعد علم من اعلام الفكر العربي المعاصر بنى في صرحه ركنا خالدا.

القاهرة **انور الجندي**

عيناك

عيناك عيناك يا لي كم أحبهما
سوداء في كل هدب فيض اشراق
يكاد فيض سناها حين يلفحني
يشدني بسماوات وآفاق
تكلمت والشفاه الحمر مطبقة
على حكايات أحباب وعشاق
دعي الكلام ففي عينيك قافلة
من الحروف سراها بين أعراقي
عيناك تزرع افكارا بذاكرتي
وتمطر الصحو دفاقا بآماقي

الكويت **محمد الفايز**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن يعضك كلب ، وانت موظف وشاب وعلى عاتقك مسؤوليات ، فتستريح في مستشفى تكون المداواة فيه لوجه الله ، امر جميل ، وان تجد بالمناسبة ممرضة حسناء أمر اجمل وأحب !. انه لأمر يدفع بالمرء الى القفز ، الى الرقص ، يدعو الى السير على أفنان الشجر .

هذا ما كان يفكر به سليم مفتبطا ، وهو يجلس في فراشه ، يغمز بعينيه ويقلب بشفتيه الغليظتين ، محييا روح الكلب الشرس النبيل ومقدرا للنعمة المفاجئة التي لا تحصل الا لذوي الحظوظ الوردية ، وفي اوقات معينة محدودة من هذا الزمان المضغوط بالكبت والضائع بالتنفيس.

النعاس يشده الى النوم مرة بعد مرة ، وهو ابدا يتمرد ، يريد ان يلفت النظر ويثير الاهتمام ! علها تدخل لترى السبب في عدم نوم الشاب الاسمر الضخم ! وينظر في ساعته ، لقد جاوزت منتصف الليل! يشعل لفافة ويفكر ، تمتد يده ، يريد قرع الجرس ثم يتراجع ...من الخير ان ينتظر ، فلتكن هي البادئة، واستسلم يتخيل ويتخيل ، يرجو ويرجو ! وسمع همسات في الرواق ووقع اقدام خفيفة ، فأصلح جلسته واتخذ سيماء مفكر ... في أوصاله اضطراب وفي دمائه غليان ، ليس باضطراب براءة ولا غليان فتى مراهق طيب ! انما هو الخوف من الا يكون في الحسبان .. هذا محال !.. أمثالها لا يقاومن امثاله ، وان قاومن لا يصمدن .

وابتسم نصف واثق ...ابتسامتها التي غاضت ، ارتعاش اجفانها ، اطراقة راسها ، حيرتها أ ليست وهما بلا حقيقة ، ولا نتيجة بلا سبب . في الصباح ... حديثها كان في البدء بسيطا :

ـ وكيف عضك ؟

ـ من !؟

ـ من !؟ الكلب ...

ـ ظننتك تعنين ... الاخر .

ـ الاخر !؟..

ـ أحد الذين يسيرون على الارصفة ، ويقطعون عرض الشوارع في نقاط محددة .

ـ افيلسوف انت ام حاقد ؟

ـ كلاهما معا .

ـ فقط !؟.

وتعلق العيون بالشفاه ، بالثنايا ، ويكون فراغ ! يختفي كل شيء ، الا عصفور صغير أحمر يتابع رحلته فوق البحار ، وجلا من عاصفة تزمجر في البعيد ... وتلمس الايدي غير الاشياء ، ويكون مع رؤاه ووحشته.

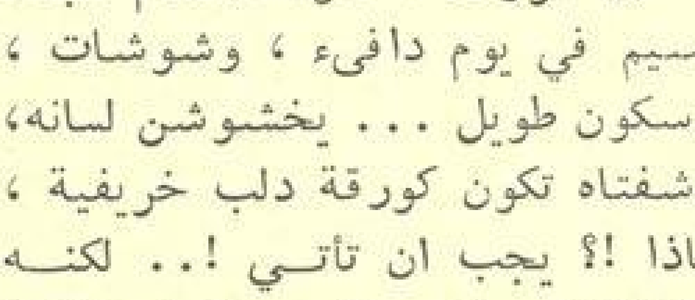
حفيف ثوب عند بابه ! يبس ، بتربص ، لقد خذل ، كل ما فيه يرتجف واسنانه تصطك ... هذا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحدث كلما اشتم رائحة ، كلما كان توقع ...

في الرواق ، تعود الاقدام هبات نسيم في يوم دافىء ، وشوشات ، وسكون طويل ... يخشوشن لسانه، وشفتاه تكون كورقة دلب خريفية ، ماذا !؟ يجب ان تأتي !.. لكنه يخافها ! وبان يريد سحق اسنانه ! انها بداية مأساة ان أتت ! فلتأت ، تبا للمآسي ... خمسة وعشرون عاما ، كل معادن الحياة ، أغصان السنديانة تقطع لتفحم ، قوادم النسر تشبك باسلاك النحاس ، الريح الصرصر تملك الاجواء ! مئتان



وخمس ليرات !.. الشباب والعلم والحب ، أمور غير الزواج !.. ربيع ولا زهرة اقحوان ، صيف ولا كرمة، خريف ولا معاصر ، شتاء ولا قطرة ماء !..

فلتأت ، ان قلبه يغلي ...حبيبتي انت وان لم تصدقي الحياة اثنان ، والكون لا يحتاج الى اكثر ... ان أتيت فالليل ابيض ، والنهار نور لا ينطفىء .

ويسهم ويسهم ... السماء فضية، وزمهرير ينثر نتف ثلج راقصة كأحلام ابن ثمان . منزل على كتف بلدة ، كلب يئن في العراء وباب موارب ، راس ملفوف بشال ، وشفاه ملتهبة، عيون فيها الف سؤال ، الف حب الف صلاة ، الف دمعة خوف ... حبيبتي ، حبيبتي ! وتمتد يداه .لا. لا ... ينتفض ، يضرب راسه مطبقا فكيه ، ضاغطا عينيه ، لا ، لا ! ينقطع تنفسه ، ويجمد كتمثال ما توصلت لخلقه عبقرية نحات ... ويلهث ، يتقلب في الفراش مكتوما حاجبا كل خارج عن بصيرته ، هاربا من ذاته ، لكنه ما يفتأ يتقلب ويتقلب ، ويصر السرير وتمتلىء الغرفة بصوت ! برجاء وهمهمات ولعنات !..

وينفتح الباب ، لتندفع ممرضة فتاة .

ـ ما بك!؟ انت تتألم ...

وتمسك بذراعه ، فتتطاول همهماته كبكاء شيخ أدرد .

ـ أصمت ... اصمت ما بك !؟

وتجاهد ، فتأخذ كفه ، ثقيلة صلبة ، تفركها ، وتمسح على جبهته، ثم تنزلق يدها الى عينيه وأنفه ، وتلامس أناملها شفتيه ، فتتمهل تداعبها . وترفع راسها منتصبة مشرئبة ، مبرقة العينين ... وعلى جانب ثغرها تنسكب من نسمة صبح قطرة ندى ، وتحنو عليه بنظرة ، تتملاه... كان يوليها ظهره مرتعشا.

تجلس على جانب السرير بهدوء ، وتنساب يدها الى عنقه ، الى صدره، تعبث ... في احشائها تمزق وفي

الصاحب الوحيد

سائليني عن اشتعالي وصمتي ... واغترابي ووحشتي باغترابك
أي قلب تلظت النار فيه ... مثل قلبي وظل رهن شبابك
صابر حائر معنى مدمى ... واجف عاثر بدنيا سرابك
ما تقولين ؟ فيم صمت الليالي ... يخرس الكون فيم لسع حرابك
أترى غرب الزمان هوانا ... أم ترى جرت فالزمان هوى بك
عذبيني فكم أحب عذابي ... واصلبيني اما مررت ببابك
أنا أحنى عليك من رعشة الظل ... وأدنى اليك من أهدابك
وأنا الصاحب الوحيد اذا ما ... عثر الدرب مرة بصحابك
لا أقول احترقت هذا رمادي ... ذرذريه على عصي رغابك

موسى صرداوي

اوصالها خدر . ووشوشت بانفعال مجنون :

ـ حبيبي ...ما بك يا حبيبي !؟

وانحنت عليه بوله وعطف أمومي ، ورفعت راسه بين يديها ، فانتظم تنفسه وبدا عليه ما يبدو على انسان تحرر من كابوس ! وينظر اليها بعمق وخشوع ودهشة ، ويأخذ يديها يسكب عليهما كل حنينه واشواق قلبه ويتمتم :

ـ أهذه انت !؟ منذ متى انت هنا يا حبيبتي ؟ زمان مضى وأنا اشتاقك ... تزوجيني يا حبيبتي، تزوجيني .

وتحاول التخلص ، حيرى مرتبكة، تعصف بها المفاجأة ، بلا طائل ، كان يلثم يديها متعبدا ، مرددا :

ـ انت حبي . انت حبي . تزوجيني ...

وتتساءل باستنكار ودلال :

ـ أنا حبك !؟

ـ **أنت تعرفين ، لا تعذبيني .**

وترفع صوتها :

ـ وبعد !..

ـ تزوجيني ... اسمعي لنداء قلبك ...

ـ نداء قلبي !؟.

ـ نعم . قلبك المحب الطيب الرائع ، لا تخدعي نفسك ، لا تخسري حبك .

ـ أأنت واثق ؟..

ـ حبيبتي . ايامنا تمضي ، اليوم أنت وفي كل حين انت ... كم مساء وصباح عبر ، والشوق يحدوني اليك ،وكم من لحظات مأخوذة عشتها معك .

وتقول برعشة مكتئبة :

ـ أحقا ؟ .. هكذا تحبني !

ـ واكثر ...

ـ لكنني ، لا أعرفك ... لا ...

ـ ما بيننا من معرفة يكفي .

فتشرد : وتتزوجني !؟ تريدني ، زوجة !؟

ـ هذا رجائي .

ويأخذ راسها ، وكل ما فيه يضحك ، يلتمع ، واذ تمسك بيديه وتنصب عيناها في عينيه يجذبها اليه ويغمرهابكل ما يعتمل في أعماقه ويوشوش :

ـ حبيبتي ... انت معي منذ البداية ، منذ البداية ...

ويمعن في ضمها ، فتحيطه بذراعيها وتستسلم لدفعة عاطفية بعيدة المدى عميقة الفور ، وتهمس :

ـ سأسعدك يا حبيبي بمقدار حبك ، منذ اللحظة يا حبيبي لن يطمح ناظري الا اليك ، وفي قلبي وخاطري لن يكون الاك ! امنية الثمرة يا حبيبي ، ليست اكثر من ان تحلو في العين وتبارك بالذائقة .

ـ هناء ... هناء ! انت مباركة في قلبي ، مقدسة في جوارحي منذ القدم ، ولن يكون في قلبي سواك يا حبيبتي ...

وانتفضت ملسوعة ، تقطر دما ، مشرسة تتمزق ، وتصفعه بكل ما آتاها الفليان من قوة ، وتحشرج بصياح مكبوت :

ـ تخدعني ؟ تخدعني ايها الوغد المجرم ، ليت امك ما ولدتك ، تخدعني ...

وتنشج منتحبة ، فيحاول الامساك بها :

ـ هناء !.. حبيبتي !..

ـ **وتقولها ايضا ؟.. ايضا !**

ـ ماذا بك يا حبيبتي !؟

وينبثق الذهول من عينيه :

ـ ماذا بك يا حبيبتي !؟

وتتمالك ، متأملة مستغربة لهجة الصدق في تساؤله ، لكنها وقد ملكها خوف في أعماقها صاحت :

ـ أنا . أنا لست هناء ، اسمي ليس هناء ، أنا جورجيت ... جورجيت هل تسمعني ؟ جورجيت.

ـ هناء !.. أنا قلت ... هناء!؟.

ويبتسم ابتسامة سعيدة بلهاء .

طرابلس **فيليب عبدالحق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابو القاسم الشابي

ابو القاسم الشابي شاعر الوطنية

بقلم مقبل العيسى

* * *

للتعبير عن المعاني والمشاعر الانسانية في الفنون الادبية تأثير في النفس ... والشعر من اقوى الفنون الادبية تأثيرا ، واجملها تعبيرا .. لان الشعر لا يخاطب عقل القارىء بقدر ما يخاطب عاطفته .. فاذا كان محاكاة للطبيعة اثار في النفس الاحساس بالفن والجمال وان كان وجدانيا يصور المشاعر والعواطف الجميلة حرك في النفس كوامن الشجن .. وان كان وطنيا الهب في نفس القارىء الشعور الوطني ، والاعتزاز بامجاد الامة .. لذلك كانت الصلة التي تربط بين اي قارىء يتذوق الشعر ، وبين أي شاعر اصيل رابطة قوية عميقة الجذور .

ولقد غنى ابو القاسم الشابي شعرا رائعا في حياته فاعجبت به بعد وفاته .. ولا أحسب اني اعجبت بشاعر في مطلع حياتي الادبية بقدر ما أعجبت بهذا الشاعر العظيم .. على الرغم من البعد الذي كان يفصل بين البلد الذي اعيش فيه ، وبين موطن هذا الشاعر . فلا ازال اذكر اني كنت اجتهد في البحث عن الكتب ، والمجلات الادبية التي كانت تصدر في بعض الاقطار العربية لعلي اجد فيها اثرا شعريا لهذا الشاعر ، بعد ان قرأت لاول مرة قصيدته المشهورة « النبي المجهول » في احدى المجلات الادبية .. وكان ذلك ابان الحرب العالمية الثانية .

ولو لم تكن شاعرية ابي القاسم الشابي اصيلة وشعره رائعا يستأثر بعواطف القارىء لبقي شعره في حدود البلد الذي يعيش فيه.. ولما اصبح ـ بحق ـ رافدا عذبا يمد بحر الادب العربي الحديث بأجمل التجارب الشعرية المعبرة عن القيم والمعاني الانسانية النبيلة والصور والاخيلة الشعرية الجميلة .. فالشابي لم يكن كأي شاعر عادي يغني بأشعاره للناس فتختفي حلاوة اغانيه بعد ان تنطلق من بين شفتيه او تنشر في الصحف .. بل ان اشعاره خالدة مشرقة دائما لا تموت .. لانها من آلام آلهة الشعر ومعانيها واطيافها واخيلتها مستمدة من موطن السحر .. ودنيا العبقرية .. فلو لم يكن ابو القاسم الشابي شاعرا فذا ملهما لتحطمت قيثارته فوق رفاته .. ولكن شعره كما كانت روحه ـ رحمه الله ـ اقوى من الموت .. بقي خالدا تقرؤه الاجيال الحاضرة .. وستقرؤه الاجيال القادمة وتتأثر به ..

ولست في هذه الكلمة بصدد ابراز سمو شاعريته ، وتقييم اثاره الادبية ، ومقارنتها بالاثار الادبية لعباقرة الشعر العربي الذين اغنوا بانتاجهم الحياة الادبية في العالم العربي .. ولكن في كلمتي هذه سأتناول جانبا مشرقا عن الجوانب المشرقة في شعره الخالد .. الا وهو وطنية الشاعر ، واشعاره الوطنية .. والحق الذي لا مراء فيه ان ابا القاسم الشابي قد خلف شعرا وطنيا تزهو به هامة الادب العربي الحديث .. ويحق لابناء تونس الخضراء ان يفخروا ويفاخروا به .. وان يطلقوا عليه شاعر الحرية .

كما اني لن اتعرض لدراسة وتقييم تجاربه الشعرية المعروفة لدى القراء في العالم العربي وتحليل شخصيته من خلال هذه التجارب .. او الحكم عليه بانه كان منتميا لهذا المذهب الادبي او ذاك .. والقول بأن أعماله الادبية ملتزمة هادفة ام أنها تنبع من قوقعة الذات واجواء الرومانسية الحالمة . واذا كان محترفو النقد الادبي الحديث قد اصبحوا يحملون بعنف على انتاج الشعراء ذوي الميول الرومانسية وعبادة الذات التي ظهرت في انتاج كثير من الشعراء بعد الحرب العالمية الاولى والثانية ، ومناداتهم بضرورة الالتزام في الادب .. فانني احسب ان من عظمة هذا الشاعر انه قد خلق تجارب شعرية يصح اعتبارها من الناحية الموضوعية ، ومن ناحية معطياتها الفنية وتأثيرها ملتزمة الى ابعد حدود الالتزام .. فشعره الوطني ملتزم بلا شك ، لانه يصور آمال وآلام شعب بأكمله ، بل شعوب عربية بأسرها ، ويترجم احلام هذه الشعوب في الخلاص من قيود عدوها الاستعمار الذي كان يتحكم في مصيرها .

كما ان اغلب شعره هادف اجتماعيا .. لان فيه ثورة على الظلم الاجتماعي ، والتقاليد البالية والتعصب الاعمى وفيه ايضا دعوة الى الخير والحب والسلام .. وهذا لعمري اساس نظرية الالتزام ، وان ضيقت مدلوله بعض الاراء السياسية المتطرفة . فالذي يقرأ انتاجه الشعري في ديوانه المطبوع «مختارات من اغاني الحياة » الذي قام بنشره الاستاذ ابو القاسم محمد كرو .. يجد ان التجارب الشعرية لهذا الشاعر الملهم تتميز بجو او نزعة رومانسية حزينة .. وبافكار صوفية حالمة .. وبان هذا الشاعر كان يعيش في بيئة نفسية مكللة بالكآبة .. الا ان هذه التجارب ـ مع ذلك ـ تحتوي على معاني ومشاعر انسانية نبيلة وصور فنية .. وهذه الصور وتلك المعاني تؤثر بلا شك في نفس القارىء لانها تدعوه الى اعتناق الخير والمحبة .. والتفني بالجمال والمثل الانسانية السامية .

فالشابي مثلا في قصيدته «صلوات في هيكل الحب» وهي من التجارب الشعرية التي تتجلى فيها النزعة الرومانسية يرسم للقارىء لوحة فنية ساحرة يتجسد فيها كل شيء جميل ، وتتمثل فيها آفاق رائعة للجمال المعنوي المقدس .. وهذه الصور او الاخيلة تؤثر في نفس القارىء وتربي فيه محبة الجمال وتقديس صانعه .. واذا كان لا بد من مثال على ذلك فلنسمعه يقول :

عذبة انت كالطفولة ، كالاحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد
يا لها من طهارة تبعث التقديس ، في مهجة الشقي العنيد
اي شيء تراك .. ؟ هل انت فينيس تهادت بين الورى من جديد
ام ملاك الفردوس قد جاء الى الارض يحيي روح السلام العهيد

فاي شيء احب الى النفس البشرية من السلام والطفولة ، والقمر والورد واللحن والصباح الجديد ؟ وأي دعوة لتقديس الخالق ، واعتناق عقيدة التوحيد اجمل من قوله في هذه القصيدة ..

يا ابنة النور انني انا وحدي من رأى فيك روعة المعبود !
فدعيني اعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المعبود !
عيشة للجمال والفن والالهام والطهر والسنى والسجود !

نعم ان الشابي بهذه المعاني والالفاظ الموسيقية العذبة يحمل

* القيت في مهرجان الشابي في مدينة تونس .

القارىء على ارجوحة مقدسة ليعيش معه لحظات في عالم الجمال .. وهذا في رايي منتهى الالتزام .. والامثلة على ذلك كثيرة في ديوانه المطبوع « من اغاني الحياة » ..

وكما حمل الشابي شبابته وغنى للحياة .. فقد تغنى بوطنه واسمعنا من حبه له ، وعن اخلاصه لشعبه شعرا وطنيا رائعا يعبر عن اشواق روحه ولوعة قلبه الى تحرر هذا الشعب وانطلاقه وتقدمه .. شعرا قويا يهز مشاعر القارىء ويثير سخطه على كل قيد اجتماعي متزمت يقف حجر عثرة في سبيل تقدمه ، وعلى كل تحكم واستعباد يحد من حريته .. فاذا ذكر شعراء الحرية في العالم المكافحين في سبيل حرية وطنهم ، فلا اعتقد ان أبا القاسم الشابي يقل عنهم وطنية واعمالا ادبية تتغنى بالحرية .. وتوحي بالعزة القومية .. فهو لم ينس ان يتغنى بحب بلاده رغم ظروف الشقاء التي كانت تكتنف حياته .. فلا أروع ولا أجمل من مناجاته « لتونس الخضراء » بقوله :

انا يا تونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت اي سباحه
شرعتي حبك العميق ، واني قد تذوقت مره وقراحه
لا أبالي .. وان اريقت دمائي فدماء العشاق دوما مباحه

هنا نراه يعبر عن اقدس العواطف .. وهي محبته لوطنه .. واذا كان قد تالم من واقع شعبه في مطلع هذه القصيدة وشكى من سكونه على اخماد كل صوت يدعو للاصلاح شأن كل شاعر مرهف الاحساس ، فما كان ذلك شجبا او عتبا بقدر ما كان حبا لشعبه .. ودعوة له للتخلص من قيود ماضيه وجمود حاضره .. واملا في ان يسترد هذا الشعب يوما حريته المسلوبة لانه يقول في ختام هذه القصيدة :

ان ذا عصر ظلمة غير اني من وراء الظلام شمت صباحه
صيع الدهر مجد قومي ولكن سترد الحياة يوما وشاحه

والشابي ما كان محبا لوطنه فحسب .. بل كان صاحب رسالة ـ كما اعتقد ـ في ايقاظ الشعور الوطني لدى شعبه ، ومحاربة الظلم الاجتماعي والتعسف السياسي .. واخلاصه وتحمسه لاداء هذه الرسالة كان على حساب اعصابه .. فالذي يقرأ اعماله الادبية يجد ان هذا الشاعر العظيم لم تتعذب روحه مما كان يعانيه من شقاء والم وحرمان فحسب .. وانما كانت تتعذب ايضا لاستسلام شعبه ـ اثناء حياته ـ للعادات البالية والسكوت على الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي.. ونتيجة لهذا الشعور نراه يشكو متألما من واقع شعبه داعيا اياه بصدق واخلاص الى التخلص من الافكار القديمة .. ونبذ الخلافات ، وانكار الامتيازات التي كانت مستحكمة حينذاك ودليلي على انه صاحب رسالة قصيدته « النبي المجهول » التي تعتبر في رأيي من اروع الاعمال الادبية الهادفة ومن اجمل التجارب الشعرية الفريدة في نوعها في ديوان الشعر العربي الحديث .. فهو في هذه القصيدة يقول :

ايها الشعب ليتني كنت حطابا فاهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سالت تهد الرموس رمسا برمس
ليتني كنت كالرياح فاطوي كل ما يخنق الزهور بنحس
ليت لي قوة الاعاصير يا شعبي فالقي اليك ثورة نفسي
ليت لي قوة العواصف ان ضجت فادعوك للحياة بنبس

فمعطيات هذه القصيدة الخالدة توحي بأن هذا الشاعر الملهم كان صاحب رسالة وطنية تعذب من اجلها كما تعذب الناصري من جحود وآثام شعبه .. كما انها تصور معاناة شعرية قاسية مر بها الشاعر في حياته فاوحت اليه بأن يلجأ ـ بعد يأسه من اصلاح شعبه ـ الى الغابات ليتلو على ما يضم الغاب من طيور وزهور وصباح وديجور اناشيده ، ويبثها اشواق روحه ، ويشكو اليها اشجان قلبه ، وصعوبة تحقق احلامه وأمانيه الوطنية .. ويدفن نفسه ـ كما يقول ـ في صميم الغابات متأملا يسأل الكون في خشوع وهمس عن سر الوجود ، وعن صميم الحياة .. فالعزلة الغابية هذه كانت بمثابة خلوة تأملية للتفكير في مشكلات شعب بأكمله ، وربما شعوب عربية بأسرها .. وحيث كان هذا الشاعر مخلصا في احاسيسه الوطنية ، ومشاعره تجاه شعبه.. فقد فجرت هذه التجربة براكين الثورة في أعماقه والهمته قصيدته الخالدة « ارادة الحياة .. » الشهيرة المعروفة .. ففي هذه القصيدة نجد ان التجربة الشعرية قد ولدت بعد التأمل العميق .. وصدق الرؤيا فيها واضحة في تصور الحقيقة .. وهي ايمان الشاعر بقدرة الشعوب على استرجاع حقوقها .. والشاعر في هذه القصيدة قد بلغ قمة الابداع الفني ، وقوة الاداء .. كما تجلت مقدرته الشعرية الفائقة في ابداع قصيدة نشيد الجبيار (او هكذا غنى برو متيوس) .

ويقيني ان الشاعر في نشيده الاخير لم يكن يتحدث عن نفسه بقدر ما كان يتحدث عن مستقبل شعبه .. ودليلي على ذلك انه برغم مرضه العضال .. كان يصرخ في سمع الوجود قائلا :

ساعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئا بالسحب والامطار والانواء

فالشاعر الملهم ـ في اعتقادي ـ مهما تحدث عن نفسه فلا بد ان يكون في عقله الباطن احساس خفي بما يشعر به افراد مجتمعه من الم وامل .. بل الم وامل الانسانية بأسرها .. ومن اجل ذلك كانت اعمال الشعراء الملهمين الادبية خالدة ، لانها تعبر عن اماني واحلام المجتمع الذي يعيشون فيه .. ثم ان وطنية الشابي لم تكن قاصرة على دعوة بني قومه الى التحرر من اغلال العادات الاجتماعية البالية .. وعلى ايقاظ الوعي الوطني بينهم ، بل ان له شعرا وطنيا يدعو الى الثورة والتمرد على الاستعمار الاجنبي البغيض واعوانه حينما كان مسيطرا على بلاده..ومن أقوى واوضح هذه القصائد، الثورية قوله يخاطب الشعب:

خلقت طليقا كطيف النسيم وحرا كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير اين اندفعت وتشدو بما شاء وحي الاله
كذا صاغك الله يا ابن الوجود والقتك في الكون هذي الحياه
فما لك ترضى بذل القيود وتحنى لمن كبلوك .. الجباه ؟
الا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره .. الحياه

ومن اشعاره الوطنية التي كان يكافح بها الاستعمار الاجنبي والاستبداد السياسي قوله مخاطبا « طغاة العالم » وهو يعني بطبيعة الحال الطغاة المستبدين بمقدرات شعبه :

الا ايها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياه
سخرت بآناة شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الاسى في ثراه

ثم يوجه الانذار اليهم قائلا :

تامل .. هنالك اني حصدت رؤوس الورى ، وزهور الامل
ورويت بالدم قلب التراب واشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف .. المشتعل

ولكن ما حدث ..؟؟ حدث ما كان يتوقعه .. ففي صباح يوم جميل، وبعد ان غيب الثرى جثمان هذا الشاعر العظيم تحقق ما تنبأ به فقد جرف السيل الثوري جيوش الاستعمار عن بلده « تونس الخضراء » وحطم شعبه قيود الظلم والاستبداد الاجنبي .. واصبح ابناء تونس يرددون مع روحه وارواح شهداء الحرية التي تطل عليهم من شاطىء الابدية:

اسكتي يا جراح واهدأي يا شجون
مات عهد النواح وزمان .. الجنون
واطل .. الصباح من وراء القرون
فاسكتي .. يا جراح واهدئي .. يا شجون

وبعد .. ان خير ما اختتم به هذه الكلمة هو ما قاله الاستاذ ابو القاسم محمد كرو الذي كان له الفضل باتاحة الفرصة لابناء الاقطار العربية في قراءة الاعمال الادبية لهذا الشاعر العظيم بأن اقول : انني باسم جميع الادباء العرب اهيب بشقيق الشاعر ان ينشر جميع الاثار الادبية لاخيه لانه بذلك يحقق امنية طالما تمناها ادباء العالم العربي .. وتطلع اليها قراء اللغة العربية .

جدة ـ السعودية

مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معاني الشيب عند الشاعر المدني

بقلم عبد الرحمن علي

* * *

الشعر الصادق مخاض تجربة .. واحساس انساني بالتوقع والمفاجأة .. وموقف شامل تجاه الحياة يحوطها بعناية النظرة النافذة . هذا الشمول مسؤول عن توكيدات القيمة الحياتية والبصر بظواهرها ومساتيرها .. لذلك سنعجب دائما لمواقف شعرائنا في الجاهلية من امور الحياة بدورتها الزمانية والمكانية ، فتلك احساسات نابعة أصلا من تجارب وجودية خلقتها السليقة بانعكاساتها الفاعلة امام عظمة الحياة او الموت ..

وقد طلع علينا بعض الشعراء من ذوي الاجادة في مر العصور بالوان من هذه المواقف الصادقة ، فلم يكن موضوع الشيب الا نغمة خاصة عزف عليها الشعراء تخفيفا من عبء ثقيل أخذ بأقطار النفوس ، فشاءت ان تعبر عن هواجسها بعبارة ساخطة حينا ونادبة ساخرة حينا آخر .. وهي بعد خطرات فيها الحكمة السديدة والمعنى الشيق والفجيعة على ما فات .. وليس في وسعي ان آتي على ذكر المأثورات الادبية فيما يخص معاني الشيب فذلك لا يقع تحت حصر (١) . ويكفي ان نعلم ان الشيب ونعوته لم يكن قاصرا على ذوي القرائح الشعرية بل تعداه الى اهل اللغة .. فهذا ــ من قبيل المثال ــ الامام اللغوي الثعالبي افرد فصلا في ظهور الشيب وعمومه في كتابه « فقه اللغة » ، كما صنع اللغوي ثابت بن أبي ثابت فصلا نفيسا في الشيب ونعوته وشعث الرأس في كتابه « خلق الانسان » فضلا عن اهتمامات شعرائنا المعاصرين ممن اكتووا بنار الحياة واشتعلت رؤوسهم شيبا بعد ان ذاقوا حلوها ومرها .. ومنهم شاعرنا ، موضوع الكلام ، قيصر سليم الخوري الملقب بالشاعر المدني ..

والشاعر المدني هو الشقيق الاصغر للشاعر الاشهر رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) .. وقد ولد سنة ١٨٩١ في قرية البربارة وارتحل مع شقيقه الى البرازيل في أول آب سنة ١٩١٣ ، وفي دار هجرته احترف التجارة على أنواعها وهو اليوم قد ولج عتبة الرابعة والسبعين من عمره المديد .. ولم يكن المدني في يوم من الايام محترفا للشعر او هاويا منقطعا له .. ولكنه يساهم فيه مساهمة المقل ، ولذلك جاء شعره صورة لانسان صحيح النفس ، عامر القلب بالمحبة لوطنه الاول، يصدر عن شعور صادق لا اعتساف فيه ولا مغالاة .. وهو كأي مهاجر آخر عجنته الايام وطحنته التجارب وتقلبت عليه الشؤون غير انه يجابه الحياة ببسالة الرجل الذي لا يحني القامة .. وهو متفائل في صراعه مع الحياة على الرغم مما يبدو في شعره من قتامة ومرارة وسخط، فهو لا يسمح لعوادي الدهر أن تنال من عزيمته ومن ذلك قوله في هذين البيتين :

تضاحكن اذ داعيتهن وقلن لي تحمل هوان الشيب غير كئيب
فقلت مشيبي لم يزل في شبابه ولا ارعوي حتى يشيب مشيبي

فهو هنا صابر فوق حدود الصبر ، يأتي بالمعنى اللطيف الذي يتحدى به من اردن له تحمل هوان الشيب .. ويؤكد لهن انه لا يرعوي حتى يشيب مشيبه وهذه عندي مفارقة جميلة ساخرة من غير صراخ ودعوة حميمة لكسر حدود الوحشة الزمانية ..

ويذكر مقدم الديوان (٢) الشاعر القروي عن اخيه المدني ، انها تفتحت في سن مبكرة اثبت فيها آنذاك مقدرته على التشطير ويسوق القروي مثالين يؤكد فيهما براعته الشعرية ونحن نورد هنا مثالا منهما بسبب علاقته بموضوع الشيب ، فقد روى انهما كانا في يوم عطلة وطلب من اخيه المدني شيئا من التسلية ، فما كان منه الا ان اخذ بتذكيره بالبيتين اللذين حفظهما عن والده في صغره لاجل الفناء :

وقائلة ما بال دمعك ابيضا ففلت لها يا هند هذا الذي بقي
ألم تعلمي ان البكا طال عهده فشابت دموعي مثلما شاب مفرقي

ثم يقول القروي مخاطبا شقيقه : قلت ما رأيك في ان نلهو بعض الوقت بتشطيرها ؟ قال : هلم ، وجاء بورقة شطرها بيني وبينه واكب كل منا بقلمه فوق ورقته . وبعد ردح قصير قلت هل انتهيت ؟ قال نعم . قلت اسمعني. قال لا اتقدم عليك . قلت اريدك ان تتقدم . فقرأ تشطيره ثم نظر الي . فرأى يدي تحت الطاولة تمزقان ورقتي كل ممزق . قال ما هذا ؟ قلت هذا هذا لا سواه . فوالله لو قام المتنبي من قبره وسمع تشطيرك لتهيب منافستك فيه ! او لكان قصاراه ان يقول قولك حرفا بحرف ! وهذا هو تشطير قيصر :

وقائلة ما بال دمعك ابيضا ففلت لان الحب في داخلي نقي
فقالت الا تذري سوى الدمع في الهوى ففلت لها يا هند هذا الذي بقي
ألم تعلمي ان البكا طال عهده وقد ينقضي في لحظة حين نلتقي
ولدت ودمعي والهوى ولدا معي فشابت دموعي مثلما شاب مفرقي

قلت ان المدني يقف صارما متحديا افاعيل الدهر ولكنه كانسان سوي النفس لا تتساوق حياته تساوقا باسما لا غصة فيه ولا اكتواء ، وانما هو يكلف احيانا بذكر سوءات الزمان فلا غنية في الجهاد بعد ان داهمته الخطوب وتركته مثخنا بالجراح حتى ليبدو الشاعر وكأن

الدهر اخذ نصفه للهم وابقى للموت أبخس نصف :

اكل الناس لحم شاء تغذت بطعامي وما ظفرت بظلف
وسقاني كاس المشيب دهاقا من تسقى شبابه تحت سقفي
اخذ الدهر خير نصفي للهم وابقى للموت أبخس نصف

ولا تشغل الشاعر همومه الذاتية برغم حدتها عن همومه الاكثر اتساعا وعمقا ، هموم الوطن البعيد ، فهو يحسب نفسه ميتا ـ عافاه الله ـ لانه ترك بلاده مهاجرا مغتربا.. وهذا غاية الصدق والوفاء ، فليس لدى المهاجر من هم أمض وأحرق من هم الفراق ونداء الرحم .. عند هذا المعنى يطوف الشاعر في قصيدة «العرافة» في حوار ينم عن تمزق دفين ليس الشيب فيه الا علامة على فهم الحقيقة ، حقيقة الوطن الذي شيب الشاعر واضناه :

الا تنظرين بياض مشيبي الا تلمسين غضون اهابي
حسابك يا اخت غير مصيب وكنت اظنك أم الحساب
أجابت سل النفس عد السنين فما بعد ربك كالنفس هاد

وعدت لنفسي مستفهما كخابط ليل اظل طريقه
فاوحت الي بشيء فما أتمته حتى فهمت الحقيقه
وصحت صدقت فاني دفين وقدمت يوم تركت بلادي

وفي غمرة الحنين الى الوطن لا يطوي المدني عن النزوع الى اكتشاف البديل عن هذا الحنين الجارف .. وأي شيء اقرب الى النفس من بسمات الطفولة التي تحيل ظلمة الحياة الى نور والتي هي امتداد لمحبة الارض الاولى .. من هنا يكون مشيب الشاعر جميلا وانفتاحا على الدنيا وتفريجا عن الهموم .. ولولا ذلك لخلت الدنيا من الاماني والاحلام كما تجسدها براءة الطفولة وترعاها مشاعر الابوة الحانية :

ما بال قلبي كلما اعطيتهم اضعاف ما طلبوا اظل بخيلا
وعدي لهم ارب فان قصرت يدي عن مطلب فرحوا به تعليلا
قبلاتهم عند السؤال عطية منهم تعيد السائل المسؤولا
يا طالما ادنيت خدي مفمضا عيني افتح للسؤال سبيلا
قد فرجوا عني الهموم وزخروا عن منكبي صخرا اصم ثقيلا
لولا هم ما كان ضعفي قوة والعسر يسرا والمشيب جميلا

ولا يخفى ان الشيب من الناحية البيولوجية دالة على الشيخوخة والقرب من مرحلة العجز في أغلب الاحيان، ولا يخفى ايضا ما لتأثيره من الناحية السيكولوجية في تصرفات الشخص ، حيث لا يلبث ان يحن الى ماضي أيامه يستحضرها ويتمثلها بحنينه الحار الى صدر الشباب باندفاعاته وانطلاقاته التي لا تحد ، ولكن هيهات لعبق الشباب ان يعود بعد ان ذوى عوده . عند هذا المعنى وقف كثيرون من الشعراء ، يسفحون آهاتهم وحسراتهم ، ولما لم يجدوا متسربا الى عودة تلك الايام الزاهية انزلوا حجابا ضعيفا بينهم وبين تلك اللذاذات الاولى ، متعللين بصحوة المشيب بعد غفلة الشباب ، ورجاحة العقل بعد نزوات الصبابة كما يتمثل في هذه الابيات (المدنية) الهادفة :

ردي الشباب تعد الي صبابتي فالشيب ما بيني وبينك حائل
والعقل من ولد المشيب فاذهبي عقلي فما التمس الصبابة عاقل
لا تعذلوا اهل الهوى لضلالهم ان الضلالة ما يقول العاذل
عبق الشباب هو الهوى فاذا مضى عهد الشباب فكل زهر ذابل
غفل الشباب عن المنون فان بدا فجر المشيب فقل تنبه عاقل
ما الشيب الا اسطر فكانما بين المنية والشباب تراسل

فأنت ترى ان المعنى قريب ومتداول ولكنه لا يخلو من تجربة نفسية وعقلية متمثلة في أسطر الشيب بكل ما فيها من حكمة وسداد رأي ، لذلك لا نعجب اذا ما كره شاعرنا حياة الصبا وتمنى ان لا تعود،وبيان ذلك ان الصبا الخالي من النعيم لا طائل من ورائه ، وانما الشيب افضل على هذا الوجه ، فقد يضنى الانسان ويشقى في شبابه ولا يبلغ واحة السعادة وربما أتحفه الشيب وهيأ له من اسباب النعم ما كان يرجوه في ايام شبابه ولكن لحكمة بالغة أمتحن الانسان امتحانا في حياته المتعاودة قد لا يكشف عن خباياها سوى الموت :

كرهت الحياة فلو عاد لي صباي تمنيت لو لم يعد
ومن لم يذق في صباه النعيم رأى الشيب افضل مما فقد
ورب شقي بعهد الشباب لدن بلغ الشيب منه سعد
فان الحياة لسر خفي وقد يكشف الموت عنه وقد

ومن اطرف المعاني ما جاء في ابياته الثلاثة في وصف الشعرة البيضاء، فهي ضميمة انسانية تنبىء عن قدرة على الابتكار والتخييل وخلق التشبيهات المستملحة الجديدة :

بيضاء لاحت كالهلال بمفرقي تبني الحياة عن الزوال المحدق
طرقت وقد ساد السواد بلمتي كاللص في غير الدجى لم يطرق
فحسبتها والقلب مزقه الجوى خيطا لرتق فؤادي المتمزق

وبعد هذا الطواف حول معاني الشيب عند الشاعر المدني يلزمني ان اشير الى ان الناقد ليس مجبرا دائما بأن يتحرى الجزالة والتعبير الفني المحكم والديباجة العالية ، فربما قد يواجه شعرا قليل الحظ من هذه الامور ولكنه متخم بالتجربة الانسانية والصدق الشعوري، لانه نابع من اعماق النفس ، خالص من العلائق الكاذبة.. وعندها يرتهن النظر النقدي بوجهة البساطة والتعبير العفوي النابض بالحياة .. والشاعر المدني هو اقرب الناس الى هذه المنابع الانسانية المتدفقة ، وحسبه انه لا يبخل في كشف مساتير النفس ، فيظهرها مجلوة بحقيقتها التاريخية المعذبة وتجربتها الانسانية النبيلة وذلك منتهى الاخلاص لفن القول ...

البصرة ـ العراق **عبدالرحمن علي**

---

(١) يقتضيني الانصاف ان اذكر ان للصديق محمود عبدالوهاب دراسة مفصلة عن موضوع الشيب والشعر جمع فيها مادة وفيرة وشواهد كثيرة .. ومن اسف ان هذه الدراسة الطريفة لم تطبع بعد . (٢) «ديوان الشاعر المدني» طبع دمشق ١٩٦٦ ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبدالحميد الانشاصي

قــوة الارادة

بقلم عبدالحميد الانشاصي

« مهداة الى الاديب الكبير الاستاذ البير أديب بمناسبة مضي ست **وعشرين سنة من جهاده العظيم في رفع مشعل « الاديب » باوادة جبارة وصبر وتضحية ، وفي تقديم طلائع من الكتاب والشعراء لرفع مستوى الادب والفن في البلاد العربية ».**

* * *

الارادة قوة كامنة في النفس غذاؤها الطموح والاخلاق المتينة . ان الارادة لا تتكون في وقت وجيز بل لا بد أن تنقضي عليها عدة سنين حتى تنمو وتتكامل . تبدأ في ذهن صاحبها همسا يشجعه على المضي في سبيل يؤدي الى هدفه ، ثم يعلو ذلك الهمس فيتحول الى صوت داخلي يحثه ثم يرغمه على المضي في ذلك السبيل حتى يحقق آماله فيستريح . واي صوت يحدو المرء على العمل ؟ انه صوت الطموح . يطمح الانسان الى اتقان عمل من الاعمال او الى النبوغ في فن او علم . فلكي يحقق آماله لا بد ان يستخدم قوة ارادته مستعينا في الوقت نفسه بأشياء أخرى تمكنه من بلوغ اربه . وحينما يثق الانسان بنفسه نستطيع ان نقول ان قوة ارادته تكاملت وأصبحت صالحة للاستخدام .

ان الطموح يشجع صاحبه على المضي في سبيله نحو هدفه ، ولكن هل الطموح وحده يكفي لتكوين قوة الارادة؟ ليس الطموح الا صوتا مشجعا . انه في حاجة الى عامل آخر حتى تتألف قوة الارادة وتنفذ تنفيذا يضمن لصاحبها النجاح . وما ذلك العامل الاخر الا الاخلاق المتينة . الطموح يشجع والاخلاق المتينة تنفذ . واعني بالاخلاق المتينة الصبر والصدق : الصبر على ملاقاة الشدائد واحتمال المشقات والمثابرة على العمل ، والصدق في تلبية الصوت الداخلي الذي يحث المرء على المضي في سبيله .

حينما اراد طارق بن زياد ان يغزو اسبانيا أحرق السفن التي عبر هو وجنوده بها البحر وخطب فيهم خطبته الشهيرة قائلا : « ايها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » . لقد دعا جنوده الى الصدق والصبر وهما أجمل الاخلاق الحميدة المتينة : الصبر على موقفهم من الاسبان والصدق في العمل بما همس به طموحهم في اذهانهم . نعم ، لقد كان طارق بن زياد طموحا ، وكانت اخلاقه متينة ، وكانت ارادته قوية . اراد ان يحول جنوده الى اشخاص يشبهونه طموحا ومتانة اخلاق وقوة ارادة لكي ينفذ ارادته ويبلغ اربه . وقد نجح في مسعاه نجاحا تاما ، فطاب نفسا واستراح . كان طارق رجلا مجهولا يعمل عند موسى بن نصير ، ولكن مما لا شك فيه انه كان طموحا يسعى الى القيادة اقتداء بسيده وارضاء لعبقريته . وكان ينتظر فرصة لاظهار سيده والذين يجهلون قدره على ما أوتي من موهبة في القيادة ، حتى وكل اليه موسى بن نصير امر فتح اسبانيا ، وحينئذ بذل جهده واستخدم قوة ارادته في الوصول الى هدفه ، فتم له ما اراد .

وحينما اراد الشاعر الرقيق ابو حسن الانباري ان يخلد الوزير أبا طاهر الذي صلبه عضد الدولة بقصيدة يرثيه بها ، استخدم قوة ارادته وحصر أفكاره كلها في طريقة يرفع بها قدر الوزير المصلوب الى منزلة يحسده عليها من صلبه ويتأسف على فقده عندها من سمع القصيدة من الناس . وقد وفق الشاعر فيما أراد توفيقا عظيما ، فخلد نفسه وخلد اسم صاحبه المصلوب في تلك القصيدة الرائعة التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك احدى المعجزات

ولو لم يستخدم الشاعر قوة ارادته لما بلغ ما بلغه من الرقي الذهني والعبقرية النادرة .

وقد أراد هنيبال ان يتسلق هو وجنوده جبال الالب ليفتح « روما » . خاطر بحياته وبحياة جنوده في اماكن مرتفعة وممرات ضيقة وعرة حتى اذا اشرف على روما قال لهم مشجعا : « هناك تقع روما . بعد معركة او معركتين تقع العاصمة في ايدينا » . وبعد مشقات جمة ذهب ضحيتها نحو نصف جنوده تمكن هنيبال بجيشه المنهوك القوى المتوثب الارادة ان يتغلب على الجيش الروماني لا في موقعة واحدة فحسب بل في موقعتين .

وقد اراد كريستوفر كلومبس ان يكتشف شيئا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جديدا يسجل اسمه في سجل الخالدين من المكتشفين ، فراح يتجول بين ابناء قومه ويشرح لهم فكرته الجديدة ، ولكنهم قابلوه بالتهكم والسخر وتثبيط العزيمة . غير انه لم يصب بمرض اليأس بل لجأ الى الصبر وظل يبحث عن انصار لفكرته على ضوء طموحه حتى وجد ضالته . واخيرا أقلع كريستوفر كلومبس هو ورجاله في ذلك المحيط المظلم المخيف . وفي طريقه تذمر اعوانه قائلين : « نحن نقطع بحارا لم يجرؤ احد من قبل على دخولها . هل تريدنا ان نظل مقلعين حتى نهلك ؟ » ولكن ذلك المكتشف العظيم لم يتراجع خطوة واحدة عن خطته ، ولم يخامره شك قط في ايمانه بفكرته ، وانبأهم في تجلد وثبات أنه سوف يكافىء اول رجل منهم يقع نظره على قطعة ارض مكافأة قيمة . واخيرا وصل الى بعض الجزر الواقعة على ساحل اميركا . وهناك اجتمع رجاله من حوله وقبلوا يديه سائلين الصفح والغفران مؤكدين له ثقتهم به . وهكذا اكتشفت أميركا بارادة رجل واحد أثار النفوس من حوله في سبيل تنفيذ خطته وحمل الناس على تصديق فكرته .

قضى ليوناردو دافنشي الرسام الايطالي الشهير خمس سنوات في رسم أغمض ابتسامة جاد بها وجه في صور العالم . وقضى جوتيه الشاعر الالماني الاكبر ثلاثين عاما في تأليف روايته التمثيلية الخالدة « فاوست » . وزهير بن أبي سلمى كان يقضي سنة كاملة في نظم قصيدة واحدة من قصائده الرائعة ، وأبو الفرج الاصبهاني قضى خمسين سنة في تأليف كتابه الضخم « الاغاني » . وامضى الشاعر الفارسي الفردوسي نحو عشرين سنة في نظم ملحمته الخالدة « الشاهنامة » .

من هنا نعلم كيف كان نوابغ الفنانين يتحملون مرارة الصبر سنين طوالا في سبيل تنفيذ قوى ارادتهم لبلوغ ما يطمحون الى بلوغه من ابتكار وشهرة .

وصاحب الارادة في صراع دائم بينه وبين نفسه . انه بين اثنين : بين الدنيا واطايبها وزخرفها ومباهجها ولذاتها ومسراتها وبين طموحه وآماله . فاما ان يعيش كما يعيش القانعون من الناس لا تتعدى مطالبه الطعام واللباس والزواج والاولاد ، واما ان يضحي بالكثير من الملذات في سبيل تحقيق فكرة له لا يستريح معها الا متى وضعها موضع التنفيذ . لا يمكن ان تصبح الارادة قوة الا اذا غذاها صاحبها بقوة من نفسه . ومتى وجه قوته الى الارادة لم يجد بدا من ان يحرم نفسه كثيرا من ملذات الحياة ونعيمها . وهنا يبدأ الصراع بينه وبين نفسه — حينما يشعر بحاجته الطبيعية الى أخذ نصيبه كاملا من نعيم الدنيا ، وحينما يشعر بضرورة اجابة ذلك الصوت الداخلي الذي يدعوه الى تحقيق آماله. يقع بين جاذبيتين: جاذبية الطبيعة وجاذبية ما وراء الطبيعة .

وهناك الى جانب هذا الصراع الباطني صراع آخر خارجي . صراع بين صاحب الارادة والمجتمع . كلما حاول صاحب الارادة ان يدنو من هدفه ويحقق آماله وقف الناس في سبيله وصدوه عن غرضه . فمنهم الحاسدون ومنهم المتهكمون ومنهم الكسالى ومنهم القانعون . وليس له الا ان يشق طريقه بينهم وحيدا لا نصير له سوى ثقته بنفسه وتشجيع طموحه . انه في صراع بينه وبين نفسه وفي صراع بينه وبين الناس . والصبر على حالة كهذه يقتضي ارادة جبارة وجهادا مرهقا وعنادا صلبا . وكل ذلك لا يتم الا بمتانة الاخلاق . صاحب الارادة ثائر والناس يبغضون الثورة . انه طموح والناس قانعون . انه شاذ والناس متشابهون .

قد تتحول الارادة في صاحبها من مجرى الى آخر. فكم من رجل اراد ان يكون محاميا فلما نال شهادة الحقوق شعر برغبة شديدة في ان يكون اديبا شهيرا . وكم من تاجر أصبح سياسيا أو عالما . وهذا يدل على ان صاحب تلك الارادة لم يتبع هواه في أول الامر بل ارغم نفسه ارغاما على ممارسة عمل من الاعمال او اضطر الى ممارسته ليكسب رزقه ويقيم أوده ، غير انه عجز عن الصبر على الصراع القائم بينه وبين نفسه فلم يجد بدا من ان يوجه ارادته الى الهدف الذي يعتقد انه لا يعيش سعيدا الا اذا وصل اليه .

فالشاعر الانجليزي كيتس قضى بضع سنين في الجامعة يدرس الطب ، ولكنه حول ارادته الى مجرى آخر فاذا به يستبدل بمعالجة الاجسام بالادوية معالجة النفوس بالشعر . وغوغول القصصي الروسي الكبير كان في اول امره موظفا في دائرة من دوائر الحكومة . وكذلك هوثورن الكاتب الاميركي . ومن أصحاب الارادة من جمع بين ارادتين في وقت واحد كجوتيه مثلا فانه كان اديبا عظيما وموظفا كبيرا في آن واحد .

ومنهم من حول ارادته من مجراها الطبيعي الى مجرى آخر لا يلائمها . فالمتنبي كان يطمح الى ان يكون من أعظم الشعراء في عصره . وقد تم له ذلك ، الا انه وجد ان شعره لم يمكنه من التمتع بنعيم الدنيا كما يحب فطمح الى ان يكون اميرا فهو حينما مدح سيف الدولة بقصائده الرائعة لم يقصد بعقله الباطن الا ان يمدح نفسه ممثلا في سيف الدولة . وقد فشل في سعيه الى الامارة لان قوة ارادته الحقيقية لم تكن متجهة الا الى الشعر . أما الامارة فلم يوجه اليها الا فضلات من ارادته .

وابو العلاء المعري طمح ان يكون نابغة عصره في الشعر ، فما زال يسعى الى غرضه حتى نجح وذاع صيته في أنحاء البلاد العربية . الا انه شعر بمثل ما شعر به المتنبي من قبله وهو حرمانه التمتع بنعيم الدنيا ، بل كان حرمانه اشد وأمر من حرمان المتنبي . ولما ايقن انه من المحال ان يأخذ نصيبه من سعادة الحياة بسبب عماه حول ارادته الى مجرى آخر وهو التسامي . فقد امعن في حرمان نفسه أطايب الدنيا ، فلم يتزوج ولم يأكل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاطعمة ما لذ وطاب ، واكتفى من الملابس بالخشن البسيط، وقضى على نفسه بالسجن المؤبد في منزله . وكان غرضه من ذلك ان ينظر اليه الناس نظرة تقديس واعجاب .

أقبل المتنبي على الدنيا متهالكا لكي يتسنم الامارة ، وانصرف المعري عن الدنيا نافرا لكي يحظى بالتقديس . كلاهما حول ارادته الى مجرى غير طبيعي فلم يصب نجاحا ، فان الناس فيما مضى وفي هذا العصر لا يذكرون المتنبي وأبا العلاء الا كشاعرين على الرغم من ان أحدهما بلغ درجة التقديس وتمكن الثاني من الاحتكاك بأمير ونيل رضاه . حتى ولو قدر للمتنبي ان يكون اميرا فان شعره متغلب على الامارة بلا ريب .

وكما توجد قوة الارادة في الفرد توجد كذلك في المجموع . الا ان المجموع لا يمكنه ان ينفذ ارادته ويحقق أمانيه بغير جهد الفرد ، بل ليس في استطاعته ان يكون فيه قوة من الارادة دون ان ينفخ فيه الفرد من روحه . ان الجمهور المتضايق في كل قطر من الاقطار هادىء صامت ينتظر صرخة يبعثها رجل من رجاله في حماسة وثقة . انه يشعر بمثل ما يشعر به الفرد من ضيق ويكاد يهم بمثل ما يهم به الفرد من تنفيذ الارادة ، غير انه جبان متهيب يتظاهر في بعض الاحيان بالقناعة ويصطنع الرضى . ولكن متى شذ عنه احد افراده ودعاه الى القيام بعمل لبى الجمهور دعوته وانقاد له انقيادا أعمى وأظهر سخطه وأعلن تذمره وخاطر بنفسه . وبذلك تتجلى قوة ارادته فتكتسح امامها كل شيء وتبلغ ما تسعى اليه . فالجمهور يستمد ارادته من الفرد كما تستمد الكائنات حرارتها من الشمس. أما الفرد فيستمد ارادته من نفسه .

قبل الثورة الفرنسية كان الجمهور الفرنسي يحتمل ما ينزل به من ألوان العذاب على مضض ، وكان في انتظار أفراد قليلين يعربون عما يجول في نفسه . كان في انتظار ابطال يضحون بنفوسهم في سبيل غيرهم . كان في انتظار من ينفذ ارادته ويقوده الى هدفه . وقد قدر للجمهور ان ينصت الى ذلك الصوت الثائر يبعثه روسو مناديا بانصاف الشعب واعلاء شأنه وبوضع حد لطغيان الاشراف في عصره ، وقدر لذلك الشعب ان يستمع الى صوت فولتير مبشرا بالتسامح والانسانية . وقدر له أيضا ان يستمع الى صوت ديدرو ناقدا النظم الاجتماعية والاقتصادية . اولئك ابطال قضوا حياتهم في تكوين ارادات من فولاذ وفي وضع تلك الارادات الجبارة موضع التنفيذ لا يبالون بما قاسوه من تشريد ومصادرة كتب في سبيل أغراضهم ومآربهم . وهكذا نجح أولئك النوابغ في تنفيذ ارادة الشعب وضم ارادتهم الى ارادته .

ومتى تكونت قوة الارادة في صاحبها ساقته الى غرضه كما تسوق قوة البخار القطار على السكة الحديدية . يشعر صاحب الارادة انه مسير لا مخير . ومعنى ذلك انه محال ان يرجع عن غرضه ويتخلى عن فكرته، فاما ان ينفذ ارادته ويحقق ما يريد او يهوي الى دركات الهلاك والاضمحلال. أما أولئك الذين يرتدون فليسوا بأصحاب ارادات وانما هم قوم حاولوا ان يكونوا في نفوسهم ارادات فلما عجزوا عن ذلك ارتدوا . أي ان ارتدادهم حصل بسبب عجزهم عن تكوين ارادتهم وليس بسبب عجزهم عن تحقيق أغراضهم.

كان ملتون الشاعر الانجليزي يطالع كثيرا ويكتب كثيرا ، وقد نصحه الاطباء بالكف عن المطالعة والكتابة لئلا يذهب بصره ، ولكنه لم يعمل بنصيحة الاطباء وظل يطالع ويكتب حتى كف بصره . ومع ذلك فقد استمر على ما هو فيه بلا تراجع ، فأملى قصيدته الخالدة « الفردوس المفقود » على بناته واصدقائه .

وبيتهوفن الموسيقار الالماني العبقري أصابه الصمم في أواخر حياته . ولكن ذلك لم يحل دون مضيه في سلم العبقرية والشهرة ، اذ كان يعزف على البيانو الحانه العالمية وان لم يسمع منها شيئا .

وديدرو الكاتب الفرنسي الكبير الف موسوعته العظيمة بعد مثابرة وجهد على الرغم من المقاومة التي قابله بها قلم المراقبة ، فقد صودر المجلدان الاولان من موسوعته، ولكنه استمر على اصدار أجزاء تلك الموسوعة . فتدخل قلم المراقبة مرة ثانية وسحب رخصة نشر الكتاب وحظر بيع سبعة مجلدات من الموسوعة كانت قد نشرت من قبل غير ان ديدرو لم ييأس اذ عاد فنشر العشرة مجلدات الباقية من كتابه بعد مضي سبع سنوات دون ان يكترث لاية مقاومة .

ومارسيل براوست القصصي الفرنسي العظيم الف قصصه وهو مريض لا يخرج من بيته ، ودوستويفسكي القصصي الروسي النابغة الف قصصه وهو يعاني آلام الفقر والمرض .

ومن أصحاب الارادة من ينفذ ارادته وحيدا دون الاعتماد على أحد كالفنانين على اختلاف انواعهم والفلاسفة والعلماء . ومنهم من لا يستغني عن الجمهور في تنفيذ ارادته كالساسة والقواد .

ان كتاب « العقد الاجتماعي » الذي تتمثل فيه ارادة روسو هو من أعظم الكتب السياسية في العالم سواء أكان السبب في اشتعال الثورة الفرنسية أو لم يكن . وكتاب « رأس المال » الذي تتمثل فيه ارادة كارل ماركس هو من أعظم الكتب الاقتصادية سواء أكان السبب في اندلاع لهيب الثورة الشيوعية في روسيا أو لم يكن . اي ان هذين الكتابين يخلدان دون اعتمادهما على تكاتف الجمهور في تنفيذ ما فيهما من آراء صائبة . أما قائد كالاسكندر او يوليوس قيصر او نابليون فانه لا يستطيع ان ينفذ ارادته بغير الاعتماد على قوى عدد كبير من الجنود .

ولا شك ان اولئك الذين يعتمدون على انفسهم في تنفيذ ارادتهم هم الذين يصيبون خلودا حقيقيا ويتقدمون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالانسانية خطوات واسعة . أما اولئك الذين يعتمدون على الجمهور في هذا الشأن فلا يقدمون الى الانسانية من خدمات الا القليل . ان كتابا كجمهورية افلاطون أو روايات شكسبير خير الف مرة من فتوحات الاسكندر ونابليون .

ومن أصحاب الارادة من يسعى لمنفعته الخاصة ، ومنهم من يسعى لمنفعة المجموع . ان يوليوس قيصر ونابليون كان غرضهما من فتح الاقطار توسيع ملكهما والارتقاء الى درجة رفيعة من درجات الشهرة والعظمة . أما بطرس الاكبر ومصطفى كمال فقد كانا مصلحين كبيرين بذل كل منهما جهده في تشذيب عادات شعبه ورفع مستواه علميا وأدبيا وخلقيا . ولا شك ان اصحاب الارادة الثانية يجمعون بين الفكر والعمل . ومعنى ذلك أنهم يضطلعون بحمل أثقل من الحمل الذي يضطلع به أصحاب الارادة الاولى . وبالاضافة الى ذلك فان في أعمالهم انسانية وفضلا لا ينكران .

والارادة نوعان : واقعية وخيالية . فالارادةالواقعية تتجلى في العلم والعمل ، والارادة الخيالية تتجلى فيالفن كالشعر والقصص والرسم والموسيقى . ان العلم والعمل يخدماننا خدمة مادية اذ يجلبان الينا الراحة البدنية في عدة امور . والفن يخدمنا خدمة نفسية اذ يجلب السعادة الى نفوسنا وينسينا همومنا وأحزاننا في بعض الاوقات .

ان المرء ليجد لذة ومتعة في قصيدة لعمر بن ابي ربيعة او في رسم لروفائيل او في قطعة موسيقية لشوبير . وانه ليجد سأما اذا قرأ كتاب « أصل الانواع » لداروين او « راس المال » لكارل ماركس . ومع ذلك فانتاج العلماء ضروري كانتاج الفنانين .

ان رجل الفن يكتب أو يرسم او ينحت ترفيها عن نفسه ، فيرفه عن نفوس الناس أيضا . ورجل العلم او العمل ينتج ما يريد فينتفع وينفع غيره أيضا. رجل الفن يوجه ارادته الى الخيال هاربا من الحقيقة المرة التي صدمت قلبه ، فيسعد في خياله ويعرف كيف يسعد غيره ممن يجدون سعادة في الخيال . ورجل العلم او العمل يلصق بالارض ـ ميدان عمله ـ فيستمد منها مادته وفائدته . والفن والعلم يتعاونان دائما في كل مكان وفي كل زمان . ان الالحان الموسيقية لا تسمع الا بادوات خاصة تعزف عليها ، والمناظر الروائية لا يمكن اظهارها على الشاشة الفضية الا بالاستعانة بآلات لازمة لهذا الغرض . وعلى الرغم من استخفافنا بالفن لخلوه من النفع المادي فانه ليس في امكاننا الاستغناء عنه بل نضطر الى بذل بعض ما لدينا من الاموال في سبيل التمتع به .

اننا نجد قوة الارادة متجلية في كل شيء مما ينتجه الانسان . ان العمران الذي عم العالم يقوم على اساس من قوة الارادة . نجد قوة الارادة ممزوجة بقوة البخار التي تسير القطارات ، وبقوة البنزين التي تدفع السيارات وترتفع بالطائرات ، وبقوة الكهرباء السارية في الاسلاك .

ما الاهرام في مصر ؟ أليست هي ثمرة ارادة الشعب الفرعوني ؟ ما التحنيط ؟ أليس هو ثمرة ارادة العلماء المصريين في سالف العصور لتخليد أجساد اولئك الملوك صونا لهم من الفساد ؟ ما ديوان المتنبي ؟ أليس هو ارادة نفس عظيمة خالدة بكبريائها وخبرتها وحكمتها وعزتها وطموحها ؟ وما قبة الصخرة في القدس ؟ أليست هي تعبيرا عن ارادة الاتقياء في تجميل معبد الله ؟ ما جمهورية افلاطون ؟ أليست هي ارادة ثائرة على النظم الاجتماعية وداعية الى تغييرها ؟

في كل شيء يسر أو يدهش تكمن ارادة الانسان . قد أراد الانسان فيما مضى وهو يريد اليوم وسوف يريد غدا . ان الانسان يمتاز على الحيوان بارادته لانه فيارادته تتجلى أخلاقه ويتجلى طموحه وتفكيره . بارادته يرتقي وبها يشعر انه كائن حي يحس ويفكر ويسعد ويشقى . لقد كان الانسان الاول يفخر بقواه الجسدية في الصراع والاعتداء . أما الانسان المتمدن فهو يفخر بقوة ارادته .

ليس من السهل ان يدخر الانسان في نفسه قوة الارادة . انه في حاجة الى صبر طويل ومثابرة متواصلة. ينبغي لمن يسعى الى ادخار قوة الارادة ان يواجه الصعوبات ويكتسح العقبات ويعود نفسه تحمل المشقات وان يتجنب السهل الميسور .

ما أكثر الاذكياء في العالم ! ولكن ما أقل أصحاب الارادة ! كثيرون من الناس اوتوا حظا ضئيلا من الذكاء ولكنهم اكتسبوا حظا وافرا من الارادة فجاءوا بما عجز عنه الاذكياء الذين لا يملكون من قوة الارادة شيئا. ما قيمة الذكاء بلا ارادة ؟ انه شبيه بمال مذخور لا ينتفع به .

لولا قوة الارادة لما كان في العالم عباقرة ونوابغ . ان الارادة شجاعة تقلصت من الجسم وكمنت في النفس. ومتى عرف الانسان كيف يستعملها ابتكر وخلق وأفاد وأدهش . محال ان يبلغ الانسان غرضا من الاغراض بغير ارادة . كما تسير السيارة بقوة البنزين كذلك يسير الرجل الطموح في طريق التقدم بقوة الارادة . بالمثابرة يستطيع المرء ان يصل الى هدفه ويتمتع بالسعادة والهناء. لا شيء يقتل الارادة كاليأس .

مما أعجبت به من الحكايات الخرافية حكاية ضفدعتين وقعتا في اناء مليء بالقشدة فلم تتمكنا من الخروج منه . وقالت احداهما للاخرى : « لماذا تسبحين يا رفيقتي ؟ ان لم نفرق الان فلا بد أن نفرق فيما بعد ». واستسلمت الى اليأس حتى غرقت . ولكن الضفدعة الاخرى ما زالت مثابرة على السباحة حتى تحولت القشدة الى زبدة ، ثم ربضت على تلك الزبدة لتستريح من عنائها وتتمتع باطمئنانها . وفي هذه الخرافة درس لمن يسعى الى تكوين قوة الارادة في نفسه .

عمان — عبدالحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث الشاعر عن المعاناة

بقلم يوسف نوفل

* * *

النفس الانسانية تنطوي على كثير من الاسرار ، ونفس الفنان تفدو اكثر انفلاقا اذا ما غلفها الصمت وحينذاك يبدو التعرف عليها ضربا من المستحيل ، أما اذا أفصحت ريشة ليوناردو دافنشي عن شيء يتمثل في الجوكاندا مثلا ، ومايكل انجلو في موسى ، ورودان في المفكر ، وفي المعبودة الدائمة فانه يصبح من الممكن التعرف على جزء كبير من نفسية كل منهم .

وحين ننتقل بالحديث الى مجال الشعر فاننا نضع يدنا بادىء ذي بدء على هذا المبدأ ، وهو ان الشاعر كالطير لا يستسيغ الشدو في العاصفة ، اذ قد يتاح له بعد قليل او كثيرا ان يفرغ لقامه ليقول شيئا ما قد يكون متواريا ينساب خلف السطور ، وقد يكون صريحا يجلو نفسه من أول وهلة .

هذا هو ما يسعفنا للتعرف على جوانب معينة من نفسية الشاعر ، لكن حديثه عن نفسه كشاعر ، وتصويره لمعاناته للكلمة ومحاولات خلقه لها ، وطريقة رسمه لعالمه بنماذجه وأحداثه ، ومدى ما يشعر به ازاء مولد القصيدة ، ازاء اللفظ ، وازاء الايقاع ، وازاء تمثل التجربة ، بل وازاء الجمهور ... كل هذا شيء يبدو في نظري ذا خطر كبير يرفعه درجة فوق الحديث من النوع السابق .

وخطر هذا النوع يرجع الى انه ، فوق كونه ترجمانا صادقا وأمينا ودقيقا وحيا لشخصية الشاعر ، فانه يقدم للتاريخ الادبي بطاقة شخصية لقائله ، ويقدم للتاريخ العام حكما صريحا لحياة وظروف وعالم الشاعر . واذا كنت على نية قصر الحديث على هذا النوع الا انه سوف يحدث ان اعرج على النوع الآخر لأغادره سريعا .

ونفس الشاعر تحيا وتتحرك خلف كيانه المادي وهي بدورها تريق ألوانها على كل لوحة يرسمها الشاعر ومن هنا نرى السحر في كياسة الشاعر لدى اسماعيل صبري ، وحيويته عند أبو ريشة ، وعصبيته وعمق عواطفه لدى ناجي ، وجهامته في العقاد ، وصفاء الروح عند نعيمة وعريضة ونازك ... الخ .

ومن الشعراء من يحفل شعره بالصور النفسية أكثر من الصور الخالية كتوماس هاردي ، وهنا يأتي دور القارىء الذي لا بد ان يوفق في الاهتداء الى مرمى الشاعر والا ظلمه وتجنى عليه ... يقول المرحوم العقاد « فنحن لفقرنا في الاحساس المنوع الغزير ، أو لتفريقنا بين الشعر والاحساس نقرأ القصيدة التي تشرح لنا الحالة او الحالات الكثيرة من عوارض النفس البشرية ثم لا نزال نترقب من الشاعر مفزاه ونتوهم النقص في غرضه » .

ومن الشعراء من يحلو له تصدير ديوانه بما يصور معاناته للكلمة، يتخذ من ذلك مدخلا الى نفس القارىء ، وهذان نموذجان صدر بهما ديوانان ، أولهما « رمال عطشى » للشاعر سليمان العيسى يقول :

انها حبات رمل عطشت فتحدى اليأس فيها الظما
أنا في اعماق قومي صرخة تنشطي لا قصيد يقرأ
حسب لحن ينتهي في وتري انه في صدر غيري يبدأ

وثانيهما « قالت لي السمراء » لنزار قباني يصدره بقوله :

شعري أنا قلبي ويظلمني من لا يرى قلبي على الورق . ويقول في اول قصيدة واسمها ورقة الى القارىء :

شراع أنا لا يطيق الوصول ضياع أنا لا يريد الهدى
حروفي جموع السنونو تمد على الصحو معطفها الاسودا
أنا الحرف أعصابه نبضة تمزقه قبل ان يولدا

صنعتك من أضلعي لا تكن جحودا لصنعي ولا ملحدا
عزفت ولم أطلب النجم بيتا ولا كان حلمي أن أخلدا
اذا قيل عني (أحس) كفاني ولا أطلب (الشاعر الجيدا)
شعرت (بشيء) فكونت (شيئا) بعفوية دون ان أقصدا
فيا قارئي يا رفيق الطريق أنا الشفتان وأنت الصدا
سألتك بالله كن ناعما اذا ما ضممت حروفي غدا
تذكر وأنت تمر عليها عذاب الحروف لكي توجدا
سأرتاح لم يك معنى وجودي فضولا ولا كان عمري سدى

وهنا ينصب الحديث على أبراز معاناة الخلق ، وهناك حديث يشيد بمعنى الكلمة وبقائلها ، ويرتفع به وقد أبدع في تصويره كمال نشأت في قصيدته «انا وسيدتي » فيصور خيبة امل سيدة في عبد اشترته ليملأ قصرها غناء ولكنها تجده شاعرا يجابهها بقوله :

ولست الا شاعرا ..
يخونه الغناء ..
فمعذرة ..
الدمع قد يفسد من ليلتك المعطرة ..
وغضبت سيدتي وصفقت : خذوه ....

ونغمة الحزن التي تطبع دنيا الشاعر تشيع على السنة الكثيرين ، فالشاعر السابق يحدثنا عن الشعر والشاعر فيقول :

يا رب أشقيتني ... بالشعر .. بالاحساس ..

وفي قصيدته « وتعود الحياة » يقول :

أيها الشاعر الذي أنطق اللفظ حنانا ورقص الاتحانا
الحياة الحياة تملأ جنبيك سموما وحرقة وهوانا

وتمضي نفس النغمة لدى ابي سلمى في قصيدته الافق المعطر : كيف أخفي الهوى وشعري جناح كلما رف بالدموع تعثر . ويختلف الشعراء في ربطهم عملية المعاناة بدوافعها .. فمنهم من يربط تجربة الكلمة بمعاناة الحب ، ومنهم من يجعلها وليدة التعذب والوحدة والسهر والقلق ، ومنهم من يتلقفها من أجنحة ربة الشعر ، ومنهم من يربطها بلهب المعركة وتدفق المشاعر الوطنية .

وسوف نلتقي بنماذج لكل ظاهرة ، لنخلص الى نتيجة تحدد ابراز هذه الظواهر وأكثرها شيوعا .

الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي يربط بين هجر حبيبته له وانهياره وبين استجدائه للكلمة وعدم استجابتها له ، فيقول في قصيدة « أغنية اكتوبر » من ديوانه لم «يبق الا الاعتراف » :

يمكن أن تهجرني حبيبتي ...
يمكن أن تفرقني الاحزان ...
يمكن ان ألقى بنفسي جثة ...
في أحد الاركان ...
أحاول الشعر فلا يجيبني ...
أصنع أحداثا بلا ألوان .

بينما نجد الياس أبو شبكة يحار ان ينسب الشعر لنفسه أم لحبيبته :

خلقتك في دنيا الرؤى أم خلقتني وقبلك جئت الكون أم جئته قبلي
وعني قلت الشعر أم عنك قلته ومن في الهوى يملى عليه ومن يملي؟

أما نزار قباني فينطلق من هذا الى الزهو البالغ مبلغ الغرور حيث يتحدث عن ذيوع شعره فيقول في قصيدة « معجبة » على لسانها ،

وحسبك انك في كل بيت كسلة ورد ... وغير هذا كثير لديه في ديوان قصائد في صفحات : ١٤ ، ٢٦ ، ١١٦ وغيرها .

أما شعر العذاب فهو اراحة لنفس كاتبه .. يقول الياس فرحات في رباعيته :

وقالوا تركت الشعر قلت تركته سوى نفثات تكشف الفم عن صدري

واكثر منه كيلاني سند في قصيدته « يا رياح الخريف » :

وانا اغزل الكآبة شعرا هو شكوى مواجعي وجراحي
وبشعري أظل استر عريي ناسجا بالخيال ريش جناحي

وفي قصيدته « يا شعر » يقول :

يا موجة غسلت جراحات الفؤاد من الانين

ونجد نازك الملائكة توغل في السواد فتقول في قصيدتها «كبرياء» :

لو تكلبت كان في كل لفظ قبر حلم وفجر جرح مميت

وتبلغ هذه الظاهرةأوجها لدى بدر شاكر السياب في دواوينه كلها، ففي قصيدته «المعول الحجري» يصور ترقبه للموت ثم يقول :

سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعر في خيالي جال

ويقول في « القصيدة والعنقاء » :

جنازتي في الغرفة الجديدة ... تهتف بي أن أكتب القصيدة ...
واكتب ما في دمي وأشطب ... حتى تلين الفكرة العنيدة ...

ويقول في قصيدته « الشاهدة » :

رب فتى مورد ...
يقرأ من شعري على الصحاب ...
يقرأ في كتابي قصيدة خضراء عن جيكور...

مر على قبري فقال : « قبرا وأين من هذا الرميم « شعر يدفق بالعواطف كهبة العواصف القواصف (؟) » .

ثم يقول في قصيدته « شاعر » :

كفن بالاوراق آهاته وارتد يرثيها بآياته
واستأثرت أبياته روحه فطاف يبكي حول أبياته
اندس تحت التراب جثمانه وكف قلب بين طياته !
خلف قلبا بين أشعاره يسمع من في الارض دقاته !

فهنا يقرن الكلمة بالموت كمبدأ او نهاية ، وهو هنا يختلف عن نزار في بيته السالف الذكر في أنه يخفف من غلواء اعتزازه بنفسه كشاعر فيكتفي بالاشارة الى خلود شعره ، دون التغني بمجد الشهرة والذيوع كما فعل نزار .

وقد يخفف السياب من حدة الحزن فيقول في قصيدته « امام باب الله » :

ومن ليالي مع النخيل والسراج والظنون ...
أتابع القوافي ...

ويربط بين الشعر وبين مرضه القاسي فيقول في سفر أيوب :

ويقطر الشعر ولا يفيض
لانني مريض

ثم يصل بنا الى قمة تحطمه ويضع لذلك عنوانا معبرا هو قصيدته « هرم المغني » :

بالامس كنت اذا كتبت قصيدة فرح الدم
فاغمغم ...
وأهيم ما بين الجداول والازاهر والنخيل
أشدو بها أترنم .
زاد لروحي منذ سقسقة الصباح الى الاصيل

ثم يقول :

هرم المغنى صدمته الداء فارتبك الغناء
بالامس كان اذا ترنم يمسك الليل الطروب
بنجومه المترنحات فلا تمر على الدروب
واليوم يهتف ألف آه لا يهز مع الماء
سعف النخيل ولا يرجع زورق العرس المحلى

ومع تصوير هذا العذاب المضني الذي يسبق ويصاحب ويتلو مولد الكلمة ، نجد ظاهرة أخرى مدهشة لدى كمال النجمي في قصيدته « انا » يقول :

انا طيف من طيوف الشعر في الدنيا سرى
ربة الشعر حبتني سرها دون الورى
وأرتني الكون شعرا كله فيما أرى

فهنا رجوع الى مبدأ الالهام وتمسك بخيالات آلهة الوحي وربات الشعر وشياطينه ، دون احتفال بعذاب ميلاد الكلمة ، ودون التفات لاعتصار الشاعر في الحروف والسطور .

ومن الشعراء من يربط بين الكلمة وبين تحرك الجماهير نحو متطلباتها وأمانيها ، هذا سليمان العيسى يقول في « يا موكب النور » :

هتفت بالشعر استسقيه قافيه حمراء فانفجرت في أضلعي الحمم
هتفت بالشعر فانهالت على شفتي خطا الضحايا ومات الشعر والكلم
هتفت بالشعر فازور الهوى حردا وناء تحت هزيم اللفظة القلم
وأطرق الوتر الهدار .. لا ظما الى النشيد بعينيه ولا نهم

ويجري في هذا المجال ما صدر به ديوانه وسبقت الاشارة اليه . وحين يلمح في عيون الناس اتهامه بالجري مع الخيال ومناداة ربة الشعر يقول في قصيدته «يقولون» :

يقولون لي وأغاني الحياة رعود شبابتي تهزم
يقولون لي : أنت للجائعين هل الشعراء الا هوى يحلم ؟!

بلى أنا أغرودة للربيع بأرشق أطيابه تفغم !
اذا أنا غنيت مات النشيد على ألف حشرجة تكظم
بلى أنا للراشفين الكئوس اذا لم تكن من دمى تفغم !
وللحب ان كان في (حينا) فم بابتسامته ينعم !
بلى أنا للحلم لا للنضال اذا لم يكن في عروقي دم !

ثم يعيد قوله بوضوح اكثر في قصيدته «السراب البعيد» :

أيها الظامئون لن تجدوا النبع ولا الظل حوله في نشيدي !
لن تناموا ملء الجفون على الحلم على همسة الهوى في قصيدي!
ان كبا الشعر دون همي فحسبي أنه كان قطعة من وجودي

وهكذا تعددت ظواهر اقتران الكلمة بدوافعها من حب ، وقلق ، وتعلق بالخيال ، ومشاركة لقضايا الشعب .

وقد نجد في الظاهرة الاخيرة ما يوحي بالتزام الشاعر لقضية شعبية ، ومع هذا ، فتناول قضايا الشعب شيئا يلفت نظر كل فنان ، ولكنه ليس ظاهرة شائعة لدى الجميع ، يمكن ان نلتمسها في معظم انتاجهم لكن تيار التعاسة والقلق والعذاب هو اكثر هذه الظواهر سريانا ، فحين يصور لنا الشاعر عذابه ، نشفق عليه ، ونتعاطف معه، ونشاركه وجدانيته المعذبة ، وهو لا يقتصر على الصياح فحسب ، وانما يجتهد في بلورة عذابه ، وجعله موضوعيا ، وهو حين ينجح في أحاسسنا بذلك العذاب ، وبالتالي مساعدتنا على اكتشافه في نفوسنا يبلغ اوج مناه ، ويتحقق له من النجاح قسط كبير .

بورسعيد يوسف نوفل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمـــود الحسنيـــة

نكبة الاندلس على لسان اهلها

بقلـم محمـود الحسنيـة

* * *

لم تنكفيء الحركة الفكرية الادبية في الاندلس ، مع اندحار سبتـة ، وقرطبة ، واشبيلية ، ومرسيه ، وطليطلة ، وبلنسيـة ، وشاطبـة ، وميورقة ، وجبل العيون ، ولم تنطفيء شعلتها مع اصطلاء نار الفتنـة التي اشعلها العدو بين امراء العرب ، بل جيشت النكبة لهيب الفكر ، فنطقت الجراح بكلمات ، مدوية ، مجلجلة ، ثائرة ، ملتاعة ، بغروب شمس حضارة طالت وتطاولت فلفت الدنيا ، وفجرت الاعاصير بزخمها ثراء الفكر لدى قادة اعلام المعرفة ، حيث حفل عصر بني الاحمر في غرناطة بجمهرة من اقطاب الفلسفة، والطب، واكابر الادباء ، والشعراء، والفقهاء ، من مقيمين ، ووافدين . من هؤلاء ممن اخص النكبة بتآليفه العديدة ، وكتب عنها بمرارة وتحـرق :

١ ـ ابن الحكيم : هو ابو عبدالله ، محمد بن يحيى اللخمي ، العالم ، العلامة ، ذو الوزارتين ، المعروف بابن الحكيم ، المولود في رنده في شهر ربيع الاول ، سنة ٦٦٠ هـ ١٢٦١ م ، المتوفي قتلا ، في غرناطة ، غرة يوم الفطر ، مستهل شوال ، سنة ٧٠٨ هـ ١٣٠٨م . يصف النكبة وصفا دقيقا ، شاملا ، ملما بكل مراحلها ، بقصيدةعصماء، من عيون الشعر ، حيث يقول :

لكـل شيء اذا مـا تـم نقصـان ... فـلا يغـر بطيـب العيـش انسان
هي الامـور كمـا شاهدتهـا دول ... مـن سـره زمـن ساءتـه ازمـان
وهذه الدار لا تبقـي علـي أحـد ... ولا يـدوم علـى حـال لهـا شان
يمزق الدهر حتمـا كـل سابغـة ... اذا نبـت مشرفيان وخرصـان
وتقتضـي كـل سيف للفنـا ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمـدان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وايـن منهـم اكاليـل وتيجـان

الى ان يقـول :

دهـى الجزيرة امر لا عـزاء لـه ... هـوى لـه أحـد وانهـد ثهـلان
اصابها العين في الاسلام فارتزئت ... حتـى خلـت منـه اقطار وبلـدان
فاسال بلنسية ما شـان مرسيـة ... وايـن شاطبـة ، ام ايـن جيان
واين قرطبـة دار العلوم فكـم ... من عالم قد سمـا فيها لـه شان
واين حمص(اشبيلة)وماتحويهمننزه ... ونهرها العـذب فيـاض ومـلآن

قواعـد كـن اركان البـلاد فمـا ... عسـى البقاء اذا لـم تبـق اركان

الى ان يقول عن قسوة النكبة :

يا مـن لذلة قـوم بعـد عزهـم ... احـال حالهـم كفـر وطغيـان
بالامس كانـوا ملوكا فـي منازلهم ... واليـوم هم في بـلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليـل لهـم ... عليهـم مـن ثياب الـذل الـوان
ولـو رأيت بكاهـم عنـد بيعهـم ... لهالـك الامر واستهوتك احـزان
يـا رب ام وطفـل حيـل بينهمـا ... كمـا تفـرق ارواح وابـدان
وطفلة مـا رأتها الشمس اذ برزت ... كانمـا هـي ياقـوت ومرجـان
يقودهـا العلـج للمكروه مكرهـة ... والعيـن باكيـة والقلب حيـران
لمثـل هذا يذوب القلب مـن كمـد ... ان كان في القلـب اسلام وايمان

٢ ـ لسان الدين ابن الخطيب ـ يدون بالتسلسل امهات المـدن التي استولى عليها العدو : ويبرز العلامة القرطبي الاصل واللوشـي المولد ابو عبدالله محمد بن سعيد السلماني ، صاحب اللقب الشريف، لسان الدين ابن الخطيب ٧١٣ ـ ٧٧٦هـ ، ١٣١٣ ـ ١٣٧٤ الوزيـر الشهير لابيعبدالله محمدبنيوسفبنالاحمر،ذو الوزارتين،الطائرالصيت، والمثل المضروب في الكتابة والشعر ، ومعرفة العلوم علـى اختـلاف انواعهـا ، فيقـول :

في اثناء هذا الهرج ، وهيجان هذه الفتنة ، وانفراد كل يد بما ملكت ، استولى العدو على مدائن جليلة ، وقلاع حصينة ، منيعـة ، وثغور شريفة ، وعمالات خصيبة ، وربوع آهلة ، واطراف بعز الاسلام الذي وطئها شاهدة ، مثل مدينة فلهرة ، وانتيشة ، ومدينة سالم ، والمدينة البيضاء : مدينة سرقسطة ، ثم في مدة بعدها ، على مدينـة طليطلة ، وكانت من الاندلس محل المركز من الدائرة ، ثم بطليوس ، وبلنسية وميورقة ، وشنترين ، واشبونة ، وطلبيرة ، ولبلة ، وجبل العيون : وكورة باجه ، ثم في مدة بعدها على ابذة ، وبياسة ، وبايرة، في مدة بعدها ، على عهد ابن هود الاخير ، على نحو خمسماية بلـد فيها شاطبة ، ودانية ، ومارده ، والكرس ، ثم في مدة بعدها ، بين تنازع ابن هود وابن نصر ، على قرطبة ، واشبيلية المدينة التي سماها العرب حمص ، ثم في مدة بعدها من يد ابن نصر الاول على مرسية ، وجيان ، ولورقة ، وشريش ، وكم تبع هذه الامهات من بنات ،وهتكت من حرمات ، وترك الاسلام من عيون وجنات .

ثم يبدي ويقول : ومن اعتقد ان هذه البقعة الاندلسية التي لاذ بها العدو فنسفها نسفا ، ولفها لفا كسواها من بقاع الارض ، جمـالا ونظرة ، وانفساحا ونعمة ، وتشييدا ومنعة ، وناسا وحيوانا ، وخلقا وعادة وزيا ، ونبلا وادراكا ، وصنائع وانقابا ، وبأسا وشهامة ، وظرفا ولطافة ، فقد ظلمها حقها ، وبخسها وزنها !.. والشاهد الصـلات والموضوعات ، وما صنف العلماء من الطبقات ، وما نقل عن مواقـف الحروب ، وما دون من المنظوم والمنثور ، فوا اسفي عليها ، من معالـم اعلام ومغاني ايمان ، واسلام يخبر الان ، شواهدها ، عـن الغائـب وراهنهـا عـن الغابـر .

ويتحرق ابن الخطيب على تساقط المدن الاندلسية ، الواحدة تلو الاخرى ، تلك المدن التي حباها الله من الريع ، وغـدق السقيـا ، ولذاذة العيش ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحـر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وصحة الهواء ، ونبـل الاذهـان ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الادراك ، واحكام التمدن والاعتماد بما حرمه الله الكثير من الاقطار مما سواها ، فيحث الناس على الجهاد ، قائلا :

ايها الناس رحمكم الله ، اخوانكم المسلمون قـد دهـم العدو ـ قصمه الله ـ ساحتهم ، ورام الكفر ـ قبحه الله ـ استباحتهم ، وزحفت احزاب الطواغيت عليهم ... وانتم المؤمنون اهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب بلا تحفزوه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه ، الجهاد فقد تعين ، الجار الجار ، فقد قرر الشرع حقه وبين ، الله الله في الاسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله ، قد استغاث بكم الدين فاغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم ان تنكثوه ، اعينوا اخوانكم بما امكن من الاعانة ، اعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير يصل الله لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة ، وآسوا بانفسكم واموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين ايديكم ، والسنة الآيات تناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه (يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم) .

ومما صح عنه قوله : « من اغبرت قدماه في سبيل الحق حرمهما الله على النار» ،«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم» ، « ومن جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا » .

ادركوا رمق الدين قبل ان يفوت ، بادروا عليل الاسلام قبل ان يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله يوم يسالكم عن عباده ، جاهدوا في الله بالالسن والاموال حق جهاده : ثم يقول :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم في امتي وتركتموهم للعدو المعتدي
تالله لو ان العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

كلمات كلها تنطق بالتفجع ، والتحرق ، صعدها من نفس حرى لسان الدين ابن الخطيب العلامة الذي كان له من ضخامة التآليف ، في شتى انواع العلوم المفيدة ، ما زاد على الخمسين ، بينها المجلدات العديدة الاجزاء ، ولا غرو اذا وصفه ابن الاحمر « بانه شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ، وكاتب الارض الى يوم العرض » . اذ لا بد لمن اراد ان يطل على الجزيرة الخضراء ، الناطقة بذلك التراث الخالد ، اذا اراد ان يتزود من تلك الحضارة التي ضربت رواقها على العالم ، من ان يسترشد بما تيسر له من تصانيف وتآليف هذا الاديب الكبير .

٣ ـ ابن عاصم ورايه في النكبة : وقال الامام الفقيه ابو يحيى محمد بن عاصم المتوفي ٨٨٩هـ ١٤٨٣م الوزير الكاتب ، الشاعر الناثر ، خاتمة رؤساء قضاة الاندلس ، عندما رأى اختلال امر الجزيرة ، واخذ العدو معظمها ، ولم يبق اذ ذاك بيد المسلمين ، الا غرناطة ، وما يقرب منها ، مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ .

« من استقرأ التواريخ المنصوصة ، واخبار الملوك المقصوصة ، علم ان الاعداء ، لم يدركوا في المسلمين ثارا ، ولم يدحضوا عن انفسهم عارا ، ولم يخربوا في الجزيرة منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وامصارا ، الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف ، واجتهادهم في وقوع الافتراق ، بين المسلمين والاختلاف ، ثم يقول : وتطاولت الايام ، ما بين مهادنة ومقاطعة ، ومضاربة ومقارعة ، ومنازلة ومنازعة ،وموافقة وممانعة ، ومحاربة وموادعة ، ولا امل للطاغية ، الا في التمرس بالاسلام والمسلمين ، واعمال الحيلة على المؤمنين ، واضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين .

سقوط غرناطة : قال صاحب التصانيف الشهيرة ، القاضي العلامة شهاب الدين احمد بن محمد المقري ، القرشي التلمساني ٩٩٩ ـ ١٠٤١هـ ـ ١٥٩١ ـ ١٦٣١م رأيت بخط الامام عبد الواحد الونشريشي: « استولى العدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة تاسع المحرم ، يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ، وفي عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدو على جميع بلاد الاندلس ما عدا غرناطة وبشرتها ، وفي عام اثنين وتسعين استولى على مالقة ، في رمضان منه ، وفي عام سبعة وتسعين استولى على غرناطة »

ولما دخل قائد العدو فرديناند الخامس سنة ١٤٩٢م ـ ٨٩٧هـ مع خمسين الف مقاتل الى الحمراء ، بعد حصار دام سنة ، خرج اميرها ابو عبدالله محمد بين ابي الحسن على النصرى ، واشترط المسلمون بنود الصلح فكانت سبعة وستين بندا فقبلها العدو بجملتها ، ثم نكثها ونقضها فصلا وبندا ، وأمرهم بالخروج من غرناطة الى الارياض ، والقرى ، وفرض عليهم المغارم الثقيلة ، وانزل عنهم حرمة الدين ، ولم يبق من يجهر بكلمة التوحيد ، وفرض عليهم المغارم الثقيلة ، وانزل عنهم حرمة الدين ، ولم يبق من يجهر بكلمة التوحيد والاذان ، وسامهم بكل انواع التعذيب ، والتنكيل ، والتشريد ، والتجويع ، والتقتيل ، وجاء في الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب صفحة ١٢٧٦ : « جرت الدماء في الشوارع ، والطرق ، كالانهار ، والاودية ، وقيد الائمة ، والقضاة ، تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم ، في رقابهم ،والاردية والنجيع سيول ، تخوضها الخيول ، فتخضبها الى ارساغها » .

وزادتهم الطبيعة قسوة ، فاجتاحهم الطاعون ، وهلك منه خلق عظيم ، ورجع الكثير ممن بقي من اهل الاندلس ، الى المشرق ،يندبون حضارة وارفة الظل ، شامخة البنيان ، تنطق الى الابد ، عبر العصور والدهور بعظمتهم .

حضارة الاندلس تنتقل الى الغرب : وهكذا فالمشعل الذي حمله العرب فوق ذرى الاندلس وهاجا ، طوال ثمانية قرون من سنة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ وهوى من عليائه بتناحرهم ، وتنافرهم ، وبتخاذلهم عن عدو متربص بهم ، انصرفوا عنه الى اللهو والترف ، انتقل الى الغرب مشعا ينير امامه معالم الرقي ومعارج التقدم .

وقد اتفق المحققون من مؤرخي الغرب بان الاندلس كانت المجاز الاكبر لانتقال علم الطب والفلسفة ، والصناعة ، والزراعة ، والهندسة، الى أوروبا ، لان العرب لم يتركوا فرعا من فروع العلم ، ولا مسلكا من مسالك التمدن والرقي ، الا ودونوا فيه ، من تآليف وترجمة ، لذلك ارتقت على يدهم ، علوم الطب ، والجراحة ، والصيدلة ، والفلسفة ، والمنطق ، والهيئة ، والرصد ، والحساب ، والجغرافيا ، والفنون العسكرية ، والملاحة ، وخزائن الكتب ، والاندية العلمية ، وقال امير البيان الامير شكيب ارسلان ١٨٦٩ ـ ١٩٤٦م ادخل العرب الى اوروبا الكاغد والبارود وهم اول من استعمل المدافع النارية ، وفيها قال لسان الدين ابن الخطيب :

وظنوا بان الرعد والصعق في السما فحاق بهم من دونه الصعق والرعد
عجائب اشكال سما هرمس بها مهندمة تأتي الجبال فتنهد
الا انها الدنيا تريك عجائبا وما في القوى منها فلا بد ان يبدو

واذا كانت حضارة العالم سلسلة حلقات متصلة ، فان اهم واعظم تلك الحلقات ما يمت الى العرب بصلة . ومن يمعن النظر في درس حضارة العرب ، وفي مراجعة كتبهم ، العلمية واختراعاتهم ، وفنونهم، تظهر له الحقائق الواضحة ، والافاق الواسعة ، وسرعان ما يرى ان العرب هم اصحاب الفضل في تعريف القرون الوسطى بعلوم الاقدمين ، وان جامعات اوروبا لم تعرف لها مدة خمسة قرون ، موردا علميا سوى مؤلفاتهم ، وقال الدكتور غوستاف لوبون في حضارة العرب :

« اذا كان هناك امة نقر باننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الامة وهم الذين مدنوا اوروبا ، مادة وعقلا ، واخلاقا ، اذ لم يفقهم قوم في الابداع الفني .

ثم يستطرد ويقول : يرى بعض المؤلفين ان لافوازيه هو واضع الكيمياء ، وقد نسوا اننا لا عهد لنا بعلم من العلوم ومنها علم الكيمياء صار اكتشافه دفعة واحدة ، وانه وجد عند العرب من المختبرات ما وصلوا به الى اكتشافات لم يكن لافوازيه ليستطيع ان ينتهي الى اكتشافاته بغيرها » . وقال سيديو : « ان العرب سبقوا كيبلر وكوبرنيك في اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضوي وفي نظرية دوران الارض » .

ان حضارة هذه بعض معالمها جديرة بأن تتوقف عندها الامم العريقة لتستزيد قوة في تدعيم صرح حضارتها . وان خسارة العرب في حصيلة معارك الاندلس لم تخسرهم ذلك التراث العظيم الذي خلفه وتفاعل في تكوين حضارة ينعم العالم بها اليوم .

محمود الحسنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزية

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرغت من ارتداء ملابسي .. نظرت الى الساعة .. كان عقرباهايتمددان فوق الثامنة . هبطت الى الزقاق.. الصباح رطب ندي .. طارت عيناي الى نافذة الطابق الثاني من البيت القائم في آخره .. ارتدتا من فورهما كانت النافذة مغلقة .

مشيت في الزقاق .. لا أمل في لقائها اليوم .. انعطفت الى الشارع .. لم اكد اخطو فيه خطوة حتى لمحتها .. خفق قلبي .. تلاحقت انفاسي . اسرعت الخطو .. أتقدم منها الان واحييها . عدت فابطأت من خطاي .. انتظر حتى منتصف الشارع قرب الجامع القديم .. ليس عنده مارة .. كلهم يأخذون الشارع الاخر طريقا لهم .. كلا الشارعين ينتهي الى الميدان .. لكنها اختارت هذا الشارع الاقل صخبا وازدحاما .. تقطعه كل يوم في ذهابها الى عملها وايابها .. لكم يضايقني أن تعمل سكرتيرة لمدير المصلحة .. ان ما يقال عن السكرتيرات يثير التقزز يؤجج السخط .

انها تدنو من الجامع .. قليل من المارة يمضون في صمت .. يمضغون همومهم .. لا أحد يرمق الاخر . خطوات واقترب منها .. صباح الخير .. وتتوقف .. لا.. لا اريدها تتوقف .. ساعتها كل ما أعددته من كلام يتناثر .. يضيع.. فلا أجد ما أجريه على لساني .. ويجف حلقي .. وتحدق في مستغربة .. وتمر على شفتيها ابتسامة.. حلوة .. سريعة .. وعبثا تضيع بسمتها .. عيناي تتحركان في بئر عميقة .. فلا تريا الا جدرانه الملساء .. وحافته المعشوشبة .. لساني يرتفع ليصفع سقف حلقي ثم يرتد مفزعا من جفافه .. وتشققه .. اصابعي تنزلق فوق بعضها ..العرق البارد يندبها صمت ثقيل يضرب رأسي .. يفتح فيها ثقوبا .. ينفذ منه دوار .. دوار عنيف .. يكاد يطوح بي ..

فكري تاه .. بدده الدوار .. الا ترين جمودي ؟.. لم يبق في راسي فكرة واحدة من عشرات الافكار . بل مئات .. اعددتها لاهديها اليك.. مغلفة في رداءجميل مثل ثوبك هذا الوردي .. لكني افتش عنها فلا أجد بقية منها .. تمزقت .. بليت .. لم يبق منها خرقة .. ولا حتى خيط .. اشدك به واجري الى غرفتي .. العزلة هناك تنتظر اوبتي . عند الظهر حين ارتد من عملي .. تلقاني عند الباب .. تجرني الى الداخل .. تطعمني غذائي بيديها .. في صمت .تحملني على صدرها الى فراشي .. تلفني.. اغوص بها .. توقظني عند العصر .. بعد المغرب .. قبيل الليل ..

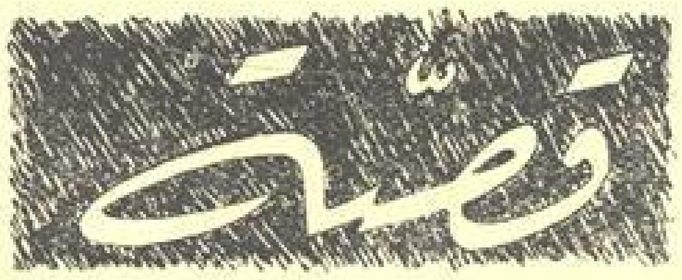
قرب الفجر فلا اخرج منها..أظل غائصا فيها .. في أعماقها صمت وسكون .. لا صخب ولا ضجر .. لا شجار ولا غضب .. صمت وسكون .

ـ الناس يروننا .. فلنمض .. انه طريقك ..

ـ لكنك لم تقولي هذا اول مرة لقيتك .. وكنا في هذا المكان ..

ـ كنت مرتبكا .. لم تشجعني على ان امشي الى جوارك .

آ .. وقعت .. ماذا تظنيني فاعلا وانا ماض الى جوارك..اول مرة حين وقفت تردين تحيتي..بهت..تجمدت



.. ورأيت عينيك العسليتين تلقيان بشباكهما حولي.. فقذفت في وجهك عبارة وحيدة..غدا القاك ..وجريت امامك .. وانا احس ان قامتي تضمر وتتكور وبلغت الميدان فراحت تتقاذفني الاذرع والاقدام .

ـ الميدان يقترب .. ولم تقل ماذا تريد ..

ـ انا .. اريد .. شيئا . لا شيء .. بل شيئا .. انه .. احصائية.. كتيب .. تطبعونه عندكم ..

ازداد احمرار العسل في عينيها .. توهج .. اتقد الطلاء فوق شفتيها .. حرق البسمة الحلوة .. اشعل بسمة فيها دخان .. خنق الدخان انفاسي .. لم يتحرك لساني ليقذفها بعبارته الوحيدة .. غدا القاك .. اماتها الدخان على طرفه .. لفها في غلالة خانقة .. قاتمة هرولت وساقاي تتشابكان .. وقدماي تتلاحمان .. حتى غيبني الزحام .

ما هذا .. فات الجامع .. الميدان يقترب .. ستضيع في الزحام .. فلأهرول خلفها .. كيف .. الناس يهرولون نحو الميدان .. يمرون بها .. يلتفون حولها .. هناك .. عند الجامع كان الصمت.. لم يكن ثمة كثيرون .. والعيون مسجاة .. فوقها رموشها .. هنا العيون بلا رموش تأكلها ..تتهمها.. انها تستدير .. تلتفت .. آه.. كانت تراني وانا أخطو خلفها..شفتاها تنفرجان .. ينبعث من بينهما لهب .. هذه المرة لهب بلا دخان..اللهب يحرق وجهي .. يسري في جسدي .. يصهر عروقي . اني اذوب .. لا احد يخف لنجدتي .. الكل يندفع ..ليس نحوي ليطفئوا حريق اعماقي .. يندفعون نحو الميدان ليخمدوا حرائقهم في الزحام .

غابت قطعة الجمر التي اشعلت النار في جسدي .. وسط الاجساد المتلاطمة في الميدان لكن الضحكة الملتهبة ما تزال هناك ..تنتصب في اول الميدان .. خلفتها وراءها لتسد

علي الشارع . مضيت في تثاقل .. صعد اللهب من داخلي دخانا ليس فيه رائحة لحم محترق .. نسج الدخان سحابة فوق عيني ..حجبت السحابة الضحكة الملتهبة .. تهتكت السحابة .. تألقت عيناي .

في قلب الميدان .. اصطدمت عيناي بشفتين منفرجتين .. لاذتا مسرعتين بالجفون .. اطلتا من وراء الرموش في انكسار .. لم تجدانها الضحكة الملتهبة .. انها بسمة .. بسمة وادعة .. اطمأنتا .. بقيتا مفتوحتين .

تمطى لساني..ـ صباح الخير.. انهالت الكلمات على اذني ..

ـ مئة في المئة انكما تواعدتما .. رايتها وهي تدخل الميدان ضاحكة .. وها أنت غارق في التفكير فيما سوف تعيشه اليوم .. لا تحاول الانكار .. ولا تنس اني الذي لفت نظرك اليها وزودتك بكل شيء عنها .

هب لساني وانطلق يردد ..

ـ منصور .. ارجوك .. ان فوزية ليست لي ولست لها .. انها جارة .. ومهما قلت انت عنها وعن عبثها فلن اقترب منها مرة ثانية ..

ـ افهم من ذلك انك لم تحدثها.. يا لخيبتك .. لو كنت اسكن وحدي مثلك .. كنت اعمر شقتي كل ليلة .. تعطيني مفتاحها يوما وأنا افتتحها لك ..

غاصت قدماي في الارض .. سقط بينهما جسدي المرتعد .. دفنته ساقاي المرتجفتان امتد القوام الماثل امامي .. أخذ يطول ويطول حتى بلغ السماء .. صار غرابا اسود . انقض الغراب فوقي .. حملني بين مخالبه وطار في الفضاء. جرت امي في الجرن .. صاحت.. خطف الغراب الكتكوت . طوح الغراب الكتكوت فوق النخلة . سقط الكتكوت في حجر امي .. صرخت امي .. الغربان هناك لا تخطف الكتاكيت الصغيرة .. تخطف الفراخ الكبيرة .. من فوق فراخها .. لتنهش لحمها . اللحم هناك طري. وكثير .. ورخيص .. في كل مكان تلقاه .. ليس عندنا .. نادر .. وشحيح . عندنا .. لا نراه الا يوم السوق .. حيث الزحام . هناك.. كل يوم .. عندهم سوق .. وزحام .. ولحم طري وشهي . والقطار مثل الغراب .. اسود مثله . لا أصدق ان القطارات انقلبت حمراء وخضراء .. لا تنفث الدخان انها ما زالت سوداء .. مثل الغربان .. ستخطفك لترميك هناك .. ليتها ترميك فوق نخلة .. السعف اخضر وطري .. وتحت النخلة تراب لين .. ليس هناك نخل ولا تراب .. هناك احجار ..احجار عالية فوق بعضها .. واحجار تغطي التراب .. احجار خامدة .. واحجار لاهثة .. تطحن الاجسام ..تهرس الاقدام ..

ـ ماذا اصابك .. يبدو انك تحبها .. لا تخف سابقيها لك .. لكن بشرط ان تعطيني المفتاح .. وليكن اليوم فعندي صيد خاص .. نشوة .. زميلتي في قسم التخطيط .

امتدت مخالب الغراب الى جيبي فخطفت منه المفتاح الصغير ..

ـ اليوم .. الساعة الرابعة .. تفدى انت في أي مكان وسوف ادفع لك ثمن الفداء .. ابتلعتنا ساحة الوزارة معا ثم ما لبثت ان فرقتنا ابوابها .

عند الظهر .. لفظتني الساحة وحيدا .. لم افتش عنه . خرجت لافتش عن مكان اتفدى فيه..شيعني شارع وابتلعني آخر .. وفي كل شارع كان ثمة مكان ومكان ..ينشر حوله رائحة طعامه او دخان شوائه.. لكن قدماي كانتا تشيحان عنه .. وتواصلان المسير بالجسد المنهوك الذي حمل عليهما .. تمضيان به.. تتلمسان له السبيل وكأنه بغير رأس .. او برأس لكن بغير عيون .. جسد أعمى .. له عكازتان يتحسس بهما الطريق .

يا للغرابة .. اراني عميت.. كيف لم أع اني ماض الى الزقاق ..مؤامرة خفية .. دنيئة . لكنها لن تكون.. من ائتمنك لا تخنه ولو خانك . اختلست النظر الى ساعتي ..الرابعة الا الثلث .. لم يبق كثير .. فرصة طيبة ان امضي البقية متفقدا هذه الحواري .. اوه .. الطين .. هذه الحواري تسبح دائما في ماء وطين . اني تعب .. اعود الى البيت ..ليس الى الشقة فهو لم يزل معها هناك .. الى سطح البيت استرخي فوقه .

مشيت .. تسلقت السلم في هدوء وحذر . فوق السطح طالعني مقعد قديم . اندفعت نحوه لاهثا .. توقفت قبالته برهة .. لم يكن قذرا ولا متهالكا .. كان أصلب مني عودا. استدرت بعيدا عنه .. اريد ان ارى نشوة التخطيط . اتجهت صوب السور المحيط بسطح البيت .. انحنيت فوقه .. ارسلت بصري الى الشارع ..دار دورة ثم حط فوق باب البيت.

انشقت ظلفتا النافذة في شقتي. اطل منصور براسه من الشق .. تلفت يمينا ويسارا . ضحكت .. رائع منصور .. تخير وقت اغفاءة الظهيرة .. وقت يسكن فيه كل ما في الزقاق .. حتى الصبية .. لا أحد .. اطمئن . دخلت رأس منصور .. وبقيت راسي بارزة من فوق السور . تعلقت عيناي بالباب تشوقا اتسعت حدقتاهما ترقبا . انفرج باب البيت .. خرجت الى الزقاق ملاءة لف .. ليس في بيتنا من تلبس ملاءة لف .. كلهن سبور .. محال ان تكون نشوة . اتجهت الملاءةاللف في خطوات مسرعة ناحية البيت المنفرد بآخر الزقاق .. وقفت على عتبة بابه .. خرجت منها رأس قلقة .. رمت بيتنا بنظرة خاطفة ثم انسلت داخله .

انفرست النظرة بين حاجبي .. تفجر من حولها عرق .. دم .. نشر غشاوة فوق عيني ملأ فمي مرارة .. تهاويت . مكثت غير قليل لا اعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عروسة الشعراء

صباحك عاطر والثغر ضاح ... ووجهك مثل أزهار الاقاحي
تنيرين الحياة شبيه شمس ... تنير الارض من كل النواحي
كأنك زهرة ضحكت وقالت ... جمال الكون يزهو من وشاحي
أنا معبودة الشعراء طرا ... أنا زهو المسا وسنى الصباح

فهذا الروض لم يزهر جمالا ... بدون محاسني ورواء زهري
وهذا الافق لم يظهر بديعا ... بغير مفاتني وجميل سحري
وهذا الكون لم يرفل جلالا ... بدون كواكبي وضياء ثغري
فأنتم معشر الشعراء كنتم ... بدون روائعي من دون شعر

اجبت وحقك المنشود حق ... فلا يجلو الحقيقة غير شمس
فأنت عروسة الشعراء طرا ... وانت المهرجان بكل عرس
بك الاحلام مع كل الاماني ... وأجمل ما نرى بغد وأمس
ورحت أقبل الحسناء شوقا ... فلم الثم سوى قلمي ونفسي

بوانس ايريس ـ الارجنتين — توفيق الشماس

شيئا . اطياف تمر بي لا اتبينها .. كلمات تطن في اذني لا افهمها . لمست بعض نفسي .. اخذت اتدحرج فوق درج السلم . بلغت شقتي .. دفعت بابها .. دفعت من خلاله بجسدي المتداعي . تلقفني منصور وعلى وجهه امارات الحيرة والدهشة . حدجته بنظرة حادة . سألته في نبرات تهكم:

ـ اين نشوة التخطيط ؟..

اجاب مسرعا : ذهبت منذ قليل .. كان بودي ان تكون معي ..

ارسلت ضحكة خفيفة كادت تذهب بها المرارة التي تملأ فمي وقلت :

ـ انا لا اعرف التخطيط فكيف تكون لي نشوته ..

هاله ما سمع ورأى .. وادرك ان ثمة شيئا واقعا لا محالة .. انحنى يلبس حذاءه . حين اعتدلت قامته حاول ان يجذب الى شفتيه بسمة يداري بها ما اعتراه .. لكنها خذلته. هم يستأذن في الانصراف . استوقفته سألته وانا اشير الى جانب في الغرفة غير بعيد .. قامت فيه زجاجة بيرة وكوبين .. احداهما فارغة والاخرى مليئة حتى منتصفها ..

ـ ايتهما كوبها ؟

قال متلعثما : هذه المليئة حتى منتصفها ..

طفقت اتفرس ملامح وجهه .. وشعور تداخل فيه المقت والمرارة يتمرغ في اعماقي . تولاه الارتباك دبت راحة عجيبة في كياني المهدود .. وانا اراه بين يدي وقد تعرى من شجاعته وثباته . فجأة تأجج حنقي وسخطي . صرخت فيه ..

ـ ماذا تنتظر ؟..

خرج لتوه يتعثر في حيرته .. وذهوله . بقيت وحيدا .. احدق في الكوب المليئة حتى منتصفها . مددت يدي .. قبضت عليها .. كدت احطمها بين اصابعي . خففت من قبضتي على الكوب .. مشيت بها الى النافذة . فتحت ضلفتيها عن آخرهما . نظرت منها . رأيت فوزية تطل على الزقاق من نافذتها .. حملقت فيها .. تلاقت نظراتنا .. سرت في عروقي سخونة .. ارتفعت الى يافوخي .

في عصبية ظاهرة اخرجت من النافذة يدي .. جعلت ادير الكوب بين اصابعي المتوترة وفي عينيومیض تشفى يكشف عن غيظ في واخلي لا يجد له متنفسا. جفلت رأس فوزية وروعت نظراتها . اطلقت ضحكة اعادت رأسي الى الوراء قليلا ثم طوحت في الزقاق ناحيتها بما بقي في الكوب من البيرة .

اختفت فوزية من النافذة . القيت الكوب الفارغة . ارتميت فوق مقعد قريب . انفاسي متلاحقة كأني اتيت جهدا جهيدا . مرت لحظات .. عادت بعدها انفاسي تتردد في هوادة .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



مي أديبة الشرق والعروبة

تأليف محمد عبدالغني حسن ـ ٣٣٨ صفحة ـ منشورات عالم الكتب بالقاهرة ـ مطبعة دار الثقافة العربية للطباعة بالقاهرة

انقضى حوالي شهرين على ذكرى وفاة الكاتبة العربية الشهيرة « مي »، ولم نر في الصحف كلمة عنها او اشارة من قريب او بعيد ، اللهم الا خبر صغير من احدى صحفنا اليومية يشير الى ذكرى وفاتها .!

وكاتبة مثل « مي » لها دورها الرائع والشجاع في عالم الادب والمرأة ، يجب ألا تفوت ذكراها هكذا في صمت ونسيان . ولعل الشباب المعاصر لا يعرف عن « مي » شيئا ذا بال ، فم يذكرها .. وربما كان غياب أصحابها وأصدقائها عن دنيا الادب ـ اما بالرحيل عن دنيانا او بالاعتزال ـ جعل ذكراها تمضي ولا أحد يسمع بها ويستعيد معها تاريخ امرأة عظيمة من نساء العرب !!

والاستاذ محمد عبدالغني حسن يقدم لنا ـ نحن الشباب ـ كتابه القيم والمضيء لحياة حافلة بالحركة والانتاج والمشاركة الاجتماعية لرائدة من الرائدات . وهذه الرائدة تستحق الكثير لانها قدمت الكثير.. واخال الاستاذ محمد عبدالغني حسن أخذ على نفسه أن يقدم لها شيئا مما تستحقه في كتابه هذا . ولقد حدث ذلك فالكتاب يقدم حياة شاملة في ثلاثة أقسام رئيسية . اولها دراسات وملامح وثانيها مجموعة أحاديث لبعض الادباء عن «مي» والاخير منتخبات من رسائل «مي» ومقالاتها وخطبها.

ويعطينا المؤلف في القسم الاول صورة خاطفة عن نشأة « مي » ومولدها في الناصرة .. ويشرح لنا كيف تطور اسمها من ماري الى ايزيس كوبيا الى «مي» الذي نعرفها به ، وبين مدى صلتها بالطبيعة وحبها لها وايناسها بعبيرها الفواح ، وفرارها من الناس وارتعادها منهم حتى ليصدق فيها قول الشاعر :

عوى الذئب فاستانست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

وقد استبانت ملامح شخصيتها الطبيعية في ديوانها الذي كتبته بالفرنسية « ازاهير حلم » والذي ترجم أخيرا الى العربية .. تقول في قصيدة بعنوان « دعوني » :

« دعوني في هذا الملجأ الساحر . دعوني وحيدة أحيا مطمئنة ـ بعيدة عن ضوضاء المدن ـ دعوا لانظاري تلك الرؤى العذبة ـ دعوا لافكاري أحلامها الرضية ـ دعوني أنعم بالرقاد ـ دعوني أياما فاني لا أود أن أسمع ـ الا الحفيف الموسيقي الحنون ـ الذي تتنفس به هذه الجبال ـ الا أبعدوا عني ، ولو حينا ، أصوات البشر ـ التي تتبطن الحسد والحقد والغل ـ هنا يطيب لنا الحب ... الخ »

ويستعرض بنا مراحل الافراح والاحزان التي واكبت حياة «مي» خاصة تلك القتامة التي خيمت عليها بعد فقد الوالدين ثم مرضها العضال!!

أما « مي » الشرقية التي تعتز بشرقها ، وتتثقف بثقافة الغرب وعلومه ، حتى أنها كانت تعرف تسع لغات عالمية ، فقد كانت أنموذجا للتفاعل الصحيح بين الشرق والغرب ، ويوضح لنا المؤلف رحابة الصدر لدى « مي » واتساعها لقبول الانتماء الى العالم العربي والشرقي ثم العالم الكبير . كما أنها كانت متدينة وتفسح قلبها لاحترام كل الاديان : الالهي منها والموضوع . و « مي » ذات أسلوب واضح يتميز عن كل الاساليب التي يكتب بها الكتاب الاخرون .. فهي كاتبة نافذة الى الاغوار ، متهكمة حين يلزم التهكم والسخرية في أسلوب بارع جميل لا يميل الى التجريح او الخدش . وهي سمة تنبع من نفس صافية محبة للجميع .

و «مي» تقف على أعواد المنابر ..فتعرف ماذا وكيف تقول ! وتحاضر خير ما يكون عليه المحاضر او المحاضرة . ولها من كتب الشعر ديوان واحد هو « أزاهير حلم » وقد كتبته بالفرنسية ـ كما قدمنا ـ ولكن كتاباتها الاخرى بالعربية فيها من الشاعرية وروح الشعر الشيء الكثير.

ثم يتحدث المؤلف عن «مي» ومدى حبها للموسيقى ـ وقد بلغ درجة عالية ـ ثم يصف دورها في النهضة النسائية ومدى تشجيعها ـ وهو كبير ـ لبنات جنسها في مجالات النشاط المختلفة ، والكتابة عن أديبات عصرها من أمثال وردة اليازجي وعائشة التيمورية ، والمشاركة في أعمال الجمعيات النسائية ... ثم يبين لنا صورة « لمي » الكاتبة .. ويعرض لمنتدى « مي » ورواده .. ثم « مي » بين الكتب .

وهنا أود ان أقف وقفة قصيرة لاقول : لماذا لم يعرض لنا الاستاذ المؤلف قصة العقاد معها .؟ فالعقاد كتب عنها قصة ألحقها بقصة «ساره» المعروفة .. وهي قصة ذات موقف جدير بالمناقشة .. وبيان أثره وتأثيره في حياة تلك الكاتبة وذلك الكاتب العظيم ! على كل فان هذه العلاقة بين العقاد ومي ، كانت أنموذجا للعلاقة الصوفية المتسامية التي تقتضي الشرح والتفصيل . ولا أجد خيرا من الاستاذ محمد عبدالغني حسن أقدر عليها . ولكنه لم يعرض لها .. فلست أدري ؟

أما الاحاديث التي سجلها المؤلف مع عدد من الادباء وسيدات المجتمع من امثال : الشيخ مصطفى عبد الرازق وهدى شعراوي وطه حسين والعقاد .... وغيرهم ، قد جاءت متشابهة في الاسئلة والاجوبة الى حد ما .. وربما كان حديث العقاد وحديث المازني خارج دائرة الرتابة التي دارت فيها الاسئلة ..فانت تحس وأنت تقرؤها بحرارة قلما تجدها في حديث غيرهما .

ولقد جاءت المنتخبات التي كتبتها أو الفتها « مي » من رسائل وخطب ومقالات .. صورة نموذجية لاهم وأوضح كتابات « مي » .. الا انني لم أدر لماذا لم يضع لنا الاستاذ المؤلف ولو بعضا من فصل من ترجمتها للكتب الاجنبية ، خاصة كتاب فردريك مكس موللر « الحب الالماني » ؟

على كل فان الكتاب يعد اول صورة شاملة عن حياة كاتبة عظيمة ورائدة من رائدات المجتمع ، تكتمل فيها صفات المرأة العربية التي تسعى للتحرر والتطور من ثوبهما الصحيح .. ولقد امتازت عن بنات عصرها بأشياء كثيرة .. ولعل « العقاد » خير من عبر عن هذا في قصيدته « آه من التراب » يقول العقاد :

« سائلوا النخبة من رهط الندى أين «مي» هل علمتم أين « مي » ؟
الحديث الحلو واللحن الشجي والجبين الحر والوجه السني
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

الى أن يقول :

شيم غر رضيان عذاب وحجى ينفذ بالرأي الصواب
وذكاء المعي كالشهاب وجمال قدس لا يعاب
كل هذا في التراب ! آه من هذا التراب !

وصاغ الاستاذ المؤلف هذه الحياة الشاملة « لمي » في أسلوب رصين ومتميز .. لان المؤلف شاعر .. وشاعر له في دنيا البلاغة رصيد هائل .. وتقرأ أسلوبه فتجده يتميز عن أسلوب من يكتبون بمثل رصانته فهو يستعمل التصريفات والتركيبات الخاصة به .. والتي تجعلك أمام

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصية فريدة في كل ما تكتب وكل ما تقول .

وبعد فانني أعجز ان أنقل كل ما يدور بخاطري عن هذا الكتاب.. لانه قيم ومضيء كما قدمت .. ولا أستطيع أن أوفيه كل حقه من التقدير على هذه الصفحات .. لان المجال ضيق .. وليجد القراء فيه ما يشفي شوقهـــم .

البحيرة ـ ج ٠ ع ٠ م **حلمي محمد القاعود**

●

طريـق النصـر في معركـة الثأر

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي ـ ٤٩٦ صفحة ـ منشورات دار الفتح ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت

عنوان حربي لكتاب ضخم يصور مأساة فلسطين ويعرض حوادثها عرضا مفصلا بأسلوب سهل ممتع لمؤلفه المؤرخ الصادق والكاتب العربي الجريء اللواء الركن محمود شيت خطاب القائد الذي شهد معركة فلسطيـن مع من شهدها من قادة العرب وجنودهم .

وهذا الكتاب نتاج تجاربه ومشاهداته ودراساته ، واسع الفصول غزير المادة يأخذ بيدك الى حوادث هذه المأساة ويصف لك مبلغ مكانـة فلسطين في قلوب المؤمنين وحب العرب لهذا البلد المقدس ويشعـرك وانت تقرأ كيف كانت عواطف الامة العربية تغلي ابان مؤامرة الاستعمـار على وأد هذه البقعة المباركة خوف ضياع اولى القبلتين وجسر وحـدة الامة العربية الذي يربـط بيـن الشعـب العربي في افريقيا وشعبه فـي آسيـا .

ويشعرك بالبهجة والامل الواسع حين يصور لك اندفاع النـاس وتجمعهم حول سيارات الجيش وكيف كانت الامهات يودعن ابناءهن بين الدموع الحائرة وبسمة الرجاء في النصر المرتقب . ولقد كان ضبـاط الجيش ومراتبه يلتهبون حماسة يستمدون القوة من المجد الماضي الاثيل الذي صنعه الفاروق الفاتح الاول ومن صلاح الدين المنقذ ويتمنون ان يضيفوا الى هذه الامجاد مجدا مؤثـلا .

هكذا يبدأ اللواء كتابه بمثل هذا التصوير ، ولكنه لا يلبـث ان يريك اسباب الضياع وفقدان الامل في الاعيـب السياسـة واهمـال المسؤولين وتماهل الفلسطينيين انفسهم ثم يعزو ذلك كله الى كيـد المستعمرين وعناد الصهاينة وخبثهم ودعم الاستعمار لهم مع ضعفهم وقلة عددهم حتى يريك كيف تغلب الباطل وكيف وقف الحق مكتوف اليدين مبهوتا يتلفت في القرن العشرين قرن اعلان حقوق الانسان وحق تقرير المصير للشعوب الضعيفة المغلوبة على امرها ، ثم يعطف بك فيشعرك ان الاستعمار لا ضمير له ، لا يهمه ان يشرد شعب فلسطين ويأتي بشعب يهود لان شعب فلسطين شعب عربي لا يقبل الضيم ولا يرضى بالذلـة ولا يكون آلة وشعب يهود شعب يعرف الكيد ويرضى بالذلة ويكون آلة وركيزة للمستعمرين يكيدون بهم للشعوب الحرة التي تريد ان تعيـش كما يعيش الانسان الحر تحت أشعة الشمس .

والمؤلف هنا صريح كل الصراحة يقفك على مواطن الضعف ويريك اسباب الهزيمة ويجعل من اولها اهمال الشاب الفلسطيني اللاهي يتسكع بالمقاهي يلعب النرد والشطرنج بينما يقف اليهودي مدججا بالسـلاح يهجم ويدافع ولكنه لا يلوم ذلك الشباب المتسكع لان الاستعمار كبـل يديه فكان وجود السلاح بيد العربي جريمة لا يغفرها المستعمر فضـلا عن انه لم يدرب خفية او جهارا . اما شباب اليهود فقد كانوا مدربين وكانوا يتدربون بالسر والعلن ويرى ان شباب فلسطين كانوا في ذلك الحين اغناما بلا راع حطم الاستعمار الخبيث ما في نفوسهم من رجولة ووطنية صحيحة والهاهم بمتع الحياة .

وقامت دولة اليهود يوم ١٥ مارس ١٩٤٨ فـي الجزء المغتصب من فلسطين على حراب الاستعمار وجيش « الهاجانـاه » جيـش يهـود والعصابات الاخرى التي انشأتها احزابهم . ودخلـت جيوش العرب تحمل كثيرا وتفقد كثيرا دخلت تملأ جوانحها همم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وصلاح الدين وتملأ نفوسها متعة الشهادة في سبيل الله والوعد الحق في جنان الخلد في اعلى عليين مع الشهداء والابرار والصديقين ومتعة الثأر للكرامة والدفاع عن حرمة الحمى الذي داسته اقدام دخيلـة .

وتفقد كثيرا : تفقد القيادة العسكرية الموحدة وبعض جيوشهـا كانت تفقد الخطط العسكرية المرسومة والسـلاح والقادة والدروع والطائرات وبعضها يفقد المدافع المضادة للطائرات والمدافع ضد الدبابات بل ان بعضها لم يملك خريطة عسكرية لفلسطين ولما شكلت القيـادة العامة شكلت مرتجلة لم يسمع احد اراءها ولم يصغ الى مقترحاتهـا ابدا . لان الساسة الذين كانوا في القمة لا يملكون ارادة القتال . لقد محاها ضغط الاستعمار عليها ولم يدخلوا فلسطين الا لضغط شعوبهـم عليهم وبين الضغطين فرق هائـل .

ويصور المؤلف دخول الجيوش العربية تصويرا محزنا ويؤكـد ان هذا الدخول بمثل هذا الشكل كان مهزلة من المهازل لم يعرف تاريخ الحروب مثيلا له . ويقول المؤلف ان الاخاء كان متبادلا بين الجيوش العربية ضباطا وجنودا وكانت عاطفة الولاء على أشدها غير ان العاطفـة النبيلة تنهزم دوما عند اهواء السياسة المريبة .

لقد أظهر هذا الصراع النفسي بين أبطال الميدان وتجلى بأحلـى مظاهره حين تعرض الجيش المصري لهجوم اليهود فقد كانت الجيوش العربية كلها تتحفز للقتال والعون الاخوي الصادق فحالت دون ذلـك خدع السياسة وكان نتيجة ذلك ان ظل الجيش المصري وحيدا فـي الميدان . هل هذا وحده الذي اضاع فلسطين لا يجد المؤلف مبررا ان يقف عند هذا الحد ، ويضع اللوم اولا على السياسة العربية المهملة وعلى اجهزة الاعلام التي لم تستطع افهام العالم حقنا الطبيعي في أرضنا المقدسة التي اقمنا فيها أربعة عشر قرنا وانها جزء متمم لهذه الامة وان ضعف التخطيط في تعبئة الرأي العام العالمي وتهيئة الامة العربية الاسلامية للحفاظ على من كان من ابرز العوامل التي افقدتنا هذا الحق.

وكان فقدان السلاح وعدم اعداد الشباب الفلسطيني للحرب ممـا ساعد كثيرا على ذلك الضياع ، يضاف الى ذلك استعداد الصهيونية العالمية للحرب وتعبئة اجهزة اعلامها ومطامع الاستعمار وخططه وتخبط ساسة العرب وارتجالهم واهمالهم ووقوف سفاراتهم في الخارج موقف المتفرج . وبعد ان يدخل المؤلف مع القارىء في نقاش التعبئة والاعداد للحرب من السلاح الصادق والسلاح الفاسد والجيوش النظامية وفرق المتطوعين للقتال وما رافق ذلك من الفضائل والفعائل والارتجال ومـا واكبها من تدخل في شؤون المتطوعين الابطال وما فعله المتسللون يرجع الى نفسـه ويسأل : ما هو طريق النصر في معركة الثأر ؟

ويجيب على ذلك ويقول اعرف عدوك اولا ، اعرف حقيقة اسرائيل لتتبين مواطن القوة فيها ومواطن الضعف فتستطيع ان تضرب الضربة القاصمة وتستطيع ان تجد الحل المناسب . ويقدم فصلا مسهبا عـن عوامل القوة التي تتمتع بها هذه الضيعة التي وقف وراءها الاستعمـار فامدها بالسلاح والمال والسياسة ووسع لها في افقه ما لم يوسع لنفسه وفتح لها سبل الاتصال في آسيا وافريقيا واعانها على صنع السـلاح العلني والسري حتى أصبحت تمد الدول في الشرق والغرب بما تنتجه من السلاح وليس غريبا ان تصبح من الدول النووية في وقـت ما . وبجانب عوامل القوة في اسرائيل يذكر عوامل الضعف ويرجعها الـى المادة المتحكمة في نفوس هذا الشعب والى التفسخ الخلقي وكلاهما مدعاة للجبن والى التمييز العنصري بين هذه المجموعة الملمومة من متشردي

الام والحاقدين على البشرية ثم الى موقع اسرائيل الجغرافي بين هـذا العدد الضخم من الملايين في الامة العربية من معنويات عالية نظـرا لايمانهم القوي بالله وبحقهم ويذكر موقعة جنين ويصورها تصويرا رائعا حين يؤكد ان هذه الموقعة كانت لخطة مرسومة من قبل اليهود ولصدفة مفاجئة للجيش العراقي كان اليهود مستعدين عدة وتخطيطا . اما الفوج من الجيش العراقي فلم يكن يعلم عنها شيئا الجيش اليهودي كان يفوق عشرة الاف مقاتل عددا وكان الفوج العراقي دون الالف عددا وحيـن التقى الجيشان فر اليهود فرار الجرذان وتركوا وراءهم من القتلـى عددا يفوق عدد الفوج العراقي وتركوا من العتاد والسلاح اكثر ممـا يتسلح به ابطالنا الذين كان لهم شرف النزال ولقنوا اليهود درسا لم ينسوه ابـدا .

في هذه الصورة الرائعة التي وصفها اللواء خطاب ملأ قلـوب شباب الجيل الصاعد بالامل الباسم المرتقب وملأ قلوب اسرائيل رعبـا وجاء ذلك مصداقا لقوله تعالى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) ..

ويستمر اللواء في عرض الفكر المتلاحقة في هذا الكتاب ويؤكد ان النصر في ارجاع فلسطين آت وكل آت قريب ولكنه يحذر ويبشر بحذر من كيد اسرائيل وخبث الاستعمار وتسلح اسرائيل الذري بمعونـة المستعمرين ويبشر العرب بالنصر المبين اذا انصرفوا الى التعبئة فـي كل نواحي الحياة والى العمل على الوحدة الوطنية في كل مكان لتكون منطلقا للوحدة الشاملة والى اعادة النظر في المناهج واختيار الرجال وتكوين الاجيال وبغير ذلك لن يتم لنا النصر ولا نحلم بالعودة .

ان هذا الكتاب ان دل على شيء فانه يدل على شخصية الكاتـب القوية وروحيته الاسلامية العربية . انه شخص الداء وترك الى ارادة الامة العربية الشفاء بأسلوب سهل وعرض جلي وبارع .

بغداد

محمد بديع شريف
رئيس ديوان القصر الجمهوري العراقي

●

ميكـروفـــون الابديـــة

تاليف سمير شيخاني ـ ٤٠٢ صفحة ـ قطع كبير ـ منشورات المكتبة العصرية بصيداء وبيروت ـ مطبعـة (؟)

حين كنت أسكن بمصر في حي الروضة ، بين فرعي النيل ، كان يروقني أن أجتاز احدهما الغربي الى زورة تشفي أدبي وتشيـع فكري لـدى سيدي الاستاذ الجامعي العظيم « احمد الشايب » الذي تطل شرفات منزله على مصر القديمة ، وهي تتمرى بصفحة النيل البديع .. ولقد اجتزت اليه وتعودت المرور بدار مسحورة كابية كامدة كانت تقـوم في جواره واحسبها لا تزال قائمة حتى اليوم . كان « الاستاذ ابو الخير » صاحب تلك الدار المسحورة يحضر الارواح وله مجلة ينشر فيها بحوثه الغيبية في اسرار النفوس ، وما وراء الطبيعة ـ كما يقول علماءالفلسفة وخاصة صديقي القديم الفيلسوف « زكي نجيب محمود » الذي ينكـر هذا الوراء ولكنه لا ينكر الطبيعة .

كل هذا مر بخاطري ـ والقلم لا يأسر انطلاقه حد ـ وأنا أتملـى بالنظر والخيال كتاب الاخ الكاتب المبتكر سمير شيخاني الـذي سماه « ميكروفون الابدية » ولو عربت صدر اسمه لقلت « بوق الابدية » ولو أردت التعميق في صواب التعريب والتمست المناصاة التامـة لقلـت « صور الابدية » لان الصور ـ كما ذكره القرآن الكريم وكما رحتأتمثله على جناح الخيال ، وانا اسد اذني بأنملتين كما يسد فـم القارورة بالفدام ، بوقا عظيما طويل الساق ، متفتح المخرج ، يضعـه الملـك السماوي اسرافيل على فمه الوسيع فاذا أخذ ينفخ فيه نهضت من رمام الثرى أموات الدنيا الى النشور ويوم القيامة .

كذلك صنع الساحر الماهر واليوغي الباهر الاستاذ « سميـر شيخاني » ـ نسبة الى فن اليوغا الهندي في السحر والنيرنجيات ـ فوضع للناس كتابه الجديد الذي ودع به عام ١٩٦٦ ولو تاخر الزمـن قليلا ـ وهيهات ان يتأخر ـ لبصم تاريخه بالعام الجديد . وكيف تـم أمره فاني أعده هدية سنوية اهدى الي نسخة منه بعيد الميلاد ، وفي مطالع هذه السنة المباركة .

لقد جعل المؤلف النابغ كتابه هذا في ثلاثة برازخ قيامية ـ نسبة الى يوم القيامة ـ واحد للرجال وآخر للنساء وثالث لاصحاب التيجان. كذلك شاء ان يفرق بين أنسال آدم وحواء ، لكنه خالف عن أمر تفريقه فجمع آدم وحواء في بوق أبدي واحد جعله فاتحة كتابه الطريف .

وطريقته في هذا النشور ان يحضر الشخص بذاته ، لا أن يكتفي بروحه ، فهو يمد يده فيصافح المسيح عليه السلام ، فاذا لمس يـده تمثل بقول شيخ شعراء العصر العباسي الذي يقول :

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر ان الجود من كفه يعدي

فيصير اليه سر احياء الموتى ـ ولو في دنيا الوهم والتمثل ـ فاذا قراؤه الكثر الذين يرقبون صدور كتبه رقابة الجياع لموفور الاكول في القصاع ، يجدون تلقاءهم اولئك الشخوص ، من كـل العصور ، باعبائهم واصواتهم ولهجاتهم ، فيدير المؤلف حـوارا معهم ويأخـذ باستدراجهم في أخبار اشتات ، وماجريات كلام في الادب والفلسفة والفن ، وفي كل افق مـن آفاق المعرفة الانسانية اليسيـرة ، التـي ليـس فيهـا تعقيـد .

وكان أمينا في العزو والاسناد ، فقد ذكر أنه اتخذ هذه الطريقـة وهذا الاسلوب الفكري والحواري من أديبين صحفيين فرنسيين همـا « فيراري ولينان » فاذا هو يجعل الصوت محاورا ويقصد بالصـوت نفسه ولسانه وفكره . فاذا استمعنا الى صوته يحاور به « شمشـون الجبار » أخذ الصوت يقول :

ـ صوت : ... وكانت ترتدي ثوبا طويلا وفضفاضا يتلكأ هنـا وهنالك على منعطفات جسدها الجميل ، ففلى الدم في عروقك ، وتبعتها دون ما تفكير الى البئر .

ـ شمشون : قلت لنفسي لعلي أصيب جرعة ماء ، اذا لم أصب شيئا آخـر . فلما وصلت الى البئر أنزلت الجرة عن رأسها . ولكنني لم استطع انزال بصري عنها ..

ـ صوت : عـن الجـرة ..

ـ شمشون : لا ، عن « دليلة » .. طبعا .

ـ صوت : وماذا فعلت بعد ذلك ...

ثم يستمر هذا الحوار حتى يقع شمشون القوي في حمأة وبيلـة من حب الفاتنة « دليلة » الذي كان بقدرة من قوته الجسمية يـدك

اشتركـــوا فـــي مجلـــة

الاديـــب

تساهمـــوا فـــي نشـــر الثقافة

الجدران الصفيقة ويزحزح الاعمدة الشواهق الضخام . فاذا عرفت « دليلة » سر قوته ببقاء شعره السابغ مندلعا من رأسه على كتفيه ، وعرف أعداؤه أنه اذا زال هذا الشعر عن رأسه انقلب في الضعف والتداعي خائر العزم كالحمل ، أسقط بيد البطل وذل حتى ينمو شعره نموا جديدا.وكنت أوثر للمؤلف ان لو عرف حواره هو بكلمة (الصوت) لا بكلمة (صوت) التييفقدها عريان التعريف حلية اختصتها بها لغةالعرب.

وهو في حواريانه هذه الكثيرة يجري لغة ليست بالخفيفة ولا بالعسرة الرفيعة ، وانما هي بحق لغة التحاور في الاخذ والرد بين المتحدثين . والذي قد آخذه عليه أنه جعل التحاور مقصورا عليه وعلى الشخص الذي يعيده جذعا في الوجود ، ولو أجرى الحوار بينه وبين اثنين او ثلاثة في كلام متشابك الخطوط لاتى بحوار اجتماعي وجمعي لا بكلام فردي .

بقي ان يحاسب المؤلف البارع وهو المبتكر للمستطرف ، في قصره كتابه هذا الضخم الوسيع على دنيا أجنبية ما فيها عربي واحد ودنيا العرب ـ بحمد الله والادب ـ ملأى بالكلام والحوار ، ولو أنه نفخ ببوقه عالم أدبنا العربي لصعدت له من أطباق الثرى ألوف تجيء اليه على هون ووفاء ، ولدلف اليه نساء بدل واستحياء ، ولعله في كتاب جديد يطلع به على الناس ، زاهيا بعروبته مؤنسا لقرائه ، وكتبه « أنيس كل جليس » ولست أجور عليه بالنقد ، فانه ربما دفع عن نفسه هذا التقصير بما خاطب به الجاحظ أبا عثمان عمروا بن بحر .. وأنا أعرف ما يصير اليه أمره من الحيرة حين يبعث من في الثرى من أفذاذ البيان العربي اذ قد يتعبه ان يجري لغة الجاحظ في حواره ـ ولا يجوز ان يجري سواها أصلا ـ وهل كان أبو عثمان الا شيخا من شيوخ التعبير العربي البليغ الفصيح ، فاذا ألبسه لغة العصر رحنا نتمثل الجاحظ وقد تشمر ثوبه الى ما فوق الركبة في لبوس نساء أيامنا المتحذلقات في اللبوس ، فيصير أدب الجاحظ أهكومة الزمن وهو في مكان السدة من البيان . هذا هو السبب الذي قد يعذر المؤلف المشهور، في أمر حواره واجرائه على غير التزام . ويكفي المؤلف فضلا أنه خلع على شخوص كتابه حياة وقادة خافقة باللحم والدم والكلام ، تعج بالحركة والاعتمال ، فهو يقدم على الدوام لقرائه المعجبين بنبوغه ومزايا عبقريته النادرة زادا دسما في الادب والفكر والفن ، في ثمار العقل البشري والشعور الانساني الذي وضعه خلاقنا الاعظم فينا نحن البشر الفانين ، ولا أقل من هذه الاثار ، تروى للقرون عن أشعة فكر الانسان، في التصور والبيان ، يقدمها أديب موهوب وفني فنان .

دمشق — زكي المحاسني

•

المؤلف والنساء

تأليف ابراهيم الورداني ـ مجموعة قصصية ـ ٢١٢ صفحة ـ سلسلة الكتاب الماسي ـ مطابع الدار القومية بالقاهرة

بعد طول اختفاء ظهر ابراهيم الورداني ثانية ، او بمعنى أدق ظهرت قصة الورداني ثانية . وفي محاولة لتعويض ما فاته في هذه الفترة غير القصيرة ، أخذ يتابع اصدار اكثر من مجموعة بدأها بـ .. « المؤلف والنساء » ! والورداني مهما يختلف القراء في فنه ، فهو صاحب مدرسة مميزة في القصة المصرية القصيرة كان لها تأثير كبير في اكثر من جيل من كتاب القصة ..

وأشياء كثيرة اتسمت بها قصة ابراهيم الورداني حتى غدت ملامح مميزة لها ، تعلن عن وجود صاحبها حتى لو لم يضع اسمه فوقها . من هذه الاشياء ، روح الايناس وخاصة في مقدمته ، وأسلوبه الرشيق المتراقص ، ولمساته الجنسية الانيقة ..

والمقدمة تعكس انتماء الورداني الى هذا الفريق من القصاص الذين يتقيدون بالتقسيم الثلاثي الحرفي للقصة ، البداية والوسط والنهاية. ولكن استاذية أديبنا تموه ببراعة هذه الصفة وتطمس معالمها البارزة ولا تبقى الا نسيجا ملتحما لا تلتفت لتركيبه الا العين الفاحصة الدارسة . قاصنا اذن يؤمن بما تترجمه لفظة المدخل الى القصة او التمهيد لها ، حتى يعبر بالقارىء كينونتها واكتشاف دنياها وطبيعتها ، في أمان نسبيا من عدم الاقتناع باستيحاء العمل الفني للحياة . فوظيفة المقدمة هي تحويل المتلقي الذي يقع وجوده خارج عالم القصة من متفرج الى شخصية من شخوصها . ومقياس نجاح الفنان في هذا الموضوع هو اندماج القارىء في العالم الجديد بحيث تنقطع صلته بكل ما يربطه بحياته الواقعة . وقد وفق الورداني في معظم الاحيان في ان تحدث مقدمته هذا الاثر ، ملتمسا لذلك ، روح الايناس التي ترفرف عليها . ولا شيء أبلغ من هذه الروح في تحطيم السدود التي تقوم عادة بين القرباء ، سواء اكان ذلك في الواقع المعاش او بين القراء وشخوص القصص . انها تعمل على تقريب النفوس من بعضها البعض ، فتستلب منها حرصها الغريزي على عدم الافضاء او التمسك بالاغطية التي تخفي اسرارها او مكامن الضعف فيها . فتطلق لثرثراتها العنان ، وبهذا الانطلاق تبدأ احداث وشخصيات القصة في التبلور . وتستخدم روح الايناس لغة تخاطب معينة هي لغة تخاطب الاصدقاء ، التي تستهدف الاعماق البشرية المشتركة ، في لفظ شفيف رفيف يملؤه الحب والتعاطف . واكثر الزوايا ملاءمة عند الورداني لاستخدام هذا المنهج ، هو مجلس صحاب تثور فيه المناقشات المختلفة (قصة الخيانة) ، أو توجيه الخطاب الى اصدقاء غير مرئيين (قصة القفص) ، او دعوة القراء الى الاشتراك الكريم فيما يتنفسه شخوص القصة .. « والجالسون ! .. سوف أسرع فأقدمهم لك لكي تحيا بيننا ، تسمع كلامنا ، ولن ينقصك الا ان تاكل أكلنا ! » (الحكاية ـ ص ١٠١) ! ـ ولعلنا نلاحظ في المثال تأثر الورداني بأسلوب ايناس حواريتناالشعبية.

وقد عرف الورداني اول ما عرف في دنيا القصة بلمساته الجنسية المثيرة ، التي كان يجد ينبوعها المتدفق في انحلال اولاد الذوات ومن يقلدونهم . وكان القارىء يستقبل هذه اللمسات باعجاب كبير ، احد بواعثه ارتياحه للاسلوب الساخر الذي يتناولها ـ اي هذه الطبقة ـ المؤلف به . وبعد يوليه ١٩٥٢ انكمش اولاد الذوات وخلا المسرح منهم أو كاد ، فلم يعد لهم بالتالي القدرة على تلوين حياتنا وترك بصماتهم عليها كما كان في سالف العصر والاوان . وانتفى الاهتمام بوجودهم وسلوكهم ، وهكذا أعلن الورداني يوما ان السلاح الذي استخدمه في هذا الميدان ، سيضعه في غمده ازاء تغير قسمات بلدنا بالوجوه الجديدة العاملة . ولكن هذا كله لا يعني ان قاصنا أسقط الجنس كلية من حسابه ، لا لانه من المستحيل ان يموت الزامر واصبعه لا يلعب ، ولكن لان هناك فارقا كبيرا بين استغلال الجنس في فضح مساوىء طبقة وبين استخدامه كأحد المؤثرات الاولى في حياة الانسان .

وأظن انه لم يكن من السهل على قاصنا الكبير ان يتراجع مرة واحدة عن موضوعاته الجنسية ، رغم ايمانه الشديد بضرورة او حتمية هذا التراجع . ورغم انه فعل بطريقة تستدعي الاعجاب وأخذ يواكب في قصصه الظواهر المختلفة في حياتنا ، الا ان ذلك لم يحدث بلا رد فعل ، كما انعكس ذلك في المنعطفات الجانبية غير القليلة التي كان قلم فنانا يجد نفسه يتجه اليها بلا وعي ، بغية استعادة نشاطه القديم المثير ! وليس أدل على ذلك من المواضع التي تناولها صاحب (المؤلف والنساء) احيانا ، مثل فتاة الجيل الثائرة ضد تقليد الزواج اكتفاء بما يتجه لها استقلالها وتحررها من اشباع الروح والجسد كما في قصته « القفص » ..

ومن القصص الجيد في المجموعة (العرق) . انها تعرض ببراعة ومن خلال الموقف الوحى ، هموم الناس سواء الفقير او غير الفقير .. عامل المصعد او غانية الليل . ورغم ان المؤلف لم يتعمق شخصياته كثيرا ، الا ان نبض التناول الصادق عوض هذا التعمق ، وفي مستوى القصة السابقة وبنفس اسلوب التناول البارع المكتفي بالسطح ، يعالج الورداني مأساة واحد من فئة الكومبارس اي الممثلين الثانويين ، من خلال اضطراره لانكار رجولته والتنكر خلف ملامح نسائية والقيام بدور فتاة ، ليستطيع ان يحصل على مزيد من النقود ، هو الفرق بين أجري الدورين ، واسم هذه القصة « نفوس للايجار » .

وفي بعض الاحيان يتعب الورداني من التحليق مع خياله الواسع، ويحس ان القضايا الكبيرة الجادة التي يعرض لها في قصصه تثقله وتمنعه من ان يرفرف بجناحي من خفة ورشاقة في سماء تخيله . فلا يملك الا الاعتراف ـ لا يهم ان كان بطريق غير مباشر ـ بهذه الحقيقة، منها قصته في منتصف الطريق وهو لم يقل كلمته بعد ! كما فعل في (البنت) التي تتناول مفاجأة أب متحرر لابنته الصبية في ظلام السينما مع شاب . ومع ذهوله وثورته يتصل تليفونيا من مكانه ببيته لينادي الام الغافلة لتشاهد فتاتهما . وتكون المفاجأة ان ابنته هي التي تحادثه ! ويعود الى مقعده لينام مستريحا وقد مات التساؤل الكبير او القضية الكبرى التي ثارت في أعماقه وهزته .. « ماذا كنت افعل حقا لو كانت هذه البنت هي وفاء ابنتي ؟ سؤال ترنح في رأسي لحظات مستعصية ، ولا جواب ! أزحته في ضيق ، فررت من التفكير .. » وكفى الله القصاص شر القتال ! وفي قصة أخرى « نزوة » لا يجد الزوج الا ان يعبث بصديقة زوجه التي جاءت للتوفيق بين الزوجين المتنافرين المطلقين . ويوقعها في احابيله ملوحا لها بالزواج ، بحجة انه يفعل ذلك لتلذع الغيرة امرأته فتهب للزود عن مستقبلها تائبة نادمة مستغفرة!!

وفي المجموعة اكثر من قصة تثقلها الصفة ، أعني تغلبها الحرفية اي مجرد براعة الفنان الكبير الذي أوتي موهبة القص حينما لا يكاد يجد ما يقوله ! كقصص (السر الذي نخفيه ، الله ، البرد) فالقصة الاولى عن شاب اقام مشروعا صناعيا جيدا برأسمال حرام أتاه من مبلغ زائد حينما قبض من البنك قيمة شيك لصاحب العمل ، فعول بعد نجاح مشروعه ان يرمي في الفضاء نفس المبلغ كل عام « لعلها تكون رسمال منشود لحائر عابر في الطريق ! » حتى يرتاح نفسيا . والقصة الثانية تعرض للحدوثة المشهورة عن وفاة الطبيب المعالج وشفاء المريض الميئوس منه ! أما القصة الثالثة فهي تسجل تطورات مشاعر مهندس ، من العبث بطالبة جامعية فقيرة ازاء ما قرره من مساعدتها في تسديد مصاريفها ، الى اهدائها هذه المصاريف بلا محاولة لاخذ الثمن ، خوفا من ان يفسد هو صفحة حياتها العذراء .

وأغلب الظن ان هذه المجموعة لم تفربل جيدا او لم تفربل على الاطلاق ، والا لما كان لقصة مثل « الخيانة » ان تأخذ مكانها فيها .فهي ليست مثالا للقصة المسطحة فحسب ، بل والمفككة في سطحيتها كذلك فلا تقنع أحدا حتى في هذه الحدود . ويبدو ان مؤلفها حتى لحظة امساكه بالقلم وأخذه في الكتابة ، لم يكن قد تكشفت رؤياه بعد .فاذا عد مدخلها او مقدمتها استثارة الى سوء فهم معنى مساواة الجنسين ، فقد تناولت القصة نفسها التي تعتمد على ما رواه بهادر ، موضوعا آخر منبت الصلة بالمساواة هو .. خيانة الزوجة ! وقصة ثانية لا تختلف في مستواها عن السابقة ، هي (المؤلف والنساء) التي حملت المجموعة اسمها ، والتي تعرض لحسناء محتالة خدعت كاتبا سينمائيا واستولت على امواله . ويبدو ان الورداني معجب بهذا النوع الذكي من النساء ، لانه يقدمه مرة أخرى في نفس المجموعة في قصة .. « نحن الرجال طيبون » !!

المنصورة ـ ج.ع.م — علاءالدين وحيد

صدر حديثا :

عن دار صادر ـ بيروت

سعر ق.ل.

١ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ١٥٠٠

عن طبعة ليدن

٢ ـ قصص المانية حديثة ٣٠٠

٣ ـ الفن الاسلامي ٦٠٠

٤ ـ رسالة التوابع والزوابع ٤٠٠

لابن شهيد الاندلسي

٥ ـ تاج العروس عشرة مجلدات ٢٥٠٠٠

للمرتضى الزبيدي

٦ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٥٠٠

٧ ـ نقائض جرير والفرزدق ٣ مجلدات ٧٥٠٠

عن طبعة ليدن

تطلب هذه الكتب

من دار صادر بيروت ـ ص.ب ـ ١٠

تلفون : ٢٣٠٤٨٠



جولة الأديب في شهر

الحركـــة الادبيـــة فـــي تونـــس

لم يكن المشرق العربي ، الى عهد قريب جدا ، يعرف من أدباء تونس اللامعين سوى الشاعر الرومنسي أبي القاسم الشابي ، الذي توفي عام ١٩٣٤ في ميعة الشباب وزهو التفريد الحلو . ولم يكن ليتاح للشابي ان يملأ اسمه وشعره آفاق العالـم العربـي لولا اتصاله بالصحافـة المشرقية ، ولا سيما المصرية ، ومجلة « أبولو » منها بنوع خاص . ثم جاء أبو القاسم محمد كرو منذ أكثر من اثني عشر عاما يزيد الشابـي تعريفا ، ويزيد شعره وأدبه ذيوعا ، بالمؤلفات النفيسة التي أصدرها عنه ، سواء مما وضعه هو نفسه ، أم مما نشره لمؤلفين آخرين فـي سلسلة « كتاب البعث » وغيرها من منشوراته .

ولم يقتصر فضل الاستاذ كرو على نشر أدب الشابي ، بل عني بالتعريف ـ في سلسلة « كتاب البعث » خاصة ، وفي ما كان ينشره في الصحف من مقالاته ودراساته ـ بأدباء تونسيين آخرين ، كالطاهر الحداد وغيـره .

ولكن تونس ليست بالبلد الحديث العهد بالنهضة الفكرية ، فان لها تاريخا أدبيا حافلا بالمجد ، ولا سيما فـي عهـود الفتح الاسلامي للاندلس وصقلية . وكانت القيروان فيها ، وسوسة ، وغيرهما مـن المدن التونسية ، من مراكز الثقافة العربية والاسلامية الكبرى في ذلك الحيـــن .

وفي العصر الحاضر نبغ فيها عدد من أجلة الباحثين والمفكريـن الذين كانوا استمرارا مرموقا لازهى عهود الثقافة العربية . نذكر مـن الاحياء منهم ، الذين نالوا شهرة عريضة في المغرب العربي وفي الاقطار المشرقية : حسن حسني عبد الوهاب ، ومحجوب بن ميلاد ، وعثمان الكعاك ، والشيخ الفاضل بن عاشور ، والطاهر الخميري ، وغيرهم . وكل من هؤلاء موسوعة علم وأدب وفضل ، سواء في حقول الثقافـة الاسلامية ، أم في البحث التاريخي ، والادبي ، وفي البحث الفلسفي.

على ان افتقار بلدان المغرب العربي برمتها ـ ومنها تونس ـ الى الصحافه القوية ، والى دور النشر والتوزيع الكبيرة ، لـم يسمح للاقلام المغربية بالبروز في المشرق كما برزت أقلام المشارقة في أقطار المغرب ، وذاع انتاجها عن طريق الصحافة القويـة ، ودور النشـر الكبيرة ، ذات التوزيع الواسع المدى . وهكذا ظل المغرب العربي يحس بالتخلف عن نهضة المشرق ، وبانه عالة على الادب المشرقي ، ولا مجال لبروز اديب منه الا اذا أتيح له ان يكتب في صحف المشرق الكبرى ، أو يصدر له كتاب عن دار نشر مشرقية . ولقد ترك هـذا في نفوس الادباء في اقطار المغرب شعورا من المرارة ، ممزوجا بشـيء من عقدة التخلف ، والنقمة ، أو التمرد . وهذا الشعور أصبح مع الايام دافعا الى خلق نهضة داخلية في كل بلد مغربي . فظهر بعض المجلات الادبية التي صارت تصل بالبريد الى أشخاص محدودين في بلدان المشرق ، وصار يستكتب لها أدباء مشرقيون الى جانب الادباء المغاربة . غير ان هذه المجلات لم تستطع حتى اليوم ان تجد لها مكانا في اسواق العالم العربي الى جانب الصحف والمجلات المشرقية ، كما تجد صحف المشرق الادبية مكانها الواسع في كل بلد مغربي .

وعقدة التخلف هذه ، مع الشعور بواجب التخلص منها ـ فـي تونس بشكل خاص ـ بخلق ادب تونسي محلي مستقل قوي ، تبرز بروزا واضحا في العدد الممتاز من مجلة « الفكر » الصادر في شهر اكتوبر من عام ١٩٦٥ ، بمناسبة دخول المجلة في عامها الحادي عشر ، وعلـى الاخص في مقال للاستاذ عثمان الكعاك عنوانه « حـول القصة التونسية » ، يقول فيه :

« ... فلنقلب قلمنا الى تونس العزيزة ، ولنر الاحداث التونسية ونسجلها ، يومئذ يولد الكاتب الاقاصيصي التونسي بأتم معاني الكلمة، وبحروف ضخمة كبيرة » . ثم يضيف :

« الجنين في البطن ، ولا شك ، ووجعات المخـاض تملأ الجو بدويها ، ونخشى ان يكون الوليد زنيما لكثـرة مـا غازلنا من الاداب الفرنسية والشرقية والاندلسية . وقد ارتكبنا خيانات زوجية كثيرة نحو آدابنا القومية ، فيجب ان يستقيم سلوكنا ، ونقنـع بزوجة شرعية واحدة في الاداب أيضا ... يجب ان نستقل ثقافيا كما استقللناسياسيا، وان تكون صلاتنا مع آداب الامم كما هي صلاتنا مع الامم ، عن طريـق سفراء الادب : نقتبس ويقتبس عنا ، لا ننقل ونقلد في اتجاه واحد ، فتلك هي الحماية الادبيـة » .

ونجد هذا المعنى نفسه في افتتاحية عدد ديسمبر ١٩٦٥ من مجلة « الفكر » عينها ، فقد جاء فيها ما يلي : « ... ولا تـزال رسائـل الاعجاب والتقدير ترد علينا ، فيزداد شعورنا بالمسؤولية ، ويرسـخ عزمنا على مواصلة الجهد حتى ... نهيىء أسباب الانتاج الاصيلوالخلق الطريف لأدبائنا الشبان ، وطلائع أجيالنا الصاعدة التي لم تقاس ضيم الاستعمار ، ولا عانت « اليتم » الثقافي الذي عرفه كثيرون من أبنـاء الجيل الحاضر ، بين مغرب مقطوع عن أصله ، ومشرق معزول عن عصره » . ثم : « بعملنا الدائب الصامت المجرد نعتقد أننا ساهمنا في استئصال الكثير من العقد النفسية المرقلة للعمل الادبي ، وقضينـا على الشك في قابلية طبيعتنا وتربتنا وأدمغتنا وقرائحنا على الابداع ، كغيرنا ، لا أكثر ولا أقل » . ثم تضيف الافتتاحية ما يلي : « تحدينـا الشك والفشل والسخرية ، وتحدينا « التمشرق » ... وكنا ولـم نزل نضم جهودنا الى جهود الامة جمعاء في معركتها المصيرية من اجل الوجود الافضل ، وخلق الانسان التونسي الجديد » .

هذه الاقوال وأمثالها ترينا الرغبة المتأصلة لدى التونسيينللتخلص من الاتباعية للمشرق في الحركة الادبية ، والثورة على التخلف الماضي ، لاجل خلق نهضة فكرية مغربية مستقلة متميزة،تفرض نفسهابقوةوتصميم.

الى جانب الصحافة الادبية المغربية ظهرت كتب أدبية عديدة ، على نفقة أصحابها في الغالب ، والقليل منها على حساب بعض المكتبات . ولكن هذه المؤلفات لم يكن حظها في أسواق المشرق أفضل مـن حظ الصحف والمجلات الفكرية . وهكذا ظل الفكر المغربي عامة ـ والتونسي من جملته ـ بعيدا ومحدود الانتشار الا في البيئات المحلية ، مما اضطر الكثير من الادباء المغاربة الى البحث عن ناشرين في المشرق لكي يتمكنوا عن طريقهم من الخروج من نطاق العزلة وشعور التخلف . وقد نجـح بعضهم في ذلك ، ولم ينجح الاكثرون بعد .

وكانت تونس من أسبق الاقطار المغربية الى الاهتمام باصدارالمجلات الادبية لابراز نهضة الفكر التونسية بالمدى الممكن . وكان هذا يعتمـد غالبا على الجهود الفردية في البداية ، ولهذا سقط الكثير من الصحف في مسيرة جهاده ، وعاش القليل على حساب أعصاب أصحابه بنضال شـاق مضـن .

ان هذا ينطبق على تونس كما ينطبق على سائر بلدان المغـرب . ومن المجلات التي ظهرت في تونس في أزمنة مختلفة ، من عهد الاحتلال الفرنسي ، ثم من عهد الاستقلال القريب ، ثم اختفت تحت الحـاح الظروف القاسية التي لم تكن تسمح بحياة مجلة أدبية غيـر مشرقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نذكر : مجلة « الثريا » ـ ومجلة « الندوة » ، التي أصدرها محمد النيفر مدة ثلاث سنوات ، ومجلة « الزيتونة » ، التي أصدرتها رابطة القلم الجديد ـ ومجلة « الثقافة » ، التي أصدرها أبو القاسم محمد كرو ـ ومجلة « اللغات » ، التي أصدرها أحمد بلخوجة . وكل هذه المجلات كانت شهرية ، وكانت أعداد منها تصل الى بعض ادباءالمشرق، وكان هؤلاء يشاركون في تحريرها أحيانا .

ولم يعش في تونس الى اليوم غير مجلة « الفكر » التي يصدرها محمد مزالي ، والتي هي اليوم النافذة الوحيدة التي يطل منها الكثير من أدباء المشرق والمغرب على انتاج الاقلام التونسية ، ولكنها لم تستطع أن تصل الى الاسواق ، والى عامة القراء . وقد مضى على صدور هذه المجلة أحد عشر عاما ، وما تزال منبر الفكر التونسي المعاصر ، وملتقى أقلام اربابه ، وهي اليوم تتمتع بتشجيع الجهات الرسمية ورعايتها ، لضمان حياتها واستمرارها في خدمة النهضة الفكرية في تونس . وحين اتمت عامها العاشر أقامت لها اللجنة القومية الثقافية حفلة كبرى اشترك فيها وزير الثقافة ، ورئيس اللجنة الثقافية ،ووزير المالية والاقتصاد الوطني ، وكثير من الادباء والشعراء . وأقيمت الاحتفالات لتكريمها في صفاقس وغيرها من مدن الجمهورية التونسية . وفي هذه الاحتفالات معنى كبير من معاني الحفاظ على استقلال الادب التونسي الجديد .

ولقد حدثني الاخ محمد النيفر عن المصاعب التي لقيها في اصدار مجلة « الندوة » ، وكيف عانى الامرين حتى وصل بها الى العدد الاخير في عامها الثالث . وكانت في الواقع مجلة أدبية راقية ، تلتقي على صفحاتها اقلام من المغرب والمشرق . ومن أهم خدماتها الفكرية أنها كانت في كل عدد من أعدادها تقدم واحدا من أعلام الادب التونسي الاحياء ليتحدث عن نفسه وعن أدبه . ومن بين هؤلاء الاعلام الذين قدمتهم في أعدادها المختلفة : (حسن حسني عبد الوهاب ـ عثمان الكعاك ـ محمد الحليوي ـ محمود المسعدي ـ الهادي العبيدي ـ محمد الزمرلي ـ ومحمد العربي الكبادي) .

كذلك كان الاخ محمد مزالي قد حدثني من قبل عن جهاده القاسي في اصدار مجلة « الفكر » ، ومحاولاته الجاهدة لايصالها الى الاسواق الشرقية والغربية . غير أنه استطاع ، رغم كل الصعاب والعراقيل ، ان يستمر في اصدارها الى اليوم .

أما ابو القاسم كرو ـ وهو أوسع أدباء تونس اليوم شهرة في العالم العربي بأسره ـ فانه منذ تخرجه من دار المعلمين العالية في بغداد عام ١٩٥١ عاد الى تونس واشتغل بالتأليف ، وأنشأ مكتبة ودار نشر صدرت عنها عدة مؤلفات ، ومن أهمها سلسلة كتب صغيرة دعاها باسم « كتاب البعث » كانت تضمها أقلام تونسية . وقد صدر من هذه السلسلة عدة أجزاء ثم توقفت عن الصدور . وكان أغلب توزيعها في الاسواق التونسية ، ولكن بعض اجزائها قد وصل الى مختلف الاسواق في المشرق والمغرب . ولكن عمل أبي القاسم لم يكن سهلا ، بل لقي فيه ـ وما زال يلاقي ـ كثيرا من المصاعب .

أما مؤلفات الاستاذ كرو فقد لقيت رواجا كبيرا في البلدانالعربية بأسرها ، وكان أوسعها انتشارا كتابه « حياة الشابي وشعره » الذي أصبح أهم المصادر لمن يدرسون شعر الشابي ، وسيرة حياته . يضاف الى هذا الكتاب أيضا كتابه « كفاح الشابي » . أما أول كتاب أصدره كرو بعد تخرجه من بغداد ، فهو « مارس شهر الدماء والدموع فيالمغرب العربي » وكان هذا الكتيب في الاصل محاضرة ألقاها ابو القاسم في بغداد ، ثم نشرها في كتيب صدر في بغداد نفسها قبل عودة المؤلف الى تونس .

الى جانب المؤلفات التونسية التي كان ابو القاسم كرو ينشرها ، كانت هناك مكتبات أخرى تقوم أحيانا بنشر بعض الكتب التونسية ، ولكن مدى انتشار هذه الكتب ظل دائما محدودا ، فلم يتح لها الانتشار الواسع في الخارج .

من هذه الكتب التي نشرت في تونس وعرفت في أوساط الادب والاستشراق خارج المحيط التونسي نذكر بنوع خاص مسرحية «السد» لمحمود المسعدي ، التي ظهرت عام ١٩٥٥ عن شركة النشر لشمال افريقيا ، وقد لقيت صدى غير قليل على اقلام النقاد العرب والمستشرقين . وممن تعرضوا لها بالتعريف والنقد الدكتور طه حسين وبعض أدباء مصر الاخرين . وهي مسرحية رمزية ذات قيمة أدبية جليلة.

على أن كل هذه المحاولات في نشر الكتب واصدار المجلات الادبية لم تستطع ـ لظروف عديدة ، اهمها طغيان ادب المشرق وصحفه ، ووفرة دور النشر فيه،وسعة مدى انتشاره ، وشهرة أربابه الواسعة ـ ان تبرز الادب التونسي ابرازا كافيا ، وتجعله يؤثر في غيره بمقدار تأثره بغيره . ومن هنا ـ من حاجة الاديب التونسي الى المشاركة الفعالة في نهضة الفكر العربي عامة ، والى اسماع صوته بوضوح كاف الى الاخرين ، وشعوره بأن له من المقدرة والاستعداد الطبيعي ما يسمح له بذلك ـ كان لا بد للدولة من أن تقوم بعمل جدي من جانبها لكي تعطي الاديب التونسي الثقة بنفسه اولا ، ولكي تجعل النهضة الادبية في تونس تؤتي ثمارها ثانيا . وكانت كتابة الدولة للشؤون الثقافية هي الراعي الذي يتولى المهمة . ذلك لان الجهود الفردية تظل دائما عاجزة عن الوصول الى ما تريد ، ولكن مساندة الدولة وحمايتها وتشجيعها كفيلة بأن تخلق الجو المناسب ، والمجال الرحب لانطلاق الاقلام . والنهضة العجيبة الشاملة في تونس اليوم لا يمكن ان تكون كاملة دون أن ترافقها نهضة فكرية قوية متطورة . ثم ان بلدا ، رئيسه خطيب وأديب واسع الثقافة كالحبيب بورقيبة ، لا يرضى لنهضته الادبية بالنخلف والانطواء على نفسه . ونحن نعرف الشيء الكثير من حب الرئيس بورقيبة للادب والشعر ، ومن حرصه على الالتقاء بالادباء والشعراء والاستماع اليهم ، ومن تشجيعه الشخصي لهم بالاوسمة والعناية الكريمة ، ثم من مشاركته هو نفسه في الحياة الفكرية من قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية التونسية .

بدأت عناية وزارة الثقافة التونسية بالحركة الادبية بأن تأسست فيها اللجنة القومية للشؤون الثقافية ، برئاسة الامين الشابي ـ وزير المعارف السابق ، وشقيق الشاعر أبي القاسم الشابي ـ وعن هذه اللجنة انبثقت لجان ثقافية في سائر الولايات التونسية ، مهمتهاتنشيط الحركة الفكرية والفنية بسائر وجوهها وأشكالها ، باقامة المهرجانات الخطابية والشعرية ، والمواسم الثقافية بالندوات والمحاضرات ، وتأليف الفرق التمثيلية ، ونشر الثقافة المسرحية ، واصدار النشرات والمجلات الثقافية ، وتشجيع الفنون الجميلة بمختلف انواعها .

أما مصادر تمويل هذه اللجان الثقافية فتعتمد على المخصصاتالمرصدة لها في وزارة الثقافة ، وفي موازنة الولاية ، وعلى معونة البلدية ،وعلى ما يأتيها من دخل الحفلات المسرحية والسينمائية والفنية التي تقيمها . وقد استطاعت هذه اللجان ان تخلق فعلا نشاطات ثقافية واسعة ، وان تستحث همم الكتاب والشعراء الى العمل المنتج ، ولكن في نطاق المحاضرات والمقالات في الصحف ، والاشتراك في الندوات الادبية ، والمهرجانات الخطابية والشعرية . وهذا كله يظل ضمن حدود الاقليم او حدود الجمهورية ، لا يتجاوزه الى الخارج .

والى جانب اللجان الثقافية ونشاطاتها المحلية هناك الاذاعة والتلفزيون ، وفيهما مجال واسع للانتاج الفكري الاوسع مدى ،والكسب المادي للاديب لقاء هذا الانتاج المحدود .

وكذلك تعمل وزارة الثقافة واللجنة الثقافية على دعوة بعض أدباء المشرق والمغرب المعروفين ، لتتيح الفرصة للادباء التونسيين للقائهم وللتبادل الفكري معهم . وممن دعتهم الوزارة أذكر : ميخائيل نعيمه ، ونزار قباني ، وصاحب هذه السطور .

غير ان من أهم ما قامت به الوزارة لخلق النهضة الفكرية في

تونس ، وابراز النشاطات الادبية ، هو تأسيسها دار النشر التونسية التي يديرها الان الدكتور الحبيب بلخوجه . وقد استطاعت هذه الدار ان تقوم بنشر عدد كبير من المؤلفات الادبية والعلمية والتاريخيـة ، أغلبها من انتاج الاقلام التونسية ، وبعضها من انتاج أقلام عربية اخرى، وعلى الاخص من الجزائر والمغرب . وهي ماضية في سبيلها هذا لابراز الاقلام التونسية وتشجيعها . وتحرص الدار على ان تخرج الكتـاب التونسي اخراجا انيقا الى أقصى حد ممكن .

ومن أهم المؤلفات والمراجع الكبرى التي صدرت عن هذه الـدار كتاب « اتحاف اهل الزمان » لابن أبي الضياف ، ويقع في سبعة اجزاء ضخمة . وهو من المراجع المهمة في تاريخ عهد البايات في تونس .

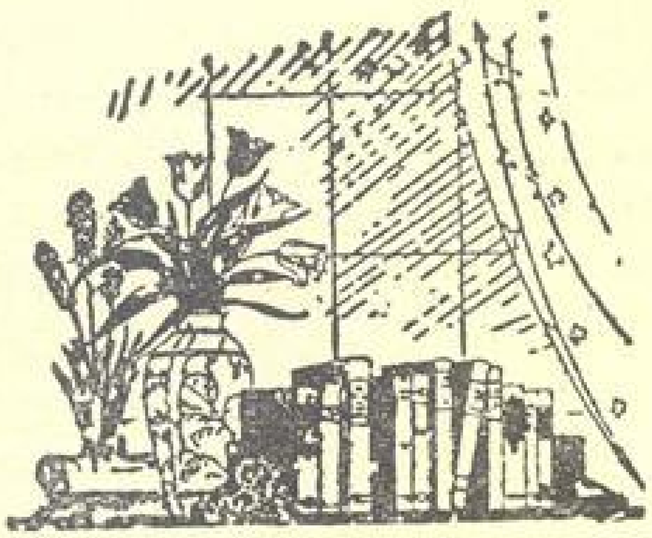
ولبيان أثر دار النشر القومية ووزارة الثقافة في الحياة الادبية في تونس أذكر في ما يلي عددا من المؤلفات التي صدرت عن الوزارة وعن الدار في الاونة الاخيرة ، مما اتيح لي شخصيا أن اطلع عليه ، اضافة الى كتاب « اتحاف اهل الزمان » المذكور آنفا :

١ ـ الادب الفارسي في العصر الغزنوي ـ للدكتور علي الشابي .
٢ ـ بين الآثار التونسية ـ لسليمان مصطفى زبيس .
٣ ـ ثورة علي بن غذاهم ـ لجان غانياج،ترجمة لجنة من الوزارة.
٤ ـ ديوان «أغاني الحياة» لابي القاسم الشابي ، طبعةثانيةكاملة.
٥ ـ ديوان « بقايا شباب » لمحمد المرزوقي .
٦ ـ ديوان « تحت ظلال الزيتون » لمفدي زكريا .
٧ ـ ديوان « ضياء » للصادق مازيغ .
٨ ـ الخيال الشعري عند العرب لابي القاسم الشابي .
٩ ـ مذكرات ابي القاسم الشابي .
١٠ ـ بين عصرين للصادق مازيغ .
١١ ـ بودوده مات ـ لمحمد رشاد الحمزاوي .
١٢ ـ دخان ـ للطاهر وطـار .
١٣ ـ قصر الربح ، وتمثيليات أخرى لمصطفى الفارسي .
١٤ ـ مذكرات المنفى لمحمود بيرم التونسي .
١٥ ـ الورغي لمحمد الحبيب بلخوجه .
١٦ ـ الباجي المسعودي لمحسن بنحميده .

هذا الى عدد آخر من المؤلفات مما لم يتح لي الاطلاع عليه .

والى جانب دار النشر اهتمت وزارة الثقافة بانشـاء دار قومية للتوزيع ، يديرها اليوم الوزير السابق الاستاذ عزوز الرباعي ، لتنظيم توزيع الكتاب التونسي في الداخل والخارج . وقد انحصر توزيعالكتب كله في هذه المؤسسة التي لم يمض زمن طويل على تأسيسها ، سواء منه ما يستورد من الكتب من الخارج لتوزيعه في تونس ، وما يصدر في تونس لتوزيعه في الخارج . ولان هذه المؤسسة حديثة العهد ولم يتـح لها بعد تنظيم اعمال الاستيراد والتصدير كما يجب ، ما زالت تواجهها صعوبات غير قليلة ، وعلى الاخص في استيراد الكتب الخارجيـة ، وتسوية معاملات الكتب التي كانت قد استوردت قبل تأسيسها ، حتى لنكاد نقول أن الكثير جدا من الكتب التي ظهرت خلال العام الاخير في مصر ولبنان وغيرهما من الاقطار العربية لم يصل بعد الـى الاسواق التونسية . ولهذا نامل ان تزول الصعوبات ليتم التبادل الفكري بين تونس والعالم العربي كله على أوسع نطاق ممكن .

خلال المدة القصيرة التي قضيتها في تونس ، سواء في الرحلة الاولى أم في الثانية ، أتيح لي ان أعرف عددا غير قليل من أدبائهـا وشعرائها .وكنت من قبل أعرف اثنين فقط معرفة شخصية ، همـا : محمد مزالي ، صاحب مجلة « الفكر » الذي التقيت به لاول مرة فـي مؤتمر الادباء العرب الرابع في الكويت ، عام ١٩٥٨ ، ثم في المؤتمـر الدولي للادب العربي المعاصر ، في روما عام ١٩٦١ ، وابو القاسـم محمد كرو ، الذي عرفته عام ١٩٥١ حين كان طالبا في بغداد ، وقـد جاء لزيارة الاردن ، مع فوج من طلاب دار المعلمين العالية حينذاك .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت بيني وبين ثلاثة آخرين منهم مراسلات سابقة ، وهم : محمد النيفر صاحب مجلة « الندوة » والشاذلي زوكار من رابطة القلم الجديد ومن محرري مجلة « الزيتونة » ومحمود بلخوجه صاحب مجلة « اللغات » ، وقد كنت أكتب لهذه الصحف أحيانا ، استجابة لرغبات هؤلاء الاخوان ، ولواجب التعاون في سبيل وحدة الفكر العربي .

وكنت أقرأ في الصحف والمجلات التونسية التي كانت تصل الي أبحاثا وأقاصيص وشعرا لادباء تونسيين متعددين ، كان منهم : عثمان الكعاك ، وحسن حسني عبدالوهاب ، والعربي صمادح ، ومحمد العروسي المطوي ، ومنور صمادح ، وغيرهم . ثم أتيح لي أن أعرف بعض هؤلاء ، والكثيرين غيرهم من الشعراء والكتاب والباحثين معرفة شخصية ، سواء في مهرجان الشابي ، ومهرجان صفاقس الشعري ، وفي الجولة التي قمت بها في مختلف الولايات التونسية ، وكذلك في الندوات التي كانت تعقد في منزل الشاعر هلال ناجي القائم باعمال السفارة العراقية، ومنزل الشاعر فاضل خلف الملحق الصحفي الكويتي وغيرهما في مدينة تونس ، والتي كانت مناسبات طيبة للتبادل الفكري بيني وبين هذه المجموعة من الادباء التونسيين .

والواقع انني لا أستطيع ان اعدد ادباء تونس وشعراءها اليوم ، فهم أكثر من ان أحصيهم . وحسبك ان تقرأ العدد الممتاز من مجلة « الفكر » الذي صدر في شهر اكتوبر عام ١٩٦٥ ، بمناسبة دخول المجلة في عامها الحادي عشر ، لترى فيه أسماء خمسين كاتبا وشاعرا، ليسوا كل كتاب تونس وشعرائها ، ولكنهم يمثلون نخبة ممتازة منهم . أما شيخ شعراء تونس اليوم فهو مصطفى خرّيف ، وبين أبرز الشعراء الشبان لمع اسم : احمد اللغماني ، ومنور صمادح ، والعروسي المطوي، وعبدالعزيز بنجدو ، والانسة زبيده بشير ، وغيرهم .

وتختلف اتجاهات الشعراء في تونس : فهناك طائفة تنظم الشعر على الطريقة المستحدثة التي يدعونها « الشعر الحر » ، وعلى رأس هذه الطائفة العروسي المطوي ، وهو من أكبر مشجعيها ودعاتها .وهناك فئة محافظة على الشعر العربي الاصيل ، ترى في الشعر المستحدث بدعة مخربة . وبعض الشعراء يتأرجحون أحيانا بين الطائفتين خشية من ان يرميهم البعض بالرجعية والجمود ، ويرميهم البعض الاخر بتهديم البنيان الشعري .

وهناك جمعيات ، أو اندية ، للشعر ، والقصة ، والمسرح ، ينتسب اليها الكثير من الادباء والشعراء والمؤلفين .

وهكذا لا تختلف النهضة الادبية هناك عنها في المشرق ، وفيها حيوية كثيرة كما في المشرق ، ومجالس الادباء هناك عامرة بالنقاش ، وتصارع الافكار والاراء والمذاهب ، وكل هذا يبشر بنهضة حية ، تتهيأ لتأخذ مكانها الصحيح قريبا في مسيرة النهضة الادبية العربية الشاملة. والذي أعتقده ان الدعوة القائمة الآن لوحدة المغرب العربي الكبير ستتيح لنا ، في فرصة قريبة ، ان نشهد نهضة فكرية مغربية السمات والالوان ، تبعث نشاطا جديدا في دم الفكر العربي ، ونرى شمس الفكر العربي الجديد تطلع من المغرب هذه المرة ، وسيكون فيها لتونس نصيب كبير ملموس .

عمان — عيسى الناعوري

●

لقاء مع الاستاذ فؤاد الريس

يشغل الاستاذ فؤاد الريس ، في هذا الحديث جانبا خطيرا ، أحببت ان أجره اليه ، واحادثه فيه ، دون ان ينتبه الى ما أبيته في نفسي لكثير من الادباء ، فانا كلما عزمت على دراسة موضوعات جليلة تمس كيان الادب ، وتلفت النظر الى الدراسة الادبية الجادة ، تحايلت بشتى الطرق على جر كبار الكتاب ، ووقفت واياهم أمام القراء ، عسى ان نصل الى ما يحمد ، ونجني ما يعود على الفصحى وأهلها ، بما تشتهي وتريد ...

على أن المستغرب في هذا الحديث ، انني قصدت به مواجهة رجل رأيته مرة ، فاحببت فيه الهدوء والدعة ودقة الحديث ، وأراه في كل شهر ، يطل بوجهه محييا من : « قافلة الزيت » وموجها ساحرا ، يمسح جراحات كلمى ، أصماها الجهل ، وخدرها التهافت والاندفاع والوقوف في منتصف الطريق ، للسؤال والاستجداء ...

ولعلني لا أكون مغاليا ان قلت : انني أردت ان انقل الجو الذي يعيش فيه أستاذ يقف على منبر من منابر التوجيه ، يقدر كل كلمة ، ويزن كل جملة بميزان حساس دقيق ، الى جو يسود حياتنا الادبية ، ويسمها بميسم الاكفهرار ، ويطبعها بطابع الفقر والعوز ...

أردت في هذا الحديث القيم ، ان أدل على جهد هذا الرجل المتواضع الذي ينظر الى طريق الادب ، فلا يجد له نهاية ، وينظر الى نفسه ، فيجد ان بينه وبين من ساروا سيره أشواطا طويلة ، وهو من هو : فضلا ، وقلما ، وامتاعا ...

والواقع ان الاستاذ فؤاد الريس ، قد أعطانا في هذا الحديث ثروة طائلة ، وأفاض علينا من علمه ما يرسم الطريق ، ويخطط لعشرات السنين التي يحيا فيها الادب ، أو تكتب له فيها حياة الرخاء واليسر ، يحدوه ايمان عميق بالنجاح ، ووثوق بالغلبة ، وتفوق على كل الاداب..

ولا يخامر المطالع الجاد ، او الدارس الواعي ، أي شك ، في مدى الجهد الذي بذله الاستاذ فؤاد الريس ، وهو يعطينا هذه الدروس ، التي أعتقد أنه تصبب عرقا وهو يجيب عليها، خوف ان تبدر منه بادرة، تسيء الى قلمه او تحسب عليه ... فهو ينبهنا الى قيمة العمل الادبي، وموقف أسرة تحرير « المجلة » منه ، وان بدا في بعض المواقف أنه يفر حين أمسك به ، او أضيق عليه الخناق ، لوعورة الاجابة ، أو أنه يخشى ان يحصر في مكان ، لا يستطيع النجاة منه ، او اللجوء الى جواب قد لا أرتضيه ، أو لا يحسده عليه القراء ...

ولا أعدو جانب الحق ، اذا أنا اعترفت ، انني كنت في كثير من اسئلتي ، اتعمد أن يضع الاستاذ الريس النقط فوق الحروف ، لا أن يقول كلاما للاستهلاك ، لا يحسب له او عليه .. بل الواقع انني كنت أعتمد في اسئلتي له على الحصر ، بحيث لا يستطيع أن يروغ مني ، او ان يفلت هو من أمامي ، او يفر من بين يدي ...

والاستاذ الريس ، مع كل هذا ، أجاب اجابة شافية ، تعد نموذجا ومثلا ، ان نحن وضعناها موضع المفاضلة ، أو على الصعيد السوي الذي يعيش فيه في واقع الادب ومع الادباء ...

فمما يزيد في نظري ، ويجعل لهذا الحديث قيمة ان الاستاذ الريس ، بعيد عن الاضواء وان كنا قد عرفناه في سنيه الاخيرة في مجلة « قافلة الزيت » كاتبا ناعم الملمس ، ألمعي التفكير ، أشيب اليراعة في نفثاته وتوجيهاته ولمساته ، لم يتهافت هنا أو هناك ، أو يعوم مع العائمين من ضلال الادب ، في بحر التطفيل أو تجري رجلاه في كتائب المتطفلين الذين يهمهم النفع العاجل ولو على حساب الكرماء، وان تكلفوا في ذلك التنقل من مكان الى مكان ، أو المجاملة أنى تكون.!!

وحسبي ، وحسب القارىء ، ان أقدم له رجلا ، يقدر الكلام ، ويصنع الاقلام ، ويصطلي كل يوم برسائل القراء والكتاب الكرام ، وهو جديد بالتقدمة ، قمين بالقراءة ، حري بأن يكون طلعة بين الحريصين على سيادة القلم ، المعزين لدولة البيان ...

ـ في أي المدارس تعلمتم ، وهل العلم في نظركم كاف لتكوين شخصية المرء ؟

ـ العلم الذي يتلقاه الفرد في أحد المعاهد لا يكون جزءا من شخصيته ما لم يتفاعل في بوتقة الفكر الخلاق مع كثير من الخبرات وشذرات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعرفة المستقاة من مختلف مدارج الحياة ودروبها . حتى قال بعضهم ان المرء يخلق العلم ولا يأخذه من غيره ، ولعل في هذا اشارة الى المجهود الذي يبذله الفرد في الحصول على العلم والوصول الى المعرفة.

وعندما ينظر احدنا الى أيامه الخوالي مستعيدا ما علق بذهنه من علم في وقت تركه المدرسة يدرك مقدار ما كان عليه من جهل في تلك الفترة التي يبدأ فيها بالتحول بين مرحلتين هامتين من مراحل حياته مرحلة تلقي العلم ومرحلة خلقه والتحكم به وتطبيق اسسه ، او قل مرحلة التتلمذ ومرحلة الاستقلال الذهني الذي يبدأ فيها المرء حياته العلمية الجديدة التي يكون فيها التلميذ والمعلم شخصا واحدا .

ولعلني في هذه الاجابة خرجت قليلا عن موضوع السؤال .. لقد تلقيت العلم في الجامعة الوطنية في عاليه ، لبنان ، وبدأ حب الادب يدب في عروقي في سني الشباب الاولى . ورست قواعد هذا الحب نهائيا اثناء المحاضرات الطويلة الشائقة التي كان المربي الكبير المرحوم مارون عبود يلقيها علينا في فصول الادب واللغة العربية . وكان رحمه الله حجة في الادب العربي والنقد الادبي وهو علم لا يحتاج الى تعريف. وبعد هذه الفترة انطلقت في طريق تختلف كل الاختلاف عن الطريق الاولى ، اذ اتجهت اتجاها علميا ودرست هندسة الكهرباء ، ولكن الحنين الى الادب عاد يخالجني فعدت الى ميدان الادب واشتغلت في الكتابة والصحافة الادبية . وما لم اتعلمه على مقاعد الدراسة عن هذه المواضيع جهدت في الوصول اليه عن طريق المطالعات الكثيرةوالدراسات والابحاث . ولا يفوتني ابدا ان اذكر انني في بداية الطريق ، طريق المعرفة الطويل ، انظر اليه فلا أرى له نهاية ، وكل ما يبدو امامي آلاف ممن سبقوني اشواطا طويلة قد لا يكون لي امل في اللحاق بمواكبهم . ولكن يكفيني الاقتداء بهم ضمن طاقتي الشخصية وامكاناتي المحدودة .

ـ ما هو العمل الادبي الاول الذي دخلتم به الحياة ؟

ـ لقد دخلت باب الادب عن طريق الهواية ، بكتابة مقالات ادبية نشرت في بعض الصحف والمجلات ، ولم احترف الادب او الصحافة بالمعنى الصحيح قبل عملي في « قافلة الزيت » التي كرست كل جهودي ونشاطي خلال السنوات العشر الماضية كعضو عامل فيها .

ـ بماذا تسهمون في هذه المجلة ؟

ـ قافلة الزيت تصدر عن ادارة العلاقات العامة بشركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) الظهران ، ويرئس تحريرها الاديب السعودي المعروف الاستاذ سيف الدين عاشور . اما انا ، فبحكم عملي كرئيس لقسم الصحافة والنشر العربي ، فلي اشراف اداري على القافلة ضمن اعمالي الاخرى ، وان كنت اساهم في اخراجها وتحرير مقالات فيها كلما سنحت الظروف بذلك .

ـ ما هي الموضوعات التي تعجبكم في القافلة ؟

ـ ان الاجابة على هذا السؤال بالتحديد في غاية الصعوبة . وجميع المواضيع التي تظهر على صفحات القافلة مدروسة دراسة وافية ومحددة بشكل دقيق بحيث تجمع نسبا معينة من العلم والادب والتاريخ والصناعة والاستطلاعات التي تظهر نواحي صناعة الزيت ومظاهر التقدم والعمران في المملكة العربية السعودية . ونحن دائما نراجع محتويات القافلة بشكل واف لنتأكد من انها تسير ضمن المخطط العام وتجمع بين الفائدة والمتعة والذوق الفني الرفيع . ولذا يمكن ان اقول بأن كل محتويات القافلة عزيز الى نفسي والى انفس اعضاء اسرة تحريرهاكافة.

ـ هل لكم اتجاه معين في نشركم وقبولكم لهذه الموضوعات ؟

ـ المبدأ الاول الذي تضعه اسرة التحرير امام نواظرها فياختيارها المواد الواردة اليها الفائدة العامة والجدة والطرافة ، وهي لا تنظر الى العمل الادبي الوارد اليها الا من وجهة موضوعية بحتة . ونحن نحاول قدر الامكان الابتعاد عن المواضيع الجدلية او التي تتنافى وانظمة المطبوعات في المملكة العربية السعودية او الشريعة الاسلامية او التقاليد العربية الموروثة . كما أحب ان اضيف ان اهم ما نتحاشاه الامور السياسية والادب العاطفي المكشوف الذي يمجه الذوق والذي بدأ يتكاثر ويروج في اسواق الادب والتاليف .

ـ من هو أهم كاتب في نظركم ؟

ـ اهم كاتب في نظري هو الكاتب الذي يكتب بصدق واخلاص ، والذي يخلق أفكارا جديدة ويجمع بين الفن والبلاغة والعلم . والكاتب الذي احترمه هو الكاتب الذي يدرس موضوعه جيدا ويجري عليه أبحاثا وافية مهما اقتضى ذلك من جهد ووقت حتى يكتمل ، ويخطط لافكاره قبل ان يشحذ قلمه ، وهو الذي يضع الكيف قبل الكم ، ويعرف ان القارىء ليس ادنى منه معرفة وان هذا القارىء يريد ان يخرج من مطالعة المقال او الكتاب بفكرة . وأحب كاتب الى نفسي ذلك الذي يحافظ بكل ما أوتي من مقدرة على تراثنا العربي ويحاول ان يتمشى مع القول العربي المأثور « خير الكلام ما قل ودل » وخاصة في عصر السرعة هذا الذي نعيشه .

واذا كان لا بد من ذكر اسماء ، فانا اذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر الاديب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد الذي اثرى المكتبة العربية بمؤلفات تحمل من العلم اعمه وأجوده ومن الفن أجمله ،والاديب الكبير المرحوم مارون عبود الذي علمنا كيف يمكن ان نقرب الادب الراقي من المستوى الشعبي العام دون ان نخفض من مستوى هذا الادب وهو افضل من يمكن ان يدرسه بعض الادباء الشبان والشعراء الذين حاولوا التجديد فكادوا يخدشون مرآة الفصاحة والبيان . ومن ادباء الدرجة الاولى لدينا الدكتور طه حسين الذي ارسى للادب قواعد علمية ، وهو مدرسة بحد ذاته وكذلك الكاتب الفيلسوف ميخائيل نعيمة واعضاء الرابطة القلمية وغيرهم كثيرون . ومن الادباء الاصدقاء الذين ينالون اعجابي واحترامي الشخصي عدد كبير لا يتسع المقام لذكر اسمائهم جميعا هنا كامثال الاستاذ محمد عبدالغني حسن والدكتور الحوفي والدكتور محمد صبري والاستاذ وديع فلسطين والاستاذ محمد صالح

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

قريبا يصدر الجزء الثاني من

الحرب العالمية الثانية

لريمون كارتييه

اخراج رائع وترجمة موفقة

الثمن ٥٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابراهيم والاستاذ لقمان يونس وعدد من كتاب المملكة العربية السعودية وغيرهم كثيرون لا يمكن ذكرهم جميعا هنا لضيق المقام . وقد ذكرت هذه الاسماء على سبيل المثال لا الحصر ..

ـ لو قدر لقافلة الزيت ان تغزو السوق الادبية بثمن .. هل تعتقدون بنجاحها ؟

ـ اذا كان النجاح هنا بمعنى النجاح المادي المرتكز على الاعلان والتوزيع فليس بامكاني اعطاء رأي صحيح لان التجربة اكبر برهان ، كما هو معروف ، اما اذا كان هذا النجاح مرتكزا على كفاءة القافلة واكتمالها من حيث المادة والاخراج فأنا لا اشك في هذا مطلقا .. وفيما لو تقرر مثل هذا الامر المستبعد الحصول ، وجب ادخال تعديلات طفيفة على بعض المواد واضافة ابواب جديدة . ونحن غالبا ما نتلقى دراهم او اسئلة عن قيمة الاشتراك .. اننا نعيد الدراهم طبعا وانما هذا دليل على قبول الجمهور للقافلة ، ولكن لا يفوتنا يا استاذ زيان ان نذكر ان سوق الادب الراقي اصبحت مهددة بالبوار في عالمنا العربي ، فهل سمعت بصاحب مجلة ادبية أثرى من عمله ؟ اذا كنت سمعت فاسأل الاستاذ الكبير البير اديب الذي يصدر مجلة ادبية من ارقى المجلات وانجحها ، اساله عن حاصل ثروته خلال ربع قرن وتعرف الجواب .

ـ هل تؤدي المجلات التي تظهر في العالم العربي تباعا الغرض من اخراجها ؟

ـ المعروف طبعا ان لكل مجلة هدفا واسلوبا يبرر بقاءها ، او هذا ما يجب ان يكون . ولمعرفة الاجابة على سؤالكم يجب ان ندرس اهداف كل مجلة ادبية ونقارن بين هذه الاهداف وبين النتائج التي وصلت اليها هذه المجلات . فهناك مثلا المجلات التي تسعى لنشر الادب الراقي وهناك التي تسعى وراء هدف سياسي معين بنشر مقالات تثبت نظريات خاصة، وهناك التي تسعى للحفاظ على تراث العرب الادبي والفكري ، وهناك التي تنشر الشعر الحديث بغية توسيع الاستفادة منه ، وهناك مجلات تسعى وراء نشر اللغات الاقليمية وغيرها كثير لا مجال لحصره هنا . الاجابة على هذا السؤال اذن تحتاج الى دراسات واحصاءات ليست متوفرة لدي .

ـ ان على رؤساء تحرير هذه المجلات واجبا ، فما هو ؟

ـ ان الواجب الاول امام رئيس تحرير أي صحيفة الخدمة العامة التي عليه ان يضعها دائما قبل المصلحة المادية . والاخلاص في العمل ضرورة كما ان ارضاء الضمير ضرورة اخرى . وعلى رؤساء التحرير ، بحكم تأثيرهم على الرأي العام ، واجب قيادي يجب عدم الاستهانة به وعدم استغلاله الا فيما يرضى عنه الضمير والمصلحة العامة .

ـ هل تعجبكم الاقلام التي تحتل صدارة هذه المجلات ؟

ـ انني شخصيا تعودت الا أنظر الى العمل الادبي من حيث اسم الكاتب او شهرته وانما من حيث قيمته الفكرية والفنية . واذا صح ان نغير السؤال قليلا اقول ان المجلات الادبية الراقية تحمل بين طياتها الشيء الكثير من المادة الدسمة التي ينتظر القارىء ان يراها في مثل هذه المجلات .

ـ ما هو احساسكم بالنسبة لرد مقال الى صاحبه ؟

ـ في العادة ينظر الى المقال المرسل الى أي صحيفة او مجلة من حيث الموضوع والقيمة الفنية او الفكرية المتوخاة منه ، ولذا عندما يقبل مقال او يعاد الى كاتبه فالمسالة تكون مجرد تقويم للعمل الادبي من حيث مناسبته للنشر في مكان معين او عدم مناسبته ، ولا مجال لادخال العواطف والاحساسات في هذه المسالة .

ـ بماذا تنصحون الكتاب الذين يبعثون اليكم بانتاجكم او تطلبونه منهم ؟

ـ نصيحتي لكل كاتب في كل مجال هي نصيحتي لنفسي أيضا عندما اكتب ، الاجادة في العمل مهما اقتضى ذلك من وقت وجهد . اذ ان الحرف المكتوب ذو قيمة واهمية . فالقارىء يبذل وقتا في قراءة ما تقدمه اليه المجلات والكتب وله على الكاتب حق يجب الا يبخسه اياه . انه يريد ان يقرأ ما يمتعه ويزيده علما ومعرفة ، فلنعطه ما يريد ، ولنحترم فيه هذه الرغبة فلا نضيع وقته بكلام كثير لا طائل تحته او بآراء شخصية غير مرتكزة على علم وتجربة ، او بافكار نكتبها قاصدين منها مصلحة معينة خدمة لميل او مشرب .. لنترك كل هذا جانبا ونعطه البحث العلمي المدروس طاهرا نقيا من كل شائبة .

القاهرة **ابو طالب زيان**

●

قصة ((الاديب)) قصيرة

تنادى ادباء العرب ، في كل مدينة وقطر ، في المواطن والمهاجر، للاحتفال بتكريم اديب عانى الادب ، وحمله على كتفيه طوال خمسة وعشرين عاما ، مشقة وعناء ، وهو الاستاذ البير اديب ، صاحب مجلة «الاديب» في بيروت .

وليس من الامور اليسيرة او المالوفة على الاقل في شرقنا العربي ، وربما في الشرق قاطبة ، ان يرابط ويصابر في ساحة الادب ، أديب، ينهض باعباء عمل نشري جدي فادح ، منفردا ، لا تثنيه صعاب ، ولا تحوله عن عناده مشوقات الارزاق الميسورة، ونداءات الكروم على الدروب.

خلال خمسة وعشرين عاما من تاريخ النشاطات الادبية في بلاد العرب ظهرت مئات المجلات الثقافية ، وتوارت مئات . منها ما عاش خمسا وعشرا ، فكان جبارا عنيدا ، ومنها ما ثابر اربعا او ثلاثا ، فكان مناطحا مكابرا ، ومنها ما عاش سنة قمرية بين اول رمضان وآخر شعبان ، فقيل آتم الحول ، فبسملوا له ثم حوقلوا . ومنها ما تصرم بين شهر وشهر، وصباح ومساء ، كطيف تداولته انوار وظلال ثم توارى. ومنها كذلك ما بدل من اهابه ، وغير من قبلة محرابه شكلا ومضمونا ، وطولا وعرضا ، وأصلا وفصلا من الوسط الى اليمين ،ومن اليمين الى اليسار ، ومن فوق الى تحت ومن أدب صرف الى ادب ممزوج بالسياسة ، ومن سياسة صلبة كالسيوف الى فن طري كهدب العيون . وزخرت مجلات الثقافة بكواكب السياسة ، والشاشة ، حتى اصبحت مجلة كالاديب ، على وجه الكرة العربية ، نموذجا لاندحار التطور ، وظاهرة عجيبة من ظواهر الثبات المجوج والصبر المكروه والحرون الملعون .

وعندما اكتشف بعض الرفاق عن طريق الصدفة ، أن ثمة على الشاطىء اللبناني مجلة تدعى «الاديب» وصاحبا لها يدعى ((البير اديب)) أذهل الاكتشاف جمهور الناس ، فأقبل حوله المتطفلون والمصورون ، والمشفقون على العتيق من الجديد او على الجديد من العتيق . واحاط به جمهور من الخبراء ، والاطباء والوسطاء كأنه هبط على التو ، في الاطلسي بمظلة تحمل جيمني ١ .

وعندما سأله الصحافيون : حدثنا عن هذا الصندوق العجيب الذي حملك في الفضاء .. مع جميل الكلام والهواء ، ربع قرن طويل . حدثنا .. عن انعدام الوزن لكثرة الاقتصار ، على قلة الغذاء ...اجاب: ذرعت الفضاء بالطول وبالعرض ، فلم أر أعجب من سكان هذه الارض .

فصفقوا طويلا للتصريح . وأغلب الظن ان المحتفلين سيحملون رائد الهواء ((البير اديب)) على الاكتاف .. وأما مركبة ((الاديب)) ، فسيتركونها تغرق ..

المهم انهم احتفلوا ، يا سيدي .

وليس المهم ان يعرفوا لماذا ؟!

نعيما .

مجلة «المعرفة» ـ دمشق **فؤاد الشايب**

رئيس تحرير مجلة ((المعرفة))



محمـد اديب العامري

صفات الرجـل العصري

بقلـم محمد اديب العامري

* * *

الرجل العصري رجل يتصف بروح الزمن الذي يعيش فيه ، ويدرك ريح التغير التي تهب من حوله او تعصف بالبلاد التي ينتمي اليها او بالعالم الذي يحيط بـه .

ويخطر ببالنا الرجل العصري ، او المعاصر ، اكثر ما يخطر حين نعاين الفرق المعهود في التفكير بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة التي تسيطر عادة على مقاليـد الامور في العائلة والمدرسة والمجتمع جميعا . وكثيرا مـا يتخذ هذا الفرق شكل الملاحاة او الصراع فتندفع الاجيال الجديدة بعلمها الحديث وعاداتها المبتدعة ترى في هـذا وذاك من العلوم والعادات والاراء ما يحملها على الاعتقـاد بامتيازها ومجاراة ميولها لمقتضى الزمن ، فتتعجل الامور لتحل محل الاجيال القديمة وتحاول المشاركة في العمـل العام او المبادرة للقيادة والسيطرة . ووضع كهذا لا بـد وان يؤدي الى الخلاف والصراع وشيء من النفور والكراهية.

ورجل الجيل القديم الذي لا تتطور عقليته ولا يرضى بالتغيير عرضة لهذا الصراع اكثر من غيره ، وخاصة اذا كان الفكر الذي يحمله شباب الجيل الجديد صحيحـا ينسجم مع التطور الطبيعي والتقدم الاجتماعـي لحيـاة البلاد . واذا اضحى المجتمع في ظاهراته الرئيسية وفـي اي فترة من فتراته نهبا مقسما بين رجل قديم غير متطور وشاب حديث غير واع فقد ساء الحال واختل الامـر ، كما يسوء ويختل الان في بعض المجتمعات العربية والاجنبية.

اما الرجل العصري فيختلف عن هذا وذاك . يختلف عن الرجل التقليدي في ان عقليته وشخصيته تتطوران مع الزمن ، ويختلف عن الشاب الحديث في انه يعي ما يعيه هذا الشاب من فكر متطور ورأي حديث ، ويزيد عليه في انه يغترف من خبرة الماضي ويتطلع الى آفاق المستقبـل تطلعا يمكنه من البصر بشيء مما يحمل هذا المستقبل في ثنايـاه .

وقبل ان نزيد صفات الرجل العصري ايضاحا نقول ان الرجل العبقري في هذا المضمار يختلف عن الرجـل المعاصر في انه احد رؤية لما سيتطور اليه العالم خلال فترة طويلة من الزمن ــ اطول من الفترة التي يستطيع الرجل العصري ان يلم بها او يكتنه تطوراتها . ومع ان تنبؤات الرجل العبقري تكون ابعد غورا من تنبؤات الرجل العصري، فانها تكون في معظم الحالات محدودة النطاق وتقتصر على جانب من الحياة يتعلق بالجانب الذي يبرز العبقري فيه.

والرجل العصري رجل غير عبقري في الغالب ، غير انه في الوقت نفسه رجل اكثر من عادي ، اذ هـو مـن الطبقة الممتازة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن ذوي الذكاء والخبرة بنواحي الحياة المختلفة .

واولى صفات الرجل العصري في نظري هي ايمانـه بالفكرة التطورية . والتطورية افقان : الاول منهما هـو الذي تمنحه الفكر نظريـة التطـور العضـوي المعروفـة لداروين . والثاني ، وهو الاوسع ، هو الذي ترى منـه الكون مشمولا بسنن التطور في سائر اجزائه العضويـة وغير العضوية والاجتماعية . ورجل التطور ، حتى بالمعنى الاول ، يستطيع ، وقد وعى تطور الحياة العضويـة ، ان يخطو من نفسه خطوة اخرى فيرى معها تطـور الحيـاة الاجتماعية في الوسط الذي يعيش فيه . ان الرجل الذي رأى كيف سرى شعاع الحياة من ابسط اشكالها فـي الاحياء من ذوات الخلية الواحدة الى اعقد هذه الاشكـال في الدماغ البشري لا يجد صعوبة مثلا في امكان انتقال الحياة البدوية الى حياة المدنية الراقية ، لانه رأى خطوات من التطور تتم وهي على جانب من الصعوبة والتعقيد يفوق هذا الجانب . انك لا تسمع من الرجل العصري اذن قولا بان حياة البدو « خلقت هكذا وستظل هكذا » ، لا يمكـن تطويرها الى حياة الحضر ، او ان حياة القرية لا يمكـن تغييرها وتحسين شكلها ، وذلك لانه رأى ببصره وبصيرته عملية التطور عضوية واجتماعية . ورجل التطور لن يقول لك ان البلاد العربية لا يمكن تصنيعها ، حيـث يقتضـي الامر التصنيع ، لانه عاين عملية التصنيع تنشأ وتنتشـر في بلاد عديدة اخرى تشبه بلاد العرب او لا تشبهها . ورجل العصر لن يقول لك ان العقل الاوروبي يختلف عن العقل الشرقي او العربي ، او ان في الدم خلافا يميـز

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينهما ، لانه اطلع من سنة التطور وعلوم الحياة ان العقول او الدماء لا تنقسم على اساس شرق وغرب او شمال وجنوب .

على انه من المهم ان نلاحظ هنا ان نظرات شباب الجيل في دراسة التطور العضوي او التطور الكوني ترتكز عادة الى النظريات الاخيرة التي توصل اليها العلم في هذا الباب . وهؤلاء الشباب لا يلمون في الغالب بالفترة التي سبقت حياتهم بجيل او جيلين اكثر من المامهم بحوادث التاريخ الماضي ، لان هذه الفترة عندهم كالتاريخ ، لا يدرسونها الا كما يدرس المرء حوادث الماضي ووقائعه . اما الرجل العصري فيكون قد مر بهذه الفترة في شبابه وثقفها ثقافة كاملة ، فاذا اضاف اليها اطلاعه الحسن على ما قد اطلع عليه الشباب في دراساتهم الحديثة وخبراتهم الجديدة فانه يكون في موقف مماثل من قابلية الفهم والتطور ، او ربما كان في موقف افضل حقا ، وهو الاجدى ، لان الامة والمجتمع بحاجة اكثر الى من تفهموا ثقافة الحاضر واختزنوا ثقافة الماضي .

فاذا كان الامر على ما اشرنا فان الرجل المعاصر ذا العقلية التطورية لا يبلغ هذا القدر الا وقد استمر في المطالعة والخبرة استمرارا يمكنه من تفهم عقلية الجيل الجديد فيستطيع بذلك ادراك عقلية هذا الجيل والتعبير عنها وادراك مشاكلها ومسايرة حياتها ، ومن ثم ريادتها وقيادتها .

ومن الامارات القريبة على ذلك ان الرجل العصري لا يصطدم باولاده متى ترعرعوا وشبوا واصبحوا من ذوي الراي ، بل هو يصادقهم وينفتح لهم فلا يجد حرجا مما يقولون او يرتؤون . وهو من بعد يستطيع ان يدرك الحوافز الصحيحة للاجيال الجديدة فيتمشى معها بل يشاطرهم اياها . ولسنا نقول ان رجل العصر يجب ان يعترف بانحرافات الشباب في السلوك العابث او الراي الفج ، بل هو يقاوم ذلك ويرد الاجيال الجديدة عنه ، وبخاصة هذا الهروب من الحياة ومسؤولياتها الذي نعانيه في بعض الاجيال الجديدة في الشرق والغرب .

واذا كان هذا موقف الرجل العصري فانه لا يشكو شكاة الفنان الالماني لدويج ريتشر حين قال وهو في الستينات من عمره : « اننا معشر الفنانين نشعر بالغربة ، لاننا في الحقيقة لا ندرك ما يقوله الاخرون من حولنا ، ولا هم يدركون ما نقول . ان ما نحترمه ونحبه ونحرص عليه من الاشياء لا يحرك في الاجيال الجديدة شعورا ولا يثير رايا . اما الامور التي يجدون فيها قيمة وتحفزهم الى الاعجاب والمسرة فلا تثير فينا الا قليلا من الاستجابة ، بل انها غالبا ما تصدم احساسنا فنجد فيها ما يستدعي الاعتراض » .

ورجل العصر رجل يتبع طريقة العلم في تفكيره وخطواته وسيره . ولست اقول « الطريقة العلمية » لان هذه اسلوب معروف في التوصل الى المعرفة في علوم محدودة قائمة على التجربة مثل الفيزياء والكيمياء . ولكني اتوسع في التعريف فاقول « طريقة العلم » على اساس اقتباس خطوات الطريقة العلمية والاستفادة منها في دراسة فروع المعرفة كافة . وخطوات الطريقة العلمية معروفة ، فهي تبدأ ، عند دراسة مسالة ، بجمع الحقائق والشواهد عن تلك المسالة ، مهما تشعبت هذه الحقائق وتباعدت ، ثم تنسق الحقائق لمعرفة ما بينها من ترابط او تعارض ، ثم تصنف حول المسالة التي تقع تحت الدراسة ، فاذا ظهر فيها راي ترجح هذا الراي في نظرية . ثم يأتي تطبيق هذه النظرية ، فاذا توافرت لها الشواهد المؤيدة فقد تصبح مذهبا وطيدا لا يبتعد الا قليلا عن الحقيقة الثابتة او القانون العام . فاذا كانت الحقائق الجديدة والشواهد التي تتبين مع الزمن مصداقا للمذهب توطد واصبح قانونا من قوانين الطبيعة او الحياة . والاساس الشامل في الطريقة العلمية هو المشاهدة والتدقيق والقياس وغيرها ، لا السماع ولا الشائعة ولا مثل ذلك . وتتلخص طريقة العلم حين تتمكن من انسان في ان يصبح مجردا عن الهوى والعاطفة محبا للحق والحقيقة يقيم استنتاجاته على البينات الحسية والادلة القطعية .

ورجل العلم يتمكن من الطريقة العلمية فيتبعها في حياته الواقعية . ومن هنا يقل تحكيمه لعاطفته ويشتد تمحيصه للامور ، ودقته في النظر والقياس والمراجعة ، الى ان يصل الى راي قاطع يكون صحيحا او اقرب ما يكون الى الصحة . ورجل العصر يتسم بالبعد عن التعصب لرايه وتقل في نظره قيمة نفسه ـ القيمة القائمة على العنجهية والكبرياء ، فيكون متواضعا وتضعف لديه الروابط القبلية لتحل محلها روابط المحبة والصداقة لافراد العائلة وللمواطنين وغيرهم على السواء . ومن هنا ايضا يتجه اهتمامه الى الفكرة لا الى الشخص والى المؤسسة او المعهد لا الى العشيرة او القبيلة ، والى الصالح العام لا الخاص ، ويذوب عمله في سبيل المجتمع والامة فيصبح هذا في مستوى الواجب الاجتماعي لا النفع الشخصي ، كما يصبح قانعا يؤثر من دنياه الكرامة والعيش الكافي والثقافة والعلاقات الصحيحة .

والرجل العصري متفتح على العالم الجديد متطلع الى احدث التطورات . وسبب تفتحه هذا وتطلعه هو احاطته بهذه التطورات . وسبيل الاحاطة هو المطالعة والاتصال والاسفار والمشاهدات . ان هذه الاحاطة نفسها تفضي الى انتهاء المقاومة التي يجدها الانسان عادة من نفسه لقبول التجديد والتغيير . ومن هنا كان رجل العصر غير معارض للتغيير ، بل يتولد عنده مع الزمن ميل اليه ومحبة له . وبسبب من هذا تنتفي منه فكرة المحافظة على التقاليد البالية ، بل تتولد لديه نزعة تحفزه الى مجاراة التطور الحضاري . وهنالك اسباب بالطبع عميقة تولد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عند الرجل التقليدي كراهية التطوير والتغيير . فالذي تتطلبه طبيعة الاشياء من الرجل العصري يقتضي جهدا لا يرغب الرجل التقليدي في بذله ، لان التخلي عن المألوف الذي اصبح عادة مستحكمة يقتضي ، كما هو معلوم ، اكتساب عادة جديدة او اتباع سلوك آخر ينطويان على جهد ، وقد يعرضان صاحبهما للنقد والكراهية . والارجح ان لا يكون الرجل العصري محبوبا في الوسط الذي يعيش فيه . وهذا في حد ذاته يؤثر بعض الشيء على نجاحه في بلوغ اهدافه ، ولكنه لا يكسف صفات النجاح التي يتحلى بها . والرجل العصري يقتفي في الغالب اثر الغرب فيما وصل اليه هذا الغرب من تطور وتغير في وسائل انتاجه وطراز حياته ، وقواعد تفكيره . والغرب في الشرق مكروه كرها عاما يمتد اثره الى الذين يتمسكون بشعائر الغربيين في اسباب حضارتهم وشكلها . وما يزال في الشرق ـ العربي وغيره ـ فئات كبيرة تكره في الغرب كل شيء او تكره فيه اشياء كثيرة لاسباب تاريخية ودينية ، اهمها ما جنى الغرب على الشرق في استعماره الشائن مما لا تزال ذكرياته الاليمة عالقة بالاذهان تستعيد معايبه ومثالبه .

على ان تفتح رجل العصر على العالم الجديد لا يعني التقليد الاعمى . فالرجل العصري لا يقلد لان نظرته الى الامور علمية ، ولذا فهو يتنزه عن التنكر لشيء من بلاده اذا كان لهذا الشيء معنى وفائدة . وهو متفتح الذهن على لباب ما تنتجه الحضارة الحديثة يريد اقتباسه لبلاده ، اقتباس المتفهم المستفيد لا اقتباس المقلد الضحل . ولما كانت الحضارة الغربية اليوم هي التي تحمل المشعل الحضاري ، فلا بد من الاهتداء بهذا المشعل الذي حمله العرب قرونا طوالا فاقتبس الغرب من نوره اقتباسا واسعا خلال ازمنة متطاولة كانت تعلو في وجهه صيحات المستنكرين من الغربيين الذين نددوا بذلك الاقتباس « المعيب » عن العرب والمسلمين .

ولقد يلتبس الامر هنا على القارىء الكريم فيظن ان رجل العصر يجب ان يكون في مركز القيادة ، زعيما او واحدا من الزعماء في البلاد . ليس هذا هو الواقع ، وان كان رجل العصر لا يتصف بهذه الصفة الا وقد ارتفع عن الرجل العادي في بلاده واصبح في طليعة المفكرين واولي الراي والامر . واذا ظفرت البلاد بطبقة حاكمة تتصف بروح العصر على الصورة التي وصفناها فقد اوتيت حظا كبيرا ، وهي عندئذ متطورة تزداد من هذا التطور نصيبا كل يوم ، او متخلفة تأخذ هذه الطبقة بيدها الى معارج الرقي والتمدين . ومع ان رجل العصر ايجابي فعال يتقدم الى امام كما قلنا ليقوم بدوره كأنه واجب عليه ، فانك قد تلقى الرجل العصري الذي لا يحرك ساكنا ولا يزيل منكرا . هو عصري النظرة ولا شك ، ولكن عصريته منقوصة بقدر ما بين القول والعمل من مسافة لا يقبلها الناس كثيرا في هذه الايام .

والرجل العصري رجل عملي مخلص ، يريد ان تكون بلاده عصرية . وهو يرتكز في ذلك الى اسس اقتصادية ونظم سياسية ، وغايات تعليمية ومؤسسات اجتماعية ومثل فكرية فنية وروحية .

فالاسس الاقتصادية العصرية التي يقوم عليها تمدين البلاد ، او نقلها الى مرحلة « العصرية » ، تشمل في مثل احوالنا استغلال موارد البلاد كافة وتحضير البدو ورفع مستوى الريف وتحديث المدينة بطريقة التخطيط الشامل . أما النظم السياسية فيؤمن رجل العصر بما يوفر منها الديمقراطية الكاملة دون تردد أو مواربة . وأما النهضة التعليمية فينظر اليها رجل العصر على اساس قاعدة الماء والهواء . وأما المؤسسات الاجتماعية فتشمل سائر الوسائل الكفيلة باصلاح المجتمع على أسس من العدالة الاجتماعية ، لا على اسس من الصدقات والتبرعات أو ما شاكلها . وتشمل هذه ما اخذنا بطرف منه في الاردن وبعض البلاد العربية لانشاء نظم التأمين الصحي والضمان الاجتماعي وغيرهما . ويرى رجل العصر ما في النمو الثقافي والفني والروحي من تكامل مع مظاهر النهضة الاخرى وما يؤديه ذلك للمجتمع من سعادة وكرامة .

ان الرجل العصري مواطن لبلد ناهض أو لبلد يفذ السير نحو نهضة تشمل مظاهر النظافة والكفاية واللباس الحسن والمسكن الواقي الجميل ، كما تتجه نحو النهضة الزراعية الحديثة بالاتها الجديدة وانتاجها الوافر القائم قواعد علمية ، ونحو التصنيع الذي يملأ البلاد الى الحد الممكن بالآلة ، وما ينتج عنها من عمل يرفع الدخل الوطني بسرعة ويقوي ثقة المواطن بنفسه ويؤدي الى الاثار المتعددة التي تبدو على شخصية المواطن فتنقله من عالم الى اخر . ولا حاجة اليوم للقول بان البلاد العصرية تمتلىء بالمدارس والمعاهد والجامعات المختلفة على نحو يلبي حاجات المواطنين جميعا ، كما تمتلىء بالمستشفيات والعيادات ومظاهر الوقاية الصحية والعلاج انتشارا يوحي بان حاجات المواطنين قد قضيت او كادت . هذا وتنتشر في البلاد العصرية وسائل المواصلات على سائر اشكالها ، كالطرق المعبدة والتلفونات ووسائل النقل الصحافية والاذاعية وغيرها .

ولا نحتاج الى مزيد من التعداد لمظاهر المدنية الحديثة التي يسعى اليها الرجل العصري . فلو زرت بلدا اوروبيا راقيا كالسويد او المانيا او بريطانيا لبدا لك شيء مما نقول ومما يعتبر هدفا لطالب المدنية الحديثة يتناوله كله على الارجح ، دون ان يستطيع التخلي عن شيء منه ، اللهم الا ما كان متصلا بالتراث الديني أو القومي أو الاجتماعي الذي يظل جزءا من كيان الامة على الرغم من تمسكها باهداب التمدن

الحديث ، وان كان هذا التراث نفسه يخضع للتعديل الذي تحدثه المدنية على هذا التراث .

ولا يستطيع رجل العصر ان يحقق شيئا مما يراد منه الا اذا تذرع بوسائل عملية لبلوغ الاهداف التي تحدثنا عنها . فالايمان بهذه الاهداف واذاعتها بين المواطنين أمر ضروري ، اذ ان ارادة رجل العصر ومن يماثله من طليعة المفكرين لا تكفي وحدها لبلوغ الشكل الحديث لحياة الناس ، بل ان كل مواطن يجب ان يقوم بنصيبه منه ، وعلى قدر ما يؤمن الرجل العادي بامكان التحسن والتطور والانتقال من دور الى دور تسهل مهمة القيادة العليا للمجتمع التي يقف رجل العصر في صف مع رجالها ونسائها .

وتحتاج هذه الاهداف الى وسيلة اخرى شاع ذكرها في الدول الحديثة، نامية وغير نامية ، الى درجة انه ما من امة تحترم نفسها اليوم ، على حد قول هـ.ج. ويلز ، الا وتتحدث عنها ، الا وهي التخطيط . وليس التخطيط الا توجيها لجهد العاملين في تقييد وتصميم الى الهدف الذي يرسمه رجل العصر ، وهو دليل النية الصادقة على بلوغ هذا الهدف في زمن معين .

ويجب ان لا يوحي قولنا هذا بان رجل العصر رجل اقتصاد سياسي وحسب ، بل قد يكون فنانا انصبت حواسه على فنه وحده . ولكن فنه يكون منقوصا حين تنقطع صلته كل الانقطاع عن كل فن من الفنون الاخرى أو عن العلوم أو عن الحياة الواقعة . وقد لا يكون مطلوبا منه ، وهو فنان محصور ، ان يلم بشيء من الفنون الاخرى والعلوم والاجتماع . ولكنه اذا جهل هذه الصلة وموقعه منها اضاع شيئا كثيرا من صفات الرجل العصري .

وقبل ان نختم هذه الكلمة نشير اشارة خاصة الى صفات فردية يتصف بها الرجل العصري لا نستطيع في الغالب الا ان نتصورها فيه . وتتعلق هذه الصفات بقواعد التحضير أو التمدين الذي تحدثنا عنه وعن مظاهره ، وبالغايات التي تفضي اليها هذه القواعد .

فانت لا تستطيع بعد كل ما ذكرنا ان تتخيل رجلا عصريا دون ثقافة . وحتى هذه الثقافة يجب ان تكون نزاعة للتطور والتغير والتقدم . وانت لا تستطيع ايضا ان تتصور ثقافة لرجل عصري منفصلة عن الحضارة الغربية التي تقود العالم في الوقت الحاضر كما اسلفنا، ثقافة تلم بالاقتصاد والسياسة والاجتماع والتعليم الماما واسعا وتتعمق ناحية من نواحي المعرفة نقطة ارتكاز لهذه الثقافة . وطبيعي ان تكون ثقافة الرجل العصري منسجمة مع هدف الحياة الايجابي كما أشرنا ، اذ الحياة التي تحياها امة ما هي الا مرآة تنعكس عليها مرحلة تطورها وتغيرها . وهذه المرحلة ذاتها قابلة للتغيير ، واتجاه تغيرها هو الى الامام . ولذا كان رجل العصر الحقيقي متفائلا يتطلع دائما الى مستقبل أفضل ولا يتصور الردة والتخلف أو يرضى بهما .

والرجل العصري يؤمن بالعمل . فاذا تركنا الرأي الفلسفي القائل بان الحياة لا تعني شيئا بلا عمل ، فان طباع رجل العصر مفطورة على العمل والدأب في سبيل الاهداف التي يلتزم بها . وفي هذا الصدد يرى انكلس عضو الاكاديمية الاميركية للعلوم والفنون ، الذي أوحى لنا هو وزملاء له بفكرة هذه المقالة ، ان الرجل العصري يلتفت الى الحاضر والمستقبل ولا يلتفت الى الماضي فيقول : « اننا نعتبر الرجل اكثر تمدنا وعصرية من غيره اذا رضي عن قاعدة التوقيت والتحديد ، أي عن قاعدة التقيد بالبرامج ، على اعتبار ان ذلك امر معقول بل مطلوب . يقابل ذلك الرجل الذي يظن ان القواعد الموضوعة والبرامج شر لا بد منه ، أو شر محض وحسب . فرجل العصر محافظ على الوقت ، منظم في شؤونه ومنسق في سلوكه » .

ورجل العصر الناضج يكون متواضعا عاملا يؤمن بالفضائل والقيم ، ويخلص لامته وبلاده ، ويثور على كل ما يقف في طريق تطورها من عوائق الاستعمار والرجعية وأسباب التخلف والفقر وسوء المظهر ، بل هو يرغب في ان يرى كل مواطن من مواطنيه متمتعا بكفايته المادية ، متحليا بثقافته الفكرية ، مزدانا بنضجه الروحي متمتعا بكرامته معتزا بنفسه وبلاده .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري

القيثارة

يا من غصصت كاعماقي بنجواك
هذي بقاياي أم هذي بقاياك
شحرورة الليل ما فحواك من حطب
وان شدوت بالواح وأسلاك
اذا الدروب تمطتها كآبتها
وهوم الليل في باب وشباك
سكبت كل صباح في محاجرنا
فمن تراه عن الاشراق أعماك
ها أنت في الركن مثل الركن مهملة
كاننا قبل هذا ما عرفناك
اين الحكايات أين الحب يبعثه
جمال لحن أطارته حناياك
لوح تفككه الواحا مبعثرة
كانها فكرة في رأس شكاك

الكويت — محمد الفايز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا شبابي!

لا تسالني عنه أين أضعته ... أنا حيث شئت له وشاء وضعته
غنيته نغما على وتر العلا ... وبكل أفق كوكبا أطلعته
لم أذره دمعا ولا صعدته ... لهفا على ماض به متعته
قد صنت أدمعه له فاذا مضى ... عني الشباب بدمعه شيعته

* * *

هذا شبابي في يدي بقية ... منه لقيت بها الجمال فرعته
هي فضلة السيف الصقيل بحده ... صارعت جبار الهوى فصرعته
غمدته بالحب الجفون كانما ... بالسحر من فتكاتهن طبعته
وكانني فضضته بمشيبه ... وبتجربات الدهر قد رصعته

* * *

لم القه شركا ولا أطلقته ... ربقا على صيد به أطمعته
شوقته للمعليات فرامها ... وبكل غاية سؤدد أولعته
وبه زهوت ، وما كسرت شموخه ... يوما ، ولا لمسلط أخضعته
والظلم ما داويته بشمائلي ... بل من عصارة خلقه جرعته
وهززت قائم عرشه كي يرعوي ... ولو انتقمت لعزتي زعزعته
اما البيان ولي تقاوة نسجه ... برء على لهب الجراح خلعته
تاج الفصاحة ، وهي تعرف ربها ... عنه أشحت بجبهتي ففجعته
نسجت عليه العنكبوت خيوطها ... عن مفرقي ، للزهد ، حين وضعته

* * *

اما الهوى ، فاذا سالت عن الهوى ... هو ليس اول جائع اشبعته
اكرمت عن مهوى الخضوع جبينه ... قسما ، وعن مجرى الدموع رفعته
واغر مثلك في المهى أتبعته ... خطوي ، ويخطىء من يقول تبعته
برئت حبالي منه ، أوقع نفسه ... فيها ، ويزعم انني اوقعته
اغراه ماء شبيبتي فاجتازه ... ظمآن يسأل عن دمي فمنعته
فاغتاظ يحدجني باحور فاتك ... من قبل أن أدمى به أدمعته
فغسلت سحر جفونه بدموعه ... ومن الغواية للهدى أرجعته

* * *

لملمته بالحزم عن أهوائه ... وعلى ارادة عزمه جمعته
وبه دفعت مزودا بطموحه ... وبه بلغت السؤل حين دفعته
وزها فما فرطت في ريحانه ... لا بل قطرت عبيره واذعته
أسكرت أيامي ولم أسكر به ... وبه وقرت أمام من تعتعته
نشأته في الفضل وفق تخيري ... حتى كأني باليدين صنعته
وكانما هو من خيالي صورة ... وكأنني من خاطري أبدعته
هذا شبابي ، أين سرت لقيته ... بسواك يا وطني وفيك أضعته
ان يعر من ورق الربيع فها انا ... بيدي على ورق الخلود طبعته
واذا الزمان نبا بجلدة وجهه ... عني ، رفعت مجلدي وصفحته!!

فارس سعد



نقـــولا يوســف

احمـــد خـــاكي

بقلـم نقـولا يوســف

يعرف المحدثون « احمد خاكي » رائدا من رواد الحركـــة التعليمية ، ومجاهدا في ميادين التربية والتعليم ــ عاملا على تطويرهما وتجديدهما طيلة الاعوام الاربعين الماضية من حياته ، تتلمذ عليه خلالها جيش من حملة المشاعـــل والشبيبة الصاعدة ــ مدرسا وناظرا ومديرا لمناطق التعليم ووكيلا اليوم لوزارة التربية .

كذلك يعرفه المخضرمون رائدا من رواد الحركـــة الثقافية العربية ، اسهم فيها بالقلم ، باحثا ومؤلفـــا ومترجما .. مزودا برصيد كبير من الاطلاع على الآداب الشرقية والغربية .. والواقع ان هذا المربي الاديب ، ظل خلال تلك الاعوام الاربعين ، يحرث الارض البكر بذراعين احداهما اختصها لميدان التربية ، والاخرى لميدان الثقافة، ولم يلق الى اليوم فاسيه ، مهديا ثمرات غرسه في هذين الميدانين المتصلين ، الى امته وبيته ..

ولد احمد خاكي في القاهرة عـام ١٩٠٨ .. وكان والده اديبا شاعرا ترك ديوانا من الشعر ، فشب ولـده يحب الادب ويتذوقه .. وتلقى بمدارس القاهرة تعليمه وفي منتدياتها واظب على حضور المحاضرات والتمثيليات .. وفي مكتباتها ثابر على المطالعات والدراسات ..

وعندما تخرج في كلية المعلمين العليا (قسم الآداب) عام ١٩٢٩ ــ مارس مهنة التعليم مدرسا ، ثم ما لبث ان ارسل بعد سنتين الى جامعة « اكستر » بانجلترة حيث قضى عامين في تجويد اللغة الانجليزية ، والاطلاع علـى ادبها القديم والحديث ، وكب على قراءة مؤلفات برناردشو وهاردي بخاصة .. وعاد الى وطنه عام ١٩٣٣ ليستأنف التدريس بالمدارس الثانوية ودار العلوم .. ثم كان عـام ١٩٤٠ مفتشا لهذه اللغة ، نقل بعدها ناظرا لمدرسة بـور سعيد الثانوية (١٩٤٤ ــ ١٩٤٦) وجعل هذه المدرســة نموذجية تسير على احدث النظم التربوية ..

وكان قد لمس خلال هذه السنوات ما يعانيه الطالب العربي في استيعاب هذه اللغة الاجنبية ، وما يلازمه فيها من ضعف حتى دراسته الجامعية ، فعمل بشتى الوسائل من توجيه وارشاد ومحاضرة ونشرات ، على علاج هـذا النقص ، ومن ذلك كتيب اصدره بالانجليزية عام ١٩٤١ بعنوان : « تقرير عن تعليم اللغة الانجليزية في المدارس ». كما بدأ ينشر سلسلة من الكتب الانجليزية يبسط بهـا للطلاب بعض القصص العالمي لتدرس في المدارس الابتدائية والثانوية ، وكانت تلك الكتب من قبل وقفا على جهـــود المدرسين الانجليز وحدهم .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها عام ١٩٤٦ حتى ارسلته وزارة التعليم لخدمة بلاده في الخارج، فكان وكيلا لمكتب البعثة المصرية بلندن ، ومديرا للمعهـد الثقافي بها مدة ثلاث سنين .. بعث بعدها ملحقا ثقافيـا ببغداد حيث قضى عاما .. فمديرا لمكتب البعثة المصرية في واشنطن وهناك مكث خمس سنوات (١٩٥٠ ــ ١٩٥٥). وهكذا قضى هذه الاعوام التسعة خارج بلاده مؤديا لوطنه جليل الخدمات :

ففي لندن كان يقوم الى جانب الاشراف على مواطنيه المبعوثين للدراسة ، ورعايتهم ، بالقاء المحاضرات العامة في شتى الاندية والمعاهد ، وفي لغة انجليزية بارعـــة ، لتعريف الانجليز بقضايا العرب وحقهم في الاستقلال وفي قناة السويس .. وفي فراغه كان يعد الكتب المدرسيـة والقصص الانجليزية المبسطة .. وفي بغداد كان يحاضر في الوحدة العربية ، ويضع الكتب الدراسية عن برناردشو، وديكنز ، وجالسورثي وهاردي ليحث على مطالعة الثقافة الرفيعة في اللغة التي يدرسونها الى جانب لغتهم القومية.

وفي اميركا لاحظ ظاهرة غريبة هي طغيان الثقافـة اليهودية على الفكر الامريكي اكثر من طغيان الاقتصـــاد اليهودي على الحياة الامريكية ، فعمد الى عقد النـــدوات والمحاضرات لتبصير الامريكيين بالروح العربية والثقافة العربية وحقيقة الاوضاع عامة مما كانوا يجهلونه كلية ..

وعاد احمد خاكي الى وطنـه مثقلا بالتجـــارب والخبرات ، والمطالعات والدراسات ، واختير كبيـــرا لمفتشي اللغة الانجليزية بوزارة التعليم فيما بيـن ١٩٥٥ ــ ١٩٥٨ .. واخذ ينشر الابحاث الادبية والمقالات التربوية في الصحف والمجلات .. كما انشأ عام ١٩٥٦ مجلة تربوية ثقافية تطبع بالقاهرة في اللغة الانجليزية باسم : «بوليتان»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ اي النشرة او البيان والتقرير ـ تتعاون على اصدارها « جمعية اساتذة اللغة الانجليزية بمصر » ، ويراس احمد خاكي تحريرها ، وينشر بها مدرسو ومفتشو اللغة الانجليزية المصريون ابحاثهم ، ويعرضون تجاربهم وآراءهم .. وكان مما نشره خاكي في لغة انجليزية بليغة رائعة ، (في عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨) مقالات عن :الجمهورية العربية المتحدة .. والعدالة في الاسلام .. وتحليل مسرحية « كرايتون » لباري .. وفي عام ١٩٦٠ :الوطنية الحديثة واصل الازمة بين الشرق والغرب .. والشعر كتجربة .. وافصوصة بعنوان : «السيد قايين» .. كما نشر بها عام ١٩٦١ محاضرة القاها بكلية النصر عن : الطفل الصعب الارضاء .. وحواء ملتون في فردوسه المفقود .. وغيرها من المقالات .

وكان قد عين مديرا لكلية النصر بالقاهرة فيما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ـ وكانت هذه الكلية القديمة انشاها الانجليز واستقلوا بادارتها ونظمها ـ ففاقت في عهدها العربي ما كانت عليه في عهدها السابق .

وواصل خاكي جهوده التجديدية عندما انتقل مديرا عاما لمنطقة جنوبي القاهرة (١٩٦٢ ـ ١٩٦٤) .. فمديرا للتعليم ووكيلا للوزارة بالاسكندرية (١٩٦٤ ـ ١٩٦٦).. فوكيلا لوزارة التربية والتعليم بالقاهرة منذ صيف ١٩٦٦ ولم يزل العامل في صمت واخلاص ، المتمتع في كل مكان بالتقدير والمحبة والثقة .. وكاد يهده الجهد والجهاد وهو يفني قواه في مسئولية الكفاح وتحمل الاعباء مدة ٣٧ سنة .

وبدا احمد خاكي حياته الادبية منذ حداثته طالبا بالمدارس الثانوية ، فكان ينشر بمجلة « النيل » الاسبوعية ترجمات لروايات : « برستر جون » و « جون باكستان » وقصص ملخصة عن تمثيليات شكسبير .. ولما عاد من بعثته بانجلترا عام ١٩٣٣ نشر في الاهرام ، والسياسة الاسبوعية عددا من المقالات والصور الاجتماعية .

وحدث ان اقيمت في شهر ابريل ١٩٣٥ مسابقة حكومية بين الكتاب في عشر موضوعات ادبية واجتماعية يختار كل كاتب واحدا منها او اكثر ، وعينت لها كبار المحكمين .. وكان بينها بحث عن « رسالة الازهر في القرن العشرين » اشرف على الحكم فيها المرحومون الاساتذة الشيخ المراغي ، والشيخ عبدالمجيد سليم ،وامين الخولي ، وعبدالعزيز فهمي .. واشترك احمد خاكي في هذه المسابقة واختار موضوع رسالة الازهر ، وفاز بالجائزة الاولى ، وطبع بحثه عام ١٩٣٦ .

ثم راح ينشر المقالات في مجلات : « الثقافة » و «الرسالة» ، و «العلوم» ـ وكانت هذه الاخيرة يصدرها خريجو المعلمين ـ (وذلك في السنوات ١٩٣٨ ـ ١٩٤٤) وبلغ ما نشره في تلك الفترة نحو خمسين مقالة في شتى الابحاث الادبية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، والتربوية، ومنها على سبيل المثال مقالته عن « العقيدة الشعرية » (في الرسالة ١٩٣٨) و « الشعر عند ارسطو » (في الثقافة ١٩٤١) .. وكانت تلك الاعوام من اخصب سني حياته انتاجا .. ولم تجمع هذه المقالات العربية ولا ابحاثه الانجليزية في كتب بعد ..

وفي خلال نظارته لمدرسة بورسعيد الثانوية ، اهتم بمسالة قناة السويس وترجم كتاب «سكونفيلد » عن القناة ، وطبعته « لجنة التاليف والترجمة والنشر » عام ١٩٤٥ وكان عضوا في هذه اللجنة .

وفي ذلك العام (١٩٤٥) ظهر كتابه عن « قاسم امين » (في سلسلة اعلام الاسلام) ولم يزل هذا الكتاب القيم مرجعا لكل من يكتب عن صاحب «تحرير المراة» قاسم امين ..

وفي عام ١٩٤٥ ايضا نشر كتابه التاريخي عن «المراة في مختلف العصور » وكان قد عهد اليه بكتابة بحث عن شعر شكسبير ـ ضم الى كتاب « شكسبير » الذي صدر في ابريل ١٩٤٤ (في سلسلة اقرا) **واشترك معه في** تاليفه فريد ابو حديد ، والدكتور زكي نجيب محمود..

وعندما رجع الى وطنه من واشنطن عام ١٩٥٥ بادر الى وضع كتاب عن : « فلسفة القومية » طبع عام ١٩٥٨ بالقاهرة (في سلسلة اخترنا لك) .. كما وضع (في سلسلة اخترنا للطالب) ثلاثة كتيبات « خلقنا القومي » و « تاريخنا القومي » يناير ١٩٦٢ و « الاستعمار والكفاح المقدس » ..

هذا الى ما كان يكلف به من مراجعة وتقديم لبعض الكتب التي تطبعها دور النشر وكان منها كتاب : « آسيا والسيطرة العربية » المترجم عن « بني كار » ، ومسرحية « الابن الاكبر » لبرناردشو ..

واحدث مؤلفات خاكي واكبرها ، كتابه الجديد : « برناردشو ـ تاريخ حياته الفكري » طبع بالاسكندرية في سبتمبر ١٩٦٥ .

وهذا المؤلف الكبير ثمرة الدراسة الطويلة لكل ما كتب برناردشو من مسرحيات ومقالات وقصص ونقدات ، وما كان يقدم به بعض مسرحياته من مقالات تحليلية مسهبة ، وقد اربت مؤلفاته على السبعين كتابا ، كما انه ثمرة التعمق والمقارنة بين ما صنفه الكتاب والنقاد عن هذا الكاتب الكبير .

ويقول احمد خاكي في مقدمة كتابه عن «برناردشو»:

« .. ولسنا نعلم حين بدانا كتابة هذا الكتاب ،كيف استطعنا ان نخوض هذه الكتب جميعا . فقد كان من العسير على كاتب ان ينتقي عناصر كتابه من هذا الخضم اللجب من كتابة وادب . فكتابة تاريخ لبرناردشو لم تكن يسيرة كما ظننا في مبدا الامر دون الوفرة الغامرة من النقد الذي كتبه او كتب عنه ، وطول السنين التي انتج فيها ، وتنوع الموضوعات التي تناولها ، والقراءات الوافرة الفياضة التي استغرقت مبادئه ومذاهبه ، والصداقات او الخصومات التي تعرض لها : كل هذه كانت مسرحا يزخر بانواع الادب . وكان على مؤلف الكتاب ان يتخير منه ما يلائم مزاجه . ولذلك فقد تساءلنا عند اول فكرة لتاليف هذا الكتاب : ما الغرض من كتاب عن برناردشو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يؤلف باللغة العربية ؟ »

ويجيب المؤلف عن هذا السؤال الذي بنى كتابه على جوابه :

« .. بنفس اسلوب برناردشو المنطقي وجدنا اننا لسنا في حاجة الى قصص عن سخرياته او فكاهاته ، ولا نحن في حاجة الى تاريخ مفصل يسرد الاحداث التي مر بها في السنوات الخمس والتسعين التي عاشها على ظهر الارض ، انما نحن في حاجة الى تاريخ فكري ، يتتبع افكاره وآراءه منذ قراءاته الاولى ، ويتأثر بهذه الافكار والآراء عند نضجه بعد الاربعين ، ثم يصاحبها مرة اخرى وهي تخرج في مسرحياته وكتبه بعد النضج . فاذا حسبنا ان برناردشو كان رجلا من اهل الفن المسرحي ، فان فنه المسرحي لم يكن الا تعبيرا عن آرائه . وعلى هذا الاساس كتبنا عن تاريخ حياته الفكري ، وذلك يكون الباب الاول من هذا الكتاب ، ثم كتبنا عن آرائه وافكاره ومذاهبه ، وهذا يكون الباب الثاني من هذا الكتاب .. »

وهكذا استعرض المؤلف حياة برناردشو الفكرية ، وشرح آراءه ومذهبه في اكثر من اربعمائة صفحة كبيرة ، وكشف عن المؤثرات التي بلورت عقله .. فتحدث عن مولده بأيرلندا عام ١٨٥٦ . وعن السنوات التسع العجاف التي عاشها في لندن شابا في العشرين ، واشتغاله بالنقد في الصحف .. وجهاده منذ الثلاثين من عمره في نشر مبادىء «الجمعية الفابية» التي كان من انشط اعضائها .. ومغامرته في الكتابة المسرحية بعد دراسته لمسرحيات هنريك ابسن .. ومعالجته لمسرحيات الفكر التي اصبح بها الكاتب المسرحي العالمي الذي تؤلف عنه عشرات الكتب في الشرق والغرب .

وفي الباب الثاني من هذا الكتاب ، تتبع خاكي التطور الفكري لبرناردشو في عشرة فصول : المفكر المحترف ، ونضج المفكر المحترف ، وناقد المجتمع ، وفنه المسرحي ، وقراءاته في العلم ، وآراؤه الاقتصادية والسياسية والدينية ، وقوة الحياة ، وفلسفة برناردشو .

وختم المؤلف كتابه هذا باسماء مؤلفات برناردشو في نصها الانجليزي وتاريخ صدورها وهي ما بين تمثيلية ، وقصة ، وكتاب سياسي ، واقتصادي ، ونقدي ، وترجمة لحياة فنان ، كيما يرجع اليها من شاء الدرس والتأليف .

ولم يفت المؤلف العربي وقد تحدث عن دعوة برناردشو الى السلام العالمي ونبذ الحروب ، وكراهيته للاستعمار والغزوات وتكوين الامبراطوريات ، ان يتحدث عن عطفه على القضايا العربية وبينها القضية المصرية ، وان يقص كيف وقعت في يد برناردشو ورقة برلمانية سجلت فيها المناقشات التي دارت في يوم من عام ١٩٠٦ بين وزير الخارجية الانجليزية سير ادوارد جراي وبين اعضاء « مجلس العموم » حول قضية دنشواي ، وكان اعضاء هذا المجلس «يناقشون مسألة العفو عن المصريين المتهمين في تلك القضية ، لكن المجلس لم يأخذ بالعفو ، ونفذ الحكم بالاعدام شنقا ، وبالجلد بالسياط ، وكان لهذا الحكم صدى تنزى له الضمير العالمي ، واطاح بحكم كرومر ، واشتدت به الوطنية المصرية ، وبزغت من حيث اريد لها الافول .. »ومن كلام برناردشو في هذه القضية المشهورة كما ترجم احمد خاكي :

« ينبغي علي ان انتهي من هذه الورقة البرلمانية .. فقد اقتبست منها ما كفاني لأرسم هذه الصورة ــ صورة المحاكمة في دنشواي ــ وان اقدم تحذيرا قويا الى انجلترا في هذا الصدد ، فاذا كان حكم دنشواي في سنة ١٩٠٦ هو حكم الامبراطورية لهذا العالم واخشى ان يكون كذلك في راي الطبقة العسكرية الارستقراطية ومن تبعهم من السراة المتزمتين ، اقول اذا كان هذا مثالا لحكم الامبراطورية ، فليس في العالم واجب اكثر قداسة ، ولا ادعى الى التنفيذ من الناحية السياسية ، من ان تمحق هذه الامبراطورية وتحيق بها الهزيمة والقهر ، وان ينيب مؤيدوها الى انسانيتهم ، فيتخذوا منها دروسا قاسية ، ويتبينوا في النهاية اي حقد كثيره مثل هذه النظم التي تزرع المقت في القلوب . اجل ! لن يكون ذلك الا اذا تسامت ارادتهم الانسانية فاستروحت نفحة من قداسة الله جل جلاله ! .. »

ثم يمضي برناردشو : « وعلى اية حال فليس لانجليزي ان يدعي انه جدير بأن يحكم بلادي او بلاده . ليس له ان يدعي ذلك ما دام انه قد رضي بأن يترك عبد النبي وجاره ابن العشرين لحكم الاشغال الشاقة المؤبدة ، وما دام انه يفخر بهذه السلطة التي اتاحت له ذلك . وليست المسئولية قاصرة على المحكمة ولا على موظفي الاحتلال من ضعاف الخلق ، لقد احيط مجلس العموم بجلية الامر قبل ان يقع ، وكانت امامه فسحة من اربع وعشرين ساعة يراجع فيها نفسه ، وكانت تحت يد سير ادوارد جراي برقية يستطيع المجلس استنادا عليها ان يعلن ان انجلترا دولة متمدنة ، وانها لن تتحمل هذا الجلد الهمجي ، ولا هذا الشنق الذي يحمل بمعنى التشفي والانتقام ... »

غير ان الساسة الانجليز المتشبثين بمبادىء الاستعمار وبقوة «الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس» ، لم يكونوا يوما على استعداد لسماع تحذيرات مفكريهم الاحرار امثال برناردشو ، وه.ج.ولز ، وبرتراند راسل .

ولا شك ان هذه الدراسة المستفيضة التي اخرجها احمد خاكي عن رجل السلام والحق والعدل ــ برناردشو ــ لقراء العربية ، سوف تصبح مرجعا اصيلا لمن ارادالتعمق في مبادىء هذا الكاتب وتاريخه الفكري ، كما امسى من قبل كتابه عن « قاسم امين » داعية تحرير المراة الشرقية مرجعا للباحثين .. واما مقالات احمد خاكي وابحاثه ومحاضراته وتقاريره التي ما زال اكثرها مشتتا في الصحف والمجلات ولم تجمع بعد ، فانها ستعود بالنفع الكثير على قرائها لانها بقلم كاتب واسع الاطلاع ، غزير الثقافة ، متحرر الفكر ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد أديب العامري

بقلم البدوي الملثم

* * *

جلست يوما الى محمد اديب العامري نستعرض جوانب الحياة ونخوض عبابها الا ولمعت في خاطري عبارة قالها العلامة الانكليزي الدكتور جونسون في الشاعر الانكليزي غولد سميث (١٧٣٠ ــ ١٧٧٤) هي : « ما لمس شيئا الا وزاده رونقا وبهاء ! » .

وما جلست يوما الى محمد اديب العامري نتحدث في امراض امتنا واسباب تأخرها الا واقبل علي بعقل نير وحديث متزن ، رتيب النبرات ، انيق العبارات يمتلىء علما ووضوحا واملا .

وان اصدق ما ينطبق على العامري القول القديم المأثور : « لك عينان اثنتان ، وليس لك الا فم واحد ، فلك ان تنظر الى كل شيء ، ولك ان تصغي الى كل شيء، ولكن عليك الا تقول ربع ما ترى وتسمع ! »

وليس لكاتب مهما كان طويل الباع ، سيال اليراع ، ان يخرج بحديثه عن العامري صائبا موفقا ، ما لم يكن لامعا موهوبا كالجاحظ وابن المقفع .

والعامري اذا امسك القلم وصبه على القرطاس استقام العقل ، وصال المنطق ، اذ لا تجد مكانة للكلمة الناشزة او ثغرة للعبارة القلقة فيما يكتب ويصور قلمه!. واني للكلمة الناشزة ان تشق طريقها الى ما يسخو به هذا القلم القوي من معنى ومتانة وقد خلق صاحبه كاتبا اصيلا جمع بين العلم والادب والمنطق والفن ، وتمكن من قواعد اللغة تمكنا جعل منه ثقة بين ثقاتها. والقراءة عند العامري فن قائم بذاته ، ولهذا نراه يقرأ كثيرا .. ويتكلم قليلا .. وتتناول قراءته اكثر نواحي المعرفة .

واذا كان « الاسلوب هو الرجل » كما يقول «بوفون» او اذا كان « عقل المرء في قلمه » كما يقول « ابن المقفع » كان « العامري » كبيرا في عقله ، اصيلا في كتاباته وآرائه وتلاوينه واخيلته !

ذكر لي لدات « العامري » في يافا ، مسقط راسه ، انه كان « دودة كتب ! » كما يقول الاميركيون في امثالهم هادىء النفس ، نزر الكلام ، مصغيا الى محدثه ، متمهلا في سرده ، ثائرا على الفوضى ، صيرفيا يزن كل لفظة ينطق بها ! وظل هذا ديدنه وشعاره في كافة مراحل عمره ، ووجد في « نيكولي » عميد الجامعة الاميركية ببيروت « مثله الاعلى » فاخذ عنه قوة الشخصية واحترام النظام وانجاز عمل كل يوم بيومه ، منشدا نفسه قول « ابي الطيب » :

ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام !

وقد نهل العامري العلم في مدرسة يافا الثانوية ثم شخص منها الى الجامعة الاميركية في بيروت سنة١٩٢٥ وكان في يافا آنئذ من شباب البلد العاملين في الشؤون الطلابية والسياسية والاجتماعية . وقد اسس مع مجموعة فاضلة من المواطنين (نادي الطلبة) الذي انشأ فرعا لمؤتمر الطلبة العربي العام المنعقد في بيروت سنة ١٩٢٥ ، وانتخب العامري مندوب الشباب اليافي اليه ، وكان هذا النادي موئلا لحركة اجتماعية وادبية وسياسية اتخذت قاعة النادي وندوة المكتبة الاسلامية بيافا مستقرا لها . وكان شباب هذه الحركة الذين كانوا يدعون « حملة الفكرة الاستقلالية » نواة لدعم العمل السياسي الذي كانت تقوم به الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا آنذاك والمجلس الاسلامي الاعلى وغيرهما من الهيئات السياسية والاجتماعية . والواقع ان هذه الكتلة من الشباب كانت تؤجج نار الحقد على الاستعمار البريطاني والصهيونية بتنظيم المظاهرات والمحاضرات والقيام بالرحلات الدعائية ضد الهجرة الصهيونية الى فلسطين وبيع الاراضي للصهيونيين . وكان اكثر اعضائها عرضة للنفي والسجن والاضطهاد حتى ان منهم من حمل على العمل في غير بلده . وفي سنة ١٩٢٩ انعقد في يافا مؤتمر الطلبة الفلسطيني الذي امته وفود من سائر انحاء البلاد وترأسه السيد العامري . وكان ممن حضر ذلك المؤتمر السادة ابراهيم الشنطي وسعيد علاءالدين ومحمد علي الصالح والمرحوم احمد سعيد ديب ومحمد نمر عودة والمرحوم حسن خلقي الدجاني وجميل سعيد ونمر المصري وغيرهم . وفي اثناء انعقاده اصدرت السلطات البريطانية اوامر باعتقال بعض اعضاء المؤتمر . وفي ثورة ١٩٢٩ المشهورة صدر امر باعتقال السيد العامري فلجأ الى الاردن .

وفي الجامعة الاميركية شارك العامري في حركات الطلاب السياسية والاجتماعية ،وكان عضوا في جمعية « العروة الوثقى » و « اتحاد الطلبة » داخل الجامعة ، وعضوا في النادي الفلسطيني خارجها ، اذ لم تكن الجامعة تأذن لهذا النادي بالاجتماع ضمن حرمها. وفي سنة ١٩٢٧ عصفت بالنادي الفلسطيني ريح الحزبية العنيفة ولم يستطع النادي لشدة التنافس بين فئاته واعضائه ان ينتخب رئيسا له ، فاجمع اعضاء النادي على اختيار العامري رئيسا له لما عهد فيه من تجرد في الراي واستقلال في الفكر عن سائر الاحزاب المتناحرة في فلسطين في تلك الفترة.

وقد استمرت مشاركة العامري في الشؤون العامة بعد تخرجه من الجامعة ، ولكنها كانت مشاركة ضيقة حد من نطاقها فيما اعتقد ما حد من انتاجه العلمي والادبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما سيجيء تبيانه فيما بعد ، وفي عدد من الندوات العلمية والثقافية التي عقدت في عمان والقدس وفي دار الاذاعة الاردنية ، وفي المؤتمرات القومية التي تنادى الفلسطينيون لعقدها في القاهرة وغزة وبيت المقدس كان « العامري » في طليعة من يدعى لها ، وكان للآراء التي يبديها ، وللحلول التي يقترحها ، اثرها الفعال في نفوس مواطنيه ، اذ انها صادرة عن عقل نير المسالك ، وراي مجرد مشرق الجنبات ، يزن النتائج والمقدمات !

وقد تخصص العامري في دراسته الجامعية في علم الحياة والكيميا . ويعلل تخصصه في علم الحياة بشغفه بالشؤون الانسانية من اجتماع وسياسة ولغة ، لان فروع العلوم الطبيعية في الجامعة الاميركية ببيروت كانت اقوى من الفروع الاخرى . فنال بتخصصه من الجامعة احسن نصيب ليشخص من بعد الى مصر فاوروبا ليتوسع في دراسة هذه العلوم الانسانية على اسس علمية طبيعية ، غير ان الحظ خانه اذ لحق جده الذي كان ينفق عليه وهو في السنة الاخيرة من دراسته الجامعية بربه ، فاضطر للعمل ، وكان نصيبه من الموارد التي كان جده قد تركها لا يكفي للانفاق على مزيد من الدراسة وعلى القيام بأود عائلة كان قد خلفها والده الذي توفي قبل جده .

وفي عام ١٩٣٠ نال « العامري » شهادته من الجامعة الاميركية ببيروت ، وهربا من جو خانق كان يسود فلسطين في عهد الانتداب عمل في معارف الاردن فعين استاذا للعلوم الطبيعية في ثانوية السلط فمديرا لها وما لبث ان نقل مفتشا للعلوم في وزارة المعارف . وظلت علاقته بشؤون المعارف والثقافة متصلة حتى اصبح سنة ١٩٥٢ وكيلا لوزارة التربية والتعليم في المملكة الاردنية .

وبعد ان ادى رسالته الثقافية على احسن وجه وغذى مختلف المناصب والمسالك بالعديد من رجالها النابهين الطموحين ، استقال من الجهاز الحكومي الاردني وعين مساعدا لمدير الاذاعة الفلسطينية في القدس ، في عهد الانتداب على فلسطين ، ودرس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني ونال منه دبلوم الحقوق ، فاشبع بذلك شيئا من رغبته في الدراسات الاجتماعات والانسانية .

وعند حلول النكبة المروعة عين مديرا للاذاعة الاردنية وممثلا للاردن في لجنة الهدنة الدولية ، وهنا عرض عليه المسؤولون مركز رئيس وزراء حكومة عدن لكنه آثر البقاء في موطنه والعمل فيه .

وفي عام ١٩٥٠ نقل سكرتيرا عاما لوزارة الخارجية الاردنية . وفي عام ١٩٥١ اختاره المسؤولون مديرا عاما لدائرة الاستيراد والتصدير . وفي عام ١٩٥٢ نقل وكيلا لوزارة المعارف كما أشرنا . وبعد عام عين وكيلا لوزارة الانشاء والتعمير . وفي عام ١٩٥٥ انشيء « ديوان الموظفين » فاختير رئيسا له برتبة وزير دولة . وفي عام ١٩٦٥ عين رئيسا لديوان المحاسبة بالرتبة نفسها . وفي



البدوي الملثم

•

سنة ١٩٥٨ اعتقل العامري ستة اشهر في معتقل «الجفر» بالاردن بأمر من رئيس الوزراء آنذاك لاسباب يتعذر سردها في هذه الكلمة .

وفي سائر المراكز الكبرى التي اسندت الى «العامري» كان مضرب المثل في حسن الادارة والحزم وتصريف الامور والاخلاص والامانة . والواقع ان عددا من هذه المراكز انما عهد به للعامري بغية تاسيسه على قواعد سليمة او السير في عمله الحساس باستقامة ونزاهة ، مثل دائرة الاستيراد والتصدير ووكالة وزارة الانشاء والتعمير ورئاسة ديوان الموظفين .

ولعل خدمته في المعارف كانت ابرز خدماته . ولا يطلق في المجال العلمي والثقافي في المملكة الاردنية لقب « استاذ الجيل » على رجل ممن اشتغلوا بالتعليم اكثر من الاستاذ العامري ، اذ انه وقد ادار اكبر معهد علمي في الاردن يومئذ ، وهو مدرسة السلط الثانوية ، فقد تخرج على يديه عدد كبير ممن اصبحوا قادة البلاد بعدئذ ، فبلغوا مناصب الوزارة ورئاستها ورئاسة الاركان وقيادة الجيش ، مفاخرين دائما ودون تحفظ بانهم تتلمذوا على العامري وقبسوا منه فكره واسلوبه فادى ذلك الى نجاحهم ونبوغهم .

والعامري كاتب مطبوع ، فقد بدأ النشر في الصحف وسنه سبعة عشر عاما ، تارة في الصحف اليومية واخرى في الصحف الاسبوعية التي تصدر في فلسطين ، مثل جريدة « الصراط المستقيم » وجريدة « الجامعة العربية » ومجلة « الفجر » وغيرها . ثم انتقل الى الكتابة في المجلات الكبرى «كالسياسة الاسبوعية» و « الرسالة » و « الثقافة » و « المقتطف » في مصر وغيرها . وهو ما يزال يكتب في مثل هذه المجلات « كالاديب » البيروتية والمجلات الاردنية . ويكتب احيانا باللغة الانجليزية في بعض المجلات الاجنبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويميل العامري في كتاباته الى الطابع العلمي . وانتاجه وادبه يتسمان بهذا الطابع الذي يرتكز عليه . وتفكيره اقرب الى التفكير الاوروبي الموجز المركز الذي يجد فيه القارىء العربي العادي شيئا من الصعوبة . وينزع في رأيه الى فكرة التطور في سائر الشؤون المادية والحيوية والاجتماعية . وهو مولع بالفكر العربي القديم وادبه لكنه لا يعول عليه كثيرا فيما يكتب .

وللعامري فلسفة خاصة في الحياة ، فهو يؤمن بان الكون تطور دائم من الجماد الى الحي وان الحياة كالكائن النامي لها هدف ايجابي تنزع اليه . ويؤمن بأن التطور ينتهي في نتيجة خطواته بحركة الى الامام ، وان جوهر حياة الانسان وقد جاء الى هذه الارض هو العمل ـ العمل الدائب الى آخر العمر . ونزعته الاجتماعية تشمل محبة العائلة والامة والانسانية جمعاء .

وآفة العامري انه مقل فيما يكتب . ومع ان الكتابة عنده قمة العمل المفيد السعيد ، الا ان عمله كمسؤول في جميع الوظائف التي شغلها ، وطبعه في الانصراف الى عمله بكليته ، قد حرمه وحرم قراءه من ان يكون اكثر انتاجا وابعد شهرة . ولذلك فقد طبع انتاجه النزر بالعمل الذي يقوم به . فعدا المقالات العديدة التي تطرق نواحي الثقافة المختلفة وتمثل رأيه احسن تمثيل ، والتي لو جمعت لملأت مجلدين او ثلاثة ، فقد الف وهو في وزارة التربية كتبا للطلاب في العلوم الطبيعية واخرج وهو في الاذاعة مجموعة من القصص القصيرة ، والف وهو في المراكز الادارية الاخرى كتابا في الشؤون الادارية .

ولذا لو اتيح للعامري ان يتحرر من المهام الرسمية والمسؤوليات الحكومية ويشرع قلمه لكسبت الخزانة العربية في شتى الوانها وفروعها الشيء الكثير من هذا القلم ، ودونك بعض آثاره :

(١) حفظ الصحة (جزآن) طبع عام ١٩٣٥ .
(٢) مبادىء العلوم العامة طبع عام ١٩٥٦ .
(٣) عائلات النبات طبع عام ١٩٦٠ .
(٤) شعاع النور طبع عام ١٩٥٣ (وهو مجموعة قصص موضوعة ومترجمة) .
(٥) الحياة والشباب ـ حول قيمة الحياة واطالة العمر ، ترجمة وتحرير (معد للطبع) .
(٦) اصول العمل الاداري (معد للطبع) .

نموذج من نثره : ودونك نموذجا من نثره وقد نشر بعنوان «هدف الحياة» وهو يتناول علاقة المادة بالحياة وبالفكر :

« ليست المادة اصلا من الناحية العضوية فحسب، ولكنها اصل من الناحية الفكرية كذلك ، فليس الفكر هو الذي يخلق المادة ، ولكن هذه المادة الجامدة هي التي تخلق هذا الفكر العالي السامي . ان العالم بطبيعته مادي ، وان مظاهر العالم المتنوعة انما تؤلف اشكالا مختلفة ومتحركة من المادة ، وان هذه المظاهر يعتمد بعضها على بعض ، وهي قانون هذا العالم الذي يتطور ويتحرك. وبلغة هيرا كليتوس اليوناني القديم : « ان العالم يتالف من اجزاء موحدة ، ولقد كان وسيظل شعلة حية تلتهب بنظام وتندثر بنظام » .

فاذا صح ذلك كان العقل الانساني استمرارا للطبيعة والحياة ، والفكر الناجم عنه انما يرتكز على المادة التي انجبته وانجبت الحياة ، ذلك لان المخ مادة والفكر وليد المخ كما ان اللهب وليد الحطب . ولهذا لا تستطيع ان تفصل الفكر عن المادة لانك لا تستطيع ان تفصل الفكر عن الدماغ.

وما اظن اننا نستطيع ان نعارض هذا او ننكره .ان الفكر عمل من اعمال الدماغ كما ان الهضم عمل من اعمال المعدة . وهذا قول مفيد للذين يفتشون عن الحقائق خارج انفسهم وخارج ما حولهم والذين يضفون على المعرفة هالة غامضة مصطنعة .

وليست هذه الفكرة بسيطة ، لانها حين تنقل الى تفكيرنا الاجتماعي تكون ذات اثر بعيد ، فاذا كانت هذه الاجزاء متصلة الحلقات وكانت الحياة متحركة لا ثابتة ، وكانت تندفع الى الامام لا ترجع الى الخلف ، وكان ذلك ملازما لطبيعة العقل كذلك ، فلا بد اذن ان يتطور الفكر الى الامام لا الى الوراء » .

وقال في مقدمة كتابه « شعاع النور » يصف تطور الحياة الى الافضل على الرغم من مخاض التعب والشقاء: « ان الحياة كما درجت الى اليوم يمثلها اشخاص هذه الاقاصيص اكثر مما يمثلها اي شيء آخر ، وهؤلاء في الغالب قد انحدروا الى مستوى مؤنس من الحياة ، ولكنهم لا ييأسون ، فان هنالك شعاعا من النور ينظم سيرة الحياة منذ كانت ، وهذا الشعاع ذاته هو الذي يومض في نفوس هؤلاء الناس الذين اقدمهم لك واصلهم بك ، فيحملهم على الصبر والامل والنضال ورفع مستوى الحياة شيئا فشيئا .

ولولا هذا الوميض الذي يستمد نوره وحرارته من طبيعة الحياة الخالدة المتسامية لما كان سبيل هؤلاء الناس الا ان يتلاشوا في العدم . ولكنهم لا يتلاشون ، بل يستمرون فتطرد الحياة بجهدهم نموا ورقيا الى ان تصبح جديرة بحياة الناس » .

وجاء في مقال له نشر بعنوان « الانسان المثقف » وصلة الثقافة الصحيحة بالحق والخلق :

« والمثقف بطبيعة الحال رجل فرغ من انانيته فقضى عليها اكبر القضاء وبرئت نفسه من شوائب الضغينة والحقد والتكالب المادي ، وتخلص كيانه من هذا كله الى نفس صافية وخلق عال واعراض عن سفاسف الامور .

وهو رجل يؤمن بالفضائل جملة ـ فهو يرى ما بينها وبين التركيب الصحيح لامة من اسباب وصلات . ويدرك ان البناء الموطد الشامخ لمجتمع لا يمكن ان يقوم على صفات



مغارة جعيتا

* * *

تبارك من بنى هذي القبابا ... وشد الى منازلها الهضابا
وشيد صرحها دارا فدارا ... ورصع قوسها قبا فقبا
وصاغ دموع صخرتها حليا ... والبسها التماثيل العجابا
جعيتا ما رآت عيناي سحرا ... كسحرك لا ولا القلب استطابا
فما من جنة في الارض اشهى ... وما من كوثر أصفى شرابا
فحيث نظرت جارية وكاس ... وشاد يرسل الشكوى عتابا
هنا اسراب طير هاتفات ... وابراج تلفعت الضبابا
هنا عشاق ليل نابغي ... تعثر انجما وكبا شهابا
هنا عذراء تحلم بالدراري ... تلف على غدائرها السحابا
هنا الثقلان من انس وجن ... يحثون المزاهر والربابا
واصحاب الرقيم وثم كلب (1) ... يوصوص راصدا للكهف بابا
اضاؤوا في مدارجه شموعا ... وارخى الليل دونهم حجابا
مشاهد من رؤى حلم جميل ... تمثل جنة وزكا رغابا
لأنت الارز قلبا واتساعا ... حوى الدنيا وجاوزها انتسابا

(1) اشارة الى نهر الكلب الذي ينبع من جعيتا .

وديع ديب

التداعي والفوضى والانحلال الخلقي العام .

والمثقف كما قال الدوس هكسلي « رجل يخضع اعصابه لارادته ويحكم عقله في عواطفه ، فلا يجيش ولا يطيش ولا ينفجر ، وان غضب لشيء فانه يغضب للحق » .

فالانسان المثقف اذا اردنا الاجمال ، انسان ذو المام بجملة المعارف العامة ، وصاحب نظر علمي الى المسائل ، ورجل مبدأ في الحياة يقوم على فكرة أصيلة من الحق» .

وقال من قصة بعنوان « صوم دائم » يصف السعادة التي تغمر عائلة بسيطة على الرغم من فقرها وحاجتها :

« اقترب عطاالله من زوجته والتصق بها وضمها اليه ثم اخذ ينشج بالبكاء ، وقال :

« ان الفقير في هذه الدنيا وحيد . حتى اذا مات مات وحده » . فاذا غطاء ابنه يتحرك ، واذا ابنه يشخص اليه ويتصبب عرقا ، ويفوه بكلام خافت . انه يطلب ماء . وانفرجت شفتاه عن ابتسامة اشرقت في عيني ابيه اشراقة الضوء في الظلام الدامس . فمال على ابنه يقبله ، واستأنفت نفس عطاالله الحياة . انه سيرى ابنه معافى بعد حين . وسيراه عاملا يجد ليحصل قوت العائلة وسيكون من النشاط والقوة بحيث يوفر لامه واختيه اياما بيضا لم يستطع هو في الاونة الاخيرة ان يوفرها لهن » .

وبعد ان بلغ القلم هذا المطاف الشذي الفوح المعطر الارج نقول كلمة الدكتور جونسون في الشاعر الانكليزي غولد سمث ونحن في صدد الحديث عن العامري الفنان الاصيل : « ما لمس شيئا الا وزاده رونقا وبهاء ! » .

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم

اخوانيات في العروة الوثقى بلندن

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

الاخوانيات هي المبادلات الادبية بين الاصدقاء على نطاق فردي خصوصي كان يقدم احدهم للآخر هدية ويرفقها بابيات شعرية فيشكره عليها الآخر بابيات من نفس الوزن والقافية او ان يدعو صديقه لزيارته ببعض الابيات او يلومه عاتبا لقلة الزيارة وما الى ذلك من المناسبات الاجتماعية الخصوصية ومثل هذه المبادلات لا تكون عادة للنشر ، بل يتداولها الاصدقاء فيما بينهم وان قدر لها ان تنشر فلتعكس نوع العلاقة التي كانت تربط الواحد بالآخر في تلك الجماعة ولتلقي ضوءا على الحالة الاجتماعية فيما بينهم .

لا شك ان الاخوانيات كانت موجودة عند الادباء منذ اقدم العصور ولكنها كثرت بصورة خاصة في القرن الرابع الهجري عندما كثرت مجالس الانس والطرب واخذ الادباء يحضرونها ويصفونها . فهذا الصاحب بن عباد وهو صاحب المجالس الادبية المشهورة يرسل في طلب صديقه ابي الفضل بن شعيب فيكتب له هذه الابيات :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا ... فاساتنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسي صديقا صدوقا ... فاذا انت ذلك المتمنى
فبفضل الشباب لما تثنى ... وبعهد الصبا وان بان منا
كن جوابي اذا قرأت كتابي ... لا تقل للرسول كان وكنا

وهذا ايضا ابو الفتح البستي يدعو صديقا له لحضور جلسة ادبية فيرسل في طلبه بهذه الابيات :

عندي ، فديتك ، سادة احرار ... وقلوبهم شوقا اليك حرار
وشرابنا شرب العلوم وروضنا ... نزه الحديث ونقلنا الاشعار
فامنن علينا بالبدار فانما ... اعمار اوقات السرور قصار

ونحن في لندن جماعة من العرب تربط بيننا وشائج كثيرة لعل اهمها حبنا للادب العربي وحبنا للغة العربية ويربطنا ايضا احاسيسنا بالغربة وحنيننا الى الوطن ويربطنا ماضينا المشترك وآمالنا لمستقبل باسم لامتنا الحبيبة ، كل هذه الوشائج اجتمعت معا فربطتنا في عروة متينة اسميناها « العروة الوثقى » . وقد وضع الاخ سعيد العيسى شعارا لجمعيتنا في بيتين من الشعر فقال :

اكبرت (عروتكم) يفسم نطاقها ... في دار غربتكم غريب الدار
هي معقل للضاد وهي منارة ... آكرم بها من معقل ومنار

ولقد حرصت على ان اجمع الاخوانيات التي تتبادلها في «العروة الوثقى » في كراسة خاصة . وعندما استعرضت ما دونته وجدت انه تكونت لدينا مقطوعات من الشعر لا بأس بها ونحن كثيرا ما نسترجعها فيما بيننا اثناء جلساتنا الخاصة فنجد فيها معينا لا ينضب من المتعة واللذة الادبية . وقد اخترت منها للنشر ما ارجو ان يكون فيه لغيرنا ايضا شيء من المتعة واللذة الادبية .

ان المناسبات التي تحدث في الغربة هي نفس المناسبات المألوفة مثل الاعياد وميلاد طفل والتخلف عن ميعاد واهداء كتاب وما الى ذلك. ولعل اجمل هدية وصلتني في اعياد ميلادي كلها هذه القصيدة التي اكرمني بها الاخ سعيد العيسى .. فقال :

حنت اليك من الجوانح اضلع ... الشوق يحفزها وحبك يدفع
عرفت مكانك فاهتدت فكأنها ... نسم ، ومسراك الشذى المتضوع
بالقرب منك نعيمها فاذا نأت ... يوما يلج بها الحنين فتجزع
في عيد مولدك النفوس تهللت ... فكأنه الوسمي وهي البلقع
قد رحت تمحضها الوداد فامرعت ... كالروض ترفده السماء فيمرع
وطلعت يوم العيد بالبشرى لنا ... كالبدر من افق البشائر يطلع
متهاديا ، متألقا ، متهللا ... أمل يجيء به وآخر يرجع
هذي قلوب الصحب حولك جمة ... فاختر ، سلمت ، بأيها تتربع
عتب الحبيب علي قلت له اتئد ... واعذر فمالك في فؤادي مطمع
ملأ الفؤاد هوى «الفؤاد» فلم يعد ... فيه لأي هوى قديم موضع

وعندما عزمت الانسة « نهى بطشون » وكانت موظفة في القسم العربي باذاعة لندن ، ان تعود لتستقر في ارض الوطن اقمنا لها حفلة وداعية . وقد استرعى انتباهي انا كلانا من مدينة يافا ولم يتعرف احدنا على الآخر الا في لندن فقلت في تلك المناسبة هذه الابيات :

وهب الزمان وللزمان هبات ... ان تلتقي في لندن الاشتات
ابناء يافا حتفهم ان يلتقوا ... في ارضهم اذ ارضهم جنات
يا اختنا في غربة طالت بنا ... لم يبق فينا للجراح اساة
كنت الكريمة والرحيمة بيننا ... لك في السماء الاجر والصدقات
كم كنت ارجو لو تحقق حلمنا ... ونلاحمت في « العروة » الحلقات
لكنما الاقدار تقضي غير ما ... نرجوه منها والمنى ومضات
يا نسمة من ارض يافا عذبة ... انسام يافا حلوة عطرات
ريحانة في الناس انت وزهرة ... انفاسها بين الورى عبقات
سيري فعين الله كالئة الخطى ... لك في الولاء شكيمة ونبات

وقد زارنا مرة في لندن اخي يعقوب وعرف اثناء اقامته القصيرة بيننا ان سعيدا يحب بصورة خاصة فاكهة المانجا وهذه الفاكهة نادرة الوجود في لندن . فعندما رجع الى الكويت ارسل لنا سلة بالطائرة مازي بالمانجا . وقد بعثت تلك الهدية سرورا عظيما في النفوس. فكتب له سعيد يشكره :

يعقوب من في بالقريض ... اصوغ منه حلى الثناء
تلك الهدية جل مهديها ... ويكفيك الدعاء
من اخوة لك في ديار الغرب ... محرومي الرجاء
فكهتهم بالطيب المسئول ... مجلو الرواء
سال اللعاب له اشتهاء عندما ... رفع الغطاء
لولاه ما احلولى لنا ... في لندن يوما بقاء
زدنا نزدك من الثناء ... أخا المروءة والوفاء

وكتبت الى أخي أشكره على هديته بهذه الابيات :

أخجلتنا والله يا يعقوب في ... ذاك العطاء
انت الحبيب الى القلوب ... وانت للعين الضياء
ان الهدايا رمز مهديها ... ورمزكم الوفاء
منك الحلاوة والعذوبة ... واللطافة والصفاء

وسمعت والدتي « ام يعقوب » بقصة المانجا فسارعت هي ايضا الى ارسال سلة اخرى من هذه الفاكهة النادرة في لندن فادخلت السرور الى القلوب وابتهج الجميع بها وكتب الاخ سعيد العيسى في ذلك هذه الابيات :

قل للعريقة في المعالي ... ام « اليعاقيب » الغوالي
من كل لؤلؤة عدمت ... لها نظيرا في اللئالي
انا من حلاوة حبة المانجو ... لساني اليوم حالي
ويظل طول العام ... حتى موسم للمانجو تالي

واحببت ان اقوم بتشطير هذه الابيات فوجدت شيئا من الصعوبة لان الصدر متصل بالعجز في جميع الابيات الا في البيت الاول فقلت :

(قل للعريقة في المعالي) ... ان الرفاق بخير حال
قد كلفوني شكرها ... (ام اليعاقيب الغوالي)

(من كل لؤلؤة عدمت) نظيرها فاسمع مقالي
ان الرجال لنالهم (ما مثلها بين اللئالي)

(انا من حلاوة حبة) للمانجو لا ادري بحالي
علي ازاد اذا شكرت (فها لساني اليوم حالي)

(ويظل طول العام) يذكر فضل توزيع النوال
ويظل يرجو آملا (في موسم للمانجو تالي)

ومن المناسبات السعيدة في الغربة سعادتها في ارض الوطن ان يرزق احدنا طفلا . وقد من الله على السيدة سهام كريمة صديقتنا حسن الكرمي بطفلة جميلة ولم يكن ثمة بد من قول الشعر في مناسبة سعيدة كهذه فنظم سعيد العيسى قصيدة مخاطبا حسن الكرمي جد الطفلة :

وافت تتيه على الدنيا بطلعتها فيرقص القلب للبشرى لها طربا
حفيدة ...ولو ان البدر منتسب يوما لكان اليها البدر منتسبا
ضمت من المجد اطرافا مكرمة وحازت الاكرمين : العلم والادبا
زكت فروعا واصلا فهي خالصة كريمة محتدا ، ميمونة حسبا
فليهنك اليوم ان اصبحت عن ثقة جدا ، وها انذا ما صرت بعد ابا

اما بالنسبة لي فان « سهام » كانت ولا تزال بمثابة الاخت وقد شعرت في تلك المناسبة اني اهنىء اختي باول مولود لها فقد عرفت سهام وهي طفلة صغيرة منذ حوالي عشرين سنة فقلت في ذلك :

اهلا بمقدم طفلة (لسهام) وقرينها زين الشباب (عصام)
زوجي التهاني بالوليد وانثا لنهيء المولود بالارحام
هدي (سهام) لا تخيب وان أتت بنت ستتبعها غدا بغلام
جئنا نهنيء بالوليد لسانا وبامه لقيامها بسلام
وقلوبنا تدعو لها بسعادة في حرز والدها وحرز (سهام)

وقد وصلتني مرة من سعيد قصيدة لم تكن لها مناسبة خاصة ولعل مناسبتها انه احس برغبة في نظمها وهذه للفنان هي اهم المناسبات . والقصيدة اعتبرها من ممتلكاتي التي اعتز بها وافتخر اعظم الفتخار ولا ادري ماذا فعلت لاستحقها . وكم يسعدني ان لا يكون قد غير رأيه في الموضوع ..قال سعيد :

بوركت احشاء ام حملت للورى ، اذ حملت ، يوما (فؤادا)
اريحي الكف سمحا كلما لاح في الافق الندى كان الجوادا
المعي الفكر ، شهما ، فطنا ،يحفظ العهد ولا ينسى الودادا
ذا بيان هو من وحي الحجى طيع ممتنع يأبى انقيادا
واذا ما قال شعرا خلته قائصا يصطاد معناه اصطيادا
صيرفي اللفظ ، فخم المحتوى ناقدا للشعر ، لا يرضى الفسادا
واذا ما الناس ساروا الهيذلى راح بين الناس تيها يتهادى
محض الفساد هواه كله وغدا من مقلة الفساد الوادا

طبع الصديق حسن الكرمي في يوم من الايام في ديوان من الشعر لاحد الشعراء القدامى كان بمكتبتي وكنت احب الاحتفاظ به . والاخ حسن ونحن نعرفه بيننا بكنيته « ابو زياد » له مكتبة عامرة بامهات الكتب ويغار عليها كثيرا .. واحسست اني جرحته في رفضي طلبه وعز علي ذلك وما كان مني الا ان ارسلت له الديوان في اليوم التالي بالبريد وعليه هذه الابيات :

حب اقتناء الكتب رمز للكريم الامجد
علمتنيها خلة والناس فيكم تقتدي
فاذا بخلت عليكم يوما لنا بمجلد
فالله يعلم يا أخي ما البخل كان بمقصدي
اني اتادي في الورى وعلى رؤوس الشهد
اني الضنين بكتبه (وابو زياد) المبتدي
انت الامام وشيخنا وبضوء علمك نهتدي

لكنني احببتكم حبا يفوق تجلدي فاتيتكم بكتابنا مستغفرا يا سيدي

وثمة مناسبات عديدة قيل فيها البيت او البيتان من ذلك عندما مرض حسن الكرمي فذهبنا كلنا نعوده فكتب له سعيد هذه الابيات :

« العروة الوثقى » تئن وتشتكي مذ قيل انك مسهد تتألم
ليت الذي بك في العواذل كلهم كيما تصح اخا الوفاء ويسقموا
جزعت عليك من الصحاب ظلومهم فاذا بها حول الفراش تحوم

وقال سعيد ايضا يهنيء الانسة غادة الكريمة الصغرى للاخ حسن الكرمي عندما نالت شهادة الدكتوراه في الطب :

جئت ازجي لك التهاني ألفا علم الله ما تهانى زلفى
لك روح من النسائم انقى وشعور من ريق الفجر اصفى
ان تجسي يد المريض يدب البرء فيه باذن ربي ويشفى
واذا الداء كان فيه عضالا جاء منك الدواء لطفا وعطفا

ان الامر الذي نجده مهما هنا بصورة خاصة هو اننا نحن في الغربة في حاجة ماسة احدنا الى الاخر ويصبح اللقاء المتكرر ضرورة نفسية ملحة يجد الواحد منا فيها راحة واطمئنانا . ولعل اجمل تعبير لهذه الحالة النفسية تلك الابيات التي اكرمني بها الاخ سعيد :

لم الاق (الفؤاد) منذ ثلاث واحنيني الى لقاء الفؤاد !
ان بيني وبين (جين) لشأوا كاد يودي بحرمتي وودادي
سلختنه عن الجوانح مني كيف احيا با (جين) دون فؤاد ؟
انا في وحشة ومر بلاء قد اطالا عبر الليالي سهادي
يا لشوقي لضحكة تغنم القلب حبورا كانها لحن شاد
وحديث في السمع أشهى صداه من رنين الاوتار والاعواد
وقوام كانها قضب الروض تراءى كالوشي في الابراد
كل دنياي اقفرت من خليلي صنو روحي « فؤاد الحداد »
وسابقي الشقي حتى اراه جاذبي زائرا على ميعاد

ولا شك ان الاحساس بالوحشة اذا لم ير احدنا الاخر بضعة ايام ينطبق على كل واحد منا بالنسبة للاخر ، واكبر الظن ان هذا الاحساس هو الذي اوجد « العروة الوثقى » اصلا ، اما ما يتضمنه من معاني الولاء والمحبة فهي التي اوحت بهذه الاخوانيات .

لندن — فؤاد جبور حداد

لم يظهر الضوء بعد

•

لتشمل ، يا صديقي ...
عيناك عميقتان .. كعمق التجربة .. كالامي.
آه ... عيناك ! انني اراه فيهما :
النظرة البوهيمية ذاتها ، البسمة الرعناء ،
اسطورة الربيع اللامبالي ، الليل المجنون ...
فقطتي ... قطتي المتوحشة ... قادتني :
عشت وهم الضوء في الظلام !
لتشمل يا صديقي : ليس الا انا وانت
نردد سخافات ، مثل الحياة ...
ثم ننسى ما قلناه ... لتتمتم لي من جديد
وبانتصار الجزار : لم يظهر الضوء بعد !
لاعيد بآلية : لم يظهر الضوء بعد !

حلب — هناء طيبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكوب على الطاولة .. بماذا افكر ؟ الدواة ايضا على الطاولة .. هذا زجاج ومن ورائه لا يبدو اي شيء لان الظلام مخيم في الخارج ،الوقت من ذهب ، لا افهم معنى هذه الجملة بشكل محسوس . اعرف ان الوقت يمر الآن لكني لا استطيع ان احل المشكلة . او ان افعل شيئا . اذا كانت ستموت فما استطيعه ؟ لما لا تطلبين الدكتور ؟وما فائدته ؟ هذا خداع .

لكنك تودين لو ماتت سريعا .. انا.. ابدا ؟ المنشفة تنكمش بين اصابعي فانظر اليها واتذكر المشاهد التمثيلية السينمائية .. هذا تمثيل .. يجب ان اشد على المنشفة اكثر ومن ثم اضرب بيدي الطاولة ثم اضع راسي بين يدي لأظهر اني جد قلقة وان لدي صراعا نفسيا حادا . لا احد يشاهدني وهل امثل على نفسي ؟ اذا يجب ان تحرك اصابعي المنشفة .. افلتها من يدي ببطء ثم نهضت عن الكرسي ، انني اود البكاء .. الصقت انفي بزجاج النافذة ووضعت يدي حول وجهي كي ارى ما يجري خارجا .. لا شيء ، فالبلدة نامت الجبال بعيدة لها الف عين ، الجو ساكن الا ان القمر الخبيث يبدو كلص وراء الغيمة لكن لو ماتت لقلت لنفسي فيما بعد انني السبب لا لن اتحمل ذلك فلتمت ولكن ليس عن طريقي ، فلتمت بين يدي الطبيب على الاقل ، فانا لست بطبيبة ولن الوم نفسي اذا ماتت .

فتحت باب غرفتي بصمت ،عبرت الصالون على رؤوس اصابعي . توقفت امام باب غرفتها .. لم اسمع شيئا ، الا اني كنت ارى النور ينبعث من تحت الباب ، انحنيت نحو الثقب ونظرت .. عدت سريعا الى غرفتي وانا الهث لقد كانت تنظر الي يا الهي انها رهيبة .. كانت تجلس في السرير ، المسند وراء ظهرها ، وجهها اصفر شاحب ، عيناها متحجرتان على ثقب الباب .. انها لن تموت .. انها تتظاهر بالموت هذه المرة ، كما فعلت المرة الماضية ..كان ابي يجلس قبالتها على المائدة ، اما انا فقد كنت لا ارفع نظري نحوهما بعد المشاجرة العنيفة التي حدثت . اتهمتني بالطيش فاتهمتها بخيانة ابي . لا ادري لما خطرت لي تلك الفكرة الدنيئة . كنت اعرف انها تصاب بنوبات قلبية الا اني كنت اريد ان انتقم .. من اي شيء ..لم يثر ابي يومها لانه عد ذلك مجرد كلام غاضب مني .. فثارت نفسي حتى ابي لا يصدقني ! انه لا يعلم انني اكذب لكن كان من واجبه ان يصدقني. الا يثق بي ؟ اذا هكذا .

كتبت خطابا غراميا رزينا اقلد فيه احدى الروايات ارسله لها

يجب الا تموت

بقلم ساره ناعوره

احدهم ، يعاتبها لانها لم تف بموعدها وتزوره وهي التي طلبت منه انتظارها كما انه يخبرها فيه بانه مسافر اليوم . ثم طلبت من صديقي ان يخطه لي .

وقفت سيارة ابي امام المنزل ، انني اعجب به فهو هادىء وخبيث وسائق ماهر لكنه لا يسمح لي بقيادتها .. خسارة . كعادته اصر ان يحضر لها الدواء بنفسه وسألني اذا كانت قد شربت الجرعة المقررة عند الظهر، فاجبته بالايجاب واضفت لكن لا ادري لما كانت بعد ظهر هذا اليوم كالتائهة كانها تبحث عن شيء او كانها تريد شيئا .

ـ وهل طلبت الدكتور ؟

ـ لم ترد ذلك .

ـ حسنا سارى .

زوجة ابي بطولي تقريبا اذ وضعت شيئا في الطبقة العليا من الصيدلية وخاصة ورقة لن تراها ثانية ولا انا بينما ابي يستطيع ذلك بسهولة . وهكذا اخذ يحضر لها الدواء وقد لمح الظرف كما توقعت .

خرجت من المطبخ كي لا يفتضح أمري اثناء شجارهما وحتى لا يرتسم على وجهي اي اثر مريب . انتظرت في الغرفة دقائق طويلة دون ان اسمع صوتا . لقد خاب ظني ، لم يحدث شيء . ان ابي يثق بها ثقة عمياء . لا بد انها قد اقنعته بكلمات قليلة .. انني اكرهها .. ماذا تراها اخبرته ؟ هل اكتشف امري ؟

في صباح اليوم التالي خرجت باكرا دون ان احاول رؤية احدهما . لم ارجع الا مساء اليوم . وفي الليل كانت نوبة قلبية تقضي مضاجعنا . لقد تأخر وصول الدكتور فالتلفون قد تعطل فجأة وقرر ابي ان يذهب اليه بسيارته وفي الطريق اصطدم ابي بسيارة اخرى فتأخر اكثر وهكذا حتى مرت النوبة لكن ليس بسلام بل تركت المسكينة محطمة .واخيرا عاد ابي مع الدكتور مصفر الوجه وكأنه ينتظر مني ان اخبره انها ماتت . لكن الدكتور اكد خطورة الموقف فقط ومضى اسبوع وها هي الان تجثم في سريرها ، ابي اصبح يتأخر في الوصول الى المنزل بسبب مشاغله .. الا يعلم انها قد تصاب باحدى نوباتها ؟ هل يطلب مني ان اهتم بها ؟ هل انا زوجها !

اوه لم اصبح يتأخر ؟ لم لم يحاول اصلاح التلفون وهو يعلم ان منزلنا بعيد عن المدينة ؟ هل .. ؟ لا لا .. ان ابي ليس له اي دخل في كل ما حدث .. انه يحبها وهو يحضر لها

ترنيمة

الدكتور جمال مرسي بدر

الجزائر

شعاع نور ذهبي
أضاء خلف الحجب
خيط حرير أمسكت آمال حبي طرفه
ودفقة من عبق يشتاق قلبي عرفه

أقبلت يا سعد السعود
يا بعض أسرار الوجود
فأينع الذابل من ثمار موسمي الجديب
وانطلقت من قيدها روحي الى أفق رحيب

تطلعت الى النجوم
وحلقت فوق الغيوم
ساجعة كم هزها الشوق الى هجر التراب
واستشرقت الى الاعالي كلما لاح شهاب

لكن في الافق البعيد
نذير اعصار جديد
رياحه الهوج ستودي بثماري اليانعه
ولن يعوق سيره نداء روحي الضارعة

في مثل ومض الشهب
تبين ثم تختبي
مضى ضيائي تاركا ظلمة ليلي خلفه
أصابعا تخنق قلبي والدجى قد لفه

لا .. ليس هذا منتهاك
ولن أضيع في هواك
مثلك يوما أن تجلى من عل على القلوب
لا تأتلي تحفظه اذا مضى حتى يؤب

لا بد من صبح قريب
يطلع من غير مغيب
يسعدني بنفحة عذراء من سر الخلود
ويطلق الروح التي طال بها أسر الجمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدواء كل مساء . كل مساء ؟ لكن الا يتحرى قليلا اذا كان حقا يوجد احدهم .. تخونه ؟ ابي ليس غبيا .. يا الهي لعل الامر جدي وهي تخونه حقا ؟ لم اثارت عندما اتهمتها بهذا ؟ هل يعلم ؟

ابعدت المنشفة عن الطاولة .. انها تذكرني بالتمثيل . رميتها سريعا على السرير ، خرجت نحو غرفة ادال وقررت ان اساعدها . لن تموت بسببي اذا كانت ستموت ، طرقت الباب .. لم احصل على جواب ، احسست براسي وكان الاف المطارق تضربه .. انحنيت نحو الثقب .. لم تكن في الفراش .. بل خلفي بثوب ابيض كالكفن كشبح رهيب في الزاوية ممسكة بالسماعة المعطلة وقد ارتسم الالم ببشاعة على وجهها .. لكم اشفقت عليها .. ارجوك اريد الدواء . بحثت طويلا . . لم اجد فلم احتمل . خرجت سريعا من المنزل فلفحني هواء الليل البارد ، الباب مفتوح ورائي وفي نفسي افكار متضاربة كثيرة .. يجب الا تموت قبل ان افعل شيئا .

ساره ناعورة

في احضان واد ظليل

في احضان واد ظليل ، حيث يترقرق جدول فضي على صخور ملساء ، قضى ساعات طوالا من لهو طفولته . وبين مظلات خضراء تغلفها غلالات فضية شفيفة ، حيث قاطفات الزيتون يجمعن الغلال متنقلات من شجرة الى اخرى ، كان مع جماعة من رفاقه يعتلي القباب ليشرف على اجمل غابة تلاصقت وتشابكت فأغنت خياله واطلقت عينيه الى آفاق بعيدة .

في مدرسة القرية اولا ثم في المدينة ، لمس اساتذته الموهبة المتاصلة في نفسه، النفحة السماوية العابقة من حروفه ، فتنبأوا له بمستقبل شعري مرموق .

كان طفلا ، فاستوعب واختزن كل الذي صادفه من جمال وبهجة . وغدا الطفل رجلا وظلت طبيعته الطفلية بوداعتها وصفائها ، بطيبتها وعفويتها ، ظلت جميعها راسخة متجذرة في اعماقه . يطلب ما يريد دون مقدمات ، ويؤمن بما يسمع دون ريبة ، فهو ما تصنع يوما ولا فاه بغير ما يشعر ، فلم يشك او يتطرق الى الما ورائية .

هاجر امى اميركا الجنوبية وزار اكثر العواصم الاوروبية والاميركية يختزن الصور والاحاسيس ويعمق رؤاه الشعرية ، فكتب اروع القصائد في الحب غازلا للمرأة من شعاعات القمر ، ومن عبق الياسمين احلى الغلالات .

احب اصدقاءه واخلص لهم الى ابعد حدود الاخلاص ، لم يتلون ولم يراوغ . كان صريحا لا يعرف التملق او التستر ، وهذه الصراحة الصادقة، او قل هذه الطيبة ، كم استغلت من قبل البعض وكم جرت عليه الاحقاد والانتقادات فكان يسامح ويغفر اذ يقول « لا يستطيع انسان تتدفق في نفسه احاسيس الحب والطيبة ان يكون حقودا » .

ما من احد يلقاه حتى تأسره هذه الانسانية وهذا الانفتاح ، فيشعر وكأنه يعرفه ويعايشه منذ زمن . غرف قلبه مفتوحة مشرعة ، ما عرف ان يريك جانبا منها ويغلق الاخر . وكما ان صدقه وعفويته المتأصلين في نفسه يشعرانك بالانس والالفة ، كذلك صمته وذهوله يخلقان هوة بينك وبينه . فقد تكون في بيته او يكون في بيتك ويعتريه صمت طويل ، ينظر ويسمع دون مشاركة ، وكم يتجنى عليه بعض الاصحاب فينعتونه اما بالكبرياء او بالتقصير والسطحية ، ولكن لا الكبرياء ولا الجهل كانا يمنعانه من مجاراتهم في ابحاثهم والاشتراك في تعليقاتهم ، بل هو خياله المجنح الذي لا ينفك يطوف في شراع غيمة وعلى انزلاقة نجمة .

في حياة شاعر

بقلم اديل الخشن

كثيرا ما تأففت زوجته من نسيانه المستمر او اهماله العفوي ولكنها عندما تحققت من طيبته وصفاته ، صارت تسامحه وجعلت نفسها مفكرته اليومية . كانت احيانا افكاره تسير كالقطار السريع وقد يصادف هذا ساعة الطعام فياخذ بالاسراع وبتناوله وهو ذاهل عما حوله وعما يفعل، فينبه الى ذلك باشارة متفق عليها .

قليلا ما كان يجلس بين اولاده يلاعبهم ويحدثهم ، ثم يأوي الى مكتبه ويغلق بابه فيغرق في وحدته وينسى وجوده وبالرغم من الصمت والكآبة البادين على وجهه كان فرحا مبتهجا يكره التجهم والتعقد . فهو ما اهتم يوما لخسارة او ربح ، كان طموحه في الادب والشعر يتغلب على كل نواحي حياته ، ومن رافق حياته التجارية يعجب لنجاحه بالرغم من عدم المامه بها وسعيه لتحسينها . ومن ابرز صفاته في لامبالاته وعدم اكتراثه بالتجارة ، انه عندما يغلق باب عمله يغلق باب التفكير فيه او التحدث عنه ، فلا يعود يرضى ان يسأل او يستوضح في موضوع تجاري .

من اجمل فترات راحته في البيت كانت تلك الساعات التي يجلس فيها في غرفة ذات اطار شرقي يستمع الى الموسيقى وقد يحتسي الخمر احيانا في اكواب ضخمة وضعت على طبق نحاسي ، كنت تنظر اليه فتخاله هارون الرشيد مع الفارق ان الجواري كانت تتراقص في خياله . كان يستمتع كثيرا بهذه الاجواء لا سيما اذا شاركه فيها بعض من اصدقائه واخوانه ، وعندئذ تمتزج روحه بالخمرة فترق وتشف وتتقطر في قصائد هامسة تهزج لها النجوم .

كذلك من احب هواياته الى نفسه السفر ، فتراه دائم التشوق الى اكتشاف الجديد والغوص في الطبائع الانسانية المختلفة ليغني مداد ريشته الملهمة ، بعد ان كان اقليميا في شعره .

وكم من مرة جلس وحيدا بين دخانه وآلامه لفجيعته بوفاء صديق . كان يستعيد في ذهنه الآمال الحلوة والاخاء الصادق والثقة الكبيرة التي يتوج بها صداقته . لكم اعطى بصدق واخلاص وطيبة ، ولكم رأى الناس في مرآة نفسه واغدق عليهم من ذاته ثم فجع بهم واكتشف ان كل ما سمع كان للاستهلاك الآني . فتعصف في نفسه ثورة طاغية وتنتصب امامه اطياف الرياء وافاعي الغدر التي كانت نائمة . اللوعة تتفجر في صدره حمما تمزق صور الجمال في نفسه فيشيح بوجهه عما يرى والكراهية تغشى عينيه .

هو الان في ثورة نفسية ، في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنـــا

أنـا يا حبيبي مـدار الحنيـن ... ورعش الظنون وهمس الفكر
انا ان سالت دروبـك عنـي ... تجـد لي بكـل طريـق أثـر
وهمسـي نـداء السنين المدوي ... يضج بسمعـك ، يغشى البصر
فكيـف التهرب من سطوتـي ... وهـل لـك ممـا تعانـي مفر
فانـي اقيـم هنـاك بعيـدا ... بغـور ضلوعك حلمـا أغـر
وانـي شعـور خفـي لهيـف ... دمـاؤك منـه لظـى مستعـر
واني رفيـق الاماني وانـي ... دبيـب الضيـاء بعمـر السحر
فيـا أيهـا المتسائـل عنـي ... جوابـي فـي سـرك المستتر

الموعد الازلي

هلـم الـى غيهـب سرمـد ... الـى وحشـة الازل الابعـد
نلملم رؤانـا ونمـح خطانـا ... ونحتـم فـي صمتـه المجهد
لعـل الظلام يريـح الحنايـا ... وننعـم فـي هـدأة المقصـد
وننسـى الحيـاة وآلامهـا ... ونلهـث خلـف رؤى المـوعـد
رؤى موعـد كان منذ القديـم ... سنسعـى اليـه يدا فـي يـد
والا سنسعـى بأرواحنـا ... عسـى نلتقي فـي الغد المسعد

حبيبـي وماذا تكـون الحيـاة ... سـوى جمـرات هـوى موقد
اذا مـا نأينـا فحسبي عرفتـ ... ـك تـوأم روحـي بـلا موعـد
فنحن معـا فـي رواح غنيـد ... يضـل الدليـل ولا يهتـدي

دمشـق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ريبة طاغية ، يكتب ملحمة حيـاة ، ملحمة واقع ويقول انه لن يخدع بعـد اليوم، بعد ان استفاق العقل الممحص الشكاك . ان هذه الاستفاقة تنضح بالالـم الكبـير ، ان الاسـتغراق والتعمق ، اكسبا شعره الوانا جديدة ونغمة وريبة هما منظار يعري دخائل النفس وخ بایاها ، ولكنهما ، افقداه الصفاء والطيبة النابعين من نفسه . انه يكره هذه المدنية الفاسدة التـي جعلـت الناس يعيشـون كالمثلين ، يرقصون في الحانات وفي بيوتهـم يقيمون المآتم ، يرحبـون بالضيوف ويفرشون لهم الورد ، وعندمايغلقون وراءهم الابواب يتأففون ويشتمون . يراها سيدة تضفر حولها هالة مـن العفة والاحترام فاذا به يلقاها تجوب الملاهي،تجالس هذا وتتواعد معذاك. القرف يشيع في نفسـه ، الشـك يستعمر راسه والكراهية تنبع مـن اعماقه . « ما سر هذا الفـساد وتمنى كثيرا في ساعات تفكيره ان يغيب ، ان يختصر رحلته ، لأن الخيبـة ستزداد كلما طالت طريقه وكثـرت اتصالاته . ان اشد ما يتوق اليه ان تبقى في نفسه الصورة المحببة لقيم الانسان للمباديء الخيرة ، للنفوس الصافية . الناس يدوسون الاسلاك الشائكة ، تمزقهم ابرها ، ويتمرغون بالوحول المجبولة بدمائهم للوصول الى ما وراءهافيبدون كلوحة تثير الدهشة وزعت الوانها بيد معربدة . الطبيعة ! .. اين الطبيعة وصفاؤها اين خاماتها الناصعة ، اين العبق النقي الـذي يحبب اليك الحياة .. هنـاء زال وانقضى . وعملت سكة الحضارة في الارض فثلمتها وطمرت نباتاتها اليانعة تحت حوافر ثيرانها الهائجـة فـلا تستطيع السير دون ان تعثر او تكبو.

اما هو فقـد احب الطبيعة ، احب سهولها المنبسطة والمنفتحة على الضوء والمفوفة بشتى الازهار والرياحين ، فلم يكن لطبيعته فصول ولا لورده اعمار ، فانك لو زرت مكتبه الهادىء لرايت غرسة نادرة اللون من « بخور مريم» تمنحه اروع ازهارها متحدية بذلك نظام الفصـول .

الشويفات ـ لبنان — اديل الخشن

كل شيء وهم وباطل

*

ما نرجى والمجد محض افتراء ... بعد طول الجهاد غير العناء
نقطع العمر خابطين حيارى ... دون جدوى جريا مع الاهواء
ونشيد الحصون حرصا ونبني ... زائفا كالهباب فوق الهباء
ما توانت دون الزحام خطانا ... في سباق او قصرت عن عياء
نتعادى على الحطام ضلالا ... كالضواري في الغارة الشعواء
كل يوم على التراب جديد ... لمآس مسطورة بدماء
ما غنمنا من الجهاد فتيلا ... غير فيء الاطمار من بؤساء
يانف المجد ان نخضب كفا ... بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي والعيش اضغاث حلم ... من حياة مصيرها لفناء
طمع الناس ضلمة ببقاء ... وتولوا وما حظوا ببقاء
حسبوا الخلد حفنة من تراب ... شيدوها في صفحة الغبراء
جبلوا الترب بالدماء ليبنوا ... مشمخرا على ذراع العفاء
واقاموا بكل ثغر قلاعا ... رفعوها بغيا على اشلاء
من رآها تمثل الظلم فيها ... صفحات قد فصلت بجلاء
فهي تتلى على العصور فصولا ... ملء سمع الاصباح والامساء
يانف الخلد ان نخضب كفا ... بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي من صالح في حياة ... عدلها الين ما به من رجاء
نتفنى بالعدل وهنو ضلال ... من نسيج الخيال والاهواء
ما رعينا في غابر غيب جار ... او سترنا خصاصة من عراء
قد اقمنا شرائعا سطرتها ... بدماء قواضب الاقوياء
وابحنا حمى الضعيف لجان ... وغفرنا مكائد السفهاء
وعبثنا مصحفين لشر ... كان فينا ، حقائق الاشياء
نصف القتل بالجهاد لنخفي ... عورة الاثم في قشيب الرداء
يانف الحق ان نخضب كفا ... بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي وكل شيء رياء ... من حياة تقنعت برياء
عكست منطق الامور فتهنا ... في عباب الضلال والانواء
وخبطنا بدامس كسكارى ... فتنتهم حرافة الصهباء
ما عرفنا من امسنا كان وهما ... يتلاشى سرابه كفثاء
ليس للجود بذلنا حين نعطي ... انه المنع في ثياب العطاء
مثل حال الصياد يضمر امرا ... حين يلقي الفتات للورقاء
رب جود امض خطبا وادهى ... من مرير الحرمان في الالواء
يانف الجود ان نخضب كفا ... بدماء الاحرار والابرياء

دمشق — عدنان مردم بك



الدكتور محمد حاج حسين

احزان شاعر

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

* * *

نظر النابغة الذبياني الى لبيد بن ربيعة ، وهو صبي مع اعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فساله ، فنسب له . فقال : يا غلام ، ان عينيك لعينا شاعر . افتقرض من الشعر شيئا ؟ قال : نعم يا عم . قال : انشدني شيئا مما قلته ، فانشده قوله : الم تربع على الدمن الخوالي . فقال له : يا غلام . انت اشعر بني عامر . زدني يا بني ، فانشده : طلل لخولة بالرسيس قديم . فضرب بيده الى جبينه ، وقال : اذهب ، فانت اشعر من قيس كلها .

والحق ان لبيد بن ربيعة العامري ينتظم في سلك فحول الشعر الجاهلي . . . هؤلاء الافذاذ الذين ابدعوا اروع نفحات الشعر الصافي ، الذي صدر عنهم كما يصدر الشذا عن الزهرة ، ففيهم يتمثل الشعر الخالص الذي تحتدم فيه اسذاجة الفنية التي تجعله لاثكا بالقلب ، تشربه النفس بلذة فارهة ، ويتغلغل في اعماقها ليعزف على اوتارها اصدق الانغام الحية .

وامتاز لبيد بن ربيعة بشاعرية خصبة ، وحس رهيف ، وعاطفة مشبوبة وعين لاقطة ، واذن حساسة تعي ادق الحركات ، فلا غرو اذا تجسدت في شعره صورة تتقد بالاصالة والروعة للصحراء في شموخها وجلالها ورهبتها وحيوانها ، ومناظرها الساجية . .

وهاضت هذا الشاعر المجنح محنة قاسية ذبحت منه القوى ، فقد انقضت صاعقة على اخيه من امه اربد، فاحالته الى رماد ، فعمقت هذه الرزية عواطفه ، ووضعته ازاء الحياة بماساتها الدميعة التي لا ترحم ، فتلظت نفسه حسرات ، ووجد في الشعر انشودة اساه ، يزبح به هذه الكرب التي لازمته واضوته ، ينغم به احزانه شعرا حافلا باللوعة الرهيبة ، فقد كان يحب اخاه اربد حبا عميقا اخذ عليه شعاب تفكيره ، وامتلأت به نفسه . وهل هناك حب يعادل حب الاخ للأخ في عمقه وسعته ، وصفائه والقه وتمكنه ؟.

سأل الاصمعي اعرابية : لماذا كان الرثاء اجود شعركم ؟ واجابت هذه الاعرابية اللقنة : لاننا نقوله وقلوبنا محترقة . واحترق قلب لبيد ، فسال منه الشعر الملتاع ، الذي مثل فجيعته الاخ باخيه في كل زمان ومكان . انها قصة انسانية بالغة الجذور يحسها كل من فقد اخاه ، واصمى الموت فؤاده ، ففلقه الحزن ، ولفته اللوعة . ومما لا شك فيه ان شعر لبيد باخيه خير معوان لكل من فقد اخاه ، ففيه الجزع الصادق ، والحزن الكاوي الذي لا تنطفىء جمرته ، وفيه ذلك الفراغ المربد الذي يحطم الانسان ازاء موت اخيه . وليس هذا الشعر الحي سوى قصة النفس المزاة بفقد الاخ الحبيب ، فلا تهدأ لها لوعة ، ولا تجف لها دمعة . ولقد عمقت هذه الفاجعة نظرة لبيد الى الحياة ،وزادته حكمة ، وصقلت شاعريته ، فاندفع في شجو حزين يمثل هذه الايماضة التي حاقت به ازاء الموت ازمة الانسان على كر العصور . انه الموت الذي لا يرحم احدا :

ما ان تعري المنون من احد لا والد مشفق ولا ولد . .

انه سلطان قهار يلوي الاعناق ، ويحطم الانفاس ، غير آبه بحرقة الاب ، او لوعة الابن . ويصور لبيد انقضاض الصاعقة على اربد في اسى رهيب ، فقد كان يدرك ان الموت ضربة لازب ، بيد انه لم يخطر بباله ان تلتهمه الصاعقة :

اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد
فجعني الرعد والصواعق بالـ فارس يوم الكريهة النجد

وحطمته هذه الفاجعة حتى استحال الى تمثال جسد الالم . . فهو لا يفرح ، ولا يحزن . يقول في نغمات مذيبة :

فلا انا ياتيني طريف بفرحة ولا انا مما احدث الدهر جازع
ويهيب بعينه لتسفح الدمع . .ولكن متى كان الدمع يرادالفقيدالغالي؟
يا عيني هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد
وعيني هلا بكيت اربد اذ الوت رياح الشتاء بالعضد .

انه يبكيه عندما تصطخب الشدائد ، فيفتقده الناس في مرارة ليدراها عنهم ، ولكن هيهات . . ان الواقع المرير ماثل امام عينيه الآسيتين ، فاربد ذهب الى غير

رجعة ، وخلف الشاعر في وحدة مكفهرة كسير الجناح :

يا اربد الخير الكريم جدوده خليتني امشي بقرن اعضب

ويسمو الى ذروة الابداع الفني عندما يخاطب ابنة اخيه ، يفضي اليها بشجوه الفاجع على فراق ابيها : يقول في نغمات آسية :

لعمر ابيك الخير يا ابنة اربد لقد شفني حزن اصاب فاوجعا
فراق اخ كان الحبيب ففاتني وولى به ريب المنون فاسرعا

فالمصيبة التي انحدرت عليه لا حد لقسوتها :

وارى اربد قد فارقني ومن الارزاء رزء ذو جلل .

وعندما يرى ابناء اخيه يقتسمون ميراث ابيهم ، تلتهب نفسه بالمرارة :

وايقنت التفرق يوم قالوا تقسم مال اربد بالعمام

ولكن .. هل بقاء الزعامة في ابن اخيه اليتيم يحمل له التسرية والتعزية ؟ :

تطير عدائد الاشراك شفعا ووترا والزعامة للغلام

وظل الحزن مستعرا بين حنايا الشاعر لم تستطع الايام ان تخفف من حدته، ففي كل مناسبة يذكر هذا الاخ، يزري الدمع ، وتند من قلبه الآهات . وكلما تقادم العهد على هذه الذكرى الحزينة استمد لبيد منها قوة تدفعه الى اللوعة الحارقة التي تلتهب في شعره ، فعاطفته الحانية قوية لا تعرف الفتور تتقد بالحب ، والرحمة الحادبة على هذا الاخ الذي قصفته المنية ، وهو في اوج شبابه .

ولا يفوت لبيد في غمرة اساه الدامي ان يرسم صورة رفافة الظلال لهذا الاخ الذي مات ليخلف في اعماقه جروحا نفارة . لقد برع في نسج خطوطها من المكارم والمفاخر العربية فاربد جمع اروع صورة للمروءة العربية التي كان يرى العرب فيها مثلهم ، فكرمه فياض ، وامواله في سبيل المعتفين ، لا يرد سائلا وان عاد هذا السائل اليه افاض عليه من نعمائه الكثير . ويهتف في لهجة محزونة :

الحارب الجابر الحريب اذا جاء نكيبا وان بعد يعد
يغشو على الجهد والسؤال كما انزل صوب الربيع ذي الرصد

ويفيض اسى الشاعر ، وهو يتحدث عن حصائفه الريقة .. انه البطل الذي يحامي عن القبيلة ، ويذود عنها الضيم :

الا ذهب المحافظ والمحامي ومانع ضيمنا يوم الخصام
واربد فارس الهيجا اذا ما تقعرت المشاجر بالكعام

وما ارق هذه الصورة الانسانية التي نجد فيها اربدا يغدق الخيرات على الفقير الذي عصب رأسه ورجليه من فتكة الجوع :

وقد كان المعصب يعتليها ويحيى عند غايات الدمام .

فهو يمنحه الهجان الكريمة محافظا على كرامته .

وما اجمل ان تكون امواله نهبا للايتام والفقراء :

اذا ما تغرب الانعام راحت على الايتام والكل العيام
فيحمد قدر اربد من عراها اذا ما ذم ارباب اللحام

وتختلج به الذكرى ، فتعصره ، عندما يتمثل الامجاد التي اثلها هذا الاخ الذي غاب في حفرة شديدة التعتيم، فيصرخ في مرارة :

ايامي قومي في المآتم واندبي فتى كان من يثنيني المجد اروعا
وقولي الا لا يبعد الله اربدا وهدى به صدع الفؤاد المفجعا
عميد اناس قد اتى الدهر دونه وخطوا له يوما من الارض مضجعا

ويبدع في رسم صورة بارعة الالوان لاخلاق اربد، فهو:

حلو كريم وفي حلاوته سر لطيف الاحشاء والكبد

ولهذا فجر البكاء في كل ناد :

الباعث النوح في مأتمه مثل الظباء الابكار بالجرد .

وكيف لا يبكيه الجميع ، وهو الذي يغدق امواله على البائسين .. وهذه جارته التاعسة يحوطها بعنايته ورحمته حتى اذا ما ذهبت الى بيتها غمرته بالثناء :

وجارته اذا حلت اليه لها نفل وخط في السنام
فان تقعد فمكرمة حصان وان تظعن فمحسنة الكلام .

وبلغ القمة في هذه الصورة المؤثرة :

وان تشرب فنعم اخو الندامى كريم ماجد حلو الندام .

وعمقت هذه المأساة فكر لبيد ، وجعلته وجها لوجه امام الحياة الحبلى بالمآسي ، فأخذ يتأملها ، ويتغلغل في كنهها القلب الحول ، فهي لا تفتأ تزود الانسان بالاحزان.. ولعل اجمل روافد هذا الرثاء الحي تلك التأملات المذعورة التي صبها لبيد في الحياة والموت مفكرا فيهما لا يستطيع حلا للغزهما العويص ، فهو بعد ان يتحدث عن فاجعته باخيه ، يفزع الى نفسه ، ويخلو اليها ، ليفكر في زحمة الحياة ، فلا يتمالك الا الاعتراف بواقعها السيء الذي لا يرحم احدا ، فالكثرة مصيرها الى قلة مهما تراخت السنون ، فالموت بالمرصاد :

كل بني حرة مصيرهم قل وان اكثرت من العدد

والحقيقة المرة تنبض امام عينيه ، فالدهر لا بد ان يفجع الاحباب بالاحباب :

فلا جزع ان فرق الدهر بيننا وكل فتى يوما به الدهر فاجع

وانتهت به تأملاته الى ان الدنيا كالدار ينزل فيها السكان ، ثم يرحلون عنها ، وما الانسان الا كالشهاب يسطع ثم يخبو ، وليس المال الا عارية ، فهو كالانسان وديعة ، ولا بد ان ترد الودائع يوما الى اصحابها :

وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وراجوا بلاقع
وما المرء الا كالشهاب وضوؤه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وما البر الا مضمرات من التقى وما المال الا معمرات ودائع
وما المال والاهلون الا وديعة ولا بد يوما ان ترد الودائع

والحياة تسير على غير منطق ، فليست سوى مسرح عجيب تتمثل فيه المضحكات المبكيات ، فالناس العوبة في ايدي هذه الحياة ترفع بعضهم ، وتهوي بالآخرين ، فهم في مد وجزر بين خسارة وربح ، فمنهم من يسعد ، ومنهم من يفريه الشقاء :

وما الناس الا عاملان فعامل يتبر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ لنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع .

ويصل في النهاية الى ان العمر المديد لا غناء فيه ، ولن يفيدمنه الانسان سوى الشيخوخة يدب فيها على العصا:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

وما جدوى طول العمر ما دامت المنية بالمرصاد :

فلا تبعدن ان المنية موعد عليك فدان للطلوع وطالع

ولم الخوف من الموت ما دام لن يفلت انسان من قبضته الهاصرة ؟

اتجزع مما احدث الدهر بالفتى واي كريم لم تصبه القوارع

ورغم اعتقاد لبيد بهذه الحقيقة لم يستطع ان يتعزى عن فقد اخيه ، فأحزانه كانت كبيرة طغت على تفكيره ، فظل فؤاده ينزف الدمع ..ويحاول ان يتشبث بهذه الحقيقة الصادعة عساها تخفف لوعته ، فيلتفت الى الماضي ، فيرى ان احبابه ذهبوا ، وبقي في خلف رديء لا يرتاح اليه :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

يتأكلون فعالة وخيانة ويعاب قائلهم وان لم يشغب

ورغم هذا كله ظل الحزن ملازما له فرزيته لا تعادلها رزية :

ان الرزية لا رزية مثلها فقدان كل اخ كضوء الكوكب .

وهل يجدي الوداع لهذا الاخ الذي افتقده جميع الناس لشمائله الكريمة ؟

فسودع بالسلام ابا حزيز وقل وداع اريد بالسلام

يفضله شتاء الناس مجد اذا قصر الستور على البرام .

وان فجيعة لبيد بأخيه اكبر من تفكره البارد الذي حاول ان يجد في فيئه ظلا يفيو فيه عله يتعزى ..ورغم ايمانه بقوة الموت الذي يمزق الاحياء .. حتى لا يبقى في الدنيا سوى الجبال والنجوم ظل منطويا على حزنه الذي لا يستكين . يقول :

فهل نبئت عن اخوين دامسا على الايام الا ابني شمام

والا الفرقدين وال نعش خوالد ما تحدث بانهدام

ومع هذا الايمان بالواقع الذي لا يدفع تفور عاطفة الشاعر المفجوع ، ويبكي اخاه بكاء مرا فقد كان الامام والعقل للجميع :

وكنت امامنا ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنظام .

وكيف يهدأ أساه .. وهو يرى الفجيعة قد عمت الجميع ، حتى اصبح الناس لا ينفرون للحرب ما دام مسعرها قد خطفه الموت :

وليس الناس بعدك في نفير ولا هم غير اصداء وهام

وفي ذهول شديد يعجب لبيد كيف تمضي الحياة بالناس دون ان يتعظوا .. انهم عاكفون على الطعام والشراب ، وقد راوا الموت بأعينهم يعدو على فارسهم وحاميهم :

وانا قد يرى ما نحن فيه ونسحر بالشراب وبالطعام

كما سحرت به ارم وعاد فاضحوا مثل احلام النيام

وينفس عن جواه بحملة على الدهر المولع بالاساءة الى ابن آدم :

لعمر الله هذا الدهر اني رايته بصيرا بما ساء ابن آدم مولعا

وهل يجدي تقريعه هذا شيئا ؟.. وهل يأبه الدهر الشامخ في عنفوانه الهائج بهذا التقريع ..الحقيقة .. ان ابد سار على سنة الكون الازلية المغرمة باطاحة البشر الى الفناء :

دعا اربدا داع مجيب فاسمعا ولم يستطع ان يستمر متمنعا

وكان سبيل الناس من كان قبله وذاك الذي افنى ايادا وتبعا

وصل الى هذه الحقيقة المرة التي لم تستطع ان تطفىء جمرة الاسى الذي اشتعلت فيه فغاض بهذا الرثاء المؤثر الذي شف عن حب اخوي عظيم وشاعرية خصبة دافقة تفتقت عن اروع الصور في اسلوب رائع سائغ الوقع.

ومما لا مراء فيه ان لبيد بن ربيعة احد افذاذ الشعراء الذين احترقت قلوبهم ، فغاض بهذه الانغام الباكية الخالدة .. فأجمل الاغاني اكثرها حزنا وبؤسا.. وبز ابو عقيل في هذا اللون المؤثر الكثير من اقرانه لانه صدر فيه عن وجدان ملتاع ، هاضته المصيبة ، وأرمضه الحزن ، فاشتد انفعاله ، وعاش التجربة الحية الصادقة بكل اعصابه ، فكان هذا الرثاء الدامع الذي امتزجت فيه العاطفة الملتهبة بالحكمة الواعية ، وفاضت هذه الانغام التي غناها الشاعر في وقار رهيب عن عبث الحياة .

مكة المكرمة — محمد حاج حسين

الوفاء الجميل

تحب..!! وأين الهوى الاول ؟؟ـ
تخون ..!!واين الوفا الامثل ؟؟
أتنسى فؤادي .. من كان لي
هو القلب ، والحب ، والمأمل ؟؟
أتنسى الذي ان اتى روضة
تغنى له الطير .. والجدول ؟؟
أتنسى المحيا البريء .. الذي
يليق لرقته .. الجندل ؟؟
ومن كان يأسرني سحره
ويسكرني .. طرفه الاكحل !!
فيا قلب .. أين الوفاء الجميل
لمن كمنت عنه الشذى تسأل ؟؟
لئن كان يا قلب .. فمر من تروم
جمال .. فان الوفا .. اجمل !!

جدة — مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية الشيخ مصطفى الغلاييني

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

لعب الادب دورا بارزا في منح الاستقلال لهذه الامة ، او بقاء تلك . في بيروت ، وقف الكاتب والشاعر الشيخ مصطفى الغلاييني، مع من وقف من رجالات الكلمة الحرة، يصيح بوجه الدخلاء بان يرحلوا عن هذي الديار ، ويتركوها لاصحابها .

في مجلة « النبراس » التي انشأ ، كتب مقالات سلط قلمه فيها على المستعمرين ، وطالبهم بالاستقلال التام . كما انه في دمشق وعمان اللتين قصدهما خوفا من الاضطهاد والنفي بسبب تلك المقالات السياسية العنيفة ، ما تقاعس ابدا عن شن هجمات مركزة على العابثين بمشيئة الحكم في لبنانه الاحب ، الذي اراده دوما منطلق فكر ورائد ثقافة ومبعث نور ، كما اراد للقلم فيه حرية ما بعدها حرية . وقد شهدت المنابر بخطبه الوطنية البليغة التي صب فيها جام غضبه على الذين رفضوا ان يكون لنا ، في بادىء الامر ، استقلال . فضلا عن ان منزله حفل بندوات اجتماعية وسياسية طالبت ، فيما طالبت ، بحق هذا الوطن بالحصول على استقلاله ، وكان يشترك فيها علماء الدين واللغة والآداب ورجالات السياسة .

والتفت الى الدول العربية ، فرآها ترزح تحت اثقال المستعمرين . فوقف يهاجمهم بقوة ، ويندد باعمالهم ، ويطلب منهم الانسحاب منها وترك الحكم لابنائها ، كما جاء في انتاجه .

لقد ترك الشيخ مصطفى الغلاييني انتاجا وفيرا من الناحية النثرية ، ومقلا من الناحية الشعرية . وقد دلت مؤلفاته النثرية « اريج الزهر ، الاسلام روح المدنية ، الثريا المضيئة في الدروس العروضية ، القواعد العربية ، الباب الخيار في سيرة المختار ، عظة الناشئين ، نظرات في الادب واللغة ، نظرات في السفور والحجاب ، سلم الدروس العربية في قواعد اللغة وآدابها ويقع في عشرة اجزاء..» دلت على انه كان في مقدمة لغويي البلاد العربية.

اما عطاؤه الشعري فانه قام على ديوان واحد ، وبعض القصائد المتفرقة التي لا يعلم احد متى تدفع الى المطبعة . وقد نظم في الحماسة والفخر والغزل والحكمة والادب والسياسة والاجتماع . لكنه لم يحظ بنجاح في جميع هذه الابواب . لقد برع في قصائده الوطنية والاجتماعية ، وعليها قامت شاعريته . ودلت مضامينها على انه كان في طليعة الرعيل الاول من رجالاتنا الذين قارعوا الانتداب ، وجابهوا الاستعمار بصلابة جاش وعناد عزيمة . كما دلت على انه اسدى نصائح وارشادات الى الجيل الطالع في كل امصار الضاد ، وحمسه على التعلق بكيان الامة العربية . فضلا عن انه ناصر المرأة .

اسمعه في قصيدة « يا شباب العرب » يناشد ابناء الجيل الطالع ان يهبوا ويحملوا السيف ليخوضوا معارك العز والشرف :

يا شباب العرب هبو للعلا ... وانتضوا للمجد ماضي الشمم
واركبوا الهول ، وهزوا الاسلا ... واكتبوا سفر المعالي بالدم
اقدموا ، فالمجد يدعو ، والمنى ... تجتنى بالفعل لا بالكلم
من برمها خاض امواج العنا ... والردى ينهل فيض الديم

ثم يطلب منهم ان لا يناموا على ضيم . فالاعداء ما برحت طامعة بنا . غايتها الاستعباد واضعاف شوكتنا. وعلينا اذن ان نشدد العزم .. ان نقدم لندفع عن ديارنا الحبيبة الذل والهوان ، ونبني حياة نفخر بها نحن ، ثم يفخر بها من يأتي بعدنا :

جردوا عضب الشبا ، ان العدى ... طمعت في حلنا والحرم
ان سكتنا اليوم لم نامن غدا ... ذلة الرق وضعف الشيم

شددوا العزم ، فان الوقت حان ... وادفعوا عن داركم بالخذم
ليس بعد اليوم عيش للجبان ... غير عيش الذل ، عيش الخدم

ويخاطب الشباب في « انشودة الفتيان » ، فيذكرهم بماضي اجدادهم النبيل ، المفعم بالاعمال البناءة الشريفة ، ويطلب منهم ان يبذلوا كل طاقاتهم ليعيدوا ذكر ذلك الماضي الوضاح ، وقد علقت عليهم الامال :

فبكم يرجى لنا عود العلا ... ولديكم قد حظنا الاملا
ارجعوا للعرب ما قد افلا ... من بدور الكرمات الغرب

ويدلهم على العدو الذي يرقب بنا ، فيحثهم على مقارعته حتى تكون لنا عيشة كريمة فيما بعد :

يا بني الابطال ، ما هذا التوان ! ... خصمنا يرقب والامر استبان
فلثمت نحيي على مر الزمان ... ونعش عيش الكرام النجب

حنانيك

بمناسبة عيد الفصح

عجبت لدنياك لا تبسم ... وقد غسل الرجس فيها الدم
طلعت عليها سنا رحمة ... وعالمها اغبر أقتم
يبدد فكرك ديجوره ... فتعلم ما الناس لم يعلموا
سموت بروحك عن عالم ... تحكم في خلقه الدرهم
سبيلك في نهجه مظلم ... وعيشك ما بينهم أظلم
وانك عرس الزمان الذي ... شغلت ، فاني له الماتم ؟

حنانيك حامل اوزاره ... هل الشهد احلى ام العلقم ؟
فكل شراب به سائغ ... اذا القلب عف وطاب الفم
وسيان عندك بعد الر ... سالة : تشقى بعيشك أم تنعم

حنانيك فادي هذا الورى ... لقد ضل نهجك من يحكم
افي شرعك السمح ان يأثموا ... وان ياكل الحمل الضيغم ؟

لندن — سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

وفي قصيدة نونية يهاجم رجال الاستعمار هجوما عنيفا ، فيقول :

وقمنا الى العلياء نخطب ودها ... فيام همام لا يهشه بفتان
لناخذ هذا الحق من يد غاصب ... حماه بتيران وبيض ومران
اتى طامعا في ارضنا وديارنا ... فحل حماها يرتدي ثوب هوان
وما هو الا الذئب ، حتى اذا راى ... ذهولا من الرعيان شد على الضان
سنقرعه ، حتى تلين قناته ، ... بعزم فتى يحمي العقائل فيران

وكما يتعلق المحارب بالسيف ، فان الشاعر كان يتعلق بالقلم .وكان يرى ان القلم سيف مسلط فوق عنق كل دخيل ومغتصب . اسمعه في قصيدة يتحدث عن قوة السيف والقلم في المعارك ، ويناشد امته ان تحمي ارضها وتموت في سبيل بقائها :

ان الحياة ، حياة العز ، ما برحت ... في قبضة الاكرمين : السيف والقلم
ما قيمة المرء ، ان لم يحم جانبه ... قلب اذا وجم الابطال لم يجم

وحارب الشيخ الفلايبني الطائفية بعد ان وجدها مصدر كل علة ، وتعمل على هدم حياة كل شعب . كما انه حارب السياسة الهوجاء التي عملت على اتساع مسافة الخلاف بين المسيحيين والمسلمين ، بعد انتهاء الحرب وجلاء الاتراك عن هذه الديار ، فادت الى التنافر والتشاحن في الاندية وعلى صفحات الجرائد ، وقضت على الالفة التي كان يفتخر بها هذا الوطن :

الا قاتل الله السياسة ، انها ... على الشرق داء لا نرى منه واقيا
وسيف له حكم على الناس مبرم ... وان جار عمدا او اساء التقاضيا
ففرق شمل الامر بعد اجتماعه ... وعطل جيدا كان بالحب حاليا
واوهن صرحا بالتاخي مؤيدا ... فعاد كما يبغي الهوى متداعيا

وتذكر وعد بلفور وتألم من سيطرة الاستعمار على سورية ولبنان ، فقال :

هذي فلسطين،عهد السوء «بلفرها» ... حتى ادعاها غريب الدار والنسب
فصار فيها غريبا رب عصمتها ... ومن له في حماها وافر النشب
والشام من بحرها لبنان الى كبد ... الصحراءفي كف قاسي الخلق مغتصب

وفي أيامه ، كانت حقوق المراة مهضومة . فوقف بجانبها ، وايد كل مطاليبها لانها جد عادلة . كما انه ناشد الفتيات على ان يسعين وراء العلم في عصر اضحت فيه الثقافة ركن كل تقدم :

فهبي الى العلم واسعي له ... فبالعلم تسمو فتاة العرب

ويوجه كلامه الى من يهمهم الامر للاعتناء بالفتاة ، فيقول :

اذا ما عنيتم بهدي البنات ... تروا امهات لكم صالحات
يقاسمنكم متعبات الحياة ... ويعرفن من حقكم ما وجب

وعلى لسان الفتيات يقول فخورا :

نحن للامة ، ان جلت تصاريف الزمان
مرهف ماض ، به تفري خطوب الحدثان
نحن للمجد فؤاد ، نحن للعز يدان

وبعد ، ان الثورة كانت متاججة في صدر هذا الشيخ ، كما يستدل من الابيات التي مرت هنا . وتبقى قصائده الوطنية في دولة المنظوم شاهدا على ما بذل في محاربة الاستعمار واتباعه . وتدل بجلاء تام على انه ما تقاعس مطلقا عن تأييد حق المراة بالمطالبة بالعلم والحقوق الشريفة .

ابراهيم عبده الخوري

ـ تاخرت !
ـ شغل .
ـ الاكل بارد .
ـ لست جائعا .

خلعت سترتي ورميتها على السرير ، فعاودني صوت امي :

ـ جاء الجابي
ـ اي جابي ؟
ـ جابي المالية .
ـ ماذا يريد ؟

واحسست بجسمي ينهار فجاة. لم تجبني امي ، بل راحت تنفض سترتي لتعلقها على المشجب . في كل يوم ساعتان اضافيتان من العمل ،ومع ذلك لا اكاد اجني شيئا. وعيد راس السنة يمر دون ان اشعر به . لم تتغير الوجوه .. كل شيء اراه رتيبا ومملا .. الثلوج دهنت الدنيا باللون الابيض ، والشمس وحدها لحست بلسانها آثار الدهان، ثم قالوالي نحن في عام جديد . قالت لي الزميلة البدينة :

ـ اين ستسهر ليلة راس السنة ؟

قلت في نفسي « ستكون سهرتي ممتعة . في السرير يكون جسمي مطفأ الاحساس . لا اشعل سوى شمعة الاحلام .. اشق الحائط .. اتزوج.. انجب الاطفال .. طفلان يكفيان .. يجب ان يكون اسماهما جميلين .. اشتري سيارة .. اهيء لقاءات سعيدة مع الفتيات .. ابني قصرا بعيدا عن الشتاء .. صورتي معلقة في كل مكان ، مطبوعة على صفحات الجرائد . انني اشعر بكامل حريتي وانا اغلف جسدي باللحاف».

قلت لامي :

ـ رايت فارا ..
ـ اين ؟
ـ على الرصيف . كان مدهوسا. احشاؤه حمراء تلون راسه . ذنبه طويل .. لم ار في حياتي مثيلا له.
ـ الفئران كثيرة في هذه الايام .

وشعرت انها تعنيني . ضممت قدمي عند حافة المدفاة ورحت افرك يدي مرات ثم دسستهما بين فخذي.

كانت قطرات المازوت تتدافع لتدوب في اعماق الانبوبة الرصاصية ولتستقر في معدة المدفاة .. الشرق دوما يقذف كرة الشمس .. والغرب وحده يتلقفها ويبتلعها .. الغيوم الماطرة ، اعمدة الهاتف ، الاشجار العارية ، الدخان الكريه ، العصافير الجائعة .. كل هذا لم يتبدل ، ثم نحن في عام جديد ! لا شيء يعجبني غير هذا الرذاذ يغسل الشبابيك ويكتم ضجة الشارع . قالت امي :

ـ يريد خمسا وسبعين ليرة .
ـ الم تفهميه بالذوق .. بالمعقول؟

اجابت امي ببرود وهي تحرك طبق الاكل :

ـ لم نسدد عن السنة القديمة .. كان يريد ان يحجز ..

الفأر على الرصيف

بقلم جهاد الكاتب

صرخت : ـ اعرف .. ولكن .. كيف !؟

وغلفنا الصمت برهة ثم همست في نفسي :

ـ لا استطيع شراء معطف .

تساءلت امي وقد سمعت الهمس:

ـ نعم !؟

ـ قلت انا لا استطيع شراء معطف. كنت لا اريد ان اقحم والدتي في موضوع المعطف رغم حاجتي اليه . يقولون لي في العمل : الدنيا برد . وافهم انهم يعنون « اين معطفك؟» . واجيب بطرف لساني :

ـ لا . الحمد لله ، السنة دافئة .

نظرت الى ساعتي فرايتها واقفة. هززتها . ثم حشرتها في مدخل اذني ، كانت خرساء . قلت بغضب:

ـ حتى الساعة توقفت .

عبر زجاج الشباك خرجت نظراتي تقتحم السماء .. تسلقت حبال المطر، واستقرت فوق الغيوم . ركبتها . سارت على طريق خضراء . عبرت جسرا عتيقا . في الضفة الثانية من الجدول ثمة تمثال لانثى .. تستقر نظراتي عند جسدها الرائع .. تلك بداية اسطورة جميلة علي ان اكملها فيما بعد ، اما الان فان اعجابي يطلب ضريبة العام الماضي وان لم نسكته بالمال فانه سيتسلح بورقة طويلة عليها عدة تواقيع واختام يرافقها شرطي عتيق . وقفت اتطلع من الشباك فلحظتني امي وقالت :

ـ الجيران رموا علينا اليوم قشور برتقال وموز .

وانتفضت فجاة . رايت في نفسي قوة خيالية تستطيع ان تحطم كل شيء :

ـ تريدين ان اصعد واضرب جارنا .. اعمل وجهه خريطة !؟

ويبدو ان امي ندمت على قولها فاسرعت تهدىء من ثورتي :

ـ لا يا ابني . نحن اناس على قد حالنا . ما لنا والمشاكل .

هززت ساعتي .. نقرتها بطرف اصبعي فتدحرج المؤشر الصغير ، وظللت اراقبه عدة دورات ، ثم اطبقت جفني واستعرضت ذكريات سريعة وردت من نفسها . هذا العام لم سموه جديدا ؟ انا لا اجد فيه ولا حتى رائحة الجدة ، فصوت الدراجات البخارية لم يتغير ، بل ازداد صراخها وعويلها . وانا لم اتغير، فقط زاد عمري كومة من الايام. وامي لم يتوقف تسلل الشيب الى شعرها الفاحم ، وسحنات الموظفين الباهتة لا تحمل دليلا واحدا على ان عاما قديما قد هرب . تقول لي الموظفة البدينة ضاربة الالة الكاتبة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ انت شاب ، ويجب ان تمرح. لا تكن جادا دوما .. عابسا . الجد الدائم يفقد هيبة الانسان .

واضحك في اعماقي . تغازلني اللعينة ، تظن نفسها بلبلا او واعظا. لا بأس ، ففي احاديثها بعض الصدق. ثم ان وجهها جميل ، رغم ما فيه من حبوب حمراء . على الاقل هي الانثى الوحيدة التي احادثها بمواضيع خارجة عن حدود العمل . كنت اضطرب واطرق راسي عندماتحدثني .. والان تعجبني افكارها . ولكنها لم تسمع بقشور البرتقال والموز وجارنا العنتري . واؤكد انها لا تهتم بشيء اسمه جابي المالية بقدر ما يشغلها اعادة رسم وجهها وتزيينه . ثم انني انا وحدي الذي يصفعني البرد . عند النوم اقول في نفسي دوما ايمكن ان اتزوجها ! راتبي وراتبها يفتحان بيتا محترما . امي عاقلة تهرب من المشادات . ثم انها اذا اقلعت عن حشو معدتها بالاكل المتواصل فلا بد ان تعود الى نحافتها. هي عرضت علي الزواج . لست غبيا . ولكنني احب الصمت . قالت لي منذ مدة :

ـ الشاب يختار زوجته بنفسه ، والفتاة يجب ان تصنع نفس الشيء. ويومها احسست بانها مرتبكة فانسللت من الغرفة .

نسيت نفسي . غلفتني الاحداث بغلالة سميكة من الضياع . الحائط وحده يعرف كيف يحرق هذه الغلالة بولاعته .اما انا فاشعر باحزمة تشد لساني .. تهصر عضلاتي .دست يدي في جيبي بنطالي وغمست راسي بين كتفي . وخيل الي ان شاربين اسودين يناطحان خشب الباب . آه ! هذا الوجه الصارم المصنوع من خليط معادن منحطة رخيصة يلاحقني اينما كنت . كلماته تدق راسي « انت شاب عاقل .. ومؤدب .. ومستقيم ولكنك غبي » واتساءل كيف اكون غبيا . ايعقل ان تكون ولادتي مغلوطة .. لي اذنان طويلتان ، وشعر خشن . وذنب طويل .. امشي على اربع !؟ وكيف اكون انسانا اذن ؟ انني لا اتجرؤ على سؤال صاحب الشاربين والا غضب مني .. وقد يطردني من العمل . شيء واحد يحيرني هو ان بقية الموظفين الذين اعمل معهم ليسوا اغبياء . صحت وانا انتشل سترتي:

ـ الناس كلهم اغبياء .

وتعلقت ابصار امي بقدمي . نظرت اليهما ثم قلت :

ـ لا تنظري . انا اعرف ان حذائي يمتصان الماء ، وجرابي مبتلان ، والاصبع الكبير اخرج راسه من الجراب .. ماذا افعل ؟

رايت دمعتين في عيني امي ، لؤلؤتين من بحر عميق قذفهما الطوفان . اقتربت منها ورميت كفي على راسها فتبعثرت كلمات على لسانها:

ـ نحن مستورون بعود من القش .. كل شيء الا الفضيحة .

هممت ان اقول لها : حان الوقت الذي يبتلع فيه الهواء هذا العود . واتراجع . لقد استدنت ما فيه الكفاية . ورغم ان الحجز عملية قذرة وفاضحة ولكنني لا استطيع ان اوث رقبتي بدين جديدة . ثم اننا في اول الشهر .. اول عام جديد . فكرت في اقاربي . استعرضت اسماءهم واحدا فواحدا . انهم غارقون في نهر كريه من الانطواء والفقر . وتابعت في راسي وجوه الموظفين ، وظللت استعرضها حتى استقرت الدوامة وهدات ، وانجلى وجه ضاربة الآلة الكاتبة . ارتاحت نفسي . لم استدن منها غير مرة واحدة . كان ذلك يوم قدمت هدية الى احد اقاربي بمناسبة زواجه . قلت لامي :

ـ انا ذاهب .

ـ والاكل ؟

ـ لست جائعا .. لست جائعا .

ادخلت الحذاءين في قدمي والقيت نظرة من الشباك . كان الشارع صاخبا بسيول المطر . لم ازرها في بيتها . ظلت علاقتي بها متحفظة وضمن نطاق العمل. سأقابل امها.. يجب ان يكون مظهري لائقا .المعطف ضروري لكل المناسبات . هي بدينة ولكنها جميلة . خصلات شعرها رائعة . ثم انها تحبني . انا رايت ذلك في عينيها . يجب ان امتص هذا الحب وهي لن ترفض. طمرت رقبتي بياقة السترة واغلقت ازرارها ثم لفحت راسي بلفاحة قديمة . سمعت صوت امي خافتا :

ـ لولا السمان الحاج عبدو لكان الجابي حجز البيت . هو كفل ان ندفع غدا .

اجبت وفي صدري اطمئنان :

ـ آه لو سكت المطر ! بيتها بعيد .

ـ من هي ؟

ـ موظفة عندنا .

ـ متزوجة ؟

لم اجب عنها . وعندما هممت بفتح الباب قالت لي :

ـ لم تاخذ المظلة .

قفزت الى الشارع ،وطواني المطر. ظللت اركض . كفاي على صدري، وعيناي نصف مغمضتين . اذا لم اجدها فتلك مصيبة . واين تذهب في مثل هذه الساعة ؟ الشيطان لا يخرج من بيته . وقفت برهة تحت سقف صفير من الصفيح العتيق . نفضت ثيابي وضربتها بيدي . وشعرت بوخز في اصابع قدمي . لم تعد تهمني السيارات التي ترشق الماء الوسخ . كان علي ان آكل ولو لقمة واحدة ، فانا جائع . عدت الى ركضي اقفز بساقي القصيرتين . الا يمكن ان اكون عداء في احدالايام، عداء عالميا ! وفجاة توقفت قدماي عند الفار . كانت احشاؤه مفسولة لا اثر للدم فيها . ذنبه مقطوع . فمه مفتوح . اسنانه دقيقة . في الامس كان يعيش في دفء اكياس الطحين. اعجبه منظر المصيدة فترك الاكياس السمراء واهتم بما في المصيدة من طعم نتن . وبعد قليل يدحرجه المطر الى البالوعة الشرهة .

شعرت وكان ابرة المصيدة الرفيعة تنغرز في رقبتي .. يجب ان اهرب قبل ان يطوق السلك القوي صدري .. ولكن .. فات الوقت .

وبلا معطف ، رحت اقفز على الرصيف كفار يلاحقه قط .

حلب — جهاد الكاتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المغزى الاخلاقي لوجود الانسان

(شيئان يملآن الوجدان باعجاب واجلال يتجددان ويزدادان على الدوام كلما امعن الفكر التامل فيهما : السماء ذات النجوم من فوق والقانون الاخلاقي في صدري) . عمانوئيل كنت .

بقلم نـدره اليازجي

* * *

هنالك تباين قائم بين وجهات النظر الاخلاقية . ويعود هذا التباين الى الموقف الذي يتخذه الانسان ازاء الوجـود الروحي والمادي . لقد وضعت الاخلاق في قواعد مختلفة ومتعددة قال بها اناس متباينو الفكر والعقيدة . ومن بين وجهات النظر هذه تبرر المكيافيللية الوسيلة بالغايـة . فالغاية تعبر عن الوسيلة باي شكل من الاشكال . وتكون اخلاق مكيافيللي اخلاقا نفعية ترتبط بالمصلحة الشخصية وتبرر كل شيء ، وذلك لانها لا تعتمد على اية قبلية تعتبر قانونا نحت في صدر الانسان بل تعتمد على على المهـارة والخداع . وفي راينا تكون المكيافيللية عامل تأخر شديد لانها تربط الاخلاق بالمصلحة الفردية والاجتماعية التـي ترتبط بالامير مباشرة . وعلى هذا الاساس تبرر هـذه الاخلاق كل عمل او دور يقوم به الامير ، دور الاسـد او الثعلب او الحمامة ، اذا كان يؤدي هذا الدور او العمـل الى منفعة الدولة . وهكذا تكون نظرية ماكيافيللي فـي الخير مهدمة لان الخير يعني المنفعة التي تقوم على تبرير ذاتها . ولما كانت المنفعة تختلف من شخص لآخر ، ومـن فئة لاخرى ، فان اخلاق ماكيافيللي تخلو من قاعدة عمل .

ومن وجهات النظر الاخرى تاتي آراء نيتشه الذي قسم الاخلاق الى قسمين : اخلاق العبيد واخلاق السادة. وقد ادت هذه الاخلاق الى خلق « سوبرمان نيتشه » اي الانسان الاعلى الذي يتخذ من ارادة القوة قاعدة لفعله . ولا ندري كيف تستطيع وجهات النظر هـذه ان تصقـل شخصية الانسان الذي يريد ان يحقق انسانيته . وكـل ما نستطيع قوله هو انها لم تعبـر تعبيرا صحيحا عـن حقيقة ما زلنا نبحث عنها لكي تكونها . والى جانب هذه النظريات قامت آراء اخرى تحاول ان تضع للاخلاق قواعد ثابتة لا تتبدل وتعتبر مجموعة من الاوامر والنواهي . وفي هذا المجال نتحدث عن انواع اربعة للاخلاق :

١ ــ الاخلاق التـي تعتبـر البساطة والتواضـع والتسامح والمحبة قمة عليا . هي اخلاق تمت بصلة وثيقة الى مجموعة الاوامر والنواهي المثالية كما تمت الى الفعل الاخلاقي الذي يجعل من الانسان كائنا اخلاقيا متفوقا .

٢ ــ الاخلاق التي تعبر عن الفضيلـة والمعرفـة . وتعود هذه الاخلاق الى سقراط الذي ابان ان الفضيلـة معرفة والمعرفة فضيلة . وتظهر لنا هـذه الاخـلاق ان المعرفة وسيلة لان هدفها يعبر عنها .

٣ ــ الاخلاق الديمقراطية التي تفرض على الانسان ان يحترم غيره وفق قاعدة القانون وان يقف واياه علـى مستوى واحد بغض النظر عن بعض الفروق البسيطة .

٤ ــ الاخلاق الاقتصادية التي تجعل مـن اخـلاق الانسان نتاجا لوضعه الاقتصادي . وتجعل هذه النظريـة الانسان فردا اجتماعيا واقتصاديا يخضع لقوى الانتـاج المادي ومستواه .

هكذا تختلف وجهات النظر الاخلاقية بحيث انها لا تلتقي في نقطة واحدة . فالماكيافيللية لا تنادي باخـلاق لانها لا تضع قاعدة ثابتة تطبق في كل زمان ومكان . لذلك ليست هي امرا او نهيا . ونيتشه لا يعلم اخلاقا صحيحة لانه يمزج بين الواقع والمثال ويعتبر ان الاخلاق تنبثـق عن ارادة غير واعية . ونحن نسامح نيتشه اذا قصد مـن انسانه الاعلى الهدف الذي يحققه التطور اي الصورة المثلى للانسان . اما الاخلاق التي تعتمد على المعرفة والفضيلـة فانها تحصر مفهوم هذه الاخلاق بطبقة الفلاسفة والحكماء والعلماء فقط وذلك لانهم ، في عرف فلاسفة اليونان ، قادرون وحدهم ان يصلوا الى المعرفة والفضيلة عن طريق التفكير والتأمل ، وتجرد من لا ينتمون لهذه الطبقة مـن الاخلاق لانهم لم يحققوا مستوى عاليا من المعرفة . لقـد جعلت هذه الاخلاق من الفئة المفكرة القليلة نورا ومـن الفئة غير المفكرة الكثيرة ظلاما . وهذا ما لا تقره الاخلاق. لذلك لم يبق لنا سوى نوع واحد من الاخلاق هي اخـلاق البساطة والتواضع والمحبة لانها قادرة ان تكون قاعدة عامة ينطلق منها الانسان لتشمل كل بني الانسانية .

ونحن لا ننكر ان الاخلاق كمعرفة وفضيلة هي درجة عليا في سلم الانسان ، ولكننا نأخذ عليها ضيق اطارها فتنمو وتترعرع بين فئة واحدة من الناس ، فئة قليلة من المفكرين ، ويبقى الجزء الكبير من الانسانية متخلفا . ولا نشك ان المعرفة اخلاق عالية اذا طبقت في سبيل اعـلاء شأن الانسان وذلك لان اخلاق الانسان تتطور وتزداد كلما ازداد الانسان معرفة وبالتالي فضيلة . ان معرفتنا للكون يقربنا من شعور خفي يسيطر علينا ويرينا حقيقة عظمى هي حقيقة المطلق . ومن معرفتنا لهذه الحقيقة او مـن شعورنا بها تنشأ فينا فضيلة كبرى .

اما اخلاق نيتشه التي يعبر عنها باخلاق السـادة واخلاق العبيد فانها تجزيء العالم الى قسمين : العبيـد والسادة . ومما لا شك فيه ان السادة يمثلون الاقليـة بينما يمثل العبيد الاكثرية . وتؤدي هذه النظرية الى خلق فئة قليلة قائدة وفئة عديـدة تابعـة ، كمـا تؤدي الى الديكتاتورية والى المساوىء التي تنتج عنهـا . لذلـك لا

يمكننا ان نقر باخلاق انسان نيتشه الاعلى لانه انسان تفوق على اقرانه بارادة وهمية استخلصها من عظمة وهمية.

اما الاخلاق الديمقراطية فانها تعتمد على قاعدة المنفعة الاجتماعية العامة فتضبع على نفسها التقييم الاخلاقي الذي ينبع من وجود قبلي. ويكون الانسان ، حسب الاخلاق الديموقراطية ، عنصرا اجتماعيا يعمل للمجتمع ويضحي لاجله ، لكنه ينسى القاعدة المتافيزيقية للاخلاق . لذلك تبدو هذه الاخلاق كانها مشوهة نوعا ما لانها تستجيب للدوافع الاجتماعية وتتغاضى عن حقيقة عظمى ، هي حقيقة الانسان . **لهذا لا نزال نرى شيئا من** التخلف الاخلاقي في الانظمة الديموقراطية التي حولت اخلاق الانسان الطبيعية الى اخلاق اجتماعية يعمل فيها عامل الحرية غير المقيد والمؤدي الى نتائج قبيحة ، وعامل المساواة الذي لا يقوم على قاعدة اصيلة للمساواة ، وعامل الاخوة الذي لا يطبق .

ويستحيل ، في نظرنا ان تكون اخلاق الانسان نتاجا لواقع اقتصادي وذلك لاننا نفرق بين المعيشة والحياة . فالمعيشة هي الواقع المادي الذي يعتمد على مستوى العيش والحياة هي الوجود الانساني ككل . وفي راينا ان الانسان يخضع لنظامين : نظام المعيشة وهو نظام الزمن ونظام الحياة وهو نظام الابدية. ويعتمد نظام المعيشة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي فيكون الانسان فردا اجتماعيا واقتصاديا ، بينما يعتمد نظام الحياة على الوجود : دراسة الوجود وفهمه ، دراسة الانسان وفهمه ، الغاية من وجود الانسان وحقيقة وجوده . وهكذا تتفوق الحياة على المعيشة اذ ان الانسان يحيا اكثر مما يعيش ، بل يستطيع ان يحيا بقليل من المعيشة وبكثير من الحياة .

تحاول النظرة الاقتصادية ان تجعل من الانسان مخلوقا يعيش اكثر مما يحيا . وبهذا تعمل هذه النظرة على تحطيم قوى الانسان الاخلاقية لانها تربط وجوده بالمعيشة فقط وتتغاضى عن وجوده كحياة . ويمكننا القول ان العلماء والمفكرين وذوي الاخلاق العالية يعملون لاجل الحياة ولاكتناه اسرارها اكثر مما يعملون من اجل المعيشة. انهم لا يهتمون ان علت مراكزهم الاجتماعية او ان زادت عائداتهم المالية بقدر ما يهتمون بتطوير الحياة او باختراع شيء عظيم او بتحقيق افكار صافية . وهكذا نعتقد ان الحياة اهم من المعيشة ، وعلى الرغم من ان الانسان يعمل لمعيشته في اطاره الاجتماعي الضيق لكنه يحقق وجوده لانه يحيا . فالاخلاق ارفع من ان تكون نتاجا لوضع اقتصادي .

امام هذه التناقضات الجذرية التي ترمينا في هوة من الضياع نعود لنسأل انفسنا : ما هي الغاية الاخلاقية من وجودنا ؟ كيف نبرر اخلاقية وجودنا ؟ لماذا تجعل هذه الاخلاقية من الانسان غاية بنفسه ؟ وما معنى الاخلاق الانسانية التي نتحدث عنها في كل زمان ومكان ؟ نود في هذا المجال ان نجعل من موضوعنا بحثا يؤدي الى تاسيس قاعدة نتخذها كسلوك انساني عام . **ومن اجل هذا يجدر** بنا ان نبحث في الاخلاق من الزوايا التالية :

في ان الاخلاق مفهوم قبلي

في الانسان قدرة فاعلة للخير ، هي طاقة طبيعية توجد فيه وتخلق معه . وتتجلى هذه الطاقة في تصرفات بسيطة وفي انواع متعددة للسلوك كالرافة والعطف والمشاركة الوجدانية وتانيب الضمير وبعض التصرفات الاخرى التي تظهر حتى عند الاطفال الصغار . وتتجلى هذه الطاقة ايضا حتى في اشد الحالات النفسية ظلما وكبرياء ، وعند المجرمين والخطاة والقساة الذين ، في حالة من حالات صفائهم ، يعودون الى اعماق نفوسهم ويقرون بضعفهم وشرهم ، انهم يعودون الى حالتهم الطبيعية الحقة التي تريهم سوء تصرفهم .

في الانسان اذن قاعدة اخلاقية عظيمة تفعل فيه بشكل مباشر وغير مباشر ، واع وغير واع ، روحي ومادي ، عقلي ووجداني . وتبدو هذه القاعدة كنور ينبعث من اعماق الانسان ويضيء طريقه . ومهما سار الانسان في ظلام فكره وقوته وارادته فانه يشعر بهذا النور الذي اطفاه هو وقضى عليه . ان احكامنا الاخلاقية قبلية ، تنبثق من اعماقنا ، ومواقفنا قبلية لانها كائنة فينا وتجعلنا ان نقف امام الموضوع موقفا فكريا معينا . وسلوكنا الاخلاقي قبلي من اوجهه المتعددة . ونحن نوافق عمانوئيل كانت الذي يشدد على وجود قانون اخلاقي في صدورنا.

في ان الاخلاق غاية وهدف

القبلية الاخلاقية منظمة في الانسان وهادفة ايضا . انها تهدف الى تحقيق مستويات عليا للوجود . ويعتبر السمو الانساني الهدف الذي يرنو اليه كل واحد منا لكي يحقق طاقته بشكلها الافضل . ويعتبر الهدف الاخلاقي طبيعة متاصلة فينا ، يعمل بجد ونشاط ليسمو الانسان على ماديته . وعندئذ يعتبر الانسان غاية بذاته لانه يعمل لتحقيق هدف وجد معه .

غاية الانسان هي ان يتحرر من ماديته اي ان يعلو بها الى درجات عليا وسامية . ولا يمكن ان تكون هذه الغاية تلقائية لانها مضمونة فيه وداخلة في صلب تركيبه. فهي قبلية اذن ، وبقدر ما تكون قبلية تكون ذات غاية وهدف . فالفعل الاخلاقي ينطلق من اعماقنا لكي يرينا انفسنا في حالة افضل او يسير بنا الى درجة اسمى من وجودنا . وهكذا يصل الانسان الى نفسه اي الى الصورة التي سيكونها والتي هي نفسه ذاتها وهي في صيرورتها . وهذا يعني ان الانسان سيصل الى نفسه التي يعمل على تحقيقها عن طريق الفعل الاخلاقي الخلاق. وتعتبر كل صورة يضعها الانسان لنفسه فعلا اخلاقيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساميا وقفزة نحو وجود افضل اى تحقيق غاية لانها ستخلق منه الانسان الذي يسير الى تحقيقه او يعمل على تطويره وتحسينه . وكما نعتقد ان التطور الانساني في المرحلة الاخيرة لوجود الانسان هو تطور اخلاقي يعمل على ازامة كل عقبة تقف امامه ، كما يعمل على فصله نهائيا عن مملكة المادة التي سيطرت عليها الغريزة لسنين طويلة. فالتطور هو ان يتخلى الانسان عن هذه الغريزة . وهذا التطور الاخلاقي هو سير الانسان نحو تحقيق انسانيته ، اي تحقيق الانسان الاسمى الذي يعتمد على قاعدة المبدا الاخلاقي .

في ان الاخلاق محاكمة فكرية ومنطقية

الارادة فعل ، والاخلاق فعل ، والعمل الاخلاقي فعل ارادي . والفعل الارادي قرار عقلي ومحاكمة فكرية . اني اريد بعد ان افكر ، وتفكيري هو تعقل ذاتي للموضوع. فالارادة هي موقف عقلي ازاء الموضوع . ويعتبر هذا الموقف الذي يتخذه الانسان سلوكا . ولا يخرج هذا السلوك عن دائرة الاخلاق. ان غاية او هدف التفكير هي الموقف الذي نصل اليه كسلوك اخلاقي .

الاخلاق محاكمة عقلية منطقية وليست فعلا تلقائيا او غوغائيا او نتيجة دافع غامض لا ندركه . هي وضوح شامل يسطع امامنا لانها نتيجة عملية عقلية اي نتيجة التفكير . فالاخلاق السامية تفكير واضح . وكل موقف غامض اي كل تصرف اخلاقي مشوش هو نتيجة تفكير غامض ومضطرب . وهكذا تكون الاخلاق صافية بقدر ما يكون التفكير صافيا او منطقيا . وعندما نقول ان الاخلاق عملية منطقية او فكرية نعني ان العقل يحاكم ثم يعقل ويعطي قرارا نسميه حكما او فكرة . وعندئذ يتخذ الانسان سلوكا او تصرفا او موقفا . وتكون افكارنا واضحة بقدر ما تكون محاكمتنا واضحة وبالتالي تكون اخلاقنا واضحة وصافية بقدر ما تكون افكارنا ، التي هي نتاج احكامنا ، واضحة . فالاخلاق هي خلاصة التفكير الحي الذي يعتمد على الوعي .

في ان الاخلاق محاكمة وجدانية

تخطىء احكامنا العقلية والمنطقية . ويعود خطأها الى ان العقل لا يستطيع ان يحيط بالموضوع احاطة شاملة. وعندما تخطىء محكمة العقل تستانف الموضوع الى الوجدان . وتنظر محكمة الوجدان في الموضوع الذي مثل امامها ، وبعد محاكمة عادلة تأخذ قرارا . تختلف محكمة الوجدان عن محكمة العقل في انها اكثر دقة وعدالة وصوابا . وتكون احكامها اقرب الى الحقيقة ، لذلك تتفوق على محكمة العقل .

ان اخطاء محكمة العقل تخلق مشاكل عديدة لا يكون العقل قادرا على حلها . وعلى هذا الاساس نلتجىء الى محكمة الوجدان التي تعيد النظر في قرارات ومواقف محكمة العقل ، تماما كما تعيد المحاكم العليا النظر في قرارات المحاكم الدنيا . ويعبر القرار المعطى من محكمة الوجدان عن القدرة الانسانية لانه نتيجة فعل العقل والوجدان معا . وهذا يعني ان الوجدان يقوم اخطاء العقل ويخرجه من تشويشه . ولا شك ان كل واحد منا يرتاح لقرار وجداني يتخذه ازاء موضوع ويعتبر ان حلا نهائيا قد وجد .

تختلف محكمة الوجدان في دراستها للموضوع او في اعتبارها له عن محكمة العقل . للعقل اسسه المادية كالحواس والموضوعات الخارجية والداخلية التي تقدم له. ولما كانت ملكة الحكم ناقصة في العقل لاسباب نذكر بعضها ـ عدم توفر الادلة والبراهين الكافية ، اختلاف الازمنة والامكنة ، عدم توفر العقل الناضج ، عدم معرفة العلل ـ لذلك يستانف العقل حكمه الى الوجدان . ان حكم الوجدان هو اعظم فعل اخلاقي لانه يتخذ قاعدة مالية له يعتمد عليها في محاكمة عقلية منطقية ومن ثم يتخذ قاعدة اعلى تتجاوز حدود العقل وتعلو عليه . للوجدان اذن اسسه غير المحسوسة ، تعتمد على قوى باطنية عميقة تمت الى حقيقة الروح بصلة. فالحكم الوجداني حكم روحي وخلاصته هي الفعل الاخلاقي .

في ان الاخلاق تعبير عن الشخصية الانسانية

لا تكتمل الشخصية الانسانية بالمهنة والعلم فقط وذلك لان العلم وسيلة مادية لمعرفة الوجود ، والمهنة وسيلة لكسب العيش . الشخصية الانسانية تعبير عن كيان الانسان بشكل عام ، والذات الانسانية تعبير عن الوجود الاجتماعي والمعيشي . يتعلق العلم والمهنة بالذات بينما تتعلق الاخلاق بالشخصية . فالشخصية وليدة الاخلاق التي تبدو في المهنة والعلم معا . ونحن لا ننكر العلاقة التي تقوم بين العلم والاخلاق . ولكن هذه العلاقة لا تعبر عن اتحاد الاثنين معا . ويمكن ان تتحقق هذه العلاقة عندما يهدف العلم الى الاخلاق ويتفاضى عن المهنة والعمل . ويؤسفنا ان نرى عددا كبيرا من الناس يسعون وراء المراكز الاجتماعية او المهنية المربحة الرائجة ولا هدف لهم سوى المعيشة المريحة . ان بشرا كهؤلاء لا يكللون اعمالهم بتاج الاخلاق بل يعملون لكي يحققوا مشروعا اجتماعيا يعبر عن الانانية . ولا يجد هؤلاء في عملهم سوى وسيلة للكسب وطريقة للرفاه ، فتتحول الفكرة الاخلاقية المضمونة في العمل الى مهنة فقط . ولذلك لا يحقق هؤلاء شخصيتهم الانسانية بل يهملونها ويتفاضون عنها .

ان احترام الشخصية الانسانية وتحقيقها لا يتمان الا بالطريقة الاخلاقية التي تجعل من الانسان غاية بذاته . وعندئذ تكون قيمة الانسان اجل من علمه او مركزه او مهنته لان كيانه اكثر شمولا من ذاته . وتندثر الشخصية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانسانية عندما تنتصر الذات في شكلها الاناني على الكيان في شكله الانساني . وعلى هذا الاساس تعتمد الاخلاق على القاعدة الانسانية التي تجعل شخصية الانسان اسمى واجل من قيمه الاجتماعية التي يحيطها بهالة من التبجيل. هذه الشخصية الانسانية تعبر عن ثقافة الانسان ، عن سموه وترفعه وعلوه والدرجة التي وصل اليها في سلم تطور الانسان . وتبدو هذه الشخصية من خلال العمل الذي يعرف بها . وهذا العمل اما ان يرفعها او يحطها ، اما ان يدنسها او يقدسها ، وذلك لانه الوسيلة التي تظهر كيف تطبق الاخلاق .

في ان الاخلاق قيام بالواجب

عندما افكر في واجباتي اراني بعيدا عن تحقيقها . وعندما افكر في حقوقي اجدني اطالب بها . فانا اريد كل شيء اطالب به وادعي انه حقي ، فتكثر مطالبي وحقوقي، واما واجباتي فاني اهملها . على الانسان اذن ان يبشر بفلسفة الواجب لا فلسفة الحق .

ما هو الواجب ؟ بل ما هو واجبي في الوجود ؟ ان واجبي هو ان افهم الوجود ، ان اخضع لاحكام وجداني وعقلي ، ان افعل الخير واحترم غيري . فالواجب حقل واسع لا ينتهي . وهكذا يبدو ان وجودي يفرض علي الواجب اكثر من الحق . ان فلسفة الواجب اكثر صدقا من فلسفة الحق وذلك لان الواجب يعني العطاء والتضحية بينما الحق يعني الاخذ فقط . واذا اردنا ان نقيس الواجب والحق في ميزان العظمة لوجدنا ان العظيم هو من يعطي اكثر مما ياخذ والناجح هو من ياخذ اكثر مما يعطي . فالواجب هو حق الله على الانسان وليس حق الانسان في شيء . وعندما يقوم الانسان بواجبه يحصل الناس على حقوقهم دون ان يطالبوا بها .

فانا اذن امام مسالة حق ، وحقي الوحيد ان اقوم بواجبي . ويتم هذا الحق عندما ادخل هيكل وجداني فارى هناك حقوقه علي . وعلى هذا الاساس اقوم بواجبي الانساني لانه مطلوب مني ان اطبق الحق . واعظم صورة استطيع ان احقق هذا الحق هو بالقيام بواجبي . فالحق هو الذي يصرخ في اعماقي ويطالبني بما للطبيعة وما لله والانسان من حقوق علي . وهكذا تضعني فلسفة الواجب امام مسؤوليتي الاخلاقية كانسان وتتبلور هذه المسؤولية بمقدار ما احقق من واجب . فانا مسؤول الى حد كبير ، وكلما حققت واجبي حققت مسؤوليتي . ان واجبي يصل حتى التضحية بالنفس . لذلك رايت في التضحية اعلى مراتب الاخلاق .

في ان الاخلاق مفهوم اجتماعي

لا تعتبر الفلسفة صافية ونقية ما لم تطبق. فالفلسفة يجب ان تعاش ، والاخلاق يجب ان تعاش ايضا ، والا فانها تبقى وبالا على الانسان لانها تتحدث في موضوعات لا تمت الى الواقع بصلة . لذلك ظل عالم الفكر منفصلا عن عالم الواقع وبعيدا عنه . ولذلك تعاني الاخلاق كثيرا وتتهم بانها تمت الى عالم الوهم بصلة كبرى . وينظر الجاهل الى الاخلاق انها وسيلة لتخدير الضمير لا اكثر ولا اقل ، بينما هي في الواقع وسيلة لتفتحه وانعاشه وانطلاقه ، كما ينظر اليها انها بعيدة المنال وصعبة التحقيق وتختلف عن الواقع . وتعود هذه الاتهامات بجذورها الى علة واحدة وهي : ان الانسان لا يطبق ما ينادي به بل يتنكر له عندما تصطدم مصلحته به ويرفضه في كثير من الاحيان . ويكون هذا الرفض او هذا التنكر نفيا للاخلاق.

ولكن عندما تطبق الاخلاق في المجتمع وتعبر عن حقيقة انسانية يتاكد الانسان انها الوسيلة الوحيدة التي تحقق المجتمع الفاضل . فالمجتمع امتحان لاخلاقي ، وهو الحقل الذي اطبق فيه تجاربي ومواقفي وسلوكي وتصرفاتي . وفي هذا الحقل ينطبق الفكر على الواقع ويتم الانسجام بين تفكيري وتطبيقي لهذا التفكير . واذا تناقضت مواقفي بين تفكيري بالاخلاق وتطبيقها ينهار المجتمع ويصبح حقلا لحضارة بائسة لا تمت بصلة الى الانسان كما يفقد صفته الانسانية .

تعلمني اخلاقي ان لا استثمر غيري ، ومن واجبي الاجتماعي والانساني ان لا أتخلى عن هذا الواجب عندما تسنح لي فرصة مؤاتية تحقق رغباتي . وتعلمني اخلاقي ان لا استجيب لانفعالاتي لكي لا اقع في خطأ جسيم ولكي اجنب غيري مغبة الخطأ . وتعلمني اخلاقي ان لا اسعى وراء تحقيق قيم زائفة تحقق ذاتي وتتنكر لكياني . وتعلمني اخلاقي ان لا اتهرب من واجبي الاجتماعي حتى ولو لم تكن هناك عين رقيب . وتعلمني اخلاقي ان افكر ببني الانسان لانني انسان ، ولان تفكيري بالانسانية تعبير آخر عن تفكيري بنفسي . كما تعلمني هذه الاخلاق ان لا اتكبر على غيري او اسيء معاملته او اقلل من شانه او احقره .

هكذا تكون الاخلاق الدافع الاساسي لكل فضيلة اجتماعية . انها تقوض عرش الشر وتشيد عرش الخير. ولا يمكن ان تصطلح المجتمعات البشرية ما لم تعمل لتحقيق وجودها الاخلاقي وتطبيقه في المجتمع. فالمجتمعات ما زالت متاخرة في حقل الروح لان الجانب الاخلاقي مهمل وضائع . ومن واجب الشعوب ان تبني نفسها من الداخل ، من القلب والعقل والروح ، وذلك لان البناء الاخلاقي يقضي على كل المساوىء . لا شيء ، كما اعتقد ، يضع حدا لانانيتي ، لا شيء يضع حدا لاستثمار الغير واستبعادهم ، لا شيء يضع حدا لرغباتي ودوافعي سوى الاخلاق التي تنبع من داخلي . وكما قلنا ان هذه الاخلاق تنبع من تعقلي ووجداني من تفكيري وارادتي . وهكذا لا نحقق المجتمع المثالي ما لم نحقق اخلاقنا اولا .

في ان الاخلاق تعني البساطة والتواضع

عنت الفلسفة المثالية بتهذيب الانسان اي بصقل طاقاته . وطالب افلاطون بتحويل شهوات الانسان الى فضائل .من الممكن ان نحول الشر الى خير والكذب الى صدق والانفعال الى هدوء والكبرياء الى تواضع .وتعتبر هذه الصفات النفسية اخلاقا لانها لا تخرج عن دائرة شخصية الانسان الداخلية ولا تخضع خضوعا مباشرا لعقله .

لم تنظر الاخلاق الى عقل الانسان فقط بل نظرت الى قلبه ، مركز العواطف والانفعالات . وعملت ان تخلق من هذا القلب مركزا هاما يرفع قيمة الانسان ليعلو بنفسه . وهكذا علمت الفلسفات المثالية بساطة القلب ونقاءه وصفاء النية وسموها،وعلمت الانسان الحق وقدرته على التعالي. وقد لمست هذه الفلسفات ضمير الانسان وحركته وشددت على الناحية الاخلاقية التي هي الوسيلة الكبرى لتقريب الانسان من حقيقته ، من الله .

ان سمو الانسان ، عظمته وتعاليه تنتج من حياة اخلاقية توجه قواه الى الخير المطلق . وسموه هذا لا يعتمد على قواه العقلية بقدر ما يعتمد على قواه النفسية التي يعمل فيها لكي يجعلها نقية وصافية . لذلك اضحت الاخلاق كلمة مرادفة للبساطة والتواضع والتعالي والنقاء الفكري والقلبي . ولذلك كانت قاسما مشتركا بين جميع الناس لا يحتكره احد اكثر من الاخر ولا يعطي لواحد اكثر مما يعطي لواحد اخر . ويتساوى جميع الناس بهذا المفهوم اذا تساووا في تطبيقهم للاخلاق .

في ان الاخلاق نظرة متافيزيقية

اذا كان حقا ان الانسان يولد في هذا العالم وترافقه منذ ولادته نزعتان هما الخير والشر فمن المؤكد اذن ان مفهوما متافيزيقيا يولد معه ويعتبر هذا المفهوم المتافيزيقي دافعا طبيعيا يحثه دوما على تحقيق وجوده لذلك لا يخرج وجود الانسان عن كونه وجودا اخلاقيا له غاية وهدف . وتعتبر غايته القصوى ان ينتصر على القوى المادية التي تقاوم طاقاته العلوية باستمرار .ويمثل الصراع بين الشر والخير الذي يتم داخل الانسان نظرة ميتافيزيقية للوجود كما يمثل الفكرة التي وجد من اجلها الانسان وهي الانتصار على قوى الظلام اي الشر ومعرفة الحياة وادراكها ادراكا صحيحا .

في اعماقنا دافع خفي يحثنا على فعل الخير والفضيلة بصورة ميتافيزيقية او اجتماعية . ويعمل هذا الدافع حتى عند اكثر الناس انحطاطا من الوجهة الاخلاقية . لماذا يعمل فينا هذا الدافع ؟ لماذا وجد فينا منذ ان وجدنا ؟ لماذا يحثنا باستمرار ويلومنا عند الخطأ ؟ وما هي الغاية غير المرئية التي تعمل فينا بجهد لاجل تحقيقها ؟ واين هي الغاية وكيف نراها ونلمسها ؟ ان هذه الغاية تمثل الهدف من وجودنا وذلك لاننا في دأب ونشاط مستمر لتحسين احوالنا النفسية والاخلاقية والعقلية . ولذلك قلنا ان تطور الانسان هو تطور اخلاقي .

اننا نعمل اخلاقيا لهدف لا نستطيع ان نلمسه او ان نحس به او ان نتصوره في عقولنا وذلك لان الطاقة الاساسية الموجودة في اعماقنا تفعل دوما وابدا لتحسين الانسان ورفعه في سلم الوجود . وما هو هذا الوجود؟ وما هي درجاته ؟ هي الدرجات الاخلاقية التي نتسنمها ، الدرجات التي تساعدنا ان نتعالى على واقعنا ، على مادتنا، على انحطاطنا . لذلك كانت الاخلاق اهم من العلم المادي، واهم من الحالة الاقتصادية او الاجتماعية ، وكانت مفهوما متافيزيقيا لانها تجعل من الانسان غاية بذاته .

في ان الاخلاق قمة التطور الانساني

يقول احد المفكرين ان الانسان يتأرجح بين المثالية والحيوانية . فما هي العوامل التي تنزل به الى درك الحيوان او ترفعه الى درجة المثالية ؟ الفعل الاخلاقي هو الذي يقرر المصير .هي الاخلاق التي اما ان ترتفع بالانسان حتى يصل الى درجة عليا من سلم التطور او تنزل به الى بداية السلم اي الحيوانية . ولا يمكن ان يقوم تطور الانسان على الناحية العقلية فقط . فالانسان عالم كامل ، يحمل كل العناصر المادية . فهو اذن يحمل الكون الروحي والمادي معا . ويعبر الكون المادي عن الغريزة والدوافع التلقائية اللاشعورية ويعبر الكون الروحي عن الطاقة الخلاقة ، الاخلاقية والفكرية ، التي تعمل في الانسان لكي ترفعه من مادته الى مستوى اعلى وتعلو به في عالم كيانه الذي لا ينتهي .وهذا يعني ان تطور الانسان يتم من ذاته الى كيانه اي من مادته الى روحه ، واعني ان المادة تتطور حتى تصبح روحية .

ان تطوير المادة حتى تبلغ درجة اخلاقية عليا يحتاج الى ارادة قوية والى سمو عقلي عظيم . فلكي ننتصر على الحقد نحتاج الى طاقة كبرى من المحبة والتسامح ، ولكي ننتصر على الكبرياء نحتاج الى طاقة كبرى من التواضع والبساطة ، ولكي ننتصر على انفعالاتنا نحتاج الى طاقة جبارة من الوعي . فارادة القوة تتحقق في هذه المفاهيم البسيطة وليس في ارادة قوة نيتشه . واعتقد ان نيتشه ذاته قصد ان يعبر عن اخلاقية عليا في تصويره للسوبرمان، لكنه اخطأ الطريق والهدف . ان الهدف من تطورنا اخلاقي وروحي ، والانسان يسير ، من خلال العلم وسيطرة العقل الناضج ، نحو عالم روحه ليكتشفه ويدركه ... هذه هي الغاية من وجودنا .

في ان الاخلاق تضع نهاية لظاهرة القلق

القلق الروحي مظهر للوجود لانه يعبر عن توق الانسان الدائم للحقيقة واضطرابه امامها . اما القلق المادي فهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظاهرة اجتماعية تتغلغل في الانسان وتجعل منه كائنا يهتم بتحقيق وجوده المادي . فهو يقلق ان لم يحقق معيشته بالشكل الذي يرغب فيه ، ويقلق لعالم فارغ يلمس عبثه . وهكذا يكون القلق وليد الاضطراب الداخلي الذي يصيب من لا يحقق رغباته .

يعمن القرن العشرون بالقلق الذي تسبب عن الحروب والويلات وعن عدم الحصول على درجة معيشة جيدة . وينتج هذا القلق عن الصراع الداخلي الذي يجعل من المرء عبدا لرغباته الضرورية وغير الضرورية . ويأخذ القلق شكل الخوف . فيخاف الانسان من مستقبل غامض من حياة اجتماعية مضطربة لا تستقر ، ومن امور تزعجه في داخله . ان وضع نهاية لهذا القلق يحتاج لقاعدة تنبثق من الانسان نسميها القانون الداخلي او الاخلاق التي تبرهن للانسان ان وجوده اسمى من اي موضوع يقلق من شانه . وتعتبر هذه القاعدة قانونا سرمديا يقود الانسان ويرسم له طريقا من الايمان بنفسه وحياته ومجتمعه ، ويجعله ينظر الى الحياة الاجتماعية بمنظار اخر يختلف كل الاختلاف ، وان يقيم وجوده على اساس انه غاية تسمو على الغايات الاخرى .

القاعدة الذهبية

هكذا تكون الاخلاق ، كما يقول عمانوئيل كانت ، فعلا يتفق مع « قانون وضعته لنفسي ولا اجني شيئا من ورائه » وعندما اطبق هذا القانون على الانسان اجعل منه غاية بذاته .

نستطيع بعد هذه الدراسة الوجيزة لمعنى الاخلاق ولمغزى الوجود الانساني ، ان نقول ان الاخلاق مجموعة من الاوامر والنواهي السرمدية التي لا تتبدل . فالفعل الاخلاقي امر لا يمكن التراجع عنه ونهي لا يمكن التراجع عنه ايضا . وليس بمستطاع الانسان ان يبدل من هذا الامر بشيء وهذا النهي عن الشيء كما لا يمكنه ان يوجد فجوة في الفعل الاخلاقي لكي لا يعتبر ناقصا اي لكي لا ينهار . يقول عمانوئيل كانت « افعل الفعل بحيث يمكن لمسلمة سلوكك ان تصبح مبدأ لتشريع عام » .

استطيع عندما احقق فعلا اخلاقيا ان اجعل منه قاعدة عامة لسلوكي ولا استطيع ان اخرق هذه القاعدة اطلاقا وذلك لكي لا تنهار او تتداعى . ان اي خرق ، مهما كان بسيطا لقاعدة الاخلاق يعتبر تهديما للقاعدة كلها . فانا لا استطيع ان اوصي الاخرين او ان انهاهم عن الربح الفاحش غير المشروع واسمح لنفسي ان اربح ، حتى ولو كان الربح قليلا ، بالطريقة التي انهيت عنها . تنهار قاعدتي الاخلاقية عندما اخرقها جزئيا او كليا .

ولا يمكن ان تصبح قاعدتي الانسانية فعلا اخلاقيا ما لم اكن قد وضعت لها قانونا لنفسي اطبقه على نفسي وعلى غيري على السواء . واذا اختلف التطبيق فان قاعدتي تنهار . لذلك تعتبر القاعدة التالية قاعدة ذهبية للاخلاق: « لا تفعل بالغير ما لا تريد ان يفعله الغير بك » . من هذا القول تنطلق اخلاقي . انا قاعدة الاخلاق . وهذه القاعدة تطبق بالتساوي على نفسي وعلى غيري . وليس بامكاني ان اطبق على غيري ما لا طبقه على نفسي ، كما لا استطيع ان افعل بالغير ما لا افعله بنفسي . وهكذا تكون قاعدتي الاخلاقية نقطة انطلاق للانسان في عالمه فتكون للانسان غاية وهدفا ، لا بل يكون الانسان غاية بذاته ــ وقد اصاب عمانوئيل كانت في كتابه « تأسيس متافيزيق الاخلاق » عندما قال : « افعل الفعل بحيث تعامل الانسانية في شخصك وفي شخص كل انسان سواك باعتبارها دائما وفي نفس الوقت غاية في ذاتها ، ولا تعاملها كما لو كانت مجرد وسيلة » .

هنا في اعماقنا يجثم وجدان نسميه الضمير . وقد ولد هذا الوجدان معنا ليكون دافعا لنا وقائدا وهدفا وغاية ، فنحن ننطلق منه لنعود اليه . ان هذا الوجدان يسجل افعالنا كلها ويوجهها عندما نترك له المجال ليفعل فينا ، ويهجرنا عندما نهمله . ويموت هذا الوجدان وينهار الانسان ويفنى بموته هذا . ويعتبر هذا الوجدان قانونا اخلاقيا في صدر الانسان نحت فيه منذ الازل وسيبقى حتى الابدية .

دمشق — ندره اليازجي

احزان المدينة الجديدة

صديقتي ، حبيبتي البعيدة
انا هنا مشرد في بلدتي الجديدة
في غابة مهجورة مديدة
انا هنا لم انفض الغبار عن جريدة
ولم اقل لحلوة قصيدة
لم اشد الحان الهوى في حانة ليلية رغيدة
ولم اذق من خمرة دنانها تليدة
ما اطول الشتاء في مدينة ، حسبتها ودودة
القيت عند بابها احلامي السعيدة
صديقتي ، يا نجمة في ليلتي وحيدة
اخاف اوهام الرؤى والصمت والبرودة
حبيبتي ، صديقتي البعيدة
الشوق بعض علتي في بلدتي الجديدة

الرقة ــ سورية — ابراهيم شعيب

ARCHIVE



اميـــل توفيـــق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميـــل توفيـــق

* * *

٧ ــ سنكات .. وخشم القربة .. وحديث .. ووداع

سنكات : في مارس سنة ١٩٦٤ توجهت مع زميل هندي الى بلدة « سنكات » بقصد الاشراف على امتحان المدرسة الوسطى هناك .وتقع «سنكات» على بعد ست ساعات من بورسودان .ويلاحظ المسافر ان القطار يأخذ من بورسودان يتلوى متعرجا بين الجبال ، ويتدرج صعدا فوق التربة الصخرية حتى اذا وصل الى سنكات ، يكون قد ارتفع الى ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر ، ويكون قد ترك الجو الرطب الحار ، ليستقبل مناخا جافا ربيعيا يميل لبرودة الشتاء ، مما يشعرك بأنك على شاطىء من شواطىء البحر المتوسط . وسكان هذه البلدة يشتغل معظمهم بالرعى . وهم يستمدون المياه من الآبار . وجل البيوت قد بنيت من الطوب اللبن او من الجريد . اما المنازل الحديثة نوعا فقد اصطفت على جانبي شارع واحد هو الشارع المميز للبلدة وفيه الحركة التجارية ، كمان ان فيه ملتقى لشبكة العلاقات الاجتماعية بين الاهلين. اما المستشفى والمدرسة الوسطى ومركز البوليس فقد شيدت على طراز حديث ، لا يفوقها غير قصر الاسرة الميرغنية التي تحتل جانبا اجتماعيا خطيرا في البلدة والنجوع المجاورة ، بفضل ما تتبادل به مع جماعات الناس في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية . وجل هؤلاء الناس من قبائل الهدندوه .

وليست لسنكات اهمية خاصة .غير انها كانت قديما ميناء جمركيا للحجاج الذين كان عليهم ان يتوجهوا الى ميناء سواكن عبر الصحراء . ومن سواكن كانوا يستقلون البواخر الى جدة . ولما حلت بورسودان محل سواكن ، لم تعد هناك حاجة الى وجود جمرك في سنكات ، واصبح الحجاج يتوجهون مباشرة الى بورسودان .

وتعد سنكات كذلك مصيفا شعبيا يستقبل افواجا من شعب بورسودان الهارب من الحر ابان شهري يوليو واغسطس ، ليلجأ الى اجمل جو في المنطقة الشرقية كلها . وعلى بعد ثلاثين كيلومترا من سنكات ، تقع بلدة «اركويت» ــ مصيف السودان الجميل ــ حيث ترتفع حوالى اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، ومن ثم فهي تفوق سنكات من حيث المناخ .وقد اقيم في اركويت فندق كبير ليستقبل كبار الزوار والمصطافين .وقد ذكرت هذه البلدة ضمن الانباء السياسية الاخيرة في اوائل ١٩٦٥ ، حيث كانت مكان اللقاء التمهيدي بين مندوبي الجمهوريين وجماعة الملكيين في اليمن .

ويحيط بسنكات تلال متعددة . وقد اخبرت ونحن في « ونسة » بنادي الموظفين ان احد المفتشين الانجليز بنى على سفح هذه التلال منزلا تحيط به حديقة بديعة التنسيق . وقد كان يعتاد ان يتناول الشاي في عصر كل يوم على قمة التل مع بعض مريديه من السودانيين. وقد ترك نصبا تذكاريا اشبه بهرم صغير نقش عليه اسمه على قمة ذلك التل ، وفي المكان المختار . ولكنني فهمت ان علاقة المواطنين به لم تكن طبيعية فقد عمد بعض الاهلين الى تشويه اسمه المنقوش ، بسبب ما انطبع في اذهانهم عنه من نزعة استعمارية بغيضة .

ولعل اهم ظاهرة اجتماعية استرعت انتباهي ، واجتذبت اهتمامي، هي ظاهرة الولاء للاسرة الميرغنية من جانب السكان وخاصة اهل القبائل. فقد كانت اسرة الميرغني تحتفل بزواج احد شبابها ، ولذلك فقدانتقلت القربة من حالة السكون الرتيب الى حالة من الحركة والحياة . كانت جموع من القبائل تفد من كل نجع ، وخاصة في قوافل من الجمال . وكانت النسوة ، عندما تصل اية جماعة الى القصر ، يتبادلن الاغاريد والغناء وسط دقات الطبول وحركات الرقص . وكنا نرى الفتيات مقبلات وهن يرتدين اثوابهن السودانية الملونة ، ذات الالوان الفاقعة، وكأنهن في مهرجان او استعرض مرح كبير . وفي كل يوم ، كان فناء القصر وابهاؤه تستقبل هذه الجماعات الوافدة وتستضيفهم بالمآكل والمشرب ونحر الذبائح .واما رؤساء العشائر فكانوا من جانبهم يقدمون الولاء بتقديم الهدايا السخية من رؤوس المواشي . ولعل الناس وهم يقبلون ليشاركوا اهل الاسرة المباركة ، ويظهروا آيات الولاء ، كانوا يجدونها فرصة اجتماعية ، او مناسبة جماعية للاحتفال بتقاليدهم ، او للتبادل الحبي ، بالونسات والتزاور بين الجماعات . ولعل من يدرس أوجه النشاط المختلفة لهؤلاء القبائل وامثالهم لا يجد تفسيرا أوجه من تفسير البروفسور بادنجتون العالم الانتروبولوجي وصاحب النظرية الوظيفية خلفا للعالم مالينا وسكي.فلست تستطيع ان تدرس وجها من اوجه النشاط البشري لهؤلاء القبائل ، الا وتجده يتكامل مع الوجوه الاخرى للنشاط اذ انها جميعا تصدر من منبع واحد . وهذا هو قوام النظرية الوظيفية ومعنى هذا ان هناك محورا للحياة ، ترتكز عليه شخصية القبلية ، وتدور حوله كل انواع نشاطهم ، فهو الذي يوجه سلوكهم ، ويوحد صفوفهم ، ويؤكد ذاتيتهم ، ويبرز فرديتهم ، من بين القبائل الاخرى . ومحور الحياة عند هؤلاء الرعاة هو الولاء لعمدتهم ، وزعيمهم الروحي ، وعنوان ولائهم الاجتماعي والديني ،السيد الميرغني وخليفته من بعده ، فهو وأسرته ، رمز الولاء ، وأساس الانتماء ، واس التماسك او الترابط الجماعي . وذلك في اطار العقيدة الاسلامية والتقاليد المرعية للقبيلة .

خشم القربة : اما الرحلة التالية فقد كانت الى بلدة خشم القربة ، وابتدات ايضا من بورسودان ، وكان لها ايضا نفس الغرض ــ اجراء الامتحان بالمدرسة الوسطى .والى القارىء الكريم المذكرات الآتية:

٢٤ــ٣ــ١٩٦٥ ــ قام بنا القطار في منتصف السادسة مساء ،وكان الجو ربيعيا ، وتوزع اكثر من خمسة عشر من الزملاء في اماكنهم . وقضينا معظم الوقت في التزاور والايناس كما في المناقشات . وكان القطار في ساعاته الاولى يصعد المرتفع ، وعندما انبسطت الارض تماما

---

* راجع عدد نوفمبر ١٩٦٦ من « الاديب » .

كان الجو في تلك البقعة العالية فوق سطح البحر ، قد أصبح يمتاز بالبرودة المنعشة التي تخلو من الرطوبة .

من الظواهر الاجتماعية التي استرعت اهتمامي وبادرت بتسجيلها ظاهرة « التعايش السلمي » بل الاندماج الانساني بين البعض من اليمينيين واليساريين. ان الفن يجمع دائما بين الاطراف المتنافسة ، فهو الذي يؤلف بين قلوب الناس ويؤاخي بين نفوسهم مهما اختلفت نشأتهم وثقافاتهم . ومن هنا فلم اكن اعجب ان ارى الزميل الذي يتسم بالتصوف والوجدانيات الروحية ، يستمتع بالصحبة الذهنية والتبادل الفكري لزميل آخر ، يهتم بالعقلانيات ، ويعرف بميله للفلسفةالوجودية وبقراءاته في كتب سارتر وسيمون دي بوفوار . لان الفن كما قلت هو الذي يربط بين مختلف الثقافات برباط الانسانية . ولقد تميزت سهرتنا بالاستماع الى اصخاب الحكايات والمغامرات او الذكريات المتعة في جنوب السودان . وفي اليوم التالي ، كان عددنا ينتقص بنزول الرفقاء في المحطات المقصودة . وعندما انتصف عمود الشمس كان القطار قد وصل بنا الى مدينة كسلا .

٢٥-٣-١٩٦٥ ـ في محطة كسلا انتظر بنا القطار حوالي الساعة . تناولنا خلالها ما أنتج صدورنا من المرطبات التي يبيعها بوفيه المحطة ، كما أننا استروحنا بالسير قليلا في المنطقة المحيطة . ان اول ما يجذب انتباهك ذلك الجبل الاصم الاشم الشامخ بصخراته المتقطعة في قسوة وعظمة معا ، والجائم يستعرض عضلاته كانه جبار يتحدى . وانك لشاهد في رحاب تلك المنطقة تلك الاعشاب والشجيرات المتفرقة من بعيد ، ومن خلفها مناظر الحدائق الغناء التي تشتهر بها المدينة .

استانف القطار مسيره حتى وصل بنا « خشم القربة » في منتصف الثالثة مساء . وكان في انتظارنا ناظر المدرسة الوسطى . ونزلنا من القطار فريقين ، احدهما توجه الى حلفا الجديدة بسيارة خاصة . اما فريقنا فقد توجه بسيارة اخرى برفقة السيد الناظر ، الى المدرسة اولا حيث وضعنا ظرف الامتحانات في الخزنة الحديدية . ثم استانفنا المسير حتى الاستراحة الحكومية الفخمة . تتكون الاستراحة من مبنى رئيسي يضم صالونا كبيرا ، وصالة للطعام ، وشرفة رحبة . وبجاور هذا المبنى ، مبنى آخر خصص للمعتمد ولنائب المعتمد . وأمام هذين المبنيين توجد ثلاثة مبان اخرى على صف واحد ، يتكون كل منها من غرفتين وصالة ودورة مياه مستقلة .

ونزلت انا وزميلي (الاستاذ حسن بلال مدرس الجغرافيابيورسودان الثانوية) في احدى هذه المباني وحللنا غرفة تعلوها « قبة » على شكل قبة مخروطية جميلة .

والاستراحة تقع باكملها على ربوة عالية من الصخر منبسطة ، ثم تنحدر من جوانب عديدة ، وهي تشرف على نهر عطبرة المتعرج ، ويرى مجراه قابعا بين الصخور الجرانيتية ، وحيث يندفع عميقا نحو مدينة عطبرة ، وهناك يندمج في النيل العظيم سائرا شمالا نحو حلفا فالقاهرة . وعندما تقف على احد هذه المشارف تحس بعلو تلك الربوة الشاهقة من مجرى النهر . والهضبة باكملها تحيط بها اشجار شجرت خصيصا لتزيين الاستراحة وتكسوها بالخضرة الدائمة . ولكن هناك على شاطىء النهر وفي المنحدرات الصخرية المؤدية الى مجراه ، توجد شجيرات صغيرة ، تضفي على المكان منظرا اخاذا وهذه الشجيرات تظو الان من اوراقها الخضراء ، ولكنها تكتسي بحلتها البهجة عندما يحل شهر يوليو وتظل زاهية مورقة ابان شهري اغسطس وسبتمبر فيبدو المكان جنة وارفة عبقة .

ولقد شرح لي زميلي ـ الاخ حسن بلال ـ الذي استمتعت بصحبته وايناسه ودماثة خلقه ، شرح لي ظواهر عديدة جغرافية واجتماعية في تلك المنطقة المتاخمة للحبشة . واول ما تحققت منه هو اساس التسمية « خشم القربة » . ان نهر عطبره (وله روافد في الحبشة) ينحصر مجراه بين الصخور ـ كما ذكرت ـ ويضيق هذا المجرى عند هذه البلدة ، ثم يأخذ يتسع رويدا رويدا مثل القربة وهو في طريقه الى مدينة عطبرة . ومن أجل ذلك سميت المدينة خشم القربة (ويقول الزميل ان المصريين يتندرون بقولهم خشم القلة) .

عند المبنى الرئيسي يوجد منحدر ، اقيم في نهايته « مصطبة » من الحجر لها درج حجري ، وتشرف هذه المصطبة مباشرة على النهر، وقد اقامته الحكومة العسكرية السابقة ، وهي تكمل الاستراحة ،عندما كانت الزيارة لهذا المكان ضرورية من جانب المسؤولين ، لمباشرةمشروع الخزان الذي ستزوره في فرصة تالية .

وفي مساء ذلك اليوم ، وكانت الانوار المقامة على عمد صغيرة تضيء المكان وفناء الاستراحة بثريانها من النيون . أقبل علينا السيد نائب المعتمد الاستاذ فاروق درويش ورحب بمقدمنا اجمل ترحيب هو وبعض النزلاء الافاضل . ووجدنا الجو مهيأ للونسة والاستسرواح والهدوء مما خفف عنا متاعب السفر .

في صباح ذلك اليوم دعانا السيد فاروق درويش نائب المعتمد للقيام برحلة تبدأ بزيارة حلفا الجديدة ،وتنتهي بزيارة للخزان . وكنا في هذه الرحلة اربعة : أنا وزميلي حسن بلال والسيد صلاح ـ الخبير الزراعي ـ المقيم حاليا بالاستراحة،والسيد النائب الذي يقودسيارةالرحلة (اللاندروفر) . وقد كان اتجاهنا في طريق يحاذي القناة التي تغذيها بالمياه ، البحيرة المتكونة خلف الخزان المقام . وقد حفرت هذه القناة في الاراضي الصماء بالبطانة ، (وهي تتاخم منطقتي خشم القربة وكسلا) كجزء من المشروع الكلي . وأما مياه القناة فانها تمد الاراضي الزراعية بمياه الري ، كما تمد القرى المنشأة ، ومدينة حلفا الجديدة بمياه الشرب . وقد رأينا على طول الطريق تلك القرى المقامة في كنفالاراضي الزراعية الجديدة (وقد زرعت لاول مرة بالقطن والذرة والقمح القليل). ووصلنا بعد ساعة وربع الى حلفا الجديدة .

واهم ما يلاحظ ان التخطيط الذي وضع للتوطين قصد به ان تتماثل المناطق ، وتتماثل البيوت المجاورة ، مع مناطق حلفا وبيوتها ، مع مراعاة فوارق التخطيط الهندسي الجديد للمدينة ومؤسساتها . لقد اخذ الناس ـ بعد ان تم تهجيرهم ـ يتكيفون بالظروف والاوضاع الجديدة . لقد نقلوا حاجياتهم وامتعتهم وتراثهم المادي ، واخذوا تعويضات او اراضي يزرعونها .وبعد ان استرحنا بعض الوقت في احد المقاهي حيث تناولنا المرطبات ، رجعنا بنفس الطريق ، وتوجهنامباشرة الى الخزان .

كانت مناقشتنا اثناء العودة عن الظواهر الاجتماعية الهامة التي يحتمل ان تتولد بعد عمليتي التهجير والتوطين . وما الذي يمكن ان يقوم به اولو الامر ، او المهتمون بالاسكان ، لمقابلة هذه الظواهر .وقد اخبرني السيد النائب ان هناك اهتماما من جانب المهتمين بالدراسات الاجتماعية ، عدا سلطات الامن وغيرهم ، من اجل تتبع الظواهر الاجتماعية الجديدة . وتخطر لي الان فكرة لها صلة بالموضوع . فقد كان موضوع توطين اهالي النوبة ، بمصر ، هو الموضوع الذي عالجه احد ادباء القصة بالجمهورية العربية المتحدة ، فكتب قصة مستوحاة من الاحداث الواقعة ، من اجل ارساء مثل عليا جديدة في المجتمع النوبي المصري الجديد . وهنا اراني مترقبا صدور قصة ادبية ممتعة لاحد الادباء السودانيين الاماثل ، ينسجها من وحي الاحداث الواقعية المتبثقة عن توطين اهالي حلفا بعد تهجيرهم .

٢٦-٣-١٩٦٥ : ما أقسى الصخر .. وما أرحم النهر .. وبين قسوة الصخر ورحمة النهر ، يقف الانسان يتحدى القسوة ، ويتقبل الرحمة . ان الانسان جزء من الطبيعة ، ولكنه منفصل عنها ، وهو لكي يتحد بها لا بد له من انتاج ومن ابداع . والانسان لا يقتصر على ان تبدع مشاعره فنا او شعرا او تاملا ، ولكنه يبدع عندما تتوسل ارادته القوية ، بوسائل العلم الحديثة .

ونظرة واحدة من مشارف الربوة التي نقف عليها تثبت ذلك . ان

المنظر بما يشتمل عليه من عناصر ، ومن ابعاد ليبعث في المتأمل فنا ووحيا بالشعور الرفيق والجمال الخالص .ولكن ارادة الحياة المتوسلة بالقلم قد استطاعت ان تخرج من هذا المنظر مشروعا جديرا بالتحقيق ، من اجل حياة افضل ، وهذا هو الذي اتموه منذ سنة ١٩٦١ باسم « مشروع خزان خشم القربة » .

تاخذ بلدة خشم القربة اهميتها من موقعهاالجغرافي على نهر عطبره ومن اجل هذا الموقع اختيرت لتكون مقرا لتنفيذ المشروع المشار اليه . ولقد كانت البلدة خلال تلك السنوات الماضية اي منذ ١٩٦١ اشبه بخلايا النحل . فقد انتقلت اليها وحدات الانشاء من مهندسين ايطاليين ، ومن عمال ومن مقاولين ، عدا الذين قدموا من مناطق اخرى من السودان ، ومن الحبشة كذلك ، لاقامة مشروعات تجاريةواقتصادية، ولادارة محال لبيع الاغذية ، والحاجيات المختلفة ، بسبب ما يتطلبه المجتمع الصناعي المؤقت الذي يقوم على خدمة المشروع .

كما انشىء بالبلدة مكتب لتوطين اهالي حلفا في المنطقة التي انشئت باسم « حلفا الجديدة » وعلى مقربة من خشم القربة . كما انشئت بعض الدور الحديثة وعددها قليل في منطقة المحطة . اما الان ونحن في مارس ١٩٦٥ فقد انفضت معظم الوحدات الانشائية ، ولم يبق منها غير ما نشاهد من الخيام القليلة التي يؤمها ما تبقى من العمال، وغير عدد قليل من المحال التجارية الهامة .

ويسكن خشم القربة من سكانها الاصليين حوالي خمسة الاف نسمة، موزعين على « حلات متفرقة» .

اما عن الخزان ، فقد استطعنا ان نتجول في اقسامه المختلفة ، وفي ابهائه الكثيرة ، وان نستمع الى شرح المسؤولين الفنيين الذين استقبلونا بالترحاب .والحق انه عمل ضخم عظيم ، يؤدي الانوسيؤدي مستقبلا وظائفه الحيوية من اجل بعث الخصب في الارض الغبراء ، ومن أجل انهاض مجتمع جديد . لقد أنجز منه اكثر من ٨٠ بالمئة خلال تلك السنوات منذ ١٩٦١ . وقد بلغت التكاليف ـ كما يقولون ـ اكثر من المليون من الجنيهات فعدا الوحدات الكهربية ، والتربينات القائمة، فان هناك بداخله صالات فخمة اعدت لاستقبال الصيوف ، وقد زودت ارجاءها بالمقاعد الوثيرة و «بار» مشيد على طراز هندسي حديث . اما في الصالات والحجرات المختلفة ، وفي كل درج يؤدي من طابق الى اخر ، فقد صنعت الحوائط والارضيات ، بالاحجار الرخامية اللماء الموزايك ، وبعضها مخطط ، وبعضها ملون ، بخطوط او بالوان غاية في هندسة الزخرفة والديكور . وليس عجبا ان تقوم الشركة (وهي ايطالية) بانشاء هذه الفنون المعمارية الجميلة ، انما العجب ان ينفق ببذخ ، وترف ، لاقامة متحف من العمران الجميل وتكاليفه ـ كما يقول الكتاب والصحفيون ـ احق ان توضع في المشروع الاصلي .

حديث في الثورة : اوائل ابريل ١٩٦٥ ـ ان الاحداث تمر سراعا ، والانتخابات على الابواب . وقد اخذت الاحزاب والطوائف والنقابات تتاهب لخوض المعركة الكبرى ، من اجل انتخاب اعضاء الجمعية التاسيسية (البرلمان) . والشباب المدرسي في حيرة بفضل ما تتقاذفه من اهتمامات حزبية ، واعتبارات وطنية . وقد مر اكثر من خمسة اشهر على قيام الثورة الشعبية في الواحد والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٦٤ .

ولقد دعا اتحاد الطلاب الى حفل مدرسي وطني كبير ، مثلت فيه على مسرح المدرسة تلك الملحمة الكبرى « الاضراب السياسي » كما قدمت فنون رائعة من الاغاني الوطنية ، ومن الشعر الوطني .. تتمثل فيه الاصالة والشعور الصادق .ان ذلك الحفل ، ليشدني الى تلك الاحداث التي عاصرتها في بورسودان ، بل وينبه ذاكرتي الى احياء تلك الوقائع كانما قد حدثت منذ امس .

قبل ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ كان الشعور الوطني معبأ .وكان الطلبة يجتمعون في منتدياتهم الخاصة . كانوا يتناقشون ويتحمسون ويقلبون الامور فيما بينهم . وكانت مشكلة الجنوب قد بلغت حد الغليان . الجامعة تعقد ندوة لبحث تلك المشكلة ، والبوليس يتدخل ويلتحم مع جماعات الطلاب في غضب جامح . ورصاصة جامحة تنطلق طائشةفتردي شهيد الجامعة « محمد قرشي » قتيلا مضرجا بالدماء . وتتحول جنازة الشهيد الى مظاهرة وطنية صاخبة تدوي فيها الحناجر بالشعارات الوطنية وبارادة الشعب وفي اثرها يعلن مدير الجامعة « فكرة الاضراب السياسي » التي تتبناها جميع الاحزاب والطوائف وهيئات الشعب عن بكرة ابيه . وتعم المظاهرات البلاد في صخب والتحام مع البوليس في أول الامر ، ثم في صورة منظمة شعبية رائعة منقطعة النظير . ثم تلي ذلك احداث القصر الجمهوري حيث يستشهد الكثيرون . ويرن صداها في كثير من المدن السودانية ويسقط شهيد بورسودان «خليفة» الموظف بالتليفونات . ثم ترغم الحكومة العسكرية السابقة على ترك مقاليد الحكم ، فيتولاها بارادة الشعب السيد سر الختم خليفة ، ويعلن فيما بعد عن تكوين الجمعية التاسيسية .

« في الواحد بعد العشرين من اكتوبر قام المارد .هب ولاد ». هكذا كان مطلع الاغنية الثورية الجديدة التي سمعناها في ذلك الحفل فلقيت صدى متجاوبا في القلوب والاسماع .وقد رددتها الاذاعة مرات، فتجاوبت لها حناجر الشباب السوداني .والحق ان الفن قد تفاعل تفاعلا اصيلا ، مع الثورة الشعبية ، ولبى وجيبها في القلوب باستجابة رائعة . وليس اول على ذلك من تعبيرات الشعراء بقصائدهم التي نشرتها الصحف في تلك الايام ، واهمها جريدتا « الرأي العام » و « الايام » . ولست املك الان ان اسوق امثلة منها . ولكن اديبا او اكثر قد يحاول في يوم ما ان يدرس فنون الشعر في تلك الحقبة التي اعقبت الثورة مباشرة ، فيؤكد بدراسته صدق الشعور ، والاصالة في التعبير ، والتزام الاديب بالمسؤولية الوطنية ، وارتفاع حساسيته الفردية لتطابق مستوى الحساسية الاجتماعية . او بعبارة اصح ان الفن بتلبيته الوجدانية قد بلور كثيرا من الارهاصات الجماعية ورفعها الى النور ، فجعل منها بالتالي هديا للمبادىء والمثل ، مبادىء ومثل الكفاح من اجل الحرية والحفاظ على الاستقلال .

وكل ثورة شعبية ، يقترن قيامها بما يواكبها من اتجاهات للتغيير والتطوير والتعديل . ومن بين هذه الاندفاعات العاطفية ، والفورات الحماسية للتغيير ، تبلورت اتجاهات تقدمية تمثلت فيها الارادةالواعية. ومن هذه الاتجاهات ذلك المؤتمر المنعقد الان في مدينة ود مدني واعني به مؤتمر المعلمين ويضم اكثر من اربعمائة من رجال التعليم وهمبسبيل المطالبة ببعض المطالب الوطنية والتربوية على اساس البحث والمناقشة ، ومن هذه المطالب تعريب المناهج في السودان (وقد اقرت الحكومة هذا المطلب بالفعل) . ومن هذه الاتجاهات ايضا ما اقره القانون من حق يعطي المراة حرية التصويت في الانتخابات ، وحرية الترشيح لعضوية المجالس النيابية .

.. وفي الوداع .. ١٧ مايو ١٩٦٥ ـ كنا ثلاثة رفقاء نزمع الرحيل ، بعد ان انتهت اعارتنا للسودان لفترة دامت اربع سنوات منذ ١٩٦١ .

وفي عصر ذلك اليوم .. وفي نادي المعلمين .. على شاطىء البحر .. اقيم حفل تكريمي من اجل توديعنا . بدأناه بتسجيل صور تذكارية .

ومع المرطبات واكواب الشاي المنسكبة بسخاء ، كانت هناك كلمات اكثر سخاء ، تبادلناها تقديرا بتقدير واعزازا باعزاز وشكرانا بشكران .

وفي المساء غادرت النادي انا واولادي ـ رفيق وسميح وعاطف ـ الذين صحبوني في ذلك الحفل ، وقد عمرت قلوبنا باجمل الذكريات، لاجمل حفل وداعي حضرناه .

واذ اختم هذه المذكرات ، بما تضمنته من صور وانطباعات ،

السراب الساخر

خلف آثار خطوات الايام
الغارقة في ديجور الزمن
حيث توغلت اقدام القلق
في دهليز مجهول مزقه الضياع
تتوالد ، في خصب ، ارض ميتة
احلامها كخيوط العنكبوت
تتشعب كاذرع اخطبوط
فقد سر قوته حين انسحق راسه
واندلقت امعاؤه بين الصخور
احلامها ، ضخمها الوهم
فاستحالت الى جسر مرعب
يجتازه الاغبياء
الضالون وراء سراب ساخر
والحب ، جوع يتفاقم حتى الجوع
شرايينه نزت باشواق ظامئة لم ترتو
يلغ في حماة شهوة متفجرة
ماؤها صديد متعفن
يتكالب عليه الميتون
ويغرقون ... ويغرقون .

وعند حوافي الطريق
تتناثر اشلاء طفت عليها اجيال سحيقة
من بقايا الامس المنسي
ويراها الناس ، رمزا للقرف المنبوذ
فيركلونها بوحشية ، قذارة تؤذي العيون
وهي تنظر اليهم هازئة كئيبة :
نداء الماضي الصامت يتجاوب عبر الذكرى
ولكن من ينصت الى وحي الارض الميتة
الى صرخة جسد ايوب المدمى بالدمامل
الجميع يعبرون جسر الرعب من جديد
في كل يوم ، مواكب المغفلين ، تغذ خطاها
نحو حماة النار الاكلة
وتتململ الاشلاء ،
تود ان تكون حاجز الخلاص
في درب الموت والجوع
ولكن الاقدام تدوسها حانقة
ويمضون الى اللاشيء ، في صمت الابد
ويغرقون .. ويغرقون .

صموئيل عبد الشهيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانني اود ان اقدمها باقة متواضعة من التقدير والاجلال ، الى هيئة التدريس بمدرسة بورسودان الثانوية، بعامة ـ والى شعبة العلوم بخاصة.

واذا كان الفضل يذكر لذويه ، فانني اود ايضا ان اخص بالذكر هؤلاء الزملاء الاصدقاء ممن تعاونوا معي في حقل مشترك ، او ممن شاركتهم بتجارب اوسع او اكثر ، او ممن حفلت واياهم بخبرات أعمق.

واعني بهم الاستاذ الكبير عبدالله احمد ناجي ناظر المدرسة ، فقد كان تشجيعه لي ، وتقديره لشخصي ، ومجاملته العاطفية في جميع الظروف التي مررت بها طوال اقامتي بالمدينة .. كانت هذه جميعا مما يرقى الى مراتب الاخوة المتينة المبددة لكل صعب والمهونة لكل تعب .

والزميل المستر ب. سالوهان رئيس شعبة العلوم والفيزيائي النابغة ، قد زاملته في اكثر من مجال علمي وانساني . كان مكتبه يجاور مكتبي ، وكان منزله يجاور منزلي .تبادلنا الاراء ، واحتدمنا في المناقشات ، وعركنا الصعوبات ، واشتركنا في الرحلات ، وفي المشروعات العلمية بل وفي النزهات العائلية ، فكان اخا يعرف عند الشدائد ، ورجلا يعتد بمسؤوليته وصداقته .

اما الاخ عبدالرازق سلمان استاذ الاحياء ، فقد عرف عنه الاخلاص والغيرة الوطنية بصبهما في قالب الخدمة الحقيقية نحو تلاميذه . ومن هنا فقد كانت صداقته لي تتخذ من التبادل الفكري ، بل ومن المناوشات العلمية اساسا ترتكز عليه وجداناتنا وعواطفنا .ومن هنا ايضا فقد اشتركت واياه في كل مشروع كان يراه صالحا للبحث او للعرض او للمناقشة العلمية ، وكان يوجه بنفسه هذه الطاقة النشاطية من اجل بعث الاهتمامات العلمية في قلوب تلاميذه .

ولست انسى السيد الناظر الاسبق ، الرائد الرياضي ، والاستاذ التربوي الكبير احمد ابراهيم فزع . فقد زاملنا اكثر من عام ونصف عام قبل ان يرقى منصب وكيل الوزارة المساعد ، وكنت القى منه كل عون ، وكل تأييد وتشجيع وتوجيه بل وكل تكريم .

انني أحيي في هؤلاء الاصدقاء المثل الحي للانسان الذي يرقى بشعوره بالمسؤولية ، وبعاطفته الانسانية المتحررة ، في سبيل انجاز العمل الانساني المشترك .

ذلك لان هذين العنصرين ـ المسؤولية والانسانية ـ هما الركيزة الاساسية ، بل المنطق الحيوي لكل تفاعل انساني .

ولئن كانت الاعمال التربوية او الثقافية المشتركة في حاجة الى جو من الصداقة الخالصة تسود المجتمع وتشيع بين افراده ، لكي يتم انجازها بنجاح ، فما احرى ان تكون الصداقة بين الشعوب هي الاداة الفعالة لاقرار السلام العالمي .

« انتهت المذكرات »

شبين الكوم ـ ج.ع.م

اميل توفيق

كاد يلتهمها بنظراته المستطلعة الشرهة . عيناها خضراوان واسعتان . انهما تمثلان ربيع الشباب وربيع الجمال . وعنقها طويلة ملساء تحمل وجها جميلا جذاب الملامح حلو التقاطيع ـ ترفعه الى اعلى لكي يتفرج الرجال على آيات الفن الطبيعي الساحر . وكذلك خصرها . انه طويل ـ طويل ونحيف، يرفع صدرها المتوج الى اعلى لكي يرى الشبان كيف يمتاز الصدر الفائن على الصدر العادي. كل ما يبدو فيها يدل على انها تتمتع بصحة ممتازة وانها سعيدة في حياتها مدللة مترفهة، لها صواحب معجبات بها ، ولها معارف من الرجال يثنون على جمالها .

(انها بائسة متألمة تتمنى في بعض الاحيان الموت على نفسها لتستريح وتريح . انها لا تفتقر الى الثناء على آيات جمالها ولا الى التحدث عن محاسن جسمها . هنالك ما هو خير من ذلك ، انها تعرف ما تفتقر اليه .)

كان ذلك الشاب الجريء لا يريد ان ينظر الى شيء غير وجهها ، ولكن اهداب عينيها ليست على استعداد لاستقبال نظراته الحادة الوقحة . كانه لا يريد ان يتحدث عن شيء سوى جمالها وفتنتها . ولكن اذنيها ليستا على استعداد لان تتلقفا كلمات الثناء والاطراء من فمه .

كان يحادث صديقه وذهنه ذاهل حالم :

ـ الا ترى عينيها الخضراوين الواسعتين ؟ لماذا لا تنظر الي ؟ هل كل هذا كبرياء ؟ هل انا ابدو تافها في عينيها ؟

ـ دعنا منها . انها متزوجة . الا تسرى زوجها الذي يسير بجانبها ؟

(ماذا تستفيد من النظر اليها والتحديق في محاسن جسمها ؟) .

ـ هل ذلك الشيخ الدميم زوجها ؟

(انه لا يستحق ان يكون اباها . كيف رضيت به تلك الحسناء زوجا لها ؟ وكيف اجترأ ان يتخذها زوجة له ؟) .

ـ اجل .

ثم ابتسم فوزي ابتسامة حازمة ، وقد توقع ان يرد عليه زياد بابتسامة مثلها ، ولكن وجهه نضح بشيء من النفور والعبوس .

والتفتت اعتدال الى يمينها التفاتة موجزة. فشعر زياد انها التفتت اليه . فابتسم ابتسامة الراحة والطمانينة، وامتلأ راسه بافكار سارة:

(أصوات من الداخل : انني اهواك بل اعبدك . انا الوحيد الذي يفهم آيات جمالك فهما صحيحا تاما . لو انني اصبحت زوجا لك لاحطتك بجميع الوان السعادة والهناء . اتركي ذلك الشيخ الفاني . انبذيه ! ان قلبي فتي كقلبك ، وان جمالك الفائن في حاجة شديدة الى ندى اعجابي وتقديري ليتفتح في جو من السعادة والغبطة) .

(منظر في الداخل : تقبل عليه اعتدال في ابتسام ، فيمسك يدها في رقة ويجذبها اليه ، ثم يقبلها في قوة ، وبعد ذلك تضع يدها في يده ويسيران في مرح وسرور بين ازهار تؤلف الوانا تدخل البهجة على نفسيهما، وتنشر عبيرا ينتشي به ذهناهما) .

توقف فوزي عن السير فجاة وقال لصديقه:

ـ كفى ! كفى ! ينبغي لنا ان نرجع .

(لقد ففحتنا ولفت نظر المارة الينا) .

فقطب زياد وقال :

ـ نرجع ! لماذا ؟ دعنا نستمر على السير .

(لو ظللت اسير في هذا الاتجاه طول حياتي لما مللت ولا شعرت برغبة في العودة) .

فامسك فوزي بيد صديقه ، واجتذبه اليه في قوة ، وقال بنفحة حازمة آمرة :

ـ يجب ان نعود . الا تفهم ؟

(ماذا جرى لعقلك ؟ لا تدع النساء يسيطرن على عقلك بجمالهن . ان الجمال زائل) .

الثمرة النائية

بقلم عبدالحميد الانشاصي

وعاد الصديقان . وكان زياد يلتفت وراءه من حين الى آخر متتبعا خطوات اعتدال . وجدها مستمرة على السير في الاتجاه الذي كان يسير فيه من قبل . وبذلك ابتعدت عنه ، واخذت تختفي عن نظره شيئا فشيئا . ولكنها لم تختف عن ذهنه ما زالت ماثلة فيه وهي تنظر امامها بعينيها الخضراوين وهو يسرح نظراته المعجبة في وجهها وقوامها في ذهول .

كانت اعتدال تسير مع زوجها دون ان تحادثه او يحادثها . خط الصمت الكئيب على ثغريهما، واطبق بجناحيه على شفتيهما. لم يكن كل منهما في حاجة الى سماع صوت الآخر على الرغم من سيرهما بين حدائق غناء وسهول معشبة . ان ما حولهما من مناظر طبيعية جميلة يسترسل اليه النظر وتنتعش به النفس ، ولكن نظرات الزوجين كانت لاهية عن تلك المناظر . كانتا مشغولتين عنها . كانت آذانهما تصغي في صمت وانتباه الى حديث نفسيهما الداخلي :

(اصوات من الداخل : ماذا افعل لك ؟ هكذا قدر علي . وهذا نصيبك . انا لا اماتع في الانفصال . لتنفصل ان كان في الانفصال راحتك وهناؤك . ـ انني حيران . لست ادري ماذا افعل . يخيل الي انني سابقى شريكا لك في حمل ثقل الهموم حتى نهاية حياتي .)

* * *

كان زياد وصديقه جالسين في مقهى العائلات . وكانت بركة المقهى ممتلئة بالماء الذي كون من غيث الفوارة . وكانت كراسي المقهى موزعة على العرش . في كل عريشة اربعة كراسي . وقد سحبت الشمس شبكة اشعتها الفائرة عن وجه الارض تاركة الكائنات في يم من الهواء اللطيف الذي بدا يصطبغ بلون الماء الرصاصي .

وقد جلس في بعض العرش اسر صغيرة الواحدة منها مؤلفة من زوج وزوجة واولاد او بدون اولاد .

اجال زياد بصره في تلك الاسر الصغيرة باحثا عن معبودته اعتدال ولكنه لم يعثر عليها. لقد شعر بحاجة شديدة الى رؤية وجهها والانس اليها بين الجلوس من الناس .حتى لو جلست بعيدة عنه يشعر انها قريبة منه . شوقه اليها وانصباب نظراته عليها يقربانه منها . اذا لم تكن زوجته فهي حبيبته . حسبه ذلك . كان قد صادفها مرارا وهي جالسة مع زوجها في المقهى . وهو الان يتوقع ان تدخل المقهى مع زوجها وتجلس في احد العرش . كان طول الوقت في انتظارها . وكان من حين الى آخر يشرئب نحو الطريق الممتدة امام المقهى باحثا بعينيه القلقتين عنها . ولكن عينيه لم تلقا عليها .

وأخيرا قدمت . قدمت هي وزوجها . لا يفارقها مع انه لا يشعر بالسعادة والهناء وهي بجانبه . بدا وجهها الجذاب كفاكهة بين ازهار المقهى فانسجم معها كما تنسجم الفواكه مع الازهار المتفتحة على الغصن . ولاحقتها عينا زياد حتى جلست هي وزوجها في عريش . اخذت تنظر الى البركة في شيء من الاستطلاع. مناظر الجلوس تسر النفس وتبهج الصدر . وكذلك المناظر الطبيعية المؤلفة من البركة والازهار والاعشاب المتسلقة على العرش . كل شيء متفتح : الازهار والوجوه الجلوس المتحدثين وعيونهم الناظرة ، وكذلك نفوسهم المبتهجة . ولكن شيئا دفينا في صدر اعتدال صرف نفسها عن تلك المناظر وان لم يصرف عينيها عنها . لذلك ألقت على الاشياء المتفتحة نظرات



ذابلة مغمضة .

(بدت لها الازهار ذابلة مطرقة ، والبركة خالية من الماء ، ووجوه الجلوس كئيبة عابسة ، وافواههم مطبقة الشفاة كفمها وفم زوجها . وشعرت بنفسها تنوء بها تلك الاعباء من المناظر الثقيلة) .

ـ فوزي ! انني استغرب ذلك الصمت المخيم عليها وعلى زوجها . أنا لا افهم سر ذلك الصمت . ترى ما سببه ؟

(لا شك أنها تبغض زوجها . انهما ليسا منسجمين مظهرا ولا مخبرا) .

ـ سببه واضح . تنافر القلبين .

(انها شابة وهو شيخ . انها جميلة وهو دميم) .

ـ ينبغي له ان يتحبب اليها ويبتسم لها لانها ضحت بشبابها وجمالها من أجله . وهو في حاجة اليها . أما هي فلا .

(ان هذا الشيخ يغيظني . يغيظني بجموده ورزانته وصمته ، لو كنت في مكان زوجته لانفصلت عنه واسترحت من شره) .

ـ دميم وجامد في آن واحد .

ـ لو انها جالسة وحيدة لشعرت بشيء من السعادة او بشيء من هدوء النفس على الاقل . لا شك ان اباها ارتكب جرما بموافقته على زواج ذلك الشيخ بها .

(اصوات من الداخل: قم يا لئيم ! لو كان لديك شيء من الكرامة لانفصلت عن زوجتك وتركتها لمن هو اولى بها منك . ان هذا ظلم لا يصبر عليه احد) .

(منظر من الداخل : يركل زياد الزوج بقدمه في قوة ، ثم يهوي عليه بلكمة صاعقة على صدغه ، فيقع طريحا على الارض . وتلتقي عينا اعتدال وعينا زياد بنظرة طويلة عميقة) .

التفت الزوج الى اعتدال قائلا في ابتسامة خفيفة :

ـ ان جلستنا حلوة هنا فانني اشعر بانتعاش من الحر .

فقالت اعتدال مسايرة بابتسامة خفيفة ايضا وهي تنظر الى زوجها من مؤخر عينيها :

ـ اجل . وانا ايضا اشعر بانتعاش كاننا في مصيف جميل .

فضحك فوزي ضحكة مدوية ، ثم قال لصديقه :

ـ انظر يا زياد . انهما يتحدثان . عجيب ! كيف جرى ذلك ؟ لقد ابتسم كلاهما الى الآخر . الم تلاحظ ذلك ؟ انهما سعيدان .

(لقد كنا واهمين حينما ظننا انهما ليسا على وفاق) .

فهز زياد رأسه في تألم واجاب :

ـ لقد لاحظت كل حركة صدرت عنهما ، وسمعت باذن مخيلتي كل كلمة فاها بها . الحق انك مغفل لا تفهم من طباع النساء شيئا) .

ـ ماذا قالا ؟

ـ شيئا لا يقال .

(انني ادرك منك بهذه الاشياء . انك طفل في المعرفة النسائية) .

ـ قل . ما هو ؟

فتنهد زياد ، ثم ابتسم في دلال ، واجاب بغم مائل :

ـ قال الزوج لزوجته عني : « ان هذا الشاب يحدق فيك كثيرا » . فقالت الزوجة في دلال : « لعله معجب بي » . ثم قالت في نفسها : « يا حبيبي ! متى نلتقي وابثك لواعج قلبي ؟ » .

فاطلق فوزي ضحكة رنانة ثم قال :

ـ لا شك انك مغرور بنفسك . انك لم تخطر ببالها ابدا .

ثم نهض قائلا :

ـ قم ! لقد اطلنا المكث في هذا المقهى . انني اخشى ان يجري لعقلك شيء ـ (مجنون !) .

ولكن زيادا لم يتحرك . فالح صديقه عليه . غير انه لم يظهر رغبة في النهوض . فتركه فوزي قائلا في سخط مكتوم :

ـ ابق في مكانك . انني ذاهب .. ثم انصرف .

* * *

تبعها منذ صادفها في الطريق . سارت اعتدال وحدها تخطر في دلال واغراء . وسار زياد وراءها مثبتا نظره فيها ومراقبا كل حركة تصدر عنها كان مغناطيسا خفيا اجتذبه اليها . مرا ببستان من المشمش ثم ببستان من البرتقال . وكانت السيارات تمر بهما في سرعة دون ان يلتفت زياد اليها او يفكر فيها . ثم مرا ببائع حلوى سمسمية ، فتمنى زياد لو انه اشترى منها قطعتين فقدم الى صاحبته قطعة ، واحتفظ لنفسه بقطعة . وقد سمع صوت بائع شراب الخروب ينادي بصوته الجهوري الرخيم من بعيد . ومر به غلام راكب دراجة عادية ، ثم مال اليه لجهله في السوق ، فكاد يصطدم به . ولم ينتبه زياد اليه الا حينما احتكت عجلة الدراجة بينطلونه احتكاكا خفيفا اذ كان طول الوقت ذاهلا يفكر فيها .

وكان كلما اقترب من اعتدال انتبه لنفسه وابتعد عنها قليلا لئلا يلاحظ الناس انه كان يتبعها . وكانت هي تشعر انه يسير وراءها ، غير انها لم تبد من الحركات ما يشجعه على ملاحقتها وان كانت تشعر بزهو وغبطة من اعجابه بها وافتتانه بحسنها .

« الى اين انت ذاهبة يا حبيبتي ؟ اين زوجك ؟ لماذا لم يرافقك ؟ ان هذا لم يكن من عادتك . هل نشأ خصام بينك وبينه ؟ انني أعلم انك لا تطيقين رؤيته والاستماع الى حديثه . لا شك انك تنفرين من شيخوخته ودمامته . انه لا يصلح لك زوجا . لست ادري كيف رضيت به زوجا . أغنى هو ؟ ولكن ثروته لا تغطي ما فيه من عيوب ولا تعوض عن خسارة شبابك وجمالك من أجله . أريد ان انقذك . أريد ان اسعدك . ما اجمل قوامك ! وما ارشق هذه المشية ! ان موسيقى خطواتك الخفية تترك في قلبي اثرا ارق وأحلى من الاثر الذي تتركه الالحان التي تبعثها انامل حسناء على البيانو . لا شك انك تدركين انني اتبعك وان كنت لا تلتفتين الي . انني الاحظ انك تتفتنين في اظهار فتنة مشيتك وحلاوة حركاتك . هذا ما جعلني أوقن أنك تشعرين بانني أسير وراءك » .

(منظر من الداخل : يقترب منها ثم يحاذيها ويلقي عليها التحية .فترد عليه بصوت منخفض حيي . ثم ينظر اليها في ابتسام خفيف . وتنظر اليه في ابتسام مماثل ،ويحادثها بصوت ينوء به ثقل من الخوف والخجل ، وهي تصغي اليه في رضى واعجاب وتشجيع .)

« ما بالك تلاحقني ايها الشاب ؟ لقد قطعت مسافة طويلة وانت تسير ورائي . ماذا تبغي مني ؟ انني متزوجة . ولا شك انك تعلم ذلك ، فقد رأيتني مرارا ماشية او جالسة مع زوجي . دعني وشاني . ابتعد عني . اتصحك بالا تفكر في لا لانني متزوجة فحسب بل لانني لا أصلح لك زوجة . ان الفتيات الحسان في الدنيا كثيرات . فاختر لك واحدة منهن وتزوجها . انني لا ارضى لك ان تعذب نفسك من اجلي . لقد لاحظ الناس أنك تتبعني . فماذا يقولون عنا ؟ هل ترضى ان تحالك حولنا فضيحة ؟ عد من حيث اتيت ان ذلك خير لك » .

(اصوات من الداخل : اقترب مني يا حبيبي ! تعال الي لأتأمل وجهك جيدا ، فقد رأيتك من بعيد وأريد الان ان اراك عن كثب . لقد احببتك منذ وقع نظري عليك لاول مرة ، ولست ادري لذلك سببا . لقد اصبحت قوية الامل في الحياة . اشعر ان نفسي بدت تتنعش وان قلبي بدأ يترعرع . كل ذلك من اعجابك بي وحبك اياي) .

(منظر من الداخل : تميل الى منعطف وتسير في ممر ضيق تظلله فروع الاغصان المتشابكة ويهب عليه عبير الاشجار . فيلحق بها زياد ويلتفت اليها مبتسما . فتتأبط ذراعه وتسير معه في ابتهاج ومرح ، ويحادثها حديثا حلوا لم تتعود ان تسمعه من زوجها) .

ولكنها لم تعرج على ممر ضيق بل ظلت سائرة على الطريق العام . وكلما توغلت في الطريق قل عدد المارة من الناس . غير انها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسمة

هاتها من فم القدر ... بسمة تفتن البشر
يفرح القلب سحرها ... فرح الروض بالزهر
انما الحظ خلسة ... فاغتنم منه ما بدر
هذه الدنى ... كلها منى
والمنى غرر

اهل الدهر ما طغى ... لا تخف منه ان بغى
وادرع بابتسامة ... تحرز النصر في الوغى
لم يجند غير من ... لاذ بالهزء والسخر
عش لحربه ... لا تشق به
طالما غدر

امس كالحلم ادلجا ... عوده ليس يرتجى
وغد من ضميره ... لم ير الغيب مخرجا
فابتغ اليوم كل ما ... تشتهي ، دون ما حذر
رو بالامل ... فسحة الاجل
تصرف الكدر

دغدغ الناي ، واعزف ... لحن هيمان مدنف
واسقني قبل صحوتي ... ريق سلمى ، واسرف
فندامى اكؤس ... راحها تخطف البصر
رحمة الصمد ... صاح لا تحد
كم وكم غفر

صيدا ـ لبنان ... محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تبد من الحركات ما يشجع زيادا على الاقتراب منها وبث غرامه اياها . انها ما زالت نائية عنه بجسمها ونفسها . وكانت نفسها تتقطع بين الامل واليأس ولوعة الحب وبرودة الواقع .

وفجأة شعرت اعتدال بضعف عام يغزو جسمها . بدأت اعصابها تسترخي والدم يختفي من وجهها . فامتلا قلبها خوفا ، وندمت على خروجها من المنزل وحيدة دون ان يرافقها زوجها في مسيرها . لو انها انتظرت حتى يعود زوجها من عمله من الحانوت الى المنزل لكان ذلك خيرا لها . والان ماذا تصنع ؟ كاد الضعف يقيد رجليها . سلبها تلك المشية الموسيقية الرائعة . وقد لاحظ زياد انها اخذت ترنح في مشيتها ، ولم يدر لذلك سببا . استغرب ذلك الضعف الذي حل بها .

اخذت تحس بالم في صدرها ، فانتفضت هلعا . انها النوبة ـ النوبة التي تعودت مفاجاتها من حين الى آخر . فماذا تصنع ؟ الى اين تذهب ؟ انها ان عجزت عن الوقوف اقتضح امرها ولم تجد كرسيا تجلس عليه . هناك حجارة قائمة على الطريق . هل تجلس على احدها اذا اضطرت الى ذلك ؟

ازداد الالم نخسا في صدرها ، فاخذت تسعل سعالا قويا متواصلا . ثم ارغمت على الانحناء على خندق الطريق ، وفاض الدم من صدرها . دم غزير ملتهب . وخف زياد اليها في هلع واستغراب ، ثم امسك ذراعها وكتفها بيديه في جرأة . والقى نظرة على الدم اللامع على الارض وعلى وجهها ، فبدا له وجها آخر غير وجه تلك الحسناء الفاتنة . كان اصفر ذابلا . قال لها في تحسر :

ـ ما بك ؟ (مسكينة !) .

فاجابت بصوت ضعيف زائغة البصر :

ـ لا شيء . (اكاد اموت) .

ـ امريضة انت ؟

ولكنها لم تجب . (اشكرك) .

ـ ارى ان اذهب بك الى المستشفى .

استمعت الى كلامه في صمت . وحينما اقتربت منهما سيارة اشار لها فتوقفت . ودخلت اعتدال في السيارة متحاملة على نفسها بمساعدته . وانطلقت السيارة نحو المستشفى .

وفي مستوصف الطبيب فحصت اعتدال في دقة . وقالت الممرضة للطبيب على مسمع من زياد :

ـ ما بها ؟

فاجاب بصوت منخفض :

ـ سل .

فمال زياد برأسه الى جانب ، والقى على الارض نظرة منكسرة حزينة وقال في نفسه :

ـ مسكينة ! لم يخطر في بالي انهما مسئولة . وزوجها المسكين . لقد ظننت انه ظلمها بتزوجه بها . ومع ذلك فانني احبها وان كنت يائسا من التزوج بها . ليت في امكاني ان اسعدها ! ليت في امكاني ان انقذها !

وخرج من الغرفة في يأس وذبول .

عمان ... عبد الحميد الانشاصي



مكتبة الاديب

فـــن الترجمـــة

تاليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٤٠ صفحة ـ قطع متوسط ـ نشر الدارالمصرية للتاليفوالترجمة بالقاهرة مطبعة دارالثقافة العربيةبالقاهرة

عرفت الاديب الشاعر محمد عبدالغني حسن منذ كنا تليمذين فيعنفوان الشباب ، ننهل من الآداب والعلوم ، ونتطلع الى مستقبل باسم ، يحدونا الامل الكبير ، وبعثنا على الجد والنشاط للوصول الى حياة ثقافية رفيعة .وكان هو قد احب الشعر كما احببته ، ثم وجد في تشجيع جريدة الاهرام وقرائها في جميع الاقطار العربية ما جعله يحرص على تجويده ومكانته البليغة ، حتى لقب بشاعر الاهرام ، ثم كاد الشعر يملأ وقته ، ويصرفه عن كل شيء سواه . ولكننا ما لبثنا ان وجدناه وهو المعلم الناجح ، يوسع دائرة نشاطه ، ويختار تعليم اكبر عدد من القراء في تلك المدرسة الكبرى ، مدرسة النشر والتاليف والترجمة والصحافة .ورأينا قلمه البليغ يجول في هذا الميدان جولات بليغة بارعة ، لا تقل عن جولات شاعر الاهرام في الشعر ، بل قد تزيد عنها بما تناوله من مختلف الموضوعات والابحاث العلمية والادبية ، وبما الفه من كتب باللغة العربية ، وبما ترجمه عن الانجليزية والفرنسية .

وامامنا الآن مؤلفة الاخير «فن الترجمة في الادب العربي » . وهو كتاب جديد في موضوعه ، جديد في بحوثه ، بل لعله اول كتاب في هذا الفن . فلا نعلم ان كتابا قبل هذا الكتاب عالج « فن الترجمة » علاجا علميا وتاريخيا وفلسفيا ، وبحث بحوثا مستفيضة في مذاهبها وقواعدها ، وشروطها ، وانواعها والفاظها وميادينها . وانما الذين تناولوا الترجمة منذ القدم حتى اليوم ، لم يتناولوها الا من حيث ممارستها ومعاناتها . او من حيث تاريخ التفسير والتجديد فيما ينقل الى اللغة العربية من الالفاظ والاسماء والتراكيب الاعجمية في مختلف عصور الجاهلية والاسلام ، كما فعل العلامة جرجي زيدان فقد وضع كتابا عن تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائنا حيا ، تناول فيه تاريخ هذه اللغة من اقدم ازمانها الى ظهور الاسلام ، وما تلاه في عصر بني امية والعصر العباسي الاول . وقد اورد فيه امثلة من ترجمة الالفاظ الاعجمية وما دخل اللغة العربية من اللغات الفارسية ، والحبشية ، والهندية ، والهيروغليفية ، واليونانية ، وما وضع فيها من الفاظ جديدة اقتضته العلوم الشرعية والفلسفية او ما دخلها من الالفاظ الادارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب . وهي اما دخيلة او مولدة او معربة . ولم يتناول جرجي زيدان في كتابه الترجمة كعلم وفن له قواعده وشروطه وحدوده ..!

نعم اشار ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وصلاح الدين الصفدي ، اشارات موجزة لقواعد الترجمة وشروطها ومذاهبها ، ولكنهما ـ كما يقول المؤلف الفاضل ـ لم يكابدا الترجمة ، ولم يقوما بها ، لانهما لم يعرفا غير العربية. اما المترجمون المعاصرون بعد قيام حركة الترجمة ، فقد قال بعضهم شيئا ، وسكت بعضهم . على ان الكاتبين منهم لم يكتبوا الا اشارات او مقالات قصيرة متناثرة .. !

لذلك كان قيام الاستاذ محمد عبدالغني حسن بوضع هذا الكتاب، خدمة جليلة للغةالعربية التي خلت من امثاله.

وقد صرف العزم منذ زمن الى معالجة موضوع فن الترجمة في الادب العربي . ولم يحاول ان يكتب تاريخا لحركة النقل والترجمة او حديثا عن النقلة والمترجمين . فهذا ميدان وذاك ميدان. وقد قرأ الكثير من المراجعوالمصادر في العربية والانجليزية والفرنسية والمجلات الادبية.

والحق ان المؤلف قد الم بموضوعه كل الالمام . وقسمه الى ستة عشر فصلا ، منها على سبيل المثال لا الحصر : « بين الترجمة والتعريب » . « فن الترجمة بين الجاحظ والمقدسي » .«شروط الترجمة عند المعاصرين والمحدثين». « الترجمة بين الزيادة على النص والحذف منه ». « الترجمة بين التلخيص الكامل والاداء الكامل ». «ترجمة الكتب المقدسة». «ترجمة القرآن» . «تعدد الترجمات» . «مذهب الترجمة بين الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد حسن الزيات» الى اخر هذهالفصول.ونود ان نلاحظ فيما رواه من رأى استاذنا الاديب احمد حسن الزيات في الترجمة ومذهبه فيها انه ينحو نحوا لا نراه ترجمة لنص اجنبي ، بل هو تاليف جديد مقتبس من نص اجنبي.فهو يقول عن مذهبه وطريقته في الترجمة :

« .. فانا انقل النص الاجنبي الى العربية نقلا حرفيا على حسب نظمه في لفته ، ثم اعود فاجريه على الاسلوب العربي الاصيل ، فاقدم واؤخر دون ان انقص او ازيد . ثم اعود ثالثة ، فافرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق ، والنسق المنتظم .فلا اخرج من هذه المراحل الثلاث الا وانا على يقين جازم بان المؤلف لو كان كتب قصته او قصيدته باللغة العربية ، لما كتبها على غير هذه الصورة .ومن هنا كانت الترجمة على هذا النحو اشق واتعب .. »!

نعم هي اشق واتعب ، لانه يتكلف ان يؤلف لغيره في اللغة العربية من نص اجنبي تصرف فيه تصرفا من ذات نفسه ، لا من ذات كاتبه ، ومن ذات روحه وعواطفه ، واخيلته ، لا من ذات روح صاحب النص الاجنبي ولا من ذات عواطفه واخيلته.. ونحن نسال الاستاذ الزيات ، لو ان مترجما اجنبيا ترجم احد مؤلفاته بهذه الطريقة التي يترجم هو بها النصوص الاجنبية ، هل يرضى عنها ، او هل يستطيع ان يقول انها تمثل نص كتابته وروح اسلوبه واخيلته وعواطفه ؟! صحيح ان اسلوب الاستاذ الزيات انيق في الفاظه بليغ في عبارته . سواء أكتب قصصه وموضوعاته باللغة العربية ام نقل اليها من الفرنسية ، ولكن طريقته في الترجمة هي اشبه بالتاليف والانشاء الجديد ، بل هو تاليف مستمد من لغة اجنبية، وليست ترجمة بالمعنى الفنيللترجمة!

وليست طريقة الزيات تدخل في باب التطويع اي تطويع اللغة العصية لقبول المعاني الاجنبية .وهو في نقله عن الفرنسية كالمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي في قصص مجدولين ، والفضيلة ، والشاعر ، وسائر ما انشاه نقلا عن اللغة الاجنبية . فقد فعل المنفلوطي ما فعله الزيات مع فارق قليل ، فانه انشا والف غير معتمد على ذات نفسه بل معتمد على ذات غيره ، وقد زاد من عواطفه واخيلته وتصويره ما لم يكن في النص الاصيل ، وما يتفقواسلوبهوتفكيرهفي الانشاءالعربي.

واذا كانت مهمة المترجم ـ كما يقول المرحوم الاستاذ عادل زعيتر ـ ليست نقل العبارة الاجنبية الى العربية ، فان المهمة الاولى ان ينفذ الى روح الكاتب ، ويفهم شخصيته تمام الفهم حتى يستطيع ان يترجم نصه ترجمة صحيحة .وقد اشار الاديب الكاتب الاستاذ وديع فلسطين الى ذلك ، فقال : «...فلن يتسنى للقارىء ان يكون فكرة صحيحة عن كاتب ما الا اذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمة آثار ذلك الكاتب دون اخلال بروح النص فضلا عن حرفه ».

والاستاذ وديع فلسطين لا يريد بالحرفية الا يتصرف المترجمتصرفا

تجيزه الترجمة الفنية ، بل يريد المحافظة على اغراض المؤلف الاصلي وروحه ودقائق النص .ولذلك لا يرى فيما كتبه في كتابه « قضايا الفكر» ان يزيد المترجم على النص الاصلي او يحذف منه الا لاعتبارات خارجة عن الترجمة .

ونحن لا نعارض الاسلوب الفصيح فيما ينقله الاستاذ الزيات وامثاله من كبار الكتاب ، ولكننا نريد ان يراعي المترجم حق المؤلف في آثاره وامانة الترجمة ، فمن حق المؤلف ان يرى افكاره وعواطفه واخيلته منقولة نقلا لو قرأها لعرف انها هي افكاره وعواطفه واخيلته ، وانها من ذات نفسه ، لا من ذات غيره ، وانها منقولة نقلا امينا لا زيادة فيه ولا نقص ، ولا تصرف يكاد يذهب بمعالم تأليفه .وحينئذ يطمئن الى مثل هذه الترجمة لاثاره التي لا تنسب الى غيره ، ولا تنقل نقلا يذهب بافكاره ومعانيه وأوصافه ، ويستعمل فيها اوصاف القدماء العرب ، واخيلتهم واساليبهم الضخمة ..!

ولعل البستاني في ترجمته لالياذة هوميروس كان اكثر امانة في النقل ، واجدر بان تسمى ترجمته ترجمة فنية ، فقد ترجم الالياذة شعرا بديعا ، وحرم على نفسه الزيادة والنقص ، كما حرم التقديم والتاخير الا فيما اضطره اليه تركيب اللغة العربية . وقد اشار الى طريقته في الترجمة في مقدمة الالياذة وحمل فيها على المترجمين الذين يبيحون لانفسهم الزيادة والنقص ، والتصرف في النص الاصلي تصرفا مطلقا ، فقال انهم تجاوزوا منهج الصواب في الترجمة ، « فاجروا قلمهم ، بل هو جرى بهم مطلق العنان يجد ما يريد دون ما ارادالواضع، فمن متصرف بالمعنى يزيد وينقص على هواه ، فيفسد النقل ويضيع الاصل ، ومن متسرع يضن بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف ، فيلتبس عليه فهم العبارة ، فينقلها على ما تصورت له لاول وهلة ، فتنعكس عليه المعاني على كره منه ، ومن ماسخ يلبس الترجمة ثوبا يرتضيه لنفسه ، فينقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ، ويوافق خطته، حتى لا يبقى للاصل اثرا .ومن عاجز يجهد النفس ما استطاع ، وهو ان اجهدها ما شاء غير كفء لخوض هذا العباب .ثم يقوم هؤلاء الكتاب ، ويسمون ما كتبوا تعريبا . واولى بهم ان يسموه تضمينا او اختصارا او معارضة .. »

وقد روى صديقنا مؤلف فن الترجمة «ان الدكتور طه حسين وصف في مقال له ترجمة المرحوم زعيتر لكتاب اميل لودفيج عن « نابليون » بانه تلخيص له لا ترجمة فنية وافية ، لان المترجم كما قال في ترجمته استخلصته من عدة ترجمات فرنسية وانجليزية وتركية ..!

ونحن حين نشير الى تحريم الزيادة والنقص او التصرف المطلق في النص الاصلي لا ندخل في اعتبارنا الحذف من النصوص التي تتضمن بعض المطاعن او المثالب التي يوجهها ذوو الاهواء من المؤلفين الاجانب سواء اكانت مطاعن في الدين ام في غيره . وترجمة مثل هذه النصوص بحذف هذه المطاعن تعتبر تلخيصا لها ، لا ترجمة فنية كاملة. ولا شك اننا نوافق صديقنا الاستاذ المؤلف فيما وجهه من نقد لترجمة شاعر الاقطار العربية مطران لبعض روايات شكسبير ، فقد ترجم هذه الروايات عن الفرنسية لا عن الاصل الانجليزي ، فكانت ترجمة لم تسلم من بعض المآخذ المهجورة او التي كالمهجورة .!

وقد اشار المؤلف في فصل عنوانه : «لماذا نترجم» الى ان عامل الحاجة الى الترجمة هو الذي يدفع المثقفين من ابناء الامة اليهاليزيدوا من ثروتها العلمية والادبية .وضرب لذلك مثلا بما دفع العباسيين في عصر المهدي ومن خلفه من خلفائهم حتى عصر المأمون الى ترجمة كتب الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات وسائر العلوم التي لم يكن للعرب عهد بها من قبل . ولهذا لم يترجموا وقتئذ الكتب الادبية ، لان اللغة العربية غنية بادبها ، وان كانوا ترجموا قليلا من ادب الفرس والهند ، اما الادب اليوناني ، فقد اعرضوا عن ترجمته ، لان فيه ذكرا للالهة التي يحرمها الاسلام ..غير انه في القرون المتاخرة ، وخاصة القرنين التاسع عشر والقرن العشرين،اقبلوا على ترجمة الادب اليوناني وغيره من الآداب الاجنبية ، لانه اصبح للترجمة دافع جديد ـ فضلا عن دافع الحاجة الى العلوم ـ وهو ما عبر عنه الكاتب الناقد «علي ادهم» الذي قال ان الترجمة قد اصبحت مسألة جوهرية في التفاهم الدولي والتقارب الامي وهو قول وجيه ، ولفتة انسانية مهمة تدعو الى الترابط والتفاهم الانساني الرفيع .

وقد تحدث المؤلف في « ترجمة الشعر » وروى قول الجاحظ في تحريم نقله.لان الشعر العربي اذا حول الى لغة اخرى ذهب عنه جماله، وضاع موضع الطرب فيه بضياع اوزانه وموسيقاه التي يمتاز بها عن كل كلام سواه . وقد اعترض المؤلف على هذا الرأي ، وقال فيما قال في هذا الفصل : « ووجه صعوبة ترجمة الشعر عند الجاحظ هو ذلك الوزن العربي الخاص بهذه التفعيلات.والحق ان كلامه في ترجمة الشعر وتعذر نقله لا يرد على ترجمة الشعر العربي الى لغة غير العربية وحسب، بل هو وارد على اي شعر يراد ترجمته من لغة الى لغة اخرى . وحظر ترجمة الشعر ، والذهاب الى عدم جواز نقله هو اعسار لعملية كان يجب ان يمهد لها بالتيسير على اسهل الوجوه . وهو في الوقت نفسه حرمان كبير للتراث الادبي من كنوز يجب الا يحجر عليها .. »

ولا شك ان هذا رأي صواب فان حظر ترجمة الشعر حرمان للادب سواء اكان عربيا ام اجنبيا من كنوز من الفن الانساني البديع الذي يصور اجمل العواطف واسمى الاخيلة وابدع الاحلام . غير اننا نرى انه لا يجوز لمترجم ان يترجم الشعر الا اذا كان شاعرا او خبيرا بالشعر في اللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم لها ، لان للشعر اسلوبا غير اسلوب النثر ، ولان له ذوقا وشعورا غير ذوقه وشعوره . فاذا اقدم مترجم شاعر ، او له ذوق الشاعر واحساسه ، وان لم يكن قد نظم شعرا ، فان ترجمته تكون اقرب الى النص الاصلي وفي الوقت نفسه تضيف ثروة جديدة الى الادب ، ولو كانت الترجمة بالاسلوب النثري .ولكنها تحمل روح الشعر ، وجماله . اما اذا ترجم شعرا مترجم لا صلة له بالشعر في اللغة التي يترجم منها ، ولا في اللغة التي يترجم لها ، فان ترجمته لا ريب سوف تشوه النص الاصلي ، وتجني على صاحب هذا النص. وقد نقل المؤلف في هذا الفصل امثلة، من ترجمة الشعر شعرا ، والشعر نثرا لمترجمين شعراء او كالشعراء تؤيد ما نقول ، وتشجع على ترجمته من اللغة العربية وترجمته اليها.!

ولا نستطيع ان نستوعب فصول هذا الكتاب النفيس . وحسبنا ان نختم هذه الكلمة بما كتبه المؤلف في نهاية الفصل الذي كتبه في «ترجمة القرآن» . وهو من المعارضين في ترجمته ، فقد قال : «وبشاء الله ان تكون وساوس اتصار عدم ترجمة القرآن ـ او ترجمة المعاني كما يقولون ـ في محلها ، فقد كانوا يخشون ان يكون جوازا لترجمة سبيلا ، الى التصرف الذي يكون مزلقة الى التحريف . وقد يتصرف المترجم حتى تكون الترجمة شيئا آخر غير القرآن ، كما كانت ترجمة فتزجرالد لرباعيات عمر الخيام شيئا آخر غير الرباعيات . مهما كانت هذه الترجمة جميلة او بليغة في اللغة المنقول اليها .. وهنا يصبح قرآن اصلي ، وقرآن بتصرف ، وقرآن مختصر ملخص ، وقد يكون هنا قرآن محرف .. وليس في هذا مبالغة ولا افراط في التحوط والتصون. فقد ظهرت اخيرا جدا ترجمة انجليزية امريكية موجزة مختصرة ملخصة ناقصة السور مرة ، وناقصة الآيات مرة اخرى ، محلاة بلوحات مصورة ملونة فاتنة .وكتب على غلافها بالخط الكبير « القرآن » !.. ولو استحى ناشرو هذه الترجمة الاميركية من هذا العبث الاميركاني الصغير على طريقتهم في مسخ الاصول ، والاستهتار بالعقول ، لاسموها : تلخيص القرآن . لو جاز على كتاب الله الكريم ان يختصر او يلخص بهذا الهوان » ! ..

وبعد ، فهذه فقرات يسيرة من افكار الاستاذ المؤلف وابحاثه وتحقيقاته في هذا الكتاب النفيس ، الذي تضمن ستة عشر فصلا في

مائتي وثلاثة وثلاثين صفحة . كلها جديد في موضوعه ، شائق في اسلوبه ، انيق في عرضه ، فضلا عن سلاسة عباراته ، وقوة حججه التي تغري بالقراءة والاستفادة .والحق ان كتاب « فن الترجمة في الادب العربي » قد اغراني بالقراءة بما جمع من جليل الآراء والابحاث حتى انتهيت منه في وقت يسير .وهو كسائر مؤلفات الاستاذ محمد عبدالغني حسن وكتاباته تغري بالقراءة ، لما اتصفت به من جزالة وافادة ، وما تهديه الى قرائها من متعة وثروة جديدة في الادب العربي.

القاهرة — طاهر احمد الطناحي

•

معبد الشوق

مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

عندما اصدر الشاعر فؤاد الخشن رائعته ، « ادونيس وعشتروت » قلنا فيها : حلاوة الكلمة وملاستها التي خمرها الريف ، والقى عليها اكثر من وشاح ، والرقة المتهلة من الحرير السائح على الاجساد الرياقة ، مسحت عن الجو الملحمي ، الحدة والنزق وطيمته ناعما رخيا ، فكان لنا من مدخل الملحمة حتى حرفها الاخير ، لعبة الحان تغني جزالتها عن التطلع الى التفاف الطيب واين جوانبه .

لهذا ما قلناه على ملحمة «ادونيس وعشتروت» . فما نقوله اليوم « ومعبد الشوق » يعود بالشاعر الى عالمه : المراة والريف ـ الى الجمال المصفى المطيب ، لينعم على خلق الطيوب ، وسريح الحرير .

ما نقوله في هذا الشاعر الذي استضاف الجمال فما بخل عليه بلون من اطايبه ، فالحرف والكلمة ، واللحن تكافات في الصورة والنغم ، على ارتياح المرفه المدلل ، والمعجزة في الاشراح الرفرف على دفق فيه العطاء ، اكثر من خصب ، والخباء ولا الاسراف على موائد الكرام .

من اساطير الاغريق ان آلهة الجمال علقت حبائل احد الارباب وافتنت به حتى الاستسلام ، فحالك زوجها شباكا سحرية اصطادهما بها وتركهما عرضة للانظار ، وكان ان اجتمع الارباب يتفاكهون . قيل ، التفت رب وقال ، على ما في امرهما ، وددت ان اكون هناك .. .

هذا امرنا والجمال وفؤاد الخشن في جميع انتاجه الشعري ، اما « معبد الشوق » فحديثه ولا شباك الحب على ايدي الارباب ..

كنت على متعتين ، طريق يتصعد الجبال من ضهور الشوير الى زحلة ، وروعة آخذة على تلك المشارف ، الملمظ الجمال والمهابة على شح البخيل واكاد اهم بالاخذ واذ بالمذيع من وراء الابعاد يهتف بابيات من الشعر حميمة الى النفس ، لكانها القشوة والضجيج على الاختام..

يا طفلة في ما تسائلني عما تزال بعلمه طفلة
الحب من اوحى لشاعره وعلى دروب الوجد من دله
يا جنة الحرمان ما فتحت لتيم غنى لها قبله
يا صبية ، بالثغر باخلة انا لا احبك في الهوى سهله

كاني بها جيوب عطار يعرف من فوحها ، فاحس اني على لقيا فيها الوداد مجتح البوح ، حميم السلافة ، قريب الى الجوانح ، والمذيع يتابع البث :

عيناك ليلي المخملي وتولهي وتاملي
نجمان يخبو فيهما اللالاء دون تغزلي
طفلان ينكسران يعتلان دون تدلل
ويهدهدان ويرضعان عبادتي وتبتلي

ولا اشرف على القمة الا والمذيع ، يصرح باسم صاحب الشعر ،



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فؤاد الخشن ـ في معبد الشوق ـ وكانت اول معرفتي بهذه الصنوج المسبحة للجمال المتهلل على اهداب ريفنا ، عائدة الى مناسكها الجمالية ، الريف والمرأة ، في احاديث يأنس اليها الحنان موردة الملاسة ناضجة المذاق ، يذوب فيها اللمي والحلاوات وساوس اشتهاء . فاجدني وهمي الحميم على ارتياح ، فلمعري ، نعم التوق على حمى المواعيد فاللمح اعذب من حنان اللقاء ، فكيف ومعبد الشوق ـ يصابحني بصلواته الفرحة لكان على بسمته رشت اهداب الايام العتيقة فازهرت رفافا مرورهم على الظن التفات الامل الى البلوغ ..

ولا أهم الا وعطور ساحت على يراعة ذواقة شعراء ، احمهم شعر فؤاد الخشن فتاق شهادة حق لا يهدأ بال مؤمن الا بتأديتها ليس حاجة بها ، بل اقرار لواجب ، واكمال لرسالة ، لنكاد نقرأ فؤاد الخشن على يدي : الدكتور محمد مندور ، وسعيد عقل وعمر ابو ريشة ، وبدر شاكر السياب وجورج صيدح وسواهم قبل الدخول ـ الى معبده ـ فنحس بخشوع المتعبد وقد آنت له الاقداس ..

فصيدة فؤاد الخشن قمقم عطر ، له كل مكاسب التراث الا انه لصاحبه ، واحيانا يتسم القمقم بنضارة وعذوبة فتقول بهذا او قطعة شمس ـ يقول سعيد عقل ، على اننا وجدنا في هذا القمقم على حلاوة ما طاف منه على شفاه سعيد عقل ، وجدنا ماردا جبارا له التسلي بالجمال والقسق المقشر لا يتلهى بتفتيت العاج وتسليك حبال الشمس في روعة الوشي على صدور لا اروع ولا اكثر نضارة ..

حبيب العمر يا احلى حبيب ... يفوح له ويضفر ياسمين
ستبقى ما وراء البوح سرا ... به قلبي على الدنيا ضنين

واي انكار للذات والعطاء يقدم عليه فؤاد الخشن في شحه على الدنيا باسراره فهل بعد ما قدم يبقى بذل ؟ او انه كالزهرة الفواحة تبذخ في العطاء وتبقى تخاف الشح لان سجاياها ابعدتها عن العلم بكرمها.

ابعد الاسرار الجمالية التي فتقها فؤاد الخشن في سوار الياسمين وغابة الزيتون وادونيس وعشتروت وهذا المعبد الذي كلما حججت اليه ازداد بك الشوق . ابعد هذا البوح المرنم لتبقى لدى شاعر اسرار يضن بها على الدنيا ، فاي هيكل مسحور تتمايل ظلاله على كل هبة شوق فتكشف عن اسرار التفافها قوارير طيب لا تشمم الا والجوانب على اشتمال :

آه ، لو كنت هنا لانهمرت ... من غصون اللوز آلاف النجوم
وهمت ريشاتها وانتشرت ... كرقاع الثلج او بيض الغيوم
والقناديل المضيئات كست ... طرق الامس الى تلك الكروم
حيثما الوادي حنين لاهف ... لصدى الصوت السماوي الرخيم

الى هذا الصوت السماوي الرخيم يأنس فؤاد الخشن في « معبد الشوق » وفي كل ما كتب ويكتب ، واظنني لا اكون مبالغا اذا قلت ان اسراره التي يضن بها على الدنيا ليست بعيدة عن هذه الاصوات السماوية التي كلما انهلت اوحت باسرار جديدة كأنها فماقم لا يفض عنها ختم الا واطلع مارد يتلهى به فؤاد الخشن على عفوية السري المدلل الذي من لعبه المشرفة هذا التراث الشعري الذي نحن عليه الان .

في شعر فؤاد الخشن الوان بمقادر تشابكها نحسها ، والسحر على يديك ، لونا واحدا ، فلا تفتق عنها بعض الظلالات الا ومسرى الوان يتمايل على زهو التآلف منسلا ظلالا واضواء ، فيها من كل جمال اجمله ، حتى اذا انصهر السبك جاءت المعجزة ، التي من تشابك الوانها هذا البهاء المخدر الذي تحسه الاعصاب حمى لها شد ونزع ، اشد ما فيها اقتدارا ، انجذاب الجوانح الى حماها ..

حبيبي لن ابوح لغير ثغر ... بخيل لا يبوح بما يبين
واهداب ترف جناح شوق ... ومروحة يلاح بها الفتون
وعيني عند عينيك ابتهال ... يهدهده التلهف والحنين
وليلي للهوى ارق لذيذ ... ودمعات تضيق بها الجفون

وبعد ، ما الذي يحبب «معبد الشوق» الى القلوب ؟ اتلك السهولة السريحة ، ام الكلمة المنغمة المثقلة المعاني ، ام الرقة المتأزرة بظلال الالوان ، ام اللون ذاته تكسر قوس قزح ، فالتقط منه الوان ، ام الصورة الدارجة الى البقاء بحيوية الفني الناشيء ، ام غلالات من مشاهد عاشت في عيني شاعر واستوطنت جوانحه فهتف بها ؟.

كل هذه الصبايا تجمل الشعر وتحليه ، لكنها متى اجتمعت فلا تكون الا على شعر فؤاد الخشن وامثاله حيث يتأخى النحت والانمل ، حتى الملاسة اغراء على اللمس ..

هبة الاقدار للعلهم ان ... يعرف الفم وليل التعب
ويذوق الوجد اشهى قلق ... مبدع في دمه منسرب
ينضح العنقود ان لوحه ... لهب الظهر ودمع المغرب
وكذاك العود يعطي طيبه ... حينما يغدو طعام اللهب
اسبلي الهدب لرحلات على غيمتي ان شئت ان تغتربي

وانها لغربة يروحها فؤاد الخشن في « معبد الشوق » اخاف فيها انفرادا موحشا ، وقد ابتعد فيما اعطى عن حدود العالم المأهول الى حيث يعني :

انها زاد لنا في رحلة ... عبر آفاق الضلال المبدع
هذيان الدم في غيبوبة ... حلوة خلف حدود اللاوعي

فوزي سابا

●

شعراء اليمن المعاصرون

تأليف هلال ناجي ـ ٣٥٢ صفحة ـ مكتبة المعارف ببيروت

الشاعر الاديب الاستاذ هلال ناجي القائم باعمال السفارة العراقية في تونس ، يقوم باضخم سفارة ادبية لبلاده ليس في تونس فقط بل في جميع البلاد العربية وذلك بما يقدم من نتاج ادبي بمختلف الوانه يقبل عليه المثقفون ورجال الفكر والقلم ويكون موضع التحليل والدراسة والمناقشة لفترة طويلة من الزمن ..وفي خلال هذه الفترة يتألق اسم الشاعر الاديب هلال ناجي كعنوان بارز للثقافة العراقية والفكر الخلاق المبدع .

ان الناقد لآثار الصديق هلال ناجي والراصد لآثاره الادبية تدهشه هذه الغزارة في انتاجه ويعجبه هذا العمق في التحليل ، والشمول في التراجم ، والدقة في البحث ، والذوق الفني ، والحس المرهف ، والشاعرية المتدفقة باحاسيس الجمال والوطنية والعروبة .. وهو مع كل هذا يمتاز بخلق كريم ، وطبع سمح ، وتواضع جم ، واريحية شملت كل من اتصل به وعرفه على حقيقته .

اخر ما اهدى للمكتبة العربية كتابه الضخم « شعراء اليمن المعاصرون » ، المطبوع في بيروت ، وقد استغربت عند تسلمي الكتاب هدية من الصديق العزيز الاستاذ هلال ناجي اقدامه على بحث مثل هذا الموضوع الذي يحتاج الى الكثير من الجهد والتتبع والمراجعة وذلك لندرة المصادر المطبوعة والمخطوطة في هذا الموضوع ، ولكن الاستاذ هلال بما عرف عنه من جرأة وصبر وثبات وحرص على اقتحام المواضيع الصعبة وغير المطروقة سار في هذا الطريق الشائك فمهد سبله واوضح معالمه فقدم لنا اضمامة عطرة من صفوة شعراء اليمن المعاصرين .

لقد ذكر لنا في مقدمة الكتاب البواعث التي دفعته الى هذه الدراسة فهي : ١ ـ اهمال الباحثين والدارسين للشعر في اليمن التي هي مهد العرب الحقيقي ودراسة الشعر فيها تمثل حلقة مهمة من حلقات الدراسات الشعرية العربية المعاصرة ٢ ـ اعجابه العميق بالفروسية التي اتصف بها ادباء وشعراء هذا القطر العربي الذي قدم

اغلى الضحايا من ادبائه على مذبح الحرية في ثورته عام ١٩٤٨ .

لقد درس الاستاذ هلال ناجي في كتابه هذا ٢٣ شاعرا يمنيا دراسة تحليل وترجمة وتحقيق وسلط الاضواء على الاجواء التي عاشوا فيها واضطربوا في تيارانها ..ثم قدم لنا مع كل دراسة لشاعر من هؤلاء الشعراء نماذج وافية من شعره فتكون من هذا المجموع ديوان منتقى لشعراء اليمن تموج فيه احاسيسهم وتعبق من خلال قصائدهم روح التضحية والفداء .. واضاف الاستاذ هلال ناجي الى كل هذا فصلا مهما عن : «التطور الفني في الشعر اليمني» وهو موضوع صعب وشائك اللهم الا اذا تناوله قلم شاعر واديب وباحث كقلم الاستاذ هلال ناجي .

ان الكتاب بمجموعه تحفة ادبية نادرة وباقة شعر ندية نشم فيها عطرا هو جديد علينا كل الجدة فيه عبق البادية الفواح ، ونسائمها العذبة المنعشة كما فيه هوج رياحها المعربدة وعواطفها المزمجرة ،وانينها المكتوم ، فيه الحنين الى الحرية ، وعذاب الشوق ، ولهفة المحب الولهان .. هذا العطر الذي نشمه في شعر هؤلاء الشعراء الذين انطلقوا ينشدون الحرية لوطنهم والسعادة لاخوانهم ، هو اغرودةالحرية في اليمن السعيدة .

اني اشكر الاستاذ هلال ناجي على هذه الدراسة الاصيلة البكر التي ستحتل مكانتها في نفوس القراء العرب في كل مكان .

بغداد **مهدي القزاز**

رئيس تحرير مجلة المكتبة

●

عبير ومجد

تاليف اسمى طوبي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

كتاب الاديبة السيدة اسمى طوبي « عبير ومجد» ، الذي نزل الى الاسواق العربية مؤخرا ، هو مجموعة من البطولات النسائية الفلسطينية المتعددة . كانت الى حين نشر الكتاب ، بطولات صامتة أبية ، لا يعلم بها الا قلة من القراء والقارئات العرب .

وهذا المؤلف في نظري ، هو الثمن ما خطت الاديبة طوبي حتى اليوم ، ليس لان تحضيره كلفها سنوات طويلة من البحث والاستقصاء والاعداد فحسب ، بل لانه صرخة مؤثرة قوية ، صرخة هادئة ثائرة تقول للملا : « هاكم ما فعل اهل فلسطين لانقاذ فلسطين .. هاكم صفحات وصفحات عن نساء فلسطين وابنائها ، عن امتزاج جراحهن ورسالتهن بجراح الوطن وكبريائه وصموده وهو يشرح على ايدي فضابين مجرمين ، تآمروا على تمزيق ارض طاهرة تعبق طيانها بالبخور » .

قبل سنة ونصف السنة ، زرت المؤلفة مع شقيقتي السيدة بيان نويهض الحوت ، وذلك لتستزيد السيدة اسمى معلومات اضافية دقيقة عن بيان تدرجها في باب خاص من الكتاب يتناول اعمال ونضال الصحفيات الفلسطينيات ، واذكر كيف راحت تشكو الينا ما تكبده من تعب وحرق اعصاب في جمع المعلومات من نساء فلسطينيات بعثرهن الزمن في مشارق الارض ومغاربها .. فتلك رسالة تبعثها الى عنوان احداهن ، تعود اليها مغلفة خرساء ، واخرى يرد مغلفها بان صاحبة العنوان قد انتقلت الى مكان مجهول .. وغير هذا من العقوبات والعقبات التي لم تفت في عضد الكاتبة لحظة واحدة ، بل زادتها ايمانا وتصميما على متابعة عملها الضخم ، لا تطلب منجراء ذلك الا ان ترد وتقنع كل جاهل او متجاهل يقول لاهل فلسطين : « لو كنتم ابطالا حقيقيين ، لما بعتم اراضيكم لليهود اولا ولما نزحتم عنها كالجبناء ثانيا » .

وقبل شهرين ولد الكتاب بعد سنوات ثلاث من الحمل المرهق العنيد ، يزين غلافه وجه فتاة نضر يتطلع الى افق وردي بعيد وخلفها ازهار تمثل عبير المجد والتضحية والامل في عودة اكيدة .

قرات الكتاب على مهل ، فاذا به كالنهر العريض الرقراق ، يحكي من نبعه الى مصبه ، حكاية المجتمع العربي الفلسطيني مبتدئا من عام ١٨٤٨ حيث اسست اول مدرسة نظامية للاناث في القدس العاصمة. اعطت المؤلفة هذا الباب الاول ـ باب العلم والمعاهد العلمية ـ حقه من التقدير فتحدثت باسهاب عن الفائدة الكبرى التي جناها الطلاب والطالبات العرب من هذه المدارس المختلفة ، كما روت لنا سير المربيات الفلسطينيات الكبيرات ، اللواتي امضين اعمارهن بين جدران المعاهد يعطين ولا يتعبن من العطاء .

الباب الثاني يروي تاريخمحاميات وطبيبات وصحافيات من عجائز وشابات لا يزال معظمهن حتى اليوم ينسج من عروقه دروب كفاح وصمود من اجل استرجاع الوطن المسلوب .

في الباب الثالث ، تتخطر المؤلفة في الحديث عن الشؤون الاجتماعية ، فتعدد اعمال واسماء الجمعيات الخيرية المتنوعة مع معلومات دقيقة وافية عن مؤسسات ومديرات تلك الجمعيات ، اللواتي بقي بعضهن حتى آخر لحظة يعرض صدره للقنابل والرصاص وذلك لتضميد جرح او لمساعدة ثكلى او لرعاية يتيم يجهش بالبكاء على صدر ام شهيدة ، ولم تنس المؤلفة بالطبع ان تجلل ذكرى المغفور لها السيدة هدى شعراوي بهالة من التقدير المثير ، هذه السيدة الجليلة التي اسست الاتحاد النسائي العربي وكانت مثالا أعلى اقتدى به العشرات من نساء العرب من حيث الوطنية والبسالة واطلاق صوت المرأة العربية في كل مكان .

الابواب الباقية تخط بكل امانة واجلال ، نشاط نساء فلسطينيات معروفات امثال السيدة سادج نصار وماري صروف شحاده ، ومنهن ننطلق الى تعداد المشاريع الكبرى التي قامت بها نساء فلسطين من بناء مستشفيات ومساجد ومعامل وبيوت لايواء الاطفال من ايتام ومرضى ومشلولين . ومن اعمال البر والاحسان تنتقل الى عالم الادب والشعر فتعطي كل شاعرة واديبة فلسطينية حقها من الاسهام في الذود عن فلسطين بسلاح القلم الثائر الملتهب بالوطنية وكلمة الحق .

الفن والموسيقى بما فيهما من نحت ورسم ورقص شعبي ، احتل الشرح عنهما البابان السابع والثامن ، وقد ابرزت المؤلفة نضال الفنانين اسماعيل وتمام شموط في معركة التحرير وذلك عن طريق لوحاتهما الرائعة التي تحرك فينا الفرح والغضب والحزن في آن واحد . كذلك تحدثت باسهاب عن الفنانين الزوجين مروان ووديعة جرار اللذين حملا رقصنا الشعبي الاصيل الى ارقى المسارح في انحاء العالم من شرق وغرب .

اما الباب التاسع ، باب الفداء ، فقد انحشرت فيه انهر الدماء ولوحات الاستشهاد ومشاهد البطولات ، فكان اروع قسم واكثره لذكريات الماسي وابتسام الارواح التي صعدت الى ربها يجللها الطهر والشرف ، مذكرة ايانا بانها لم تذهب هدرا وانما استشهدت في سبيلنا وفي سبيل وطن سيعود كريما عربيا في وقت قريب . من خلال سطور هذا الباب تسمع امهات الشهداء يزغردن حول مشانق ابنائهن ، وترى نسوة يدسن جثث ازواجهن في طريقهن الى الانتقام وسلاحهن البنادق التي سرعان ما تهوي معهن وسط انفجار القنابل والرشاشات .. اما الشهيدات اليانعات اللواتي وشين انوثتهن وعذريتهن بطرحة الاستشهاد بدلا من طرحة العرس ، فهن عند الله عز وجل ، ارواح زنبقية ابدية .. وعلى الارض سيكون لهن تماثيل وشوارع تحمل اسماءهن في فلسطين العربية باذن الله ..

وعن سبب او اسباب ضياع فلسطين تقول الكاتبة ما مؤداه : ان الاراضي التي بعناها نحن العرب الى اليهود ، كانت قلة قليلة بالنسبة للاراضي التي أهديت الى الاسرائيليين على اطباق فضة من قبل



● الوطن العربي : دراسة لملامحه الجغرافية ـ تأليف الدكتور محمد عبدالغني سعودي ـ ٥٦٨ صفحة ـ مع عدة خرائط ـ حجم كبير ـ منشورات النموذجية بالقاهرة ـ مطبعة دار الرائد بالقاهرة .

● ذكرى حبيب : ديوان السيد محمد حبيب العبيدي ، مفتي الموصل ـ عني بجمعه وتحقيقه وقدم له احمد الفخري ـ ٢٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجمهورية بالموصل العراق .

● قادة فتح المغرب العربي ـ تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفتح بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طريق النصر في معركة الثأر ـ تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ ٤٩٥ صفحة ـ منشورات دار الفتح بيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● تمرد ـ قصص قصيرة ـ تأليف خليفة التكالي ـ ١٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب في ليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● غادة افاميا ـ دراما شعرية في اربعة فصول ـ تأليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

البريطانيين ، بالاضافة الى اراض باعها عرب من خارج فلسطين .. واما عن النزوح وانهامنا نحن الفلسطينيين بانا جبنا وهربا تاركين خلفنا وطنا مطمونا يستنجد ، فهذا عين الافتراء والاتهام المجنون ، اذ اننا في اوائل نيسان كنا قد فقدنا الذخيرة اللازمة ورغم هذا بقينا صامدين نحارب ببقايا اسلحة بسيطة لا تقوى على المدافع والقنابل والالغام .. واضيف الى قول الكاتبة رأيي الشخصي فاقول : والذي زاد الطين بلة والطعنة تمزيقا ، ان الدول العربية الشقيقة آنذاك ، بينما كانت تعدنا بالرجوع القريب وباقامة الاعراس وضرب الطبول ، فوجئنا ، ولم نشعر الا وحفلات الانتصار الموعودة قد اصبحت مآتم في خيام تتلاعب بها الرياح ، ولم ندر الا ونحن نعيش إلى اجل غير مسمى ، على اراض شقيقة اصبحت بالنسبة الينا اراضي غريبة تطعمنا اللقمة مغموسة بالذل والمهانة ... ان الدول العربية قبل ثمانية عشر عاما قد اصبحت غيرها اليوم ، ولكن اللاجيء يظل لاجئا لا يستطيب الا سماءه وارضه ورائحة ترابه المشبع بالبخور ..

واخيرا ، ان كتاب « عبير ومجد » مؤلف ضخم بمعلوماته وشروحاته ، ناهيك باسلوب المؤلفة الانساني وبروحها القومية الوثابة التي تنتصب كالمارد في وجه كل من يتهم اهل فلسطين بضياع فلسطين .

نورا نويهض حلواني

● اعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني ـ الجزء الاول ـ ترجمة مجلة « المسرة » ـ ٢٣٢ صفحة ـ المطبعة البولسية في جونية لبنان .

● انسحاب اسرائيل من سيناء ـ باللغة الانجليزية ـ تأليف وليد ابي مرشد ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مجموعة قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٥ ـ باللغة الانجليزية ـ تأليف سامي هداوي ـ ١٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلسطين امام الامم المتحدة عام ١٩٦٥ ـ باللغة الانجليزية ـ تأليف سامي هداوي ـ ٣٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ـ جمع وتحرير الدكتور منذر فائق عنبتاوي ـ ٦٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ ـ ساهم في اعداده : منذر عنبتاوي ، وليد ابي مرشد والياس فنطوس ـ باشراف برهان دجاني ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حبي له اكثر ـ مجموعة شعرية ـ خازن عبود ـ تقديم اسمى طوبي ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت ـ مؤسسة خليفة للطباعة بالدورة بيروت .

● دفنا الماضي ـ رواية ـ تأليف عبدالكريم غلاب ـ ٤٠٨ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحب اقوى ـ رواية ـ تأليف حازم مراد ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● نساء عاشقات ـ تأليف صلاح الدين المنجد ـ طبعة ثانية ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● الفلسفة التربوية في القرآن ـ تأليف الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب التبصر بالتجارة ـ تأليف عمر بن بحر الجاحظ ـ تحقيق حسن حسني عبد الوهاب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة ـ ٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) ـ لم يذكر اسم المطبعة) .

● مذكراتي ، صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠/١٩٥٨ ـ تأليف حسن الحكيم رئيس وزراء سورية سابقا ـ القسم الثاني ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت .. (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طبيعة القانون العلمي ـ تأليف محمد فرحات عمر ـ تقديم الدكتور زكي نجيب محمود ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ماكس بلانك ، الفيزيائي والمفكر الكبير ـ مع ملحق عن جمعية ماكس بلانك لتقدم العلوم ـ تأليف الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الفاد في حلب .

● الاب انستاس ماري الكرملي ، حياته ومؤلفاته ١٨٦٦ / ١٩٤٧ تأليف كوركيس عواد ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة العاني ببغداد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



شهادة لبنانية جديدة : بكالوريا العلوم التجارية

يحتل التعليم التقني والمهني ، الذي طالما اهمل واعتبر في الدرجة الثانية ، مرتبة هامة في النظام التربوي للبنان وذلك منذ ان انشىء المعهد التقني في الدكوانة ، وتجد هذه المرتبة ما يبررها في الحاجة المتزايدة دوما الى الفنيين والتضخم الذي يعانيه الحقل الادبي .

ولكي يلقى التعليم التقني فعاليته المطلقة ويبلغ مداه الكامل المرتجى فقد توجب السهر على تأمين المستوى الرفيع له سواء كان ذلك من ناحية مناهج الدرس ام من جهة تنظيم الفحوص ومنح الشهادات وقد اعتمدت السلطات العامة لهذه الغاية ثلاثة اجراءات تكميلية تهدف الى القضاء على الآراء الاعتباطية التي طالما شكا منها التعليم التقني في لبنان واعداده ليصبح موازيا لمستوى الدروس الادبية وليشكل اداة تقدم انساني وثقافي ووسيلة للانعاش الاقتصادي والاجتماعي .

١ ـ لقد انشىء في بادىء الامر معهد الدكوانة حيث نوعية التعليم توازي مستوى افضل المؤسسات الاوروبية ويلبي هذا التعليم المتطلبات التقنية الحالية بالاضافة الى كونه يخصص للثقافة العامة مركزا رحبا ويشير بوضوح لتقسيم مختلف الدروس وتوزيعها ضمن نطاق المنهاج الاسبوعي الى ان التعليم المهني لا يتعارض ابدا والتعليم الانساني وانه لمن السهل ان تتم موافقة ما تفرضه التقنية وغير ذلك مما تفرضه الثقافة العامة المتناسقة المتزنة .

٢ ـ لقد تطلب رفع مستوى التعليم التقني القضاء على الفوضى التي كانت تسيطر على المناهج والفحوص ومنح الشهادات اذ ان كل مؤسسة كانت تعمل في هذا الحقل على هواها دون ان تكون هناك مراقبة ما من قبل وزارة التربية الوطنية ولذا تقرر ان تمنح الدولة اعتبارا من عام ١٩٦٩ ، شهادات التعليم التقني شأنها في اعتمادها المبدأ المعمول به في حقل التعليم الثانوي ، هذا وستستمر المعاهد الخاصة للتعليم المهني في اداء مهمتها بحرية كما في الماضي مع العلم بان للدولة وحدها صفة اعطاء الشهادات .

٣ ـ لقد ادى الجهد المزدوج الذي بذل من اجل رفع مستوى المناهج وتحسين شروط منح الشهادات الى وضع البكالوريا التقنية التي تمكن طلاب التعليم التقني والمهني من الافادة من الميزات والامكانات ذاتها التي ينعم بها تلامذة التعليم الثانوي التقليدي .

وقد قسمت البكالوريا التقنية الى اقسام متعددة تتناول مختلف فروع التعليم التقني وتدخل هذه البكالوريا التقنية فئة العلوم التجارية، في عداد هذه الاقسام وهي الشهادة التي وضعت لتسد نقصا فادحا ولتنعم بمستقبل لامع .

اولا ـ لماذا وضعت بكالوريا العلوم التجارية ؟ هناك ثلاثة اعتبارات على الاقل تبرر وضع هذه الشهادات :

١ ـ متطلبات سوق العمل :

يحتاج لبنان وهو بلد الخدمات والمبادلات حيث تحتل النشاطات المالية والتجارية مركزا قديما الى مجموعة من الاخصائيين للوظائف المتعددة في القطاع الثالث : المصارف ، التأمين ، التجارة الكبرى والنقل الجوي والبحري الخ ... ويتطلب اتساع عمليات هذا القطاع واختصاصها اعدادا تقنيا دقيقا وشاملا للعاملين فيه .

٢ ـ المتطلبات التقنية

ان الاصول التقنية التجارية والمالية تخضع حاليا للتبدل وهي تفيد كثيرا مما يؤمنه بعض العلوم الحديثة بالاحصاء والبحث ودراسة السوق . وانه ليترتب ادخال هذه العلوم في التعليم التجاري بغية تأمين درجة تقنية عليا للشبان اللبنانيين الذين يتجهون نحو حقل التجارة او المال وليس هناك افضل من شهادة عليا في مستوى البكالوريا القسم الثاني ، لتأمين التحصيل المتقن الحديث .

٣ ـ متطلبات السياسة التعليمية :

ان المنهاج الشامل الذي يؤمن الاعداد الكامل والفحص الرسمي الذي ينجم عنه شهادة تخول حاملها متابعة الدروس العليا ، يجتذبان الشبان النشيطين الاكفاء نحو الاعمال التجارية وهم الشبان الذين اتجهوا نحو الحقل الادبي المثقل بسبب احتقارهم لدروس قد لا تجدي نفعا .

ثانيا ـ ميزات وحسنات البكالوريا للعلوم التجارية : لكي تتمكن هذه البكالوريا الجديدة من القيام بدورها على اكمل وجه وتحقيق امل واضعيها يتوجب ان تجمع ما بين ميزات التعليم الحقيقي والتعليم التقني الحقيقي كما يترتب ايضا الا تكون الخدمة العملية التي اوكل اليها امر تحقيقها سببا لاغفال الصلات التي يجب الحفاظ عليها ازاء الثقافة الانسانية التقليدية . وتبدو هذه الرغبة في الاسلوب والتوازن ما بين متطلبات الثقافة والتعليم التقني من خلال اختيار مواد التدريس وكميتها وتقسيمها لفترة اربع سنوات من الدروس .

١ ـ ان القسم المخصص للتعليم العام هو هام اذ انه قد خصصت خلال العامين الاول والثاني عشرون ساعة للتعليم العام من اصل مجموع احدى وثلاثين ساعة اسبوعيا وهناك نسبة مجاورة للعامين الثالث والرابع: ١٩ ساعة اسبوعيا للتعليم العام مقابل ١٢ ساعة للمواد التقنية

٢ ـ ان مواد التعليم العام هي ذاتها المواد المعتمدة في التعليم الثانوي : اللغات الحية والادب والفلسفة والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا يضاف الى ذلك التربية الوطنية والاجتماعية التي ستدخل منذ الآن وصاعدا في عداد منهاج البكالوريا العادية وتجدر الاشارة الى انه خلافا لمتطلبات الدروس الثانوية فان البكالوريا التجارية تتطلب دراسة اللغتين الحيتين : الفرنسية والانكليزية .اما المنهاج الادبي فقد اتقن اعداده وهو يشتمل من حيث الادب الافرنسي على جميع كبار المؤلفين ابتداء من القرن السابع عشر لغاية القرن التاسع عشر . وتدرس مؤلفات اشهر ادباء القرن العشرين خلال السنة الثالثة . اما تاريخ الادب ابتداء من القرن السابع عشر لغاية اليوم فانما يدرس خلال السنة الرابعة .

وقد يكون هناك بعض النقص في لائحة الادباء الذين تدرس مؤلفاتهم كما ان اختيار المؤلفات لم يكن دائما الافضل اذ انه خلو من مونتابن وباسكال بينما اعتمد مؤلفان لهيجو وهما « نوتردام دي باري » و « البؤساء » وتشكل دراسة هذين المؤلفين فائدة ثانوية وانه لمن المؤسف ان يخلو القرن العشرون من مؤلفات كل من بيجي وفاليري وكلوديل بينما ادرجت مؤلفات كل من الآن ، مالرو وسانت اكزوبيري في المنهاج ويبدو هنا النقص في التفصيل ويمكن معالجته بسهولة .

اما من حيث الفلسفة فقد خصصت للعامين الاخيرين : الفلسفة

العربية للسنة الثالثة والفلسفة العامة للسنة الرابعة ويبدو هـذا المنهاج كاملا واكثر التحاما وانطباقا مع العقلية الحالية من منهاج « البكالوريا الادبية » بحد ذاته .

وتتوفر ميزات التجدد والانطباق في تعليم التاريخ والجغرافيا وقد شدد على التقلبات الاقتصادية والاجتماعية ووقائع الحضارة وخصصت مواد تدريس التاريخ ـ السنة الرابعة ـ لدراسة اهم حضارات العالم المعاصر الذي درست مصادره التاريخية خلال العامين الثاني والثالث.

وليس هناك من ضرورة للتوقف عند الفائدة التي تؤمنها هـذه الدراسة للمعطيات التقنية والاقتصادية والثقافية العائدة الى الحضارة المعاصرة : معلومات جديدة لا تتوفر في البكالوريا التقليدية التي يبدو منهاجها غير ملائم لاوضاع العلم الحالية .

وتشكل مواد التربية الوطنية والاجتماعية اشراكا حقيقيا للمعضلات السياسية في العالم الحالي ودراسة المؤسسات والمعضلات الاجتماعية والاقتصادية واوقات الفراغ وادوات الثقافة .

٣ ـ ان المواد التقنية بحد ذاتها تهيء الطالب مباشرة لتسلم الوظيفة وهي لا تهمل ابدا العناية بالثقافة المجردة ولا تتعارض والتعليم العام بل انها تكمله على افضل وجه وهي تجمع البحث العلمي الـى العناية بالدقة التقنية . ويضاف الـى هذه المواد المحاسبة والمال ودراسة الاقتصاد السياسي والحقوق والاحصاء العملي وادارة الاعمال. ولعله قد لوحظ بان قسما من هذه المواد يدرس لاول مرة على مستوى البكالوريا وقد اقتصر تدريس هذه المواد على التعليم العالي ضمن نطاق العلوم الاقتصادية .

ان بكالوريا العلوم التجارية التي سيعمل بها اعتبارا من تشرين الاول (تجري دورة الامتحان الاول خلال حزيران ١٩٦٧) ستجتذب عددا كبيرا من المرشحين وقد استهوتهم درجة ثقافتها العليا واهميتها العملية المباشـرة .

وتؤمن هذه الشهادة الاعداد المباشر لتسلم الوظيفة بينما تشكل البكالوريا العادية وسيلة اعداد لدخول الجامعة فقط وستمكن اولئك الذين يرغبون في العمل لدى حصولهم على شهاداتهم من ان يقدموا على ذلك بواسطة الاعداد الاكثر فعالية مما لو كانوا من حملة الفلسفة او الرياضيات الاولية ولن يبعدوا عن الدروس العادية وبوسعهم ان يدخلوا الجامعة لانهم يحملون البكالوريا الحقيقية وذلك للالتحاق بالفروع التي تتعلق بدروسهم . خبير في المحاسبة او العلوم الاقتصادية مثلا . وفيما تشكل البكالوريا الجديدة منفذا فهي لا تقطع الطريق على الدروس الجامعية.

وتبرر هذه الميزات الاربع سنوات الملحوظة للدروس وتمكن حلقة الدروس هذه التي تمتد سنة واحدة اكثر من حلقة التعليم الثانوي ، حامل البكالوريا التجارية من الحصول على ثقافة حامل البكالوريـا الادبية بالاضافة الى اعداد تقني متين يمكنه من القيام باي وظيفة كانت في القطاع الاكثر حيوية في حقل الاقتصاد اللبناني الذي يكيف مستقبل البـلاد الاقتصـادي .

•

الادارة العامة للشبيبة والرياضة في لبنان

شهد لبنان مؤخرا حدثا هاما وهو انشاء ادارة عامة في وزارة التربية الوطنية غايتها الرئيسية انجاز واعداد الشبيبة في الحقول التالية : الرياضة البدنية ، الثقافة ، الاجتماع ، التربية الوطنية والرياضة.

لقد انشئت هذه المؤسسة تلبية لمتطلبات داخلية املاها التقـدم السريع الذي يحققه البلد في مختلف قطاعات الحياة الوطنية . ويبدو هذا العمل منسجما ودور الدولة الهام ، المتزايد دوما ، في حقـل التربية واعداد الملاكـات .

ويمكن القول ان المهمة تشمل دون شك كل ما له علاقة بالرياضة والتربية البدنية والشؤون المدرسية ، خلال فترة الدراسة وبعدها ، بالاضافة الى كل ما يتعلق بحركة الشبان وذلك ضمن اطار الجمعيـات « الكشفية ، فنادق الشبيبة ومخيمات العطل » ويتبع هذا كله انشاء منازل للشبيبة مصممة وفقا للاسلوب الحديث الكامل وذلك بغية تامين اللهو المفيد والممتع .

لقد وضعت تحت تصرف الادارة العامة اربع مؤسسـات للاعداد وهـي التاليـة :

معهدان قائمان حاليا «للذكور والاناث» بالاضافة الى انشاء معهدين وطنيين « للرياضة والتربية الشعبية » وتعنى هذه الادارة حاليا بدراسة الوسائل التي يمكن من تحسين برامج الدروس والمباني والارض وزيادة عدد افراد الهيئة العاملة بغية تامين العمل الافضل في حقل التعليـم والمطابقة الفعالة لمتطلبات التربية البدنية الحديثة وتعجيل حركة اعداد الملاكات الضرورية « اساتذة ، مرشدون ، مدرسون ومدربون » .

اما مهمة المعهد الوطني للتربية الشعبية فستتناول اعداد مدرسين التربية الشعبية عن طريق التدرب المختص في كافة مواد هذا الحقـل « القراءة ، المسرح ، الدمى ، حفظ الافلام السينمائية ، الموسيقى ، الرقص الايقاعي والفولكلوري والكلاسيكي والالعاب التربوية والاجتماعية.

وتبدو الرغبة في اعداد المديرين لبيوت الشبيبة الذين يجب ان تتوفر لديهم ، بالاضافة الى مختلف مراحل هذا التدرب ، صفة الادارة وروح التنظيم الناشط ، وسيمنح المعهد ايضا شهادات دولة للمرشـد والمدير مخيمـات العطـل .

اما المعهد الوطني للرياضيات فيعنى بتزويد البلد في مختلـف اقسام الرياضة ، بالمدربين المختصين ولا بد من ان يستعين هذا المعهد بالمدربين الدوليين خلال المرحلة الاولى من بداية عمله ، وستتم الدراسة هنا ايضا ، بواسطة التدرب القصير المدى والمتوسط والبعيد وفقـا للمستويـات المطلوبـة .

وغني عن القول ان غاية هذا المعهد الاخيرة هي ان تتضافر كافة الوسائل لتامين الانتاج الافضل في سبيل ترقية الانسان والمواطن ويصبح هذا المعهد من حيث وظائفه المحددة العاملة في قطاعي الشبان ونشاطاتهم، الوسيط ما بين كافة منظمات شبان البلد الخاصة وسائر اقاليـم الحكومة ، كما انه مدعو ليكون باعثا لاكبر حملة للتطوع الاختياري في صفوف طبقة البلاد الناشطة ، ذكورا واناثا ، في الاعمال الاقتصادية الحيوية الكبرى وفي مختلف الاقسـام الاجتماعية .

هذا وستبدو اهمية اعمال المعهد خلال مرحلته الاولى لعام ١٩٦٦، بالرغم من كونها ستتأثر بالموازنة وبالصعوبات التي تلازم انطلاقـة كـل مؤسسة وانه ليتوقع بان تسهم هذه الاعمال في مضاعفة الجهـود والاعتمادات وفي ازدياد فائـدة مجمـوع السكـان المتوخاة من رسالة شبـان البلـد .

وستعلن روزنامة المشاريع الكبرى للمعضلات التي يواجهها شبان لبنان اليوم والغد وهي الروزنامة التي سيعالج الشبان مواضيعها بعد ان يكونوا قد اعدوها بانفسهم لمعالجة شؤونهم ، اما الرأي العام فمدعو للاشتراك في هذا العمل الجبار الدائم الذي تعنى الهيئة الرسميـة بتحقيقـه على صعيـد الدولـة .

ان هذا النداء موجه منذ الان الى جميع شبابنا المغتربين الذيـن يشكلون جزءا لا يتجزأ من الشبيبة اللبنانية ليكونوا دوما على اتصـال مع الادارة العامة للشبيبة والرياضات وانه لبوسعهم ان يساعدوا هذه الادارة بفضل خبرتهم التي اكتسبوها في البلدان الصديقة وان يقدموا الاقتراحات من اجل تنسيق العمل .

وانطلاقا من الخطاب المخطط الذي القاه فخامة رئيس الجمهورية بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٦٥ بحضور ممثلي منظمات الشبيبة والرياضات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجد الادارة العامة للشبيبة والرياضات نفسها وهي تتم بامتيازات لم تتوفر لاية هيئة اخرى .

انها لمدعوة ان تكون مثالا للفاعلية والانتاج ولن تتمكن من تحقيق هذا ما لم تتوفر لديها مؤازرة مجموعة اللبنانيين .

•

التزلج السياحي في لبنان

يجب ان نميز حالا بين التزلج فوق المدرج والتزلج السياحي اذ ان النوع الاول يشتمل على الصعود آليا ويشكل مركزا معينا يجتمع حوله دوريا عدد من الرياضيين الانيقين او الضوضائيين ، اما النوع الثاني وهو اكثر صعوبة واقل متعة لدى الانحدار ، فانما يؤمن نوعا ما ،لهواة القمم ذوي الحاسة القوية ومحبي الانحدار البعيد المدى ، البهجة التي لا تنضب والدائمة التجدد .

ويجدر بنا الا نكون مدققين فنعود الى التزلج فوق المدرج وذلك حرصا منا على الا نقلل من شانه كثيرا . اننا نورد المراكز التالية ابتداء من الشمال الى الجنوب :

الارز : انه لمركز فريد من حيث موقعه الجغرافي وتشرف قممه على لبنان بأسره كما تطل هذه القمم على الوادي المقدس الرابض تحت قدميه وهناك اربعة مصاعد يستعملها المتزلجون لتنقلهم ، والقبطة تملأ نفوسهم ، الى المدارج المطلة على البحر .

اللقلوق : يقع هذا المركز العالمي ضمن اطار رائع من الصخور والمنحدرات وقد زود بمصعد واحد بينما ينتهي اعداد ناقلة آلية للصعود وانه لمن المتوقع ان تباشر هذه الناقلة عملها عام ١٩٦٧ .

فاريا : يقع هذا المركز بجوار بيروت اذ انه يبعد عنها ٦٥ كيلو مترا فقط وقد زود هذا المركز بمصعدين وتؤمن وضعية المنحدرات الشمالية لهذا المركز الرياضي النوعية الممتازة والمتساوية من الثلج .

بسكنتا : سيتم خلال عام ١٩٦٧ اعداد ناقلتين آليتين للصعود ابتداء من سهل عين اباقيش حتى القمة لغربية لسلسلة صنين المحاذية لبيروت واننا نأمل بان يلاقي هذا المركز الجديد اقبال الرياضيين الهواة.

ولندع هذه الاماكن المتمدنة لنلحق بهواة التزلج وهم في طريقهم لاكتشاف اللوحات الطبيعية الجميلة والمواقع لساحرة . ورغبة منا بالا نرهق القراء فاننا سنكتفي بتقديم لمحة خاطفة عن امكانات التزلج السياحي العديدة في لبنان وذلك عوضا عن وصف دقيق للمنحدرات البعيدة المدى المختلفة .

حرمون : انه لسيد الجبال اللبنانية حافل بالالغاز وشاسع المدى وهو يقع على الحدود اللبنانية لسورية وعلوه الفان وثمانمائة متر ، اما نقطة الانطلاق فتبدأ عند البحيرة الواقعة جنوبي قرية راشيا حيث تتدفق السيارات ويجتاز ركابها ، مشيا على الاقدام السهل المليء بالحصاة والمؤدي الى بداية حرمون ، وانني لاذكر عندما فوجئت وثلاثة من رفاقي عام ١٩٥٠ ، بعاصفة هوجاء قل نظيرها تجتاز قمة هذا الجبل بالقرب من الهيكل لرومان وبانهيار حائط من الجليد نحو الاراضي السورية ، كما وانني اذكر كيف وصلنا الى منزل المختار الذي استقبلنا بحفاوة وقد تجلت الضيافة الشرقية بابهى معانيها ثم عدنا في اليوم التالي والجو مشبع بالصقيع وزرقة السماء كثيفة ملبدة.

انني اذكر ذلك القطيع من الغزلان لذي تجمع وهو كئيب متطلعا الينا ونحن نمر وقد دهش ولا ريب من جرأتنا ، واذكر ايضا ساعة وصولنا مرة اخرى الى القمة حيث بدا الفضاء امامنا فجاة وقد غرق كل شيء في هذا الضوء الصباحي البنفسجي ثم ظهر فجاة شعاع الشمس وكانه عصا سحرية ليفجر تلك البقعة الجميلة كما بدت لنا سلسلة لبنان وشاهدنا سهل البقاع وجبل لبنان ، اما من الجهة الثانية فقد لاح لنا السهل الصحراوي السوري الذي يمتد حتى الفوطة وبحيرة طبريا.

وكان لا بد من انتظار ارتفاع الشمس حتى تنحدر ونتمتع برؤيا ذلك الثلج المخملي مجتازين النتوءات وسالكين الممرات من جنب الى آخر لنبلغ بعد مضي ساعة الملجا ومركز انطلاقنا ثم نعود لنجتاز السهل حتى البحيرة حيث اوقفنا سياراتنا وهي تذكرنا بمرارة العودة . ومنذ ذلك الحين ونحن نعود مرتين في السنة خلال شهر آذار لنعبر هذه الممرات المغطاة بالثلج حتى نبلغ القمة حيث تعصف ريح هذاالجبل الشامخ وكنا نشعر كلما بلغنا هذه القمة باننا قد اعدنا اكتشاف هذه المناظر الرائعة ونحن نحسبها كلها ملكا لنا وليس لغيرنا.ومما لا ريب فيه ان حرمون هذا سيكون مركز المستقبل للتزلج في لبنان وهو المركز الباعث للحبور والاحساس الدائم التجدد .

الباروك والصفا : ان قمتي الباروك والصفا اللتين تشتملان على اشجار الارز لتشكلان في حالة توفر كمية الثلج الصالح للتزلج المركزين الوحيدين للتزلج في لبنان حيث الاشجار الجميلة العريقة في القدم ، اما نقطة الانطلاق فتبدأ عند قرية الباروك او نبع الصفا . ويبدو للناظر من على القمة ، للجهة الشرقية سهل البقاع وحرمون بينما يظهر للجهة الشمالية ، المتن وكسروان وجبل الكنيسة وغابة صنين.

ضهر البيدر : يبدو الثلج في هذا الموقع وكانه باق من العام الماضي ! وهنا ايضا تعاودني الذكريات التي احسبها وكانها حاضرة بالرغم من كونها تعود لعام ١٩٥٣ فاجد نفسي متاثرا بذلك المنظر الرائع الذي اكتشف من اعلى جبل الكنيسة ابتداء من « ملجا دي شايلا » حيث تبدو المنحدرات الصلبة والمذهلة من الناحية الشمالية وهي تؤدي الى كفر سلوان بينما يبدو الانحدار ، من جهة اخرى ، رائعا في ضهر البيدر حيث كنا نسلك المنحدرات المتعددة لنصل دون صعوبة الى الطريق لعام . وانه من المؤسف حقا ان يجرد ضهر البيدر من الثلج.

غابة صنين : لقد شهد هذا المركز اولى خطواتي وليعذرني القارىء اذا ما استرسلت في حبي لاجمل غابة في لبنان وهي التي تبدو لناظري المسافر اول ما تبدو سواء كان ذلك بحرا ام جوا .

كان ذلك خلال فصل الربيع عندما غادرنا بعد الظهر قرية فاريا حاملين عدة التزلج والامتعة والزاد وقد وصلنا بعد مضي ساعتين الى ملجا اللبن المعروف باسم ملجا عين السيمان ، ولم يكن الطريق يومذاك قد بلغ السهل الذي يحمل الاسم ذاته . وشجعتنا زرقة السماء العافية على التسلق فتوجهنا من الملجا باتجاه المزار سالكين طريقا منحدرة برفق ثم اجتزنا النتوءات الصعبة حتى انتهينا بعد ساعة من المسير الى القمة. لقد رافق الحذر التسلق وذلك بغية الحفاظ على الالتحام وقد بدت عند اقدامنا وعورة الجهة الغربية والاودية المغطاة باشجار الصنوبر حيث تقوم القرى وقد ارتفع القرميد الاحمر فوق منازلها . اما البحر لمتوسط الامين فقد لاح بقربنا في متناول اليد ، وهو تارة عابق بالحرارة واخرى غارق في زرقة كثيفة .

وبلغنا الهيكل الروماني الصغير حيث تجمعت بعض الحجارة الكبيرة : انه المزار وارتفاعه ٢٤٥٠ مترا . ومضت ساعة من التامل بدا على اثرها آخر شعاع للشمس ليصبغ باللون الاحمر القمم المجاورة بينما ظهرت من البعيد عبر سهل البقاع قمم حرمون وقد اصطبغت باللون لازرق . انه لمنظر جبار ، مدهش لا مثيل له . لقد اطل القمر من الشرق وقد بدا وكانه لم يعد ذلك القمر الفضي الهادىء . انه لمشهد رائع ان نرى آخر خيوط الضوء وان يتقلص الاحمرار عن الارض والافق والبحر .

ان نرى ايضا هذا الضوء المتحل وقوس القزح هذا الذي يبدو في الافق المظلم ويرتفع رويدا رويدا . ثم ينحدر نحو الغرب لاحقا بالشعلة التي ترتسم .لقد شعرنا بالبرد وكان لا بد من الانحدار وكاد

الثلج ان يصبح صلبا بحيث تصعب العودة غير اننا لم نبال ما دمنا نشعر بدفء داخلي تولده ذكرى روعة الجبل اللبناني .

ويشكل ملجأ فاريا مركز لانطلاق لرحلات اخرى ونذكر ثلاثة منحدرات هامة وهي تقع في الجهة الغربية : الكوكادو والمنحدر الكبير وممر برلان . وتبعد هذه المنحدرات بعضها عن بعض وهي تشتمل على نسبة انحدار بمعدل حوالي الف متر على طول كيلومترين .

الكوكادو : اخذ هذا الاسم عن اسماء ثلاثة من المتزلجين الاولين: كوتورييه ، وكافرد ، ودوز ، انه بداية لانحدار تتم فوق دورة المهماز ويتوجب الاتجاه نحو الشمال لدى الوصول الى الحاجز الصخري وان ما يشاهد يدعو الى التأمل ويترتب على المتزلج ان يحتفظ بتوازنه بحيث يتوقف هذا المتزلج عند اقدام السهل وعلى عمق ٨٠٠ متر .

المنحدر الكبير : انه الانحدار المألوف وهو الاكثر امانا واذا ما تعثرت رجل احد المتزلجين في الثلج الصلب فانما بصعب وجود اي حاجز ليحتضنه ويتوجب هنا ايضا ان يكون المتزلج يقظا غير ان الانحدار نحو البحر يشكل مصدرا للبهجة الحلوة التي يولدها التزلج السياحي في لبنان .

ممر برلان : هذا الممر بعيد اذ انه يتوجب الوصول الى قمة صنين رقم ٢ : ، الارتفاع ٢٦٠٠ متر ، كما يتوجب السير في الجهة الجنوبية والانحدار في المدرج الجميل المتنوع لممر برلان بحيث تشكل هذه الرحلة متعة طيبة لانها تتيح للمتزلج اجتياز غابة صنين من الشمال الى الجنوب .

اللفلوق : هذا المركز العائلي الرائع هو نقطة انطلاق الرحلة في حالة توفر الثلج وانها لرحلة جميلة تلك التي تبدأ من اللفلوق والارز عبر غابة الارز في تنورين بالرغم من كونها شاقة لانها تتطلب اكثر من ١٤ ساعة اذا ما قام بها فريق كفء .

الارز : انه ولا ريب مركز الانطلاق لاجمل الرحلات ضمن هذا الاطار الرائع ، العريق في القدم وان اجمل نزهة لتتوفر لدى القيام برحلة تبدأ من المنحدر الشمالي نحو مجموعة الارز مرورا بسير القمنية وهي تعد من اسهل النزهات التي يمكن ان تتوفر في لبنان .

ومع ذلك فانه لمن المهم ان يصطحب كل من يجهل طبيعة الارض دليلا او يمارس التزلج عندما يتوفر الطقس الجميل .

المنطقة الحرة في مرفأ بيروت :

الخطوة الاولى نحو النمو الصناعي في لبنان

اتجه لبنان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نحو اختيار قديم حقق له ، منذ ذلك الحين ، تكييف نموه الاقتصادي والاجتماعي وانه لمن المحتمل ان يتابع هذا الاختيار العمل من اجل تحقيق هذا التكييف لسنوات عديدة ايضا : لقد اختار لبنان نظام الاقتصاد الحر الذي يؤمن للمبادرة الخاصة مجالا رحبا للعمل سواء كان ذلك في الزراعة او في التجارة والخدمات والمال .

وعلاوة عن ذلك فقد بذلت السلطات اللبنانية الجهود بالرغم من اخفاقها احيانا بغية تامين كافة الشروط المطلوبة من اجل ازدهار العمل الحر ويعتبر انشاء المنطقة الحرة في مرفأ بيروت حلقة من سلسلة الاجراءات التي اعتمدت لتعزيز حركة الانعاش الاقتصادي في لبنان عن طريق ازدهار المبادرة الخاصة .

وقد جاء في خاتمة الدراسة التي اعدتها بعثة ايرفد عام ١٩٦١ بصدد مجموعة الاعمال الاساسية في لبنان تحت عنوان المواصلات ما يلي : « تجدر الاشارة الى الدور المفيد الذي تؤديه المنطقة الحرة في مرفأ بيروت من الناحية الصناعية مما يدل على ان بعض المبادرات قد فتحت طريقا في حقل النمو الصناعي » .

لقد صادفت المنطقة الحرة منذ انشائها نهضة مستمرة اتضحت بصورة خاصة من خلال الطلبات المتعددة التي قدمت من لبنان والخارج بصدد استئجار المستودعات الخاصة وقد استأجرت احدى المؤسسات التجارية الافريقية الهامة « شاطىء العاج » مستودعا تبلغ مساحته ٤٧٢ مترا مربعا لتخزين لبن وبيعه بالاضافة الى المؤسسة البرازيلية للبن بحيث ارتفع عدد المستودعات الى اثنين . هذا وقد طلب كل من الارجنتين وغانا والباكستان وافغانستان استئجار المستودعات التي ستستعمل كمركز لتوزيع محاصيل هذه البلدان في منطقتي الشرق الادنى والبحر المتوسط وستلبي هذه الطلبات في نهاية العام الحالي وذلك عندما تنجز اشغال التحضير للحوض الثالث في المرفأ .

ما هي المنطقة الحرة في بيروت ؟

انها تشكل مستودعا رحبا للبضائع الواردة من كافة انحاء العالم وموفقا مثاليا للتجارة بين اوروبا وافريقيا والاميركتين وبلدان الشرق الادنى والشرق الاوسط هاتين المنطقتين الاخيرتين اللتين تشكلان سوقا رحبة بالنسبة لعدد سكانها البالغ خمسين مليون نسمة وبالنسبة للموارد البترولية الجبارة .

وتبلغ مساحة المنطقة الحرة حاليا « ١٢٣٠٠٠ » متر مربع وقد ادركت السلطات اللبنانية اهمية هذا القطاع الاقتصادية فلحظت اشغال التحضير لعدد من المستودعات الجديدة تبلغ مساحتها (٢٥٠٠٠٠) متر مربع وذلك ضمن نطاق مشروع بناء الحوض الثالث للمرفأ .

وهناك ايضا مشروع يلحظ عملية التحويل ، في المستقبل لمدن الساحل اللبناني بكاملها « صيدا ، البترون او طرابلس » الى مدينة حرة وذلك بعد ان تنجز مجموعة الاعمال الضرورية « كالطرق والسكة الحديدية والهاتف والكهرباء والارصفة الخ ... »

المنطقة الحرة لا تخضع للنظام الجمركي :

ان المنطقة الحرة في بيروت لا تخضع للنظام الجمركي كما ان دخول البضاعة الى هذه المنطقة وخروجها منها لا يخضعان لاي قيد . وتفيد الصناعة بصورة خاصة من قيمة المادة الاولية المخفضة بغية تنمية صادراتها كما ان اعادة تصدير البضائع التي تصنع او تحول في المنطقة الحرة تتم ضمن افضل الشروط .

تتألف المنطقة الحالية مما يلي :

ـ المستودعات العامة : حيث تخزن البضائع التي تشحن الى جهة غير محددة بانتظار شار لم تعود فترسل الى اي ناحية كانت .

ـ المستودعات الخاصة : وهي مستودعات تؤجرها شركة المرفأ للتجار من اي بلد كانوا ، او مستودعات انشأها رجال الاعمال وفقا لرغباتهم وطبقا لما تتطلبه حاجات اعمالهم التقنية ، وذلك فوق ساحات من الارض تم استئجارها من شركة المرفأ .

ـ المصانع والمشاغل : وهي ابنية انشئت ضمن نطاق الشروط المذكورة اعلاه حيث يتمكن الصناعيون والتجار الذين يؤمنون المواد الاولية من اعادة تصدير هذه البضائع الى اي بلد كان .

ويسمح في المنطقة الحرة بالقيام بكافة اعمال التوضيب والتنظيف والنخب والمزج والتنسيق والفربلة والتقسيم والتحميض والطحن والتكسير والسحق وتحويل البضائع بما فيه تصنيف التبغ الاجنبي والمزج من التبغ الوطني . وتتم بصورة عامة عمليات مزج المحاصيل الاجنبية مع غيرها من المحاصيل الاجنبية او البضائع الوطنية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصناعة في المنطقة الحـرة :

يوجد حاليا في المنطقة الحرة ١٤٠ تاجرا او صناعيا وهـم يستخدمون حوالي ١٥٠٠ عامل . ان الارقام العائدة للصناعة بنوع خاص، هـي التاليـة :

ـ عدد المؤسسات : ١٣ ـ منها ١٢ مؤسسة تعنى بصناعة الملبوسات وواحدة لاعداد المصارين . ـ الاموال الموظفة : حوالي « ٢٥٠٠٠٠ » ليرة . ـ عدد ارباب العمل : ١٨ . ـ عدد العمال : ٥٣٨ . ـ الاجور: حوالي « ١١٠٠٠٠٠ » ليرة .

ـ المبيعات : ـ في السوق اللبنانية : حوالـي « ٧٥٠٠٠٠ » ليرة . ـ التصدير : حوالي « ٩٦٠٠٠٠٠ » ليرة . اي ما مجموعه حوالي « ١٠٢٥٠٠٠٠ » ليرة سنويا . ان المحاصيل التي تباع في السـوق اللبنانية تخضع للنظام الجمركي العادي .

ـ مشتريات المواد الاولية : ـ السوق اللبنانية : حوالـي « ٧٠٠٠٠٠ » ليرة . ـ الاسواق الخارجية : حوالي « ٦٥٠٠٠٠٠ » ليرة . ـ اي ما مجموعه حوالي « ٧٢٠٠٠٠٠ » ليرة سنويا .

ـ اهم المحاصيل : الثياب الجلدية ، البياضات والملبوسـات الداخلية للرجال والنساء والمصارين المملحة .

وقد اشتملت المنطقة الحرة قبل عام ١٩٦٤ ، على مصنع لتوضيب الخضار الجافة ونزع القشرة عن هذه الخضار ومصنع لاعداد التبغ واخر للعطور ومصنع للمستحضرات الطبية .

وقد اضطر عدد من المؤسسات التي اتسعت اعمالها للانتقال الى خارج المنطقة بالنسبة لضيق المساحات وازدياد النفقات المختلفـة « كالحراسة وغيرها » وسيذلل القسم الاكبر من هذه الصعوبات عندما تنجز في نهاية هذا العام اشغال اعداد الحوض الثالث في المرفأ واعمال توسيع المنطقة الحرة في المنطقة التي ستتمكن عندئذ من تدشين المرحلة الجديدة في حقل انعاش هذا المرفأ .

حركـة الرساميـل في لبنـان :

لبنان الواقع عند ملتقى الطرق الكبرى التي تربط الشرق بالغـرب ، بنعم بوضع ممتاز في الشرق الاوسط . ومما لا شك فيه ان ذلك يعود الى وجود الاقتصاد الحر الذي اتبع لينسجم والاستمرار السياسي وليؤمن للبنان الاستقرار والاشعاع . ومركز بيروت على الصعيد المالي هو السوق الحرة الوحيدة في المنطقة بكاملها ، وتختلف عمليات التحكيم الدولية التي تعقد في هذا المركز عن العقود الدولية للاقتصاد اللبناني ، هذا بالاضافة الى العمليات المعقودة مع الخارج سواء كان ذلك بالليرات اللبنانية ام بالعملات الاجنبية وهي عمليات تتميز بالحركة النامية دوما، وهي تدل من جهة على اشتراك لبنان المتزايد في النشاط المالي الدولي كما تدل من جهة اخرى على مقدرة التمويل التي يؤمنها نظامه المصرفي لاقتصاديات البلدان المجاورة .

سـوق بيـروت

تتميز سوق بيروت بانها سوق حرة ، ومستقلة ، وحافظة بالاتساع بفضل متانة الليرة اللبنانية .وبتحليل هذه المميزات الثلاث يتبين :

١ ـ ان سوق بيروت وهي سوق حرة ، لتؤمن الحرية المطلقـة للرساميل التي تلجأ اليها او تستقر فيها . وليس هناك اي عائق او مراقبة عند الحدود ، بصدد دخول الرساميل وخروجها ، سواء كانـت هذه الرساميل اوراقا نقدية ام شيكات ، بينما يؤمن عدم وجود هيئـة مراقبة القطع هذه الحرية للعمليات النقدية التي تتم بشكل التحاويل المصرفية بحيث تتمكن المتعلكات النقدية ، سواء كانت ليرات لبنانية ام اجنبية من التنقل بحرية شرط ان تخضع لاحكام الطلب المعقـودة ، بالتراضي المتبادل فيما بين اصحاب الودائع والمصارف التي تستقبـل هـذه الودائـع .

يضاف الى ذلك كون هذه الحرية المطلقة المؤمنة للرساميل والصادرة دون ريب عن النظام الحر المعمول به في لبنان قد وجدت ذاتها معززة بقانون السرية المصرفية المعتمد منذ اكثر من عشر سنوات وهو القانون موضع اعتزاز لاصحاب المصارف اللبنانيين . وهل من حاجة للقول بان مثل هذا النظام الحر لا يتوفر في اي بقعة من العالم .

٢ ـ ان سوق بيروت سوق مستقلة حيث تودع الرساميل وتوجه نحو الاماكن النهائية المرسلة اليها ، وتتعارض السوق المستقلة مـع السوق الثانوية التي تخضع للسوق الدولية ذات الحجم المالي الاكبر وذات امكانيات التوظيف الاكثر اتساعا بحيث تضطر الرساميل العاملة في السوق الثانوية الى المرور بواسطة الترانزيت .

ويعود الفضل في ان بيروت تنعم بمثل هذا الاستقلال ، وهو ميزة الاسواق المالية الكبرى الى نظامها المصرفي الواضح المزدهر . لقد بلغ عدد المصارف في لبنان حتى ٣١ كانون الاول عام ١٩٦٥ ٨٧ مصرفـا اعترف بها لبنان بعد دراسة ملفاتها منها عدد من الفروع لمصـارف عالمية كبرى ، وقد تأسست منذ سنوات عديدة وكلها ثقة بمركز لبنـان الممتاز في سوق الرساميل الدولية . وتؤمن هذه المصارف لزبائنها بفضل شبكة مراسليها المنتشرة في العالم والاتصالات اليومية السريعة التـي تربطها باوروبا واميركا والشرق الاقصى ، تؤمن الخدمات المتنوعـة كالتحويل الى نقد احتياطي ، وعمليات القطع التحكيمية الدقيقـة ، اما طاقتها في التمويل فهامـة .

ويبدو هذا الاستقلال الذي يمهر سوق بيروت بطابعه في المظهرين التاليين : مجموعة من درجات الفوائد الرحبة ، وسوق مزدهرة للقطع. وهناك مجموعة من درجات الفوائد الرحبة تتناول معا الرساميل العاملة والسلفات المصرفية . وتتقارب درجات الفوائد التي تمنح لودائع الاجل الطويلة من فوائد السلفات المصرفية للامد القصير بحيث تبدو امكانيات التوظيف في لبنان رحبة ، بالاضافة الى كون لبنان يخلد التقليـد الفينيقي القديم من حيث التعامل ، هذا وتمول سوق بيروت التجارة الخارجية للبلدان المجاورة ، كما تمول التجارة المتعلقة بين كافة بلـدان العالم التي لا تقوم بينها علاقات متبادلة الخ ...

وتشوق سوق بيروت الرساميل الاجنبية بمنحها درجات متكافئة من الفوائد ، وذلك وفقا لحاجات هذه السوق وامكانياتها للتوظيف في لبنـان او فـي الخـارج .

سـوق مزدهـرة للقطـع

ان سوق القطع في بيروت هي السوق الحرة الوحيدة في كـل المنطقة وانه ليتوجب التعبير عن هذه الحرية كأداة في متناول المعارف لتتمكن من الحصول على العملات الاجنبية بما لديها من ممتلكات خاصة.

ويساهم استباق حركات الرساميل العائدة للصفقات التجاريـة والابداع المالي والنقدي ، في لبنان او الخارج الصادر عن النظام المصرفي وعملاء الاقتصاد وعمليات التحكيم المعقودة مع البلدان المجاورة واوروبا لمختلف هذه الحاجات ، يساهم هذا كله في اعطاء سوق بيروت للقطع الحيوية اليومية التي تقارن « مع الاحتفاظ بالنسبة » باكبر المراكـز الماليـة فـي العالـم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الودائع المتداولة فيما بين المصارف فتشهد عمليات هامةوتبلغ اهمية حجمها نسبة اهمية حركات البضائع او بالاحرى مجموع العمليات الدولية للاقتصاد اللبناني .

٣ ـ ترتكز سوق بيروت في الدرجة الاولى ، على قوة الليرة اللبنانية وخلافا لوضع بعض البلدان التي نالت استقلالها بعد الحرب والتي ما برحت العملة فيها مرتبطة وخاضعة للعملة الاجنبية ، فان الليرة اللبنانية لا ترتبط بمنطقة ما من المناطق النقدية الكبرى التي تتقسم العالم ، مما يؤمن لها الاستقلال النقدي والقوة من حيث القطع في سوق بيروت المالية .

ويمكن ان تقارن الليرة اللبنانية باقوى العملات الشهيرة ، اذ انه من حيث الكفاءة في القدرة الشرائية المتعادلة تفوق تغطية الذهبلليرة اللبنانية معدل تغطية الذهب للفرنك السويسري بنسبة حوالي ٤٠ بالمئة ، بحيث يمكن القول ان سوق بيروت المالية هي ايضا قوة في سوق القطع . وقد بلغت نسبة تقلباتها القصوى عام ١٩٦٥ ، ٣.٥ ـ ٣.٨ قروش لبنانية للدولار الواحد .

حركات الرساميل

يجب ان تتم عملية التخمين لحركة الرساميل في سوق بيروت ضمن اطار ميزان المدفوعات الذي يظهر التدفق النقدي الناجم عن العمليات التجارية والتدفق المالي الصادر عن عوامل التوظيف وعدم التوظيف التي تمت في لبنان كما وانه تجدر الاشارة الى وجوب اعتبار الممتلكات المصرفية للعملات الاجنبية ومقدرة تمويل النظام المصرفي .

خلال عام ١٩٦٢ ، بلغ مجموع الدخل الوطني ١٨٧٧ مليون ليرة لبنانية و ١٩٥١ مليون ليرة لبنانية ، عام ١٩٦٣ ، وقد شهد لبنان خلال هذين العامين في الدخول والخروج تدفقا نقديا وماليا بقيمة ٣٦٢٥ و ٣٣٩٤ مليون ليرة لبنانية .

وتنجم حركات الرساميل الهامة عن فئات ثلاث من العمليات والممتلكات والخدمات وهذا مما يدعو الى الدهشة اذا ما لوحظ من جهة ، بان القطاع التجاري يحتل المرتبة الاكثر اهمية والاكثر استقرارا في الدخل الوطني ، بينما يشهد من جهة اخرى اسهام القطاع المصرفي والمالي نموا تتعدى حركة ارتفاعه الدخل الوطني الاجمالي .

ففي عام ١٩٦٥ بلغت قيمة الدخل الوطني الاجمالي ٢٠٣٨ مليون ليرة ، وقيمة دخل القطاع التجاري ٥١٤ مليونا وقيمة دخل القطاع المصرفي ـ المالي ١٤٥ مليونا ، وبلغت حصة الدخل التجاري ٢٥بالمئة، ونمو الدخل السنوي الوطني ٤،٥ بالمئة ، ونمو الدخل السنوي للقطاع المصرفي المالي ١٠ بالمئة .

وهذا ما يبرر على اكمل وجه ، ما يوفره النظام المصرفي لتمويل الاقتصاد الوطني ونمو الدخل الوطني .

معنى حركات الرساميل

لم يتمكن لبنان من سد حاجاته بالرغم من نمو انتاجه الوطني ، اذ انه يترتب عليه استيراد المواد الغذائية فقد استورد بمبلغ ٢٤٩ مليونا عام ١٩٦١ . و٢٧٤ مليونا عام ١٩٦٤ .هذا ويحتل استيرادمعدات التجهيز ومواد النقل مركزا كماكما ١٨٩ مليونا عام ١٩٦١ و ٢٤٤ مليونا عام ١٩٦٤ . وقد ارتفعت قيمة استيراد الذهب والمواد الثمينة الى ٣٥٩ مليونا عام ١٩٦٤ مقابل ٣.٣ ملايين عام ١٩٦١ بينما لم تتجاوز قيمة التصدير لمثل هذه المواد ٨ ملايين و ٣١ مليونا .

ويبدو العجز في الميزان التجاري للبنان بشكل نظامي ، ولذا بادر المسؤولون الى تنمية الانتاج الوطني ، فارتفعت الرساميل العاملة في الصناعة من ٦٤١ مليونا عام ١٩٦١ الى ٨٢٨ مليونا عام ١٩٦٤ ، وذلك بغية التحقيق من هذا العجز وتعزيز النمو الدائم للاقتصاد اللبناني بفضل الرساميل العاملة ، ليتمكن هذا الاقتصاد ، وفقا للمخطط المعتمد، من العبور من مرحلة الاقتصاد غير النامي الى الاقتصاد النامي بحيث يصبح اقل ارتباطا بالعالم الاجنبي .

وقد ارتفع العجز خلال فترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ في عمليات البضائع والذهب غير النقدي من ٨٢٠ مليونا الى ٨٦٣ مليونا اي بزيادة ٤٣ مليونا . وارتفع ميزان الخدمات خلال الفترة ذاتها من ٥٦٨ مليونا الى ٦٤٤ مليونا اي بزيادة ٧٦ مليونا اي ما يعادل ضعف زيادة العجز في ميزان البضائع ونسبة نمو مرتفعة + ١٤ بالمئة وهي نتيجة جيدة اجمالا.

دخل النظام المصرفي

وستستعمل احصاءات عام ١٩٦٥ بغية تخمين ما يوفره النظام المصرفي لحركات الرساميل . لقد باشر مصرف لبنان في نشاطاته بتاريخ اول نيسان عام ١٩٦٤ ولم تكن الاحصاءات التي سبقت مباشرة هذا المصرف باعماله لتمكن من القيام بالتحاويل النقدية اذ انه لا يمكن مقارنة هذه الاحصاءات خلال الفترة الواقعة ما بين الاعوام ١٩٦١و١٩٦٣ وهي تعبر عن نسبة ارتفاع مقبولة .

فقد ازدادت قيمة الاعتمادات المصرفية المخصصة للاقتصاد خلال عام ١٩٦٥ ، ٣٦٦ مليونا فارتفعت الى ٢٠٢٧ مليونا حتى ٣١كانون اول عام ١٩٦٥ .

وتبين نسبة النمو المرتفعة ما يقدمه النظام المصرفي لتمويل الاقتصاد اللبناني الذي يرتكز على التجارة الخارجية ، بحيث يتضح ان مقدرة النظام المصرفي قد سدت قسما كبيرا من حاجة التمويل الناتج عن عجز الميزان التجاري . كما يتضح ايضا ان تمويل الاقتصاد قد ارتكز خلال عام ١٩٦٥ على الخارج بنسبة اقل من معدل عام ١٩٦٤.

نتائج نشاط النظام المصرفي

ازدادت خلال العام الحالي قيمة الممتلكات الصافية للخارج ٢٨٢ مليون ليرة لبنانية وتبدو هذه القيمة مفيدة لتوازن ميزان المدفوعات .

وقد سبق القول ان اعمال المصارف اللبنانية لم تقتصر علىتمويل التجارة والاقتصاد اللبناني فحسب انما تقدم هذه المصارف ايضا مساعداتها لاقتصاديات البلدان المجاورة وذلك في حقل صفقات البضائع كما وانها تقوم بايداع الاموال في الخارج حيث تمنح درجات الفوائد المتكافئة وتشترك في العمليات المالية الدولية وفقا لحاجاتها ومصالحها. وهي تعمل اما لحسابها الخاص او لحساب زبائنها الراغبين في تغطية انفسهم ازاء خطر التقلبات التي تطرأ على اسعار القطع .

ولم تتوفر الى الان الاحصاءات العائدة لكافة هذه النشاطات انما يمكن القول ، دون خطأ ، بان مجموع القيم المتداولة في هذا الحقل يبلغ حوالي ستماية مليون ليرة لبنانية .

ان لبنان ، وهو البلد التجاري ، مدعو ان يؤمن لنفسه تجارة خارجية هامة غير ان التوقف عند هذا الهدف الوحيد قد يؤدي في النهاية بالنسبة الى انظمة البلاد الحالية الى حالة من الارتباط ازاء الخارج . هذا وتمكن زيادة الانتاج الوطني بفضل التوظيفات الزراعية والصناعية الملائمة من تخفيف العجز في الميزان التجاري وتؤمن في الوقت ذاته اوسع العمليات المالية على الصعيد الدولي .

وقد وضعت مخططات التنمية منذ عام ١٩٥٨ في ضوء هذه النظرية.

يوسف الخوري

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصد ريعها لأعمال الاسعاف الاجتماعي

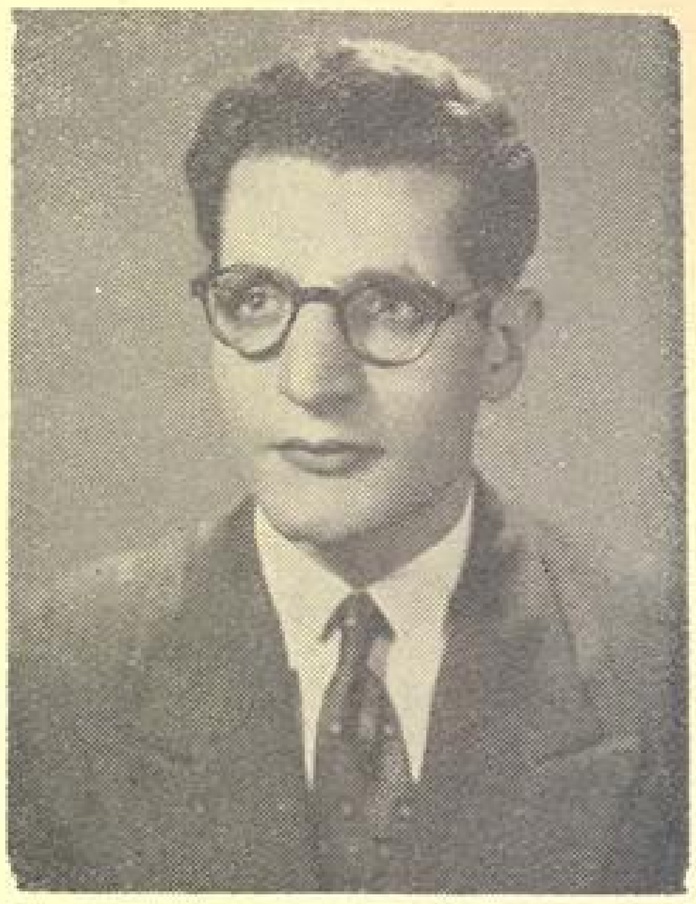
تعديلات هامة في جوائز اصداراتها

٢٠ اصدارًا شعبيًا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصدارًا شعبيًا خاصًا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصدارات سوبيرستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصدارات عادية	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.



ملكة جمال لبنان لعام ١٩٦٦
الانسة بولا حرب

تدفع الجوائز في المديرية
معفاة من كافة الرسوم والضرائب



محمد رجب البيومي

كيف ينظمون الشعر

اهدي هذا المقال الى صديقي المربي الاستاذ عبدالجليل صديق فايد بالمنصورة

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كانت الحدود مرتفعة ، في أوائل هذا القرن بين النظم والشعر ، فكل من درس العروض أهل لنظم القصائد . وصياغة المعلقات ، فاذا أضاف الى ذلك الماما بالاستعارة والتشبيه في علم البيان وبالطباق والجناس والثورية في علم البديع ، فهو السابق المجلي في القول ، وله ان يعلو المنابر العالية ليسمع الناس أغاريده الفاتنات ! وقد كان طالب الازهر في الجيل الماضي يرى لزاما عليه ان يمدح استاذه عقب انتهاء المقرر المدروس بقصيدة مناسبة ! او هي كصلاة الجنازة فرض كفائي يقوم فيه البعض عن الكل ، وليس لاحد من الطلاب ان يحجم عن المدحة الشعرية ، لانه قد استوفى شروطها المقررة اذ درس العروض والقافية ، والم بالمصطلحات البلاغية في علمي البيان والبديع ! فلماذا لا يملك العصي من القريض !

ولكن ازدهار الثقافة ، قد افهم الكثيرين من هؤلاء وغير هؤلاء ، ان الشعر شيء والنظم شيء آخر ، فصرف العقلاء منهم همهم عن الشعر ، واتجهوا الى ما يسهل الشأن فيه من التأليف والخطابة ! وبقي الآخرون في ضلالهم الموهوم ، يعدون انفسهم شعراء مفاليق ويتكلفون النظم فلا يحسنون !

واذا كان لكل فن آلته ، فلا بد ان يكون لدى هؤلاء آلتهم الفنية ، ينسجون على منوالها اغرب ما يقال وأعجبه! وقد كفانا الزجال العبقري المغفور له الاستاذ محمود بيرم التونسي وصف المعاناة التي يمر بها هؤلاء النوابغ في مجال الابداع ، حين هاله ان يقف مفهوم الشعر لديهم عند هذا الحيز المنكر ، فراى ان يلتقط صورة واقعية لناظم متكلف، ليري القراء كيف تنثال المعاني ، وتتدفق القوافي عليه وفق نهج مرسوم لا يتعداه ، وذلك حين كتب مقاله البديع «فن الشعر» بمجلة الفنون في ١٥ يناير سنة ١٩٢٨ ،وقد نقلته مجلة الادب المصرية في عددها الخاص ببيرم ، فكان مما قال :

« شعراء المدرسة القديمة يجمع أحدهم قوافي القصيدة التي تعجبه فتكون مثلا «فطس وعكس ، ورفس، ونفس ، فاذا حصل على خمسين كلمة من هذا الوزن شرع في التفكير في موضوع القصيدة ، وفي الغالب لا يعرف كيف يجعل ـ يريد يختار ـ موضوع قصيدته ، فيخرج الورقة من جيبه أينما حل في القطار وفي المرحاض، وعلى المائدة ، حتى يهتدي الى الفكرة التي توافقها الكلمات التي معه فان كان من العصريين جعل عنوان القصيدة «دموع السحاب» او صفعات النسيم ، وان كان من المحافظين صرفها الى تهنئة صديق ترقى من رتبة وكيل الى قاض «مثلا» وقد قلنا ان معه قوافي سينيه ، فهو يتأمل المعنى الذي يصلح لكلمة نفس فيتبادر الى ذهنه الشعر في جملة «قتلت نفسي» وهنا مناسبة طيبة ليضع في البيت كلمة لولا وهي من ملامح الشعر العربي وخواصه فيكتب البيت كتابة ابتدائية هكذا :

ولولا لقتلت نفسي

ثم يطوي الورقة ويضعها في جيبه ، ويتفرغ للتفكير، فترى بصره ذاهلا بين السماء والارض وهو يفتش عن الكلام الذي يملأ الفراغ بين لو وما بعدها فيخطر له جمل عديدة منها :

ولولا انني اجد التسلي بانك واعدي لقتلت نفسي

او قوله :

ولولا أن لي نفسا أحبت فريد زمانه لقتلت نفسي

وقد يعرض البيت الذي يختاره على احد الازهريين فيبدي له وجه الركاكة النحوية في «ولولا وجوابها» فيحذف البيت كله ويبقي كلمة «نفسي» ثم يستريح من النظم اياما، واذا بالجرائد تنشر نعي احد الوجهاء فيحول القصيدة الى رثاء له ، بعد ان يكون غير فيها وبدل ، ويصير البيت الذي فيه كلمة نفسي هكذا :

ليتها تقبل الفداء المنايا عن جليل فافتديك بنفسي » .

هذا قليل مما كتبه بيرم في مجال التندر على النظم والنظامين ! فقد دبج من المقالات ، وقلد من القصائد ، وحاكى من الشعراء ما دل به على ذوق سليم وفن عال وثقافة محيطة ! ولعلنا نعرض بعد حين الى الجانب النقدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أدب هذا العبقري الفنان ! وان كنا نلاحظ انه يسلك سبيل المبالغة في تصوير ما ينقد ! وهو سبيل الكاريكاتوريين جميعا ، لا سبيله وحده ، اذ انهم يجسمون من المشاهد ما ينطق بمدلوله النقدي الخاص ! لذلك كانت المبالغة في تهكم بيرم احدى مقومات النقد ، ووسيلة الاقناع والامتاع معا !

وقد كتب الرجل مقاله سنة ١٩٢٨ ، وكنا نظن ان مرور نحو اربعين عاما على مقاله مما يجعله حكاية تاريخية تسجل في دراسة التطور الادبي المعاصر ، ولكن الواقع الادبي يدل على ان بعض من يتعاطون الشعر في يومنا هذا لا يزالون يخلطون بين النظم والشعر ، اذ لا يتطرق الى اذهانهم ان يكون الشعر وليد تجربة عميقة او تكون القصيدة ذات وحدة عضوية متماسكة ! وما زالت الجزالة والرصانة وقوة السبك ومتانة القافية هي الهدف الاسمى عندهم ! وكم سمعنا في ندوات القاهرة من مضحك الشعر ومبكيه مما لا يفرق فيه القائل بين قصيدة تقال او خطبة ترتجل ،وكنا نعزي انفسنا بأن حضرات الناظمين لا يزالون شداة مبتدئين ، ولكني بعد كثير من الاستماع السقيم ، هالني ان اجد بعض الفطاحل من الكبراء ، لا يزالون كما وصفهم بيرم التونسي يتكلفون ما لا يحسنون واذا كان الزجال العيقري قد روح عن نفسه بتسجيل نقده التهكمي ، فأنا أحذو حذوه حين أسرد ما وقع الى سمعي منذ أيام ، وهو في جملته نافع مفيد .

أقيمت منذ شهور حفلة تكريمية لكبير مسؤول ، احيل الى المعاش بوزارة التربية والتعليم ودعي الى شهودها مئات المدرسين ومن فوقهم من مختلف محافظات الجمهورية ، وقدمت عشرات القصائد لتقال في حفل التكريم فاختير منها عشر تضاف الى خطب تثرية تشارك في التقدير ! وكان الحفل غاصا بشاهديه . بهيجا بمكانه وزمانه ، ولكن القصائد العشر كادت تكون ـ مع اختيارها الدقيق ـ نسخا متشابهة ، تصلح ان تعد لمن تقدم او تأخر ممن يشغلون وظيفة هذا الكبير ! وهي لا تختلف الا في البحر والقافية ، وتركيب الجمل ، وتنسيق العبارات ، اما المعاني والاخيلة فمتقاربة تقاربا يدل على العقم والامحال اكثر مما يدل على تقارب الثقافة واتحاد المصدر ووحدة العواطف والاحاسيس وقد يعذر الناقد هؤلاء اذا عرف انهم مدرسون او مفتشون يصنعون الشعر دون ان تسيطر عليهم ملكته ! ولكنهم والكارثة هنا ـ لا يعتقدون ذلك في مواهبهم ، فكلهم لدى نفسه شاعر عربي النسج قوي الجزالة متين القافية رائع السبك ، وليس وراء ذلك مدى يبلغه شاعر مجيد ! وقد يقف أحدهم معك ليقول ان بيته الثالث او الرابع مثلا احسن من قول المتنبي او البحتري او ابي تمام في معناه ويفاجئك بأقوال السابقين مما لا نستطيع معه السكوت دون غيظ مكظوم ! ثم يستدرجك بما وسعه الجهد الى الحكم على قصيدته بالروعة والابداع، فان تلكأت قليلا فانت جاهل ان كنت من الخاملين او حاقد ان كنت من النابهين !

تقدم الى منصة القول مفتش كبير كان يأخذ مكانه بجانبي قبل ان يأتيه الدور ، فاستقبل قبل الانشادبعاصفة من التصفيق رجت المكان رجا ، وقد اتضح ان حضرات المصفقين مجموعة كبيرة ممن اسعدهم الحظ بمزاولته التفتيش عليهم في المدارس ، وما كاد يلقي البيت الاول حتى علت صيحات الاستحسان والاستعادة ثم تابع القول في طرب بهيج يبعثه التصفيق المتواصل ، وصيحات الاستعادة المتكررة ، حتى اذا انتهى من قصيدته ورجع الى مكانه بجانبي توافد عليه المعجبون ، يؤكدون احتفاءهم البالغ ، ويكررون ثناءهم الحفيل ، حتى خيل للشاعر أنه ملك ناصية القول ، وانه ـ وحده ـ حلق بسامعيه الى أفق لا ينال ، فبرقت أساريره ، وهز من عطفه والتفت الي يسأل في سعادة :

ـ ولماذا لم تسمعنا شيئا يا أستاذ رجب !

فأجبت في اقتضاب : لقد تركت الشعر يا سيدي !

فقال في انكار ولكنك أخذت جائزة المجمع اللغوي منذ عامين في الشعر ، فكيف تتركه اذن ؟

فأردت التخلص بما يسعف من الرد ، فقلت ،حاولت أن أصنع شيئا فما استطعت !

فاعتدل الرجل في مجلسه ، وقد فرغ المنشدون والقائلون ، وتحلقت كل جماعة حول مائدة ، ثم وجه الي القول على مسمع من بعض الرفاق ، فقال : لا فض فوه . لقد ذكرت ان الشعر قد امتنع عليك ، أما انا فسأدلك على طريقتي في النظم لعلها تفيدك وتهديك !

قال ذلك بصوت مرتفع ، فرأيت الزملاء من الحلقات الاخر يسحبون كراسيهم الى جماعتنا وكأنهم يحرصون على اغتنام فرصة خطيرة ! والشاعر الكبير يتهلل فرحا ، ويوسع لكل قادم ويرسل النظرات ذات اليمين وذات الشمال ، حتى اذا اكتمل العقد بدأ نصائحه الغالية فقال :

لقد كنت صديقا لاستاذنا الكبير علي الجارم رحمه الله ، صاحبته في كثير من روحاته وغدواته ، واخذت منه طريقة النظم .

ثم اتجه بحديثه الي لينبهني من اطراقة حاولت ان اخفي بها ما يشي به وجهي من الملامح ، فتصنعت الاهتمام ، ورفعت رأسي اليه لاسمعه يقول :

« كان الجارم بك رحمه الله أستاذ الشعر في مصر، وكان لا ينظم قصيدة قبل أن يمد يده الى ديوان المتنبي أو ديوان البحتري وقليلا ما كان يقرأ في ديوان ابي تمام ، فيعمد الى قصيدة بعينها فيقرؤها فاحصا واذ ذاك يتصيد لطائف المعاني ، وتنطبع قوافي القصيدة في ذهنه ،ويردد أبياتها بصوت موسيقي ساحر ! ثم يقوم بنزهة خلوية الى بعض الحدائق قبيل العصر ، ويظل متنقلا بين الاغصان والورود حتى يدلف المساء فيرجع الى بيته ، واذ ذاك

يخلع حلته الرسمية ويستعد لحمام دافىء ، ثم يخرج متدثرا ، وقد سكتت اصوات المنزل وآوى الطفل الى فراشه في صمت والطالب الى حجرته في حذر والام الى مضجعها في احتراس ! واذ ذاك يلج الشاعر الكبير حجرة مكتبه وقد أعد عليها وابور القهوة وأقداحها ، ولفائف التبغ أطباقا فوق اطباق ، وفي هداة الليل الساكن يرتفع لهب الموقد في خفوت ، وتنعقد سحائب السجاير في رفق ، ويأخذ الرجل في نظم القصيدة متنقلا من بيت شعر ، الى فنجان قهوة الى لفافة تبغ ! حتى اذا اذن الفجر فرغ الشاعر الملهم من معلقته ، وانكفأ الى مضجعه وقد أتحف العربية بجارمية ممتازة تظل حديث الناس حتى يتحفهم بغيرها عن قريب .

ثم سكت القائل الكبير ! وقد اخذ يتطلع في الوجوه فابتدره احدنا بقوله: هذا هو الجارم! فماذا صنعت انت؟ فأسرع صاحبنا يقول في ابتسامة : وهل أصنع غير ما سنه أستاذنا الجارم، وانا اسكن بحمد الله على شاطىء النيل وبين حدائق الجيزة ، فلا أصل الى منزلي حتى أشافه الاغصان والمياه والازاهير ! وهو أمر كفاني التجوال بين الرياض ! وما كدت ادعى لحفلة التكريم حتى مددت يدي الى الشوقيات ، وفتحت الجزء الثاني مصادفة ، فوقعت على قصيدة شوقي الرائعة في وصف الربيع :

آذار أقبل قم بنا يا صاح حي الربيع حديقة الارواح

فأعجبني البحر وطربت للقافية ، وأخذت أقرأ نشوان متلذذا حتى كررتها عشر مرات (أي والله قال الرجل ذلك) ! ثم طلبت الحمام الدافىء ، فشعرت براحة ونشاط عقب الاستحمام ، واتجهت الى مكتبي ، وقد بسطت صحيفة من الورق جمعت بها قافيات الشوقية مثل « ارواح ، صاح ، أدواح ، متاح ، افراح ، الفتاح رواح ، اتراح شراح» وهكذا، وبذلك كسبت الجولة الاولى ثم تهيأت للنظم فكانت القافية سلمي السريع الى المعنى ، وكانت لفائف التبغ تؤنس وحدتي وتزيل عناء القريحة مضافا اليها أقداح القهوة ! وحين كنت المس بعض الفتور في ذهني كنت أستعيد الشوقية فتفتق المعاني وتتدفق الالفاظ ، وما زلت بين محو واثبات ، ومراجعة ومعاودة حتى تم لي في الليلة الاولى عشرون بيتا فحمدت الله ! وذهبت في الصباح الى التفتيش وانا أفكر في القصيدة، واتذكر مما احفظ قصائد اخرى تتفق في الوزن والروي وكنت امنع نفسي عن التفكير فلا استطيع ، لان الشعر اذا تسلط لا يمنعه احد ولو كانت له مقدرة الجبابرة العمالقة (هكذا) حتى اذا انتهى اليوم ودلف المساء أخذت الحمام الدافىء واستأنفت النظم على نمط الامس ! ففتح الله علي ، ونظمت في الليلة الثانية ثلاثين بيتا اضيفت الى العشرين، فاكتملت خمسين، ثم أخذت اوالي التنقيح والتحوير لفظا مكان لفظ وتشبيها وراء تشبيه ـ مدى ثلاثةايام ـ حتى صقلت القصيدة صقلا حاز ـ بفضل الله ـ اعجاب حضراتكم ، فتابعتم التصفيق !

استمع أكثر الحاضرين الى ما قبل استماع المعجب المرتاح ! ووقع في وهم بعضهم ان اصطحاب الجارم رحمه الله للشاعر المطبوع كان وحده ملهم الوحي وباعث الابداع، فأخذ يتحسر على حياته أن خلت من صحبة شاعر كبير كالجارم اذ لو تم له ذلك ، لكان اليوم من أرباب المعلقات، ولظفر الليلة من التصفيق والاعجاب بما ظفر به المفتش الكبير ! وتأكد هذا المعنى لدى الكثيرين حين قال الرجل في ابتسام متوجها الي بالخطاب ! اسمعت يا رجب كيف لقطت الصنعة من الجارم بك ؟ فعاجله مستمع خبيث بقوله ومين يا سعادة البيه زيك مين ؟

انتهى الحفل ، وانصرفت عنه الى غيره من شؤون الحياة ، ولكن صدى الحديث كان يجلجل في نفسي وكنت السأل في الحيرة اكان الجارم رحمه الله يفعل ذلك حقيقة او ان صاحبه قد روى عنه غير الواقع ، الا اني أجزم بأن ثلاثة ارباع شعر الجارم قد نظم في المناسبات العامة ، وأعد للالقاء في الحفلات ! وكان الشاعر الكبير يخرج بالكلام من موضوع الى موضوع دون مراعاة للوحدة الشعرية باذلا جهده الجهيد في متانة السبك وقوةالقافية، وروعة الديباجة ، ومتبعا طريقة من يدعوهم بالفحول من فرسان المنابر ، واعيان البيان وهو مذهب ذلول يسهل معه الترسم والاحتذاء ..

والمسألة هنا ليست مسألة الاستاذ الجارم ، اذ أنه رحمه الله لم يذكر لنا طريقته المنهجية في الصياغة ولعلها مفتراة عليه في مجموعها ، ولكنها مسألة هؤلاء الذين اقتنعوا بها حين نقلت اليهم ، وعدوها بابا رائعا من ابواب الابداع وطريقا نافعا من طرق الالهام ، وهم بعد أساتذة أدب يشرحون النصوص المدرسية للطالبات والطلاب ؟ وانا اذ أغضبهم بما أقول فسأرضي دون شك صديقي المربي الاديب الاستاذ عبدالجليل صديق فايد الذي أهدي له هذا المقال على صفحات «الاديب» !

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

صدر حديثا بدمشق

رجال للبيع

مجموعة قصصية ذات طابع فني جديد

تأليف ديزي موصللي

ترجمة سعد صائب

في طباعة انيقة بنصيها الفرنسي والعربي



الشلال المغلول

كبلته المطامع بقيودها وأجرته خاضعا لمشيئتها، بعد ان كان
يجري متدفعا كما يشاء وتشاء له امه الطبيعة .

يا فجر خدنك أين ضلا ؟ أطللت انت وما أطلا
هذي حبالك ، ما أراه بها تأرجح او تدلى
ومجامر الاضواء فيك توهجت أرجا وطلا
ما باله لزم السكوت وكنت ان بخرت صلى
مذ كان كنت رفيقة الاعلى وهاديه الاجلا
يجري بنورك في مهاويه فيأمن ان يزلا
ويذيب ضوءك لؤلؤا ويصوغه وردا وفلا
تتجاريان وطالما قصرت في سبق وجلى
جاريته حتى الدجى فوقفت مرتبكا وظلا

يا فجر من خنق اللواء وأغمد السيف المحلى
وأزال اكرم حلية عن عاتق الجبل المعلى
انظر اليه مطأطئا في الارض بعد العز ذلا
قد غص بوق الفجر في فمه وعرش النور ثلا

يا فجر لا تسكب فبعد اليوم كأسك لن تعلا
الكأس حليتها الفناء أدر على نغم والا ...
شاديك غاب وغيض الساقي وخمرك صار خلا
عجبي لوجهك كيف يجرؤ بعد ذلك ان يطلا !

يا فجر ما هذا الوجوم على الطبيعة قد تجلى
أطللت لا غصن أملت لها ولا حركت ظلا
قد بح معزفها الدفوق وساعد العزاف كلا
واللحن كبل في منابعه وفي مجراه غلا
لهفي على شلالها الشادي غدا وترا أشلا
وخلا من الانشاد واديها وشاعرها تخلى
فتعطل الناقوس فوق السفح وانقفل المصلى !

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيخ عبد القادر المغربي

بقلم محمد عبدالغني حسن

ان العروبة في اطارها الكبير الواسع لا تفرق بين الاوطان العربية في مشرق الارض ومغربها . واذا كان شاعرنا احمد شوقي يقول في موشحته عن صقر قريش : اين شرق الارض من اندلس ؟ فنحن اليوم لا نؤمن بالسدود بين البلاد العربية مهما اختلفت بقاعها ، وتباعدت من الارض رقاعها .

أثار في نفسي هذا الخاطر هذه النسبة المغربية في اسم الشيخ عبدالقادر مصطفى المغربي ، فقد كان كثير من اهل زماننا يظنونه مغربي النسب ، مغربي المولد ، بل كان بعضهم يظنه مغربي الاقامة مثل العلماء الاجلاء الطاهر بن عاشور ، وحسن حسني عبدالوهاب ، وعبدالله كنون وعلال الفاسي واضرابهم . ولكن علامتنا الشيخ عبد القادر المغربي مغربي بأصله فقط ، فهو مشرقي المولد ، وكذلك ابوه الشيخ مصطفى المغربي الدرغوثي ، وآباؤه حتى الجد الثالث عبدالرحمن المغربي الذي تولى الافتاء في طرابلس الشام واللاذقية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .

وقد كادت مصادر السير تتفق على ان الشيخ عبد القادر المغربي ولد في طرابلس الشام سنة ١٨٦٧ ، الا مصدرين انفردا وحدهما بأنه ولد في اللاذقية ، والمصدران هما المرحوم الدكتور محمد اسعد طلس ، ونقل عنه الاستاذ سامي الكيالي مد الله في عمره . ولا ادري على اي مرجع عول هذان المصدران ؟ . ومسافة الخلف بين طرابلس الشام واللاذقية كمسافة البعد بينهما هينة يسيرة . ولكن الخلاف في ذاته يعيد الى الاذهان قضية تحقيق اماكن الميلاد والموت ، وتواريخ الولادة والوفيات في تاريخ الادب العربي وفي كتب التراجم والطبقات .. واذا كان الخلاف مقبولا في العصور الماضية البعيدة منا ـ حيث كان الاهتمام بالتسجيل والتقييد لم يبلغ مداه فان وقوع الخلاف في زماننا الحاضر امر مستغرب مع قرب العهد، وتوفر اسباب الضبط .

وقد نشر آل المغربي العلم في طباق الارض ما بين مغرب ومشرق . فقد كان اجداده في تونس وطرابلس الغرب اعلام هداية ، ومنارات علم ، كما كان ابوه واجداده الثلاثة : أحمد وعبدالقادر وعبدالرحمن رجال قضاء وشيوخ فتيا في الشام بمعناها الواسع ما بين طرابلس واللاذقية . بل كان جده عبدالرحمن مفتي طرابلس الشام واللاذقية لمدة خمسة واربعين عاما . وعبدالرحمن هذا هو الذي ترجم له المرادي صاحب « سلك الدرر » في الجزء الثاني من كتابه ، وقال انه سافر الى اسلامبول سبع عشرة مرة ، وتوفي سنة احدى وتسعين ومائة بعد الالف .

لم يكن عبدالقادر المغربي جليس دار ولا قعيد منزل. ولعله ورث هذه الحركة الدائبة وحب الرحلة والنقلة الدائمة ، عن جده الاعلى عبد الرحمن . وكانت نقلته دائما في سبيل العلم والمعرفة والتزود من الطلب . فقد تتلمذ استاذنا عبدالقادر على علامة طرابلس الشام في وقته الشيخ حسين الجسر مؤسس المدرسة الوطنية هناك . فلما عطلت هذه المدرسة ، ونقل الجسر الى بيروت تبعه تلميذه عبدالقادر ونقل تحت نظارته في المدرسة السلطانية ببيروت . وضاقت الشام بآمال عبدالقادر ، فولى وجهه شطر الاستانة ليدخل ـ كما قال في كتابه عن جمال الدين الافغاني ـ في بعض معاهدها الدينية . وكان ذلك في سنة ١٨٩٢ وسنه على أبواب الخامسة والعشرين . وغريب ان يولى المغربي وجهه شطر الاستانة ! الم يكن له في القاهرة بازهرها المعمور بديل من ان يتخذ له وجهة اخرى؟ قد تكون احكام الوراثة هنا فعلت فعلتها . فان اجداده حتى عهد عبدالرحمن كانوا أميل الى عاصمة الخلافة الاسلامية . وما هنا محل للغرابة ، فانهم يرجعون جميعا الى جدهم الاصلي طورغود باشا التركي الذي تولى منصب أمير البحر في تركيا في القرن العاشر . ومن هذا الاسم التركي «طورغود» جاء الاسم العربي درغوث الذي اشتهر به آل المغربي في تونس من زمن بعيد . على ان هناك سببا آخر لرحلة الشيخ عبدالقادر المغربي الى الاستانة ، فقد علم ان المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغاني ينزل بها، وهو محب للافغاني ، قارىء له ، معجب به ، وطالما نسخ بيده اعداد العروة الوثقى كلها من الفها الى يائها لا يخرم حرفا ولا ينقص كلمة ، بعد ان سمع بها وبالسيد جمال الدين من شيخه الآخر في بيروت : الشيخ أحمد عباس الازهري المشهور في الشام بعلمه ووطنيته ، وصاحب الكلية الاسلامية التي اشتهرت باسم كلية الشيخ احمد عباس ، والتي كانت ذات اثر كبير في تربية روح اليقظة العربية الحديثة . ومن هنا قويت في نفس المغربي رغبة ملحة في ان يرى الافغاني حيث هو في عاصمة الخلافة ، ويلقاه ويأخذ عنه ، ويظل في جواره سنة كاملة .

وتعمل عوامل الرحلة والحركة في نفس المغربي ، فما تكاد تصل اليه دعوة من الشيخ محمد عبده الى مصر في سنة ١٩٠٥ حتى يلبيها ، ويشد الرحال الى بلد الاحرار ، وموئل الثوار . وكان الاستاذ الامام قد دبر له وظيفة في دار الافتاء باتفاق مع مصطفى فهمي باشا رئيس الوزارة

---

* القيت في الاحتفال الذي اقامه المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية في قاعة الاحتفالات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، احتفالا بمرور مائة عام على مولد الاستاذ عبد القادر المغربي .

المصرية يومذاك . ولكن الاقدار كانت تهيء للمغربي قدرا آخر غير الوظائف . وللاقدار وسائلها في تغيير الخطط، وتبديل التدبير ، فاذا بالشيخ محمد عبده يموت بعد وصول المغربي الى القاهرة بقليل . واذا الوظيفة المرتقبة لا يتم أمرها . واذا المغربي لا يعدم وسيلة للعمل الصالح المجدي ، فيعمل محررا في جريدة «الظاهر» التي كان يصدرها المحامي محمد بك ابو شادي ، ثم ينتقل بعدها الى جريدة « المؤيد » التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف ، ليشغل المكان الذي كان يشغله فيها الشهيد الزعيم العربي عبدالحميد الزهراوي ، الذي حكم عليه الاتراك سنة ١٩١٦ ، وفي ديوان عاليه العرفي بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم شنقا بدمشق ، وكان ذنب الزهراوي انه نادي بتحرير العرب من النير التركي البغيض ..

وعادت عوامل الرحلة ، ونوازع الحركة تصطرع في نفس المغربي بعد أربع سنوات قضاها في القاهرة ، فعاد الى الشام سنة ١٩٠٩ . ولم تكد تلوح له فرصة السفر الى المدينة المنورة سنة ١٩١٤ حتى قصدها منضما الى الشيخ عبدالعزيز شاويش والامير شكيب ارسلان للاشتراك في انشاء كلية اسلامية سمتها الحكومة العثمانية «معهد دار الفنون» . ولاحت للمغربي فرصة اخرى للسفر الى القدس سنة ١٩١٥ ، والحرب العالمية الاولى في ثاني اعوامها ، للاشتراك في تأسيس « الكلية الصلاحية» وتنظيم شؤونها والتدريس فيها . وكان شريكاه في هذه المرة ايضا الامير شكيب ارسلان والشيخ عبدالعزيز شاويش . وكان هؤلاء الثلاثة ـ احقاقا للحق ـ مع قلة غيرهم من المسلمين ، لا يزالون يحدون في الخلافة العثمانية حينذاك بقية من امل في لم شتات الامة الاسلامية .

وظل المغربي يشتغل بالتدريس في الكلية الصلاحية بالقدس عاما وبعض عام .وكان مديرا لتحرير جريدة الشرق . ولما عين المغربي عضوا بمجمع اللغة العربيةبمصر سنة ١٩٣٣ صار جسمه موزعا بين القاهرة ودمشق ، فهو حريص كل الحرص على شهود جلسات المجمع القاهري في شتاء كل عام ، كما كان حريصا على اداء واجبه في المجمع العلمي العربي بدمشق ، منذ انتخب عضوا عاملا سنة ١٩١٩ الى ان لقي وجه ربه الكريم .

لعل ما يميز حركة المغربي ونشاطه ان جهوده لم تنحصر في دائرة واحدة ، فهو رجل متعدد النواحي في اصلاحه وكفاحه . لقد وزع جهوده الدائبة في مجالات شتى ، وفرق نشاطه الجم على ميادين مختلفة . ومن توفيق الله له ومناصرته اياه ان توزيع الجهود لم يعطل طاقاته ، ولم يشتت قواه ، ولم يزحم حيويته . وكأنما كان يقسم بالسوية بين تلك الميادين ، حتى لا يجورميدان على صاحبه . فله جهود في الدين ، وجهود في السياسة، وجهود في الاصلاح الاجتماعي ، وجهود في التربية والتعليم ، وجهود في اللغة العربية واثرائها عن طريق تعريب الالفاظ والاساليب ، وله جهود في تحقيق الكتب ونشر القديم المفيد من التراث العربي ، وله جهود في الصحافة الادبية والسياسية على السواء . وله جهود في نقد الكتب والتعريف بها .

وتتسم جهود المغربي في تلك الميادين بالنظر الواسع، والفكر المتحرر ، والعقل الحر المتزن ، الذي لا يتشبث بقديم لقدمه ، ولا يندفع نحو جديد لجدته ، ولكنه يأخذ منهما خير ما ينفع الناس وينفع امته على وجه الخصوص. ومن هذه العقلية المتحررة المتنورة استطاع خصوم الشيخ عبدالقادرالمغربي ان يجدوا منفذا الى الطعن فيه ،والتشهير به ، واتهامه بالكفر والمروق ، كما اتهم من قبل استاذاه الافغاني ومحمد عبده ، وكما اتهم قبلهم كثير من زعماء الاصلاح ودعاة التجديد وحرية الفكر في الاسلام .

ولم يكن من المعقول لرجل متحرر ، وشيخ متنور مثل المغربي ان تمر حركة تحرير المراة التي دعا اليها قاسم امين دون ان يصيب الشيخ شواظ من نارها . فقد كتب البحوث العديدة ، ونشر الرسائل الضافية يناصر حركة التحرير ، ويهاجم الحجاب الكثيف المعروف ، ويقرر انه لم يكن مما شرعه الاسلام ، وانما حدث بحدوث ضعف الوازع الديني في النفوس .وظل المغربي من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١١ يناصر في مصر وفي الشام حركة السفور الشرعي في منطق قوي ، وفي حجة بالغة ، مما اثار عليه الجامدين ، والب عليه المتزمتين ، فحملوا عليه حملات شديدة ، ولكنه صبر لهم ، وثبت امامهم ،وتشبث بالصيال في معركة دقيقة شائكة ، تنزلق اليها التهم ، وتزلق فيها القدم . ولا تزال مقالات المغربي في مجلات وجرائد المؤيد ، والعلم المصري ، والهداية ، والمفيد ، والمقتبس وغيرها من صحف مصر والشام تحمل من صميم المعركة وآثارها ما يجب على كل مؤرخ لحركةتحرير المراة الا يفوته الرجوع اليه .

واذا كان الشيخ مصطفى المغربي ـ والد صاحبنا ـ قد اراد لولده ان يكون فقيها محافظا يقف عند النصوص ولا يناقشها ، فان الله قد أراد لهذا الابن ان يكونمجتهدا، وان يحمل على الجمود بكل ما يملك من قوة.وله في ذلك عبارات منها : (يحاول قوم من الجامدين ان يأخذوا اولئك المتنورين بالتقليد الاعمى ، وان يحملوهم على الاذعان والتصديق بمجرد نقل النصوص ، وسرد اقوال المتفقهين . ولكن محاولة هذا منهم هي مقاومة الطبيعة. والنجاح في امر مقاومتها امر مستحيل . عقل حر في نفسه ، حر في تربيته ، حر في حكومته ، حر في عصره، حر في الوسط الذي يعيش فيه ، تكلفه ان يقلد غيره تقليدا اعمى ؟ اللهم ان هذا تكليف بما لا يطاق ...)

ولقد جنت هذه الحرية الفكرية على الشيخ المغربي كما جنت على غيره من احرار الفكر . ولكنها الجناية التي يلقاها الاحرار باسمين صابرين ، ويلجأ اليها الحاكم المستبد حين يعز عليه ان يواجه ومضات العقول بومضات العقول ... فقد لجأت حكومة السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٥ الى اضطهاد الاحرار ، والى سجن اصحاب الاقلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والافكار . وكان الشيخ عبد القادر المغربي ممن تشرف السجن بهم .

ومن عجب ان خليل باشا البكدشلي والي بيروت يومذاك قد ذهب بنفسه الى طرابلس ليعتقل الشيخ بيديه ،مما يكون له زلفى عند سلطانه الجائر عبدالحميد.. وأخذ الوالي معه الشيخ المغربي ليكون رهين الحبس لبضعة من الشهور .وكان مما اخذه اعوان السلطان عبد الحميد على الشيخ عبدالقادر المغربي صراحته في نقد السياسة الداخلية لهذا الطاغية . وكان المغربي قد نظم ابياتا حين بلغه انفاق السلطان اموالا طائلة على بناء قبر وضريح لوالد مستشاره الداهية الشيخ ابي الهدى الصيادي الحلبي الاصل ، في الوقت الذي يضن فيه عظمته على مشروعات الاصلاح في البلاد ويهمل مصالح المسلمين . ولعل جاسوسا من جواسيس عبدالحميد قد نقل اليه هذه الابيات التي يقول فيها المغربي فيما قاله من شعر :

بلغ امير المؤمنين نصيحة تبغي القبول ، ولا تريد ثوابا
قبر تعمره ببدرة عسجد وتعيد عمران البلاد خرابا
تكسو الدعي الحلة البيضاء اذ تكسو الشعوب من السواد ثيابا

ومما يؤكد وضوح النزعة الاصلاحية عند المغربي انه شرع قلمه في سنة ١٩٠٦ وفي جريدة المؤيد ليكتب سلسلة من المقالات والدراسات في سبيل الدعوة الى اصلاح الازهر على الرغم من انه لم يتعلم فيه . وقد تأثر في هذه النزعة بأستاذه الشيخ محمد عبده . فكان بذلك من الرواد الذين لهم راي في تاريخ اصلاح هذه الجامعة الاسلامية العتيقة . على انه في الوقت نفسه لم تنسه دعوة الاصلاح في الازهر ان يدعو بحرارة وحماسة الى انشاء « الكلية المصرية » او الجامعة المصرية ، حين بلغه ان جماعة من المغرضين يعملون على تثبيط همة القائمين بمشروعها . فقد رأى في قيام تلك الجامعة سبيلا الى الاخذ بالاساليب الجديدة التي لم يستطع الازهر حينذاك ان يأخذ بها .

أما جهود المغربي في اللغة فتبدو اكثر وضوحا في دعوته الصريحة الدائمة الى فتح باب التعريب ، منذ الف كتابه الاشتقاق والتعريب في سنة ١٩٠٨ وأهدى النسخة الاولى منه الى سعد زغلول الذي كان وزيرا للمعارف في ذلك الحين ، ولم يكتف المغربي بالدعوة الى تعريب الكلمات بل دعا الى تعريب الاساليب ، وكان مما قاله في ذلك جملته المأثورة : (ان كلا من تعريب الاساليب وتعريب الكلمات امر طبيعي في لغات البشر ، يتعذر تجنبه والاحتراز منه ، بل ان العناية الالهية التي جعلت لتفرق بذور النباتات نواميس تساعد على نموها وبقاء جنسها ، كذلك هي جعلت للغات نواميس تساعد على نموها وتكاثر تعابيرها) .

ولم يدع المغربي ميدان تحقيق الكتب دون ان يدخله، ففي سنة ١٣٤٤ ـ سنة ١٩٢٥ حقق كتاب «التنمية على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا من رجال القرن العاشر الهجري ، وألحق المحقق بالنص المحقق رسالة جليلة كتبها في موضوع طريف عنوانه : «اللغة العربية في دولة الترك العثمانيين . وفي سنة ١٣٦٧ ـ سنة١٩٤٨ حقق القصيدة التائية التصوفية لعامر بن عامر البصري نشرها له المعهد الفرنسي بدمشق . ولم يكتف المغربي بشرح التائية والتعليق عليها وتحقيق نصها ، بل صنع لها مقدمة طويلة نفيسة . ومما نذكره عن عامر البصري هذا انه من حكماء العرب المسلمين ومتصوفتهم في القرن الثامن الهجري ، وانه عارض بتائيته هذه تائية عمر بن الفارض .

ويبدو حب المغربي لمناقشته المسائل وتمحيصها من هذا الخبر الخاص بكتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه.. فقد كتب اليه العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا يقول له : ان هذه الرسالة لابن كمال باشا ، وانه لا شبهة في ذلك . فيرد عليه المغربي قائلا : أما انا فأقول ان لدي بعض الشبهة . ثم يمضي رحمه الله في ذكر الاسباب التي تحمله على ذلك .

لقد غيب بطن الارض في عام ١٩٥٦ الذي توفي فيه الشيخ عبدالقادر المغربي طائفة كريمة من الاعلام الذين خدموا الفكر العربي واللغة العربية وآدابها ، منهم المعمر ، ومنهم غير المعمر . فمن غير المعمرين الدكتور محمد حسين هيكل ، والشيخ عبدالوهاب خلاف وعبدالحميد العبادي من اعضاء مجمعنا الراحلين . ومن المعمرين الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقد عاش ٧٧ عاما ، والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف الباحث العالم المؤرخ وعضو مجمع دمشق ايضا ، وقد عاش سبعة وثمانين عاما . والكونت فيليب نصر الله طرازي صاحب موسوعة تاريخ الصحافة العربية وقدعاش واحدا وتسعين عاما. والمستشرق الالماني كارل بروكلمان وقد عاش ٨٨ عاما ، والمؤرخ الحضاري جورج سارطون صاحب تاريخ العلم ومنصف الفكر العربي ، وقد عاش اثنين وسبعين عاما ، على ان المغربي نفسه قد عاش قريبا من التسعين عاما ، فكان بذلك ثاني المعمرين في هذه الحفنة الكريمة الراحلة ، وبهذا انطبق عليه وعلى رفاقه في تاريخ الوفاة وفي طول العمر ، ما جاء في الاثر :خيركم من طال عمره وحسن عمله .

ومن الموافقات السعيدة ايضا ان حفنة كريمةاخرى من الاعلام قد ولدوا في العام الذي ولد فيه الشيخ عبد القادر المغربي اعني سنة ١٨٦٧ م المقابلة لسنة ١٢٨٤ هـ. ومنهم العالم المحقق احمد زكي باشا ، والزعيم المصابر محمد بك فريد ، والمصلح المجاهد عبدالعزيز شاويش ، والشاعر الرقيق الشيخ نجيب الحداد ، والكاتب الصحافي عبده بدران .

ولا شك انهم خالدون في ضميرنا وفي ضمير الزمان ، الذي لا يجوز عليه اغفال ولا نسيان .

القاهرة **محمد عبدالغني حسن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنـان الـلوز

فؤاد الخشـــن



ازهر اللوز ... ايا غائبة
عن جنـان اللوز
في تلـك المدينه !
كل نجم ههنا ... منفرط
تارك ، من قسوة الريح ، غصونه
خاله لؤلؤ عينيك
الذي رحت في يوم التنائي
تنثرينـــه
القا ... يهمي على منديله
راعشا ... فجر بالدمع جفونه !
هو في وحدته مستسلم
للشرود الحلـو ...
في هذه السكينه
يتمنى ضم خصر طيـع
كـم تشهـى
زنده الملهوف لينـه !
جـوه ندف ثلوج ترتمي
باتئـاد .. تشرب العين فتونه
وغصـون مائـــدات
زررت
في المدى الرحب
بماسـات ثمينه
خافقـات كقناديل ...
طفت في غديـر
يفتح الفجر عيونـه !
او ريـاش ...
نتفـت مـن طائـر
وفراش أيقظ الزهر حنينه !

يسكب اللـوز
دمـوع الشـوق
في موطـن اللـوز اسى !
اذ تهجرينـه
وكذا الصفصاف يجثو
لهفـا للقـــاءات ...
وتذوي يا سمينه

هل تعودين
ايا عشتـاره ؟
ليعـود الريـف
خصبا ... ولدونـه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبقة من الشعراء لدى محمد بن سلام

بقلم الدكتور علي جواد الطاهـر

* * *

سمى محمد بن سلام (المتوفي عام ٢٣٢) كتابه « طبقات الشعراء » ، والتسمية وجيهة لها ما يسوغها من خطة الكتاب ومنهجه : انه قائم على الطبقة .

ولم يكن ابن سلام مكتشفا لكلمة «الطبقية» وانما استعملها كانها امر معروف مألوف ليس به حاجة الى تبيين او توضيح ، ولا غرو ، فقد عرف عصره طبقات الصحابة وطبقات المحدثين ... والفقهاء... والنحاة ... والفرسان (١) .

والحقيقة ان (اختراع) الطبقة والطبقات ليس بالامر الهين ، او بالظاهرة الطارئة ، وانما هو حدث حضاري يدل على وجود اناس يديمون النظر ويبحثون في الاشباه والنظائر ، ويتأملون ، ويصنفون بهدوء العلماء في جو من الاستقرار والتجرد ، وكان هذا كائنا في عصر محمد بن سلام ، وقبله كذلك .

كانت « الطبقة » ـ وظلت طويلا ـ مرتبطة بالزمن ، فاذا قلت الطبقة الاولى من الصحابة ، كان كلامك يعني الطبقة الاسبق الى الاسلام ممن يليها ، واذا قلت الاولى من النحاة ، قصدت الى الطبقة التي سبقت الطبقة الثانية زمنا ... وهكذا ..

ولعلهم قالوا : طبقات الشعراء او الطبقة الاولى من الشعراء.. وهم يربطون الاستعمال بالزمن .

ان التقسيم على أساس الزمن اسهل مما سواه ، وقد اقتضته ضرورة التفسير والحديث .. واللغة ، أما في الشعر فالزمن يمكن ان يكون عاملا خارجيا لا ينفذ الى صميم التجويد .

اما محمد بن سلام فاستعمل « الطبقة » و«الطبقات» لدلالة فنية جمالية دون ان يجعل الزمن عاملا أساسيا ، وقد يكون مسبوقا ـ بوجه من الوجوه ـ الى هذا الاستعمال (٢) ولكنه يظل من المبكرين فيه ، وقد يكون الاول في ادامة النظر فيه والتوسع به واتخاذه أساسا لتاليف كتاب .وكانه احس بجدة هذا المعنى الذي تحمله كلمة الطبقة في عمله ، او احس بغموضه لدى السامع والقارىء فرأى نفسه ملزما في توضيحه فقال وهو يقدم الشعراء الجاهليين « ... اقتصرنا من الفحول المشهورين على اربعين شاعرا ، فالفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط متكافئين معتدلين » (٣) . ولا بد من ان يكون استعمال كلمة «طبقة» في مثل هذه الحالة مرحلة جديدة في تاريخ اللفظة وتطورها (٤) .

وهكذا كان محمد بن سلام منهجيا في عمله : نظر فادام النظر ، وجمع المواد فاطال الجمع ، ثم مخض الحاصل لديه فاخرج الشوائب وما لا يمت لصميم عمله بصلة ، ولم يبق من الكثير الا اربعون شاعرا هم «الفحول» بين من سواهم وتجمعهم صفة هي «الفحولة» .

ثم نظر في هؤلاء الاربعين ، او بمعنى ادق ، نظر في شعرهم وعني ـ اكثر ما عني ـ بالجانب الجيد والصفة البارزة ، وجمع بين «المتقاربين» في مستوى التجويد فكانت لديه عشر مجموعات جعلها طبقات.

ومن هنا جاء المكان البارز الذي يشغله محمد بن سلام في الكلام على طبقات الشعراء (٥) .

وكنا نود لو انه شرح لنا معنى الفحولة وبين مدلول التشابه فيها ، ولكنا لم نعثر على شيء من هذا ، ولعله شرح وبين في الصفحات التي لم تصل الينا من مقدمة كتابه ، وطبيعي ان تعني الفحولة ، في أبسط الدلالات : التمكن في اعراب ذوي المواهب عن خلجات نفوسهم شعرا ، وهي ـ ان شئت ـ ما نسميه اليوم : الاصالة .

وقد فسرها الاصمعي فقال « الفحل من الشعراء» «من له مزية على غيره » (٦) .

ومعنى هذا أن التشابه لا يدل على اتفاق أربعة شعراء في معنى أو غرض او تيار او مدرسة او أي شيء من ذلك.لان التشابه لدى ابن سلام ان يكون اختلافا في هذا اولى من ان يكون اتفاقا ، والا فكيف يمكن ان نجمع اربعة كل واحد منهم له مزية على غيره ونسمي ذلك تشابها ، كيف نجمع امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى والاعشى وندعي انهم متشابهون ، وهم متخالفون ، وجد متخالفين ، يدل على ذلك اختلاف أحكام الناس عليهم ، فعلماء البصرة يقدمون امرأ القيس واهل الكوفة يقدمون الاعشى واهل الحجاز يقدمون زهيرا ، ويذكر كل حزب حججا في الدفاع عن رأيه غير حجج الآخر ، ويشيد من صاحبه بصفات ليست لغيره (٧) ، ان اجتماع الشعراء الاربعة اجتماع جوهر ، وليس اجتماع عرض (٨) .

وعلى هذا يكون الاساس المهم الذي بنى عليه ابن سلام عمله هو : التشابه .وهو أساس فني صرف ينبثق من صميم الشعر وطبيعته دون نظر يذكر الى زمان او مكان او موضوع او قبيلة ، انه ينظر في الشعر نفسه مجردا ، كيف يتشابه في الفحولة ، والى اية درجة ، وكلما تقارب فيها اربعة شعراء كون منهم طبقة ... وهكذا ، ثم تأتي الاشياء الاخرى لدى الكلام على كل شاعر منفردا ضمن طبقته .

وقد يكون هذا الاساس ذاتيا ، وقد نناقش صاحبه في وسيلته لتعيين الدرجة ، لان المسالة ليست مسالة مادية ، ولا يوجد «مقياس» خاص للشاعرية ، الى ما هنالك من اسئلة يمكن ان تثار بحسن نية حينا ، وبسوء نية حينا آخر .

ولكن ابن سلام لم يبد «طائشا» متعصبا جاهلا فنشتد معه في الحساب او نمعن في السخرية ، وانما كان عالما رصينا متانيا ، يصل الى النتائج بالاستقراء والاستئناس بآراء الآخرين والاستعانة بأحكامهم، حتى ليمكن ان يقال انه موضوعي في ذاتيته .

واذا ، فالمقصود ، بالتشابه ان يقترب الشعراء الاربعة في درجة القوة في التعبير أي في الشاعرية . ولو كان معنى التشابه غير ذلك لرأينا الشعراء الاربعة ، يجمعون لامر خارجي ، ولرأينا الابيات التي تذكر لهم خاضعة لجامع المظهر الخارجي ، ولما رأينا زهيرا الى جوار امرىء القيس في أية حال من الاحوال .

اجل ، ان التشابه في الفحولة هو الاساس المهم ـ ان لم يكن الوحيد الجدير بالعناية في منهج ابن سلام وهو أصعب مما سواه تحقيقا ، وأعسر بلوغا ، وأبقى في النقاش الفلسفي من أي اساس آخر وأي تشابه .

ويتصل بأساس التشابه هذا اساس الكثرة (مع الجودة) ، وهذا واضح في مثل قوله وهو يتكلم على الطبقة الرابعة من الشعراء الجاهليين : «هم اربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الاوائل ، وانما اخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة ... فأما طرفة فأشعر الناس واحدة» (٩) .وقوله «كان الاسود شاعرا فحلا» ... وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي : «نام الخلي وما احس رقادي» وله شعر كثير جيد ، ولا كهذه ... (١٠) ، وعن الطبقة السابعة » في أشعارهم قلة فذاك الذي أخرهم » (١١) .

وقد يبتسم من يسمع باتخاذ الكمية اساسا في التفضيل ، وقد يعلق بتعليقات تحمل معاني السخرية ، ولكن الواقع لا يؤيد الابتسام ، ويشجب السخرية،فكل شعراء العالم الكبار (الفحول) يتميزون بالوفرة. وكل ما في الامر ان نشترط الجودة مع الكثرة ، وهذا ما تنبه اليه ابن سلام ـ كما رأينا (١٢) .

والواقع ان ابن سلام جاد في عمله متأن في تصنيفه رصين في مجلسه .وهو لم يغلب الكثرة ـ كما يرى الدكتور مندور (١٣) وآخرون.

وقد يكون أهم ما يلاحظ على نظام ابن سلام الطبقي جعله كل طبقة «اربعة رهط متكافئين معتدلين».فكيف تم هذا البناء الرباعي ، هل هناك قصد سابق لجعل الشعراء كذلك ، او هو تأثر بأمر من معرفة ومعتقد وفلسفة ومنطق ؟لم هذا التكافؤ والاعتدال ؟ وكيف تم ؟ انه ليبدو مقصودا اكثر منه طبيعيا.لم لم تكن طبقة اربعة رهط وأخرى ثلاثة وأخرى خمسة ...؟

ان المرء ليحس ازاء تصنيف ابن سلام هذا بشيء من العمليات الرياضية ، يضعف المعنى الادبي ويدعو الى التكلف بادخال فلان في غير طبقته اكمالا للاربعة ، واخراج فلان من طبقته ابقاء على الاربعة .

أجل ، انه ضرب من تحكيم المنطق اكثر مما يجب ، فقد يكون الانسب ان تتألف الطبقة الاولى من ثلاثة شعراء هم : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير ، ويؤخر الاعشى الى طبقة اخرى وقد يبدو لبيد مؤخرا اكثر من اللازم اذ جيء به الرابع من الطبقة الثالثة وقدم عليه ـ فيمن قدم ـ بشر بن ابي خازم وكعب بن زهير . ويبدو عبيد بن الابرص وعدي بن زيد غير متجانسين ـ فحولة ـ مع طرفة في الطبقة الرابعة ، او قد يبدو مناسبا ان تتكون طبقة خاصة من الاعشى والحطيئة ولبيد يمكن ان تكون الثانية ، بعد ان جاءوا في كتاب ابن سلام « الروابع » من ثلاث الطبقات الاولى .

هذه ملاحظة ، مجرد ملاحظة ، لاننا بعيدون عن عصر المؤلف ، وبعيدون عن أحكامه ولا نملك المادة التي تهيأت له . ولكنا ، نبقى ـ مع ذلك ـ مستغربين التزام تاليف كل طبقة من الطبقات العشر من اربعة شعراء دون زيادة في العدد او نقصان ، ان هذا الالتزام يجر الى التعمل ويجور على الحقيقة ، وقد أحس بهذا ابن سلام قبل غيره ، فانه عندما بدأ يصنف حسب الفحولة ـ برأيه ـ اجتمع لديه خمسة نظراء ، هم : امرؤ القيس ، زهير ، النابغة ، الاعشى ، اوس حجر ، ولكنه لم يجمعهم في طبقة واحدة ، وانما جعل الاربعة المتقدمين طبقة ـ هي الطبقة الاولى ، ونقل أوس الى رأس الطبقة الثانية قائلا : «أوس نظير الاربعة المتقدمين الا انا اقتصرنا في الطبقات على اربعة رهط (١٤) » .

ونستطيع ان نساله ـ بكل بساطة ـ ومن الذي ألزمك بهذا ؟ وما ذنب أوس ؟ ألم يذهب ضحية هذا التكلف أوس آخر ؟ أما كان الاولى ان تعدل مقياسك؟

وناتي الى طبقات الشعراء الاسلاميين فاذا هي عشر كذلك ، فكيف تم ذلك ؟ ولم لم تكن تسعا او احدى عشرة ؟ ان كل طبقة اربعة رهط متكافئين معتدلين .

فكيف ولم؟؟ اننا لا يمكن ان نعزو الى المصادفة هذا التقسيم الذي التزمه المؤلف وألح عليه ، انه منطقا اكثر منه واقعا ، وانه رياضة اكثر منه أدبا .

ومعقول مألوف ان يجمع جرير والفرزدق والاخطل في طبقة لتقاربهم في درجة الفحولة وتشابههم في المدى الذي يقطعونه كلا في ميدانه ، ولكن المؤلف ـ وقد التزم ان يجعل كل طبقة شعراء اربعة ـ زاد عليهم الراعي ، خضوعا للمقياس ليس غير !

وكأنه احس بشيء من التكلف فقال « اختلف الناس فيهم اشد الاختلاف واكثره . وعامة الاختلاف او كله في الثلاثة ومن خالف في الراعي قليل ، كأنه آخرهم عند العامة (١٥) ».

ومما يستغرب لدى استعراض الشعراء الاسلاميين غياب شعراء معروفين مشهورين مجيدين مثل عمر بن أبي ربيعة والكميت بن زيد ، ودخول شاعر جاهلي مثل بشامة بن الغدير (١٦) .

وقد يدل هذا ـ فيما يدل ـ على اضطراب في النسخة التي وصلت الينا من «طبقات الشعراء» . وشيء آخر يذكر ـ لدى ذكر النسخة التي وصلت الينا ـ انها فصلت بين طبقات الجاهليين وطبقات الاسلاميين بفاصل غير قصير فيه اصحاب المراثي ـ وهم اربعة ، وشعراء القرى العربية ، وشعراء اليهود ـ ولم يلتزم في تصنيفهم النظام الرباعي .

اما توالي كل اربعة شعراء ضمن طبقتهم فالمفروض فيه ان يكون على أساس البدء بالاشعر ، او بمن هو الاول بين جماعته ، ويبدو ان هذا هو الذي حدث لدى التحقيق فكان امرؤ القيس رأس الطبقة الاولى، وصحيح أنه نظير الثلاثة الآخرين ، وان كل واحد من الاربعة له ميزة خاصة به تجعله الاول فيها ، ولكن الذي حدث انه قدم عليهم ، فلماذا ؟ لا بد من ان يكون الاول بين المتمايزين . وقل مثل ذلك في الطبقات الاخرى ، ولنا دليل قريب هو الذي جعل المؤلف بمقتضاه أوسا بدءا للطبقة الثانية ولولا قربه من الاولى وتقدمه على الثلاثة الآخرين من الطبقة الثانية لما وضعه ابن سلام حيث وضعه .

هذا هو المفروض وهو الذي يبدو واقعا ، ولكن ابن سلام نفسه يبعدنا عنه ويحاول ان يقنعنا بانه لم يفاضل بين الاربعة ولم يقصد الى ان المذكور اولا هو أولهم وأفضلهم فقال «وليس تبدئتنا واحدا في الكتاب نحكم له ، ولا بد من مبتدا (١٧) ، كأنه يدفع امرا او يدافع عن أمر .

أما نهجه في الكلام على كل شاعر فقد شرحه واضحا في مقدمته «فصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم ، واحتجبنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء .

وقد اختلف الناس والرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ في كلام العرب ، والعلم بالعربية ، اذ اختلف الرواة، فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر باهوائها ، ولا يقنع الناس مع ذلك الا الرواية عمن تقدم (١٨) .

« ... وسنسوق في اختلافهم واتفاقهم ونسمي الاربعة ... ونذر من شعرهم الابيات التي تكون في الحديث والمعنى (١٩) » .

وقد التزم ابن سلام منهجه تمام الالتزام حتى جار ذلك على ظهور شخصية وحرمنا كثيرا من آرائه الخاصة وجعله راوية اكثر منه ناقدا .

لم يأت ـ في حدود علمنا ـ بعد محمد بن سلام من نهج نهجه والف تأليفه .واذا نظرنا في الذي وصل الينا من الكتب رأينا كتابين هما : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) ، « وطبقات الشعراء» لابن المعتز (المقتول سنة ٢٩٦ هـ) ، وهما على غير المعنى الذي سار عليه محمد بن سلام ، ولا صلة لهما بموضوع «الطبقة» وبالمعنى الفني الذي التزمه ، بل ان نهجهما يكاد يخلو من الدلالة الفنية في التصنيف ، وكأنهما لم يديما النظر في مجموع المادة المنكونة لديهما ولم يأخذا انفسهما بمراعاة الاشياء والنظائر ولم يحملاها على التأمل الذي يفضي الى التبويب الفني .

سمي كتاب ابن قتيبة «طبقات الشعراء» في طبعة ليدن ، وفي فهرس مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة (والفهرس مخطوط ، رقم الكتاب عليه ١٤٠ وعدد اوراقه ١٢٤) .

ووردت في مقدمته أشياء مما ورد في كتاب محمد بن سلام دون ان ينص على المصدر او ان يذكر اسم محمد بن سلام (٢٠) ووردت كلمة «طبقة» في الاسطر الاولى من المقدمة : «هذا كتاب ألفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم واقدارهم واحوالهم في اشعارهم ، وقبائلهم ...وما أخذته العلماء عليهم ... واخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها...»، وقد أعاد في المقدمة نفسها كلمة «أقسام الشعر» بما يوضح المقصود بها والمطلوب منها ، ولكنه لم يعد كلمة «طبقات الشعراء» ولم يشر الى مدلول الكلمة عنده .

ثم وردت كلمة «طبقة» في المقدمة نفسها متصلة بالشعراء غير

المشهورين ، ووردت «طبقات الشعراء» كأنها تعني عداد الشعراء .

انك تنظر في طول الكتاب وعرضه فلا تجد أي بناء يقوم على أساس «الطبقة» بالمعنى الذي سار عليه ابن سلام ولا بأي معنى من المعاني المتصلة به .

اما كتاب ابن المعتز ، فعلى الرغم من اضطراب ورد في تعيين اسمه ، فان المعقول فيه ان يكون «طبقات الشعراء» أي طبقات الشعراء المحدثين ، لان المؤلف لم يتحدث فيه الا عن محدثين ، وتبحث عن الداعي الى وجود كلمة «طبقات» في العنوان فلا تجده بيننا ، لان الكتاب لا يقوم على اساس الطبقة بمعنى من المعاني المعروفة ، وانما هو سرد للاخبار ومختار للاشعار كأنه يستدرك على ابن قتيبة في الشعراء المحدثين ويذيل عليه .

اذا لم هذه التسمية ؟ لا ندري.ومما جاء في مقدمة الكتاب :

« تأملت فخطر علي الخاطر في بعض الافكار أن اذكر في نسخة ما وضعته الشعراء من الاشعار في مدح الخلفاء والوزراء والامراء من بني العباس، ليكون مذكورا عند الناس ، متابعا لما ألفه ابن نجيم قبلي بكتابه المسمى « بطبقات الشعراء الثقات » مستعينا بالله المسهل الحاجات وسميته « طبقات الشعراء المتكلمين من الادباء المتقدمين .. »

وليس في هذا ما يعنينا على تحقيق بغيتنا.ثم من ابن نجيم هذا؟ يتفق المحققان اللذان نشرا الكتاب متباعدين في الزمان والمكان على زيف المقدمة .وهذا يزيد المسألة تعقيدا ، وانهما لا يعترفان بوجود ابن نجيم ، ويريان أنه تحريف عن «ابن المنجم» ـ وليس بين ابناء المنجم من ألف كتابا باسم «طبقات الشعراء» نصا (٢١) .

ان كتاب ابن قتيبة وكتاب ابن المعتز ليسا كتابي طبقات ، وليس هناك داع لذكرهما كلما ذكر « طبقات الشعراء» . ان لمح الحس الزمني في تسلسل الاسماءالواردة او في مجموعة من الاسماء لا يكفي في هذا ، وهو يقرب الكتابين الى ان يكونا من كتب التاريخ الادبي . أما كتاب محمد بن سلام فلم يكن كتاب تاريخ.

والذين ذكروا كتاب محمد بنسلام في «طبقات الشعراء» واكبروه وأفادوا منه كثيرون ...ولكنا لم نجد بين هؤلاء الكثيرين من استوعب مدلول الطبقة فيه ، ولا من دل على ان المدلول اكتسب قوة على مر الزمن فأصبح اصطلاحا وحال دون التخبط في استعمال الكلمة . ان ابن رشيق (المتوفي سنة ٤٥٦) ـ وهو الاديب الناقد العارف بكتاب محمد بن سلام ، المستفيد منه ـ يقول في باب الشعر والشعراء من كتابه : «العمدة في محاسن الشعر ونقده» : «طبقات الشعراء اربع : جاهلي قديم ومخضرم ... واسلامي ومحدث ، ثم صار المحدثون طبقات اولى وثانية على التدريج ، وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا (٢٢) كان الطبقة مسألة زمنية ليس غير ، وكان محمد بن سلام لم يكن .

وحاول ابن رشيق ان يحفظ لنا محاولة في عمل طبقات للمحدثين فقال : « ... ومن طبقة بشار مروان ابن ابي حفصة وابو دلامة ... والسيد الحميري وسلم الخاسر ... ومن طبقة ابي نواس : العباس بن الاخضر ومسلم بن الوليد...والفضل الرقاشي وأبان اللاحقي وابو الشيص، والحسين بن الضحاك...ودعبل...وأما طبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة ... وأما المتنبي فلم يذكر معه شاعر الا ابو فراس وحده ...» (٢٣) .

ولا نلمح ـ اليوم ـ سرا للتصنيف على هذا المذهب ، وقد يكون العامل الزمني أساسا فيه ، اي عامل سن الشاعر ، ولكنا لا نرى عاملا فنيا ، ولو تأخر عصر ابن سلام وتصدى لتصنيف المحدثين لعمل شيئا مخالفا كل المخالفة ، ولكان المنتظر ان تتكون الطبقة الاولى لديه من الرؤوس من كل طبقة : بشار ، ابو نواس ، حبيب ، المتنبي ، ولعله كان بدأ بالمتنبي .

ولكن محمد بن سلام لم يتصد للمحدثين ولم يعمل على تصنيفهم أو افراد قسم ثالث لهم من كتابه .ولم يكن موقفه مستغربا جدا ، ويمكنك ان تذكر لذلك الموقف اكثر من سبب ، وتصف ابن سلام باكثر من صفة ، فتقول انه كان راوية غايته بمن سبق عصره ، وكان يتزمت في امر اللغة ويقف لدى الاستشهاد عند الاسلاميين ، وتضيف الى ذلك ان المحدثين في عصره لم يكونوا ـ اذ ألف كتابه ـ قد بلغوا من توطد المكانة ما بلغها السابقون عليهم ، ولم يكن الرأي فيهم قد استقر ، ولم يكن سهلا مخضهم لاستخراج الزبدة ثم تقسيم هذه الخلاصة الى طبقات (عشر) .

يمكنك ان تقول هذا ، ويمكنك ان تعاتب ابن سلام بعض العتاب، ولكن لا يمكن ان تقول انه حاول ان يخرج من حلبة الشعر بشارا وأبا العتاهية وزملاءه (٢٤) ، فانه اذا لم يخصص بابا لهؤلاء ، لم يخرجهم من حلبة الشعراء ، ولم يرو عنه نص واحد يؤيد ادعاءك ، بل انه روى ـ في غير هذا الكتاب ـ لشعراء محدثين وذكر طرفا من اخبارهم وتحدث بما يدل على تقدير واعجاب ـ وكان ممن تحدث عنهم : بشار ، ابو نواس ، مروان ابن ابي حفصة ، السيد الحميري (٢٥) .

ان محمد بن سلام بنى كتابه بناء منهجيا قائمة على مقدمة راسخة المعالم ، ولم يكن الكلام على المحدثين من وكد المنهج او مما تحتمله المقدمة .ولم يثر المؤلف مسألة القديم والجديد ، لان كتابه قائم ـ منذ البداية ـ على القديم والمسألة ـ مسألة مركز اهتمام وتخصص، وليس من الصحيح ان نحمل الاشياء اكثر مما تطيق .

ان مسألة المحدثين مسألة اخرى ، مسألة زمنية ، وهي لا تهمنا ونحن نحاول ان نفهم مدلول «الطبقة» كما بني عليه كتاب محمد بن سلام ، وليس مناسبا ربط الكلام على مفهوم الطبقة بمعنى الرهط الفني بالكلام على الطبقة بمعنى العصر ، فهما شيئان غير متفقين .

وهكذا يظل كتاب «طبقات الشعراء» منقطع النظير ، ويبقى دليلا على جلال مؤلفه في الباب الذي دخل منه ـ وهو مدخل صعب يستدعي سهرا طويلا وتأملا متصلا .

وكان ابو الفرج الاصبهاني اذا تحدث عن شاعر ـ له علم بذكره في «طبقات الشعراء» ـ يعد محمد بن سلام حكما محترما وسندا جليلا، فيقول ـ كمن يروي امرا خطيرا ويعتمد رأيا حاسما ـ : « جعله محمد بن سلام في الطبقة «كذا»، «وألحقه ابن سلام بالطبقة كذا...» (٢٦).

نرجو ان تكشف لنا الايام ما يهيء لنا علما بتاريخ كلمة «طبقة» ومدلولها في النقد الادبي ، وتزيدنا تأكدا من منزلة محمد بن سلام في هذا وذاك .

---

(١)ينظر طه احمد ابراهيم ، ولا سيما ص ٨٤ .وينظر حاجي خليفة (علم الطبقات) .ومما جاء فيه : طبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي المتوفي سنة ٢٠٧ ، في اربعة مجلدات ، وطبقات الفرسان لابي عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنة ٢١٠ . ولم يصل الينا الكتابان . وأقدم ما وصل الينا في الطبقات كتاب ابن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ « كتاب الصحابة والتابعين او الطبقات الكبرى » وهو يرتب الطبقات على اساس زمني : السبق في الاسلام .. ـ طبع الكتاب اكثر من مرة. وجاء لدى ياقوت ٢٠:٦٥« كان يونس عارفا بطبقات شعراء العرب ». والرواية متأخرة عن زمن يونس.ولكنها تدل ـ ان صحت ـ على ان لفظة «طبقات الشعراء» كانت معروفة لدى الجيل الذي أدركه ابن سلام وتلمذ له . وينظر غرنباوم ١٥١ . (٢) قال طه احمد ابراهيم ٨٤ : «وغير خاف ان جعل جماعة من الشعراء في منزلة واحدة ، فكرة قديمة فطن اليها الادباء الاسلاميون في ان جريرا والفرزدق والاخطل طبقة ، ونماها اللغويون بجعلهم امرأ القيس وزهيرا والنابغة والاعشى طبقة ، ومعنى طبقة انهم نظراء ، وأنهم المتقدمون المبرزون . وفكرة الطبقة الاولى توحي بالضرورة بطبقات اخرى ،وكذلك فعل ابن سلام..» وتنظر منه ص ٨٥ . ومعلوم اننا اذ نقول «طبقة» نقصد الى اللفظة كما

نقصد الى التقسيم والتصنيف ، اي ان اللفظة أساس متين في كلامنا،، أما التقسيم ولا سيما ما كان قائما على المفاضلة : تفضيل شاعر على شاعر ، أو تفضيل شاعر على آخر في ميدان دون ميدان ، أو تفضيل عصر على عصر ...فليس ذلك مما يعنينا كثيرا لانه امر اولي وبسيط. ولكن الدكتور محمد زغلول سلام لم يخرج عنه كثيرا وهو يتكلم على «الطبقات» من قضايا النقد ٦٢ ـ ٧٣ » . (٣) ابن سلام ٢٢ (٤) لم تؤرخ المعاجيم هذا الطور من حياة اللفظة ، فهي تقول : طبقة : حالة ، طبقات : حالات.ثم تتحدث عن وافق شن طبقة.وخلاصة الحديث انه «مثل يضرب لكل اثنين او امرين جمعتهما مسألة واحدة اتصف بها كل منهما ...ـ لسان العرب» . ويمكن ان تكون المسألة الواحدة الجامعة منطلقا لتطور الكلمة . (٥) ولو وصلت الينا الكتب التي ألفت بهذه الاسم لكان مجال الدراسة اوسع .وللالمام بهذه الكتب ينظر حاجي خليفة (علم الطبقات) ، البغدادي ـ ايضاح المكنون ٢ : ٧٩ ، زيدان٢: ١٧١ ، ابن النديم في حديثه عن المصنفين هنا وهناك من كتابه . ذكر البغدادي ٢ : ٧٩ طبقات الشعراء لابي هفان البصري (في اشعار عبد القيس) وطبقات الشعراء لاسماعيل بن يحي اليزيدي. ولدى ابن النديم ١٦٦ : ابو حسان الزيادي الحسن بن عثمان مات سنة ٢٤٣ عن ٨٧ سنة وله من الكتب كتاب طبقات الشعراء. ومن حاجي خليفة (وغيره) نعلم انه قد ألف «طبقات الشعراء» : محمد بن جليب النحوي المتوفى سنة ٢٤٥ ودعبل الخزاعي الشاعر المتوفي سنة ٢٤٦ ، وابو زيد عمر بن شبة البصري المتوفي سنة ٢٦٢ ، (ينظر السيوطي ـ المزهر ٢ : ٢٧٧) وعثمان بن ربيعة الاندلسي (له كتاب طبقات الشعراء بالاندلس) مات قريبا من سنة ٣١٠. ولدى ابن النديم ١٦٤ « ابو المنعم الزيادي ... له... كتاب «طبقات الشعراء» .يقول بلاشير ١٥٠ : «ونحن نجهل ماهية طبقات الشعراء الذي ألفه اسماعيل اليزيدي وابو نعيم الزيادي» «بل نجهل ماهية كل هذه الكتب التي وصل الينا ذكرها تحمل اسم «طبقات الشعراء» دون ان تصل الينا او ان تصل الينا منها صفحات » . (٦) الاصمعي ١٢ (المرزباني ٤٩). ومفهوم الاصمعي وابن سلام أوسع من مفهوم أصحاب المعاجيم ، أو انه تاريخ لطور جديد من حياة الكلمة ، أصابت في سعة وجدة ، والا فقد تحدثت المعاجيم عن المعنى الحقيقي لكلمة «فحل» عن اشياء ليست مما آل اليه استعمالها لدى النقاد ، واذ ذكرت استعمالها في المجال النقدي حفظت لنا صلة التطور ، ووقفت عند جانب ضيق مما نحن فيه : جانب الغلبة في الهجاء او المعارضة ، وكانها هكذا كانت تستعمل في العصر الجاهلي والاموي .جاء في «اساس البلاغة» : «.. ومن المجاز : هو من فحولة الشعراء ، وهذه قصيدة علقمة الفحل ، وجرير والفرزدق فحلا مفر» . وجاء في «لسان العرب» : « وفحول الشعراء ، هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم : مثل جرير والفرزدق واشباههما ، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه مثل علقمة بن عبدة وكان يسمى فحلا لانه عارض امرأ القيس في قصيدته التي يقول في اولها : « خليلي مرا بي على أم جندب» بقوله في قصيدته «ذهبت من الهجران في غير مذهب» وكل واحد منهما يعارض من صاحبه في نعت فرسه ففضل علقمة عليه ولقب الفحل... والفحول الرواة ، الواحد فحل...» (٧) ينظر ابن سلام ٤٢ وما بعدها. (٨) ولم يكن العصر ليجهل التكافؤ وهو من شؤون العقل.وقد ورد في باب «الحمامة المطوقة» من كتاب كليلة ودمنة : «ان أشد العداوة عداوة الجوهر ، وهي عداوتان ، منها ما هو متكافيء كعداوة الفيل والاسد فانه ربما «قتل الاسد الفيل او الفيل الاسد »..

(٩) ابن سلام ١١٥. (١٠) ابن سلام ١٢٣ . (١١) ابن سلام ١٣١ .(١٢) وينظر طه احمد ابراهيم ٨٦. (١٣) مندور ١٠ . ومع ان الدكتور محمد زغلول سلام اشار الى الجودة والكثرة (ص ١٠٥) ، فانه (ص ١١٣) كاد ينسى تلازم الشرطين وجعل ابن قتيبة مخالفا لابن سلام ، وليس الامر على هذه الدرجة . وينظر السباعي بيومي ١٥٧ ، ١٦٠ ، والفاخوري (حنا) ـ تاريخ الادب العربي ، ط ٣، بيروت ، ص ٧٥٣ . (١٤) ابن سلام ٨١ . (١٥) ابن سلام٢٥١ . كان عمل ابن سلام هذا محط استغراب الباحثين المعاصرين لنا ومجال استفهام ومؤاخذة منذ طه احمد ابراهيم ص ٨٤ حتى محمد زغلول سلام ١٠٣ ـ ١٠٤ ، وسيظل كذلك . (١٦) ولا يجهل محمد بن سلام هؤلاء الشعراء فقد روى الاصبهاني في حديثه عن عمر بن ابي ربيعة (ينظر الجزء الاول ـ مثلا) ، اخبارا مسندة اليه ، وذكر هو الكميت في كتابه (ص ١٦٣ ، ٢٦٨ ـ ٩) ، وروى خبر وفاة بشامة في حياة زهير ، ص ٥٦٣ ـ ٤ .(١٧) ابن سلام ٤٢ . ومن الدارسين من يرى ان ابن سلام يقدم من يقدمه البصريون ـ ينظر محمد زغلول سلام ١٠٤ . (١٨) ابن سلام ٢١ ـ ٢٢ (١٩) ابن سلام ٤١ ـ ٤٢ (٢٠) تنظر ص ٣٣ ـ ٣٤ من الشعر والشعراء وتقابل بـ ص ١٩ ، ١٦ ـ ١٧ من طبقات الشعراء ، وتنظر ص ٤٨ وتقابل بـ ٢٧ . وروى ابن قتيبة في صلب كتابه أشياء ذكر في سندها محمد بن سلام ولكنه لم يذكر اسم كتابه . (٢١) ينظر من طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧ ، ١٨ ، ٥٨٤ ـ ٥٨٦ ، وفيها : ألف محمد بن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٩ كتاب «اخبار الشعراء» والف اخوه ابو الحسن علي المتوفى سنة ٢٧٥ كتاب « الشعراء القدماء والاسلامية » والف هارون بن على يحيى «البارع في أخبار الشعراء المولدين ... » ولم تصل الينا هذه الكتب . (٢٢) ابن رشيق ١ : ١١٣ (٢٣) ابن رشيق ١ : ١٠٠ ـ ١٠١ . (٢٤) كما فعل الدكتور محمد زغلول سلام ٦٣. (٢٥) ينظر ـ مثلا ـ العسكري ١٦٢ ، ١٨٢ ، الصولي ٢٨ ، ٧١ ـ ٧٢ ، المرزباني ١١٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٩٤ ، المرزباني ـ اليغموري ٣٦ ، ١٨٥ . (٢٦) الاصبهاني٤ : ٢٣٣ ، ٨ : ٢٨٢ ، ٩ : ١٦٠، ١٣ : ١٠٢، ١٨٩...

أهم المصادر والمراجع :

ـ ابن رشيق (ابو علي الحسن ... القيرواني ، المتوفى سنة ٤٥٦) ـ العمدة في محاسن الشعر ونقده ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

ـ ابن سعد (عبدالله محمد بن سعد الزهري ، المتوفي سنة ٢٣٠) ـ الطبقات الكبرى ـ بيروت ، دار بيروت ـ دار صادر ، ١٩٥٧.

ـ ابن سلام ـ طبقات فحول الشعراء ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

ـ ابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم ... الدينوري ، المتوفي سنة ٢٧٦) ـ الشعر والشعراء ، بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٤.

ـ ابن المعتز (ابو العباس عبدالله المقتول سنة ٢٩٦) ـ طبقات الشعراء ـ القاهرة ، (دار المعارف ـ ذخائر العرب ٢٠ ، ... عبد الستار أحمد فراج) .

ـ ابن النديم (ابو الفرج محمد بن اسحاق ، صنف كتابه سنة ٣٧٧) ـ الفهرست ـ القاهرة ، مطبعة الاستقامة . د.ت.

ـ الاصبهاني (ابو الفرج علي بن الحسين ... المتوفي سنة ٣٥٦) ـ الاغاني ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٠ (١٩٣٦ ـ ١٩٦١) .

ـ الاصمعي (عبدالملك بن قريب المتوفي سنة ٢١٤ ؟) ـ فحولة الشعراء ، القاهرة ١٩٥٣ .

ـ البغدادي (اسماعيل باشا) ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . استانبول ١٩٤٥ .

ـ بلاشير ـ تاريخ الادب العربي ـ تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني . دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٥٦ .

ـ حاجي خليفة ـ (مصطفى بن عبدالله كاتب حلبي ، المتوفي سنة ١٠٦٨) ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١.

ـ السباعي بيومي ـ تاريخ القصة والنقد في الادب العربي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٦ .

ـ الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى المتوفي سنة ٣٥٥) كتاب الاوراق ـ قسم اخبار الشعراء ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتهينـا

وانتهينا ...
ومشى الشيـب الينا ...
لم نعـد طفـلا وطفلة
نرسم القلب على صفحة رمل
نسرق الازهـار من اطراف حقل
ثم نذروهـا على قمـة تلة

الصبـا ..!
كالحلـم الناعـم مـرا
ملأ الدنيا شذى حلوا وسحرا
مثـل طيـف
لاح في ليلـة صيـف
فيـه غنـج البيـدر
وانتشـاء القمـر
ضمـخ الليـل بحـب عطر
وتثنـى ... ثـم فـرا ...
وانتهينـا ...
اغلقـت بوابـة السجن علينـا
حز قيـد العجز في آمالنـا
واخضرار العمر قد جف لدينا
ذبلت ازهارنا ... واندثرت
طـرق كنـا عليهـا قد مشينا
وانتهينـا ...
بعد ان كنـا انتظرنـا

أمـلا ينعشنـا
مثلما ينتظـر الزرع المطر
وأتـى الغيث .. ولكن
بعـد ان كنـا انتهينا ...

صدىء الاحساس في اعماقنا
وتلاشـى الدفـء من اشواقنا
لم يعد للحسن في احداقنا
اي معنـى !
لـم نعد نسمع لحنـا
غاضت الانغام في قلب الوتر
والسحـر ..
لم يعد يترك في ثغر الزهر
مـن لمـاه قطـرات
قبل ان يلفظ انفاس الحياة
والريـاح ...
لـم تعـد تصرخ في اذن البطاح
بانفعـال
وقتـال
خيـم الصمت على عالمنـا
مـات في ارجائـه روح الكفاح
وانتهينـا ..!

عمان ـ الاردن — شجاع الاسد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ طه احمد ابراهيم ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب . القاهرة، ١٩٣٧ .

ـ العسكري (ابو احمد الحسن بن عبدالله المتوفي سنة ٣٨٢) ـ المصون في الادب ، الكويت ١٩٦٠ .

ـ غرنباوم (غوستاف فون) ـ دراسات في الادب العربي ـ ترجمة الدكاترة : احسان عباس ، انيس فريحه ، محمد يوسف نجم ، كمـال اليازجي ، بيروت ١٩٥٩ .

ـ القرشي (ابو زيد بن ابي الخطاب) جمهرة اشعار العـرب . بيـروت ، ١٩٦٣ .

ـ المرزباني (ابو عبدالله محمد بن عمران بن موسى ، المتوفي سنة ٣٨٤) ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . القاهرة ١٩٤٣ ..

ـ المرزباني ـ اليغموري ـ نورالقبس من المقتبس فـي اخبـار النحاة والادباء والشعراء والعلماء . تاليف المرزباني ، اختصار يوسف اليغموري . تحقيق ردلف زلهايم ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤.

ـ محمد زغلول سلام ـ تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

ـ مندور (محمد) ـ النقد المنهجي عند العرب . القاهرة ١٩٤٨ .

ـ ياقوت (ابو عبدالله ... بن عبد خيرالله الرومي الحمـوي المتوفي سنة ٦٢٦) ـ معجم الادباء ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب. القاهرة ـ دار المأمون ، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ .

جامعة الرياض — علي جواد الطاهر

« رج ... ين ! رجين ... ن ! رجين المجنونة !

كانت هذه الكلمات تغنى بصوت عال فتمزق حجب السماء ، وتمضي فئة من الصبية تحدق بها ، مراعية كل مرة مسافة ترتضيها ، تتيح لها فرارا محتمل الوقوع عند اول نذير يدعوها للكر او الفر . بيد ان هذه الفئة تعي وعيا جيدا ان الكر المعاكس لن يحدث . اذ يطيب لرجين ان تصرخ دوما : يا للصبية الانجاس ! اولاد الشحاذين ، ليأخذكم الشيطان ! ماذا تبتغون مني ؟ ولا تبرح اصوات الصبية تعود اجمل مما كانت مقلدة صوتها في نغمة باكية: « ماذا تبتغون مني ... أو ... أو ... » ان الاستاذ حمدي المدرس ، هو وحده منقذ رجين الجدير بانقاذها . ان المشهد طقسي : ما ان يضع الاستاذ حمدي رجلا خارج داره ، حتى يصفر صبي في زاوية الشارع منذرا رفاقه ، فتسرع الخطى من كل حدب وصوب ، فيقفر الشارع بغتة بفعل عصا سحرية ، وتروح رجين تدمدم من فم أدرد ، شاكرة للاستاذ حمدي صنيعه ، ثم تعاود سيرها جارة ساقها اليسرى . لم يكن يسوء رجين ان تقضي صباحها تطهي متمهلة طعاما شهيا في بيت صالح ، لان عملها هذا لا يكلفها عناء كبيرا ، بل يجعلها في معزل عن الحاجة ، هذا من نحو ، ومن نحو اخر فان زوجة صالح تظل دوما بالنسبة اليها في منتهى اللطف ، دون ان تنسى البتة تدليلها .

لكم هتف بها مرارا قائلة : هذا لمينو ... مفتنمة موضوعا عزيزا على قلب رجين ، فتقفز من قطة صغيرة الى مواضيع اكثر جدية ، تدور دوما حول المواضيع نفسها : مرض الروماتزم الذي تزداد اوجاعه اكثر فأكثر ، والقطة مينو التي يحلو لها القيام بجولات ليلية .

حسبك ! بخاصة اننا لا نبتغي قططا : ما جدواها ؟ انها توسخ كل شيء ان هذا ليذكرها بـ ..

... كانت زوجة صالح ترهف سمعها الى القصة صابرة بنفس الاهتمام ، حتى حفظتها عن ظهر قلب منذ زمن بعيد .

وتمضي رجين في صوت حيادي يخلو من كل غضب تنشر اللوحة : كان لها من العمر اربعة اعوام ، وقد حدث ذلك في غرفة الطعام . ثمة قطة صغيرة ظهرت بغتة تحت المنضدة الكبيرة ، لقد كانت متسخة ضاوية ، لا تني تموء مواء ينم عن الخوف .

كانت رجين مختبئة، فألقت اليها خفية بفتات خبز ، وما عتمت ان

رجين !.

تاليف ديزي موصللي

ترجمة سعد صائب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمعت صوتا اجش لم تستطع البتة تبين مصدره راح يزمجر :

اجمعي فتاتك يا رجين ، حسب البيت انه افاض عليك بطعامه . البيت ! لقد ظلت هذه الكلمة تشغل ذهنها ، ولا تبارح مخيلتها ، مهما يكن من امر فانهم فسروا لها اللغز:

ان الاطفال يأتون من السماء في ملفوفة تشتريها الامهات من السوق. ولشد ما يكثر الملفوف ، بيد ان الامهات لا يكفين . عندها تمضي الشرطة في جمع كل ما تبقى من الملفوف وتضعه في بيت يدعى « الاسعاف العام » كيما تبيعه للامهات اللواتي يجئن متأخرات . بيد أن ام رجين لم تجيء قط .

وذات يوم وقد كانت فريسة لسهد لا يبرح يعاودها ، خرجت وقد بدا الفجر قذرا ، ولم تصف السماء فراحا يلقيان على الشوارع التي اقفرت تماما من المارة ، كفنا اغبر ادكن تمزقه ريح صرصر من شتى جوانبه .

وفي همة ونشاط ، ورغم انها كانت لا تفتأ تجر ساقها ، راحت رجين تضرب الارض بقدميها في خطى نشيطة . انه البرد وهي ... انهما صديقان مخلصان يتمريان في العيون .

تقدمت رجين ، وفي نظرة طلعة شبيهة بنظرة قطة تبحث عن قوتها اليومي ، اصطدمت عند ابواب موصدة باستار مرفوعة ، بصندوق قمامة محكم الاغلاق يدفعه رجل قميء نصف نائم ، فتوقفت على حين فجاة عند منعطف شارع وقد ساورها القلق : ثمة علبة لا شكل لها كانت ملقاة . راحت تحركها بقدمها . ان في داخلها شيئا لينا قليلا ، فانحنت عليها كي تتملاها جيدا .

انه طفل رضيع راقد ، ملفوف بخرق وسخة ! حسرت رجين عن وجهه فبانت لها ملامحه وكأنها رسمت بريشة رسام هاو لم يكن ينسى مع ذلك ـ كما لو شاء ان ينكر اثره ـ ان يطبع على شفتي الرضيع ابتسامة . راحت رجين تداعب وجهه ، وتسحب يده بحرارة ، لقد كانت تلمس بأناملها جليدا .

كان جسم الطفل بالغ الشحوب، ثم عادت الى لمسه من جديد . كلا، انها لم تخطىء البتة . ان ما تراه ليست الا جثة

ظل الطفل يبتسم ، ان في ابتسامته شيئا جديدا لم تعه رجين، وقد لا تعيه البتة ان هي مضت

تاركة اياه في مكانه . عندها وفي حركة آلية ، مدفوعة بغريزة لا تقاوم ، كانت تجهلها ، انحنت خفية رشيقة ، وتناولت الجثة فحملتها وانثنت تهرول .

ادفأت رجين غرفتها ، وراحت تغلي الماء ، وتسكبه في اناء ، ثم بدأت تحرر الطفل من اسماله قبل ان تغمسه في الماء الفاتر الذي اختبرته بأصبعها في عناية ، وراحت تدلكه بالصابون المعطر ، ثمة قطعة صابون واحدة اعتادت الاحتفاظ بها لمناسبات كبرى ، ومنديل جميل ، وليفة ناعمة من الاسفنج . راحت تدلك الجسد الصغير بلطف ، محاولة عبثا بعث الروح في الاعضاء الميتة .

وجب عليها بعد ان فرغت من الحمام ، ان تلف الرضيع بلفافة . ولكن بماذا تستعين ؟ مضت وقد ساورها القلق تبحث في ادراجها عن هذا الشيء ، فهتفت على حين غرة : ولكنني واثقة بأني سأعثر عليه ! لا بد ان لديها شيئا ! أليس القميص الذي وهبته لها زوجة صالح ذكرى سمير الصغير ؟

انتزعته من اسفل الدرج حيث تكدست مبعثرة ، صورة قديمة تمثل اسرة صالح ، وسوار من عاج اصفر بمرور الزمن ، ومنديل اخر من الحرير الناعم ، ودريهمات ادخرتها للايام السود ، وفستان جميل ذو زرقة باهتة ، حيث ترقد ذكرى ، وهو الوحيد المتبقي من صباها .

كان لرجين من العمر ثمانية عشر عاما ، حين كانت تعمل لدى سيدة لها ابن كبير يبلغ العشرين من عمره يدعى سامي . كان مديد القامة ، قويا ، ذا عينين واسعتين كأنهما البحر حين تغمره الشمس .

كان سامي يرامق رجين كثيرا فألفى ان انفها صغير كمنقار عصفور يترقب ما تزقه به امه ، لقد اعجبته شديد الاعجاب ، أما هي فلم تجرؤ قط على تحديد نظرها اليه ، وانه ليعلم ذلك ، فكان يطيب له ان يثير حياءها .

وفي يوم احد ليس كالآحاد ، ارتدت رجين لاول مرة ثوبا ازرق اتى وفق جسدها تماما . كان ذلك حوالي الظهيرة ، وقد انكفأت والدة سامي لتقضي قيلولتها ، وفرغت رجين من غسل الآنية متهيأة للخروج . وعلى حين فجأة ، ودون ان تعرف كيف حدث ذلك الفت نفسها لازة بين الباب وذراعي سامي الفويتين ، الذي اجبرها على التحديق الى عينيه .

شع وميض ساخر بيد انه بالغ الحنان ، فتماوجت الشمس اكثر قوة من السابق . لم تبد رجين حراكا . حسبها انها احست بساقيها ترتخيان ، واعترى رأسها دوار لذيذ اضطرها الى ان تغمض عينيها . ظلت الذراعان القويتان تضغطانها ، وراحت شفتان ملتهبتان تبحثان عن شفتيها . لقد ودت لو أن ذراعيه تحتضانها سجينة مدى الحياة ان تيسر ذلك .

بيد انهما ما عتما بعد لأي ان ارتخى عناقهما قبل ان يند صوت دافيء مملوء ضحكا يدمدم هامسا معتذرا : انه فسطانك ...

وبعد زمن ، فقدت رجين مكانها في البيت ، فذرفت عبرة عاتية ، وهرعت الى الطفل الذي خيل اليها انها سمعته يبكي .

ولكن ، كلا انه لا يبكي ! انه ثمة يرفل في بياض ناصع ، وينعم في هدوء بالغ ، حتى ان البسمة لا تبارح شفتيه ، وسيقال لها كذلك انه لا يحس البرد البتة . بيد ان على رجين مع ذلك أن تلفه بلفافة .

ترى ، كيف يلبسون عادة الطفل ثيابه ؟ بأيهما تبدأ اولا ؟ أبالقميص أم باللفافة ؟

وراحت تبحث شاردة اللب ، رغم انه حدث لها أن شاهدت احيانا امهات يعتنين بأطفالهن بيد انها كانت تزوي رأسها ظنا منها انها لن تغدو يوما اما ، فلماذا اذا تزحم انفسنا بمعلومات لن نفيد منها البتة .

طفل ؟ ليس من شك في انه قد غبر زمن تمنت فيه ان يكون لها طفل ، بخاصة حين كانت ترهف سمعها الى سمير الصغير وهو يضحك . ان له ضحكة اختص بها، تغاير ضحكة سواه . ان له ضحكة اختص بها تتساقط نغماتها كتساقط نغمات اجراس صغيرة معلقة في اعناق الحملان .

بيد انه ، كيما يولد لنا طفل وجب علينا ان نكون اثنين .. رغم ان رجين كانت تدرك كل الادراك انها ستظل ما عاشت وحيدة . لقد فرغت من لف طفلها بقماطه كيفما تيسر ، مضيفة الى القميص طرحتها التي اعتادت وضعها ايام الاحد . وبعد ان عثرت على سلة الفسيل ادخلت فيها مبذلتها عوضا عن الفراش ، بعد ان اعدتها قبل ان ترقد الطفل فيها .

بقي لديها لحسن الحظ قدح حليب فحسب ، راحت تعده . وبملعقة صغيرة مضت تفتح شفتي الصغير الزرقاوين محاولة سكب جرعات صغيرة عنيدة ، اخذت تطفح فوق الخدين . عندها راودت ذهنها على حين فجأة ان الطفل لا يحمل البتة اسما .

« سمير » انه اول اسم خطر في ذهنها ، بيد أنها تخلت عنه ، لانها ابت ان يقبل القسمة ، فاختارت « بسمة » ثم بعد ان اطالت التأمل في طفلها فوجئت هي نفسها ببسمة تند منها لاول مرة منذ امد طويل جدا . حركت رأسها خجلة ، وتلفتت بخوف الى ما حولها كيما تطمئن الى ان احدا لا يرقبها .

كادت الساعة تدق السابعة والنصف ! لقد حان وقت الذهاب، ولكن أليس عليها ان تهدهد الطفل؟

ند من اعمق اعماق ذاكرتها بغتة لحن ، انه اللحن الوحيد الذي تعيه، فتتابعت كلماته في البدء خجلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشوهة ، ثم ما عتمت ان استقرت في نغم حزين مات اخيرا في دمعة استقبلتها شفتاها المتعبتان . ندت صورة ففمرت الغرفة وفرضت نفسها بحتمية : انها صورتها حين كانت طفلة ، ربما كان لها من العمر خمسة اعوام ، حين ذرفت دموعها في الظلمة في خفوت ، فدنا منها احدهم في خطى صامتة . وفي لهجة شاءت ان تبدو قاسية، طرح عليها صوت بالغ الحنان سؤالا :

ترى من الباكي هناك ؟

لقد كان الصوت جميلا ، مما جرأ رجين على رفع رأسها :

ان ثمة سيدة قرب السرير ، ذات شعر يلمع في الظلام ، بدت في عينيها ملامح الرحمة ... صرخت رجين فرحة مشرقة الوجه:

انت !. ملاك !

قالت في يسر ، انا المدرسة الجديدة .

ماذا تعنين ؟

أنا أم الجميع .

أم ! وصفقت رجين بيديها . أأنت التي في ميسورك شرائي ؟.

لم تجب السيدة الحسناء قط ، بل مضت تعانق رجين وتطوقها ، وهي تدمدم من اجلها في صوت خافت ، انها الاغنية التي همت رجين بأن تعيدها .

في ذياك المساء ، وللمرة الاولى، التقت رجين بأم .

دنت الساعة الثامنة . اين تراها تدع « بسمة » ؟ هل سترضى الجارة عفيفة ان تبقيه لديها هنيهة؟ فلتجرب رجين حظها .

حركت عفيفة رأسها حزينة وفكرت :

يا لها من تعيسة !

لقد اضاعت عقلها تماما !

شاءت ان تشرح لها بأن هذا الطفل ميت ، بيد أن الوميض القاسي العنيد الذي شع من عيني رجين سمرها واثار في نفسها الخوف ، وما لبثت ان جازفت فتناولت الطفل مؤملة العثور على حل ، فوضعته في فرجة نافذة فتحتها على مصراعيها ، معرضة اياه للبرد . كانت تردد بينها وبين نفسها وهي منهمكة فيما بعد بأعمالها :

لنمض ، ان كل شيء سينتهي على احسن حال ، اذ ليس ثمة صعوبة كبرى يثيرها هوى امراة عانس مريضة !.

وبعد قليل ، وحين تعود رجين فسيكون في ميسورها ان تشرح لها الحال في هدوء . وستنتهي جيدا الى اعادة الفقيرة المجنونة الى صوابها . لقد وجب عليها ان تؤمن بالامر الواقع .

مهما يكن من امر فليس في الوسع الاحتفاظ بجثة حتى النهاية !

ثم ... لو ان الهوى تملكها ثانية ، افلا تجد جثة سواها ؟

تابعت رجين طريقها ... ثمة الصبية تانتظارها ، ستنهال عليها الاسئلة كثيفة ثم عنيفة : هو ! هو ! رجين المجنونة ! رجين الوحش !. انها لا تجيبهم البتة . فصمت الصبية مرتبكين ، اذ خالوا ان فخا نصب لهم ، فمضوا يضاعفون صراخهم ، وظلت رجين لا تجيبهم البتة .

اخذ الصراخ يشتد صاخبا مجنونا ، فيتحطم فوق صمت ثقيل بشيء لا تدري ما هو ، أثار على حين فجأة الذعر في افئدة الصغار .

خرج السيد حمدي من داره ، فلم يفر الصبية :

لقد بدوا وكأنهم يمضون ميممين وجوههم شطر المدرسة ، يرين عليهم هدوء بالغ ، وها هي ذي رجين نائية . وعلى حين غرة لاحظ السيد حمدي انها لا تجر قدمها كالعادة .

وبعد لأي امت رجين مبكرة اكثر مما اعتادت منزل عفيفة ، وراحت تقرع الباب . كان قلبها يخفق كما يخفق قلب صبية تبادر خفية الى اول لقاء . انها لا تدري فيم ترتجف يداها . وحين فتحت لها عفيفة الباب لم تتح لها الوقت للشروع في الحديث ، فطلبت اليها في صوت صغير بدا وكأنه ابتهال :

ولدي ؟... هل اتعبك كثيرا ؟ الا يبرح راقدا ؟

ثم ، وفي صوت اثار بغتة الخوف في قلب عفيفة صاحت :

ولدي ؟ اين تراه اذا ؟

حبست عفيفة ضحكة مريرة . كيف تراها تشرح لها ؟

لقد خانتها شجاعتها فجأة ، ودون ان تنبس ببنت شفة ، تركتها تلج الغرفة ولم تلحق بها .

كلا ! ان قلبها لا يطاوعها اذ ترى هذا المشهد : مريضة تضم الى صدرها جثة !

قررت عفيفة اخيرا ان تلحق برجين في الغرفة ، وحين بلغت العتبة ظلت مسمرة لا تبرحها ، وقد تملكها الدهش :

ثمة في صدر الغرفة ، عند فرجة النافذة شعاع شمس يداعب طفلا يبكي ويبتسم . اخذته امراة بين ذراعيها .. انها رجين التي مضت تبتسم بدورها وتذرف دموعا تنساب على خديها فتذكرت عفيفة على حين فجأة انها لم ترها قط تذرف دمعة . ثمة شعاع شمس فوق وجهها ...

اشعة جمة ...

طرحت رجين سؤالا :

أليس « بسمتي » جميلا ؟ ..

دمشق **سعد صائب**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـوت أمـي

« أمـي ماتـت » !!
وأحدق خلف عيون الناس فلا أبصر حزنـا
يا قسـوة عين لا تبكي للناس اذا مات حبيب
« أمـي ماتـت » !!
لكـن حمائـم جارتنـا تمضي عنـي ..
مثنـى .. مثنـى ..
وأنـا أتحسـى كلمـات ذابلـة الوجـه بلا معنـى :
« ماتـت .. متنا » !!
« أمـي ماتـت »
ويتمتـم شيـخ ثلجـي الاحساس :
« أجـل يرحمهـا الله »
يا شيخ تألم لي صعـد حتى من شفتيك الآه
ما أقسـى قلبـك ..ما أقسـاه !!

ويسير النعش على أعناق الناس الى الوادي الآخر
وأنـا أتساءل :
ما قيمة أن أحيا .. أو يحيا الآخر ؟
هـذا غدنـا :
أن يحملنـا محمولـون
أن يبكينـا مبكيـون
أن نعبر هذا الكون الى كون غامض
المؤمن فينا .. واللاعـن .. والقانع.. والقلق الرافض

قالوا للنـاس :
« المؤمـن يحيا خلف جبال الموت هناك بلا موت »
وأنـا أتساءل :
ولماذا لا نحيـا دنيانـا الحلوة ؟
ما حكمة أن نحصد من حقل العالم أعناق النبت ؟
النطعـم آلاف الديدان ؟
ما أتفهنـا !!
أليمسي العالم تحت دثار الليل القابض في صمت ؟
ان كـان ..
فصكا وقعناه بكل دمـاء القلب على « عدم البوح »
« صمتـا » « صمتـا »
هذا في غدنـا كـل نشيـد الانشاد
فلترفـع سكيـن الذبـح
فلترفـع سكيـن الذبـح
ما دمنا قد وقعنا « مختارين » على عدـم البوح

ونشارف مقبـرة الاسره
هاويـة الحصاد الحاضنة لكل براعيم الخضره
فأدمـدم فـي صمت مـر :
يا أبتي قـم رحب بالضيف القادم من وادي العدم
أم أنك أنت الآخر تحيا خلف متاهـات العدم ؟
ان كنت سمعت ؟ فقم رحب بالضيف القادم في كرم
قم يا أبتي «أرجوك» واشعل مسرجتك
رقرق في الحفرة بعض تهاويل الضوء

بعض الالوان على جدران القبو المر المنكفىء
فأنا يخنقني ان تحيا أمي في ليل منطفىء !!
تسمعني ؟ أم ما زلت رجاما بين رجامات أخرى ؟
يا أبتـي هـم قالـوا :
« للموتى ان عبروا أخرى »
أنـا لا أنفـى
حاشا للفاني ان ينفى حتى الاشياء المنقيه
لكني أنشـد ان اسمع يا أبتي صوتك مهموسا
حتى يا أبتـي مهموسـا
يهمـي عطـرا ..
ينبئني أنك سوف تمزق أكفان عروسك
وبأنك سوف تسل السيف لتدفع عنها الاشباح
كـل الاشباح
لتحلق معكم يا أبتي روحا هائمة في الارواح
لكن أبي « لا ينبس حتى بالرفض !!

ونعود مع الشفـق الغـارب
أطـلال جدار منهـار
ضيعنا الكنز وعدنـا نبكي كالاطفـال
الافـق يليـد
والليل الجاثم فوق الارض وفي أحنائي ألف بليد
يا عجبا لـي »
أني أبدو في زحمة كل الناس على الدرب وحيـد
في قلبي الذابل من همس الظلمات الغائمة فحيح
وصدى مـن هول المأسـاة ذبيـح
ونلـوح نوافذنا غرقى في ليـل مصلوب اقتم
ليل تتلوى فيه بلا نبض أبدا روح المأتـم
لكـن نوافذ بيـت الجارات هناك
ترقـص ذهلـى
بستائرهن البيضاء اللاعبة على صدر الريح
فاكـاد أصيـح :
ياكل ستائرهن ألا تبصرن ستائرنا سوداء ؟
بعضا مـن حزن ..
فالبيت المطرق في حضن المأساة النازفـة جريح
هـل نرقص في أوج المأساة ؟
لكـن الريـح .. وعرس الريـح ..
ونوافـذ بيت الجارات هنـاك ..
ترقص ذهلـى ..
وكأن علينا قد كتبت مأساة المـوت
وكأن عليهم ان يحيوا ليزفوا أعراس الموت
ياكـل نوافـذ قريتنـا
ياكل نوافـذ عالمنـا
أبدا لن تفتح نافـذة بعد الصيحة !!
الكـل يبـاب
الكـل يبـاب

القاهرة — محمد احمد العزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسن حسني عبدالوهاب

بقلم هلال ناجي

* * *

هو حسن حسني بن صالح بن عبدالوهاب نسبة الى جده عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي التجيبي الذي كان يدير الحرس الاهلي للبلاد (وهم الحوانب) ويراس التشريفات في مدة البايات الحسينيين من عهد الباي محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي الى أيام المشير احمد باي الاول .

وتقلب بعده ابنه والد المترجم له السيد صالح بن عبدالوهاب في عدة وظائف اذ انه تعلم العربية بجامع الزيتونة ودرس بعد ذلك اللغة الفرنسية بمكتب الرهبان حتى اتقنها جيدا ، فاضافه الفريق حسين وزير الخارجية اليه ، وصار يصاحبه كمترجم في السفارات المتنقلة التي كانت ترسلها الدولة التونسية الى اوروبا كلما حصل خلاف مع الممالك الافرنجية (ايطاليا قبل الوحدة وفرنسا وانكلترا وغيرها) في عصر كانت رحلة التونسيين الى تلك البلاد قليلة جدا ـ من ١٨٦٩ الى ١٨٨٠ وكان والد المترجم له مولعا بفن التاريخ وله تاليف في اخبار مملكة المغرب الاقصى لم يطبع بعده .

وقد تقلب بعد الحماية في جملة وظائف منها عمل الاعراض (قابس) والمهدية ، وتوفي آخر سنة ١٩٠٤ .

ولد السيد حسن حسني في آخر شعبان ١٣٠١هـ (٢١ يونية ١٨٨٤) بنهج عبدالوهاب رقم ٢٥ ووالدته (حنيفة بنت علي بن مصطفى آغة قيصرلي) كان ابوها اكبر اعوان الوزير خيرالدين باشا .

واول دراسته في كتاب بنهج سيدي الموحد ، بين نهج الوادي ونهج بو خريص ، حسب العادة المتبعة حينئذ لصغار التونسيين ، ثم تحول الى المدرسةالابتدائية بالمهدية حيث تلقى هناك حفظ الربع الاخير من القرآن الكريم ، كما ابتدأ في تعلم اللغة الفرنسية .

ولما انتقل والده من المهدية الى تونس دخل اول مكتب فرنسي لائكي بالحاضرة (نهج السويد) ونال شهادة العلوم الابتدائية ١٨٩٩ والتحق (بالمدرسة الصادقية) ثم قصد باريس وانتظم في سلك تلاميذ مدرسة العلوم السياسية ، وتابع تعليمه بها ، ومن اساتذته بها « ده منتاي » وفي الاثناء كان يحضر جميع محاضرات الحكيم « شاركو » في تحليل الاخلاق والنحائز والطبائع .

ولما توفي والده آخر سنة ١٩٠٤ عاد الى تونس وانخرط بعد في سلك موظفي « ادارة الفلاحة والتجارة » في قسم املاك الدولة آخر سنة ١٩٠٥ ، وبعد خمس سنين عين رئيسا لادارة غابة الزياتين للشمال التونسي أي في سنة ١٩١٠ على وجه التحقيق .

وفي سنة ١٩١٦ التحق بادارة (المصالح الاقتصادية بصفة رئيس قسم ثم فارقها لرئاسة « خزانة المحفوظات التونسية ») في سنة ١٩٢٠ وقد استفاد كثيرا من العمل الاخير الذي سمح له بالاطلاع على مجرى احداث التاريخ التونسي منذ الفتح التركي وبعده ولا يخفى ان خزنة المكاتيب الدولية ـ كما كانت تسمى ـ هي من محاسن مؤسسات الوزير خير الدين حين مباشرته لشؤون الدولة التونسية ـ واهم عمل قام به المترجم له هناك هو فهرسة محتوياتها في جذاذات محفوظة في صندوق خاص وهو المعمول به الى الان ولم يكن ذلك موجودا بها .

وفي سنة ١٩٢٥ عين واليا على المثاليث ، ومقر الادارة بجبنيانه ، وكانت تلك الناحية تابعة لولايةصفاقس ولم يعتن بمصالحها منذ احقاب توالت عليها فسعى جهده في اقرار اهاليها بالارض لتعميرها وبايجاد عدة مكاتب ابتدائية واحداث طرقات معبدة وتزويد القرى بالماءالصالح للشرب وتنوير بعضها ليلا .

وفي آخر سنة ١٩٢٨ نقل واليا الى المهدية الفاطمية فاجتهد في نشر التعليم في القرى والمداشر حتى كان يلقي في كل اسبوع محاضرات في التاريخ الاسلامي وبخاصة في احداث تلك الجهة في محل ناديها ونادي الشبيبة واوقف كتبا كثيرة على مكتبات المدينة الفاطمية.

وفي سنة ١٩٣٥ سمي واليا على الوطن القبلي «نابل وناحيتها » فاهتم بمصالحها العمومية واوقف كذلك من الكتب العربية كثيرا على مركز الولاية وعلى القرىالكبيرة والصغيرة .

وفي سنة ١٩٣٩ عاد للحضرة التونسية بصفة وكيل « للادارة المحلية والجهوية » . وفي اثناء مباشرته لهذا المنصب احيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية بعد اربع وثلاثين عاما من العمل المنهك ـ لكن الادارة المركزية ابت الا تعيينه رئيسا « لمصلحة الاوقاف » فاجتهد في الذب عن مصالحها ومنع ايدي الطمع من الامتداد الى املاك الاوقاف واراضيها الخصبة .

وبمجرد انتهاء الحرب الكبرى الثانية في البلاد التونسية انتخب وزيرا « للقلم » وهو وظيف يشمل ادارة الشؤون الداخلية للبلاد والقيام بتحرير المهم من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج ، وذلك في ٣ ماي سنة ١٩٤٣ فشغل هذا المنصب مع آخر البايات الحسينيين محمد الامين .

وتخلى عن هذا المنصب نهائيا في شهر تموز ١٩٤٧ ومن ذلك الحين انقطع عن الاشغال الادارية واقبل على العمل في مؤلفه الكبير « كتاب العمر » والسفر الى الاقطار الشرقية والغربية .

ولما نالت البلاد التونسية الاستقلال وفارق الموظفون

الفرنسيون المصالح الادارية دعته الحكومة التونسية الجديدة لرئاسة « المعهد القومي للآثار والفنون » ، في سنة ١٩٥٧ فباشر هذه المهمة بجد نادر مدة خمس سنوات متوالية ، وقد وفق الى نقل مصلحة الآثار من محلها القديم (سباط سوق الفلقة) الى (دار حسين) التي كانت مقرا لقائد الجيش الفرنسي ولاركان حربه وبعد ترميم الدار كما يجب اتخذ بقسمها الاعلى مكاتب الادارة وبقسمها الاسفل متحفا للفنون الاسلامية ، ولم يكن لهذه الفنون ادنى حظ بين الآثار التونسية .

وقد اسس خلال مدة رئاسته خمسة متاحف منها اربعة للاعلاق الاسلامية وهي متحف علي بورقيبة في رباط المنستير ومتحف اسد بن الفرات برباط سوسة ، ومتحف ابراهيم بن الاغلب في القيروان ، ومتحف دار حسين الاسلامي المتقدم الذكر ـ ثم مستودع الآثار الكلاسيكية بقرطاجنة في بيت أثري لاحد اعيان الرومان .

ولقد اهدى المترجم له للمتاحف العربية السالفة الذكر كل ما جمعه لنفسه منذ الصغر من الاعلاق النفيسة والتحف الاسلامية النادرة سواء كانت مقتناة من تونس او مشتراة من المشرق ومن عواصم اوروبا وهي صورة رائعة من صور الآثار .

وفي تلك المدة نشر في مختلف الجرائد والمجلات فصولا كثيرة كما حرض الباحثين عن الآثار على اخراج ما كتبوه بالعربية والفرنسية وقدم لمصنفاتهم بمقدمات مناسبة وهي نحو السبعة مؤلفات في شتى المواضيع الاثرية .

حياته العلمية

شارك المترجم له في غالب «مؤتمرات المستشرقين» ابتداء من عام ١٩٠٥ بعاصمة الجزائر حيث قدم بحثا عن « الاستيلاء العربي على صقلية » وتعرف بثلة من العلماء المشاركين عربا كانوا او افرنجا منهم « محمد فريد بك » رئيس الحزب الوطني المصري اذ ذاك والشيخ المرحوم « عبد العزيز شاويش » و « جورج براون » الانكليزي وكذا المستر « بيمين » و « آمد روز » و « فولارس » و « نلدكي » الالماني و « كوديرا » و « ريبيرا » و «ميقال آسين بالاثيوس » وثلاثتهم من اسبانيا و « لويس ماسينيون » و « وليم مرسي » والمرحوم « محمد بن ابي الشنب » وغيرهم كثير جدا . وامتدت علاقته بجميعهم بعد ذلك .

وفي سنة ١٩٠٨ شارك في مؤتمر كبنهاكن عاصمة الدنيمارك ومن وجوه العلماء الذين تعرف بهم هناك البارون « ماكس اوبنهائم » الالماني والاستاذ « كولد زيهر » العالم النمساوي المشهور والاب « لا منس » والاب « لويس شيخو » اليسوعيين . وكان قد اعد بحثا بالفرنسية عن العناصر التي يتألف منها سكان تونس طبع في سنة ١٩١٧ .

وفي ١٩٢٢ شارك في مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنسيين ثم المؤتمر المنعقد برباط الفتح بالمغرب سنة ١٩٢٧ ثم مؤتمرات كمبريدج بانكلترا واسطنبول ومونيخ في المانيا وفي جميعها كان ممثلا للحكومة التونسية كما حضر الندوات العلمية التي انعقدت بالبندقية وكذا ملتقى فلورنسة بايطاليا للتقارب بين المدنيات والاديان وغير ذلك مما يطول تعداده .

كما ناب عن الحكومة التونسية في « مؤتمر الموسيقى الشرقية » المنعقد بالقاهرة في نيسان ١٩٣٢ .

وقد عين عضوا دائما في مجمع اللغة العربية عند تأسيسه آخر سنة ١٩٣٢ وهو اليوم آخر من بقي من الاعضاء الاولين للمجمع ، وكانوا في البداية عشرين عضوا لا غير عشرة من المصريين وخمسة من الشرقيين وخمسة من المستشرقين ، وقد شارك بقدر الاستطاعة في الابحاث والمناقشات الدائرة في المجمع منذ تأسيسه ، وهو يحسن من اللغات عدا العربية الفرنسية وقليلا من الايطالية والتركية .

اما عنايته بالعلم وبث وسائله داخل البلاد التونسية فقد قام بتدريس التاريخ العام وخاصة التاريخ التونسي في المدرسة الخلدونية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٢٤ بعد المرحوم البشير صفر وكذا في المدرسة العليا للغة والآداب العربية بسوق العطارين (من سنة ١٩١٣ الى آخر ١٩٢٤) .

كما منحته جامعة العلوم المصرية لقب الدكتوراه الفخرية في سنة ١٩٥٠ وقد انتخب عضوا مشاركا في المجمع الفرنسي للنقائش والآداب منذ سنة ١٩٣٩ وكذا في المعهد المصري وعضوا مراسلا للمعهد التاريخي الاسباني منذ اربعين عاما ـ وعضوا في كل من المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه وكذا في المجمع العلمي العراقي في بغداد وغير ذلك .

طاف المترجم له في سائر اقطار أوروبا ، كما زار جميع اقطار شمال افريقية من المحيط الاطلنطي الى السويس وكذا غالب بلاد الشرق الادنى ، وحج ثلاث حجات اولها سنة ١٩٣٥ وآخرها سنة ١٩٤٥ .

مؤلفاته

اما مؤلفاته باللغة العربية فهي : بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق تونس ١٩١٢ .

ـ خلاصة تاريخ تونس ـ طبعة اولى تونس ١٩١٨ ـ وثانية ١٩٣٠ ـ وثالثة بتونس سنة ١٩٥٣ .

ـ المنتخب المدرسي من الادب التونسي ط اولى ١٩٠٨ بتونس ، وثانية في المطبعة الاميرية المصرية ١٩٤٤

ـ الارشاد الى قواعد الاقتصاد ـ طبعة تونس ١٩١٩

ـ شهيرات التونسيات ـ تونس ط اولى ١٩٣٤ ـ وثانية بتونس ١٩٦٦ .

ـ الامام المازري ـ تونس ١٩٥٤ .

ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (جزءان) ط تونس ١٩٦٥ .

ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشعار محزونة

لآل المعلوف

قل « للرياض » وراد حزنك تطلع ... منذا رأى الريحان كيف يضوع
للشجو ازهار كأن عبيرها ... حمل الشميم الى قلوب تدمع
تبقى الحشاشة حرقتها لوعة ... من غيبة المحبوب منذ يودع
لهفي على الام التي أنسالها ... ملأت ربى لبنان شعرا يمرع
خذني لزحلة حيث «فوزي» سادر ... طي الرخام وروحه تترجع
بالامس كنت اجيل ذكرى شعره ... فوق الاثير يحن فيه المسمع
لو أمه وعت الحديث لرجعت ... أشعاره العليا بروح تنزع
ما حال موت دون انشاد لها ... فهي التي منها الشعور الابدع
أم العباقر ، ما ذهبت من الدنى ... لكن حواك من المعاني ارفع
طوفي السماء كما أطاف بنجمها ... « فوزي » وقولي اي قصد اروع
جاء « الشفيق » الى الشآم يرودها ... فزواه عني حاسد متوضع
من (عبقر) قد كنت أرصد قربه ... فعلام أبعده اللئيم الاسفع
من غيرنا يأتيه بالشعر الذي ... يروي علاه وبالتلاقي يطمع
قد كنت في يفع السنين ملازما ... للمجمع العلمي ، فكري أيفع
وأبوه كالملك العظيم ، وباسمه ... « اسكندر » وهو الخطيب المصقع
فرأيت فيه العلم في نجم الهدى ... أدب الشآم برعيه يترعرع
اني لأحسبه بفردوس العلى ... هش اللقاء الى فتاة تهرع
كانت له زوجا كريمة قومها ... فأتته في الجنات خودا تسطع

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(جزء ثاني) ط تونس ١٩٦٦ .

هذا عدا ما حققه من المخطوطات القيمة ونشرها وهي :

ـ رسائل الانتقاد (مقامات في النقد الادبي) لمحمد بن شرف القيراوني طبع دمشق ١٩١٢ .

ـ ملقى السبيل (في الوعظ والحكم) لابي العلاء المعري ـ دمشق ١٩١٢ .

الخطيب الاندلسي طبع بصقلية سنة ١٩١٠ .

ـ اعمال الاعلام (قسم تاريخ افريقية وصقلية) لابن

ـ وصف افريقية والاندلس لابن فضل الله العمري طبع تونس ١٩٢٠ .

ـ كتاب يفعول (بحث لغوي) للصاغاني ـ طبع تونس ١٩٢٤ .

ـ التبصر بالتجارة للجاحظ ـ ط اولى بدمشق ١٩٣٣ ـ وثانية بمصر ١٩٣٥ ـ وثالثة ببيروت ١٩٦٦ .

ـ الجمانة في ازالة الرطانة (في اللهجة الاندلسية) لمجهول ـ ط المعهد العلمي بمصر .

ـ رحلة التجاني (في البلاد التونسية وطرابلس) لعبد الله التجاني ـ ط تونس ١٩٥٨ .

هذا عدا العديد من مؤلفاته وابحاثه العلمية القيمة المنشورة باللغة الفرنسية .

في صلامبو بقرطاجنة المدينة الموغلة عبر التاريخ وفي دار تطل على بحيرتها الصغيرة الساجية وتحيط بها حديقة غناء تختلط فيها السقسقة بالزقزقة ، يقيم علامة تونس وشيخ مؤرخيها السيد حسن حسني عبد الوهاب ، وهو برغم كبر اعتوره ومرض تعاور عليه ما فتأ يقطع كل اوقات يقظته قارئا كاتبا ، مدققا محققا ، مجيبا على رسائل سائليه الكثار ومحدثا زواره القلائل .

منذ عام وانا اقصده كل مساء احد فالقى في بشاشة وجهه وروحه العلمية السمحة ابا واخا وصديقا ، فاذا تشعب بنا الحديث عاد الى ذهني وتجسدت امامي طيوف الخالدين من كتاب العرب في عصورهم الذهبية الزاهرة ، فازداد به اعجابا ويزداد بي تعلقا .

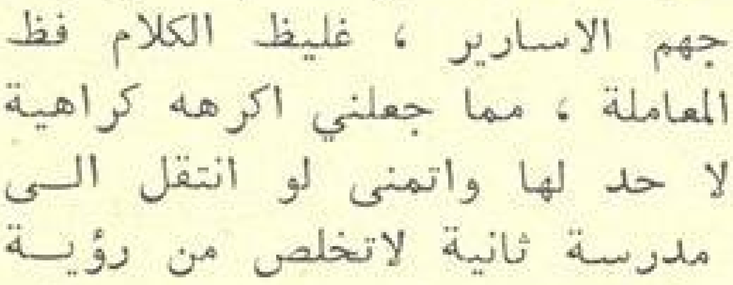
ثم تقطع علينا ـ علية هانم ـ رفيقة حياته الخالدة حديثنا المسترسل بابريق شايها المعطار فتعيدنا بلطفها وكرمها الى عالم المادة .. واغادر الدار وفي ذهني اصداء من حديثه الماتع وشذى من خلقه الرائع ..

تونس — هلال ناجي

واخيراً جاء الفرج

بقلم خليل خلايلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عندما توجهت الى مكان عملي الجديد، لم أكن املك اكثر من خمس عشرة ليرة سورية كنت حريصا عليها كل الحرص ، لعلمي انني لن استطيع ان انال غيرها من النقود الا بعد مدة ليست باليسيرة ، ولا بد لها ان تكفيني طيلة اسبوع كامل ، ريثما اعود الى اهلي القاطنين في مخيم اللاجئين ليتدبروا لي غيرها .

كنت آنذاك قد عينت معلما في مدرسة صغيرة للايتام ، بعد حصولي على شهادة الكفاءة .. اما المدرسة فكانت مؤلفة من خمسة صفوف صغيرة تضم بين جدرانها ما يزيد على مائة طالب من صغار الايتام ، تعولهم المدرسة وتعلمهم على نفقة جمعية خيرية .

وصلت المدرسة ضحى اليوم الاول من ايام الاسبوع ، وتسلمت عملي بين زملاء رايتهم في حياتي لاول مرة ، ولذا لم يكن من اليسير علي ان اتكيف معهم بسرعة لكوني غريبا عن البلدة التي نعمل فيها معا .

كانوا جميعا من الاساتذة القدماء الذين سبقوني الى العمل في المدرسة بعامين او بعام واحد على الاقل ، وهكذا رايتهم يستقبلونني بفتور ويلاقونني بلا مبالاة كانت مقيتة بالنسبة لي ، حتى تخيلت ان عملي الجديد غول يريد ان يبتلعني مرة واحدة . ولكن ما حيلتي ؟ وانا لم احصل على هذا العمل الا بعد جهد وكد ، وسهر متواصل لعام كامل، استطعت في نهايته الحصول على شهادة الكفاءة ، فلأتذرع بالصبر اذن ما دمت مضطرا للعمل لاعيل والدي المجوزين واخوين لي صغيرين .

ولذا كنت اثابر على اعطاء دروسي بهمة ونشاط صابرا على جفاء زملائي بمضض لا عهد لي به من قبل ، وكلما فترت همتي او نفد صبري كنت اتذكر الافواه الاربعة التي تنتظرني بفارغ الصبر .

كان اول ما لفت نظري في المدرسة هو امين سرها ، شاب في الثلاثين من العمر ، اسمر اللون ، طويل القامة نحيفها ، سليط اللسان قوي الشخصية ، يستمد من قدمه في المدرسة ومن قرابته لرئيس الجمعية الخيرية نفوذا لا حد له ، حتى كان يفرض شخصيته على المعلمين وعلى مدير المدرسة بالذات ، اما الطلاب فكانوا يرتجفون خوفا منه كلما دخل الى صف من صفوفهم ، وكثيرا ما كان يدخل الى الصفوف لتادية عمله الذي كان جله عقاب الطلاب المذنبين الذين كانوا يعاقبون بقسوة مفرطة تستدر العطف وتستثير الشفقة في اقسى قلوب بني البشر ، لهذا كنت كثيرا ما المح الذعر يطفح على وجوههم الطفلية الصغيرة كلما نظروا الى هذا الانسان الذي كان مخيفا حقا ، فهو دائم العبوس ، جهم الاسارير ، غليظ الكلام فظ المعاملة ، مما جعلني اكرهه كراهية لا حد لها واتمنى لو انتقل الى مدرسة ثانية لاتخلص من رؤية هذا الوحش الذي يختبىء في اهاب انسان .

مرت الايام الخمسة ببطء السلحفاة ، حتى كدت احسب ان الاسبوع ليس بمنته ، وفي مساء الاربعاء ، جاءني امين السر هذا الى الصف ، ودخل دون استئذان ودون ان يفرع الباب ، فهو في الحقيقة لم يتعود مثل تلك العادة في حياته قط ، وقف الطلاب احتراما له وكنت جالسا خلف المنصة اشرح الدرس ، تقدم مني فوقفت ورحبت به ، فانحنى نحوي وعلى وجهه ابتسامة ثعلبية وقال بصوت خافت:

ـ استاذ (منير) هل معك نقود ؟

ـ نعم .

ـ هل لك ان تقرضني بعضها ؟

ـ اهلا وسهلا

قلتها بدون تفكير ، وذهبت الى حقيبة كتبي حيث اضع نقودي وتلمستها من اطراف الحقيبة وجمعتها بكاملها ، اربع ليرات سورية هي كل ما تبقى معي من الخمس عشرة ليرة التي احضرتها معي ، وكنت قد احتفظت بها لادفع منها اجرة السيارة التي ستقلني الى حيث يقطن اهلي في اخر الاسبوع، ولكن الخجل او قل الخوف من هذا الانسان دفعني الى جمعها كلها واعطائها له دون تردد .

عندما أويت الى فراشي في تلك الليلة لم استطع ان انام ، بل بت مسهدا افكر في غدي وبالوسيلة التي ستنقذني من ورطتي تلك ، التي لم احسب لها حسابا عندما اعطيته ما تبقى معي من النقود .

استيقظت في صباح الخميس متعبا مكدودا من السهر والارق ، ودخلت الصف واجما مهموما ، وغاضت الابتسامة التي تعود الطلاب ان يروها على وجهي . انتهى الدوام، وقرع الجرس في الثانية عشرة الا الربع ، فانصرفنا من عملنا ، فخرجت من الصف متأبطا حقيبة كتبي التي لم تعد عندئذ تساوي شيئا بعد ان افتقدت كنزها الصغير.

كان موقف الباص لا يبعد عن المدرسة اكثر من كيلومتر واحد تقريبا ، ولما لم يكن لي بد من الذهاب الى اهلي ، توجهت نحوه وانا اكاد اتقطع من الالم ، فزملائي ذهبوا الى

في ذكرى والدي العاشرة

•

ذكراك ملء الدهر والزمن ... أبتي أنا لولاك لم أكن
من قاد خطوي في الحياة فتى ... والشعر من لولاك علمني !؟
وخيالك المرسوم في نظري ... لا لست أنساه الى الكفن ..
عشر من السنوات قد عبرت ... فكأن موتك بعد لم يحن !..
كم طيفك الميمون راودني ... في الظن كم في الحلم كلمني..
ذكراك باقية تلازمني ... وبرغم ان الجسم منك فني !
تلك الطروس ملأتها عبرا ... وتركتها ذخرا على الزمن
هذي التصانيف التي كتبت ... بتبحر في البحث مختزن
أسفي على ذاك الدماغ على ... وهج الذكاء وحكمة الفطن
ويد تشع ثقافة وهوى ... لم تعرف الشكوى من الوهن
أبتي .. صرخت وعاد لي أبدا ... صوتي بلا جدوى فواحزني!
تبا لدهر كله محن ... من عاش في الدنيا بلا محن؟..
أو شاع ذاك القبر علمك يا ... أبتي وهل هو صالح السكن ؟
للعالم المخلوق منطلقا ... ليت الضريح على الضلوع بني!
ذاك التراب طفقت ألثمه ... وضممته بأسى فوا شجني...
وبك الضريح يتيه مفتخرا ... وبكنز علمك فاز فهو غني !
ذكراك في قلبي تفجعني ... أو يمضي يوم لن يذكرني
ذكراك مشرقة وخالدة ... يا خير من باهى به وطني !!

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيوتهم الواحد تلو الاخر ، ولم يبق منهم احد استطيع ان اطلب منه شيئا من النقود ، والحقيقة انهم لو ظلوا في المدرسة فانني افضل الموت على الطلب منهم ، وانا لم اعرفهم بعد معرفة جيدة ولم اندمج بهم ، فكيف اسمح لنفسي ان اتعرى امامهم بمثل هذه العجلة .

ولكن ما العمل ؟

الان سأصل الى الباص الممتلىء بالمعلمين والمعلمات العائدين الى بيوتهم لقضاء عطلة اخر الاسبوع بين اهلهم وذويهم في المدينة ، وسيأتي الجابي ليقول لي : « اسمح لي يا استاذ » ماذا يمكنني ان اقول له ؟ أأقول له : انني لا املك نقودا ؟ الا اصبح اضحوكة الزملاء الغرباء عني؟ الا يهزأ بي الجابي ويصرخ بملء صوته طالبا من السائق ان يوقف سيارته لينزلني منها .

وغامت الدنيا في عيني ، واحسست بوهن في ركبتي، فوددت لو اقعد على قارعة الطريق لاستريح، وتمنيت لو ان صاعقة من السماء تنقض علي فتحرقني مكاني وقبل وصولي الى السيارة ، لتخلصني من هذه الازمة التي لا اجد لها حلا .

تحاملت على نفسي ، وتابعت طريقي بخطا بطيئة ، ورأسي تكاد تنفجر من جراء الافكار السوداء التي بدات تزدحم في مخيلتي ، فاشتد خفقان قلبي ، واحسست بانني اكاد ان اختنق ، وبدت لي الدنيا مظلمة كئيبة ، بل بدت اشد عبوسا واظلاما من وجه امين السر القبيح .

وفيما انا على هذه الحال من اللهم والضيق ، اذا بصوت يأتيني من بعيد ، حسبته لاول وهلة وكأنه يأتي من عالم اخر ، او خيل الي انني في حلم مزعج رهيب .

ـ استاذ ـ استاذ .

توقفت بدون ارادة مني ، ونظرت الى الخلف ، فاذا بطفل صغير من تلاميذي يركض في اتجاهي ، نظرت اليه من خلال الضباب الذي يملأ عيني ، كان طفلا جميلا في عمر الورود ، تلمع في وجهه عينان واسعتان ، وتطفح على محياه علائم البشر والمرح ، فيبدو كبرعم ورد يريد ان يتفتح ، او كملاك صغير.

انتظرت قليلا حتى وصلني ، كان يلهث من شدة التعب ، وعندما وصل امتدت يده الصغيرة نحوي، وتطلع الي بعينيه الجميلتين ، والدم يكاد يتفجر من بشرته الفضة وقال بحياء جم :

« استاذ خذ هذه الليرات الثلاث واشتر لي قلم حبر من المدينة » .

دمشق — خليل خلايلي

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

انطون لورنس - عارف عجازي

الاب اسطفان يوسف سالم

بقلم البـدوي الملثم

* * *

١ ـ انطـــون لورنـــس

ولد في بيت المقدس عام ١٨٧٨ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة الفرنسيسكان ونال شهادته الثانوية من كلية الفرير بالقـدس عـام ١٩١١ . وفي اول نشأته عرف جاره الياس الشدياق ترجمـان بطريركية اللاتين بالقدس فعرف فيه شاعرا فذا وفي ساعات فراغـه كان يعرج على ذلك الجار الشاعر ليشبع نفسه النهمة الـى الادب بقصائد مطولة عذبة كان من عادة الشدياق ان يتلوها على مسمعـه فحفظ لورنس بعض تلك القصائد . ومن منظوم ذلك الجار الترجمان الذي استهواه فحفظه قول الشدياق :

وما لقـب الاصاغر كـان صفـــرا ولكـــن رغبـة الزهـد الاكيـــد
ورب مـــلابس بالصفـــر كبـرا تصاغـــر وهـو داهيـة الاسـود
وداس غـوارب العلياء وطـــا بنعـل شـد مـن ربـــق الجلـود

وأول عمل زاوله المترجم له تعليم العربية في كلية الفريربالقدس عام ١٩١١ و ١٩١٢ ومن طلابه فيها سماحة الحاج امين الحسينـي مفتي الديار المقدسية والسيدان موسى العلمي أحد زعماء فلسطيـن ومؤسس المشروع الانشائي في أريحا وعيسى بندك صاحب جريـدة « صوت الشعب » البيتلحمية .

وفي عام ١٩٠٩ نشر لورنس بعض نفثات قلمـه في جريـــدة « القدس » لصاحبها المرحوم جرجي حبيب حنانيا . وفي عام ١٩١٢ اصدر مجلة خطية اسماها « رائد النجاح » وفي هذا العام اتصـل بالمرحوم خليل بيدس صاحب مجلة « النفائس » وزوده بمقـالات كانت غفلا من التوقيع منها مقال ترجمه عن الفرنسية بعنوان « جحيم دانتي » ثم أخذ ينشر في « النفائس » تحت توقيعه الصريح مقالات منها سلسلة كانت بعنوان « العوالم الاخرى » .

وفي الحرب العظمى الاولى زاول التجارة في بيت المقدس وفـي اوائل الاحتلال البريطاني عمل موظفا في جمرك القدس ونشر مقالات في جريدة « بيت المقدس » لصاحبها المرحوم بندلي الياس مشحور .

وفي عام ١٩٢١ و ١٩٢٢ عين استاذا للغة العربية وآدابها فـي المدرسة الرشيدية بالقدس . وفي عام ١٩٢٣ استقال من عمله وانشأ مكتبة « بيت المقدس » وعلم العربية في كلية كردينال فراري (كلية تراسانطه فيما بعد) .وفي عام ١٩٣٣ انشأ مطبعة في مسقط رأسه باسم « المطبعـة العصرية » وتولى نشر الكتب الادبية والتاريخية والمدرسيـــة .

من آثاره القلمية : أضفى لورنس على الخزانة العربية طائفـة من الكتب النفيسة وابرزها :

١ ـ تاريخ فلسطين ـ من اقدم الازمنة الى يومنا هذا ـ طبع عـام ١٩٣٤ .

٢ ـ عظمـاء الماضي ـ ١٩٣٦ .

وله تعليقات على أول مجموعة للنصوص المختارة المطبوعة فـي « المطبعة العصرية » عام ١٩٤١ ، وصنف عشرين تمثيلية ونيف وتاثر بأبي الطيب وابن المقفع وقرأ « كليلة ودمنة » سبعين مرة وأتقن مـن اللغات الحية : العربية ، الفرنسية ، الانكليزية ، الايطالية واشتهر برسومه الزيتية وله لوحات رائعة في هذا الفن .

واتسم ادبه بأسلوب رائع واشتهر باطلاعه الواسع علـى الادب العربي قديما وحديثا وعلى الآداب الاوروبية واعتزازه بشوامخ الضاد امثال : المتنبي ، ابن المقفع والمعري الذي سخا الله به على الامـة العربية فكان هبة من هبات السماء وشخصية عظيمة لا تتكرر !

نموذج من نثره : « لم يكبر سقراط ويبلغ مبلغ الرجال في أحد هذه المنازل الفاخرة ، بل في بيت حقير قليل الاثاث . ولم يكـن يبالي بالغنى او المقتنيات النفيسة ، بل كـان كلمـا تقدم في السن يقل اكتراثه لراحته الجسدية وملاذه ، وينصرف الى كل ما هـو فاضل جليل عادل ، وكان يحب الشجاعة ايضا . وذلك ما قاله فيـه احـد كبار اصدقائـه :

(كنت وسقراط جنديين في وقت واحد ، وكان اقتداره علـى تحمل البرد يدهشنا ، فقد اشتد الصقيع ذات يوم وكلنا ، ما عـدا سقراط ، لزمنا البيوت او كنا ، اذا اضطررنا الى الخروج نتلفـع بالكثير من الثياب ، وننتعل اغلظ النعال ، ونعصب ارجلنا باللبـد والجزائز ، وكان سقراط مع ذلك ، يسيـر علـى الجليد حافـي القدمين ، مكتسيا بثيابه العادية ، فيبدو اجلد على السير من سائر الجنود المنتعلين !)

وكان سقراط كلما تقدم في السن يزداد رثاثة ودمامة وتفكيرا . وصار الناس اذا ما رأوا وجهه المألوف في الشوارع ، يقول بعضهم لبعض : هذا سقراط ، هلموا نحادثـه !

وذلك لان ابن الحجار اصبح معلما مشهورا ، وكان من عادتـه أن يطوف في الاغرا ، طول النهار ، محادثا ومحاجا اولئك الذيـن كانوا يحيونه ، طارحا عليهم اسئلة عديدة .وكان الناس بعد ان يفرغوا من الحديث معه ينصرفون مضطربي العقول . وأخذوا بتأثير الاسئلة التي كان يطرحها عليهم يشكون في كثير ، مما كانوا يعدونه مـن الحقائق المقررة . وصاروا يفكرون طويلا في أمور ، كانوا يعتقـدون حتى ذلك الوقـت صحتهـا .

وكان من رأي سقراط انه ينبغي لكل انسان ان يتعلم التفكيـر لنفسه ، حتى يستطيع ، اذا ما استعمل العقل ، ان يعرف ما هـو مستقيم ، وما هو حق ، وما هو جميل ، ويكيف سيرته بحسـب ذلك . وكان يريد ان تكون اثينا بلدا كاملا . وكان يقول لتلاميذه : ان ذلك لا يتم الا اذا هذب كل من الاهلين عقله ، كيما يعرف مـا هو قويم ، وما هو نبيل ! وكان من رأيه ، ان في التساؤل والنقاش ما يساعد على ذلك ، ولذا كان دائما يحادث قومه في الشوارع !

وكان يعلم الاولاد كما كان يعلم الكبار . واتفق ان زار مرة احدى المدارس ، فجاء اثنان من صغار الاولاد ، وجلسا بجانبه ، فسألهمـا سقراط : أيكما اكبر سنا من الآخر ؟ . فأجاب احداهما : اننـا نتخاصم في ذلك ! فقال سقراط : أيكما اشرف ؟ وأيكما اجمل ؟ وهل تريان في مثل هذه الامور موضوعا للخصام ؟ . فضحـك الولدان واجابا : نعم ! ولكن سقراط نظر اليهما حالا وقال : لست اسأل ايكما اغنى ، لانكما صديقان ، وكل شيء بين الاصدقاء مشترك، فليس الواحد منهم اغنى من الآخر !

ولما طعن سقراط في السن ذاعت شهرته في الآفاق وفتحت في وجهه ابواب كثير من منازل الاغنياء والاشراف ، لان النـاس كانوا يرون شرفا لهم ان يستضيفهم سقراط .

واجتمع حوله مع الزمن زمرة من الطلاب ، وكانوا يتبعونه أينما سار . وكان بينهم شاب يدعى افلاطون وعى كل كلمة نطق بها معلمه ،

وغدا فيما بعد معلما شهيرا ، كسقراط نفسه . وقام افلاطون بعمل سقراط وواصل تهذيب عقول الناس ، لجعلهم يفكرون لانفسهم .ولم يكتف افلاطون بان يعلم بالمحادثة ، كما فعل معلمه ، بل قضى معظم حياته يكتب ويؤلف محادثات ، بين سقراط وآخرين ، تكاد لا تعدو الواقع . وقد استقينا اكثر ما نعرفه عن سقراط من كتب افلاطون لان سقراط نفسه لم يكتب شيئا .

ومع ان كثيرين كانوا يحبون سقراط الشيخ ، ويبتهجون بحكمته، فان البعض لم ترقهم تعاليمه . فانه كان يعلم : ان لعقل الانسان تأثيرا في سيرته اعظم من تأثير الآلهة !. فظهر ذلك لبعضهم بدعة جديدة ورأيا قائلا . وكان يقول : ان من الاعمال ما هو اشرف من التضحية للآلهة اثينا وغيرها من آلهة اليونان ! فظن الكثيرون انه انما يقود الشبيبة في سبيل الضلال ! حينئذ استدعى حكام اثينا سقراط ليمثل امامهم لمحاكمته .فرغب اليه اصدقاؤه ان يهرب ، او ان يختبىء ريثما تنقضي العاصفة .الا ان سقراط لم يكن جبانا ، فقد كان يعلم انه لم يات شرا وانما علم ما كان يراه عدلا وحقا . ولذا ذهب الى المحكمة شيخا قصير القامة ، دميم الخلقة ، مغبرا عليه آثار السفر .غير ان قلبا نبيلا كان يخفق تحت ثيابه الرثة التي الفها الجميع !» .

٢ ـ عارف حجازي

في صفد الخضراء أطل « عارف » على الوجود عام ١٩٠٠ وانهى دراسته الابتدائية فيها والثانوية في سلطاني بيروت . وفي عام ١٩١٧ قصد دمشق وانتسب لـ « دار المعلمين » وظل فيها الى ان دخلها الجيش العربي فاتحا بقيادة فيصل بن الحسين فنال شهادتها في عهد مديرها جميل الدهان وكان استاذ العربية فيها الشيخ عبد الرحمن سلام الشاعر المعروف والخطيب المشهور .

وبعد ان اندحر الجيش العربي في معركة ميسلون ودخل غورو دمشق فاتحا منتصرا عاد «عارف» الى مسقط رأسه وعين في عهد الانتداب البريطاني معلما للعربية في ثانوية صفد وفي عام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٣) انتسب الى معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس وكان من زملائه فيه احمد الشقيري وصبحي الخضرا .

وفي ثورة عام ١٩٢٩ التي شب لظاها في سماء فلسطين القت السلطات البريطانية القبض عليه مع مئات من مواطنيه وزجت بهم في سجون ومعتقلات فلسطين ثارا لليهود الذين قتلوا في تلك الثورة ، وكان نصيب آل حجازي ممن اعتقلوا وسجنوا حصة الاسد وفي طليعتهم المرحوم الشهيد فؤاد حجازي .

وبعد ان أخلى البريطانيون سبيل المعتقلين نقل « عارف » الى ثانوية حيفا معلما للعربية .وفي عام ١٩٣٥ استقال من سلك التعليم وزاول المحاماة في جارة الكرمل وظل فيها الى ان نشبت الحرب العالمية الثانية فعاد الى صفد ليزاول مهنته بين مواطنيه وذويه . وفي النكبة الكبرى قصد عمان عاصمة الاردن وزاول المحاماة وهو يذكر وطنا مغصوبا ، وشعبا مفلوبا ، وشرفا معطوبا .

نموذج من شعره : قرض « عارف » الشعر في صباه وتميز بشعر عذب رقيق ومن شعره الوجداني قوله :

أقوم الليل اهتف بالنشيد
وارقب مطلع الفجر البعيد
واروي للنجوم حديث خود
تناهت رقة وسمت خصالا

نماها للدجى طرف كحيل
وفرع ناعم سبط طويل
وللورقاء ذياك الهديل
ترددده ابتداها وارتجالا

على الاوتار ترسلها خفافا
أنامل موصليات لطافا
تلاعبها افتراقا وائتلافا
فتجري رقة وشجى توالى

علينا من ظلال الروض ستر
تداول فرعه طي ونشر
وفي جنباته قد ساح نهر
جنان الخلد معنى واكتمالا

الى الاحلام اسلمها الغرام
وطاب لها على صدري المنام
صنيع الطفل أضناه الفطام
فقر هناك لا ينوي انفصالا

ترددها اريج الزهر طيبا
على صدري فتنتظم القلوبا
وتلهب في العروق دمي لهيبا
ضرام لا أطيق له احتمالا

أيسلم عيشنا من كل نكد ؟
وتجري ريحنا في كل سعد ؟
فننعم بالهوى أخدان رغد ؟
أمان قد ركبت بها المحالا !

٣ ـ الاب اسطفان يوسف سالم

في ربيع عام ١٩١٢ ولد اسطفان يوسف سالم في الناصرة بفلسطين وانهى دروسه الابتدائية في كلية الآباء السالزيان عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ ثم في مدرسة الارض المقدسة ١٩٢٥ وفي صيف هذا العام بارح مسقط رأسه الى عمواس (من اعمال القدس) والتحق بكلية الآباء الفرنسيين وفي صيف عام ١٩٢٩ ارتدى مسوح الراهب وفي عام ١٩٣٢ انهى درس الفلسفة في بيت لحم فدرس اللاهوت بالقدس ١٩٣٤ ـ ١٩٣٧ .وفي صيف عام ١٩٣٧ سيم كاهنا بالناصرة وانشأ مجلة اسبوعية اسماها « السلام والخير » وتولى تحريرها بمفرده وتعليم الرهبان الاجانب العربية .

وفي خريف عام ١٩٣٩ اسندت اليه ادارة مدرسة بيت لحم الابتدائية فنهض بها نهضة جبارة وحولها الى ثانوية كاملة ، وبرغبة ابداها ترك ادارتها عام ١٩٤٤ واضطلع بادارة مدرسة القدس للسالزيان .وفي صيف عام ١٩٤٦ تولى انشاء « ثانوية الارض المقدسة » في ثغر اللاذقية لتحل محل كلية الغرير هناك فنجح في اداء مهمته على أحسن وجه .

من آثاره القلمية : ١ ـ أفكار وأعمال (تأملات للشبيبة) . ٢ ـ تاريخ البروتستانت (جزءان) ٣ ـ شهادة مشاهير العرب في رئاسة القديس بطرس وشرحها . ٤ ـ فن الموسيقى ٥ ـ الموسيقى (جزءان) . ٦ ـ القديس برنارد ينوس السياني . ٧ ـ فن انشاد الشعر العربي (بمشاركة الدكتور اسحق موسى الحسيني) . ٨ ـ معجم الثقافة اليونانية الرومانية (بمشاركة الدكتور محمود الغول). ٩ ـ ندوة كلوت بك . ١٠ ـ دقت الساعة يا فلسطين (قصة وطنية).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارادة

لا تتركي الاوهام تطوي المدى ... أخاف ان أبكي وأبكي غدا
واقتربي !... اني هنا لم أزل ... أمشي على درب الهوى مفردا
أبحث عن نفسي ولا أهتدي ... وأي ذي قلب سواي اهتدى
ماذا علي اليوم لو أنني ... مددت رغمي للاماني يدا
وقلت للايام : لا تحقدي ... فلست أخشى الكون ان يحقدا
وللرياح الهوج : لا تعصفي ... فان لي فوق الثرى مقعدا
حبيبتي ... يا لحن أنشودة ... بنيت في قلبي لها معبدا
أن تحرمي دنياي من بهجة ... بغيرها ما عشت لن أسعدا
فلم تزل في الافق من نجمة ... تناشد الاحزان أن تبعدا

لان هذا العمر يمضي سدى ... والدهر غدار قليل الجدى
وأينما سرت فلا أنثني ... ألمح من حولي طيوف الردى
أريد ان أحيا ... وحولي المنى ... تلهمني لحنا عميق الصدى
وأطعم اللذات من صبوة ... جذوتها في القلب لن تخمدا
حتى اذا ولى شبابي ولم ... يجدد الحب له موعدا
اومأت للامس وخليته ... يرجعني طفلا من المبتدى

عمان ـ الاردن

عبدالرحمن سالم عاليه

---

١١ ـ ابليس المجرب مجرب (تمثيلية نقدية للكاتب الايطالي بابيني). ١٢ ـ السجناء الاحرار (مسرحية) . ١٣ ـ غرام ميت (مسرحية). ١٤ ـ قبلة المحبة (مسرحية) . ١٥ ـ صراع بين العلم والايمان (مسرحية) . ١٦ ـ صديق حتى الموت . ١٧ ـ يوم الجيش . ١٨ ـ الموسيقى خير علاج (مسرحية هزلية) . ١٩ ـ فادي أبيه . ٢٠ ـ محرر السجون. ٢١ ـ الذئب والغنم. ٢٢ ـ الصفح خير انتقام. ٢٣ ـ مأساة القديس بطرس. ٢٤ ـ رأسان من خشب. ٢٥ ـ هدية السماء .

نموذج من نثره : « دقت الساعة ! فدوى المدفع ، وزمجرت الطائرة ، وانقض الصاروخ ، وزحفت الدبابة ، فلمعت السماء واشتعلت الارض !

وتقدمت الجيوش العربية على طول خط الهدنة ، وانتفض عرب غزة ليلاقوا عرب اللد والرملة ويافا والناصرة ... تعالى الغبار ، وسالت الدماء ، فسقط الشهداء ، واندحرت جيوش المغتصب مرتدة الى البحر ... وارتفعت الراية العربية على ربوع فلسطين !

ألا يحق لنا ان نتخيل ؟ ألا يحق لنا ان نمتع الطرف بألوان الراية المظفرة ... تعلن نهاية النكبة ؟ بعدما كلت العين وهي تنظر الى الوطن المغصوب ممزقا ..حزينا..وقطيع الذئاب يملأ ربوعه بالعواء!

ألا يحق لنا ان نتخيل الوطن حرا يستقبل ابناءه العائدين بعد التشريد ، ويفك أغلال القابعين في بيوتهم سجناء ينتظرون يوم الخلاص والنداء ، وينظم عقدهم ثانية ، ويعيد اليهم طمأنينة القلب، ويبعث فيهم الامل والرجاء !

فلسطين ! يا مهد عيسى والصخرة الحرام !

ذبحوا ابناءك وما قالوا حرام !

فرقوا الاحباب ، ويلي ، في الشهر الحرام !

لقد جرب ابليس ايوب العربي الصديق ففقد ماشيته ، وأملاكه، وتهدمت دوره ، وماتت ابناؤه ، وبليت صحته بأخبث مرض ، وكان يسلم امره لله ويشكر ويقول : الله أعطى ، والله أخذ ، فليكن اسمه مباركا ! وأخيرا عوض الله أضعاف ما كان يملك من الانعام والبنين !

ان تجربة عرب فلسطين اشد من ان تحصر في اغتصاب ارض، ونسف قرية ، وتهديم بيوت ، وذبح ابرياء ، وتشريد اقرباء ، ودفن احياء في خيمة من مخلفات جيوش الاستعمار ، ضربت اوتادها في الصحراء ، وبين الصخور ، وعلى ضفاف الانهر !

دقت الساعة ... فدوى المدفع ، ورفعت الراية المظفرة !

لنتخيل تلك الساعة وفرحتها في القدس وغزة واللد والرملة ويافا وحيفا والناصرة وبيسان وصفد !

لنتخيل هزتها في القاهرة وبيروت ودمشق وعمان وبغداد والرياض وصنعاء ... وفي برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ... من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي !

دقت الساعة ... فرحت اتجول في ارجاء فلسطين لأحيي ذكريات النكبة القاسية ، وأشاطر ابناءها الضحايا في كل مكان حزنهم مسجونين ... مضطهدين في وطنهم ، وجميعهم فريسة الفقر والشقاء والحرمان !

رافقتهم ، وتحدثت اليهم ، وشاطرتهم كآبتهم وفرحتهم ، ترافقني الدمعة والغصة ، وأمسحها لاعود اذرفها وانا اضع اكليلا من ازهار فلسطين على مثوى والدتي،وعلى قبور الشهداء من ابناء أمتي!

لقد تم فداء فلسطين موطني! ألا يحق لنا ان نتخيل ...ياعرب؟

فلسطين ، يا غرة الارض ، والمجد الماضي ،
بوحدة الصف، نفوز ، سلاحنا ماضي ،
لا تيأسي بالله فعزم القلب ماضي ، »

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلاغة عند أمين الخولي

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

الخطوة الحاسمة في التأصيل العلمي ، في البلاغة العربية اليوم ، أتى بها بالامس القريب ، العلامة الجليل ، الخالد الذكر ، المرحوم امين الخولي .. فقد ربح التراث الحديث في البلاغة العربية ، من جهوده دراسات منهجية ،دقيقة، متعمقة ، في مجالات مختلفة للبحث البلاغي الحديث ، مثل : البلاغة المقارنة ، أو تاريخ البلاغة ، مدارسها ، أعلامها ، كتبها ، او ايضا مجالاتها الفنية ، والنفسية ، توجهها بكتابه «فن القول» مصر ، ١٩٤٨ ، والذي ظل ، يا حسرة، في حدود التخطيط ، والتنهيج ، والقاءالاضواء.

لقد طوت يد المنون علامتنا الجليل امين الخولي ، ومباحثه بهذا الرسم ، وعلى هذه الشاكلة ، وكم كنت كتبت له أرجوه ، بل احثه ، ان يوسع الابحاث المنهجية التي أجملها ، خاصة بعض المسائل الهامة منها ،والاساسية في البلاغة اليوم ، كالاسلوب مثلا .. وكم وعدني بالقيام بذلك ، ثم لم يجد الوقت له .. وماذا كان يمكنه ان يوسع مما أجمل ، ودراساته ، بالفعل ، مكتفية بنفسها ، وعلى الخصوص أنه ، وهو الامين على التراث ، وعلى المنهج ، وعلى البحث ، لا يفرط بدراسة دون مردود .

وأظن ان حرصه العلمي على المادة العلمية التي يكتبها ، الى جانب مشاغله التعليمية ، والادبية وحتى آخر حياته ، لم يسمح له بدراسات اخرى يضيفها الى دراساته حتى فن القول ، وخطته ..

واذا كان ذلك مما نأسف له اليوم ، ونتحسر للعلم الذي خسرناه له ، الا ان لنا عزاء في ان روح استاذنا ، وصديقنا العلامة الجليل أمين الخولي ، ظلت ، وتظل مهيمنة على هذه الدراسات المنهجية ، الدقيقة ،المختلفة. التي خطط بها للتأصيل العلمي ، والادبي ، للبلاغة العربية اليوم ، كأنما أبت مشيئة الله تعالى ، والتي جادت علينا بعبقرية علامتنا امين الخولي ، أبت الا ان تظل هذه العبقرية روحا مهيمنة على التأصيل العلمي ، والادبي الحديث في البلاغة اليوم ، كما كانت في حياتها ،وعاشت في ذلك عيشة التجديد الاصيل ، والصائب ، والمجدي.

وقد بدأت محاولات (سقراط البلاغة) ، العلامة امين الخولي ، في التجديد البلاغي ، عام ١٩٢٨ ، اذ كان يدرس الادب ، والبلاغة في كلية الآداب ، في الجامعة المصرية ، ولم تنقطع تحقيقاته ، اثر ذلك ، في شتى هذه المجالات الادبية ، والبلاغية ، حتى آخر حياته ..

اقول (سقراط البلاغة) .. وهو نعت ، كثيرا ما كنت انعت به (شيخ الامناء) ، في حياته ، فيضحك له.. انه النعت الذي ينصفه في جهوده المنهجية ، الرائدة ، وروحه البصيرة المهيمنة ، في حياته ومماته ، والتي يلخصها حقا التلقين الحي ، ولنقل المحاورة ، وايضا المرح المجدي ، وأكاد أقول السخرية ، السخرية بالاحرى بعجزنا ، وجهلنا ، وتقاعسنا عن الكمال ..

كان سقراط يستعين بالمحاورة ، والسخريةلتعريف الناس بأنفسهم ، كان سقراط يحاور ابناء الشعب ، حتى ابناء الشوارع منهم ، ويصدمهم ، ساخرا منهم ، صدمات روحية تقفهم على حقيقة حالهم ..

وكذلك كان سقراط البلاغة ، أمين الخولي ، رحمه الله تعالى ، يحاور تلاميذه في ابحاثه ، ويضحك معهم ، ويسخر منهم ايضا في بعض الاحيان .. لقد كان مرحا في جد ، بشوشا في تفاؤل ، خفيف الظل ، محبا للنكتة ، وحاضر البديهة ..

اذكر انه ، مرة ، في حفلة سمر جامعية ، مع طلابه، وبمناسبة حديث عن النكات،وان بعض الاساتذة القدامى، كان يضع جائزة لمن يقول نكتة ناجحة فيه نفسه ، أنه سمح بالتنكيت على هذه الطريقة ايضا .. فانبرى بعض الحاذقين في النكات من التلاميذ يتراشقون النكات حول علامتنا امين الخولي ، نفسه ، كما سمح بذلك ، وحول بعض الحضور من الامناء ، او من اساتذة الجامعة .. وعلقوا بكلمة «خولي» ، اي بستاني ..

ويظهر ان الكلمة «خولي» تعني ، ايضا ، باللهجة المصرية القديمة (سائس اسطبل) ، فانتقلت النكات الضاحكة ، والساخرة ، الى (العربية) كارو ، والى الحنتور ، والإسطبلات ، والبهيم ..

رحم الله خولي الفن القولي العزي ، اليوم .. ان كتابه «فن القول» خطاب الى تلاميذه ، وتخطيط للاجيال المقبلة في التجديد البلاغي .. وجل دراساته حوار مع تلاميذه ، او مع جمهور الدارسين في الكليات العلمية ، والادبية العربية ، المقبلين ..

ولست اعرف للعلامة امين الخولي نتاجا ادبيا ، غير مسرحيات قديمة لم تنشر ، كان حدثني هو نفسه عنها ، في حديث تطرقنا فيه الى الادب ، وانتاجه فيه ، فذكر لي ان له نتاجا قديما في المسرح ..

وقد اشار الاستاذ شكري عياد ، في تقديمه كتاب « مناهج تجديد » لامين الخولي ، مصر ١٩٦١ ، الى ذلك، فذكر انه يرجع الى أيام التحصيل في القضاء الشرعي ، اذ كان (يضع التمثيليات لجوق له شأنه في ذلك الزمان « جوق عكاشة » ، وينجح طالب القضاء الشرعي ، فيما يكتب من تمثيل ، حتى ليعرض عليه أصحاب الجوق ، كما حدثني ، ان يترك دراسته ، ويفرغ لوضع التمثيليات ولكنه يثابر على دراسته الفقهية ، ويبرز فيها...)ص٩.

ثم لا نعرف ان علامتنا امين الخولي عاود النتاج الادبي ، اي نتاج ادبي ، على اختلاف أنواعه آنئذ ، وربما له نتاج لا نعرفه .. بل صرف همه الى البحث العلمي ، الادبي المنهجي ، الدقيق ، في مجالات الادب ، والبلاغة المختلفة ، مع مشاركة في دراسات تاريخية ، وتحليلية في الاسلام ، وبعض اعلامه، أو المجتمع الاسلامي ، وبعض مظاهره ..

ويمكننا حقا ، ان نقول في جهود العلامة أمين الخولي.. أنه عندما شرع في الدراسة الادبية ،والبلاغية، والتأصيل فيهما ، لم يكن للنقد الادبي ، ولا للبلاغة ، علم موطد الاركان ،واضح المعالم .. حقا ان طموح الجامعة المصرية ، كلية الآداب ، ظل وراء التجديد النقدي ، والبلاغي ، والادبي على العموم منذ العقد الثاني ، من القرن العشرين .. ولكن النتاج الفعلي في التأصيل لم يكن وصل بعد فيهما ، الى مستوى علمي ، وأدبي ، شامل ، مقنع ، ومدعم ..

لقد كانت جهود طه حسين ، آنئذ ، منصرفة الى التاريخ الادبي نفسه ، ثم احيانا الى النقد الادبي ، بينما لم تكن جهود احمد امين ، في مجال النقد الادبي مثلا ، اكثر من حماسة الى تلخيص الرصيد الغربي الحديث ، الوافد الينا ، مع تطبيق هذه النظرات النقدية الحديثة التي له ، على الادب العربي ، القديم منه ، او الحديث..

ان البلاغة عند الغربيين ، اليوم ، ما تزال على رسومها القديمة التي توارثتها عن اليونان ، والرومان ، من تضمنها الموضوعات الكبرى الثلاثة : الايجاد ،والترتيب، والتعبير ، وهي عندهم ، اليوم ، مهملة ، منافسها ، بل يحول دون رواجها ، ونموها ، او تطورها عندهم التطور المجدي ،السيل المنهمر من الدراسات الجمالية، والفنية ، والنقدية المختلفة ..

ومناهجها عندهم لا تزال المناهج الفنية ، والنفسية، والاسلوبية ، واذا افتن الغربيون اليوم ، في مبحث من المباحث ، او منهج من المناهج فيها ، ففي اتجاه ذوق من الاذواق ، أو منحى من المناحي ، مثل أيثار الوضعية ، والفكر العلمي ، والذي رأيناه يطبع الدراسات الحديثة ، في البلاغة عند الفرنسيين، بطابعه المميز، والمتوخي الدقة.

واذا تأملنا مراجع العلامة امين الخولي ، في البلاغة العربية اليوم ، خاصة التي اعتمدها للدراسة المقارنة في البلاغة الحديثة ، وجدناها مراجع عادية ، هي الصورة التبسيطية عند الغربيين ، الطليان منهم ، الصورةالبسيطة التي تدرس للثانوي ، والجامعة ، في شكلها الحالي الذي هيكلت عليه ، كأرث انساني عن اليونان ، والرومان .. (فن القول ، بلاغة اليوم) .

كما نجد ايضا ، الى جانبها ، ذلك الشكل القديم ، والمتوارث عندنا ، لتلخيص التعليم الارسطاليسي في البلاغة ، كتاب الشعر، البويطيقا، والخطابة ،الريطوريقا، دلل عليه في مظانه ولخصه .. (مناهج تجديد ، ص١٥٢ ـ ١٥٥) مثلا ..

في معظم دراساته المنهجية ، بل وفي خطته في « فن القول » نفسه ، لم يفصل أمين الخولي دراسة البلاغة عن الادب، ولا عن الحياة، وانما راح، على العكس، يستعين بالعلوم التي تفسر النشاط الفني ، الادبي ، وتشرح حياة الاديب في ذاته ، وفي مجتمعه ، ليقيم على معطياتها ، ونتائجها تجديده في خطته لفن القول ، والتي نصت منذ محاولاته الاولى ، كما في دراسته في دائرة المعارف ، على المقدمتين الفنية ، والنفسية ..

وكذلك استعان امين الخولي ، في عمله الادبي ، والبلاغي ، ولنقل ايضا النقدي ، والذي كان يراه شيئا متمما للعمل البلاغي بالعلم ، بل حسب حسابا للمنهج العلمي ، الادبي ، نفسه في دراسة الادب ، وعلى الخصوص ، اظهار اثر البيئة في الادب ، وما استلزم عنده من قول بالاقليمية الادبية ..

ان ذلك شيء بارز في خطته لفن القول نفسها ، اذ رأينا فن القول يصل الى تمصير البلاغة ، والبحث في الحس المصري ، بالضبط ، كما عكس منهجه الدعوة الى دراسة الادب الاقليمي ، البيئوي ، المحلي ، المصري مثلا ، او غيره ..

والاقليمية الادبية عند امين الخولي صورة اصيلة ، من صور التأصيل العربي ، الحديث لدرس الادب ، وتاريخه .. والتي نعرف قبلها صورة بسيطة ، وأدبية ، عند طه حسين ، حين آثر ان يعتمد الذوق ، والمقياس الادبي لتاريخ الادب ، دون المقياس السياسي ، او العلمي، خاصة المقياس الاخير ، والذي يفمط ، في نظره ، ذاتية الادب ، وذوق الدارس ، والناقد ..

واساس الاقليمية الادبية عند امين الخولي،ما مررنا به من ربط الادب بالحياة ، او تقدير أثر البيئة ايضا ..

الا انها ليست اقليمية متحجرة ، محدودة فقط بتبيين العوامل البيئوية ، او ايضا الاجتماعية كما يخيل الى البعض ، او لنقل ، ليست اقليمية ، واقليمية فقط ، دون سواها .. وانما هي تتسع لانسانية الاديب نفسه ، كما ان قسما كبيرا من تأصيلها منصرف الى الاديب نفسه، تجربته ، وتفاعله مع الحياة حوله ..

ومن هنا عكست الحس النفسي للدرس الادبي ، والبلاغي ، والنقدي ايضا ، كما سبق واشرنا ، للادب ، وظلت على صلة وثقى بالناحية النفسية في ذلك كله .. واذا كان نص فن القول على تمصير البلاغة ، الا ان ربطه المستمر للادب بالحياة ، يوسع مما يمكن ان يضيقه التقيد فقط بالاقليم ..

وذلك ما يميز ، بالفعل ، الافق الانساني الرحب ، والمثمر للتأصيل البلاغي الحديث عند امين الخولي رحمه الله تعالى ، رحمة واسعة ، وارجو ان تكون لي عودة قريبا على تعليمه ، أوضح معالمه الصائبة ، والمثمرة ..

دمشق — عدنان بن ذريل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابـو طالـب زيـان

أنا واصحابي.. في الادب والحياة

بقلـم ابو طالـب زيـان

* * *

دخل علي أصحابي في ليلة مـن ليالـي شهر ديسمبر الباردة ، مكتبي الذي اعتدت ان اقضي فيه أحلى ساعات حياتي ، وأمتعها وأعمرها بالثروة ، وأغناها بالمكاسـب الادبية التي أحصل عليها من وراء هذا المكتب المتواضع..

ولقد تعودت ان اسمي اولادي : اصحابي ، وأنادي كلا منهم بما يشعره بالاحترام ، او يتيه به بين اخوته من تبجيل وتعظيم ، فهم بحمد الله قد خرجوا عـن طـور الطفولة ، وأوشكوا ان يقفوا على عتبة الحياة ...

دخل هؤلاء الصحاب ، في منتصف ذلك الليـل او بعده بقليل ، وأنا أطالع « العقاد » في كتابـه « أنـا » وأراجع مقدمة طاهر الطناحي للتعريف به ، واقرن حياته الان بحياته بالامس ، وهو يجلس من وراء مكتبه في «دار الهلال » ، يراجع ويوجه ، ويستقبـل الزائريـن ، ولا تفارقه عادته في الربط بين حياته ، وهو على هذهالوتيرة من العمل ، وبين من لقيهم في حياته من ادباء كبار ، او علماء بارزين ...

قالت لي ابنتي الكبرى :

اليس لهذه الحياة التي تحياها من آخر .. تريـد حياة السهر ، وما يدخل فيها من كتابة ومطالعـة ، دون مكسب مادي يعود عليها أو على اخواتها ..؟

قلت : وهل جنى العقاد شيئا ، او ترك ضيعة ؟

قالت : وهي تتخابث ، أريد ان أصل معك الى هذا الحد .. ولهذا اجتمعت « أنا » واخوتي الثلاثة ، وصممنا على اقتحام هذه «الخلوة» في هذه الساعة من الليـل ، وان كنت تغضب ، او تطردنا من هذا المكان .. وعلى ذلك فقد ند خامسنا ، لانه لا يرى فائدة من وراء الرجاء ، أو يرى أننا سنعود مقدما ، نجر اذيال الخيبة لاننا لا نقوى على اقناعك او مجادلتك في هذه السبيل..

قلت : مهلا يا ابنتي .. كان العقاد يرحمه الله ، يقرأ كتب فلسفة الدين ، وكتب التاريخ العام ، وكتب التاريخ الطبيعي ، وتراجم العظماء ودواوين الشعر .. وقال مرة عندما سئل عن هذه القراءات المختلفة :

« انني اقرأ هذه الكتب ، وأعتقد ان العلاقة بينهـا متينة ، وان كانت تفترق في الظاهر ، اذ تؤدي جميعـا الى توسيع أفق الحياة أمام الانسان . فكتب الفلسفـة الدينية تبين الى اي حد تمتد الحياة قبل الولادة وبعـد الموت . وكتب التاريخ الطبيعي تبحث في أشكال الحياة المختلفة وأنواعها المتعددة . وتراجم العظمـاء معـرض لاصناف عالية من الحياة القوية البارزة .والشعر هـو ترجمان العواطف ، فانا لا اقرأ من الكتب الا ما له مساس بسـر الحيـاة » .

قال أخوها ، وهو ينحو ناحية عملية في حياتـه ، وعلى ذلك فقد مات العقاد فقيرا كما أعلمتنا حين قبض وذهب الى جوار الله .. لم يعقب ولدا يحمل اسمـه ، ولم يخلف ثروة تكون عنوانا له ..!!

قلت : هونوا عليكم يا اصحابي ، فالعقاد قد تـرك اكثر من ثمانين ضيعة ، هي ذكراه يوم لا تنفع ذكرى ، وهي له يوم لا يكون لانسان اي شيء في هذه الدنيا ..

وعندئذ دخلت ابنتي الوسطى ، وهي تعد نفسها في هذا العام لدخول كلية عملية كأخوتها الذين سلكوا هـذا الطريق ، دون اخذ رأيي ، او دون استشارتي حتى في مستقبل حياتهم ، فأنا قد تركت لهم حرية الاختيار في هذه الحياة ، وحرية الترك والعمل ، وحريـة المأكـل والمشرب ، وقلت في نفسي : لعل نظرتهم تصيـب ، او لعلي اكون على خطأ ان انا رسمت لهم طريق هذه الحياة.. ويكفي خطأي أو خطئي أنا وأنا امضي دون وعي في مستهل حياتي ، وأجري وراء هذا السراب الخادع الذي ظننتـه ماء ، وظهر أنه غير ماء ...

كنت وصديق لي ، هو زميل ايام دراستنا ، نقضي الليل كله في قراءة « الاغاني » او « أمال القالـي » أو « عيون الاخبار » ، ونفضل هذه الكتب على كتب الدراسة التي حضرنا من قرانا لدراستها وتركنا اهلنا مشغوليـن علينا بسببها طيلة ايام هذه الدراسة ، غير بحثنا الطويل في آخر اليوم عند الوراقين في ازقة القاهرة وشوارعها عن الكتب التي تهمنا بأرخص سعر ، وبأقل ثمن ، فضلا عن مطالعة ما يكتبه العقاد والمازني وطه حسين واحمـد

أمين والزيات في المجلات الادبية ، أو ما يودعونه بطون الكتب التي تحمل أسماءهم في تيه وعجب ، غير اللقاءات التي كنا نسعد بها بالجامعة او مجالس الادب ، او ندوات الشعر أو في احد المقاهي التي تحتضن القاهرة من كل جانب ..

قالت ابنتي الصغرى : وما هو مكسبك بعد هذه الحياة التي عشتها مع هؤلاء الادباء ..؟

قلت : ظهر «الزيات» في وقت اعلن فيه : انه يحارب الجمود الفكري الذي ران على عقول الادباء وقتا طويلا وأخذ يدعو وصحبه الاخيار : العقاد وطه حسين واحمد أمين وبعض من أكلتهم الحياة وطعمتهم الدنيا ، وسط تلك السنين الغوابر ، لا يألو على شيء الا ان يقف على قدميه في بيداء الحياة الادبية المترامية : كل همه ان يفنى بعد فقر ، ويروى بعد ظمأ ، فكانت هذه الضيعة التي تمخضت عنها «الرسالة» وكانت البنايات الشاهقة التي تعلو سماء القاهرة ، وكان ذلك «النزل» الذي يقيم فيه الان ، وكانت تلك الوظيفة التقليدية التي يحج اليها كل شهر ، وكانت تلك الكلمة المسموعة التي ينحتها من الصخر بين وقت وآخر : مجاملا او معقبا او ناعبا ... !!

وكان طه حسين الذي اخرس بفعل السنين وعوامل الزمن الا ان قلبه مطمئن الى ما خلف من تلاميذ وما ترك من تراث ، وكان أحمد امين الذي عز عليه ان يغنى «الزيات» دونه فذهب يؤذن في «الثقافة» وينافس زميله، وينقم عليه فعلته ، الى ان طواه الزمن وابتلع «ثقافته» كما ابتلع «رسالة» الزيات ، وان كانت دراساته في «ضحى الاسلام» و«فجره» و «ظهره» ما تزال المراجع الكبرى في الادب والتاريخ ..

على ان الذي يؤسف له ، ان العقاد بقي متخلفا عن هذه المنافسة ، قانعا بعطاء الزيات له ، مؤثرا الفقر على الفنى ، قاصدا بعمله خدمة اللغة والادب متحديا الرافعي رحمه الله ، ناقما عليه علمه ، متألما لقلمه ، شاكيا لله وللناس قرصاته وقفشاته ، واستمرائه المعاندة ، وحبه المشاكسة ...

قالت ابنتي الكبرى : أراك دائما يا ابتاه تذكر العقاد بخير كأنه نفس كبيرة ، وقلم جبار ، وانسان مثالي ، وعالم مقدم ، وأديب فاضل ..

قلت : هو كذلك يا ابنتي .. الرجل الذي يتمنى أن تنتهي حياته عندما تنتهي قدرته على الكتابة والقراءة ، هو رجل عظيم ... الرجل الذي يقول :

ستغرب شمس هذا العمر يوما ويغمض ناظري ليل الحمام
فهل يسري الى قبري خيال من الدنيا بأبناء الانام
خلعت اسميعلى الدنيا ورسمي فما ابكي رحيلي او مقامي

هو كذلك رجل عظيم ، وآية العظمة في هذا الرجل، انه خرج من الدنيا كما دخلها لم يترك ثروة مادية في بيته الذي تفنى به ، غير أحذيته الكثيرة التي كان يدوس بها على الدنيا او على الادباء الذين كانوا يتعالون عليه ، أو يتطاولون على انتاجه الكثير الممتع ..

قال ابني : لم ترك العقاد ثروته في «احذيته» ؟

قلت : يا بني .. كانت أمنية العقاد ان يصل الى ما وصل اليه من مجد ورفعة وان يخلد اسمه فخلد ، فأراد ان يضرب المثل للناس ، ان الدنيا لا تساوي شيئا، وأن الضياع والعمارات ، ان هي الا متعة زائلة جرى وراءها نفر من الادباء ، لتكون لهم عاصما من الفقر ، وملاذا من العوز ، وان كانت هذه الفلسفة لم تتمثل الا في ثلاثة او اربعة..من محيط هذه الاسرة الكبيرةالكريمة!!

قالت ابنتي الوسطى : كان من الواجب يا ابتاه ان يعين هذا الصحب بعضه بعضا كل بمقدار ما عنده ، او كل بمقدار ما يجود به .. فالعقاد مثلا كان فقيرا .. يعيش على قلمه ، وطه حسين صاحب وظيفة ، و «شنة» و «رنة» في يوم من الايام ، والزيات صاحب «عزبة» ويملك عمارتين في اغلى مكان في القاهرة .. والعقاد يسكن بالاجرة ، والاجرة القليلة كما قلت لنا .. أفلا كان يمكن ان يعالجه من مرضه الاخير زميل له ممن أوتوا هذه المكاسب ، وكان للعقاد يد فيها ، او كان له نوع المشاركة في جمعها ؟

قلت : ليس الناس كلهم كما تحسبين يا ابنتي... بهذه الاريحية ، وليس كل الناس الذين يقبلون امثال هذه المساعدات حتى ولو عاشوا والفقر خدنين مخلصين . فالعقاد يرحمه الله .. كان يتحدى زميله «طه حسين» حتى آخر رمق من حياته ، ويعيب على صديقه الزيات ، سلوكه في بعض «المجلات» التي يشارك فيها بالرأي او بالقلم او بالقوة ، وكان رحمه الله ، يحمله فشل مجلته «الرسالة» الجديدة بما جمع فيها من مجاملات او أقلام كسيرة او افكار مبتسرة ، غير ما كان ينشره فيها من سجعات او نحتات ، تأبى على التطويع ، وتعز على الفهم ، مما جعل كثير من المثقفين يعرضون عنها ، ولا يقيمون لها وزنا ، على الرغم من اعلانه : ان الرسالة الجديدة ، امتداد للرسالة القديمة التي كان «الزيات» بها من الموسرين والاغنياء ...

كنت يا ابنتي .. نحج الى كعبة العقاد ، أو الى منزله المتواضع في مصر الجديدة يوم الجمعة من كل اسبوع ، فنجد الرجل يستقبلنا ببشاشته المعهودة ، ومداعباته الحلوة ويجلسنا عن يمينه وعن شماله وقبالته .. ونحن نسأل وهو يجيب ، دون من أو ملل او اكتئاب، او فرار من اي جواب ، والقوم مأخوذون بعلم الرجل واطلاعه ، وهضمه لكل الثقافات ، كأننا أولاده يمحضنا النصح ، ويخلص لنا في الجواب ويعيب علينا التواكل والدعة ، وقصورنا عن ملاحقة ركب الثقافة ، وكان يثلج صدره رحمه الله ، ان يسأل سائل عن التيارات الثقافية في الشرق والغرب ، او يدخل فارس من الفرسان في

مناقشة ادبية تدور حول راي من آراء العقاد ، او راي غيره من الادبـاء ..

قلت يا بنية للعقاد في يوم من الايام ، وقد اشتـد صراع الجدل حول الشعر القديم والشعر الجديد ،وتمثله في نفر ينبو الذوق عن ذكر اسمائهم :

هل يكون هناك «عقاد» آخر ؟ ما رايك فيمن يسمونه الشعر الجديد ؟

وبتواضع أجابني الرجل عن سؤالي الاول .. ولم لا يكون هناك «عقادون» آخرون ما داموا يسلكون طريـق « عقادهم » الاول ، ويترسمون طريقه ، ويمشون علـى منواله ... الست بشرا ؟ آكل كما تأكلون ، وأنام كمـا تنامون ، وأقرأ كما تقرأون ؟.. الفرق بيني وبينك ، انني اعي ما اقرا ، وافهم ما اقول ، ولا اتصدى لرأي الا بعـد ان اكون قد قلبته ظهرا لبطن ، او بطنا لظهر ، واعملـت فيه الفكر اياما وليالي ، ثم امسك بقلمي عن علم ، وأشق طريقي عن ثقة ، وادافع ولو انفض من حولي الاصدقـاء والمحبون ... وربما لم يكن في حسابي ، وانا اطالع اي كتاب ، انني لا اجد من يشاركني رأيي فيـه ، او ربمـا وجدت من عاب عليه طريقته أو انتقده لنقص في رايه أو حيدة عن الطريق .. وقد شغلت نفسي منذ الصغر بحب المطالعة ، والتعلق بهذا الامل الذي صرت اليه ، وقضيت الايام والشهور وانا اطوي قلمي في غمده ، ولا اشرعـه الا وانا مؤمن ، بأن الوقت قد حان للوقوف في الميدان .. اما معشر الشباب وهم بحمد الله كثير ، فأول ما يتبادر الى ذهنهم ، وهو كليل ، الوقوف في الميدان ، والتصدي لكل قول ، ونقد ما لا يستحق النقد ، وعرض ما اتفقت الآراء على طيه ، او اخذه دون اللغو او المساس بقدسياته ، وعلى ذلك يجب ان تؤمن الايمان كله ، بأن العقادين كثير اذا ما درسوا منهج العقاد في القراءة والكتابة ، وحببت اليهم خلوتي ، وشغلوا انفسهم بالبناء قبل الهدم ...

لكن يا بنيـة عندما جاء ذكر الشعـر الجديد ، وزعامة نفر ممن يدعون انفسهم بأدباء ، انتفض الرجـل انتفاضة كبيرة .. وقال : لا يوجد شعر بهذا الاسـم ، او بهذه الصفة ، وكل ما يقال في هذا الصدد ، عي وحصر وهراء وعجز عن السير على قواعد العربية ... وما كـان اغنى العرب عن هذا التكلف الذي يريد ان ينفك منه هذا النفر ، ويتحلل منه « الشويعريون » الذين يبتدعون لنا فنونا جديدة في الادب ، تبعدنا كل البعد عن قواعداللغة، وقوانيـن الضـاد ..

قلت : الا أنك قلت هذا الشعر ودعوت الى هـذا التجديـد ؟

قال رحمه الله : معاذ الله .. انني قلت الشعـر الحديث ، الا انني مشيت على ما رسمه الاولون من الوزن والقافية ، وتحررت حقيقة ، من الافكار القديمة والبست العافية ثوبا جديدا ، لارتاد الطريق ، ولا اشق على السابلة من الشعراء السير فيه ..

لكن قد حسب هذا النفر .. انني أدعو الى التجديد حتى في هذا الوزن فنبذوه وأدعو الى التجديد في القافية فتركوها .. وها هوذا شعري بين يديك : اتحـداك ان تطالعني فيه ببيت واحد خلا من الوزن او ند عن القافية، او شرد عما وضعه العرب من قوانيـن ، تحكـم البنـاء الشعري ، وتربط قواعده ..

قال اصحابي جميعا : الرأي لك ... فيمن تنقد او تحب ، والرأي لنا في حياتنا ... كل ما نرجوه ان يوفقك الله وتترك حياة الادب لا سيما وقد شارفت على الخمسين، دون ضيعة او عمارة ، ونخشى عليك ان تقضي حياتك كما قضاها العقاد ، هينة على الناس ، وان كانت غاليـة علـى نفسـه ؟

قلت يا أولادي دعوني وشأني ، فقد جاوزت الساعة الان الرابعة من صباح اليوم دون ان اقرأ شيئا او اكتب شيئا ، أو أعيش مع هؤلاء الذين أحبهم حبي للحياة ...

القاهـرة

ابو طالب زيان

قصة مجهولة

من خلل الدمـوع ، خلـف السواد
أرى بعينيـك بقايـا الرمـاد
مـا زال وهـج بالامس ، مفرورقـا
بالدمع ، يروي قصـة مـن سهـاد

وألف جـرح راقـد فـي الطـوى
أطـل كالافعـى ، سخيـن الـدم
دفنتـه ، طويـت أسـراره
في الصدر ، في الاعماق ، في المبهم

قـرأت فـي عينيـك أسطـورة
داميـة ... مجروحـة الكبريـاء
قـرأت جرحـي فيهمـا ، انـني
ألمح في عينيـك وهـج الدمـاء

كـم قصـة شيطانية ، لـم تـزل
تأكـل مـن روحـي .. ومن أدمعي
تحفـر وجدانـي ، ولا تأتلـي
تنخـر كاللعنـة ، فـي أضلعـي

تكلمـي يكـاد يطفـى الاسـى
يطـل مـن ماضيـك ، نورا ونـار
وحدثـي ، فالبـوح طهـر الهـوى
البـوح انسانيـة ، وانتصـار

عمان ـ الاردن **راضي صدوق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نسيم نصر

من ذكريات معلم

بقلم نسيم نصر

* * *

« ... والذكريات صدى السنين الحاكي » ، ولكن الاصداء تختلف باختلاف مصادرها ، وما تذكرت عهدا من عمري في حمص الا تراكضت نحوي اطياف ماض زاخر بالعبر والدروس ، او حافل بعرائس من أيام العمر .

لا أدري ما الذي أغضب الاقدار ، في منتصف ليلة الثاني من شباط سنة ١٩٣١ ، فصبت غضبها على قلب مدينة حمص ، فاذا بمحلة بستان الديوان تهب مذعورة على ازيز لهيب النار ، وقد شبت تلتهم الكلية الارثوذكسية من جهاتها الاربع ، وتعالت السنتها تلسع صفحات الفيوم التي كانت تلقي على الارض رشاشا خفيفا من مائها . ولكم اشتد الذعر بالمتراكضين الى حيث نزلت الكارثة عندما احاطوا بالبناية الضخمة المشتعلة ، فدوت في آذانهم نداءات الاستغاثة ، فكل من في الطابق الثالث من اساتذة وطلاب حصرتهم النار المتصاعدة من الطابق الارضي تسد عليهم طريق الخلاص بألسنتها الطويلة . ومتى عرفت ان الممرات الداخلية كانت مشحونة بالخزائن الخشبية ، وان الشبابيك الخارجية كانت مشبوكة بصلبان ثخينة من الحديد أدخلت اطراف قضبانها في الجوانب الحجرية ادخالا محكما عند بنائها ، عرفت في اي وضع هائل يائس كان زهاء مئة شخص من معلمين وطلاب ينتظرون ، دقيقة دقيقة ، ان تصل اليهم النار المتدافعة ألسنتها الرهيبة نحوهم . ولم يكن من منفذ يرجى للخلاص ، من هذا الجحيم الزاحف ، الا اذا استطاعت بطولة احد المهددين بالنار ان تفتح طريقا للخروج ، في احدى النوافذ المحصنة بالحديد ، فما نعرفه اليوم من اجهزة الاطفاء ، رجالا وآلة لم يكن له من اثر في ذلك الليل المريع . وكان محقق البطولة النادرة ، في فتح المنفذ الخلاصي بين القضبان الحديدية ، الشماس الياس معوض ، الطالب الثانوي آنئذ ، ومتروبوليت حلب للروم الارثوذكس اليوم ، اذ أدى وحده مهمة سرية اطفاء .

وهكذا استطاع ذلك الحشد اليائس ان ينحدر على حبال النجاة التي مدت اليه ، عبر النافذة الخلاصية ، وان ينجو في مثل اعجوبة ، من تلك الميتة الهائلة . وكان تلك الكارثة كانت امتحانا جديدا لاريحية الحمصيين : المقيمين والمهاجرين ، ولا سيما المهاجرون الى البرازيل ، اذ لم يمر على ذلك الرعب التاريخي غير اربعة اشهر حتى عاد ذلك الصرح التربوي افضل مما كان . كل ذلك مر كالاسطورة دون ان يتوقف العمل المدرسي سوى اسبوع واحد .

ولنحاول الان ان نخفف من هول ما وصفنا فنحدث بذكرى من أبعد الذكريات مدى في الاشارة الى مكانة حمص في دنيا الادب العربي ، قديما وحديثا .

في ايار من سنة ١٩٣١ ، وفي حضن من أحضان الطبيعة الحالمة على جنب من الجنبات الخضر من ضواحي عروس الوعر ، كنا ثلاثة : حمصيين ولبنانيا ، انتحينا ضفة من ضفاف العاصي ، تخيرنا منها المتنزه المعروف بـ « الميماس » . وهناك جلسنا نتجاذب اطراف الحديث . وفيما نحن كذلك ، قلت لاحدنا ، وكان اسمه عبدالسلام: كأني بسميك الشاعر الحمصي ، صاحب الغدوات والروحات الى هذا المكان ، منذ اكثر من الف ومئة سنة، يتراءى لي الان هائما نادما بعد زهوه وعربدته ! قال صاحبي : ومن هو سميي الذي تعنيه؟ قلت : هو عبدالسلام بن رغبان ، المكنى بأبي محمد ، والمنتسب الى تميم ، والملقب بـ « ديك الجن » . كان شاعرا خمريا ، اتصل صيته بأبي نواس شاعر الخمرة الاكبر في العربية ، فمر به وزاره ونادمه ، وربما في هذا المكان . وأعجب ابو نواس بخمرية لديك الجن ، لامست هوى في نفسه لما فيها من عبث وجودة ووصف ، أذكر منها هذه الابيات :

بها غير معدول ، فداو خمارها ... وصل بخيالات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الوزر كل عظيمة ... اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها
فقام تكاد الكأس تحرق كفه ... من الشمس او من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتقتع روحنا ... فتأخذ من اقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فادارها

* راجع عدد اغسطس ١٩٦٦

مشـــرد

•

انا مارد عالي الجبيـــن
انـــا صرخة الحق المبيـــن
انـــا صخرة قد حطمت
خطط البغاة الظالميـــن
انـــا .. في زوايا خيمتي
السوداء .. اهزأ بالسنين
وتمدني باللقمـــة العفناء
ايدي الظـــالمين
لكـــي اليـــن ..
ولا اليـــن

قسما بتربك يـــا بلادي
قسم المشوق الى الجلاد
قسمـــا بقـــدسك
بالدماء المهرقات على الوهاد
ما ذلني يـــومي وملء
الامس اوسمة الجهاد

مل الرقاد سواد ليلي
فمتى يناديني المنادي

الفجر يبزغ فارقبي
يا امتي الحدث الخطير
جيش واعلام تسير
غدا .. متى دوى النفير
الفجر يبزغ انـــه
ميـــلاد قوة للاسيـــر
آمنت بالوطن الكبير
ليمسح العار الكبير

الفجر .. يا حلم الجدود
وصيحة الحر الشهيد
فوق المشانق : في المجازر ..
في السهول .. على النجود
هيا اطلوا من اعاليكم
على الفجر الجديد

فسيشتري دمكـــم لنـــا
عز الكرامة والخلود

يـــا ظلم .. يا جاني على
الاحرار تشريدا ونكدا
اظننت انك مستطيع
ان ترد الحـــر عبدا ..؟
أنسيت أنا نسل مـــن
ملكوا الدنى شهبا وأسدا ..؟
يـــا ظلم زد تجريحنا
حتى يثير القدح وقدا

قسما بتربك يا بلادي
قسم المشوق الى الجلاد
مل الرقاد سواد ليلي
فمتى يناديني المنادي

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال صاحبـــي : وعلام ندم ديك الجن فهام بعد زهوه وعربدتـــه ؟

قلت : أحب ديك الجن جارية اسمها دنيا ، فكانت دنياه ، لحسنها وموقعها من نفسه ، فتزوجها ونعما زمنا بحبهما وزواجهما . ثم ترامى الى الشاعر او تراءى لـــه ان دنياه تخونه مع غلام كان في خدمتهما . وفي ثـــورة ، من ثورات الغيرة المحرقة المجنونة ، قتلها وقتل الغلام . ولم يلبث طويلا حتى تكشف له ان زوجته دنيا كانت أمينة له ، وانه قتلها ظلما وتسرعا . فندم وهام على وجهه ، وكم ترددت في جنبات هذا المكان الذي نحن فيه، الميماس، ابيات الاسف والندم التي نظمها في وصف حاله ، قال :

يا طلعـــة طلـــع الحمـــام عليهـــا ... وجنى لهـــا ثمـــر الـــردى بيديهـــا
رويت مـــن دمهـــا الثرى ولطالمـــا ... روى الهوى شفتـــي من شفتيهـــا
مكنـــت سيفي مـــن مجال وشاحها ... ومدامعـــي تجري علـــى خديهـــا
فوحـــق نعليهـــا وما وطىء الثرى ... شيء اعـــز علـــي من نعليهـــا
ما كان قتلتها لانـــي لـــم اكـــن ... ابكـــي اذا سقـــط الغبـــار عليها
لكـــن بخلت علـــى سواي بحبهـــا ... وانفـــت مـــن نظـــر الغـــلام اليهـــا

وكان ، بعد ، اثارة كبرياء صاحبنا بما سمع من ذكر سميه وشعره ، ان مضينا في المامات بشأن هذه المدينة العريقة في القدم . وانها ، وان سماها بعض ابنائهـــا « مدينة الحجارة السود » ، فان لها في دنيا الادب العربي صفحات بيضاء . منها هؤلاء الرواد الماهرون الذين عبدوا لنا ننعم به اليوم من تطور فكري وفني . ومـــن هؤلاء ، الذين رافقوا ابا خليل القباني ، في اواسط القرن التاسع عشر ، في دمشق ، وأعانوه على المغنـــاة المسرحيـــة ، داود قسطنطين الخوري ، المعروف بـــ « المعلم » الحمصي ، وعبد الهادي الوفائي ، ويوسف شاهين ومحمد بن خالد الشلبي . أجل كان هؤلاء المدرسة التي تابعـــت ، فـــي حمص ، جهد القباني ، الذي ترك دمشق الى مصر .

واما في فجر النهضة الحديثة فنكتفي بالاشارة الى شاعر كبير اعترف له بأنه شاعر غور فكري وانساني ، وأنه كان من النفر البارزين في « الرابطة القلمية » مفخرة الادب العربي الحديث في المهجر ، هو نسيب عريضة .

نسيم نصـــر

الفنانة عايدة

بقلم حسني سيد لبيب

استعدت الفرقة الموسيقية لتصاحب عايدة في رقصتها . حملوا آلاتهم الموسيقية واستعدوا للعزف في حماسة بالغة ، فعايدة هي الراقصة الوحيدة التي يعجب بها الرواد .. وبالتالي ، هي مصدر الرزق للفرقة. ولكن واحدا من الفرقة لم ينجح في ان يشاركهم حماسهم ... فهرج يشترك معهم لاول مرة ، وقد اضطر الى ذلك لضرورة العيش بعد ان انسدت امامه مسالك الرزق ، ولم يجد له عملا يرتزق منه الا الدق على الطبلة مع افراد الفرقةالموسيقية

والمتفرجون يتطلعون بعيون مشتاقة وانفاس مترقبة . نظروا الى الفرقة الموسيقية وهي تستعد للعزف ، فاعتبروا ذلك دليلا على ان عايدة هي التي سترقص .. كما انها اخر نمرة في الحفلة ، فلا بد ان تكون نمرتها .. ومعظم المتفرجين يرتدون الجلابيب ، فالمسرح متواضع لا يكلفك سوى قرش واحد ، كرامة لسيدي اسماعيل الانبابي ، كما يقول الرجل الفارع الطول ، الواقف على ترابيزة عالية امام مدخل المسرح ، ولا يكف عن الدعايةللفرقة وبرنامجها .

ـ قرب يا جدع .. قرب يا افندي.. هنا فرقة الفنون الشعبية ..الفرقة التي قدمت حفلاتها في الاسكندرية واسوان والسويس والمنصورة وجميع انحاء مصر .. الفرقة تقدم الليلة حفلتها لاجل سيدي اسماعيل الانبابي .. كان ثمن التذكرة خمسة عشر قرشا ، لكن كرامة لمولد سيدي اسماعيل.. جعلت الادارة ثمن التذكرة قرش صاغ واحد .. قرب يا جدع .. قرب يا افندي .. قرب وشوف رقص الفنانة عايدة .. فنانةالمسرح والسينما والاذاعة .. هنا الرقص .. هنا الطرب .. هنا الغناء ..

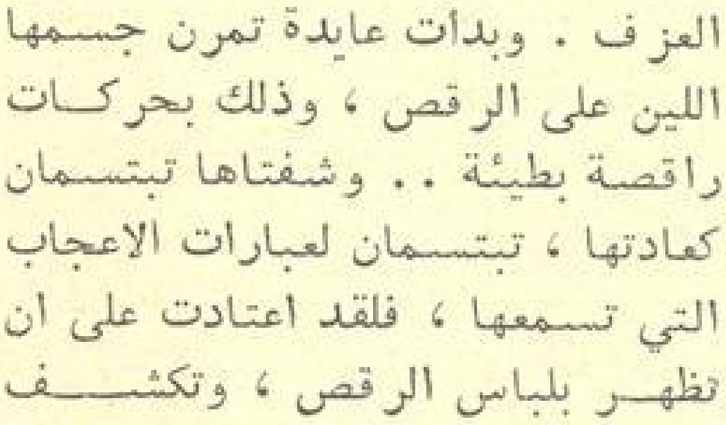
ثم يعود ويكرر ما قال ، لقد حفظ الكلمات لكثرة تكرارها ..وقد يكون في كلامه شيء من المبالغة ، لكن الناس سرعان ما تستميلهم تلك النغمة ، ويدخلون دفعات متتاليةوقد أغراهم هذا الاعلان .. وايضا حبا في قضاء ليلة ممتعة مرحة .

استعدت الفرقة الموسيقية للعزف . وخلفها ستار قديم يحجب مطربي الفرقة وفنانيها .. وبعد فترة انتظار قصيرة ملها المتفرجون ، أعلن مذيع الفرقة :

والان ـ ننتقل بكم الى الرقص .. اليكم الفنانة عايدة فرج .

وظهرت عايدة بلباس الرقص وسط تصفيق المتفرجين . نظر المتفرجون الى تلك المراة الجميلة التي ظهرت تتمتع بملامح جذابة ، وجسد متسق .. تقف امامهم بلباس الرقص . وكان يكفي للمتفرجين ان يروا عايدة لتنطلق من حناجرهم عبارات الاعجاب .

بدات الفرقة الموسيقية في العزف . وبدات عايدة تمرن جسمها اللين على الرقص ، وذلك بحركات راقصة بطيئة .. وشفتاها تبتسمان كعادتها ، تبتسمان لعبارات الاعجاب التي تسمعها ، فلقد اعتادت على ان تظهر بلباس الرقص ، وتكشف جسمها .. كي ترضي جمهورها الجائع . لكنها اليوم قلقة ، فابوها يمسك الطبلة لاول مرة ليصاحب الفرقة في عزفها .. حاولت جاهدة ان تمحو هذا القلق ، او تتناساه .. حتى تستطيع ان ترقص .. ففي بداية الرقص ، احست بقلق .. لكنها سرعان ما تناست قلقها وركزت حواسها لايقاعات الموسيقى ، وبمعنى أوضح .. لهزات معينةتتقنها ويطرب لها الحاضرون .



وبعد فترة قصيرة ، لم تسمع صوت دقات الطبلة .. التفتت الى أبيها ، فوجدته شاردا والطبلة في يديه . نظرت اليه نظرات حادة ، لكنه لم يحرك ساكنا ، وتأمل عايدة وهي تتلوى بجسدها يمينا وشمالا .. وصيحات الذئاب الجائعة تخرق طبلة اذنه ، وتشل يديه ، فلا يستطيع ان يفعل شيئا سوى الاكتئاب والحزن الصامت .

لحظ الجمهور شرود الرجل واكتئابه .. فتصايحوا مشيرين اليه ..

ـ القوا به بعيدا .. ابعدوه ..

التفتت عايدة اليه ، وقالت بنبرة حادة آمرة :

ـ دق الطبلة .

لكنه لم يفعل . ونظر اليها نظرات حزينة لم تستطع ان تفهم ما يقصده بها . غضبت منه ، وتمنت لو تستطيع ان تركله بقدمها .. انها لا تستطيع ان تهتز هزاتها المعتادة الا بدقات الطبلة ، والجمهور لا يريد سوى تلك الهزات الجنسية . تأزم الموقف ، واشتد صياح الجمهور ، وعم الغضب كيانها كله . واعضاء الفرقة يزجرونه بنظراتهم العنيفة .. لكنه ظل صامتا .

اخيرا نهض عبد الله عن كرسيه وترك الرق ، وتطوع بامساك فرج في عنف ، والقائه خلف المسرح .. ثم امسك بالطبلة ليدق عليها ، واستطاع واحد من افراد الفرقة ان يضرب على الرق بدلا منه .

انبسطت اريحيتها حين سمعت دقات الطبلة ، وعادت الى الرقص .. وانطلقت صيحات الجمهور وعبارات الاعجاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتهت من الرقص واختفت عن الانظار . لكنها لم تجد اباها . سألت عنه ، فعرفت انه خرج ولم يقل عن وجهته . فاطمأنت الى انه ذهب ليستريح في البيت . لكنها تذكرت انه لا يحمل قرشا واحدا يركب به السيارة ، ثم عادت واقنعت نفسها بأنه من الممكن ان يمشي على قدميه .. ولو ان المسافة بعيدة بين امبابة والقلعة .

انتصف الليل ، وانتهت آخر حفلات الفرقة .. ووزع عبد الله على افراد الفرقة اجورهم . نقد عايدة اجرها وقال مبتسما .

ـ لك نصيب الاسد .. لا تنسي أنك مصدر رزقنا .

ولكن احمد نظر اليه نظرات حانقة وقال :

ـ كلنا نسهم في جذب الزبائن .. لا تنسى ان زكي يرضى بطمس وجهه بلون اسود ، ويرضى بالضرب على قفاه .. أليس هذا من أجلنا أيضا ؟ . ألا يضحك الجمهور من تمثيله ؟. وأيضا فاطمة التي تنشد الموال ، الم يصفق لها الجمهور طويلا ؟ .

لم تتكلم عايدة . وعاد عبد الله وقال :

ـ كلنا نحاول جلب الزبائن بأية وسيلة .. حتى لو كانت على حساب كرامتنا .

قال احمد في غضب :

ـ لا يا عبده .. نحن نعمل .. والشغل شرف . نحن نعرق من أجل هذه القروش التي نتقاضاها في نصف الليل .

كان عبد الله حريصا على ارضاء احمد . فلم يحاول ان يعنف القول معه ، وآثر الصمت .

ركبت السيارة العامة مع افراد الفرقة . وتوجهوا جميعا الى القلعة .. وهناك ، ودعتهم ومشت وحدها في زقاق ضيق الى ان وصلت الى بيت قديم متآكل ، فصعدت الى السطح حيث تقبع غرفة صغيرة تؤويها هي واباها .

جاست الظلام في هدوء ولم تشأ ان تحدث جلبة او ضوضاء ، فلربما يكون ابوها نائما . اشعلت مصباح الغاز . فالفت اباها يجلس على الارض ..

ـ ألم تنم ؟ .

دقق النظر في جسمها الملفوف بثوب عاري الاكتاف . ظل محملقا ولم يتكلم . صرخت فزعة :

ـ تكلم .. أنت تخيفني بتلك النظرات .. لماذا انت صامت ؟. تكلم .. قبل اي شيء .

ومرت فترة صمت رهيبة ، قبل ان يتكلم ..

ـ لا بد انك ساخطة على أبيك !

ـ طبعا ..

ـ كنت احاول ان اعمل بنفسي ، حتى ترد الي بعض الكرامة .. تلك الكرامة التي افتقدتها منذ اطعمتني ، كالطفل .. مع فارق كبير .

ـ لا تقل هذا . لا تزعجني .

ـ حاولت ان ارد بعض الكرامة .. لكن فقدت حتى الشعور بمعناها .. تبلد احساسي .

ـ لذلك لم تدق على الطبلة !

ـ لم احاول ذلك . لكني تبلدت .. جمدت . أفزعني منظر الذئاب الجائعة التي تلتهم جسدك بفرائزها .

ـ هذا ما يحدث كل يوم . وهؤلاء مصدر رزقنا .

بصق في احد اركان الغرفة ، وصاح :

ـ هؤلاء الذئاب ! .

ـ ذئاب ام وحوش .. فهم الذين يطعموننا .

ـ أجل .. هم الذين يطعموننا .. الهي ! .. ما أبخس هذه الحياة !

والتفت الى عايدة . وجاهد نفسه ليلمس كتفها باصابعه ، تحركت يده بصعوبة .. ودقق النظر في جسمها الممتلىء ، وقال مبتسما :

ـ انت فتاة حلوة ، وجميلة ..

ابتعدت عنه ونفرت من كلماته .. صاحت في ضيق :

ـ أبي .. أتعبتني كلماتك . الا تريحني منها ؟

ـ لن اريحك منها الا بموتي .. سأنتحر .. وستستريحين مني .. أجل ، ليست لحياتي قيمة ..

ـ اخبرتني انك ستنتحر كثيرا .. لكنك لا تنتحر .. لماذا اذن تزعجني بهذه الكلمة ؟ تستطيع ان تأكل وتشرب وتنام ، فقط لا تتكلم .. ان كلماتك تتعبني .

صمت ، ولم يرد في هذه المرة .

خلعت ثوبها وارتدت الجلباب ، وقالت :

ـ ماتت امي .. وتركت لنا بيتا ، وكنت تعمل في دكان صغيرة .. لكنك شربت الخمر ، ولعبت القمار .. ولم تجد حلا الا بيع البيت والدكان معا ..

ولو ان عايدة دققت النظر في وجه ابيها ، لوجدت دموعا جامدة تنحدر ببطء على خديه . لكنها القت بجسدها المتعب على الفراش ، ولم تشأ ان تنظر الى وجه أبيها الحزين ، فأولته ظهرها .. وحاولت ان تجفل عينيها ، كي تنام ..

غلبها النعاس ، لكن قلقها جعلها تستيقظ من فترة لاخرى . فما ان يجفل جفناها حتى تستيقظ ثانية . وأحست وهي شبه نائمة بالغرفة تشتعل فيها النيران ، لكنها لم تفزع من هذا الحلم .. ثم عادت الى يقظتها، لكنها تعجبت لان الحائط ما زال يضيء ، عاكسا بذلك منظر نيران مشتعلة .. فزعت ... وحاولت ان تتيقن من ذلك ، فجمعت اطراف شجاعتها والتفتت الى الناحية الاخرى .. وما ان نظرت الى النيران المشتعلة ، حتى صرخت صراخا عاليا .. فأبوها امامها تحرقه النيران .. قفزت من فراشها .. وامسكت بالغطاء والقته على جسد ابيها . لكنها وقعت فوق جسده المحترق .. فقد فات الاوان .. لقد احترق .. ليس امامها الا الرماد .. صرخت صرخات عالية

من هول المفاجأة ، ثم انكفأت على الفراش تبكي حتى اصابها اغماء . وكان صراخها كفيلا بايقاظ الجيران .. فجاءوا يستطلعون الخبر ..

انها تعيش وحدها في غرفة حقيرة على السطح . احترق ابوها . لعله بهذا ينتقم من نفسه الحقيرة .. كان يدمن الخمر ولا يعود الى البيت الا في الهزيع الاخير من الليل . ويفقد كثيرا من النقود على مائدة القمار . لم تنفع نصائح زوجته في ردعه عن شرب الخمر ولعب القمار ، فمرضت الزوجة وماتت كمدا . وعاش مع ابنته حزينا لموت زوجته ، واضطره هذا الحزن الى الاكثار من شرب الخمر ... حتى ساءت حالته المالية وتورط في ديون كثيرة اضطرته الى بيع البيت الذي كانت تملكه زوجته الراحلة . وتلا ذلك بيع دكانه الصغيرة . وعاشا في غرفة صغيرة على السطح .

كادت عايدة تضيق بحياتها في كنف اب سكير . لولا ان جاءها عبد الله ـ صديق والدها ـ واخبرها انها تصلح للرقص .. فهي فتاة شابة جميلة . ويكفي ذلك كي تنجح كراقصة تجيد فن الاغراء .

كانت تتضايق من رائحة الخمر التي تفوح من فمه ، فتستثيره بكلمات قاسية .. لكنه يواجهها بجمود ... ويبتز نقودها ليشرب الخمر ، ويعود في المساء مخمورا . تعذبت عايدة لحال ابيها ، فاضطرت الى ان تكثر من كلماتها العنيفة ، لكنه يتلقاها بجمود ، ويؤكد لها انه سينتحر ويريحها . فزعت حين سمعت عزمه على الانتحار لاول مرة ، وامتنعت عن زجره بكلماتها العنيفة .. لكنها اضطرت الى استعمالها ثانية ، فقد ساءت حاله .. لكنه اكد لها عزمه على الانتحار . واعتادت ان تسمع منه هذا التأكيد ، حتى بات نغمة مملة تتعب اذنيها .

لقد مات ابوها .. احترق .. في آخر مرة صدق تأكيده وانتحر . ربما كان يفكر في الانتحار من مدة طويلة ، لكنه لم ينتحر الا منذ ايام قليلة ، حين خاض تجربة العمل مع الفرقة . انها تستعيد ما حدث في ذلك اليوم بمرارة وألم ، فقد اعلن لها رغبته في ان يعمل حتى يرد لنفسه بعض كرامتها ، فدفعت به الى الفرقة .. ويبدو ان ضميره الميت لم يستيقظ الا على خشبة المسرح المتواضع ، حين سمع صيحات الذئاب .. ورأى عيونهم تلهب جسدها . ربما انتحر لفقده الكرامة، وفقده الشعور بمعناها كما قال لها في ذلك اليوم .

وايا كانت الاسباب ، فالحدث اكبر من ان يفكر فيه انسان .. لقد انتحر ابوها .. كانت ترقص من أجل ان تأتي له بقروش يفرح بها كالطفل . لكنها اليوم تعيش وحدها .. لقد افتقدت لذة العمل .. فقد كانت تعمل من اجل اطعامه . لكنها اليوم تعيش وحدها بلا اب .. وبلا أم .

هجرت الفرقة ، ولم تعد راغبة في العمل ، وساءت صحتها ، كان السعال يمزق صدرها ... وعاشت ليلها ونهارها تبكي حياتها التعسة .

ولم تعد تطيق عزلتها في الغرفة سوى خمسة ايام بعد وفاة ابيها . ثم خرجت الى ضوضاء المدينة ، ولا تدري الى اين هي ذاهبة ! ..

جاءتها فكرة الانتحار حين اقتربت من احد الجسور . نظرت الى الماء وهمت بالقاء نفسها فيه . كانت تعيش من اجل ابيها .. والان .. لماذا تعيش ؟! .. ظل السؤال يقلقها ويدفعها الى الانتحار . وفي لحظات، تنتهي حياتها وتستريح . ستحتضنها المياه الدافئة وتغوص في قاع النهر، وتصبح لحما تنهشه الاسماك .. لكنها تذكرت عبد الله الذي جاءها في الصباح . انها تذكر ما قاله لها :

ـ أصبحنا بدونك لا شيء .. قل الرواد .. وأصبحنا نتلقى السخط والشتائم كل مساء .. حاولت عائشة ان ترتدي لباس الرقص بدلا منك .. لكن الجمهور قابلها بالصفير والصياح ، فجسمها هزيل ، ولا تجيد الا الغناء .. كانوا يريدونك .. لقد هتفوا باسمك .. تصوري ! .. لماذا تترددين ؟ .. لقد انتحر أبوك .. فما ذنبنا نحن ؟ .. بل ما ذنبك أنت في ذلك حتى تعيشي هكذا معدمة لا تجدين طعام عشائك .. عودي يا عايدة .. اذا كنت في غير حاجة الى النقود ، فنحن في حاجة اليها ، لنعيش ! ..

صمتت عايدة ولم تتكلم ..

ـ ما رأيك ؟.

ـ لن ارقص ..

تبلد عبد الله في مكانه . لم يستطع ان يتكلم كلمة واحدة بعد ان سمع رأيها الاخير ، انه يعنى الاصرار . لكنه عاد فنظر اليها نظرات حانية ثم قال :

ـ البقية في حياتك ، لانك افتقدت اباك .. والبقية في حياتنا ، لاننا افتقدناك .. فهل تظنين ان الفرقة كلها قادرة على الحياة بدونك ؟

لم تتكلم عايدة ، بينما عبد الله يقف امامها حائرا لا يدري ماذا يفعل ؟ .. وبعد فترة عصيبة ، اخرج نصف جنيه والقاه على المنضده وقال لها :

ـ هذه خمسون قرشا ، لتعيشي منها .. فأنا اعلم انك في حاجة اليها .. واذا فكرت في العودة ، فسنكون سعداء ..

وتركها وحدها صامتة ، وخرج ..

انها تتذكر هذا كله ، وتعيه .. نظرت الى الماء فجمدت في مكانها ، وشلت اعضاؤها عن الحركة .. ان اربعة رجال وثلاث نساء ينتظرون عودتها .. ان انتحارها سيسبب لهم الشقاء والتعاسة .. هي مصدر رزقهم .. هي القيمة الحقيقية للفرقة . لقد قالوا لها ذلك ولم يبخلوا عليها بكلمات التقدير .. كما بدأوا يعطونها اجرا اكبر من اجورهم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغنية للشتاء الحزين

بالامس يا صديقتي قد زارني الشتاء
هناك حيث كان سوف يزهر اللقاء
جلست يا صديقتي والدفء في كياني
وغنوة اللقاء يا أنشودة الزمان
هناك يا حبيبتي انتظرت وانتظرت
وكلما صديقتي بساعتي نظرت
وعقربا سويعتي بالصدر ينهشان
أأنت يا حبيبتي علي والزمان
وفجأة لمحته .. هذا هو الشتاء
وقرب قلبي الذي ثوى .. بلا غطاء
وبغته صديقتي .. سمعت صرختين
ورن في الضلوع هاتف يقول : أين
هنيهة ، وبعدها .. هوى على التراب
يموت بعدما شدا بغنوة العذاب
النائب الحزين يا حبيبتي حضر
جناحه الهزيل مال غاله المطر
البرد يا حبيبتي ينساب في ضلوعي
وأدمع السماء يا هاجرتي دموعي
وهكذا تركتني تركتني هناك
هناك حيث زارني الشتاء والملاك
من يومها حبيبتي .. أحيا مع الشتاء
من يومها أنشودتي ، أهفو الى اللقاء

القاهرة

هناك فوق مقعد بظاهر المدينه
المطلع السعيد في أغنية حزينه
والقلب من سروره يفيض بالحنان
ينساب بالنعيم همسها على لساني
والموعد السعيد حل وقته وفات
أحسست بالضياع بالزوال بالموات
وينفثان السم في فؤادي الحزين
كم أنت يا أغرودة الفؤاد تظلمين
ينساب يا حبيبتي ، يدب في سكون
قد نام يا صديقتي قد أسبل الجفون
أصداهما قد مزقت ستائر الغسق
أين الذي يصيح ، ثم لفني القلق
الطائر الغريب .. يا لقسوة المقادر
وكان في عيونه شقاء ألف شاعر
أتى مع الشتاء والصقيع فاعتذر
وحين مات جلجلت رواعد القدر
والمقعد الحزين .. في برودة القبور
والرعد صوت عاشق معذب يثور
للبرد فوق مقعد بظاهر المدينه
هذا الذي قد جاء بالرسالة الحزينه
من يومها صديقتي .. أعانق الصقيع
يجيء بالضياء ، بالحنان ، بالربيع

عبد المنعم عواد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتى لا تفكر في هجرهم .

ان السبعة في حاجة اليها .. استعادت في ذهنها حال افراد الفرقة التعسة .. ثم افاقت على صوت شاب رقيع يغازلها . نظرت اليه نظرات شذرة وتذكرت اصوات شبان مثله ، نفس الكلمات التي تسمعها اثناء الرقص ، وان تغيرت حروفها وتبدلت .. نفس المعنى .. انها شيء حقير .. ولكن ! .. ان سبعة آدميين يتمنون ان تعود اليهم !

مشت عايدة الى امبابة . ليس في جيبها مليم واحد . نسيت ان تأخذ الخمسين قرشا التي تركها لها عبد الله . واضطرت الى المسير على قدميها في برودة الشتاء وقسوته .

ما ان رآها افراد الفرقة حتى صاحوا مشدوهين . فلقد حمل لهم عبد الله في الصباح اصرارها على الرفض .. نظرت اليها عائشة مليا وصاحت :

ـ عدت الينا ! .. لقد فشلت في اداء دورك .. واصبح ظهوري بلباس الرقص يسبب لي متاعب كثيرة .

ابتسمت لها عايدة . وصاح عبد الله :

ـ اراهن انها جاءت من اجلنا .. انها سترقص من أجلنا ، من أجلنا .. افهمتم ؟! ..

وحاولت دمعتان جائرتان ان تنهملا من عينيها ، لكنها حبستهما لتستعد للرقص . وفي خارج المسرح ، يقف الرجل الفارغ الطول ، مشمرا ساعديه ، معلنا في فرح وزهو :

ـ قرب يا جدع .. قرب يا افندي .. هنا فرقة الفنون الشعبية .. الفرقة التي قدمت حفلاتها في الاسكندرية واسوان والسويس والمنصورة ، وجميع انحاء مصر .. قرب وشوف رقص الفنانة عايدة بعد عودتها من اوروبا ! . كانت الفنانة في رحلة فنية ! .. وها هي تعود اليكم ثانية .. الراقصة الكبيرة عايدة .. قرب يا جدع .. قرب يا افندي .. هنا الرقص .. هنا الطرب .. هنا الغناء .. عادت الفنانة عايدة من اوروبا ! ..

وفي آخر الليل ، امتلأت جيوب افراد الفرقة بالنقود ! .

القاهرة

حسني سيد لبيب

بين السخرية والضحك

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

حقا ان الانسان حيوان ضاحك ، ومضحك في آن واحد ، انه ضاحك حين يشاهد الغفلة في الآخرين والتيبس والآلية ، وعدم المرونة واللدونة ، والشذوذ عن الطبيعة الانسانية والاجتماعية ، والقياس مع الفارق والعبث ومخالفة القصد ، فيتنبه حسه ، وتتيقظ أعصابه لهذه المفارقات المستديمة ، فيمعن في الضحك ، متأثرا بما شاهده ، ووقف بالانسان موقف جمود وعبث ...

يشاهد الاديب ، أو الشاعر ، منظرا مضحكا ، او مشهدا يتنافى مع طبيعة الحياة وسنتها ، فيجري قلمه ضاحكا على الورق ، يثب وثبا ، مسجلا ما رآه ، مبينا نواحي الضعف فيه ، لان طبيعته مفطورة على حب الكمال ، والكمال في الحياة هو الجمال ..

فالضحك لازمة من لوازم الحياة ، لانه تأديب ، وتثقيف ، وتهذيب ، يردع الانسان عن الغفلة والترسب ، والتحجر ، لينطلق به الى سنن الحياة المتيقظة الواعية ، سواء كان متحدثا ، او كاتبا ، او مدليا برأي من الامور ، وفي كل ما يتعلق بجميع مشاكل الحياة ، مادية ، او معنوية ، على اختلاف انواعها ... يقابل الضحك في مجلس ، اذا ما غفل احد افراده عن التنبه واليقظة ، فيما يدلي به ، من رأي فطير غير خمير ، لا صلة له بالبحث المخاض فيه ، وباعث الضحك هو الغفلة ، وعدم المرونة ، والمطاوعة ، والاندماج مع روح المجلس اندماجا كليا ، قعد به عن استشفاف روحه ، سواء كانت الغفلة من آثار علة ، او ذهولا ، انطلق به الى جو آخر ، جعله حاضر التمثال ، غائب المثال ..

ونضحك من رجل انزلق في عرض الطريق ، فوقع على قفاه ، فيما كان يصوب نظره الى الافق البعيد ، حالما ذاهلا ، دون ان يتفادى ما أمامه ، فيتجاوزه ، لان الآلية ، وطواعية جسمه للعثرة ، والغفلة ، أوقعه كل هذا في المأزق الحرج ، فاستبد بنا الضحك ، لمخالفة هذا المنظر ، مألوف الحياة ، وشذوذه عن الطريق السوي ، ولأحساسنا بالاطمئنان النفسي ، اذ لم تقع ، فيما وقع فيه من مكروه ..

ونضحك من لص يهاجم احدى المزارع ليلا ، لينهب محصولاتها ، دون ان يتنبه ، الى فخ كبير ، نصب في وسطها ، كان معدا لصيد الثعالب ، وبنات آوى ، فوقع على غفلة منه في الفخ ، مطبقا على عنقه ، موثقا يديه ، ورجليه ، حتى اذا ما أصبح الصباح ، بعد أن اعتصم بالصبر والاناة ، والخضوع لارادة القدر ، الذي دفع به الى التهلكة طيلة ليله ، حل عنه وثاقه ، وجيء به موثوقا على صورة اخرى ، ليلاقي الجزاء ، على ما اقترفت يداه ، وقد وقعت هذه الحكاية في قرية من ضواحي يافا .

واذا ما ضحكنا من غفلة هذا اللص ، فانا نستشف الفكاهة والطرب ، من ثنيات المحاورة التالية التي جرت بين اللص والتاجر ، وكان موضع الفكاهة والتندر ، ذلك التاجر ، الذي أراد التحايل ، على اللص والانفلات ، من قبضته ، وذكاء اللص ، الذي استطاع ان يتمسك بالعرف والعادة ، والتقاليد ، أخفاء لنفسه ، ولطبيعته اللصوصية ، فأخذ يحاوره ويداوره ، والفريسة في يده ، كما تفعل الهرة مع الفأرة ، وهي تعبث بها ، وتندفع في مداعبتها ، وثابة تفيض بالحيوية ، لتمكنها من القنيصة ، لتلتهمها لقمة سائغة ، مهيئة الفرصة ، للفأرة ، ان تتزود من الحياة قليلا ، كما تهيأ الفرصة للمحكوم عليه بالاعدام والحبل مطبق على عنقه ، فيطلب منه ، ان يبين عن رغباته ، لتنفيذها ، قبل ان يطبق الحبل على عنقه .

فقد روي ان تعرض لص في طريق مهجور ، لتاجر ، وطلب منه ان يخلع ثيابه قائلا : انني أولى بثيابك منك ، لاني أخوك ، وعريان ، وانت مكسى ، فلقد لبست ثيابك برهة من الزمن ، وأنا أريد ان ألبسها كما لبستها ... لقد وعده الرجل ، ان يسلمه الثياب ، بعد ان يصل الى الدار مستورا ، فأجابه اللص : اني درست أمر اللصوص ، منذ قديم الزمان ، حتى الآن ، فلم أجد لصا ، اخذ شيئا نسيئة ، واكره ان ابتدع في الاسلام ، بدعة يكون علي وزرها .

ومن المضحكات السياسية ، اثناء اعتداء موسوليني على الحبشة في سنة ١٩٣٥ ، ان عرض الوزير البريطاني عليه ، صحراء اوغادين ، ليكف عن الاعتداء على أراضي الحبش ، فثارت ثائرة موسوليني ، وادلى بخطاب في البرلمان الايطالي جاء من ضمنه ما معناه : ان الطليان ، بلاد الفن والنحت والتصوير والجمال ، ولسنا من هواة الصحاري والمستنقعات ، حتى يتفضل الوزير ويتكرم ، بأهدائنا صحراء مجدبة قاحلة رخيصة !!!. المضحك في هذا الخطاب هو العرض المعروض عليه ، لإلهائه ـ بصحراء اوغادين ـ بديلا من سهول الحبشة ، وهضابها ، وثرواتها المكتنزة الخيرة ، والتنازل عن حيازة صيد ثمين بآخر رخيص ، والجانب الثاني هو اهداء من لا يملك تلك البلاد ، وبدون رغبة ، او توكيل من أهاليها ، الى من لا يملك هذا الحق ابتداء ، فكأن تجنيد تلك الحملة ، لم يكن الا للفوز بالعبث والفراغ ، والجانب الثالث المضحك هو : ان اهل الفن والموسيقى ، أكفاء لالتهام البلاد التي اضفى الله عليها ، مفاتن السحر والجمال ، وافاض عليها من خيراته وكنوزه ، ما لا يحيط به تعداد وحصر ، توكيدا للصلات الوثيقة ، ما بين الفن والجمال ، والكنوز

والخيرات ... وما كان موسوليني هذا ، الا مدفوع بأطماعه ، يسترها بذلك القناع الرهيف الشفاف ... قناع الفن والجمال ، كما استتر ذلك اللص، وراء التقاليد والعرف ، معتصما بها ، لتمسكه الشديد بلصوصيته ..

ومن المضحكات التي شاهدتها بيافا ، في احدى دور القضاء ، ان جاء محام ، يترافع امام المحكمة عن موكله ، وكان رئيسها انجليزيا ، ولما جاء دوره في المرافعة ، طلب رد الدعوى ابتداء، دون الدخول بالاساس، لان المدعي ، وكان عمره ستين عاما ، لم يثبت رشده امام المحكمة الشرعية ، ويعتبر بحكم القاصر ، ولا يحق للقاصر ان يرفع الدعوى ، الا بواسطة وليه ، أو وصيه ، او اذا أثبت رشده ؟!! كان المحامي يتشدق في كلامه ، مزهوا بهذا الابتكار القانوني ، الذي اهتزت له أركان المحكمة ، ضحكا وسخرية ، وبرز سجال بين المحامي والترجمان ، فالترجمان مشفق على المحامي ، ان يعصف به غضب الرئيس اذا ما ترجم له هذا الدفاع الرخيص ، وطلب منه سحبه قبل ترجمته ، ولفتت هذه المشادة الرئيس وسأل : ماذا يقول المحامي، فما كان من الترجمان وهو يدير وجهه الى الرئيس ، مخاطبا المحامي قائلا : اتصر على الترجمة؟ فقال المحامي : اصر عليها ، وأمري موكول الى الله ... اخذ الترجمان في ترجمة الدفع ... وبعد ان شنف الرئيس اذنه بهذا الدفع العجيب ، أصبح في حالة غضب وضحك في آن واحد ، وخاطب المحامي قائلا : اتسحب هذا الدفاع ، أم أسحب روب المحاماة عن كتفك ؟ عندها تلاشى المحامي خجلا وقال : أسحب الدفاع برمته وأدخل في اساس القضية ، راجيا ان يبقى الروب على كتفي !!!

ومن العبث الذي وقعت فيه ، وأنا طالب في مدرسة دار العلوم الاسلامية بيافا ، اذ اقيمت مباراة خطابية ، بين الطلاب ، طلب فيها من المتبارين ، ان يحفظوا قصائد شعرية ، لالقائها في الحفل الاسبوعي ، واخترت قصيدة عنترة العبسي التي جاء فيها :

حصاني كان دلال المنايا فخاض غبارها ، وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيبا يداوي رأس ، من يشكو الصداعا

وتمرنت عليها ، وكنت انظر الى نفسي ، في المرآة اثناء التمرين ، لاعدل من بعض الاشارات ، واشذب من بعض الحركات ، واتمرن على المواقف ، التي يقتضيها التفخيم ، والاخرى التي يتطلبها الترخيم ، بحيث اصبحت والقصيدة كلا واحدا ، حتى خلتني عنترة العبسي الابيض ـ . وجاء يوم الالقاء ، وتبارى المتبارون ، وكلهم ينشد الجائزة ، وهي ساعة كنت أنشدها في احلامي ، والقيتها ، وحزت الاعجاب ، وبعد ان قلب المحكمون الرأي ، قرروا منحي الجائزه ، وناداني الاستاذ رحمه الله ، فهرولت مسرعا ، اشق الصفوف ، متباهيا ، واذ دانيت منضدته ، حيث تغفو الساعة قريرة هادئة ،صوبت عيني اليها فقال الاستاذ : نعم قررنا منحك الجائزة وهي هذه الساعة ، ولكن بدر منك ، وأنت مسرع ، حركة نابية ، اذ غمزت بعينك ، وحركت شفتيك ، وهذا نعتبره قلة أدب ، فأنا منعناها عنك : سامحه الله ... لقد وضع اللقمة في الفم ، ولكنه سرعان ان استردها .. فرجعت حزينا كاسف البال ، أحلم بتلك الساعة ، التي دقت جرس الحزن ، على حظي الضائع ، ورحم الله الشاعر اليازجي ابراهيم القائل في وصف الساعة :

ومحصية اعمارنا ، كلما انقضت لنا ساعة ، دقت لنا جرس الحزن
فيا بنت هذا الدهر ـ قد سرت سيره فهل أنت دون الناس منه على امن

ورحم الله الشاعر القائل :

ايها الضاحكون منا ... سلاما وان جروا الضاحكين منا علينا
كم بعثنا بضحكة ، فاستردت ثم عادت منا ... بكاء علينا

عمان ـ الاردن **مصطفى درويش الدباغ**

انتظار

وبقيت انتظر المساء ... وموعدا
حلوا ، وأجمع للحبيب القادم
وردا صباحي الجمال ، رششته
بدمي ، بأشواق الفؤاد الحالم
وفرشت بالاحلام درب حبيبة
كالضوء لاحت في الظلام القاتم
ووقفت أرقب والدجى متسائل
حولي ، ومر الليل ، ليل الهائم
أستطلع الافق البعيد ، فلا يد
ترمي ، ولا ثغر يلوح كخاتم
تتنابني الغصص العطاش ، ولا أرى
حتى السراب ، يبل غلة واهم
يا حلوة العينين ... أين الملتقى
ذبلت أزاهيري وخضر براعمي
ما كنت أحسب ان مثلك يخلف
الميعاد في الفسق الحنون الناعم
رحماك هذا الليل في صلواته
متلهف لغد الصباح الباسم
يصبو الى اللقيا ... فهلا ينتشي
من وجدها ؟ ... وتهب بعض نسائم.

طرابلس **محمد شمس الدين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



محمد تيمور : حياتــه وأدبه

تاليف عباس خضر ـ ٣٠٧ صفحة ـ نشر الدار المصرية للتاليـف والترجمة بالقاهرة ـ مطبعة دار العهد الجديد بالقاهرة

الشخصية التي يدور حولها موضوع هذا الكتاب شخصية رائدة في حقـــل الادب عـامـــة ، والادب المسرحـــي بصفـــة خـــاصـة . والرائـد لا بد ان يلقى في تمهيد الطريق من الصخور والاشـــواك والمتاهات والمعوقات ما قد يدعو الى اليأس ، خاصة اذا كان فـي مجتمع متخلف ثقافيا وفكريا وفنيا ، يجحد الفن ، وينظر اليه بعين الاستنكار ، وينظر الى الفنانين بعين الازدراء ، باعتبارهم عالة على المجتمع ، باعتبارهم طائفة هازلة فارغة في مجتمع جاد كادح ، يسعى في سبيل لقمة العيش ، ولا شيء سوى لقمة العيش .

وزاد من حدة هذه الملامح في نظر المجتمع ما اصطنعه ادعياءالفن في هندامهم وسلوكهم ، حتى لم يعد يفصل بين الفنانين والمشعوذين في نظر الناس الا خيط دقيق يكاد يكون غير فاصل في حقيقة الامر. وزاد الامر سوءا ان الدولة لم تكن تمد للفن اي وسيلة من وسائـل الرعاية او التاييد في مواجهة التحديات التي يلقاها كل وليد ناشيء يعيش على جهوده الذاتية في جمهور هذا مبلغ تقديره للفن .

حتى اذا بزغت النهضة الاخيرة التي عمت البلاد العربية وفي مقدمتها مصر ، مسحت عار اللامبالاة بالفن عن الدولة ، والامتهان الذي كان يلقاه من الجماهير ..ولقد وعت الدولة فيما وعت دور المسرح الطليعي في حياة الشعوب ، واعتبرته وسيلة من وسائـل تنمية المجتمع وتطويره ، ومن هنا أصبحت مؤسسات المسرحوالتمثيل، ودوره ، ومعاهده تسير في الدولة النامية جنبا الى جنب مـع مؤسسات الصناعة والزراعة والاقتصاد والتربية .

الى جانب هذا الوعي من جانب الدولة لدور المسرح ، كـان هناك جيل من المكافحين الذين مهدوا الارض ، واقامـــوا عليها ـ بجهودهم الفردية المضنية ـ دعائم للمسرح العربي الحديث ، وكان في مقدمة الرعيل الذي مهد للثورة الفنية الشاملة التي يعيشها جيلنا اليوم ـ ذلك الفنان الموهوب محمد تيمور والقلة من الفنانين القلائـل الذين عاصروه وآزروه في مهب العواصف الجائحة .

فلقد استطاعوا بفرديتهم وبجهودهم الذاتية ان يقهروا هـذه التحديات ، وان يضعوا للفن دعائم ما زالت حتى اليوم تسند البناء الشامخ الذي يوشك ان يرتفع بانتاجنا المسرحي الى المستوىالعالمي. ولقد وقع محمد تيمور ، وامثاله من ابناء الاسر العريقة الذيـــن اشتغلوا بالفن في هذه المرحلة المبكرة بين ضغطين :

الضغط الاول : نظرة المجتمع الى الفن بعين الازدراء ،والضغط الثاني : طبقة الارستقراطية ، التي اعتادت ان تترفع عن كل مـــا يمارسه عامة الشعب او يحترفونه بوجه عام ، فضلا عن ان تكون هذه الحرفة هي « الفن »الذي يستهين به المجتمع ، فمحمد تيمور هـو ابن احمد تيمور باشا ، ابن اسماعيل بن محمد تيمور كاشف ،الذى جاء الى مصر مع الجنود العثمانيين الذين جاؤوا الى مصر في اعقاب الحملة الفرنسية ، وظل يترقى في الجندية حتى صار من كبار القواد ، ثم شغل منصب الكاشف ، التي تعادل منصب «المحافظ» اليوم ، وهذه الاسر الوافدة قد كونت فيما بعد طبقة تعد قمة الارستقراطية في ذلـك الوقت ، لا يكفيها ان تنعزل عن الشعب ، ولكنها كذلك تستهين به .

لكن شخصية محمد تيمور ، وايمانه برسالة الفن ، جعلته يقوى على تكسيـر القواقع التي يضربها هذا المجتمع حـول الفنان ، ويتمرد على القيم البالية ، ويشق طريقه الى قمة الريادة . ولكن الاهمال المتعمد ، والاستهانة بالفن ـ فيما مضى ـ قد امتـدت الى تاريخ الفن واعلامه ، فاغفل تاريخ ادباء الشعب وكتابه وفنانيه ، فمرت فترة النضال الفني في حياة مجتمعنا الناهض في بواكير هـذا القرن وكأن لم تكن ، حتى اصبحت الكتابة عن محمد تيمور ومعاصريه، وعن الفترة التي عاش فيها رغم قرب العهد ـ ضربا من الاكتشـاف في تاريخ الفن .لكن النهضة التي نعيشها الان ، ونجاهد لكي يكتمل بناؤها في حاجة ملحة الى الكشف المستمر ، والامين عن جذورهـا الاصيلة ، وتقصي المنابع الاولى للفن القومي الاصيل .

والاستاذ عباس خضر يمثل دور المكتشف لهذه المرحلة من تراثنا القصصي والمسرحي الذي أوشك ان يتوه في زحمة الاحداث ، وأوشك الناشئون فيه والداخلون عليه ان يظنوا أنهم يخترعونه اختراعا ، دون ان يأخذوا في حسبانهم ما أرساه هؤلاء الرواد من أسس ، وما أرسوه من قواعد ، وما بذلوه من جهود .

ولقد بدت لي شخصية محمد تيمور من خلال جهود الاستـاذ عباس خضر ، وهو يكشف عن جوانبها ، ويعرض المجالات التي برزت فيها هذه الشخصية ، والدور الرائد الذي قام به تيمور في هـذه الفترة من تاريخنا الفني ، ويبرز الملامح المميزة التي اتسمت بها هذه الشخصية الفذة المتعددة المواهب والاهتمامات .

فلقد تحدث عن تيمور ناشئا في بيئته التـي هـي مزيـج مـن الارستقراطية والثقافة القائمة على التراث العربي القديم ، ثم طالبا ، ورياضيا ، وشاعرا ، ومؤلفا للقصة والتمثيلية ، ثم ناقدا له لـون خاص ، واتجاه معين ، يهدف من ورائهما الى خلق الشخصية المصرية بملامحها الجديدة ، كما يهدف الى اصلاح المجتمع المصري بجميـع طبقاته . ثم يعرض المؤلف بطريقة تحليلية لاطوار تيمور الثقافية والفنية وهي تنمو وتتطور تلقائيا ، وتتغذى بالمشاهد والرحلات والاجواءالفنية المحلية والعالميـة .

ويبلغ الكتاب ذروته وهو يحلل انتاج تيمور تحليلا علميا منهجيا رائعا . ويمتاز المؤلف في هذا الكتاب وفي غيره من المؤلفات ، بأنـه يكتب وعينه دائما على هدف لا يغيب عنه ، ذلك الهدف هو الشعب . فالشعب هو المحور ، الذي تدور حوله كل القيم وكل الافكار ، وهـو المقياس الذي يقيس به استقامة الاشخاص والاحداث بعدا أو قربا من هذا المحور . ولهذا فهو يحاول ان يعقد صلة وثيقة وحتمية بين تيمور وبين الشعب ، الشعب بكل طبقاته ، ويزعجه دائما ان تبرز الملامـح الارستقراطية ، او تحوم الافكار الطبقية حول محمد تيمور ، حتـى ليوشك ان يجرده من الطبقة التـي ينتمـي اليهـا بالميلاد والنشاة والبيئـة والمعايشـة .

فعباس خضر يبدو من خلف سطور هذا الكتاب اديبا يعشـق الشعب ، ويتعبد له ، ويصبغ كل افكاره وقيمه بالصبغة الشعبية . ولهذا جعل من محمد تيمور كاتبا ثائرا على كل القيم القديمة ، وكـل القيم الجديدة المنحرفة . ولكنه عندما يريد ان يعلل هذه النزعة عنـد محمد تيمور يلجأ الى علة خيالية ، فهو يعزوها الى كثرة ما قرأ في

المكتبة التيمورية ، والقراءة قد تمنح الثقافة ، ولكنها لا تمنح السلوك المتمرد الذي يعد شذوذا عن البيئة والمجتمع .

على ان حرص المؤلف على شخصية تيمور ، وحنوه عليها ،واعجابه بها قد مسحها مسحة رومانسية ، هي تصوير البطل بصورة الانسان الكامل المنزه من الشوائب ، والاعتذار في كثير من الاحيان عنتصرفاته اعتذارا يجعله غريبا على بيئته ومنبته ، حتى ليكاد ينكر عليه حقه الطبيعي في ان يكون ابن بيئته ينطبع بما تطرحه عليه البيئة والوراثة من آثار .

وهو ينكر ان يكون محمد تيمور قد تاثر ببيئته حين يراه ينزع الى الاشتغال بالادب المسرحي ، على حين يشتغل والده بالتاليف العلمي والادبي واللغوي ، ويشتغل أخواه بالوان اخرى من النشاط الفكري او الادبي . فهذا الاختلاف في لون الانتاج يوقع المؤلف في شبهة تجعله ينكر تاثير البيئة والوراثة في تيمور ، ولو كان قد تاثر بها لتعين عليه في رأي المؤلف ان يكون انتاجه ـ اسلوبا وصورة ونوعا ـ مطابقة تمام المطابقة لانتاج والده واخويه . ولم نعلم فيما علم الناس من امر الوراثة او البيئة انها تجعل الابناء نسخة طبق الاصل من الآباء او المعايشين ، حسب هذه العوامل ان يظهر أثرها فيالتيارالعام.

لكن المؤلف ـ كما قلت ـ حريص على ان يمنح شخصية تيمور منزلة البطولة ، وتجعله متفردا بمواهب لم يسبق اليها في بيئته او في وراثته ، وفي رأي المؤلف انه كلما كانت الشخصية غريبة على زمانها كانت اكثر بطولة ، واثقل وزنا .

تبقى بعد ذلك تساؤلات يسيرة لا بد ان يقف عندها قارىء الكتاب، يمكن اجمالها في النقاط السريعة التالية :

ـ هذا الموضوع الخطير وهو يتعرض لمرحلة من مراحل النمو الفني في بلادنا ، وهذا الفن في هذه المرحلة ما زال في دور الاكتشاف، والكتاب منشور لعامة القراء ـ كان في حاجة الى مقدمة تعريفيةتدخل بالقاريء شيئا فشيئا في صميم الموضوع ، ولا ادري لماذا حجبها المؤلف وهو في رأيي يرتاد بهذا الكتاب وبأمثاله مجالا جديدا ؟

ـ اول سطر في هذا الكتاب يحمل ملاحظة المؤلف في ان معظم الذين قادوا الحركة التجديدية في مصر في العصر الحديث ولدوا في اواخر القرن التاسع عشر ، وعاشوا في القرن العشرين ، وهيملاحظة وردت في صورة اكتشاف ، مع أنها شيء بديهي اقتضاه تتابع السنين من غير ان يثير اية ملاحظات .

ـ خلع المؤلف على تيمور لقب « الرائد المسرحي » ، وجعل هذا اللقب عنوان فصل من فصول الكتاب ، وكلمة «الرائد» كلمة خطيرة ، تقتضي من يمنحها ان يحشد لها كل قواه ، ليبرهن عليها ويدعمها بكل ما لديه من الحقائق العلمية والادبية .ولكن هذا الفصل مر في اقل من أربع صفحات تضم بعض السرد التاريخي عن تيمور كممثل .. كاى ممثل ، وفي خلال هذا اعترف بفشله او انقطاعه عن التمثيل ، وكمؤلف .. كاي مؤلف «لم يكتمل لمسرحياته النضج الفني» ـ وهذا نص المؤلف ـ كما تضم حقيقة صغيرة ، وهي ان كتابته « كانت عن علم ودراسة » .

والمؤلف لم يعتمد في ايراد هذه الحقيقة الا على مرجعينعاديين، واقتباس من الاستاذ زكي طليمات .وهذا في رأيي لا يبرر ان محمد تيمور رائد .. لا اعترض على حق المؤلف في منح تيمور هذا اللقب ، ولكن مضمون الفصل لم يبرر ـ من وجهة نظري ـ هذا اللقب .

ـ كنت اتوقع ان يكون الكتاب تاريخا مستفيضا للحركة المسرحية في هذه الفترة التي ما زالت صورتها باهتة في نظر الجيل ، وكانت الفرصة سانحة ليؤرخ المسرح المصري المعاصر من خلال شخصية من المع شخصياته ، ولكن المؤلف شغل بالشخصية عن الاطار التاريخي للمسرح المصري،مع ان الكتاب كما نعرف قد جاوزت صفحاتهالثلثمائة.

ـ في التحليل الذي أورده المؤلف لمقالات تيمور عن « التمثيل الفني واللافني » أورد كثيرا من التسميات والمصطلحات الفنية الاجنبية، وتركها صماء ، لم يتناولها بالتعريف او التفسير ، وكان الاجدر ان يعرف بها اتماما لفائدة القارىء ، كما فعل وهو يعرض لمقالاته عن «تاريخ التمثيل» ـ خاصة وان هذه المصطلحات لم تستقر مسمياتها بعد في مفهوم القراء وطلاب الثقافة الفنية .

ـ في تحليل المؤلف لرواية « العشرة الطيبة » يورد ان تيمورا كتب للمسرح بكل طاقاته وامكانياته ، ولكن المسرح خذله ، ويدلل على ذلك باثنتين من مسرحياته « لم تعرضا الا عدة ليال قليلة ، لا يمكن ان تعد مقياس نجاح او استجابة جماهيرية » ـ فهل هذا هو المقياس العلمي في نظر المؤلف لنجاح هذه المسرحيات الا يمكن أن يكون ذلك من دلائل عبقريته او سبقه لعصره كما يقولون ؟ أم ان «ايراد شباك التذاكر » واقبال الجماهير .. أية جماهير ، يمكن ان تكون بديلا لميزان النقد العلمي الموضوعي لهذا الانتاج المبكر ؟

ـ يقول المؤلف في اكثر من موضع : ان تيمورا يندمج فيالشعب، ويتميز بالشعبية ، ولا يتعاطف مع الفلاحين مجرد تعاطف ، ولكنه في اثناء تحليله لرواية العشرة الطيبة يتهمه بسوء الفهم للشخصيةالمصرية، وهو يصور شخصيات الفلاحين تصويرا يوحي بالانحلال والتخنث وعدم المبالاة .

ـ يقول المؤلف في اكثر من موضع كذلك : ان محمد تيمور تاثر حتى في اسلوبه القصصي بالشعر المهجري ، ثم لا يبين كيف تاثر ، ولا اية وسيلة من وسائل التاثر ، ولا أي موطن من انتاجه ظهر فيه هذا التاثر ، مع ان المناسبة كانت حاضرة وهو يقارنه بميخائيلنعيمة، وكانت المناسبة حاضرة وهو يتحدث عنه كشاعر .

وفي اعتقادي ان هذه التساؤلات الكثيرة التي يثيرها هذا الكتاب دليل على حيويته ونبضه بالمعلومات وبالقيم الجديرة بالوقوف عندها واستدرار فائدتها الكبيرة ، وهنا لا بد ان أذكر بالكثير من التقدير هذا التلخيص الشامل للامح المسرحية عند تيمور التي بدت واضحة في هذا الوقت المبكر من نهضتنا المسرحية ، وعلي ان اذكر حديث المؤلف عن تيمور كناقد اجتماعي ، يعالج المثالب الاجتماعية عن طريق المنولوج والشعر ، وكذلك جهده في انتقاء هذه المختارات التي ضمها الكتاب من انتاج تيمور وتنسيقها وتحليلها ، ثم قائمة المؤلفات التي خلفها هذا العبقري الصغير .

وبعد .. فان الجهد الذي يبذله الاستاذ عباس خضر في الكشف عن هذه المرحلة الرائدة في حياتنا الادبية والفنية جدير بالتنويه ، لانه يقوم بدور المكتشف لكثير من نصوصها واصولها التي تكاد تكون في حكم الحفريات بالنسبة لابناء هذا الجيل .

القاهرة — رضوان ابراهيم

●

المقري ـ صاحب نفح الطيب

تاليف محمد عبدالغني حسن ـ ١٩٠ صفحة ـ سلسلة اعلام العرب رقم ٦٠ ـ منشورات الدار المصرية للتاليف والترجمة بالقاهرة

«المقري» من شيوخ الادب ، ومن ائمة المؤرخين ، ومن اعلام مؤرخي الآداب ، وهو في نظر الباحثين اليوم ، من اصحاب «المعلمات»الخاصة. اي انه واضع «دائرة معارف» خاصة بموضوع . لان كتابه «نفح الطيب» مرجع هام ، من مراجع تاريخ الاندلس ، لم يستغن عنه اي باحث ، منذ ان اصبح بين ايدي الناس حتى اليوم . ولولاه لضاع الكثير من تاريخنا الطويل في تلك البقعة من ديار الغرب . وهذا الكتاب خاصة،

ما زال محتاجا الى كثير من العناية لاستخراج الكنوز الفنية التي تزخر بين دفتيه .ففيه تراجم ، وفيه سير ، وفيه شعر ونثر ، وفيه تدوين لمظاهر حضارة غنية من جميع نواحيها ، واخصها الناحية الاجتماعية . ويكفي ان تعرف منه عدد الفنادق والحمامات في بلدان الاندلس ، لتعرف الى اي حد قد ذهب في البحث هذا المؤلف (العلمي) . وفيه غير هذا وذاك مما لا تتسع لاحصائه هذه الكلمة ، وتكفي فيه الاشارة. ولم يكن «المقري» غريبا عن الخاصة من قراء العربية ، ولكنه ما زال غريبا عن جمهور المثقفين .ذلك بان كتابه الذي اشتهر فيه ، وهو نفح الطيب ، ليس من كتب المطالعة السهلة ، وانما يمكن ان يعتبر بالنظر لضخامته من كتب المراجعة التي يسألها الناس الصواب حينما يختلفون في اي شان من شؤون الفكر او العلم . ولهذا خفيت شخصيته وسيرته عن جمهور المثقفين ، ولم يذكر في كتاب تاريخ الادب العربي المدرسي فيما اعرف . وقد يعرفه القلة من طلاب كليات الآداب ، وقد تجهله الكثرة على الرغم من اننا مدينون له بمعظم ما نعرف عن الاندلس .

لهذا كان اقبال الاستاذ المحقق محمد عبدالغني حسن على تاليف كتاب برأسه عن «المقري» عملا عظيما ، لانه تعريف بهذا الرجل ، وجلاء للكثير من المجهول عنه ، وترغيب للخاصة وللعامة على السواء في دراسة آثاره ، والانتفاع بالكنوز التي تضمنتها . وهذا العمل ، انصاف لرجل نذر حياته للعلم ، وترك من الاثر في المعرفة العربية خاصة ، وفي المعرفة الانسانية عامة ، ما جعله بين الخالدين .

ان ترجمة الاعلام فن قائم بذاته ، والناس فيه مذاهب . وما زالت مكتبتنا العربية فقيرة كل الفقر الى هذا النوع من التاليف ، وما اظن انني اغلو حينما اقرر ان ما في المكتبة العربية من كتب التراجم ، قديمها وحديثها ، قاصر عن جلاء مؤلفينا كما ينبغي ان يكون ،فالقديم منها تزهد فيه الناشئة لصعوبة دراسته ، ولان الطريقة التي كتب فيها لم تعد سائغة في هذا العصر . واما الخاصة فانها تخضعها لقواعد البحث الحديث ، والنقد المجرد ، فترى فيها ، احيانا او غالبا ، رفعا يجاوز حد المعقول ، او خفضا يذهب بكل الحسنات . واما كتب التراجم الحديثة فانها تتخذ المصادر القديمة اساسا للبحث ، وتقارن بينها ، وتنخل ما فيها .وينتقي كل مؤلف ما يتراءى له انه اقرب الى الحق ، ثم تعمد بعد هذا الى كتب المؤلف ، فتصور منها شخصيته ، وتبرز خلاله ، وتبين مدى اثره في عصره ، ومدى تأثره من ظروف العصر الذي عاش فيه . هذه الدراسات الحديثة ما زالت تفتقر اليها المكتبة العربية . ونحن بالقياس الى غيرنا من الامم مقصرون .

خذ مثلا ما كتب ويكتب عن الادباء الفرنسيين . انه فيض لا حصر له ولا عد ، في كل يوم تقذف المطبعة الفرنسية بعشرات الدراسات ، ان لم اقل بمئاتها وآلافها . وقل مثل ذلك عن آداب الامم الاخرى .وقد يكون في اتساع زمان الثقافة العربية بعض العذر الذي ينهض لهذا النقص ، فما كانت خدمة اربعة عشر قرنا على الاقل ، اي منذ الهجرة حتى اليوم ، امرا يسيرا . ولكن كثرة الجامعات ، ووفرة المختصين، وتيسير سبل البحث ، وغير ذلك من الاسباب والعوامل ، تجعل التقصير واضحا كل الوضوح .

لقد كان اغتباطي بمؤلف الاستاذ الصديق محمد عبدالغني حسن عن شيخنا المقري عظيما . فلقد جلاه لنا بلحمه ودمه ، بعقله وعاطفته، بمزاجه واطواره ، بفكاهاته ونوادره ، بسفره وحضره . لقد حدثنا عن ملامح عصره ، وعن مولده المغربي ، ونسبه القرشي ، وعن زواجه من اسرة شريفة وطلاقه ، وعن دمشق والقاهرة واثرهما فيه . وعن شيوخه واجازاته ، وعن تدريسه تحت قبة النسر في الجامع الاموي ، وعن اصحابه في المشرق واصدقائه في المغرب ، وعن طريقته في التاليف ، وعن حافظته القوية ، وعن جده وهزله ، وعن مدائحه النبوية ، وعن غرامه بالتصوف وكرامات الاولياء ، وعن «المقري معرف الشرق بالغرب ، وعن غربته وحنينه ، وعن مؤلفاته .

في هذه الفصول على ايجازها ، افكار واضحة ، تجعل المقري ماثلا امامك ، وكانك قد انتقلت الى عصره ، وكانه انشر في هذا العصر . وليس هذا بالشيء القليل . ولقد تعودت مع صديقي الاستاذ محمد عبدالغني حسن المصارحة والناصحة ، فهل علي من حرج اذا انا استاذنته في ان اوجه نظره الى بعض ما استوقفني ؟ ان وجداني العلمي ، وروحه المتسامح ، يأذنان في ان اشير الى ما ارى انه الصواب.

واول ما الاحظ ، ان الكتاب اصغر من المقري ، ومن محمد عبد الغني حسن معا . فلقد كان المقري بدراسة اوسع أجدر ، وكان محمد عبدالغني حسن عليها اقدر . واذا لم يخني حدسي فاني قد قرات هذا بين السطور ، وكان المؤلف راغبا في الزيادة وكان روح المقري يدعوه الى الاستزادة ، ولكن الذي حال بين المؤلف وبين ما يشتهي على ما يظهر ، هو حجم السلسلة التي نشر فيها الكتاب ، أعني سلسلة « اعلام العرب » .ومن عانى التاليف عرف جنايات الناشرين على المؤلفين . فهذه واحدة اعذره فيها ، ويقيني ان وفاء الصديق المؤلف للمقري في دراسة اوسع ما زال في كناشته ، ينتظر الظرف الملائم للنشر.

اما الثانية فاني احتكم فيها الى عقل الاستاذ الصديق والى قلبه. ولست ارضى بغيره حكما ، ليقيني من انصافه ، ولثقتي بعقله الكبير ، ولمعرفته بقلبه الذهبي ، ولتاكدي بعد هذا كله من ايمانه . والامر عنده وعندي ، فيما اعتقد ، ليس من الامور اليسيرة . فلقد تحدث بين الصفحات (١٤٢ ــ ١٥١) عن المقري المقري (بين التصوف وكرامات الاولياء) ، وقرر انه «يروي كثيرا من اخبارهم ، وغرائب احوالهم ، ويحكيها حكاية المصدق لها ، المؤمن بها ، ثم يشير الى تجريح العقلاء والمصلحين لهذه الخرافات والاباطيل ، وينقل عن الناصري والبيوسي تصويرهما « لانحراف التصوف عن نهجه القويم ، وكيف بلغ تضليل الشيوخ لاتباعهم» وينقد المقري نقدا قويا لاذعا ، لانه يرى ان تصديقه للكرامات قد بلغ حدا لا تألفه طبائع الاشياء . وانه يتقبل ما يسمعه ويرويه من كرامات الاولياء قبولا حسنا ، قبول المؤمن بها ، المصدق لها ، مهما كان فيها من غرابة ، ومخالفة للطبائع المألوفة والسنن الجارية . ومهما كان فيها مما لاتجري اصول الحياة به ، ولا تسير سنن الاشياء عليه» . ويسخر حين ينقل عن المقرى انه ترجم للعالم الزاهد (ابن هال) فقال : « كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد » . وفي وسط هذه الصورة التي وفق الاستاذ الصديق الى اخراجها بكل ما فيها من سخف وضلال ، ومخالفة للعقل وللدين ، اشار الى زيارة المقرى للمدينة المنورة ، مدينة الرسول ، وللمسجد الاقصى (ص ١٤٩). وصديقي المؤلف لا يمكن ان يخالفني في ان ذكر هاتين الزيارتين ليس مكانه هنا ، بل كان الاحرى ان يفرد له فصل خاص ، فما كانت زيارة الروضة المطهرة ،في المدينة المنورة ، ولا المسجد الاقصى في القدس الشريف ، كزيارة قبر محي الدين بن عربي ، ولا قبر ابي بكر بن العربي ، ولا قبر ابي العباس المرسي ، ولا قبور غيرهم من الاولياء والصالحين . ولست اشك في ان الاستاذ والصديق لم يقصد الى ان هذه الزيارات متشابهة ، بدليل ما احاط زيارة الروضة المطهرة والمسجد الاقصى من عبارات التبجيل المنقولة عن المقري نفسه ، وبدليل انكاره ايما انكار لتصديق المقرى بكرامات الاولياء . ولعلي بهذا قد ادخلت السرور على قلب صديقي ، ليعمد في طبعة مقبلة ، الى صيانة انوار النبوة في المدينة والقدس من ان تذكر مع ظلمات المخرفين .

وثالثة لم اتعودها في اسلوب الاستاذ الصديق حين كتابة التاريخ ، ولا في احاديثه الخاصة فلقد عرفت فيه حسن اختيار اللفظ الرقيق ، حتى يوم يتعرض للنقد الشديد . سواء اكان ذلك في كتبه ومقالاته ، ام كان في مذاكراته . وما ادري كيف انزلق قلمه فوصف السلطان سليمان العثماني بالوقاحة (ص ٨) ، لانه طمح الى الاستيلاء على المغرب والمعروف عن هؤلاء السلاطين انهم اقاموا

للاسلام عـزا وجددوا له مجدا .

واربعة قد تكون دمشقيتي هي التي دعتني اليها ، وقـد يكـون وجه الصواب ما رأيته فيها : ذلك بان المؤلف الصديق قد عقد فصلا عنوانه (بين دمشق والقاهرة ص ٤٣ ـ ٥١) ذكر فيه المفاضـلات والمفاخرات بين دمشق ومصر ، واتهم المقرى بانه (لم يلزم جـانـب الحيدة) ـ واظنه يريد الحياد لانه كان يعلق احيانا بما يدل علـى هـواه وميله (نحو دمشق) . ترى لو كان هوى المقرى مع مصـر هل كان حياديا ايضا ، فالمقري ليس حكما بين العاصمتين ، وانمـا هـو انسان يهـوى ويميل ، وليس للحياد محل في الهوى والميل . وهل يحيد من احب مصر وفضلها على دمشق او من احب دمشـق وفضلها على مصر ؟

وبعد فلولا انني واثق من ان الاستاذ الصديق ، العالم المحقق ، يفهم عني كل ما اريد من هذه الملاحظات لامسكت عن الاشارة اليهـا . ولولا يقيني انه سيرحب بها اكثر من كل قاريء ، لما اهتممت بايرادها . وحسب المؤلف انه قد امتع قراء العربية بسفر نفيس ، صور فيـه رجلا من اعاظم رجالنا ، فاخلص في التصوير ، والقي علـى شخصيته انوارا صافية بالغة في صفاء . وكم اتمنى ان تزخـر المكتبة العربيـة بمثل هذا الكتاب القيم .

نزيل جدة **ظافر القاسمي**

●

كتابـان لعـلال الفاسـي

هل الشريعة في حاجة الى دفاع ؟ سؤال اجاب عنه الـرئيس علال الفاسي في كتابين صدرا حتى الان : « مقاصـد الشريعـة الاسلامية ومكارمها » و « دفاع عن الشريعة » وهو ما يزال يجيـب عنه فيما يكتب من ابحاث وما يلقي من محاضرات علـى طلبة كليتي الحقوق والشريعة في المغرب .

ولعل هذا الانغمـار من الرئيس علال الفاسي في ميـدان الدفاع عن الشريعة وحده يشعرنا بانها في حاجة الى دفاع . فقد عودنا عـلال كمفكر كبير وكزعيم وطني كبير الا يدافع عن القضايا التي ليست في حاجة الى دفاع ، وعودنا الا يخوض معارك من اجل خوض معـركـة فحسب ، فقد سمـا عن ميدان الصراع من اجل الصراع منـذ تبنى الدفاع عن اكبر قضية في المغرب الحديث : الاستقلال والديمقراطية .

قليل من المفكرين من رزقـوا فكرا شموليا كفكر عـلال الفاسي ، فهـو الرجل الذي شغل نفسه بالقضايا الوطنية والسياسية منذ كان تلميذا يدرج الى مجالس العلم وما يزال ، تجده يشغل نفسه فـي الوقت ذاته بقضايا الشريعة وبجانب الدفاع عنها علـى الاخص ، لانه يفهم الحياة على حقيقتها ، ويفهم المجتمع الانساني علـى حقيقته ، ويفهم الانسان الحالي على حقيقته ، ولذلك يتجاور في فكره الواسع الشمولي الدفاع عن حرية الارض وحرية الانسان وحريـة اقتصـاده وحرية عمله وتصرفاته وعقيدته وحرية شريعته ودينه وقانونـه ، لان الاستعمار حينما انقض على الارض والانسان اغتصب هـذه الحريات جميعا ليخلص له الانسان المستمر مجردا من كل كيـان ، سواء كـان هذا الكيان اقتصادا او ارضا او شريعة او دينا او فكرا ، متذرعـا بالاصـلاح وبتطوير الانسان المستعمر والارض المستعمرة ، وبالسلوك بها في طريق الحضارة . فالكفاح من اجل تحرير الانسان اذن يجـب ان يكون شاملا لكل كيانات الانسان حتى يكون كفاحا حقيقيا كـاملا لا كفاحا ناقصا مجزوء ، وهـل يقوى على كفاح مثل هذا الا الرجـل الذي يتجاور في فكره الاقتصاد مع الشريعة ، والوطنية مع الديـن ، والاسلام مع احدث النظريات الفلسفية مؤمنة او ملحدة ؟ وهل في عصرنا رجل يمثل هذه الشمولية النادرة غير علال الفاسي ؟

وانطلاقا من هذه الشمولية يرى علال الفاسي وهـو يصحح المفاهيم ان القضية قضية استعمار ، لان الاستعمار في مفهومه الاصلي كل لا يتجزأ . فكل المستعمرين يعملون على خلق شعوب على صورتهم واهالي على صورة مواطنيهم ، ولذلك « فالاستقلال لا يعني ان نخرج من قبضة الحكم الاجنبي وان تخرج الجيوش الاجنبية من بلادنا ، ولا يبقى لدينا قاض ولا تقني اجنبي ، ان ذلك ليس الا ازالة لمظاهـر القوة التي تعوقنا عن التحرر الحقيقي ، انه ليس غير مرحلة انتقالية لا بد منها لنأخذ نحن طريقنا في البناء وبعث الذاتية الاسلامية الوطنية التي حجبها عنا المستعمر بمجهوداته . فاذا رضينا نحن بقوانيـن الاجنبي مكان قوانيننا ، واذا اخترنا لغته مكان لغتنا ، فمعنى ذلـك اننا لم نزد على ان ورثنا سلطته وقمنا مقامه في تطبيق البرامج التي كان يعمل لهـا » .

وانطلاقا من هذه الفكرة اهتدى علال الى ان الشريعة كـديـن قد لا تكون اهمت المستعمر في بلادنا كثيرا لانه يعرف ان الدين عقيدة اكثر رسوخا من ان تستطيع قوة المستعمـر ازالته من قلوب المسلمين ، واهتدى الى هذه الحقيقة بالتجربة فهو لم يستطع ان يقضي علـى الاسلام كعقيدة في الجزائر مثلا ولذلك فهـو غير مستطيع ان يقضي عليه في المغرب او اي مجتمع اسلامي ، ولكن الذي يهمه ليكـون مواطنين على مثل صورة مواطنيه هو الشريعة كقانون ، ومن هنـا بدأ يحاول ان يغير هذه الشريعة وان يستبدلها بالقوانين الوضعية : قوانينه التي ابتدعها لبلاده ، او اقتبسها مما بقي من القـوانيـن الرومانية وما ادخل عليها من تحويرات تتفق والمجتمع الاوروبـي الفرنسي او البلجيكي او الانجليزي . نحن اذن امام حقائق : اولاها : اننا امة لها قانونها المتمثل في الشريعة الاسلامية ، فنحن حينمـا وطئت ارضنا اقدام الاستعمار لم نكن شعبا بدون قانون ، وحضارتنا ليست حضارة عزلاء مما ينظم الحياة والمجتمع فيها تنظيما عمليـا واجتماعيا واقتصاديا ، وانما كانت حضارتنا متكاملة : للفكر والدين والقانون والشريعة نصيب كبير في تنظيمها .

وثانيها : ان الاستعمار تعمد ان يهدم اصول هـذه الحضـارة وان يقضي على ما تخلف مع عصور التخلف من اصول للشريعة والقانون في بلادنا جريا على سنته في ان يفصل بلادنا عن كياناتها العريقة .

وثالثها : ان الاستعمـار حينمـا اضطر الى وضع قوانيـن وتشريعات لجأ الى قوانينه ليخلق من المواطنين اشكالا على صـورته اتباعا لسنته في الغزو الفكري الذي مارسه في عدة مجالات وفـي مقدمتها مجال التشريع .

ونتيجة لكل ذلك انهارت قيمة الشريعة في المجتمعات المستعمرة ، واصبحت هذه المجتمعات تسير على نفس الطريق ، حتى بعداستقلالها، لانها آمنت بالفكرة التي بثها المستعمـر ، وهي ان الشريعة مظهـر عتيق لفكر عتيق لم تعد صالحة لحياة العصر . وصدا لهذا التيـار الجارف في المجتمعات المستعمـرة عمليا او فكريا وجب الدفاع عـن الشريعة وتلك هي المهمة التي قام بها السيد الرئيس علال الفـاسي في كتابه « دفاع عن الشريعة » (١) .

والشريعة في حاجة كذلك الى دفاع لان التشريعات الاجنبيـة الحديثة التي نسخت الشريعة الاسلامية معظمها يهدف الى مقاصد استعمارية طبقت على عهد الاستعمـار فحقق بها اهدافه ومـا تـزال تطبق فنحقق بها نحن اهدافه من حيث نشعـر او لا نشعر . ويـأتـي الرئيس علال بامثلة كثيرة مهمة يقارن فيها بين فقه الشريعة وفقـه القانون الاجنبي الذي طبق . ويفضح السر الاستعماري في استبدال

---

(١) مطبعة الرسالة بالرباط اكتوبر ١٩٦٦ ـ ٢٥٠ صفحة

الشريعة بالقانون الاجنبي . خذ مثلا القانون المغربي الاسلامي الذي يمنع امتلاك الاجانب للارض الزراعية ، لان الارض ملك للطائفة الاسلامية ، ولذلك لا يصح لغير ابناء الطائفة او الذميين امتلاك الارض ، وبذلك كانت الشريعة وسيلة مهمة للمحافظة على الارض الفلاحية في يد المواطنين . وجاء الاستعمار فوضع قوانين وضعية مرت بعدة اطوار تغير حكم الشريعة وتبيح امتلاك الارض ، بل تبيح نزعها من المواطنين وتمليكها للفلاحين المستعمرين كعمل يهدف الى مصلحة عامة . واقرأ امثلة اخرى من الاهداف الاستعمارية في التشريع الاجنبي في عدة فصول من الكتاب وبخاصة الفصل ١٥ .

وهذا من الاسباب الهامة للدفاع عن الشريعة حتى نتخلص من كل مظهر من مظاهر الاستعمار الاجتماعية والاقتصادية . ومن موجبات الدفاع عن الشريعة العنصرية التي ظهرت في القوانين الاجنبية والتى تمنح من الحقوق والامتيازات والضمانات للاجانب ما تحرم منه المواطنين احيانا بنص القانون او بمدلوله .

وفي اطار الدفاع عن الشريعة يعقد الرئيس علال فصولا لمحاسن الشريعة ولصلاحيتها لهذا العصر ولامكانية الرجوع اليها في عصرنا ويعالج هذا الموضوع من جانبه النفسي والواقعي والفكري ، ويهدف من ذلك الى اقتلاع الافكار السابقة التي غزت الفكر عند المسلمين والتي تزعم ان الرجوع الى شريعة قديمة مظهر من مظاهر الرجعية . وقارىء الكتاب بعد ان يعرف الفرق بين الشريعة والقوانين الوضعية الجديدة التي استعمل بعضها لمجتمعات اخرى ونقل الينا بعد ان حرف ليتفق والفكر الاستعماري ، يدرك ان العودة الى الشريعة ليست ممكنة فحسب ، ولكنها ضرورية كمظهر للتحرر الفكري والقانوني والاقتصادي كذلك .

لا استطيع ان ازعم لنفسي او للقراء اني كنت متفقا مع الرئيس علال في كل الافكار التي حفل بها الكتاب وخاصة المتصلة منها بفلسفة التشريع . فقد كنت اقف عند بعضها فلا اجدني اتفق مع المؤلف في جوهرها . واضرب مثلا او مثلين للاراء القليلة التي كنت معه فيها على خلاف . في الفصل التاسع يتحدث المؤلف عن مميزات الشريعة وهو فصل قيم جدا ، واستلفت نظري حينما تحدث عن ضمان الشريعة للاخلاق لانها لا تراعي حماية الامن والنظام والاشخاص فحسب ولكنها تحمي الاخلاق كذلك ، لان الاخلاق جزء من الايمان والشريعة صادرة عن الدين الذي يعتبر الايمان بعضا منه . استلفت نظري قول المؤلف في معرض التدليل على هذه النظرية : اما القوانين الوضعية فهي تعتبر الاخلاق شيئا معنويا لا يدخل في دائرة الالزام ولذلك فهي تجعل الخلق منفصلا عن القانون ، وما ذلك الا لان القانون منفصل عن الدين .

ويبدو لي ان في القوانين الوضعية ما يضمن الخلق وان الاخلاق ليست منفصلة عن القانون الوضعي ، ولكن مفهوم الخلق هو الذي يختلف في الشريعة عنه في بعض القوانين الوضعية .

وفي نفس الفصل يتحدث المؤلف عن كمال الشريعة لانها من عند الله المتصف بالكمال وعن نقص القوانين الوضعية لان واضعها متصف بالنقص والضعف وقلة الحيلة . واذا كان كمال اصول الشريعة شيئا مؤكدا لانها من عند الله فان نقص القوانين الوضعية لمجرد ان واضعيها متصفون بالنقص الانساني رأي يدعو الى نظر . فان الجهود العلمية التي بذلت في التشريعات الوضعية المجردة عن المقاصد الاستعمارية والمقاصد الرأسمالية المتطرفة من شأنها ان تجعل بعض التشريعات مكتملة ، وان كان واضعوها متصفين بالنقص الانساني .

في الكتاب كثير من امثلة التشريع الاسلامي مقارنة بالتشريع الوضعي ، وكم احب ان تتجه نية الرئيس علال الى افراد كتاب بالتشريعات الاسلامية التي يمكن تطبيقها في المجتمع الحديث وخاصة ما يتصل منها بالحياة الاقتصادية والمعاملات اليومية ، فان هذا الدفاع القوي حري بتطبيقات واسعة تضع يد المشرع على نماذج مما يمكن فيها تطبيق الشريعة في مجتمع يحيا حياة عصرية .

الرباط ـ المغرب **عبدالكريم غلاب**

نقيب الصحافة

رئيس تحرير جريدة العلم

●

ثمانية من الكتب القيمة

في فترات متعاقبة حطت على مكتبي حزمة من الكتب القيمة حملها البريد من مختلف المدن ، وقد اهدانيها اصحابها الاريحيون سخاء منهم ووفاء بالعهد المسؤول . ويتقاضاني واجب الوفاء عرضا اتناول فيه تلك الاثار القلمية الرائعة :

١ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤

تضطلع (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) بمهمة شاقة عسيرة لا يقوى على حملها الا من كان واثقا من طاقاته ، مؤمنا بكفاءاته . واية مهمة اكبر مشقة من التعريف بالقضية الفلسطينية والدعوة لها ؟!

و « الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ » من منشورات هذه المؤسسة الواعية لواجبها الساهرة على غايتها ، وفيه عرضت ماجريات القضية الفلسطينية والاحداث التي المت بها ، ولقد بذل القائمون على مؤسسة الدراسات هذه جهدا مشكورا في سبيل التعريف باظلم قضية عرفها التاريخ .

٢ ـ الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥

قطعت « مؤسسة (١) الدراسات الفلسطينية » عهدا باخراج كتاب سنوي عن القضية الفلسطينية واشارت الى هذا العهد في مقدمة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٤ .

وكان من غيرة الوطني الصامت الدكتور منذر فائق عنبتاوي على قضية العرب الكبرى ان جمع الوثائق التي لها صلة بالقضية الفلسطينية وحرر موادها واخرجها في كتاب ضخم بلغت صفحاته ٦٠٧ من القطع المتوسط .

ولا بد لمن يطلع على هذه المعلمة ان يحني الهامة اعترافا بهذا الجهد المشكور الذي بذله الدكتور عنبتاوي ويهز يده مهنئا بهذه الطرفة القومية ويعقد الامال على الاتي من هذه الروائع .

٣ ـ نوى

جمع اخونا الاستاذ يوسف الفاخوري (نزيل سان باولو ـ البرازيل) بين الادب والنشب فكان اميرا في دولتي الشعر والدولار ... اذ كتب له ان يكون شاعرا فذا وصناعيا ثريا ، لكنه رغم امساكه بناصيتي الشعر والدولار ظل ذلك « الانسان » المتطامن النفس المتواضع في سلوكه مع الناس .

في عام ١٩٦٦ زار شاعرنا الكبير الاقطار العربية مع وفد يضم نفرا من رجال الصناعة والاقتصاد في البرازيل ، وفي لبنان حبذ له صديقاه الحميمان الشاعر شكرالله الجر والاديب حنا الفاخوري طبع احد دواوين شعره في بيروت ، وبعد حديث مطول دفع الفاخوري لصديقيه ديوانا اسماه (نوى) فكتب شكر الله مقدمته وقد جاءت من امتع ما كتب الجر صاحب الريشة التي اشتهرت بالاصباغ

الزاهية والتلاوين البديعة ، وكتب حنا الفاخوري كلمة رائعة تحت عنوان (الشعر الانسان) ولو قدر لي ان اقراها قبل طباعتها لاقترحت على صاحبها اسما هو (الشاعر الانسان) . وما الشاعر الانسان الا يوسف الفاخوري الذي عرفته في سان باولو شاعرا انسانا !

وفي (نوى) سجل الفاخوري سلسلة من تجارب عاناها في زحمة عراكه في مهاجره النائية .. ورغم هجرة طويلة سقته زقوما وغسلينا ظل حنانا الى لبنان ، لصوقا بذكراه ، مشوقا للقياه :

ارز لبنان يعلم الله انا ما برحنا على العهود الاوالي
عللتنا (النوى) بنيل الاماني والتعلات من هزيل المقال
قد حملناك في القلوب وسرنا في ميادينها الصعاب المنال !

وعندما يتحرر يوسف الشاعر من اسار الصناعة وقيود التجارة والمصرف الذي يملك بعضه ، ينتفض الشوق في جوانح شاعرنا المرهف الحس فيغني نفسه اغنية السجين .. وهو في الواقع يخاطب نفسه كطائر زج به في قفص :

غرد مع الصباح اغرودة الخلود
وانفض عن الجناح متاعب الوجود
وسائل الرياح هل يا ترى نعود
لعهدنا المراح ؟
يا ساكن القفص !

ورغم بريق القفص يود الشاعر تحطيم القضبان الزاهية الالوان لينطلق حرا وليسبح في جو من الطمانينة ، وليعتق روحه من المادة التي تكدست في خزائنه .. لكنه لم يفتر بها ولم يسجد لعجلها الذهبي ، وليعود الى مدارج صباه :

يا غريب الدار والربوع
قد كفاك انتظار وهجوع
انت حامي الذمار فالرجوع
الرجوع !

والفاخوري عندما يستلهم ربة شعره ينطق بشعر عذب ويتكلم بلسان نفر من شعراء المهجر الجنوبي امثال الشاعر القروي وشفيق معلوف وجورج صيدح وفرحات وشكرالله الجر وميشيل مغربي ونصر سمعان وتوفيق بربر وزكي قنصل ويترجم احاسيسهم شعرا ويقول في لوعة وحسرة :

لا تسلني يا صاحبي كيف حالي صفوة العيش من ضروب المحال
صانك الله هل رأيت مع الا يام حرا على صفا والليالي ؟!

ويتلفت الفاخوري الى سنيه الغابرة فيضنيه التصعيد في جبال الحياة ، والهبوط الى السفوح والاودية ، فيقول متحسرا على الامس الغابر :

لم يبق من امسنا المستحب سوى ذكريات على الخاطر
نمر سراعا مرور السحاب ونركض خلف الهوى العابر

ويتلمس الفاخوري شعره الاسود فيلفاه قد استحال الى كومة بيضاء ... فينشد نفسه الحزينة :

تعالي نجمع بقايا الشباب فقد لوحت شمسنا للغروب
تكاد سفينتنا في الضباب تضل عن الشط عند المغيب !

والمال الذي فاضت به خزائن يوسف لم ينسه فلسفة الحياة .. فصور واقعها المرير تصوير شاعر بلا الحياة .. وذاق حلوها ومرها :

من زاده الله مالا وعاش عبدا لمال
كحامل الموت يعدو على الدروب الطوال
والموت يسخر منه مسمرا في النعال !

مد الله في عمر شاعرنا يوسف الفاخوري ليظل علما من اعلام الادب وجنديا من جنود القلم ، واديبا اصيلا لم يبطره المال ولم يسجد لعجله .. لانه فيلسوف متأمل سبر اغوار الحياة واستطاع ان يفرق بنظره البعيد ، ورايه السديد ، بين العرض والجوهر !

٤ ـ غادة افاميا

خلع الاديب الكبير والشاعر الوجداني الاستاذ عدنان مردم بك على الخزانة العربية مسرحية شعرية طريفة جاءت في اربعة فصول اسماها « غادة افاميا » (٢) . وبرا منه بفقيد الادب العربي الشاعر المرحوم خليل مردم بك اهدى روحه هذا الاثر المانع بوصفه مؤدبه ووالده ، وليست هذه اول مرة يذكر فيها عزيزنا الاستاذ عدنان والده شاعر الشام ، وقبلا اهدى روحه ديوانه « صفحة ذكرى » الذي تولت نشره دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٦١ .

قبل هذه المسرحية التي نحن بصدد الحديث عنها عالج شاعرنا الاستاذ عدنان فن المسرحية وهو على مقاعد الدرس ، متاثرا بمحاضرات كان يلقيها استاذ الادب الفرنسي في « الكلية العلمية » بدمشق فكان اديبنا الكبير آذانا صاغية لشرح نصوص مسرحيات الشاعرين الفرنسيين كورناي وراسين ، وكان ماخوذا بالحديث عنهما .

وفي جو عائلي شذي الفوح عاشه عدنان مردم بك في ظلال والده الشاعر المرحوم خليل مردم بك ، اقبل على المطالعة وعب من معين الادبين العربي والفرنسي وشرع في وضع المسرحيات الشعرية ونشرها في بعض المجلات ، وكانت باكورة مسرحياته « المعتصم بالله » واتبعها بمسرحية « عبد الرحمن الداخل » ثم بمسرحية « مصرع الحسين » وفي عام ١٩٣٦ نظم مسرحية « جميل بثينة » .

واقبل شاعرنا على التاريخ يستنطقه الحوادث والاخبار فقرا في ثناياه انباء حرب قومية اختار « افاميا » مسرحا لابطالها ، وتلك الحرب القومية شبيهة بالحرب التي شنها السوريون على الاستعمار الفرنسي (١٩٢٠ ـ ١٩٤٥) حتى اتيح لهم الاجهاز على ذلك المستعمر الغشوم ، وبهذا جمع الشاعر بين ذكرى قديمة حية وبين ذكرى معاصرة ترف على كل قلب ويهتف بها كل لسان !

ولا بد لمن يتصدى للبحث عن تاريخ المسرح العربي وللحديث عن المسرحيات العربية وعن الشعراء والكتاب الذين عالجوها ، ان يذكر بالتجلة والاطراء الاستاذ الشاعر عدنان مردم بك ويطري الجهد الذي بذله في المسرحيات الشعرية التي خلعها على الخزانة العربية فجاءت نجوما لماعة تضيء جنبات المسرح العربي ودروبه ، واوسمة رفيعة تزين صدر من نظم عقودها وزفها عرائس مجلوة للخزانة العربية .

واني لانصح جمهرة الادباء والمتادبين في البسيط العربي باقتناء هذه الطرفة الشعرية ليقرأوا فنا رفيعا وشت فصوله ريشة ساحرة يحملها الشاعر عدنان مردم بك الذي شدا على كل ايكة وغرد على كل فنن !

٥ ـ ديوان عقل الجر

من اشهر طوابع الشاعر المهجري المعروف الاستاذ شكر الله الجر السخاء والوفاء لاخوانه ومحبيه ، وكيف لا يكون وفيا لشقيقه الشاعر المحلق المرحوم عقل الجر وبارا بذكراه ؟!

ولد (عقل) في (بيبلوس) المدينة الاسطورية الغافية على

---

(١) انشئت هذه المؤسسة في بيروت ١٩٦٥ وينص نظامها الاساسي على ان غايتها هي « البحث العلمي حول مختلف نواحي حياة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية » .

(٢) تشير المصادر الافريقية الى ان « افاميا » ، وهي قطعة من سورية ، خضعت للحكم اليوناني ردحا من الزمن لكن بعض الاساطير تروي انها خضعت للحكم الروماني ، فاخذ الشاعر بهذا الراي لجنوح الرومان الى الفتوح والقسوة وتمجيد الواجب .

شاطىء الابيض المتوسط ، ورغم النعمة التي كان يرفل في مطارفها بارح لبنان الى البرازيل واستقر في الربو واقبلت عليه الدنيا بمباهجها ومسراتها .. لكنه ظل يذكر لبنان ويأسف لهجرانه :

قل للنفوس اذا جاشت مراجلها ... مهلا فان طموح المرء يرديه
المال والمجد والدنيا برمتها ... ليست تساوي لزيزا من مآقيه
ولست آسى على شيء اساي على ... عمر تصرم في الهجران ابكيه
وما احتياجا نزوحي كان عن وطني ... لكنها نزوات الطيش والتيه
لله لبنان لو اني بقيت له ... علمت من فيه كيف الاسد تحميه !

ورغم المال الذي جناه (عقل) في مهجره النائي ، ورغم المكانة الرفيعة التي احتلها في المجتمعين العربي والبرازيلي ، ورغم الشهرة التي اصابها في دنيا عبقر ظل حنانا للبنان ، نزاعا الى الاياب اليه ، لكن الايام اغرته ببريق وعودها.. واخيرا حالت بينه وبين موته في مدارج طفولته :

وطن بالعيون نسقي ثراه ... وان توانى الغمام في امطاره
ان حرمنا من نعمة العيش فيه ... لا حرمنا من مرقد في جواره !

وعاش (عقل)ثلاثا وثلاثين سنة يجتذبه الشوق الى اهله والحنين الى بلاده ، لكن عاملا خفيا كان يشده الى شواطىء كوباكبانا . وفي ليلة عاصفة مدلهمة من ليالي كانون الاول ١٩٤٥ خر النسر من سماء عليائه ، وقع (عقل) جثةهامدة ، وتلاشت الامنية التي كانت تراوده بالرجوع الى لبنان .. ولم تحقق الايام حلم الشاعر الذي صور هواجس نفسه ، وربوع اهله وانسه ، منذ حلت قدماه في ارض البرازيل حتى فارق الحياة بقوله :

لملم النسر جانحيه وطارا ... لا يبالي في سيره الاعصارا
ضاق لبنان وكنة وسماء ... عن مراميه فامتطى الاقدار
واذا ضاق موطن الحر بالحر ... فما تنفع البسيطة دارا ؟!
أسفا للاديب فهو غريب ... قلق القلب اين حل وسارا
هدهدت نفسه الاماني كبارا ... وبرت عزمه الخطوب كبارا
غصة تلو غصة تلو اخرى ... بين اضلاعه تؤجج نارا
لم ينل من حنينه المال والجاه ... ولم ينسه الجمال الديارا
ساهد الجفن لا يلين بجنبيه ... فراش ولا يقر قرارا
هو في غربة يحول فيها الشو ... ق افراح قلبه اكدارا
وسيفني ايامه ولياليه ... الى يوم في الثرى يتراءى

وفي رحلتين قمت بهما للبرازيل روى لي الذين عرفوا (عقلا) عن كثب انه مفطور على الصدق والوفاء ، لكن صدقه ووفاءه جنيا عليه في بيئة اتسمت بالمصانعة والمخادعة وهما من مستلزمات النجاح في هذا العصر .

وحالت كبرياء (عقل) والبيئة الرفيعة التي عاشها في لبنان دون تفاعله في مجتمع موبؤ لهذا لم يصب ثراء واسع الجنبات .. كما اصاب غيره ممن اتقنوا الخداع والكذب واللعب على الحبال :

ورحت اخوض غمار الحياة ... ودون الحياة زحام البشر
اجالد نفسي على امرها ... واسعى بعزم يفت الحجر
فاعثر بالمكر والاحتيال ... وامني على عفتي بالضرر
وازرع صدقا فاحصد كذبا ... واسلف خيرا فاجزى بشر
واربأ بالعيش ان يجتنى ... بنهش الكلاب ووثب الهرر !

تلقى (عقل) علومه الابتدائية في مدارس مختلفة بلبنان ثم انتقل الى مدرسة الحكمة فكان من اساتذة الشيخ عبد الله البستاني والخوري يوسف الحداد ، وانتقل بعدها الى كلية اللاييك فاتقن الفرنسية وانصرف الى دراسة الطب عاما واحدا ثم تحول عنه الى المحاماة ، ثم عدل عنها . والذين عرفوا (عقلا) اكدوا لى انه لو اتم درس المحاماة لكانت هذه المهنة اقرب الى سليقته الادبية كخطيب بليغ ومحدث خبير بفنون الكلام . ولو عاش في لبنان لتولى اعلى المناصب ولكسب به البرلمان اللبناني برلمانيا فذا من طراز رفيع !

وبعد عودة شاعرنا الاستاذ شكر الله الجر الى لبنان شرع في اعداد ديوان شقيقه (عقل) فدفعه الى صفاف الحروف واخرجه بحلة انيقة وبمقدمة نفيسة جاءت في الواقع دراسة مترعة بالذكريات الحية عن (عقل) وقد سخا بها قلم شكر الله الشاعر الذي نذر نفسه للادب وعاش عازبا في محاريبه .. ليروي للناس ما يستلهمه من ربة الشعر من فن ووحي !

وخير ما نختتم به هذه العجلة قصة طريفة اوردها شكر الله في نهاية ديوان شقيقه (عقل) خلاصتها ان (عقلا) زار يوما مدينة سان باولو فرحب به اخوانه الادباء واقاموا على شرفه الافراح والليالي الملاح !

وذات ليلة اجتمع الادباء في دار صديق لهم وصدف ان توددت ابنة صاحب الدار ، وهي طفلة صغيرة ، للشاعر القروي ، مستعذبة صوته الحنون على نغمة الوتر ، و (القروي) عواد ماهر ، رخيم الصوت ، فخطر لـ (عقل) ان يداعب الصغيرة بقوله :

رايتك طفلة ففرست حبي ... بهذا القلب كي تقوي فيقوى
فمالك ان شدا (القروي) صوتا ... همت عليه ان تهوي فيهوى
كذا تتحولين وانت طفل ... فمن انباك انك بنت حوا ؟

فاجابه القروي :

بربك لا تلم يا (عقل) طفلا ... صغيرا كالملاك علي الهوى
فما في الحب كالتبغ احتكار ... ولا مثل الجمارك فيه رشوى
وقبلك في الورى كم حار عقل ... فدع عنك الملام بدون جدوى !

وما انتهى (القروي) من انشاده حتى خاطبه (عقل) قائلا :

لا يصدق الشعراء في دعوى الهوى ... والكذب محمود لهم مغفور
هو شاعر لا تلقيه وحاذري ... ـ هذا ابوك ـ فسائليه خبير
هو بلبل هبط الرياض عشية ... وغدا ينقر ما يشا ويطير

فاستشاط (القروي) غيظا وقال :

ان تحذري من شاعر من تأمني ... فحذار ممن ليس فيه شعور
عاب القريض علي بلبله وكم ... عاب النظير لدى الحبيب نظير
فتخيري في الشاعرين لي الهوى ... وله الغنى والخام والمقصور !

وحدث بعد ذلك ان نامت الصغيرة فنهض (القروي) يهز سريرها مغنيا لها ، فبادره (عقل) بالبيتين التاليين :

ان هززت السرير منها فجانب ... مكمن الحب طي تلك السريره
انها برعم فلا تك ريحا ... واتق الله في فؤاد الصغيره

فاجابه (القروي) ضاحكا :

ليس بدعا ان حركت نغماتي ... للهوى برعما وهزت صغيره
انا رمز التفريد في الطير ما نا ... دمت روضا الا فتنت زهوره
ومثال الحنان في الام ما ... ناغيت طفلا الا هززت شعوره !

٦ ـ تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

يمثل المرحوم عيسى اسكندر المعلوف مشيخة مؤرخي العرب في القرن العشرين ، ويتميز بالمؤلفات الثمينة التي خلفها مخطوطة وما زالت تغط في سبات عميق . ولو كان الوعي في البسيط العربي على مقياس واسع لشقت تلك المخطوطات طريقها الى المطبعة ليقف الجيل الصاعد على ما فاته من اخبار السلف الصالح .

في عداد المؤلفات المخطوطة التي صنفها الشيخ عيسى اسكندر المعلوف « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » وباتفاق مع نجله الشاعر الاستاذ رياض معلوف تولت المطبعة الكاثوليكية في بيروت مشكورة طباعة هذا الكتاب طباعة انيقة مفهرسة جاءت في ٣٢٨ صفحة من القطع المتوسط .

وفي صدر شبابه قرأ الشيخ المعلوف عشرات الكتب باللغات الاوروبية الحية عن الامير المعني لكنه لم يقرأ كتابا بالعربية عن حاكم لبنان (من سنة ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥) الا شذرات موزعة هنا .. وهناك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغيرة منه على تاريخ لبنان العربي اقدم على انصاف هذا الحاكم الشهير بمؤلف ضخم تناول فيه حياته وخلافه مع الحكومة العثمانية لتفانيه في خدمة بلاده ورفع مستوى سكانها ونشر العمران في ارجائها .

لا ادري مايلهي شبان الجيل الصاعد في لبنان وسواه من الاقطار العربية عن قراءة سير الاوائل والوقوف على اخبارهم وتراجمهم . وما تراجمهم واخبارهم الا مدارس للطالبين ، ومنابر للسامعين ، ومنائر للتائهين !

بارك الله في همة الاستاذ رياض معلوف وجزى القائمين على شؤون المطبعة الكاثوليكية في بيروت عن جهدها المشكور هذا احسن الجزاء ، ويسر اناسا غيارى لنشر سائر مؤلفات الشيخ عيسى اسكندر المعلوف ، ولعل المطبعة الكاثوليكية ، وهي الحريصة على تاريخ لبنان والشرق العربي تضطلع بهذه المهمة التي عجزت عنها الحكومات والمجامع العلمية في دنيا العرب !

٧ ـ حصاد الذكريات

اتهيب الحديث عن ديوان « حصاد الذكريات » للصلة الروحية التي تربطني بصاحبه الشاعر الرقيق الاستاذ عبد الله حلاق صاحب مجلة « الضاد » الحلبية ، اذ اخشى من يعرف تلك الصلة الصوفية ان يتهمني بالافراط والغلو !

وحسبي في هذه العجلة ان اصطحب القارىء الكريم الى مقدمة اضفاها على الديوان الشاعر والمؤرخ والاديب الاستاذ محمد عبد الغني حسن فجاءت « وليمة » دسمة ودراسة وافية لادب الاستاذ حلاق وشعره .

ولم ينس عبد الله صاحب القلب الكبير ان يهدي ديوانه الى الرجل المحسان الكبير معالي الاستاذ فتح الله صقال بكلمة رقيقة نمت على ما يفيض به قلبه من حب واجلال للقانوني الضليع الذي دافع عن الزعيم ابراهيم هنانو وحمل قائدا افرنسيا على الاعتذار .. بعد ان صرف الفاظا نابية ، في عهد الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، لعربي حلبي .

تلمح في شعر عبد الله حلاق الوانا كالوان قوس قزح .. واكثر ما يتميز به شعره العذب بالوطنيات والوجدانيات والغزليات ، وفي احدى قصائده يصف (الشاعر) بقوله :

يحسدون الشاعر الفذ ، ولو ... انصفوه لبكوا حزنا عليه
لمسة الاحساس اضنت جسمه ... ورؤى الالهام افنت مقلتيه

دمه حبر على قرطاسه ... حبره الاسود يجلو الظلمات
روحه يسكبها في شعره ... شعره : نور ونار وعظات

واذا شيد المحسن الكبير الاستاذ فتح الله صقال (مستشفى الكلمة) خاطبه الشاعر الحلاق بقوله :

فتحت للخير ، لا سيف ولا نار ... وشدت للخلد فليضفر لك الفار
يا (فتح) هذي وفود الخير حافلة ... وفي غصون المنى زهر واثمار !

واذا اقيم حفل في الشهباء لتكريم الشاعر الذائع الصيت والصوت عمر ابي ريشه وقف عبد الله ليقول في صاحبه :

صرخة الحق من قريضك امضى ... يا صديقي من الحسام اليماني
رب باغ طلبته فتحاشى ... لاذع النقد وانطوى كالدخان
لا يرد الظلوم الا انتقاد ... من اديب او طعنه من سنان
رب عرش هوى لفضبة مر ... ويراع سطا على صولجان
ثورة الحر تخلق الوطن الحر ... وتبني للمجد اعلى المباني

واذا دشنت السلطات السورية بناء اقامته الفرقة الزراعية في الحسكة خاطب الشاعر الحلاق (الفلاح بقوله) :

يا ايها الفلاح يا كبش الفدا ... اتراك فزت من الثرى بمراد ؟
تشقى وتتعب والحياة عسيرة ... تضني ودون الفوز فرط قتاد

في صوتك المجروح انة يائس ... وعلى جبينك سمرة الاجهاد
تعطي الغذاء واهل بيتك في طوى ... وصراخهم يدمي فؤاد جماد
لولاك ما افترت ازاهير المنى ... عن ثغرها البسام يوم حصاد
ان الحضارة في البلاد قوامها ... قلم الاديب ومنجل الحصاد !

وشاعرنا الحلاق الفساني المحتد تيمه هوى (الضاد) وهي اللغة التي انزل الله بها آي الذكر الحكيم . وفي كل مناسبة تلوح له يتغنى بالعربية ام اللغات وزينتها :

انا صب تيمتني لغة ... صانها القرآن اسنى الكتب
وجهة المحراب عندي هيكل ... فيه عيسى والنبي العربي

ومن قوله في ام الكتاب :

ولي لفة اعلى الكتاب مقامتها ... فسارت مسير النور شرقا ومغربا
بها نزل القرآن هديا ورحمة ... فرد غليظ الاصغرين مهذبا
وان كلام الله آيات حكمة ... فمرحى لامي وعاه ليكتبا

و(العربية) و (القرآن) و (ومحمد) اقانيم ثلاثة يعشقها عبد الله ويهيم بذكرها ، فاسمعه يخاطب النبي العربي الكريم في قصيدة له بعنوان يا (محمد) :

أ (محمد) والمجد نسبح يمينه ... مجدت في تعليمك الاديانا
وسحقت رأس الشرحين وطئته ... وزرعت في قلب الفتي حنانا
ونشرت ذكر الله في اميه ... وثنية ونفختها الايمانا
وامرتها بالبر فاعتزت به ... وتسابقت في نشرها الاحسانا

وخير ما نختتم به هذه العجالة ابيات عذبة بعث بها شاعر الشباب الاستاذ عادل الفضبان الى صديقه الاستاذ الحلاق شاعر الشهباء بمناسبة صدور ديوانه « حصاد الذكريات » :

قم فذكرني باحلامي اللواتي ... كن ملء القلب في فجر حياتي
كن كالشهب سناء وسنى ... فمحاهن اختلاف السنوات
نفحات من شبابي ورؤى ... من اماني ونجوى خطراتي
وصدى كل نشيد في الهوى ... رجعته في ربى الحب لهاتي
وقراء عكست فيها العلا ... كيف سارت في هداها خطواتي
صور القالد فيهن اخا ... سبحات واراني في المشاة
رسمتهن قوافيك رقى ... تخلب اللب بسحر الكلمات
كل من حن الى ماضي المنى ... يجتليها في « حصاد الذكريات»!

٨ ـ من الامثال العامية

الشعب العربي في البسيط العربي موزع الاقاليم ، وكل اقليم يتميز عن الاقليم الاخر بلهجته وامثاله وزيه ولباسه ، وشانه في هذا شان بقية الشعوب .

وكان من همة اخينا الاديب الكبير الشاعر خالد سعود الزيد احد اعلام الادب في الكويت ان اختار طائفة من الامثال العامية في القطر الشقيق وشرحها شرحا وافيا وحزمها اخيرا في كتاب اسماه « من الامثال العامية » ورتبها ترتيبا هجائيا ، وزاوج كل مثل عامي بما يقارنه من مثل عربي فصيح وبما يوافقه من آيات قرآنية واحاديث نبوية . ولم يفت الاستاذ الاديب خالد الزيد توضيح المثل العامي او الفصيح فساق الشرح ليوضح كل مغلق فجاء الكتاب متمما للغرض مكملا للغاية التي هدف اليها شاعرنا الكبير .

واذا كنا لا نلمك الالتحية نبعث بعطرها للاستاذ خالد الزيد فاننا بانتظار موسوعته الكبرى « ادباء الكويت في قرنين » التي ستسد فراغا في ادبنا المعاصر وتعرف ادباء الكويت الشقيق الى اخوانهم في دنيا العرب والى المستشرقين في شتى ارجاء المسكونة .

مد الله في عمر شاعرنا الاستاذ خالد الزيد وزاده حيوية ونشاطا، ليزود الخزانة العربية بدراساته القيمة وابحاثه الثمينة وشعره العذب المستساغ !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة الأديب في شهر



حوار مع الاديب المهجري نظير زيتون

ليست معرفتي بالاديب المهجري الكبير الاستاذ نظير زيتون ، حديثة ، بل ترجع الى ما يقرب من عشر سنوات مضت ، كنت خلالها اتردد على بيته العامر ، زائرا ، او نلتقي في مهرجان ادبي معا ـ كالتقائنا ، مثلا ، في مهرجان الشاعر « نسيب عريضه » الذي القيت فيه كلمة الاستاذ النابغة ميخائيل نعيمه ، بالنيابة ، والقى فيه الاستاذ زيتون دراسته الرائعة الضافية عن شاعرية نسيب ، وذلك في بهو النادي الارثوذكسي بحمص ، منذ عدة سنوات ، او يجمعنا مقهى من مقاهي مدينة حمص ، لساعة او اكثر نتبادل فيها احاديث الادب والفكر ، في جلسة صيفية هادئة تكون زادا دسما لي ، حتى يتكرر اللقاء ثانية .

والحقيقة ان هذه الجلسات الادبية ، كانت ولا تزال محببة الى اثيرة على نفسي ، لعدة اسباب ، اهمها في رأيي تلك الصداقة المتينة القوية التي كانت تربط الاستاذ زيتون بوالدي ، اثناء هجرتهما معا في البرازيل والتي لا تزال اواصرها مكينة وشيجة حتى الان ، مع ان والدي لم يكن اديبا في يوم من الايام بل هو اقرب الى الجهل والامية، يرسم امضاءه رسما ولا يستطيع ان يقرأ من الصحف سوى عنواناتها الكبيرة ، ويبدو ان هذه الصداقة قد امتدت من الوالد الى الولد فورثتها عنه ، في حياته ـ اطال الله بقاءه ـ والاستاذ زيتون ـ ولكن بطابع جديد ، وصلات مختلفة يدعمها الفكر ، وتتغذى من لبان الثقافة ، هذا سبب والسبب الثاني هو زمالة الادب والحرف ، مع حفظ الفارق بين اديب شهير واديب ناشيء ، من مدينة واحدة ، والسبب الثالث هو ولعي بالادب المهجري وحبي لعطاءات ادبائه قراءة ودراسة ، ومنهم الاستاذ نظير زيتون الذي يعد اكبر مرجع ومؤرخ حي لادب العصبة الاندلسية وتاريخه في المهجر الجنوبي .

ولا اراني بحاجة الى تقييم ادب نظير زيتون ، فقد حظي طوال عمره الادبي الطويل بشتى الاماديح والتقاريظ ، من ادباء كبار في العالم العربي والمهجر ، ومن هيئات رسمية مسؤولة ، ويكفي للتدليل على ذلك ان نذكر قصته الطويلة « من وراء القبر » وما نالت من استحسان النقاد ، وفي مقدمتهم الاديب الذواقة الاستاذ شاكر مصطفى الذي كتب مقدمتها دارسا محللا « ما قرأت قصتك هذه بعيني ، ولكن بقلبي وشرياني » (١) والشاعر المهجري جورج صيدح الذي دبج تعليقه الادبي عليها قائلا في نهايته « وبعد فان قلم نظير زيتون من اقوى الاقلام العربية وارفعها ادبا في المهاجر الاميركية واوطان الضاد ، عرفناه قوميا مناضلا ، ومنافحا عن الحريات باسلا ، ثوري الشرعة انساني النزعة ورأيناه في النقد كاتبا عميق الاغوار بعيد المضمار .. كما رأيناه في ادب المقالة ينير السبل ويغذي الافهام .. اما في قصته « من وراء القبر » فقد كشفنا فيه عن قاص بارع ، جمع خيال الشاعر الى فن المصور ، الى حماسة المناضل ، الى فكاهة القصاص ، في طرفة واحدة » (٢) وكاتب هذه السطور الذي نشر دراسة نقدية عن القصة غب صدورها بقليل ، في مجلة (النقاد) الدمشقية وحللها من الناحيتين المضمونية والشكلية تحليلا مشفوعا بالادلة والاستشهادات(٣).

ولايادي الاستاذ نظير زيتون البيضاء على الادب العربي ترجمة ووضعا في المهجر والوطن ، قدره المجمع العلمي العربي بدمشق، فانتخبه بالاجماع عضوا فيه عام (١٩٦١) وكذلك فعل مجمع القاهرة اقرارا بفضله ونبوغه في ميدان اللغة والادب والاجتماع .

والحوار الذي سيطالعه القارىء في هذه الصفحات ، حوار قديم يرجع عهده الى اوائل عام ١٩٦٤ وقد تم في مقابلة جرت بيني وبين الاستاذ زيتون في بيته ، قمت بها اجمع المعلومات والمراجع والاصول التي كنت بحاجة اليها ، لاعداد مقال عن العصبة الاندلسية تاريخا وادبا ، وقد تفضل الاستاذ زيتون مشكورا ، وسلمني ـ للتعمق في الدراسة واستكمال ادوات البحث نسخة من مقابلة جامعة واسعة اجرتها معه الاديبة اللبنانية (سونيا عيد) في موضوع العصبة الاندلسية ، استعانت بها الفاضلة في اطروحتها عن ادب المهجر الجنوبي ، والعصبة الاندلسية بوجه خاص ، ولا انكر انها كانت ذات فائدة قيمة لبحثي ومنهجي في الدراسة .

ويهمني ان اذكر هنا ان هذا الحوار الادبي الوثائقي ، لم يتم في مقابلة واحدة وانما في عدة مقابلات اهمها تلك التي رد فيها الاستاذ زيتون على اسئلتي ردا كتابيا بخط يده ، احتفظ منه بنسخة واما بقية المقابلات فقد كانت تجري بشكل شفوي ، اسئلة يوجهها صاحب هذه السطور الى الاديب نظير زيتون ، فيجيب عليها بعمق وتفهم ، وبعد فترات من الصمت المفكر الامين ، لانه كان يعلم ان الهدف منها الاستفادة الادبية النقدية المؤزرة للدراسة التي كنت انوي القيام بها ، عن بعض ادباء العصبة الاندلسية ومنهم الاستاذ زيتون ، وحرصا مني على الامانة ، والدقة كنت اسجل اقواله وردوده الشفوية ، واعرضها عليه ، واحيانا كان يجيب اجوبة جريئة على بعض الاسئلة المحرجة .. فاساله : هل هذه الاجابات للنشر ، فيومىء بالايجاب ، او يشير الى انها للحفظ والسكوت ، ومع ذلك فسأشير في هوامش هذا الحوار الى ردود المقابلات الشفوية مع التاريخ .

وقد وجدت انه من الافضل نشر هذا الحوار الادبي الرصين عله يفيد دارسي الادب المهجري ، ويضيء لهم بعض الطرق المعتمة في منحى مؤلفاتهم وخاصة بعد ان التفت الباحثون في السنوات الاخيرة الى ادب المهجر الجنوبي وادباء العصبة الاندلسية بالذات فأولوهما عناية ملحوظة ، واهتماما ملموسا ، اسوة بادب المهجر الشمالي والرابطة القلمية . ومن زاوية اخرى ، فقد يكون في نشر هذا الحوار خير للادب واعتراف بفضل الاستاذ زيتون الذي امد كثيرا من النقاد والاساتذة الجامعيين او المرشحين لحمل دكتوراه في الادب المهجري في المناى الجنوبي ، وفي مقدمة هؤلاء الذين استفادوا من هذا الحصاد المرع الاديبة اللبنانية سونيا عيد والاديبة الدمشقية عزيزة مريدن ، والدكتوران الحلبيان ، عبد الكريم الاشتر في كتابه الرائع عن « النثر المهجري » وعمر الدقاق في كتابه عن العصبة الاندلسية .

السؤال الاول : سنة الولادة واسم الاب والام ، وهل كان في عائلتك اديب قبلك ؟ ..

الاجابة : اسم الاب عيسى زيتون ، وكان صاحب انوال لحياكة الانسجة الحريرية التي يصدرها الى الخارج وبالاخص الى بيروت ومصر .

واسم الام نظيرة حداد ، وكان والدها عيسى حداد وجيها متأدبا وسنة الولادة شباط عام ١٩٠٠ ميلادية . بحثت في عائلتي عن اديب تقدمني فما عثرت .

السؤال الثاني : لمحة عن حياتك هجرة واقامة ..

الاجابة : نزحت الى البرازيل في الرابعة عشرة من عمري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع فريق من رفاق المدرسة دون ان اكون من الناحية الاقتصادية محتاجا الى هذه الهجرة . كانت اميركة آنئذ ـ عدوى محببة ـ تصيب الكبير والصغير .

وعكفت لدى وصولي الى سان باولو ، على التجارة الصغيرة كسائر المهاجرين وتقلبت في اطوار شتى ومراحل متعددة دامت اكثر من عشر سنوات ، وانتهت بأني رجل لا يصلح للتجارة التي غازلتها على غير وصل ، ثم انفرجت ازمتي بدخولي في الميدان الصحافي ، اذ عرض علي الاستاذ رشيد عطية رحمه الله ـ وهو علامة لغوي ومؤلف مشهور في بيروت ـ ان اتولى تحرير جريدته اليومية (فتى لبنان)وكانت اوسع الصحف العربية المهجرية انتشارا وفي طليعة الجرائد التي ناضلت في سبيل الحرية والاستقلال ومناواة الاستعمار الفرنسي والانكليزي ، فصادف هذا العرض هوى في نفسي ، وتوليت تحرير الجريدة المذكورة من الباب الى المحراب عام ١٩٢٦ . كانت المهمة شاقة في بادىء الامر اذ يتحتم علي ان اطالع الصحف البرازيلية واترجم اهم الاحداث مع البرقيات العالمية ، الى كتابة اخبار الجالية ، بشكليها العام والخاص ، ثم انشاء الافتتاحية ، ونشر رواية متسلسلة ، مترجمة طبعا ، كما كنت اراجع الاعلانات التجارية واصححها ..ولكن هذه المصاعب لم تلبث ان هانت وانقلبت الى شعور عميق باللذة الروحية والادبية ، وكنت امارس الى جانب عملي الصحافي بعض الاعمال الاجتماعية والوطنية كالانخراط في سلك الجمعيات والقاء الخطب ، والاشتراك في اللجان وسواها ويكفي انني انتخبت خطيبا للنادي الحمصي مدى ١٥ سنة متوالية . وقد تسنى لي ان ازور بعض جمهوريات اميركة اللاتينية ، وفي الطليعة الارجنتين وتشيلي ، تلبية لدعوات عامة ، فلقيت من ضروب الحفاوة والاكرام فوق ما استحق ثم عدت الى الوطن بعد هجرة امتدت الى سبع وثلاثين سنة .

السؤال الثالث : من هم الادباء الذين تأثرت بهم قدامى ومحدثين من العرب ، ومثلهم من الكتاب الاميركيين ؟

الاجابة : كان زادي من العلم حين غادرت الوطن هزيلا ضئيلا ولكن حسي الادبي والفكري كان قويا فأقبلت على المطالعة .. وكنت اقرأ كل كتاب يقع في يدي فتأثرت في البدء بأدباء العربية في الشمال وفي الطليعة الريحاني ، وبعدئذ نعيمة ثم تأثرت بأدباء العربية في مصر وفي الطليعة العقاد ، وهكذا اطللت على آفاق ادبية وفكرية جديدة ، كانت نوافذها مغلقة في وجهي .

اما القدامى ، فقد تأثروا في من الناحية البيانية والبلاغية ، اذكر منهم الجاحظ وابا حيان التوحيدي والاصفهاني والهمذاني وابن المقفع ، وكان للقرآن الكريم والحديث الشريف ونهج البلاغة اكبر الاثر في نفسي اسلوبا وفكرا اما الادب الغربي فكان لي نافذة جديدة ، اطل منها على افق جديد ولا اذكر انني تأثرت بكاتب بالذات ، بل كنت كمن ـ يجمع ـ اسلابافكرية ـ من هنا وهناك .

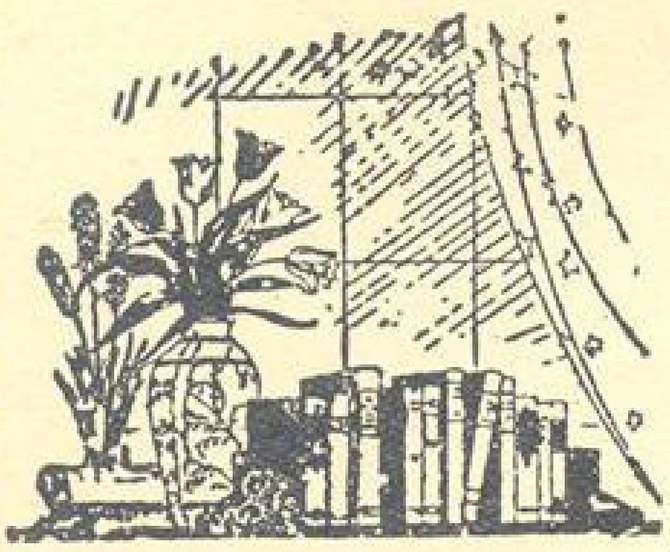
السؤال الرابع : ما هي اللغات التي تتقن ؟ ..

الاجابة : اتقن البرتغالية والاسبانية والانكليزية مع المام في الفرنسية اما البرتغالية والاسبانية فهما حبيبتان على قلب كل عربي لما بينهما من اواصر النسب والتاريخ ، فقد شاعت في هاتين اللغتين الوف من الالفاظ العربية الاصول ، فلا تقرأ باحداها سطرا الا وتعثر على لفظة عربية المصدر .

السؤال الخامس : متى بدأت عضويتك في المجمع العلمي بدمشق ومجمع القاهرة .

الاجابة : بدأت عضويتي في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة في شباط (١٩٦١) وكان انتخابي بالاجماع كما اخبرني العلامة الكبير الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي بدمشق .

السؤال السادس : من يعجبك من كتاب وشعراء الرابطة القلمية



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
Tel : المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن كتاب وشعراء العصبة الاندلسية ، ولماذا ؟ ..

الاجابة : يعجبني من كتاب وشعراء الرابطة القلمية جبـــران ونعيمة ونسيب عريضة وندرة حداد ـ الشاعر القديس ـ كما كانوا يلقبونه ، اما ايليا ابو ماضي فهو في الذروة لا يدانيه احد . لقـد كانوا مجددين فكرة واسلوبا ، فكانت لهم الانطلاقات والاشراقات التى انبثقت من اعماق نفوسهم ، وخلجات قلوبهم وومضات ارواحهم ليتهمهم بعض المتزمتين بارتكاب اخطاء لغوية ، فهذا الاتهام لا يخفض منقدرهم وعلو شانهم فالادب العربي الحديث لا ينسى ابدا ما اسدوه اليه من اياد . اما العصبة الاندلسية فيعجبني من شعرائها المرحومون عقـل الجر وحسني غراب وميشيل معلوف ، كما يعجبني نصر سمعان ، ولا اذكر الشاعر فرحات لانه انفصل عنها بعد عضوية قصيرة المدى . اما القمة فلا شك انه شفيق معلوف ، شقيق المرحوم فوزي ، ومن كتابها حبيب مسعود رئيس تحرير مجلتها العصبة ، وقد انحجبت منذ سنوات وجورج حسون معلوف .

وطابع ادباء العصبة الاندلسية عربي اصيل ، وتراهم من حيث اللغة والقواعد والصيغات محافظين او اكثر محافظة من ادباء كبار فى الوطـن العربي .

السؤال السابع : ما هي الكتب او المقالات التي عالجت ادب العصبة الاندلسية ؟ ..

الاجابة : لا اذكر كتابا برأسه تحدث عن العصبة الاندلسية (٤) وكل ما قرأته في صددها لا يعدو شذرات واخبارا متفرقة ، واللاديب الاردني عيسى الناعوري وزميله البدوي الملثم ـ يعقوب العودات ـ لفتات حول العصبة الاندلسية غير انه اذا اتيحت لي العودة الـى البرازيل ، فساسد هذا النقص في كتاب شامل .

السؤال الثامن : ما رأيك بنعيمة ككاتب ، لا كصديق وزميل ؟

الاجابة : لا شك ان نعيمة كاتب عملاق وقد كان ادبنا الحديث مفتقرا الى « خلق » اديب ، مرهف الحس عميق التفكير ، يستقي مداده من قلبه ، ويرش على الحرف ضياء من نور عينيه ، اقول ان ادبنا الحديث كان مفتقرا الى خلق اديب كنعيمة اولا ان الحظ ساقه الينـا .. اما انه كاتب عبقري يرتفع ادبه الى المستوى العالمي ، فهذا امر لا جدال فيه ان لنعيمة فضلا كبيرا لا نستطيع ان نجحده ، ولكن لنعيمة احيانا مواقف غريبة تدعو الى التأمل ، فهو روحاني النزعة ، عالمه روحاني بحت .. وهو مفرق في روحانيته الصوفية ، وهـذه الروحانية الخصبة تعني صفاء النفس والمحبة والتسامح ، واغتفـار الذنوب ، والتجرد من البغضاء ، والتحرر من الانانية وفي كتـابـه الفريد (سبعون) باجزائه الثلاثة ، نجد امثلة شتى علـى خصـب روحانيته وصفاء قلبه ومحبته وصفحه وتجرده ، غير اننا نلقى فـي الوقت نفسه اضدادها فهو شديد الزهو والاعتداد ، وهو عنيف اشد العنف في نقده وربه ، وقاس احيانا في احكامه ومقاييسه ، وان كان لا يرفع القزم الى مرتبة العملاق ، ولا يهبط بالعملاق الى مرتبة القزم ولكنني مع هذا احبه واحترمه ، واعترف بفضله وعبقريته .

السؤال التاسع : وما رأيك في صوفية نعيمة بخاصة ؟

الاجابة : ان نعيمة لم يكن صوفيا في يوم من الايام .. لان الصوفي لا يرد على الاخرين بهذا العنف الذي يستعمله نعيمة فـي ردوده ومناقشاته ، ولا ينحدر الى حضيض المادة .. (٥) .

السؤال العاشر : وتعفف نعيمة تجاه المرأة بماذا تفسره ؟ .. الا يعبر عن صوفية شفافة تعلو على الماديات ؟ ثم الا تجد فيه انسجاما بين المبدأ النظري والتطبيقي العملي لدى نعيمة في كل ما كتب عن المرأة ؟

الاجابة : ان نعيمة شهوي جسدي ، له تجاربه ومغامراته العاطفية .. وفي روسيا حاول ان يتزوج امرأة روسية لزوج احمق ، بعد ان تردد على منزلها امدا طويلا حتى كاد ان ينفضح امره (٦) .

السؤال الحادي عشر : وانت لماذا اضربت عن الزواج ، ومـا رأيك بالمـرأة ؟!

الاجابة : اضربت عن الزواج ، خشية وقوعي فريسة بين ضرتين متناوئتين عنيدتين هما اليراعة والمرأة .. وانما الجمع بين هاتيـن الضرتين ـ في نظري يثير الشجون ويؤرق العيون .. فعلام اكون ذلك المفتون المغبون ؟ .. اما المرأة فهي في شرها وخيرها ، حـالتهـا السلبية والايجابية والشيطانية والملائكية مصدر وحي والهام .. انها الينبوع الحي الذي نغترف منه طورا بحواسنا ، وتارة بافكارنا ،ومرة في يقظاتنا واخرى في احلامنا .. واجمل النساء ما كان حاما ، وان آثرها الاخرون لحما .. واروع الجمال في المرأة ، ذلك المخضب ، او ذلك الدفيء الحنون المحبب ..

السؤال الثاني عشر : ما هي منابع ثقافتك ؟ ..

الاجابة : منابع ثقافتي عربية ، واها روافد غربية ، ولكنها مـا جاوزت قط حدود ثقافتي العربية التي غلب طابعها ..

السؤال الثالث عشر : علل لي بشكل مقنع غلبة السجع علـى اسلوبـك ؟ ..

الاجابة : السجع لون عربي اصيل عريق .. عرفه العـرب في الجاهلية والاسلام وعصوره المتأخرة .. يكفي ان نذكر القرآن الكريم لنتجلى لنا روعة السجع ووقعه الاخاذ . والسجع ـ كما افهمه ... وازاوله ـ منزلة بين النثر والشعر والنثر العادي الدارج ، او اذا شئت سمه النثر الصحفي ، سهل المنال خفيف الاحمال ، واسـع المجال ، ميسور الوصال ، يجري هينا على كل قلم .. والسجع الذي التزمه احيانا ، وفي موضوعات معينة ، يختلف كل الاختلاف عـن سجع المقامات ، حيث لا تتعدى السجعة الواحدة فقرتين او ثلاثـا بمعنى واحد تقريبا اما اسلوبي في السجع ، فيقفز في السجعـة الواحدة الى عشر فقرات او اكثر ولكل فقرة انطلاقة ، ولكل فقـرة اشراقة ، ولهذه حلاوة ، ولاخرى طلاوة ، في تناغم وايقـاع . ولا اعرف كاتبا مارس هذا الاسلوب في سجعاته ، ولعله طراز فنـي جديد في ادبنا الحديث ، وان كان كثيرون يمقتون السجع ويعدونه مـن مخلفات العهد البائد ، لما فيه من حشو وتكلف يبعدانه عن الابـداع فالسجع كما قلت ، منزلة بين النثر والشعر ، وانا لا استطيع ان ارتفع الى الشعر ـ لا النظم ـ لاعبر عن افكاري واحاسيس نفسـي ، ولا ارضى لادبي ان اهبط به الى النثر العادي الدارج الذي يعالجه كـل قلم بسهولة فكانت لي تجربتي في السجع المديد المتناغم الذي تؤلف فيه السجعة الواحدة مقطعا كبيرا ، وكانه مقطع قصيدة واحدة . قلت انها تجربتي ، فسنرى ما يؤول اليه امر هذه التجربة .

السؤال الرابع عشر : ما هو افضل كتاب لك وتعتز به ؟ ..

الاجابة : الكتاب الذي اؤثره واعتز به لم اكتبه بعد .. ولا ادري هل يتاح لي ان اكتبه ام لا .. هذا امل اتركه في ذمة الايام .. اما ما نشرته من كتب في المهجر فلا يعدو كونه خطوطا على الرمـل ، تعبث بها ولولة الرياح ، وقهقهة الغيوم .

السؤال الخامس عشر : اذا خيرت بين العودة الى البرازيل ، والاستقرار في وطنك فايهما تختار ولماذا ؟ ..

الاجابة : اني اختار العودة الى البرازيل . في وطني مئـات مثلي ، ومن هم اعلى شأنا مني اما في البرازيل ، فالامر بالعكس . لقد قضيت في الوطن اكثر من عشر سنوات ، كنت في غضونها مشلول

---

(١) « من وراء القبر » للاستاذ نظير زيتون ـ مطابع بنزيدون بدمشق ١٩٥٨ ـ ص ٧ (٢) المصدر نفسه صفحة ١٨ (٣) « النقاد » العـدد (٤٥١) تشرين اول ١٩٥٨ .(٣)نوقشت منذ اشهر فيجامعة القاهرة رسالة لنيل الدكتوراه في الادب العربي ، عن العصبة الاندلسية للاستاذ ممر دقاق . (٤) في مقابلة شفوية لنظير زيتون في بيته في حمص فـي العشرين من تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ (٥) في المقابلة نفسها .

الحركة في مثل الجدب والجفاف والارض القفر ، كنت شبه ضائع تائه الخطى ، بل شبه رجل جائع متهدم يلتهم لحمه ، يلتهم نفسه وينقض كيانه حجرا حجرا فلا انا انا ، ولا هذا السبيل سبيلي ،وكنت ارضى لنفسي ان تحترق تحت حرارة الشمس لاولد ولادة جديدة من رمادي ، كما تحترق العنقاء ، لتولد من رمادها نفسه في الاسطورة المشهورة . ولكن الاسطورة لا تتكرر .. فانا مغتربا انفع اذن لوطني مني مقيما .

السؤال السادس عشر : هل تأثر ادبك بالطابع البرازيلي ؟ ..

الاجابة : ادبي لم يتأثر قط بالطابع البرازيلي ولكن بين ادبنا العربي والادب البرازيلي الوان متشابهة من حيث النزعة الانسانية ، والمثل العليا ومصارعة الحياة ، والطموح الى الافضل ، وهي اواصر من النسب الادبي والفكري والانساني تجمع بيننا ، واذا كرم الاصل زكا الفرع ، فالبرازيليون هم في الاصل برتغال وبين العرب والبرتغال نسب احكمت وشائجه ثمانية قرون عربية اندلسية .

حمص ـ سورية — ممدوح السكاف

●

نـاسك الفكر .. البير اديب

(بمناسبة عيد « الاديب » في يوبيلها الفضي)

تحية من اعماق القلب ازفها ، بمناسبة يوبيل الاديب الفضي ، الى الرجل الذي كرس عمره ليقود « الاديب » كل هذه المرحلة الطويلة من الزمن ببطولة المجاهد العنيد فيجهاده ، والفدائي المؤمن برسالته .

تحية الى « البستاني » الشريف الذي برى قوة ساعديه ،وسفح نور عينيه في تعهد حديقة « الاديب » ، لا لكي ينعم هو بفيئها وجناها، بل ليقدم القيء الوارف للطالبين ، والعناقيد الشهية الناضجة للقاطفين . وكان اقصى مرامه ان يتزايد على الايام من يفيئون الى ظلال حديقته ، وان تتكاثر الايدي المتطاولة لقطف عناقيده . تلك هي متعة عمره ، وغاية كل تعبه وسهره . وفي هذا اقصى غاية الايثار ، والبذل والتضحية .

خمسة وعشرين عاما سفحها البير اديب ناسكا في محراب الفكر ـ في محراب « الاديب » : قوته كلها لها ، ونور عينيه في سبيل منح النور لعيون قرائها ، ودقات قلبه لمنحها الحياة والبقاء ، لكي تظل مشعلا وهاجا يشع بالنور في طريق نهضة الفكر العربي المعاصر . لم يمنح نفسه خلالها حظا من راحة ، ولا نصيبا من تسلية ، ولا فرصة لمتعة او اذة . راحته ، ومتعته ، وتسليته ، ولذته كانت كلهاان تعيش « الاديب » ، وان تستمر صلتها بالاقلام المنتجة ، والعقول المبدعة ، وبالقراء المتعاطفين مع نتاج الفكر وابداع العقول ، وان تكون «الاديب» وسيلة لاكتشاف المواهب العربية الدفينة وابرازها ، لكي تأخذ مكانها الصحيح في مسيرة الادب العربي المعاصر ، وسبيلا الى تسجيل تطورات النهضة الادبية في العالم العربي . وكم للاديب وصاحب «الاديب» من فضل في ابراز موهبة كانت خبيئة ، وتقديم كفاءة فكرية كانت تخوض في المجاهل المنعزلة ، حتى اصبح الكثير منها في القادة من نهضة الفكر العربي الحاضر .

ما ذهبت مرة لزيارة البير ـ منذ ان عرفته شخصيا في عام ١٩٤٩ ـ الا وجدته في منزله ، غارقا وراء طاولته يرسم التخطيطات لعدد من « الاديب » ، او يصحح تجارب الطباعة ، او يجمع الانباء الادبية من الصحف العديدة المكدسة على طاولته ، او يقرأ العديد من المواد الجديدة المتناثرة من حوله مما حمله اليه البريد من سائر اطراف العالم .

ولكم اشفقت عليه من الاجهاد والعمل المضني المتواصل ، ولكم نصحت له بان يرحم نفسه فيجعل سنة الاديب عشرة اعداد فقط ـ كما كانت سنة « الهلال » وسنة « المقتطف » من قبل ـ ويستريح شهرا او شهرين من كل عام ، فما استمع الى نصح ، ولا اقتنع بمشورة ، بل مضى يذيب قوته ، ويقدم من عافيتهالقربان على مذبح«الاديب» والوليمة السخية لقراء «الاديب» ولانصارها واصدقائها . قراء «الاديب» وانصارها واصدقاؤها كانوا دائما ـ وما يزالون ـ اعز على البير من عافيته ، ومن نور عينيه .

كنت اجلس معه في مكتبه ساعة او اكثر ، فترتج اعصابي كلها مع ارتجاج المنزل كلما مرت حافلةفي طريقها من امام العمارة الى فرن الشباك ، او في عودتها نحو ساحة الشهداء . وكان رأسي يدور من صخب السيارات واصواتها المثيرة وهي تتسابق في ذهابها وايابها المتواصلين كل ساعات النهار والليل ، ومن مطارق الحدادين في اسفل العمارة التي لا تنقطع سحابة النهار . وكنت اشفق على اعصاب البير من هذا الضجيج المتواصل . ولكنه تحمل كل هذا بصبر عجيب طوال خمسة وعشرين عاما في سبيل «الاديب» وفي سبيل قراء «الاديب» ..

واختفى الترام من شوارع بيروت اخيرا ، ولكن ضجيجالسيارات واصوات مطارق الحدادين لم تنقطع بعد ، فما تزال توالي ازعاجها كل يوم وكل ليلة ، والبير يتحمل كل ذلك بجلد جبار ، رغم ما وصل اليه بعد هذه المدة كلها من ضعف الصحة ، ومن ضعف البصر ، ورغم حاجته المستمرة الى العلاجات والادوية المختلفة : للشرايين ، والقلب، والبصر .

جلد عجيب لا مثيل له ، واصرار اعجب على الاستمرار في التضحية بكل شيء في سبيل الفكر والقلم الحر ، مما لا يمكن ان يكافئه اي تقدير او اي تكريم من اصدقاء الاديب ، ومن محبي البير اديب .

هذا رجل قدم لنهضة الفكر العربي المعاصر ما عجزت عنه حكومات . لقد تساقطت من حوله المجلات العديدة في كل قطر عربي ، ومنها ما كانت تسنده حكومات ، ومنها ما كانت تدعمه مؤسسات مالية . وصمد وحده في الميدان فدائيا على حساب صحته وبصره ، فنجح ـ دون ان تدعمه حكومة او تنصره مؤسسة مالية ـ حيث اخفقت الحكومات والمؤسسات المالية . وما كان نجاحه الا لانه آمن بمعنى التضحية في سبيل الاخرين ، ولم يكن قط ممن يتاجرون بالقلم والفكر ، ويحسبون حساب الربح المادي والخسارة في ما يعملون . الخسارة عنده هي الربح في حساب الاخرين ، والربح عنده هو الخسارة عندهم : لقد ربح الحب ، والاعجاب ، والاجلال على حساب خسارة الجهد والعافية . ومن هنا استحق البير اديب التكريم في يوبيل « الاديب » هذا ـ استحقه لجهاده المؤمن ، وتضحياته الكبيرة المتواصلة . ومع ذلك فان كلتكريم يظل دون ما يستحق .

ويقتضي الواجب ان اعترف في هذا المقام بفضل « الاديب » على شخصيا .

قبل ان اعرف طريقي الى مجلة «الاديب» عام ١٩٤٥ كنت اكتب في كثير من الصحف العربية : في فلسطين ، وشرقي الاردن ، ومصر . ولكنني في الواقع لم اعرف الطريق الى قرائي الحقيقيين في العالم العربي والمهاجر حتى بدأت صلتي بالاديب . هناك فقط عرفت طريقي الصحيح ، وعلى صفحات «الاديب» لقيت قرائي ولقوني ـ هناك فقط اتصلت دربي بدربهم منذ واحد وعشرين عاما ، وعنها تفرعت دروبي الاخرى لالتقي بقرائي حيثما كانوا .

هذه تحيتي «للاديب» ولصاحب «الاديب» في هذا اليوبيل الفضي. وليبارك الله لالبير اديب بجهوده وجهاده ، وليهبه المقدرة على مواصلة السير الى الغاية التي ترضيه وترضي احباءه .

جريدة « عمان المساء » ـ عمان — عيسى الناعوري

اليانصيبُ الوَطني اللبْناني

مؤَسَّسَة حُكوميَّة مرصَدٌ رَيعُها لأعمالِ الاسْعافِ الاجْتماعي

تَعديلاتٌ هامّة في جوائزِ اصْداراتها

٢٠ اصْدارًا شَعبيًّا	الجائِزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصْدارًا شعبيًا خاصًّا	الجائِزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصْداراتٌ سُوبيسْتيك	الجائِزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصْداراتٌ عاديَّة	الجائِزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.



مَلِكة جمال لبنان لعام ١٩٦٦
الانسة يولا حرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تُدفَعُ الجَوائِزُ في المديريَّة
مُعفاة مِن كافة الرسُومِ والضَّرائِبِ

أسس جديدة في تصنيف الشعراء لدى محمد بن سلام

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

أقام محمد بن سلاّم كتابه على الطبقة وأقام الطبقة على التشابه في الفحولة ، وكان له بذلك « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات شعراء الاسلام » . واذا رجعنا الى الكتاب (١) وجدنا بين القسمين عددا من الشعراء وزعوا على غير هذا الاساس ، فبعد ان ننتهي من الطبقات العشر الاولى نقرأ (ص ١٦٨ ـ ٢٤٨) : « ... وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر .. اولهم متمم بن نويرة ... والخنساء .. وأعشى باهلة ... وكعب بن سعد » .

ونقرأ : « شعراء القرى العربية وهي خمس : المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين ، اشهرهن قرية المدينة . شعراؤها الفحول خمسة .. حسان .. ، كعب بن مالك .. ، عبد الله بن رواحة ، قيس بن الخطيم وابو قيس بن الاسلت ... واشعرهم حسان » .

« بمكة شعراء فأبرعهم شعرا عبد الله بن الزبعري وابو طالب والزبير بن عبد المطلب وابو سفيان ... ومسافر ... وضرار بن الخطاب ... وأبو عزة الجمحي ... وعبد الله بن حذافة ... وهبيرة بن ابي وهب ... » « وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء نحو حرب الاوس والخزرج، او قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم ناثره ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان . وأهل الطائف في طرف ، ومع ذلك كان منهم : أبو الصلت ... وابنه أمية بن ابي الصلت وابو محجن ... وغيلان ، وكنانة بن عبد ياليل ... »

« وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة ، منهم المثقب العبدي .. والمزق العبدي ... والمفضل بن معشر ... »

« ولا اعرف باليمامة شاعرا مذكورا ... »

« وفي يهود المدينة واكنافها شعر جيد ، منهم السموأل والربيع وكعب بن الاشرف ، وشريح ، وشعية بن الفريض ، وابو قيس بن رفاعة ، وابو الذيال ودرهم بن يزيد » .

نقرأ هذا في كتاب « طبقات الشعراء » فنسائل ، هل كان هذا في أصل الكتاب ؟ او انه جزء من كتاب اخر للمؤلف نفسه ؟ او انه مادة حشرت لغير مسوغ ، قد يكون بينها ما لم يكن لابن سلام ؟ واسئلة أخرى ...

وليس لدينا للاجابة ما يقطع بأمر ، لان كتاب « طبقات الشعراء» لم يصل الينا كاملا كما صنفه صاحبه ، ولان مقدمة الكتاب لم تصل الينا كاملة كذلك .

ولهذا ، فمن الممكن القول ان هذا القسم الوسطي المعترض ليس من صلب كتاب « طبقات الشعراء » . ومن الادلة على ذلك :

١ـ ان مادته لم تجمع على شرط الكتاب ولا على اساس التشابه في الفحولة في السلم الطبقي .

٢ ـ عودنا ابن سلام المنهجية ، فما يبدأ طبقة حتى يزيد عليها ثانية وثالثة ... معتمدا مقياسا واحدا . اما هنا ، فنرى اصحاب المراثي ولا نرى بعدهم أصحاب المدائح او اصحاب الاهاجي ...

٣ ـ وانما نرى بعد اصحاب المراثي : « شعراء القرى العربية»، ولا يذكر المؤلف انه جعلهم طبقة (٢) ولا يسمى شعراء كل قرية طبقة او يلتزم ان يكون « اربعة رهط كل طبقة » .

هذا الى انه لم يشر في أي مكان الى انه قسم كتابه الى شعراء بادية وشعراء حاضرة ، ولم ينص على ان الطبقات العشر الذين ذكرهم من الجاهليين شعراء بادية .

٤ ـ ولم يذكر ان شعراء اليهود طبقة (٣) ، ولم يجعلهم اربعة او اربعتين (وعددهم ثمانية) .

واذا صدقنا ان شعراء القرى فحول جديرون بالاختيار ، فانه يصعب ان يكون هؤلاء اليهود فحولا . وقد يكون السموأل فحلا في بابه ، ولكن يصعب جدا ان يكون الاخرون ـ ومنهم أبو قيس بن رفاعة وأبو الذيال ـ فحولا ، لان شعرهم لين جدا وعلى غاية من الركة .

واذا كان هناك شعراء يهود ، فلم لا يكون شعراء نصارى ...

٥ ـ واذا عددنا هذا القسم ذيلا لطبقات الجاهليين ، فلم لا نرى نظيره بعد طبقات الاسلاميين وهو امر غير مستحيل ان يجده ابن سلام لو اراده ، بحكم عقله المنهجي المنطقي ، وبمدد من علمه الغزير . انه يستطيع ان يجمع بعد الطبقات العشر الجديدة جماعة على الفرض الشعري ، وجماعة على البادية وجماعة على المذهب .

اذ أمكن ان نخرج بهذه الادلة القسم المعترض من الكتاب الذي بين ايدينا ، فان من الممكن بأدلة أخرى ، أن نقبل الكتاب كما هو . ويبدو ان لا بد لنا من هذا في الوقت الحاضر ، فهكذا مر الكتاب ـ او مرت مخطوطته في الاقل ـ على القرون ، وهكذا قبله الباحثون الذين حققوه او اخذوا عنه او درسوه (٤) . بل ان بين شعراء هذا القسم من لا بد من ان يضمهم كتاب ابن سلام ، وحسبك ان يكون من هؤلاء : حسان بن ثابت والخنساء وأمية بن ابي الصلت .

ولنا ان نتصور ان ابن سلام ـ بعد ان وزع الاربعين من شعراء الجاهلية على الطبقات العشر ـ بقي لديه عدد اخر له قدره واهميته لا بد من ان يقول كلمة فيه ، فنظر وقدر فرأى ان يجمع الشاعر الى الاخر بمقياس جديد فصنفهم الى (١) اصحاب المراثي (٢) شعراء القرى (٣) شعراء اليهود . ولا يخلو عمله هذا مما يسوغه فنيا ، فقد قرب التمييز بغرض معين بين قوم فكان أساسا للجمع بينهم ، وقربت « القرية » بين اخرين فاتخذها اساسا لتوزيع الى مجاميع فرعية ، وقرب الدين بين اخرين فكانوا مجموعة ثالثة .

وسواء أخرجنا هذا القسم المعترض من الكتاب ام عددناه جزءا منه فان نسبته الى ابن سلام باقية ، اذ يصعب ان نقول ان جملة هذا القسم دست على الكتاب من مؤلفين اخرين ، لان نفس ابن سلام قائم لدى الحديث عن هؤلاء الشعراء ، ونهجه بين ، واذا فالعبرة باقية ـ وليس المهم هو الكتاب بأجزائه وورقه ، وانما المهم تبويب الشعراء على أسس جديدة ، وان يكون هذا التبويب قد حدث في زمن مبكر (القرن الثاني ـ الثالث للهجرة) .

الاسس مقبولة في بابها ، ويمكن ان تعد فنية في بعض وجوهها ، وان الدراسات على هذه القواعد الجامعة لم تظهر الى الوجود مبكرا ، واننا ـ في العصر الحديث ـ لم نخلص اليها الا بعد ان قطعنا شوطا

---

(١) اعتمدنا طبعة دار المعارف ـ بمصر ١٩٥٢ شرح محمود محمد شاكر ، وقد صدر باسم « طبقات فحول الشعراء » وكلمة « فحول » الواردة في العنوان من زيادة الشارح واجتهاده . (٢) جاء على ص ١٧٩ : « طبقة شعراء القرى .. » ـ وكلمة طبقة مما زاده الشارح الاستاذ محمود محمد شاكر . (٣) جاء على ص ٢٣٥ « طبقة شعراء اليهود » وكلمة طبقة مما زاده الشارح .. (٤) الا ما كان من الدكتور محمد زغلول سلام فانه قال على ص ١٠٦ من كتابه « تاريخ النقد العربي ـ ١ » : « ربما كان حديث ابن سلام عن شعراء المدن مختصا بكتاب اخر غير طبقات الفحول وأدمج فيه نتيجة خلط الناسخين ...»

طويلا ، وبعد ان افدنا من الغرب ورأينا الدراسة على أساس الغرض او الموضوع اكثر فنية مما سواها ، واستقبلنا مراعاة البيئة في النقد على انها فتح فكري .

وفضل محمد بن سلام بين في سبقه وتبكيره ، وكم كان بودنا لو علمنا الدوافع الحقيقية التي دفعت به الى هذه الاسس والى اتخاذه اياها قواسم مشتركة ، وعلمنا مدى تحديد ابن سلام نفسه لهذه الاسس في السلب والايجاب . ولنر .

جمع ابن سلام اربعة من الشعراء (اربعة ايضا !) وسماهم « طبقة اصحاب المراثي » ونقل بعض اخبارهم وروى ابياتا من اشعارهم ، وانتهى الامر . فلم يقل بم تشابهوا ، وبم اختلفوا . وكان بامكانه ان يقول ويعلل ، وبامكانه ان يخبرنا السبب الذي جعل متمما المقدم عنده ، فلا بد من ان يكون لديه سبب ، وهو في عصر يعنى بالسبب . وذلك اهم ـ في تاريخ النقد ـ من سرد قصة قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة ، لان مجال هذه القصة الكتب الاخرى التي تعني بالتاريخ والاخبار ، ولكنها صفة الراوية والاخباري التي تغلب على المؤلف فتسيره ـ وتجرفه ـ وجهة خاصة .

واذا كانت اسئلتنا هذه غير واردة ، وانها قد تحمل الرجل اكثر مما يحتمل ، فهناك سؤال اخر لا يرتفع عن المستوى لانه في صميم الموضوع وفي صميم العملية التصنيفية ، أجل ، فلم خص أصحاب المراثي بطبقة دون من سواهم ؟؟

اقتطع الدكتور محمد مندور القضية ووسع المحدود وغلبت عليه الحماسة عندما قال ـ وهد يتحدث عن المبدأ الثالث من المبادىء التي قسم ابن سلام بمقتضاها الشعراء ، ـ أي الفن الادبي ـ : « . . لقد فطن ابن سلام بذوقه الادبي السليم الى ان هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم ممن صدروا عن فن ، بل هم انسانيون ، قالوا الشعر لشفاء نفوسهم مما تجد ، فلم تأت مراثيهم مدحا للميت فحسب بل عبارة عن ألمهم لفقد ذويهم حتى ان المديح نفسه ليلون الاسى ولذلك افردهم ـ فيما يظن ـ بباب خاص وان لم يذكر السبب .. » (٥)

وفي هذ تحميل في التعليل اكثر مما يطاق ، فان اكثر شعراء العرب الجاهليين انسانيون (وجدانيون) « يقولون الشعر لشفاء نفوسهم مما تجد » في كل غرض ، حتى في المديح والهجاء والوصف، ناهيك عن الغزل والنسيب والحماسة . ولو كان ابن سلام على الدرجة التي ظنه عليها الدكتور مندور لاقام كتابه كله على الاساس الذي سماه بالفن الادبي ، ولجعل لكل غرض شعراءه (وليكونوا اربعة) في الرثاء والحماسة والغزل ... الخ ، ولكن هذا لم يحصل ، بل انه لم يقع ـ اذ وقع ـ الا مرة واحدة في غرض واحد .

هذه المرة جديرة بالوقوف عندها ، قمينة بالاحترام ، بشرط الاعتدال ، وان يكون ذلك في حدود ضيقة هي حدود التبكير والتجريب، علما ان مسميات الاغراض كانت معروفة في عصر المؤلف وانها وردت في كتابه اكثر من مرة ، بل ان له معاصرا جليلا الف كتابا جليلا اقامه على أبواب من الاغراض ، ذلكم ابو تمام الشاعر الكبير في « حماسته » التي بوبها على : الحماسة ، المراثي ، الادب النسيب ، الهجاء، الاضياف والمديح ، الصفات ، السير والنعاس ، الملح ، مذمة النساء ـ والكتاب معروف متداول .

اننا بقدر ما نحذر من التوسع ونحذر من التعميم نلح على اكرام ذكرى محمد بن سلام ، بل اننا نستغرب ان يؤلف باحث معاصر في النقد الادبي عند العرب ويخصص مكانا واسعا للاغراض الشعرية ، بينها مكان للرثاء ، دون ان يبدأ بما عمله ابن سلام او ان يشير اليه . (٦)

ألا ان لمحمد بن سلام مكانه وفضله في الدراسة على أساس الغرض الشعري . (٧)

أما شعراء القرى (ص ١٧٩ ـ ٢٣٥) وعددهم اثنان وعشرون فقد وزعوا على اربع قرى دون اشتراط للارهاط الرباعية ـ وتلك حسنة .

وتنبع اهمية هذه المجموعة ـ برأي النقد الحديث ـ من الاساس الذي اتخذ لجمع عناصرها : أي القرية ، وان شئت : المدينة ، وان توسعت : المكان او البيئة ، فمن الثابت ان للبيئة اثرها في الشعر والشاعر ، وان القرية غير البادية ، وان القرى يختلف بعضها عن بعض ، وان ابن سلام لم يكن ليجهل ذلك . وكنا نود ـ نود فقط ـ لو ان شرح العوامل التي دفعت به الى هذا الاساس في التقسيم ، وبين ما فيه مما يؤدي الى التشابه (والاختلاف) ومما يمكن ان يفعل في درجة الفحولة نفسها ، ولكنه لم يفعل ذلك ، ولعله ، لو فعل ، لقال شيئا ينفعنا ويزيده رفعة الى رفعة ، فقد اورد تعليلات جزئية بشأن شعر الطائف وشعر عدي بن زيد لها دلالتها وقيمتها .

ولا شك في اننا اليوم نعجب بأبن سلام ونقدر ان يرد في كتابه الماح الى البيئة، فان في ذلك تمهيدا لاراء حديثة في الموضوع ونقدر ان يتخذ هذه البيئة أساسا (ولو جزئيا) من اسس التصنيف والدراسة،وها نحن في دراستنا الحديثة نميل ـ احيانا ـ الى ان نحدد موضوعنا ببيئة معينة ـ ولكن يجب الا نبالغ في الاعجاب ولا نتمحل في التعليل.

كان الجيل الذي ادركه محمد بن سلام « يعرف » اهمية « المكان » عامة وخاصة ، ولكن المعرفة الخاصة لم تكن من أجل معنى فني ، وانما كانت من أجل غرض لغوي صرف تستدعيه الرواية وتميز به فصاحة الكلمة . اما ابن سلام فيبدو انه سار بهذه المعرفة خطوة ـ ولو قصيرة ـ في طريق النقد الادبي بمعنى اوسع من معاني ميادين اللغة والرواية .

ولكن خطوته النقدية ظلت دفينة في كتابه ، فلم ينتبه اليها معاصروه ولا من جاء بعدهم يؤلف في الادب والبلاغة (والنقد) . ومضت قرون وقرون حتى تهيأ للكتاب رجل ألمعي درس النقد الغربي (الفرنسي) واستوعبه فكان أول من نبه الى منزلة ابن سلام ذلكم طه أحمد ابراهيم اذ قال ـ فيما قال ـ : « وهو في تقسيمه الشعراء الجاهليين الى بادين وحاضرين مؤمن بأثر البيئة في الشعراء ، وهو

ومما يذكر ان الذي اورده الدكتور سلام كنت قد اثبته مفصلا بصدد مجموع القسم الوسطي في مسودة كتاب لي عن محمد بن سلام . ولا اقصد بهذه الملاحظة الى اكثر من الدلالة على وجود ما يسوغ التفكير بالامر بعد ان تنبه اليه ـ بعضا او كلا ـ اكثر من باحث مدقق في الكتاب في آن واحد . ولعل الانتباه الى هذا الامر الجزئي اصبح طبيعيا بعد ان سبقنا الباحثون في وقفاتهم لدى امور كلية . وليلاحظ ان من وقعت بيده مخطوطة المدينة للكتاب سمى شعراء القسم المعترض: « المتفرقة » . (٥) مدور ١٢ (ـ ١٣ ط ٢) . ويظهر ان بدوي طبانة كان ينقل كلام مندور الى لغة أسهل ومعنى أيسر اذ قال : « ومن جهة ثالثة نظر ابن سلام الى الشعراء من ناحية فنون الشعر وابوابه ... اقتصر على المجودين في المراثي ، ولعل السبب في تخصيصه تلك الطائفة ... بالذكر دون غيرهم من الذين عالجوا سائر الاغراض ان شعر الرثاء هو اغزر الوان الشعر بالعاطفة ، فهو شعر الحسرة واللوعة الذي يبين فيه الشعور الصافي والعاطفة الصادقة ... » ص ١٢٣ من كتابه « دراسات في نقد الادب العربي » ـ ط ٣ (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٠ . (٦) نقصد الى احمد أحمد بدوي في كتابه « اسس النقد الادبي عند العرب » : الفصل الثالث ـ فنون الشعر ص ١٢٤ (ـ ١٣٤ ط ٢) ... الرثاء ص ٢٠٨ من ط ١ ... ـ ط ١ سنة ١٩٥٨ وط ٢ سنة ١٩٦٠ (مكتبة نهضة مصر) . (٧) الغرض والاغراض ، مصطلح نقدي خاص بالشعر ، ورد مبكرا في أمات الكتب التي تحدثت عن الشعر ، فقد ورد ـ مثلا ـ لدى قدامة بن جعفر (المتوفى اوائل القرن الرابع) ، ص ٢٣ من نقد الشعر (ط. اوروبا): « ... اغراض الشعراء ... المديح ، الهجاء ، المراثي ، التشبيه ، الوصف ، النسيب ... » ـ وتنظر منه ص ٦٥ ، ٧٠ ، ولدى ابن

في قصره الطبقات على البدو وحدهم مؤمن بأن الشعر الجاهلي في جملته شعر بادية » (٨) ، وقال : « وفكرة .. تتصل بما دعوناه النقد الموضوعي ... اتضحت عند ابن سلام اكثر من ذي قبل ونظمت تنظيما علميا صحيحا يستند الى الفكر والى ربط الامور باسبابها ... واذا كان السابقون قد هيأوا لابن سلام تلك الفكرة في شعر عدي ، فان له غيرها أعمق منها وأدل على نفاذ بصيرته . فليست البيئات الجاهلية كلها سواء في انتاج الشعر عند ابن سلام ، وليست الحالات الاجتماعية الجاهلية تثمر احداها في الادب ما تثمره الاخرى . يقول : وبالطائف شعراء وليسوا بالكثير ، لماذا لم يكثر الشعر في الطائف أيام الجاهلية ؟ لان الشعر انما يكثر بالحروب التي بين الاحياء ... وهو في الفكرة الاخيرة ينظر الى البادية ... » (٩)

ليس في كتاب « طبقات الشعراء » ما ينص صراحة على ان ابن سلام قسم الشعراء الى بادين وحاضرين ... الخ ، ولكنه مما يمكن ان يستنبط لدى بلوغ « شعراء القرى » منه . وابن سلام يلمح الى الاثر البيئي ، ويتكيء اليه أحيانا ، وله في ذلك فضل مشكور ، ولكن القول بانه « يؤمن بأثر البيئة » يستدعي أدلة اكثر .

ومع هذا ، فيمكن ان نقول ان الباحث الحديث لم « يتطرف » كثيرا ويكفي انه جعل حديثه عن البيئة في مجرى الكلام على الافكار العرضية عند ابن سلام . لقد كان طه احمد ابراهيم معتدلا بعض الشيء ، ولكننا نخشى ان تخرج عن الاعتدال . ويبدو ان لهذا الخروج دواعيه البراقة .

وقد عد الدكتور محمد مندور « المكان » اساسا مهما جدا لدى محمد بن سلام اذ جعله ثاني المبادىء الثلاثة التي قسم بها الشعراء ، وقال : « ... نظر فوجد ان هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة ، بل ظلوا متصلين كل (كذا) بقريته وهم ما يمكن ان نسميهم بالشعراء الاقليميين فجمعهم في باب شعراء القرى ... هذه الظاهرة من مخلفات الروح الجاهلية ، روح الاقليم والقبيلة التي لم يستطع الاسلام ان يمحوها فظلت مصدرا للفتن والقلاقل في تاريخ العرب السياسي ، وللمفارقات والتلوين في تاريخهم الادبي ... » (١٠)

ولا يخلو التفسير من بعد عن الحقيقة ، ولا ندري لم أثقل الدكتور مندور الموقف فأفهم ـ عن لسان ابن سلام ـ ان شعراء العرب طائفتان : (١) شعراء للعرب كافة (٢) وشعراء لم يصبحوا للعرب كافة ، فلا نخال التقسيم مستمدا من طبيعة الحياة العربية ولا من مفهوماتها او من تاريخ الادب العربي في عصوره الاولى ، وانه ليس مستمدا ـ على اي حال ـ من عمل محمد بن سلام الذي نحن بصدده.

اننا لا ندري كيف نستطيع ـ اليوم ـ الحكم على الاسود بن يعفر أو سويد بن أبي كاهل أو عوف بن عطية او حريث بن محفظ .. الخ ـ وهم من شعراء الطبقات العشر ـ بانهم كانوا شعراء للعرب كافة ، وبأن حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم وأمية بن أبي الصلت والمثقب العبدي ... الخ ـ وهم من شعراء القرى العربية ـ كانوا أضيق مدى من اولئك ، وانهم كانوا اقليميين .

انه حكم صعب ، واقرب الى الاستحالة ، ولا يسهل القول به الا عند الاكتفاء بمطلق العنوان اي شعراء القرى ، والرغبة في تحميله من النظريات الحديثة ما لا تحمله اياه ادامة النظر في محتوياته ومقابلته بمحتويات الطبقات الاخرى .

اما القسم الثاني من كلام الدكتور محمد مندور « هذه الظاهرة ... الخ » فهو غير واضح ، ولعله في غير مكانه ، لان الاسلام ليس اساسا بينا في التقسيم ، كما ان المفروض في روح القبيلة ان تكون أقوى لدى البدو ولدى غير المسلمين ـ اذا كان داع لذكر الاسلام في هذا الموضوع .

وبعد ، فيخشى ان يجر التطرف في النظر الى « ايمان ابن سلام بأثر البيئة » الى ان نقارنه بتين Taine ونعد هذا تابعا لذاك ، ومن يدري ، فقد تجر الحماسة الى ذلك دارسا ناشئا او جاهلا لم يدرس تين ولم يلم بلغة أجنبية .

نخلص من هذا الى ان محمد بن سلام المح ـ بشكل من الاشكال ـ الى اثر البيئة ، وانه قسم عددا من الشعراء بمقتضى نظر بيئي ، واننا يجب ان نصطاد عمله في بحثنا قضايا النقد الادبي ومقدمة الماضي للحاضر ، ولكنه اصطيادا اكثر منه شيئا اخر ، وهو الماحا اكثر منه ايمانا بالقضية او مبدأ رئيسا في التقسيم .

ان وضع ابن سلام في حاق مكانه لا يقلل من شانه ، وان الحماسة لا تجدي كثيرا في البحث العلمي ـ الا ان لمحمد بن سلام مكانه وفضله في الدراسة على الاساس البيئي .

بقي لدى ابن سلام ـ بعد اصحاب المراثي وشعراء القرى ـ ثمانية شعراء جمعهم برابطة اليهودية واوردهم كانهم ملحقون باهل المدينة . ومع هذا فان الرابطة جديدة . وواضح انها تقوم على « الدين » والالتفاتة جيدة ، فمن الممكن جدا اتخاذ الدين اساسا في التصنيف وموضوعا للدرس ، لانه عامل يؤدي الى آثار خاصة في العمل الفني ، وانه تيار من التيارات التي جرى فيها الشعر ـ وهو ضرب من الالتزام .

ويطمع القارىء الحديث ان يجد ـ في الحالة التي خصص لها ابن سلام مكانا معينا ـ أشياء يثيرها العنوان ، واهمها عنصر التشابه في اليهودية . فبم التقى هؤلاء الشعراء ؟ انهم يهود ، ولكن اين اليهودية في شعرهم ؟ وبم يختلفون عمن سواهم ؟؟

أسئلة لا نجد لها جوابا ، فلم يزد ابن سلام على تعداد الاسماء وذكر الاخبار والشواهد دون اية صلة بالدين كان المسالة مسالة تصنيف ليس غير او انها تصنيف ورواية . وفي هذا دليل على ان الامر قد يكون طارئا (١١) . ويزيد من ضعف صلة اساس التقسيم من نفس المؤلف انه لم يعالجه الا مرة واحدة ، هي هذه ، ولم يسال نفسه عما اذا كانت النصرانية تصلح لان تكون مجموعة خاصة ، وعما اذا كانت عبادة الاصنام ، يمكن ان تكون كذلك او مما يلمح الى شيء

رشيق (المتوفى سنة ٤٥٦) في العمدة ١ : ١٢٠ ، « قال الرماني علي بن عيسى (المتوفي سنة ٣٨٤) : اكثر ما تجري عليه اغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ... » ، ولدى العسكري في الصناعتين (ط ١ ، دار احياء الكتب العربية) ١٣١ : « ولما كانت اغراض الشعراء كثيرة ، ومعانيهم متشعبة ... المدح ، الهجاء ، الوصف ، النسيب والمراثي والفخر ... » وهناك كلمات اخرى لم تكتسب في الدلالة من الخصوص ما اكتسبته كلمة غرض ، منها ما ورد في كتاب ابن سلام نفسه وهي : الفن ، البيت ، الضرب (تنظر ص ٤ ، ٥ ، ١٧٤ ، ٣١٥) ، وكنا نود لو ان الدكتور احمد احمد بدوي اختار كلمة « اغراض » بدل « فنون » ، اما بصدد ما ذكره في الحاشية من ان كلمة « بيوت الشعر » وردت في ثمار الاوراق ، فنقول انها وردت قبل ذلك لدى ابن سلام . والخشية ـ اليوم ـ من استعمال « فن » تأتي من ان الكلمة واسعة وغير محدودة في معناها الاصطلاحي . ثم انها قد تصبح « نوعا » ويأتي باحث كاحمد الشايب فيطبق نظرية برونتير تطبيق من سمع فقط ينظر كتابه «ابحاث ومقالات » ـ ص ٢١٥ ـ . (٨) طه احمد ابراهيم ٨٥ ـ وانتفع الدكتور احمد احمد بدوي برأي طه اذ قال في حديثه عن محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء في المجموعة الثانية من كتابه « في النقد والادب » المطبوعة سنة ١٩٦١ ، ص ١٢٠ : « ومؤلف كتاب الطبقات يؤمن بأثر البيئة المكانية في الشعراء ، فهو قد قسم الشعراء الجاهليين الى اهل البادية والحضر ، وقصر الطبقات على الشعراء البادين وحدهم ، ولعله يرى ان الشعر الجاهلي الصميم هو هذا الذي ينبت في البادية » . (٩) طه احمد ابراهيم ٨٥ ، ٨٦ ـ ٨٧ .. وينظر محمد زغلول سلام ١٠٦ . (١٠) مندور ١٢ (ـ ١٣ ط ٢) . ومما يذكر ان

من آثارها . ثم جاء الاسلام ، وكان له اثره في الشعر والشعراء ، ولكن ابن سلام لم يخصصه بعناية معينة .

ان موقف ابن سلام من الاساس الديني لا يختلف كثيرا عن موقفه من الاساس الذي سميناه في العصر الحديث « الفن الادبي » او الذي سميناه « المكاني » ولكنه لم يحمل من الدارسين المعاصرين لنا ما حملا . ولو كان للدراسة على أساس الدين في النظرية النقدية الحديثة ما « للفن » و « البيئة » لما توانى هؤلاء الدارسون عن اطالة الاستنتاج والقول ان ابن سلام قسم الشعراء العرب تبعا لاربعة مبادىء بدلا من ان يقفوا عند ثلاثة ، ولقالوا انه « يؤمن » بأثر الدين ... ولقالوا أشياء اخرى لا نستبعد ان نسمعها يوما ما .

وذكر لابن سلام بصدد اسس التقسيم المبدأ الزمني ، واستنبط ذلك من تجزئته كتابه او عمله الى قسمين : (١) طبقات الشعراء الجاهليين (٢) طبقات الاسلام . والتقسيم معقول ، ويمكن ان يحمل دلالة تاريخية وان يعد مبكرا في التأليف الادبي على اساس العصر وان يتخذ سابقة تزاد عليها العصور الاخرى كلما تقدم الزمن وفي ذلك بيان لمنزلة المؤلف .

ولا بد لنا ـ خوفا من المبالغة في اعلاء هذه المنزلة ـ من ان نتذكر ان مسالة العصرين المتميزين ـ بهذا المعنى ـ كانت في متناول ابناء زمانه ، وهي اساس بديهي لدى الدارسين كافة ، ولدى اللغويين بخاصة ، ذلك انهم لم يكونوا يجيزون الاستشهاد بغير الجاهلي ، وان الفاصل الزمني ـ هنا ـ شرط في فصاحة اللفظة وصحتها وقبول روايتها والمحاجة بها .

لقد تحرجوا طويلا من الاستشهاد بشعر العصر الاموي ، ولم يجرؤا على الاعتراف بكبار شعرائه ، وعدوهم مولدين محدثين ، فقال ابو عمرو بن العلاء : « لو ادرك الاخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قدمت عليه جاهليا ولا اسلاميا » (١٢) ، وقال ، « لقد احسن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته ـ يعني بذلك جريرا والفرزدق ... » (١٣) ، وقال الاصمعي : « جلست الى أبي عمرو ابن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت اسلامي» (١٤) ، وقال الاصمعي نفسه في جرير والفرزدق والاخطل : « هؤلاء (لو) كانوا في الجاهلية كان لهم شان ، ولا اقول فيهم شيئا لانهم اسلاميون » (١٥) ، وقال : « الكميت بن زيد ليس بحجة لانه مولد ، وكذلك الطرماح » . (١٦)

اذا ، فالمسالة ـ في الاصل ـ مسالة لغة ، ثم خرجت عن طور اللغة الى ما زادها ضيقا وفسادا وعصبية فشملت بذلك الشعر نفسه والحكم عليه ، وكان اذا سئل الراوية ـ والناقد ـ عن المولدين قال : « ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ... هذا مذهب أبي عمرو واصحابه كالاصمعي وابن الاعرابي اعني ان كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم ـ وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة » (١٧) ـ ولفظة « اللجاجة » هذه دلالة بالغة وجديرة بالاعجاب وهي مفتاح لعقليته .

وفضيلة ابن سلام انه لم يقع في لجتها وانه تغلب ـ قليلا ـ على معراتها فزحف ـ شيئا ـ عن مرتكز اساتذته فكان من اوائل من اعترف بالاسلاميين وفسح لهم مجالا واسعا من علمه وصدرا رحبا من كتابه ، وتلك فضيلة تسجل له ، وقد يكون لصفة الناقد فضل في هذا الفضل ، ولكنه ناقد راوية ، او انه ـ ان شئت ـ راوية ناقد ، بمعنى انه لم يجرؤ على ذلك لو لم يثبت المحدثون مكانتهم ويستطيعوا ان يصبحوا سندا لغويا لا يقل في الشان كثيرا عن اسلافهم ، فكانهم عدوا قدماء ـ او عدوا ـ (١٨) تقف عندهم الرواية ، وينتهي بهم المطاف ، حتى اذا قال محمد بن سلام نفسه : « ... الى اليوم » كان يعني عصر جرير والفرزدق .

لقد ادرك ابن سلام الدنيا لدى منعطف ، فتمكن ان يتقدم خطوة تحفظ له ذكرا على قصرها ، والا فقد كان ممكنا جدا ان يثبت حيث تركه عمرو بن العلاء ، وحيث ثبت اخرون يورثون تزمتهم وجورهم اجيالا تالية «ـ يستجيدون الشعر السخيف لتقدم قائله .. » (١٩)

ان الدارس الذي يبحث عن مطلق التاليف على أسس الزمان يجد عند ابن سلام بغيته ، الم يأت كتابه على : جاهلي واسلامي ، أجل ، لقد جاء ، فكفى .

ولكن لا ، ان مسالة الزمان لم تكن من الدلالة على ما يريدها من يعتدها مفخرا عاليا جدا ، ذلك انها وقفت من التاليف لدى التبويب الى قسمين او الى كتابين (٢٠) ، اي انها كانت مسالة حد فاصل ـ مسالة زمان فقط . أما بعد ذلك فقد جمع المؤلف الشعراء في طبقات دون نظر ـ اي نظر ـ الى جاهلية وآثارها ، واسلام وآثاره ، فلم يربط الزمن بما يعتريه ويستقر فيه وما يصحب دورانه من تغيير ، حتى كان الاسلام لم يأت ولم يحدث تبديلا .

لم يكن لابن سلام معدى من ان يقف عند الاسلاميين وحدهم (٢١)، ولكنه لم يخصص للمخضرمين بعدا زمانيا (٢٢) ، ولم يضع فاصلا بين اسلامي في زمن الرسالة والخلفاء الراشدين واسلامي في العصر الاموي ، بل انه قدم شعراء مخضرمين على جاهليين فقد جاء النابغة الجعدي قبل طرفة ، والحطيئة قبل عبيد بن الابرص ، وتميم بن أبي بن مقبل والمخبل السعدي قبل عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

لو كان الزمن مهما جدا لجمع الطبقة الواحدة من أربعة ارهاط متقاربين زمنا ، ولجعل ـ فيما جعل ـ « طرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس » طبقة ، لانه يعلم جيدا انهم « في عصر واحد » (٢٣) ، ولجعل الطبقة الاولى في سلمه الاقدم زمنا ثم التي تليها ... وهذا ما لم يحدث قط ، وما لم يرد اليه . لقد كان صريحا في تصنيفه وصريحا في الاساس الذي اتخذه للتقسيم ، الا وهو التشابه في درجة الفحولة ، وقد التزم المبدأ أشد التزام ، اما ما عداه فامور طارئة ليس من حقها ان تشغل الباحث عما هو اولى واهم واخطر (٢٤).

ان مسالة الزمن من الاسس العابرة الجزئية ، وكان الدكتور محمد مندور أول من نص عليها وجعلها المبدأ الاول من ثلاثة قسم تبعها ابن سلام الشعراء ، قال : « جعل منهم ـ اي من الشعراء ـ مجموعتين جاهليين واسلاميين ، وهذا تقسيم لم يكن منه مفر ، لان الامر لا يقف عند مجرد سير الزمن بل يعدوه الى مضمونه ، وقد جاء الاسلام فأحدث في حياة العرب ثورة روحية ومادية كانت لها آثارها البعيدة في كل مظاهر نشاطهم » .

دكتور بدوي طبانة جعل البيئة لدى ابن سلام نظرة ثانية ـ ص ١٣٢ ، ولكنه تجنب ان يخوض فيما خاض فيه مندور . (١١) قال الدكتور محمد زغلول سلام ص ١٠٦ : « وافرد في اخر الكتاب الكلام عن شعراء اليهود ، وهذا الكلام لم يدخل ضمن تقسيمه الاساسي للطبقات أيضا ولعله كتاب مفرد له اراد تصنيف الشعراء فيه حسب ديانتهم ... » (١٢) الاصمعي ـ فحولة الشعراء ٢٤ . (١٣) ابن رشيق ١ : ٩٠ . (١٤) ابن خلكان ٣ : ١٣٦ ، وينظر ابن رشيق ١ : ٩٠ . (١٥) الاصمعي، ٢٤ . (١٦) الاصمعي ٤٠ . (١٧) ابن رشيق ١ : ٩٠ ـ ٩١ . (١٨) ابن قتيبة ١١ . (١٩) ابن قتيبة ١٠ . (٢٠) ينظر طه احمد ابراهيم ٨٣ .

(٢١) وكنا نود ـ نود فقط ـ لو تعداهم فاتخذ لابناء عصره من شعراء القرن العباسي الاول مقعدا ، ولكن ، للرجل عقليته ولعمله مسوغاته ولكتابه ظروفه . (٢٢) وان كان يعلم مدلول مصطلح « المخضرمين » ينظر كتابه ص ٢١ ، وقد استحسن هذا الاستاذ محمود شاكر في مقدمته للكتاب ص ١٦ ، ٢٠ ـ ٢٢ . وليس ظاهرا في الكتاب ما ذكره دكتور بدوي طبانة ص ١٣١ من « انه قسم الشعراء بحسب ازمانهم الى جاهليين ومخضرمين واسلاميين » . (٢٣) ابن سلام ٣٤ . (٢٤) كما شغل مندور ١١ ـ ١٢ (ـ ١٢ ط ٢) . (٢٥) دكتور بدوي طبانة ١٣١ . (٢٦) استعان الدكتور طبانة بالاستاذ احمد الشايب .

شرار العيون

عيونك يقدح منها الشرار ... ففي العين نار وفي القلب نار
فوا نار قلبي لحسن القوام ... وهذا الجمال وذاك العذار
فشعرك مثل اسوداد الليالي ... ووجهك مثل انبلاج النهار
وصوتك أطرب عندي وأشجى ... بسمعي من زقزقات الكنار
وغمازتان بورد الخدود ... بخد اليمين وخد اليسار
فعقدة شعرك تربط قلبي ... بحقك شدي عليه الاسار
فقلبي أسيرك لا تطلقيه ... فيصعب هذا عليه الفرار
تعالي وخلي العواذل تهذي ... تعالي ليالي الصفاء قصار
وسيري مليء جفوني ورفقا ... بحلم اذا ما توجف طار

زحلة ـ لبنان

رياض معلوف

القول مقبول ، ولكن ما صلته بعمل محمد بن سلام نفسه ؟ الصلة ضعيفة جدا ان لم تكن غير كائنة ، ولا ادل على ذلك من ان مندورا نفسه ادرك الموقف وادرك انه حمل الموقف اكثر مما يطيق او انه قدره على اكبر مما يكون ، ففير لهجته فجاة وقال : « واذن فاتخاذ الزمن اساسا للتقسيم امر لم يكن منه بد ، بل ان في الفاظ ابن سلام نفسه ما يدل على انه لم يقصد الى هذا التقسيم ولم يفكر فيه ، بل املته طبائع الاشياء ، وانما كان تفكيره منصرفا الى توزيع شعراء المهديين في طبقات تبعا لجودة شعرهم وكثرته ... »

فاين هذا من ذاك ؟ وما قيمة الـ « اذن » الواردة ، بل ما قيمة ابن سلام في مبدأ الزمان ؟ لقد نسف مندور بالاسطر الاخيرة ما بناه في الاسطر الاولى .

ولا يخشى من مندور كثيرا ، لانه استدرك ، او انه ـ في اقل تقدير ـ اضعف الشان . وانما الخوف ان يأتي اخرون فياخذون كلمة « الزمان » الواردة لديه ويحملونها ما لا تطيق وما لم يكن في علم الغرب عنها فيقولون ـ مثلا ـ : « ومن هذه الطرق التي سلكها (٢٥) ـابن‌سلام ـ الطريقة التاريخية The Historical Method ولا ندري المقصود بذلك ولا يمكننا ان نلجأ في توضيحه الى من لا يعرفه (٢٦) .

الا لا بأس في ان يذكر لابن سلام فضل في مسالة الزمان ، ولكن البأس في ان تجسم المسالة ويخرج بها عن حدودها الضيقة جدا .

ان ادامة النظر في كتاب « طبقات الشعراء » يمكن ان تؤدي الى العثور على أمور كثيرة ، ولا يقدم الباحث عن أسس جزئية للتصنيف ان يعثر على ضالة له وان ينتبه الى ما قد يخفى على قاريء متعجل، ومن ذلك ان ينظر في طبقات الشعراء الاسلاميين فيجد ان الطبقة التاسعة تضم اربعة يتميزون عمن سواهم من شعراء الطبقات بصفة جامعة هي انهم اربعتهم « رجاز » وهم : الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة .

والرجز يختلف عن القصيد ، ولا بد من ان تكون له صفات خاصة ، وان يكون للبارزين فيه مؤهلات معينة وان لابن سلام علما بشيء من ذاك ، ولو اشار لدلنا على أساس جديد ووقفنا على المواد المكونة لهذا الاساس ، ولكنه لم يفعل .

بل انه يجعله هؤلاء الاربعة طبقة تسبقها ثماني طبقات من اصحاب القصيد وتلحقها طبقة من أصحاب القصيد دل على انه ما زال عند مقياسه الرئيسي ـ وهو التشابه في درجة الفحولة ، فكان هؤلاء الاربعة يأتون في الدرجة التاسعة من مطلق الشاعرية دون نظر الى شكل شعرهم وبنائه الخاص .

ومع هذا فقد وضع لبنة في الاساس .

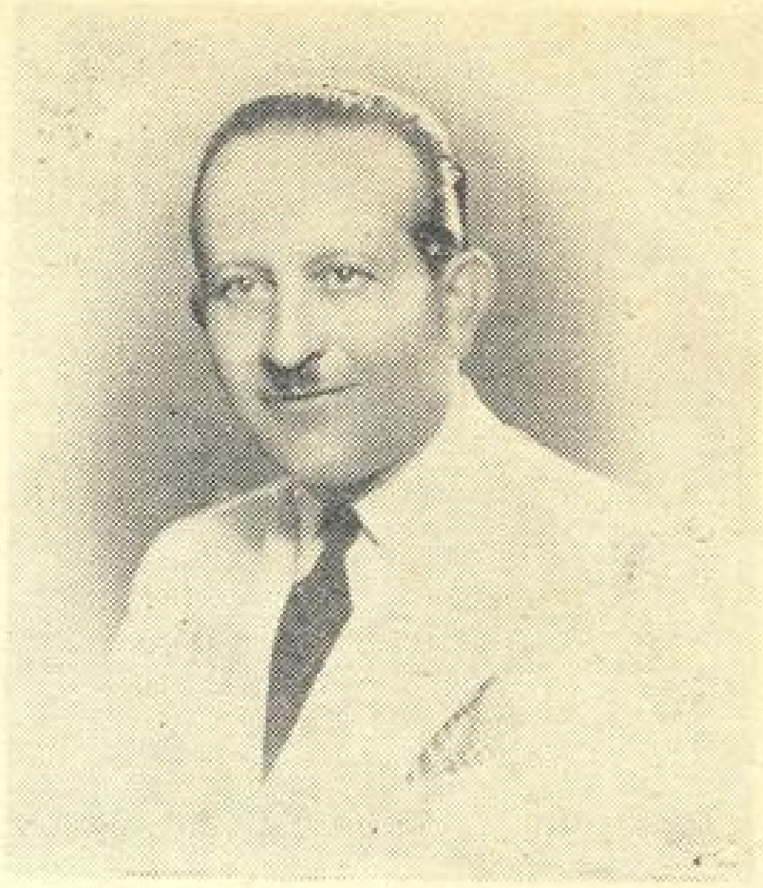
لقد انصرف جل اهتمام محمد بن سلام الى الطبقة القائمة على اساس التشابه في درجة الفحولة ، فذلك كتابه ، وذلك ما الف من اجله . اما ما جاء ـ خلال ذلك ـ من تصنيف يعتمد الرثاء مرة والقرية مرة اخرى ، فهو امر محدود ، ورد كانه خلاف خطة البحث على المنهج ، واننا اذ نصطاده ـ ونحن نرفع من شان المؤلف ونعمل على ربط نقدنا القديم بالنقد الاوروبي الحديث يحسن ـ بل يجب ـ ان نتحفظ ، فلا نحمل الاشياء اكثر من طاقتها فنتحدث ونسهب في الحديث عن المكان او البيئة والفن الادبي او الفرض والزمان .. وقد نضيف عامل الدين وعنصر الرجز ، ونضيف ونضيف .. أجل ، علينا ان يظل النظر فيما خلفه الاقدمون وان نكبر ما يستحق الاكبار ونصل بالاراء الحديثة ما يمكن ان يتصل شريطة الا تدفع بنا الحماسة بعيدا عن الهدف ، ولا يجرنا الوصل الى تكلف وتعسف ، ولا يذهب بنا حب الظهور بمظهر العالم بنظريات الغرب مذاهب تضحك بنا وتفضح جهلنا وتعلن تنطعنا .

ان الاراء التي وردت في كتاب « طبقات الشعراء » ـ كما وصل الينا ـ وان كانت جزئية عرضية ، فانها جديرة بالذكر والبحث قمينة بالعناية والاحترام .

اذا كان ابن سلام قد جمع وصنف ولم يعلل او يستنتج ويبين الدافع الى التصنيف والناتج منه ، فله فضل التصنيف وفضل السبق ، بل ان عصره لم ينتبه الى عمله ، ولعله لم يالفه على الوجه الذي قدمه به ، وان العصور التالية لم تلتفت اليه ولم تزد عليه ولم تستغر منه كمن لم يدرك كنهه ويبلغ شاوه ، وكان لا بد من ان تمر عليه اكثر من عشرة قرون‌حتى يستثار من مكمنه ، وينفض عنه غبار الزمن ليقدر قدره .

جامعة الرياض

علي جواد الطاهر



نـار الشتـاء

★ ★ ★

أوقد ، فهذا اليوم يـوم شتاء ... نزق العواصف هاطـل الانـواء
أوقد ، فان لهيبها فـي موقدي ... يحكي لهيب الشوق في احشائي
ذهب الحبيب ، ولا سمير غيرها ... يلهيك عن ذكـر الحبيب النائي
للنـار ألف حكايـة وحكايـة ... فأجلس أمـام الشيخة الشمطاء
أحسن لها الاصغاء ، ان حديثها ... فكـه يلـذ لمحسن الاصغـاء
واحذر لواذعها ، فان تعبث بهـا ... نالتك منهـا لسعة الرقطـاء
قد قال فـي هجو الشتاء لسانها ... مـا لـم تقله السن الشعراء
فاذا تصدى لـي بلاسع بـرده ... أصليته منهـا بحـر هجـاء
اضريت ألسنة اللظى في موقدي ... ودمغتـه بقصيـدة حمـراء
ورأيت مـن خلف الزجاج سواده ... فرميته بزجاجـة الصهبـاء
فانصاع في ثوب الظلام، وفي الضحى ... وافـى بتيـه بحالـة بيضـاء
من أين هذا اللون ، كيف نسجته ... للارض يا ابن الغيمة السوداء ؟
وخيامك البيضاء ، كيف صنعتها ... في عتـم هذي الليلة العمياء ؟!
نفثت يداك لهـا ، فيا لك ساحرا ... في الارض شاد قصوره من ماء
كم هيكل للشمس، فيه، على الربى ... أبـدى الصقيع مهارة البنـاء
طافت مجامرها بـه ، وتوهجت ... أرجـاؤه بمنـائـر الانـداء
وسرى لهيب الفجر في جدرانه ... وعلا دخان المـاء فـي الاجواء
نظرت اليه الشمس باسمة لـه ... فهـوى لباسم ثغرهـا الـلألاء
وتساقطت أصنامـه وشموعـه ... صرعى لطلعـة نورها الغـراء
وانحل مـا عقد الصقيع وغيبت ... أشباح تلـك الظلمة الشهبـاء
خدعت بها رحبها العيون ، وكلها ... ذابت وغابت تحـت عين ذكـاء
سبحان رب الشمس باعث هديه ... فيهـا ومرسل نـوره الوضاء
الشمس مدفأة الوجود ، فقم لها ... وانعـم مـع الاحيـاء بالادفـاء
الشيخة الشمطاء مـل حديثها ... فاجلس أمـام الغـادة الشقراء
أبـدا تعيـد ويستطاب معادهـا ... ولقـد يمـل مكـرر الانبـاء
ولها حديث كـل صبح تبتدي ... فيـه ، وتختمه بكـل مساء !!

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور عبد السلام العجيلي

قصة أيام وشعر وحب

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

* * *

الف الناس ان يتقبلوا من الكاتب او الشاعر او الفنان اثره وانتاجه يقرأونهما او يتمتعون بهما مستقلين عن شخصية ذلك الكاتب او الشاعر او الفنان ، كأنما الاثر الفني او الانتاج الادبي ثمرة منفصلة عن شجرة . فالناس في هذه الحال كآكل التفاحة ، لا يدخل في تقديره لطعم ما يأكل جهله او معرفته بالشجرة التي اعطته التفاحة التي في يده ، لا مكانها ولا عمرها ولا مبلغها من العلو او حجمها بين الشجر . وهذه الطريقة من تقبل الاثر الفني هي التي تسمح بها الظروف للقارىء العادي او المتتبع العادي بما ينتجه الفنانون ، في اغلب الاحوال . ولو اتيح لهذين ان يقرآ او يريا كل رائعة فنية في ضوء شخصية الفنان او الاديب لاخذ تمتعهما بما يقرآن او بما يتذوقان ابعادا جديدة غير الابعاد التي يأخذها بطريقة الثمرة المنفصلة عن الشجرة .

ولا نكران في ان بين الآثار الادبية والفنية آثارا متكاملة، مغلقة على نفسها، تكاد ان لا تتأثر بماهية مبدعها، او ان زيادة المعرفة بهذا المبدع لا تزيد في قيمتها او تنقص من هذه القيمة الا القليل . فان معرفتنا بحياة زهير بن ابي سلمى مثلا لا تغير كثيرا نظرتنا الى معلقته او تزيد في اعجابنا بأبياته الوصفية او الحكمية او تنقصه . ومن الزاوية نفسها نجد ان منزلة آثار شكسبير المسرحية وقيمتها في التراث الادبي العالمي لم تتأثر بكل ما دار حول شخصية كاتب هذه الآثار من روايات او ظنون . فسواء كان مبدع تلك المسرحيات ممثلا بسيطا من سكان ستراتفورد ان آفون او كان لوردا عريقا في النبل عالي الكعب في الادب والفلسفة فان المتعة التي يجنيها القارىء او المشاهد من تلك المسرحيات لا تتغير . في حين ان قراءة نتاج ابي العلاء في لزومياته او رسائله، وقراءة دستويفسكي في رواياته ، والتمتع بمشاهدة لوحات فان غوخ ، كلها تتأثر تأثرا كبيرا بمعرفتنا لشخصيات ابي العلاء ودستويفسكي وفان غوخ ، وباطلاعنا على سيرهم الشخصية واحداث حيواتهم .

هذه الفكرة التي اوردها كثيرا ما تجول في خاطري وانا اقرأ بعض النتاج الادبي ، ولا سيما في الشعر ، لادباء معاصرين اعرف من امورهم او من اشخاصهم اكثر مما يعرف غيري من قرائهم ، فأجدني محظوظا بمتعة لم تتح لغيري ، سببها المعرفة التي ذكرت . وقد عادت الى بالي بصورة خاصة وانا اقرأ اثرا لم يطبع بعد ، او انه لم ينشر بعد كاملا (١) ، عنوانه «قصة ايام» . ففي قراءة هذا الاثر الذي تستطيع ان تسميه ديوانا شعريا ، رغم تخلل النثر له بصفحات كثيرة ، او تسميه ملحمة عاطفية او تأملات فلسفية لشاعر جمع بين عمق التفكير وسعة الثقافة ورهافة الحس ، متعة لكل قارىء . الا ان هذه المتعة نفسها تأخذ نكهة خاصة او تكسب ابعادا جديدة عند من يعرف كاتب قصة ايام هذه ، الدكتور علي الناصر . ولست اشترط بالمعرفة هنا المعرفة الشخصية بالمخالطة والصداقة ، ولكني اعني معرفة هذا الطبيب الشاعر المفكر في تاريخه الادبي ومنهج تفكيره واسلوب عيشه . ففي ضوء هذه المعرفة تبدو لنا المقطوعات التي منها تتألف قصة ايام وكأنها نتاج ادبي فريد في موضوعه وفي قيمته وفي اصالته الحقيقية في زمن نبحث فيه عن الاصالة فلا نقع الا على التقليد او العبث .

وربما كان قارئو شعر الدكتور علي الناصر قليلين في هذه الايام ، وكان عارفوه المعرفة الادبية اقل . واقول في هذه الايام ، لأن اياما غبرت كانت حلب فيها ، وحلب هي مدينة الدكتور علي الناصر ، تشع نشاطا ادبيا وتستقطب اهتماما ادبيا اكبر بكثير مما تشع وتستقطب اليوم ، كان الدكتور علي الناصر فيها احد العناصر البارزة في ذلك النشاط وذلك الاهتمام . تلك الايام كانت منذ بضعة عقود من السنين ، في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن (٢) . وقد لا يبدو غريبا ان يبعد ما بين امثال علي الناصر ، ممن نستطيع ان نقول عنهم انهم الرعيل الاول في الادب ، وبين قراء هذا الجيل وكتابه اذا حسبنا البعد بفواصل الزمن . الا ان الغرابة هي في ان يبعد قراء هذا الجيل

عن علي الناصر نفسه ، للسمات العصرية التي يحملها ادبه ، سمات العصر الذي نعيش فيه ، على الرغم من ان الشاعر نفسه ، وهو في عمره حول السبعين ، في سن لا يقاربه فيه كثير من قراء هذا الجيل وكتابه .

ان الذي يتاح له ان يقرأ علي الناصر في ما نظمه في الاعوام الاخيرة يعجب كيف يبقى عصريا الى يومنا هذا شاعر بدأ الكتابة والنظم قبل نصف قرن من الزمن ، وان يكون في نفس الوقت صادقا في تعبيره وفي اصالته. واقصد بالعصرية هنا صفات في النتاج الادبي يتصف بها نتاج الشعراء المحدثين ، من صادقين ومقلدين ، حين يحتل الرمز في ما ينظمون محلا بارزا ، وحين تكثر الاقتباسات الاسطورية والايماءات الموحية بأن الناظم يمتح من منبع ثقافة واسعة وعميقة ، وحين تسخر الكلمة لحمل المعنى اكثر من سوق المعنى ليتلاءم مع الكلمة التي كانت السد غير المنازع في الشعر القديم . غير ان هذه العصرية في صفات الشعر لم تقتصر على نتاج علي الناصر الشعري في اعوامه الاخيرة ، بل هي موجودة كذلك في ما نظمه قبل عشرين عاما وثلاثين عاما . وكل ما في الامر ان شاعرنا اصبح عصريا اليوم لانه سبق عصر اليوم بخمسين عاما . فمنذ البدء كان لعلي الناصر هذا النهج الشعري الفارف من معين ثقافة ناضجة ، الملون بلون تفكير فلسفي عميق ، الناظر الى الكلمة في القصيدة نظرات مختلفة عن نظرات جيله الاول . وكان ذلك النهج شاذا في ذلك الزمن . واحتاج شعراؤنا الحديثون الى نصف قرن من الزمن ، والى ان يكتشفوا ت. س. اليوت وطريقته في الرمز والاسطورة والاحالة الى مصادر الثقافة المختلفة ، ليصبح هذا النهج مقبولا وسائدا .

الا ان عصرية الدكتور علي الناصر فيما ينظمه اليوم وما نظمه قبل تخفي دونها كلاسيكية تشبه كلاسيكية الاكاديميين القدامى . واولى خصائص هذه الكلاسيكية ثقافة الشاعر المبنية على اساس علمي هو اساس دراسته الطبية ، والمستمدة من اطلاع واسع في لغات متعددة هي ، غير العربية ، الانكليزية والفرنسية والتركية والفارسية . ثم تعلق بالمعرفة وادمان على زيادة الحصيلة منها ، في كل جانب من جوانبها ، يكادان ان يكونا عجيبين في انسان يعيش في مجتمع غلبت عليه العجلة والسطحية . وكثيرا ما يلقى الدكتور علي الناصر زواره من الاصدقاء بصرخة اعجاب بكتاب كان يقراه ، وبحديث مطنب عن روعة ذلك الكتاب وما فيه . قد يكون الكتاب ديوانا لشعراء البكتاشية او طبعة جديدة من مرجع في الفيزيولوجيا او مؤلفا في الامراض الجلدية ، ولكن علي الناصر لا بد ان يكون قراه من الجلدة الى الجلدة ، متعمقا ممحصا ومقارنا ، ثم يروح هاتفا بكل من يلقاه هتاف لافونتين حين قرأ بعض اسفار العهد القديم لاول مرة واخذ بروعة ما قرأ فراح يسأل من يلقى في طريقه : قل لي ، هل قرأت باروخ ؟!

وهكذا نجد ان واحدة من الصفات المميزة للدكتور علي الناصر ، وهي صفة المثقف المتبحر ، مثلما دخلت اساسا في انتاجه الشعري دخلت اساسا في سلوكه في الحياة وبالتالي في تكوين شخصيته الانسانية . ومن هذه الناحية اعود الى ما بدأت به كلامي الى تأثير المعرفة بشخصية الكاتب او الشاعر او الفنان في تقدير قيمة ما يكتب واحدهم او ما ينظم او ما يبدع . فحين يتصور القارىء شاعرا هو طبيب متقدم في السن ، منطويا على نفسه ، غارقا بين مصادر المعرفة والعلم قديمها وحديثها، قادرا على ان ينصرف بكليته الى تعلم لغة جديدة استهوته آثار واحد من شعرائها ، متراوحا في سلوكه بين النقمة على البشر لتفاهة نفوسهم وبين الرثاء لهم لوقوعهم فرائس بائسة في يد الاقدار ، زاجرا مرضاه الى درجة التنفير مع حاجتهم اليه وحاجته اليهم لانهم يثيرون اشمئزازه لا بعاهاتهم الجسدية بل بنقائصهم العقلية والنفسية ... اقول حين يتصور القارىء كل هذا وهو يقرأ الدكتور علي الناصر فان تمتعه بما يقرأ يأخذ صورا جديدة غير التي يأخذها في قراءته له دون معرفة . فكيف اذا كان ما يقرأ هو قصة حب لهذا الشاعر الذي يرفع اعوامه السبعين كراية امام من ينظم الاشعار في حبها والتي لا بد من ان تكون في الذروة من الجمال والميعة من الصبا كما تصفها مقطوعات « قصة ايام » ؟ ....

قصة ايام هذه التي اتكلم عنها قصة واقعة احداثها بين يومين معينين يذكرهما الدكتور علي الناصر بوضوح، هما ٣٠ ـ ٧ ـ ١٩٦١ و ٤ ـ ٩ ـ ١٩٦٦ . بين هذين اليومين كتب الشاعر مائة وسبعة وثلاثين مقطوعة شعرية ، بعضها من الشعر المنثور ، تسجل ، كلا في يومها ، الخواطر التي اهاجها حب الشاعر الغريب ، بوصله وهجره ، ونعيمه وشقائه ، وتفكيره وعبثه . وفي خواطر هذه القصة التي تقوم مقام الاحداث في القصص العادية تجد علي الناصر بكل صفاته الفكرية وخصائصه الادبية : بعلمه وتمثله للثقافات المختلفة ، بتمرده الفكري ورقة حسه الانساني ، بمذهبه في الشعر ، وحتى بعيوبه النظمية التي ترتبط بهذا المذهب . وثمة مقطوعتان من هذه المقطوعات المائة والسبع والثلاثين ، هما الاولى والاخيرة احاطتا ببقية الديوان وتضمنتا ، بصورة عفوية لم يتقصدها الشاعر ، اللازمة الفكرية والشعورية لكل مقاطع قصة ايام ، او انهما احتوتا النواة العميقة للثمرة الشعرية التي هي هذه القصة . اولى هاتين المقطوعتين ، وهي فاتحة الديوان ، تقول :

رفرف القلب حين مرآك طفلا وهفا عبر جنة الاحلام
بلبل لم يمته طول ليال داكنات في مأتم الايام
انقذيني فانني اسمع الدو د يغني في باليات عظامي

والمقطوعة الثانية هي مقطوعة النهاية التي تقول :

تطل لتشجي النفس بعد هدوئها امور تقضت تستثير ولا تجدي
فلم تخمد الايام مشبوب نارها وتذكو ضراما حين اهذى بها وحدى
ضلالة وهم غادرتها لشؤمها فلم يبق غير حشرجة الوجد
فيا ليت اني في الحياة فراشه لاحفر في صدر التي ذهبت لحدي

ففي هاتين المقطوعتين تبدو فكرة الموت مقرونة بعاطفة الحب . وهذا القران يتردد في كثير من مقطوعات قصة ايام ، الا انه في مقطوعة البدء والختام يبدو واضحا ومكثفا . فكأن الشاعر ، في البدء ، يريد ان يلتمس في الحب مفزعا له من الموت ، حتى اذا اكتشف على طول المدى ان ليس من ذلك الموت مفر تمنى ان يكون كفراشة تتقبل الموت بما يشبه الرضى لان لحدها سيكون صدر حبيبها . ولا شك في ان تعبير الشاعر عن فزعه من الموت بهذه الصورة الفريدة ، صورة غناء الدود في باليات العظام ، وتعبيره عن الاستسلام الى الموت بصورة الفراشة الملحدة في صدر من تحب ، هما تعبيران بديعان في الجمع بين التصور العلمي والتصوير الشعري لافكار ومعان تكاد تكون مبتذلة لكثرة ما تناولها الشعراء والكتاب والفلاسفة .

ولا يعني هذا ان مقاطع قصة ايام المائة والسبع والثلاثين دائرة كلها حول فكرة الموت في الحديث عن الحب ، فان للحب لذائذه وهناءاته التي يغنيها الشاعر في مقاطع متفرقة ، كقوله في مقطوعة مؤرخة في ٢ ـ ٣ ـ ٦٢ :

كقطرة الطل او عرف تبوح به ازاهر او حنان الام في وله
صفت وفاضت على الدنيا كحلم هنا روحي والهها يا مبتني ولهي
اسير والنفس تمشي بي معانقة كل الخلائق في سام ومن تفه
هذا التجلي تجلي الله افقدني جسمي الترابي فاستيقظت من عمهي

الا ان مقطوعات السعادة قليلة في قصة ايام ، لا لقصر اللحظات السعيدة في هذه القصة ، ولكن لان ذا العقل كما قال المتنبي يشقى في النعيم بعقله ، فيروح يفلسف سعادته بالتفكير الجاف او انه يبحث عن حر السعير في نعيم الفردوس . من هذا قول علي الناصر في المقطوعة المؤرخة في ٢٠ ـ ٦ ـ ٦٢ :

اتهجى اوصافها في سكوني كصغير اما تهجى الكلاما
صفة ترقص الفؤاد واخرى تفعم النفس غبطة وسلاما
ثم اخرى تضلني بسناها فترى العين ما ترى اوهاما
ثم اخرى كجمرة تتلظى في كياني فاستشيط هياما
اتهجى اوصافها في سكوني والتهجي يزيد شوقي ضراما

وقوله في ١٥ ـ ١٠ ـ ٦٢ :

انني تعب ، ففي طوال هذه السنين التي عشتها لم تظهر لي لا شيئيتي بهذا الوضوح .

كم دقت هذه الكلمة بقوة والحاح باب غروري ، ولكنها لم تستطع النفوذ الى محرم السر . والان بهمسة منك انهار كل شيء .

ان اجنحة اكاروس اشد قوة ومنعة من اجنحتي . فيا ليت لي القليل من سيزيف لاستطيع دحرجة الحياة الى نهايتها .

لماذا انحنى ظهري وتقوس بلحظة ؟
لماذا فقدت ذاتي وكنت اعتقد بأن الله حل في خلدي ... ؟

وفي مقطوعة اخرى مؤرخة بالساعة الثالثة بعد منتصف الليل في ٢١ ـ ٢ ـ ٦٣ نجد الشاعر يقوم في تلك الساعة المتأخرة بمحاولة فكرية لتحطيم سعادته ، حين لم يكن الواقع قد حطمها بعد ، وذلك بقوله :

الحجت بالتساؤل فاستنطقت مكنونها في آهة واكتئاب
اسعى الى نزعك من خافقي اسعى... اما يكفي حياتي اضطراب
عمياء آمالي : انا في الهوى اعيش في دوامة من عذاب
معبودتي ! اني خلود الشقا ولادتي الجرم وعيشي العقاب

وهكذا تمضي المقطوعات المائة والسبع والثلاثون تروي في غضون خمسة اعوام قصة حب غريبة ليس باحداثها ، فالاحداث فيها غمامات لا تكاد تعرف او تميز ، بل بافكارها التي تؤرخها الايام التي كتبت فيها . وهذه الايام نفسها ، او بالاحرى تواريخ تلك الايام ، تكون عناصر في القصة يمكن بمراجعتها والمقارنة فيما بينها معرفة التباين في المد والجزر ، والهدوء والاندفاع ، في نفس هذا الشاعر المفكر او هذا المفكر ثم الشاعر . ذلك ان الشعر في قصة ايام يبدو تابعا للفكرة التي يؤديها الكلام المنظوم ، مثلما يبدو الحب نفسه وسيلة ، وان تكن وسيلة غير مقصودة ، يتسلل بها الشاعر الى اعماق نفسه ليكتشف اغوارها ثم ليعود منها بافكار جديدة او صور جديدة او تعابير جديدة . فقصة ايام هي افكار احتوتها مقاطع شعرية اكثر منها مقاطع شعرية احتوت افكارا . وهذا طابع ثابت لشعر الدكتور علي الناصر وواحدة من خصائص مذهبه الشعري الذي اشرت اليه في ما سبق من كلامي .

والى هذه الخاصة تعود هذه القساوة وذلك الجفاف في اسلوب الدكتور علي الناصر الشعري على رقة احاسيسه ولطف معانيه . وبالرغم من معرفته ان هذه الناحية تعد مأخذا على شعره ، فانه لثقته بنفسه واعتداده بها يجد المأخذ لا في ما ينظم بل في من يقرأ ولا يحسن التذوق فيقيس الجمال الشعري بمقاييس لا يعتد بها علي الناصر . فعلي الناصر يؤمن بالفكرة المركزة ، وهو يكره الكلمة او البيت او المقطوعة التي تقال نافلة دون ان تحمل فكرة او معنى او ايحاء . بعض مقطوعات قصة ايام تتألف من بيت واحد وحسب . فهو كهاوي الحجارة الكريمة الخبير بها يعجب بالجوهرة لقيمتها ولا يهمه ، بل هو يفضل ان

---

(١) نشرت بعض مقاطع من قصة « ايام » في اعداد مختلفة من مجلة الاديب ، وفي مجلات ادبية اخرى . (٢) ما بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٦١ نشر الدكتور علي الناصر الدواوين التالية ، شعرا ونثرا : قصة قلب ، الظمأ ، البلدة المسحورة ، سريال (بالاشتراك مع اورخان ميسر) ، دن الدموع ، هذا انا .

جراح

تقطعت الاسباب بيني وبينها ... ومر زمان دونها .. متطاول
وكنت أرجي أن تكون حليلتي ... فأعيت على مثلي وأفلح جاهل
تخيره أهل لها جل همهم ... حلي ومخزون من المال طائل
وعندي لها لو يعلمون ذخائر ... من الحب لا تشقى لديها الحلائل
وكنز حنان لا يقوم مثله ... بمال ولا تخشى عليه الغوائل
وأمس على متن الطريق لقيتها ... كعهدي بها من قبل والحسن هائل
فخلت شريطا كر بيني وبينها ... عليه من الماضي رسوم مواثل
ليالي أصفيها الوداد وتشتهي ... لقائي وتحدوني اليها الاصائل
وكان يماشيها غلام بوجهه ... ملامح منها جمة ومخايل
فرفت عليه النفس وجدا كأنما ... له ذمة عندي وعهد ونائل
فلما رأتني لم تبح نظراتها ... بشيء كأن البعد للحب قاتل
سوى بسمة مرت سريعا بثغرها ... كبرق جلا الظلماء والليل حافل
فثار لها في الصدر ميت تصرمت ... عليه من الاعوام عشر كوامل
فما باله قد عاد حيا ورده ... الى الجهل خبل من سمية خابل
يخرش اضلاعي بأظفار كفه ... ويطلب أنسا منها له ويحاول
قرارك يا مغرور وارجع الى البلى ... فما في حياة بعد موتك طائل

ولما نأت عني وغيب شخصها ... زحام شديد اثقلتني البلابل
وغالبت دمعي ان يسيل وانني ... لاعلم ان الدمع لا بد سائل

حلب

عمر ابو قوس

تكون في حوزته مفردة . اما عامة الناس فيلذ لها وتفضل ان تكون الجوهرة في قطعة حلي كعقد وسوار ، ولو شاركها فيه معدن رخيص او حجر هو دون الجوهرة قيمة .

ولعل انطوائية الدكتور علي الناصر على نفسه وانصرافه الى التعمق في دخائلها اثر رئيسي في هذه النظرة التي يتخذها والمنهج الذي يتبعه في تقييم الشعر ونظمه . ولعل اصراره عليهما هو نتيجة طبعه المتحدي لما تواضع عليه اهل الادب وتمرده على التقاليد التي يستسخفها في الشعر مثل استخفافه لها في الحياة الاجتماعية . فاذا فات من لا يعرف الدكتور علي الناصر المعرفة الادبية ، ما وراء الجفاف المتمثل في التركيز في التفكير والتكثيف في المعنى في شعره ، فان من يعرفه لا يفوته ذلك وربما وجد في ما ظنه الاول مأخذا امرا جديرا بالتقدير والاعجاب . ذلك ان المعرفة بشخصية الكاتب او الشاعر تري القارىء انتاج الكاتب او الشاعر في نور جديد وتمتعه به تمتعا جديدا ، كما قلت في مطلع المقال . ليس ذلك في كل حالات الانتاج الادبي بلا شك . الا انه امر صحيح في حالات كتاب وشعراء كثيرين سميت منهم بين القدماء طرفة وابا العلاء المعري ودستويفسكي . وهو كذلك صحيح في حالة شاعر مثل علي الناصر ، وصحيح بصورة خاصة في حالة قراءة اخر ما انتجه هذا الشاعر ، وهو ديوان قصة ايام .

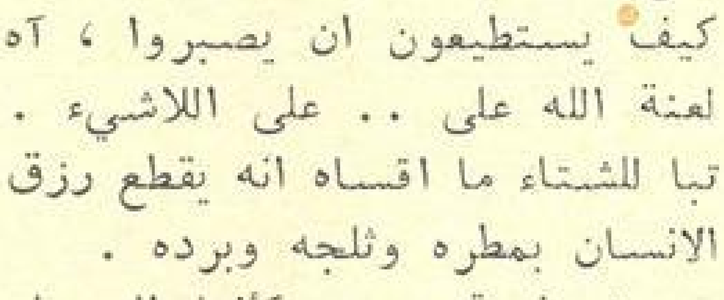
الرقة ـ سورية

عبد السلام العجيلي

أبو محمود الصياد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الرحمن عمار



ليلة غولية رصيدها جليد قاس يتمدد على الارض ببلادة فيصيبها بالاغماء والدوار ويفقدها الشعور والحركة ، وغيم يتكدس بعضه فوق البعض الاخر كبيادر العدس ، انها ليلة تخيف الرجل الذي يملك جسدا من حديد وقوة مقطوفة من الجبال ، الصقيع اللئيم ما ان يلامس الماء ويلثمه بخبث ودهاء حتى يحيله الى قطعة من جليد ، والحصى المبذور فوق التراب القرميدي يأبى ان يتحرك ولو بضربة مطرقة كأنه مشدود اليه بعقد متينة ، والسائر فوق الارض لا يشعر بها الا قطعة واحدة من الصخر .

في هذه الليلة تسلل ابو محمود من بيته عند منتصف الليل متدثرا بعباءته المرقعة غير مبال بأعدائه الاشداء البرد والظلام والوحوش ، انها الحاجة .. حاجته للسعي وراء الرزق اقوى من الخوف بل اقوى من الحياة ، ما ارخص الحياة امام العاطفة الابوية وامام واجبات الرجل المقدسة تجاه بيته الذي اساسه ساعداه ، وسقفه وجدرانه ، ايمانه وعزيمته .

في عشاء تلك الليلة ـ قبل ان يتسلل ابو محمود خارج البيت ـ كان يجلس مع امرأته واولاده كسلسلة صدئة حول الموقد التماسا للدفء على نار (الجلة) لكن باب الغرفة ذا الشقوق الواسعة يدخل البرد منه كأنه السياط تجلد ظهورهم ، الاولاد ، واكبرهم في سن العاشرة يقضمون بنهم بضع كسيرات من الخبز اليابس اما اصغرهم الرضيع فقد كان متمسكا بثدي امه وفمه الصغير يعصر الحلمة بقوة استعان بها من وحش الجوع .. واين الحليب !!؟ . الاب والام ينظران اليهم وهم في هذه الحالة ، بلوعة واسى وفي جمود نظرت ام محمود الى زوجها بعين يغمرها الذبول وقالت له بصوت هادىء وكأنها تتكلم مع نفسها .

ـ ان كمية الطحين التي كانت عندنا قد انتهت البارحة ، يا لجيراننا الطيبين انهم لم ينسونا في ايام قاسية كهذه فهم احيانا يبعثون اولادهم وهم يحملون لنا الصحون المليئة بالطعام الشهي ولكن الى متى تستمر هذه الحالة .. ؟ .. ايه..

ـ بسيطة يا ام محمود . ان الذي خلقنا كفيل بنا ، الله كريم سيفرجها علينا . ثم حضن ابنته فاطمة التي لا يتعدى عمرها الثلاث سنوات ودموع الحرمان تتلألأ في عينيه .

نظرات اولاده الجائعة تتوجه الى قلبه كالسهام ، انه يحس بشرايينه تتمزق عندما ينظر اليهم فيرى الجوع حروفا محفورة تظهر بوضوح على وجوههم وهو يستطيع ان يقرأها بسهولة ، هو لا يهمه اذا جاع او عرى ولكن الاولاد .. الاولاد كيف يستطيعون ان يصبروا ، آه لعنة الله على .. على اللاشيء . تبا للشتاء ما اقساه انه يقطع رزق الانسان بمطره وثلجه وبرده .

بعد فترة صمت كأنها الجبل الذي يتقلقل فوق قلبه يضيق من شروده على صوت ابنه محمود قائلا بذلة وانكسار :

ـ ابي ، اليوم طردنا الاستاذ من المدرسة انا واخي لاننا لا نلبس صدريات مدرسية كبقية التلاميذ . وقاسمه اخوه الصغير الحديث فقال بسخرية .

ـ هكذا النظام ، على جميع الطلاب ان يلبسوا زيا واحدا .

ـ ولكن لم نكن وحدنا ، هناك رفاق لنا طردوا ايضا لهذا السبب .

ـ ان لم تجلب لنا صدريات يا بابا فلن نتعلم ابدا .

مع هذا الحوار الحزين ، الاب والام ينظران اليهما بصمت وحسرة والطفلان يتابعان ببراءة وبساطة .

ـ اظن ان قلب استاذنا من حجر الصوان ، تأمل يا ابي انه يطلب منا ايضا (تعاونا مدرسيا) ليرتين مني وليرتين من اخي .

ـ بابا ارجوك ، نحب ان نتعلم كباقي اولاد قريتنا ولا نريد ان يطردنا الاستاذ من المدرسة .

ابتسم الاب في ذاته ابتسامة مرة مزقت احشاءه ثم تمتم بصوت غير مسموع ..

ـ يا للسخافة ، ليرتان + ليرتان = اربع ليرات ، من اين احصل عليها ، اني عاجز الان عن الحصول على اربع حبات من القمح فكيف ، يا لطيف اربع ليرات ..؟ انا الذي امتهن مهنة صيد السمك ان لم اذهب الى نهر العاصي كل يوم وامضي معظم وقتي اصارع الزمن والطبيعة حتى احصل على رطل او رطلين من السمك ، هذا اذا وفقني الله ، ثم ابيعها واشتري بثمنها ما احتاج له ولاولادي وزوجتي ، ان لم افعل ذلك فكيف احصل على ما اريد .. كيف احصل على الليرات الاربع المفروضة على ولدي في المدرسة وها انذا قد صار لي نصف شهر لم اخرج من البيت بسبب الاعصار والثلج والمطر وكل ما عندنا من مؤونة قد نفذ .

ثمة فكرة خطرت بباله ربما تنقذه من الازمة التي يتخبط بها .

لماذا لا يذهب الى نهر العاصي في هذه الليلة فربما يبتسم لـه الحظ ويصطاد كمية من السمـك تعيـد ولديه الى المدرســة وتـرد عنهم اخطبوط الجوع ؟. اجل في هذه الليلة .؟ وما في ذلك ، اليس من المعروف عن ابي محمود ان عزيمته لا تعرف اليأس وقوته من الفولاذ لا تقهر ، فهو لم يزل يذكـر ذلك الوحش الذي صرعـــه منذ بضع سنوات عندما هاجمه في البريـة في ليلة كهذه مظلمة وباردة ، لكم كان الوحش غبيا حيث لم يعرف ان ابا محمود سيمزق بطنه بسكينه التي تبقى دائما في جيبه ، ويومها اصبح ابو محمود والوحش حديث القرية وخاصة في منزول المختار.

ـ يا جماعـــة ابو محمود قتل الضبع جثته خارج القرية .

ـ كيف استطاع ان يقتله .. ؟

ـ يقولون انه تذكر امرأتـــه وأولاده في تلك اللحظـــة فقويت عزيمته وتغلب على الضبع .

ـ المهم انه قتله وهو الان فـي بيته كالاسد .

ما ان مرت هذه الحادثة بفكره حتى صمم ان يسعى ، والارادةالقوية تأتي بالمعجزات ، لكنه انتظر ريثما تنام زوجته فهو لا يريدهـــا ان تعرف انه ذاهب الى العاصي فـي هذه الساعة حتى لا تثنيه عن عزمه بعاطفتها الحزينة فهو يعرفها جيدا فقد تفضل المـــوت جوعا على ان يخاطر بحياته من اجلهم .

وتمتطي قدم ابي محمود الطريق المتوجهة غربا الى النهر بعـــد ان تسلل من داره بصمت واطمأن على ان زوجته لم تشعر به عندمـــا خرج ، شبكة الصيد تتدلى من فوق كتفه بعدما امســـك طرفها بيده اليمنى ، وذاب في الظـلام وهو يتقرى طريقه بتأن وهدوء وقدمه تخبط الارض بشكل عشوائيلوعورة الدرب المملـــوءة بالتلال الصغيرة والحفر والاحجار . شيئا فشيئا بدأ احساسه بالبرد يزداد فيجلد بدنه الخشن ، لا شيء هادىء في البرية فعواء الذئاب وعويل ابن آوى تتفلفل في سمعه ، زئير الريح تهز جسده بلا رأفة ولكن .. لا يهمه ذلك فهو لم يحاول سماع العواء ، اصم عنه اذنيه ، انه يفكر فقـط بالوصول الى هدفه الى النهر فـ.. فربما ..

شفتاه لا تنقطعان عن تمتمـات غامضة .. ولم يعد يحس بما حوله احساسا طبيعيا فشعوره كأنه بين اليقظة والحلم ، وفجـأة تحضنـه الارض مطروحا بلا وعي يلثم الوحل القاسي بقسمات وجهه المتقلصة ، نهض بعدها متثاقلا يتحامل عـلى نفسه بصعوبة ، شفتاه تصطدمان ببعضهما بشكل آلـي وهـو يتمتم بكلمات فوضوية بعدمـا عرف ان حجرا ملقى على الطريق قد سبب له هذه النكسة الجسدية .

ـ أ .. خ اهـذه انـت ايهـا الخبيث آه لـــو املك مطرقة لكنت فتتك تفتيتا وعلمتك كيف تعتـدي على الناس ، كم اكون سعيـدا لو انزع احشاءك ولكـن مهـلا ستنال عقابك .

وحمله بين يديه بعـد ان قلقله وفك رباطه الجليـدي من الارض ورمى به بعيدا عن الطريق .

ـ هه ، حتى لا تعتدي على احد مرة اخرى لعنة الله عليك .

وتابع طريقه بعد ان تأبط شبكته وهو يتحسس خيوطهـــا بأصابعه ليتأكد من وجودها معه .

كان خرير نهر العاصي ليـــلا يبعث بالنفس الوحشة والاضطراب وبخاصة عندما يكون الانسان وحيدا في ليلة كهذه ، انه خريـر اشبه بفحيح افعى كبيرة عند ظهـر يوم صيفي حار وفي لحظة صمت توقف ابو محمود عند ضفة النهر ونظـر اليه من اعماقه وفكر :

الان جئتك ايها النهر فلا تكـن بخيلا وانت الان اعلم المخلوقات بي.

ثم وضع شبكتـه فـوق الحشيش الهرم وجلس عليها القرفصاء حتى كادت ركبتاه تفوصان في بطنه من شدة احساسه بالصقيع ، واخرج من جيبه علبة سجائره النحاسيـة ولف منها سيكارة بصعوبة فلقـد كانت اصابع يديه ترتجف من شدة البرد ، حتى احس ان الدم الذي يسري فيها قد توقف عن الحركة ، لقد علمته التجارب ان الانســان عندما يشعر بالبرد ما عليه الا ان يقوم بالعمل .. اي عمل فانه يكسب من ذلك نشاطا وقليلا من الدفء ، لذلك ما ان انتهى من تدخين سيكارته حتى نهض وحمـل شبكته وسار بمحاذاة الشاطىء الى ان وصل الى المكان الذي يظن ان السمك يجتمع فيه بكثرة ، ثم فرش الشبكة على الارض وربط حبلها الرفيع بأسنانه وامسكها بيده بتأن ورمى بهـا على سطح المـــاء فأحدثت صوتا يشبه قرقرة النرجيلة ورست الشبكة في الماء وهو يعض على حبلها بأسنانه، ويداه تمسكان طرفيها بقوة . وتمر اللحظات بطيئة كأنها جبل من عمر الزمن ، « يا رب حسنة الاولاد » ، اللحظات بطيئة ، انها الحد الفاصل بين الجوع والشبع ، بين المدرسة والشارع ، بين العلـم والجهل . « حسنـة الاولاد يا رب » .. آه احس بالشبكة تهتـز ، هناك قوة تجتذبها الى اسفل لا بد ان سمكة كبيرة تحاول الافلات بعـــد ان سربلتها خيوط الشبكة ، اتريديـن الهرب !! هه . هه . هه ، حلمك بعيد ايتها السمكـــة لا بد وانك تساوين ثوبين مدرسيين ووجبة طعام شهي ، بل وجبات و .. » ، واستمر في ثرثرته وتأملاتـه وادرك وهـو يسحب الشبكة بوجل كأنه يسحبها بروحه وقلبه لا بيديه المرتعشتين ، ان ثمة طرفا من صخرة قد علقت به خيوط الشبكة فها هو يحـاول مستعينا بالدعوات كي ينتشلها من الماء فيهزها بهـدوء ثم يسحب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الربيع

فاض الجمال على سناك سطوعا ... لما حملت من الجمال ربيعا
أهواك ..ام اهوى الربيع وحسنه ... فكلاكما سحر العيون جميعا
هو انت .. او انت التي علمته ... ان يستحيل زنابقا وشموعا
أأعيش ظمأن الخواطر والمنى ... وأنا ارى في حضنك الينبوعا
شعري اطارك فأرسمي في لوحة ... صورا .. ترف على الاطار وقوعا
الورد ، والزهر المجنح والشذا ... هيمان .. مد جناحه ليضوعا
ما كنت الا كالفراشة رفرفت ... وحنت على الزهر النضيد ركوعا
سكرى تعب من العبير رحيقها ... وتخاف يسبقها العبير ذيوعا
سبحان من .. صنع الربيع مسارحا ... والحسن .. مؤتلقا .. بها مطبوعا
اني مددت الى سناك ضراعتي ... وبعثت اشواقي اليك شفيعا
واذا دعا القلب الجمال وسربه ... لباه ، يزحف في الضلوع مطيعا
هبني اضعت العمر في تبجيله ... ما كان عمر في الهوى ليضيعا

جدة ـ السعودية

محمد علي قدس

تتوجه يداه بطرفها شمالا .. جنوبا ثم يسحب ولكن عبثا يفعل .

خيبة امل صفقته ومصيبة مفجعة نشرت شراينه بمنشار اخرس ، ماذا يفعل ، هل يترك الشبكة راس ماله في هذه الحياة ويعود الى القرية وفي نفسه الحسرة المرة والحقيقة المؤلمة .؟ لو حدث ذلك له في غير هذه الليلة لكان الامر هينا ، غطسة بسيطة ويعود الحق الى اهله . اما في هذه الليلة الفولية فالامر يحتاج الى حزمة تفكير ، صوت متزن ينطلق من اعماق فؤاده : لا تدع اليأس يسيطر على اعصابك كن رجلا .. كن رجلا وفكر جيدا .

بحذر متناه ورعشة نفس خائفة يقترب ابو محمود من النهر ويلمس الماء بيده ، « حو .. ح انه بارد جنون ان افكر بهذا الامر .. ان اقدم عليه ولكن هل ادع راس مالي يضيع .؟ لا ، شبكتي ستعود سأضمها الى صدري اتفهم ايها النهر » . وبدأ يسلخ اعواما من عمره وهو يعري جسده من الثياب

بعد ان ربط حبل الشبكة بجذع شجرة صفصاف ثكلى باوراقها . يا للهول انه يهم بالغطس في الماء ، الريح تنفخ بأبواقها الجليدية فتنطلق منها الحان الموت تجبر المسكين على ان يرقص رقصات جنائزية فأسنانه المتصارعة كمطارق تطرق بعضها ويداه اللتان تعلوان وتهبطان كجناحي طير في الفضاء وجسده المرتعش كديك فقد الوعي ساعة ذبحه ، كلها ترقص .. ترتجف ، تجعله فقير الحس والشعور متجها بكيانه من اعمق اعماقه الى انقاذ الشبكة من الاسر ، وينطلق صوته المرتجف.

ـ يا .. الله .. ـه .

قرقرة الماء تنبعث من اعماق النهر وفقاعات كثيرة تكونت بشكل دائري. ترى هل جن ابو محمود حتى اقدم على ذلك ..؟

لحظات من عمر الزمن تتثاءب كسلا فتدب بملل دبيب نملة تحاول اللحاق بجواد اصيل ، انفاس حادة تنفجر من جوف الطبيعة فتمزق الوقت والزمن ، كل شيء سينتهي عندما تذوب اللحظات خلف الصدى والعدم . نعم كل شيء سينتهي ، فها ابو محمود يرتدي ثيابه الان بعدما انقذ شبكته من الاثر الذي حكم عليها به ورماها على ضفة النهر ماذا يفعل الان ؟. هل يعود الى القرية كما اتى بريء الذمة من صيد اية سمكة ..؟ لكن الامل غذاء النفس الطموحة ، الحياة فراغ بدونه انه يقتل اليأس ويشد من عزيمة الانسان ، والانسان لا يعيش الا على خفقاته ولا يصل الى ما تريده نفسه الا به .. الامل جعل ابا محمود يفعل شيئا .

خيوط الفجر تتسلل من خلال الغيوم العابسة المكفهرة والشمس على وشك النهوض فالشفق الاحمر تبدو ملامحه من الشرق ، البرية مقفرة الا من قلب حنون يخفق بالسعادة والاماني العذبة انه قلب ابى محمود الذي يحمل شبكته الثقيلة على كتفه وصوته ينساب بلحن ريفي جميل طالما ردده بشبابه كثيرا .

ع العين يا بو الزلوف ... عيني يا البنية

حمص ـ سورية **عبد الرحمن عمار**



نقـــولا يوســف

نجيب وأمين الحداد

بقلم نقـولا يوسـف

* * *

١ ـ الشيخ نجيب الحداد

في ذكرى مولده المئوية ١٨٦٧ ـ ١٨٩٩

كانا شقيقين شاعرين اديبين ـ يكبر احدهما الاخر بنحو عامين .. خرجا من لبنان في عهد الظلام ونزلا بالاسكندرية طفلين .. وشغلا الناس والصحف والمسارح في القطرين .. ورحلا عن الدنيا شابين لامعين .. وفي اكوار الزمن ذابت ذكريات الحدادين .!

ولد اكبرهما الكاتب الصحفي ، والشاعر القصصي الشيخ نجيب الحداد ببيروت ، لبنان ، في ٢٥ من فبراير ١٨٦٧ . ونشأ في اسرة من الادباء والاديبات فأبوه سليمان الحداد كـان شاعرا وله ديوان سماه : « قلادة العصر » ، وامه ابنة الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) ، واخت الشيخين ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) وخليل اليازجي (١٨٥٦ ـ ١٨٨٩) . وخالته ايضا هـي الشاعرة وردة اليازجي (١٨٣٨ ـ ١٩٢٤) .. كما ان شقيقه الاصغر امين الحداد شب معه شاعرا اديبا .. وجميعهم من المشتغلين بالادب العربي واللغة ، وممن تركوا آثارا ادبية منوعة ، واسهموا في الحركة الثقافية بلبنان ومصر ، وعرفتهم الاسكندرية منذ مطالع القـرن التاسع عشر ..

وفي عام ١٨٧٣ انتقلت اسرة نجيب الحـداد الى الاسكندرية قادمة من لبنان مع مواكب المهاجرين النافريـن من طغيان الحكم العثماني .. وكان نجيب يومذاك طفلا في السادسة ، وبدأ يتعلم في مدارس الاسكندرية .. وما كاد يبلغ الرابعة عشرة حتى شبت حوله الثورة العرابية ، مطالبة بالاصلاح والعدالة والحياة النيابية .. وكادت الامور تنتهي بسلام وتحقيق المطالب الشعبية ، لولا تدخل الاسطول الانجليزي الذي ارسلته حكومته الى الاسكندرية ، مبيتة مكيدة الاحتلال ، وضرب المدينة بالقنابل وخرب الكثير من بيوتها يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ، واشعل الحرب مع الجيش الوطني المدافع عن بلاده ، ثم زحف الجنود الانجليز من قناة السويس واحتلـوا القاهرة يوم ١٥ من سبتمبر ١٨٨٢ وأرسوا قواعدهم نيفا وسبعين عاما ..

وتركت هذه الحوادث الدامية اثرا عميقا في نفس الصبـي المتحررة ، ظهر في مقالاته وقصائده وتمثيلياته بقية حياته ، رائية لامجاد العروبة ، منددة بالاحتلال والاستعمار ، مناشدة الشعـب العربي ان يتضامن ويتحد وينهض ، ويتحرر من التخلف والاستكانة والجمود ، وان يصطنع الحضارة الحديثة في الصناعـة والزراعة والتعليم والتجارة ، اذ لا سبيل الى ارغام هذا المحتل على الجلاء الا بمثل سلاحه الذي مكنه من غزو الاقطار في الشرق والغرب ، ولا يفل الحديد الا الحديد..

وفي ذلك العام المضطرب (١٨٨٢) صحب نجيب الحـداد اسرته الى بيروت حيث واصل دراسته ، وتتلمذ في اللغة العربية وادبها على خاليه الكبيرين ابراهيم وخليل اليازجي .. وامضـى بضعة اشهر من عام ١٨٨٣ يعلم بمدرسة بعلبك ..

وعاد في نوفمبر ١٨٨٣ الى الاسكندرية .. وما لبث ان انتظمته هيئة تحرير « الاهرام » وكان يكاتبها احيانا من قبل .. وامست جريدة « الاهرام » في عهدها السكندري ، المدرسة الصحفية الاولى التي تمرس فيها منذ صباه على فنون الصحافة والتحرير والترجمة. وهناك نشر الكثير من المقالات السياسية والاجتماعية ، وكان في بعضها رائدا كما في دعوته الى حقوق المرأة المنشورة في الاهرام ٢٨ من ابريل ١٨٨٣ قبيل انضمامه اليها ، وبها عرف عددا من كتاب عصره وشعرائه ، واندمج في منتدياتهم ومقاهيهم .

وفي مطبعة « الاهرام » ايضا ، بدأ شقيقه امين الحداد مدرجه الصحفي ، وطريقه الادبي ، عاملا في صف الحروف ، ثم انتقل الى الى هيئة التحرير ، وعكف الشقيقان على العمل هناك اكثر من عشر سنوات ..

وكانت « الاهرام » قد بدأت هناك حياتها المديدة منذ تسعين عاما يوم جاء الى الاسكندرية عام ١٨٧٥ شقيقان شابان اخران ، من مواليد كفرشيما بلبنان ، لينشئا بها في العام التالي لقدومهما صحيفة سمياها « الاهرام » واصدرا عددهـا الاول يوم ٥ من اغسطس ١٨٧٦ ، اسبوعية في اول امرها ، ولم يقنع الشقيقان : سليم تقلا (١٨٤٩ ـ ١٨٩٢) وبشـارة تقلا (١٨٥٢ ـ ١٩٠١) بجريدتهما الاسبوعية ، فالحقا بها في العام نفسه جريدة يومية باسم: « صدى الاهرام » وفي العام التالي ١٨٧٧ صحيفتين يوميتين ، « حقيقة الاخبار » و « الوقت » ولكن لم تعمر هذه الصحف الثلاث الاخيرة طويلا فلما انتقل سليم تقلا الى دار البقاء عام ١٨٩٢ تولى اخوه بشارة ادارة « الاهرام » وطورها وجعلها جريدة يومية واسعة الانتشار ، ثم نقلها الى القاهرة عام ١٨٩٨ وظل عاملا على ترقيتها حتى وفاته عام ١٩٠١ .

وكان ممن زامل نجيب الحداد واخاه امـين بدار الاهرام ، الادباء : خليل زينيه (١٨٦٥ ـ ١٩٤٤) ، وعبده بدران (١٨٦٧ ـ ١٩٢٤) ، ورشيد شميل مراسل الاهـرام من القاهرة ومؤسس « البصير » بالاسكندرية عام ١٨٩٧ ، وخليل مطـران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) الذي انضم الى اسرة الاهرام عام ١٨٩٢ ثم كاتبها مـن القاهرة فترة من الزمن .. وغيرهم ..

وبعد هذه السنوات العشر المثمرة ، رأى نجيب الحداد واخوه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امين وصديقهما الصحفي عبده بدران ان ينشئوا جريدة يستقلون بادارتها وتحريرها ، فاستقالوا من الاهرام ، واصدروا بالاسكندرية « لسان العرب » ، صحيفة يومية سياسية ادبية ، ظهر عددها الاول في اول اغسطس (آب) ١٨٩٤ غير انها لم تعمر على هذا النمط اكثر من ثلاث سنوات ، انفرط بعدها عقد الشركة واستقل بها نجيب الحداد ، ثم نقلها الى القاهرة حيث اخرجها اسبوعية ادبية اجتماعية. وما لبث ان عاد الى الاسكندرية ونقل اليها « لسان العرب » وتابع كتابة مقالاته المدوية بها ..

وفي تلك الفترة انشأ نجيب الحداد وغالب طليمات جريدة يومية سياسية بالاسكندرية اسمها « السلام » . واخذ نجيب وامين الحداد ينشران بها المقالات والقصائد ..

ويؤرخ فيليب طرازي لجريدة « لسان العرب » في كتابه : « تاريخ الصحافة العربية » (ج ٤ ص ٢١٨) في قوله :

« كان لسان العرب من الصحف الحرة، المسموعة الكلمة . وقد جاهر بالحق في كل مباحثه ، وشد في بيان استبداد السلطان عبد الحميد داعيا اياه الى الانصاف في الرعية . فطارد السلطان هذه الصحيفة ، وحرج عليها الدخول الى البلاد العثمانية كي لا يقراها افراد الامة ، فيتنبهوا الى اعماله ، ويكونوا مع الاحرار يدا واحدة عليه . اما انشاؤها فهو في غاية الحسن والرشاقة والايجاز . وامتازت بفصاحة مقالاتها الافتتاحية على الخصوص . وازدان مطلع عددها الاول بقصيدة نظمها الشيخ امين الحداد حفيد الشيخناصيف اليازجي ، واحد اصحاب هذه الجريدة يخاطب بها الخديوي عباس الثاني :

ولما رأيت الشعر عندك أينعت ... رباه وفاحت عن ثناك ورودها
منحتكما من نبعة « يازجية » ... يرد لها المجد القديم جديدها
وان كانت الاسباب تمضي حدودها ... فمرهفها «حدادها» لا حديدها !

ولما قضت حال الصحافة الى تعطيل هذه الجريدة ، اصدرها اصحابها في القاهرة وحولوها من جريدة يومية الى اسبوعية . ثم اعيدت الى الاسكندرية ، ولم تتوقف عن النشر الا بوفاة صاحبها الاول الشيخ نجيب الحداد سنة ١٨٩٩ حتى اعادها عبده بدران في شهر سبتمبر ١٩٠٨ بدلا من جريدة الصباح » .

ومن طريف ما يروى عن انشاء هذه الجريدة « لسان العرب » وما كان يعترض الكتاب الوطنيين يومذاك في اصدار صحفهم من عقبات ، ما ذكره المرحوم الاستاذ صديق شيبوب في سياق مقالة له بجريدة « البصير » :

« اجتمع نجيب الحداد وشقيقه امين الحداد وعبده بدران على اصدار صحيفة ، بعد الاستقالة من الاهرام . وكان اول ما انصرف اليه اهتمامهم ان يفوزوا بامتياز الجريدة . فسافر سليمان الحداد ، والد نجيب وامين ، الى القاهرة ، واتصل برياض باشا ، فافهمه استحالة منح الامتياز . ولكنه اشار عليه باصدار الصحيفة بلا خوف من التبعة . ثم علم انه لا خوف من الحكومة اذا صدرت الجريدة باسم اجنبي ، فان خليل زينيه معه كتاب من الداخلية تقول له فيه : افتح مطبعة وجريدة باسم اجنبي ولا احد يعارضك على الاطلاق ! فسعوا للبحث عن حماية لنجيب او للعثور على اجنبي يرضى باعارة اسمه حتى عثروا على شيخ يسمى « فالو » كان صاحب مدرسة . ثم بحثوا عن المال فوجدوه بوساطة عبده بدران . وممن ساهم في ذلك بالمال سليمان اباظه باشا وقد مدحه نجيب الحداد باكثر من قصيدة وهي منشورة في ديوانه : « تذكار الصبا » وتكفل سابا باشا مدير عام مصلحة البريد بتسهيل شئون التوزيع ..»

وأسهم نجيب في العام الاخير من حياته في تحرير مجلة : « أنيس الجليس » الادبية الشهرية التي انشأتها بالاسكندريةالاديبة اللبنانية اسكندره نعمة الله خوري المشهورة باسم « الاميرةالكسندره افيرينو» وصدر عددها الاول في ٣١ يناير ١٨٩٨ .

وهكذا كانت الصحافة المهنة التي اتخذها الشاعر نجيبالحداد وسيلة للعيش ، ولكنها كانت ايضا المنبر الذي خاطب عليه جمهوره ونادى منه بآرائه .. وفي تلك الصحف والمجلات خلف الكثير من القصائد والمقالات جمع منها بعد وفاته نحو سبعين مقالة في كتاب : « منتخبات الشيخ نجيب الحداد » المطبوع بالاسكندرية عام ١٩٠٣ ثم اعيد طبعه عام ١٩٠٦ .

ويلاحظ المطلع اليوم على هذه المقالات المكتوبة في اواخر القرن التاسع عشر ان صاحبها كان سابقا لعصره في الدعوة الى اصطناع الحضارة الحديثة دون المساس بالعادات الشرقية السليمة ، ومن ذلك ترقية الصناعة والزراعة والتجارة ونشر العلم والتعليم ، وتربية الفتاة ، وانصاف العامل والخادم ، والقضاء على تجارة الرقيق ، وعلى الحروب والاستعمار ، والعمل على النهوض بالامم العربية وتضامنها ، كما يلاحظ ان اسلوب هذه المقالات يمتاز ببلاغة العبارة وصحة اللغة ، وبالسهولة والوضوح في التصوير وابراز الفكرة .. وقد وصف المنفلوطي صاحبه بقوله : « كاتب من احسن كتاب هذا العصر ، وشاعر من ارق شعرائه ، ومترجم من اقدر المترجمين على الترجمة السهلة الفصيحة السائغة » .. ونعته احمد حسن الزيات : « بالاديب الكبير ، والصحفي البارع والمترجم القدير .. » وقال عنه جورجي زيدان : « ويجوز عده من الصحافيين ولكن الشاعرية غالبة عليه ... »

ولقلما كانت تخلو احدى مقالاته السياسية او الاجتماعية او الادبية من دعوة الى اصلاح ناحية من المجتمع العربي الذي وجب ان يتساوى مع المجتمعات المتمدنية الاخرى .. فما كان في مقدور الانجليز ان يحتلوا الاقليم المصري عام ١٨٨٢ لو انه كان علىمستواهم الحضاري العلمي والصناعي والثقافي والدفاعي . وعلينا الا نصدق وعودهم في الجلاء العاجل ونحن على ما نحن عليه من تخلفوانقسام وجمود .. وهكذا تعاقبت حملاته في مقالات تحمل هذه العناوين : انكم تخدمون الانجليز .. الانجليز لا تقف في سبيلهم عقبة وهم عقبة في كل سبيل .. الجلاء عن مصر .. كيف يكون الاستقلال .. الحقيقة ومصر .. الوطنية .. الخ ..

وفي الوقت نفسه يدعو في نقداته الاجتماعية الى ما يراه من تخلف يحتاج الى اصلاح شامل في مثل هذه المقالات : الفنيوالفقير، صغار العمال ، الزواج ، الطلاق ، تربية البنات ، الشبيبة في مصر ، فتيان اليوم ، تربية المراة ، المراة والعلم ، المراة والولد ، الخادم والمخدوم ، ملجأ الفقراء ، انتقاء العروس ، الغيرة ، الحرب ، تجارة الرقيق ... الخ ..

ويعالج في موضوعاته الادبية : جرائد اليوم ، خمول الادب ، حقيقة الهمجية ، العلم والجرائم ، سارقة الرغيف ، لصوص الافكار ، كيف تعظم العقول ، خطرات افكار ، ساره برنار ... الخ..

هذا الى جانب ما كان يضمنه قصائده الوطنية والاجتماعية ومسرحياته من اشارات ناقدة هادفة ، ناقدة لمجتمع عصره في اواخر القرن التاسع عشر كما سلف .

ففي مقاله مثلا عن : « كيف يكون الاستقلال » يقول :

« .. وانما الاستقلال الحقيقي الذي تطمع فيه كل امة شرقية، وينبغي ان تقتدى فيه بكل امة غربية ، هو ان تستغني ببلادها عن بلاد سواها ، وبمصنوعات سكانها عن مصنوعات الاجانب عنها ، وبضروريات معاشها على الاقل عن جلب هذه الضروريات من غيرها ، حتى لا يكون الرجل منا اجنبي الظاهر في جميع حالاته بين ثيابه واثاثه وادواته ... »

وفي : « الانجليز عقبة في كل سبيل » يقول :

« ... فقد وجب علينا ابناء العرب من سكان هذا القطر اذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنا نريد منها الجلاء عنا وترك ربوعنا لنا ، وان لا تقف عقبة في سبيل حريتنا واستقلالنا ان نحاربها بالسلاح الذي حاربت به الدنيا، وملكت به اطراف المعمور ، وهو تمدن الاخلاق ، وانتفاء التعصب بين ديني وجنسي ، واتحاد الجميع على الخير والاصلاح ، والاخذ بأسباب العلم ، والرقي في مدارج الحكمة والعدل حتى نكون امة يحق ان يقال لها الامة العربية ، وحتى لا ندع لغيرنا سبيلا يقول لنا فيه انتم جماعة متفرقون ، تبعد بينكم المذاهب الدينية والجنسية، وحتى يمكن ان يشار الينا فيقال : هذه الامة العربية ، كما يقال الدولة الانجليزية . ولا يتوهمن قوم ان ذلك بعيد الحصول ... »

ويخاطب ارباب الصحف المتخاصمين في عهده :

« .. الا تدرون انكم بذلك تخدمون الانكليز وانتم لا تشعرون ؟ الا تعلمون ان المحتلين لم يفسحوا لكم هذه الحرية في جرائدكم الا لكي تصلوا الى هذا الحد المهيج وتجعلوا لهم به سببا للبقاء بينكم او اطالة الاحتلال عليكم ... ؟ »

وفي مقالة : « انكم تخدمون الانجليز » يقول :

« ... ولقد آنس الانكليز من ابنائنا هذه النية ، وعرفوا منهم خفايا تلك الضمائر والاقوال ، ورأوا انفسهم قد احتلوا مصر بقعة مخصبة وغنيمة باردة ، لا يروق لهم تركها ، ولا يرضون بوفاء وعودهم فيها ولو كانت تلك الوعود على رأس البنان .. فاحبوا ان يفتحوا للرعية المصرية ابواب شقاق ونفور ، ويمهدوا لهم آثار عصيان واضطراب ، تكون لهم حجة على البقاء ، وعذرا دائما في طول الاحتلال ، فاطلقوا الاهالي عنان الحرية بما لم تتعوده مصر من قبل ... وهم لا يريدون بذلك نفع مصر ، ولا يبغون تسكين البلاد تماما كما هو الظاهر من نتائج اعمالهم الى الان ... »

وكتب عام ١٨٩٦ مقالة بعنوان « الجلاء عن مصر » جاء بها :

« ... مضى على الاحتلال الانجليزي اربعة عشر عاما ... وقد اتى على الجرائد كل هذا الحين من الدهر وهي منقسمة فيه بين قائلة ببقائه وهي القليلة النادرة في هذا القطر ، وبين منادية بوجوب زواله وانقضائه وهي الكثيرة المستفيضة بين ايدي القراء ... »

ثم يتساءل : ولكن اين العمل الوطني على الاستقلال الاقتصادي الذي به تتحرر البلاد من التبعية ويقول :

« .. ولا يخفى ان كل بلاد متمدنة عامرة حرة انما تقوم بامور ثلاثة لا ندحة عنها لتمام العمران والحرية والاستقلال ، وهي الزراعة والتجارة والصناعة .. » . وبعد ان يقارن بين حال هذه الامور الثلاثة عندنا وبين حالها في البلاد المتمدنية ويرى ان التجارة عندنا كلها في يد الاجنبي ، يقول : « واذا اخذنا الصناعة اخيرا وهي رأس الحاجات واول الضروريات ، فهل نجد بين ايدينا منها اثرا مما هو للاجانب في بلادهم ؟ فأين معاملنا واين اختراعاتنا ومناسجنا واين مصانع الحديد والآلات عندنا ... ؟ »

وعن انصاف العامل الوطني : « ما ضر بعض الاغنياء الذين يجمعون المال اكداسا فوق اكداس .. لو اجرى بعضها في سبيل الاعمال ، واباحها موارد اشغال ، له وللعاملين وبابا للمكاسب والرزق الحلال ، وشارك امثاله في نعمة الله عليه فاكسبهم ولم يخسر وكان له الفضل في كل حال .؟ » (١)

وفي خلال عمله الصحفي كان نجيب الحداد لا يني عن الاسهام في الحركة المسرحية في عصره ، وكان من روادها سواء بوضع التمثيليات العربية ام بترجمة روائع المسرح الاوربي ، أم بنظم الاغانى والاناشيد المسرحية .. كما اسهم في الحركة القصصية بتأليف القصص وترجمتها .. وظهر له من التمثيليات والروايات ـ ما بين مؤلف ومترجم ـ نحو ثلاثين رواية .. واعانه على ذلك تبحره فى اللغتين العربية والفرنسية ، واطلاعه على ادبيهما القديم والحديث..

ولا شك ان تلك الحركة المسرحية العربية التي ظهرت بواكيرها بلبنان ومصر منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت فرقها التمثيلية تفد الى الاسكندرية ، فشهد بعض نواحيها منذ قدومه الى مصر طفلا عام ١٨٧٣ حتى وفاته عام ١٨٩٩ لا شك انها تركت اثرا عميقا في نفسه ، حرك مواهبه الادبية ، فاستجاب لهذا الاثر ونزل الى ذلك الميدان .. فهذه فرقة يعقوب صنوع (١٨٣٩ ـ ١٩١٢) التي بدأت عملها بمصر عام ١٨٧٠ وظلت عاملة حتى غضب الخديو اسماعيل على صاحبها ونفاه عام ١٨٧٨ .. وهذي فرقة سليم نقاش التي جاءت من لبنان الى الاسكندرية عام ١٨٧٦ ، واخذت تمثل مسرحيات مارون النقاش وسليم النقاش واديب اسحق ـ المؤلفة والمترجمة ـ حتى انتقلت الى يد الممثل يوسف الخياط لتحول سليم واديب الى الصحافة .. وهذه تمثيلية « المروءة والوفاء » الشعرية التي وضعها خليل اليازجي عام ١٨٧٦ حول قصة حنظلة والنعمان ، وكانت تمثل وتطبع غير مرة .. وكانت هناك فرق ابي خليل القباني، واسكندر فرح (١٨٩١) وسليمان القرداحي ، وكان الشيخ سلامه حجازي قد بدأ حياته المسرحية مع هاتين الفرقتين الاخيرتين قبل ان يستقل بفرقة خاصة عام ١٩٠٥ ، وعرفه نجيب الحداد يومذاك ..

ووضع نجيب الحداد من التمثيليات المؤلفة : روايات المهدي، وعمرو بن عدى ، والرجاء بعد اليأس ، وثارات العرب ، وصلاح الدين الايوبي (والاخيرة مع بعض الاقتباس) ..

وترجم عن موليير : البخيل ، والطبيب المرغم .. وعن كورني : السيد ، وسنا ، واديب .. وعن راسين : فيدر ، وبيرنيس.. وعن فولتير : زاير ، وقتل القيصر .. وعن شكسبير : روميو وجوليت (او شهداء الغرام).. وعن غيرهم ، حمدان ، وحلم الملوك ، وميلادي ، وعداوة الاخوين ، والرواية الشعرية .. وقد طبع هذه التمثيليات ويلاحظ عليها بعض التصرف في التعريب لمقتضى التمثيل والغناء ..

وكان نجيب الحداد ينظم القصائد والمقطعات الشعرية السهلة خلال تلك التمثيليات المؤلفة والترجمة والمقتبسة ، كيما تلحن وتنشد في سياق التمثيل ، كما جرت العادة في عصره ، اذ كان للغناء والطرب المقام الاول في نظر اهل ذلك العصر .. واشتهر الكثير من تلك القصائد التي كان يلحنها ويغنيها الشيخ سلامه حجازي ، كما سجل بعضها على اقراص « الفونوغراف » ، فكان الناس يحفظونها لبساطتها وينشدونها في كل مكان ولم تزل مشهورة ، ومن مثال ذلك القصيدة التي يغنيها روميو (سلامه حجازي) ومطلعها :

عليك سلام الله يا شبه من اهوى فياحبذا لوكنت تسمع لي في الهوى شكوى
اذن لشكا قلبي اليك غرامه وبثك ما يلقى من الوجد والبلوى

او القصيدة التي ينشدها روميو ايضا على قبر جوليت :

سلام على حسن يد الموت لم تكن لتمحو او يمحو هواه من القلب
جوليت ما هذا السكوت ولم اكن لاعهد فيك الصمت عني في قربي !

والقصيدة التي يغنيها وليم في تمثيلية « صلاح الدين الايوبي » ومطلعها :

ان كنت في الجيش ادعى صاحب العلم فانني في هواكم ادعى صاحب الالم
يا من تملكتم قلبي فكان لكم عبدا وكنت لهذا العبد من اطوع الخدم

وفي باب القصة الطويلة وضع نجيب الحداد رواية « غصن البان » ، وترجم عن الفرنسية عددا وافرا من الروايات منها : الفرسان الثلاثة ، وفرسان الليل ، وحديث ليلة ، وغرام وانتقام ، وغرام الاخوين ، وفضيحة العشاق ، والعاشقة المتنكرة .... وغيرها.

ويبدو ان اشتغاله بترجمة تلك الروايات المشهورة ، كان اساسا كاشتغاله بالصحافة ، مورد للرزق وهو من لم يكن له مورد اخر غير قلمه ، اما عمله الادبي الباقي بعده فهو شعره الوجداني والوطني ..

ويجمع النقاد على ان نجيب الحداد كان شاعرا اولا واخيرا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان شعره بعامة ، وشعره الوجداني بخاصة ، يضعه بين كبار شعراء عصره وكانوا يحتذون الشعر العربي القديم في فخامته وجزالته .. وكان هو من شعراء الاتباعية والابتداعية معا . ويتضح تأثره بالشعر العربي التقليدي الى جانب الشعر الفرنسي الحديث وبخاصة شعر لامرتين ودي موسيه وهوجو .. وكثيرا ما تطغى شاعريته على مقالاته الصحفية ورسائله الادبية وعلى قصصه وتمثيلياته ..

وتنوع شعره ما بين وطني واجتماعي ووجداني ، وخلف شعرا منظوما كثيرا كان ينشر بعضه في الصحف والمجلات ، واكثره يرصع به القصص والتمثيليات . ويهدي بعضه الاخر الى اصدقائه .. ولم يمهله الاجل . وقد مات في زهرة العمر لينشر ديوانه ، فجمعت صاحبة مجلة « انيس الجليس » ألكسندره افيرينو عددا من قصائده، وطبعته على نفقتها في ديوانه المسمى « تذكار الصبا » ثم ظهرت بالاسكندرية طبعة ثانية عام ١٩٠٥ .. وذيلت مجموعة مقالاته : « منتخبات نجيب الحداد » عام ١٩٠٣ بسبع قصائد له ، منها : مصر والمصريون ، تذكار مصر ، الحب والخمر ، القمار ، بدء الهوى ... كما تضمن الكتاب الذي ألفه الاستاذ عادل الغضبان عام ١٩٥٣ عن « الشيخ نجيب الحداد » نحو عشرين قصيدة منوعة الاغراض بعضها مما لم يرد في ديوانه .. ومع ذلك فلم يجمع بعد كل او جل شعره في ديوان شامل ..

ومن قصيدته : « مصر والمصريون » : (٢)

يا ارض مصر تحية وسلام ... وسقاك من صوب الغمام ركام
ارض اذا لم يعل في ارجائها ... علم فان كرامها اعلام
والشرق وجه يزدهي بجماله ... بشرا ومصر ثغره البسام

وفي قصيدة : « الشرق » :

ليس نيل العلى بصعب اذا ثا ... رت اليه حمية قعساء
نحن ابناؤها ومن نصر الآ ... باء تنصر بفضله الابناء
كلنا واحد لنا وطن فرد ... د وان عددت بنا الاسماء
انما نحن هيكل واختلاف الا ... سم وهم فكلنا اعضاء

ويتغنى بشاطىء الاسكندرية :

لله در البحر من مصور ... يصور الجسم جلي المنظر
ويظهر الاعضاء تحت المئزر ... كانها بارزة لم تستر
من اسود وابيض واحمر ... كالروض قد حلاه نور القمر
يبرده الشفاف فوق الزهر ... يظهره رسما وان لم يظهر

وفي الحنين الى لبنان :

قف في ربى لبنان بين وهاده ... واقرأ السلام لاهله وبلاده
جبل بأرض الشرق قام وفوقه ... قد قامت الاطواد من افراده
شوقي الى تلك الديار واهلها ... شوق المريد الى بلوغ مراده

وقد تحدث عن الحداد صديقه الاديب طانيوس عبده ، في ذيل ديوانه ، ومما قال : « اما صفاته فهو ربعة القامة ، حنطي اللون ، كثير التصور ، حاد الذهن ، سمح البديهة حتى انه قد يرتجل القصيدة الطويلة على نفس لا يقطعه . واذا اقترحت عليه الكتابة في موضوع فهو يسبق جنانه اللسان ، ويعدو قلمه البنان . وهو طاهر القلب ، عف الضمير ، مهذب الاخلاق ، لطيف المحاضرة، فصيح الكلام . فاذا تكلم انصتت اليه الاسماع ، وشربت حديثه العذب كل الطباع .. »

وكان العمل قد هد قواه واضناه ، فاصيب بذات الرئة ، ولم يمهله الداء طويلا وتوفي في ٩ من فبراير ١٨٩٩ غير متجاوز الثانية والثلاثين من العمر . ونعته الصحف يومذاك ورثاه الشعراء ، ومما جاء في مرثية صديقه خليل مطران :

اربأ بنفسك ان تكون نجيبا ... وازجر خليلك ان يكون أديبا
فلقد ارى موت الاديب حياته ... والعيش موتا يلتقيه ضروبا

ثم بدأ المؤرخون للادب العربي والصحافة العربية يترجمون لحياته ويدبجون المقالات عن جهاده وكتاباته ، وفي مقدمتهم جرجي زيدان ، ومارون عبود ، والاب لويس شيخو ، وحنا سركيس ... وغيرهم (٣)

٢ ـ الشيخ امين الحداد ١٨٦٨ ـ ١٩١٢

هو الكاتب الصحفي الشاعر أمين الحداد شقيق الشيخ نجيب الحداد ، وزميله في العمل والجهاد .. ومثله ربيب الاسرة اليازجية التي تنتسب اليها والدته ابنة الاديب العالم الشيخ ناصيف اليازجي.

وولد امين الحداد ببيروت ، لبنان ، في أواخر عام ١٨٦٨ لابيه الشاعر سليمان الحداد . ثم جاء الى الاسكندرية مع اسرته عام١٨٧٣ طفلا في الخامسة ، وتعلم في مدارسها ، وعمل بها مع اخيه في الصحافة منذ صباه . ولازمه حتى وفاته الباكرة عام ١٨٩٩ ثم تابع بعده كفاحه القلمي نحو ثلاثة عشر عاما .

وبدأ أمين الحداد حياته الصحفية عام ١٨٨٣ عاملا في صف الحروف بجريدة الاهرام في عهدها السكندري صبيا في الخامسة عشرة ، ثم انتقل الى هيئة تحريرها وظل بها اكثر من عشر سنوات يتمرس بفنون الصحافة والتحرير ... وفي عام ١٨٩٤ استقال من الاهرام مع اخيه نجيب وزميلهما عبده بدران ، وانشأوا جريدة « لسان العرب » اليومية التي صدر عددها الاول في اول اغسطس ١٨٩٤ حتى انفرط عقد هذه الشركة بعد ثلاث سنوات ، استقل بعدها نجيب الحداد باصدارها ونقلها الى القاهرة ادبية اسبوعية . ولكنه ما لبث ان أعادها الى الاسكندرية وواصل اصدارها حتى وفاته ، وكان أمين الحداد ينشر بها مقالاته وقصائده .

ثم كتب أمين الحداد بجريدة « السلام » التي اصدرها أخوه ، وبجريدة « الاتحاد المصري» (وكانت تصدر بالاسكندرية منذ عام.١٨٧) .. ثم بمجلة « انيس الجليس » التي أصدرت صاحبتها « الكسندره افيرينو » عددها الاول بالاسكندرية في٣١ يناير ١٨٩٨ وظلت تصدر حوالي عشر سنوات .. وكان أمين ينشر بها المقالات والقصائد ومعظمها بلا توقيع .. كما تولى ايضا التحرير منذ عام ١٨٩٩ بجريدة «البصير» (التي انشأها رشيد شميل بالاسكندرية عام ١٨٩٧) وكا نيعمل بهذه الصحيفة حتى وفاته يكتب الافتتاحيات وغيرها باسلوب عربي رصين..

وكتب أمين الحداد عام ١٩٠٥ في مذكراته المنشورة بكتابه المجموع بعد وفاته « منتخبات أمين الحداد » :

« انا الان في نحو السابعة والثلاثين من عمري . وصناعتي الانشاء والتحرير في جريدة « البصير » ومجلة « أنيس الجليس ». ولكني أكتب في كليهما بدون توقيع . وانني شاعر أيضا ، والشاعر ضنين بمجده ، مفتون بكلامه . ولكني مع كل هذا اتعمد ذلك الخلق بالتساهل فلا أوقع على نظمي بل أهبه لسواي كثيرا ولو كان جيدا أشرق به . وانما أفعل هذا في مجلة « انيس الجليس » خاصة لان صاحبتها هي « ألكسندرا أفرينو » وهي امرأة بارعة الجمال . ولكن ليس لجمالها سلطان علي بالاطلاق . بل أهبها ذلك في نظير ما تهبه من اجرة ، وفي

---

(١) هذه الفقرات من مقالات نجيب الحداد بكتابه « المنتخبات» ط ـ ١ ـ ١٩٠٣ (٢) الابيات من ديوان « تذكار الصبا » لنجيب الحداد وقصائد المنتخبات (٣) جرجي زيدان : « تراجم مشاهير الشرق » ج ٣ و « تاريخ اداب اللغة العربية » جـ٤.. و « رواد النهضة الحديثة » لمارون عبود.. و « الاداب العربية في القرن التاسع عشر » للاب لويس شيخو ج ٢.. و « الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية» لعيسى اسكندر المعلوف .. و « تاريخ الادب العربي » لاحمد حسن الزيات ص ٤١٩ .. ومقالة لحنا سركيس في ذيل ديوان الحداد .. ومعجم سركيس حرف الحاء .. ومقالة لطانيوس عبده في ذيل ديوان الحداد .. وكتاب « الشيخ نجيب الحداد » لعادل الغضبان ١٩٥٣..

يلح علي الشوق

●

ألانشد مـــا القاه من ألـــم البعد ... بنائيـــة قفـــراء عاثـــرة الجـد
وحل حباه الجهل فـــي عرصاتها ... فضل بها الساري وضاع بها الكعدي
فما في حماها صاحب ذو حميـــة ... ولا سكن صدق يخفف مـن وجدي
وكيف يلذ العيش للشاعر الـــذي ... يعـــيش غريبا في مهامهها الربـد
وعنـدي ابـــاء لا يلـــين لغامـز ... تحـدى اديبـا عاش في قمم المجد
وما مرضت لـي فـي المطالب همة ... ترى العيش كل العيش في شرف القصد
نأيت عـــن المدن العواصم مؤثـرا ... عليها حياة البرمـع عيشة الزهـد
حيـــاة مضاضات تمـــد رواقهـا ... علـــي فالقاها بتسبيحة الحمـــد
فكم من نـــاد قـــد تحملت باسما ... طروبا بحزني لا أعيـد ولا ابـــدي
وعودت نفسي ترك مـــا كان شائكا ... ورحت اغني في شقائي وفي سعدي
هـــو الكون لا تعتب عليه فانـــه ... ليأخذ احيانـــا ويعطي بـــلا عـد
تركت الدنايا خلف ظهري محلقـــا ... باحلامي الخضراء في رفرف الخلـد
وهل انـــا الا شاعر كـــده النوى ... بعيدا عن الاوطان مضطرب المهـــد
تهاجمني الادواء مـــن كـل جانب ... فاضحك ضحك السخر من زمني الرغد
فقد كـــان احرى ان اعيش بموطني ... بلبنان مهد العز والعيشة الرغـــد
يلح علي الشوق فـــي كـل ساعة ... ألا ارجع نحو ارضك يـــا كعـدي
ففي الارز اصحاب اذا مـا ذكرتهم ... ذكرت صباي الفض في المربع النجد
ومم أزدهى نفسي وهز حماسهـــا ... جنائن في «صنين» دانية الرفـد
نتـوق لمرآهـــا ونشـم زهورهـــا ... وقيلولة تحت الصنوبـر والرنـــد
فتصدمنـــا الايام صدمة نـاقـــم ... فنحيا على ذكرى المواطن في البعـد

لاباز ـ بوليفيا

جورج كعدي

نظير ما ينبغي من الرجل للمرأة . اما دل ســـلطانها لدي فلشدة ائتلافي بها الى حد الاخوة ، ولكوني شغل شاغل عن الحسن مـن خلقي ومن همومي ونيلي في دنياي أقل من استحقاقي .. »

وأمن على هذا صديقه حنا سركيس في مقدمة هذه «المنتخبات »

«.. فقد ذكر عند كلامه عن « أنيس الجليس » انه كان يكتـب في نظير الاجرة التي كان يتناولها . وهو قول وان كان صحيحا ،ولكن الاصح منه ان وفاءه الشديد لصاحبة الانيس ، وبقاءه على خدمتهـا الى اخر ايامه انما كان من قبيل الاعتراف بالجميل الذي صنعته مع أخيه نجيب أيام اعتلاله وموته.. »

وأصيب أمين الحداد في اواخر حياته بعلة في الكبد ، فســـافر الى لبنان في صيف ١٩١٢ للاستشفاء ولكن المنية عاجلته هـــناك ، وتوفي في ٥ من اغسطس (اب) ١٩١٢ .

وخلف امين الحداد اثارا ادبية كثيرة من شعر ومقالات وقصص ـ ما زال معظمها مشتتا في الصحف والمجلات السالفة الذكر ـ اذ كان زاهدا في شؤون الدنيا ، قليل الاكتراث بحفظ اثاره . وقيـل انه جمع يوما ديوان شعره ولم يطبعه ، فوقع بعد وفاته بين يـــدي من أضاعه فلم يطبع للان ..

وكان قد طبع له عام ١٩٠٧ رواية « هملت » التي ترجمـــها عن شكسبير ..

وجمع بعض أصدقائه عددا من مقالاته المنشورة في الصحف ، وطبعها بالاسكندرية عام ١٩١٣.

وكان أمين الحداد كأخيه نجيب شديد الوفاء للعروبة ، ولوطنه الثاني مصر ، مهتما باصلاح الحياة الاجتماعية في عصره ، داعيـــا الى تحرير الامم العربية كافة من ربقة الاستعمار ، والى الحريـــة الاجتماعية والفكرية .

الاسكندرية

نقولا يوسف

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد علي الطاهر - الشيخ فهمي هاشم

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ محمد علي الطـاهر

من أمتع ساعات العمر واشهاها أن يسجل المؤرخ المنصف سير اعلام لمعوا في سماء الفكـــر والادب بريشة التجرد والنزاهة . ومن ابرز أماني المحقق المحايد أن يطري جهاد الوطني الجريء محمد علي الطاهر ويصور العذاب الـذي اكتوى بناره في سبيل عقيدته ، ويشيد بالصعاب التي واجهها طيلة عمله الشاق الشائك في الحقل القومي .

ولد « أبو الحسن » في نابلس عام ١٨٩٦ وتـلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في مدارسها الاميرية ، وفي الحرب العالمية الاولى أودع معتقل الجيزة عام ١٩١٥ وظل يبلو الشدائد في معتقله حتى وضعت الحرب العـالمية أوزارهـا .

وبعد زوال شبح الحرب الكبرى عاد الى فلسطين ليعمل في بلاده لكن ظلم الانكليز حمله على الهجرة لمصر، دارة الاحرار ، ليشرح ظلامة فلسطين وليكشف عن الخوايا الخبيثة التي يضمرها المستعمر لتهويد البلاد المقدسة وطرد أصحابها الشرعيين منها وقـذفهم الى الصحراء حطابين وسقاة ماء !

وليتمكن من مناجزة الخصم الغشوم نال امتيـازا باسم جريدة « الشورى » وصدر العدد الاول منها فى القاهرة بتاريخ ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤ فكانـت هذه الصحيفة وبالا على الاستعماروزبانيته وجريدة العالمين الاسلامي والعربي ولسان الثورة السورية في آفاق الارض حين كانت صحف سورية ولبنان مكممة خائفة من فرنسا، لكن المستعمرين تنبهوا لهذه الصحيفة الخطرة فحاربوها سرا وجهرا ومنعوا دخولها الاقطـار العربية والاسلامية الواقعة تحت النفوذ البريطاني والفرنسي والايطالي .

وتغلبا على منع جريدته ومصادرة اعدادها عمد الى اصدار « الشورى » باسماء اخرى منها : « الرقيـب » « المنهاج » « الناس » « الجديد » « الشباب » « العلم المصري » . ولم يكن هذا الوطني المؤمن في جهاده مقتصرا على قضيتي فلسطين ومصر بل تجاوز التخوم الى الدفاع بحرارة عن قضايا العالمين العربي والاســـلامي . وقبل اصدار « الشـــورى » وبعده نشر عشرات المقالات في صحف البلاد العربية والمهجر دفاعا عن وطنه المغصوب وامته المشردة !

وفي الحرب العالمية الثـانية جـــمدت السلطات البريطانية في مصر نشاطه بداعي نشوب حـرب كبرى فاحس بالشر المبيت له وأوقف من توه جريدة « العـلم المصري » التي أصدرها بدلا من « الشورى» وحل «اللجنة الفلسطينية » وكف عن نشاطه السياسي ! لكن الانكليـز طلبوا من علي ماهر باشا رئيس الوزارة المصرية في ذلك الحين اعتقال الطاهر وسجنه لكن « ماهرا » رفض طلبهم فحنقوا عليه واسقطوا وزارته وعهدوا بتأليفها الى حسين صبري باشا .

وبعد أن عطلت السلطات المصرية « الشورى » أصدر جريدة « الجديد » لصاحبها المرحوم الدكتور محمـود عزمي فبادرت السلطات المسؤولة الى تعطيلها فأصـدر بدلا منها مجلة « الشباب » لصاحبها الدكتور محمود عزمي لكن السلطات المصرية عاجلتها بالتعطيل . وتدليلا على شمم « الجيل القديم » واريحيته اسجل للتاريخ نـص الرسالة التي وجهها الدكتور عزمي الى صاحب «الشورى» متنازلا عن امتياز «الشباب» وقبلها « الجديد » :

القاهرة في ٢٣ يناير ١٩٣٧

أخي وعزيزي الاستاذ محمد علي الطاهر

ما أشبه الليلة بالبارحة ! في سنة ١٩٢٦ حيـل بينك وبين اصدار جريدتك الجريئة الصادقة «الشورى» وكان « الجديد » لي فقدمته لك تصدره كما تشاء حتى لا يسكت صوتك المدافع عن الحقوق العربية جميعا . واليوم يحال دون استئناف جهادك بالامتنـــاع عن استئناف التصريح لك باصدار « الشورى » ولدي مجلة «الشباب» فأبادر بتقديمها اليك تصدرها وتشرف على تحريرهـا وادارتها بمطلق حريتك دفاعا عن الحقوق العربية التـي تعرف قدر شغفي بتأييدها وتدعيمها وبمطلق تصرفـك فيما يتصل بايراداتها ومصروفاتها ، راجيا أن اسـاهم بهذا بعض المساهمة في نصرة القضية العربية الكبرى . وفي طي هذا كتابان احدهما لمصلحة الصحافة والنـشر والثقافة وثانيهما لمصلحة البريد متصلان بتنفيذ وضعي « الشباب » تحت تصرفك أرجو أن تتفضل بابلاغهما الى جهتي الاختصاص .

وعد يا (أبا الحسن) الى جهادك الصحفي المقـدور في سبيل العروبة والحرية والسلام عليك ورحمة الله ، المخلص : (محمود عزمي) ، ،

وبعد ان اصدر الاستاذ الطاهر جريدة « الشباب » هنأه الشاعر الكبير ابراهيم الدباغ بالابيات التالية :

وسانحة لقيت بهـا ارتياحـا ... وقـد بعثت الـى قلبي الحبورا
وطار من المسـرة كـل قلـب ... ومـا امسكت قلبـي ان يطيرا
بدا في عالم الصحف انقـلاب ... كبير يخلـب العقـل الكبيـرا
لقد وعظ الزمان بهـا والقـى ... دروسـا ثـم دونهـا سطـورا
« ابا الحسن » انتصفت وقد امنا ... بعدل الحكم ، بعـدك ان يجـورا
وازرى بالصحائف مـا شهدنـا ... وبات القوم في القطرين بـورا

تسجل كل حادثة بطبل وتسمعنا على الطبل (الزمورا)
وغيرك من يزاولها ابتذالا وينطق ماجنا وينحط زورا
اذا الاشياخ بالامر استبدوا أهبنا... بالشباب فعاد (شورى) !

في خريف عام ١٩٤٠ أوعزت السلطات البريطانية في مصر بالقبض على محمد علي الطاهر وحجزه ، وفي ١٤ نيسان ١٩٤١ ارتدى لباس (ابن البلد) وغافل الحرس متنكرا وهرب من مستشفى السجن واختفى حوال السنة، متنقلا بين المنصورة وطنطا ودمنهور والاسكندرية ودمياط والسويس . واخيرا استقر في المنصورة وسكن غرفة في حي قديم باسم « محمد الناجي » وطبع بطاقات باسمه الجديد . وفي سمنور اتخذ اسما اخر هو « يعقوب البخاري ».

وفي ٥ شباط ١٩٤٢ حمل الانكليز الملك فاروق على اقالة حكومة سري باشا وعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف وزارة جديدة ، ونظرا للعلاقات الطيبة التي كانت تربط صاحب «الشورى» بالنحاس باشا وبالدكتور محمد صلاح الدين بك سكرتير عام مجلس الوزراء بارح محطة المنصورة بالقطار عن طريق طنطا وبلغ ميدان باب الحديد بالقاهرة بزي صعيدي ونزل بفندق مجاور لسوق السمك ينزل به فقراء الصعايدة وسجل اسمه في دفتر الفندق باسم « محمد ناصر ـ تاجر غلال من كفر الغاب بمركز شربين » .

وبعد أن نفض عن جلابيته غبار السفر نزع العمامة عن راسه وفك حزامه ، وكان في الاصل كوفية ، وسحب من عبه عقالا جعله فوق الكوفية والقى عباءة عتيقة على كتفه ورباطا على عينه اليسرى وتوجه الى باب الحديد بزي بدوي وامتطى سيارة اجرة فخمة وصل بها الى بيت قريب له في حي السكاكيني وهناك أخذ عباءة اصفهانية فخمة كان اودعها دار قريبه واستأنف سيره الى دار رئاسة الوزراء ودخلها بشكل امير عربي ذي شأن ... وهنا وقف الحراس وادوا التحية للامير الخطير. واغتنم « أبو الحسن » هذا الموقف فصعد الدرج المؤدي الى مكتب رئيس الوزراء ومكاتب السكرتيرية وأوهم رئيس حجاب دار الرئاسة انه على موعد مع صديقه الحميم الدكتور محمد صلاح الدين بك سكرتير عام مجلس الوزراء لكن رئيس الحجاب اجاب الامير العربي بان الدكتور محمد صلاح مريض منذ امس ، فرد الامير ـ الطاهر بقوله : « ان الدكتور سيأتي لمقابلتي بالرغم من مرضه أو انه كلف أحد مساعديه بانتظاري !».

ولما بلغ الاستاذ الطاهر الطابق الاعلى وأشرف على البهو الكبير الذي تقع فيه مكاتب الرياسة كان رئيس الحجاب لا يزال بجانبه وهو يصعد معه كتفا الى كتف تقريبا ، ولما رأى الحرس والحجاب رئيسهم يزامل الضيف بتواضع وهو يصعد متأخرا عنه بمسافة درجة ظنوا انه يعرف مكانة الامير ، فلم يسعهم الا الوقوف واداء التحية العسكرية ، فاجابهم عنها بحركة بطيئة متزنة ووقف في آخر البهو وطلب من رئيس الحجاب أن يستأذن له بالدخول على مساعد الدكتور محمد صلاح الدين، ولم يكن الاستئذان غرضه ، بل قصد من ذلك أن يفتح له اي باب ليدخل ويبتعد عن عيون الشرطة والحرس ولاسيما ان النحاس باشا رئيس الوزراء يوشك أن يصل وامامه حرسه المسلح ومعظمه من رجال البوليس السري، ولما فتح رئيس الحجاب الباب القريب اقتحم الاستاذ الطاهر الغرفة فوجد موظفا لا يعرفه فعاجله بقوله : « انني على موعد مع الدكتور محمد صلاح الدين بك ! » فوقف الموظف وقال: « انه مريض وأنا سكرتيره الخاص !» فقال الطاهر: «اريد مقابلة نائبه ! » فقال : « انه شقيقه الدكتور ابراهيم عزالدين ! » ومشى النائب الى مكتب النائب مصحوبا بالامير العربي ثم فتح بابا ادى الى غرفة واسعة يجلس في ركن منها بعض الاشخاص ، فطلب الطاهر محادثة الدكتور ابراهيم عزالدين فنهض من بينهم شاب لطيف الشمائل وقال : « انا هو » فأجابه الامير : « كنت اود الاجتماع بشقيقك ولكنه لم يأت بسبب مرضه ، فهل لك ان تستقبلني نيابة عنه وان نكون وحدنا ؟» وهنا نهض الزوار وغادروا الغرفة . ولما اصبحا وحيدين رجا الطاهر الدكتور ابراهيم ان يمنع دخول أحد لمدة عشر دقائق وصارحه بقوله : « لست شيخا عربيا كما تراني ... بل أنا افندي متنكر واسمي (فلان) ومهنتي (كذا) وانا صديق لشقيقك الدكتور محمد صلاح الدين بك الذي مرض اليوم لسوء حظي ، ورجائي ان تقوم انت بما كان شقيقك ان يقوم به من اجلي !» فأبدى الدكتور ابراهيم استعدادا لمساعدته .

وهنا صارحه الاستاذ الطاهر بهربه من السجن وقدومه الى رئاسة الوزراء ليسلم نفسه الى رئيس الوزراء، ورجاه الذهاب الى النحاس باشا حالما يصل الى مكتبه ويخبره بالامر ، والاذن منه بالدخول عليه قبل ان يجتمع بالصحفيين ويلقي خطابه السياسي في المذياع .

هب الدكتور ابراهيم الى مكتب أمين عثمان باشا وكشف له عن حقيقة اللاجيء ثم عاد الى الاستاذ الطاهر وقاده الى مكتب أمين عثمان فقابله هذا بابتسامة لطيفة. وقص عليه صاحب «الشورى» قصته بايجاز وما لبث أمين عثمان ان دخل على النحاس باشا وروى له ما وقع ... فقال النحاس : « أين هو الاستاذ الطاهر الان ؟» وهنا اقتحم الطاهر مكتب النحاس واحتضنه وقبله وهو يضحك مندهشا وقال لرفعته : « انني آت لاسلم نفسي الى الزعيم المجاهد لا الى رئيس الوزراء ، وأما اسلافك الذين كانوا على هذا الكرسي فكنت أفر منهم !» فرحب به النحاس باشا وطيب خاطره بكلمات رقيقة وطلب اليه التزام الهدوء ، وكلف أمين عثمان باشا الاتصال بالجهات المختصة وابلاغها ان النحاس باشا أطلق سراح الاستاذ

الطاهر وسيخرج الى بيته حرا طليقـــا ، وان اعترض خصومه على هذا الاجراء فقل لهم انني لا استطيع وضعه في السجن ، بل سآخذه الى بيـــتي فينام عندي وفي الصباح اجيء به معي الى رياسة الوزراء فيقضي سحابة يومه فيها ، وهكذا كل يوم ، فليختاروا احد الامرين !

ابلغ امين عثمان الحاكمين من وراء الستار رغبـة النحاس باشا فأسقط في أيديهم وعاد الاستاذ الطـاهر الى عشه آمنا مطمئنا .

وفي شهر تموز ١٩٤٩ اصدر ابراهيم عبدالهادي باشا بوصفه رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام أمرا عسكريا باعتقال الاستاذ الطاهر وايداعه معتقل هاكستب البريطاني القائم في صحراء السويس . وفي ١٠ اغسطس ١٩٤٩ أصدر حسين سري باشا رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام امرا بالافراج عنه فغادر المعتقل واسلاكه الشائكة الى منزله بالقاهرة .

وفي شهر نيسان ١٩٥٥ غادر صاحب «الشورى» مصر الى بيروت بعد أن عاش في القاهرة ٤٠ عاما تخللها عذاب وجهاد وصراع مع الاستعمار واعوانه ، وســجون واعتقالات ونعمى وبؤس مع تنكر وتجهم من اقرب النـاس واعزهم ومن أسواهم واشرهم .

من آثاره القلمية :

١ ــ نظرات الشورى : ظهر هذا الكتاب في حزيران ١٩٣٢ في ٢٧٠ صفحة وهو فصول وملاحظات وخواطر عن العالم الاسلامي واحواله ومجريات الحالة في فلسطين في تلك الايام .

٢ ــ ذكرى الامير شكيب ارسلان : ظهر هذا الكتاب في تموز ١٩٤٧ في ٥٥٠ صفحة وهو يضم وصفا وفاة فقيد العرب الكبير وصداهـــا في انحاء العالم العربي وحفلات التأبين في المشرق والمغرب واقوال الصـــحف والمجلات ومراثي الكتاب والشعراء .

٣ ــ اوراق مجموعة : ظهر هذا الكتاب في نيسان ١٩٤٨ في ٥٢٠ صفحة وفيه يصف حالة فلسطين قبيـل أن يتخلى « المنقذون » عنها وكيف كان أهلها يستبسلون في الدفاع عنها مع تصوير اجمالي لفظائع الانكليز وغـدر اليهود .

٤ ــ معتقل هاكستب : ظهر هذا الكتاب في عـام ١٩٥٠ في ٧٠٠ صفحة وهو يضم وصفا لاعتقال صاحب « الشوري » للمرة الثالثة مع اخبار واسرار نكبات الوطن العربي ونكبة فلسطين واسبابها .

٥ ــ ظلام السجن : ظهر هذا الكتاب في عـــام ١٩٥١ في ٩٠٠ وهو يضم مذكرات عن حياة السجن الذي كان فيه المؤلف عام ١٩٤٠ مع وصف حالة الهارب مـــن السجون وبطش الظالمين من اجانب وعرب ونظرات فـي حالة العالم الاسلامي ودنيا العرب والاشارة الى المسؤولين عن النكبة الفلسطينية .

٢ ــ الشيخ فهمي هاشم

ولد في نابلس عـــام ١٨٩١ وأتم دراسته الابتدائيـــة والاعدادية في المدارس الحكومية وفي عام ١٩٠٨ التحق بالازهر الشريف وكان شيخه عهد ذاك الشيخ سليـم البشري ، وامضى فيه ست سنوات . ومن الاساتذة الذين درس عليهم الشيخ عبد المجيد سليم وزكي مبارك ومحمود خطاب وتوفيق الصعيدي ويوسف الدجوي .

وخلال دراسته في الازهر قرض الشعر واقتصر في منظومه على الدعابات والاخوانيات ، وقبيل الحرب العالمية الاولى عاد الى نابلس لقضاء العطلة الصيفية غير ان نشوب الحرب العالمية الكبرى حال دون عودته الى الازهر ليستكمل دراسته ، فدعي الى الجندية وانخرط في سلك الضباط وكانت دمشق مقر عمله .

وبعد خدمة قصيرة أحس بان العمل العسكري شاق ومضن فتوسل الى المسؤولين في الدائرة العسكريـــة بدمشق ليعود الى نابلس فاستجابوا لمطلبه وقصد مسقط رأسه وعين مدرسا في المدرسة الاعدادية وبذلك اعفي من الجندية .

وتلفت الشيخ فهمي الى طريقة تدريس اللغة العربية فوجدها قديمة العهد معقدة الاسلوب فسعى الى اصلاحها وادخال الطرق الحديثة اليها فكتب له النجاح وتخـرج على يديه فوج كبير من مثقفي نابلس .

وفي نهاية الحرب العالمية الاولى فكر نفر من شبان نابلس الواعين بتأسيس مدرسة وطنية فكانت « مدرسة النجاح » التي نمت وترعرعت واصبحت اليوم « كليـة النجاح » وفيها امضى الشيخ فهمي مدة عشر سنوات استاذا للعربية وادابها . وفي فترة عمله بـ « النجـاح » عين استاذا للعربية في « دار المعلمين » بالقدس لكنه آثر البقاء في مسقط رأسه ليؤدي رسالته للعلم في صـرح « النجاح » بوصفه مؤسسا ومدرسا .

الى الاردن : وفي أعقاب عام ١٩٢٨ قصد عمـــان عاصمة الاردن وعين استاذا للعربية في ثانويتها وامضى فيها سنتين وفي عام ١٩٣١ نقل الى سلك القضاء الشرعي وعين قاضيا شرعيا في مدينة الكرك وتنقل في عدة مـدن اردنية . ولما كانت المحاكم الشرعية في ذلك العهد خـلوا من مفتش يسهر على شؤونها سعى لدى المفوض له الامير عبدالله بن الحسين لاحداث وظيفة «مدير المحاكم الشرعية» فتحقق مطلبه وانتخب ليشغل هذا المركز .

وفي عام ١٩٤٥ شكل المرحوم سمير باشا الرفاعي الوزارة في الاردن فانتخب سماحته قاضيا للقضاة ووزيرا للمعارف . وفي عام ١٩٤٦ شكل المرحوم ابراهيم باشـا هاشم الوزارة الاردنية فانتخب سماحته قاضيا للقضاة ووزيرا للمعارف ، وخلال استيزاره هذ طرأ تعديل اذ عين سماحته قاضيا للقضاة ووزيرا للعدلية وخلفه فـي

وزارة المعارف محمد باشا الشريقي.

وفي عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ استقال المرحوم ابراهيم باشا هاشم من رئاسة الوزراء فعين سماحة الشيخ فهمي وزيرا مفوضا ومندوبا فوق العادة لدى البلاط السعودي وامضى في عمله هذا قرابة عامين . ولخلاف طرأ بينه وبين المسؤولين في الاردن تخلى عن عمله السياسي هذا ولجأ الى القاهرة وأمضى فيها ١٥ عاما الى حين صدور قانون العفو العام (١٩٦٥) فعاد الى العاصمةالاردنية.

نموذج من شعره : خلال الحرب العالمية الاولى كان سماحته استاذا للعربية في اعدادية نابلس ، وذات يوم دعا « يوسف ضياء » متصرف المدينة الى تشكيل لجنة لمساعدة الفقراء والمحتاجين فألقى سماحته في تلك المناسبة قصيدة عامرة منها الابيات التالية :

هو الفقر ان انحى على منيحاربه ... فقد علقت فيه سريعا مخالبه
فويل لمن اضحى فريسة فقره ... مسالكه مسدودة ومساربه
اذا رام كسبا فيه بعض رجائه ... فهيهات شغل فيه تنمو مكاسبه
وان لزم البيت استفاث صغاره ... وقام اليه كل طفل يجاذبه
فهذا عليه البؤس في كل لحظة ... يلوح وهذا اصفر اللون شاحبه
وذاك ضعيف ليس يدري لجوعه ... أفي القلب نار ام هناك عقاربه ؟
افي الحق ان يهنا الغني بعيشه ... ويحرم رب الفقر والفقر طالبه ؟
افي الحق ان يطوي الفقير لياليا ... يموت ويحيا والهلاك يواثبه ؟
لقد هاج جيش الجوعفي كل موطن ... وماج وحطت في البيوت ركائبه
واقبل يستل النفوس بقسوة ... فأين لنا قوم كرام تحاربه !
أجل قام فينا من ندين لشكره ... همام عظيم في البرية جانبه
وألف جمعا بات طوع بنانه ... ليدفع فقرا ليس تحصى كتائبه !
فذاك ابي فيه نفس رحيمة ... وشهم كريم زينته مناقبه
لتهنا جموع البائسين بـ «يوسف ضياء» العالي فائضات مواهبه

ويوم كان سماحته يطلب العلم في مصر ، وهو في سن العشرين ، لقي في أحد شوارع القاهرة سيدة جميلة تغطي وجهها بـ « اليشمك » ولها عينانسوداوان جارحة الاهداب ... فهتف من توه :

لما رأت ان العيون تقيدت ... بجمالها ودلالها اعجابا
اخذت من الصبح المضيء بياضه ... فكست به شفق الخدود نقابا !

وابان عمل سماحته استاذا للعربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس والعسف البريطاني يسود فلسطين القى سماحته قصيدة في حفلة قومية دعت اليها المدرسة ومن قوله :

اقسم الشرق لن يعيش مضاما ... وأباها الا الحياة مراما
زعم الغرب اننا قد ضعفنا ... ووجدنا تفرقا وانقساما !
كذب الغرب اننا قد نهضنا ... وجعلنا شعارنا الاعتزاما
كل يوم نرى من الغرب صنعا ... مؤلما يفيض فينا الوئاما
أترانا نهون او نتوانى ... بعد ضعف العداة عاما فعاما ؟!
ايها الشرق انت والله اعلى ... همة اذا ادرعت اهتماما
أيها الشرق لا ترع لعدو ... وتجلد ولا تكن نواما !

ولسماحته قصيدة عذبة الابيات يخاطب بها فتاة عربية أشجاها اختلاف قومها وتفسخ وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، ومن المؤسف ان هذه القصيدة فقدت من قمطر اوراقي لكن الذاكرة وعت هذه الابيات :

ضاق صدري ذات يوم واكتاب ... وعلاني منه هم ونصب
قلت : أمشي علني انفي الكرب ... واسري ما بنفسي من تعب
فتمشيت وهمي ما عزب
يا رعاها الله اوقات الصباح ... حيث اشجاني من الطير الصياح
وكؤوس الزهر اضحت في انفتاح ... وتبدى النشر منها والاقاح
باسما يفتر عن مثل الحبب
حملتني جهة الشرق القدم ... فبدا الاردن براق الديم
حوله الاعشاب ترنو من امم ... ومياه النهر كانت في هرب
..... (؟)
حان مني عند شاطيه التفات ... واذا بي ناظر ثم فتاة
ترسل العبرات اثر العبرات ... من عيون مضها بؤس الحياة
وهي خود ذات مجد وحسب
قلت : ما يبكيك يا ذات القناع ؟ ... ولماذا كل هذا الالتياع ؟
فاجابت بعد لأي وامتناع : ... ابكي مجدا كان للاباء ضاع
مجد قومي الفر سادات العرب
أبكي ما قد كان بالاندلس ... من مفان تفتدى بالانفس
وريـاض كقدود ميس ... وعيون فاتنات نعس
..... (؟)
قلت لا تبكين يا بنت الكرام ... سيريك العرب افعالا عظام
ان قوما انت منهم لا يضام ... فعلينا النوم يا هذي حرام
او نعيدن مجدنا نحن العرب
فاطمئني ثم قري الاعينا ... يا فتاة العرب يا ذات السنا
سوف نحيي المجد في هذي الدنى ... . (؟)
ويرد العرب حقا مغتصب !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

الغربـاء

هكذا قضي علينا
ان نهيم في مدينة الضجر
نتسكع فوق الارصفة البلهاء
يشلنا البوار والدوار
تمضغنا التفاهة ، يجترنا الكساد
ندحرج خطانا ، نجرها بلا هدف
نصافح الاخرين ، نحس بالصقيع
مات من قلوبنا الطموح
كأننا الدجاج ... نأوى مع المساء
همنا الطعام والشراب .
نملأ البطون ، بلا ارتواء
نشرب المحلى من المياه
بينما رغابنا مهيضة الجناح
تموت في الصدور ، ممعوسة الجباه
لعينة ، غريبة ، مجهولة النجار .

اللاذقية

عيسى فتوح

أعود الى نفسي الانسان

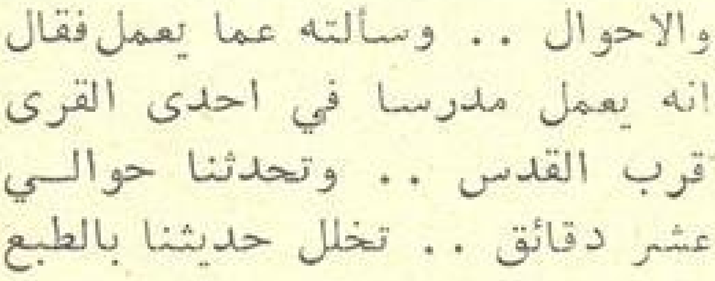
... وتدق .. تدق على بابي
دقات .. في صمت الايام ،
في ليل حياتي تدهمني
وهناك بشباكي الاحزان ..
تتشابك .. من خلف القضبان !
والعمر معي ...
لا عمر معي !!
وحياتي .. لا أدري ..
أشجان ،
وتدق .. تدق وترعبني
وأحاول عبثا .. لا جدوى
وأحاول .. من طي النسيان ..
أن أفتح أجفان عيوني ..
أتململ .. في حضن الاحزان ،
وأعود .. كأني ..
لا عينان ...
لا ذكرى ..
لا لست بانسان !!
وتدق .. تدق وتفزعني
وأزيح بوهن يسحقني
وأحرك .. أغطية الماضي ..
أغطية .. كومها السجان !
وهبـاء ..
تضيع محاولتي ..
وكأن الدنيا .. هي صمتي
هي قطعة صلب .. أو ثلج ..
في قطب .. عافته الغربان !
وأنا أتجمد ..
قد جمدت اوصالي ..
من ماضي الازمان ،
واذا ما عادت لي الدقات
وبلحظة صحو .. أو لحظات
أتساءل ..
أتراني انسان !!
وتدق .. تدق بلا وجل
بأصابع قدر أعرفه ..
بأظافر قلق .. في تحنان !
وأكاد أالم أطرافي
وأكاد .. أقوم الى بابي
في شوق يشمخ في الوجدان ،
اثقال تغضب .. تصفعني
تغمرني .. تقتل بي شوقي ..
وتطيح بحسي .. للنسيان !!
وتعود .. تدق بلا أمل
دقات .. تقطع أوصالي
وتذيب بأنفاسي الاحزان ،
لكن الوهن يهاجمني ..
وبأعماقي .. يتهددني ..
أحيـا ..
لا أحيا ..
في الازمان !
وتدق .. تدق بلا تعب
وأنا في الركن .. بزاويتي ..
مسلوب القوة .. والايمان ،
أخذتني .. أحداث الماضي ..
أخذتني مني .. أوهامي ..
من نفسي .. أخذتني الاشجان !
فبربك .. دق بلا ملل
فعساي أعود الى نفسي ..
ويعود الى نفسي .. الانسان !

رام الله ـ الاردن — للي كرنيك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدلة العيد

بقلم احمد عابدين



اليوم هو العيد .. وللعيد التزامات كثيرة .. فاذا كنت ممن لهم اشقاء وشقيقات .. واقارب او بنات اعمام .. فعليك ان تبادر منذ فجر العيد (لتعيد) على هؤلاء واؤلئك .. ولا سيما (الولايا) والا عدوك بخيلا جاحدا .. وترحموا على والدك الذي كان يزورهن في كل عيد .. ولا يستبعد ان تنصب عليك بعض اللعنات لانك لا تصل (الرحم) الذي يجب ان يوصل ولا سيما في الاعياد ..

اما انا فاول شيء افعله فجر كل عيد ان اقوم بزيارة اقربائي وقريباتي اللواتي تربطني بهن صلة وثيقة .. وما اكاد انتهي من هذه الزيارات في القدس حتى اتجه الى عمان (لاعيد) على ابنة عم لي تقطن هناك .. ولا بد ان ازورها لالا تشعر ـ على حد قولها ـ انها (مقطوعة) من طرف اهلها .

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة عندما وصلت الى مكتب السيارات التي تتجه الى عمان . وكان الطقس حارا جدا في القدس وسيكون لافحا في الغور .. ولكن لا مانع لدي حتى اتم هذا الواجب. وجدت سيارة على اهبة التحرك فيها مقعدان شاغران الاول في المقعد الامامي بجانب السائق مباشرة والثاني وسط المقعد الخلفي . ومع اني اكره الركوب في هذين المقعدين لاسباب كثيرة اهمها اني (ادوخ) اذا ابتعدت عن نافذة السيارة وعن الهواء ، رغم ذلك اخترت المقعد الخلفي فهو اوسع من الامامي ..

وركبنا السيارة بعد ان تأخر قيامها حوالي ربع ساعة لم يأت خلالها اي راكب للمقعد الامامي الشاغر كما كان يتمنى صاحب المكتب ..

بدات اتفحص ركاب السيارة.. كانت تجلس في المقعد الامامي سيدة او انسة عانس .. هكذا بدت لي.. ولم اعرها اي اهتمام بادىء الامر..

وعلى يميني جلس شاب في مثل سني كان يلبس بدلة جديدة متناسقة رمادية اللون .. تبدو وكأن انامل الخياط قد تركتها قبل ساعات قليلة .. وبدأت احدق في وجه الشاب فقد خيل الي ان هذا الوجه ليس غريبا عني .. وبدأت ارجع الى سجلات ذاكرتي اقلب صور الذين كنت اعرفهم لاطبق احداها على الوجه الجالس بجانبي .. ويبدو انه لاحظ ذلك في نفس اللحظة التي تذكرته فيها .. اجل فقد كان احد زملائي في احد الصفوف الابتدائية منذ سنوات بعيدة .. فقلت ابراهيم.. وتذكرني هو بدوره .. وتصافحنا .. وكل عام وانتم بخير .. وكيف الصحة والاحوال .. وسألته عما يعمل فقال انه يعمل مدرسا في احدى القرى قرب القدس .. وتحدثنا حوالي عشر دقائق .. تخلل حديثنا بالطبع ذكريات المدرسة .. ثم انقطع الحديث ولم نجد شيئا نقوله .. ولاحظت ان اصابع النعاس تغمض جفنيه وان راسه يميل الى اليمين ثم يفرق في سبات شبه عميق ..

كانت السيارة تنساب بسرعة كبيرة وهي تطوي الطريق وصوت الراديو يشدو بأغنيات العيد ..

ونظرت للراكب الى يساري .. كان شيخا طاعنا في السن ذا لحية بيضاء كثة جديدة التشذيب يلبس قمبازا جديدا ويلف راسه بكوفية وعقال .. بدا منذ تحرك السيارة يبسمل ويحوقل ويتمتم بآيات من القرآن الكريم .. فلما نظرت اليه وجدته نائما يسبح في بحار الكرى.

اتجهت انظاري الى الامام .. الى السيدة او العانس .. كانت طويلة القامة .. تبلغ الاربعين من العمر رغم جميع الجهود التي بذلها خبراء التجميل في (تسوية) تضاريس وجهها لتبدو في سن اصغر .. وكانت تلبس ثوبا على درجة كبيرة من الاناقة . ورائحة عطر نفاذة حالمة تنطلق من راسها وثوبها .. ذراعاها عاريتان حتى الكتف .. وبدت بشرتها بيضاء تسر الناظرين .. ربما كانت لها مسحة من جمال من عصور بعيدة .. اما الان فكل من يقول عنها جميلة هو شخص منافق .. وبدت لي انها ثرية فقد كانت تلبس خاتما من ذهب مرصع بفص من اللؤلؤ ولاحظت ـ بدهشة ـ انها تدخن بكثرة فما تكاد تلقي بعقب سيجارة حتى تشعل اخرى .. ولاحظت انها تتناول سجائرها من علبة امريكية ـ وهذا ما دعاني الى الاعتقاد انها ثرية ـ كما كانت تشعل سجائرها من ولاعة ثمينة ايضا ..

كانت تدخن بشراهة .. وتنفض رماد سجائرها من النافذة فيحمله الهواء الى وجهي والى وجه جاري النائم.. ويدخل بعض الرماد الساخن الى عيني .. واكاد اطلب منها ان تكف عن نفض السجائر من النافذة ولكني لا افعل ذلك .. ورحت احدق في شعرها الذي تتلاعب به الرياح فأصبح كعرف الديك يتطاير هنا وهناك وهي لاهية ما تكاد تلقي بعقب مصبوغ بأحمر الشفاه حتى تشعل سيجارة جديدة.

سئمت من النظر اليها وادرت

وجهي انظر الى ابراهيم فوجدته ما يزال يغط في النوم .. ونظرت الى بدلته الجديدة ورحت افكر ...

ابراهيم عبد الجبار .. مدرس في احدى القرى .. راتبه يبلغ العشرين دينارا او اكثر .. يعطي اهله عشرة دنانير ويحتفظ بالباقي مصروفا له .. منذ مدة طويلة لم يشتر بدلة جديدة .. كانت اخر بدلة اشتراها يوم عين مدرسا وقد استدان حتى استطاع ان يشتري تلك البدلة .. وقضى عدة شهور حتى سدد دينه .. اصبحت البدلة قديمة ولا تليق بمدرس .. لا سيما وقد اصبح له الان راتب ثابت لا بأس به .

كان ذلك قبل العيد بشهرين .. وقد قرر ان يشتري بدلة جديدة بالتقسيط طبعا .. فكل شيء اصبح يمكن شراؤه بالتقسيط من البدلة حتى التلفزيون .. كل ما يريده صاحب البضاعة (كفيلا) معروفا ثم احمل ما تريد من هذه المحلات التي تبيع بالتقسيط .. وليس بعيدا اليوم الذي سيصبح فيه الزواج بالتقسيط وعندها ستحل (عقد) كثير من العزاب والفتيات الذين بقوا دون زواج لضيق ذات اليد .. ربما .. من يعلم ..؟

وعندما قرر الاستاذ ابراهيم شراء البدلة الجديدة .. نزل مع ثلاثة من اصدقائه الى سوق مدينة القدس وبدأوا يدخلون تلك المحلات التي كتب عليها فلان الفلاني .. خياط وتاجر .. والتي تذكر في اعلاناتها (تسهيلات بالدفع) التي معناها بالعربي اننا نبيعك بالتقسيط

بدا ابراهيم واصدقاؤه يترددون على هذه المحلات .. حتى يختار ابراهيم نوعا من القماش ولونا معينا .. وكان لكل واحد من الثلاثة رأي فيما يتعلق بالنوع واللون .. ودخلوا عدة محلات ليسمعوا نفس الكلمات من البائع..

كان كل بائع ممن دخلوا محلاتهم (يفرد) لهم عدة اثواب من القماش .. ثم يبدأ في القاء محاضرة عن تلك الاقمشة التي انزلها لهم ..

« اسمع .. هل تريد نصيحتي .. هذا قماش انكليزي اصلي صوف مئة في المئة .. لا يكرمش ولا يكش .. كانت عندي عدة اثواب منه وبيعت كلها .. انظر .. انظر » ويعرضه بين يديه .. « او اسمع هل تريد هذا (كوبون) ممتاز والله العظيم هذا القماش يساوي اربعة دنانير اليارد .. » ويروح البائع يؤكد كلماته بأغلظ الايمان .. وربما بالطلاق احيانا حتى يصدقه الزبون الذي لا يبدو عليه التصديق .. حتى يبدو ان صاحب المحل نفسه لا يصدق هذا الكلام .. ويروح يضفي على البضاعة صفات كثيرة ربما لم يسمع بها الصانع نفسه ..

اكثر من اسبوع وهم يترددون على المحلات والقصة تتكرر حتى استقر الرأي على النوع واللون واختاروا اللون الرمادي (المونس) .. وبدأت (الفصيلة) او المساومة تأخذ دورها .. وبدأت ايمان البائع تنطلق عشرون دينارا طلبها البائع ثمنا للبدلة تدفع منها خمسة دنانير والباقي على اقساط شهرية يدفع منها ابراهيم كل شهر اربعة دنانير..

« لا هذا كثير .. لا ليس كثيرا .. والله العظيم ... » ويتركون المحل وينادي عليهم البائع .. وتعود المناقشة مرة اخرى حتى استقر السعر على ثمانية عشر دينارا يدفع منها خمسة دنانير ويقسط الباقي لتدفع على خمسة اشهر .. وتوقع (الكمبيالات) ويوقع الكفيل ...

متى ستنتهي البدلة .. ويقول البائع بعد اسبوعين .. تأتي يوم الخميس لاخذ (البروفا) والخميس الذي يليه ستتسلم البدلة ..ولكن الاسبوعين مددا الى شهر .. وفي كل مرة يأتي ابراهيم لاخذ البدلة يقول له البائع لا تؤاخذني .. انت تعلم هذا الشهو هو شهر العيد والشغل كثير وبعد عدة مرات يكاد ابراهيم يتشاجر مع الخياط .. واستلم البدلة قبل العيد بثلاثة ايام .. وجاء العيد ولبس ابراهيم البدلة وسار يختال بها وركب السيارة متجها الى عمان ...

كل ذلك جال بخاطري وانا انظر الى بدلة ابراهيم الجديدة وهو يحلم انه يتشاجر مع الخياط لان العيد قد جاء ولما تنته البدلة ..وعجلات السيارة تكاد تقفز عن الطريق من السرعة .. والعانس تشعل سيجارة بعد اخرى في عصبية ظاهرة .. والسائق يصغي الى فريد الاطرش المنطلق صوته من المذياع يقول يا ليل .. والهواء الساخن لا يزال يحمل رماد سجائر العانس ..

و .. و

واشم رائحة شيء يحترق .. ريح به قتر .. ولكني لا اهتم لهذه الرائحة اول الامر ولكن الرائحة تزداد نفاذا وتفطي على رائحة العطر المنطلق من الامام .. ويبدو ان السيدة او العانس قد شمت الرائحة ايضا فقد بدأت تبحث في ثوبها خشية ان يكون قد احترق من احدى سجائرها ... وتنتقل عدوى الشم الى السائق .. واقول له اوقف السيارة .. فأوقفها واستيقظ النيام .. وبدأنا نبحث عن الحريق .. ولم يطل بحثنا فقد اكتشفنا بعد ان نزلنا من السيارة ان جيب بدلة العيد قد احترق .. ولولا اننا اكتشفنا الجريمة لامتدت النار الى بقية البدلة .. وربما الى صاحبها .. وذهل المسكين وهو يرى بدلته بجيب محترق ومساحة كبيرة من الجيب قد استحالت الى رماد .. ونظرنا جميعنا الى العانس واصابع الاتهام تشير اليها بأنها السبب المباشر وغير المباشر لهذه المأساة المحرقة .. ونظرت السيدة الى الشاب الذاهل قائلة في صوت لا يبدو فيه الارتباك .. « انا آسفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشبح الصديق

وتيبست شفتاك وانهمر الحريق
من اين جمعتا ((صديق))
سورت قلبك بالجحيم ولا طريق
حتى اذا حلم الفريق
ظلمت مرفاك الانيق
وجمعته من اين جمعتا ((صديق))
تلك الشفاه الحمر وانهمر الحريق
وضحكت واخترعت شفاهك
ذلك الشيخ الصديق
وتركتني طفلا اسير الوحدة
الريح تنتشج في صحارى غربتي
وعصرت كالدفلى ثمالة كرمتي
وأفقتني من دفء حلم عبقري
عانقتـــه
فيضا طفولي الخطا
ورداء نجـم عنبري
وفطمت ما نسج الغرير وصدقا
املا نديا مشرقا
شوقا يتيم الامنيات
ليلم الحان الفؤاد العاثرات .
الله يا تلك الوعود !
خضراء رائعة البرود
خجلا تحصرم في الخدود
شلال اغنية وافقا كستنائي الحدود
انـا لـي صديق
ارجوك .. وانقطع الطريق

وسرقتها نملية الحركات تبسم كالندى
تلك اليـد
فانحل عقد انا ملي
قلبي تحطم في يدي
اني أجاهد عري نفسي
في يدي
شبحا تكوم في زوايا معبد ..
وتبعثرت في افق وردي الفم
خصل الكلام
وحبا حديثك في دمي
انفاس مصدور يمزقها السعال
ريحا تئن من الشمال
غولا تسف بلا ضمير
قدرا يعري زهو طفل او امير
يا ذلك الشبح الصديق
يا ذلك الحب الصفيق
ومضيت في بحر الرياء تجدفين
عيناك عصفور سجين
الريح عاصفة تمزقت القلوع
الله ما اغلى الدروع !
لملمت عريك في شريط من دموع
وصديقك المزعوم غالته البحار
فمن الذي تأتيك بالشهد المعتق والمحار؟
وقصائد الحب الكثار ؟
وسترقبين قدومه الوهمي
يا اي انتظار ! !

لندن — سامي حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدا .. وانا على استعداد لدفـع ثمن البدلـة .. » واحرقت هذه العبارة دماغ ابراهيم بعد ان احرقت النار جيب بدلته ونظر اليها شذرا وود ان يكون امامه رجل حتى يحطم رأسه .. ولكنه قال لها بتهكم .. شكرا .. ثم التفت الى السائـق قائلا .. « اتركني هنا .. لن اذهب الى عمـان وســوف اعود الـى القدس .. »

ولم تفلح جهودي وجهود الشيخ والسائق في ثنيه على قراره .. وتركناه تحت اشعة الشمس اللاهبة ينتظر سيارة تعود به الى القدس..

وانطلقت بنا السيارة الى عمان .. والشيخ بجانبي يتمتم .. لا حول ولا قوة الا بالله .. ناظرا الى العانس محركا رأسه يمينا وشمالا .. اما السائق فكان ينظر بطرف عينه الى السيدة ويبتسم .. اما هي فقد اغلقت النافذة وبدأت تنفض الرماد في المنفضـة المثبتة امـام السائق خشية ان تحرق بدلـة اخرى ...

عمان ـ الاردن — احمد عابدين

ثماني شمعات

الى الشاعر الايطالي الكبير دييفو فاليري

Diego Valeri

(بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره)

بقلم عيسى الناعوري

●

في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني المنصرم أطفأ صديقي الشاعر الايطالي الكبير دييفو فاليري الشمعة الثمانين : فقد ولد في ٢٥ كانون الثاني ١٨٨٧ في قرية (بيوفي دي ساكو) .

وقد رايت بهذه المناسبة ان يكون تكريمي له ثماني قصائد من شعره الجميل انقلها الى العربية ، واهديها اليه في شيخوخته ووحدته في مدينة البندقية ، بعد ان فقد رفيقة العمر منذ سنوات قليلة ، وبقي وحده مع خادمته وكلبه العزيز ، يؤنسان وحدته في غربة العمر .

عرفت فاليري لاول مرة في زيارتي الاولى للبندقية عام ١٩٦٠ ، في نهاية شهر تشرين الاول ، وكان قد احيل على التقاعد بعد عمر طويل سلخه في تدريس الفرنسية واللاتينية في جامعة بادوفا وغيرها . وتوثقت بيننا الصداقة ، واستمرت المراسلات ، حتى عدت الى زيارته مرة ثانية في شهر نيسان من العام الماضي ، حين دعيت لالقاء محاضرة بالايطالية في جامعة البندقية عن الحركة الادبية في الاردن . وكانت ترافقني في زيارته الاستاذة المستشرقة ماريا نللينو ـ ابنة المستشرق الكبير المرحوم كارلو الفونسو نللينو ، ورئيسة قسم الدراسات الشرقية في جامعة البندقية ـ وما ان دخلنا منزل الشاعر الشيخ حتى مضى الى غرفة اخرى ، وعاد مسرعا وبيده عدد قديم من مجلة (العربي) الكويتية كان لي فيه مقال عن الشاعر ، مع ترجمات قليلة من شعره . فقدم المجلة الى رفيقتي لكي تقرأ ما كتبته عنه فيها . وكان شديد السرور لان مجلة عربية راقية تهتم به وبشعره ، وتقدمه الى القراء العرب .

ليس فاليري شاعرا فحسب ، فله عدة مؤلفات نثرية ، منها كتاب اثير عنده جداً ، هو (يوميات عاطفية من البندقية) ، وله كذلك مترجمات عن الفرنسية والالمانية ، من بينها : (مدام بوفاري) و (شعراء ألمان) و (شعراء فرنسيون) ، وغيرها .

اما دواوينه الشعرية المطبوعة فهي :

١ ـ قصائد جديدة وقديمة
Poesie Vecchie E Nuove

٢ ـ خيالات بندقية
Fantasie Veneziane

٣ ـ الزمن الثالث
Terzo Tempo

٤ ـ الناي ذو القصبتين
Il Flauto a Due Canne

ثم اصدرت له دار موندا دوري في ميلانو مجموعة كاملة من شعره ، عام ١٩٦٢ ، بعنوان (قصائد ـ Poesie) . وتقع المجموعة في اكثر من ٤٠٠ صفحة ، مقسمة الى ثلاثة اقسام : الاول يشمل قصائد الشاعر المنظومة ما بين عام ١٩١٠ و ١٩٣٠ ، والثاني من ١٩٣٠ الى ١٩٥٠ ـ والثالث من ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ . وفي هذا القسم الثالث جمعت قصائد الشاعر المنظومة بالفرنسية الى جانب القصائد الايطالية . ثم اضيف الى هذا القسم ملحق يشمل القصائد التي لم يسبق نشرها في كتاب ، وقد دعاها الشاعر (الايام الجديدة) ، وهي من منظوماته حتى نهاية عام ١٩٦١ .

وفي زيارتي للشاعر في شهر نيسان عام ١٩٦٦ اهدى الي نسخة من ديوان صغير له عنوانه (المساء ـ La Sera) ـ لعله يقصد به مساء العمر ـ يحتوي على اثنتي عشرة قصيدة غير منشورة في دواوينه السابقة . ولهذه المجموعة الصغيرة ـ وقد ظهرت عام ١٩٦٣ ـ مقدمة نقدية ضافية للناقد الايطالي الكبير كارلو بو . والناقد يستهل مقدمته هذه بقوله :

« هل هنالك وسيلة لتقديم الشكر لشاعر ما على ما يعطينا اياه ، وما يجعلنا نحسه ؟ لا ريب في هذا ، فكلما قرأنا شعرا ، واحسسنا بشيء مختلف داخل ارواحنا ، وكلما اتيح لنا ان نحبس انفاسنا ، محطمين سلسلة الاحداث العامة ، لكي نقول : « نعم ، هذا شعر » ، كان في اعترافنا هذا شيء من العرفان كذلك . اننا حينئذ نقول : « شكرا » بطبيعة الحال ، ازاء عمل خالص مقدم الينا .. »

ويختم الناقد مقدمته بقوله : « أعرف عددا قليلا اخر من الشعراء الذين في وسعهم ، مثل فاليري ، أن يأخذوا دون عنف ، وان يقنعوك بان تدنو منهم دون ان يطلبوا اليك ذلك ، وبالتالي يدعونك تتحدث عن كلماتهم دون ان تلمسها ، او تفرط نظامها . وازاء هذا النظام عينه الذي لا يمكن تبديله في حلاوة الاحساس ، نشعر بأن علينا ان نجهر بشكرنا له ، ممجدين قصة قصائده » .

بعد هذه المقدمة القصيرة اقدم في ما يلي ثماني شمعات من شعره ، مترجمة الى العربية . وكلها من النوع العاطفي والوصفي الذي لا تختفي عبارته وراء ضباب الرمز ، ولا تضيع تحت الاصباغ والمساحيق الغريبة .

١ ـ الايام الجديدة

I Nuovi Giorni

ها هي شجيرة الربيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيضاء زغباء ، حلوة لامعة .
ومرة أخرى يخفق قلبي
كما يفعل كل مرة في عودة العام .
أي رجاء جديد ؟ اي ترقب ؟
ماذا ستحمل الايام الجديدة ؟
لا شيء. الا ان الطائر الكبير قد ظهر
أبيض مفاجئا في وسط الحقل الاسود .

٢ ـ الوحدة
Solitudine

أيتها الوحدة القاسية الغالية ،
يا رفيقة أيامي المتأخرة ،
على مائدة الحشائش المرة
وخمر الذكريات العكر .
وحيدان نحن ، أنت وانا ،
غير ان مقامنا معا ليس مؤلما :
فان حلاوة نسيان وئيدة
ترش التراب لكي تخفي الماضي .
وفي الخارج تضحك سماء صافية
وتلمع أعشاب مروج غضة ،
وما يزال الامل مزهرا في الخضرة
على أغصان المستقبل .

٣ ـ الشباب الضنين
Avara Giovinezza

أيها الشباب الضنين ، انك تريد
كل شيء
لنفسك : الحياة التي تمضي من حولك ،
وكل ما يلامس بصرك للحظة واحدة فقط
انما يداعب احاسيسك او يخزك .
والحب الذي يضحك لك
أو الحب الذي يبكي ،
يا طارد الظلال الباهرة العابرة ،
ان يديك ممتلئتان دائما ، فارغتان دائما .
أما الشيخوخة التي لم تعد تريد شيئا كثيرا
فتملك كل شيء. حتى الحب ،
وحتى الموت . انها تضع صدغها الخافق
على كتف الحب البضة
والموت من فوقها
في غمامة نسيانه الكبيرة .

٤ ـ سنحمل الى الظل
Porteremo Nell'Ombra

الحب في الدنيا اكثر من الحياة
وشهوة الحب تظل تحرق
بعد ان ينطفيء موسم الحب .
سنحمل الى الظل ما لا حد له
من دموع القلب الذي سيظل يبحث أبدا ،
عبر حجب الابدية السوداء ،
عن ذلك النور ، ذلك الوجه ،
الوجه الابيض
وجه الحب المحبوب الى الابد .

٥ ـ مسافة
Distanza

بعيدة هذه المسافة ، كتلال
اقامها نور المساء
على أقصى الافاق
وهي من الصفاء والحلاوة
بحيث لا تجرؤ على لمسها
شهوة الاحاسيس والحب .
كذلك هو بعدك عني .

٦ ـ تحية الصباح
Il Buongiorno

اقفزي من السرير ، واهرعي نحو
الماء الحي ،
اغسلي وجهك ، وبللي صدرك ،
ثم قفي لحظة دون حراك
لتشاهدي وجهك في المرآة بفضول.
هنيئا لك ، فانت تجدين كل صباح
أمام ابتسامتك الرائعة تلك
عينين رماديتين ، وفما ورديا
تقدم لك تحية الصباح ...

٧ ـ الشمس الجميلة
Il Bel Sole

أيتها الشمس الجميلة الحزينة التي
تحس وتحمل فيها
الليل الطويل ، أيتها الشمس الاخيرة
الدائبة في هواء الصباح الابيض .
ما زالت ارضك خضراء ،
وما زال السياج والمرج اخضرين ايضا ،
وكذلك الرابية الحلوة بكرومها التي
تلامسها الحمرة .
الا ان فوق كل شيء
غباشة ناعمة من البعد ،
لانك بعيدة عنا
يا شمس حبنا . وها هو المساء
قد أصبح في قلب الصباح ،
ولن تلبث الظلال أن تجتاح سماءك كلها .

٨ ـ هذا الدم المضطرب
Questo Inquieto Sangue

هذا الدم المضطرب
هذا التدفق الذي لا سلام معه ،
هذه الاخلاط التي تجري
في عروق النبتة الهرمة الرخوة ،
الى اين تهرب ، وعم تبحث
ان لم تبحث عنك يا سعادة الحب
سعادة الغبطة القديمة والالم القديم ،
الالم من الضحك القديم والبكاء ؟
القلب يخفق ، وكل نبضة صغيرة
تخفق في انتظار لا رجاء فيه .
أيها الحب ، انك لم تعد بعد ههنا ،
لم تعد من هذه الارض
انك تقيم في مكان آخر ، وزمان آخر
وفي حيوات أخرى غير هذه .

وقبل ان اختم هذه الترجمات ، أود ان اذكر انني قد اخترتها كلها من ديواني الشاعر الاخيرين : (الايام الجديدة) و (المساء) . ويلاحظ القارىء في سائر هذه القصائد كيف انها تعبر عن حس الشيخوخة ، وانطفاء العمر الطري ، وعن اللهفة على أيام الشباب ، والحب . وهي لهفة حارة عميقة ، ينقلها قلم مغموس بدماء الروح المحبة للحياة ، والحريصة على معاني الربيع ، والوجوه الطرية التي تجد تحية الصباح حلوة دافئة فيمرايا الصباح

فليتقبل الشاعر الكبير هذه الشمعات الثماني ، أشعلها هو من قبل بأنفاس شعبه الذي يعتز به ، وعادت اليه اليوم وفيها انفاس شعب اخر ، ولسان اخر ، تحية له بعد العقود الثمانية التي اطفأ شمعاتها . رجاء ان يطفيء شمعات اخرى عديدة ، ويقدم لاحبائه ازاهير جديدة من حدائق شعره الجميلة .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمـد رجب البيومي

شخصيـة السيد البـكري

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

شخصية السيد البكري واضحة بارزة السمات ، فدارسه الناقد لا يبذل جهدا شاقا في استشفاف دخائلهـا ، واكتشاف طواياها ، ليبحث عـن علة دخيلـة او سبب غامض ، فليس الرجل من هؤلاء الذين يطالعونك بوجـه صخري تتأمل صفحته الصماء فلا ترى بها منفذا لاستطلاع بصير ، فأحدهم كالبحر العميق يلفه الليل الدامس ، فأنت تقف على شاطئه لتتأمل السطح في ارهاق ، وهيهات أن تنفذ الى الفور في لجج متراكمة لا تدع بارقة من ضياء ! لقد كان السيد واضحا بارزا فيما يأتي ويدع ، ولم تكن لـه مـن وسائل الاحتيال واساليب الدهاء ما يعييـك تفسيره ، ولعل هذا الوضوح البارز فيما يأتي من أفعالـه واقواله ، قد كان احدى عوامل مأساته ! ولكنه السـمـة الاولى من سمات شخصيته على كل حال .

لقد ولد السيد بمنزل والده (سراي الخرنفش) وهي حينئذ مدينة في عاصمة ، تدل آثارها الماثلة أمامنا الان على عز حافل ، ونعيم طائل ، وسيادة عريقة ، فقـد كان قصر حاكم البلاد عباس الاول جعله اجمل وافسح واكمل مبنى في عاصمة ملكه ثم انتقل الـى السيد علـي البكري والد السيد توفيق حين اضطرت مصلحة التنظيم ان تهدم منزله العامر بالازبكية ، فقدمه اسماعيل لشيـخ مشايخ الطرق عوضا عن منزله ، هذا القصـر العظيـم بحجراته وابهائه واثاثه وحديقته ! كـان في حاجة الـى عشرات الخدم ومأوى لمئات الاضياف من أعيان الدولـة ووجهائها ، زاره الخديوي اسماعيل عدة مرات ، وانعقد به مجلس الشورى اثناء أزمة الرقابة ، فخف اليه نواب الامة ووجهاؤها ورأس السيد علي البكري اجتماعهم في مظهر حافل أزعج القناصل ، وترك دويه الرنان ، وقد ولد به السيد توفيق ، وترعرع في نعيمه ليرى عظمة والده ومجده ! وليشاهد رئاسته الروحية تشمل آلاف المسلمين اذ يفدون الى رحابه يتلمسون نظرة حانية ويتمسحون في اعتابه ، يرتجون دعوة صالحة، وقد كانت الرئاسة الدينية حينئذ في الامة المصرية محل الرئاسة السياسية قبل ان تتضح نظم الحكم ، ويعـرف الناس زعماء السياسة واحزابها ، حتى ان ابراهيم المويلحي أشار على اسماعيل ان يهدد القناصل المتحرشين به بنفوذ السيد علي البكري في البلاد اذ انه الزعيم للآلاف (١) ! واشارة منه تشعل في الامة ثورة غاضبة ، ومهما كان هـذا التهديد الذي أشار به المويلحي مبالغا في أمره ، اذ ليس للسيد ـ على جلالته ـ هذه القدرة النافذة في اشعال ثورة سياسية ، وهو رجل دين يعكف أتباعه على الاوراد والاذكار ويدعون السياسة لاربابها من الحكام ، أقول .. مهما كانت مبالغة هذا التهديد فان معنى اشارة المويلحي به ليدل على ان السيد علي البكري كان أقوى رجل في الامة وان نفوذه الروحي بعيد ! وقد كان مع ذلك لا يتدخل في الشئون السياسية الا بايعاز اسماعيل !

ولم تكد تمر السنوات الاولى من حياة السيد محمد توفيق حتى التحق بمدرسة الانجال ، ونظر فوجد نفسه يجلس مع ابناء خديوي مصر على مقعد واحد ، يتلقون جميعا مبادىء الدراسة في مدرسة واحدة ، فالاساتذة أساتذة الجميع ، والتلاميذ أبناء حكام الدولة ورؤسائها ، هذا الاحساس لدى السيد ـ وقد ولد اديبا شاعرا لـه خاطر الفنان وروحه ـ قد عظمت معانيه في نفسه ، واحس بوجوده احساسا عنيفا ، فولد لديـه شعورا بالعظمـة والاعتداد ، وقد صحبه هذا الشعور في دوره الهام على مسرح الحياة المصرية ، فكان باعث أفعالـه وموجـه تفكيره ، والمهيمن على كل تصرف يصدر عنه ، بحيث لو حكمنا بان مفتاح شخصية السيد هو الشعور العميـق بالعظمة والاعتداد ! لم نكن مبالغين !

على ان الايام قد سمحت بما يقـوى هذا الشعور ويضاعفه ، فلم يكد الناشيء المتطلع يخالط الناس ويجالس الاشياع والمريدين ويستمع الى أساتذته المختارين ، ويقرأ كتب المناقب والتاريخ ، حتى علم انه من أسرة ابي بكـر الصديق ! وان هذه الاسرة العريقة قد تتابعت على القرون المتتالية بأفذاذ مشاهير من رجالات العلم والدين والرئاسة! كان لهم الصيت الجهير ، والاثر المدوى بل ان بعض هذه الكتب المنقبية تشير الى أن بيت الصديق هو بيت مصر الاوحد ، له الزعامة الكبرى في مصر على ممر العصـور ، وقد صادف هذا القول السار من السيد قلبا طروبـا

وصدرا منشرحا ، فاندفع يبحث عن تاريخ أجداده ويقرأ ما ترويه كتب المناقب مباهيا تياها ، ولم يكن ليقرأ هذه التراجم قراءة الناقد الذي يميز الواقع من المختلق ، وانما قرأها بروح المشغوف المولع بتسجيل كل محمدة سطرتها الاقلام ، ثم جمع كل ما يسره ان يعلم عن بيته العريق في كتابه (بيت الصديق) ولسنا الان بصدد الحكم على هذا الكتاب ، ولكننا نتخذ منه دلالة واضحة على سيطرة الشعور بالعظمة الكبيرة وتمكنه الركين من نفس السيد ! هذا الشعور الذي جعله يعتقد أنه خلق ليكون متبوعا لا تابعا ، ورئيسا لا مرؤسا ، عن هذا الشعور صدر وبه سار فصادق وعادى وحارب وحورب، حتى انتهى به السير المتصل الشاق الى الاعتزال!!

وكل متطلع الى المجادة النابهة، يتسم بسمات خلقية تجمع حوله الشيعة والاتباع ، فبعض الزعماء يعتمد في ذلك على الحلم وسعة الحيلة ، وطول المداورة ، ومراقبة الفرصة ، وبعد المرمى فيصل الى مايريد، ولو جاء السيد من هذا الباب لوفق كثيرا في طريقه الجهير ! ولكن السيد لم يكن ممن يميلون الى المداورة ومراقبة الفرصة باحساسه القلق ، وتعجله السريع ، لان طبيعته النفسية لا تساعد ذلك ، ولم يرزق من الكظم والمثابرة والكتمان ما يدع سره حبيسا بين اطوائه ، ولكنه يفصح عن ادق هواجسه لخلصائه ومشاوريه وفيهم من يخلص له عن اعتقاد، ومنهم من يبدي سنا ضاحكة عن ضمير حاقد ، ومن يضمر حسدا في ارتفاء وهذا الصنف من المرائين كان عامل نكبة السيد ، وباعث اخفاقه ، فهو يعاملهم معاملة الادنين من الاصفياء وهم يتربصون به الدوائر ، فيذيعون خوالجه الهامسة في عالم السرار الى حيث تجلب العنت والشقاء !!

كانت جناية هؤلاء المستشارين من ذوي السرائر المدخولة لا تقف عند حد ، فلم يكد يرجع الشاب المتطلع من الاستانة مباهيا بألقابه ونياشينه ومفاخرا بالوزارة العلمية التي لم ينلها اعلم العلماء واسنهم في مصر ومنهم اساتذته واساتذة اساتذته ومشايخه ، حتى همس لبعض هؤلاء المنافقين الخادعين بأن عباسا لا يستطيع ان يظفر بالوزارة العلمية لشيخ الازهر على عظيم قدره وجلالة مرقاه ! ولم يكن السيد من البلاهة بحيث يذيع ذلك في حفل مجموع له الناس ، ولكنه فيما تدل القرائن قد باح بذلك لاخلص الخلصاء وادنى اللصقاء ، فاذا السر ينتقل الى اذن عباس ما بين العشية والضحى ! واذا السيد من صديقه وأميره وحاكمه في مأزق هائل يضطره الى الاستعفاء من نقابة الاشراف !

لو لم يكن الشعور بالعظمة الجليلة مسيطرا على السيد بسحره الخادع ، لراجع نفسه ، فأحس بالهوة التي توشك أن تتسع تحت قدميه ! ولنقب في حذق بصير عن دخائل أصدقائه ومستشاريه ، فاستعان بذكائه على تفهم السرائر واستكناه القلوب ، ثم أبعد عن حضرته من حامت حولهم شكوكه ، وبدأ في مستقبل دوره السياسي يتعظ بما كان فيعرف ان طريق المجادة الحقيقية صعب مستوعر ، وان رئاسة الاقوام ـ لها صعداء مطلبها طويل ـ كما يقول الشاعر القديم ، ومن مطالبها الاكيدة كتمان الرغبات ، وتحفظ القول ، واستمالة النظراء ، ومن ألزم مطالبها قبل كل شيء معرفة العدو من الصديق ، ولكن هذا الحادث الجلل قد مر على السيد دون أن يتعظ به في شيء ! فمهد لغيره من الاحداث .

قد يكون السيد معتقدا في أطوائه أنه نظير عباس وان الخديوي لا يرتفع عنه في شيء ، يدل على ذلك ما وجهه اليه من خطاب عنيف يوم المحمل حين صاح به : انا وزير مثلك ، ولاجدادي فضل على آبائك واجدادك ! كما سبق ان فصلنا ذلك في موضعه ! ولكن هذا الاعتقاد الشخصي شيء والواقع شيء آخر ، وطالب المجادة لا بد أن يرى الواقع الملموس بعينين نافذتين ، ثم يحكم خططه بما يناسب هذا الواقع الملموس ! لا بد أن تنطح الصخرة العاتية بقرنين واهيين !

ولئن كان هذا الشعور بالعظمة الجليلة قد اضر في معتركه السياسي فانه قد ابرز مكانه في المضمار الاجتماعي، حيث حتم عليه ان يكون فياض اليد بالعطاء ، تفد الوفود الكثيرة الى منزله العظيم ، فيجدون الكرم السابغ والوجه المنبسط والكف المغدقة ! حتى اصبحت سراي الخرنفش لعهد السيد توفيق البكري قبلة المتطلعين من الغرباء والاقرباء! فالحجرات مضيئة بالليل، آهلة بالنهار، والموائد تبسط عن سعة في مواعيدها المعلومة ، والابواب لا توصد أمام الطارقين ! هذا الى ما يصحب ذلك كله من مظهر ديني أخاذ حين ينفذ السيد وصية والده الراحل ، فيجعل جانبا فسيحا من سراياه خلوة نسك تحفل بالعلماء لقراءة البخاري وبالمقرئين لتلاوة القرآن ، وبأرباب الطرق، لاقامة الاذكار وقراءة البردة ، ثم لا يجيء المغرب حتى توزع الصدقات من وقف حبسه السيد علي البكري لهذا العمل الكبير (٢) .

هذا عن كرمه السابغ ، أما مظهره الشخصي فكان من الفخامة والجهارة بحيث يرضى طموحه البعيد ، فالرجال ينتصبون في الطرقات قياما عند مرور عربته ، والاكف ترتفع بالتحيات مع انحناء الرؤوس الخاشعة عند استقباله ، والايدي تلتمس البركات لدى التمسح بجبته، وفي رسالة حفني ناصف اليه ما يصور هذه الجلالة المهيبة حين يقول في عتابه « ولم نزل نعد اللحظات ونستطيل الاوقات ، حتى بزغت الانوار وارتج صحن الدار، وظهر الاستبشار على وجوه الزوار فقمنا باستقباله، وهنينا بكماله » أما رجال الصحافة والسياسة والادب فما اكثر تدافعهم الى السيد، وما ابهج حظوته بهم، واسعاده اياهم بروائع التحف والالطاف وقد قال الاستاذ محمد

كردعلي عن السيد في مذكراته (٣) «انه ادنى الى ان يكون أمير مجلس من أن يكون رجل سياسة يجيد الفرنسية اجادة حسنة ويجمع بين معرفة القديم والحديث » فلو ضم الرجل الى كرمه ومظهره خبرة نفسية بعارفيه لكان رجلا غير الذي كان ..

ولم يكن شعور السيد بعظمته الجليلة في ميدان السياسة بأقل من شعوره بعظمته الخطيرةفي ميدان الادب فقد وقر في نفسه أنه رأس في الشعر والنثر ، هذا الشعور بالعظمة الادبية ، قد وجدت له عوامل كثيرة، فأساتذته الاقربون من أمثال حمزة فتح الله وأحمد مفتاح خاطبوه بمثل مليك اليراعات وقسور تلكم الغابات(٤)! وأكبر شيخ للعلماء يقول عنه نادرة البيان وعلامة الزمان ! اما أصدقاؤه فقد أطربوه بما يروقه ، فهو خزانة الادب وحجة العرب عند الشيخ رشيد ! وهو كذلك عند عبدالله النديم وعلي يوسف ومع أن السيد لم يعرف في سلسلة آبائه واجداده اديبا كبيرا يشار اليه بالبنان ، فقد سره أن تتمخض سلسلة النسب البكري عن نبوغه الادبي ، وأن يشعر بعظمته الادبيةشعورا اكيدا جعله يرتضي نمطا من الاسلوب لا يحيد عنه ، ولا يحاول أن يتطور به مع الزمنوقد اجاد الفرنسية ورحل الى اوروبا فشاهد من اختلاف الموازين في الفكر والانشاء ما قد يدعوه الى النظر الفاحص في طرازه البياني ؟ ولكن حال دون ذلك تأكده من استيفائه شروط البلاغة العربية الاصيلة ، واحساسه القوي بأن اسلوبه الادبي من الروعة بحيث لا يتطرق اليه تبديلأو تعديل ! وقد وجد من أتباعه من زين له ذلك فصدقه عن يقين ، أقول ذلك مستندا الى هذا الدليل .

حين أراد السيدالبكري طبع مجموعة من نثره وشعره وهي المعروفة بصهاريج اللؤلؤ قدمها الى عالمين لغويين يقومان بشرحها كما شرحت المقامات ورسالتا ابن زيدون في القديم ، فكتب أحد الشارحين وهو الشيخ احمد أمين الشنقيطي (٥) مقدمة حشدها بالثناء البالغ، وقارئها يقف منها على ادراكه المحدود الضحل للادب ، وكنت أظن أن السيد البكري لا محالة قد فطن الى هذه المبالغة المفرطة لانه دارس قارىء بصير ، فمن المستبعد أن يعتد ما كتبه الشارح حكما من الاحكام الادبية الصائبة التي يستشهد بها في مجال الترجح ، ولكني رأيت السيد ينقل كلام الشارح الساذج في ترجمته لنفسه في كتاب بيت الصديق ص١٧ فيقول ما نصه :

« وقد قال فيه ـ كتاب صهاريج اللؤلؤ ـ عالم لغوي (بلاغة ترتفع عن مساجلة فضلاء هذا الزمان) ومناظرة أدباء العصر والاوان تلتحق بأشرف ما صنعه بلغاء الدولتين الاموية والعباسية ، وانفس ما وضعه فصحاء الفرقتين المشرقية والاندلسية ، (جرى الوادي فطم على القرى) ولا والله خشية أن أحمل على المغالاة ، أو التشيع والموالاة لقلت انه ما خط قلم من الاقلام ، منذ الف عام ، مثل هذاالكلام ، وهب انه وجد في متقدمي الشعراء من أتى بمثل هذا الشعر ، فأنى لنا من علية الكتاب من أتى بمثل هذا النثر ولو نظرنا فيما دونه البلغاء لالفينا أن من رزق اللفظ حرم المعنى ، ومن أجاد المفهوم لم يجد المبنى ، ومن احسن الشعر لم يحسن النثر، ومن اتفق لهم هذه الخصال حرموا قوة الخيال ، فلم يجتمع لاحد منهم ما اجتمع لهذا السيد الشريف من اركان البلاغة واصول هذه الصياغة » .

نقل السيد ذلك محبذا لا محالة ، ولولا سيطرة شعوره بالعظمة الادبية ما تناسى أن من المبالغة المفرطة أن يقول قائل ان ناثرا كالسيد لم ترزق به العربية منذ الف عام ينـدرج فيها اعلام النثر في القرنين الرابع والخامس على سطوع بيانهم الباهر وازدهار فنهم الساحر، ولكن خلق الاعتداد الكبير لدى السيد ، جعله يصدق كل ما يقال من أمداح ، ونحن نعرف أن مشاهير الادباء كانوا يسيئون الظن باحسانهم الادبي ، فيدفعهم ذلك الى محاولة الاستجادة ويشرئب بهم الى أرقى مما يبلغون ! ولكن اعتداد الرجل عاقه عن التجديد في مناحي القول متطلعا الى غايات أوفى وقد عرف عنه كثير من الانتهازيين هذا الخلق المعتد ، فكانوا يستغلونه لاشباع بطونهم وامتلاء ايديهم بتدبير ساذج يرضي السيد ويدفعه الى اجابة رغباتهم باذلا جاهه وماله ومنزله عن سماح واريحية ، ولم تقف الانتهازية المفرضة عند من يعرفونه من دراويش مصر واصحاب الطرق في الاقاليم والمراكز، بل انتقلت الى الغرباء الوافدين من اقطار الاسلام فهم يؤمون منزله عن غرض مقصود لا ليجدوا المأوى والمأكل من اريحي مسماح بل ليرجعوا بنفيس التحف وعزيز المال . وفد عليه ذات مساء شيخ مغربي ـ فيما حدثنا عنه بعض عارفيه من المعمرين ـ فمثل امامه في هيبة ، ولفت انظار الحضور بلهجته المغربية وزيه المراكشي ، وقال في لحن ناشز يشمل اللهجة واللغة والنحو موجها الخطاب الى السيد :

باراجيز يعرب وفحول البلاغة
وصهاريج لؤلؤ نلت اعلى المكانة

فاهتز السيد واختال وسأل المغربي في اعتداد : أوصلت هذه الكتب الى مراكش ؟ فقال الرجل : وحفظها الادباء وقرئت في المساجد والمدارس مع كتاب الله واقوال الصالحين ونهج البلاغة للامام علي ! فتهلل السيد وفسح لمخاطبه مكانا جواره وانزله بسراي الخرنفش عدة اشهر ثم منحه المال والملبس حين ارتحل مع عدة صحف تحمل مقالاته وكتبه لتذاع في المغرب على يد هذا الانتهازي الحصيف ، والبيتان السابقان من الركاكة والسخف بحيث لا يهش لنسجهما السيد البليغ ، ولكن اعتداده بصيته المدوي قد غفر لقائلهما ما بهما من اسفاف ، وهذا

يذكرنا بما حكاه السيد محمد كردعلي في مذكراته من ان السيد قد رغب اليه ان يمنحه عدة كتب من مؤلفاته لتقرأ في بلاد الشام (٦)

ان دراسة خلق الاعتداد الادبي في نفس السيد ، وتأكيد شعوره البالغ بعظمته البيانية ، يفسر لنا كثيرا من مواقف زملائه الادباء ازاءه ، اذ نقم عليه الكثيرون منهم هذا الشموخ الادبي في غير ما داع فاندفع حفني الى مكيدته التي اسلفنا الحديث عنها ، وارجف حافظ بأدبه وسيرته معا في مجالسه ، الخاصة والعامة ، ثم قال فيه شعرا ذاع فكدر السيد ، ونقل منه الاستاذ ابراهيم دسوقي اباظه بيتين في كتابه « وميض الادب في غيوم السياسة » (٧) ولا نحب ان نتورط هنا في تسجيلهما ، كما هاجم شاعر النيل مشيخةالطرق وشيخ السجادة في ليالي سطيح (٨) ، والسيد بعد من رهافة الحس وضيق الصدر بحيث برح به ما قيل ، فكابد منه اثقل العناء .

والى هذا الاعتداد الكبير لدى السيد بنبوغه الادبي ، نرجع في تفهم ما قاله السيد مصطفى لطفي المنفلوطي عن ادب البكري ، اذ عرف صاحب النظرات لديه هذا الشموخ المتعالي ، وكانت به ـ فيما اظن ـ اليه حاجة مالية كشفت عنها قصيدة عباس ، فاندفع الى الثناء على اسلوبه بافراط تنكره موازين المنفلوطي النقدية التي سجلها في مقدمة النظرات ، وحجتنا في ذلك ان المنفلوطي قال في شعر السيد اثناء عافيته ما تراجع عنه بعد اختلاطه فهو يقول اولا عن شعره بمجلة سركيس سبتمبر سنة ١٩٠٦ السنة الثانية :

« البكري شاعر مقل اقلالا يحسده عليه المكثرون ، فبيته مدينة ، ومدينته مملكة ، ومملكته الدنيا وما فيها من سعادة وهناء ، ولقد انقضى عصر بشار وابي نواس فما زلنا نطلب بعدهما ثالثا لهما بدويا في اسلوبه ، حضريا في تصوراته فلا نكاد نرينه حتى وجدناه اليوم في شخص هذا الشاعر الجليل ، ولقد عابوا عليه ركونه الى استعمال الغريب من الفاظ اللغة العربية ولا ارى ذلك عيبا ، ما دام غرض الشعر احياء موات اللغة ، وتذكير ما نسي ابناؤها فيها ، خصوصا في هذا العصر الذي ضاقت فيه دائرة الالفاظ العربية بعد ان هجر ابناؤها اكثرها ، فضاقت عن حاجتهم واغراضهم فلجئوا الى اللغات العربية يستعيرون الفاظها لسد هذا النوع وربما كان فيما هجروه ما يفي بأكثر اغراضهم ومعانيهم العصرية لو حافظوا عليه ، واحسنوا القيام على ... وللسيد البكري قصيده بدوية في وصف الحروب العثمانية واليونانية فاذا قرأها القارىء طارت به على اجنحة الخيال حتى اوقفته في سوق عكاظ بين يدي زهير حتى يسمعها منه غير شاك ولا مرتاب » .

يقول المنفلوطي ذلك في السيد البكري بينما يقول عن البارودي : « شاعر ينسج على منوال غيره ويعدو ولكن في اثر من تقدمه من فحول الجاهليين والاسلاميين وهيهات ان يكون واحدا منهم فمن شاء ان يشاهد تمثيل رواية الشعر القديم فليطالع شعر البارودي ! »

ويقول عن احمد محرم : « ضاع شعره بين الآثار والديار ، والنؤى والاحجار فما زال ينبش عنه في الترب حتى وجده بعد لأي وقد صدأ معدنه فما ينتفع به بعد ذلك ! »

ونحن نقول ان الذي يرى في البارودي ومحرم هذين الرأيين يرى نظيرهما في ادب البكري فكيف اختلفت النتيجة مع اتحاد المقدمات !! مهما يكن من شيء فقد رجع المنفلوطي عن رأيه في شعر البكري فقال عنه بعد ان اعتزل السيد الحياةوالاحياء بلبنان ! «البكري شاعر فحل الا انك تراه في شعره ممثلا اكثر منه شاعرا فهو ينسج ولكن على منوال غيره ، ويعدو ولكن في اثر من تقدمه من فحول الشعراء الجاهليين والاسلاميين فمن شاء ان يشاهد تمثيل رواية الشعر القديم فليطالع شعر البكري (٩) » .

لعلنا اسهبنا بعض الشيء في التدليل على اثر الاعتداد الادبي لدى السيد في توجيه شخصيته ، فقد جعله يصدق كل مديح ! ويعتد نفسه اكبر راس في الادب مما جر عليه من الصعاب ما اضيف الى محنته السياسية ! فضاعت ثقته اخيرا فيمن حوله ، وراح يعتسف الطريق !!

نحن نعلم ان الشخص السوي هو الذي يوازي بين قدرته وآماله موازنة معقولة ، بحيث لا يبيح لنفسه ان يطمع في شيء بعيد قد لا تسمح به الاوضاع الطبيعية في الحياة ، فاذا امتدت احلامه الى ابعد مما توحي به قدراته فان ذلك مما يكدر حياته ، اذ يظل قلقا يترقب الغد في ضجر ، ويجيل فياطوائه حديثا كابيا يصور القنوط والحرمان ! واخال ان السيد لفرط اعتداده قد رسم لنفسه وضعا تتقاصر عنه امكانياته ، اذ اعتقد ان رئاسته تجوز مشيخة الطرق الى اخطر مراكز الدولة ، ومشيخة الطرق في ذاتها غير قليلة آنذاك ، فهي مكان القيادة الروحية للعامة في عصر كان يحفظ لها جلالها المرموق ، وهي التي هيأت صاحبها لعضويةمجلس شورى القوانين ، ووطأت له رتبة الوزارة العلمية التي تقدم

---

(١) أدب المقالة الصحفية في مصر الجزء الثالث ابراهيم المويلحي ص ٦٦ . (٢) بيت الصديق ص ٤٣ . (٣) جـ١ ص ٣٤ . (٤) راجع الفصل الثاني . (٥) صاحب كتاب (الدرر اللوامع على همع الهوامع) وهو شرح مسهب لالف وخمسمائة بيت من الشواهد النحوية ، وهو حجة في علم العربية لا في ادبها . (٦) مذكرات كرد علي جـ١ ص ٣٤ . (٧) وميض الادب ص٩٧. (٨) ليالي سطيح ص ٥٧ طبعة دارالهلال . (٩) مشاهير شعراء العصر ص ١٧٢ لاحمد عبيد . (١٠) مقدمة كتاب الساعات الاخيرة للاستاذ الطناحي بقلم العقاد ص ١٢ .

بها على شيخ الازهر في كل اجتماع ! ولكن السيد وقد كسب ذلك كله تطلع الى اكثر ما لا يملك ! وان قوله لعباس : انا وزير مثلك ، ولاجدادي فضل على اجدادك ينطق بما في نفسه من طموح ، وما يشتمل عليه من اعتداد كبير لا يرضى بالواقع الرسمي بل يمتد الى ابعد الاشواط ، وكانت حاشية السيد لا تضم بينها الناصح البصير الذي يحاول ان يقف بالرجل عند واقعه ، ولكنها تجمع طائفة من الوصوليين ممن يتفهمون نفوس الناس ويعملون على استمالتهم بترويج ما يشتهون ، وتحسين ما يبتغون ، بل ربما حوفوا الصغير وادنوا البعيد بتمويهاتهم الخادعة ، دون تحرج فقد اشبعوا رغبة الرجل بعد ان عرفوا اتجاهه فسايروه ، بل بسطوا له الحبل الى ابعد ما يتمنى ! حتى تجسم لديه فرط الاعتداد ، ولم يتبين حقائق عالمه في ضباب كثيف من زائف الاطراء ومعسول الحديث !

وكانت الخاتمة المتوقعة لما يصدر عن هذا الاعتداد ان ينظر السيد من حوله فيجد نفسه بعيدا عن مرضاة السلطان ، وبغيضا من عباس ، ومرجفا به عند كرومر! فلا يرجع بذاك الى خطأ تقديره ، وسريع تقلبه ، وقلق احتماله ، بل يرجعه الى شعور مرير بالاضطهاد وتجمع الناس على مناوءته ، والوقوف امام سيادته المشروعة ورئاسته الواجبة ! واذا كانت اعصابه قد اضطربت في عنف بعد مكيدة حفني ناصف ، فلم يكن هذا الالتياث عرضا مفاجئا كما توهم بعض الكاتبين ، وانما كان خاتمة صراع طويل تهاوت معاوله في نفس السيد طيلة سبعة عشر عاما قضاها على مسرح السياسة ، اذ كان من سوء حظه انه اعتقد عن يقين في باكورة ايامه انه المقدم المرموق على النظراء والامثال بل على الاساتذة والاشياخ حيث حاز اكبر درجة علمية يمنحها السلطان ! واورثه هذا الاعتقاد المعتد المفاخر ضيقا كئيبا اخذ ينمو ويتكامل كما دار بعينيه فلم يجد كلمته تعلو الى الافق الابعد كما يريد ، وتحول الضيق في صدرالرجل الى صراع ينشب ويفلي حين يجد واقعه يتقاصر عن آماله ، وما يزال هذا الصراع يضخم حتى بلغ مبلغه من الحدة العنيفة بعد حادثة المحمل ، ومكيدة حفني ، فانفجرت اعصابه ، وظن الشر بالصديق والعدو ، وقال الناس ان الرجل قد التاث فجأة وما عرفوا ان نواة الصراع قد غرست منذ عهد بعيد ، وان التياث اليوم هو بذر الامس وان المأساة كلها ترجع الى شيئين هامين فرط الاعتداد في نفسه ، وخداع المشيرين من متملقيه ...

لقد سكت كبار الادباء لدينا عن تحليل مأساة السيد ، ولم نر منهم غير الاستاذ عباس محمود العقاد من يخصها بتشريحه ، اذ ارجع العلة الاصيلة في محنة الرجل الى ما سماه بوسواس الاضطهاد ثم عقد موازنة متكافئة بين مأساته ومأساة مي فكشف الستار عن كوامن مستترة وبواعث خفية كانت مدعاة المحنة لدى الاديبة الكبيرة والاديب الكبير ، وكان مما قاله العقاد عن السيد البكري (١٠)

« وفي حالة السيد توفيق جاءته الصدمة في ابان القلق وسوء الظن بالدنيا وبالناس ، جاوز الثلاثين منهوك الاعصاب ، مهدود البنية ، والقاه مركزه الاجتماعي بمعترك الازمات السياسية بين مصر ولندن والاستانة ، وحدث ان زائرا من اصحابه استدرجه حتى كتب له بخطه قصيدة في باب الغزل المحظور ووصلت هذه القصيدة الى المعتمد البريطاني فأغلق امامه الابواب في قصر الدوبارة ، كما اغلق الخديوي دونه ابواب عابدين ، وسبق الى ظنه انه مهدد في منصبه وسمعته ، بغير اطمئنان الى الحماية من احد ، فلما وقعت الصدمةعلانية بينه وبين الامير خالطه الخوف من كل جانب ، وتوهم انه مقتول او مسموم او مغدور به على وجه من الوجوه لا محالة ثم انقلبت ازمة السن او ازمة الحرج الى داء عضال » .

وختم العقاد حديثه بقوله عن توفيق ومي معا :

« رأسان لامعان ، سرى منهما النور ، وسرت اليهما النار ... واحترقا بما اشتعل فيهما من ذكاء ، وقد سلما من الاضطهاد حقا ، ولم يسلما منه ظنا ووهما كأنما هذا الاضطهاد قسمةبالحقاو بالباطللكل عقلمنير»!

هذا ما قاله الكاتب الكبير ! ولا يزال الموضوع في حاجة الى ان نقول تعقيبا على قوله « وقد سلما من الاضطهاد حقا ، ولم يسلما منه ظنا ووهما » ان المسالة بالنسبة للسيد البكري مما يتعذر معه السلامة من هذا الاضطهاد الموهوم ! لانه موهوم بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه ، فالرجل حين تقاصرت الايام عن بلوغ آماله البعيدة قد شعر بخيبة الاخفاق شعورا قاسيا ، فلم يستطع ان يعدل رايه في نفسه على ضوء تجاربه ومشاهداته ، ولكن فرط اعتداده بمكانه جعله يشعر ان آماله قد غصبت غصبا منه دون حق مشروع وان وراء ذلكمكيدة لا تني تفتل حبالها كل حين ، وان القصر من وراء هذه المكيدة عن يقين ثم تحققت مكيدة القصر بمؤامرة حفني ناصف فطار ما بقي من صواب السيد ، وتخيل شباكا اخرى تنصب للوقيعة به ثم لاغتياله ! واساس ذلك انه تخيل اولا شباكا نصبت للحيلولة بينه وبين امانيه ثم عزز هذا التخيل بحق واقع من مكيدة حفني ناصف فتلاحقت المكايد في عينه وتأكد انه يعيش على شفا جرف هار ! وهنا بلغ الصراع نهايته فتعدى طور الفليان المحتدم الى الانفجار الشديد .

رحمه الله ! لقد مهد له الحسب التليد كل راحة واطمئنان فسلبه الاعتداد البعيد ما مهد له الحسب التليد من راحة واطمئنان !

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

رسالة الى فتاة حقيرة

لا تطرقي بابي اذا أتى الربيع
أو خنقت مواسمي مخالب الصقيع
فلم يعد يعنيك ان دب المساء
في شاطىء .. أو أشرقت عرائس الضياء
معذرة .. أيتها البريئه !
يا أنت يا بائعة المشاعر الدنيئه
قصتنا .. أغنية ناشزة النغم
كئيبة الايقاع .. سرمدية الالم
ينخر في ألحانها الرتوب والسأم
قصتنا .. مهزلة مثلتها بألف وجه ،
وصبغتها بألف ألف لون
فلنسدل الستار عن مشهدها
ولنطفىء الضوء على مشاعر صرعى تسن
يا كم جعلت منك في خيالاتي أميره
في موكب الاحلام كم طفت بها كل جزيره
حاولت ان أدنيك من بروجي الكبيرة الكبيره
لكن سدى .. فان الف حائط يفصلنا ،
وألف باب
لان زورقي تحدى الموج والاعصار والضباب
ومبدأي .. مجذافه وسط العباب
ما حطم القيثار .. عازف سواك
ما دنس المحراب .. ملحد عداك
عيناك .. كان فيهما الخداع
ضراعة .. يحجبها القناع
ولهفة مسودة الشعاع
والطهر في وجهك كان يبتسم
والجوع في عينك نار تلتهم
وقلبك العقيم لم ينبت سوى الاشواك
زرعت فيه كرمتي فأجدبت يا حسرتي هناك
ها نحن في الظلام نخشى بأس ماضينا اللعين

وذكريات في الاسى مصلوبة الجبين
وألف معزف ينوح بالاسى وينزف الانين
وحدي هنا .. أنشد في ليلي مزامير الصباح
وحدي هنا .. ملقى على وسادة الجراح
أعتصر السلوان والعزاء
آكل جوعي في فراع ما له انتهاء
والضوء .. ألف اصبع يفقأ عيني في المساء
يجرح جرح كبريائي في الخفاء
لكنني اهرب منه خلف معطف ممزق من الرياء
لا تسأليني الان عن حزني ووحدتي
فالخجل المسعور يفري مهجتي
وانت يا حمقاء أنت زلتي
لا تسألي : لم يبق لي غير الاسف
وحفنة من الدماء في السكون ترتجف
وصورة باهتة الظلال
أغمض عينيها الضلال
لا تطعمي حقدك من دمي
لن تخرسي النشيد في فمي
لن تطفيء وميض أنجمي
يا قبلة برصاء .. فوق عمري الوحيد
يا رعشة الثلوج في عروق زهري الشهيد
يا ومضة السراب في عيون ملاح شريد
يا جثة صفراء كم آويتها في مخدعي
قاتلها فر مع الدجى ولم يزل يحيا معي
عودي له .. عودي لحبك القديم
لوكرك المعفن السقيم
لا ترجعي : غوري مع الشيطان لا ندم
يا من زرعت في ضلوعي خنجر الالم
فأنبتت مشاعري هذا النغم

القاهرة — وصفي صادق مينا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصص وطرائف أندلسية

جمعها الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

لم يترك اسلافنا صورا لانفسهم ولم يخلفوا تماثيل تعرفنا بهيئاتهم ولكنهم تركوا لنا خلاصة انفسهم في شعر جميل وخلفوا قصصا عن حياتهم ومجتمعاتهم واماكن تبسطهم . وفي هذه القصص وذاك الشعر يبدو الواحد منهم احيانا وكأنه يظهر لك من بين الكلمات واضح المعالم ويطل عليك من بين السطور او القوافي مكتمل الصورة والشخصية .

وقد جمعت بعضا من قصص الاندلس ذات التصوير الفني وهي اشبه بلقطات فوتوغرافية تسجلت قبل اختراع التصوير وقبل معرفة التسجيلات بأمد طويل وارجو ان تبعث في نفس القارىء ما بعثته في نفسي من طرب واستحسان شديد .

* قال الحضرمي : اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة اترقب وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح . ففرحت به اشد الفرح فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة علي الى ان بلغ فوق حده ، فقلت له يا هذا ارني من يزيدني في هذا الكتاب حتى ابلغه الى ما لا يساوي . قال فأراني شخصا عليه لباسي رياسه . فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده . قال ، فقال لي : لست بفقيه ولا ادري ما فيه ولكني اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه ، والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير . قال الحضرمي فأحرجني وحملني على ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك ، يعطي الجوز لمن ليست له اسنان وانا الذي اعلم ما في هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه.

وتظهر هذه القصة شدة اعتناء اهل قرطبة بخزائن الكتب حتى للمظاهر .

* يروى عن المنذر بن سعيد البلوخي قاضي الجماعة بقرطبة ايام الناصر ان رجلا آذاه واهانه ، فخاطبه منذر بالكنية اي يا ابا فلان وهي من دلائل تعظيم المخاطب فقيل له ايوذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال مرتجلا :

لا تعجبوا من انني كنيته من بعد ما قد سبنا واذانا

فالله قد كنى ابا لهب وما كناه الا خزية وهوانا

* كان اهل قرطبة لا يقدمون احدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يكون ذا مال خوفا من ان يميل به الفقر الى الطمع فيما بأيدي الناس فيبيع به حقوق المظلومين . ويروى ان « الحكم » الربضي اراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع اعلام العلماء فقالوا له : هو اهل ولكنه شديد الفقر . فسكت « الحكم » وبقي مهموما . فسأله ولده عبد الرحمن الذي ولى الملك بعده فقال ما بالك يا مولاي فقال الا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم ونّنوه عند الناس بمكانتهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط ولا مما هو يرزؤهم صدفونا عنه واغلقوا ابواب الشفاعة . فقال عبد الرحمن يا مولاي هؤلاء ما قدمتهم انت ولا نوهت بهم . وانما قدمهم ونوه بهم علمهم او كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في تلك المواضع قال لا . قال : ولما كنت انت اولى الناس بالانصاف فقد انصفتهم فيما تعبوا فيه من علم قال . صدقت فقال عبد الرحمن : واما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تنحسهم بما يبقى لك من الصالحات ذكرا . قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة فيزيل ذلك خجل ردهم لك وتكون هذه مكرمة منك محمودة . فتهلل وجه « الحكم » وقال : « الي الي انها والله شنشنة عبشمية وان الذي قال فينا لصادق » .

وابناء املاك خضارم سادة صغيرهم عند الانام كبير

* يروى ان الناصر احضر طبيبا لفصده وقعد لذلك بالمهو المشرف بأعلى الزهراء . ولما اخذ الطبيب الآلة ليقوم بالجراحة اطل زرزور وصعد على اناء من ذهب كان بالمجلس وراح يقول :

ايها الفاصد رفقا بامير المؤمنينا
انما تفصد عرقا فيه محيا العالمينا

وكان ان بعض نساء الخليفة ربت هذا الزرزور على حفظ هذا الشعر وفاجأت به الخليفة لتسعده به .

* لما هرب عبد الرحمن الداخل من الشام الى افريقيا قاصدا الاندلس نزل عند شيخ من رؤساء البربر يدعى (ابا قرة) . فاستتر عنده وقتا فلما دخل الاندلس واستتب امره به سار اليه (ابو قرة) فأحسن اليه واكرم زوجته (تكفات) البربرية التي خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنده . فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله في الاندلس « لقد عذبتني بريح ابطيك يا (تكفات) على ما كان بي من الخوف وسطعتيني بانتن من ريح الجيف » . فكان جوابها له مسرعة : بل ذلك كله كان والله منك يا سيدي. خرج ولم تشعر به من فرط فزعك . فضحك عبد الرحمن واغضى عن جرأتها .

* جرت مناظرة بين ابن حزم وابي الوليد الباجي. قال فيها الباجي : انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة من ذهب وطلبته انا ساهرا بقنديل بائت السوق . فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والاخرة » . فافحمه .

* كان ابن حيان يفتخر بالبخل ويقول : اوصيك بحفظ دراهمك وان يقال عنك بخيل لافضل من ان تحتاج الى السفل . ومن لطيف شعره :

لنا غرام شديد في هوى السود ... نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به اغربت ابصارنا وحكى ... في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شيء احسن من كاس تركبه ... في آبنوس ولا اشفى لمبرود
لاتهو بيضاء لون الجص واسم الى ... سوداء حسناء لون الاعين السود
في جيدها غيد في قدها ميد ... في خدها ميد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوى ... من هجرها وابتلت عيني بتسهيد

ومن شعره ايضا :

اذا مال الفتى للسود يوما ... فلا رأي لديه ولا رشاد
اتهوى خنفساء كان زفتا ... كسا جلدا لها وهو السواد
وما السوداء الا قدر فرن ... وكانون وفحم او مداد
وما البيضاء الا الشمس لاحت ... ينار العين فيها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد ... يلذ السهد معها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق ... لدى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين بها ابيضاض ... ووجه الكافرين به اسوداد

فأيهما كان ابن حيان يفضل : هل هي البيضاء ام السوداء .

* كان ابن الزقاق الشاعر الاندلسي المشهور يسهر في الليل ويشتغل في الادب وكان ابوه فقيرا جدا فلامه وقال له : « نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه » . واتفق ان برع في الادب والعلم ونظم الشعر فقال مرة قصيدة في ابي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية فأطلق له ثلاثمائة دينار فجاء بها الى ابيه وهو جالس في حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجرة وقال خذها فاشتر بها زيتا .

* مدح شاعر احد الامراء بقصيدة مطلعها :

مولاي جاء الشتاء ... والكيس منه خلاء

فقال الامير : هذا الضمير الذي في البيت الاول على ماذا يعود فقال بحسب مكارم الامير ، ان شاء على الدراهم وان شاء على الدنانير . فضحك وقال هات كيسك . فأخرج له كيسا كبيرا فملأه له وقال اظنه كان معدا عندك فقال : مثل الامير من يكون جوده مظنونا .

* من احسن ما اثر عن (ابن شهيد) من كتابات نقدية حديثة عن وظائف بعض الاعضاء في القدرة الادبية وصلات الهيئة الانسانية بالملكة الفنية ووجود علامات عضوية تدل على عدم هذه الملكة او نقصانها . وفي ذلك يقول (ابن شهيد) في بعض ادعياء الفن من معلمي قرطبة: فهذه حال العصابة من المعلمين يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة وتقصيرهم بالآلة هو عن طريق العلل المفسدة للآلة القابلة للروحانية والخادمة لآلات الفهم الباعثة لرقيق الدم في الشريانات الى القلب . وزيادة غلظ اعصاب الدماغ ونقصانها عن القدر الطبيعي . ومما يعين على ذلك بالحدس وطريقة الفراسة عن فساد الآلة الظاهرة فرطحة الراس وتسفيطه ونتوء القمحدونة (مؤخر عظم الراس المشرف على القفا) والتواء الشدق ، وخزر العين (ضيق العينين) وغلظ الانف وانزواء الارنبة .

* شهد رجل عند القاضي فرد شهادته وقال بلغني ان جارية غنت فقلت لها احسنت ، فقال : اقلت ذلك حين ابتدأت ام حين سكتت قال حين سكتت . قال انما استحسنت سكوتها ايها القاضي . فقبل شهادته .

* جلس الخليفة الناصر يوما مع بعض خاصته وفيهم الوزير ابن جهور والشاعر ابو القاسم لب . فأراد الخليفة ان يداعب جلساءه فطلب من الشاعر ان يهجو الوزير فامتنع خوفا على نفسه من سلطان الوزير فطلب من الوزير هجاء الشاعر فامتنع خوفا على عرضه من لسان الشاعر . فقال الناصر فأنا اهجوه وانشد :

لب ابو القاسم ذو لحية ... طويلة في طولها ميل

ثم قال لابن جهور : لا بد من تذييل هذا البيت ودع الاعتذار فقال :

وعرضها ميلان ان قطعت ... والعقل مافون ومخبول
لو انه احتاج الى غسلها ... لم يكفه ففي غسلها النيل

فضحك الناصر وقال للشاعر المهجو انه قد سبب لك القول . فأنشد :

قال امين الله في خلقه ... لي لحية ازرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذي ... ماكله القرضيل والفول
لولا حياتي من امير الورى ... نخسفت بالمنخس « شو » ...

ثم امسك الحديث ولم يتم البيت فقال الناصر مكملا البيت « كولو » . فقال الشاعر انت هجوته يا مولاي فضحك الناصر وامر له بصلة .

وتظهر هذه القصة معرفة العرب باللغة الاسبانية التي كانت سائدة في ذلك الحين فكلمة (شو) ترادف بالانكليزية « his » اي ضمير الملك للمفرد الغائب مثل الهاء في قولنا « كتابة » والثانية (كولو) معناها العجز او الردف . فهو يقول (نخست بالمنخس ردفه او عجزه)

* جاء في نفح الطيب انه وجد بخط الناصر ايام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا . ويوم كذا من كذا . وعدت تلك الايام فكانت اربعة عشر يوما فأعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها . هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود . ملكها خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا اربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة .

— ولعل لنا الى اخبار اسلافنا في الاندلس رجعة قريبة ان شاء الله .

لندن **فؤاد جبور حداد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نسيم نصر

من ذكريات معلم

بقلم نسيم نصر

* * *

قلت في حديث سابق : « ان حمص كانت بالنسبة الي ، مختبر حياة ونزهة خاطر . » وهذه ذكرى حمصية تؤيد حقيقة هذا القول :

في اواخر العام المدرسي ، حزيران سنة ١٩٣١ دعاني اليه رئيس الكلية التي كنت فيها استاذ الترجمة والتعريب ، ومرشد ناديها الادبي ، وقال لي :

« هيء نفسك في هذا الصيف واعتمد ما تراه مساعدا من الكتب في الادب والنقد ، فقد اخترناك لتدريس الادب العربي ، في مطلع العام المدرسي المقبل . » ولما بدوت انني غير مطمئن لهذا الاختيار ، بادرني بقوله : « اسمع ، يا استاذ ، ان ذا القدرة على تدريس الادب العربي اليوم لا بد له من ان يكون احد اثنين ، لا ثالث لهما : احدهما عبقري له من اصالة الذكاء وحدة الفطنة وثاقب الفهم ما يؤهله ان يستحدث مناهج للبحث واساليب للنقد ، في جملة ما يستحدث ويبدع . وهذا العبقري قلما يرضى ان تحده مدرسة بجدارها واجوائها ، وانما يكون مدرسة في ما يؤلف وما يخطط ويرسم للاجيال الطالعة . » وثانيهما متتلمذ على ادب اجنبي تدرب على ذوي الاختصاص من اساتذة الآداب الغربية . وهذا المتدرب على اساليب النظر في الآثار الادبية وفقا لمناهج اعلام النقد والبحث ، في اللغة التي تعلمها من لغات الغرب ، لا بد له ، ان صح لسانه العربي ، وسلم ذوقه البياني ، من ان يصلح للاخذ بهذا الجديد الذي نحن آخذون به ، في لغتنا العربية ، وان يصبح معلما فيه بحكم الضرورة ، فكن هذا الثاني . »

وهكذا اريد لي وطلب مني ان اعلم ما لم اكن لاجرؤ أن ارشح نفسي لتدريسه . فكان علي ان اكون عند حسن الظن بي وان اتهيأ لهذه المهمة الجديدة . وعندما خلوت بذاتي لاتبين طريقي الى النجاح في ما انا مقبل عليه من جديد ، رأيتني كما قال صاحبي : املك مادة خاما تحتاج الى تصنيع لتأتلف في الهندسة التي اريدت لها . فرحت اغذي نهمي الى قراءة النصوص لاعلام العربية في مختلف عصورها ومواطنها ، معتمدا اساس كل بحث او نقد ادبي انعام النظر في القراءة المنهجية من خلال اطاريها الزمني والمكاني ، للخروج من كل ذلك بما يصلح ان يدعى الطابع الفني ، نسبيا ، لهذا او ذاك من الادباء اشاعرا كان ام ثائرا ؟

ويبدو ان حزيران سنة ١٩٣١ كان مفترق سبل في حياتي كمعلم ، فقد اريد لي في هذا الشهر وطلب مني ان اعلم الادب العربي . وها انذا في اواخر العام السادس والثلاثين ، من ذلك التاريخ ، ما ازال احج الى محراب الكلمة العربية اتدبر امر تدريسها بحرص النبوة البرة بالامومة الخيرة .

ومن احب الذكريات التي تعودني عن الادب ومجالسه في حمص ، ذكرياك لبناني اديب اقام فيها حوالي ثلاث سنوات منفردا باستخفاء ندر ان احاط اديب اخر نفسه بمثله . وكانت معرفتي بهذا الاديب الشاعر اكتشافا لشخصية فيها كثير من المواهب المبدعة والانسانية الطيبة . ولكنها مواهب تعمل في ظل من مركب انساني نبا بصاحبه عن المجتمع نبوة فيها كثير من العطاء ، خلف براقع من الاسماء المستعارة ، واسمه الحقيقي فريد الابيض الحداد .

عرفته شاعرا تعانقت على اسلة يراعته الفصاحة العربية المسلسلة من اصفى منابعها ، والبلاغة المولدة في اقوى معطياتها ومراميها . وكنت احب ، من حين الى اخر ، ان اثير شاعريته ليفيض منها بفريدة من فرائده . وقد بعثت اليه في اوائل ايلول سنة ١٩٣٢ بقصيدة نظمتها في بلبل اخذته جريحا فوضعته في قفص واوليته عناية كبيرة . وهذا بعض تلك القصيدة :

قنص البلبل يوما صائد	وانثنى مغتبطا مما قنص
اخذ الطائر عن افنانه	ورماه بين اعواد القفص
واتاه بالغدا في سجنه	وعليه من اذى الهر حرص
اكثر الانسان من اكرامه	واذا اكثرت من شيء نقص
وجم الطائر في محنته	وتولاه بذا الاسر السقم
ورأى الاكرام امرا زائفا	ورأى الاكل سموما لا دسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصرع الحب

●

لا تقولي .. لم يمت حبي أنـــا ... أنـــت أخلفت عهـــودا بيننـــا
لا تقولي : انـــت قلب حـائـر ... لـــم يكـن يومـا بحبي مؤمنـا
يا عذابي في الهوى .. لا تكذبي ... أينا قـد خـان عهـدا أينـــا ؟
ما الذي أخلفته .. مـا دام لي ... كل عـين تجتلي فيك السنـــا ؟
وامـانـــي فـــؤادي جمـــة ... واليك تنتهي .. كـــل المنـــى
كـل مـــا تلقين بـــي جارحة ... تشتهي منك الجنى .. حلو الجنى
أي حب .. غيـــر حبي صادق ... أنما شاء القضا . .ان يطعنـــا
يـــا عذابي .. لست بالحانق أن ... جرح الشوك .. وأدمى حبنـــا
أنت انثى .. أن صفت عاطفـة ... وانطلاقا .. فهي تخشى الالسنا
أنت منـــذ البدء .. حواء التي ... تزرع الشوك .. وتجني السوسنا
هو حظي فـــي هواك .. عاثر ... مثل حظي .. ونصيبي في الدنا
ما احتيالي .. ان يكن ذنبي.. يد ... قصرت .. باعا وجافاها الغنى ؟
فاذهبي .. ان شئت عني زورقا ... نحو شط .. غير شطي قدرنـا
وأبعدي .. ما شئت عني موجة ... تقتفي موجـــا .. عتيا أرعنـــا
واتركيني غارقا فـــي لجة .. ... زورقي الايام .. نعمى او ضنى
فلقد أبكـــي أسى .. لكنمـــا ... حسراتي للسنـــا .. لا للخنـــا
المقـاديـــر أرادت .. أن أرى ... مصرع الحب .. الذي قد ضمنا
والمنـى كانت .. ورودا ولقـــد ... تتهاوى .. كالازاهيـــر المنـــى

جدة ـ السعودية

مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانزوى يذكر عيشا غامـــرا ... في رياض ومروج واكـم
هاجت الذكرى بـــه اشجانـه ... رب ذكرى ايقظت روح الالـــم

ولما كان شاعرنا بلبلا بشريا قضى عمره في قفص حاكه من قضبان عزلة فرضها على ذاته ، كان لا بد له ان يفلسف الحياة على السنة بلابل الطير . وهذه بعض مقاطع من قصيدة خاطبني فيها منكرا علي سجني البلبل الحر الجريح ، ومهيبا بالبلبل السجين ان يلقـــن الناس درسا في الحرية ، قال :

قانص البلبل في لهـــو الفرص ... رب قناص لهـــا فـي مـا قنص
انت تدري وطـــاة النيـــر على ... عنـق الحـر تنـــزى أم رقص .
رقصة المكبـــول فـــي اغلالـــه ... كبـر يخفي بـــه مـــر الغصص
اطلـــق الصـــداح مـــن محبسه ... مـا يطيق الحر حـرا فـي قفص

يا مهيض الجانح الثاوي علـــى ... مضض الاسر وتبريـــح السقـم
ساقك الحسن الـى القيد وكـــم ... عبثت بالحسن ، للحسن ، الذمم

انت اشقى مـــن تلظـــى فبكـى ... مصرع الحق بكفـــي مـن ظلـم
غـن للاحـرار فـــي اغلالهـــم ... أطرب الالحـان ألحـــان الالـــم

قل لهم : هذا دمي فـي جانحي ... نضحتـــه دون حقـــي كبـــدي
يفضل الجـــرح تنـــزى دمـــه ... في مجال الذود صخب الـــزرد
كان لـــي أمس طـــروب وانقضى ... وانـــا مـــن حاضري او من غـــدي
بلبل ابعث فـــي اللحن اســـى ... كلما مرت علـــى جرحي يـــدي

ومثل هذا الشعر كثير في اوراق هذا الشاعـر المغمور ، الذي لم يكن حظ مخلفه الشعري ، بعـد ان مات سنة ١٩٥٨ بأفضل منه يوم كان الشاعر حيا ينحل قصائده هذا وذاك من الاصحاب ، ويوقع ما لم يهبه لاحد بتوقيع مستعار ايضا ، ولكن ادبه كالطيب لا بد له من ان يبوح بمخبئه .

نسيم نصر

ليل بلا قمر

بقلم خليل ابراهيم الفريح

عندما تعانق العواطف المشبوبة الخيال .. ينطلق الى عوالمه اللانهائية في مسيرته الظافرة دائما نحو التخفيف من ازمات ذاتية تعيش في داخل النفس .. في اغوارها السحيقة جدا ، وعندما لا يتاح للخيال ان يمحو ولو ببطء ما ترسب من ألم الفراق .. تصل الازمة الى ذروتها ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا بالنسبة لفاطمة التي لا زالت مستلقية على ظهرها ، فما لبث الامل ان بدأ يداعب ذهنها ، فسينتهي الفراق لا محالة . وغير بعيد عنها استقر سراج شاحب الاضواء ، وكلما عبثت به نسمة هواء رقصت ظلال الاشياء على الجدران الطينية ذات الشقوق المتعرجة ، كآثار قلم يمسك به طفل صغير ، وفي غير انتظام يخط خطوطا لا تعرف الاستقامة ، كانت تلك الشقوق ناتجة عن القدم الذي اصبح من مميزات هذا الحي . وحاولت فاطمة ان تنام بعد ان رقدت المدينة في الظلام ، وغطت منازلها في نوم عميق يلفه رداء الليل بالوحشة ، ولكن النوم يأبى ان يسلس لها القياد ، وتظل مستلقية على فراشها المتواضع تستلهم الاماني خروجا من ارقها ، ومن راسها آلام حادة ، وكأن هناك من يمسك بعدة مطارق ، ويهوي بها على راسها دفعة واحدة ، ومع شدة هذه الآلام .. فان التفكير يسرح بها بعيدا ، حتى انها تكاد تنسى نفسها ، ولكن آلام راسها تشدها شدا الى هذه الغرفة الضيقة المسقوفة بجذوع النخيل والمليئة بمختلف الاثاث المحتمل وجوده في غرفة ضيقة كهذه الغرفة .. صندوق خشبي وفوقه قفة كبيرة فيها بعض الملابس القديمة . وغير بعيد عنها انتشرت بعض الاشياء ومن ضمنها بردعات حمير يستعين ببعضها بعض اخوتها للنوم عليها ليلا بينما يستعملها اخوها حمد لحميره نهارا ، وحمد .. هو الاخ الاكبر الذي يسير دفة هذا البيت الصغير ، ويشرف عليه اشرافا حازما لا مجال فيه للاخذ والرد ، وفي هذا البيت الصغير والمكون من ثلاث غرف بمدخل واحد .. تعيش مع امها واخويها الصغيرين ، اما اختها الكبيرة ، فقد تزوجت ، وخرجت مع زوجها من هذا القبو المظلم دائما نتيجة لكونه في نهاية ممر مسقوف يسمونه الساباط ويكثر في هذه المدينة العريقة ، اما هي فقد تزوجت ايضا ، وبدلا من ان ينقذها زوجها من هذا القبو ، ومن سطوة اخيها الذي لا يرحم .. تركها ورحل ، واليوم كان مفروضا ان يأتي من السفر ، فقد ارسل منذ ايام رسالة يخبرهم فيها انه سيحضر هذا اليوم .. ومنذ علمت بموعد حضوره وهي تعد الثواني والدقائق لهذا اليوم الذي تتمنى الان انه لم يكن من عمر الزمن ، ففي هذا اليوم الذي كانت تتمنى ان يكون اسعد ايامها ، حدث من اخيها حمد ما عكر صفو نفسها ، وها هو اليوم يمضي دون ان يأتي زوجها ، وحسنا فعل ، فلو اتى وهي على هذه الحالة لراعه ما آلت اليه حالها نتيجة خطأ موهوم لم ترتكبه . لك الله يا حمد .. ما كان اغناك ان ترتكب هذا الخطأ في حق اختك ، ومدت يدها تتحسس الخرقة البالية التي عصبت بها راسها ، وآلمها ان تجد من اخيها كل هذه القسوة بلا مبرر ، كانت آلام راسها وآلام نفسها من الاسباب الكافية لطرد النوم من الجفون ، ونسيت لفترة زوجها لتتذكر احداث هذا اليوم المشئوم ، فقد استيقظت باكرا كالعادة ، وبعد ان انهت غسل اواني الطبخ وتنظيف البيت ، تناولت الجردلين لتجلب الماء من العين الجوفية ، وكغيرها من فتيات الاسر الفقيرة ، كان عليها ان تجلب الماء يوميا من عين جوفية يردها سكان الحارة يستقون منها ، ولكنهم عندما يسقط دلو العين فيها ، او عندما يسقط ايضا قط او كلب فيها ، فان عملية اخراجه تستغرق وقتا لا يجدون خلاله بدا من الذهاب الى عين تخص حارة اخرى ، اما من كان حاله افضل فان ذلك لا يهمه لانه يملك عينا جوفية خاصة ، ومثل هذه الاسر لا يمكن ان تسمح لغيرها بارتياد هذه العين ، الا في حالات خاصة جدا ، ومن لم يعجبه ذلك فلينطح الجدار .

احيانا تتساءل فاطمة : لماذا لا يجلب الرجال الماء ، لان عملية اخراج الماء بواسطة الدلاء الكبيرة والرشاء الغليظة ، هذه العملية .. متعبة جدا ، ولا تقل عنها تعبا عملية نقل الماء في جردلين كبيرين الى البيت الغير قريب من العين ، فكيف اذا كان الامر يستمر اكثر من مرة في الصباح واكثر من مرة في المساء ، وفي كل مرة لا بد من تفريغ الجردلين في الجرار او في اواني الماء الفخارية الكبيرة التي لا تنقل .. وكان امامها مرة واحدة حتى تنتهي من جلب الماء ، ووقفت مع الواقفات تنتظر دورها .. كان قلبها يكاد يطير من الفرح ، فستنتهي من هذا العمل الشاق ، وتخلو الى نفسها لتتذوق وترتدي افضل ملابسها استعدادا لاستقباله في اية لحظة ، كانت تبدو ككتلة سوداء لا يميزها شيء

عن غيرها من النسوة اللواتي يغشين هذا المكان ، وجاء دورها ، وملأت بالماء جرداليها ، وحملتهما كل واحد بيد ، ولما كانت المسافة غير قصيرة بين البيت والعين ، فقد كان طبيعيا ان تتوقف اكثر من مرة لتستريح، ثم تستأنف السير بعد ذلك ، ولما اشرفت على الساباط ، تدخلت ذبابة مشئومة لتقلب مشاعرها رأسا على عقب ، فقد كانت هذه الذبابة تتخبط في اضطراب على وجهها ، وقد منعها الحجاب السميك من الخروج ، فلم تجد فاطمة بدا من التوقف ، لطرد هذه الذبابة المتطفلة ، وازاحت حجابها قليلا لتترك لهذه الذبابة فرصة الخروج، وفي تلك اللحظة بالذات كان حمد يخرج من البيت ، فرآها شبه سافرة ، وبسرعة عادت لتستر ما انكشف من وجهها ، وعندما مر بها كان غاضبا ، فلم يرد عليها عندما قالت : صباح الخير ..

فكاد قلبها ينخلع من الفزع ، فعندما يغضب حمد ، فان هذا يعني اشياء كثيرة . وبسرعة .. حملت الجردلين ، ودخلت البيت لتفرغهما في الجرار ، ولكنه عاد ، ووجدها قد انتهت من ملء جرة ، وبدون ان يتكلم ، تناول الجرة ، ورفعها ليهوي بها بكل قواه على رأس فاطمة .. فترنحت لهول الضربة ، ثم سقطت دون ان تنبس بكلمة ، واندفعت الدماء غزيرة من راسها ، واسرعت امها تولول عندما رات ابنتها على هذه الحال ، وتجمع الجيران ، واستطاعوا ان يسدوا الجرح الغائر في رأسها ، ويوقفوا نزيف الدماء الطاهرة البريئة ، وكان حمد قد خرج بعد ان قال :

ـ انها لا تستحي .. كيف تجرؤ على كشف وجهها خارج البيت .

وعندما بدأت تعي ، كانت آلام الدنيا كلها قد تجمعت في رأسها ، فابتلعت الحزن ، ولم تقل شيئا رغم انها سمعت لفط بعض العجائز اللواتي اجمعن على ان (هذا جزاء من لا تستحي) . ومضى اليوم مملا كريها يزيده ترقب وصول الغائب توترا ، وحتى هذه الساعة لم يصل ، وازداد ألم الرأس والم النفس زيادة لا تطاق ، فامتدت يدها لتطمر بالظلام بركة النور الصغيرة عندما كتمت انفاس السراج .

وفي الهدوء .. كان هناك صوت لم تميزه في البداية ، فأصاخت السمع ، فاذا صوت طرقات خفيفة على الباب الرئيسي للبيت ، فازداد وجيب قلبها ، ونسيت آلامها وتساءلت : من يكون القادم في مثل هذا الوقت ؟ لعله هو . بعد سنتين من الغياب يصل ، وتصل معه الراحة ويصل معه الحب .

والح الطارق في طرقه ، ولكن دون كلام ، وكان الخوف والفرح والحيرة تتنازع مشاعرها ، فقامت واقتربت من الباب لتهمس : من الطارق ؟

ـ انا ..

ـ من انت ؟

ـ زوجك يا فاطمة .. افتحي الباب ..

انه هو .. صوته الدافىء .. حنانه الحار . ساعداه القويان ، وتعانقا في الظلام ، وامتدت يده لتتخلل اصابعه شعرها الليلي ، فاصطدمت بالخرقة التي ربطت راسها بها ، واحست في صوته اللهفة وهو يسأل : ـ ما هذا ؟

ـ جرح ..

ـ ما سببه ؟

ـ حمد .. حطم الجرة فوق راسي ..

ولم يسأل لماذا .. بل اكتفى بأن مرر يده على الجرح ، واحست بعدها ان آلامه قد زالت ، وعاد الامن والسلام الى نفسها ، وقالت بهمس : ـ دعني اوقظ امي ..

ـ لا داعي لازعاجها .. سأنام في الساباط حتى الصباح .

ـ لن تنام في الساباط . المكان واسع ، هيا نم معي .

وشدته من يده بحذر ، وترك ما معه في الدهليز الضيق ، وهي تتحسس الطريق ، وهو وراءها .. حتى اذا وصلا الى فراشها .. احست بيد تهزها وصوت يقول :

ـ فاطمة .. استيقظي .. لقد تأخرت اليوم كثيرا .

كان الصوت هو صوت امها وهي توقظها من نومها الذي لا تعرف متى بدأ ، وعادت الآلام من جديد تنهش رأسها .

السعودية **خليل ابراهيم الفزيع**

دعوة

دعاني فلم لا ألبي نداه ... ولم لا أكون رفيق هواه
أما كنت دوما أغار عليه ... وأهفو اليه وأحيا رؤاه
أقاسمه خلجات الضلوع ... وتعبث بي أمنيات لقاه
ويشركني همسات ظنوني ... ويعتبني مفرقا في رضاه
ولكن برغم حقوقي بحبـ ... ـه أخشى الملام ومن قد رعاه
وأخشى شعورا يلم بقلبي ... يعذب حبي ويوهي عراه
أجل قد دعاني اليه هواه ... وعمري لا يقتضيني سواه
واني سأرعى هواه مشوبا ... بكل الخطايا بما قد عراه

دمشق **سلافة العامري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



لمع مشرقية

مجموعة شعرية ـ امين البرت الريحاني ـ ؟ صفحة ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ مطابع الريحاني ببيروت

ما أحلاك لعمك الريحاني الكبير سميا ، وما اجدرك بعهده وفيا ، ولادبه وليا ، وعلى تراثه الرائع وصيا ، وبتعاليمه حفيا ، ولرسالته العربية تليا هديا ، ومن كوثره شاربا رويا ، وما ابرك اذ نراك تخفر ذمته ، وتخطو خطوته ، وتسلك سيرته وهديته ، وتزرع في القلوب حبته ، وتصرخ صرخته ، وتعصر خمرته ، وتسكر سكرته...

اتراني مغاليا اذا قلت انك مرشح لخلافة عمك الريحاني الكبير ؟ ام تراني وضعت على عاتقك تبعة ينوء بحملها الظهر والظهير ؟ ام تراك تقول : من هو هذا المفتون الذي يسول له الغرور، ان يجلس على كرسي الريحاني امين ؟

لا ازعم ان وشائج القربى الدموية تؤهلك وحدها للجلوس على كرسي عمك العظيم ، ولكن هناك ايضا مواهب الفكر والروح والقلب والافق الفسيح الوضاء ، فاذا اقترنت تلك الوشائج بهذه المواهب في عزم ومضاء ، فلا بد ان يرتفع البناء ، وينطاد صعدا في العلاء..

ولست كما تعلم ممن يطلقون كلامهم جزافا ، ولا ممن يغررون بالاخرين خفافا ، ولا ممن يرسلون كيل المديح طفافا ، ولا ممن يرعون مع الآساد خرافا ، لا ، لست واحدا من هؤلاء ، ولكني ممن يحذرون وأد المواهب ، وممن يحرصون على الكشف عن المواهب السوائب ، المهملات الضائعات في مطاوي الغياهب ، او المنصرفات عن المشارق الى المغارب .

وهذه المحاذرة ، وهذا الحرص هما اللذان يحدواني الى توجيه كلمتي اليك بعدما اطلت علينا باكورتك الادبية « لمع مشرقية » وقد التمعت فيها اواصر من نسب الفكر والقلب والروح الذي يصلك بعمك الامين ، فما ان طالعناها حتى قلنا : اننا امام موهبة تتجنح، والمعية تتفتح ، وعين تتحلب وتترشح ، وكلمة تترجح ، فماذا لو ان هذه الكلمة استقرت ، وهذه العين تبجست ، وهذه الموهبة تسددت وانطلقت ، وهذه الالمعية تسعرت وانصهرت ، الا نشهد عندئذ ولادة الانسان المنشود ؟ ولا شك انك ادركت يا عزيزي ما ارمي اليه .. فهلا كنته ؟

ولنتحدث عن باكورتك « لمع مشرقية » فلا شك انها من حيث الفكر والخيال والصور والايحاء والتجربة وانفعالات النفس ونبضات القلب ، والكنايات والاستعارات والرمزية واختيار الالفاظ ، اقول ان لمعك المشرقية تحمل من هذا القبيل ، اخصب المعاني الشعرية ، هذا امر لا شك فيه ولا جدال ، فانت شاعر بالفطرة ، بارع في اقتناص المعاني وسبكها بجزالة ، اما من حيث الطابع والاسلوب والصيغة والجرس الموسيقي ، والشعر كما نفهمه نغم وموسيقى وايقاع وتناسق اصوات ، فقصائدك بعيدة كل البعد عن المفهوم العربي للشعر . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا وصفنا هذا (الشعر الجديد) المستورد من وراء البحار (مادة خامية) تفتقر الى صانع وملحن ..

ونراك في مقدمة (اللمع) قد تنبهت لهذا الامر واحتطت له ، وكانك شعرت بان المقياس العربي للشعر لا يعترف بسوى القصيدة المنظومة اي العمود الشعري ، فدافعت عن (القصيدة المنثورة) وقلت (انه غير مجد تحديد شكل معين للشعر وجعل اطاره شرطا من شروط وجوده) وكانت الحجة (رب بيت موزون مقفى لا تجد فيه اثرا للشعر ، ورب قصيدة منثورة تنقلك الى عالم السفر ، الى دنيا نفسك على دروب الرؤى الشعرية المعلية ، والعكس بالعكس فالشعر لا يحدد بشكل) .

والصحيح اننا عندما نعثر على ابيات موزونة مقفاة دون ان نلقى فيها اثرا للانطلاقات الشعرية ، فنحن لا نصفها بشعر ، كما اننا نجرد ناظمها من الشاعرية ونعلن صراحة انه نظام وزان لا اكثر ولا اقل ، باعتبار ان العناصر الشعرية الموسيقية مفقودة ، والبون بعد هذا شاسع بين الشاعر والنظام ، فالحجة اذن منها فتة لا يؤخذ بها اذ ان السر ليس في الميزان وحده ، بل في ما نضع في كفة الميزان ايضا ..

غير اننا لم نستغرب دفاعك عن (القصيدة المنثورة) وحصر الشاعرية فيها دون الموزونة المقفاة ، فقد كان رائدنا عمك الريحاني الكبير في طليعة من تنكروا للعمود الشعري ، فهاجمه بشدة في (هتاف الاودية) واتهمه بالعجز عن تأدية المعاني وبالتكلف والتعمل والتصنع بحجة ان الوزن والقافية يمنعان عن الشاعر الحركة والانطلاق ، ولذلك يؤثر الطريق الاوسع والاسهل ، وكان له في الشاعر الاميركاني وايتمان الموجه والملقن والموحي ، فقد استهواه بأسلوبه وبراعة تصويره وتفكيره الخيالي الفلسفي العميق ، ولم يلبث ان سلك سبيله واخذ يجاريه في اسلوبه وهديته فاتحف العربية بتجارب شعرية رائعة ذات معنى فلسفي مسبوكة في قوالب خيالية رمزية ، ولعله اول من دشن (القصيدة المنثورة) في الادب العربي الحديث ولكن تحفة الريحاني الشعرية ، على جلالها ، فقدت عنصرا من عناصرها الرئيسية وهو النغم والحركة الموسيقية وتآلف الاصوات والايقاع ، وقديما وحديثا قال العرب (انشد الشاعر قصيدته) وهذا يعني ان الشعر اناشيد تنشد ، ولنا في اغاريد البلبل واساجيع الحمامة مثل طبيعي حي ، كما ان لنا في الزجل العامي وهو موزون مقفى آية بليغة ، فهل نقول ان البلبل متعمل والشاعر العربي متكلف ، والزجال متصنع ، بل ماذا نقول لو ان الزجال اللبناني مثلا لجا الى التجديد وساق زجله نثرا ؟

ثم ان الريحاني النابغة ترجم الى الانكليزية رباعيات فيلسوف المعرة ذات الروتين في القافية الواحدة ، ولولا انها ملكت عليه ذهنه واستبدت بفكره لما عني بها ولما كلف نفسه عناء ترجمتها ، فهل رأى فيها تعملا وتكلفا ، وهل ضاق الوزن والقافية المزدوجة الروي عن استيعاب التجارب العميقة والصور البارعة والمعاني الدقيقة التي جالت في خاطر (رهين المحبسين) .

اما التجديد الذي ينادي به (المجددون) الذين يعيبون على فنون الادب العربي اشياء كثيرة ، فمعناه في عرفنا صبوة في النفس الى الابداع ، ومعناه الاتيان بالافضل والاجمل والاكمل ، ومعناه التوليد والابتكار ، ومعناه الاصالة ، والاصالة تستنكر الدخيل والنقيل فهل جاء (تجديدهم) ابداعيا أصيلا ام جاء تقليدا دخيلا ؟

ثم ان بحور الشعر العربي ليست جامدة ضيقة محدودة ، كما يتوهم اولئك الذين يستعصي عليهم النظم ، والحقيقة انها بطواعيتها واصولها الموسيقية التي لا تحصى مشتقاتها ، تتسع اشد الاتساع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

للتوليد والابتكار . ولنا من فن الموشحات الذي وضعه شعراؤنا الاندلسيون اجلى دليل وانصع برهان على ما يتفجر في بحور الشعر العربي من طاقة مولدة وحركات موسيقية متدفقة وهذا يعني ان الشعر العربي القائم على الموسيقى وتآلف الاصوات انما يفتقر الى شيء واحد ، وهو العبقرية المولدة .

ومما يؤثر عن « العقاد » الجبار ، رحمه الله ، مقالاته في تعصبه على الشعر المنثور ، فكان وهو مقرر لجنة الشعر في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، اذا عرضوا على اللجنة شيئا من الشعر المنثور هز رأسه استخفافا وامر باحالة هذا الشعر الى لجنة النثر لتنظر فيه ..

مع هذا لسنا من المتزمتين الذين يحنطون الحرف او الذين تجمد اللفظة في افواههم وعلى اقلامهم بل نجنحها ونلونها لتنطلق في دورانها حول المعنى الاوسع والافق الارحب الارفع ، مع هذا لا نستطيع ان نسمي الاشياء بغير اسمائها . وكما جاز لك يا صديقنا (الامين) ان تشرح نظرتك ورأيك ، جاز لنا ان نبسط رأينا ومذهبنا في سبك الشعر ، وهذا لا يعني حوارا او نقاشا وانما هو تعريف وتحديد .

ولننتقل بعد هذا الى « اللمع المشرقية » نحن لا ننكر انها منبثقة عن روح شعرية اصيلة ، فقد دلتنا على انك قناص ماهر في اصطياد المعاني والخواطر والخلجات والانطباعات والصور المتبرجة بتهاويل الالوان ، يقودك اليها خيال خصب مخضوضل متفدن ، فنلقى في همساتك التي جاشت فيها صبابتك ووجدك واشواقك ، صرخات متأججة ، وابتهالات متأرجة ، ونجاوى متبلجة وزفرات معتدلة متموجة في طيوف مكوكبة متتوجة .

اما الموضوعات فهي ثلاثية العبر ، فهناك (عبر الانا) انا ، من انا ، ما هو كنه هذا المجهول الرهيب الذي حل في اعماقنا ، وكان سر كياننا ، ما هو ماهية وكيفية وآنية واينية وسائر ما يتبعها من اصول ومصادر ومشتقات ، وقد عالج الشاعر هذا (الانا) معالجة رومنسية وجدانية شعرية ، لا معالجة فلسفية . مع ان الفكرة الفلسفية هي قوام الشعر المنثور في نظر واضعيه الغربيين ، ولا شك في ان الفكرة الفلسفية التي تعتمد الرمزية والمجاز والاستعارة هي المبرر الوحيد لبروز هذا الاسلوب من الشعر . وهذه الفكرة الفلسفية يجب ان تكتنه تفسيرا جديدا لمعاني الحياة والوجود وما يتعلق بهما، ينقض ما تواضعت عليه المعاني الشائعة فنقضوا اول ما نقضوا الاوزان والقوافي المألوفة ...

ويتلو عبر الانا (عبر شعبي) وقد استمد الشاعر جذوره من البيئة الطبيعية والاجتماعية والتاريخية والمجال متسع كل الاتساع للتغني والتعبد والتمجد ، فللطبيعة في لبنان جمال ساحر يفترق الابصار ويشل القلوب فتخشع امامه النفوس ، ويرتفع الفكر الى عالم الاسرار والغيوب ، الى عالم الرؤى والوحي ، والاستشفاف ، فترى البصيرة ما تعجز عن رؤيته العين ، وينصب الالهام على النفس الحساسة انصباب الفيث .. فاذا وصفوا لبنان بالجبل الملهم فهم على حق في هذا الوصف ، ولهذا رأينا اللبنانيين عامة والشعراء خاصة ، يتغنون بلبنان ويتغزلون بجماله الطبيعي الفتان ، ولكن هذا التغني قلما جاوز المحسوس ، باستثناء جبران خليل جبران ونزر معدود .

واذا انتقلنا الى العبر الثالث وقعنا على (عبر المجاز) وقد طرق الشاعر موضوعات متصلة الاهداف والمعاني والاساليب بعبر الانا وشعبي وان اختلفت لونا واريجا ووترا واوغلت في المجاز .

وعلى كل حال ، فقد اجتاز الشاعر في تجربته الشعرية الاولى التي تمثلت في باكورته الادبية شوطا بعيدا في ميدان الاغاريد الشعرية المنثورة .

ولنتحدث قليلا عن الناحية اللغوية ، فقد لفت نظرنا بنوع خاص اهتمام الشاعر بوضع الحركات على معظم الالفاظ ، غير ان هذه العناية المشكورة تحملنا على استدراك بعض الاخطاء اللغوية من باب العناية بسلامة اللغة التي عني بها الشاعر الملهم نفسه .

ففي مطلع القصيدة الاولى « ضجيج في اعماقي » نطالع هذين (المصراعين) كم تقلقني الكلمة ، وكم ترعش افراسي : والافراس اي الخيل جمع فرس يطلق على الذكر والانثى ولا ندري ما هو رمزها ، ولعل الشاعر اراد (فرائصي) بدليل المعنى . وفي القصيدة نفسها (احدق) بتشديد الدال بالاشياء حولي والصواب : احدق الى الاشياء بمعنى انظر . اما حدق الثلاثية واحدق وحدق به (بتشديد الدال) فمعناه اطاف واحاط به . وقد تكررت تعدية (حدق به) المشددة في اماكن اخرى .

وفي القصيدة الثانية « رشق الحجارة » يبتدىء الشاعر بواو العطف (واعود من جزيرتي عبر البحار البعيدة) ولا ندري كيف يأتي العطف حيث لا معطوف عليه . وحيث تعجز القرينة عن الاستدلال بما يجب ان يسبق واو العطف او ماذا يجول في خاطر واضعها . والابتداء بواو العطف ليس بدعة اطلقها شاعرنا ، فقد سبقه اليها كثرة من الشعراء والكتاب الذين يشوفهم الابتداء بالواو ، وهي لفظة تنيف معانيها على العشرة ، ولعلهم يظنونها للابتداء والتنبيه ، ويتحذلق بعضهم فيضعون ثلاث نقاط قبل الواو ، كأن هناك حديثا لا يهم القارىء او يفهمه القارىء .

ونقرأ في القصيدة نفسها هاتين الفقرتين (فاجمع الوقود ، واشعلها لهيبا) بضم الواو في (وقود) وهي في هذا الشكل مصدر وقد ، ومراد الشاعر هو المادة التي توقد اللهيب والنار وهي الوقاد والوقيد والوقود بفتح الواو ، ثم ان اللفظة مفرد مذكر فلا يصح ان يقال (واشعل لهيبا) بل (لهيبه) .

ونطالع في قصيدة (مهلا اخي) هذا السطر (واسمع تنهدات بعيدة) بجر بعيدة والصواب فتحها لانها صفة للتنهدات المنصوبة بالمفعولية ، وبما انها جمع مؤنث سالم فنصبها بالخفض كما قرر النحويون وهذا الحكم لا يشمل (بعيدة) ونقرأ في مكان اخر هذا السطر (اكاد ارى في صوتك طارقا يلح) بفتح ياء المضارع . والصواب ضم الياء لان لح الثلاثية تعني لصق . نقول لحت القرابة بيننا اي لصقت ومنها قولهم (ابن عمي لحا) اي لاصق النسب . ولحت العين اي لصقت اجفانها بالرمض . والبون شاسع بين لح الثلاثية والح اي واظب والحف وهو المقصود . ثم ان الطارق يسمع صوته ولكنه لا يرى . وليس لنا ان نأخذ بالمجاز في هذه الحالة فنعبر عن سماع صوت الطارق برؤيته .

ونقع في قصيدة « كنيستي العتيقة » على هذا السطر (تدلك طريق الخشوع) بفتحة على القاف ودل تتعدى بعلى والى في مفعولها الثاني .

ونلقي في نشيد « فاح حبي » هذا السطر (واخر نفس من انفاسي) بسكون فاء نفس والصواب فتح الفاء . وفي « حلمي الاخضر » نقرأ هذا الشطر (نلقي براسينا في جزع صنوبرة) والصواب جذع بالذال وهو ساق الشجرة ، ثم ان القاء الراس يجب ان يكون على الجذع لا فوقه . وورد في مطلع نشيد « حروفي » هذا الاستهلال (بضعة حروف شدت الى بعضها) والصواب بضعة احرف لان (بضع) تعني القلة من ثلاثة الى تسعة . وحروف جمع كثرة ، وجاء في النشيد نفسه قول الشاعر (ساشقعك ثانية) وشقع اي حمل من الالفاظ العامية الشائعة في لبنان ، هذه واحدة واخرى ان شكل (ساقشعك) جاء غريبا اذ وضعت كسرة تحت الشين فتعذر لفظها ، ولا شك انه خطأ مطبعي ، ومثل هذا الخطأ ورد ايضا في (تطلع الى فوق) اذ جاء (ولا يبقى سوى تطلع الى فوق بضمتين

على تطلع والصواب الجر) .

ويختم الشاعر نشيده « غضب » بهذه العبارة (طالما الشمس مطعونة بالسهام) وطالما انما تدخل على الفعل الماضي فنقول طالما رحبت بزيد ، والمقصود ما دامت ، وجاء في مطلع قصيدة « في الديجور » وتسقط الشمس غرقى في اعماق نفسي ـ وغرقى جمع غرق وزان ثمل وغارق وغريق ، والشمس مفرد مؤنث ، وكان عليه ان يقول (غارقة) .

ونلقى في نشيد « حلمنا الرحلة » هذا المصراع ، بخيوط تكاد لا ترى ـ والصواب لا تكاد ترى . وفي النشيد نفسه هذا الشطر : لتسوح الدنيا عيانا ـ وساح اي ذهب في الارض وجال مضارعها يسيح ، كما انها تتعدى بفي لا بنفسها ، وقد تكررت (يسوح) في قصيدة ـ صعب الخجل ـ

واستعمل الشاعر لفظة (تؤرجحها) في نشيد الصمت والافق وكانها مشتقة من الارجوحة ، وهذا من اخطاء الجرائد ، والصواب ارتجح اي مال في الارجوحة يمينا ويسارا . ثم ان هذا الفعل لازم لا يأخذ مفعولا ونقع في قصيدة « قائد » على هذه العبارة (قم وانهض لدنياك استفيق وانظر كيف اليك تتوق) والصحيح استفق فعل امر من استفاق وقد حذفت الياء منعا لالتقاء الساكنين . ونقرأ في قصيدة « راشانا » (للعشق راشانا) بضمة على عين العشق ، وكنا نحصيها في باب الاخطاء المطبعية ، لولا ان هذه الضمة تكررت مرة ثانية في القصيدة نفسها ، والصواب وضع الكسرة بدل الضمة والعامة انفسهم يلفظونها بالكسر فضلا عن معاجم اللغة وورد في نشيد « يا شاعري » هذا المقطع : (قم وانتفض من موجع وارمي بطرفك في الافق البعيد) ولعل اثبات الياء في (ارمي) وهو فعل امر من رمى خطأ مطبعي .

ونحن اذا كنا قد اتينا على ذكر هذه الاخطاء ، فلاننا لفينا في شاعر اللمع المشرقية موهبة خصبة تلفت انتباه النقاد ، والتعبير الفكري السليم يقوم على سلامة اللغة الى جانب الموهبة . ولو سكتنا عنها لاسانا الى الشاعر ونفينا عن انفسنا الاخلاص صداقة وادبا ومسلكا ومبدأ ، ثم ان في التنبيه على الاغلاط اللغوية حافزا يدفعه الى تجنبها في ثماره الادبية القابلة التي نامل ان يكون لها شان حفيل في دنيا الادب . فباكورة ثماره تبشرنا بمستقبل باهر هو جدير به اذا حقق ودقق ورجع الى كتب اللغة في ضبط الالفاظ والجري على القواعد .

ولولا اننا صادقناه واحببناه واستبشرنا بمواهبه كما احببنا قبله والده الالمعي الجليل ، وكما احببنا قبلهما واعجبنا برسول الحرية والعروبة امين الريحاني الكبير الذي لم نعرفه عيانا ، بل خبرا وفكرا وكتابا ، نقول لولا اننا احببناه وتوسمنا فيه المواهب الذهنية والخلقية لما كلفنا النفس نقد باكورته الادبية مقرونا بالتنبيه والتشديد والتشجيع ، فالطريق مفتوحة امامه ، والمستقبل الفني الباهر الزاهر يبسط له ذراعيه مرحبا محتفيا ...

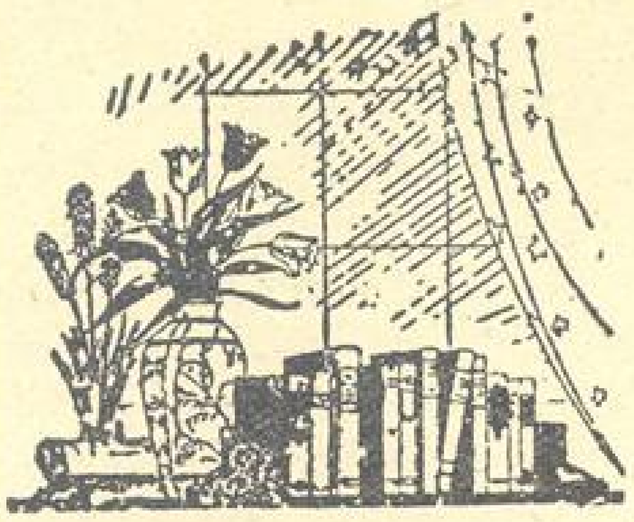
حمص ـ سورية — **نظير زيتون**

●

خبز وملح

تأليف بولس سلامة ـ ٢١٠ صفحة ـ من الحجم الكبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت

قرأت بشوق ولذة كتاب بولس سلامة « خبز وملح » ، حتى اذا فرغت من تلاوة فصوله التي تبحث قضايانا الاجتماعية العامة بصورة قصصية طريفة ، سألت نفسي : اما كفى بولس سلامة ان يبدع فن الملاحم الشعرية في الادب العربي ، حتى أقبل يجدد عهدا « جاحظا »



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنا حسبنا انفسنا بعيدين عنه ، فاذا هو في كتاب « خبز وملح » قشيب الحلة ، جميل الاطلالة ، شائق الاستطراد ، الى اسلوب احل المؤلف بيانه فيه ، على حد تعبيره ، « مقاما وسطا ايضاحا للقارىء الوسط ، واجلالا للمثقف لئلا ابالغ في التسهيل ، فيحسبني قد اتهمته في معرفته وسرعة ادراكه » .

ولعل أشد ما أثار اعجابي بالروح التي تشيع في « خبز وملح »، ذلك التفاؤل المقيم الذي لم يبارح نفسية بولس سلامة (ولا نثره ولا شعره) ، حتى في ابان اشتداد محنته الجسدية ، يوم كانت (تتداوله) ايادي النطاسيين في المستشفيات ، فلا يكاد يطيب جرح في جسده ، حتى ينفتح له جرح جديد . فانت قد تتوهم رغبة بولس سلامة في الهدم ، الا انه هدم المفاسد ، والتقاليد العتيقة والشرور ، والاثام ، وبدون هذا الهدم ، لا تقوم لبناء متين قائمة .

على ان الاسلوب الاستطرادي الذي اعتمده بولس سلامة في « خبز وملح » ، يتميز بالتركيز والتنظيم خلافا لابي عثمان الجاحظ الذي كانت تتداخل مواضيع كتبه ، وتتشابك ، دون ما نظام يربط بينها ، ودون ما تصميم يحقق التناسق والانسجام بين الوقائع والاهداف . ولعلي غير مخطىء اذ اقول : ان الثقافة القانونية التي يتمتع بها بولس سلامة ، القاضي السابق ، تنعكس على « خبز وملح » ، رغم اسلوبه الاستطرادي ، اكثر مما تنعكس على اي مؤلف اخر من مؤلفاته .

يتضمن « خبز وملح » اربعين موضوعا ، بل اربعين اقصوصة تحدث بها « بهزار » الذي لا تختلف شخصيته واراؤه بشيء عن المؤلف ذاته ، على لسان رفاق الجبل ، في اسمارهم ، او في اجتماعاتهم المختلفة حول مواضيع منتقاة من صميم المجتمع » ، يعالجها المؤلف بكثير من الموضوعية والتجرد ، وتشيع فيها رصانة تتغللها دعابة مستملحة ، فلا تبلغ حدود التزمت المقيت .

واذا كان من المستصعب الالمام ، في هذه العجالة ، بكل ما عالجه بولس سلامة من مواضيع ، في كتابه الجديد ، فلا اقل من ان نلمح الى ثلاثة نماذج ، نختارها اتفاقا ، مما ورد في كتاب « خبز وملح » .

تحدث بولس سلامة عن « البخلاء » ، فقدم شخصية عم «فائز» الذي « لم يفز بشيء سوى ارث ضئيل جاءه من عمه العقيم ، ويزعم بعضهم ان ابن الاخ عيد يوم ارتحل عمه عن الدنيا ، فاولم لاصحابه عشراء السوء وليمة شربوا فيها نخب موت عمه البخيل الذي كان يكثر الملح في الطعام ليملأ جوفه بالشرب المتواصل ، فيشبع من الماء ، ويدخر الخبز . وقلما كان يقتات بسوى الصعتر والترمس ، فاذا الهب الملح حنكه ، تحلى بشيء من الخروب البري ، او بقطعة ملبس مما ينثر في العرس ، وقد سقطت في السياج فنجت من اقدام الجمهور ، فخباها للساعة المرة .. »

بهذا الاسلوب يستطرد بولس سلامة واصفا العم الشحيح فيقول : « ومما يروى عن ابتكاره في الشح انه لا يخلع الحذاء قبل مصاحبته سنتين ! فسئل في ذلك ، فقال انه يمشي على عقب الحذاء ستة اشهر ، ويتوكأ ستة اخرى على مقدمه ، ثم يعتمد على كل من الجانبين ستة اشهر ، فضلا عن انه يدوس الثرى دوسا رفيقا ، لا تيها ولا اختيالا ، بل ضنا بالنعل ان تتهرأ ، ولا يلتزم في سيره الا السمت المعبد ، فيتجنب الجنادل والحصى وكل محدد الاطراف من الحجارة ، فليس افتك منها في النعال » .

ولا يكتفي بولس سلامة بوصف افانين البخيل ووسائله واساليبه، بل يتغلغل الى اعماق نفسية البخلاء المنطوية على الدناءة ، والضعة ، والخساسة ، اسمعه يقول عن ذلك البخيل النموذجي : « ومما يروى عنه ان احدهم صفعه اربع مرات ، فرفعه الى القاضي ، فاراد القاضي ان يصلح ذات البين ، فقبل المدعى عليه ان يدفع للمدعي الشحيح ليرة عن كل صفعة. فلما تراضيا على ذلك خرجا من المحكمة، ولم يكن لدى المدعى عليه سوى ورقة نقدية من فئة الخمس ليرات ، فاخذها الشحيح وقال له : ليس لدي ليرة اردها اليك ، فصفعه المدعي عليه الفكه ، وقال ضاحكا : هذا هو الرصيد ، فتلقاها الخسيس بعين الرضا !! »

وفي كتاب « خبز وملح » آراء متناثرة هنا وهناك في السياسة، والانظمة الاجتماعية المتباينة ، قد تختلف نظرتنا اليها عن نظرة استاذنا الجليل بولس سلامة، ولكننا لا نستطيع الا ان نقر بأن معالجتها، من جانبه كانت متسمة بالمنطق المتجرد ، لا بالفانية المتزلفة .

وعلى الرغم من ان « خبز وملح » ، كتاب نثري ، فان بولس سلامة الشاعر المحلق ، لم يسل الشعر ، يعطر به النثر حينا ، او يستشهد به ، في حديثه على الملاحم ، حينا اخر .

ومن احق من بولس سلامة ، بالحديث عن الشعر والملاحم ، وهو صاحب « عيد الغدير » وعيد الرياض » ، و « عيد الستين » اولى الملاحم في الادب العربي ؟ اسمعه يستشهد بابيات ملحمية فخرية ، وردت في احدى قصائده ، يقول فيها :

آمنت بالشعر علوي المدى شمما ... يختار زهر قوافيه من الشهب
آثرته ملحمي السبك ، لا غنجا ... مهلهلا ، دنس الديباج والارب
عيد الرياض ، سبقت الاولين بها ... فمن أتى لاحقا ، يجري على عقبي
سيهرم العصر،بعد العصر، منصرما ... وهي الفتية ، لم تكهل ولم تشب
ان الملامح لم تبرح مناط يدي ... فكلما انتسبت فاءت الى نسبي

ولطالما ان بولس سلامة نفسه ، يعترف في مقدمة كتابه ان « خبز وملح » كتاب « جبلي المولد ، لبناني الموطن ، عربي اللسان ، واطيب ما فيه خاتمته (المحبة) » ، فمن المفيد ان نقرأ « القطعة الخالدة » التي قولها بولس سلامة ، الاب بطرس احد اشخاص كتابه ، وعلى الاخص ما ورد فيها حول المحبة التي كانت مسك ختام كتابه القيم » .

يقول المؤلف على لسان (الاب بطرس) « مسكين هو المبغض ، كم يتألم ، يتآكل الحقد صدره ، ويوتر اعصابه ، وربما اجتلب لنفسه مرضا في القلب ، او علة في الكبد ، فيكون هو الجاني على نفسه ، وتكون عقوبة الخطيئة من الخطيئة نفسها » .

ثم يقول : « الفردوس المفقود كان محبة بين الله والانسان ، وبين الرجل والمرأة ، والفردوس المسترجع يصبح محبة الانسان لجميع الناس ، اما البغضاء ، فهي جهنم الموصولة من جيل الى جيل ، المحبة فوق العدالة ، ومع ان العدالة ركن الوجود فانها ، وحدها ، تظل باردة . العدالة تحفظ النظام ، والمحبة تخلق وتلهب وتحرر . لذلك فسرور السماء بخاطيء تائب اوفر من سرورها بتسعة وتسعين بارا » .

وبعد ، فالكتاب مجمل احاديث الجبل ، في لبنان ، على ما يمتاز به من شمولية في التفكير ، ومن تقاليد الجبل ، ارتباط ابنائه بالوفاء لكل ضيف يشاركهم ، على موائدهم ، اكل « الخبز والملح » . ولعل ذلك هو الصدى الذي تردد ، في خاطر الشاعر الكبير بولس سلامة ، حين دعا قراءه الى مشاركته في تناول « الخبز والملح » على مائدة ادبه القيم .

فوزي عطوي

•

زينب والريس حميدو

مجموعة قصص ـ تأليف محمد القرش ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

عرفت الاستاذ محمد القرش كاتب قصة عند قراءتي لقصته « الدنيا

بخير » التي قدمه فيها استاذنا الجليل محمود تيمور في مجلة « القصة » اوائل صدورها ، ثم اتهمته بعض الاقلام بانها مقتبسة من عمل لكاتب القصة الايطالي البرتو مورافيا .. وربما كان ذلك تعسفا لا يخلو منه وسطنا الادبي . ثم قرأ قصة اخرى في ندوة القباني لم تعبر عن نفس الوجه الذي عبرت عنه قصة « الدنيا بخير » من حيث المضمون والشكل فقد كانت مختلفة عنها تماما بالنزول الى أدنى المستويات خاصة في المضمون .

وهو كاتب مجتهد .. يواصل العمل من اجل انتاجه .. ومن مواصلته الجهد صدرت له المجموعة القصصية التي نحن اليوم بصدد مناقشتها من عشر قصص وهي « زينب والريس حميدو » في مشروع الكتاب الاول عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب مقدمة الاستاذ ثروت اباظة .

ونظرتي للجموعة قسمتها قسمين : قسم للشكل ، والقسم الاخر للمضمون ومن حيث الشكل او التركيب القصصي فهو شكل يسير .. لا يرهق القارىء ولا ينبت في ذهنه الشك بالافتعال للاحداث ـ ما عدا بعض الملاحظات ـ على قدر انطباعي ـ مثل ما في قصة « لماذا تخليت عنا » فواضح من اولها ان البطل يحادث بلسانه زوجته « من المتكلم الى المخاطب » وتظل القصة على هذا النسق الى ان تخون المؤلف فيكتب موجها القول الى القاريء فيقول « وعجز لساني عن الرد عليها .. الخ » وذلك كي يستطيع ان يحكي ما يريد وكان من الممكن صياغة الاحداث حتى يستطيع ان يسير على خط واحد في المخاطبة الى ان تنتهي القصة .. ودليلي بأن الامر خانه انه عاد بالبطل كي يخاطب زوجته كما بدأت القصة فيقول « بل كيف احزن وقد رحلت أنت نفسك .. هل هم أغلى منك ..؟ الى ان ينهي القصة على نفس النمط بقوله لها « لماذا تخليت عنا ؟ »

وفي نفس القصة قد وضع جملة اعتراضية مخاطبا بها القراء وهي « والا فستضربها تصوروا هذا .. ستضربها ان لم تسكت .. ص٤٦ وكان من الممكن ان يظل الحديث للزوجة في هذا المعنى ايضا فيكون التناسق اجمل .

اما باقي القصص فبناؤها متكامل وفي نسق جميل وتسلسل سهل وكلمات مشرقة وتصوير داخلي لما يريد اظهاره على القاريء تصويرا لغويا دقيقا لطيف الوقع على الاسماع كما يقول في نفس المعنى الاستاذ ثروت اباظة في مقدمته « وتمضي احداث القصص في طبيعية فلا نجد الكاتب يقيم حولها الضجيج المرتفع الصوت وانما يكتفي بأن يسوقها اليك تفنيك حقيقتها عن اي ضجيج يرتفع من حولها فتشعر بأنك ازاء قصاص مطبوع لا يحاول ان يزيف على القاريء احساسات لا تنبت عن الاحداث » .

ولا يهدم هذا الاعجاب المشترك بالشكل كون الاستاذ القرش يجنح الى كتابة تمهيدات طويلة رهيبة الانفعال حتى يصل بنا الى ذروة تصلح في ذاتها ان تكون البداية وخصوصا لقصة قصيرة ..

وذلك واضح في « زينب والريس حميدو ، لماذا تخليت عنا ، الاقدام الباردة » . هذا من ناحية الشكل ..

أما من ناحية المضمون .. فمن رأيي دائما ان المضمون راجع الى الكاتب ذاته .. تلونه وتضع عليه البصمات تجاربه وانفعالاته وثقافته على ألوانها عميقة كانت او سطحية ضيقة كانت أو واسعة .. وكذلك شخصيته وجوانب نفسه وكذلك رأيه فيما يعرض له .. كل ذلك هو الذي يحدد المضمون في العمل الفني شعرا كان أو قصة أو لوحة. ومن التعسف بل من التسلط ان نطالب كاتبا بمضمون معين .

وقياسا على ذلك لا اجد من حقي ان اقول عن مضمون قصص الاستاذ القرش الا ملاحظتي الشخصية كقارىء له مستندا في ملاحظاتي هذه الى كل تلك الاسباب المتقدمة فالاحظ الاندماج في افكار كتب عنها الكثير .. ولولا براعته في الكتابة والتصوير لكانت مملة .. وعدم الارتباط بتغيراتنا الاجتماعية وقد أصبحت عريضة تحتوي كل جانب من جوانب الحياة وكذلك فلم يتعرض لشيء من ذلك في قصصه اذا تجاوزنا تعرضه لزحام المواصلات بشكل واضح من خلال قصته « زحام في الترولي باس » وكذلك لعمل المرأة وان كان اتخذه وسيلة لان يحكي من خلالها قصة الخيانة التي اوشكت ان تقع وبذلك لا يمكن ان تكون القصة عن اشتغال المرأة خارج بيتها .

كما الاحظ ايضا ـ وبوضوح ـ نظرة الدم تتفشى في المجموعة بين قتل وتعذيب وموت وانتحار مثل قصص « هل تلومونني ، عنتر، زينب والريس حميدو ، لماذا تخليت عنا ، لا لن أعود ، الاقدام الباردة .. » حتى الحب لو تحدث عنه فيأتي به في ثوب من الاسى والحزن والخيانة والعذاب والتحسر أي لا يظهر لنا الحب الا من خلال المأساة مثل قصة « زينب والريس حميدو ، الدراجة ، وعاد اليها » .

ولقد عرفت الاستاذ محمد القرش شخصيا منذ وقت قصير لكنه أثر في نفسي برقته التي تتضح في اسلوبه وانسياق الاحداث في قصصه واثر في نفسي بفكاهته ومرحه اللذين لم اجدهما في مضمون اي قصة في المجموعة .. ولا أدري لماذا يجنح الى روح المأساة التي تتمثل في العداء وفي الدم وفي الندم وفي الخطأ وفي القتل وفي غير ذلك من مظاهر باكية .

ولا يسعني في النهاية وأنا اكرر ان هذه ملاحظات لا تزيد عن انطباع زميل أحب الكاتب واعجب به من قبل اللقاء .. لا يسعني الا ان اهنئه بالمجموعة وابدي أعمق الاعجاب بها .. وبالذات قصة «اليوم الاول » فلن تغيب عن ذهني مطلقا وتليها قصة « الدراجة » ، فهما عن عالم أحبه وذكرتاني بكاتب روسي اعجب به هو « يوري ناجيين » من ملامحه انه يكتب عن عالم الطفل .. وهاتان القصتان في قمة قصص المجموعة وتليهما ـ عندي طبعا ـ « هل تلومونني » وان كنت لم اجد الولد مسؤولا ابدا عن موت ابيه الا في وهمه .. ولا يبدو غير ذلك من سياق القصة ، زحام في الترولي باس ، ولماذا تخليت عنا ، وزينب والريس حميدو ، وعنتر .

ورغم جودة قصص : الاقدام الباردة ، لا لن أعود ، وعاد اليها .. اقول رغم جودتها فالمضمون كان قاسيا نوعا ما ..

واكرر تهنئتي للاخ الزميل الاستاذ محمد القرش بمجموعته ولي بتعرفي عليه ..

والى اللقاء في الكتاب الثاني ان شاء الله اجمل من الاول بالذات من ناحية الطباعة وشكل الكتاب .. ومن حيث المضمون بافاق اوسع واشمل واكثر اتصالا بالمجتمع الجديد الذي نعيش فيه افراحا وأحزانا غير ما تعودنا عليه قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

القاهرة — عبد المقصود حبيب

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة



ظهر حديثاً

● الديارات ، لابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (المتوفي سنة ٣٨٨هـ ـ ٩٩٨م) ـ تحقيق كوركيس عواد ـ الطبعة الثانية ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة المثني ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس ، المهداة الى جامعة الحكمة ببغداد ـ تأليف كوركيس عواد ـ تقديم الاب رتشرد جوزف مكارثي اليسوعي رئيس جامعة الحكمة ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات جامعة الحكمة ببغداد ـ مطبعة العاني ببغداد .

● المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين (١٨٠٠ ـ ١٩٦٥) ـ تأليف كوركيس عواد ـ ١٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة العاني ببغداد .

● فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد ـ بقلم كوركيس عواد ـ القسم الاول ـ ٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

● فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد ـ بقلم كوركيس عواد ـ القسم الثاني ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر ـ تأليف عبد الجبار داود البصري ـ ١٠٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٤ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● محمد كرد علي ـ تأليف جمال الدين الالوسي ـ تقديم محمد بهجة الاثري ـ ٣٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٢ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● تعليم اللغة العربية في نيجيريا ـ تأليف سليم حكيم ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٢ في السلسلة الثقافية ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● الصراع على الخليج العربي ـ تأليف سليم طه التكريتي ـ ١٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٢ في السلسلة السياسية ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الاديولوجية العربية ـ تأليف الدكتور ياسين خليل ـ ١٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٣ في السلسلة السياسية ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● الاشقياء ـ مسرحية شعبية انسانية في ثلاثة فصول ـ تأليف عبد الستار العزاوي ـ تقديم فتح الله الخيالي ـ طبعة ثانية منقحة ـ ٦٨ صفحة ـ الكتاب الاول في السلسلة المسرحية ـ منشورات جمعية حماية الفنون والاداب في العراق ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● شهرزاد في خيام اللاجئين ـ قصيدة طويلة ـ عبد الجبار عبد الحسين خضر ـ تقديم محمد علي الخفاجي ـ الغلاف والرسوم الداخلية لحسني ابو المعالي ـ الخطوط لرفيق اطيمش ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة اهل البيت بكربلاء العراق .

● الفن والحياة والاجتماعية ـ تأليف شارل لالو ـ ترجمة الدكتور عادل العوا ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الانوار ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عبير ومجد ـ تأليف اسمى طوبي ـ ٣٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● احاديث في الادب ـ تأليف خليل ابراهيم الفزيع ـ ١٧٦ صفحة ـ مطابع النضال بدمشق .

● صراع مع الماضي ـ مجموعة من قصص الوجدان والعاطفة ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الكتاب الماسي ـ منشورات دار الكاتب العربي بالقاهرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

● ملامح العصر ـ تأليف محيي الدين اسماعيل ـ ١٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● البحر لا ماء فيه ـ مجموعة قصصية ـ تأليف احمد ابراهيم الفقيه ـ تقديم كامل المقهور ـ ـ مصمم الغلاف فرج فليفل ـ ١٦٦ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ مطابع وزارة الثقافة والاعلام بطرابلس ليبيا .

● ابن غلبون مؤرخ ليبيا ـ تأليف علي مصطفى المصراتي ـ ١٨٤ صفحة ـ سلسلة الكتاب الليبي رقم ٢ ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ مطابع وزارة الثقافة والاعلام بطرابلس ليبيا .

● داود باشا ونهاية المماليك في العراق ـ تأليف الدكتور يوسف عز الدين استاذ الادب الحديث بكلية الاداب بجامعة بغداد ـ تقديم علي البصري ـ ٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البصري ببغداد.

● رباعيات الخيام ـ ترجمة ابراهيم العريض ـ ١٢٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● تحت الرماد ـ مجموعة شعرية ـ فوزي عطوي ـ ١٤٨ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جيل الظمأ ـ رواية ـ الدكتور محمد عزيز الحبابي ـ الغلاف بريشة الفنان المغربي محمد القاسمي ـ ٢٥٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رجال للبيع ـ مجموعة قصص ـ تأليف ديزي موصللي ـ ترجمة سعد صائب ـ النص الفرنسي ٨٠ صفحة ـ النص العربي ٨٠ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاغاريد ـ مجموعة شعرية ـ محمد بن علي السنوسي ـ تقديم محمد سعيد العامودي ـ ١٠٦ صفحة ـ مطابع الاصفهاني بجدة .

● زغاريد ومطر بالفجر ـ مجموعة شعرية ـ علي صدقي عبد القادر ـ مصمم الغلاف فرج فليفل ـ ١٧٤ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة بطرابلس ليبيا .

● L'Egypte Moderne — par Nada Tomiche, Agrégée de L'Université, Docteur ès Lettres — 128 pages — Collection Que sais-je ? — Presses Universitaires de France, Paris.

● Poèmes de la Mémoire de l'Avenir — Georges Linze — 80 pages — Editions «Anthologie», Liège, Belgique.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

لقاء مع الدكتور حسن عون عن الشاعر اللاتيني تيبول

يعد الدكتور حسن عون ، استاذ العلوم اللغوية باداب الاسكندرية ، رسالة الدكتوراه الثانية التي تقدم بها سنة ١٩٤٧ الى السوربون عن الشاعر اللاتيني تيبول ، لكي تصدر في كتاب يضاف الى المكتبة العربية التي تحوي ثلاثة كتب مماثلة على جانب كبير من الاهمية .

اول هذه الكتب عن الشاعر اللاتيني « هوراس » للدكتور لويس عوض (النهضة المصرية ، ١٩٤٧)، والاخران عن الشاعرين الاغريقيين : « هوميروس » للدكتور صقر خفاجه (نهضة مصر ، ١٩٥٦) ، و«سافو» للدكتور عبد الغفار مكاوي (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧) .

وتيبول احد اولئك الشعراء العظام الذين عاشوا حياة خاطفة في النصف الاخير من القرن الاول قبل الميلاد (٥٤ او ٤٨ ـ اخر ١٩ او ١٨، على الترجيح) ، في هذه الفترة الزمنية التي تأهب البشر فيها لاستقبال السيد المسيح بدعوته السمحة ، وازدهر فيها الشعر اللاتيني بظهور اكثر من شاعر عظيم ، نهل من الحياة مباشرة ، وعبر بصدق عن رؤياه للحقيقة .

فان لم يكن دفاع تيبول الحار عن السلام ، وتنديده بالحروب ، وحلمه الاكبر بالحياة الهادئة في ضيعته « بيدوم » ، استجابة مسبقة للدعوة التي تنبأ بها في العهد القديم اشعياء وهوشع وزكريا ، فلنعتبر صدى من تلك الاصداء الشعرية القديمة التي ترجع ايضا لنحو ستة قرون خلت ، مذ اخذت سافو تغني للحب في جزيرة لسبوس ، ويصوغ الشعراء على مر العصور نزعاتهم الانسانية ، حتى معاصره العظيم فيرجيل

وقد اشتهر تيبول بحبه العميق لديليا الفقيرة الجذابة ، التي خطف بصرها بريق الذهب ، فتنكرت له ، وفضلت الثري الطاعن في السن على الشاعر الصغير الخالد الذي ندب سوء حظه ، وكاد ، وهو يراها تبيع القيم الروحية بمتاع الجسد ، يخرج عن طوره ، ويناديها ، في الكتاب الثالث ، باسمها الحقيقي يريا . ثم، حين دارت عليها الدائرة، غفر لها بما في المحبين الحقيقيين من ضعف ، وتلقاها ، من بعد ، بالعقل الا العاطفة ، كما نطالع في القصيدة السادسة من الكتاب الاول التي يستهلها بتصوير قدرتها البالغة على اظهار غير ما تبطن ـ هذا السلاح الذي تمنحه الطبيعة للانثى الضعيفة دون الذكر : « تكشف لي دائما عن وجه باسم ، ولكن لا تلبث الا ان تكن لقلبي البائس شقاء وعلقما » .

كما ان علاقة تيبول بالفتى اليوناني ماراتوس ، التي نشأت بعد عزوف ديليا عنه ، لا تزال مكتنفة بالغموض ، لقلة ما يرد في المراجع القديمة عن حياته القصيرة . وتقف صداقة تيبول للقائد العظيم ميسالا على درجة عالية من المتانة والتقدير المتبادل ، لما بسطه على الشاعر من رعاية ، جعلته يردد اسمه كثيرا في اشعاره ، ويوجه اليه الخطاب ، رغم الفروق الواضحة بين رجل الكلمة ورجل السلاح . وميسالا هو الذي لعب دورا هاما في حياة روما السياسية ، وان لم يتمكن الشاعر، بسبب المرض المفاجيء ، ان يرافقه في حملاته الى الشرق .

وخلال هذه القصائد ، التي كان لحياة تيبول اثر كبير فيها ، رفع من قيمة الشعر الى اخر المدى ، وعبر عن عواطفه الرقيقة واخلاقياته واحزانه ، وتغنى بحب مصر ونيلها ومعابدها ، واورد ، في مواطن عديدة ، آلهتها التي كانت الاعياد تقام لها في ايطاليا منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وفي قلب روما نفسها ، حيث كانت ديليا تعتنق ديانة ايزيس .

ويتألف نص كتاب الدكتور حسن عون من ثلاثة فصول ، تناول في الفصل الاول حياة الشاعر : يعرف به وبفنه ، ويحلل شخصيته والشخصيات التي ارتبط بها . وفي الفصل الثاني ترجم عن اللاتينية راسا القصائد العشر التي يتكون منها الكتاب الاول من ديوانه ، واضعا بين يدي كل قصيدة مقدمة موجزة عن المعاني التي استنزلها الشاعر . وهي لا تغني بحال عن قراءة القصائد نفسها المترجمة بلغة عالية تتسم بالوضوح الا فيما ندر . نفس المنهج الذي اتبعه الاستاذ امين سلامة في ترجمة « الالياذة » و « الاوديسا » عن اليونانية راسا ، مما يوفر الامانة والدقة ، والتوطئة بتلخيص اناشيدهما الاربع والعشرين .

ثم علق الدكتور في الفصل الثالث على الاصطلاحات واسماء الالهة والاساطير والعادات التي وردت في القصائد ، وقارن بينها وبين ما يعرف عن الشعوب القديمة الاخرى والحديثة ـ ومصر في مقدمتها ـ بما يقدم الدليل على وحدة المنبع ، وصيرورة بعض الظواهر الانسانية . اما المقدمة فقد وصف فيها المصاعب التي واجهته ، وارتياده تجربة ترجمة الاسلوب اللاتيني الى الاسلوب العربي دون مثال سابق يهتدي به ، اذ ان الاتجاه السائد في الدراسات كان الى اليونانيات ، وهو اول من خاض اللاتينيات. وفي لقاء مع الدكتور عون طرحت عليه هذه الاسئلة:

س : ما الذي دفعك الى اختيار تيبول المجهول تماما لدى الثقافة العربية ؟

ج : هناك عاملان دفعاني الى اختيار هذا الشاعر من بين الشعراء اللاتينيين جميعا . العامل الاول هو الذي اشرت اليه انت في سؤالك ، وهو عدم معرفة العالم الشرقي بهذا الشاعر . والعامل الثاني ما اظهره من حب عميق ، وتقدير بالغ ، لمصر وما يتصل بها من جو وطبيعة وعقيدة وعلم وفن ـ في الوقت الذي لم يوجد من بين الرومانيين جميعا من سلمت مصر من لسانه . ولاقرار الحق اذكر ان فيرجيل اشاد ببعض المظاهر الطبيعية في مصر ، واهمها وادي النيل وما يفدقه على المصريين من خير وبركة ، ومع ذلك لم تسلم عقيدة مصر وملوكها والهتها وسكانها من لسانه . وقد تم اختيار هذا الشاعر بعد ان اطلعت على التراث اللاتيني برمته ، وهزني في تيبول نزعته الانسانية الواضحة المتمثلة في دفاعه عن السلام .

س : الى اي مدى كان هذا الشاعر معبرا عن عصره ؟

ج : في حدود ما اتذكره الان ، وبعد ان شغلني امر الثقافة العربية القديمة عن هذا التراث ، استطيع ان اقرر امانة هذا الشاعر في التعبير عن عصره من الناحية السياسية والاجتماعية والادبية . الا انه من الناحية الاجتماعية بالذات فاق غيره من الشعراء . ويمكن اعتباره بلا ادنى حرج شاعرا اجتماعيا في المحل الاول ، اذ انه صور في دقة وبراعة نادرة النظير العلاقات العاطفية التي كانت تتأجج في قلوب شباب روما هاتيك الايام ، واعطانا لوحات فنية رائعة تسجل ما كان يجري في هذه البيئات المتحررة . وعلى الرغم من انه لم يشتغل بالسياسة فقد اتخذ موقفا واضحا ازاءها : سار مع سياسة الامبراطور اوغسطس ، وجارى الجيوش الرومانية ، وفي المرة التي اقعده المرض عن مصاحبتها قدم اشعاره بديلا . ومن الواضح ان معاصرة تيبول لفيرجيل وهوراس وأوفيد دفعته الى مسامتة هذه الفترة الذهبية الخصبة من حياة الفن الادبي في روما .

س : اين يوضع تيبول من الادب اللاتيني ، والى اي مدى يدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للادب اليوناني الذي اتقن لغته ؟

ج : على ضوء دراستي للتراث اللاتيني استطيع ان اقرر وانا مطمئن ان تيبول يجيء في المرحلة التالية مباشرة لفيرجيل . ويوضع هوراس ، الذي يمثل الفن العاقل ، اما في نفس درجة تيبول او في درجة اقل . والحق ان دين تيبول للادب اليوناني دين غير مباشر ، تم عن طريق العقلية الرومانية التي تمثلت جيدا هذه الحضارة .

س : من اين استقى تيبول هذه القدرة الفائقة على صياغة الصور الحية التي لا تزال احداثها تقع في بيئتنا وسائر البيئات ؟

ج : استقى تيبول صوره الحية من طبيعته النفسية المهيأةبحسها المرهف ، ودقة الملاحظة ، وطاقتها العاطفية . وقد وفق ، بفضل قوته الشعرية الزاخرة ، في تقديم لوحات فنية ملهمة ، لا نكاد نجد واحدة مماثلة عند هوراس مثلا .

س : هل هناك تشابه بين غزل تيبول وشعراء العربية القدماء ، ثم بينه وبين ابي نواس في الغزل بالمذكر ، وبينه وبين المتنبي الذي تغنى في جزء كبير من شعره بسيف الدولة الحمداني وكافور ؟

ج : ما اكبر الشبه بين هذا الشاعر اللاتيني وشعراء الغزل في العربية وعلى رأسهم بشار بن برد . ويقتصر وجه الشبه بينه وبين ابي نواس على الموضوعات التي اثارت قيثارة شعر كل منهما . وبالنسبة للمتنبي فأن وجه الشبه يبتعد بين الشاعر المخلص الصادق والشاعر الجوال المتكسب .

الاسكندرية — نبيل فرج

●

مجلة « الاديب » في يوبيلها الفضي

منذ افتقد لبنان مواسم الحرير ـ اعياده الرائعة ، اخذته حمى اللهفة الى الخير الضائع ، وقد شفه الحنين ، آمن شبانه على الاعصر ببقاء مواسم الكلمة ، على كل المواسم فراح اليها على نهم الناقة الى البقاء السرمد .

عندما كان العالم على حمى الاقتتال ، كان لنا في هذا الجيل الاخضر ان نتطلع الى الحرف ونطلقه فكرا وجمالا علنا نمسح عن البشرية بعض البشاعة التي طلاها بها غيرنا فانتدب احد شبابنا الطالع ، البير اديب ، نفسه ، غير ملتفت الا الى الجمال ، واصدر مجلته « الاديب » ايمانا منه بقدره الحرف ، لكانه نظر الى المواسم راجعة الى لبنان مع الكلمة الحكيمة والخيال المجنح .

ما التفت الا الى الجمال المجرد عن الحلى والزخارف والادهان . الحقيقة ارادها ولا الشمس على وضاحها . والكلمة رعاها جازعة معبرة دافعة مثقلة بالمعاني والاهداف على رشاقة وانسراح شانهاوغمامةالاعشى.

لما طلعت علينا مجلة الاديب ، حار غير قليل من ادبائنا بأمر هذا الرجل وهمومه ، وراحوا الى القول اين هو والعالم الغارق بالدماء حتى كاد الظن يتحول الى حقيقة والهمس الى البوح .

وبقي البير اديب مكبا على اداء رسالته ، وسارت مجلته دروبها الكاداء تسلخ من عرق صاحبها والدماء المتناثرة على اشواك عقباته وحجارتها ، مدادا تخط به الرسالة التي اصبحت لالبير اديب ، فعل ايمان ، توقفه عنه كفر وتجديف على المثل ، شان المؤمنين البررة الذين يرون ثوابهم متى الاستشهاد حلاوة ابتهال .

يقول بودلار في بعض من ابتهالاته الحميمة ، امنحني ايها السيد، الجراة والقدرة ، فارى الى قلبي وجسدي ولا اشمئز ، والان وقد كشف البير اديب رأسه وحذق بالشمس ولابهر ، نرى ان الخمسة والعشرين عاما التي طوتها مجلة الاديب بكل ما حملت ، لم تزد صاحبها الا استقتالا في سبيل رسالته على ابعد ما فيها حتى ليظن به الغلو متى الفداء ابعد من حدود المادة .

وخمس وعشرون سنة ، يعمل صامتا ولولا بعض الخيرين من اسياد الكلمة ، لبقي العامل الصامت ، شان كل فنان عريق ، مستترا وراء روائعه ، التي هي مجلة الاديب .

خمس وعشرون سنة من العطاء ، فيه العفوية ابعد من غريزة واقوى من البذل ، فاين ما قدمناه نحن في عيده الفضي مما راع من بين انامله في هنيهاته السمحاء ..

انكتفي بالدعاء ، ونترك هذا الرجل يصارع الازمات وقد ناله منها اكثر من وسام ؟

ايكفي ان ندبج المقالات ونحلي الكلمة في يوبيل الاديب الفضي . نشبع بها المطابع وتجار الورق .. اتستطيع الكلمة وحدها تسديد قوائم الحسابات ودفع العجز المالي ؟

اظننا اصبحنا على امر محتم في هذا الوطن اللبناني الكريم ، امر يحتمه الواقع ، ويأمرنا به ما نحمل من تراث عريق في مجال الكلمة ، ان نمد يدنا بالبذل الصادق ، ليس في مجال التكريم وحسب بل بالعون المادي ، لهذه المجلات الادبية ، التي ليس لها الا ايمان اصحابها من عون وتقتريهم على انفسهم حتى العوز لاستمرار حياتها واكمالرسالتها.

نعم « الاديب » وسواها من المجلات الادبية ، هي عنوان لبنان المعلم ، لبنان الحضاري هي وحدها المشعل الذي يجب ان يبقى مضاء، ينتقل من جيل الى جيل على تبادل يحمل الاشعاع ، شاننا على الادهر فلا ينقطع الوصل بين مآثرنا وما سيأتيه الاحفاد من مآثر .

نعم « الاديب » ومعها جمهرة من مجلاتنا الادبية ، ادت ولا تزال تؤدي رسالة لبنان على ضنى المدنف التائق الى المواعيد ، وقد اوتى لها ان تنظر الى قلبها على انتشاء الفنان وقد ارتاح الى روائعه ، فكم منا ، نحن ادباء لبنان ، اغنياؤه ومفكروه ، يستطيع ، حتى القول اين نحن من رسالة هذه المجالات ، ان يكشف قلبه للشمس ، شأن اصحابها مظهرا ما قدمه، ليس لهذه المجلات ، بل من اجل الابقاء على الاشعاع اللبناني ..

نعم مجلة الاديب وزميلاتها هي عنوان لبنان الحضاري ، فعلى كل لبناني مؤمن بلبنانيته ان تكون له يد في دفع عجلاتها الى الامام ، وخير البر عاجله ، فقد والله آن لنا ان نرى الى العوز المالي الذي ذهب بغير قليل من عناوين لبنان ، مجلاته الادبية ، فنبقى على البقية الباقية منها ..

في يوبيل مجلة الاديب الفضي ، علينا ان نبدأ عهدا جديدا في مجال الفكر فنحافظ على ادبنا محافظتنا على شعائرنا المقدسة ، والبذل في هذا المجال لكالقروض السماوية ، وحسب مجلة الاديب ان تعيد الينا الوعي الذي كادت تذهب به مادية العصر .

جريدة « الهدف » ـ بيروت — فوزي سابا

●

المعرض الاول « لجماعة الزاوية » في بغداد

لقد دأب معظم الفنانين العراقيين في السنين السبع عشرة الاخيرة على العمل والعرض في جماعات يتميز بعضها عن بعض ، وتمثل بمجموعها دعامة قوية للحركة الفنية في بغداد .

غير ان الزاوية هو تجمع ستة فنانين كانوا الى ما قبل سنة واحدة ينتمون الى ثلاث جماعات مختلفة كلها ما زالت غزيرة النشاط .

ورغم التباين في اساليب اعضاء ـ الزاوية ـ فقد وجدوا انهم يشاطرون بعضهم بعضا الهدف والنظرة في الفن ، وانهم يعملون معا بانسجام . ولما كان كل واحد منهم قد صقق باسلوبه الشخصي ورؤياه الفردية ، فان عرضهم لاعمالهم معا يعني تركيز عدة مواهب فذة في نطاق واحد ، هذه المواهب التي عرف عنها وقعها القوي في ما يجري من نحت ورسم في العراق .

ففائق حسن ما زال من المؤثرين الكبار ، وهو احد الافراد القلائل الذين يعود الفضل اليهم في ما تحقق في الفن العراقي من عنفوان وحيوية في ربع القرن الاخير . ومحمد غني له نصيبه الكبير في انجاز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منحوتات تتصف بالرفاهة والتوتر وتجمع بين المقترب الشخصي وتقاليد النحت العراقية القديمة قدم سومر وقد تميز كاظم حيدر بما اكتشف من ارض جديدة للرسم العراقي من حيث اختيار الموضوع والمعالجة ، كلاهما غير متوقع ، في حين ان غازي السعودي اوجد دمجا جريئا بين الرسم العربي القديم والتقنية الحديثة . اما اسماعيل فتاح فانه يأتي لرسومه بضرب من البراءة المسرفة ، ولمنحوتاته بصرامة تكاد تجفل لقوتها. واما فالنتينوس الذي افلح عن طريق اعماله وتدريسه ، في خلق اهتمام كبير بالخزفيات ، فانه يبرر هذا الاهتمام بما في فخاره وجمال خالص. من صنعة نادرة .

لا ريب اذن ان اي معرض تقيمه ـ الزاوية ـ سيكون حدثا لا يمكن ان ينسى بسهولة .

بغداد ـ (دليل المعرض) **جبرا ابراهيم جبرا**

النقد وترويج الكتاب

اعتقد ان الرأي والنقد هو الذي يخلق القارىء . فالكتاب حينما يطبع في فرنسا او امريكا او انجلترا او الجمهورية العربيـــة يتقبله القراء الاولون وهم النقاد بتلهف فيبدون فيـــه الراي محبذين او ناقدين او مهاجمين ، ويندفع الكتاب الذين لم يقرأوه بعد فيقرأون ويـــردون او يؤيدون ، وعن طريق هؤلاء وأولئك يندفع الكتاب الى ايدي القراء بالرغم عن بعضهم في بعض الاحيان .

قابلت صديقا منذ بضعة ايام وبين يديه كتاب (فرنسي بالطبع) سألته فقال في حماس : كنت انتظره من اسبوعين ، فقد كتبت عنـــه جريدة الفيغارو ، وطلبه عدد كبير من القراء ، وقد تأخر عنا طيلـــة اسبوعين فلم يصل الا اليوم .

ولكن الكتاب عندنا في المغرب يصدر ويعلن عنه في الصحف مثلا ، وليس هناك قارىء تتحرك نفسه ليقرأه ، لاننا ما نزال في حاجة الى الاعداد النفسي للقراءة . وهذه المسؤولية هي التي لم يشعر بها حتى الان الذين يستطيعون ان ينقدوا الكتب هنا في المغرب .

قال لي الاستاذ عيسى الناعوري ونحن نتبادل كتبنا عندما التقينا في تونس . ان الذي تهدي له كتابك عادة لا يقرأه . وهذا صحيح فـي البيئة العربية الى حد كبير ، فالكتاب عادة يهدون كتبهم ـ في مقدمة من يهدونهم اياهم ـ للذين يستطيعون ان ينقدوا الكتاب . ولكن اذا كان هؤلاء لا يقرأون ما يهدى اليهم فكيف نرجو تكوين جيل من القراء اذا لم يقم هؤلاء بواجبهم في عملية الاعداد النفسي للقراءة ؟.

من هنا يتبين ان النقد هو الوسيلة الوحيدة لجلب القراء ، امـــا الكتاب الذي يمر من السوق في جو هادىء ، فسيظل ـ فـــي بيئتنا الجامدة ـ كالبضاعة التي لا يعلن عنها مركونة في قعر الدكان تأكلها القرضة

جريدة ((العلم)) ـ الرباط **عبد الكريم غلاب**

●

((الاديب)) بعد ربع قرن

للمجلات الادبية فضل كبير على تقدم الحركات الادبية وازدهارها . ولمجلة ((الاديب)) يد واسعة في بلورة حركاتنا . وقد دخلت هذه المجلة ، في مطلع هذا الشهر ، عامها السادس والعشرين ، وكلها ثقة بان تظل دوما ـ كما كانت ـ تخدم الادب العربي الخدمة الجليلة .

بدون انقطاع ظلت ((الاديب)) تصدر شهريا منذ ان تأسست . وقد شرعت صفحاتها ، منذ عددها الاول ، لمختلف كتاب الضاد . كمـا كانت مدرسة ثقافية ممتازة احتضنت كتابا ناشئين صاروا فيما بعـد في طليعة قصاصي وشعراء ونقادة وفلاسفة البلدان العربية، وقد وجهتهم باخلاص نحو الكلمة الادبية المهذبة . وما برحت اليوم ترحب بانتـــاج الكتاب الطالعين ، توجههم وترشدهم وتصحح عثرات اقلامهم ، وتنقذهم من بعض السقطات والهفوات. والادباء الكبار يمدونها بمقالاتهم التوجيهية، وقصائدهم المتينة السبك ، ودراساتهم النقديـة البناءة ، وقصصهم المستوحاة مواضيعها من صلب بيئتهم ، ومحاضراتهم البليغة المعاني .. والعلماء يزودونها بمقالات تلقي انوارا كاشفة على اخر ما توصل اليه العلم الحديث .. وجميع محتويات ((الاديب)) تنشر بدون اي مقابل اعترافا من اصحابها بما للمجلة من فضل عليهم كبير عندما كانوا في اول طريقهم الادبي المليء بالاشواك .

وقد اعترضت طريق المجلة اللبنانية صعوبات مالية . على ان صاحبها الاستاذ البير اديب استطاع ان يذللها بعدة طرق. وضع ما كان قد ادخره من مال في سبيلها . باع قسما كبيرا من مكتبته . انزوى داخل بيته، ورفض مغادرته قبل ان تصدر ((الاديب)) في اخر كل شهر في حلتها الكلاسيكية .

خمس وعشرون سنة خلون على صدور المجلة المدرسة . وستمـر سنوات وسنوات والبير اديب ـ امد الله بعمره ـ ثابت القدمين ، باسم الثغر ، يعمل على بلورة الادب العربي في مختلف بقاعه ، ويفتح احضان ((الاديب)) للمستشرقين يقدمون لها ثمرات اقلامهم الدسمة .

بدون ادنى مساعدة من المسؤولين عن الثقافة عندنا تابعت ((الاديب)) رسالتها الفكرية والتربوية والادبية والعلمية .. وستظل تتابعها متكلة على قرائها المنتشرين في كافة انحاء العالم . وسيظل البير اديب ـ الذي يعتبره الكثيرون من ادبائنا رائد الشعر الطلق في العالم العربي ـ يدقق ويراجع ويسهر على صدور ((الاديب)) بانتظام متضمنة مواضيع عميمة الفوائد وضعتها اقلام عربية نعتز بها .

مجلة ((الجمهور)) ـ بيروت **ابراهيم عبده الخوري**

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

●

تاريخ احمد باشا الجزار

للاب انطونيوس شبلي

مدخل الاشتراكية والشيوعية والليبرالية

لجوزف شادر

مستقبل التربية في العالم العربي

لجميل صليبا

وجميع انواع الكتب من سياسة ، اقتصاد

تاريخ وتربية الخ ...

اليانصيبُ الوَطني اللبْناني

مؤسَّسَة حُكوميَّة مرصَدٌ رَيعُها لأعمالِ الاسْعافِ الاجتماعي

تَعديلاتٌ هامّة في جوائزِ اصْداراتِها

٢٠ اصْدارًا شَعبيًّا	الجائِزة الكبرَى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصْدارًا شعبيًا خاصًّا	الجائِزة الكبرَى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصْداراتٌ سُوبيسْتيك	الجائِزة الكبرَى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصْداراتٌ عاديَّة	الجائِزة الكبرَى	٦٠٠٠٠ ل.



ملكة جمال لبنان لعام ١٩٦٦
الانسة يولا حرب

تُدفَع الجوائِز في المديريَّة
مُعفاة مِن كافة الرسُوم والضّرائِب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر في هذا العصر

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

الشاعر كما لا يخفى مرآة نفس الشاعر ، وممثل بيئته ، فهو لا يعطي الا ما يستمده بخياله من محيطه ، ولا يصور نفسيته حسب بل نفسية البيئة التي يعيش فيها ، ولا يتعالى بخياله الا بما يقع تحت نظره ، ويتراءى له من سماء بلاده وآفاقها ، فابن لبنان مثلا يستوحي جبله وغابه ، وانهاره ، وما فيه من مناظر خلابة ، فهو لا يقدر ان يصف نهر النيل في مصر ان لم يشاهده او انه يصف دجلة والفرات ولم تقع عينه عليهما ولا نهر بردى في دمشق وهو لم يكحل عينيه بمائه النمير ، ولامر ما قيل : ان المرء ابن البيئة ياخذ منها ويعطيها .

ولما كانت النهضة الشعرية آخذة بالامتداد والانطلاق، بات على كل اديب او متأدب ان يطلع على نتاج افكار اخوانه . وهنا ، لا بد لي من ان اقول ما اراه في الشعر وما وصل اليه ، ولكل رأيه وعليه ان يبديه .

الشعر في هذا العصر

بين الادباء والشعراء حركة جديدة ، بشأن الشعر فهذا يميل الى التمسك بالعروض كما وضعه اصحابه ، فلا يتخلون عنه ، ومنهم من يريد ان يطوي صفحات الزحافات والعلل والاسباب والاوتاد ، وينفض يده من الاوزان المنسوب وضعها الى الخليل ابن احمد ، وياخذ بمذهب ابي العتاهية الذي خرج على تلك الاوزان فنظم على اوزان ما اوحت اليه نفسه ، ولما سئل عن ذلك قال : « انا فوق العروض » فاستحدث اوزانا لا تمت الى العروض بشيء ، فهو بذلك كان من مؤسسي الانقلاب الشعري في عصره العباسي ، فقد اطلق نفسه من تقليد المعاني والالفاظ ، واتى بمعان جديدة ، ومما روي عنه ، انه قعد ذات يوم عند قصار ، فسمع صوت المدقة ، فحكى بذلك شعرا قال :

للمنون دائرا ت يدرن حرفها
هن ينتقينني واحدا فواحدا

ولما كان الشعر لحنا وموسيقى ، يوقع على اوتار الصوت والاذن ، كان من الواجب ان يتقدم بتقدم آلات الموسيقى التي اخترعت وزادت على ما كان معروفا منها ، وقد قلت في كتابي « شعراء القصة والوصف في لبنان » : والشعر في مذهبي يجب الا يقتصر على ما سنه الاقدمون بالوزن والقافية وهو غناء ولحن ، والالحان تتنوع بتنوع الجيل ، وآلات الطرب قد زادت وزادت كثيرا على الدف والدربكة والبربط والربابة والناي والطنبور والعنيز وما الى ذلك (١) .

وهذا ما يدعوني الى القول : انه من المستحسن ان يكون لعصر نهضتنا هذه لونا في الشعر ، ولا ضير علينا ان نحن استعرنا الحانا حنونة من الحان الامم الذين نعايشهم ، فهذا لا يحط من منزلة الشعر ولا ينزل من قدره ، بل يزيد في ثروته ويعطيه لونا جديدا ، تظهر به حياة عصر نهضتنا في البلاد العربية كلها .

وقد اعجبتني جرأة شاعر بيروتي كان سنة ١٨٩٠ هو الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي ، قد نظم تاريخا ليوبيل الدكتور « فانديك » الخمسيني على بحر الرمل ، ذيله بتفعيلة زائدة عن وزنه المعروف ، نظرا لزيادة من قد نظم التاريخ لاجله ، فاستعار من موشحات شعراء الفرس تلك التفعيلة ، وسمى هذا عندهم « بالمستزاد » واما التاريخ فاليكه :

ان « فنديك » بارض الشام قد تمت له
مدة الخمسين عاما وهو بالعيش الرغيد
عيدها بين السورى ، يا سعد ارخ قد جرى
بالهنا في عصر السلطان العلا « عبد الحميد »
١٣٠٧ هـ

فاذا كان الشيخ الكستي قد استوحى من الفرس ما رآه حسنا في عصر غير عصرنا هذا ، افلا يجوز للشعراء ان يتفننوا بمنظومهم ، كما تفنن المخترعون بايجاد الطائرات على انواعها والصواريخ وآلات النقل السريعة وآلات الرفاهية المنزلية . امن العدل ان نبقى بين قوائم الجمل وتحت المضارب نفكر تفكيرا صحراويا . ونحن في المدر لا في الوبر .

ولا ريب ان التفاضل في الشعر يكون بالالفاظ ورصفها وتأليفها وحسن نظمها وجمال معناها كما في قول نازك الملائكة :

أيها النهر لقد جاء المساء ومشى الصمت على الموج الوديع
وخبا في الافق الحالي الضياء وتلاشى وقع اقدام القطيع

سكن الكون سوى الموج المدوي بأساطير العصور الخالية
لم يزل يشكو المقادير ويروي أبدا للكون اسرار الحياة

اليس في تنويع القافية راحة للاذن ، واطراب للسمع ، وليس لي الا ان اريك لونا اخر من الشعر ، للشاعرة ثريا عبد الفتاح ملحس قالت :

لو دعا عيسى في البشر
ماذا تراه يسأل ؟
لو قال : يا قومي الم
ترعوا بلادا قدست
فاصفر منا اوجه

(١) شعراء القصة والوصف في لبنان منشورات دار بيروت ودار صادر ص ٩

رحنا بذكرى حاله

اما في هذا النوع لونا جديدا ؟ وان خرجت عن العروض ، اما فيه لحن ؟ اما فيه صورة ؟ اقرا القصيدة واحكم . « ملحمة الانسان »

ولا اريد ان اطيل بك المسير فانت مقبل على قراءة ما تراه في الجرائد والمجلات ، ولا ريب انك واجد الوانا جديدة ممثلة القطر ، بأحساسه وشعوره ، وحبه وآلامه، وذكرياتـه .

ربما لم ترقك بعض هذه القصائد ، فالاذواق وان اختلفت لا تمنع الاطلاع عليها ، فقد توحي اليك بعض الفكر او تطلعك على ناحية من نواحي الحياة ، والانسان لا يعطي الا ما عنده ، ومشاركة الافكار ، تنتج وتثمر افكارا مستجدة ويتقاضاني البحث الى قول كلمة :

في الشعر وبيئته

قلنا ان حركة تقوم في هذه الآونة حول الشعر ، ولكل رأي فيه ، فمنهم من يرى لـزوم التقيد بالوزن والقافية كما قلنا سابقا ، واخرون يرون ان الخروج عن ذلك من دواعي التجديد فمن المحـق ؟ وبجانب من الصـواب ؟

وفئة اخرى ، ترى ان الشعر كلام لطيف وصورة تتراءى للعين فلا تفسر ، فيعمد الى وصف كلمات واداقة ألوان بكلمات رقيقة ، لا تمت الى وزن ولا جرس ، ولا نغمة موسيقية ، فيزعم ان ذلك تجديد في الادب وابداع في الفن كقول بعضهم :

محبوبتي الشقراء ...
تمشي على الدرب ...
خفة ورشاقة ...
يقدهـا المطاء ...

وانا لا ارى بهذا القول شعرا ولا معنى ولا لونا بل هو صف كلام ، فمحبوبته شقراء تمشي على الدرب ، واين يريدها ان تمشي ، اعلى الماء ام تطير بالهواء ؟

وفريق يرى رأي الاندلسيين الذين تفلتوا من القيود العروضية ونظموا الموشحات التي اصبحت فنا جديـدا في الادب العربي ، وفرضت نفسها عليه فأفسح لهـا المجال في صلبه واستساغها ، ولما يزل يستلذها ويطرس على منوالها . لان فيها لحنا وجمالا .

وان نحن اردنا ان نؤرخ الشعر منذ اهتداء الانسان اليه رجعنا بخفي حنين ، او كان مثلنـا مثل من يحصد الهواء او يقبض على الماء ويطبق عليه اصابعه . والرواة والمؤرخون لم يدونوا في مجاميعهم شيئا ولم يشيروا الى بدء وجوده في ما اعلم ، وليس ذلك مقصورا عـلى اللغة العربية حسب ، بل يتناول لغات العالم اجمع ، لان الغناء وهو اصل الشعر قد طرأ على كل امة من الامم ، يوم نظرت الى جمال الطبيعة الفياضة بالحسن ، المليئة بالروعة ، الفواحة بأطايب النفحات ورقيق النسمات ، فاقرت عينيها ، واطربت لبها ، فانطلق لسانها ينشـد ما رق من الكلام على نغمات استلذها وارتاح اليها خاطره، واطمأنت اليها نفسه فكان الشعر .

والشعر العربي الموزون المقفى لم يكن ابن ساعته بل تعاقب عليه دهر طويل قبل ان يصل الى ما هو عليه، من حسن الرصف وعذوبة النغم وجمال الوزن ، فهـل اهتدى اليه الانسان من صفير الريح وتساقط الامطار وخبب الخيل ، او من مطارق القصارين كما يذهب غير واحد من ان الخليل بن احمد ، قد اهتـدى الى وضع ابحر العروض من وقع المطارق وهو في سوق القصارين.

على ان الامام السيوطي يذهب في كتابه المزهر ، نقلا عن ابن فارس وغيره من ان ابحـر العروض كانت قديما ، ولكنها فقدت واهتدى اليها الخليـل ، فأزاح الستار عنها ، على ان الامر لا يدعو الى بحث ولا يحتاج الى تحقيق ، اذ قد عرفنا ان الشعر نغم ، والنغم هبـة ملائكية للبشر منذ نشأته حتى يوم الناس هذا ، وهـو امر طبعي او شعور نفسي يتغنى به المرء في وحدته او في حالة من احوال النفس التي ينتابها الفرح والحزن ، والشعر ولا ريب وحي المرأة وهي اصل من اصول الادب، ولولاها لما كان شعر ولا نغم ، ومرد ذلك كله الى الشعور الجنسي بين الطرفين كما اثبت ذلك غير واحد مـن اساطين علم النفس ، وقد راوا ان المرأة هي العامل الاول في تقدم الحضارة ورقي العاقل المدرك .

ويرى اخرون ان المرأة قصيدة ابدية تطمئن اليها النفس ويرتاح لها الخاطر ، وهذا غير مقصور عـلى الانسان بل يشاركه به مطلق الحيوان والنبات ، فالحيوان له نزوات في فصل معروف وانثى الطيور تغير ريشها بعامل طبيعي ، طلبا للذكر والنبات كذلك ولولا ذلك لما راينا صيفا وخريفا وشتاء وربيعا ، ولكل فصل ثمـاره وازاهيره وخضاره ومواليده .

فالشعر اذا ، هو وحي النفس بما يطـرأ عليها ، وللشاعر ان يصور احساسه ، سواء في اتباع الوزن المعروف والقافية ، او في الاعتماد على النغم ، والنغم اصل لـه :

لفن في كل بيـت انـت قائله ان الغنـاء لهـذا الفـن مضمار

والكلام الذي يفقد النغم او اللحن لا يعد شعرا ، مهما حاول صاحبه ان يتفلسف ويتمنطق ، والكلام ذو النغم ان فقد المعنى كان هراء ، واللحن الجميل نسمعه في قرارة نفوسنا ، في سقسقة المـاء وصفير الهواء وحفيف الاوراق وتغريد الطيور وتنوع المناظر . ومـن اطل بناظره صباحا او عند الغروب على جبل صنين من « القليعات كسروان » مثلا ورأى الوهاد والآكام والجبال والغابات المنتشرة في ثناياها البيـوت ذات الاسطحة القرميدية لهتف فورا : لبنان شعر والروابي قافية ،

الطفل العاشق

وجلس قربا منها وقال لها انت عروستي
وسالته انجبني فقد الحياء لسانه

●

سليه بعد عشر من سنيه ... أيعني ما يقول ويدعيه
سليه لا قبيل الخمس هلا ... يروق له الجمال ويستبيه
فيا لك « غادة » فتنته طفلا ... فكاد من الجوى ينسى ذويه
الا ابصرت كيف يذوب شوقا ... كانك منه حلم يجتليه
يراك جميلة ويحس شيئا ... يدغدغ جانحيه ولا يعيه
غدا تمسين في شفتيه شهدا ... وتحلو كل هامسة بفيه

وديع ديب

وقافيته ليست على وتيرة واحدة ، بل هي متنوعة المناظر مختلفة التكوين ، وهذا ما يزيدها جمالا ، ويضمنها اسرارا ، ويملأ العين دهشة والخاطر حيرة :

تحير الحسن في رباه وبات الحسن فيه محير الانحاء

وبعد هذا الذي بينت ، يصعب علينا ان نبحث تاريخ الشعر وهو وحي الخاطر ، قبل ان نبحث الجمال، فاذا عرفنا الجمال وتاريخه عرفنا الشعر وتاريخه ، والجميل جميل في كل مكان وكل زمان يتناول الشعور والاحساس واللذائذ التي توحيها مناظر الاشياء الخلابة ، ويبعث في النفس مصورا هالة الحب القدسية والشغف الزائد بالتطلع اليه :

يزيدك وجهه حسنا ... اذا ما زدته نظرا

وعلى هذا اقدر ان اقول : ان لكل عصر شعرا ، ولكل جيل من الناس ذوقا ، ولكل امة من الامم اصطلاح جمال تتبينه في نفسها ، ولا تقدر ان تعبر عنه الا بوحي الخاطر ، اما نغما واما كلاما يوافق طبيعة اقليمها .

والجمال الافريقي غير الجمال الاسيوي ، والجمال الاسيوي غير الجمال الاوروبي ، وهكذا هي الانغام ، فانها تتفاوت بتفاوت الاقاليم والمناخ وهكذا هو الشعر ، والامة الحية تستمد ادبها من طبيعة بلادها واقليمها وعاداتها ، وليس من طبيعة اخرى ، فادب الصحراء غير ادب الجبل بصخوره وغاباته وحدائقه وبساتينه ومياهه المتدفقة ، الا ان الشعر وان تعددت الوانه فلا يخرج على صيغة اللغة الموحدة وهي العربية الفصحى التي تجمع التفاهم بين الاقطار العربية كلها. ويدعوني المقام الى سؤال هو :

من هو الاديب ؟

ليس الاديب من وافاك بالقول نظما ونثرا بكلمات مضغتها الايام وهضمها الزمن وجرت على اللسان ، مفككة الاوصال او متصلة الكلم على غير نظام ، وهي اقرب ما تكون الى قرقعة الصحون والملاعق بين يدي منظفها من الادران في مطعم او مطبخ .

الاديب هو الذي يعطيك من روحه بيانا ومن نفسه فكرا ، يصور لك الحياة بكل نواحيها ، ويشعرك بها وانت وراء مكتبك او في روضة او على راس اكمة ، تقراه فتحس احساسه وتشعر شعوره، وتود لو كان على مقربة منك ، لتتزود من اقواله ، وتروي عطشك من معين فكره، هو الذي يحلق بك في سماء الخيال الى ما وراء الوجود ، فيسليك انك ابن الارض التي تطاها وتغتذي من نبتها ومائها تاخذ منها وتعطي ، فتزيدك شحما ولحما لتستردهما الى جوفها فتحلل تلك البقايا لتكون نباتا واشجارا .

فالاديب الذي يكتب لادبه الخلود هو الذي يأخذ منك قشورا فيصوغها في بوتقة خياله ادبا صافيا ، وفكرا رائعا ، يشركك بأدبه فتحسه لانه منك واليك . ويبث في صميمك حياة جديدة ، تهيب بك الى الرفعة ويقطع كل صلة تصلك بالتقاليد البالية ، وما صاغه الزمن من اساطير ، نزلت منزلة التقديس والتكريم ، فيحررك من كل قيد ومن كل سيد متزعم ، ويعلمك ان الناس سواسية، فلا سيد ولا مسود ، بل نظام وعدل وقوة بلا ظلم .

الاديب الحق هو الذي يحررك من كل قيد ويريك وجه الحياة في مرآة صافية الماء جلية ، تظهر المرئيات على حقيقتها ، مكسوة وعارية ، مستترة وبارزة . فتمكنك من تنقية بثور الايام ، وما حاكت لك من اصفاد وتملأ بالمحبة فتجعل الظلام فيك نورا والنور حياة وفكرا او ما سمعت ما قيل :

والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا

عيسى ميخائيل سابا

مصادر دراسة الشعر العراقي الحديث

بقلم الدكتور جلال الخياط

* * *

للمصادر الادبية اهمية كبرى في الدراسات الموضوعية الحديثة ، فالقارىء الواعي يعرض اليوم عن المقالات العاطفية التي لا تعتمد ـ فيما تقرره ـ المصادر المعروفة، وهو قد مل النتاج الادبي الذي يهدف الى التزويق اللفظي واظهار براعة الكاتب اللغوية .

ومصادر دراسة الشعر العراقي الحديث كثيرة متوافرة وان كانت تبدو متناقضة لا وجود لخطة تنتظمها، وهذا امر طبيعي فقد صدر قسم منها قبل حقبة طويلة ومثل وجهة نظر كانت سائدة آنذاك في حين يعرض قسم اخر منها احدث الاراء واكثرها غرابة ويعتمد النظريات الغربية في احكامه ، والملاحظ بصورة عامة ان بعض هذه المصادر يكثر من التفصيلات المملة ويشرح في فصول مطولة فكرة يمكن عرضها بكلمات وجمل قليلة ، فكتاب يضم خمسمئة صفحة مثلا يمكن ان يكون دراسة رائعة في مئة صفحة ، ويبدو ان بعض المؤلفين لم يحسنوا الظن بقرائهم او انهم ارادوا لكتبهم ان تظهر باحجام كبيرة ، وتورد بعض هذه المصادر قصائد طويلة بمئة بيت او اكثر ، يمكن الرجوع اليها بسهولة في الدواوين ، فهي ليست كتب دراسة كما تشير اغلفتها ولكنها كتب مختارات شعرية وحسب ، وطابع الاحتيال فيها على القارىء واضح .

ولا شك ان اهم مصدر واولاه بالعناية والتقدير هو : النص الادبي ، ففي اية دراسة شعرية تكون الدواوين هي المصدر الاول والمنبع الذي عنه نصدر ومنه نستقي، وبعد النص الادبي نستعين بما كتب على هامش النص من دراسات وبحوث على شكل كتب ومقالات ، وعلينا ان لا نغفل المصادر الحية في الدراسات الحديثة فهناك كثير من الاشخاص الذين يمكن ان نستفيد من خبراتهم واخبارهم .

وبما ان الدراسات الاكاديمية قد كثرت في ايامنا هذه ، في محاولة كبرى لحصر الظواهر العلمية والادبية في اطار موضوعي ، وبما ان طلاب البحث يعانون بعض الصعوبات في العثور على مصادر اية دراسة حديثة ، خلافا لمصادر الدراسات القديمة التي اصبحت معروفة ومشهورة ، رايت من النافع ان ادرج هنا قسما من الكتب التي تعين الباحثين في الشعر العراقي الحديث .

ولا بد لنا في دراسة الشعر العراقي الحديث من تقسيمه الى مراحل ثلاث : نهاية الفترة المظلمة المتمثلة في القرن التاسع عشر ، ومطالع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية وما ساد هذه الفترة من تيارات متناقضة حملت الاغراض الشعرية الى الصعيد الشعبي وبدأت تتمرد على الموضوعات الشخصية الضيقة في القرن التاسع عشر ، ثم محاولات التجديد ما بعد الحرب العالمية الثانية وهي ما تزال في دور التجربة والنمو .

وقد كثرت دواوين الشعراء في هذه الفترات الثلاث وان كان قسم منها ما يزال مخطوطا الا ان القسم الاخر متوافر في المكتبات والاسواق كدواوين : العمري والاخرس والحلي والطالقاني والطباطبائي وابن كمونة والازري والعبيدي ومحسن الخضري ومحمد الهاشمي واليعقوبي والحبوبي والبناء ، ثم دواوين : الزهاوي والرصافي والكاظمي والجواهري ورضا الشبيبي والبصير وعلي الشرقي وحافظ جميل والناصري ونعمان ماهر الكنعاني ويوسف عز الدين وداؤد سلوم وهادي الحمداني ومحمد بسيم ذؤيب وعبد الله الجبوري ومحمد جواد المعمار ومحمود الحبوبي ووليد الاعظمي وعبد الصاحب الملائكة وابراهيم منيب الباجه‌جي وطالب الحيدري ، ثم دواوين: السياب وجبرا ابراهيم جبرا « وله بحوث متفرقة في الشعر العراقي الحديث » والصافي النجفي وعبد الوهاب البياتي وسعدي يوسف وحسين مردان ومحمود المحروق وبلند الحيدري وبشير حسن واكرم الوتري وحارث لطفي الرفي ورزوق فرج رزوق وابراهيم عبد الرحمن الخال ومحمد جميل شلش وجواد كاظم وشاذل طاقة وخالد الشواف « الذي كتب مسرحيات شعرية ايضا » ومحمد النقدي وعاتكة وهبي الخزرجي ونازك وصبرية الحسو وليعة عباس عمارة وفطينة النائب وصفاء الحيدري وقحطان المدفعي « وتجربته الشعرية غريبة جدا وجريئة جدا » وصديق عقراوي وطارق مصطفى الزبيدي وغازي الكيلاني ومحمد النقدي وهاشم الطعان وصالح جواد الطعمة ورشدي العامل وعبد الامير الحصيري وحسن البياتي وراضي مهدي السعيدي وعدنان الراوي وعبد الغني الملاح والفريد سمعان واكرم فاضل وعلي الحلي وعلي جليل الوردي وعبد الخالق فريد وزكي الصراف وسلمان هادي الطعمة ومؤيد هادي القس وجاسم الدوري ، وممن كتبوا مسرحيات شعرية : عبد الحميد الراضي وعلي الشوبكي واحمد حمودي السامرائي وعبد الكريم الآلوسي وعلي الصغير ويوسف امين قصير . ويبدو ان قسما من هذه الدواوين يغرق في التقليد ويسرف فيه فتتكرر شخصية شاعر ما في نتاج شعراء متفرقين .

ومن اهم المصادر في دراسة الشعر العراقي في مرحلته الاولى ـ ذروة التقليد في القرن التاسع عشر كتاب : « نهضة العراق الادبية » للدكتور محمد مهدي

البصير فقد عنى هذا الكتاب عناية خاصة بشعرائنا في القرن المنصرم ، ومن ثم كتاب روفائيل بطي : « الادب العصري في العراق العربي » ، وكتاب لويس شيخو : « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ، و « الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر » ليوسف عز الدين ، ويمكننا الاستعانة ببعض المصادر والكتب التاريخية لنتفهم الروحية التي سادت القرن التاسع عشر سياسيا واجتماعيا وفنيا ومنها : « الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر » لابراهيم الوائلي ، و « مقدرات العراق السياسية » لمحمد طاهر العمري الموصلي ، و « جمهرة المراجع البغدادية » لكوركيس عواد وعبد الحميد الدجيلي ، و « تاريخ العراق بين احتلالين » الجزء السابع والثامن لعباس العزاوي و « تاريخ العراق السياسي الحديث » لعبد الرزاق الحسني و « محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال » لعبد الرحمن البزاز ، و « داؤد باشا ونهاية المماليك في العراق » ليوسف عز الدين ، وهناك كتب اجنبية كثيرة يمكن الاستفادة منها في هذا المضمار منهاما كتبهآربري A. J. Arberry عن الحضارة الاسلامية، وهنري فوستر Henry Foster عن العراق الحديث ، وجورج هاريس George Harris عن العراق « وفيه فصل كامل عن الشعر العراقي الحديث» ، ودراسات ستيفن لونكريك Stephen Longrigg عن العراق « وقد ترجم بعضها جعفر خياط » وكتاب ديزموند ستيورت Desmond Stewart عن العراق وهو بعنوان : بابل الجديدة New Babylon وفيه فصل خاص عن الشعر العراقي والشعراء العراقيين المحدثين ، وغيرها .

اما الكتب التي تبحث عن الشعراء العراقيين والشعر العراقي بالذات فكثيرة منها ما كتب مصطفى علي عن الرصافي : « محاضرات عن الرصافي ، ادب الرصافي ، الرصافي » ، وجلال الحنفي : « الرصافي في اوجه وحضيضه » ، وعبد الوهاب سلوم : «الجوانب الانسانية لدى الشاعر الرصافي » ، وهلال ناجي : « صفحات من حياة الرصافي وادبه » ولصفاء خلوصي : « معروف الرصافي .. مستل من مجلة الدراسات الشرقية والافريقية باللغة الانكليزية ـ لندن ١٩٥٠ ، وقد نقله الى العربية طالب عبد الجبار السامرائي » ، وكتاب ابراهيم العلوي : « مع الرصافي الثائر » ، وعبد اللطيف شرارة : « الرصافي » ، وبدوي طبانة : « معروف الرصافي » ، ولنعمان ماهر الكنعاني وسعيد البدري : « الرصافي في اعوامه الاخيرة » ، ولوحيد الدين بهاء الدين : « كلمات في الرصافي » ، ولرؤوف الواعظ « معروف الرصافي » ، وقد جمع سعيد البدري «آراء الرصافي في السياسة والادب والدين والاجتماع » ، ولطالب عبد الجبار السامرائي « الرصافي ذلك الانسان» ، ولعبد الحميد الرشدوي « في ذكرى الرصافي » ولعبد الصاحب شكر : « عبقرية الرصافي » ، واصدر اتحاد الادباء العراقيين سنة ١٩٥٩ كتابا ضم المقالات التي القيت في مهرجان الرصافي ، وكان العدد الثامن ، سنة ١٩٥٩ ، من مجلة « الثقافة الجديدة » خاصا بالرصافي وممن اسهموا في هذا العدد الخاص : يوسف عز الدين ومحمد شرارة وصلاح خالص .

ومن اولى الدراسات عن الزهاوي كانت « حقيقة الزهاوي » لمهدي عباس العبيدي ، و « الزهاوي » لاسماعيل ادهم الذي قيل انه انتحر قبيل سنة ١٩٤٠ وسيصدر وحيد الدين بهاء الدين دراسة وافية عنه ، و « الزهاوي وديوانه المفقود » لهلال ناجي ، و «محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي » لناصر الحاني ، و «الزهاوي الشاعر القلق» ليوسف عز الدين ، ولسالم علوان الجلبي « مجرى الاوشال » وهو دراسة لديوان الزهاوي « الاوشال » ، وقد ظهر الزهاوي نفسه في تلفزيون بغداد قبل اشهر في برنامج طريف يعده خالص عزمي ويقوم احد الفنانين بتمثيل دور الشاعر .

اما الكاظمي فقد اصدر عبد الرحيم محمد علي كتبا تضم مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات التي تناولت شعر الكاظمي وحياته ، وقد حقق حسين علي محفوظ « عراقيات الكاظمي » ، وفي كتاب نقد وتعريف لعبد الله الجبوري فصل عن الكاظمي ، وكتب وحيد الدين بهاء الدين عن الكاظمي ايضا في كتابه : « من الادب العربي المعاصر » ، وصدر مؤخرا كتاب لتركي كاظم جودة عن احمد الصافي النجفي وهناك كتاب اخر عن الصافي لابراهيم عبد الستار .

اما الدراسات التي تناولت الشعر الحديث ومحاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية بأسهاب فكثيرة منها : كتاب محمد النويهي : « الشعر الجديد » ، ودراسة احسان عباس : « عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث » ، وكتاب عروضي مدرسي لنازك الملائكة : « قضايا الشعر المعاصر » ، ومجموعة مقالات مختارة جمعت ونشرت بعنوان : « عبد الوهاب البياتي رائد الشعر الحديث » وقد اختارها واشرف على طبعها واخراجها الشاعر نفسه ، ولمحمود العيطة : « بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق » ، وصدر كتاب اخر عن السياب لعبد الجبار داؤد البصري بعنوان: « بدر شاكر السياب رائد الشعر الحديث » ، وهذان الكتابان صدرا بعد وفاة الشاعر ، وفي كتاب « البحث عن الجذور » لخالدة سعيد فصول عن الشعر الحديث .

وهناك كتب تتحدث عن الشعر العراقي بصورة عامة دون ان تنفرد بدارسة شاعر بذاته منها : دراسات علي الخاقاني : « شعراء بغداد ، وشعراء الحلة والفري وكربلاء والزوراء » ، و « الشعر العراقي الحديث واثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تهـــويمـة

نامي وطاب لك الرقاد
زهرا يرف على الوساد
ولتسع حولك في منامك ذاك اطياف الملائك
تشدو وتعزف كيف شئت لكي تشارك في هنائك

طيري بأجنحة شفيفه
نحو الذرى الشم المنيفه
حيث الاماني العذاب حقيقة تجيبنها
حيث الرغائب كيفما احببتها تجدينها

وتسنمي قمم السرور
وراء استار الشعور
ولتنطلق خلف الحواجز نحو ابعاد جديده
فيها تنال من المباهج كل شاردة فريده

ان كان اخمد ذا الحريق
وكان رواك الرحيق
فسعادتي اني دليلك في الطريق الى السعاده
وعلى يدي تلك الرؤى تتداح من فوق الوساده

جزنا معا درب الهوى
عبر النوى .. عبر الجوى
والان حق لنا بلوغ القمة المستشرفه
متساندين تزفنا احلامنا المتشوفه

حلقت بي فوق السحاب
واتيتني من الف باب
بعجائب ما كنت احسب انها يوما تكون
وصنعت بي ما ليس تحدس ما طبيعته الظنون

جاوزت بي كل الحدود
وابحت لي سر الخلود
وغمرتني بالنور .. بددت الظلام بمهجتي
وشلمت بالاشراق عمري .. بالرضا كينونتي

نامي فقد اسعدتني
نامي فقد احييتني
وبعثت في من الاحاسيس التي انسيتها
ما كان لولاك انقضى عهدي بها .. فوجدتها

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التيارات السياسية والاجتماعية فيه » ليوسف عزالدين، و « تطـــور الفكرة والاســـلوب في الادب العراقـي » و « الادب المعاصر في العراق » لداؤد سلوم ؛ واصدر احمد ابو سعد « الشعر والشعراء في العراق » وهـو كتاب قليل الجدوى اذ يكثر من النمـاذج الادبية التي نستطيع الحصول عليها بسهولة في الدواوين ، وليس فيه الا النزر القليل عن حياة الشعراء وبعض المعلومات المتوافرة لدى الجميع ، وقد تناول ابراهيم السامرائي بعض الجوانب اللغوية في الشعر العراقي الحديث في كتابه « لغة الشعر بين جيلين » ، وكتـب مارون عبود تتحدث في فصول متفرقة عن الشعر العراقي ، وهناك كتاب لجليل كمال الدين : « الشعر العربي الحديث وروح العصر » وفيه كثير من الامور الشخصيـة والنزعات العاطفية ، ولغازي عبد الحميد الكنين : « شعراء العراق المعاصرون » ولاحمد فياض المفرجي : « المراة في الشعر العراقي الحديث » ، ولكاتب المقال دراسة موسعة في الشعر العراقي الحديث من المؤمل ان تكون جاهزة للطبع خلال اشهر ، واصدر انور الجندي كتابا بعنوان «الادب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع من المحيط الى الخليج» وفيه فصل عن العراق ولقـد علـق عليه ونقده الدكتور علي جواد الطاهر في مجلة الاديب ، العدد ٢ ، ١٩٦٧ ، ولشوقي ضيف فصول في الشعر العراقي في كتابه « دراسات في الشعر العربي المعاصر » .

وهناك عشرات من المقالات والبحوث عن الشعـر العراقـي الحديـث نشرتها مجـلات ادبية وجرائد يومية ولا يستغني الباحث عن المجموعات الكاملة لهذه الجرائد والمجلات ومنها : المقتطف ولغة العرب والرسالة والثقافة والاديب والآداب والمثقف وشعر والاقلام وغيرها .

هذا ما استطعت أن احصيه وان اسجله من مصادر الشعر العراقي الحديث ، ولعلي قد سهوت عن بعضها او لم تسعفني الذاكرة على تدوينه وارجو ان نحظى في المستقبل بمن ينبه على مصادر اخرى فاتني ان اذكرها .

بغداد ـ الكلية الجامعة — جلال الخياط

ـ لست ادري متى تفي بوعدك يا حسام .

ـ اصبري يا غادة . انني على يقين باننا سوف ننجح في النهاية .

مطت شفتيها ، وقالت في يأس وسخر :

ـ ننجح ؟ ننتصر على زوجتك ؟ هذا محال . لا شك انك تحبها وتؤثرها علي . لماذا لا تصارحني بذلك ؟.

فقال بنغمة لائمة :

ـ الا تصدقينني ؟

لقد كنت تصدقينني من قبل . كان قلبك وحديثك مشبعين بالامل. فماذا جرى لك ؟.

اصوات من الداخل : حبيبي حسام ! لا تنس ان تحضر معك عند عودتك كيلوا من الموز لصبيح . لماذا تأخرت في العودة يا حبيبي ؟ لقد نعست في انتظارك . اين كنت ؟ لقد كنت قلقة عليك .

منظر في الداخل : تودع حياة حساما بوجه مشرق يفيض ابتساما وتلوح له بيدها الانيقة في دلال وحب ، بينما كان هو يخرج من المنزل ونظره عالق بها . ـ تستقبله زوجته عند العودة الى المنزل مؤهلة، ثم تمسك يده وتسير معه في مدخل المنزل بخفة ودلال .

اصوات من الداخل : ان الحياة معك لا تطاق . تتركين كل شيء وتهملين واجباتك المنزلية وتخرجين الى منازل صديقاتك لقضاء النهار بكامله في الثرثرة معهن . هل هذه حياة ؟ هذا الطبيخ لا لذة فيه ولا طعم له . ان المزبلة اولى به من بطني . ابعديه عني ! انك مهملة ! مهملة !.

منظر في الداخل : يصفع حسام زوجته صفعة مؤلمة فتبتعد عنه وتجلس على الكنبة منتحبة . ثم يوليها ظهره ويخرج من المنزل في غضب .

ـ حبيبي حسام ! ان والدتي نفد صبرهما . وهما الان يحاولان ان يزوجاني بشاب لا احبه . هل فهمت الان الحقيقة ؟

انك ان ظللت كعادتك تعد ولا تفي انتهى حبنا بالفراق .

فالقى حسام على غادة نظرة منقبضة سارحة وقال :

ـ انني لم اكن اعلم بذلك .

اصادقة انت ؟ اخشى ان تكوني كاذبة وان يكون قصدك التعجيل في زواجنا .

فم صغير ، وعينان صغيرتان ولكنهما جذابتان ، ووجه صافي البشرة من موجات الهموم وآلام المرض ورواسب العمر ، وقوام منتصب في ترعرع ونضارة ونحافة كفرع جديد نابت من غصن شجرة ، وشعر خروبي اللون غزير شرس

حمامة خارج العش

بقلم عبد الحميد الانشاصي

يلهي النظر بتموجاته وطوله ، ولون البشرة مؤلفة من حمرة غريبة شبيهة بذلك اللون الذي تكتسبه قطعة اللحم اذا احمرت في المقلى على النار : هذه هي غادة الفاتنة المغرية .

فم واسع قليلا ولكن شفتيه مبطنتان بلحم شهي ، وعينان واسعتان مرهقتان ولكنهما اذا ابتسمتا اضاءتا كقنديلين مزخرفين ، ووجه تشققت منه قشرة الشباب في بعض جوانبه ولكن في بعض الاحيان تمتلىء الشقوق بالاغراء والدلال ، وقوام لم ينتصب منه في اباء سوى الساقين، وشعر اسود نتف الزمان بعضه وجعله اليفا مطيعا ، ولون ابيض ولكن صدأ التعب غشي بعضه : هذه هي حياة الزوجة الصديقة المحبة .



*

« لا تمسحي شعري بكفك . دعيني استرح . لا ، لم تخطئي ولم ترتكبي ذنبا حينما مسحت شعري بكفك . انا لست مهموما ولا مغموما ولكنني مشغول البال . ارفعي ذراعك عن كتفي . لا ، ليست ذراعك حية ، ولكنني في حاجة الى الهدوء . لا تلقي جسمك على جنبي. اوف ! ما هذا يا حياة ؟ قلت لك : انني مرهق وفي حاجة شديدة الى الراحة والهدوء . الا تفهمين ؟ لماذا تسالينني هذا السؤال ؟ نعم ، احب امراة غيرك . هل فهمت الان ؟ كلا ، انها لا تحبني من اجل مالي . انها تحبني حبا صادقا . لنا سنون ونحن نتبادل الحب . هل عرفت الحقيقة الان ؟ انني لم اكن راغبا في اخفاء حبنا عنك ولكنني خجلت ان اصارحك به . تزوجتك لانني لم اقع في حب فتاة في ذلك الحين . انا لم اغدرك ولكن الحب صرف قلبي عنك ، ولا حيلة لي في ذلك . لم احبك ولم ابغضك حينما تزوجت بك ، انني اشعر انك متدلهة في حبي . لقد لاحظت ذلك منذ زمن طويل . . انا لست قاسي القلب ولكنني اشعر انني متدله في حب غادة بمقدار ما انت متدلهة في حبي ، والامر ليس بيدي . انا لا انكر انك ضحيت بالشيء الكثير من اجلي وانني رزقت منك ولدا نجيبا وجميلا . انني لا ابغضك ولكنني اوثر غادة عليك . حياة . لا تحاولي ان تستعطفيني بتذكيرك اياي بالايام الماضية وبالسعادة التي تذوقناها معا في بعض الاوقات . ان كل هذا لا يجدي . اصارحك بانني حاولت ان انسى حبي لغادة لاظل مخلصا لك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكنني وجدت نفسي اخيرا عاجزا عن ذلك . ان شيئا خفيا يحفزني على التـــزوج بفادة . ان وجهها مرسوم على شغاف قلبي » .

مضت حياة الى غرفة النـــوم تخطو خطوات عصبية في حيـــرة وارتباك . وكان حسام ينظر اليها وهي مدبرة عنه مستطلعا ليتعرف ما تنوي ان تفعله . ولما غابت عن عينيه قليلا اقبل عليه ولده صبيح قائلا في فرح :

ـ بابـــا !

ـ اهلا بك يا بابا . تعال الـــي يا حبيبي .

تقدم اليه صبيح بوجه مبتســم مرح ثم القى نفسه في حضنه . واخذ حسام يمر كفه على خـــده تارة ويمسح بها شعـــره اخرى . وكان من حين الى اخر يقبله . وجه صبيح فج ولكنه حلو ، وعينـــاه ساذجتـــان ولكنهما تدخلان الغبطة على القلب ، وجسمه صغير ولكنـــه بفيض حيوية وجمالا ، وكلامه ليس مفهوما كله ولكنه يجلب الى النفس من السرور ما لا يجلبه الكلام البليغ. ملابســـه جديـــدة ومرتبة وزاهية اللون . وقد بدا فيها كزهرة عبيرها كامن في البساطة وسر جمالهـــا كامن في النضرة .

قال صبيح لوالده مبتهجا وهـــو يشير الى ملابســه :

ـ بابا ! « دح » !

قال له حسام شارد الذهن :

ـ « دح » بابا ؟

ثم انتبه لنفســه والقى على ولده نظرة مخطوفة ولكن تلك النظرة على قصر عمرها افهمته ان ما يبدو له من ترتيب في ملابس ولده ومـــن جاذبية في مظهره ومن نظافة في وجهه ـ من صنع زوجته . لها اثر في كل ما يبدو في الطفل .

ثم قال ولده : « دح » ! ماما !

وهنا سمع حسام صوت درج يغلق في غرفة النـــوم ، ثم سمع خفق بابوج حياة وهي تذهب وتجيء في الغرفة . فخفق قلبه خفقانـــا مضطربا مازجـــه خوف وحزن . وفجأة جذب صبيح والده من طرف معطفه وقال :

ـ بابا ! ماما !

سرح حسام نظره في وجه ولده باحثا عن المعنى الذي اراد ان يؤديه الطفل بما فاه به ، ولكنه لم يفهم شيئا . فقال لولده :

ـ ماذا تريد يا بني ؟ .

ولما رأى الطفل ان والده ما زال جالسا في مكانه ولم ينهض قـــال متضايقا بنغمة مرتفعة ملحة :

ـ « قوم » ! « روح » ! ماما !

فادرك حســام مـــا يعنيه ولده ، فنهض من مكانه ومضى هو وصبيح الى غرفة النوم . ولما دخل الغرفة وجد زوجته ترتب ثيابها في حقيبتها ، فشعر بنخسة في قلبه وتسمر في مكانه ينظر الى ما تقوم به في صمت مؤلم ، ثم قال :

ـ ماذا تفعلين يا حياة ؟

هل تريدين ان تغـــادري المنزل وتبتعدي عني ؟ لا ، لا . توقفي . لا تتركيني وحدي .

واخذ ينقل نظراته بينها وبـــين خزانة الثياب في حزن وتفكيـــر واطراق.

منظر في الداخل : تغلق زوجته حقيبتها ثم تخـــرج من المنزل في صمت دون ان تلقـــي عليه نظرة واحدة . وبعد ذلك يسرح نظره فيما حوله فيجد المنزل خاليا ويبدو له ولده مستوحشا كئيبا ، فتضيـــق الدنيا في وجهه ويحن الى زوجته وينسى حبيبته غادة .

اصوات من الداخل : اذهبي عني يا غادة ! لقد خربت دياري ! لا اريد حبا ولا غراما ! .

حينما القى حسام السؤال على زوجته لم تجبه بكلمة بل واصلت اخراج ملابسها من الخزانة وترتيبها في الحقيبة دون ان تكترث لـــه . فدنا منها وامسك يدها قائلا :

ـ لا يا حياة . لا تخرجي .

انني في حاجة اليك . ان المنزل بدونك لا يساوي شيئـــا . انـــت زهرة داري وام ولدي .

وقد لصق ولده بأمه ، وامسك طرف فستانها .

ثم رفعت حياة وجهها الى زوجها ونظرت اليه في كآبة وثورة مكتومة وقالت :

ـ هذا ما اردتني ان افعله . ما دام وجه غادة مرسوما على شغاف قلبك فما بقائي هنا ؟ اذهب واحضر حبيبتك وفاتنة لبك الى المنزل .

هل ندمت على ما فهت به ؟ هل عاد اليك عقلك ؟ هل عرفت قيمتي الان ؟.

ـ لا يا حياة . لقد تعودت الحياة معك . ابقي من اجل ولدنا .

شعرت حياة بالراحـــة والغبطة تسريان في اعصابها وتزيدان قلبها خفقانا وتكادان تطلقان من فمهـــا تنهدة كبيرة .

منظر في الداخل : يرفعها حسام بيديه ويضمها الى صدره ثم ينهال عليها تقبيلا وهو يقول : انني احبك! انني اعبدك ! .

اصوات من الداخل : انت لـــي وانا لك . انني المرأة الوحيدة التي تحبك وتضحي بكل شيء من اجلك. انسى غادة . انها لا تحبك لنفسك، لا تصدق ما تقوله لك ولا تثق بها .

ولكنها هزت كتفيها وقالت فـــي دلال بنغمة منخفضة :

ـ لا . اذهب الى حبيبتك غادة. هي التي يمكنها ان تسعدك فـــي حياتك . اذهب اليها .

وهل تعدني بألا تجرح مشاعري من الان فصاعدا ؟.

فابتسم حسام ابتسامة حزينة ، ثم ربت كتفها وقال :

ـ انسي تلك الفتاة . لا تفكري فيها . لقد انتزعتها من ذهني .

لماذا تفيظنني هكذا .

ولكنها ما زالت تعبـــث بالملابس المرتبة في الحقيبة . كانـــت في انتظار يديه لترفعاها اليه وتضماها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى صدره . ولكنه لم يفعل ذلك في اول الامر بل امسك الحقيبة وقذفها بعيدا عنها ، ثم اغلق درج الخزانة وبابها المفتوح بقدمه في قوة وقال في رقة :

ـ انهضي يا حبيبتي .

انني مشتاق الى تقبيلك .

ورفعها بيديه في لطف ورقة ، ثم ضمها الى صدره في قوة ووقع شفتيها بقبلة صلح ووعد .

*

« لقد تعودت سماع المعسول من كلامك والفتور في افعالك . لا ، انت لا تحبني . انني لا اصدق ذلك . انك تحب زوجتك . هذه هي الحقيقة التي تخفيها عني . لا ، ليس هناك برهان على حبك اياي . طبعا لا اصدق . من يدري ربما اتخذت لك عشيقات كثيرات وادعيت لهن انك حبيبهن المخلص الذي يضحي بكل شيء من اجلهن . لا تقسم . انني لا اصدقك . محال ؟ لا ، ليس هناك شيء اسمه محال في افعال الرجال . لو انك مخلص لي كما تدعي لما عبثت بي وضحكت علي . طبعا ، هذا عبث وضحك . انني لست طفلة . انا افهم كل شيء والاحظ كل شيء . كان ينبغي لك ان تكون صريحا معي منذ البداية . اليس كذلك ؟ هه ! انك ما تزال تلف وتدور وتلف وتدور . ولكن افعالك هذه لا تنتهي بخاتمة محمودة . هل هذا هو الحب ؟ لا ، الحب شيء اخر . ربما كان الشاب الذي تقدم الى والدي خاطبا يكن لي قلبه من الحب ما لا يكنه قلبك . تضحك ! اتضحك من الصراحة والحق ؟ كم سهرت وارقت وانا افكر فيك . وكم قاسيت من مرارة السخر والاستهزاء التي تذوقتها من كلام والدي حينما وصفاني بالسذاجة والجهل لانني اخلصت لك واملت السعادة والهناء على يديك . لا ، لا . دعني . لا تأخذ يدي بين راحتيك ، انك تعاملني معاملة الرجال للاطفال . تعد ! الا تزال تعدني ؟ هه ! ومتى تفي بوعدك ؟ الله يعلم . قد ينقضي العمر ونحن في هذه الحال . قل لي ، هل انت تعطف علي ام انت تحبني ؟ اتخشى ان يقتلني اليأس فتلهيني بالآمال والوعود ، ام تنتظر فرصة للوفاء بوعدك ؟ حسن ! انني امهلك . سنرى هذه المرة . كما تشاء » .

لقد مزق التردد قلبه . لم يدر ماذا يفعل .. انه لا يريد ان يقطع صلته بفادة ولا ان ينفصل عن حياة . كلتا المرأتين تحبه وتضحي بالشيء الكثير من اجله . ولكن حبه موزع عليهما . حياة ربة بيته وشريكته في حياة الاسرة وهي التي تملأ بيته هناء وسلاما وطمأنينة . وغادة تلك الفتاة الحسناء الشابة الغضة الاهاب تذكره بأول شبابه وبأن الدنيا فانية والحياة قصيرة وبأنه عليه ان يغتنم الفرصة ويجدد اول شبابه بالتزوج بها . انه حيران لا يدري كيف يتصرف . لقد تعود ان يرى زوجته حياة تروح وتغدو في المنزل وتعنى بولده وبه هو وتكوي ملابسه وتقدم اليه الطعام وتدلله وتنسيه همومه . وقد تعود ايضا ان يلتقي غادة ويبهظها غرامه ويتمتع بالنظر الى جمالها الاخاذ والاستماع الى حديثها الشائق . انها تمثل الدنيا في اوج بهجتها وروعتها .

*

عاد حسام الى المنزل في ساعة متأخرة . قضى اوائل الليل وهو يشاهد فيلما غراميا مؤثرا صور فيه الحب اجمل تصوير . وقد ضحى الحبيب فيه بكل شيء في سبيل حبيبته . وحينما خرج حسام من دار السينما شعر انه رأى نفسه يقوم في الفيلم بدور البطل ، متقمصا جسدا غير جسده ، ورأى حبيبته غادة تقوم بدور البطلة متقمصة جسدا غير جسدها .

وحينما دخل المنزل وجد زوجته منهمكة في اعداد الطعام لولدها صبيح . ولم تبد في تلك الساعة نظيفة وجذابة فقد كانت مرتدية مريول المطبخ وفستانا قديما لا يبرز مفاتن جسمها . وكان شعرها مضطربا كأنها استيقظت من النوم منذ برهة قصيرة . لذلك ارتد بصر حسام عنها نافرا ، واكتفى بالقاء تحية المساء في فتور ، فردت عليه حياة التحية في ابتسام خفيف مرحبة به .

ثم انه دخل غرفة الاستقبال ، واستلقى على كنبة مستطيلة ، واستسلم الى تفكير في الفيلم الذي شاهده وفي استعادة مناظره في ذهنه . لقد ذكره الفيلم حبيبته غادة واخذ يقارن بينها وبين زوجته ، فبدت له الحبيبة آية من آيات الجمال ، وبدت زوجته بجانبها بعدما وقعت عيناه عليها في المطبخ خادمة لا قيمة لها .

فرغت حياة من اعداد طعام ولدها ، ثم دخلت غرفة الاستقبال وصبيح ينبعها . وجلست بجانب زوجها وهي في لباس العمل ، ثم اشارت الى ولدها قائلة :

ـ انظر الى هذه البدلة التي يرتديها صبيح . هل تدري بكم اشتريتها ؟ فأجاب بلا رغبة :

ـ بكم ؟

ـ بسبعين قرشا . لو انك اشتريتها لدفعت ما يزيد على دينار ثمنا لها . فقطب حسام وقال في غلظة :

ـ وهل انا في نظرك مغفل حتى يضحك الباعة علي ؟

انك تستحقين ضربا مبرحا جزاء لك على وقاحتك .

فابتسمت ابتسامة خفيفة واجابت :

ـ كلا . انني لم أعن ذلك .

لماذا انت عصبي المزاج في هذه الليلة ؟

ـ لا ، لا . انك تستخفين بي دائما .

هذا سوء ادب منك .

فقالت في جد :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النهـــاية

اريد ان انعب كالغراب
على عكاز شجرة عجوز
وان ابكي كالاطفال
بصوت الرعد .. ودموع المطر ..
اريد ان اشيع العالم
بقهقهة السكارى في احشاء الليل
ان اشرب البحار المالحة
وامج الزنخ والصديد
حتى تتفصد عروقي فتنزف الحقد والالم
اريد جناحين صغيرين
كجناحي ذبابة افريقية
لاحوم على تلك المزابل النتنة
التي يرتادها الكلاب والطاعون
وليكن قبري المجهول
في صحراء النسيان والعدم
تهب عليه الرياح الصفر
محملة بالجوع والمرض

كنت عائدا من المقبرة ذات مساء كئيب
احمل صليب آلامي المبرحة

كان حزني عميقا كالبحار
متكاثفا كالغيوم
وتخيلت طيفه وهو يودعني
ذلك الوداع الاخير
كان رائعا كالربيع
نقيا كالمطر .. باسما كالامل
كنت احس بالغربة القاتلة
وانا اجوب العالم برجل واحدة
دون حـذاء
احمل حطام ذكرياتي التعيسة
وقصة كتبتها على ظهر زورق تائه
في بحر الضباب والصقيع

ايها الفارس العنيد
الذي يهوى بسيف البرق
ويتشح بقوس قزح
ترجل من مركبتك اللازوردية
فقد توقف الزمن

الحسكة ـ سورية

بندر عبد الحميد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هل غادة افسدت بيني وبينك؟ واذن فهذا هو السبب الذي من اجله تأخرت في العودة الى المنزل هذه الليلة . لقد التقيت تلك الفتاة و ...

انك خائن . لست اهلا لان يكون لك زوجة وولد .

فقال في حدة :

ـ اغلقي فمك يا وقحة !

ان غادة خير منك بكثير .

فقطبت وقالت في حدة وهي تنهض من مكانها :

ـ مهما بلغت من الوقاحة فاني لن ابلغ ما بلغته منها .

فنهض حسام يهتز سخطا ، وصفعها على وجهها صفعة مؤلمة اطلقت فمها بالصياح واسالت الدموع من عينيها . فلصق بها صبيح صارخا باكيا وهو يقول :

ـ ماما ! ماما !

فضمت حياة ولدها اليها في حنان ، وراح حسام يتأمل ذلك المنظر الذي يحيط به اطار من الحنان والالم والضعف : حنان الام تجاه طفلها ، والتألم من قسوته هو شريكها في الحياة ، وضعف انوثتها بجانب رجولته . سرح نظره في كفها الذابلة التي امسكت ولده بانامله الخشنة وعروقها البارزة من كثرة الاعمال المنزلية . اثر فيه منظر الامومة ـ الام الحانية على طفلها ، والطفل المتشبث بها كانه التجأ اليها خوفا منه هو لقساوة قلبه . كلاهما صرخ وبكى . كل ذلك بسبب قسوته وغلظته .

خرجت زوجته من الغرفة بحركة عصبية قائلة في سخط :

ـ وحش !

انني لا اطيق رؤية وجهك .

اما هو فانه جلس في مكانه ، واستغرق في تصورات مؤثرة . اخذ يفكر في منزله وفي اثر زوجته في كل ناحية منه وفي اثرها في ولده ـ في جسمه وفي نظافته وترتيب ملابسه . فبدت له غادة كحمامة غريبة عن عشه الزوجي ، وتبين له انه في غنى بزوجته وولده عنها . فهب من مكانه وقد تحول الى كتلة من الشفقة والعطف والحب ، ومضى نحو زوجته ليستعطفها ويترضاها ويضمها الى صدره .

عمان

عبد الحميد الانشاصي

الى حروفها الخضراء

فـؤاد الخشـن



احروفها الخضراء
ماذا تحملين ؟
شوقا لشمس الريف ؟
للصحو الذي تتعشقين ...
للزهر ... للانداء لامعة
كماسات صفار
ولزقزقات من عصافير
تعشش في الجدار ...
فـي ظـل قرميد
تسيل عليه اضواء النهار !

•

ماذا وراء حروفك الخضراء
ماذا تبعثين ؟
اني احس بلونها النامي !
براعـم من حنـين
لثلوج صنين المهفهف ... للكروم
لمياه ساقية
يذيب غناؤها
ليـل الهموم
لصدى هناك ...
لموجة زرقـاء ...
تفرش في الرمال
فيقال منديل ! يطرز ابيضا ...
ويقال شال !

•

اني اراك الان
من زيف المدينة ، تهربين !
لبساط عشب اخضر تتلمسين ...
ولظل شربـين
يعطرنـا شـذاه
متفتـح الاغصـان
فـي شبه صـلاه ...
ويمد نحو الله ، في لهف ، يديه
لتعود عشتار اليه !

مـاذا ؟
ابعد ضياع جنتنا الحبيبة تدركين
ما ينعش الزهر الحزين
انـي اراك ...
وراء أحرفك الشفيفة
ترجعـين
لتـلال وزال ...
لجنـة ياسمين !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشائج الفلسفة والعلم

بقلم الدكتور صلاح الدين المحايري

* * *

لا بد من معالجة مظاهر الارتباط المتبادل بين الفلسفة والعلم علاجا وافيا للالمام بالعطاء المتبادل بينهما . فكيف يؤثر كل منهما في الاخر ؟ وما هي الفوائد التي يتبادلانها ؟

فاذا صح ان العلم يعنى بالظواهر ويجرد من شتاتها قوانين ثابتة ودساتير متسقة ، وان الفلسفة تعمل على تفسير هذه الظواهر وتفهم اسرارها الغائية واحاطتها جميعا باطار سحري يؤلف بينها ، كان العلم ينبوعا ثرا تنهل منه الفلسفة جرعات روية وطودا شامخا تبني من صخورها صرحها الباذخ . ولطالما كان الفلاسفة في الماضي يتناسون هذه الحقائق وينسجون من تفكيرهم القبلي à priori ـ اي تفكيرهم الذي لا يخضع للمشاهدة والتجربة ـ الهيات فكرية منسجمة تهزأ بالروح العلمي يدعونها (بفلسفات الطبيعة) . ومن ابرز الجناة في خلق هذه البلبلة الفكرية المليئة بالمفارقات الفيلسوفان الالمانيان (هيجل) و (شلنك) اللذان عاشا قبل قرن مضى . والنتيجة الطبيعية التي ترتبت على هذه الحركة اذكاء روح العداء للفلسفة في نفوس العلماء ولا يزال هذا العداء مضطرما في بعض الاوساط العلمية وان كانت بقاياه آخذة بالاندثار تحت عجلات الزمن المتحرك المتسارع ، لا سيما وفلاسفة الطليعة المعاصرون يقرون بفضل العلم عليهم ويعترفون بسلطانه كما يدفع حافز الاطلاع وظمأ المعرفة كثيرا من العلماء انفسهم لاكتناه المغزى الفلسفي المنطوي في آثارهم العلمية . وبدهي بعد هذا القول ان نعتبر العالم الذي يرمق الفلسفة بعين الازدراء عتيقا يعيش من افكاره في اوائل القرن الماضي مهما يكن عصريا في اختصاصه .

وثمة وجه اخر للصلات الواشجة بين الفرعين والخدمات التي تؤديها الفلسفة للعلوم لا يطيب على الوصف الجلي ، فالفلسفة ليست « جسما تتالف اجزاؤه من النتائج المستندة الى المشاهدة فحسب » ـ على حد قول العلامة بريتمان ـ « بل هي روح او منهج ننفذ بواسطته الى اسرار التجربة اليومية الحسية » . لا جرم ان مشاهدة الجسم وتقدير ابعاده ايسر بكثير من تحديد آفاق الروح وتركيز عنصرها الاثيري . والعالم العاكف على عمل جزئي صغير وشطر محدود من الحقائق والظواهر لا بد ان يحظى بلمحات صوفية هنيئة يندمج فيها بالكون الوسيع اذا توفر على ابحاثه بروح فلسفية طليقة مديدة وان وضع نصب عينيه وحدة المعرفة كلها كحقيقة خطيرة قصوى وانتظمت في مخيلته العرى الوثيقة التي تضم العلوم الخاصة في سمط واحد . وهو بذلك يقوم بمحاولات جبارة في حدود الواقع ولكنها واقعية اروع من المثال .

لقد انصرفت البشرية عن تفهم اسرار العالم الاصغر ـ الانسان ـ تفهما جذيا وامعنت في دراسة العالم الاكبر ـ الكون الخارجي ـ امعانا فقدت بعده التوازن فكان تقدم الآلية السريع باعثا على البحران الذي ترزح في غماره الحضارة الراهنة وسببا في الغولية alcoholism النفسية ـ ان صح هذا التعبير ـ التي تبدو اعراضها ماثلة في كيان الامم الحديثة المتمدنة . والدواء النوعي لهذا السقام هو ـ كما يرى اولدس هكسلي في كتابه «غايات ووسائل» صبغ الحقائق المشاهدة بالصبغة الانسانية البحتة ودراسة قيمها الخلقية والجمالية الحية ليتالف منها زواجر وقوامع سوية تنقذ البشرية من هلاك محتوم . وموجز القول فيما جلوناه للقارىء من هذا الوجه ان الفلسفة تكسب العلم سعة وعمقا لا يسبر غوره .

كان نمو العلم والفلسفة في اتجاهين مفترقين مطردا مستمرا في السنين الاخيرة . ولكن هذا التطور الجديد ادى الى ظهور اوضاع طريفة وحدود جديدة للصلات التي تربط الفلسفة بالعلم وهي تنحصر في وظائف ثلاث : (١) توحيد النتائج المستمدة من العلوم المختلفة وتنسيقها في منظومة شاملة واحدة (٢) دراسة المناهج المشتركة بين سائر العلوم (٣) تحليل المفاهيم والمصطلحات والفروض الاساسية التي ترتكز اليها العلوم تحليلا نقديا دقيقا . ولنبسط الان ما اوجزناه من النقاط الثلاث : (١) كل علم من العلوم منحصر في نطاق ضيق لا يتجاوزه، ومع ذلك فالمعرفة بشتى فروعها مترابطة متواشجة ولا بد للفلسفة ان تضطلع بعبء توحيد هذه الفروع جميعها وايجاد نظام دقيق يجمع بين استقلالها وتنسيقها في كل شامل . (٢) لكل علم من العلوم منهج او مناهج ينفرد بها للعمل في حقله الضيق ولكن هذه العلوم جميعا تشترك في منهج علمي شامل او طريقة مشتركة للبحث ومهمة الفلسفة في هذا المضمار ان تتوفر على دراسة هذا المنهج المشترك وصلته بالمناهج الخاصة وتدعى هذه الدراسة الفلسفية «دراسة مناهج العلوم methodology » وهي فرع من فروع المنطق (٣) يستخدم كل علم من العلوم مفاهيم ومصطلحات خاصة « كمصطلح الصخور النارية في الجيولوجيا والذاكرة في علم النفس » ويعمل كل علم على صياغة هذه المصطلحات والمفاهيم صياغة تناسب موضوعه ، ويراقب تطور الكلمات العلمية في مدلولاتها ، ولكن ثمة مفاهيم ومصطلحات شاملة مشتركة بين سائر العلوم او بين عدد كبير منها ـ كالسبب ، والقانون الطبيعي ، والمادة ، والحياة ، والعقل الخ ـ

ومهمة الفلسفة ان تحللها وتعين حدودها جميعا ، وان تحقق ايضا في الفروض التي يستند اليها العالم في استعمال هذه المفاهيم فتوضحها وتسيغها او ترفضها . فالعلم يفترض مثلا ان النتيجة تعقب السبب وان الحياة مستحيلة دون جسد مادي محسوس ، وقس على ذلك امثالا كثيرة تلهم العالم مفاهيمه ومصطلحاته وفروضه ، ويرى الفيلسوف الانكليزي برود Broad ان تدعى الوظيفة الثالثة « بالفلسفة النقدية » .

وتتألف « فلسفة العلم » في اصطلاحها الشائع من الوظائف الثلاث التي وصفناها . ويعتقد بعض الفلاسفة الوضعيين وعلى راسهم برتراند رسل ان الفلسفة التي تتجاوز مهمتها هذه الوظائف الثلاث هي عبث لا طائل فيه . وعندي ان هذه النظرية تنطوي على جانب من الحق وهي جواب طبيعي معقول ضد الفلسفات المثالية الاسطورية التي المحنا اليها ولكنها ضيقة محدودة في مجملها . فثمة معضلات واسرار تتجاوز المشاكل العلمية الصرفة وتدفعنا قصيا الى ما وراء الآفاق التي تجول فيها العلوم مجتمعة وهي معضلات واسرار لا يستطيع الفيلسوف ان يتجاهلها او ينام دونها ، ومنها ما يتناول المعاني والمقاصد والقيم التي تتضمنها الظواهر والحقائق التي اكتشفها العلم ومنها ما يمس طبيعة التجربة الدينية العميقة والشعور الجمالي (الاستيتكي) اي الشعور الذي تفيض به جوانح الفنان ومحب الفن والطبيعة .. فالفلسفة في اطارها الشامل ، اذن ، لا تعني بخلق الروابط وتوثيقها بين مختلف العلوم فحسب بل تعمل على ضم جميع انواع التجارب الذاتية والموضوعية في عقد نظيم وتسعى الى ايجاد نظرية كونية واحدة او هي — كما يرى (برود) ذات مهمة مزدوجة ، نظرية ونقدية معا .

ونود هنا بداقع الاستقصاء ان نبحث في الفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية وبين معرفة الرجل العادي او رجل الشارع — كما يدعوه الفلاسفة — وبعبارة اخرى بين الفلسفة والعلم وبين « الادراك المشترك » العادي .

تطرق هربرت سبنسر فيلسوف التطور المعروف الى البحث في هذه الفروق في كتابه « المبادىء الاولى » فرأى ان الاختلاف بين نماذج المعرفة الثلاثة غير جوهري، بل هو اختلاف في درجة توحيدها لما ندركه من العالم « فالادراك المشترك » ، او معرفة الرجل العادي ، ادنى انواع المعرفة هي غير موحدة ، والعلم معرفة موحدة توحيدا جزئيا ، اما الفلسفة فمعرفة موحدة توحيدا كاملا » وهذا يدلنا على ان سبنسر كان فيلسوفا وضعيا يحسب الفلسفة طريقة مثلى لانتظام العلوم ونتائجها في تركيب شامل لا يضم في ثناياه تجارب ذاتية يفيض بها الشعور الديني او تصدر عن سبحات النفس المترعة بالجمال . واهم ما يلاحظه القارىء في تحليل سبنسر لنماذج المعرفة الثلاثة تجاهله للفارق الثاني بين الفلسفة والعلم اي الفارق في موقفيهما ازاء الكون ، فالادراك المشترك والعلم والفلسفة — في رايه — سواء في النوع والجوهر مختلفة في الدرجة والعرض .

ويطالعنا الاستاذ فلرتون Fullerton بفصل ممتع في كتابه « المدخل الى الفلسفة » يتناول فيه الفوارق التي نحن بصددها . فالعلم — في نظره — متفق و « الادراك المشترك » العادي في النوع مختلف في الدرجة فقط ، اي الدرجة العالية التي يبلغها من الدقة والكمال والتناسق . اما الفلسفة او « التفكير النظري » — كما يدعوها — فجوهر مختلف ونظرة مغترقة . وآية ذلك ما تحسه من تعذر الانطلاق وراء عالم التجربة الحية العادية حينما تتوفر على دراسة علم من العلوم وحسبك فيما تفعل ان تمعن في ذلك العالم تدقيقا واستقصاء ولكنك حين تشرع في التفلسف تحلق في جو اخر وترى « العالم الحقيقي الذي نرتع فيه جميعا » يبدو كأنه « آخذ في الانحلال والتلاشي » .

نظرتان مختلفتان اشد الاختلاف ، احداهما تصور لك الفوارق بين نماذج المعرفة الثلاثة جميعها عرضية لا تنفذ الى الجوهر والاخرى تقصر الاشتراك في الجوهر على العلم و « الادراك المشترك » او معرفة الرجل العادي وتحيك للفلسفة نسيجا مختلفا في سداه ولحمته . وللمفكر ان يتساءل بعد ذلك ايهما اقرب الى الصواب ؟ وهل النظرة الحقيقية مباينة لكليهما ؟ واي الفريقين اقرب الى معرفة الرجل العادي او « الادراك المشترك » في نظرهما للعالم . العلم ام الفلسفة ؟. اسئلة ثلاثة تتبادر للذهن المتأمل البصير الذي يشاهد الامور من زوايا مختلفة ويعالجها بروح موضوعي لا تشوبه فكرة سابقة وغرض كامن . ولا ريب ان النظرتين المذكورتين اللتين قررهما سبنسر وفلرتون تتضمنان قدرين جزئيين مختلفين من الحق ، ولكنهما لم تنفذا الى صميم الحقيقة الكاملة. فعالم « الادراك المشترك » عالم الاختبار والمعرفة العاديين لا يقتصر كالعلم على الحقائق والظواهر فحسب بل يتناول القيم والغايات ايضا كما تتناولها الفلسفة وينظر الى العالم في (كله) الواقعي المحسوس نظرة الفلسفة اليه . اما العلم فيعمد الى التجريد ويخضع الاشياء في تطورها وحركتها ومختلف مظاهرها الى قوانين آلية بحتة ، ولذا كان موقف الفيلسوف بمجمله اقرب الى موقف الرجل العادي من العالم في تجريده ومقاييسه المصطنعة ، وما الفلسفة — كما يرى وليم جيمس — سوى محاولة ملحة مستمرة لفهم عالم « الادراك المشترك » .

ان النتائج الفكرية القصوى التي خلصت اليها ابحاث العلم ومكتشفاته لا بد ان تحفز الفيلسوف المتزن الى اعادة النظر في الميراث الفلسفي الضخم الذي خلفته لنا اجيال تفاضت عن عظمة الكون الوسيع ومعجزاته وكانت ترى مظاهر الوجود واسراره جميعا احداثا عرضية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكينونات فرعية لكينونة الانسان العليا الذي جعلت منه المثالية idealism اسطورة فذة تتلاشى ازاءها ماهيات الخلـــق واسبابه .

والفيلسوف المثالي الذي ينطوي على نفسه لينهل من ينبوعها الباطني ويستمد منها حقيقة الكون بكاملـه دون ان يعبأ بالنظر الى ذلك الكـــون نظرة موضوعية خارجية يستقرئ فيها آياته وعجائبه ويكبح جماح وساوسه واوهامه يعيش في افيونية فكرية عابثة لا تمت الى هذا العالم بصلة . ولا يضير العلم ان تتطور نتائجـــه كلما توافرت اسباب البحث وادوات الاختبـــار وان تتخذ الفلسفة من تلك النتائج المتغيرة مقدمات تدفعها في تيار حركة دائمة لا تعرف الاستقرار . فالحركـــة المولـــدة (الدينامية) هي ابرز مظاهر الحياة والفكر ، ولو بعث افلاطون وارسطو وابن رشد وديكارت وسبينوزا وغيرهم احياء لصاغوا مناهجهم وفلسفاتهم صوغا جديدا يستمدون عناصره من حقائق العلوم الطبيعية والاحيائية والاجتماعية والنفسية الحديثة . وحسب الفلسفة ان تعمل في هذا الصدد على التآلف التدريجي بين الافكار وبين الحقائق الظاهرة ــ كما يقول ارنست ماخ .

ينعي كثير من الفلاسفة المعاصرين على (ديكارت) ثنائيته dualism في المادة والفكر ويعدونه مسؤولاء عن الانحراف الفكري المزمن الذي نعاني اوصابه . « فمبادؤه » كما يقول الفيلسوف هويتهد whitehead « ادت الـى خلق متوازيين لا يتلاقيان » يتقابل فيهما الفكر المتأمـل والمادة بطبيعتها الآلية ، فكان هذا باعثا على اتجاه العلم والفلسفة في طريقين مفترقين في ختام القرن السابع عشر ، انصرف بعده العلم الى البحث في الطبيعة المادية وعكفت الفلسفة على اكتناه حقيقة العقل المتأمل . واذا كانت المدارس المثالية المختلفة قد ذهبت في تطرفها كل مذهب فتراءت لها الطبيعة نموذجا فذا ونسخـــة من تأملات الذهن فان جميع المدارس الفلسفيـــة الاخرى وافقت على منهج التحليل الكارتيزي ــ نسبة الـــى ديكارت ــ لعناصر الطبيعة الاولى . فالفلسفة التي كانت تعنى بالذهن المتأمل دون غيره ظلت غريبة عن العلم خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولكنها ــ كما يقول (هويتهد) المذكور ــ « اخذت تعود عودا وئيدا الـى اهميتها القديمة بعد ظهور علم النفس المرتكز الى عـلم وظائف الاعضاء (الفيسيولوجيا) . » .

لا جرم ان الحدود التي يلتقي فيها العلم بالفلسفة ليلقي اليها بنتائجه فتتخـذ منهـا مقدمـات لتأملاتها ومناهجها هي المركز الحيوي في عالم الفكر المعاصر .

فمبدأ السببية ، مثلا ، كان باعثـا على فيض من الرسائل والبحوث الدقيقة المتعة وهو ــ في نطاق العلم ــ لا يتدثر بسجف الوهم ولا يتعلق بطلاسم السحر . فكل مجموعة من الحوادث تعقبها مجموعة اخرى ندعو اولاها (بالاسباب) واخراها (بالنتائج) وهي مترابطة متلاحقة لا تنفصم عراها ، وليس هناك ما يسوغ للفلسفة الحديثة ان تبدد جهودها في اتجاه مغاير لا تجاه العلم في هذا الصدد ، ما دامـــت الاسس التي يقوم عليها مبدأ (السببية) راسخة ، وما دامت آراء بعض الفيزيائيين في تقلقلها ــ امثال (ادنكتون) و (بوهر) وغيرهما ــ فرضيات واهية لم تثبت على البحث الجدي والتجربة الدقيقة . فالطبيعة متسقة في مناهجها ، منسجمة في حوادثها ، لا تعرف الصدفة العابرة والظاهرة الناشزة والاسبـاب المتماثلة لا بد ان تعقبها نتائج متماثلة .

ومبدأ التطور من النظريات العلميـة التي تكسب الفلسفة سعة في النظر ويدفعها الى تنقيح مثالياتهـا القديمة الممتزجة بالاساطيـر . فالعلمـــاء الاحيائيون (البيولوجيون) وغيرهم متفقون على صحة هذا المبدأ وان لم يجمعوا على قبول ناموس الانتخاب الطبيعي سبيلا له . وبات الانسان وعقله في الذروة المتطورة بين سلسلة من الادوات الابتدائية للادراك في الوف وملايين الاحياء .

ومن النتائج العلمية التي احدثت انقلابا رائعا في مجرى الفكر الفلسفي الوحدة الزمنية المكانية او قضية (الزمكان) . فالنقاش المنظم الذي كان يدور حول طبيعة الزمن المطلق وصلاته بالمكان المطلق بل الميتافيزياء التي تبحث في الديمومة المجردة قد ذهبت بددا ، وبات من العبث الفارغ النظر الى الزمن والمكان كوعائين مستقلين يرتبطان بالتوازي فقط .

وقد دل بناء الذرة على ان باطن الاشياء يزخـــر بالحركة الدائمة ، ففي صميمها تقوم وحدات كهربائية شتى تتحرك دون انقطاع بعدد من الذبذبات لا تحيط به المخيلة ، وقد يتراءى لنا جلمود الصخر في قمة الجبل ساكنا ثابتا لم يتبدل منذ ملايين السنين ، ولو امتـــد بصرنا الى باطنه لعرفنا بأن مادته متحركة متغيرة لا تثبت على حال ولو جزءا من مليون في الثانية .

فالحركة قوام الوجود المادي ، وهي تعني بأن شيئا حادثا في زمن معين يملأ مكانا معينا ويملأ في زمن اخر مكانا اخر ، ولا يمكن للمرء ابدا ان يتصور حدوث حركة في مكان او زمن مستقلين لان فصلهما يؤدي الى تلاشي الحركة والوجود نفسه . ونحن حـــين نقسم المكان او المدى الى قراريط وامتار وافدنة او الزمـن الى سنين وايام ودقائق وثواني انما نقيم ركائز وهمية نستعين بها على قضاء حاجاتنا وليس لهذه الركائز وجود واقعي في طبيعة الكون او قيمة في بحوث الفلسفة لان الفلسفـة لا تعنى بالاقيسة المنطقية المعقدة عنايتها بالكون الحقيقي . وفكرة (الزمكان) او الوحدة الزمنية المكانية هي الدعامة الوحيدة التي يمكن ان يرتكز اليها التأمل الفلسفي الجديد في هذه الحـــال .

والى القارىء مثلا يوضح ما ذهبنا اليه من القول:

دمعة على طاهر الطناحي

كان اخر كتاب الفه المرحوم طاهر احمدالطناحي محرر « الهلال » المعروف هو كتاب « ساعات من حياتي » كما كان اخر مقال كتبه هو مقاله المنصف عن كتابي « فن الترجمة في الادب العربي » الذي نشرتهمجلة « الاديب » في عدد مارس سنة ١٩٦٧ ... وفي يوم الجمعة ١٤ ابريل سنة١٩٦٧ لفظ طاهر الطناحي انفاسه الاخيرة، فاضاف بهذا فصلا جديدا الى كتابه المتع« الساعات الاخيرة » الذي صدر ـ غير بعيد ـ عن دار الهلال ، مع تقديم كريم من المرحوم عباس محمود العقاد ...
وهذه الدمعة الحرى هي بعض الوفاءلهذا الاديب العربي الكبير ...

جلل الحزن مسائي وصباحي ... حينما شمسك مالت للرواح
نبأ قد طلع الصبح به ... قبل ان ابدأ لليوم كفاحي
شهد الله لقد اذهلني ... ذلك النعي على نور الصباح
أأنا في حلم ام يقظة ... أأنا في رقدة ام انا صاحي ؟!
نعيك الباكر اوهى جلدي ... فانثنى عزمي ، ولم ينهض جناحي
قلت للناعي الذي باكرني ... يوم منعاك : لقد هجت جراحي
انا في معركة الدهر فتى ... واهن العدة ، مخذول السلاح
نحت ايامي ... وغنيت ، فلا ... نفع الشدو ، ولا اجدى نواحي !
فتقبلت الليالي مرغما ... راضيا منهن بالحظ المتاح

ايها الطاهر لم اعهد به ... دنسا في جده او في المزاح
أي آثارك لم نفخر به ... في الاساليب المضيئات الفصاح ؟
كتب كالروض في اشراقه ... ومقالات وضاء كالاقاحي
وبيان سائغ ، سمح ، كما ... خصك الله بلطف ، وسماح
« الهلال » اليوم كم درت به ... حافل الموكب ، منضور الوشاح
ترسل الفكر على كل مدى ... وتؤديه الى كل البطاح
موعد في الشهر لا تخلفه ... دائب الرحلة ، موصول النجاح
ايها الهامد ! ما عودتنا ... عثرة السعي ، ولا كبو الطماح
ايها الصامت في القبر اتئد ! ... ما عهدناك صموتا «يا طناحي» !!

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

اقيمت مساء الخميس حفلة موسيقية كبرى في بيروت حضرها نخبة من هواة الموسيقى . فبيروت مكان ينتمي الى طبقة معينة من الظروف ، والخميس زمان يدخل في عداد ظروف اخرى مختلفة . ولكن الحفلةالموسيقية اقيمت في بيروت كما كانت حالتها مساء الخميس ، وهي حالة متبدلة غير مستقرة وليس من الممكن ان تقام الحفلة في بيروت غير مقترنة بزمن معين ولا ان تقام مساء الخميس دون مكان محدود ، فالظرفان مندمجان متصلان لا سبيل الى انفكاكهما وليس ثمة ديمومة لا تقترن بشيء يدوم . والفلكي يستطيع بأجهزته الحديثة ان يحدد بالتوقيت النجمي الدقيق زمن الحفلة والمكان الذي كانت تشغله الارض والشمس والنجوم آنئذ في الكون الوسيع ، وهي حادث زمني مكاني فذ في تاريخه.

هذه امثال قليلة نوردها شواهد على الروابط الوثيقة بين العلم والفلسفة ، قوامها امومة اصيلة ونبوة نيرة خيرة يفتح التواشج بينهما آفاقا مديدة قد تهتدي اليها البصيرة ويضل البصر .

دمشق — صلاح الدين المحايري

هشام المؤيد

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

***

يقف الدارس للادب والتاريخ الاندلسي عند هشام المؤيد لينعم النظر ويراجع فكره فيما قرأ . وهو يفعل ذلك كما يفعل الانسان الذي لا يصدق ما يقرأ لشدة غرابته فيراجع فكره فيه ويقلب الصفحات السابقة عساه ان يكون قد اساء الفهم او فاتت عليه امور مهمة قد سها عنها . ولكن لا تلبث الغرابة ان تزداد عندما يوقن الدارس انه لم يفت عليه امر مهم ولم يسه عن شيء وانما الحقيقة هي بحد ذاتها حقيقة غريبة مدهشة .

هكذا كان حالي وانا ادرس حياة هذا الخليفة الاندلسي . اما انه خليفة فذلك ما لا شك فيه فقد كان له لقب الخليفة مدة تزيد على ثلاثة وثلاثين عاما . وكان يدعى له من على المنابر ايام الجمعة وتسك باسمه النقود . ولكن لم يكن له غير الاسم من الخلافة شيء . واول ما يلفت النظر انه كان اول خليفة يوبع بالخلافة وهو في التاسعة من عمره ويقول ابن حيان وهو في الثانية عشرة ويقول ابن خلدون « دون ان يناهز الحلم » ويتساءل الدارس ما الذي دعا الى ذلك واستوجبه ؟ ان ادارة الحكم في الاندلس تصعب حتى على الرجال الدهاة فكيف الحال مع صبي لم يناهز الحلم . وكيف يقوم والده « الحكم » المستنصر وهو الخليفة القدير المحنك صاحب اكبر مكتبة عرفتها الاندلس في قرطبة بتسليم زمام البلاد الى صبي صغير ؟ . وكيف لم ير ان عمله هذا عمل غير معقول . فهذا « المغيرة » « اخو الحكم » كان من اعلام البلاد دراية وحنكة ولا شك ان بني مروان كانوا « اقمار الدجى » ولا يصعب على الخليفة « الحكم » ان يجد بينهم رجلا يواصل ذلك العصر الذهبي الذي كانت ترفل فيه البلاد ايام حكم والده « عبد الرحمن الناصر » وقد وصف احد الشعراء ما كانت عليه الاندلس آنذاك من رخاء وهناء فقال :

ومن عبد شمس في المغارب عصبة فاسعدها الرحمن حيث احلها
دحا تحتها مهدا من العز آمنا ومد جناحا فوقها فاظلها

ثم نحن لا نسمع عن اولاد الخليفة « الحكم » غير هشام شيئا . لقد طالت مدة خلافة « الحكم » ست عشرة سنة . وكان الخلفاء يتزوجون كثيرا ويتسرون كثيرا ، افليس من المعقول ان يكون للخليفة « الحكم » اولاد غير هشام وحتى اكبر منه سنا ، فلماذا لم يصلنا شيء من اخبارهم ؟

قد يكون الجواب على كل هذه الاسئلة يكمن في عبارة شائعة تقول « فتش عن المراة » ولا يطول بنا التفتيش في هذا المجال . انها « صبح » امراة الخليفة « الحكم » وام هشام . كانت صبح من نساء الاسبان « الباشكنس » اي من بلاد « الباسك » وهي منطقة تقع على الحدود بين فرنسا واسبانيا على جبال « البرانس » ويقال ان نساء الباشكنس من اجمل نساء العالم . وقد جيء بهذه المراة سبية الى قرطبة فدخلت في خدمة القصر واحبها الحكم فتزوجها وما لبثت ان ولدت له هشاما . وكانت لصبح شخصية قوية وكان الخليفة « الحكم » في اواخر ايامه مفلوجا لا يفارق فراشه واكبر الظن انه فقد ايضا قدرا كبيرا من قدرته الذهنية السابقة وغدت « صبح » القوة المحركة في القصر آنذاك . وكانت تروج الشائعات في قرطبة ان صبحا تحب كاتبا بسيطا في القصر اسمه محمد بن ابي عامر . ولكن « المقرى » صاحب كتاب « النفح » يستبعد هذا الاحتمال ويقول انها شائعات غير صحيحة . ولكن لا شك ان الشائعات كانت كثيرة ومنتشرة والا فان « المقرى » لم يكن ليتعرض الى نفيها . وتدل الاحداث التي وقعت بعد ذلك على ان نصيب تلك الشائعات من الصحة كبير جدا . والا فكيف استطاع ابن ابي عامر ان ينتقل في امد قصير من كاتب بسيط الى الحاكم المطلق في جميع بلاد الاندلس بما في ذلك جليقية في الشمال وبلاد البرتغال في الغرب ولقب نفسه بالمنصور ، اما هشام خليفة البلاد الشرعي فهذا وصف لحاله كما ورد في « نفح الطيب » :

« حجر المنصور بن ابي عامر هشام المؤيد بحيث لم يره احد منذ ولي الحجاجة وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواربه مثل ذلك لئلا يعرف منهن . وكان يأمر ان ينحي الناس من طريقه حتى ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود . وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل ذلك معه . وبقي هشام مهجور الفناء معجوز الفناء خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الاحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف من باس ولا يرجى منه انعام . ولبس المنصور ابهته وطمس بهجته واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه واشرهم ان لا يذكرونه . »

وقد تساءل الناس آنذاك مع الشاعر الذي قال :

ابني امية اين اقمار الدجى منكم واين نجومها والكوكب
غابت اسود منكم عن غابها فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

فماذا جرى لبني امية ، واين ذهبت رجالات بني مروان . قبلوا ان يؤول ملكهم في الاندلس الى هذا المصير الاليم ؟ ولعل الجواب على هذا السؤال هو ان المنصور كان يقتل كل من كان يخشاه من بني امية خوفا من ان يثوروا به . وتقول بعض المراجع « انه كان يظهر انه يفعل ذلك شفقة على المؤيد حتى افنى من كان يصلح

منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وادخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما هرب بعضهم فسكن البادية . »

وتمر خمس وعشرون سنة والحال على هذا المنوال بقي فيها هشام يعيش على هامش الحياة دون ان يعبأ به احد او يقيم له وزنا . اما الملك الحقيقي فقد كان للمنصور بن ابي عامر يخاطبه الناس بلقب الملك ويتصرف بالدولة كما يشاء وقال شاعر على لسان هشام :

اليس من العجائب ان مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه
وتملك باسمه الدنيا جميعا وما من ذلك شيء في يديه

وكان بنو مروان يأملون ان يعود الحكم الفعلي الى هشام بعد موت المنصور ولكن المنصور ترك الامر الى ابنه عبد الملك الذي حكم ست سنوات اخرى فقام بمهمتي الوصاية والحجابة مع انه كان اصغر سنا من هشام ، وفي تلك السنوات لم يتغير شيء مما كان واستمر كل شيء على ما كان عليه من قبل . اما عبد الرحمن الذي ولي الامر بعد اخيه « عبد الملك » فقد تجرأ على هشام اكثر حتى من تجرؤ ابيه واخيه . فاراد ان يكتب اليه هشام بولاية العهد من بعده وانصاع هشام كالمعتاد وكتب له بما اراد . ولكن عبد الرحمن هذا لم يكن من معدن ابيه المنصور او اخيه عبد الملك والا فقد كان المستبعد ان ينجح في نقل الحكم اسما وفعلا من بني امية الى بني عامر .

وهنا يثور الامويون ويتزعم الثورة رجل اموي يتلقب بالمهتدي فيقتلون عبد الرحمن ويستولون على قرطبة . واول ما يتبادر الى الذهن في هذا المقام هو ان يفرح هشام بما حدث وان تنفرج ازمته وان يتربع اخيرا على عرش آبائه ولكن الامويين كانوا قد يئسوا من هشام فخلفه المهدي واعلن بعد ذلك انه مات واحضر جثة تشبه جثته واشهد على الوفاة بعض الفقهاء ورجال القصر وكان من بينهم الوزير ابن حزم وابنه الاديب المشهور . وتشيع الجنازة المزورة لهشام وهو ما يزال حيا يرزق اذ كان المهدي قد سجنه في مكان خفي . وتمر سنة بعد ذلك يموت بعدها المهدي مقتولا ويخرج هشام من سجنه ليحكم البلاد حكما صحيحا فقد كانت الاندلس آنذاك تغلي غليانا بالفتن والمؤامرات . وكان هشام في حالته تلك اشبه بالطائر الذي حبس في قفص من ذهب طول حياته ثم لم يلبث ان وجد نفسه حرا طليقا في ليلة مظلمة شديدة العواصف . ولكن ما فائدة ذلك وهو عاجز عن الطيران في مثل هذا الجو والظروف العسيرة ، لقد اعتاد هشام على حياة الدعة والخمول والاتكال على الاخرين واكبر الظن انه كان ايضا على شيء من التأخر العقلي . ويظهر بعد ذلك اموي يتلقب بالمستعين فيحتل قرطبة ويضع هشاما في السجن مرة اخرى . وفي هذه الفترة يختفي ولا يظهر بعدها على الاطلاق . وهنا تروج الشائعات في الاندلس فمنها ان المستعين قتله سرا ومنها ما يقول انه سجنه ففر من سجنه الى المشرق . ومهما كان الحال فنحن نعرف ان هشاما كان يتوقع القتل على يد المستعين وقد عز عليه ان يموت مقتولا دون ان يأخذ احد بثأره . فهو وان جار عليه الزمان لا يزال خليفة البلاد الشرعي وسليل اعظم خلفاء عرفتهم الاندلس . ورأى هشام ان الامويين لا يضمرون له خيرا وليس له في صفوفهم انصار . ولا عجب في ذلك فهشام هو المسؤول الاول عن ضياع ملك بني امية فالى من يتحول وبمن يستجير ؟ ولعل احساسه بقرب الموت قد شحذ عزيمته وهذا ما فعله كما ورد في الذخيرة لابن بسام : «كان هشام يشتغل بالملاحم « اي التنجيم » فوقف على ان دولة بني امية ستنقرض في الاندلس على يد علوي اول اسمه عين . فلما دخل المستعين قرطبة كان من الامراء في جيشه (علي بن حمود)وهو من ابناء علي بن ادريس الذي يتصل نسبه بعلي بن ابي طالب . وبلغ هشاما خبره واسمه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطري يحدثني ان هذا الرجل يقتلني يعني سليمان فان فعل فخذ بثأري .وكان هذا الامر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الخلافة .ويدخل ابن حمود قرطبة ويقتل المستعين واباه وابنه ويضع رؤوسهم في صحن ويعلن في الاندلس انه فعل ذلك ثأرا لهشام الذي اعطاه ولاية العهد من بعده . »

تلك هي قصة هشام المؤيد ، قصة رجل مستضعف مستكين ، او هي بالاحرى قصة امه « صبح » التي ضحت من اجل حبها لابن ابي عامر بملك زوجها وعقل ابنها وسعادته ، او هي قصة ابن ابي عامر الذي لم يجعل اي اعتبار لانسان او حق من الحقوق يحول بينه وبين طموحه في كل شيء .

ومهما كان الحال فهي بلا شك قصة انهيار ذلك الصرح الشامخ الذي شاده العرب في اسبانيا فمنذ ذلك الحين ذهبت ادراج الرياح وحدة البلاد السياسية وانقسمت الدولة الى طوائف وما لبث البرابرة اللمثويون والصنهاجيون ان تولوا زمام البلاد فانتقل الامر الى المرابطين ثم الموحدين ولم تقم للعرب قائمة بعد ذلك في الاندلس .

ومن الطريف انه عاش في مدة « خلافة » هشام ذلك الرعيل الاول من ادباء الاندلس الاصليين امثال ابن حزم والقسطلي والرمادي وابن شهيد وغيرهم وقد وصل الادب الاندلسي في عصرهم ذروة عالية من التقدم والاصالة

وهنا في نهاية هذه القصة المحزنة نقف متأملين ومعتبرين ، فأهم ما يلفت النظر في قصة هشام هو عظم الخطر الذي كان لشخصية الخليفة على مجرى الامور . فاذا كان الخليفة حازما عاقلا قديرا نعمت البلاد في عهده برخاء واستقرار وازدهار اما اذا كان

البرق

•

اعلامه النيران تصطفق ... في شاسع وهنا وتأتلق
عصفت غواربه مجلجلة ... بغوارب للنار تحترق
وذكت مشاعله مشعشعة ... انوارها وكانها الشفق
من دونه تجد السحاب دجت ... اسجافه وكانه طبق
يجري الغمام العمر دون هدى ... متعثرا حينا وينزلق
واذا الرياح حدت به نزفت ... حدق له واستعبرت حدق
والبرق يبسم عن لآلئه ... في جنح ليل حشوه القلق

* * *

للبرق دون الافق اجنحة ... في كل ميدان لها سبق
ضرب الفضاء محلقا وجرى ... بممارج ليست لها طرق
فاعاد للاذهان ثانية ... غطة (البراق) وقد دجا الفسق
صور من الاسراء ماثلة ... تجلى معالمها وتنبثق
وكان لمع البرق حين ذكا ... من نار سيناء له الق
طويت له الآفاق وانتظمت ... فكانها بيمينه وهق
يسري بلا قدم ومن عجب ... بلغ المدى والخطو متسق

* * *

سطعت غواربه بمؤتلق ... من مارج يطفى ويندلق
وشراعه في كل منعرج ... يطوى وينشر وهو يصطفق
ما زال يومض خلف غاشية ... كادت بغرب لظاه تحترق
وتراه يضرب في معارجه ... بجناح نسر حين ينطلق
زاغت له الابصار من جزع ... لما استجد وعادها الارق
والرعد يجأر كالطعين شجى ... تعلو زمازمه ويختنق
والارض في سنة النزيف غفت ... لكنما اغفاؤها الارق

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضعيفا مثل هشام فان البلاد باسرها وكل ما فيها من اناس ومصالح سياسية واجتماعية تتاخر وتبؤ الى البوار . فقد كانت كل اعنة الحكم وكل مرافق الحياة موضوعة في يد رجل واحد. ومن المؤسف اننا في تاريخنا الطويل لم نهتد الى نظام من الحكم يكون له ثقل خاص به يبقيه بمعزل عن تفاوت الشخصيات الحاكمة من حيث الكفاءة والمقدرة والاخلاص .

وختاما نقول ما كان المؤرخون العرب يقولونه كلما سقطت قلعة عربية في يد الاسبان « والله وارث الارض وما عليها وهو خير الوارثين » .

لندن — فؤاد جبور حداد

الغـريب وشـجرة الارز

مهداة الى الدكتور كمـال اليازجي

بقلم فرنك كيريوبوليس

ترجمة الدكتور انطوان غطاس كرم

في ساعة الرحيل ،
نظـر الغريب الوحيد الى سفينته
وتسـاءل :
« امن خشب صنعت جميع اشجار الارز ! ؟
فرددت التلال رجع الصدى يقول :
« لا ! لا ! لا يكون ذلك في وطن الارز »
فعلى هذه الشطآن ، منذ آلاف السنين ، وجد
الانسان منطلقا ، ذات يوم ، فانطلق .

ودارت الشموس
ودارت الاقمار ،
وتدور في جنون ، تسوقها الغاية المغيبة .
وتكثر الغرباء ، تكثروا يغدقون المعونة ،
ولم يكن فيهم
رجـل صـادق !
وكان ان شخص من عتمة الغسق وجه صفير .
وسمعت صوتا من فمه يقول :
« اليازجي سميت »

وعادت الى البال سراعـا
تلك الالفـة الدافئة من بـلادي
القصية ، وعاد الي خلاني الذين احببت .
وسمعته برفق يقول :
« لكان يحسن ان تبرق لي . »
كلمات وقعت كتراجيع الفراغ ،
او كظـلال الزمن الغابر .
وصارت الاميال اياما .
وها انذا عن دار اهلي بعيد : وبيننا ثمانية
الف يـوم .
كل شيء كان غائما مبهمـا في نفسي
حتى هذا الرجل ، هذا الرجل الرفيق .

ثم قال لي :
«الا زرتنا . فاكلت من خبزنا . وشربت من خمرنا» ؟
وهل يمتنع الغريـب الوحيد ؟
فسرنا نحو التلال الخضر من جبل لبنان !

واستوقفنا الجمال الربيعي
وذهلنا امام الروعة الزرقاء .
وتنسمنا مرة او مرتين .

وكان الغريب الوحيد كئيبا
وبدا لعينيه في قلب الجمال وجه سمح .
هي ارزة من ارز لبنان
لم تكن من خشب الارز ،
هي ارزة انسان ، صيغت من حب ومن تحنان .
وسبر الغريب الوحيد ،
سبر اعماق الارزة الانسان :
وفيها دارت الليالي ، وفيها دارت الايام
وفيها الكآبة ، وفيها الفرح
وفيها هذا التناقض في راحة السلام .

وسمع الغريب من ضميره ناطقا يقول :
« ما ارفقه اذ ياكل
« ما اصفاه اذ يتصرف
« ما ارقه اذ يعتني ! »

تناثرت ورقات راسه ،
وملء عينيه ملامح الشباب .
لا ! ما هي ملامح الشباب ،
وانما هو ضياء المحبة .
والتفت الغريب الوحيد الى يدي الشيخ .
يدان ثابتتان . هداية للعائلة .
باحمال الكتب مثقلتان
بخواطر الاقلام .
بحب عميق ، تعملان ،
في خدمة الفكر تعملان .

وسالت الارزة في اناتها العجيبة ،
تقول للغريب
« اتشتهي القهوة »
فاجاب الغريب : « بطيبة خاطر »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

مطلق عبد الخالق

بقلم البدوي الملثم

* * *

في الناصرة الرابضة على هضاب الجليل ولد « مطلق » عام ١٩١٠ وانهى دراسته الابتدائية وكان الاول في صفه ثم التحق ب (كلية روضة المعارف) بالقدس ونال شهادتها الثانوية بتفوق ، ونزح الى حيفا ليعمل في مجال فسيح وداب على المطالعة فكان « دودة كتب » وظهرت مواهب شاعريته وله من العمر ستة عشر ربيعا .

استهل مطلق حياته العملية وهو في سن العشرين واول عمله زاوله في حيفا مجلة كشفية اصدرها باسم « كشافة الصحراء » ثم حرر في جريدة « اليرموك » (١) فمحررا في « النفير » (٢) فموظفا في البنك العربي بحيفا فسكرتيرا لجريدة « الصراط المستقيم » (٣) في يافا فمحررا ومراسلا لجريدة « الدفاع » (٤) اليافية في حيفا وكان من مؤسسي « رابطة الشبيبة العربية » في حيفا .

وفي عهد دراسته الثانوية وخروجه الى ميدان العمل فرض الشعر ونشره في الصحف والمجلات الفلسطينية والقاء امسيات في النوادي والجمعيات الوطنية ، وفي سائر الاعمال التي اضطلع بها كان مثلا اعلى للشاب المهذب والوطني المؤمن ، وتعشم الذين زاملوا هذا الشاب النابغ له مستقبلا باهرا في دنيا (عبقر) .

مصرع البلبل : وفي التاسع من تشرين الثاني ١٩٣٧ فقد « مطلق » منزل المحامي المرحوم وديع البستاني في حيفا سعيا وراء الافراج عن عشرات المعتقلين العرب في مخيم المزرعة بعكا وعندما حاول السائق اجتياز سكة الحديد لدخول منزل البستاني اصطدم بقطار يافا عند منعطف هناك فتهشمت السيارة وحطمت اضلاع مطلق وعند توقف القطار حمل سائقه الضحية الى المستشفى الحكومي بحيفا وهناك بدا له ان ضحيته كان الشاعر ابن عمه فانتابه عارض من الجنون وفي اليوم التالي نقل جثمانه الى الناصرة ودفن هناك ونعت الاذاعة الفلسطينية زين الشباب بما يستحق ادبه الرفيع من اطراء وخلقه السامي من ثناء .

وقبل ان يلحق الهزار المنتحر بربه ، وهو في شرخ الشباب وغض الاهاب ، كان يقول لاخوانه : « ان القضاء القاسي لسوف يحول بيني وبين آمالي ويبعدني عن محبي طويلا ! » وكثيرا ما حدث جلاسه عن تفاهة الحياة ولذة الضجعة الاخيرة وكان ينشدهم قوله :

انا ما كنت في حياتي شقيا ... بل سعيدا تحفني نعماء
ساخر هازل أمر مرورا ... بحياة الغافلين جوفاء
وجهتي الله والسماء طلابي ... وكذا الموت غادتي الفيداء

وبعد مصرع البلبل عثر بين اوراق اودعها جيبه على ورقة صغيرة كتب عليها بخط يده :

« مساء الخميس ٢٣-٩-٣٧ ، انا الان في غرفة ... والساعة الخامسة والدقيقة ١٥ ، افكر في مبهمات الحياة ، واقايس بين ما غبر وبين ما انا عليه في ساعتي هذه وبين ما سيأتي .

ايها القدر القاسي ! ترى ماذا تخبيء لي في القريب بين طياتك ؟ » .

وقبل ان يفارق الشاعر الحياة الدنيا صور ضجعته الابدية بقوله :

الغمض الشاعر عينيه ونام	فاستراح
نومه نوم سكون وسلام	وارتياح
اذ نسي في نومه كل الانام	والكفاح
سرق النور دجى الليل فقام	في الصباح
فاذا النور ظلام	
فكر الشاعر في هذي الحياة	وتأمل
وسعى يطلب للنفس النجاة	وتسلل
فاذا الآمال شك واشتباه	فتحمل
ومضى في سير ... خارت قواه	فتململ
وتمنى ان ينام	
وصل الشاعر شطئان الوجود	فتحير
اذ رأى البحر تغشاه الخمود	وتعكر
سكن البحر فهل يطو القعود	وتفكر
ونوى الخوض وقد عاف الجمود	فتذكر
رهبة الموت الرؤام	
نظر الشاعر في لون السماء	فتبين
زرقة تخلب لب الشمسرا	اذ تزين
واذا بالغيم قد غطى الفضاء	وتكون
فبكى في الحال حظ البؤساء	وتحين
ساعة فيها ينام	
كدر الجو وتكدير البحار	حيراه
فمشى بين صعود وانحدار	ثم تاه
عجبا يسعى فيلقى الاندحار	ما دهاه ؟
شارف الشاعر حد الاحتضار	من يراه ؟
ضاع في لج الظلام	
عاود الشاعر طيف الذكريات	فاراع
وبدا اسود يحكي الظلمات	في البقاع
ليت شعري ! ما مضى ما هو آت؟	ارتياع
ضاع عمري في الاسى والحسرات	يا ضياع
شاعر ضل وهام	
فكر الشاعر في الامر وساح	في الفضاء
وانتحى ناحية الافق وراح	ثم جاء
وعلى شاطىء بحر البؤس صاح	يا سماء !
امنحي عبد المقادير السماح	والرضاء
جاوز الطبي الحزام	

كان مطلق رحمه الله ذا بصيرة نيرة تستشف الحجب فكان يرى الدنيا على حقيقتها العارية بلا زخرف يخدع الكثيرين ويموه عليهم فيجترحون الموبقات والآثام في سبيل عرض زائل لذا كان يحتقر الاباطيل ويسمو فوقها ويصيح بالناس :

اسرار هذي الحياة مغلقة ... في الجد مهذارة وفي اللعب
انا نلاقي الهناء في حزن ... كما نلاقي الهناء في طرب
والدهر تلهو بنا حوادثه ... ونحن فيه نغوص في ريب
واحسرتا للانام من ضحك ... ينم مثل البكاء عن نصب

وغذ الشاعر مسيره الى السماء ولحق بربه ساخطا على الدنيا وانانيها وحلق الى الملا الاعلى وهو ينشد الناس :

بني الناس ! دنياكم جيفة ... وليس على ارضكم ما يسر !

اربعون الشاعر : وفي الثاني من كانون الثاني ١٩٣٨ اقيمت في الناصرة حفلة تأبين جامعة شهدها العشرات من رجال القلم والوطنية والاقتصاد ورثاه صديقه الشاعر الملهم وديع البستاني بقصيدة من عيون الشعر وقد صور فيها خلجات نفسه الملتاعة :

يا مطلق ـ الامة في اسرها ـ ... وكلها يبكي معي (مطلقا)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تسل لا تسلو فتى خالدا ... ولست اسلوك انا مطلقا
وكيف اسلوك وبي لوعة ... القى بها المغرب والمشرقا !
انا ببابي للقا واقف ... وانت بالباب وعز اللقا
ودونه فرق ما بيننا ... مفرق لم يدر من فرقا
يا وقفتي في الحي وحدي ارى ... وما ارى والحزن بي احدقا
اسال (ليلى) (٥) يا ترى ما جرى؟ ... تبكي وما تملك ان تنطقا
وجبل الكرمل يبكي معي ... والبحر يذكي وجدي المحرقا
ونحن كنا اثنين في واحد ... اوثقنا الله بحبل الشقا
وانت قد اطلقت يا (مطلق) ... وبت وحدي بالشقا موثقا
تحمل هم الاسر حريتي ... ويعتق العبد ولن اعتقا !
وانت سلني عن ابيك الذي ... اودى به خطبك لولا التقى
يقول ، صبرا يا اخا مطلق ... ما كنت مني بالبكا اخلقا !
فضاؤه في الخلق لكنه ... مثلك يا (مطلق) لن يخلقا
ولا تسلني عن اخيك (٦) الذي ... كنت عليه الوالد المشفقا
لا لا تسلني كيف قلنا له : ... « اطلقت يا صبحي! » وما صدقا
كذبنا حتى راى وارتمى ... في النعش يبغي بك ان يلحقا
ما مزق الاكفان لكنه ... احشاءه في صدره مزقا
وزاك وانصاع الى سجنه ... حتى يراه بالاسى اضيقا
وان تسل عن حالها امة ... سلني يجبك الطرف مغرورقا
ما زادها الميدان في دارها ... الا دما في عفرها مهرقا
ونم قرير العين واترك لنا ... ما اسهد العين وما ارقا
نحن فدى الامة في اسرها ... نفنى وللامة طول البقا

زاول مطلق الصحافة في فلسطين فكان في طليعة رجالها ، وعالج الادب فكان من اوائل اعلامه ، وقرض الشعر فكان من ابرز فرسانه !

وفي دنيا القريض اصاب شاوا بعيدا اذ كانت قصائده مملقات مجنحة توشيها تلاوين من الروحانية والصوفية والفلسفة ، ولم ينس شهيد الوطنية والواجب وطنه المغلوب على امره فكان مؤمنا بعدالة قضيته ايمانه بربه وعاملا على كسر قيوده وفك اغلالهونخليده على خارطة الدنيا !

ودرج الشاعر المحلق على نظم القصيدتين والثلاث في يوم واحد وعلى نظم القصيدة الواحدة في بضعة شهور ، واذا سالته عناسباب هذا التباين اجابك بتواضع وحياء : « ان الشعر هو قطعة من دمي، وهجسة من خاطري ، لا انظمه لابغي به مركزا او جاها وانما هو ياتيني من حيث لا ادري فانظم قصائدي الجامعة لكل ناحية من نواحي هذه الحياة بهدوء بال وطمانينة خاطر وبعد عن التكلف ! » .

وبريشة مفن بارع صور مطلق الحياة على حقيقتها تصوير فنان مبدع ولم يترك ناحية من نواحيهاالا ووشاها لوحة باصباغفنه وتلاوين شاعريته ! فالمال الذي يتكالب الناس على جمعه احتقره الشاعر وذمه وقال في ذمه :

يا مال ! في الافق البعيد سحاب ... وعلى معالم صفحتيك ضباب
يا مال ! بينك والنواظر خشع ... طمعا ، وبين العالمين حجاب
تبدو لهم ، فاذا الحياة جميلة ... واذا بآمال الحياة عذاب
والناس لو علموا الحقيقة ادركوا ... يا مال ، انك ساحر كذاب
يا مال ! كم نثرت عليك جماجم ... وعليك ـ يا مال ـ طاح رقاب
وعلى اديمك كم صروح زلزلت ... اركانها ، فاذا الصروح يباب
وعلى جحيمك كم ديار احرقت ... في غفلة ... فاذا الديار خراب
وعليك! ـ كم فاضت عليك مدامع ... وذوت حشاشات وسال لعاب
وتقلصت همم وساخت ارجل ... ووهت زعامات وذاب شباب
وتعانق الاضداد في حلك الدجى ... واسترسلوا ... وتناحرتاحزاب
يا جامع الاضداد امرك بين ... ما انت الا غرة ... وكذاب
وعليك من برح الحياة غشاوة ... وعليك من مرح الوجود حباب



البدوي الملثم

●

ويك اللئيم سما ، وبرز خامل ... وتنازع العلم الكريم عذاب !
ويك البصير غدا وفيه عماية ... يا مال والاعمى يرى ويهاب
ويك الشيوخ بدوا وفيهم صبوة ... يا مال من مرح ، وشاخ شباب
ويك اللباب غدا ـ تكلتك عابثا ... بالناس ـ قشرا والقشور لباب
وتقابلت في صفحتيك عمائم ... وفلاتس ، وتخرقت الثواب !
فبدت على ضوء النهار « كشاكلا» ... منفوخة ... وتفتحت ابواب
فاذا اختفى ثوب ، تجدد غيره ... او سد من باب ، تفتح باب !
الدين عفر فيك ... صفحة وجهه ... فغدا ، وفيه اسنة وحراب
والخلق اسلم في رحابك روحه ... فبدا ، وفيه معرة وسباب
يا مال ! ما ملكت يداك ، ضلالة ... وجميع ما جمعت خلالك ، عاب
يا عابدي الذهب الخبيس، قلوبكم ... قدت من الصخر الاصم ، صلاب
اعمارکم تقضونها في ذلة ... وكزازة ، وحياتكم اسلاب
فترفقوا ... اعمارکم موقوتة ... وتعففا ... هذي الحياة سراب
ماذا ادخرتم ، بعد غابر يومكم ... للامس ؟ ـ امسكم اسى وبياب
الله يسخر منكم ، وهيامكم ... بالمال ، والابرار والارباب
يا مال آه لعابديك حياتهم ... ولهم ـ ومالي ـ ماكل وشراب
ولعابديك نضارهم ـ والله لي ... والحق يدعمه هدى وصواب
والعيش في نظري حديث خرافة ... ولاتت (حلوى) والانام ذباب
يا مال انت اخس شيء منزلا ... عندي وانت كما اراك تراب
انا للعلا ارنو فمالي مطمع ... فيك ، ومالك في حماي ركاب !

والوطن البائس الذي درج الشاعر على تربته وملا رئتيه بشميم عراره ، اضناه همه وبراه غمه فصور خلجات نفسه بقوله :

قيل لي : هات في الوطن ... شاعر الحب والحزن
اننا اليوم نشتهي ... شاعرا يذكر المحن
ان ليلى وعزة ... والرشا ، متن من زمن !
فدع الحب والهوى ... ودع الشجو والشجن !
موطني ... آه موطني ... شاقني ذكرك الحسن
انا صب متيم ... بك يا فتنة الفتن
كلما ردت خاطري ... هجت في السر والعلن
واعترتني اهتزازة ... هزت الروح والبدن !
ثم صعدت زفرة ... من لهيب ، وقلت من ؟
من يرى الهون نازلا ؟ ... بالحمى ثم لا يجن ؟
موطني ! العين اجهشت ... والهوى في الحشا كمن !
انا يا موطني شبح ... ما لغير الحمى احن !
انه الحب ، موطني ... انه الحب مستكن !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم تبرح (صورة) هذا الوطن مخيلة الشاعر بل ظل يناجيها بشعر رقيق عذب منه قوله :

انا افديك يا وطني ... بروح ثائر ... اثر
ونفس لا تزعزعها ... رواسي الخوف والحذر
وقلب فيه موجدة ... على الايام والعصر
وفكر ... ملؤه ثقة ... بعدل الله ، والقدر
فداؤك كل مضطهد ... وكل معذب الفكر
يرى الآلام تنهشه ... فيصبر صبر مقتدر
يقدس لذة الالم ... ويعبد بهجة ... الكدر
وهل ورد بلا حسك ؟ ... وهل شهد بلا ابر ؟
وهل نستاف يا وطني ... نسائم زهرك العطر ؟
بلا ألم ... يطهرنا ... من الارجاس... والوضر؟

والشهداء العرب الذين قدموا ارواحهم قرابين على مذبح التضحية في ثورة عام ١٩٢٩ ، قدس الشاعر رسالتهم ، وفاخر بتضحياتهم ، واشاد ببطولاتهم :

انشد الشعر وحي الشهداء ... واجد فيهم ، اخا العرب ، الرثاء
واملا الدنيا حنينا وجوى ... وهم الدهر مديحا وثناء
حي ذكراهم وقف في حيهم ... وتخيلهم صباحا ومساء
واسكب القلب على ارماسهم ... قطرات وادرف الدمع دماء
انها تحوي جسوما حملت ... في حناياها مضاء وابآء
انها تحوي نفوسا انفت ... ان ترى تحيا على الارض هباء
ارسل الشعر انينا صامتا ... وابعث اللحن نشيدا وحداء
صعد الزفرة لا تحسبها ... هدأة النفس واطلقها بكاء
وابتعث منها شكاة واسى ... واذب فيها حنينا ونجاء
وانفث الآلام حرى كبد ... ان في الآلام سلوى وعزاء

وظل مطلق يتغنى بتضحيات الشهداء الذين انفوا العيش عبيدا بعد ان كانوا اسيادا في بلادهم فمهروا المجد دماءهم والوطن ارواحهم :

الضحايا معناهم الشهداء ... الالى بعد موتهم احياء
سئموا الارض موطنا ومقاما ... فغدت تنتمي اليهم سماء
وتسامت ارواحهم عن حياة ... من هباء شؤونها استهزاء
لا يضير الضحايا ان يدرجوا الا ... فناء ، موتى ! وانهم أشلاء !

وسعيد العاص ... ذلك الوطني المؤمن الذي تنكب بندقيته وهو الطاعن في السن واستشهد على ارض فلسطين في (معركة الخضر) اطرى الشاعر بطولته ورثاه بعظمته وارسل يوم استشهاده :

شهيد البلاد الا تسمع ؟ ... وهل غبت عنا ولا ترجع ؟
عزيز علينا اخا المكرمات ... فراقك والناي والمصرع
ولكن متى صاح ، حم القضاء ... وحل البلاء ، فما نصنع
دموع الوفاء علام النضوب ... فسحي ثكلتك يا ادمع !
ويا قلب ناج الزعيم الشهيد ... وضمي رفاتك يا اضلع
(سعيد) تنوح عليك السيوف ... وتوحي الى النفس ما يفجع
وتذكرك الصافنات الجياد ... ويندبك القاع والبلقع
وتبكي عليك نجوم السماء ... وترنو اليك ولا تسطع
ويبكي عليك الوفاء الجميل ... وقلبي عليك اخي موجع
(سعيد) تناجيك في لهفة ... وندعو (سعيد) فهل تسمع ؟
اخا العرب هذي شؤون الحياة ... نروح ونغدو ولا نرجع
« وان هي الا خفقة في السراج ... سيلفظها ثم لا يسطع »
قضيت حياتك حي الضمير ... تقول الصراح ولا تفزع !

وفلسطين الذبيح التي تالبت على قهرها قوى الشر ، ولم يرو التاريخ ظلامة افظع من ظلامتها ، ما سلاها الشاعر وهو الذي عب مأساها ، وتفيأ ظلالها ، بل جسد مشاعره قصيدا كنجيع قلبه :

فلسطين الشهيدة لن تضيعا ... ألم تصبغ مرابعها نجيعا ؟
ألم يسقط بها قتلى وجرحى ... ألم تستقبل الخطب المروعا ؟
دعت ابناءها للموت جمعا ... فلبى الجمع دعوتها سريعا
وبدلت الربوع بها دماء ... وبدلت الدماء بها ربوعا !
واضحت كيفما قلبت طرفا ... ترى في كل ناحية صريعا
وخرت (صخرة الاقصى) خشوعا ... و (مهد يسوع) مماسيم ريعا
مآس ما راى الدهر شبيها ... لها مما عرفنا ، او قريعا

والاضراب العام ... الذي ساد فلسطين مدة ستة شهور ولم يرو التاريخ له مثيلا والضحايا التي قدمها عرب فلسطين دفاعا عن وطن غال يريد الدخيل ازدراده وهضمه ... كل ذلك صوره الشاعر بقوله :

هي الحرية الحمراء تسقى ... فتنبت بالدم ـ الشرف الرفيعا
وتورق في ظلال الموت مجدا ... أثيلا باذخا ، حيا منيعا
فداك الروح يا وطني المفدى ... ونحن فداك يا وطني ، جميعا
وكيف تضيع يا وطنا عشقنا ... ونحن بنيك نابى ان تضيعا ؟!
يدافع عنك ثوار كرام ... وشعب دأبه الا يطيعا
مشى في حلبة الاقدام شوطا ... بعيدا يدفع الخطر الذريعا
وامضى ، لا يني ، مئة وعشرا ... وخمسا ليس يأبه ان يجوعا !
ولم يعر الزعامة ... اي هم ... ولم يحفل اصولا او فروعا
فان لم يستطع دفعا لامر ... فاقصى همه ان يستطيعا
لقد اقدمت يا شعب المعالي ... ولم تحجم فاحسنت الصنيعا

ويمضي الشاعر سحابة عمره في تقديس وطنه وتمجيده الى حد العبادة واسمعه يقول :

وطني ، والله اعبده ... وافديه مدى الزمن
بالذي احوبه من الم ... والذي القاه من محن
بفؤادي ، بالحشا ، بدمي ... بأماني ـ بلا ثمن !
ماؤه عذب واربعه ... غضة بالمنظر الحسن
والنسيم الطلق منتشيا ... بأريج الزهر ، ينعشني
ورباه في مرابعها ... حلوة في العين والاذن
والمواشي في مراتعها ... حلوة في العين والاذن
والمواشي في مراتعها ... ثرة بالصوف واللبن
نفحات الشعر شائمة ... في حواشيه بلا هدن ..!

ويسود شعر « مطلق » تقديس الضحايا والاشادة بها والاعتزاز بما قدمت على مذبح الوطن من بطولات وتضحيات :

شباب العرب بوركتم شبابا ... اباة الضيم في الجلى غضابا
وبوركتم من الآساد اقوى ... قلوبا في الوغى واحد نابا
وبورك ترب سوريا ترابا ... حواكم يا ضحاياها الشبابا
فانتم خالدون وان لقيتم ... منايا كم ولاقيتم صعابا

وعمر بن الخطاب ذلك العملاق في عدله ، المفرد العلم في فتوحه تاه الشاعر بالبطولات التي اجترحها في سبيل اعلاء كلمة التوحيد واداء رسالة النور على احسن وجه :

يا فاتح القدس العظيم وسيدا ... من سادة هم خيرون كرام
اجريت حكمك في البلاد ولم تجر ... وبمثل حكمك تفخر الاحكام
افنيت عمرك خشية وتعبدا ... وسهرت ليلك والانام نيام

---

(١) صاحب امتيازها كمال عباس وقد صدر العدد الاول في حيفا بتاريخ ٢١ آب ١٩٢٤ . (٢) صاحب امتيازها ايليا زكا وقد صدر العدد الاول بحيفا في شهر نيسان ١٩١٣ . (٣) صاحب امتيازها الشيخ عبد الله القلقيلي وقد صدر العدد الاول في يافا بتاريخ ٢ ايلول ١٩٢٥

(٤) صاحب امتيازها ابراهيم الشنطي وقد صدر العدد الاول في يافا بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٣٤ . (٥) ليلى : كريمة الشاعر وديع البستاني . (٦) هو صبحي عبد الخالق شقيق الشاعر وكان نزيل معتقل المزرعة بعكا يوم مصرع شقيقه .

واذيت نفسك في الفضيلة والتقى وعراك من فرط الذهول سقام
والعامل الذي ولد شقيا ومات شقيا لم ينسه الشاعر من ملهماته بل خلع عليه لوحة من شعر عذب :

يؤساء الدهر يا قوم العبيد يا ضحايا الجوع والموت الزؤام
استعدوا ، حاربوا الخصم العنيد واشعلوا في القلب نار الانتقام
واهدموا في عصرنا كل قديم وارفعوا عن ظهركم نير العذاب
فتقيموا في غد (كونا) عظيم كان بالامس صريع الاضطراب

والموت الذي هفا اليه الشاعر منذ صرخة وضعه وصفه بقوله :

ارى الموت يدنو من فراشي فانثني افكر في ماذا عساه يكون
اموت ، وفي ارضي علي رسالة اذا خفيت يوما فسوف تبين
اموت، وفي صدري امان دفينة اذا انطلقت تسعى ، يهيج دفين
اموت ، وفي قلبي ميول غريبة تدل عليها لوعة وانين
اموت ، وفي نفسي عيوب كثيرة احاول تطهيرا لها ، فتشين !
اموت ، وروحي حائر كيف يتقي جحافل شهوات عليه ترين
اموت ، ومالي في حياتي تعلة ولا فكرة احيا لها واديين
الا ايها الموت الذي انت واقد اشك ارى ؟ ام ما اراه يقين ؟!
الا ايها الموت الذي انت ساخر بضعفي ... تاخر في الغوادشؤون
وما كنت اخشى الموت لولا محيفة لو انقلبت بيضاء ساد سكون
وفارقت دنياكم تمنيت بعدها وللموت مني لهفة وحنين !

عاش مطلق دهره متشائما ، وانى له التفاؤل ووطنه المغلوب على امره لم يلق يوما هاشا هنيئا ، لذا فقد لزمه التشاؤم طيلة السنوات التي عاشها وغلبت على شعره الوان فاحمة سوداء دونك بعضها :

رفادك قلبي ! شجاك الالم وهد كيانك برح السقم !
رفادك ! خل الانين الممض وثب للهدوء ولا تضطرم
وحسبك هذا العذاب الاليم وحسبك قلبي هم وغم
وعاد الحياة ، وصاف الممات ونم في حواشي الردى والعدم
فما انا ، قلبي ، المحب الحياة وما انا ، قلبي ، المطيق الالم
وما انا الا الاسيف الحزين على ان لفظت لشاطي الظلم
فلم ار نفسي سوى ذرة تموج حيرى بيم خضم
تعيث بها سافيات الرياح وتنزو عليها صواري الرخم
فطورا تحلق فوق الفضاء وطورا تمرغ تحت القدم !
نجيء فتمضي كمثل الهباء وتحيا فتطوى كمثل العدم

ومضى « مطلق » متشائما ، يصف الحياة على حقيقتها الناصعة:

صدق الظن واستبان الخفاء يا اخي : هذه الحياة هباء !
ومن الهون اننا مذ وجدنا ما انتهينا ... واننا احياء !
نحن لولا هواننا ما درجنا فوق هذي الثرى ، ولولا الفباء
ما رضينا بالارض الا لنشقى في (حياة) اقصى مناها الشقاء !
ولو انا رمنا السماء صعودا ما استطعنا ... لاننا سفلاء !
والشياطين في اخس مناها وبنو الارض في (الحياة) سواء !

عرف الشاعر انه خيال لا روح فيه وشبح هائم وفكرة ميتة ، فصور نفسه بريشة الفيلسوف الحكيم :

انا (خيال) ارى حالي بلا حال ! وفكرة ميتة بل خاطر بال
ارنو الى فلا الفي سوى شبح محطم ... لف في اكفان اسمال
يهتز كالريشة الحيرى على وتر مشوش اللحن في ضحك واعوال
تتنابني حادثات الدهر عابثة بالقلب والفكر والحوباء والبال
وتزدهيني لبانات ... فتصرعها روحي ! فتردي لباناتي وآمالي !

ويجد « مطلق » في طلب الموت اذ يؤثره على الحياة لكن الموت يفر من خاطب يده وينفر منه :

اؤثر (الموت) اثرة لا تجارى وارى في (الحياة) داء وبيلا
اطلب (الموت) وهو ينفر مني يا لتعسي! هل اطلب المستحيلا؟!

ورغم ان الشاعر اصاب ربيع العمر فقد ظل يشكو الحياة ويراها عرضا زائلا لا يستحق السعي وراءه :

(حياة) كل ما فيها اباطيل واوهام
وظل زائل ورؤى وآلام واحلام
نمر بها سويعات واعوام وايام
ونحن هنا نقلبنا على الاكفان اسقام
نفارق هذه الدنيا وفي الارواح آلام !
فواعجبا من الناس ! لماذا في الدنى هاموا ؟!

وعاش الشاعر في حيرة وقلق مما استحوذ على نفسه من اهتزازات ... وظل غير مؤمن بالمنى التي حصدتها كفاه ... فاذا بها سراب خادع :

حيران في لدني . .وفي الي ملحي الاجاج ... ككوثري العذب
هيهات ! ما في (الحياة) مغتبط وكل من في (الحياة) في تعب !

وبعقت الشاعر الحياة ويرحب بالموت ويتمنى لو انه كان عدما :

دنيا ـ لحاها الله ـ حافلة بالشر والبأساء والالم
انصت الى الاجداث صارخة : يا ليتنا في عالم العدم !

وظل « مطلق » في قلق واضطراب وراح يتساءل تساؤل الفيلسوف المتأمل :

ما حياتي ؟ : تعب في ملل وهيام في قفار الامل !
يطلع الصبح ، ويريد الدجى وانا من ـ حيرتي ـ في خبل !
كلما جال بفكري خاطر بددته خشيتي من فشلي !
كلما اهل في شيء ثوى ضاع في طياته (مستقبلي)
كلما املت في شيء نوى املي في ضيقات ... السبل !
اجهدتني (فكرتي) في طالعي يا لتعسي ... طالعي في زحل !

والفلسفة ... خاض الشاعر غمارها فاسمعه يقول بعنوان (طلاسم) :

الى اين في هذه الفانيه نروح ونغدو ؟ وماذا هيه ؟
ونحن الاناسي عبدانها اسارى هوانا بني الهاويه
لماذا خلقنا ؟ وماذا ترى نكون ؟ وهلا نجي ثانيه؟
وفيم نجيء ! افي طائر يغرد ، ام زهرة فانيه ؟
والا ففيم : افي حية تنفض ام شوكة جاسيه ؟
وهبنا خلدنا ... اليس الخلود تغير اجسادنا البالية ؟
فطورا نكون اواني الخمور واخرى هي الخمر في الآنيه
وانا نكون قبورا لها ركائزها الراس والناصيه
ففي كل ناحية حفرة ! وفي كل حفرة ناحيه !

ويؤمن الشاعر في قرارة نفسه ان (نفسه) راس دائه واصل بلائه ومنبع شقائه :

حين ابكي على ليال مواض تنفر النفس والضمير تكتم
ورجائي يحور يأسا ولكن كومة اليأس بعد حين تهدم
فانا في الحياة بين مرج مستحيلا ! او يائس يتظلم
انا طورا ارى الحياة شرورا ثم اخرى ارى الحياة تبسم
حائر النفس حيرة لست ادري ما دواها ، ولست والله اعلم
انت يا نفس منبع لشقائي آه نفسي الى متى اتالم ؟!

ويتصدى الشاعر لحرصنا على الحياة وتكالبنا على عرضها الزائل ويصور ذلك بقوله :

نموت ... ولكننا يا اخي نحب (الحياة) ولا نعتبر
ونذهل عما وراء (الحياة) بما ينجلي من شتيت الصور
فتحسب ان (الحياة) الفنى وجاء عريض وظبي نفر
وسكنى القصور ولبس الحرير ونوم السرير ونفح الزهر
طيوف رغائبنا في الجسوم واشباح شهواتنا والفكر !

والتصوير الفني ... ابدعت ريشة الشاعر في خلق صوره اي ابداع ... وصورت كل ناحية من نواحي هذا الكون ...ودونك بعض لوحاته الفنية :

عيناك يا هذي شعاع الضحى ووجهك الزاهي سنا الابع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من بعيد

تمر ذكراك اطيافا من الحلم ... تفجر الحب في الاضلاع كالحمم
لا تسأليني هل بعد يغيرني ... جعلت صمتي الذي لا ينتهي حكمي
يموت حبك... يفنى... وهو في كبدي ... سهم من الشوق تسري ناره بدمي
أتسفحين عبير الامنيات على ... درب من الشك بالاوهام مزدحم
وانت بين حنايا القلب لي امل ... يذود عني نسور الحزن والالم
اني أراك معي في كل آونة ... قلبا يذوب ، وروحا للحنان ظمي
اراك في القلب رؤيا لا تشوهها ... على البعاد ، رؤى الحرمان والسام

لا تسأليني عن حبي وعاطفتي ... فما التجافي او النسيان من شيمي
ولا تغاري اذا جاء الخريف ولم ... يحمل الي شجي اللحن والنغم
ففي هواك ربيع استعيد به ... درب الاماني اذا ما ضاع من قدمي
ودعت امسي بلا حزن ولا اسف ... وكان امسي تاريخا من الندم
لاولد اليوم في عينيك من عدم ... كيما اسويك بالاشعار من عدم
من قال انك في شبابتي نغم ... يمضي مع الريح ، في كهف من الظلم
فان أجئك وفي عيني اسئلة ... عن سر قلبك بعد اليوم فابتسمي
اني احبك لغزا لست افهمه ... كالبحر يزخر بالامواج ... كالهرم

من اجل عينين سوداوين اغرقتا ... قلبي ببحر من الاشواق ملتطم
احيل هداة هذا القلب عاصفة ... تستنزف الوهم والاشباح من قممي
انفر النوم من عيني واطرده ... واقطع العمر في هم وفي سقم
من اجل عينين سوداوين لي امل ... اعيشه في هناء غير منصرم
احب ـ للحب ـ دربا كنت اذرعه ... ما بين قرية ارتاح وطولكرم

عمان — عبد الرحمن سالم عاليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانفك الاقنى به فتنة ! ... تدب في الاحشاء والاضلع
وثغرك البسام يسبي النهى ! ... يفل فيه النابغ الالمعي
وشعرك الفاحم في ليله ... كصدرك الرجراج في الشعشع
ـ جميلة يا هذه ، حلوة ... ان بنت في راد الضحى تصرعي
لكنني في كل زا زاهد ... زهد الذي شكواه لم تسمع !

وصور الشاعر الزهور في طيها ونشرها وانحنائها وسجودها ، والزهور! الزهور ! يا لهف قلبي ! ... ما احيلى الزهور... طيا ونشرا
ما احيلى اتحنائها باسمات ... خافقات القلوب يقذفن جمرا !
ما احيلى سجودها في سجوف الظ ... ل ترنو غلائل الوشي حمرا !

ويمم الشاعر مرقصا صور رواده ومجون غوانيه والشهوات والبسمات المصطنعة على شفاههن والرقصات المفتعلة لجلب المال :

(مرقص) عابث بعج عجيجا ... كل ما فيه جلبة وصياح !
غاض ماء الحياة فيه واضحى ... كل « شيء » في جوفه يستباح
جسد داعر وجلد سميك ... دونه في ـ السماكة ـ التمساح
فيه (رفكا) وفيه (ليزا) و (ليلى) وخزامى ونرجس واقاح
ان رقصن فرقصهن ثلوب ... او تغنين ، فالغناء نباح
ان ضحكن يقطرن سما زعافا ... والابتسامات عندهن سلاح
صادقات الخيال يعرفن ممن ... تستغل الاموال والارباح
كم تردى فيهن قتلى وصرعى ... وتلاقت في ساحهن رماح !

ويزجي الشاعر نفسه بالعتب ... لامعانها في تعذيبه وتركه نفسه انين وألم :

يا نفس ، قد عذبتني ... وتركتني رهن الانين
اظننت اني ما ذكرت ... ولم يعاودني الحنين
يا نفس ، حتام الاسى ... يا نفس ، حتام الانين
يا نفس ، انت شريفة ... هلا بذلك تكتفين
نفسي انا ... رمز العنا
فلم الونى ... ولم الركون
يا نفس ، مالك تصمتين ؟!

آثاره القلمية : ترك فقيد ادبنا المعاصر اعلاقا نفيسة من شعر ونثر منها :

١ ـ ضجعة الموت : كتاب شعري طبعه عام ١٩٢٦ .

٢ ـ الرحيل : ديوان شعره وقد اختار الشاعر اسمه قبيل وفاته وقد تولى السيد صبحي عبد الخالق طبعه عام ١٩٣٨ .

٣ ـ خواطر وآلام : كتاب ضخم اشتمل على مقالات ادبية وتأملات نفسية بقلم الشاعر .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

اليك... ايها النبي المتوسد قلبي
على اوتارك انبض فانتشي
عبق بخورك يسكرني فاغيب
في مرفاك عالمي ونهاية اغترابي
اغمض عيني بلذة كي استبقيك فيهما ...
وفي غرفتي المغلقة يحلو خشوعي لديك
ترنو الي فيتهامس الورد ويضيء العنب !
تواكبك نفسي كالخشبة
المشدودة الى الزورق ،
تهبط وتعلو ، فاجتاز التموجات باطمئنان
تردني الريح، يبلل جناحي الرذاذ، فازداد اندفاعا وتطلعا اليك .
وفي المرفأ حيث تلتقي تذوب عيناي في شمعات معبدك
اتلاشى في حناياك وانصهر في ذاتك لاطل من عينيك وابعث في اغانيك ، فما اشهى ضياعي فيك .

●

الربيع يتغلغل في اعماقي
اخطو فتخضر الارض تحت قدمي
احرك يدي فتتراكم المواسم بينهما
في ظلام الليل في وحشته الباردة
ارى العصافير تغني على اوتار الشمس .
البراعم تتفتح قبل موعدها
ومواكب الطيب تعطر حتى الغمام
نار تدفئني ، تدفعني ، وتوقظ حواسي
لا اعلم لماذا اسامح واغضي بمحبة ،
لماذا اتكلم بهمس ، وابتسم لرؤى تلمع في خاطري .
تهللي يعبر الآفاق ويمزق اقنعة الشمس
ومع الصمت اسافر الى الف جزيرة بعيدة
لا احد يعلم ، باية عذوبة تذيبني نظراتك
وكيف تحول دموعي الى لآلىء .

●

أصداء

في مغارة حمراء رخامية الجدران خبأتك
في مياه عيني اغرقتك ونثرت حولك الضباب
في جيوب الليل افرغت شعاعات ذاكرتي ،
وفي صمته همست اغاني الخرساء
حفنة من شمس اذبتها في مياه البحر
وهربت ، هربت من النور الفاضح من النسمات الموشوشة ومن النهار المتفتح مع جفونك .
هربت مع خطوات قلبي المسرعة، ومع غيوم الليل الداكنة تركت خيالك .
وبزغ الفجر ... والقمر ما زال يزحف بتراخ نحو المغيب
كيف يلتقيان؟... كيف تلتقي..
ورأيت كل حبي ، الذي خبأته ،
تنثره شفاه الافق الوردية
وتغرق عيناي في عينيك من جديد !

●

ايها الالم ، يا صنو روحي الازلي
انت عصارة تتدفق في قلبي
فتحمل الي السلام والطمأنينة
جرسك يرن في اعماق ضحكاتي
كم حجبتك تحت طلاء وجهي ،
كانسكاب المزامير في معبد مهجور
كم غلفتك في بريق عيني ،
وائملتك
وسط كأس تحترق في الثلج !
وفي المساء عندما يطبق الظلام سعفه السوداء .
افتحك مروحة تبرد تنهداتي !
الح عبر شفافيتها الخدعة المحبوكة بالحياة
تخترق شعاعاتها ابعاد الليل برقا ناقما
تضيء لي وحدي فتريني المثل القابع في المغاور ،
التفاهة المتحصنة في قمم الجبال.
تريني ضحكات الجماجم الساخرة والهزيمة الملقاة في الاعماق .
الازهار تتماوج في الحقول ،
واليباس يفح مع الشذا
الصقيع المتربص يتدفق مع النضرة الرائعة
ما جدوى هذه الهناءات يعرشها المغيب
ما جدوى الصفاء النابع في انشودة الصباح
لا لا ستبقى رفيقي ايها الالم ،
سيبهرني ضياؤك فلا ارى زخرف الحياة وافراحها الكاذبة
ستنزفك روحي بنهم ابدي واتحد بك بتلاش وذهل .

●

كم يؤلمني هذا الواقع الخانق
في نفسي آفاق وانطلاق
انام لاهرب من واقعي
واذا صحوت غرقت نفسي في المأساة .
في الظلام انطلق من قيودي، اوقد مشاعلي
نجمتان تنزلقان الى عيني فارى ظلمات روحي
ابحر في سكون ، اطير الى مجاهل بعيدة
انفذ الى المضيقات واسمو الى المرتفعات
ارى ليالي الاسى والتماعات الفرح
والكرسي يشدني بشوق .
كم اتمنى ان اضيع واتيه دون رجعه
ان يحملني قطار مجنون ، طريقه اقبية ، مظلمة دون خطوط ،
دخانه الكثيف يحجبني فلا يعرف لي مقر
فانسى وجودي وارمي بهويتي
واستبق الموت الى حياة جديدة.

الشويفات ـ لبنان **اديل الخشن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورة الاستاذ مرسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

مات الاستاذ مرسي .

جمد ابنه عباس حين وصله النبأ هاتفيا ، فهب من جلسته ورفع قامته ثم اخرج زفرة حادة من صدره . نظر اليه خليل افندي دون ان يتحرك قيد انملة .. النظارة منزلقة على ارنبة انفه يطل منها على اوراق مكدسة امامه .. نظر اليه بعينيه المجردتين تاركا النظارة تلهو كما تشاء على انفه :

ـ تعيش انت يا استاذ عباس .

رنت العبارة في اذنيه رنينا حادا . التقت عيناه بفتة بمرآة صغيرة معلقة فرأى فيها شاربه ، انه ليس كما ينبغي له ان يكون . جال في المكتب والموظفين بنظرات تائهة حائرة ، وهو لا يدري ما الذي يريده بالضبط . قال له علي الزهاوي :

ـ تفضل يا استاذ عباس ، وسنكتب لك الاجازة .

مرة ثانية ترن «استاذ عباس» رنينا حادا ، وكأنه يسمعها للمرة الاولى . خرج في جمود من مكتب المستخدمين متلهفا على تحية كل من يلقاه ، وكأنه يتأكد من ان الناس لم تزل تعرفه .

نبح كلب في اثره وهو يتجه الى محطة الترام . تناول حصاة وقذف بها الكلب ، فازداد نباحه . لكن عباس اكتفى بالتعبير عن سخطه عليه ، ولم يأبه بنباحه المتزايد . انه عموما يكره الكلاب ، وحتى محروس يكرهه ايضا .

ومحروس هذا كلب عجوز يقتنيه ابوه . كره محروس وخشي اباه . لهذا السبب حاول ان يستقل بنفسه حين تزوج ، لكن اباه عرض عليه الاقامة معه في الشقة العتيقة ، فوافق دون ان يتدبر الامر . وربما كان يقترح هو نفسه ذلك لو لم يعرضه عليه ابوه . فبرغم خشيته اباه ، الا انه يرى اباه انسانا ضروريا في حياته .

انحشر في الترام ، واختلط صجيج افكاره بضجيج الترام فأحس صداعا رهيبا يحفر رأسه . مات ابوه اذن .. فهل تغير العالم ؟... هل يتغير هو ؟.. لم يكن يجيب على تساؤلاته وانما كان يطرحها فقط .

التقى بزوجه على السلم ، فألفاها متشحة بالسواد . نظر اليها في صمت . فقالت له وهي تمسك بكتفه وترمقه بعينيها :

شد حيلك يا عباس .

انه لم يتغير في نظر زوجه . احقيقة انه لم يتغير ؟!. تمتم وهو يصعد الدرج :

ـ امات حقا ؟!

بكت زوجه بكاء مرا ، فقد كان بالنسبة لها شيئا ضروريا . هو الذي كان ينجز كل شيء ، وكان لا يخيب املهم في شيء . كان يقدر المسئولية فلا يتخلى عنها . ولم يكن ينظر الى ولده الوحيد عباس نظرة جادة ، وانما اعتبره طفله المدلل ، حتى انه اسكنه معه بعد الزواج . اما ابنته الكبرى فقد تزوجت ورحلت مع زوجها الى المنصورة حيث عمله ، بينما قعدت الصغرى في البيت في انتظار العريس .

قابل وجوها متباينة كثيرة ... تكثر النظر اليه ، تتأمله في عطف ورثاء ، ثم تنثال الكلمات من الشفاه في عبارات عزاء صادقة . وتتوه عيناه في الوجوه متفحصة ولا يكاد يسمع كل كلمة تقال ، وانما ارتأى الجميع قد آلمتهم الصدمة وغيرت من طبيعتهم .. كأنهم يؤكدون له انه مات .

دخل غرفة ابيه الصغيرة . في الغرفة مكتبه حيث كان يقرأ بعض كتب القانون ، وكنبة بجوار النافذة ، وبعض الكراسي تحتل فراغ الجوانب الاخرى من الغرفة ، وفي الوسط نضد خشبية لم يكن لها استعمال سوى وضع الطاولة العتيقة عليها .. ثم يشهد البيت كله من قريب او بعيد مباراة حامية بينه وبين رفيق العمر الاستاذ فهمي بخيت ، الذي كان في مثل خشونته وان اتسم بدماثة الخلق .

دخل الغرفة ووقف مشدوها قبالة صورة ابيه الموضوعة في اطار مذهب كبير .. ويتذكر الاستاذ فهمي حيث كان يجلس قبالتها يتأملها ثم يتمتم :

ـ صورة الاستاذ مرسي تشعرني بأن في البيت رجلا شجاعا . يا لها من صورة !

حملق عباس في الصورة طويلا وهو يتذكر كلمات فهمي التي لا يمل من تكرارها . ووجد في ضخامة الصورة شيئا غير طبيعي . انها تكاد تبتلع وجوده . وكثيرا ما تمنى ان يتخلص من محروس ، لكن اصرار الاب على وجوده احجمه عن تنفيذ ما يرغب . وعاش في البيت مكدودا بسبب شيئين حادين يوجدان فيه رغم انفه : صورة ابيه وكلبه الامين .

حين سقطت نظرات امه عليه ، لم تستطع تكتم دموعها ، قالت في صوت ممزوج بآنات الالم :

ـ مات .. مات يا ولدي رجلنا كلنا .

نظر اليها عباس في جمود ، بينما اخته فتحية تنظر اليهما في بلاهة ثم قالت له :

ـ الشيخ محمود حضر .

والشيخ محمود رجل ضرير يقطن في نفس الشارع ، في غرفة يتيمة على سطح بيت متهالك. وهو مقرىء الاستاذ مرسي الخاص . يحضر مساء كل خميس . وكان عباس يضطر الى الجلوس جوار ابيه وسماع آي الذكر الحكيم ، بينما يستغرق ابوه في الانصات وفي يده مسبحة كهرمانية يحرك حباتها حينا ، ويرشف فنجان القهوة حينا اخر.. ومن حين لاخر يطلق عبارات الترحم على ابيه الذي مات منذ زمن ليس بقريب .

دخل الشيخ محمود يسنده الاستاذ فهمي كما هو مالوف فيكل مرة . فقط ظل الشيخ، في هذه المرة ، يسترسل في عبارات الترحم على الاستاذ مرسي مغدق الخيرات عليه .. ولو انها خيرات بسيطة لا تعدو العشاء الاسبوعي ، وشرب القهوة ، اما الينسون فلا يقدم الا اذا طلبه الشيخ بنفسه .

مال الاستاذ فهمي قليلا وهمس في اذن عباس :

ـ سيعد للمرحوم صوانا كبيرا يناسب مقامه .

احضرت فتحية صينية القهوة ، وقالت وهي تناول اخاها فنجانه :

ـ محروس مات .

ـ مات !.. هو ايضا ؟.

ـ سقط قتيلا تحت عجلات عربة نقل ضخمة .

وجم عباس وطال وجومه ، ثم اخرج لفافة واشعلها في ضيق . ولم ينس ان يناول الجالسين لفافات الدخان . كانت هذه اول مرة يدخن فيها في غرفة ابيه العتيقة . لم يكن يجرؤ على التدخين امام والده ، برغم سنه ووضعه الاجتماعي كزوج وموظف .. كشخص مستقل . لكن ذلك لم يكن يضايقه كثيرا ، وان كان يقلق تفكيره بعض الشيء . كان ابوه يدخن مشاركة مع صديقه فهمي ، ويجلس في حضرتهما عباس ، الذي لا يشعر ان به للدخان حاجة . الف هذا الوضع ولم يفكر في تغييره .

اما هذا التغير المفاجيء ، فقد كان مبعث دهشة فهمي فسأل في طيبة خاطر :

ـ اتدخن ؟.. كان الله في عونك يا ولدي .

وتطايرت فتحية بالخبر الجديد لتبلغه في شبه زهو وفور الى امها ، فزعقت فيها ووبختها لعدم فهمها وعجزها عن التمييز . صاحت في الم كانها تحادث النسوة اللاتي يفترشن الحصير :

ـ بنت لا تعرف السماء من العمى . ولا على بالها ما نحن فيه . فانثالت كلمات التطييب من السنة النسوة بما تسعفهن به الذاكرة .

ظل عباس رائحا غاديا في الصوان الكبير ، وقد عقدت الدهشة لسانه من هذا العدد الكبير من الناس . ناس عرفهم معرفة وثيقة ، واخرون لم يبق لهم في ذاكرته سوى الاسم ، ووجوه لا يكاد يتعرف على اصحابها. هم بالبكاء فعلا حين رأى ان وفاة ابيه تقلق هذا العدد الهائل من الناس . وكان البكاء صورة اخرى للقلق والتوتر اللذين يعاني منهما ، بعد صورة الاكتئاب التي ارتسمت على وجهه .

وفي منتصف الليل ، جلس عباس وحيدا في غرفة ابيه العتيقة .. شارد اللب .. يحرق انفاس الليل بدخان سجائره . ولاول مرة يكتشف ان اباه عملاق هائل . ولكن ما الذي يستطيع ان يفعله كي يسد الفراغ الذي حل بفقده ؟. ايستطيع ان يسد الفراغ ؟. لم يجد في طرح الاسئلة جدوى لانه لا يفكر في الجواب ، فانتشل نفسه من تلك الدوامة وتلهى بالنظر الى الصورة الضخمة التي تتصدر الحائط وتبتلعه ، فلا يكاد يحس بوجود حائط وصورة .. انما صورة فقط .. والحائط يتلاشى في ذهنه .. بل استشعر حيوية تسري في الصورة ، صورة رهيبة حقا .. ولفح انفاس يحس بهما وصوت يحدثه .. اواه .. ربي .. ما هذا ؟!.. شبه غمامة تحاول ان تنال من الصورة ، وتشوه ملامحها .. لكن الصورة تبرز في تحد صارم. صوت آمر ينبعث منها : « نم يا ولدي . انك في حاجة الى مزيد من النوم » . صرخ عباس : « لا استطيع .. ولست في حاجة اليه » .

قلت لك نم .. الم تسمع ؟» .

صرخ في قوة : « انت قاس ، لماذا تجبرني على النوم ؟. لن انام . اواه .. ابعدوها .. ابعدوها .. ابعدوها .. » .

استيقظت زوجه من نومها مذعورة واسرعت اليه فالفته في حالة جنون يائس .. لا يكف عن الصراخ .. وحين تنبه الى وجودها اطلق تنهيدة ارتياح واخرج لفافة بيد مرتعشة وصاح فيها :

ـ الكبريت .. اين هو ؟.

عجبت زينب من امره وقالت له:

ـ انه في يدك . ما الذي جرى لك ؟. اجننت ؟!.

لا تتركيني يا زينب . انا معذور. لقد افتقدت ابي ، واشعر بالوحدة.

هدأت انفاسه، واحس بالسكون.

امسك يدها في قوه .

ـ كفك باردة .

تمنى لو ظل ممسكا بيدها طول الليل ، لكن نظرتها الحادة المتسائلة زجرته وعنفته ، فأحجم عن ذلك في ضيق .

اراح رأسه على صدرها وهمس :

ـ اشعر بالراحة . دعيني انام هذه الليلة على صدرك .

ارقت زوجه طول الليل ، وكلما حاولت زحزحة رأسه عن صدرها لتريحها على مسند المقعد ، تجده يهب من نومه مذعوراً ، فتلزم السكون في ارق صامت . كان كطفل لا يهنأ له نوم الا على صدر امه ، ولا يلتذ له حلم الا على وسادة تنبض فيها

العروق بالحنان الفياض .

تراءت لها صورة الاستاذ مرسي كعملاق هائل ، بينما احست بزوجها قزما ضعيفا يطلب النجاة . سكون مطبق حولها ، لكنها لم ترتعد .. فقد غرقت في لجة من الاحاسيس الى ان اغراها السكون بالنوم ، فأمالت راسها على مسند المقعد ، ونامت .

وراح الاثنان في سبات عميق .

بعد تلك الليلة الرهيبة ، لم يجد عباس مفرا من ابعاد الصورة . لم تعارض زوجه ، لكن امه عنفته وقذفت في وجهه كل الوان السباب الذي يخطر على بالها وتحفظه في ذاكرتها عن ظهر خاطر . وانهت سبابها قائلة :

ـ هكذا يا ولدي ، تمحو كل اثر لابيك .. حتى هذه الصورة ..هذه الصورة !.

قال عباس في عنف :

ـ كل اثر لابي !.. اطمئني يا امي .. لم يمت ابي الا بعد ان بصم باصبعه على كل جدار . رجل كأبي، لا يمكن ابدا ان يموت !.

اجهشت الام بالبكاء ، وهذه حالها منذ ليالي الحرمان الثلاث التي مرت على رحيله . كما يشتد بها الحزن ويستفحل الخطب حين تفكر في عباس . وتتساءل في حيرة : هل في مقدوره ان يحل محل ابيه ؟. ان عباس رجل ضعيف ، غير مستقل الشخصية .. كما انها تنظر لابنها نظرة عطف وشفقة ، ازاء تلك المسئولية الجديدة الملقاة على عاتقه.

اما فتحية ، فتعيش معهم غير مكترثة . انها لا تتحدث ، مؤثرة الصمت على الكلام ، ولو انها تحب من حين لاخر ان تتفوه بما تجود به الذاكرة من كلمات فيها من السذاجة ما يجعل اهلها يؤثرون صمتها التام، ويعدونه نعمة كبرى .

لكن فتحية ترقب كل من في البيت بعين فاحصة ، ولها فلسفتها الخاصة في كل شخص ، فأخوها شاب عنيد ، وان اختفى عناده خلف طيف من الحنان يطوف بعينيه وينبض في عروقه ويتنفس في صدره ويعيش في كيانه . هذا الطيف يتجسد لها كانسان اخر يلازم اخاها . اما زوجه ، زينب ، فهي تعطف عليها كثيرا وتأنس بوجودها. اما امها فقد حولها الخطب الاليم الى امراة اخرى عصبية المزاج ، وقد بدات تثور عليها لاتفه الاسباب وتنفر منها .

وطيف الحنان الذي تراه كانسان اخر يلازم اخاها، بدأ يتضاءل ويتبدد نهائيا ، ولم تعد تشعر بوجوده ، وحل اخوها محل الفراغ الذي تركه الطيف ، وتجسدت صورة عباس في ذهنها . اصبح رجلا فظا غليظا ، يزعق فيها دائما . تزع صورة ابيه الضخمة العريقة ، ثم شهدت صورة اخرى لاخيها توضع على الجدار مكان الاولى . زعيق اخيها اصبح عادة تلازمه ، ونما شاربه بغزارة ، واتى بكلب صغير زاعما انه تقليد جميل ورثه عن ابيه !. لكنه اكد للجميع مرارا ان هذا الكلب سيكون افضل من محروس ، ويصيح فيهم:

ـ لقد اعجبني !.

كما لاحظت فتحية انهماك اخيها في التدخين ، مخلفا وراءه اعقاب السجائر والعلب الفارغة ودخان يسبح في فضاء الغرفة كالضباب الكثيف .

اسهمت فتحية ازاء كل هذا التغيير . لكنها تسأل نفسها في حيرة عن الفرق بينهما !.. بين ابيها واخيها .. وهل تغير شيء ؟. ام ان اباها بعث حيا من جديد ؟!.

القاهرة — حسني سيد لبيب

الحروف الخرساء

*

لـــن تسمعـي
شيئـــا هنـــا فـــي مضجعـــي

الليـــل هـــذا عشته — والصمت يغشي اضلعي
وذلـك الـــذي هنـــا — كـــان مـع الامس معـي
مضى ولـم يبـق لنـا — منـه سوى مـا يدعـي
حروفـــه التـــي بـدت — خرســاء كانت ادمعـي

يا هـذه التـي مضـت — وارتحلت عـــن اربعـي
ولـــم تعـد تذكرنـــا — بمـرشف او مدمـــع
اعذب ما فـي مهجتـي — منـــك جـراح اصبـع

بغداد — صفاء الحيدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشاهد من احلام اليقظة

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

حقا ان الدنيا حكايات واقاصيص ، تنساب من الواقع، لتصاغ قصة ، او رواية ، يرويهـا الناس ، لبعضهم البعض ، ويستمدها الخلف عن السلف ، وقافلة الحياة، تنطلق بسرعة ، تمتلىء حقائبها بأسرار المجتمع الانساني ، والناس اسرار مغلقة ، فالذي تراه باسما ، يغدق عليك الشيء الكثير من مرحه ، يطوي في اغوار نفسه حزنا عميقا لا تقع عليه ، الا النفوس الحساسة ، وكثيرا ما تطوي حوادث الحياة ، والانغمار في تيارها المتدافع المتلاحق ، الالم الدفين الذي ارهق بعض النفوس الوديعة، ازاء ما ارتكبته ، من هفوات ، ونزوات عابرة لا يستسيغها الضمير العام ، فتنسى ما يلابسها من هم دفين يؤرق في بعض الحالات حياتها ولكنها لا تلبث حتى تشعر بوخز الضمير ، وانبعاث فوهة الجرح الغائر ، والاحساس بحقارة الناس لها ، اذا ما رأن عليها الهدوء ، او قفز من الحوادث امامها، ما اثار في نفسها كامن الذكريات الاليمة، وطبيعة بعض الناس ، تخضع لمقتضيات السلوك الانساني ، وتخشى صولته ، اكثر مما تخضع للغرائز الطبيعية ...

انا الان مع صديقي ، في احد الاندية ، يغرق في اذني ثرثرته ، اتابعه وانا يقظان حالم ، مغرق في احلام يقظتي ، وقد تقاطر سيل من الحوادث جنيته فيما سلف من ايامي ، محصولا وفيرا ، ادخرته على غير ارادة مني ، واودعته نفسي ، مثل ايامي شريطا غير متماسك الاجزاء، فيما يبدو لاول وهلة ، بيد انه في حقيقته ، متماسك **اشد التماسك ، وان كانت الحوادث** تختلف عن بعضها البعض ، الا انها تتفق في وحدتها وهدفها ، يضمها في وحدة الهدف ، تناقضها مع مألوف الناس ، وتشعرك باللذة والسرور ، من سلوك بعض الناس ، ونظرتهم للحياة والاحياء .

اخذت احلام اليقظة تظهر لي صديقا عزيزا ، ترك عمله الممض المرهق ، في بعض المؤسسات ، هروبا من قيود السأم والملل ، والالم الذي استحوذ على نفسه ، من اثر عمله الرتيب ، فانطبع على وجهه ، قبدا كالغيمة **الدكناء العابسة يستمده من تيار الحزن** ، وما ألم بنفسه من مختلف الآلام .. حياني الصديق ، وعاتبته على ترك عمله ، فاجابني .. لقد جربت الالم فضاق بي ، وضقت به ذرعا ، الم ممل ينفح السأم والضجر وآمل ان اجدد في لونه ، وراغب في تهوية نفسي . وادخال آلام جديدة عليها ، تطرد عني الالم القديم ، لعل في التجديد ، راحة تطمئن اليها النفس كما يدخل الانسان الهواء المتعفن الجديد ، والنور المشرق على الغرفة الرطبة ، فتنبعث فيها الحياة بما يتألق فيها من الهواء العابث اللاعب ، والنور الضاحك ، ويضفيان عليها روحا وحياة تشعر بالدفء والطمأنينة ، بعد ان رقدت في كنف البرد ، والصقيع مقرورة ، تتجمد الحياة فيها كما يتجمد الياس ، في بعض النفوس المقرورة ولعلني ابلغ في هذا الالم المجهول الذروة ، ومتى بلغ بي الالم ذروته ، ارجو ان تتكشف لي السعادة ، وانا واقف على ارض الالم الجديد الصلدة ، فاعيش حياة هانئة ...

وما لبث هذا المشهد ، ان انسرح مطويا ، اتعقبه بالحسرة ، اذ كنت راغبا ان استزيد من فلسفة هذا الرجل المغبون ، فلسفة لا ابالية ، وانفرج الفيلم عن صورة رجل اخر ، عاش فيلسوفا وفنانا في حياته ، بدا في اكمل صورته ، وهو ينفث المه ، سخطا على الحياة والاحياء ، يؤلمه ما يضمره الناس لبعضهم من حقد وضغينة ويود لو ان المحبة ، سادت البشرية ، واتفق الناس على الهدى ، ولم يتفقوا على الضلالة ، واستمعوا الى صوت الحكمة ، ونزعات الضمير الحي ، وعاشوا متآخين ، في ظلال الرحمة والتسامح والانسانية .

تقدم مني ساخطا برما ، وهو يلقي بشواظ غضبه ضرما لافحا ، وانا اهدىء من غيظه ،واطامن غلوائه ، فما لبثت حدة ضرامه ، ان همدت ، وانبعث منها ذلك الحزن والاسى يرسله متألما ، والشجى يهتز في نبراته قائلا :

.. عشت ما عشت والمظالم تكتنفني من كل جانب منذ طفولتي ، الى ان انتقلت للرفيق الاعلى ، وعشت حياة كلها كفاح ، في سبيل الانسانية ومحاربة المظالم الفاشية، وما زادتني الحوادث الا مضاء وهمة ، ولكن اليأس استشرى في نفسي ، لان غرور الانسان ، وتماديه في الباطل ، والضلالة قد شأى واستحصد نبته ، فاذا ما كنت جمعت قواي في سبيل محاربة المفاسد الاجتماعية، فانما كنت بهذا ادافع عن نفسي وانا صورة ، عن كل انسان ، تحيفته الاحياء ، وغبن نبوغه ، ووئدت عبقريته وهضمت حقوقه ... لقد عشت للناس ، ولم اعش لنفسي ، اضرب لهم الامثولة الانسانية عمليا ، في الغيرة ، والانسانية ، والناس تحب من يغرق في ادخال المسرة على نفوسها ، والطمأنينة الى قلوبها ، ويطالبونه متزيدين من عوارفه ، ونفحاته الانسانية سواء كان .. من ماله او من جاهه ، الم يبلغك قول الشاعر :

وانا امرؤ ادى اليك صنيعة من جاهه فكانها من ماله

وتركني ، وانا محتار من امر هذا الفيلسوف الفنان الانساني ، ووددت لو ان المشهد ازداد وطال ، لاضيف الى محصولي فلسفة عملية ، تركني والدموع تنحدر من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتظار

عطفي يا دروب ! نصف المصابيح ظلام ، ونصفها اضواء ...
انا ذبح الاوتار ... ما زال في صدري بقايا اغنية وسناء
كم بعيني من حفيف خفي فيه ماجت حريرة خضراء !
الف روحي ! تكلمي من دوي الز هر ! جاء الشتاء ... جاء الشتاء !

ذكرياتي ! هل نمت يا ذكرياتي ! لا تنامي ... فمن قصي رجاء !
انظري . انظري . خميل ظنون ام طيوف ما ان لها اسماء !
بي تهجاس شاعر كوكبته من عيون الاسطورة الافياء
ودروبي ، في رجع نظرة عيني ، رصفتها اظلة سوداء
وانا ظلت في اعاميق كأسي اتطوى انا وهذا العراء
ذكرياتي ! هل نمتيا ذكرياتي ؟ لا تنامي ... فمن قصي رجاء !

يا رياح ارقصي ارقصي في الدجنا ت وانت ارعدي ارعدي يا سماء !!

حلب — علي الزيبق

عيني حزنا على هذا الرجل العجيب الغريب .. ولكن هذا المشهد اعقبه مشهد اخر وهو صورة كهل تعرفت عليه في بعض اسفاري ، كان على ما هو عليه من يسار وغنى ، لا يرتدي الا الثياب القديمة ، يرز مرتديا ثيابه القديمة ، يشعرك من تأمة صوته بتواضعه ظاهريا ، بيد ان الكبرياء والاعتزاز بالنفس ، يطلان عليك ، من وراء هذه الثياب القديمة ، فقلت له محييا : اما زلت تلبس الثياب القديمة ، تطل بها على اصدقائك وهم في غمرة احلامهم .. فأجابني ضاحكا عابثا :

الا تذكر ما كنت حدثتك به سابقا في احدى سهراتنا ان الثياب القديمة تثير الاشفاق ، واما الثياب الجديدة فانها تثير حسد الناس .. وانا يا صديقي اخشى حسد الناس ، ولا ارهب اشفاقهم ، ومهما بلغ من فضولهم ، وثرثرتهم حول ثيابي ، فاني اتلقى ذلك بالبشر والغبطة، ولكنني اتألم من وخزات نظرات حسدهم ، اذا ما لبست شيئا من اللباس جديدا .

لقد ذكر لي ذلك وعيناه تطفران بالدمع الضاحك ، وحياتي وما لبثت صورته ان انطوت ، وانفرج الفيلم عن صورة رجل اخر، كان مولعا في ضربه مثلا مشهورا لكل انسان يصادفه في حياته ، وهذا المثل هو .. اياك ان تضع بيضك في سلة واحدة بل ضعه في سلال كثيرة ، واحمه بالقش والورق ، واذا ما جمعت المال ، فأودعه في مصارف متعددة ، وليس في مصرف واحد ، فلربما انكسر البيض جميعه في السلة ، اما سقوطا من اعلى السقف ، او كسرا ، والتهاما ، يلتهمه ابناؤك ، وكذلك يخشى على المال اذا اودع مصرف واحد من التبدد والضياع ، اذا ما ادرك المصرف الوهن ، او قدم دفاتره ... تذكرت هذا الرجل الذي صعقه الموت وحيدا ، وجنى حياته مودع في المصارف المتعددة ، ادخله الورثة في حسابهم ، لم ينقص منه شيء ، بفضل حكمته وتأثره بالمثل الانجليزي ، وفي بعض الامثال تنبع الحكمة المستمدة من تجاريب الحياة ..

وانجاب الفيلم عن صورة رجل ، بادلني التحية ، فحييته دون ان اميزه وقد ادرك ذلك وبادرني قائلا .. هل تسيتني؟.. انا فلان اخ فلان فعرفته حالا ورحبت به . وقد عرفته من التعريف ، وليس من صورة وجهه التي غيرتها الاعوام والسنون .

وقلت له ضاحكا : اما زلت تنتسب عرضا ، بعد غياب هذه السنوات الطويلة .. الناس يا صديقي تنتسب بالطول ، ولكنك تنتسب بالعرض .. فضحك وقال : وانت ما زلت تلقي بالدعابة ، سقى الله ايامنا كنت تنظر فيها مجالسنا ، بالقائك عفويا امثال هذه الدعابات والقفشات المبهجة .. وانقطع المشهد ، وحوارنا الكلامي، واستفقت من غفوتي على اثر حضور الخادم ومطالبته بالحساب ، فأثار المرارة في نفسي ، قطع هذه السياحة النفيسة الحالمة المتيقظة ، وخروجي من عالم النفس الرحيب وانا في تمام السرور من هذه المشاهد المتناقضة الى عالم الواقع لاملأ حقائبي بحكاياته وصوره .

عمان — مصطفى درويش الدباغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حبيب الخوري

الروابط الفكرية هي أقوى الروابط

بقلم حبيب الخوري

تهنىء « الاديب » المربي الكبير حبيب الخوري لكتابته هذا المقال وهو الان في التاسعة والثمانين من عمره ولا يزال في نشاطه الفكري العميق الذي عهده قراء الاديب في مختلف اطواره التي يواصل نشرها .

* * *

لا يسع الآخذ نفسه بالبحث والتامل في ادب اية لغة من لغات الامم المتحضرة الا ان يفكر في الوقت عينه ، في تاريخ الادب وفي نقده . ذلك لان ثمة قاسما مشتركا مرموقا يتمشى في هذه الاركان الثلاثة المتشابكة . ان الادب في العالم نوعان ، ادب عالم وهو الكلام في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والجغرافية الخ ، وادب خاصم وهو الكلام المأثور شعرا ونثرا ، وما يتصل به من علوم لغوية وتاريخية مما يتيسر فهمه ويحسن تذوقه واستمراءه ، ويجلو جماله . والادب الخاص ينقسم عند العرب وسواهم الى قسمين انشائي ووصفي . اما الانشائي فهو يصدق في مجموعه وجوهره على ادب الجاهلية وصدر الاسلام ، في حين ان الادب الوصفي الذي هو « تاريخ الادب » والنقد الادبي اطلا علينا في العصر العباسي بأقسامه الاربعة ، وامتد بهما الزمن عبر العصور حتى الان . وليكن معلوما ان الركنين الاخيرين ليسا بحديثين ، بل هما قديمان ، فالجاحظ في البيان والتبيين وكتاب الحيوان والمبرد في الكامل وابن قتيبة في ادب الكاتب كتبوا في الادب الوصفي مثلما كتبوا في الادب الانشائي . وابو هلال العسكري في صناعته وابو الحسن الجرجاني في موازنته اصابا حظا كبيرا من النقد . ولقد استفاد هذا النقد من الخصومة العنيفة التي قامت بين انصار البحتري وانصار ابي تمام ، وبين انصار المتنبي وخصومه وهم ان يستقل .

وليس يخاف ان الادب عند الامم الغربية المتحضرة من قديمة وحديثة لا يدل على شيء غير هذا الذي يدل عليه الادب عند العرب وان كتابا « لتاريخ الادب العربي » بالمعنى الصحيح الكامل ، ليس له وجود البتة بين ايدينا اليوم رغم ما نراه من الكتب العديدة التي وضعها البسطاء المحدودون والادعياء . ولذا كان لزاما على ادباء العرب الاعلام ان تتعاون طائفة متخصصة راسخة في العلم لتاليف كتاب تاريخ ادب عربي لا يكون انشاء ولا اختراعا انما يكون تجديدا واصلاحا لما ترك القدماء . ولا ندحة لنا عن الاشارة الى ابداء فكرة في غاية الخطورة ، الا وهي اننا نحمد الله مئات والوفا لوجود الاداب الرفيعة والفنون الجميلة من موسيقى وشعر ورسم الخ . اذ هي الدرع التي تقي الانسان القسوة والتحجر القلبي اللذين قد ينزلان به من جراء العلوم الطبيعية والرياضية الخ اذا علمت وحدها دون الاداب والفنون وتلطف من حدة تلك القسوة .

لم يكن من اليسير على الادباء في كل زمان ومكان ان يضعوا التعريف الجامع المانع كما يقول المناطقة للكلمة ادب فقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى يحفزهم الى ذلك قانون التطور الذي تخضع له ظواهر الحياة بأسرها . وقد لعب قانون النشوء والارتقاء هذا ادواره الخطيرة في مختلف العصور والاقاليم . ونحن لسنا بمعنيين بذكرها لا جملة ولا تفصيلا .

ان الادب عريق في القدم اي منذ ان اخذ الانسان في ان يتكلم ويكتب ويتحضر في الشرق كمصر والعراق ، والشام والهند وفي الغرب كاليونان والرومان الخ . ولقد كان للادب الشرقي فضل على الادب الغربي ، وله عليه دين لم يسده كله بعد ، مثلما للادب الغربي الان فضل على الادب الشرقي الحديث . والادبان يلتقيان في معظم النواحي ، لان مصدرهما واحد ، وهو الحياة في مختلف ظواهرها . على انهما يفترقان في نواح اخرى ، وهذا الاختلاف ناجم في الاغلب عن ان لكل امة خصائص في مشاعرها ومداركها ، وعن الطبائع الانسانية والاقاليم الجغرافية .

ولا خفاء في ان ادب الاديب الشرقي او الغربي لا يكمل الا اذا وقف كل منهما على ادب الاخر ، وبذا يكمل الواحد الاخر ويجلو شيئا من الغوامض فيهما بل ييسر فهمه وتذوقه . وفي هذا مدعاة كبرى لفهم الرجل الشرقي للغربي والرجل الغربي للشرقي ولارساء قواعد السلم العالمي الذي لا تبشر احداث عامنا المتصرم وبوادر عامنا الجديد بخير اكيد . ان بني آدم لم يخلقوا للخصومة والعدوان ، ويا ليتهم يستبدلون السياسة والدعاية اللتين تفمران العلى والدنى بتعميم آداب كل امة على الامم الاخرى لان الروابط الفكرية اقوى الروابط الانسانية جمعاء . ولا مفر من القول هنا ان تسعة اعشار متاعبنا ومصائبنا ناجمة عن تقصيرنا في فهمنا بعضنا بعضا جماعات وفرادى .

ماهية الادب

اعتاد الادباء البسطاء المحدودون والادعياء ان يعتقدوا ان الادب امر في غاية الصعوبة وان تحديده الجامع المانع كما يقول المناطقة ليس من الهنات الهينات والحقيقة التي لا مراء فيها ان تعريف الادب امر يسير لا يعدو ان يكون عند العرب وغيرهم من الامم المتمدينة اكثر او اقل من كونه الكلام المأثور شعرا ونثرا وما يتصل به من علوم لغوية وتاريخية تساعد على فهم الادب واحسان تذوقه . واذا اردنا ان نتناول الادب من شرقي وغربي في شيء من التحليل والوصف قلنا ان الادب القديم ـ شأن الفلسفة القديمة ـ كان يترفع عن نقد المعاني وغاية الانظمة الاجتماعية والاقتصادية ، فكان الاديب يداب في الاجترار ولا يغذو نفسه مما حوله بل كان يغتذى بالمؤلفات . اما الان فان الاديب الجديد يكاد ينظر الى الادب القديم نظرة باكون الى العلوم القديمة ، ذلك لانه يشك في قيمة المقاييس القديمة . وهو يستخدم ادبه كما يستخدم الفيلسوف الجديد فلسفته لمصلحة

الانسان وخيره الحقيقي فهو يبحث في اساليب العيش والاجتماع ولا يكاد يبالي اساليب الكتابة .

واذا اردنا ادراك ما يعنيه التجديد في الادب في هذه الايام ، قلنا انه لا يعني سوى التجديد في الحياة ، وان الاديب الحديث يتصل بالحياة ويتاثر بها ويؤثر فيها ، وهو ينتقد اسلوب العيش اكثر مما ينتقد اسلوب الكتابة . وهذا خلاف ما نجد من طبقةالادباء التقليديين في مصر والشام وسائر اقطار المشرق والمغرب العربيين . فالاديب فيهما لا يسلم خياله من الاحلام في عدة مواقف ، وهو يعني باسلوب ابن المقفع والجاحظ وابن العميد والقاضي الفاضل ، ولا يعنى باسلوب الفلاح والعامل المصري والشامي والعراقي الخ . ولا يكتب الا النزر اليسير عما يعانـــون من المتاعب الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية ، ولذلك كان ادبه في معظمه « ادب الكتب » والخيال الذي يجعله يعيش وهو في عزلة عن الوسط الذي يحيط به وعن واقعيات الحياة اليومية التي تجابهم ، وينحرف به احيانا الى العاطفة الخيالية غير المهذبة .

اما الادب الغربي الحديث ولا سيما اليوم فهو ادب الحياة لا ادب الكتب ، وهو ينتقد المعايش ويجد موضوعه في القصة والمقالة وهو كذلك يتصل بجميع انواع النشاط الانساني . وللاديب الغربي رأيه في العلم والصناعة والاقتصاد والطب والتعليم والصحافة . وخدمة للحقيقة لا معدى لنا عن القول ، ان طائفة قليل عديدها في مصر والشام اخذت تنهج في الادب هذا النهج الغربي الحديث مع المحافظة على ما هو جميل من الروح والتقليد الشرقيين ، مما يوطد فينا الامل في ان نرى هلالنا الآخذ الان في الطلوع ان سيصير بدرا كاملا باذن الله .

مصادر آداب اللغة بوجه عام

غير خفي ان الامم تتشابه في طبائعها ومداركهـــا من اكثر الوجوه ، ومرجع هذ الفكرة ان الادب في كل امة انما هو تعبيـــر النفس ، وحقائق النفـــس الانسانية في كل الناس مشتركة . ولذلك جاءت آداب الامم متشابهة في موضوعاتها ومناحيها وتاثيراتها ، لان آداب اللغة عند كل الامم كما عند العرب هي الكلام المأثور منالشعر والنثر وما يتصل بهما من عـــلوم لغوية وتاريخية ليتيسر فهمه واحسان تذوقه وادراك جماله . على انه لا يسعنا الا ان نجد ان لكل امة خصائص ومواهب تتميز بها عن سواها . وقد نجم عن هذا التفاوت في المواهب امتياز كل امة عن سواها بآداب اجادت بها وتفاقلتها عنها سائر الامم . فاليونان تميزت بالفلسفة والشعـــر القصصي والتمثيل ، وعنهم اخذت باقي الامم ، وتميزت الرومان بوضع الشرائع والنظم السياسية والاجتماعية التي هي اساس شرائع اوروبا ونظامها الاجتماعي حتى اليوم . والهند بوضع القصص الخرافية على السنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة الذي اذا خلت منه اية مدرسة اعدادية في قماطرها ومكتباتها لا تستحق اسم مدرسة لحكمته العملية الرائعة وانفراده بلغة واسلوب هما قديمان حديثان . اما العرب فقد ملاوا الدنيا شعرا ونثرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ التي كان ابن خلدون بطلهـــا واسبق الناس اليها فكان مبتكرا هذا في هـــذه الفلسفة وفي علم الاجتماع ، ومقدمته ترجمت الى معظم اللغات الاوروبية حتى اللاتينية.

هذا ولكل امة من الامم الاوروبية مزية في شتى آداب اللغة ، فالفرنسيون اهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء ، والالمانيمتازون بابحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الـى اقصى جزئياتهـا ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . اما الانكليز فيمتازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة في آرائهم ، فلا يبنون بحوثهم الا على الواقع ونرى ذلك ظاهرا في اعمالهم واخلاقهم . وهم يقفون موقفا وسطا من حيث العمق بين الالمان من جهة وبين الفرنسويين والاميركان من جهة اخرى . والايطاليون معروفون بتفوقهم في الفنون الجميلة ، فهم شديدو التاثر باعمال الطبيعة وظواهرها .

تشابه الآداب في جميع الامم

على ان تفوق بعض الامم في بعض الآداب الرفيعـــة لا يمنع تشابه تلك الامم في سائر الآداب . واما الامم الشرقية القديمة ، فلم تجمع آدابها وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثلا لنا . والامم المتمدنة في اوروبا واميركا ترجع آداب لغاتها الى اللغـــة اللاتينية اي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا معظم آدابهم من اليونان . فآداب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن لانها اساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من ادب او علم او فلسفة في اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية وغيرها الا وله اصل او اساس في اللغة اليونانية . فان الانياد في اللغة اللاتينية لفرجيل نسخة عن الالياذة لهوميروس ، وكذلك فردوس ملتون وجحيم دانتي وغيرهما . وعلى ذكر جحيم دانتي لا ندحة لنا عن القول : ان استاذ الادب في جامعة مدريد ذكر في كتاب وضعه منذ بضع وعشرين سنة ان جحيم دانتي مأخوذ معظمه من رسالـة الغفران لابي العلاء المعري وقد وافقه على ذلك كل من المستشرقين في الغرب ما عدا الايطاليين منهم . وقد تكون رسالة المعري هذه اعظم ما كتبه العرب فاطية فانها آية في الابتكار الرائع ومعجزة فيالخيال الواسع العميق والجميل .

آداب اللغـة العربيـة

ان آداب اللغة العربية هي اغنى آداب اللغات السابقة ، بل قد تكون على الاجمال اغنى آداب لغات العالم . ذلك لان الذين وضعوا آدابها في اثناء التمدن الاسلامي مزيج من امم شتى جمعتهم الدولة الاسلامية . وقد ادرى عدد تلك الامم على الثلاثين وكلهم تعربوا والفوا الكتب العربية في الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . وبذلك احتوت آداب اللغة العربية على احسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، فادخلوا فيها الكثير من اساليب السنتهمالاصلية دون قصد او تعمل . وربما كان اقرب ادب اجنبي لادب اللغةالعربية من هذه الناحية الادب الانكليزي ، الذي اذا رأى اربابه اي كتاب فيه جداء وغناء بادروا الى نقله الى لغتهم ولا يزالون يبادرون . دع عنك عبافرة الكتاب في ما كان لهم من مستعمرات ولا سيما الهند والباكستان اللتين اغنتا بعض النواحي في الادب الانكليزي غنى رائعا وخلقتا نوعا من الادب الانكليزي له طابع شرقي جميل . وفي لبنان وضع ادباء وكاتباء الاكبران جبران والريحاني كتبا عديدة . وترجـم الريحاني حظا وافرا من شعر ابي العلاء الى الانكليزية . وكانت بعض كتب جبران تقتبس وتقرا في بعض الكتائس الامريكية . وفي مصر ترجم « كتاب الايام » لطه حسين الى الانكليزية وقد كان ارفى كتاب الف في سنة تاليفه . يضاف الى ذلك ترجمة شطر كبير من شعر حافظ الشيرازي وعمر الخيام الخ . وقـــد تكون اللغتان العربية والانكليزية متشابهتين ايضا في كونهما مفهومتين ومتحدثا بهمها في طائفة كبرى من اقاليم المعمود .

اما الكلمة العربية « ادب » فقد جرى للـــوقوف على اصلهـا وتقصي معناها الى جزئياته بحوث طوال ، على اننا نجمل كـــل ما قيل في اصلها ومعناها في بضع من العبارات فنقول : ان لفظة « ادب » في معتقد البعض مأخوذة من الادب بمعنى الدعوة الـى الولائم وفي معتقد غيرهم مأخوذة من الداب بمعنى العادة . وهي لم تؤخذ من المفرد ، بل من الجمع آداب ثم قلبت فصارت آداب عـلى نحو ما جرى لبئر آبار ورئم آرام . وربما دخلت في لغة قريش في

تشاؤم

عميت عيوني وانطفا نجمي
ومشيت خلف جنازة الحلم
والليل .. آه الليل يرعبني
والدرب .. ضاع الدرب يا أمي
أواه لو افنى جناح رؤى
ويموت قيد اللحم والعظم
ويذوب قلبي في الوجود هوى
ويروح في لثم وفي ضم
وتعود اجنحتي مصفقة
ويعود عهد الحب والسلم
ماذا يريد الدهر من كبدي
كم راش لي في الليل من سهم
والدهر أقسى ما يكون اذا
في الحر اغمد خنجر الظلم

دير الزور ـ سورية — طلعت يازجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثناء العصر الاموي انتقلت اليها من احدى اللغات العربية التي ضاعت . ولقد كانت تدل منذ العصر الاموي على شيء مثل الشعر والخبر . وكانت تدل على معنى دمانة الخلق ورقة الطبع ، وكان الناس يفهمون من لفظة الادب كلا المعنيين طوال العصر الاموي الى يومنا هذا .

ان الادب العربي في حاجة الى الوقوف على آداب لغات الامم الاخرى ليستفيد من موضوعاتها واتجاهاتها كما تفعل كل امة حية الان ، فلم تترك اية امة راقية ادبا من الآداب الشرقية والغربية الا وقفت قومها عليه . فلو شاء انكليزي او فرنسي او الماني ان يعرف اي ادب صيني او ياباني او هندي او فارسي او اي ادب اخر ، لوجد من كل ذلك الشيء الكثير في لغته . وقد استغل ادباء كل امة الآداب المشهورة خير استغلال فاستغلوا القصص الهندي مثل الف ليلة الذي له اكثر من ترجمة واحدة في كل امة حية، وفي الانكليزية له عدة ترجمات اعتيادية وادبية راقية . وربما تجمل هنا الاشارة الى ان هذا الكتاب لم تقو على الاتيان بمثله الامم الاسكندنافية وبعض الولايات الالمانية ممن اشتهروا بمحاولة محاكاة الف وليلة . وقد يكون هذا الكتاب هو الاول من الكتب العربية في سعة انتشاره ومعرفة كل الامم الراقية له . واستغلوا رباعيات الخيام الذي له في لندن وحدها اربعة نواد ، وشعر حافظ الشاعر الفلسفي ، وكذلك استغلوا الشعر الجاهلي الذي ترجمه المستشرق ليال ، وترجمه غيره الى اللغات الاوروبية الراقية . ولقد كان عندي كتاب في شرح المعلقات والتعليق عليها الفه ضابط بريطاني ونجح في التوفيق بين الشروح القديمة والحديثة وبين الشرقية والغربية . ومن الغريب والواقع ان الادب لم يعد ملكا للامة التي تنتجه بل صار مشاعا لكل امة يقظة واصبح شأن الادب شأن البريد وفلات العلم والمستكشفات الطبية العلمية ليست ملكا لاحد حتى ولا لمخترعيها .

حاجة العرب الى الآداب الاخرى

ومما يؤسف له ان النهضة العربية في الدولة العباسية تأسست ، وكان هذا طبيعيا ، على انها لم تترجم الادب . فاستغلت كل معارف اليونان والهنود والفرس وغيرهم ، ونشأ عن هذه الخسارة العظيمة ان صار الادب العربي ـ ولا سيما الشعر ـ لا يجري الا في المجرى الذي شقه الادب الجاهلي . والتقدم الذي جرى فيما بعد لم يعد وسيع المجرى القديم ولم ينشىء مجرى جديدا او يحفر روافد جديدة تمد المجرى الاصلي . ولو انشىء ذلك لكان لنا تنويع في البحور والموضوعات ولكان لنا شعر قصصي كالملاحم وسواها وشعر تمثيلي كشعر شكسبير ، وقد فقده شوقي تقليدا بسيطا . ومن بواعث سرورنا ان شعرنا اليوم يتناوله شيء من انشاء مجرى جديد او حفر روافد جديدة وان ادباءنا هبت طائفة صغيرة مباركة من اعلامهم تبذل اقصى الجهود لكي لا تقع في نهضتنا الحديثة في الخطأ الذي وقعنافيه في النهضة العباسية . وهي تحاول الان في حزم واخلاص ان تنقل الينا شيئا من آداب لغات الامم الحية فتضع لنا كتابا في الادب اليوناني واخر في الروماني واخر في الهندي واخر في الفارسي والانكليزي والفرنسي والالماني . ورغم الصعوبات التي تلازم هذه المساعي العظام اقبل الدكتور محمد مندور على الادب اليوناني فدرسه دراسة دقيقة وقدم لنا فوائد كثيرة فيه ، والدكتور حسن عثمان على موضوع دانتي ، والدكتور عبد الوهاب عزام على الادب الفارسي القديم فزاد فيه وكتب موضوع الادب الفارسي في القرون الوسطى . وقد قامت في طريق تلك الجماعة المباركة عقبة تكاد تكون كأداء وهي ترجمة النماذج والنصوص اليونانية والرومانية والهندية الى العربية . وبذلت قصارى الجهود في هذا السبيل ولا سيما في النماذج الشعرية التي يكون نقل جملها اللفظي والمعنوي شبه المستحيل ، اللهم الا عند كبار المهمين الادباء المطبوعين على الشعر والادب .

الختام

ولا بأس من القول هنا اننا نعلق اهمية كبرى على البحوث التي ترمي الى بيان العلاقة بين الادب العربي وغيره من آداب الامم المتمدنة ، وبين الحياة عموما والحياة الاجتماعية خصوصا ، واثر المجتمع ومدنيته ونظمه والبيئة الجغرافية في مختلف الفروع الادبية من مقالات وقصص وروايات ورسائل وكتب . فأمامنا مجالات واسعة من الروايات النقدية للحياة الاجتماعية وما اليها . اننا نعلق اهمية كبرى على ضرورة ان يكون كل انسان اديبا بمعنى انه اذا قرأ قصة او مقالة او قصيدة تذوقها واستمرأها وناله شيء من لين الجانب ودماثة الخلق . ان للآداب الرفيعة والفنون الجميلة فضلا عظيما في اتقاء القسوة التي قد يجنيها الانسان من العلوم الطبيعية اذا لم تكن له حصانة من الرقة ، والدماثة الطبيعيتين او مما يجنيه من الموسيقى والشعر والتصوير وما اليها . ان تلك الطائفة المباركة من الادباء في شرقنا العربي والبوادر المشجعة التي نشهدها في مجامعه العلمية واللغوية وفي من اخذوا النفس في الجامعات الشرقية والغربية بالتخصص او التعمق في آداب الامم المتحضرة بحيث يفهم الانسان اخاه الانسان فيقترب العالم بعضه من بعض ويسود التفاهم بين الشعوب والاقطار فتنعم بحظ من السلام الحقيقي المبني على الروابط الفكرية التي هي اقوى الروابط الانسانية .

القدس — حبيب الخوري

خدوج الرصفية وليلى العامرية

بقلم ناجية ثامر

* * *

لم تحرم بلاد افريقيا من نساء اديبات وشاعرات اضاء شعاع افكارهن الاقطار ، واحتفظ التاريخ بذكرهن ، وان تكن آثارهن قد تفرقت وتبعثرت ، الا انه لا بد ان يعثر الباحث على بعضها ، ويستطيع نقدها ، ويتعرف على مدى تفكير المرأة وتطورها ، والشيء القليل يغني عن الكثير كما يقول المثل ، وحين يريد الباحث معرفة جودة الارض يكتفي بفحص حفنة في باطن يده منها ليحكم على ما تضمه ذراتها من خصب وجود او جفاف وقحط ...

في اواسط القرن الرابع للهجرة ، نبغت في مرفأ يعرف باسم « الرصفة » اديبة فصيحة من عائلة عربية حلت اوائلها بعد الفتح الاسلامي في البلاد التونسية واستوطنتها ، وسمعت امواج بحره المتلاطم همسات اديبتنا التي كانت تجلس على شاطىء المرسى وترنو بأنظارها لبعيد ، لتبث للامواج بما يعتمر في صدرها من عواطف يشبه تلاطمها تلاطم الامواج التي تشاهدها عيناها، محاولة استجلاء الافق البعيد ، عما يخبئه لها القدر من خفايا واسرار .. فشاعرتنا هذه استلطفت شابا ظريفا من عائلة شريفة اسمه «ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله» تعلق بها قلبه ، ومالت هي بدورها اليه ، وتفتحت قريحته قصورها في شعره ، ولكن هذه العاطفة الشريفةالبريئة ، شاعت بين الناس وتعالى الهمس حتى وصل لآذان الاخ المسيطر على العائلة ، فمنع اخته من مقابلة الشاعر ، وحكم بالتفريق بينهما ، لا لسبب سوى لانه لم يرض ان تزف اخته لشاب ذكر عنه انه اضمر لها الحب قبل ان يتقدم لخطبتها ، وكأن القدر شاء ان يسطر على صفحات افق ذلك المرفأ الصغير « الرصفة » نفس المأساة التي مثلها قيس وليلى ، في مكان بعيد ، في بادية نجد الواسعة ، ولو وجدت قصة « خدوج الرصفية » قلما بارعا يخرجها كمسرحية ويضع فيها الكثير من التفنن والعبقرية كما فعل احمد شوقي بقصة مجنون ليلى ، لاشتهرت اشتهارها ، ولبلغ كاتبها القمة كما بلغ شوقي. فهذه خدوج فعلت كما فعلت ليلى بالتمام ، حين شاء ابوها ان يفرق ما بينها وبين قيس ، وهي وان ثارت داخل نفسها ، الا انها طأطأت راسها امام الامر المقضي ، ورأت ان لا حكم الا حكم اهلها ، فهم الذين يأمرون ، وهم الذين يتحكمون في مصيرها ، وان يكن في حكمهم صك تعاستها وشقائها .

فكما خاطبت ليلى قيسا حين دعاها للفرار معه على لسان شوقي :

ولست بارحة من داره ابدا — حتى يسرحني فضلا واحسانا
نحن الحرائر ان مال الزمان بنا — لم نشك الا الى الرحمان بلوانا

خاطبت خديجة اخاها بهذه الابيات :

اخي الكبير وسيدي ورئيسي — ما بال حظي منك حظ بخيس ؟
ابغي رضاك بطاعة مقرونة — عندي بطاعة ربي القدوس
يا سيدي ما هكذا حكم النهى — حق الرئيس الرفق بالمرءوس
واذ رضيت لي الهوان رضيته — ورايت ثوب الذل خير لبوس

رفض اخوها طلب ابي مروان ، لا لذنب جناه ، سوى لانه اعلن لها ميله في بعض اشعاره، وقد توسلت اليه ان يكون رفيقا بها عطوفا عليها : حق الرئيس الرفق بالمرءوس ...

فهو الحاكم بأمرها المسيطر على حياتها ، يفعل بها كما يريد ، ولكن هذه السلطة المطلقة عليه ان لا يستعملها ليحكم عليها بالشقاء ، لان الرفق مطلوب من الحاكم ، ورغم هذا فهي ترضى بحكمه وان يكن مجحفا في حقها ، قاضيا على سعادتها وهنائها :

واذ رضيت لي الهوان رضيته — ورايت ثوب الذل خير لبوس

ولكن يظهر ان الاخ كان لا يقيم وزنا لعواطف اخته ، ولا يراعي شعورها ، فلقد كان همه كله منصرفا للتقيد بالتقاليد والعادات التي تحتم عليه فصم هذه العلاقة ، وقطع السنة السوء ليبقى ثوبه نظيفا من كل شين ، ففي يوم قريب ستزف اخته الى رجل اخر ويعرف القاصي والداني ان اخته خدوج الرصفية شريفة عفيفة تستحق ان تنتسب للنسب الشريف الذي ينتسب هو اليه ، وان ما ذاع عنها انما كان مجرد اقاويل لا قيمة لها ولا اعتبار ...

ففي رد ابي مروان عن بابه وقبول خطيب اخر ، محو للطخة التي لحقت بالعائلة كلها من جراء السنةالسوء واقاويل الناس . ما قيمة شعور خدوج ، وما هو وزن عواطفها ، واية اهمية لاحساساتها المتضاربة ازاء شرف عائلة بأجمعها ؟...

ولهذا توسلت خدوج وتذللت واستعبرت ، وثارت، الا ان ثورتها لم تتعد صدرها المكلوم وقلبها الجريح ، ووضعت الامر كله بين يدي اخيها ، لانها كانت هي ايضا معتزة بشرف عائلتها ، لا تريد ان يلحقها اي سوء من جرائها ، وانما رجت الاخ ان يكون رفيقا بها قبل ان يصدر حكمه النهائي ... وهذا الحكم ستقبله مهما كان لانثقتها بأخيها كبيرة ، وسيفعل ما يوجبه عليه عقله وما يراه صالحا بها ...

وكما قالت ليلى مخاطبة قيس :

الداء يا ورد في مجتهد — ملتهم هيكلي وما شبعا
اصبحت لا اشتهي الطعام — ولا يحمد جنبي الى مضطجعا
قلبي من الياس حين حل به — احس يا ورد انه انصدعا
لم يحمل الياس ساعة ولقد — كان بما حملوه مضطلعا

الطرقات

لا تترك وجهي يذهب عبر الريح بعيدا
او يشرد في الطرقات
لا تتركه يصبح بابا من ثلج
تجمد ان لمسته عيون البسمات
لا تترك وجهي يبحر في صمت الليل بلا زورق
لا تتركه يغـرق
فالشمس الخضراء هنا في اعماق القلب
صارت فرسا سوداء وغابت
تبحث عن عمر الحب
العمر الملفوف باغصان الخوف
العمر المجلود هنا
في اكبر ساحات الصيف
المقتول بلا ذنب
يرصده للوجه الحائر في كل الجبهات

يا من تلمح في عيني عذابك
تشهد في روحك نار الخيبه
وتعيش بلا معنى
تطردك اللعنه
فكمن يبدو .. من اول عمره محبوسا في
زنزانة حزن
اصبحت بعينيك غمامة رمل
مهلا .. لا
انا ما زلت سحابة خير
ابعد عن قلبك جيش النمل
يا من تتركني ابحر في صمت الليل بلا زورق
او اشرد في الطرقات

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

ARCHIVE

المتمنـــي بـالعيش متتفـــع ولـن ترى بالسـا بـه التفـا
القـدر اليوم والقضـاء عـلى حربـك قيس وحربـي اجتمعا

خاطبت خدوج ابا مروان بهذه الابيات :

فرقـوا بيننـا فلما اجتمعنـا فرقونـا بالـزور والبهتـان
ما ارى فعلهم بنـا اليـوم الا مثـل فعـل الشيطـان بالانسان
لهف نفسي عليك بل لهف نفسي منـك ان بنـت يـا ابا مـروان

لقد قبلت خدوج الحكم الذي كان قاضيا بالتفريق ما بينها وبين الشاب الذي وضعت كل آمالها واحلامها ، وطلبت بنفسها من ابي مروان ان يبتعد عنها رغم ما في هذا الطلب من قسوة وعذاب لكليهما ، وهي لم تضع الذنب في ذلك على عاتق اخيها لانها تقدر موقفه وتعرف انه بهذا يحاول ان يحافظ على شرفه ، بل وضعت الذنب على عاتق الناس الذين يتدخلون في الامور ويهولونها ، ويضيفون عليها الشيء الكثير من ظنونهم التي قـد لا تستند على الواقع في شيء في كثير من الاحيان ... افلا تشبه اعمالهم اعمال الشيطان ؟

لقد احنت راسها امام حكم الاخ ، وفهمت موقفه ، وقدرت ظروفه ، ودعت ابا مروان للابتعاد عنها ، ولكنها بهذا بقيت في حيرة وعذاب ومضض ، لا تدري افعلت بهذا خيرا ام شرا ، هل كانت مصيبة ام مخطئة ، لقد اذعنت للقضاء وقدرت الظروف ، ولكنها لـم تستطع القضاء على الثورة التي تعترم في صدرها ، من جـراء الظلم اللاحق بها وبأبي مروان الذي كان قصده شريفا ، وغايته الوحيدة ربط حياته بحياتها ... فالفكر النير ليس كالفكر البسيط ، ولهذا يبقى في حيرة وقلق حين يشعر بأنه لم يكن على حق في فصم بعض الامور ، لا لشيء الا ارضاء للآخرين ... وبأن فصم الامور على مثل هذا الشكل يتعارض مع ما يمليه الوجدان والضمير ...

هكذا ترى ليلى العامرية ترضخ لحكم اهلها ، ولحكم المجتمع ، ولكنها تثور في داخل نفسها لهذا الحكم الجائر ، وتفعل خدوج مثلها ، فتطأطيء راسها للقدر ، ولكن الثورة تضطرم في صدرها ، وتسيل النجوى اشعارا رقيقة على لسانها ...

ولو سلط شاعر فحل الضوء على هذه الشاعرة كما سلطها شوقي على ليلى ، وانطقها في مشاهد عدة ، فحاول ان يتصورها بخياله الفذ ، وعبقريته النادرة ، لبلغت قصة خدوج الرصفية الشهـــرة والمجد اللذين نالتهما ليلى العامرية ...

تونس — ناجية ثامر



نسيم نصر

من ذكريات معلم

بقلم نسيم نصر

* * *

اتمثلني في حديقة مقهى الروضة في حمص ، عصاري نهار لبعض ايام الاحاد من شهر نيسان سنة ١٩٣٣ ، وقد حفلت جنباتها بالجالسين فرادى وجماعات ، يستقبلون دفء الربيع في عروس الوعر . واذا كانت حمص قد استحقت هذا اللقب قديما لما تتميز به من انس بالنسبة الى وحشة السهول التي تكتنفها ، فانها بعد ان خرجت من عزلتها الاجتماعية التي فرضتها عليها تقاليد شديدة المحافظة ، اخذت تنتقم من تلك العزلة باقبالها على المخالطة جهرا ، ولكن مع الابقاء على الحرمات الجنسية في حدود الكرامة واللياقة .

وبينا انا ماض في حوار طريف مع صديق لي حول مشاهد تلك الحديقة الحديثة العهد وما تعبر عنه من صراع بين امس واليوم : فهنا نارجيلة كان قاعدة نارها فوق زجاجة مائها مدخنة سفينة تصعد دخانها انفاس ساهم ينفخ في نربيج طويل كانه حبل النجاة او سلسلة المرساة . وهناك حلقة عائلية قد استدارت حول طاولة تحولت الى مائدة بما عليها مما يتفكه به المتنزهون ، ولاسيما المتنزهات . وهنالك لاعبان بالنرد الزهر ـ ، وحولهما المراهنون على الغلبة ، فكان اللعب قد تحول الى رهان في سباق جياد . وبينا انا كذلك ، جاءني زميل لي يدعوني للانضمام الى حلقة ادبية كان واسطة عقدها شاعر معروف بسذاجةوجدانيته الفامرةالمتهادية في عبارة تتميز بالطبع والسهولة . وكان صاحبي قد عرف مني انني اتوق الى رؤية هذا الشاعر والتعرف اليه . وما ان بلغت مجلس الرجل واخذت مكاني بين جلسائه حتى استانف رواية مقاطع من شعر له حديث النظم ، وهو مدل بسلطانه على تلك الحلقة التي كانت تصغي ، « وكان على رؤوس افرادها الطير ! »وبدا للشاعر ان يأخذ قسطا من الراحة ، فاشار الى فتى في بزة عسكرية ، كان قبالته في الوسط الاخر من الحلقة ان يروي شيئا من شعره . وعطف على جمهوره فعرف اليهم الفتى ، قائلا : هذا فلان من لبنان ، من آل البستاني ، طالب في المدرسة الحربية ـ وكانت المدرسة الحربية ، آنئذ ، لسورية ولبنان ، قائمة في مكان منعزل من جوار حمص . ولبى الشاب البستاني رغبة مقدمه شاعرا ناشئا ، فروى بعض مقاطع شعرية ، ما ازال اذكر انها تنم عن شعور مرهف وادراك مبكر للقيم الانسانية المخزونة في صدور الشباب ، وان كنت لا اذكر منها ولو بيتا واحدا بحروفه .

وفرغ الفتى من رواية ما تيسر من شعره ، واراد ان ينوع الحديث ، فخطر له ان يعرف رأي صاحبه الشاعر علنا ، اذ كانت وفاة احمد شوقي الذي عرف « بامير الشعراء » قد افسحت مجالا لعرض الراي في الجواب من هذا السؤال « من ترشح لامارة الشعراء ؟ » ورد سيد الحلقة ، الشاعر ، على الفتىاللبناني ، قائلا : « يبدو انك قد فكرت في هذا الترشيح قبل الان ، فسم لنا من رشحت » . فاجاب الفتى اللبناني : «ارشح الاخطل الصغير . »

فتململ الشاعر ، وابدى ما سمحت به صراحته من امتعاض لهذا الاختيار ، ومضى يقول : « ليس للشعر ولا للشعراء امارة ولا امير ، وان كان لا بد من اسميذكر في هذا المقام من التنويه بتقديم شاعر ، فانا استبعد الذي ذكرته . »

وفي وجوم من الفتى الذي عرض اسم الاخطل الصغير لهذا الاستبعاد الجاف ، ابتدرت صاحبنا متصدر الجلسة ومصدر الحكم بقولي :

« يشرفني ان يكون اجتماعي بك اليوم ، يا شاعري اجتماع تعارف ويسوءني ان يكون فيالوقت ذاته اجتماع معارض في بعض الراي .

اما قولك ان ليس للشعر ولا للشعراء امارة ولا امير فهو قول اراه عين الصواب وقلبه . واما قولك باستبعاد الشاعر بشارة الخوري في عبارة جازمة ، فهو قول يعوزه الدليل فان شئت فهاته » .

ومال الشاعر نحوي ميل من فوجيء بمعترض لم يكن يتوقع وجوده في تلك الحلقة التي هو محورها وقال :

وحشـــة

يا رفيقي !
نبح الليل على صمت الطريق
انجم زهر تبدت واجفه
وتعرى النور الا
من ظلال راجفـه
وانا مع وحشة السر العميق
انهب الارض على غم وضيق

وتناءت صور الاشياء لما
كان صوت عبر الليل وثارا
اطبق الوهج جناحيه وطارا
مثلما نار وضلت في عروقي
مثلما خيط الشروق
عتمة الريح انـارا

وتراءت كلمات
من سحاب ودخان
رقصت بضع ثواني
« ايها الانسان في وحشة دربك
غارقا كالظل في صمت المكان
قدر تحياه ان انت خطوت
ما انتهيت
قدر ان تولد الايام في عينيك
مصباحا وظلمه
وجراحات وآلاما وبسمه » .
يا رفيقي !
وانتهى الليل وخلفت طريقي
عابرا كالشعلة البيضاء في افق حياتي
ان في الريح خطى من خطواتي

موسى صرداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بشارة الخوري شاعر غزل ، والغزل اول درجات الشعر ، فلا يؤمر من اقتصرت اجادة شعره على هـذا الباب من الشعر . واذا حدث وقليلا ما يحدث ، ان رثى فلا يتورع عن ان يحشر شيئا من الغزل فيه استبقاء لاواصر الغزل موصولة بما خرج اليه عن دائرة الغزل ، صنيعه في رثاء شاعر النيل ، اذ قال :

شاعر النيل جز طريقك للخلـد وخلها لن تحـب صداقـا
درة صاغها الـذي ترك الحسـاد تجـري ولا تطيق اللحـاقا
كلمـا اطبق الغبـاد عليهـم حشرجـوا تحته ومـاتوا اختناقا

ثم اعتدل في جلسته واردف قائلا : في هـذا القليل الذي قلت ورويت ، شاهد صريح الدلالة على صحة رايي .

فرددت عليه بقولي : « لا ارى على سعة معرفتك ونبوغ شعرك بأسا من اسماعك رايا يخالف رايك . فاحكام النقد الادبي (بالدال) يتناولها النقض الذاتي (بالضاد) احيانا ، اذ انها قائمة على تقدير قيم لا على تقرير حقائق . فاذا كنت يا سيدي ، لم تقرأ لهذا الشاعر غير الغزل ، فلا يجوز لك ان تصدر في حكم علني كهذا عن قراءة جانبية تناولت على اساسها ، شاعرا انفتحت له آفاق الشعر على رحابها ، فاجاد وابدع في الكثير مما تناول . وليس ما ذكرت له من شعر في الرثاء غير آية فن لا توسلا الى غرض .. وتجميد الكلمة الشعرية مشدودة الى متناولها المادي هبوط بالشعر عن مراتب الجمال الى درك الاسفاف

اما الغزل في شعر الاخطل الصغير فقد انبث من صميم الوجدان ، وصدر عن قواعد اصالة الانسان ، في « المسلول » او « الريال الزائف » حيث جسد بشارة الخوري الحرف فتنة من مفاتن القلب مروحا برواء الفن ما يغيم على الالفاظ من ظلال الاباحية ، معطيا من خلال القصص الغزلي عبرا من الاخلاق . وهذا الغزل الذي كثر في شعر بشارة الخوري ليس حجة عليه بل له في مجال الكلام على الاجادة والتفوق ، او « التامير » ان صح التعبير .. !

وانطوت ثلاثون سنة على انفضاض تلك الحلقة في حديقة مقهى الروضة في حمص ليلتقي بعدها ، في مهرجان شعري اقيم لتكريم الاخطل الصغير ، مندوبون عن سائر الاقطار العربية خرجوا من قاعة الاونيسكو في بيروت ، وقد امره على شعراء العرب اكثر من مندوب ، على الرغم من شهرته باسم : « شاعر الهوى والشباب »

نسيم نصر

الحارس والفجر

بقلم عبد الله رستم



كان

يبدو في وقفته الجامدة عند السور الحديدي المنخفض كشجيرة بين اشجار السرو المنتصبة على طول رصيف الشارع ، الراقد بأمن وسكينةوسط الليل ، وقد اصطفت على جانبيه البيوت الكبيرة الفاخرة على هدهدة خفيف اوراق الشجر المنبعث من الحدائق الواسعة ، المحيطة بالبيوت الفخمة ، وعبق الجو برائحةاشجار البرتقال .

كان يقف بجمود ، فتصفعوجهه المتفحص ريح باردة ، وتهز جسده في رعشة خفيفة ، لم يمنعها المعطف الكاكي الثقيل ، الذي احكم اغلاقه على جسمه ، ورفع ياقته العريضة حول رقبته ، واستكانت على كتفه البندقية العتيقة ، والتجأ بكفيهالى جيبي معطفه الواسعين . وعيناه تدوران في فراغ دون ان تستقرا على شيء ، فتبدوان على ضوء مصباح الشارع القريب وتوهج سيجارته الملتصقة بشفتيه وكأنهما تفتشان عن شيء مجهول فيالشارع

وفكره كان في شغل عن الشارع والبيوت والصوص والبرودة .. وعن تلك الحرارة التي لا يدري من اين تنبع في داخل جسده ، رغم الرعشة والريح القارصة . كل حواسه وافكاره اجتمعت في نقطة مضيئة وهاجة عند الفجر المنتظر.. القادم ببطء ، والذي يبدو متعززا، فيوْخر اطلالته ، وكأنه يعلم انه في انتظاره بلهفة وطول صبر .. مع هذا الفجر يطل العيد ، ومع العيد ستطل العيديات والملبس والكعك ، ومع كل هذه سترتفع الى وجوه عائلته البسمات . سيذهب الاولاد الى المراجيح ، وتطبخ لهم (حسنة) الرز والباقلاء الجديدة . يقولون ان الكيلو بمئة فلس ! هيه .. سيستطيع ان يشتري كيلوا ونصف قبل عودته اليهم . لا بد انهم الان مثله يتطلعون بعيون مفتوحة متلهفة راجية للفجر.

زوجه (حسنة) تنتظر الان ان يهل عليها من الباب المنخفض لحجرتهم ، لتسرع بعينيها الى يده لتطمئن من وجود صرة المنديل الكبير ، الذي حرصت ان تضعه في جيب معطفه قبل يوم .. ثم لترفع نظرها الى وجهه تفتش عن ابتسامته بين شفتيه ، حينذاك تهب لاستقباله بشوق الغائب من سنين ، وتقبل يده .. وهي تتمتم بحباء جاف :

ـ الله يساعدك ابو حمد ..

.. عيدك مبارك .. انشاالله تزور بيت الله ..!

ثم يندفع وراءها الجيش الكبير .. حمد وسعدية ونجم وحمود ليقبلوا يده ، وعيونهم النهمة لا تبتعد عن الصرة ، حتى (منذورة) في قماطها سوف لن ينسى ان يلقي عليها نظرة ، ويؤكد لنفسه انها هي الاخرى سوف تتطلع الى يده ..!

حرارة راسه يبدو انها تتحدى برودة الشارع ، فتزداد ، وتزيد من ثقل راسه . كتفاه يعجزان عن حمل البندقية ، فيخرج يده بتكاسل مخذول من جيب معطفه ليتناول البندقية الثقيلة ويضعها بين قدميه ثم يرمي بثقله عليها . الليلةتطول.. وكأن عمراً يمر .. متى سيخرج الفجر من مخبئه ؟! من بعيد يأتيه صوت صافرة زميله في الشارع الاخر .. فيبدو كأنين واهن قد اتعبه قطع كل تلك المسافة .. او لانه خشى ان يخترق الحيطان الصامتة فيزعج الراقدين . التقطت اذناه الصوت بصعوبة بينما زم شفتيه بتبرم . اخرج الصافرة ونفخ بها بقوة ، فخرج صوت مريض .. كأنه همس محتضر .. لماذا لم يستسلم لالحاحات زوجته في ان يأخذ اجازة ..؟! ولكنه احس بما بين طيات كلامها من برود وامل في ان يصر في عناده . وحتى بدون اجازة كان يمكنه ان يرتاح في فراشه حين حاول زميله اللعين (عبد الكاظم) ان يسرق ليلته هذه ، لقد راح يصب كل ما في جعبة الانسان من عطف على راسه .. وكأنه اصبح فجاةملاك رحمة هبط من السماء ..

ـ لا تهتم يا جسام .. انتمريض والله يساعدك .. روح للبيت ارتاح وآني آخذ نوبتك ..! ثم يتأفف بحسرة وهو يبسط كفه على جبين جسام ويقول بألم :

ـ لا يا جسام .. حرارتك عالية، تحتاج لراحة ، والاخوان لبعضها يا جسام .. لا تهتم ، اي نعم .. الاخوان لبعضها .. ولكنه كان يعلم ما خلف هذا العطف وتلك النوبةمن التضحية . يريد ان يسرق منه ما انتظره كل تلك الليالي التي قضاها بأمل هذه الليلة . الا يدري ما تعنيه هذه الليلة !!

كيف سيستقبل الاولاد العيد .. وبم سيخرجون مع اولاد الحارةالى (المراجيح والفرجة) .. وماذا ستقدم حسنة لضيوفها من الاقارب الذين سيفدون من الجنوب ككل عيد ..؟! والحاج ابو محمد كيف سيقنع راس الشهر حين يعجز عن دفع ثمن ملابس العائلة التي اخذت منه اكثر من ساعة في محاورةذليلة واقناع لحوح :

ـ تدري يا حجي فرحة الاولاد بالعيد ، والعمر فات عليهم .. انشاء الله قبل راس الشهر فلوسك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غرور وحيرة

تـرى مـا زال يهوانـي ... ويهوى صوتـي الحانـي
ويرجعه صـدى همسي ... فتى من عـالم ثـان
ويسكره شذى عطـري ... ويفمـر قلبـه العانـي
فيفدو تائهـا ثمـلا ... كخدن الدن والحـان
ويشغفـه فتـور قـد ... عـرا طرفـي فاوهانـي
فاذ بـي مرتـع مفـر ... لنعمـاه تلقانـي
واتركـه لحرقتـه ... واغلـب فـي اذعانـي
واكتـب فيـه اشعـارا ... تضـوع بنبض وجداني
فتحملـه رؤى شعـري ... بعيـد العالـم الفانـي
وتبعده عـن الخمسـين ... وفيهـا طيـب الحانـي

فها قد عـاد يهتف بـي ... وليـل البعـد اشقانـي
أاقبـل منـه عودتـه ... اجل .. ما زال يهواني

دمشق — سلافة العامري

توصلك ..

وككل عيد يفي بوعده ، ويدفع قبل الراتب . ما ان يطل الصباح الذي ذابت في انتظاره كل لهفة وصبر سنة طويلة .. حتى يكون قد وقف عند اول الشارع ، فيطرق الابواب الانيقة ليقدم تهنئة العيد لسكان الدور ... حينذاك يتذكرون عيدية الجارس . درهم وشكرات وكعك العيد ، وحتى احيانا لا يحرم بمن ينفحه بورقة خضراء او بلون حبة الرمان ..

جفناه يثقلان .. وكأنهما يحملان رموشا من حديد . كم يشتاق الان لتمديدة على البساط الكالح ، ويد (حسنة) الحنون تمسح جبينه بخرقة مبللة ، وتصر ان تشد رأسه بعصابة رأسها ، بينما تجفف دموعها الرخيصة في مثل هذه المناسبات ولاتفه منها بكمها الواسع عن جلدة وجهها الملتصقة بالعظام . هكذا تفعل معه كلما سقط في الفراش واحست ان حرارته ترتفع ..

الفجر يبدو انه لن يظهر ابدا ، ابتلعه صوت كبير . والشارع لا يزال في رقدته الحالمة . وهو في مكانه تخذله قدماه من جولة قصيرة في الشارع . كم يبدو طويلا ، نهايته تختفي في تلاق عند آخر الدنيا . ومن بين عينيه الضيقتين راح يرنو عبر الشارع ، ومن خلال اشجار الحديقة المقابلة الى القصر الكبير ونوافذه الواسعة ، واشعة خافتة من ضياء باهت تظهر بهدوء عبر الاوراق . ترى كيف يستعدون للعيد ؟! اساهرون الان كحسنة وحمود وسعدية ؟! ايحسبونها ليلة مميزة من ليالي العمر ؟!!

الوقت وقف بعناد ابله ، لا يريد ان يتقدم ، وانفاسه تتثاقل في لهاث لزج ، وراسه يدفع رقبته الى اسفل . وتتقارب رموش عينيه فتختلط امامهما الرؤيا . اشجار الرصيف المقابل تبدو بعيدة وقد تشابكت في عناق مضطرب . النور الباهت يرتجف وهو ينحسر الى الوراء . يداهما عاد يحس بوجودهما ، والبندقية اللعينة ترتطم في سقوطها بقدمه . والظلام يزحف نحو الشارع .. يبتلع كل شيء .. كل شيء ..

وبدا الليل يجري .. يجري منحسرا عن الشارع ، وكأنه يسرق شيئا عزيزا في غفلة من الحارس.. عندما فتح عينيه بجهد ، هجمت عليه مناظر جعلته ينتفض في مكانه. طلاء الحجرة الابيض ، والاسرة البيضاء المحتضنة لاجساد تغور داخلها ، واسطوانات حديدية بأنابيب تمتد لبعض الاسرة ، ورجال ونساء بملابسهم البيضاء يتحركون داخل القاعة الطويلة . الرائحة الغريبة تبعثه على الغثيان ، وصدره يضيق بالهواء الثقيل . حاول ان يرفع راسه.. لكنه اعاده باستسلام. وعادت بسرعة الى راسه احداث الليلة الماضية .. الشارع والسكون والظلام الزاحف ، والفجر الذي لم يأت.. والعيديات والكعك والشكرات، وحسنة وحمود وسعدية ، والضيوف القادمون من الجنوب ..

رفع يده القاسية لتمسح حبات العرق الخبيثة عن جبينه.. وليدفن راسه في الوسادة البيضاء ، وكأنه يهرب من كابوس مخيف .

بغداد — عبد الله رستم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



أغاني الشباب

ديوان احمد ابو المجد ـ ٨٧ صفحة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ـ مطبعة المعرفة بالقاهرة

هذا الشاعر تعرفه ديار العروبة شاعرا ، كما تعرفه جواب آفاق ، طوف في ليبيا ، والحجاز ، والسودان ، وجاب اقاليم مصر بين شمالها وجنوبها ، فترك في حله وترحاله انغاما حالمة من شعره العذب ، ونخبة من الصداقات العربية الغالية .

ومع أن ابا المجد لم يجاوز شرخ الشباب الا قليلا ، فانه من دعاة الشعر الكلاسيكي ، بل من غلاة المؤمنين به ، المدافعين عنه ، وهو من البقية الصالحة من الشعراء ذوي الديباجة القوية المشرقة ، والعبارة السهلة المألوفة ، والاسلوب المنساب ، الذي لا نجد فيه الاذن غربة ، ولا يجد الذهن معاسرة في التعرف على مضامينه ، كما لا تحتاج وانت تقرأ شعرهم الى معاودة ، لما بينك وبينهم من الفة .

ذلك الى ما تتميز به شخصية ابي المجد من هدوء العاطفة ، واتزان الانفعال ، وانسياب العبارة ، وبساطة الفكرة ، وكأنه حديث ينساب في العادي من شئون الحياة . ومن خلال هذا الديوان الوحيد الذي نشر له بعنوان اغاني الشباب تستبين الميزة الاكثر وضوحا في شخصية ابي المجد ، وهي طفولة القلب ، وعدم المبالاة ، والبعد عن الغرور . والآفاق التي يجول فيها شعر هذا الديوان محدودة بالابواب التقليدية ، ولهذا انحصرت اغراض هذه المجموعة في : الوطنية ، والحنين ، والطبيعة ، والغزل ، والشكوى ، والرثاء ، والاسلاميات ، والخواطر ، والتأملات ، والمديح ـ وان كان الشاعر قد وضع لبعضها اسماء اخرى .

لكن هذا التصنيف ليس حدودا دقيقة تفصل بابا منه عن الباب الاخر فصلا يجمع او يمنع ، فانك تستطيع بلا مشقة ان تضع كثيرا من القصائد في الابواب السابقة او اللاحقة دون ان تحتاج الى جواز مرور . فالشاعر يضع في باب الوطنيات قصائد : الوحدة الكبرى ، والقاهرة في عيد الثورة ، وعيد الوحدة ، وقاهر العدوان الثلاثي ، وما اشبه ذلك من الموضوعات والمناسبات . وفي باب الحنين يضع قصائد : حنين ، وغريب ، وذكرتك يا مصر ، وليالي الخرطوم ، وعلالة مشتاق ، وفي اصداء الطبيعة نقرأ : بين الاعاصير ، ونيل برقة ، والنيل ، وربيع ، والقصر المجهور ، وصداح ، وفي عالم الفضاء . ونحن عندما نقرأ قصائد هذا الباب الاخير ، لا نجد ما يميزها في الموضوع او في الاتجاه او في اللون العاطفي عن قصائد الباب السابق او اي باب اخر غير باب الطبيعة كما نفهمها ، وكذلك باب الغزل لا يفترق في معظم قصائده عن طابع قصائد الحنين .

هذه على اي حال مجمل اغراض الديوان كما رتبها الشاعر ترتيبا اتباعيا ، وهي وان بدت في ثوب تقليدي الا انها على جانب من التطور المحمود ، فوطنياته لا تعني الحديث عن وطن معين ذي حدود جغرافية ، ولكن وطن الشاعر هو العالم العربي كله ، بل هو العالم العربي الموحد ، الذي تحده وحدة الكفاح والتطلع والاقتحام والاستقلال والخروج من التخلف الى نطاق التقدم .

واولى قصائد هذا الباب هي قصيدة « الوحدة الكبرى » وفيها يقول :

في كل ارض للعروبة موكب
يحميه للعرب الكرام أبناء
وبكل قطر صيحة عربية
ألا يقيم على الحمى دخلاء

وفي قصيدة « عيد الوحدة » يقول الشاعر :

ما وحد الشرق في تاريخه حدث ... الا وكان له في دهره الغلب
وما تفرق شمل كان يجمعه ... الا تنازعه عاد ومغتصب
فالعرب قد ملكوا الدنيا بأندلس ... حتى اذا اختلفوا في امرهم ذهبوا

وفي باب الحنين نجده في ليبيا مشتاقا الى مصر ، فاذا جاء الى مصر حن الى الخرطوم ، وفي الخرطوم يود لو كان موطنه الدائم ارض الحجاز ، فليس وطنه ـ اذن ـ اقليما دون اقليم ، لكن اقطار العروبة كلها دياره ، لها في قلبه مكان غير محدود ، ففي قصيدته « ليالي الخرطوم » نسمع نبضات قلبه وهو يقول :

رعى الله اخوانا بها قد صحبتهم ... خلائقهم زاد المحب المسافر
وجدنا بهم اهلا على بعد دارنا ... واخوان صدق عهدهم غير غادر
عرفنا بهم شعبا الى المجد صاعدا ... يحطم اغلال الزمان المكابر
سقاء رحيق النيل عزمة صارم ... وقوة جبار ، ورقة شاعر
فان نسي الغادون عهدا بأرضه ... فأيامه البيضاء نجوى مشاعري

وفي هذه الابيات من صدق العاطفة وصدق التعبير ما يتفوق به الشاعر على نفسه ، لانها عامرة بحرارة الروح ، وقوة التدفق ، وسلاسة العبارة ، وعذوبتها .

وفي باب اصداء الطبيعة تمتزج نفس الشاعر بعناصر الطبيعة ، وتنعكس عليها رؤى ما في كيانه من مشاعر واحاسيس ، فليست مرائي الطبيعة هنا سوى اطار يحدد الصورة ، بل لقد يختفي الاطار حين تتجسد الصورة بما فيها من انفعالات بارزة ، تتحدث بشكوى الآلام للامواج والمنظر الساحر في « رؤى الغريب الحزين » الذي يستوي عنده الزهر والقفر :

تاو على الشط بين الزهر والماء ... اردد اللحن فياضا بأدوائي
اشكو الى الموج آلامي فيبعثها ... اتات مغترب عن الفه نائي
والريح تعزف الحانا مرتلة ... على الغصون تباعا او على الماء
وللطبيعة بدو منظر عجب ... يسبي الحزين بسحر منه وضاء
ما لي وللروض مختالا ببهجته ... وللطبيعة تفري اي افراء
سيان عندي بعيد الدار زاهرة ... من الرياض ، واخرى غير زهراء

والغزل عند الشاعر يدور كذلك حول الحنين ، ويسير في خطوط متوازية ، لا تتعدى اللقاء فالاعجاب ، فالتعلق ، فالهيام ، فالفراق ، فالحنين ، والمناجاة ، والحرقة ، والدموع .

وجمال المرأة عنده رقة وشاعرية ، ووجه وضيء ومحيا اغر ، وطرف فاتر فتاك ، وهذا هو الشيء المألوف في الجمال الانثوي ، اما الجديد ، او غير المألوف فهو ـ كما نرى عند شاعرنا ـ ان تكون الانثى ذات وجدان صاف ، وشاعرية مرهفة ، كما يقول :

هذا جمالك في القصيد عرفته ... ورأيت فيه اجمل الاضواء
ما زلت اذكر يا فتاتي ساعة ... فيها نعمت بوجهك الوضاء
ورأيت كأبة تخط بعينها ... كلما على القرطاس كالانداء

وربما كانت قصيدته « فراق » من النماذج المعبرة بوضوح عن نزعته في الغزل ، وربما كانت تلخيصا لهذا الفن من فنون شعره :

شفني الوجد ، واضناني السهر ... وجفا النوم ، واشجني الذكر
ذكريات من غزال شادن ... كلما رمت تدانيه نفر
هاجني نأي حبيب بعد ما ... فتن القلب محياه الاغر
اسر القلب ، وولى نازحا ... ليته ـ لما سباه ـ ما هجر
حملت ريح الصبا من نشره ... ارجا يزري بارواح الزهر
لو حكى الطير مناجاتي له ... ارقصت نجواه افنان الشجر

وفي الشكوى ، او « صيحات الالم » ـ كما سماها الشاعر ـ نجد الحياة في رايه خداعا للاماني ، لا خلاص منه الا باليأس ، وحتى اليأس في هذه الحياة محير ، لايدري الاحياء كيف السبيل اليه ، ولا خلاص من اليأس المحير والاماني الخادعة الا باعتزال الناس والحياة ، ففي قصيدته « حيرة » يقول :

الى اين اسري بعد ما ضاق مذهبي ... وسدت ضلالاتي سبيل رجائيا ؟
وماذا الذي ابغي ؟ وما ثم مغنم ... من الدهر الا ما يسر الاعاديا
وفي اذن من اشدو ؟ ولم يصغ مرة ... حبيب لاصدائي وفيض هتافيا
وماذا الذي اجتي من الدهر والورى ... وما كنت الا الشوك والشر جانيا

وقد يكون سبب العزلة تجاهل الناس للشاعر ، وسوء فهمهم او سوء رايهم ، وقد يكون احساسه بالضياع ، وتنكر الصحاب له :

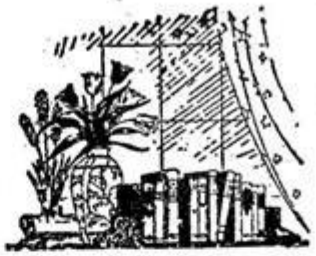
كأني في هذا الزمان قصيدة ... تدق على اهل الزمان معانيا
اساؤا لها فهما ، وما العيب عيبها ولكنها الالباب لم تدر ما هيا
وما عيب تبر لم يجد كف صائغ ... وما عيب در بات في البحر نائيا
وما عيب شمس يملأ الافق ضوؤها ... اذا صادفت من ليس بالنور داريا
دعاني ، فما جدوى صديق مصانع ... اذا جد جد كان كاللذب عاديا
ولا خير في ود اذا لاح مأرب ... لصاحبه امسى على الصحب جافيا
وما خير خلان اذا ما عددتهم ... على كثرة لم القى فيهم مثاليا

وفي باب الرثاء ثلاث قصائد ، تدور اثنتان منها حول موضوع واحد ، هو ولد الشاعر الذي فقده ودفنه في دار الغربة بصحراء « الديوم » بالسودان ، ولكن هذه الفلذة التي تركها هناك قربت هذه الصحراء النائية الى قلبه ، حتى لم يعد يعترف بهذه الغربة :

ولدي . فقدتك في بلاد لست فيها بالغريب
يا ليتني ـ لما فقدتك عشت في المثوى القريب
لابث قبرك ما يعاني القلب من الم الوجيب
كم نسمة هبت من الخرطوم طيبة الهبوب
اذكت بقلبي لوعة فبكيت بالدمع الصبيب
وبعثت في الانسام من جمر الهوى حر اللهيب
ما كنت الا فرحة في قلب والدك الكئيب
ما كنت الا انسه في ذلك الافق الرحيب
ما كنت الا زهرة في عيشه اقفر الجديب
انا لست انسى يوم رحت ـ وقد شكوت ـ الى الطبيب
فسقاك من كأس الدواء ـ بجهله ـ كأس الخطوب
فمضيت ، حيث دفنت في الصحراء ، في ظل الكثيب
لم يغن عنك بكاء باكية ، ولا شق الجيوب
وتساؤل الاخوات عنك ، وقد مضيت الى المغيب
يا ويح قبر لا يزار هناك في البلد الحبيب

اما في الاسلاميات فتبدو عاطفة الشاعر وقد اندمجت في هذا الخضم الزاخر بالابحاءات والالهامات الحافل بالاشعاعات ، فيفتي من قلب شفاف ، تسعفه ذكريات المجد ، ومجال الرسالات السماوية بقصائد رصينة ، مثل : « يوم بدر » ، و « المجد الخالد » و « في احياء البيت الحرام » التي منها :

اني لك مشتاقا بجوب الفيافيا ... ويستعذب الاهوال بالليل ساريا
اتى لك لا يدري ـ وقد زاد شوقه ـ ... الاقى صعابا في السرى ام امانيا
تحمل آلام الرحيل منعما ... وودع احبابا هناك غواليا
يؤم مكانا اشرق الكون بعدما ... اقيم به البيت الذي ظل عاليا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واضحى به الفخر اليباب مواردا ... وامسى به الخير العميم موانيا
فيا ايها الساري هنا ماء زمزم ... يروي الذي قد بات بالالم صاديا
ويا ايها الداعي هنا خير بقعة ... ارجى بها ان يستجاب دعائيا
الى ان يقول :
رعى الله عهدا في الحجاز قضيه ... فذاك هو العهد الذي ظل زاهيا
فلم ار في شرق البلاد وغربها ... مكانا سواه قد اثار فؤاديا
هنا منبت الفصحى ، هنا معقل النهى ، هنا منبع النور الذي ظل هاديا
عرفت به صحبا كراما ، كانهم ... بصحبتهم ما زلت في مصر تاويا
وماذا علي اليوم لو صرت ههنا ... مقيما ، وقد خلفت في مصر داريا
وان بني مصر واخوتهم هنا ... يزيدون ـ ما مر الزمان ـ تاخيا

على ان شاعرية الشاعر تبدو اكثر انطلاقا واكثر صفاء في دعاباته وطرائفه المرسلة على السجية، ومن هذا اللون مقطوعته الشيقة التي يداعب بها صديقه الشاعر الصحفي « خليل جرجس خليل » الذي صادفه يوما في حي الزمالك الحي الارستقراطي بالقاهرة ، حي السفارات ، ومرتاد السائحين ، وسكنى المترفين ، والعهد بهما ان بتلاقيا في الاحياء الشعبية ، حيث يسكنان ، او حيث يجتمعان في الندوات الادبية ، استمع اليه يداعب هذا الصديق :

ماذا اتى بك في الزمالك ؟ والشعر موطنه هنالك
في مثل حي انت تسكنه مع الاصباح حالك
في حي (شبرا) حيث ضاقت في شوارعها المسالك
لم الق قبلك شاعرا قد جاءها في مثل حالك
متفيئا ، متريضا وكانه للحي مالك
الشاعرون ديارهم في اي حي غير ذلك
اخليل انا ههنا غرباء في حي الزمالك
فاذا اردت هنا المقام فذاك وهم في خيالك

وبعد .. فهنا كلمة اريد ان اختتم بها الحديث عن الشاعر احمد ابو المجد وديوانه « اغاني الشباب » فهذا الشاعر طاقة جبارة، وهذه الطاقة جديرة بالانطلاق ، جديرة بالخروج من الصدفة الذاتية للشاعر ، والتحليق في الكون الارحب ، فلا تقتصر على الغنائية الذاتية ، بل لا بد لها ان تحلق مع المحلقين ما دامت تملك الجناحين والفضاء الطليق في دنيا العرب الحافلة بالاحداث والمواقف المليئة باحتمالات المخاض والانسلاخ كل يوم عن جديد . بل لا ارهق الشاعر من امره عسرا اذا ألححت عليه ان يخرج بشاعريته الى دنيا العالم باوسع معانيه وهو يعيش في عصر المعجزات . ومع ذلك فالشاعر مطالب في بداية الامر بان يحقق خطوتين اوليتين كبداية للتحرر، وهما:

اولا : ان يطور اسلوبه ، ليخرج من مجرد الصحة الى مستوى الجودة ، الى مستوى الابداع الفني .

ثانيا : عدم الانحياز الى جبهة ، او معاداة الجبهات الاخرى ، لان ذلك يفقده النظرة الفنية الشاملة ، ولذلك لا بد له من الاطلاع الحر المتجرد على ما تنتجه جميع الاتجاهات ، ومحاولة الانتفاع به في خدمة قضية الشعر والتحليق به ، فان الواقفين مكانهم في ثبات لا بد ان يتخلفوا من حيث لا يشعرون ،ما داموا لا يكترثون بزحف المواكب من حولهم .

القاهرة — رضوان ابراهيم

●

الموقع الستراتيجي العربي

تاليف الدبلوماسي هيثم الكيلاني ـ ٣٠٠ صفحة ـ الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سورية

ان الذين عرفوا المؤلف النابغ الاستاذ هيثم الكيلاني في شوقه الى اظهار المآثر الحربية العربية والعكوف على التاليف الحماسي ، وهو الرجل الذي تمرس بالشؤون العسكرية متقلبا في مناصبها الكريمة، ان الذين عرفوا مواهبه الفذة ، يضيفون اليها خبرته القويمة في كتابه الجديد الذي سماه : « الموقع الستراتيجي العربي » .

فمنذ هب العرب في نهضتهم المعاصرة ، لفتوا انظار الامم الكبرى المستولية على السياسة الدولية وتصرف الشؤون الاستعمارية ، فكان للعرب في بلادهم ونهضتهم الحديثة اثر بعيد في السياسة الدولية ، وقد اصبحت بلادهم في موقع حربي واستراتيجي في نظر التخطيط الحربي المعاصر .

من عناصر هذا الكتاب كلام المؤلف على الموقع الجغرافي للوطن العربي ، وقد لزم ان يستتبع ذلك كلامه على الجغرافية الطبيعية لهذا الوطن العزيز في مساحته وعدد سكانه وطبيعة اديان اهليه ولغاتهم الفصحى والامية ولهجاتهم الخاصة ، ثم دخل المؤلف في نطاق الجغرافية الاقتصادية والجغرافية البشرية والتخطيطية ، حتى لم يغادر في هذا الموضوع العلمي ما يتطلبه القارىء المثقف في هذا الموضوع العلمي الدقيق . واذا كان البترول في عصرنا هو عصب الامم والمادة الاساسية في تطورها وماليتها وجلب الانظار اليها وادرار الخير عليها . وكان نصيب الامة العربية من هذا الفيض الالهي النابع من اجواف الارض مدرارا في الديار العربية ، وقد صب عليها مع المال البلاء وبعث التزاحم على ودها من اجله ، فان المؤلف الفاضل تناول البحث في البترول العربي ، في السياسة العربية المتبعة من اجله وعلاقة العرب الذين تنبع آباره الثرارة من ارضيهم مع الشركات الاجنبية وسوى ذلك .

وقد تكلم بكتابه هذا النفيس على وضع الوطن العربي ضمن الستراتيجية الاجنبية فمارس البحث الذي خلاصته ان لكل امة حسب موقعها الجغرافي وتقدمها في المجالات الحضارية المعاصرة منزلة خاصة في الوجود ، فان الستراتيجية الاجنبية اخذت تنظر الى الوطن العربي بان له موضعا استراتيجيا مرموقا . وقد ادركت الامم الاجنبية في المدة الاخيرة ان الاستعمار ماض بطريق التصفية في الوجود ، وانه لم يعد بالامكان التسلط على الشعوب العربية وجذبها الى الانحياز الاجنبي . وقد تبسط المؤلف في هذا الموضوع حين تكلم على مواقف الامم الاجنبية وبخاصة البريطانية والاميركية والاتحاد السوفييتي من الوطن العربي .

وكان من الطبيعي ان يعنى المؤلف بالموقع الحربي الاسرائيلي الذي يحتل جهة القلب من الحوض المتوسط حيث تحيط ببره البلاد العربية من تخوم لبنان الى حدود مصر . وكيف قامت المبادىء الصهيونية لارساخ الشرذمة المغتصبة اليهودية واحتلالها فلسطين .

ان كلمة « ستراتيجية » دخلت بمدلولها البحوث العسكرية والاقتصادية المعاصرة فكان على المؤلف ان يبصر العرب بموقع بلادهم الستراتيجي في تطور التعاون العسكري العربي والمعاهدات الدفاعية المشتركة ، ودور الجامعة العربية ، والقيادة القومية ، وتوحيد القوى العربية وقد قام بذلك على اوفق سبيل .

وكذلك فان كلمة « التكتيك » الاجنبية دخلت في المداولات العلمية العربية ، فاخذ المؤلف في ظلال هذا التعبير بين الحالة الحربية الراهنة ، للامم العربية في تطبيق المعاني المتوخاة لهذه الكلمة ، لتكون الامم العربية على اهبة عتيدة للدفاع عن الحوزة وحماية الذمار تلقاء العدو المقيم على ربض من ارباضها او الدامر عليها .

وبدخل المؤلف في موضوع بعد من اخطر الموضوعات التي بدلت وجه عصرنا وهو (القدرة الذرية) اذ انه السلاح الوحيد الذي طفقت الامم الكبرى تعده لسلاحها الجديد ، ومتى كان سلاح الامم العربية مناصبا لذلك فقد كفلت خلاصها في مداهمات الزمن .

وجعل المؤلف في كتابه مجالا للكلام على اختصاصه في الدبلوماسية العربية فابان دور السلك السياسي العربي في مواجهة المشاكل الدولية ومقاومة الجرف الاستعماري والزحف الاجنبي وابان المؤلف النابغ الموهوب في سلكه ما يجب ان يتحلى به الدبلوماسيون العرب من الحذق والمقدرة والثقافة لينشطوا في جميع اقطار الارض ببث الوعي العربي واعلام الامم جمعاء بمنزلة الامة العربية وقدرة شعوبها التي نهضت بحمد الله ، فكادت تجاري في رقيها الامم الراقية الكبرى .

دمشق — زكي المحاسني

•

قصص واساطير من الادب الكردي

تاليف صالح رشدي — ١٠٤ صفحة — منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت

من الفنون الطريفة النافعة : الحكايات الشعبية ، هذه التي تنقل شفاها من جيل الى جيل حاملة المتعة والانس .

واذا اوشكت « المدرسة » ان تجهز عليها ، تهيأ لها في الحضارة الغربية القائمة سبب جديد للبقاء ، وذلك بنقلها عن لسان العجائز الى لغة فصيحة سليمة واثباتها في الكتب مما ييسرها للناشئة الجديدة ، فتقرؤها فتصغي وتطرب — انها تراث انساني جليل .

الحكايات في كل مكان ، مثل كثير من الكنوز ، ولكن المهم ان تقدرها قدرها وان تحتفظ — اذ تنقلها الى الكتاب — بسذاجتها وطراوتها واسرار فنها التي ضمنت لها البقاء ودلف جوهرها الى روائع القصص الحديث . هذا شرط في النقل ، وما كل من نقل نقل .

ونحن اليوم ازاء كتاب « قصص واساطير من الادب الكردي » ، وقد عزم مؤلفه الاستاذ صالح رشدي ان يجمع فيه عددا من الحكايات الكردية ، يجمعها بلغة القوم اولا ، ثم يترجمها الى اللغة العربية ، فعرض نفسه بذلك الى جهد مضاعف ، ولكنه نجح في المهمة .

انك تقرأ وتانس ، اقول تقرأ ، لان هذه الحكايات تراث انساني عام يقرؤها الطفل فيستمتع لانها في متناول ادراكه ومتناول خياله كانه يجد نفسه فيها ، ويجد احلامه ، ويجد تاريخا طويلا من الطفولة لم تغيره الدهور ولم تعبث به الايام ، كانه يخرج الى العالم لاول مرة ، ويقرؤها الكبير فيستمتع ويستفيد لانها ثمرة تجارب طويلة ولان فيها اوله الذي لم ينته — ومن قال ان الحكايات للاطفال فقط !

تقرأ في المجموعة : « بائع العقل » او « صراع بين العقل والمال » او « البطل » فتجد ان هذه الحكايات التي صاغها الاكراد تشبه الحكايات التي نسجتها الشعوب الاخرى ، لان منحى « العقل » الانساني في فطرته واحد ، ولا بد من ان يكون المؤلف المجهول اخا لمؤلف مجهول عربي ومؤلف مجهول غربي ... وان يكون المفهوم الاول للفن واحد ، ولا بد من ان يكون التطور — فيما بعد — متقاربا ، وان يلتقي في طريق واحدة ..

لقد كان المؤلف المجهول مضطهدا ، وقد تامل في اضطهاده طويلا ، فوجد فيما يؤلف من حكايات متنفسا ، كان عاقلا ولكن السعادة من حوله لدى الجاهلين ، وكان فقيرا والمال بيد من لا عقل له ، وكان يعمل ويكدح ولكن المجد يذهب الى من سواه والاكاليل يعقد على جبين القاعدين ، فما العمل ! اليد قصيرة . ويخلو الى نفسه ويثور وتستحيل حسراته نوعا من الكلام يخفف بعض بلواه .

والمسالة اكثر من تخفيف ، انها وسيلة يبث بها افكاره من دون ان يناله عقاب ، واسلوب ياخذ منه كل قدر ما يستطيع ان ياخذ ، اما الباقي — وقد يكون الاكثر — فيدخر للاخرين ، سيأتون — مهما يطل المدى — فياخذونه ويفهمونه وينتصرون للقائل .

ان الحكاية كانت — فيما كانت — جدا مرا ، ومجالا ينتقم به القاص المضطهد لنفسه ، فيمكن لها في الارض وينصر العقل على المال والحق على الباطل ، ويدع الناس يتفنون بذلك — علموا او لم يعلموا ، قصد او لم يقصد .

اجل هكذا يبدو امر في دنيا الحكايات ، وهذا ما اثارته — في الاقل — قراءة لحكايات ثلاث من مجموعة « قصص واساطير من الادب الكردي » .

نرجو المزيد ونامله .

الرياض — علي جواد الطاهر

•

الادب العربي

للمستشرق الاسباني خوان فيرنيت — باللغة الاسبانية — ٢٧٠ صفحة — منشورات دار لابور في برشلونة

منذ مدة قصيرة حمل الي البريد كتابا لطيف الحجم ، انيق الاخراج ، يحمل غلافه الخارجي الاول — الى جانب اسم الكتاب ، واسم المؤلف ، واسم السلسلة — لوحة من الخط العربي الكوفي فيها آيات من القرآن الكريم . اما عنوان الكتاب فهو (الادب العربي — Literatura Arabe) واسم المؤلف (خوان فيرنيت — Juan Vernet) واسم السلسلة التي صدر فيها الكتاب (مجموعة لابور الجديدة) ، وهي سلسلة كتب تصدر عن دار (لابور للنشر) في برشلونة ، في اسبانيا . ويقع الكتاب في نحو ٢٧٠ صفحة من القطع الوسط . وهو مطبوع طباعة انيقة باللغة الاسبانية .

اما المؤلف فهو استاذ كرسي اللغة العربية في جامعة برشلونة. وفي التعريف باهمية الكتاب بالنسبة الى القارىء الاسباني يقول الناشر في زاوية الغلاف الاول : « بهذا الكتاب يقدم لنا اخوان فيرنيت تعريفا ممتازا بهذا الادب الساحر المدهش الذي يثير اهتمامنا لسببين : الاول هو انفتاحه الحديث على الآداب العالمية ، والثاني هو ما له من صلة بادبنا نحن الاسبان » . وهذه العبارة الاخيرة فيها اشارة نبيلة كريمة الى صلة الشعب الاسباني بالحضارة العربية والتاريخ العربي الاسلامي . ونلاحظ كيف يذكر الاسبان هذه الصلة التاريخية باعتزاز وتقدير ، ولا يخجل من كونهم خضعوا قرونا طوالا (لاستعمار اجنبي) بخضوعهم للحكم العربي الاسلامي .

ونحن نشعر كذلك بالتقدير والاكبار للشعب الاسباني ، وللصلة التي ربطت تاريخنا بتاريخه ، ووصلت حضارتنا بحضارته ، فكان من حصيلة ذلك المزج الحضاري هذه النهضة التي يتمتع بها اليوم العالم الغربي بأسره .

واذا كان الناشر الاسباني يرى لكتاب الاستاذ خوان فيرنيت هذا اهمية كبيرة بالنسبة الى الشعب الاسباني ، فما احرانا نحن ايضا بان نرى له اهمية كبيرة بالنسبة الى العرب ، اصحاب هذا الادب الذي يقدم الاستاذ فيرنيت تاريخه ونماذجه الى الشعب الاسباني، متدرجا معه ومع ادبائه من العصر الجاهلي الى الى العصر الحاضر .

في المقدمة التي كتبها المؤلف دراسة لطيفة جدا للشعر العربي. واهميتها انها تشرح للقارىء الاسباني طرازا من الشعر والعروض يختلف كل الاختلاف عن الشعر الغربي اسلوبا وتعبيرا . ومن اطرف ما في هذه المقدمة التفاصيل العروضية التي اوردها المؤلف ، ثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● افريقيا : دراسة لمقومات القارة ـ تاليف الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول ـ ٥٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مع سجل مصور ـ منشورات دار النهضة العربية ببيروت ـ مطبعة سامي المتنبي الجديدة ببيروت

● بلادي تبيعون ـ شعر ـ خليل فاخوري ـ ٧٨ صفحة ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● صور من الجهاد ـ الجزء الثاني ـ تاليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع القصيم بالرياض

● مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع ـ ترجمة وتاليف الدكتور عبد الرزاق مسلم الماجد ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات دار المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● اغان على الدرب ـ مجموعة شعرية ـ محمد مصطفى عبد الرزاق ـ مصمم الغلاف سعيد احمد الحاج يونس ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار اللواء ـ مطبعة الرافدين في القامشلي سورية

● الادب الجزائري المعاصر ـ تاليف الدكتوره سعاد محمد خضر ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● في القصص العراقي المعاصر ، نقد ومختارات، تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● احزان صحراوية ـ مجموعة شعرية ـ تيسير سبول ـ ١١٨ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● رجل المفارة ـ مسرحية من فصلين ـ تاليف جرجي نقولا ـ ٩٠ صفحة ـ طبع منها ١٠٠ نسخة فقط ـ طبعت في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الرحلة الثامنة ، دراسات نقدية ـ تاليف جبرا ابراهيم جبرا ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● المصيبة في حياة العرب ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٤ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور سورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● قصص واساطير من الادب الكردي ـ تاليف صالح رشدي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● اوراق مسافر ـ تاليف امين نخلة ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ـ مطبعة المطبعة في جونية لبنان

شروحه لالوان من الشعر العربي ظهرت في الاندلس ، كالموشح ، والزجل ، والقوما ، والكان وكان . ولست اشك في ان الطريقة التي شرح بها هذه الانواع من الشعر ، والنماذج التي اوردها لشعراء مختلفين (مكتوبة بحروف لاتينية ، والى جانبها معناها بالاسبانية) تثير لدى القارىء الاسباني اهتماما كبيرا بهذا الشعر الذي لا يعرفه ، ولا يعرف ما يماثله .

وبعد المقدمة يمضي الاستاذ فيرنيت في الحديث على : (الشعر الجاهلي ـ النثر العربي القديم والقرآن الكريم ـ العصر الاموي ـ الشعر في العصر العباسي الاول ـ النثر في العصر العباسي الاول ـ الشعر في العصر العباسي الثاني ـ النثر في العصر العباسي الثاني ـ عصر الانحطاط ـ تباشير النهضة الحديثة في مصر ـ النهضة في الاقطار العربية الاخرى ـ الصلات بين الادبين العربي والاسباني)

ولعل هذا الفصل الأخير المتعلق بالصلات بين الادب العربي والادب الاسباني من اهم الفصول بالنسبة الى القارىء العربي ، فهو يود ان يعرف ما يقوله المؤلف في هذه الصلات ، واوجه التشابه بين الادبين ، او الآثار التي تركها كل منهما في الاخر .

اما ان هناك تأثرا متبادلا بين العرب والاسبان ، وبالتالي بين الفكر العربي والفكر الاسباني ، فهذا مما لا شك فيه : فارتباط الشعبين بمصير واحد طوال ثمانية قرون لا يمكن ان يمضي دون آثار متبادلة من الجانبين . ونحن نعلم ان العرب تركوا اكبر الاثر في الفكر الاسباني بشكل عام ، ولكننا نعلم كذلك ان صلة العرب بالاسبان قد ادخلت في الادب العربي ـ والشعر منه بنوع خاص ـ وكذلك في الحياة العربية عامة ، عناصر جديدة من الرقة ، ولطف الخيال ، ودلائل النعمة والترف واللذة . وقد ظهرت هذه الآثار كلها في الموشحات الاندلسية والزجل ، مما لم يكن له مثيل من قبل في الشعر العربي .

كذلك لسنا ننسى كم ترك العرب من لفتهم في لغة الاسبان الى يومنا هذا . كما لا ننسى ان اوروبا كلها كانت في العصور الوسطى في حاجة الى تعلم اللغة العربية لاجل الاطلاع على كنوزها الثمينة ، في عهد الحكم العربي في الاندلس ، ولكي تبني عليها حضارتها الجديدة . وهذه الناحية بالذات اهتم بها المؤلف كثيرا في كتابه ، واورد عنها العديد من الامثلة . كذلك اشار الى اثر الشعر الاندلسي في شعر التروبادور ، وقال ان هذا الاثر من الامور التي لا جدال فيها ، سواء في الشكل ام في الموضوع . وفي يقيني ان هذا الفصل ، بشكل خاص ، يعتبر شهادة ثمينة على اهمية ادبنا العربي في عصوره المختلفة .

وجدير بالذكر ان الفصل الذي وقفه المؤلف على النهضة الادبية المعاصرة قد جاء في اكثر من ٥٠ صفحة . والقسم الاكبر منها للحديث عن النهضة في مصر . وقد تطرق الى الحديث عن النهضة في الاقطار العربية الاخرى كذلك ، وبكثير من التفهم والانصاف . ومع انه قد اهتم اهتماما كبيرا بجيل الشيوخ من الادباء في مصر والاقطار الاخرى ، الا انه لم يغفل البارزين من شعراء الجيل الجديد ونائريه ، وعلى الاخص في لبنان والعراق . ولم ينس ادباء المهجر ، فخصص لهم بضع صفحات تحدث فيها عن كبارهم ، ولا سيما اعضاء الرابطة القلمية .

ان هذا العرض الخاطف لا يكفي لاعطاء صورة وافية عن الكتاب، ولكن القصد منه بيان الجهد الكبير الذي بذله المؤلف لخدمة الادب العربي خدمة جادة . وهو بهذا جدير منا بالشكر والتقدير لعمله الجليل وقصده النبيل .

عمان — عيسى الناعوري



جولة الأديب في شهر

رسالة دكتوراه عن رشيد رضا للدكتور احمد الشرباصي

في مساء يوم الاثنين ٧ من المحرم سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٧ من ابريل سنة ١٩٦٧م امتلأت قاعة الشيخ محمد عبده الكبرى في جامعة الازهر بالقاهرة بمجموعة ضخمة من كبار القادة والعلماء والشعراء والشباب، ليشهدوا مناقشة الرسالة التي قدمها الدكتور احمد الشرباصي لنيل درجة الدكتوراه في الادب العربي من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وكان موضوعها : « السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : عصره وحياته وجهوده الادبية واللغوية » . وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور محمد نايل رئيس قسم الادب بكلية اللغة ، والدكتور عبد الغني اسماعيل استاذ الادب بها ، والاستاذ محمد خلف الله احمد عضو مجمع البحوث الاسلامية والمجتمع اللغوي والمجلس الاعلى للآداب وعميد معهد البحوث والدراسات العربية . وبعد مناقشات استغرقت نحو ثلاث ساعات تقرر منح صاحب الرسالة درجة الدكتوراه بالامتياز مع مرتبة الشرف الاولى . وفيما يلي الكلمة التي ارتجلها الدكتور احمد الشرباصي لعرض رسالته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه .

في سنة ١٩٣٩ اخذت اطلب العلم في كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وهاانذا بعد ما يقرب من ثلاثين عاما ، اقف في رحابها حيث كنت : طالب علم يتطامن امام جلاله ، ويرتدي ثوب الاعتراف بقصور المعرفة ، مع الرغبة الطامحة الى مزيد الاغتراف منها ، واذا كان الاثر الاسلامي يقول : «منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال » فاني اسأل الله عز شانه ان يجعلني خير هذين المنهومين على الدوام .

أقف لاقدم رسالتي للدكتوراه في الادب العربي عن « السيد محمد رشيد رضا » صاحب مجلة المنار ، وصاحب تفسير المنار ، وصاحب المؤلفات والمقالات التي شرقت وغربت ، وأكبر تلاميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وخليفته من بعده ، والذي قال عنه أمير البيان شكيب أرسلان انه لا يمكن ان يكتب تاريخ الاسلام دون أن يكون لرشيد رضا فيه « مقام كريم وبرهان ساطع » ، والذي قال فيه الشيخ المراغي انه أحد المجددين .

ومهما اختلف المادحون لرشيد رضا والقادحون فيه ، فهو رجل قد عاش عصره واثر فيه ، واتصل بأغلب اعلامه واحداثه ، وكتب في اغلب الوان الكتابة ، وترك من خلفه تراثا فكريا ضخما سيظل موضع النظر والتقدير من كل منصف الى مدى بعيد ، وهو رجل متعدد الجوانب والمواهب ، فهو عربي يبكر في الاشتغال بالقضايا العربية ، ويسهم في مناصرتها بالفكرة والكلمة والمشاركة العملية ، وهو مفكر اسلامي ، فيه روح الداعية الى الله تعالى ، الغيور على دينه وتعاليمه ، الساعي لحسن الجمع بين عروبته واسلامه ، وهو صحفي يسبق الى الاشتغال بالصحافة ، منشئا لها ومصدرا وناشرا ، وكاتبا في كثير من الصحف والمجلات هنا وهناك ، وهو مفسر للقرآن الكريم بأسلوب عصري ، وباستصحاب لطريقة الاستاذ الامام في تفهم النص الالهي المعجز ، وهو محدث ، يروي الكثير من احاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويسندها ويخرجها في عناية ودقة ، وهو ناثر يكتب عشرات الآلاف من الصفحات في شتى الامور والموضوعات ، وهو شاعر يقول الشعر مقطعا ومقصدا وراجزا ، وهو لغوي يعنى باللغة العربية القرآنية المجيدة ، بحثا فيها ، وتعريفا بكنوزها ، ودفاعا عنها ، ودعوة الى التزامها، وهو خطيب يردد صوته على منابر الدين والسياسة والقومية والاصلاح ، وهواجتماعي يراسل اهله واقاربه واصدقاءه ، ومعارفه وغيرهم من العلماء والادباء والزعماء .

واذا كانت حياة رشيد رضا قد امتدت خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، والثلث الاول من القرن العشرين ، ولحق بربه منذ اكثر من ثلاثين عاما، فان في شخصيته وتراثه ملامح تشبه الى حد كبير طائفة من الملامح الفكرية والقومية والاجتماعية التي تتألق في مجتمعنا اليوم، فهو قد دعا ـ في اثناء الطغيان التركي على الكيان العربي ـ الى استقلال العرب وعزة العرب ووحدة العرب ، وبدت منه بواكير ذلك قبل افتتاح القرن العشرين ، حتى اوذي مع طائفة من رفاقه بسبب اتهامهم بالدعوة الى خلافة عربية في الوطن العربي الكبير . وهو قد الح في تبيان ان اللغة العربية هي ارسخ مقومات القومية العربية ، وهي فوق ذلك لغة القرآن ولغة الاسلام ، ولذلك القى عليها رداء القداسة فوصفها مرارا بانها « اللغة المقدسة » ،فاذا كان تعلمها واجبا قوميا على كل عربي ، فان تعلمها واجب شرعي على كل مسلم ، وهو القائل: « لا يحيا الدين الا باحياء لغته» ، والقائل :

لا يرتقي الشعب بلا علم، ولا حياة للعلوم الا باللغى

وهو قد بذل جهودا كبيرة ومبكرة لتوثيق علاقات الاخوة والمحبة والوحدة بين مصر وسورية ، من اواخر القرن الماضي الى وفاته في اغسطس سنة ١٩٣٥ ، وكان يقول ان له وطنين : الاول هو سورية وطن الميلاد ، والاخر هو مصر وطن الاقامة والجهاد .

وهو قد قاوم بلسانه وبنانه الاحتلال والاستعمار ، وجاهد بقوله وعمله ضد الطاغين والمتجبرين والمترفين ، وتحدث اكثر من مرة عن مبادىء العدالة الاجتماعية ، والديمقراطية الاسلامية ، والغيرة الوطنية ، والكرامة القومية ، وتلك مبادىء كان الحديث عنها والعمل من اجلها احد الملامح البارزة لمدرسة جمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده ورشيد رضا وشكيب ارسلان وغيرهم.

وهو قد كان من السابقين الى المناداة بانقاذ المرأة من جهالتها ، وباعطائها حقوقها العادلة ومكانتها المشروعة ، مع تحصينها بحصانة الدين ، ومناعة الاخلاق ، ولذلك ايد مع شيخه الاستاذ الامام دعوة قاسم امين الى تحرير المرأة ، وان اساء استغلالها بعد ذلك كثيرون ، ونوه بطلائع النهضة الادبية من النساء ، كملك حفني ناصف « باحثة البادية » ، ومي زيادة ، ووردة اليازجي ، وغيرهن .

وهو قد وجه الانظار والافكار منذ وقت مبكر الى العناية بالادب الشعبي والفن الشعبي « الفولكلور » ، لا لتكون تلك العناية مفتاحا لتثبيت اقدام العامية او الاجحاف بحق الفصحى ، بل لتكون وسيلة الى الارتقاء بالادب الشعبي ، حتى يدنو من حمى اللغة الفصيحة ، فتأخذ الفصحى مسالكها الى اسماع الشعب وافهامه ، وبذلك تعز وتسود .

ومن خلال هذا التصوير السريع لشخصية رشيد رضا وجهوده استطيع ان اذكر الدوافع التي دفعتني الى اختياره موضوعا لرسالتي للدكتوراه التي اعرضها الان ، ويمكنني اجمال هذه الدوافع فيما يلي:

اولا : رشيد رضا في ذاته يستحق ان يكون موضوع دراسة واسعة ، فهو علم من اعلام عصره ، وله تراثه الفكري الادبي الضخم، ولم يسبق لاحد ان قدم عنه دراسة لادبياته ولغوياته بالطريقة التي سرت عليها ، بل لم يسبق لاحد ان تحدث بالتفصيل عن عصره وحياته وجهوده بالصورة التي حاولت تقديمها .

ثانيا : رشيد رضا صديق لامير البيان شكيب ارسلان ، وزميل له في كثير من الاتجاهات ، والحياة الفكرية لكل منهما تلتقي كثيرا بشقيقتها وتتكامل معها ، ومنذ سنوات قدمت لدرجة «الماجستير» دراسة عن امير البيان كانت موضوع تقدير كريم من الاستاذين الكبيرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسحق موسى الحسيني والاستاذ محمد خلف‌الله احمد، فكان من الطبيعي ان اتجه الى رشيد بعد ان اخذ شكيب من جهدي ووقتي ما اخذ ، ولعل هذا هو مبعث ربطي احيانا بين جهدي مع شكيب وجهدي مع رشيد .

ثالثا : ناصر رشيد رضا الادب الاسلامي ، وكان له في تراثه الضخم جانب ملحوظ ، وآمن بالترابط الوثيق بين العروبة‌والاسلام ، فلم يكن عجيبا ان اعنى بدراسته ، وانا اومن بشعار اردده وامجده ، وهو : العروبة وعاء الاسلام ، والاسلام روح العروبة ، واومن فوق هذا بأن الادب الاسلامي ما زال بحاجة الى العناية والرعاية .

رابعا : رشيد رضا من مفكري العصر الحديث وكتابه ، ولقد طال بنا عهد مضى ونحن نتحدث عن السابقين القدماء من الادباء والشعراء ، *والعصر الادبي الحديث ما زال يطالبنا ببقايا ديون‌مستحقة* له عندنا ، واذا كان بعض رجال‌هذا العصر قد اسعدهم الحظ فوجدوا من يبدىء في القول عنهم ويعيد ، فما زال فيه رجال لم ينالوا حقهم من العناية والتقدير ، ومن هؤلاء السيد محمد رشيد رضا .

خامسا : رشيد رضا ـ كما عرفنا ـ لبناني المولد والنشأة ، مصري الاقامة والوفاة ، فدراسة حياته وادبه فيها معنى التوثيق للروابط بين قطرين من اقطار الوطن العربي الكبير ، ومصر ـ وهي الام العربية الكبيرة ـ اولى من غيرها بأن يمتد بصرها الادبي النفاذ الى ارجاء هذا الوطن لتزداد تعرفا اليه وتعريفا بأحواله ورجاله .

سادسا : اتصل رشيد رضا بالبيئة الازهرية ، ناقدا تارة ، ومؤيدا تارة ، ومهما يكن موقف رشيد من الازهر او الازهريين ، فالحديث عنه لا يبعد من الحديث عن الازهر الشريف الرابض كالاسد على طريق الخلد والابد ، معقلا للعروبة ، وحصنا للاسلام ، وما زلت اومن بشرف النسبة الى هذا الجامع الازهر المجيد .

كانت الدوافع الى البحث ـ اذن ـ كثيرة ، فهل كانت كثرتها معوانا على سهولة البحث ويسره ؟. تمنيت لو كان الجواب كلمة : نعم . ولكن حياة السيد رشيد رضا ضخمة ، وتراثه الفكري كبير متشعب ، وقد جمع في حياته وجهوده وآثاره بين الدعوة الدينية ، والفكرة الاجتماعية ، والروح القومية ، والوجهة السياسية ، والنزعة الادبية ، والغيرة اللغوية ، وتلاقت هذه النزعات والاتجاهات ، وتضافرت احيانا ، وتنافر بعضها مع بعض احيانا اخرى ، فاذا جاء الباحث ليبحث هذه الشخصية من زوايا معينة ، كالنواحي الادبية واللغوية ، احتاج الى ان يخوض عباب هذا المحيط ، ويصطبر على امواجه وتياراته ، حتى يتم عملية الفصل والتمييز بين ما يدخل نطاق البحث وما يخرج منه ، وما يدنو اليه وما ينأى عنه ، وان كان من المقرر اننا لا نستطيع ان نفصل فصلا تاما بين جانب من آثار الكاتب وجانب اخر منها .

وشغلني هذا العباب اربع سنوات من حياتي ، ابحث عن رشيد واقرأ له واكتب عنه ، بل كنت انتفع قبل ذلك في موضوعه خلال بحثي عن شكيب ارسلان وترجمتي له ، وجمعت آثار رشيد وطالعتها فاحصا ، وفي طليعتها مجلة المنار وهي في اربعة وثلاثين مجلدا ، وتفسير المنار هو في اثني عشر مجلدا ، وحصلت على اكثر ما خلف رشيد من اوراق ورسائل ، وقضيت ما يقرب من نصف عام اغربل اوراق رشيد ورسائله وقصاصاته ، وحصلت من وراء ذلك على‌فوائد جمة ، ورد جانب منها في رسالتي ، وبقيت منها اشياء واشياء ادخرها لمجالات اخرى من البحث ان شاء الله .

ثم تنقلت بين لبنان وسورية وفلسطين والاردن واليمن‌والسعودية، وانا لا ادخر وسعا في جمع ما يتعلق بموضوعي او يقرب منه ، واستنبأت مراجع مطبوعة قاربت ١٥٠ مرجعا ، واكثرها مراجع‌واسعة مبسوطة ، ورجعت الى اسرة رشيد ، وتلاميذه ، ومعاصريه ، سواء اكانوا مؤيدين له ام ناقدين ، فاخذت من افواه هؤلاء الذين اسميهم « المراجع الحية » كثيرا من المعلومات عن رشيد ، واذكر منهم‌الاساتذة الفضلاء : محب الدين الخطيب ، عبد السميع البطل ، محمد ابو زهرة ، طه حسين ، عثمان امين ، عبد الرحيم عاصم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، محيي الدين رضا ، طاهر الطناحي ، عبد الله امين ، عبد الجليل عيسى ، عبد المنعم خلاف ، المعتصم رضا ، شفيع رضا ، نعمى رضا ، « ام شفيع » زوجة رشيد عليه الرحمة والرضوان.

هذا ولقد جعلت بحثي في ستة ابواب ، كل باب منها يندرج تحته عدة فصول او اجزاء .

وكان الباب الاول بطبيعة الحال عن « عصر رشيد رضا » الحافل بالاحداث والوقائع ، المتعدد الالوان والاتجاهات ، ولقد سبق لي ان تحدثت عن هذا العصر في اثناء دراستي لشكيب ارسلان ، لان‌الرجلين متعاصران ، وحاولت مع رشيد الا اكرر ما كتبت ، فزدت هنا واضفت، وحرصت على امر جديد له قيمته ، وهو ان اجلو ملامح هذا العصر من خلال ما كتبه رشيد او نشره ،فاستعنت بمجلة « المنار » التي تشبه دائرة معارف اسلامية ، واستعنت بآثار رشيد نفسه ، وحاولت قدر طاقتي ان اربط بين عصر رشيد ورشيد ذاته من ناحية تأثره بالعصر وتأثير عصره فيه ، وما كان هناك من ظلال لذلك في ادب رشيد .

واستعنت في هذا التصوير برسائل خطية وفقت للعثور عليها لرشيد رضا ، وشكيب ارسلان ، واحمد فتحي زغلول ، وغيرهم ، وهذه الرسائل لم تنشر من قبل ، وفي نشرها قيمة ادبية وتاريخية لا تنكر ، وصححت في هذا الباب طائفة من الاخطاء التي وقع فيها الكاتبون عن عصر رشيد ، او عن رشيد نفسه .

واما الباب الثاني فهو عبارة عن « حياة رشيد » .

وقد استطيع ان ازعم انه لم يسبق لاحد ان ترجم لحياة السيد رشيد رضا ترجمة مفصلة وافية كما فعلت ، وهناك من كتب عن رشيد كتابة لا انكر قيمتها او مكانتها ، ولكنها اما ان تكون كتابة غير متكاملة ، واما ان تكون ترديدا لما كتبه رشيد عن نفسه ، بعد تحويل ضمائر المتكلم الى ضمائر الغائب .

لقد تابعت رشيدا من مهده الى لحده ، ولم اترك كبيرة او صغيرة ذات قيمة في حياته الا رصدتها وسلكتها في سمط ايامه المتوالية ، فتحدثت عن اصله واسرته ، وعن مولده ونشأته ، وعن تعلمه وهجرته ، وعن تنقلاته ورحلاته ، وعن صلته بالاستاذ الامام وغيره ، واصداره المنار وتفسير المنار ، وما كان له في مجال‌السياسة والاجتماع ، وعن زواجه واولاده ، وعن اخلاقه وعاداته ، وعن اضطراب علاقته ببعض الناس ، فقد صادق ثم عادى ، وظاهر ثم نافر ، وضربت امثلة لذلك في علاقاته بالشريف حسين بن علي ، والشيخ حسين الجسر ، والامير شكيب ارسلان ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، والاستاذ عبد العزيز جاويش ، والشيخ مصطفى المنفلوطي .

ولم يفتني ان اذكر ما يبدو من عيوبه كالحدة وسرعة الانفعال ، وكثرة الحديث عن النفس ، وحرصه على عبارات المديح من غيره ، وتناقضه في بعض الاحيان ، ولم ادخر وسعا في التماس العذر لبعض ما يؤخذ عليه ، ذاكرا قول امير الشعراء احمد شوقي :

رزقت اكرم ما في الناس من خلق اذا رزقت التماس العذرفي‌الشيم

والباب الثالث موضوعه ، « اساتذة رشيد ومصادر ثقافته » .

وقد تتبعت فيه اساتذة رشيد استاذا استاذا ، وهم الشيخ حسين الجسر ، والشيخ محمود نشابة ، والشيخ عبد الغني‌الرافعي، والشيخ محمد القاوقجي ، والسيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده ، وابنت ان الاربعة الاوائل كانوا اساتذة لرشيد بالتعليم المباشر ، واما جمال الدين ومحمد عبده فكانا استاذين له عن طريق قراءته لهما وتأثره بأحوالهما واقوالهما . ولما كان الشيخ الجسر ابرز اساتذة رشيد اثرا فيه ، فقد توسعت في ترجمته بصورة لم تسبق، وبينت ما كان بين الاستاذ وتلميذه من اتفاق وشقاق وابنت ان

الاستاذ الامام قوى في رشيد نواحي العناية باللغة والكتابة والعروبة والاسلام كما بينت مدى استقلال شخصية رشيد عن شخصية الاستاذ الامـــام .

ثم تتبعت مصادر ثقافة رشيد ، بعد ان صورت عصاميته في تكوين شخصيته ، واوضحت ان اهم الكتب التي تاثر بها اولا هي كتاب احياء علوم الدين للغزالي ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب ابن تيمية وابن القيم ، ثم تعددت المصادر ، فمنها كتب دينية ، ومنها كتب لغوية ومنها مجلات علمية وادبية ومنها كتب اجنبية مترجمة ...

ثم يأتي الباب الرابع وهو « رشيد الاديب » :

وهذا الباب هو اوسع ابواب الرسالة ، ومن حقه ان يتسع وينبسط ، فرشيد الاديب اللغوي يعنينا هنا اكثر مما تعنينا جوانبه الاخرى التي سأفرد لها بمشيئة الله تعالى مجالا غير هذا المجال . وعند حديثي عن رشيد الاديب ازلت وهما شائعا عند الكثير ، وهو ان رشيد رضا كان رجل دين فقط ، واوضحت انه كان الى جوار ذلك اديبا ، كتب المقالة ، وألف الكتاب ، وقال الشعر ، وبحث في اللغة ، وصاغ الرسالة ، وصنع المقامة ، ومهر الخطابة ، واشتغل بالصحافة ، ونقد القصة والشعر .

وابنت ان الخطابة غلبت عليه في صدر حياته لاسباب ودوافع فصلتها ، ثم غبت عليه الكتابة بعد هجرته ، وشرحت دوافع ذلك ، ثم بينت سهولة الاسلوب عنده ومبلغ العاطفة والانفعال في ادبه ، وملامح كتابته من ناحيتي اللفظ والمعنى ، او الشكل والمضمون ، ثم تحدثت عن رشيد والبلاغة ، وعنايته بالجملة القرآنية ، واستمداده منها ، واستعانته بها ، وعدم رغبته في مخالفة اسلوب القرآن الكريم ولو الى صواب ، جريا على مذهب مدرسة الاستاذ الامام ، وتحدثت عن الرسالة في ادب رشيد ، واوردت نماذج لم تنشر من قبل ، وحللتها ، ولم يسبق لاحد ان تحدث عن هذا الجانب عند رشيد بقليل اوكثير . ثم تكلمت عن رشيد والقصة ، واوضحت كيف سبق رشيد العقاد بنحو نصف قرن في الحكم على القصة بانها كالخرنوب : قنطار خشب ودرهم حلاوة ، وتكلمت عن رشيد والنقد ، ورشيد والترجمة ، واحصيت جميع التراجم التي تضمنتها مجلدات المنار الكثيرة الكبيرة ، وهو جهد ينفع كثيرا في مجال كتابة التراجم في العصر الحديث ، ثم تكلمت عن رشيد والخطابة ، واوضحت موقفه من الاعداد والارتجال ، ومن الطرائف هنا انني وفقت الى العثور على اول خطبة خطبها رشيد ، والقاها في حفل عام ، وجدتها بخطه نفسه فسجلتها في بحثي وعلقت عليها ، ولا شك ان هذه الخطبة وثيقة ادبية مهمة في حياة رشيد .

وبعد ان استعرضت آراء رشيد في الثقافة والتربية والتعليم والادب الشعبي ، تحدثت بتوسع عن مجلة المنار ، فتابعتها منذ التفكير في اصدارها ، حتى اخر عدد صدر منها ، ذاكرا ما لها وما عليها ، ثم انتقلت الى الحديث عن تفسير المنار ، وبينت الاسس التي نهض عليها ، ووجوه الشبه ووجوه الاختلاف بين طريقتي الاستاذ الامام ورشيد رضا في التفسير وتعرضت بتفصيل لاستخدام العقل في تفسير المنار ، وصلة ذلك بالناحية الادبية ، ثم اوضحت اسراف هذا التفسير في استخدام العقل ، واوردت امثلة لذلك ، ثم بينت المآخذ على التفسير ، مثل الاستطراد الطويل ، والنزعة الخطابية ، وعدم الاستقرار في التفسير ، والعجلة في الكتابة ، والاضطراب بين الايجاز والاسهاب .

ثم يأتي الباب الخامس ، وهو عن « رشيد الشاعر » :

وهو باب واسع طويل كذلك ، وكثير من الناس لا يعرفون ان رشيد رضا كان شاعرا ، وقد حددت اول صلة لرشيد بالشعر ، ثم تحدثت عن قصائده الاولى ، وعن عنايته بالشعر ، ونشره له في مجلة المنار ، وعدم تحرجه من نشر شعر الغزل ، وحللت رأيه في الشعر الذي يقول عنه : « انه شعور يتاثر به صاحبه ، فيعبر عنه ، بانفعال ، فيتاثر به غيره » ولذلك يعد النثر المؤثر الناشىء عن الانفعال شعرا .

واستعرضت آراء رشيد في شعراء عصره ، امثال البارودي ، وشوقي ، وحافظ ، والكاظمي ، والمنفلوطي ، والرصافي ، وعبد الحليم المصري ، وناقشت هذه الاراء مؤيدا لها تارة وناقدا اياها تارة اخرى . واهم ما في هذا الباب هو « مقصورة رشيد » التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وقد وفقني الله تعالى للعثور على الاصل الخطي الكامل لهذه المقصورة ، ولم يسبق نشره ، وقد اضناني الجهد الذي بذلته في اقامة نص هذه المقصورة وضبطها والتعليق عليها ، وهي ثروة لغوية وشعرية ، كما انها ملمح اساسي في شخصية رشيد ، لانها أطول قصيدة في شعره ، ولانه لا يعتز بقصيدة من قصائده مثل اعتزازه بها ، ومع ذلك عقدت النية على ان اعود الى هذه المقصورة لاشرحها شرحا وافيا ، واوسع نطاق المقارنة بينها وبين مقصورة ابن دريد . وقد رأيت من المناسب ان اقدم لهذه المقصورة ببحث عن المقصورات في الشعر العربي ، واستدركت في هذا البحث اشياء على من سبقني بالحديث عن المقصورات في الادب العربي .

ثم يأتي سادس الابواب واخرها ، وهو « رشيد اللغوي » :

وهذا باب واسع كذلك ، والصلة وثيقة بين البحث الادبي والبحث اللغوي ، وقد شرحت فيه عناية رشيد باللغة العربية ، وغيرته عليها ، وآراءه فيها ، واوضحت اتساع افقه في مناصرته للفصحى وفي نظراته اللغوية ، فهو يرى ان للالفاظ دولا كدول الاشخاص ، وان معاني الكلمات تتطور وتتغير بتغير الازمنة والامكنة ، وطرق الاستعمال ، وهو يدعو الى جعل القرآن الكريم المعجم الاساسي في تفهم روح العربية ، وتعرضت لمساجلاته اللغوية مع شكيب ارسلان والشنقيطي وجبر وضومط وغيرهم ، وتحدثت عن وضعه المصطلحات وتنقيبه عن مجموعة من الكلمات كل كلمة منها تؤدي معنى جملة ، وقد سماها «فرائد اللغة العربية» وقارنت بين عمله وعمل غيره في هذا الباب .

ثم تعقبت رشيدا في ملاحظات لغوية عليه ، فذكرت اكثر من عشرين ملاحظة ، ولم يدفعني الى هذا التعقب رغبة في تلمس الاخطاء ، بل دفعني اليه حرصي على ان اقول ما لرشيد وما عليه ، حتى يكسب بحثي صفتي الحياد والرشاد .

هذا وقد ختمت الرسالة بفصل تحت عنوان : « تقويم كتابات عن رشيد » ، ذكرت فيه ان بعض من كتبوا عنه قد وقعوا في هفوات او اخطاء تحتاج الى تصحيح ، وتناولت كتاب « الاسلام والتجديد في مصر » فذكرت ما وقع فيه من اخطاء تتعلق برشيد رضا ، ثم تناولت كتاب « مصادر الدراسة الادبية » ، ونقدت الترجمة التي جاءت فيه عن رشيد ، عليه رضوان الله تعالى .

هذا عرض سريع مركز لجوانب بحثي عن السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وعن عصره وحياته وجهوده الادبية واللغوية ، ولو تناولت كل فصل من فصول الرسالة لابين جهدي فيه لامتد حبل الكلام ، فحسبي ان اقول انها رسالة من طالب شيخ توضع بين ايدي اساتذة كبار ، واذا كنت اشكر للاستاذ الجليل الدكتور محمد نايل اشرافه ، فاني اشكر الاستاذ الكبير الشيخ عبد الغني اسماعيل والاستاذ الكبير محمد خلف الله احمد على اشتراكهما في المناقشة .

اما بعد ، فقد بذلت في البحث جهدي ، ولم اضن عليه بشيء من طاقتي او وقتي ، واغلب ظني اني قد وفقت فيه الى اشياء ، وان كنت في الوقت نفسه اومن الايمان كله بأن الكمال لله وحده ، هو عز شانه المنزه عن الخطأ والسهو والنسيان وما زلت طالب علم مهما تقدمت السن ، وفوق كل ذي علم عليم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد الانتهاء من هذا العرض بدأ الاستاذ محمد خلف الله احمد في الحكم على الرسالة فكان مما قاله :

« الاشتراك في مناقشة الرسائل العلمية الجامعية ـ ايها السادة ـ شرف يتطلع اليه كل باحث ، وكل مشارك في الدراسات الجامعية ، ولكن حين تكون الرسالة عن علم من اعلام مدرسة جمال الدين

الافغاني ومحمد عبده ، وحين تكون الرسالة مقدمة الى كليتنا كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وحين يشاء التوفيق ان تناقش هذه الرسالة في قاعة الشيخ محمد عبده ، وحين يشاء التوفيق ان يكون واضع الرسالة هو الاخ الصديق الشيخ احمد الشرباصي يشعر المشارك في مناقشة هذه الرسالة بشرف كبير يجب ان نعبر عنه وان نعترف به .

وليست هذه اول مرة نلتقي فيها بالاخ الصديق الشيخ احمد الشرباصي ، فلنا معه لقاءات سابقة مباركة ، ولا اظننا في حاجة الليلة الى ان ناخذ بتلابيب الاخ الشيخ احمد ، فان العوان لا تعلم الخمرة ، كما جاء في المثل العربي .

وقد يحدث في مناقشة امثال هذه الرسالة الجامعية ـ هنا وفي مختلف الجامعات ـ ان يكثر الاخذ والرد بين اللجنة وبين واضع الرسالة ، وربما اشتد هذا الاخذ وهذا الرد ، وطال الجدال ، ولكن الذي تواضع عليه العلماء ، وتواضعت عليه الجامعات في مثل هذا الموقف ، ان المناسبة ليست مناسبة تهوين او تقليل من شان الرسالة المقدمة ، وليست مناسبة لمحاولة التخطئة لصاحب الرسالة ، او اظهار ناحية نقص فيها ، ولكنها مناسبة للاحتفال به ، ومناسبة لتهيئة الفرصة له ، ليعرض ما عنده من نتائج هذا البحث الطويل الذي توفر عليه اربع سنوات او اكثر .

وقد نتكلف النقاش تكلفا في مثل هذه الرسالة، حتى تتهيأ الفرصة للاخ الزميل ، ليفيض ويفيض ، ومن هنا جاءت فكرة المناقشة العلنية ، فالمناقشات الجامعية ـ كما تعلمون حضراتكم ـ تسير على طريقتين : هناك امم تأخذ بنظام المناقشة الخاصة ، تجتمع لجنة المناقشة بصاحب الرسالة في حجرة مقفلة ـ ، فتختلي بـه خلوة علمية ، ويجاذبونه الحديث ، ويثيرون معه من المناقشات ما يثيرون ، ثم ينتهون بالنتيجة التي ينتهون اليها .

والطريقة الثانية هي هذه ... اتاحة الفرصة لصاحب الرسالة ليعرض دراسته على جمهور الحاضرين ، وعلى الاخص مثل هذا الجمهور الذي يجمع الى شيوخنا والى صفوة من كبار العلماء والمفكرين ، يجمع ايضا نخبة من شباب الازهر : طالباته وطلبته . ويسعدني ان ارى هذا الجمع الحاشد من الزملاء والزميلات في هذه المناقشة بالذات ، لانها موسم لتكريم مدرسة الشيخ محمد عبده التي يعيش فيها كثير من نواحي الاصلاح ، في الفكر ، وفي اللغة ، وفي الادب ، ونعيش في بركات جهودها ، ويسعدني من ناحية اخرى حضور هؤلاء الزملاء والزميلات ليشهدوا كيف تتعاون الثقافة الاسلامية والثقافة العربية على تخريج باحث عالم محقق مدقق مثل صاحب الرسالة اليوم.

وهو ـ واقولها دون محاباة ـ يضع امامنا وامام طلبتنا وطالباتنا نموذجا من الباحث العلمي المؤمن بدينه ، الحريص على لغته ، الذي يضع جهوده وعزيمته في خدمة الدين ، وفي خدمة الاصلاح ، وفي خدمة اللغة ، وفي خدمة الدراسات العلمية .

والبيان السمح الذي قدم به صاحب الرسالة رسالته اليكم ليس الا صدى للبيان السمح الذي كتب به الشيخ احمد الشرباصي رسالته، والذي يكتب به عادة كتبه وبحوثه .

وفي هذه الرسالة نواح ارجو مرة اخرى ان يتنبه لها طلاب البحث العلمي ، فالرسالة متسمة بالتعمق والاحاطة بالثقافة العربية الاسلامية ، ومن اجدر منا نحن ابناء الازهر بهذه الاحاطة وهذا التعمق ؟. والرسالة ـ كما رأينا ـ موفقة في اختيار موضوعها ، فهو موضوع يهم الدراسات الدينية ، ويهم الدراسات الادبية واللغوية ، ويهم الازهر ، ويهمنا نحن العرب المسلمين من حياتنا ومن نهضتنا .

والرسالة الى جانب هذا فيها ـ كما هو ملموس ـ الاحاطة بالعصر وتياراته ، وبالمعارف الحديثة ، وهذا شيء لمسناه نحن في قراءتنا لهذه الرسالة ، وفي المتعة العلمية والعقلية التي خرجنا بها من قراءتنا لها .

وفي الرسالة ـ وهذا شيء عرفناه للشيخ احمد الشرباصي من قبل ـ البحث عن الوثائق ، والهجرة في سبيلها . فليست الرسالة هنا مجرد رسالة يرجع فيها صاحبها الى كتاب هنا وكتاب هناك ، ولكنها جهود علمية ، وهجرة في سبيل العلم على طريقة اسلافنا من علمائنا في الزمن القديم .

والرسالة تضم الى جهودها العلمية تحقيقات للنصوص ، ومنها كما سمعتم التحقيق لمقصورة الشيخ رشيد رضا .

وهناك شيء اخر لمسته في هذا البحث ، واعتقد انه من الفائدة بمكان ، وهو تنبيه صاحب الرسالة الى نواح تصلح للبحث في المستقبل ، صادفها الباحث في طريقه ، ولكنه مشغول بالبحث الرئيسي ، فهو لا يريد ان ينصرف عن بحثه الرئيسي الى هذه النواحي الجانبية ، ولكنه يشير اليها ليشغل بها هو ، وليشغل بها بعض زملائه ، وليشغل بها بعض طلابه في المستقبل ان شاء الله ، وهذا نموذج من الاستاذية الخصبة المفيدة .

اما البيان ووضوح الفكرة فانتم شهوده ، ونحن قد شهدناه وخبرناه ، وصاحب الرسالة ـ الى كل هذا ـ يتسم بالوضوح الفكري، فهو باحث يناقش ويحلل ، وينقد في موضع النقد ، كل ذلك في بيان عف ، وفي استاذية صادقة .

الرسالة اذن ايها الاخ الشيخ احمد الشرباصي رسالة ناجحة ولله الحمد ، رسالة موفقة ، نسأل الله ان يبارك لك جهودك فيها ، وان يزيدك وايانا من نعمه » .

وبعد ان قضى الاستاذ محمد خلف الله احمد ما يقرب من ثلثي ساعة في الحديث والمناقشة حول نتائج الرسالة ، واتساع الحديث عن عصر رشيد وحياته ، وعن الخلل الواقع في وزن بعض الابيات في المقصورة ، ودارت مساجلة واسعة بينه وبين صاحب الرسالة ، تكلم فضيلة الاستاذ عبد الغني اسماعيل استاذ الادب بكلية اللغة العربية ، فنوه بمواهب الاستاذ الشرباصي ، وصور فرحته حين طالع بحثه ، وقال انه لم يترك جانبا من جوانب رشيد الا تناوله وهذا مجهود كبير ، وتكلم عن مشابه رضا والشرباصي ، ثم تباحث مع صاحب الرسالة عن جهود رشيد اللغوية ، وفي نهاية هذه المساجلة قال لصاحب الرسالة : « ان رسالتك فخر لجامعة الازهر ، ونسأل الله ان يكثر من امثالك ، واحب ان اشكرك على ما صنعت مع رشيد، فانه رجل هاجر من بلده ووهب نفسه للدين ، وافق الازهر ام خالفه، سار في موكب محمد عبده او اختلف عنه ، فقد كان رجلا ادى رسالته في الحياة ، وشارك في جميع انحائها بقلمه ولسانه ومؤلفاته ، وانت قد جليت عن هذه الجسنات في رسالتك احسن تجلية ، تجلية لم ارها لاحد من قبلك ، وارجو ان اراها لمن بعدك . وحسب رشيد انه باع في سبيل الدعوة الى الله عقاره ، ورهن في اخريات ايامه داره ، وامتع الله بك ووفقك للخير » .

ثم تحدث الدكتور محمد نايل ، فوصف الرسالة بانها كتابة وافية عن علم من اعلام النهضة ، وان المكتبة العربية كانت في حاجة الى هذه الكتابة ، وان الرسالة هيأت جوا للمساجلات الطريفة المتعة والمناقشات الحية الواسعة ، وان القسم التاريخي فيها اعطانا الصورة الكاملة لعصر رشيد رضا واتجاهاته وملامحه وبيئته ، وان رشيد رضا كان خير وارث لمدرسة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، ثم نوه بأن مناقشة هذه الرسالة هي اول مرة تحتفل بها هيئة الاذاعة وهيئة التليفزيون فتسعى كل منهما لتسجيلها ، ولم يحدث مثل هذا في تاريخ الازهر من قبل .

وبعد ثلاث ساعات من العرض والمساجلة والمناقشة اصدرت اللجنة قرارها بمنح صاحب الرسالة درجة الدكتوراه بالامتياز مع مرتبة الشرف الاولى .

الرفض المستمر

•

لا شك في ان ما رفض في السابق بالرغم من كل شيء وخاصة بالرغم من الارادات والقوى الخارجية مهما كان تفوقها سيرفض الآن وسيظل يرفض في المستقبل مهما تنوعت الارادات والقوى الخارجية ومهما بلغ تفوقها .

ان الرفض العربي للوجود الاسرائيلي سيزداد عمقا ويتوسع ليشمل رفض المصدر الذي جاء منه ذلك الوجود والمصدر الذي اقام ذلك الوجود والمصدر الذي يستمر في محاولة فرض ذلك الوجود على العرب .

فالعرب مؤمنون ربما اعمق ايمان في التاريخ وربما اعمق ايمان عند اي شعب من الشعوب بأن الحق العربي في فلسطين كان وهو الان وسيظل في المستقبل نقطة التقائهم وتوحدهم لاستعادته .

والعرب هم الان كما كانوا في السابق اشد الفرقاء وعيا لحقيقة ما جرى وما يجري وما سيجري .

ذلك ان المنطلق العربي في النظر الى القضية كلها يختلف اشد الاختلاف عن المنطلق غير العربي في النظر الى هذه القضية .

فالعرب ينطلقون من كون الوطن الفلسطيني كجزء من بلادهم كان ولا يزال ضحية تآمر ارادات وقوى خارجية عملت وتعمل في تجاهل تام للحق والعدالة متناسية انه مهما حدث ومهما تأخر الرد العربي فلن يعني ذلك ان الرد لن يأتي او ان اصحاب الحق قد تنازلوا عنه او انهم استسلموا للقوى والارادات التي فرضت عليهم وجودا ضد وجودهم .

وكما ثبت خلال العشرين سنة الماضية سيظل يثبت خاصة لتجاهلي الحق والعدل في قضية فلسطين ان الوجود الاسرائيلي المرفوض من المنطقة العربية هو سبب متاعب وتعقيدات محلية واقليمية ودولية تزداد وتتفاقم كلما ازداد تجاهل الارادات والقوى الخارجية للحق العربي والارادة العربية .

والارادات والقوى الخارجية لا تستطيع ان تفرض على العرب امرا واقعا في قضية فلسطين مهما تعددت المحاولات ومهما تنوعت تلك الارادات وتلك القوى .

والغرب المتمثل الان بالولايات المتحدة وبريطانيا لا بد وان يضطر الى التسليم بأن تجاهل الحق والعدل سيظل يتفاعل الى ان يلحق بالمتجاهلين ضررا يعادل او يفوق ما سيلحق بالذين تم تجاهل الحق والعدل لمصلحتهم .

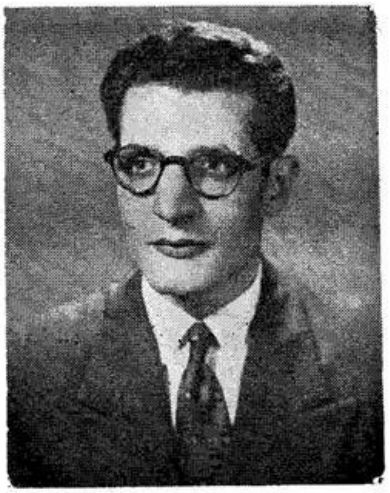
والتاريخ ـ خاصة تاريخ الشعوب وقضاياها الاساسية ـ لا يكتب لا بيوم ولا بأسبوع ولا بسنة .

واخطر ما يمكن ان يقدم عليه الغرب بقيادة اميركا وبريطانيا هو الحكم على التاريخ استنادا الى يوم منه او اسبوع او سنة .

فالحق كالايمان سيظل قادرا على نقل الجبال مهما تأخر احقاقه ومهما اعترضته الارادات والقوى الخارجية .

ميشال ابو جوده
جريدة « النهار » بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

كيف يفتشون على المدارس

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كان مفتش التعليم ـ ببعض القرى المصرية ـ قبيل الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، لا يجد من وسائل المواصلات غير الدواب ، فكان على كل مدرسة يحل بها ان يهتم ناظرها باعداد مطية ممتازة يستقلها الى المدرسة المجاورة، ووراءها فراش المدرسة يلاحق خطواتها في ادب واكبار حتى تؤم المكان المختار فيرجع بها من حيث جاء ، وكان دخول المفتش القرية الصغيرة وقد ارتدى قفطانه اللامع تحت جبته الزاهية ، واكبا حماره المسرج الفني ووراءه تابعه الامين مهرولا لاهثا ، كان دخوله هذا موضع التفات القرويين ، ومجال حديثهم المكبر ، فهذا يتحدث عن سمعته وذلك يفسر ما يشي به وجهه من غضب ورضا ، فاذا دخل الفصول المتواضعة ، واكثرها من اللبن الهش قامت المدرسة وقعدت ، واخذ الناظر المسكين يتوسل اليه متتبعا لفتاته ، ومستوحيا اشارته ، أما المدرسون فقد غشيتهم هيبة لا يضائلها قليلا غير تلاوة فاتحة الكتاب في السر ، والتوسل بأنبياء الله ان يمر اليوم العصيب مرور الكرام من الايام ! فاذا انتهى اليوم توجه السيد المفتش الى منزل العمدة ليتناول عنده الطعام ، فهو وحده الذي يستطيع ان يقوم بواجبه ، وانه ليجلس اليه في مضيفته بعيدين عن الناس كمن يتحدثان في موضوع جلل ترتبط به مصائر الانام ، فاذا مر قروي بهما تطلع بعيدا بعيدا ، وقد اسرع في سيره متهيبا ان يدنو من حرم اقدس مهيب ! وقد تحين الصلاة فيخف الزائر مع المضيف الى بيت الله ، ويصليان وحدهما في الصف الاول ، وقد تباعد العامة حذرين ان يقفوا الى جوارهم ، كأن مساجد الرحمن مدارج متفاوتة تؤمن بمبدأ الطبقات! فاذا انتهيا من العبادة اخذا سمتهما الى مكان الضيافة ثم الى غرفة النوم حيث ينهض اعتى الخفراء خارج الحجرة لحراسة المفتش الزائر مترقبا ان يسمع تصفيقة هينة تدعوه ، فيسرع الى اجابة مطلب يعن ، فاذا انقضى الليل وبدت تباشير الصباح اخذ ينقر الباب نقرات خفافا ، لينهض النائم بعد ليل هنيء ! وما يكاد الرجل يتوضأ ويصلي ويتناول الافطار ، حتى يسرج الحمار الفخم ويلجم ، ويأتي التابع الممتثل فيلاحق الدابة الى المكان الجديد

هذا وصف موجز لزيارة السيد المفتش ، في سالف العصر والاوان ، وقد علم منه انه كان لا ينبس ببنت شفة ، بل يدخل المدرسة كما يخرج مكتفيا بتحريك الحدقة ، فاذا جاوزها فالى اشارة اليد ، وعبوس الوجه، وكان الحمار لا يتجاوز مهمته الاساسية في تيسير التنقل من قرية الى غيرها ، ولكن مرور الزمن نسبيا قد طور التفتيش تطورا صار معه السيد المفتش يستطيع النطق ببعض الكلمات وصار معه الحمار ذا رسالة اخرى غير تهوين الاسفار ، وكيلا يظن القارىء أني أضرب في شجون من التوهم فسأدع غيري يتحدث اذ أنقل عن كتاب اصدرته لجنة النشر للجامعيين عن بعض القرى في الصعيد ما نصه وكان يزور المدرسة مفتشان شيخان ، احدهما من مجلس المديرية ، والاخر من وزارة المعارف ، ومع ان حضور واحد منهما كان ينشف ريق الاطفال دائما ويلقي الذعر في قلوبهم ، فوق ما يربك المدرسين والمدرسة ويخلع عليها ظلا قاتما وجوا خانقا فان مفتش الوزارة كان مصدر رعب اكبر من مفتش المجلس .

كان رجلا فارعا اسمر الاديم قاسي الملامح حاد النظرات يخيل اليك دائما انه حاقد على كل شيء ما ، وانه يصرف انيابه من الغيظ الكظيم ، ولما كان مفتش الوزارة لم يكن بد ان يخلع على نفسه وعلى زيارته اهمية مفتش المجلس ، لذلك كان يبدو رزينا اكثر من اللازم عنيفا قاسيا في حركاته وكلماته واشاراته ، وكانت جبته وقفطانه المنسدلان على بدنه الفارغ يزيدانه هيبة وهولا ، وكان يبدو على المدرسين فزع اكبر فينتقل منهم بالعدوى الى التلاميذ حتى لتبدو ساعات وجوده بالمدرسة كأنها دهر طويل ، وكأن الزمن لا يمر الا ببطء شديد .

اما الحادث الفذ الذي لا ينسى فهو هذا الحادث .

كانت الدراسة جارية كعادتها في هينة وتؤدة ، الجو قائظ في نهاية العام ، والتلاميذ خاملون ، والمدرس قد ثقلت عليه جبته فتخفف منها والقاها على مسند المقعد ، وثقلت عليه عمامته فأمسك بها من مقبض الزر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في رفق كيلا تنتكث ، والقى بها في قمطر التلميذ الاول. وجلس على كرسيه في تراخ ظاهر ، وباعد ما بين فخذيه، فانفسخ القفطان وبدت منه تكة السراويل المتدلية في غير ما كلفة .

وبينما الوقت يمر ، والدنيا هادئة ، والجميع في تهويمة لذيذة ، اذا بشبح طويل فارع يقفز من النافذة متدليا منها الى حجرة الدراسة فيصبح معهم في لحظة ، وريع التلاميذ ، وجمد الدم في عروقهم ، وشخصت ابصارهم الى الشبح المتسلق ، ونـدت منهم صيحات مذعورة ، واضطرب المدرس وقام يمسك عمامته بيد ، يحاول ان يرتدي جبته باليد الاخرى فلا يستطيع ، أما الشبح فقد انفرجت ثناياه عن ابتسامة صفراء كالحة ولسانه ينطق في تهكم مر ، وهو يهز راسه هزا دائما ، ما شاء الله ما شاء الله ماذا ؟

انه المفتش مفتش الوزارة قد اوقف حماره الذي يركبه عادة للحضور من البندر الى القرية ، أوقفه تحت النافذة ، وانصت ، ثم قفز على ظهره واقفا فأصبح قريبا من النافذة ثم تسلقها ليضبط كل شيء ، وكانت هـذه طريقة مبتكرة في التفتيش !!

لقد فهم هذا المربي الكبير ان وظيفته هي الضبط والضبط وحده لا التوجيه ! ولو ان المدرس كان قـد ترصده ساعة قفزه من الشباك ورماه بآلة حديدية قاسية، ما آخذه القانون في شيء ، لانه يقوم بعمل مريب يفعله اللصوص وقاطعو الطريق ! ولكن الوعي التربوي لـدى المفتش الفظ لم يكن ليستطيع ان يصور له بشاعة ما يرتكب ، كما لم يكن هذا الوعي لدى المدرس يستطيع ان يقنعه بشذوذ ما ارتكب الزائر الضيف حين اتى البيوت من غير ابوابها ، وقد يكون المفتش ممن حرموا الانتفاع بدروس التربية الحديثة فصدر عن حماقة واسفاف !! ولكن مما يدهش القارىء ان يكون كثير ممن لقنوا دروس التربية في فرنسا وانجلترا وسويسرا في بعثات عالية ثم زاولوا التفتيش بالمدارس المصرية ، لا يختلفون كثيرا عن غيرهم في فهم وظيفة التفتيش ! واذكر اني سمعت ما القى في حفلة تأبين الاستاذ احمد العوامري في مجمع اللغة العربية بمصر ففاجأنا الاستاذ زكي المهندس في كلمة التأبين بما يدل على ان خريجي المدارس الاوروبية من المفتشين كانوا يبذلون جهد الجبابرة في ترقب المفاجأة وانتهاز المباغتة حين يفتشون على المدارس ، ومن ذلك ما حكاه الاستاذ زكي المهندس عن الاستاذ محمد شريف سليم المربي اللغوي الفاضل اذ قال في كلمة حافلة نشرت بالجزء الحادي عشر من مجلة المجمع :

« وكانت التعليمـات فـي وزارة المعارف تقضي ـ يومئذ ـ ان تكون زيارات المفتشين للمدارس زيارات مفاجئة ، وكان المفتشون يلقون من هذا العنت والمشقة والحرج ، وكانوا مضطرين ان يعملوا الحيلة وان يصطنعوا الوسائل لتتم هذه الزيارات المفاجئة على ما تبتغيه الوزارة. وبخاصة في الريف حيث لا يستطيع المفتش مهما حاول ، ان يستخفي من الناس ، وللمرحوم الشيخ شريف في باب المفاجآت نوادر وحيل ، كان رحمه الله اذا انتوى زيارة الاسكندرية للتفتيش استقل ذلك القطار البطيء الاعرج الذي يغادر القاهرة قبيل منتصف الليل فيصل الى الاسكندرية بعد الفجر بقليل ، وكان الشيخ يقضي هذا الوقت المبكر في مكان قصي بعيدا عن اعين الرقباء من النظار والمدرسين فاذا ما حان وقت الدراسة قصد الى المدرسة مستخفيا عن الانظار يشق اليها الطرق الملتوية والدروب المنعرجة والمسالـك الضيقة كيلا يراه احد فيفضح سره ، ويفسد عليه امره ، ثم اذا وصل الى المدرسة وقف بحيث يستطيع ان يسجل على المدرسين مواعيد حضورهم » !

كانت المفاجأة اذن نظاما مفروضـا ! وقد انكـره الحصفـاء من رجال التربية فقضـى عليه من الناحية الرسمية ، ولكنه ظل عالقا بنفوس المفتشين جيلا بعـد جيل ، وقد تبلور في صورة اخرى هي تلمس الاخطاء ، وتهيئة السبل اليها اذ لم تتح للنظرة الاولى ، والسكوت عن المحاسن او اقتضاب الحديث عنها اقتضابا يوحـي بالعداء ، مع تجويف للهنات واشبـاع مفرط للتصويب والتصحيح ! واذا كان الانسان ـ كل انسان ـ في اعماقه يكره النقد كراهية تتأرجح بين الشدة والاعتدال حتى لو وجه من صديق مخلص توجيها لا يتوقف عليه عاقبة ! فما ظنك بالنقد يتوجه به رئيس الى مرءوس سيضع عنه تقريرا مهما يحدد مستقبله في كثير من الملابسات اقول اذا كانت كراهية النقد داء نفسيا متغلغـلا في الاعماق مهما اكتسب مسحة التهادن الظاهري عند قوم فان الموقف حينئذ يتطلب فوق الانصاف العـادل مرونة الرئيس وتسامحه وسعة صدره ، ولباقته في التوجيه والتخطئة بحيث لا يجرح كبرياء مرءوسه ولو كـان بالنسبة اليه تلميذا ناشئا ، مع انه في اكثر الاحوال زميل متمرس يفهم ما يقال ، وينتظر من رئيسه ان يعرض عليه الجديد من الرأي والطريف من الخبرة في صورة تقنعه بجلال التفتيش وخطر الرياسة ! ولا ننكر ان القلائل من المفتشين يتمتعون بالاستاذية الناطقة بالعلـم الحافلـة بالذوق ، اللبقة في التوجيه ! ولكن ليت شعري ما تفعل هذه الاقلية امام حشود زاحفة لا يجد لديها المدرس الناهض ما يقنع عقله من رأي او يشفي صدره من بحث او يريح نفسه من ذوق !. بل يفاجأ بانسان يدخل الفصل ـ في اللغة العربية ـ مثلا ، ليسأل في القواعد النحوية ، ولا بد ان يخطىء التلاميذ مهما بذل مدرسهم الجهد ، وهنا يتبرم المفتش في ضيق ، وينظر الى الطلاب مغيظا منكرا ، لان نائب فاعل اعرب فاعلا ! وكأنه اكتشف جريمة نكراء فاذا جاء دور النصوص الادبية واخطأ الطالب في ضبط كلمة

من بيت . ـ ولا بد ان يخطىء الطالب ـ فالخطر عظيم ، والامر جلل ، وستدرك عبقرية الزائر الكبير هذا الخطأ الجلل وسيتحدث عنه فيطيل ثم يسارع بتدوينه في دفتر التفتيش .

ودفتر التفتيش مما يحسن ان نقف لديه بعض الوقت ، فهو بحجمه المستطيل الضخم ، ولونه الاسود القاتم ، وموضعه من مكتب السيد ناظر المدرسة ، مما يبعث الاكبار والرهبة في كثير من النفوس ، وقد كنت في سنتي الاولى بالتدريس ، انظر اليه وكأنه اللوح المحفوظ ، وانا اتصور قبل قراءته انه يحوي من الارشاد والتوجيه خلاصة الخلاصة مما نم عن تجربة عميقة ونقد دقيق موجه ، وتصويب ناضج يمده الاطلاع الشامل ، والمعرفة المتسعة ! اذ انه مجال النقد النافذ لاقلام لها حق القيادة والتعليم ! اقول كنت اظن هذا الدفتر الاسود المستطيل موضع ذلك كله ، حتى عرفته لاول مرة وقد قدم الي لاقرأ مستفيدا ثم اوقع مذعنا ، فرأيت اشارات باهتة مكررة تطلب الاعتناء بالتصحيح ، مع وجوب قراءة النصوص صحيحة ، ثم الاهتمام بقواعد النحو ، والدعوة الى مضاعفة الاعمال التحريرية ، ورعاية تحسين الخط مع المناقشة في صور البلاغة واساليب البيان ! رباه أهذه هي النصائح الكلية المبهمة التي يخطها مفتش وراء مفتش ، بحيث صارت نسخا مكررة ! ويستطيع الزائر الكريم ان يدونها دون ان يدخل الفصل او يستمع الى المدرس اذ لا بد من اخطاء في القواعد والبلاغة وضبط الابيات ، ولا بد من نقص في عدد الموضوعات التحريرية مما تجب الاشارة التقليدية اليه !

أهذا جل ما يحتويه دفتر مهيب يكتبه المفتشون ويوقع عليه المدرسون وتحفظه مكاتب النظار !!

وقد يلجأ بعض المتحذلقين الى التجديد فيكتب اسماء المدرسين ويخص كل مدرس بنقد ! ولكن اي نقد ؟ هذا ينبه الى العناية بالنحو . وهذا الى ضبط الابيات وهذا الى كثرة الاعمال التحريرية ! وبمعنى اخر نرى الاسماء قد بعثرت بين السطور ، ليقع كل اسم جوار سطر مما يكتب عن الاخرين مجملا دون اسماء ! فاذا جاء مجلس التوجيه فقوامه التنبيه الى اخطاء لغوية في موضوعات التعبير التحريري ! يا لله من الحرص على هذه اللغويات ففي سبيلها يترك السيد الكبير عناصر الموضوع ومحور افكاره وتسلسل معانيه وخروجها عن دائرة المطلوب او انتماءها اليه ! كل ذلك لا دخل له ـ شهد الله ـ في حسابه ! انما الحرص كل الحرص على تصويب أمثال كلمة البؤساء بأن تكون البائسين وكلمة ساهم بأن تكون اسهم ، وقد جمعت لذلك كتب دونها بعض المرتزقة حين علموا انها بغية المفتش ، ووسيلة مرضاته فتهافت عليها المدرسون تهافتا كان موضع التندر والاشفاق معا من النابهين !! وقد بذلت كما يعرف اخواني جهدا كبيرا في محاربة هذه الشكلية الباهتة في مدرستي حتى تضعضع بناؤها الاشم ! وكنت افكر في سر هذا الاهتمام باللغويات المتخفية دون غيرها لدى المفتشين جيلا بعد جيل ، حتى اهتديت الى ان فضيلة اللغوي الاكبر الشيخ حمزه فتح الله كان أستاذ التفتيش بنظارة المعارف ثم اعقبه جماعة من متنطسي اللغة يتقدمهم حفني ناصف واحمد العوامري وعلي الجارم ، فوجهوا اهتمامهم الكلي الى سلامة اللفظ وحده ، واخذوا يدخلون المدارس ليستشيروا لسان العرب والقاموس المحيط وقد ينعمون بالعطف على المصباح ومختار الصحاح على وجه الاستئناس لا الاستدلال ثم خلف من بعدهم ظنوا سلامة اللفظ كل شيء ، وقد رأوا مفتشيهم ايام كانوا مدرسين لا يجيدون عنه فهم على آثارهم يهرعون !!

قد يظن البعيد عن حقل التربية والتعليم أني اتعمد جانبا من الشطط المسرف والغلو المفرق ، في الحديث ، ولكن القريب من هذا الحقل الفسيح يعلم ما اعلم ، واذا كان الاعتراف سيد الادلة في منطق القانون ، فاني اترك لمفتش كبير واديب شهير هو الدكتور زكي مبارك رحمه الله ان يتحدث عن التفتيش كما لمسه ورآه ، واذا كان الاديب الكبير قد اجرى الحديث عن نفسه فما اظنه في ادبه وعلمه وعمقه كان يتورط فيما اشار اليه من التزمت المقيت ، انما درس الدكتور زملاءه المفتشين عن كثب ، وشاهد ما شاهد عن تجربة ، فتعاظمه ان يكون التفتيش محط هذه الصغائر ، ثم اختار ان يتحدث عن نفسه مصورا نقائص غيره ! وذلك ضرب في الكتابة قد اشتهر به من ادباء الجيل الماضي فريق يتصدرهم المازني والبشري وزكي مبارك ، وقد صاحبت الدكتور رحمه الله وعرفت عنه سموا عن الاسفاف وترفعا عن الصغائر ، وتفطرسا محمودا على المتكبرين من الرؤساء لا المتواضعين من المرءوسين ، فاذا تحدث الان عن نفسه فعن تجربة قريبة لما رأى من سواه ، ولن يكون الامر غير ذلك الا اذا نهض احد المدرسين ممن فتش عليهم الدكتور فخالف ما ارتأيناه !

قال الدكتور في سلسلة احاديثه عن ليلى المريضة بالعراق والنقل هنا عن مجلة الرسالة الصادرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٨ ببعض التصرف اليسير :

« منصب المفتش منصب عظيم فمن كان في ريب من ذلك فليسمع ! دخلت المدرسة التوفيقية صباح يوم فهالني ان ارى مظاهر القلق في جميع الصفوف ، فقلت للناظر : ما هذه الجلبة فقال ان التلاميذ يتطلعون من النوافذ ليمتعوا انظارهم بسعادة المفتش ، فقلت في تعجرف : هذا ادب ما بعد الحرب وكان الواجب ان يقهرهم الخشوع .

ودخلت يوما المدرسة الابراهيمية فوجدت مدرسا كان من زملائي ، وكان فيما اذكر ابصر مني بالدقائق

النحوية واللغوية فأبيت الا أن اتعجرف عليه واستطيل ، وجدته يطلب من التلاميذ ان يكتبوا عن فوائد السينما ، فقلت لماذا لا تقول الخيالة ، ورايته يمر على كلمة التطور في دفاتر التلاميذ فلا يصححها فحاسبته اشد الحساب، فقال ان الله يقول في كتابه العزيز « وخلقناكم اطوارا » فقلت نعم ان الله خلقنا اطوارا ومن اجل ذلك لا يصح ان نتطور يا استاذ .

وقد هدائي اللؤم ان اقترح على وزارة المعارف ان تعهد الي التفتيش في المدارس الاهلية والاجنبية ، لان التفتيش في مدارس الحكومة يضايقني قليلا ، اذ كان المدرسون في المدارس الثانوية وقد ثبتت صلاحيتهم للتدريس منذ سنين ، وامثال هؤلاء لا يمكن قطع ارزاقهم بسهولة ، اما المدارس الاجنبية والاهلية فيمكن فيها زعزعة مركز المدرس باشارة او اشارتين وكذلك استطيع السيطرة بلا عناء .

ومن مزايا التفتيش ان يحفظ التلاميذ اشعاري بفضل « لباقة » المدرسين ، واذكر اني دخلت يوما احدى المدارس فأردت ان اختبر الطلبة في المحفوظات ، فرأيت تلميذا قيل انه ابن وزير سابق ، فقلت اسمعني يا شاطر بعض ما تحفظ فابتدأ يصيح .

قال سعادة الدكتور زكي بك مبارك :

يا جيرة السين يحيا في مرابعكم فتى الى النيل يشكو غربة الدار

فخشيت التورط في سماع شعري فأشرت على الطالب ان ينشد شعرا غير هذا فصاح

وقال سعادته ايضا :

نسيتم العهد واسترحمتم من لوعة الحافظ الامين

فأسكت الطالب وقلت للاستاذ : اليس لدى الطلبة محفوظات غير اشعار زكي مبارك ؟

فقال : لقد اعطيتهم خمس قطع من اشعار زكي مبارك ، وثلاث قطع من اشعار علي الجارم ، فحفظوا شعرك وصعب عليهم حفظ شعر الجارم .

وانا موقن بأن الطلبة والاساتذة يسخرون منا ، ولكن ما الذي يمنع من ان نستفيد من فساد المجتمع .

ولم يكن من الصعب ان اجلس في مكتب تفتيش اللغة العربية ثم انقد تقارير المدرسين ، جاءني يوما تقرير من الاستاذ الاول في مدرسة اسيوط الثانوية فأخذت التقرير الى البيت ، وكتبت تقريرا بما في التقرير من اغلاط لغوية ، ورجعت في اليوم التالي فحدثت جميع الموظفين بهذه الفضيحة فلم ينقض اليوم الا وانا عمدة المحققين وجهبذ المدققين وكان لي اسلوب في مضايقة المدرسين اسلوب بديع ، ولكني لم ابتكره مع الاسف ، وانما ابتكره شيوخ لنا من قبل ، كنت آخذ كراريس التلاميذ الى البيت ، وادرس موضوعا واحدا من كل كراس ، ادرسه بدقة وامامي المعاجم والمراجع لابين ما فات المدرسين من اغلاط ،وانسى ان المدرس لا يستطيع ان يستشير المعاجم في كل كراس ، ولكن ماذا يهمني ؟ المهم ان يشيع في بقاع الارض اني محقق مدقق لاكون خليفة العوامري بك على الاقل وذلك مغنم ليس بالقليل ، وهو بفضل هذه الحذلقة مضمون !

ومن عادتي ان ادعو المدرسين الذين افتش عليهم «للتفضل» بانتظاري في المدرسة بعد خروج التلاميذ ، واكون قد تفذيت واخذت نصيبي من القيلولة ، ويكونون قد اكتفوا بما يتيسر من الشطائر الجافة، وقضوا الوقت في التحضير والتصحيح وتكون النتيجة ان اقدم عليهم بعافية ، وان يتلقوني وقد نال منهم الاعياء فأرغي وازبد ما شاء التعسف ويصدهم التعب عن درء الشر بالشر فيسكتون » .

هذا بعض حديث الدكتور مبارك ! وهو لوضح من ان نشفعه بالتعليق اذ جاء اسلوبه شفافا ناصعا لا يخفي شيئا في مطاويه وهو بعد ذلك يذكرنا بشيء عجيب يذكر الان في مجال التندر والترفيه ! ذلك هو حرص بعض المدرسين على تدريس شعر الاستاذ الجارم وتحفيظه للطلاب ، وكان لهم في ذلك غرائب واضاحيك .

كان مدرس الادب المعاصر لا يجد عنتا ما في اختيار قصائد الجارم لان المفتش الكبير اديب محدث يدخل انتاجه الشعري في صميم النصوص الادبية ! بل هو امير الشعراء وخليفة شوقي عند نفر من هؤلاء يزعمون ذلك له مخلصين او غير مخلصين ! فما ان يلج الشاعر الكبير باب الحجرة حتى يطالع على السبورة .

نصوص ادبية : قال نابغة الادب وصناجة العرب الشاعر الكبير الاستاذ علي الجارم حفظه الله في الاحتفال بالاذاعة المصرية :

سارى الهواء ملكت اي جناح وحللت اي مشارف وبطاح
وباي ناحية حللت فانني القاك بين توثب وطماح

وتمضي القصيدة حتى تملأ السبورة .

فاذا افاض المدرس في شرح القصيدة ، وعرض ما تضمنت من صور البيان والبديع، وروائع التنقل بالاسلوب من نداء الى استفهام الى ثمن الى طلب الى خبر ودعاء استأذن الزائر الكبير ليختبر محفوظات الطلاب فيسأل وقد دار بعينه الشاعرة في الوجوه . ماذا اخذتم قبل ذلك ! فترتفع الايدي على القماطر متلهفة فيختار طالبا لينهض صائحا وقال نابغة الادب وصناجة العرب الشاعر الكبير الاستاذ علي الجارم حفظه الله في الغزل :

مالي فتنت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحة الاك
يسراك قد ملكت زمام صبابتي ومضلتي وهداي في يمناك

فاذا تلا عدة ابيات اقعده الزائر المعجب ، وطلب غيره فنهض ليقول :

قال نابغة الادب وصناجة العرب الاستاذ الكبير علي الجارم ايضا في الرثاء

غدا في سماء العبقرية نلتقي وتجتمع الانداد بعد التفرق
ونذكر عهدا كالازاهر لم يطل وودا كمشمول الرحيق المصفق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نيسان في خليج نصف القمر

●

نيسان في خليج نصف القمر ... زنبقة مخضلة بالكوثر
فاتنة قد خجلت من عريها ... فاتخذت ثوبا ضياء القمر
مساؤه ساقية من عنب ... حباتها طوع يد المعتصر
قبل نيسان ثنايا موجه ... مبتسما ثم انثنى في خفر
وانت يا حبيبتي رغم النوى ... شلال فيروز سعى في فكري
عيناك يا وشوشة الشحرور لي ... قد رنتا عبر جفون الابحر
فاتكات في مقلتي يابسة ... لؤلؤة تقتات يتم العبر
ومر نيسان خريفيّ الخطى ... في خاطري يسعى حزين الصور
يا حلوتي ما فعل الله بنا ؟ ... قد عصفت فينا رياح القدر
والكون كل الكون لي ان كنت لي ... ان كنت لي ألهبت حسّ الحجر
تثاءب النور على شاطئه ... منكرا يشكو الى منكسر
وانجم قد فرطت حباتها ... لونت الماء بوهج الجوهر
وموجة بحّت كسربي حجل ... تعثرا في الشاطىء المنحسر
وحشرج الشاطىء من لهفته ... لما انثنت : انتظري .. انتظري
تافهة دنياي احلامي سدى ... يا حلوتي لولاك لو لم تظهري
قصتنا .. مواسم .. مواسم ... فصولها تروى شتاء البشر

الدمام ـ السعودية — عبد الله عنجريني

خليج نصف القمر هو شاطىء رملي ومسبح مشهور على شاطىء الخليج العربي في السعودية ويبعد ٣٥ كم عن الدمام ويدعوه الناس باسمه الانكليزي
The half moon bay

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمضي في القراءة فيشترك الزائر الملهم في مناقشة الالفاظ ، والبحث عن التشبيه المفرد والتشبيه المركب ، ويخرج منتشيا بأربع كؤوس من قصائده الجياد

حدثني مدرس اول بالمعاش عن موقف له مع الشاعر الكبير وقد شاءت ظروفه الا يدرس الادب المعاصر بل يشرح نصوص العصر الجاهلي والاموي وفق مقرر الصف الذي يدرس منهجه ! قال الاستاذ ورأيت اخواني يكسبون قلب الشاعر باختيار قصائده والمنهج لا يسمح لي بالتودد ، ففكرت في ان آخذ ديوان الجارم، واجمع ابيات الاستعارة والكناية والتشبيه واضعها في التطبيق التحريري ثم حرصت على ان اعرض على الجارم كراسات التطبيق قبل زيارة التفتيش ، فراجعها في ابتسام مشجع واخذ يمازحني حين تعرضت في سؤال النقد للموازنة بينه وبين الفرزدق.

قلت ، دهشا : وكيف وازنت بينه وبين الفرزدق ؟

فأجاب الاستاذ في ثقة : كان نص السؤال ما يلي :

اكتبي موازنة ادبية بين قول الفرزدق :

اولئك آبائي فجئني بمثلهم ... اذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقول الشاعر الكبير الاستاذ علي الجارم حفظه الله:

هم جدودي واين مثل جدودي ... ان تصدى مفاخر بالجدود

فراجعت البيتين في خاطري ثم قلت : ولكن بيت الجارم لن يصمد امام بيت الفرزدق ؟ فكيف واجهتم الرجل بذلك ؟

فقال الاستاذ متحديا لا يا اخي ان ذكر كلمة جدودي وتكرارها في بيت الجارم دليل السبق والفلج . اما بيت الفرزدق فوقف بالفخر لدى الآباء دون الاجداد وان الشرطية في قوله تدل على الشك واذا في قول الفرزدق تدل على اليقين ! والشك اقوى شاعرية في هذا المجال.

سألت ثم ماذا ؟ فقال الاستاذ مستنكرا : وهل ترى مزيدا بعد ذاك !

تلك فكاهة نختم بها المقال ، وكم لها من امثال .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي



في حمى لبنان

لحافظ جميل

•

وفيت لشعري عن يقين وايماني
وهل هو الا نبض حسي ووجداني

عذلت خصومي في العراق وليتني
بدأت باصحابي وصفوة خلاني

يبادلني ازكى التحايا وفيّهم
واشكو له من صادق الود حرماني

ورب اخ لم يعرف الحب قلبه
تعلمت منه كيف اعرف اخواني

ومحترز مني كأن تعلقي
بصحبته ادهى من السرطان

رآني ففض الطرف عني معرضا
وما ضره لو هش كذبا وحياني

وسيان عندي نافر الود معرض
وآخر مجبول على الروغان

واين الذي يخفى علي ضميره
ولي ألف عين أن تبصّره عينان

كفاني من التعبير وجهي صراحة
اذا كان للخبّ المخادع وجهان

ومنتقد شعري ويا رب ناقد
شهدت له باللغو والهذيان

تناولني قدحا فاعلى مكانتي
وشرّف من قدري ونبّه من شاني

وما انا بالمسوس عقلا فانبري
لتأنيب اطفال وتوبيخ صبيان

سلوا الجاهل المغرور اين مكانه
من الادب العالي واين مكاني

تملكه حب الظهور وفاته
بأن سخيف الرأي من يتحداني

لك الله يا شعري ايجحد كافر
بآياتك الكبرى ويلمزها شاني

لعلك ما تنفك تذكر اخوتي
من الشعراء الخالدين واقراني

ولاح لحاني كيف اجفو احبتي
وكم من عدو بالمودة يلقاني

الا لا اتاح الله لي من يحبني
اذا كان معنى الحب تدبير عدوان

أبيت لنفسي ان يطول شقاؤها
بأرض جفاني الكل فيها وعاداني

واي شتيت عن ذويه واهله
احب النوى لو كان موضع تحنان

تركت لاهل الفضل سابغ فضلهم
على الناس واستغنيت عن كل احسان

واي امرىء رام الحياة كريمة
وآثر بعد الله فضلا لانسان

يقولون ما شاني ولبنان كلما
تغنيت فيه جن في الشعر شيطاني

فقلت هبوني فخر بغداد محتذا
فمن غير لبنان رعاني ورباني

ومن غير لبنان شكوت فرقّ لي
ومن غير لبنان بكيت فواساني

ومن غير لبنان اعز مكانتي
وقد كاد يطويني العراق وينساني

ومن غير لبنان تحديت باسمه
تجبّر ملك او تعسف سلطان

ومن غير لبنان اذا ما وهبته
حياتي احال الارز قبرا فواراني

الا فاذكروا لي غير لبنان آسيا
عليما باوجاعي خبيرا باحزاني

الا فاذكروا لي غيره ان رجوته
رجوت كريم العون من خير معوان

نزلت به غض الشباب فهش لي
وقربني عند المشيب وادناني

ولذت به في محنتي فاجارني
وحبب لي طيب المقام ومنّاني

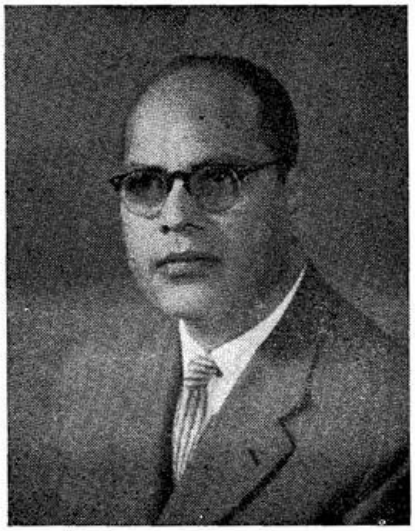
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا حبذا لبنان مهد صبابتي ... وبكر غرامي في شبابي وريعاني
أأنسى اياديه واجحد فضله ... وقد خصني بالعطف منه فآواني
ونور بالعلم الصحيح بصيرتي ... وبدل من جهلي مناهل عرفان
وأذكى أحاسيسي ونمى مواهبي ... وادّى الذي ادّى بحقي فوفّاني
ولقنني شدو البلابل في الربى ... وروضني فرخا على الطيران
عزفت نشيدي في سماه مرفرفا ... على كل مخضل الغدائر فينان
وارهفت سمع الشم من هضباته ... فما هزه لحن شجي كالحاني
مطاري به في حالق الجو سروة ... وارجوحتي اعطاف تين ورمان
ارود المروج الخضر اتلو ملاحني ... وما منبري الا ارائك ريحان
وكم صيحة ارسلت من فوق ربوة ... وساجعة راقصت في ظل بستان
اذا قمت في روض فسبّحت سحرة ... تسمع قبل الفجر صوت اذان
كأني باحلام الدوالي وقد صحت ... تنبه من اطيارها كل وسنان
اعل رحيقي من جنى كل برعم ... ومن كل مطلول من الزهر نديان
واطلع كالفجر الضحوك على الربى ... فاتركها سكرى عيون وآذان
احوّل من حقل لحقل كأنني ... اخوض عبابا من عطور والوان
وما انفكشادي الطير عوني علىالهوى ... ففي الليلسماري وفيالصبح ندماني
تميد بي الاغصان بين مرنح ... ومبتهج بالطائر الضيف جذلان
اجيء وامضي من طرير لاغيد ... وارحل عن صاح لآخر نشوان
واصعد آفاق السماء محلقا ... كفاقد الف في ذرى الجو هيمان
واهبط ان آد الطواف قوادمي ... وهل يحمل القلب الكبير جناحان
وان ضج بالشكوى حشاي من الظما ... وقعت على ضرع من الشهد ملآن
سلوها اطافت بالزهور فراشة ... طوافي بها او حومت حوماني
اهش اليها استدر رضابها ... وهل كرضاب الكرم ري لعطشان
واقنع منها بالقليل من اللمى ... وفي الجوف ما فيه من الغليان
سقاها الحيا من مرضعات حوادب ... زكيات انفاس نديات احضان
حوتني فزقتني افاويق كرمها ... على كل رفاف الاسرة ميسان
اذا اخذتني في دجى الليل غفوة ... توسدت زهرا والتحفت بأغصان
ولو قلت يا لبنان هل أنا واجد ... بأيكك عشا قال عيني واجفاني
تهيّب صحبي اذ رأوني مولها ... بلبنان اقضي العمر في هيمان
فقلت صفوا لي غير لبنان جنة ... وجيئوا ولو بعد العناء ببرهان
صفوا لي سوى بطحائه وسمائه ... خيالا لذي وحي ولوحا لفنان
صفوا لي سوى شطآنه سحر ساحر ... وغير روابيه حديقة جنّان
صفوا لي سوى انسامه وظلاله ... شفاء لمصدور وبردا لحران
صفوا لي سواه في الملاجيء ملجأ ... لمن فر من عسف وكاسح طغيان
صفوا لي سواه في المعابد معبدا ... دعا مسلم فيه وسبح نصراني
لاقسم ما لي بعد لبنان مطمح ... وما كان من طبعي الخداع ولا شاني
لاقسم ما فارقت لبنان ساعة ... ولم تك الا ساعة العود سلواني
لاقسم لولا حبه ورجاؤه ... لناديت من يبكي علي وينعاني
الا لا حلا لي بعد لبنان موطن ... ولو كانت الدنيا الفسيحة اوطاني
وهل ضامني يوما بلبنان ضائم ... لابحث في الاوطان عن وطن ثاني
كفاني به ان ارفع الرأس عاليا ... اذا طال ذو عز علي وباهاني
رعى الله من يرعى للبنان حقه ... واكرم به يحنو علي ويرعاني
واحبب بيوم فيه ألقى منيتي ... على ارض لبنان ومن اجل لبنان

بغداد

حافظ جميل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابـو طالـب زيـان

أنا واصحابي.. في الادب والحياة

بقلم ابو طالب زيان

* * *

اتخذت الجلسات التي اعقدها « انا » واصحابي في منزلي ، طابع التكرار ، وان كنت قد ازمعت في الجلسة الماضية ألا اعقدها ، حفاظا على وقت هؤلاء الاصحاب الذين يستعدون للامتحان ، ويسهرون للاستذكار ، لكن متع اللقاء في هذه الليالي الحلوة ، تكاد تنسيهم ما عليهم من واجب ، وما علي « انا » من لواذ بالصمت ، او توار عن أعينهم في هذه الايام ...

والواقع ان ما يجد من حولي من حوادث الادب ، وصراعات الاقلام ، ومحاورات الادباء في نواديهم ، او ما يفيضون به في كتبهم ، جعلت اصحابي يلحون علي في عقد هذه الجلسات ، وان اصابهم عطل في حياتهم ، او انصراف عن عملهم الذي احرص عليه « انا » قبلهم ، فهم عدتي وعتادي في مستقبل حياتي ، وهي لا شك آفلة بعد حين ، وان انا تعمدت مغالطتهم ، وبدوت في عز الشباب ، وغاية القوة ، بما احمل من عقل !! ، وما مررت به من تجارب ، وما خضت فيه من معارك قلمية ، لا بدنية ، وخرجت منها بحمد الله يكلؤ في الانتصار ، ويحدوني الفخر والاعتزاز ...

كان اليوم ــ يوم جمعة ــ وشمس الشتاء في هذا اليوم ، تكاد تكون احلى من الغذاء المعد لوجبة الظهيرة ..

في هذا اليوم المبارك ، تسللت من حجرتي كأنه لايراني احد ، ودخلت الحديقة على غير ما اعتدت في مثل هذا اليوم من ايام الاسبوع ، اطهر جداولها ، واروي ما كان في حاجة من اشجارها الى ري ، واشذب بعض اوراقها وبخاصة ما خرج منها على اسوارها وتدلى على الارض..

وعلى حين انا منهمك في عملي هذا، لا افكر في اي شيء، الا أن تبدو حديقتي في أعين أولادي جميلة ، اذا بهم جميعا يحيطون بي ، يحملون في ايديهم بعض كتبي التي اعتدت اطالة النظر فيها ، والوقوف عنـد بعض سطورها ، او الاشارة بالقلم عند بعض عباراتها .. وكانت زوجي في هذه المرة من ورائهم تحمل « عويناتي » التي تركتها على مكتبي في حجرتي الخاصة ... وعندما التفت الى هذا الجمع ، ورأيت منهم هذا التحفز، تركت ما بيدي وآثرت عقد الجلسة ، واجابة كل منهم على سؤاله ، او سؤله، وانا اصر في نفسي على ان تكون هذه خاتمة الجلسات.. لاننا نقسو فيها على بعض مفكرينا ، ونتنـاول البعض الاخر بما لا يجب ان نتناوله به ، لا سيما وهو يعتقد في نفسه انه اصبح قمة ، وبلغ النهاية ، ويتأبى على الخضوع والتناول ..!!

قلت : من اتى بكم الي في هذا المكان ، وانا قـد تسللت خوف أن تشعروا بي ، او اقطع عليكم ما انتم فيه من الدرس ؟

قالوا جميعا : «أمنا» هي التي دخلت علينا حجرتنا، وحرضتنـا علـى ان نأتـي اليـك ، ونقضـي معـك سويعات حلوة في الادب والحياة ، فنحن في حاجة الى السؤال ، ونعتقد انك لا تضن علينا بالجواب ، وبخاصة اننا قد عزمنا على تناول بعض كبراء الادب في انتاجهم واتجاههم ، وليكن ما يكون ...

قلت : أوتحسبون ان يكون شيء من وراء هؤلاء الكبراء ... انهم امامي كالفئران ، احصرهم فيمصيدة ، واخرج من اريد ... واعدم من اشاء ، وامد يدى بالسم لمن احب ان امتع ناظري به ، وهو يموت بطيئا على مـر الايام أو السنين ...

قالت زوجي : وهي دائما شبه موتورة مني ، الا اذا منحتها ما يصلني من مكافآت ، وهي قليلة لا تفي بحاجاتها، أو لا تفي بما تحرص ان يكون عليه بينها واولادها ... هون عليك .. انـت تكلمنـا كالحاكم ، او ان شئـت كالدكتاتور الذي يخيف ولا يخاف ، من من هؤلاء الادباء الكبار يرضى أن تتصرف في امره او تحكم عليه بأحكامك القاسية ، وربما يكون ما يكسبه اضعاف اضعاف ما يدخل « بيتنا » ، وهو لا يسهر هذا السهر المتواصل ، ولا يتعب هذا التعب الذي تريد ان تنهي حياتك به ..؟!

قلت : وكلي اسف على هذا العمر الطويل الذي قضيته مع زوجي .. ان مقياس الاديب عندك ما يدخل في جيبه او يصل الى يده من مكافآت ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت : نعم .. ولا شك في هذا ... ويكفي هذا الضياع الذي عايشنا كل هذه السنين ، ونحن نرتقب كل يوم الشهرة والمجد ونتطلع الى السعادة من وراء الادب.. ولكن هيهات ...

قلت : عليك بمثل واحد او امثلة ان شئت لبعض الادباء ويكون لك التسليم بما قضيت ...

قالت ابنتي الكبرى : ما رايك يا ابتاه في قصيدة الاستاذ حسن الصيرفي في رثاء ابيه

قلت : هي قصيدة باكية حقا ، وموجعة صدقا ، الا انني لا اعلم يا بنية ، ان الاب يكون صديقا ، مهما طال به العمر ، لان الاب هو اب ، والابن هو ابن اما ان ياتي الاستاذ الصيرفي ، ويحدثنا عن صداقته لابيه ، فذلك شيء ما احسبه يكون ، لولا انه خيال الشعراء القدامى الذين ولوا ، وولى معهم الشعر ، واصبحوا في خبر كان ... اسمعي يا بنية هذا التأريخ الذي اختاره الشاعر ، واحكمي على مدى هذا الخيال المريض :

اخترت يوم مولدي نهاية وراحة لمتعب خفوق
أين الطريق يا ابي فقد خفيت واين كانت الان يا صديق
غابت وغبت وانتهى في لحظة سريعة تاريخنا العريق
أبوة ، اخوة ، صداقة ، فقدتها في خفقة الشهيق

قالت ابنتي الوسطى : وهي تحاول الدفاع عن الشاعر « المفلق » ، ألست قد جعلتنا اصحابك ... وأرى انه لا فرق بين الصاحب والصديق ؟

قلت : مهلا .. مهلا يا حبيبتي .. هناك فرق كبير بين الصاحب والصديق ، فالصاحب قد يخيب ظن الانسان فيه ، اما الصديق فشيء اخر أجل واكبر .. الصديق من الصدق ، وهو الذي يصدقك في كل الامور ...

قال ابني ، وهو يتخابث : اجعلنا يا ابتاه اصدقاءك، ولا تجعلنا اصحابك .. فنحن معك ولك ؟

قلت : يوم يفهم الشاعر ، الفرق بين الصاحب والصديق ، ويوم لا تكون هذه المجاملات على حساب الادب ، اجعلكم اصدقائي على شرط الا اموت في يوم مولد احد منكم ، والا كان نصيبي منكم هذا النعيب الذي يتمثل في هذه الابيات المرصوصة الخاوية ...

قالت ابنتي الصغرى : وهل اخطأ الاستاذ انور الجندي في مجاملته لصديقه الشاعر ؟

قلت : ان الاستاذ انور الجندي يا صغيرتي ، رجل يجامل كل الناس ، بألفاظ ، هي المجاملة بعينها دون ان يحسب للتاريخ اي حساب ، اذ لا يعقل ابدا ان يكون شعر الصيرفي احد روافد ثقافته ولن يكون في يوم من الايام ، الا انه التواضع والود والمجاملة ...

كان الراحل الشاعر ابو شادي ، يعين البراعم المتفتحة ، ويكلأ العقول الغضة ، ويقف الى جوار النشء في « أبولو » وفي غير « أبولو » ، يبغي تكوين جيل جديد ، ومذهب جديد في النثر والشعر ، ويعطف بالتالي على الفقراء من الذين « يتشعبطون » في عربة الادب .. وقد نجح بالفعل في تكوين هذا الجيل ، الذي ظل يحمل مذهبه الذي كان يدعو اليه في التجديد الى يوم الناس هذا ..

قالت زوجتي : هل الاستاذ الصيرفي فيغنى الان؟

قلت : انه فقير وفقير ، ويحمل على رأسه الفقر ، ويدخر في جيبه الفقر ، فقر المال الذي تريدين ، وفقر الثقافة التي اعنيها ، وان كان يكابر بين الفينة والفينة فيمنحنا خواطر تموت في حينها ، ولو هلل لها الاصدقاء، وذوو الاريحية من المحبين ..

قال ابني : يا ابتاه ، ما معنى قول الاستاذ انور الجندي : وهو يعزي صديقه الصيرفي : « ولقد كان لهذه الابوة الكريمة اثرها في شخصك ، فقد اضفى عليك هذا الاسم ، وعاش حتى رآك شاعرا لامعا ، وكاتبا مشرق الديباجة ، وباحثا متخصصا في الدفاع عن الكلمة العربية ، عارفا بكل ما يصدر في لغة الضاد من تآليف وآثار ، وما يتجدد فيها من مخطوطات ومجلدات » .

قلت : معناه يا أولادي .. لا .. والله العظيم ..

قالت زوجي : أراك تستطرد بنا استطرادات طويلة، نحن نحدثك عن غنى الادباء وثراء بعضهم ، وزينة بيوتهم وعيشتهم الراضية الرضية ...؟!

قلت : الذين يثرون على حساب الادب ، ليسوا بأدباء ، وانهم دعاة ، وفرق بين الداعين والاديب .. فالاديب لا يمكن ان يغنى ابدا ، ولا يثرى هذا الثراء الذي تحبين .. والتطلعات التي يعايشها الاديب ، ويواكبها الادباء ، تحول بينهم وبين هذا النعيم ، لكن الداعية الذي يتخذ من نفسه بوقا للاعلان عن نفسه ، وعن بضاعته ، هو الذي يثرى او يصيبه الغنى من أيسر طريق ...

قالت ابنتي الكبرى : نريد يا ابتاه ان تكون نصف اديب ، وتعلن عن بضاعتك ويصيبنا الغنى ، ولو من اي طريق ؟

قلت يا ابنتي : لا أحب لنفسي ان اعيش في ركاب احد ، او صنيعة من الصنائع ، فأنا رجل لا اعرف « الوسط » في اي شيء او اي امر من الامور .. فأما ان اقف في الميدان واجاهد هذا الجهاد الذي وطنت نفسي عليه ، واما ان انسحب واسلم الراية لمن يحافظ عليها او الرسالة لمن يبلغها .. اما انك واخوتك تريدنني على ان اكون امعة ، او امضي في الحياة دون اعتبار او رأي ، فهذا ما لا ارضاه لنفسي ، او ترضونه لي بأي حال من الاحوال ... ولا احب ان تكون لي « فيلا » اقيم فيها ، وينظر اليها الادباء على انها ثمرة من ثمرات الدعاية الفجة الرخيصة ، لا الادب العالي الرفيع ، ولا الرأي الناضج السليم ، ولا الاعتزاز بالشخصية ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

براءة آرم

•

حواء لو عرفت
عمر الهوى خيانه
كنت سفحت الجرح
كنت غرزت الرمح
في العار والمهانه
كفارة ومت

دمشق **صالح درويش**

قالت ابنتي الوسطى : اراك يا ابتاه قد قسوت على الشاعرة : « روحية القليني » في بعض ما كتبته حول ندوة الاستاذ الكبير وديع فلسطين في منزله في العام الماضي ، عندما كان الاستاذ فؤاد الريس ضيف هذه الندوة ؟

قلت : ان روحية تعجبني في كثير من الاحيان ، فهي شاعرة بنت نفسها ، وتسلحت بما لم تتسلح به غيرها ، وبرزت الى الحياة راضية عن نفسها وعن عملها، ولا يضيرها انني اختلف معها في رأيها او اتجاهها او طابع شعرها ، ويكفي على اصالتها انها لم تتراجع امام نقدي لها وقسوتي عليها ، وسارت على طريقها ، يحدوها الامل ، وتحمل سلاح الدفاع عن قضيتها او شعرها ..

قالت : يكفي أن تطالع قصيدتها في مجلة «الاديب» عدد يناير من هذا العام ، فهي قمة من القمم ، او جانب شرقي تعتز به الضاد وتفخر ؟

قلت : وهل مضيت فيها الى اخرها ؟

قالت : تريد :

وعينيك سوف اخاصم قلبي اذا صدق القصة الداهمة

قلت : ما معنى : « اذا صدق القصة الداهمة » ؟

قالت : لا يجوز لك الدقة او الحساب الى هذا الحد .. فحياة الاديب فيها تجاوز ، ما احسب الا انه تنفيس عن مكروبه او هو خيانة في التعبير ، او سبق في رص الالفاظ ...

قلت : حسبها :

ستبعد عني وابقى انا اعاني العذاب والقى الضنا
اما قلت لي يوم حلو اللقاء وكيف أودع سحر المنى
انا لا اطيق بعادك يوما سارحل . لا . لا سابقى هنا
كذبت وما كنت يوما كذوبا وخنت العهود التي بيننا

قال ابني .. كفاها هذا الاعتراف ، وكفانا هذا الامتاع ...

قلت : وكفانا هذا السحر .. ليتها تسير على هذا النهج ، وتعمق حتى القاع ، فتخرج لنا تلك الاصداف التي حار في كنهها كثير من الغواصين والباحثين .. بله الشعراء ..!!

قالت زوجي : وهل اصابها غنى الادب ؟ اوهي تعيش مثلنا على هذه الاماني الممطولة ؟

قلت : اعتقد انها مثلنا تضحك على نفسها من نفسها ، وتعيش على هذا الكلام الساحر .. وتمضي لياليها في عذابات وصراعات وامائي ، تطبعها بطوابع الانتظار ...

قالت ابنتي الصغرى : مسكينة هذه الشاعرة ، كنت احسبها تعايش « العز » وتساهر الثراء ، وتلازم « النزل » ويجري من حولها الخدم ؟

قلت : يا اولادي : ان اصحاب الرسالات لا يهدأ لهم بال ، ولا يسعد لهم حال ، الا اذا بلغوا الرسالة ، ولا يضيرهم بعد ذلك ان يكونوا في غنى او في فقر ، ما داموا في رضا عن انفسهم ورسالتهم ، وما ترونه من امثلة فذة في حياة الادب ، ان هو الا متع ساعة ، وفقر وتعب الى قيام الساعة !!

قالت ابنتي الكبرى : نريد ابتاه ان نعيش كما يعيش الشاعر عزيز اباظة في قصره المنيف وغناه « الفاحش » ..

قلت : أن عزيز اباظة ، رجل لا يشعر بشيء ، طالما انه يقضي حياته على هذه الوتيرة الراقصة : فهو يقوم ويقعد ويمشي على اعناق صغار الشعراء الذين يتواكبون من حوله ، ويقفون على بابه ، يقدمون احلى النغم ، وارقص المعاني ، واحلى الالفاظ ، والشاعر يختار من بينها ما يصلح له ، او يرضي عقله ، او يتفق ووضعه في الحياة ...

قالت ابنتي الصغرى : نريد يا ابتاه ان تشرح لنا هذا الذي تعميه علينا ، او تخفيه في نفسك ، ولا نحب ان تعيش واياه على مضض، فنحن قد اتفقنا على مقاسمتك حياتك ، حلوها ومرها ، خيرها وشرها ؟

قلت يا بنية : ان « الباشا » في شعره ، لهو حديث يطول .. ونغم حزين احب ان يشاركنا فيه القراء في جلسة او جلستين ، فالرجل اسطورة شعرية ، ونادرة مبكية ، وفلسفة ضاحكة ، يتأبى على كل الناس ، لكن ليس علي « أنا » فأنا لست منهم ، ولا انا ممن يباعون او يشرون ، والا كنت في وضع غير هذا الوضع ، ومركز غير هذا المركز ، وغنى تحبه امك ، وترضين عنه انت واخوتك ...!!

فالى جلسة اخرى .. وما احسبك بناسية موعد هذه الجلسات ، ولتكن في ليالي هذا الشتاء ، فهو اولى بالحديث الطويل ، والسهر الماتع الجميل ...

القاهرة **ابو طالب زيان**



الى شاعري فؤاد الخشن

* * *

يا مهدي الديوان من شعره ... حيرت فني في مدى زهره
لا تحسب السانح ان ضمنا ... اصبح كالبارح في دهره
في صفحة الروح حروف بها ... من شعرك العذب ومن دره
ليلتنا في حلب ما مضت ... ما زال منها الورد في عطره
«الفاضل القصاص» في سمرنا ... و «الفاتن» المضياف في سحره
و «لبها» في الغيب تسبيحة ... ناجى بها الله مدى سفره
يا شاعري، ما الود ما حكمه ؟ ... ما كان ينساه اخو بره
نعيش في دنيا اعاجيبها ... تطلع زهر الفكر في شره
قال اناس ما لتبيانه ... قد حاد عما كان من حره
ابداعه فلك بلا قائد ... جاز الفراهيدي في بحره
نرى عمود الشعر ما شاقه ... في خيمة تخفق في عمره
صاغ بداة القفر الحانهم ... على حداء ند عن سطره
رأى نظام القول في بنية ... تحضرت كالدور في عصره

قل ما تشا في الشعر وانسج به ... قوافيا واسكب ندى خمره
ما قيمة الاشعار ان صاغها ... النظام في المحبوك من صخره
حاول بتجديدك امثولة ... لعلها تصلح من امره
« فؤاد » ، يا خفاق في شعره ... ناقوس حب دق في صدره
من بعد شوقي ما اتى شاعر ... فمن يرد الفن في قدره ؟

كتبت والعرب يجيشونها ... حربا تدك الخصم في غدره
فيا اله الكون حقق لهم ... فوزا عظيما جل في نذره

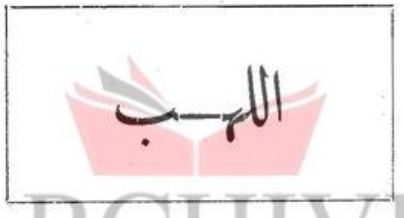
دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللهب

بقلم ابراهيم المصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في ضاحية من ضواحي مدينة « طيبة » وعلى مقربة من النيل ، وبين الحقول الفسيحة الخضراء ، والبيوت القرويةالميسورة المزدانة البساتين والرحبات بتماثيل الآلهة آمون وايزيس وتويريس ، واشجار النخيل القائمة حولها والمتراصة في نظام مهيب كأنها اعمدة معابد شاهقة ، نشأت الفتاة الساحرة الجمال « ميريس » .

وكانت ميريس بنت عامل طموح وفظ وبخيل ، نزح من المدينة الى الريف ، واشتغل بتجارة الماشية . فجمع ثروة كبيرة ، واشترى ضياعا واسعة ، وابى ان يغادر الضاحيةالى المدينة . فنشأت ابنته بين مزارعه وحقوله نشأة طليقة حرة صافية .

وبلغت ميريس السابعة عشرة من عمرها ، وتشربت نفسها حب الطبيعة ، وتفتحت عيناها منذ حداثتها على مختلف الوان الجمال الخالص الحي تبدو في الحقول الناضرة ، والطيور العابرة، واناشيد الحصاد ، واغاني القرويات ، ومرح الريف وبهجته وسحره .

وكانت تقضي سحابة نهارها بين الفلاحين ، ترعى مواشي والدها ، او تشرف علىشؤون احدى مزارعه، او تهتم بأخوتها الصغار ، او تغني بصوتها الناعم الرخيم غناء يجمع القرويين حولها ، ويثير في نفوس الشباب منهم ارق واعمق الانفعالات.

ولم يكن احب الى ميريس من الاستغراق الطويل في تأمل الطبيعة، ومشاهدة الحقول وهي تتألق في الصباح تحت اشعة الشمس ، الاخضر ضاحكات هانئات ، والشبان وهم يبذرون البذور او يجمعون الثمار ، والزوجات وهن يتعهدن بيوتهن او يذهبن باولادهن الى المعبد المجاور حيث يلقي الكاهن عظاته والفتيات وهن يتراكضن على العشب المؤثرة ، وحيث التسابيح والتراتيل تتصاعد من قلوب طاهرة وتصل توا الى مسامع آمون العظيم ...

واشاعت هذه الحياة في خلق ميريس طباعا دمثة رقيقة ، واطلقت في ذهنها احلاما خلابة غريبة ، وبثت في قلبها عواطف مبهمة وفياضة ، كانت تذهلها ، وتقلقها ، ولا تعرف الى الخلاص منها سبيلا .

على ان ميريس كانت تلوذ بالضحك فرارا من سطوة العواطف . فتضحك من نفسها ، وتضحك لمن حولها ، ثم تقبل على العمل في فرح ونشوة ، جاعلة من العمل واجبا مقدسا فرضته عليها قوة علوية لا بد من اطاعتها والاذعان لها .

وكانت هذه القوة العلوية الماثلة في شخوص الآلهة المنتشرة حولها ، تأسرها وتسبيها ، ثم تغافلها في احيان كثيرة وهي تائهة عن ذاتها ، وتتحول بفيض عواطفها الزاخر الى الصوم والصلاة وشتى ضروب العبادة والتقى ، فتقر في فكرها التعادل والنظام ، وفي نفسها الراحة والسكينة والسلام .

ولم يكن بين فتيات الضاحية من تشبه ميريس في مرحها وتقاها ، كما انه لم يكن بينهن من تشبهها في جمالها الباهر الفتان .

كانت مديدة القامة في امتلاء لين ، سمراء اللون في اتقاد ناضر ، سوداء العينين في حدة يمازجها فتور حالم ، موردة الخد ، دقيقة الانف، صغيرة الفم ، ينسدل شعرها المجعد على منكبيها العريضين فتبدو من خلاله رائعة مهيبة ، عليها مسحة من وحشية الفطرة ، يلطفها ظل ابتسامتها الرقيقة البادية الصفاء .

وكان شبان الضاحية يهيمون بها ، ويعقدون حلقات السمر حولها، ويبذلون قصارى الجهد في التقرب اليها وخطب ودها . اما هي فكانت تجاملهم ولا تعابثهم ، وتلاطفهم ولا تمازحهم ، احرص ما تكون على نفسها ، واقدر ما تكون على الظهور بمظهر البشاشة والطلاقة والمرح في ظل التحفظ والترفع والاحتشام .

وهكذا خلبت ميريس الباب الجميع وفازت باعجاب الجميع . ولكنها لم تزه ابدا ولم تتكبر بل زادها تقدير الشبان حياء وتواضعا، كما زادها انكماشا وتحفظا ، وولعا بالتأمل ، وشغفا بالطبيعة ، وتهافتا ملهوفا على تأدية شعائر الدين .

بيد ان سحر التأمل والطبيعة والدين اضرم في صدر الفتاة شعلة العواطف الغامضة المبهمة بدل ان يلطفها ، واشاع في نفسها رغبة شديدة في السمو بكل ما يحيط بها ، والتحليق باحلامها وخيالاتها في عوالم بعيدة وجميلة كالسماء التي تظللها . فتولد في نفسها على مر الزمن ميل غريب الى العزلة ، وميل اغرب منه الى استظهار قصائد الشعر الغرامية الشعبية التي كان يبتدعها الفلاحون ابتداعا ، ويرتجلونها ارتجالا ، ويتوجهون بها الى عشيقات مخيلات فاتنات .

هذا الشعر الساذج الحالم الرقيق ، كان الهواية المفضلة عند ميريس . فكانت لا تفتأ تستظهره وترتدده وتفنيه كلما برح بها طغيان العواطف ولجبها الشوق الى مخالسة المجهول ...

وكان المجهول يطاردها ، فترتعد

توجسا منه ، ولا تحاول انعام النظر فيه خشية ان يبهرها ، فتقتحمه بالرغم منها ، فيعصف بها فجاة ويوردها موارد التخبط والضلال .

على ان هذا المجهول كان يستبد بها ، ويتراءى في كل لحظة امامها ممثلا في اي شاب قروي جميل .

وكان جمال الشباب يطوف بذهنها ، ويحتل خيالها ، ويخطف في نشوة التأمل هداة عقلها . فكانت تستسلم لاغرائه وهي حائرة، وتظل تحدق في صراحة وبراءة الى الشباب الاقوياء ، معجبة باكتافهم العريضة ، وعضلاتهم المفتولة ، وبريق الصحة والشباب المنسكب على وجوههم الملوحة الضاحكة . بيد انها كانت تبهت ولا تؤخذ ، وتذهل ولا تؤسر ، وتعجب اعجابا تامليا مجردا ، يمس منها العقل دون ان يخترق شغاف القلب ويملأ فسحة الروح .

لم يحرك فؤادها اي شاب ممن يحيطون بها .

لم تجد بينهم ذلك الانسان الذي يمكن ان يكون رجل احلامها .

لم تحس ان في مقدور فتى منهم ان يقودها الى عالم المجهول .

لم تشعر حيال اجملهم وافتنهم بعاطفة الحب القاهرة المجتاحة التي كانت تحلم بها ويتردد صداها في الاغاني والاشعار . فظلت تتمثل الحب احساسا معنويا خارقا ، وتريده شعورا قدسيا ساميا . فتشبثت بهذه الصورة ، وحرصت عليها ، وطفقت تناجيها وتدعوها وتبتهل الى الآلهة ان تهبها اياها ممثلة في شاب قوى جميل ، يحمل نفسا عالية وقلبا كبيرا ترصد عليه ميبريس صفوة شبابها وحياتها .

ذلك القلب الكبير كان اقصى ما تطمح اليه الفتاة .

ذلك الحب العلوي كان غاية ما تصبو اليه وتتمناه .

ولكن اين ذلك الشاب واين ذلك القلب وذلك الحب ؟...

الشبان كما اخذت تلاحظهم ، يطمعون فقط في حيازة الفتيات ، والفاظهم الرقيقة المعسولة لا تطري منهن غير المحاسن ولا تنشد غير متعة حسية ، تستشعر ميبريس انها وضيعة ومنفرة وسريعة الزوال ...

ويئست الفتاة من تحقيق حلمها، واعياها البحث وطول الصبر والانتظار . فتحولت وتغيرت ، وتبدلت شخصيتها شيئا فشيئا . زايلتها ابتسامتها الناضرة ، وغمرت الكآبة وجهها وحديثها . عافت



ابراهيم المصري

●

المجتمعات والناس ، وانطوت على نفسها ، وامعنت في العزلة والتأمل، ولم تعد تجد متنفسا لقلبها الا في فروض الدين وشعائر التقوى .

وكانت كلما ناءت عليها وطأة العزلة تهرع الى المعبودة «تويريس» الممثلة في شكل جاموسة البحر والتي ترمز ببطنها المنتفخ الى الامومة والرضاع كما ترمز بسكينها الحادة الى ارادة البطش بكل من يجرؤ على مسها او مس جنينها المقدس بسوء ... كانت ميبريس تهرع الى تلك المعبودة ، وتجثو امامها ، وتصلي لها وتلتمس اليها ان تقتلها بسكينها ، او تمن عليها بالزوج المثالي الذي تنشده ، والذي يستطيع ان يهبها نعمة الحب العلوي ونعمة الامومة والسلام .

ولم تعد ميبريس تضحك او تغني وغشى الحزن نفسها ، وخيمت الكآبة على دارها . فذهل اهل الضاحية وراحوا يستفسرون والدها عما حل بها ، وينصحون له ان يسرع بتزويج ابنته خشية ان يصيبها داء العذارى، اي داء الحسرة واللوعة والاسى ، فيبتليها بمرض عضال قد يذهب بعقلها او يقضي في النهاية عليها .

وامتثل الوالد جزعا مروعا . ولما كان شديد البخل والطموح ، اسرع واتصل بمزارع كهل ثري يعلم انه معجب بميبريس وانه يحبها الى حد الشغف ويتمنى الفوز بها ، واختاره زوجا لابنته ...

بيد ان الفتاة الساكنة الحالمة كانت سليمة الفطرة ومشبوبة الخيال ، فاستهولت وثارت ورفضت . رفضت ان تنتهك وتلوث ، ان تباع لذلك الكهل الثري بيع الماشية . فكبر على والدها ان تعترضه ، وعز عليه ان تخرج على تقاليد بيئتها ، وخشي ان هو تركها حرة في اختيارها ان تزل بها القدم فتجلب عليه العار . فاضطهدها واوغر صدر امها حقدا عليها ، وذهب في اكراهها الى حد التهديد بالقتل .

واسودت الدنيا في عيني ميبريس ولم تستطع الا ان تسلم .

انهار املها ، وتبدد حلمها ، وزفت الى الكهل الثري كأنما هي تشيع الى قبرها .

وغارت عيناها ، وعلت الصفرة وجهها ، واتشحت بالسواد كأنها في حداد دائم على حظها ...

✶

وانقضت ثلاث سنوات ، ثلاث سنوات طويلة ، ثلاث سنوات عابسة

مكفهرة اشبه بشتاء لا ينتهي ، كانت ميريس في خلالها تبذل قصاراها لتالف حياتها الجديدة ، وتعتاد معاشرة زوجها ، وتخنق في اطواء صدرها روحها الظامىء المضطرم القديم .

كانت تعكف على رعاية شؤون بيتها ، ومحاسبة العملاء والتجار ، ومراقبة حاصلات المواسم ، والاشراف على بيعها وتصريفها . فتغير مظهرها على مر الزمن ، واصبحت في نظر الجميع امراة رشيدة عاقلة ، هادئة النفس ، قويمة الفكر ، واقعية النظرة الى الحياة ، لا يشغلها سوى الواجب والمصلحة .

وكان زوجها الكهل يحبها اعمق الحب ، ويتفانى في الاخلاص لها ، ويبذل كل مرتخص وغال في سبيلها . كان يحبها في تهيب ، ويقدسها في صمت ، ويعبدها في خشوع . وكان يعلم انها لا تحبه . فكان يتعذب ولا يتكلم ، ويتحمل ولا يفصح ، ويغلو في العطاء والبذل دون توقع اي شكر او جزاء . فكانت ميريس تكبر فيه وهو صاحب حق عليها ، ان يقابلها اعراضا باقبال ، وجفاء بعطف ، وقسوة بتواضع واحتمال . فتفكر على دهش منها في ان تغالب طبعها وان تلين يوما وتخضع ، وتفتح مغاليق قلبها لذلك الزوج العاشق الطيب الصبور الكريم .

والغريب انها كانت تنفر منه وتنجذب في الوقت نفسه اليه . تصد عنه ثم تقبل فجاة عليه . تعاف ملمسه ودعابه ثم تشعر كأن قوة خفية تدفعها نحوه وتربطها به.

كان حبه الصامت الباذل المعذب ، يتصل بروحها ، ويستجيب لجوهر نقي عزيز عليها ، ويخاطب فيها تلك العاطفة السامية العلوية التي طالما حلمت بها .

ولكن شيئا اخر منبعثا من صميم كيانها ، كان ايضا يحتويها ، ويلهب دماءها ، ويباعد بينها وبين زوجها ، ويوزع عواطفها بين الطيبة والقسوة، بين الاقبال والاعراض ، بين الشفقة والثورة .

ومع ذلك فقد ارادت ان تكبح ذلك الثوران الفامض المحتدم في دمها ، وان تقهره وتحنو الحنو الفامر على الرجل الصابر المعذب الذي هو زوجها . ولكن القدر ، القدر الفاشم المتربص بها ، أبى الا ان يغافلها ، وينقض بغتة عليها ، وينشب فيها دون رحمة مخالبه .

*

ففي ذات صباح وبينما كانت ميريس تتعهد حديقة بيتها حيث ينهض تمثال الربة تويريس قابضة على سكينها تهدد بها كل من يجسر على مسها أو مس جنينها بسوء ، في ذات صباح ابصرت المراة عن بعد شابا غريب المظهر لم تكن قد رأته في الضاحية من قبل . ابصرته يتطلع الى البيت ، ويحوم حوله كأنه يريد ان يستوثق من انه هو البيت الذي يبحث عنه . فلم تجسر ميريس على مخاطبته واستفساره عن رغبته بل تركته حائرا متخبطا وطفقت تتأمله ...

وما ان امعنت النظر فيه حتى بهتت وتراجعت ... احست وهي مستغربة ومذهولة كأن قلبها يهبط في صدرها ، وكأنه يذوب ويضمحل وتغيب معه انفاسها ...

وارادت أن تكر راجعة وتدخل البيت ، ولكن قوة عاتية ابقتها في مكانها . فأشاحت بوجهها ، ومضت تشذب الاغصان وتروي الازهار ، وهي تنظر الى الشاب خلسة وترتجف .

رأت قامة ممشوقة فارعة ، وجبهة عريضة ناصعة ، وعينين لوزيتين واسعتين ساحرتين ، وانفا مستقيما ، وفما دقيقا ، وقسمات باهرة متسقة يقترن فيها الجمال بالعزيمة والكبر والشمم . فاندفعت ميريس الى باب الحديقة وفتحته، ورفعت بصرها الى الغريب ولم تتكلم ... فدنا الشاب منها وحياها . ولما ايقن انها هي ربة البيت الذي يقصده ، اشرق وجهه ، وقال انه عاطل يطلب عملا ، وانه قد وفد الى الضاحية عساه ان يجد العمل في احدى مزارع زوجها الذي هو صديقه والذي عرفه في المدينة منذ اسابيع . فتمهلت ميريس لحظة وهي تشخص الى الشاب . ثم اسرعت وناديت زوجها . فرحب الرجل بصديقه ، واكرم وفادته . وما لبث الرجلان ان تفاهما ، وشرعا يتحدثان عن الضاحية وسكانها ، وعن العلاقات التجارية التي تربطها بطيبة والمدن المجاورة .

*

ولم تكد تمر بضعة اسابيع حتى اصبح « ساتني » صديق الاسرة ووكيل الزوج في اعماله بل كاتم سره وموضع ثقته والقوة الشابة النامية التي يعتمد عليها في معظم معاملاته.

واستقر ساتني في الضاحية ، واتخذ لنفسه مسكنا صغيرا بجوار بيت صديقه . فكان يرى ميريس كل يوم تقريبا وكانت تراه ...

وهكذا جاءها القدر بحلمها فجأة وبدون عناء ...

جاءها القدر بضالتها ، وحملها مختارا اليها ، وقدمها لها في ابتسامة خبيثة ساخرة .

حرمها القدر من الحب قبل الزواج ، ليهبها الحب وهي اسيرة مكبلة.

واحبت ميريس ساتني حبا عاصفا غلابا طواها واكتسحها كأعصار .

احبت ساتني بكل قوى عواطفها المكبوحة ، وكل عذابات صبرها الطويل ، وكل حسرات شبابها المخيب المطعون .

وتلفتت حولها وهي شاردة ، واذا بها تحس الكون غضا جميلا ، والسماء مضحية لامعة ، والازهار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسامة ضاحكة ، والطبيعة كلها قد ارتدت الى عهدها الاول افتن ما تكون بهجة ورواء وحياة .

وراحت ميريس تتسلل الى حلم شبابها المنتفض وهي مذهولة ، وتخالسه وهي مفتونة ، وتداعب اطيافه الرائعة المروعة وهي مأخوذة ومسلوبة ، لا تستطيع ان تصدق او تتصور ان من كانت تحبه في همسات احلامها وتنشده في واقع حياتها قد اصبح يعيش حقا امامها، ويتنفس في قربها ، ويتقلب في جوها ، ويختلج حرارة وحياة على مرمى اللهفة منها ...

وبدأت تجامله وتلاطفه ، وتستدرجه وتشجعه ، ثم خامرها القلق بغتة ، فخافت من نفسها ومنه . فشرعت تقصيه وتعرض عنه . ولكنها اقصته ثم قربته ، وراغت منه ثم سعت اليه، وحاولت ان تعف عنه فلم تستطع الا ان تلوذ به من عذابها وتتهافت عليه .

واستجابت نفس الشاب الى حبها وامتدت اليها شعلته فالهبا الهابا.

وعندئذ تنبهت ميريس وصحت. احست لاول مرة في حياتها ان هوة سحيقة تحتفر عند قدميها . فحدقت الى الهوة المفغورة ، وعاد الدوار وطوح بها على الرغم منها . بيد ان الاعماق المدلهمة روعتها ، فتراجعت مستهولة وساخطة ، وغالبت جهدها الاغراء العنيد ، واستماتت في الكفاح لتفصل بين عقلها وقلبها ، ومضت تفكر وتتأمل، والدوار مع ذلك يخالسها ، وسحره الخالب ما ينفك يبتسم لها ويدعوها ... كيف ... كيف يمكن ان تعبث وتغدر وتخون ؟...كيف يمكن ان تخون زوجا اسرها بحبه ، واسرها بعذابه ، وبذل المستحيل ليعوضها عن كهولته حسن معاملة ، ولطف معاشرة ، وسخاء يد ، وصدق عاطفة ، ونبل خلال ؟!..

ثم كيف يمكن ان تخرج عن طبعها ، وتنتهك حرمة ذاتها ، وتترخص وتتبذل وتكشف عن محاسنها لرجل غريب . ثم كيف يمكن ان تتسلل كاللص ، وتزحف كالمجرم ، وتتلون وتتماوج كالحرباء والافعى . كيف يمكن ان تتصل برجلين ، وتتوزع بين رجلين ، وتكذب وتحتال في كل يوم وفي كل ساعة على رجلين ؟!... الحب الصحيح لا يمكن ان يسلم الا لرجل واحد . وهو لا بد ان يسلم الجسد توكيدا لوفاء الروح...الجسد؟... لقد كانت ميريس تشعر بوطأته ، وتتلهف في قرارة نفسها على تلبية ندائه . ولكنها كانت تنشد الحبيب الذي يمكنها ان تعف عنه ، والذي يمكنه ان يحبها لشيء اقدس وابقى من الجسد . اما الان فقد اصبحت تعلم علم اليقين ان لا مفر لها من هبة الجسد ، ولا مفر لها من تلويث الجسد ، وانها هي نفسها تطلب هبة الجسد كاملة ولا تستطيع .

وعاودها الشعور بالانفة والاستنكار والذعر كما عاودها الشعور باللوعة واللهفة والحب . فأحست وقلبها ينخلع ان شيئا عميقا فيها بدأ ينكر لزوجها ، وانها تعانده وتقاومه ، وتصد عنه وتزجره ، وتوشك ان تنفر منه وتعافه وتكرهه . فاستهولت هذا الاحساس الجديد ، وادركت ... ادركت انه هو الدوار . هو الدوار المتربص بها . هو الدوار الذي يطن في رأسها ، هو الدوار الذي قد يغلبها يوما ويجرفها ويلقي بها على الرغم منها في عمق الهاوية .

وارادت ان تتنفس ، ان تتخلص، ان تفر . فهرعت الى معبودتها الاثيرة ، الى توريس ربة الامومة والرضاع ، وقدمت لها القرابين واستصرختها الرحمة ، واستحلفتها باسم الكائن المقدس الجاثم في احشائها ، ان تمنحها طفلا ، طفلا يصونها ويحميها ويملأ فراغ قلبها ، وينقذها من حبها المنكر الاثيم .

وكبحت ميريس نفورها جهدها، وعادت فأقبلت على زوجها ، واتصلت به ، واندمجت فيه اندماجا كليا مطلقا ، عسى ان تجد بين احضانه الراحة ، وتظفر منه بالطفل المنقذ المبتغى .

وكانت تتجنب ما استطاعت رؤية ساتني وهي تعلم انها تعذبه . ثم تحبس نفسها في مخدعها ، وتصوم وتصلي ، وتطلب الى الربة توريس ان تغفر لها العذاب الذي تلحقه بحبيبها ، وان تمدها فوق ذلك بالقدرة على مواصلة تعذيب نفسها وتعذيبه ، عله يتبرم ويسخط وينصرف اخر الامر عنها . ولكن الشاب لم ينصرف بل تباعد كأنه دخيل ومنبوذ . فتمزق قلب ميريس حبا له وشفقة عليه ، وابت مع ذلك الا ان تثبت ، ان تقاوم ، ان تمعن في تعذيبه وتعذيب نفسها، ولا تضعف وتستسلم .

وفجأة تبدلت امامها الدنيا وشاع فيها النور ...

استجابت لها الربة القادرة ومنحتها الطفل ... فلم تكد تشعر ميريس انها حامل حتى اصابها شبه مس من خيال .

غمرتها الراحة والطمأنينة والثقة .

وثقت في نفسها وفي عزيمتها وفي حظها وفي عين الربة القادرة التي تكلؤها . فأعرضت عن ساتني بجمع كيانها ، وصوبت لهفة هذا الكيان كله نحو جنينها ...

لم تشأ ان تحس لعذاب الشاب اي الم . بل لم تشأ ان تحس لعذابه اي تأثر او انفعال . فهالت ساتني قسوتها . فأعرض بدوره عنها ، ثم عاد صاغرا اليها، والف وهو يزورها ان ينزوي في ركن من بيتها ، يتحدث الى زوجها ، وعينه الناقمة المتقرحة تتطلع اليها خلسة وتعبدها ...

وكان الزوج لفرط حبه امرأته وثقته في صديقه ، لا يخطر على باله فكرة الخيانة لحظة . فاستغرب من ساتني انزواءه وتجهمه . ولكنه عزاهما الى غرابة اطواره والى حياة العزوبة وما تبعث في النفس من ميل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الوحدة والاعتكاف .

واما ميريس فقد حزت في نفسها كآبة ساتني ، وملأت قلبها بالتوجس والرعب . خشيت ان يفقد صبره فتفقده هي الى الابد . فاستضعفت وهمت بأن تسعى اليه وتستغفره . بيد ان هذه الخطوة الحاسمة ضاعفت رعبها . فاستمدت من الرعب قوة وثبتت ايضا وقاومت ، وتحولت بكل عزيمتها الى التفكير في طفلها . .

*

وتصرمت اشهر اللهفة والقلق والشوق والانتظار ، وانفطر كيان ميريس بغتة ووضعت الطفل !...

وضعت الطفل العزيز ، الطفل المنشود ، الطفل المبارك المنقذ المحيي . ولكنها ما ان حملته بين ذراعيها ، وضمته الى صدرها ، واحتوته وتنشقته وقبلته وحدقت فيه ، حتى اقشعر بدنها وارتعدت فرائصها .

رأت طفلها المعبود صورة حية مختلجة من حبيبها ساتني !

رأت حبيبها نفسه ينبثق من كيانها ، ويخرجها من احشائها ، ويصبح جزءا ابديا منها ، ولا يعللها بالخلاص بل ينذرها بالهلاك !

وايقنت ان القدر يطاردها ، وان لعنته قد حلت عليها ، وان الآلهة جميعا قد تحالفت لتصرف عين الربة تويريس عنها . فنظرت الى الطفل ، ونظرت الى نفسها ، ولم تستطع الا ان ترى ساتني راقدا في حضنها ، يبتسم لها ، ويناغيها ، ويرفع ذراعيه الغاشمتين ويقبض بهما على عنقها.

وعاشت سجينة في مخدعها اياما واسابيع ، وساتني امامها ، وصورته تخلبها ، والطفل نفسه يلهب الصورة ، ويبعث الطيف ، ويستنهض الخيال ...

وجاهدت ميريس لتكتفي بالوهم عن الحقيقة ، وبالروح عن الجسد ، وبالطيف عن الانسان . ولكن الانسان كان يلاحقها ، ويحتل وجودها ، ولا يكاد يتمثل لها في الزهرة الناضرة التي نبتت من خالص دمها ، حتى تصبو بالرغم منها اليه ، وتتهافت بوجدانها عليه ، وتثور حواسها طلبا لقربه كما تثور حواس الام ابتغاء قرب الرجل الذي تحبه والذي استولدها بكر اولادها .

وباتت تعتقد ان ساتني هو والد ابنها ، وان هذا الوالد هو الاب الحق ، وهو الذي يجب ان تهرع اليه ميريس وتهبه جسدها وحياتها .

واحست ان لا بد لها اليوم او غدا من ان تحطم كل شيء وتمضي في طريقها ... اجل . احست ان خيانة الزوج الطيب مقدرة عليها ، وانها مسوقة سوقا الى اللحاق بحبيبها ... ولكن اتحمل الطفل معها ام تتخلى عنه لزوجها . واذا تخلت عنه فكيف يمكن ان تعيش وتسعد هي . كيف يمكن ان تفصل بين ابنها وحبيبها ، وهذا الحبيب هو والد ابنها بالفكر والقلب والروح ؟!... لن تتم لها السعادة الا اذا جمعت بين الابن والحبيب... ولكن اممكن هذا ؟... افي وسع اي عقل ان يتصور هذا ؟... لن يتخلى زوجها ابدا عن ولده . لن يطلقها مهما ثارت وتوعدت واعولت وانتحبت . لن يمنحها حريتها وهو يحبها . لن يبيحها سمعته وشرفه وعرضه وهو صاغر وذليل ... واذن فهي مجبرة على ان تمكث معه. مجبرة على ان تضلله وتخدعه . مجبرة على ان تتخذ من ساتني عشيقا لها حرصا على الولد وحرصا على الحبيب . وعندئذ لا بد ان ترتطم . لا بد ان تفتضح فتجلب العار ايضا على ابنها البريء ، ابنها الوحيد ، وتغمره بالذلة ، وتدمغه بالوصمة ، وتقضي القضاء المبرم على حياته وحياتها .

واظلمت الدنيا في عينيها ، وتوزعت نفسها بين الاقدام ، والاحجام ، بين الرغبة والخوف ، بين الرجاء واليأس . ولكن ساتني الذي كان امامها ، في حضنها ، جعل ايضا يخاطبها ويشجعها ويدعوها. فتأكدت مرة اخرى انها لامحالة هالكة.

ولما ان احتواها هذا اليقين وتمكن منها وابصرته اشبه بوحش كاسر يجثم على صدرها ويكاد ان يأخذ بمخنقها ، لم تحتمل ، وهبت من فراشها ذات ليلة ، ثم تأملت نفسها ، واعضاءها ، وبيتها ، والخمس سنوات الطويلة التي عاشتها منذ قرانها . وفي هدأة التأمل وسورة التذكر واستبداد السخط والحنين ، تصورت ماضيها الابيض الناصع وهو يمرغ في التراب ، وزوجها الطيب الواثق وهو يطردها ويثير عليها والدها واهل الضاحية ويوصد في وجهها كل باب ، وابنها المنتزع منها يصبح في الغد رجلا ويضرب في الحياة وهو محقر وذليل وموصوم. فاستطار لبها ، وجاشت في نفسها كبرياء عفتها وعزة صونها. فالتهبت فجأة ارادتها . فلم تتمهل ، وانسلت من مخدعها ، ومشت كمن يحلم وهو نائم ، وخرجت الى الحديقة ، واتجهت صوب تمثال الربة تويريس ، وجثت امامها ، ومضت تحدق فيها ... لم تحدق الى وجهها ولا الى بطنها وثدييها ، بل اشرأبت وحدقت الى السكين ، الى السكين التي كانت الربة مسلحة بها ...

ورفعت ميريس ذراعها ، وتحسست السكين وانتفضت ... انتفضت ثم تماسكت ثم قرت وانسكبت في اعضائها قوة ثابتة وعازمة . فكرت راجعة ، ودخلت بيتها ، ومرقت الى مخدعها ، وانحنت على سرير طفلها تتأمله وهو نائم وترهف السمع الى غطيط زوجها .

واحست كأن فؤادها يقطع اربا. ولكنها تماسكت ايضا وقبلت ولدها. ولم تكد تقبله حتى تصلبت وتدفق فيها العزم طاغيا كالسيل .

فتحولت نحو جعبة معلقة في ركن من الحجرة ، وانتزعت منها سكينا ، واندفعت وفتحت الباب الخارجي وانطلقت .

انطلقت تركض في الظلام الدامس،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محلولة الشعر ، مكشوفة الصدر ، عارية القدمين ، حتى بلغت منزل ساتني . فطرقته . فبرز اليها الشاب مرتاعا . فما ان رأته حتى إستهولت مسلكها وهممت بالتراجع. ولكنها صرت على اسنانها مفيظة ومحنقة ،ودنت من الشاب ، وصاحت به كمعتوهة ، وروعة جماله تكاد تخلبها ، واللهب المندلع من وقدة شبابه يكاد يحرق عزمها :

ـ ارحل .. اترك هذه الضاحية .. أقطع كل صلة لك بزوجي ... اني احبك يا ساتني ... ولكني لا استطيع ... ابدا لا استطيع .. وانت تعرف ذلك ... فارحمني ... اشفق علي ... اترك الضاحية غدا ... يجب ان ترحل غدا والا اهلكتني... سأموت يا ساتني ... اتفهم ؟... سأقتل نفسي !...

فارتعد الشاب ولم يصدق بصره وسمعه ، وانقض عليها وحاول ان ينتزع من يدها السكين . ولكنها تملصت منه في اباء وعزم . فحملق فيها ثم صاح :

ـ امن اجل ان تقولي لي هذا جئت الساعة الى هنا ؟... تريدين اقصائي اليوم عنك ؟... لماذا ... لماذا تركتني بالامس احبك ؟.. لماذا لم تحرمي علي منذ البدء دخول بيتك ؟.. لماذا لم توعزي الى زوجك بفصلي من عملي؟... ابعد ان قربتني اليك واضرمت نارك في صدري ، تتنكرين لي الان ، وتحطمين قلبك وقلبي ، وتهددينني بالانتحار ؟!... ولكنك انتحرت منذ يوم زواجك ، وحبي وحده هو الذي يمكن ان يبعثك !

واضطرمت ثورته واستطرد وهو يرجف :

ـ اية حياة تلك التي عشتها مع ذلك الكهل ؟... لقد اشتراك بماله، وتقاضاك الاعوام الطويلة حقه . فمن حقك انت اليوم ان تعيشي وتتمتعي ، وتثأري من عبوديةواجب موهوم بحرية واقعة ترد اليك كرامتك وتهبك الحب والحياة !...

فاذا كنت حقا تحبينني ، فاتركي زوجك ، واحملي معك ولدك الذي هو بالقلب والروح ولدي ، واتبعيني ... واذا كنت تخافين على حياتك وحياتي ، فاعلمي ان زوجك المترف الضعيف ووالدك البخيل الطماع لن يجسرا على مسنا بسوء ، ولا بد ان يؤثرا في النهاية طلاقك ، على ارتكاب جريمة تزج بهما في السجن وتحرمهما التمتع بالنعيم الذي يمرحان فيه ... فاتبعيني ، ولنفر سويا ، ولنكافح ونتعذب حتى نتزوج ... تلك هي القوة والسعادة يا ميريس !

فنظرت اليه فترة مأخوذة . ثم هالتها تلك السعادة الخارقة التي لا يمكن ان تتحقق الا على كومة من الاشلاء والضحايا . فأسرعت تقول وهي تتلوى :

ـ العار لولدي ... والعار لابي ... والعار والشقاء وربما الموت ايضا لزوجي !... محال ... لن يعيش زوجي ان انا حرمته من ولدي ومني !

فصرخ الشاب :

ـ انت تحبينه !

فقالت :

ـ انا ممزقة يا ساتني فارحمني !.. كنت اتمنى ان اسمع منك صوتا اخر يمكن ان يجمعني بك دون ان يلوثني ... ولكنك لم تستطع ... انت انسان ... لست غير انسان ... اذن فيجب ان تقسم ...

وهتفت :

ـ اقسم ... اقسم لي بالمعبودة توبريس ان ترحل !

وجعلت تتردد في صوت باتر المخارج قاطع النبرات :

ـ اقسم ...

فثبت فيها بصره . فألفاها منتصبة حياله كأنما هي طود شامخ، كلما حاول ان يقتحمه ازداد الطود صلابة ، وتهشم هو على صخره وتحطم ... فدنت هي منه بغتة ، واوشكت ان تجثو امامه ، وصوبت اليه نظرة . نظرة مبتهلة ، نظرة متوسلة ، نظرة مستغيثة . فتفرس فيها . فواجهته عيناها المتوهجتان حيث يبرق العزم الراسخ مقرونا بعمق الالم وذلة التوسل والاسترحام . فتفطر قلبه ، وملكه اليأس ، وايقن من المصير الفاجع الذي فرضته المرأة عليه . فحنى رأسه ولم يستطع الا ان يقسم . ولكنه ما ان اقسم حتى اختبل . وفي لوثة حسرته ويأسه وضياعه ، ارتمى عليها وحاول ان يضمها لاول مرة ويقبلها . بيد انها لم تكد تحس انفاسه الحارة تهب عليها ، حتى اختلجت وضل عقلها . فأرادت هي ايضا ان تقبله ، ان تضمه ، ان تعانقه ولو لحظة وتفنى فيه . ولكن استشعارها مقبض السكين المضمومة عليه اصابعها ، ردها الى نفسها ، وذكرها بعزمها ، وبالسكين المقدسة التي تحملها ربة الامومة والرضاع ذودا عن جنينها . فاستجمعت مدخر قواها ، ودفعت الشاب عنها . وقبل ان يعود فيتشبث بها ، استدارت تائهة ومخبولة ، وانطلقت تعدو صوب منزلها .

*

وفي مساء اليوم التالي وبينما كانت ميريس جالسة في احدى شرفات بيتها ، وابنها يرقد في حضنها ، دخل عليها زوجها وهو دهش وآسف ومحزون ، وانبأها ان ساتني قد تغير دون سبب ، وانه ترك العمل ومضى ، واعتزم ان يقيم في كوخ وفي قرية الحطابين القريبة من الضاحية . فارتعشت المرأة وهزت كتفيها كأنها لم تحفل. ثم سرحت بصرها في الافق القريب، في الافق الدامي ، حيث تبدو الحقول الواسعة ملتمعة في قرية الحطابين ، ثم انحنت وهي ملهوفة، انحنت وهي مذعورة ، ومضت تضم الى صدرها طفلها المرهوب ، وعينها الذاهلة الشاردة تحدق الى قرية الحطابين ...

القاهرة **ابراهيم المصري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

ابراهيم الدباغ

بقلم البدوي الملثم

* * *

في يافا الشذية برائحة البرتقال ، المعطرة بارج الليمون ، الفافية على زند المتوسط ، ولد ابراهيم الدباغ عام ١٨٨٠ وترعرع . وعندما بلغ الرابعة من عمره احتسب والديه فكفله جده لابيه السيد عبد القادر احمد الدباغ وجده لامه السيد سعيد الشرقاوي ، وكلاهما من اهل الفضل والعلم ، وكان ابراهيم يقرأ عليهما كتب الاخلاق والفقه والتصوف وقصتي عنترة (١) وابي زيد الهلالي وغيرهما من القصص الشعبي بالاضافة الى الكتب الادبية والدواوين الشعرية .

وبعد ان تجاوز ابراهيم العاشرة من عمره درس في كتاتيب يافا ثم اشتغل خياطا وما لبث ان هجر هذه المهنة وعمل حدادا لدى الماني اسمه « كوتلب » وذات يوم اصابته شظية حديد اقعدته عن العمل فمرض وانقطع عن الحدادة واخذ يغشى حلقات الذكر ويرهف السمع الى اناشيدها ، ومن هنا اختمرت الانغام في نفسه !

وبعد فشل الثورة العرابية في مصر عام ١٨٨٢ اختبأ السيد عبد الله النديم ، خطيب الثورة ، في مصر الى ان القي القبض عليه فصدر اول عفو عنه ونفي الى يافا عام ١٨٩١ ، وهنا لزم ابراهيم مجالس الضيف الكبير واقبل على احاديثه الادبية والعلمية التي كان يعقدها في بيوت اهل العلم والادب ، فاعجب ابراهيم بالحديث الطلي من الضيف المشرد واختمر طلب العلم في نفسه فقرر الالتحاق بالازهر الشريف .

وعاد السيد عبد الله النديم الى مصر ، بعد صدور العفو عنه ، لكن عادت السلطات البريطانية الى اعتقاله ونفيه خارج القطر المصري فاتخذ يافا دارة له وبلغها في ٢٠ ـ ٦ ـ ١٨٩٣ ، واخذ الدباغ يتردد على مجالسه الادبية بصحبة جديه وعزم نهائيا على شد الرحال الازهر طلبا للعلم وكان قد بلغ الثالثة عشرة من عمره .

وقبل ان يقدم ابراهيم على الالتحاق بالازهر وجه الى جده السيد عبد القادر الدباغ فتوى خطية ضمنها السؤال التالي : « ما حكم طالب العلم وهو تحت سن الوصاية يتطلع الى المزيد من العلم لكن وصيه يأبى عليه ذلك ، ايخالف الوصي ويخرج لطلب العلم ؟ ام يبقى حيث يشاء له وصيه ؟ »

فرد الجد بالفتوى التالية : « اذا كان طالب العلم راغبا في الاستفادة منه فبوسعه ان يخالف ارادة الوصي ويسافر في طلب العلم ، لان طلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة ! » .

تلقى ابراهيم فتوى جده بمجالي الغبطة والارتياح .. واودعها جيبه وفي يوم من ايام خريف عام ١٨٩٣ بارح يافا بحرا وبلغ دمياطا على ظهر مركب شراعي واستانف سفره الى القاهرة وتمكن من الانتساب للازهر وسلخ فيه طلبا للعلم عشر سنوات الى ان حصل على الشهادة العالمية ومن اساتذته : الشيخ محمد عبده ، السيد عبد القادر القصاب ، عبد الله وافي المنوفي ، سليم البشري ، سيد علي المرصفي ، الشيخ محمد المهدي ، الشيخ حسن الطويل وغيرهم من اعلام الازهر .

وخلال دراسته في الازهر تتلمذ مع رفيقيه الشاعرين ولي الدين يكن واحمد محرم على الشاعر المعروف العلامة حسني باشا الطويراني صاحب (لامية الترك) ودرس عليه مع زميليه الادب والعروض والفلسفة وراسل الصحف المصرية وغيرها والتحق بالندوات الادبية كندوة عبد الخالق السادات وندوة البارودي شاعر مصر الكبير وندوات آل تيمور وشيرين ولمع اسمه في آفاقها .

وانكب الدباغ على دراسة الادب العربي واسعفته ذاكرته القوية على حفظ روائعه شعرا ونثرا ، وقاد وهو طالب مظاهرة من طلاب الازهر طلبا للاصلاح ، لكن السلطات فرقت شمل المتظاهرين واودعت الدباغ السجن ، وبعد ايام افرجت عنه فعاد الى دراسته وكان من لداته في الازهر : مصطفى لطفي المنفلوطي ، حسن ومصطفى القاياتي، الشيخ ابو العيون ، احمد نسيم ، ابو الوفاء محمود رمزي نظيم ، عبد العزيز شاويش وغيرهم .

في حقل الصحافة :

وبعد تخرجه من الازهر التحق بالصحافة لانسجامها مع سليقته واخذ في مراسلة « الاهرام » و « المقطم » و « المؤيد » و « اللواء » و «الجريدة » ونشر شعره ونثره في « المؤيد » و « الاهرام » و « اللواء » و « الظاهر » و « مجلة سركيس » و « الرقيب » وعين رئيسا لتحرير جريدة« العهد القويم » ولصحيفتي « التمثيل » و « المسرح » و « القاهرة » ، واسهم في تحرير مجلة «روضة البحرين» وغيرها من المجلات والجرائد بالاضافة الى تحريره في صحف الفكاهة ك « الصاعقة » لاحمد فؤاد و « السيف » لاحمد حسين .

وفي عام ١٩٠٤ انشأ « الانسانية » جريدة ومجلة وظل يصدرها لغاية عام ١٩١١ بعد ان اغلقتها الحكومة . وقبل اعلان الحرب العالمية الاولى وبعد اعلانها اخذ ينشر شعره في « مجلة سركيس » وبعضا من تعليقاته ومقالاته في مجلة « الزهور » ومال بكليته الى الحزب الوطني واسهم في تحرير الصحف الناطقة باسمه مثل « اللواء » و «الشعب » و « العلم » واحبه زعماء هذا الحزب امثال مصطفى كامل ومحمد فريد والشيخ عبد العزيز شاويش . وتقديرا منهم لوطنيته شقت قصائده الوطنية طريقها الى الصدارة في « اللواء » .

وفي عام ١٩١١ عرضت عليه وظيفة في « دار الكتب المصرية » مع حافظ واحمد نسيم لكنه رفضها باباء لتطلعه الى الحرية ورغبته في ان يعيش حرا طليقا في رحابها ... وظل يسجل احداث مصر السياسية شعرا الى حين ادركته المنون .

يسلك بعض ادباء مصر الشاعر الدباغ في عقد الطبقة الاولى كحافظ ونسيم واحمد الكاشف واحمد محرم ومنهم من يقول ان شعره اجود من شعر حافظ لا سيما شعراء الاسكندرية والصعيد ، لان الروح الوطنية في شعره اقوى منها في شعر حافظ ، ولم يذكر عارفوه وعشاق ادبه انه تملق يوما كبيرا او تزلف لذي حول وطول .

وفي عام ١٩١١ زار تيودور روزفلت (١٨٥٨ ـ ١٩١٩) مصر والقى خطابا في الجامعة المصرية غمز فيه من قناة المصريين فهاج الدباغ لهذه الغمزات وصدر « المؤيد » في صباح اليوم التالي وفي الصفحة الاولى منه قصيدة بتوقيع الدباغ وقد اشتملت على مقدمة نفيسة ورد بليغ .

وقبل نشوب الحرب العالمية الاولى عين رئيسا لتحرير « العفاف» وظل يعمل فيها الى حين انطلاقة شرارة تلك الحرب الضروس فاعتقلته السلطات البريطانية مدة سنة ثم افرجت عنه وعين رئيسا لتحرير مجلة

(١) ـ قال الدباغ في ص ١١٧ من كتابه « حديث الصومعة » : وقد قرأت وانا صغير قصة (عنتر) ثلاث مرات لجدي السيد عبد القادر الدباغ رحمه الله وقرأت (الظاهر بيبرس)و (الف ليلة وليلة) لجدي المرحوم سعيد الشرقاوي ، فمررت باعاجيبها واكاذيبها وآمنت بخرافاتها واساطيرها ، ولم اجد بعدها في عجائب الدنيا شيئا يذكر !»

« مرآة الادب » وظل يشرف على تحريرها لغاية ١٩١٨ .

وفي عام ١٩٢٠ نشر طائفة من المقالات الادبية في جريدة « الساعة » وفي مجلة « الاصلاح » وفي صحيفتي « النـاس » و « البغبغان » لصاحبهما حسين شفيق المصري وفي عام ١٩٢٢ اصدر جريدة « الزمان » وظل يصدرها الى عام ١٩٢٤ .

رهن المحبسين : وفي عام ١٩٢٦ فقد بصره فعرض عليه بعض ساسة مصر معالجة عينيه على نفقتهم لكنه رفض العرض وسأله بعض المشفقين عن الوفد المصري الانتساب اليهم طمعا بنتاج قلمه وهم ينفقون على معالجة بصره وانتشاله من البؤس الذي يبلوه لكنه ابى عليه هذه الاغراءات وقال لابن اخيه الاستاذ مصطفى درويش الدباغ : « لن ارهن ديني ووطنيتي في سبيل عرض زائل ، فزادي في هذه الحياة كبريائي وعزتي وانفتي ! »

ورغم النكبة التي اصابت عينيه ظل ينشر المقالات والقصائد في « كوكب الشرق » و « البلاغ » و « السياسة الاسبوعية » و « الرسالة » و « الوفد المصري » و « الاهرام » و « المقطم » واطلق عليه عشاق ادبه « رهين الاحباس » واسماه اهل القلم في مصر « اديب القاهرة » و « فولتير مصر » وخاطبه بعضهم في رسائله « عزيزي الشيخ فولتير » اذ كان الدباغ ناقدا اجتماعيا مرا من طراز رفيع ، وفي مؤلفاته « حديث الصومعة » و « في ظلال الحرية » و « شهد وعلقم » الوان من نقده العنيف ، واتسم اسلوبه النثري بالانسانية والوطنية ونقد المجتمع .

وكان من اصدقائه الادباء والشعراء : خليل مطران ، احمد نسيم ، احمد شوقي ، محمود واصف ، احمد الكاشف ، ابراهيم العرب ، امام العبد ، محمد الاسمر ، احمد زكي باشا : حافظ محمود ، سليم سركيس ، محمد الهراوي ، حسن القاياتي ، زكي مبارك . وكان على صلة وثيقة بالمويلحي الكبير والمويلحي الصغير وبالسيد عبد الرحمن الكواكبي وكان يحضر مجالسه ! .

واحبه اعلام الفن في مصر امثال الشيخ سلامة حجازي ، عبده الحمولي ، محمد عثمان ، عبد الحي حلمي ، منيرة المهدية ، ام كلثوم الشيخ محمود صبح ، السيد درويش وغنى اكثرهم قصائد من نظمه !

ومن اصدقائه الممثلين : عبد الرحمن رشدي ، جورج ابيض ، علي الكسار ، نجيب الريحاني وله فيهم مداعبات شعرية طريفة .

واشتهر الدباغ بالظرف والدعابة وخفة الروح واعتبر من امراء المرح والفكاهة والنكتة « المبطنة » وكثير من النكات المنسوبة لحافظ وامام العبد هي من بنات افكاره ولقد صحح هذا ابن شقيقه الاستاذ مصطفى درويش الدباغ في كتابه « وحي الشاطىء » . وكان الدباغ واحدا من المحدثين الاربعة في مصر وهم : حافظ وامام العبد ومحمد لطفي جمعه وابراهيم الدباغ .

وفي الحرب التي نشبت عام ١٩٣٥ بين ايطاليا والحبشة انشا الدباغ قصيدة في تمجيد الاحباش وصمودهم امام الجيش الايطالي الفاشستي ، وقد طرب لها بطريرك الاقباط في مصر وشكر الدباغ على ما جادت به قريحته من شجب لاعتداء القوي على الضعيف ، وتقديرا من غبطته لتلك القصيدة زاد تبرعه لمنكوبي الاحباش مبلغ الف جنيه ، ومن تلك القصيدة قوله :

يا باعث الاقلام من كبواتها ... لا ذقت وخز البيض من ماضيها
نزلت مساعير الوغى عن حقها ... ما للمزاكي الحمس لا تذكيها !
الحرب مندلع اللسان لهيبها ... لا بد ان تاتي على صاليها
أهي القيامة يرهبون قيامها ... اعوان عزرائيل تحشر فيها ؟

ومنها :

ارض النجاشي المتوج ما نبا ... بالضيف وادينا ولا واديها
ما بالها وثبت قبيل وبالها ... تغري برائحها شبا غاديها

والشاعر (الاصيل) لا يعرف كنهه وجوهره ويقيم شعره ومواهبه



البدوي الملثم

●

الا شاعر (اصيل) كالاستاذ عادل الغضبان الذي تولى تقديم كتاب « في ظلال الحرية » لشاعر فلسطين المرحوم ابراهيم الدباغ وقد جاء في تقديمه :

« ما اكثر ما ازدحمت الارض بالشعراء ، وما اكثر من ادعى الشعر من ابنائها .. ولكن ما اقل ما كتب له الخلود منهم فكانت آثاره في الصالحات الباقيات ، وهل يكتب الخلود لشاعر الا اذا هبط الارض وفي جوانحه روح سماوية تبصره بمجالي الخير والحق والجمال ، وتوحي اليه باعذب الالحان والاناشيد .

ان روح ابراهيم الدباغ كانت من هذه الارواح السماوية التي يرسلها الله الى الناس بسمة فجر ، ونفحة زهر ، وجلوة سحر . ومهما تلاشى الفجر وذبل الزهر وبطل السحر ، فوراء هذه الروائع اثرها في القلوب والنفوس لا يتلاشى ولا يضمحل ، وربما اعرضت هذه القلوب وهذه النفوس عن تلك الروائع وهي حاضرة وتفقدتها بعد ضياع .

وكذلك كان شعر الدباغ نورا روحانيا يتالف من نفس موهوبة ، ولحنا قدسيا ينبعث من قلب رحيم شفيق ، فان كان قد لاقى من الزمن عنتا وارهاقا ، ومن ابناء هذه الفانية اغفالا وانكارا فقد نسج الخلود له اجمل ثوب من التذكار اضفاه على روحه وعاطفته ، ليحيا به على توالي الحقب والازمان !

ولو انه اراد أن يتمسح بالزمن ويتذلل له ، وان يتخلق بغير ما تتحلى به نفسه الكريمة من اخلاق وشمائل لكان من دنياه في دعة ، ولرفعه الرياء والمداجاة والصغار والهوان الى مراقي العزة والمجد .

ولو انه فعل لما خرج عن طبيعة هذا البشر المخلوق من ماء وطين ، ولكن نفس الشاعر اكرم عنصرا من ان تتلوث بهذه الاوحال :

لقد تطهرت من خبث ومن دنس ... فلست يا نفس من ماء ولا طين !

وضمير الشاعر يأبى الا ان يكون في المكان العالي من العزة والكرامة والشرف والفخار ، فالشاعر من الضمير الصعب المراس في هم مقيم حتى ليود لو يفقده ويرتاح منه :

لي ضمير به شقيت فيا من ... يشتريه يريحني من ضميري
انا منه في حالتين فما زلت ... أميرا عليه وهو اميري
يرغب الاصغرون منه صغارا ... وهو يأبى الا مكان الكبير

فاحر بحياة هذا ديدنها وتلك اخلاقها ان يرذلها العيوف وان يتمنى الخروج منها الى عالم الطهر والهناءة ، افندهش اذا مرض الدباغ مرضا شديدا جعل الموت عنده الذ طعما من الفاكهة ، واطيب شذا من الغاغية ، فالتمسه فلم يجده زائرا ولا مسلما فقال :

مرحبا بالموت ان زار واهلا بالمنايا
ايها المنكر ما للموت من بعض المزايا

ترك دنيا علمت ابناءها صنع الدنايا
وارتياح من حياة تعبت فيها الرزايا

ولقد بلغ الدباغ من رقة الشعور حدا دفعه الى التوجع حتى للنبات . فمذهبه في ذلك مذهب كسرى انو شروان الذي رأى « وردة » ملقاة على الارض فالتقطها قائلا : « رمى الله من رماك ، واهان من اهانك ! » . والدباغ لا يكتفي بهذا الدعاء السلبي بل يردفه بلوم الجاني وتقريعه والبكاء على الزهر في مأساته :

ايها الغادي الى الروضة كم غصن ثنيت ؟!
ضحك الزهر ولكني على الزهر بكيت !

ويتبع اللوم والتعنيف بالتوعد والتهديد فيقول :

يا ثاني الغصن دع للغصن نضرته وخل قامته من كل تكسير
وخل للروض والاغصان زينتها وغادها بين مشموم ومنظور
كم وردة جرحت كفا بشوكتها وزهرة مزقت احشاء هيصور!

وكيف لا يحيط الزهر بهذه الرعاية وهو نديمه وجليسه ؟ يغنيه عن صداح القيان ورشف الكؤوس ويملأ فراغ وحدته ، ويؤنسه في حبسه .. حبس العمى :

تخيرت بين الماء والزهر مجلسا فلا غاب ندماني ولا فض مجلسي
مدامي حديث من كتاب وشاهد فلا صوت صداح ولا رشف اكؤس
وكنت احب الورد بهجة ناظر وما زلت اهوى الورد راحة معطس
وما كادني حبس العمى اذ ألم بي وقد طال في سجن من الجسم محبسي

ومن يتقص اسباب الرقة في قلب الدباغ الشاعر تتجل في شريعة المحبة التي يدين بها . فكل الناس في عرفه يجب ان يكونوا اخوة اشقاء .. حتى الارض والسماء يجب ان تجمعهما صلات هذه القربى التي تعتز بها الارض فيقول بلسانها :

السبعة الشهب بعض اهلي وسابحات الفضاء قومي
ومن بناتي بنات نعش مرحن يتما بغير يتم
ومن جمالي جمال ليلى ومن نسيجي ثياب نعمى
الطين اصل والروح فرع في يوم بدء ويوم ختم

ويرى الشاعر صور آلام البشر واوجاعهم .. يراها بين جدران الاكواخ المظلمة المعتمة ، وما هي الا قبور الاحياء وبيوت الاحزان تتردد في زواياها انات المعوزين البائسين الذين ما توانوا عن عمل يبنون به ثراء اخوانهم في الانسانية ومجد اوطانهم :

نازل الكوخ رقيق الحال بالرفق خليق
يرد الماء ويكفيه قليل من سويق
وعلى اكتافه قام بنا المجد العريق
سعة الارض بمن فيها على البعض تضيق
دخلوها رحبة الصدر وباتوا في مضيق

يراها في « ولوغ اهل الجشع والطمع في اموال اليتامى حتى ليحاول بعضهم قتل وصي على ايتام ليحل محله » :

ارى فئة الحراس ترعى وتمتري بمال يتيم او بميراث قاصر
وقداقعد الجوع اليتامى على الطوى تئن وقد فاضت دموع الحرائر

يراها في خسة الانسان وغدره وجوره وكفره ، وهي عوامل تنثر سهام الشقاء في الناس وتقضي على عناصر السعادة فيهم ، أفكان الدباغ ظالما الانسان لما قال :

فاذا يئست من السعادة فالتمس جوا خلا من خسة الانسان !

يراها في الرذيلة يتمرغ في حماتها كل صغير العقل ، جبان القلب ، خائر النفس :

يبعثر هذا ماله في مقاصف وينفق هذا ارثه في مواخر

ولا يرضى الدباغ ان يرسل الحكمة الخالدة والعظمة الزاجرة دون ان يشفعها بآهة تفيض بذكر قسطاس العدل وتذكير القوي السادر بنعمة الدهر عليه :

آه لو حوسب القوي على البغـ ـي ونال الضعيف بعض الحقوق
لفتحنا للخير كل سبيل وسددنا للشر كل طريق

واذا بكى الدباغ على الحرية المكبلة بالاغلال ، او سعى الى تحريرها فانما يقصد حرية الناس طرا :

يا سائلي عن هوى نفسي وبغيتها من الحياة وقد غصت بتكدير
هواي تحرير اهل الارض من ملأ من الهداة واقطاب الدساتير
فكل نفس لها من سعيها امل ولا تنال مناها دون تحرير

على ان الحرية لا تدرك بالتعلة والرجاء ، ولا تفك اسارها قوافي الشعر ، بل تدرك بهمم الاحرار وتضحيات ابنائها المخلصين في سبيل الشرق العربي :

اين الفتى العربي المستعان به يوم الكريهة ، هل ضاع الفتى العربي ؟

بعد ان فقد الدباغ بصره لاذ بالوحدة وجنح الى التشاؤم ، وكانت تعلته شعرا سوداويا طافحا بالوان من التطير والهرب من (الانسان) وحبس نفسه في مخدعه وراح ينشد نفسه :

الى حبسي الى حبسي لقد تاقت لنفسي نفسي
وما خوفي من الجن واكن من بني الانس
وما تخلو حياة الوحش من خوف ومن انس
وبأس من نعيم العيش اسلمني الى البؤس
فيا كأس الاسى هل ـ ـلا ملأت من الاسى كاسي ؟

وفوق الدهر الخؤون الى قلب الشاعر سهام غدره مقابل غدر الزمان بالكشف عن سوءته والايماء الى سوء فعله :

كم ارى من مكائد الدهر ارمي بسهام ، قد سددتها اليا
لم تدع لي درعا ، وكم مزقت لي كبدا ذائبا ، وقلبا شقيا
وحياتي التي ثقلت عليها ثقلت ، وهي دون وزني عليا !

فلسطين في شعره : في صيف عام ١٩٢٧ دك فلسطين زلزال قاصف دمر العشرات من المنازل واودى بالعشرات من الانفس فهلع قلب الدباغ لما اصاب موطنه الاول ، وفاضت نفسه ألما لما انتاب مدارج طفولته فانشد :

الدمع والفيـ ـث رزم ايهما الذي انسجم
فاضا على طول العرا ء والجبال والقمم
هملنا الذي ضرهما لو وقفا عند العلم ؟!
او سكنا مع الريـ ـح عند ابواب الحرم ؟!

واغرق الانكليز فلسطين برا وبحرا وجوا بالهجرة اليهودية مشروعة وغير مشروعة ... فتفادى ابناؤها الاشاوس الى اضراب عام شامل دام ١٨٠ يوما . وظل هذا الحدث الفذ حديث القاصي والداني فنظم الدباغ قصيدة بعنوان « فلسطين الجريح » قال منها :

يا هضبة المجد الاثيل وصفحة الـ ـروض الجميل ، ولمعة الزند الوري
نقشوا بساطك بالدماء فطرزوا بالورد حاشية اللواء الاخضر
لما سقوه الورد جاء نباته جمرا على قلب العدو المجتري
وسقوا ترابك بالدموع وانما عابت على الياقوت بذل الجوهر
لا تركبي هجن الهوادة وانشري غرض العدا عند العتاق الضمر
بالكير ينطبع الحديد صوارما ويذيب نفس القين ان لم يصهر
قدم الجناة لصدهم فتقدمي اذ اقدموا ، وبغوا ولا تتأخري
يجنون من ثمرات ارضك غرس ما فرضته احكام الاثيم على البري
سدوا الثغور بهجرة زخارة رعناء ، مقبلة ليوم مدبر
وتعجلوا منها العذاب فجاءها متقدما في صورة المتأخر
يجدون من كوخ الفقير وقوته رزقا يضن عليه مخرج «فلتري»
في كل شبر من فلاة مدينة جند واعوان وقائد عسكر
وبكل منبت حبة من ربوة ذئب لغير الفتك لم يتنمر
في ازرق من ازرق او ابيض في ابيض او اسمر في اسمر
هبت رياحك يا جبال فاوبي معهم ، وتسمرت الحروب فشمري
ارهفت ب «الاضراب» سيفك فاضربي مثلا ، يخلده اختلاف الاعصر
اغنيت يوم البيع تجار العدا وغنيت في سوق الردى من يشتري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قل للاُلى حسبوا الطوالع بيعة لاقيتمو في الافق نحس المشتري

وكشر المستعمر عن انيابه وكاشف عرب فلسطين بعزمه على تهويد بلادهم رغم انوفهم وتقديمها لقمة سائغة « لليهودي التائه » فنظم الدباغ قصيدة بعنوان (يا وطني الاول) قال منها :

يا وطني الاول لست وطنا ... الا لتلفيق الحديث المفترى
انجلترا شيدت استقلاله ... ودكت استقلاله انجلترا
كم اطلعت من افقها وقدسها ... اخت ثريا غيبوها في الثرى
كم سهرت في حيها عين السهى ... وعلمتني في هواها السهرا
يحمل ريا طيبه ووردة ... محبب الروحات محمود الرى
لا ضقت بين زرعه وضرعه ... صدرا ، ولا عاتبت فيه القدرا
غادرها الترك الى امثالهم ... بطشا ، لتبك العين منه الاثرا

وعلى اثر الحوادث الدامية التي شهدتها جبال فلسطين وسهولها عام ١٩٣٨ اشاد الدباغ بدم الشهداء وانشد :

من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم نر امة ... بلغت من المجد العريض مناها
كم امة لم ترق عادية الردى ... لولا الذي اقتحم الردى فوقاها
تسمو الشعوب بكل حر ماجد ... وجبت عليه حقوقها فقضاها
بخل الزمان فكنت من شعرائها ... يا حبذا لو كنت من قتلاها
في دولة للمسلمين تشوقهم ... ايامها وتهزهم ذكراها
امم هوالك ما لمست جراحها ... الا بكت وبكيت من جراها
ان الذي خلق السهام لمثلها ... جمع المصائب كلها فرماها

وعندما صدر الكتاب الابيض عام ١٩٣٨ هال الشاعر الدباغ ان يرى موطنه الاول نهبا مقسما لشذاذ الآفاق .. فانشد قصيدة مطولة عرج فيها على لعبة التقسيم ومنها :

جعلوا من التقسيم لعبة ساحر ... حتى تكشف للعيون غطاؤها
فتماسكت اجزاؤها وتجمعت ... اراؤها وتنافست زعماؤها
ومن الشرائع للشرائع وازع ... بيد الاساة وفي الطبائع داؤها
تمضي النفوس مع الهوى في بغيها ... حينا وقد يزع النفوس حياؤها
قد مكنوا اعداءها من طعنها ... برماحهم ، فهمو اذا اعداؤها
القتلها بالسيف ، وهي اخيذة ... جئتم ، وفي امكانكم احياؤها
الغوا العقيدة والعدالة والنهي ... وبلاء كل عقيدة الغاؤها

من آثاره القلمية :

١ ـ الطليعة (الجزء الاول) : ديوان شعر طبع عام ١٩٢٦ وقد ضمنه الدباغ قصائده الوطنية عن مصر وفلسطين .

٢ ـ الطليعة (الجزء الثاني) : ديوان شعر طبع عام ١٩٣٨ وقد ضمنه الدباغ قصائده الوطنية عن مصر وفلسطين ، وفيه الوان من منادراته ومفاكهاته واخوانياته .

٣ ـ حديث الصومعة ، مجموعة من الرسائل في الادب والفن والنقد الاجتماعي كان يوجهها الى ابن اخيه الاستاذ مصطفى درويش الدباغ (نزيل يافا) .

٤ ـ في ظلال الحرية : وسائل ومقالات في الادب والنقد .
٥ ـ شهد وعلقم : مقالات ادبية وقصائد منوعة .
٦ ـ تاريخ الحرية في العالم .
٧ ـ الشعراء قديما وحديثا في الميزان
٨ ـ رسالة في التصوف وابي العلاء
٩ ـ اربعة دواوين شعرية تشمل شعر الصبا مما نظمه قبيل الحرب العالمية الاولى والى سنة ١٩٢٠ . فقدت هذه الكتب (٦ و ٧ و ٨ و ٩) في يافا بعد ان احضر ابن الاستاذ مصطفى درويش الدباغ مكتبة عمه من القاهرة الى يافا وآل امرها الى اليهود ولو جمعت آثار الدباغ من منظوم ومنثور لانتظمت خمسين كتابا .

وفي ٢٦ شباط ١٩٤٦ توفي شاعرنا الدباغ في القاهرة فشيعته مصر حكومة وشعبا وسار في نعشه الادباء والكتاب ونعاه صديقه الدكتور زكي مبارك الى العالم العربي ، واقيمت حفلتا تأبين له في يافا والقاهرة اسهم فيهما كبار ادباء القطرين وفي طليعتهم شاعر الاهرام الاديب الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، ورثاه الدكتور زكي مبارك بقصيدة القاها في حفلة التابين التي اقامتها القاهرة وفيها يقول :

فقدت وما فقدت سوى صديق ... اعز علي من شعري ونثري
اديب كان كالعسل المصفى ... واقوى في نهاه من « المري »
جنت دنياه ما شاءت عليه ... فجازاها بلحن منه بكر
تأيم لا تساكنه عروس ... فما يسمو اليه اي صهر
اديب كانت الدنيا لديه ... بدائع يجتليها كل فجر
ولحنا من اغاريد القوافي ... فقل ما شئت من فن وسحر
صديقي كان وا أسفي عليه ... على المفطور من بر وطهر
أ « ابراهيم » مت .. اجب فاني ... اكذب كل يوم ما يقال
حملت النعش استوحي لظاه ... واسال ما المآب وما المآل
غريبا مت في بلد غريب ... له في كل معركة صيال
بمصر دفنت يا روحا عزيزا ... فريدا لا يقام له مثال !

واخيرا ودع « الدباغ » هذا العالم الجاني ، حميد السيرة ، طيب السريرة ، ولم تغره اباطيل الدنيا الغرور ، ولم تخدعه مباهجها المنمقة ، ولا بهارجها المزوقة !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

سمراء

سمراء يا حقلا من القمح
حامت عليه بلابل الدوح
وانساب فيه جدول غرقت
في موجتيه نجمة الصبح
وعلا جوانبه يظللها
دوح وريف الظل والفوح

سمراء يا حلما يمر على
رجل بلا سيف ولا رمح
قد ودع الدنيا وفرحتها
ليعيش بقياه على سفح
عيناك ... ، والآفاق مطرقة
قد ايقظت همساتها جرحي
فتنفس القلب الذي رغبت
اوتاره ، ردحا ، عن الصدح

سمراء والذكرى تلوعني
وتشدني جرحا على جرح
فاستلهمي عيني ، فان بها
شيئا سيغنيك عن البوح
موجا وأشرعة مروعة
وبقية من قلبي السمح

بغداد حسين جليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن بطوطة بين الاخية والخواتين

بقلم محمود الشرقاوي

* * *

من اجود واشوق ما كتب ابن بطوطة في رحلته حديثه عن بلاد الترك وبلاد القرم . ومن اكثره تشويقا واغرابا ما سجله عن : الاخية: ــ الاخوة ــ الفتيان » الذين لقيتهم في تلك البلاد ، وعن النساء « الخواتين » وهذا بعض حديثه عنهما : «*»

الاخية الفتيان : يبدا ابن بطوطه وصفه بلاد الروم : « الاتراك » فيقول :

اهلها : (اجمل الناس صورا وانظفهم ملابس واطيبهم مطاعم واكثر خلق الله شفقة ، ولذلك يقال : البركة في الشام والشفقة في الروم) بهذه الكلمات الطيبات بدأ ابن بطوطه حديثه عن بلاد الروم . وما فصله من الاحاديث والاخبار عن زيارته لها ينبىء عن ذلك ويفصح ، وبخاصة تلك الانباء والاحاديث عن طائفة « الاخية » التي كانت منتشرة في كل بقعة من البلاد ، والتي كان افرادها مثلا فريدا في الشهامة والمروءة والكرم وصفاء النفس والتهافت على استضافة الغريب والقيام على خدمته : يصفهم ابن بطوطه بقوله (١) : (لا يوجد في الدنيا مثلهم اشد احتفالا بالغرباء من الناس واسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على يد الظلمة ومن لحق بهم من اهل الشر ... وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية .) وكان نظام هذه الجماعة ان يختار اهل كل صناعة نقيبا لهم ، ويكون النقيب وجماعته من الشبان العزاب ، ثم يبني هذا النقيب زاوية ودارا للضيافة . ويشترك الجميع في نفقاتها وخدمتها ونفقات ضيوفها ، ويخرج الجميع الى صناعتهم وعملهم ثم يجيئون في العصر بما كسبوا فيشترون به الطعام والفاكهة ويضعونه بين يدي نقيبهم فاذا شهدوا ضيفا او غريبا او سمعوا ان واحدا من هؤلاء نزل بلدهم او قريتهم انزلوه في زاويتهم ، وهي دائما مفروشة مضاءة بالسرج والقناديل ، ولا يزال الضيف او الغريب مقيما عندهم يأكل الطعام الطيب والفاكهة التي يجمعونها ويقدمونها الى رئيسهم عصر كل يوم حتى يستريح او يرغب في السفر . فاذا لم يجدوا ضيفا اجتمعوا على طعامهم وشرابهم فاكلوا وشربوا وغنوا ورقصوا في زاويتهم ثم انصرفوا الى بيوتهم ، وفي الصباح يقومون لاعمالهم ثم يجتمعون في العصر بما كسبوا واشتروا من الطعام والزاد ، وهكذا كاليوم السابق .

وقد التقى هؤلاء الفتيان الاخوة بابن بطوطة اول دخوله بلاد الترك فتحدث بعضهم الى بعض باللغة التركية ــ وكان لم يتعلمها بعد ــ فلما انتهى من حديثه سأل صديقا له : هل تعرف ما يقول الرجل .. ؟

ثم اخبره بأنه يدعوه ومرافقيه الى ضيافته ، ونظر ابن بطوطة الى ثياب الرجل وهيئته فاشفق عليه ولكنه لم يشأ ان يرد ضيافته امامه فيخجله ، فلما انصرف قال ابن بطوطة لصديقه : هذا رجل ضعيف لا قدرة له على ضيافتنا ولا نريد ان نثقل عليه . فضحك الصديق وقال له : هذا فتى من الاخوة وهو خراز ولكنه كريم النفس واصحابه نحو مائتين قدموه عليهم واختاروه نقيبا ، ثم شرح له نظامهم وانبأه بحالهم . فاذا جاء المغرب قدم الفتى الخراز فأخذ ابن بطوطة ورفاقه الى زاويته فوجدوها حسنة مفروشة بالبسط الحسان معلق فيها الكثير من ثريات الزجاج العراقي والمواقد النحاسية الجميلة والفوانيس عليها خادم خاص بها ، وكان في الزاوية جماعة من الاخوة في لباس حسن ونظام حسن في وسط كل واحد منهم سكين طوله ذراعان . ويجلس الجميع وفي الوسط وضعت مرتبة للضيوف . فلما استقر ابن بطوطة ومن معه في مجالسهم جاء لهم الاخوان بالطعام الكثير والفاكهة والحلوى ثم اخذوا يغنون ويرقصون حتى انصرفوا عنهم اخر الليل وهم يعجبون من سماحتهم وكرم نفوسهم .

وفي جميع البلاد والقرى كان هؤلاء الاخوة الفتيان يتلقفون ابن بطوطة ومن معه فيصنعون معهم هذا الصنيع الذي يصنعوه مع كل ضيف قادم . ويقول ابن بطوطة انه نزل قرية صغيرة عند امامها ، فجاء الاخوة لاستضافتهم ولكن الامام ابى عليهم ذلك ، فجاء الفتيان بطعامهم وضيافتهم الى بستان واحد منهم ، وكذلك الجميع فأكلوا وسمروا . ثم يقول انه وقومه لم يكونوا يعرفون لغة القوم ، كذلك هؤلاء لا يعرفون العربية ، ومع ذلك امضوا يومهم كله في هناء ومرح وسعادة .

وعندما دخل ابن بطوطة وقومه مدينة « لاذق » أزعجه ، وهم يمرون في سوقها ، ان رأى جماعة يخرجون من حوانيتهم فيمسكون بأعنة خيلهم ، وبرز اخرون ينازعونهم ذلك حتى سل كل من الفريقين السكاكين ، وخاف ابن بطوطة وقومه وظنوا انهم لصوص قتلة . وسخر الله عند ذلك رجلا يعرف العربية فسأله ابن بطوطة عن شأنهم فقال : هم فريقان من الاخوة الفتيان ، يريد

«*» فصل من كتاب : « رحلة مع ابن بطوطة » تحت الطبع بالقاهرة

(١) ما تزال بقية منهم تقيم في منطقة اربل وكركوك بالعراق تسمى: « الكاكائية » او «الاخية» ، « الاخوة » ، « الاخوان . »

كل فريق ان يستضيفكم ، ولم يقع بين الفريقين شر ، بل رضوا ان يقترعوا على الضيوف ، وذهب القوم الى من وقعت عليهم القرعة ، فجاء باقيهم وسلموا واخذوهم الى زاويتهم وجاءوهم بالطعام الوافر الجيد . وذهب رئيسهم مع ابن بطوطة وقومه الى الحمام فكان يقوم على خدمته بنفسه ويقوم اصحابه بخدمة رفقاء ابن بطوطة ، وكان الثلاثة والاربعة يخدمون واحدا من الضيوف ، وبعد الطعام والفاكهة والحلوى قرأ القراء آيات من القرآن ثم اخذوا في الغناء والرقص وارسلوا من اخبر السلطان خبر الضيوف فبعث يطلبهم . فلما عاد ابن بطوطة ومن معه من زيارة السلطان وجدوا الفريق الذي لم تقع عليه القرعة ينتظرهم فذهبوا بهم الى زاويتهم ، وهناك صنعوا معهم مثل ما صنع الاولون وزادوا عليهم ان صبوا ماء الورد على ايديهم بعد خروجهم من الحمام . واقاموا عندهم على هذه الحال اياما . وقد لقي ابن بطوطة وقومه من الاخوة الفتيان في بعض البلاد والقرى اكثر مما لقي وروى في هذه القصة .

ويقول ان بعض الفتيان الاخوة هؤلاء كان يتولى منصب القضاء ، وبعضهم كان شريفا يتولى النيابة عن ملك العراق ، وكان بعضهم من الامراء والحكام ، وكانت البلاد التي لا يوجد بها حاكم تخضع لحكم الفتى من الاخوة فيها . وله نظام الحكام في ركوبه وخروجه . وبعضهم كان من الزهاد الصالحين . وحينما سار ابن بطوطة في تركيا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا كان ينزل عند واحد من هؤلاء الفتيان . وكانت زواياهم لا تنطفىء نارها في الشتاء ابدا ، يضعون في كل ركن من اركان الزاوية موقدا ويصيغون فوقه مداخن يصعد منها الدخان فلا يؤذي الزاوية ولا من فيها .

الخواتين : ومن ابرز ما لفت نظر ابن بطوطة ولفت انظارنا اليه من خبر تلك البلاد حديث « الخواتين » ، والخواتين جمع « خاتون » وهي السيدة العظيمة او زوجة السلطان ، وحديثه عنهن يشعر بتلك المكانة الممتازة الرفيعة التي كانت لهن ، كما يشعر بالثراء الفاحش والترف العجيب اللواتي كن يعشن فيه ، ويدلنا على ما كن يتحلين به من الفضائل . كان للسلطان « محمد أوزبك خان » الذي زار ابن بطوطة القرم في ايامه ، اربع من الخواتين ، ولكل واحدة منهن منزلة ومقام على ترتيب خاص ، ولكل منهن مراسم على قدر هذا المقام . يصف ابن بطوطة دخوله على احداهن ـ وكانت بنت ملك القسطنطينية المسيحي ـ فيقول : (دخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة ، وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات ، والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وبعد اوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان بين يديها رقة منها وشفقة ، وامرت بالطعام فأحضر ، وأكلنا بين يديها وهي تنظر الينا . ولما اردنا الانصراف قالت : لا تنقطعوا عنا وترددوا الينا وطالعونا بحوائجكم ، واظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في اثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاثة من جياد الخيل وعشرة من سائرها) . وقد سافر ابن بطوطة مع هذه الخاتون بعد ذلك الى القسطنطينية .

وعندما زار أولى الخواتين ، اقرب امرأة الى قلب الملك ، امر بعض مرافقيه بأن يتلو آيات من القرآن « على طريقة المصريين » واخذت الخاتون قدحا من الخشب الرقيق الخفيف وقدمته لابن بطوطة فشرب ما فيه من « القمو » : النبيذ ـ لاول مرة ـ وهذه نهاية التكريم عندهم ، ولذلك لم يستطع ان يرد القدح .

وكانت « الخاتون » اذا ركبت تجلس في عربة من الفضة المموهة بالذهب او من الخشب المرصع ، والخيل التي تجرها مجللة بأثواب الحرير المذهب وتجلس الخاتون في العربة وعن يمينها سيدة يسمونها « الوزيرة » وعن يسارها اخرى تسمى « الحاجبة » وبين يديها ست من الجواري الصغار فائقات الحسن باهرات الجمال ووراءها اثنتان منهن تستند اليهن ، وعلى رأسها تاج صغير مكلل بالجواهر وريش الطاووس ، وعليها ثياب من الحرير المرصع . وعلى رأس الوزيرة والحاجبة « مقنعة » حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر ، وعلى رأس كل واحدة من البنات اخرى مزركشة بالجوهر وريش الطاووس وهن يلبسن ثيابا من الحرير المذهب ، وامام موكب الخاتون هذا يسير عشرة او اكثر من الفتيان الروم والهنود وقد لبسوا الحرير المذهب المرصع بالجوهر وفي يد كل واحد منهم عمود من الذهب او الفضة او من الخشب الملبس بهما ، وخلف الموكب تسير نحو مائة عربة في كل واحدة منها الثلاث والاربع من الجواري في ثياب من الحرير ، وخلفها نحو ثلثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل الثياب والخزائن والطعام ومع كل عربة خادم موكل بها متزوج بجارية من الجواري اللواتي يرافقن ركب الخاتون . ولا يدخل احد من الرجال الا من كان زوجا لجارية في ركبها . وكل واحدة من الخواتين تسير في ركب هذا نظامه وعدد عرباته .

فاذا جاءت احدى الخواتين لحضور مجلس السلطان قام لها السلطان واخذ بيدها حتى تصعد على السرير ، اما الملكة فانه يستقبلها على باب المجلس فيسلم عليها ويأخذ بيدها فاذا صعدت على السرير وجلست يجلس السلطان ، كل ذلك على مشهد من الناس بعد صلاة الجمعة ، ثم يجيء بعد ذلك ابناء السلطان واقرباؤه وكبار دولته . ويدخل الناس بعد ذلك للسلام على السلطان ، حتى يؤدون صلاة العصر فتركب كل خاتون عربتها وتسير على النسق الذي وصفنا ، وفي هذه المرة يكون امام كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الهدى

طبع ارق من الندى
وملاحة ملء المدى
حدثتها والوقت لا
ما ضاع في شرعي سدى
ربي يصون جمالها
مستبعدا عنها الردى !
فلها قوام مثل قد
الرمح في عيني بدا
فكأنه غصن مليء
بالثمار تأودا ...
هي ان تحدث خلت
طيرا فوق مبسمها شدا
واذا مشت في خطوها
لحن يردده الصدى
فيها اللطافة خلقة
ومثيلها لن يوجدا
«فهدى» اضاعت عقل
شاعرها فعاد بلا هدى !

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

عربة نحو خمسين جارية راكبات الخيول ونحو عشرين من كبار النساء يركبن الخيول ايضا ، وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان ومثلهم من كبار المماليك يمسكون القضبان ، والسيوف مشدودة على اوساطهم .

وعندما ترك القرم قدم له سلطانها الفا وخمسمائة دينار وخلعة وافراسا كثيرة ، واعطته كل خاتون سبائك الفضة ، واعطته بنت السلطان اكثر منهن وكسته وقدمت له ما يركبه في رحيله . (واجتمع لي من الخيل والثياب وفراء السنجاب والسمور جملة) .

* * *

وقد عرفنا حديثه عن « الخاتون » زوجة السلطان التي كانت بنت ملك الروم ، وهي التي سافر ابن بطوطة في ركبها الى القسطنطينية ، وكانت هذه الخاتون حاملا وهي تقوم برحلتها هذه فرغبت الى زوجها السلطان في ان يأذن لها بالسفر الى ابيها لتضع حملها عنده ، ورغب ابن بطوطة الى السلطان في ان يأذن له بمرافقة الخاتون وهي تزور اباها في القسطنطينية فخاف عليه السلطان ولكنه اذن عندما رأى رغبته واصراره .

سار ركب « الخاتون بيلون » بنت ملك الروم : « تكفور بن جرجيس » وزوج السلطان محمد أوزبك خان الى القسطنطينية ، ورافق السلطان زوجه مرحلة من الطريق ثم رجع ، ورافقها بقية الخواتين مرحلة اخرى ثم رجعن ، ثم سار ركبها ومعه امير وخمسة آلاف جندي ، وكان حرسها خمسمائة من المماليك والترك ونحو مائتين من الجواري اكثرهن روميات ، يركب الجميع اربعمائة عربة تجرها نحو الفي فرس ونحو ثلثمائة من البقر ومائتين من الجمال ، وكان بعض رجالها من ابناء الهند ولكل جماعة منهم قائد من بني جنسهم ، مسلمين او نصارى او على دين اهل الهند .

هكذا يصف ابن بطوطة ركب « خاتون » السلطان محمد اوزبك خان الذي صحبته معها الى القسطنطينية باذن زوجها السلطان .

وقد لقي الركب شدة وعناء من البرد وطول الطريق، ومروا على (جبال الروس ، وهم نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور اهل غدر ، وعندهم معادن الفضة ، ومن بلادهم يؤتى « بالصوم » وهي سبائك الفضة التي بها يباع ويشترى) في هذه البلاد . ولكن هذه الشدة وهذا العناء كان يخففه عنهم ما يلقون من كرم امراء البلاد التي يمرون بها وحسن ملاقاتهم وضيافتهم وتكريمهم للخاتون في كل منزل تنزله . وكان ابن بطوطة يذهب للسلام عليها في كل صبح ومساء فاذا جاءتها الهدايا ارسلت اليه منها الفرسين والثلاثة ، والغنم الكثير .

فلما وصل ركب الاميرة حدود بلاد الروم عند حصن « مهتولي » استقبلها « نقولا » رسول ابيها ومعه جيش عظيم وتحية كريمة .

ومن هذا الحصن بدءوا يركبون الخيل والبغال بدلا من العربات التي لا يستطيعون السير بها في الجبال والطرق الوعرة . وساروا على هذا الحال اثنين وعشرين يوما حتى وصل ركبهم القسطنطينية . وكان مع الاميرة مسجد متنقل تركته في الحصن كما ترك ابن بطوطة بعض رجاله وغلمانه يحرسون عرباته . وكان رسول ملك الروم « نقولا » كريما مع ابن بطوطة ، بعد ان اوصته به الخاتون خاصة ، حيث علم ان جماعة من قومه ضحكوا عندما رأوا ابن بطوطة ومن معه يصلون فزجرهم نقولا وضربهم .

وقبل ان يصل ركب الاميرة الى قسطنطينية تلقاها اخوها ولي العهد : (في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه عشرون من ابناء الملوك وعن يساره مثلهم) وسار الجميع حتى دخلوا القسطنطينية على هذه الفخامة والروعة .

مصر الجديدة — محمود الشرقاوي

ادخل نصف جسمه الاعلى في كوة المخبز البلورية ، وصب القهوة في الفنجان لبائع الخبز ، فابدى هذا رفضه باشارة من يده ورأسه بعد ان لوى شفته . شعر ابو رحمو بخيبة مؤلمة ، فسحب جسمه من الكوة العريضة ، واعاد القهوة الى الدالةالنحاسية، ونقر فنجانيه بنغم خاص ... كان يعلم ان بائع اللبن في السوق قد توفي منذ ايام متسممًا ، ولا زالت دكانته مغلقة حزينة ، وان اصابع الاتهام تشير الى قهوته . ويذكر انه امضى ثلاثة عشر عاما يوزع قهوته على سوق « باب النصر » ، دون ان يتبقى لديه شيء يطوف به على الاسواق المتفرعة عنه . ولم يحدث ان اتهمه احد بسوء قهوته ورداءتها .. كلهم كانوا يمتدحون نكهتها .. كلهم كانوا يرتشفونها بتلذذ وهم يفتلون الفناجين بين اصابعهم وشفاههم .

ماذا حدث اذن ؟ الا يمكن ان تكون وفاة بائع اللبن قضية عادية عابرة ! ان الموت شيء حتمي ، والناس متساوون امامه ، ولا دخل لاحد في موت الاخر . وحدث ابو رحمو نفسه .. اذا قدر لي ان اكون سببا في موت احد فانني لم اختر بالتاكيد بائعاللبن.

تابع ابو رحمو جولته على محال السوق ، مطوفا على زبائنه القدامى ، فاجمعوا على رفض قهوته بشكل غريب.. حتىالحاج عبدو الطيب بائع الخزف امتنع عن احتساء قهوته بلباقة ، محتجا بان صحته لم تعد تسمح له بتناولها . فالطبيب قد منعه عن شرب المنبهات . وحاول ابو رحمو ان ينفي عن نفسه تهمة التسبب في موت بائع اللبن :

ـ اذا كنت انا المذنب .. حاكموني .. حققوا معي . قولوا للحكومة ان تقطع رأسي دفعة واحدة .. ولكن لا تتركوني مذنبا يموت كل يوم .. كل دقيقة عشر مرات !

ولكن الحاج عبدو حمل جرة صغيرة وغاب في اعماق دكانته المظلمة صامتا .

رأى ابو رحمو فلاحا يمر من السوق ، تبدو عليه ملامح الثراء ، فاندفع نحوه وقدم له القهوة . وعندما كان الفلاح الوقور يمط شفتيه ويرتشف القهوة ، كانت عيون الباعة في السوق قد امتلات بلوم ، وفاضت بحذر وارتياب .

كسر ابو رحمو الفنجان بحركة متقنة ، بعد ان انهى الفلاح شربه ، تعظيما لقدره ، ولكن الفلاح اكتفى بان دفع له عشرة قروش، وغادره مختفيا بين جموع المارة ، فلحقه ابو رحمو خطوتين ، ثم توقف صائحا :

ـ وثمن الفنجان ؟!

وسمع صوتا خشنا يقول دون ان يرى صاحبه :

ـانت كسرته ..

بكى ابو رحمو بصمت ، وهو يدس نفسه بين الناس .. حتى الفلاح الساذج اصبح ذكيا ولم تعد تلك الوسائل الخادعة تقنعه او تجبره على دفع ثمن الفنجان المكسور . ان ابا رحمو لا يكره احدا ، ولكن الناس يكرهونه الان دون منطق . كان يريد ان يوقف كل انسان يراه ، ليدافع عن نفسه ، يثبت انه ليس قاتلا .. انا لم اقتل احدا .. لم اسمم احدا .. عملي كله نظيف .. صحي . قهوتي احمصها بيدي ، اطبخها في قدر خاص . اغلي القهوة مرة واحدة ، وارمي التفل ولا استعمله . يتهموني بموت رجل لا اعرف حتى اسمه . صحيح انني قدمت له القهوة سنوات ، ولكن علاقتي به تنتهي بانتهاء القهوة فيالفنجان .. حاكموني اذا كنت مذنبا .. حاكموني !

وفجاة لمح ابو رحمو شابا متانقا يعبر السوق فاسرع اليه يزاحم الناس واستوقفه:

ـ صباح الخير ، سيدي .

الوسام

بقلم جهاد الكاتب

وصب فنجان القهوة على عجل ، فما كان من الشاب الا ان دفعه جانبا ، فتبعه ابو رحمو :

ـ استاذ ، كرامة للنبي !

ورد عليه الشاب باقتضاب ونزق :

ـ لا احب الجرائيم .. لا احب القهوة المرة .

اسند ابو رحمو ظهره الى عربة نقل واقفة في السوق ، وهو يمسح عينيه بظاهر كفه . ومرت في خاطره ذكريات قديمة .. تمثل نفسه عندما عمل خادما في عدد من مقاهي المدينة .. تذكر كيف ان جهوده ليصبح كناسا عند الدولة قد فشلت لانه لا يعرف احدا من الكبار .. تذكر بطالته المستمرة



التي اجبرته على ارتكاب اعمال دنيئة .. وعمل حمالا .. وسرق يوما كيس طحين من مطحنة الحي .. وحاول ان ينزل الى المسجد الاموي ليتلو القرآن ، وينشد الموالد ، وتظاهر في يومه الاول بالعمى ، فنجحت حيلته ، ودفعوا له لانه اعمى ، ولم يدفعوا لانه اجاد واحسن انشاد المولدالنبوي. ولكن ناظر المسجد طرده عندما اكتشف لعبته . انه يذكر كيف صاح في وجهه ، ملوحا بعكازه :

ـ الله اعطاك نعمة الرؤية ، وانترفضها يا كافر ، وتعمي نفسك ؟!

وخرج يومها من المسجد حافيا .

انه يتذكر مطعمه المتنقل الذي انشاه بعد جملة من الاستدانات . فقد عمد الى طبخ مآكل رخيصة كان يضعها في اقدار كبيرة تحملها عربة قديمة للاطفال ذات اربععجلات . وقد اختار لنفسه زاوية قرب مدخل « باب الفرج » الشرقي ، يعسكر فيها بعيد الساعة التاسعة مساء بعد ان يكون مراقبو الصحة قد انهوا دورياتهم . وفي يوم ، وبينما كان عدد من القرويين والسكارى يلتفون حولعربته يلتهمون اطعمته بكل شراهة وهم يتلفظون باقبح الشتائم والاغاني الفاضحة ، اذا برجال الصحة يهبطون من السماء ويطوقون عربته ، واثر لكمة اصابت فكه الايسر ذاب الآكلون واختفت العربة . وظل اياما طويلة بعد ذلك جوالا دون عمل .

لقد تساوت الايام عنده فلم يعد يفرق بين يوم ويوم ، ولا بين شهر وشهر ، فكلها واحدة لا تتغير ، ولا يهمه منها شيء سوى ذرع الطرقات في ظلمة الليل وضياء النهار بحثا عن سلاح يقتل به خصمه الجوع ، ذلك الخصم الابدي العنيد الذي لا يلهيه غياب شمس او بروز قمر او تهاوي نجم .

ولكن السماء هدته الى القهوة المرة ، فاستخدمها اداة لعيشه . وعندما بدأ في كسب ما يستطيع به شراء بعض المآكل التي حرم منها طويلا ، وجد نفسه مدفوعا لكي يصلي ويداوم على الصلاة في اوقات فراغه ، وحالما يجد نظافته تامة تكفي لمقابلة الله .

لقد منحت الدولة ابا رحمو وساما من الدرجة الاولى ، لا لشيء الا لانه انجب اثني عشر ولدا . لقد دفعه جمع من الناس الى ان يتقدم بطلبه الى السلطات ، وعلموه كيف ينقل الاوراق الرسمية من دائرة الى دائرة مدة شهرين حتى يمنحوه وساما .

كان ابو رحمو يؤمن ان الوسام هو السلاح الالهي الوحيد لصيد الجوع وصرعه ، وهو الذي سيقلب حياته عاليها سافلها .. فاذا به ورقة من المقوى الرقيق، متوسطة الحجم ، مكتوبة ، عليها اختام وتواقيع ، وصورته في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزاوية ، تعني ان حاملها بطل لانه انجب اثني عشر ولدا .. اثني عشر بندقية معطلة ، فارغة حتى من رصاصة واحدة ، ومع ذلك تلاحقه الاقوال :

ـ رجل طماع .. عنده طقم من الاولاد ويشتغل !

ـ ملعون .. جلده محشي بالذهب .

ـ ما في رأسه ذرة عقل .. ماذا سيأخذ معه الى الاخرة ؟

ان اقوال الناس تصبح احيانا اشد ايلاما من موسى حلاقه المثلمة . فهم يعتبرون انجابه هذا الرقم من الاولاد فحولة ورجولة ، وانها نعمة من الله ، عليه الا ينكرها . فالله هو الذي يبعث برزق الولد يوم ولادته .. اما ابو رحمو فيعتبر حظه من اولاده نقمة وغضبا . فولده الاكبر عبد العليم ، هرب منذ خمس سنوات ، وعمره لا يتجاوز العشرين ، وسمع بعد سنة من بعض اصدقائه انهم رأوه في بيروت يعمل اجيرا في محل للحلاقة . ثم نقل اليه بعضهم ان ابنه اصبح ثريا لانه يتاجر بشيء اثمن من الذهب ، وانه يسهر كل يوم في ملهى جديد ، ويصرف ويشرب دون حساب .

اما بناته الثلاث المتزوجات فهو لا يكاد يرى وجوههن في العام مرة واحدة . وابنته الرابعة دميمة ، تشبه كما يقول ابو رحمو امها ، لذا فهو يشبعها كل يوم ضربا ويتمنى لها الموت او الزواج ، لانه يعتقد انها سبب نحسه وتعاسته . وما بقي من اولاده فيغيبون مع الصباح في ازقة المدينة العتيقة واسواقها ، وخاصة المحتشد منها بالشارين ، حيث سرقة بعض الخضار والفواكه امر سهل ، وهم يدخنون اعقاب السجائر امام امهم ويشتمونها . ويحصل كثيرا ان يتغيب احدهم عن البيت ليلة او ليلتين لا يعلم احد اين يقضيها .

ان ابا رحمو يذكر بسخرية ما قاله ذلك الموظف الاصلع عندما سلمه الوسام ، وبلهجة ممزوجة بارتياح واطمئنان :

ـ يمكنك ، انت وزوجتك ، ان تركب الباصات والحافلات مجانا . واذا اردت ان تسافر الى اي بلد بالطائرة او بالقطار او الباخرة فانهم لن يأخذوا منك اكثر من نصف الاجرة .

ولا يدري ابو رحمو اي قوة شيطانية اقنعته بالمطالبة بالوسام ، والذهاب الى المصور الارمني الذي يعسكر بآلته خلف دار الكتب الوطنية يتصور هو وزوجته من اجل الوسام . ان زوجته لا زالت تذكر ذلك اليوم وتعتبره بدء تقويم جديد ، ولا يكاد يزورها احد الا واخرجت صورتها من الصندوق وعرضتها عليه متباهية .. تزوجت ابنتي بعدما تصورنا بشهر .. مات عمي قبل ان تصورنا باسبوع .. نزل مطر كثير ليلة تصورنا ، وتفتحت ابواب السماء ..

لم يزر ابو رحمو المطار يوما ، ولم ير طائرة تقف على الارض هادئة صامتة . انه لا يراها الا محلقة ، بعيدة عنه ، صغيرة لا تتسع لحجم طفل واحد . وهو لم يركب قطارا قط لانه لا يحب صوته .. ولا دخانه الاسود الذي يشبه ضباع الشتاء . ثم ما حاجته لان يسافر ، والى اين ؟. وهو في المدينة لا يمتطي اي باص او حافلة ، فقد تعود ان يمشي ، معللا نفسه بان السير على الاقدام ينشط الجسم ويطرد الخمول عنه ، والركوب يعلم الانسان الكسل .

ظل ابو رحمو مدة غير قصيرة مستندا الى العربة ، غارقا في شرود عميق . وعندما تحركت العربة ، احس بها تنزاح عن ظهره فاوشك ان يقع لولا ان تمالك نفسه .. ألقى نظرة الى نار الدلة فاذا بها غارقة في طبقة سميكة من الرماد الابيض ، فصب قليلا من القهوة في الفنجان وذاقها ، واسرع بعدها يوقظ النار بزفرات من فمه .

وقف ابو رحمو امام الدرج الجانبي لمخفر « باب النصر » ، وحيا الشرطي القاعد في الفسحة الخارجية . صب له فنجانا ، وانتظر قلقا ان يقول شيئا .. وبسرعة تبدل وجه الشرطي المدور واصبح مجموعة من التجاعيد العميقة ، وتقوس حاجباه .. وبصق على الارض عدة بصقات . وقال :

ـ العمى ! قطران .. وقت ! انت اذن قتلت بائع اللبن .

اراد ابو رحمو ان يدافع عن نفسه ، ولكنه تراجع ساكتا . ماذا يقول ؟ كيف يقنعه ان قهوته لم تتغير . انها من نفس البن اليمني الذي تعود شراءه : « ماذا اصاب الناس حتى يرفضوا قهوتي .. ما الذي دفع ببائع اللبن ان يموت في هذه الايام .. ايريدني ان الحق به . كان عليه ان يمنحني براءة مكتوبة قبل ان يلف بالقماش الابيض . .». ولعنه ، سبه .. وشتم الناس جميعا .

ان ابا رحمو يعتقد ان الموت راحة وخلاص ابدي ، ونادرا ما تخلو احاديثه من ذكر الموت والتندر بطريقة الدفن والتشييع والمراسيم والتقاليد الخاصة به . ان الانسان في اعتقاده ليس اكثر من راكب باص ، وهو يعيد هذا التشبيه في كل حديث ، فكما ان الباص يتوقف ليحمل ركابا جددا في مواقف متعددة ، فانه في ذات الوقت يقذف ويفرغ حمولته من الركاب الذين وصلوا الى مواقفهم . انها اضحوكة ان يجن الناس بالولادة ، ويتناسوا النهاية . ان الموت بالنسبة الى ابي رحمو مثل تناول كاس من الماء . وهو يعتبر نفسه ميتا منذ ولدته امه . فهو يتساءل دوما عن دوره في الحياة . لو غاب سنة او سنتين فان احدا ما ان يسأل عنه . واذا خطر لاحدهم ان يلحظ غيابه فليس الا لفضول في نفسه . وكثيرا ما تسيطر هذه الفكرة على رأسه ، فيتخيل عندها ما سيجري في السوق .. لن يشعر الناس بشيء .. سيقول صاحب المكتبة بعد عدة ايام من غيابه ، « يظهر ان ابا رحمو اعطانا عمره » . وكيف يعرفون انه مات ؟ ان احدا من اولاده لن يخطر بباله ان يطبع اعلانا ينعي والده الى العالم .. واذا حدثت مثل هذه المعجزة ، فسيقولون « ومن هذه الشخصية الهامة ، اننا لم نسمع عنها شيئا ». ثم ان الجرائد تستحي ان تنشر مثل هذا الخبر التافه ، فان الناس يفضلون انواع جديدة من الشفرات والكولونيا وادوات التزيين . ولن يتطوع خطيب باقامة حفل تأبين يعدد فيه مآثر الفقيد ، فحياته لا تضم شيئا هاما ، ويمكن تلخيصها بكلمتين : اولاد ووسام . من يدري بموته اذن ؟ انهم لا يحتفون به وهو حي يحرك رأسه ويتكلم وينقر فنجانيه ، وينادي ويصيح .. فكيف اذا غاب عنهم !

اختطف نظرة الى السماء عبر اوراق شجرة التوت المعمرة .. لماذا لا يعود عبد العليم الان بثياب جديدة .. وسيارة فاخرة .. اركب فيها . ويعطيني مئة ليرة دفعة واحدة اتحسسها .. اتأملها ، احفظ رقمها ، وادقق صورتها .. الا يمكن ان يتحقق ذلك !

وعندما شعر ابو رحمو انه اغرق نفسه في تأملات فارغة من الحياة قام حاملا دلته ، فالتقى ببائع متجول تعود ان يراه دوما في فم الزقاق المحاذي للمخفر :

ـ لم يشرب احد القهوة .. كل الناس صاروا يخافون على صحتهم .

كان البائع منهمكا في مسح تفاحه وصفه ، فاكتفى بأن رفع كتفيه وانزلهما ، وكأن الامر لا يعنيه . ولم يهتم ابو رحمو بحركة البائع :

ـ ما دخلي بموت بائع اللبن ! لنفترض ان قهوتي مسمومة ، هل يعقل ان تميت رشفة واحدة رجلا .. اذا كنت مذنبا فلماذا لا يحاكموني . قل .

كانت قطة سوداء تموء بالقرب من العربة فتشاغل البائع بطردها قائلا :

ـ الواحد منا لا يعرف كيف يخرج روحه ! قطط وكلاب .. قطط وكلاب .. اين ما اتجهت قطط وكلاب !

واحس ابو رحمو انه ميت فعلا .. فانسحب دون هدف .. انسل الى الشارع العريض فاغرقته ضجة الحياة فيه .

قعد القرفصاء قرب احدى البالوعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبـــار

أأعود من تلك الطريق ؟
وأسير في الدرب العتيق ؟
درب الاماني العذاب تزفها نبضات قلبي
وتظلها بزبرجدي ظلالها اغصان حبي

أأعود من تلك الطريق ؟
وأسير في الدرب العتيق ؟

كزمان كنت به أسير
متمهلا اطأ الحرير
واطوف فيما حف من روض به متعبدا
ارنو الى الثمر الينيع ولا أمد له يدا

ويشع دربي بالضياء
فلا التفات الى الوراء
واذا دجا ليل الوجود اضاء قنديل الذهب
دربي فأبصر نوره ويغيب عن عيني اللهب

أأعود من تلك الطريق
واسير في الدرب العتيق ؟

هيهات .. طال بنا السفر
ألهى عن الورد الصدر
يغشى الضباب معالم الدرب التي استدبرتها
والذكريات تغيم في خلدي اذا استحضرتها

عصفت بقنديلي الرياح
والليل قد بسط الجناح
اختلطت على الساري الدروب فحار يمضي أم يؤب
أم يستكين الى الذي خطت على اللوح الغيوب

أأعود من تلك الطريق ؟
وأسير في الدرب العتيق ؟

سأهيم في وادي الظنون
ولقد أكون ولا أكـون
ان لم أعد للدرب ثانية فعالمي الضياع
عدم اذن كينونتي ومباهج الروح التياع

تلك الخطى كانت خطاي ؟
أم أن انسانا سواي
ذاك الذي في الفجر اذ عرف الطريق الى «وبار»
فرحت به ابراجها واستأنست تلك الديار

أأعود من تلك الطريق ؟
وأسير في الدرب العتيق ؟

هل عودة لمدينتي
فردوس روحي .. جنتي
أم هل اظل مكفرا عن وزر والدنا القديم
فأنا الطريد من الجنان .. أنا المشوق الى النعيم

الجزائر — جمال مرسي بدر

وراح يصب القهوة فيها . كان الازدحام شديدا الا ان احدا من الناس لم يأبه له ، سوى صبي رآه ابو رحمو اكثر من مرة يتسكع امام باب السينما ، وسمع عن سلوكه مصادفة اشياء معيبة . وعندما نظر اليه ضحك الصبي ، وقال بخبث ودلال :

ـ معك سيجارة ؟

فقام ابو رحمو حانقا يريد ان يضربه ، ولكن الصبي افلت من يده حين ابتلعه الزحام . وشعر ابو رحمو بكآبة وضيق ، اذ خطر له ان احدا من اولاده قد يكون على مشاكلة هذا الصبي القذر ، وتمتم : « انني اذبحهم جميعا لو سمعت عنهم شيئا ، اذبحهم .. اقطع رقابهم ، واخنق امهم التي ولدتهم .. جيل العقارب . الكلب يريد سيجارة ! » .

عندما تخلص ابو رحمو نهائيا من القهوة والرماد لمح الحافلة تتهادى عند الموقف ، ووجد نفسه فجأة ، ولاول مرة ، يدافع الناس لامتطائها . وما ان جلس حتى نهره الجابي بصوت هازىء .

ـ الكرسي للسيدات .. يا استاذ !

لم يكن يهمه ان يذهب الى اي جهة كانت سأله الجابي اجرة الركوب فأجابه بصوت فيه انتفاضة ، وتحد :

ـ وسام .

لحظ عددا من العيون تتملق وجهه .. لحيته ، قبعته الصوفية المتلبدة . وشعر بضيق وكأن قبضة حديدية تمسك رقبته ، وتمنى ان ينزل سريعا .

حلب — جهاد الكاتب

عبد القادر المغربي

بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده

★

بكت عليك الربى ، والظل ، والماء ... ومشرق فيه من عطفيك أندداء
غادرتنا منذ اعوام (١) ... ففادرنا ... علم ، وفضل ، واعطاف ، وأفياء
وودعتنا من الاخلاق ناصعة ... وصفحة من جمال الحق غراء
تلك اليراعة . من أودى بنفثتها ... فأصبحت وهي تحت الترب خرساء ؟
فلا البيان بها عذب مشارعه ... ولا حدائقه بالفكر غناء
مات الذي لم يفل الدهر عزمته ... ولم تزعزعه في الاصلاح نكباء
ماض الى الحق في صمت ، وفي دعة ... فلم تجلله يوم الروع ضوضاء
لم يخلق الدهر من مجلو صفحته ... ولا تجهم في سيف له ماء
كم اسأمت قبله الايام من رجل ... فراح وهو لطول العمر بكاء
أعيت «زهيرا» تكاليف الحياة.. فلم ... تمض الثمانون الا وهو أشلاء
لكن صاحبنا ما فل مضربه(٢) ... ولم ينل منه اصباح وامساء
الله اكبر ! هذا صلب معدنكم ... عزت له في صلاب الارض اكفاء

يأيها الرائح الغادي ... وفي يده ... يراعة كعمود الصبح بيضاء
يسرى المداد بها نورا كما ائتلقت ... بالنور من ومضات الوحي سيناء
ففي «المؤيد» (٣) ما زالت روائعكم ... تشع منهن افكار وآراء
وفي جريدتك «البرهان» (٤) من أثر ... ما ليس يدركه عد واحصاء
و «البينات» (٥) عليك اليوم شاهدة ... فدون ثروتها للفكر اثراء
في كل ارض لكم بالشرق مستمع ... وللمنابر هزات واصفاء
تحبب الناس في الفصحى، وتجمعهم ... كما تلاقى على الود الاحباء
هذا جهادك لم تنكره حاضرة ... كلا ! ولا جحدت جدواه بيداء
قالوا: سجنت (٦)، فقلت: السجن مفخرة ... لمن تضيق به في الكون ارجاء
لو لم يخافوك لم تقلق مضاجعهم ... ولم تؤرقهمو بالوهم أشياء ..

« المغربي » له في كل مجتمع ... يد على اللغة الفصحى وآلاء
قد كان يدأب مثل النحل ، تجذبه ... فواحة من رياض العلم فيحاء
يروح بين الضفاف الخضر من «بردى» ... «والنيل» وهو كريم الوجه وضاء
على ملامحه سيماء مجتهد (٧) ... وفوق غرته للعلم سيماء
كان البقية من قوم بهم ألقت ... واشرقت في دياجي الليل ظلماء
خطاهمو تهتدي الدنيا بموقعها ... وتستبين لها في الحق انحاء
عليك من رحمات الله واكفة ... وفي فم الدهر من ذكراك اصداء

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

---

(١) توفي العلامة المغربي في اواخر حزيران سنة ١٩٥٦ ، وولد بطرابلس الشام سنة ١٨٦٧. (٢) عاش المغربي تسعين عاما فصح فيه الاثر « خيركم من طال عمره وحسن عمله » . (٣) المؤيد هو الصحيفة المصرية التي انشأها الشيخ علي يوسف . (٤) البرهان اسم الجريدة التي انشأها المغربي بحلب سنة ١٩١١ يدعو فيها الى الاصلاح السياسي والاجتماعي في البلاد العربية . (٥) البينات هو اسم كتاب ضخم للمغربي في جزءين، وله مقدمة بقلم السيد محمد رشيد رضا . (٦) كانت حكومة السلطان عبد الحميد تتوجس شرا من كل داعية للاصلاح ، فأوعزت الى خليل باشا البكدشلي والي بيروت باعتقال الشيخ عبدالقادر المغربي ومصادرة اوراقه وكتبه . وظل في السجن قرابة عام . (٧) كان المغربي من تلاميذ الشيخ جمال الدين الافغاني المخلصين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثـروة

لوركا والمرأة العاصفـة

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اهتم فردريكو غارثيا لوركا ، عندليب الاندلس ، اهتماما خاصا بالمرأة ، وهذا الاهتمام يبدو ـ في اجلى صـوره ، واروع معانيـه واعمق دلالاته ـ في مسرحياته « العانس » و « زوجة الاسكافي العجيبة » و « ماريانا بنيدا » و « الزفاف الدامي » و « يرمـا » و « بيت برناردالبا » .

والشيء الذي جلب انتباه لوركا في المـرأة الاسبانية ، هو محاولتها اليائسة لتحدي الاحوال التعيسة التـي تحيط بها فتمزق شخصيتها وتحطم وجودها ، وتخمد آمالها وأمانيها ، جاعلة منهـا اثانا يشترى ويباع ، ووعاء يحمل الاجيال ، ومتعة يتلهى بها الرجال ، وانثى في متناول الذكر عند الحاجة ، ليس لها من حق غير ان تعرف معاني الطاعة والحشمة والعفة .

القوانين والانظمة والاعراف والتقاليد موضوعة بالدرجة الاولى لكي تتحملها المرأة ولكي ينفصل المجتمع الى مجتمعين ، مجتمع سيد وآخر مسود ، السلطان فيه سلطان الرجل والتبعية تبعية المرأة ..

كان هذا هو الشان ولا يزال ، حتى قبل ان ينقسم المجتمع الى طبقات متناحرة تريد كل بنقيضتها الموت والهلاك والاندثار .. ومن ثم فالمرأة عار لا بد منه وعورة ينبغي اسدال الستار عليها وابعادها عن الانظار . لانه (ما اجتمع رجل وامرأة الا وكان ثالثهما الشيطان) على ما ذهب اليه احد قادة نهضتنا الادبية الحديثة ..

وفي محيط يشابه هذا المحيط ، عاشت المرأة الاسبانية وهي مقيدة بالف قيد تلتف عليها خيوط الشرانق ، وتلتهم روحها عفونة البيوت الواطئة ، وتطحن تطلعاتها طواحين العمل المرهق الداكن ، ويشرب دمها اخطبوط لعين ماكر هو اخطبوط النفاق الذي يلبس لكل حال لبوسها ...

المرأة مشلولة الاطراف ، مبحوحة الصوت ، منقطعة النفس ، متخاذلة مستسلمة ، مجبرة على كل شيء تطالب به ، مضطرة الى الخنوع الاعمى ، والطاعة التي لا مفر منها .. هي انسانة بالاسم لا بالروح والنفس ولهذا السبب ، لم يعترف بروحها حتى القرن السادس عشر .. وعندئذ فقط اعتبرت روحها مساوية لروح الرجل ..

في هذا المحيط بالذات نشأ الشاعر لوركا ، فعرف معاني القسوة والجور والظلم والطغيان ، واتصل بسمعه ووعيه ووجدانـه وقائع وحوادث تتصل بالمرأة بوشائج عميقة الجذور . فتأثر بما سمع ووعى ، وهضم كل ذلك على احسن ما يكون الهضم وتمثل في فكره الثاقب احوال المجتمع وما يقاسيه من تناقضات ممزقة عامة وما تلاقيه المرأة من هذه التناقضات خاصة ! فاهتزت اوتار قلبه تجاوبا مع الآلام التي تعانيها المرأة في بلد كبلده يدعي بالحضارة والتمدن وفي عصر يرفع عقيرته عاليا ويتناول كلمات المدنية والتقدم والرقي كأنها من صنع يديه ليرشقها في وجه التاريخ والتاريخ المسكين يقول نعم هذا عصر كل ما هو خير للانسان ، عصر تنتصر فيه الآلة على الانسان ، فيصبح لها عبدا اسيرا بعد ان كان سيدا بيده الامر والنهي ..

والى هذا التجاوب والى هذه المشاركة الوجدانية الحميمة اشار شقيق لوركا فرنسيسكو حين قال : « والقيمة الاخيرة لمسرح فردريكو ، القيمة التي تسمه بميسمها الخاص ، هي موقف المؤلف الرئيس الذي يحب ان يحيا ، اعني أن يتعذب ويتمتع بمسيـــرة الحياة بصفتها دراماكونية لا معدى منها (١) . »

والمجتمع الاسباني المؤمن بالقدر وبحتمية المســار التاريخـي ، مجتمع اندغم فيه لوركا وامتزج به حتى انه اصبح ـ بتطوره الادبي الاخير ـ رمزا يمثله احسن التمثيل واجمله ، وادعاه الى التعمق وسبر الاغوار ، ويرفع القناع عن كل ما يحتويه هذا المجتمع من نتن وبشاعة وفساد ويعري ذلك باجمعه تعرية عارمة خشنة بعض الشيء .

مسرحيـة الزفاف الدامي

وشخوص لوركا ، وخاصة في مآسيه الثلاث الرائعة ، شخوص نسوية ، ففي « الزفاف الدامي » تتناوب على البطولة كل من الام والعروس ، تدفع الاولى غريزة الامومة التي عرفت الترمل والثكل وتدفع الثانية قوة الحب الجارفة التي لا تعرف حدودا ولا سدودا ، الحب الاحمق ، النزق الذي يتطاول على قدسية الامومة فيرفسهـا ويدوسها ويسحقها سحقا ، لا لشيء الا لان المرأة بصفتها زوجة قد اجبرت على اختيار من لا يروقها ، فهي حارة ملتهبة ، كل نقطة من دمها بركان فوار بالحمم والسيول النارية وهو : انسان اعتيادي ، رجل كالرجال ، فلاح يمشي في الاسواق ويسقي المزروعات ويربي الماشية ، ويأتي الى البيت تعبا ، منكسر الظهر ، واهن القوى ، فكيف لمثل هذا الرجل ان يقترن بذلك اللهيب العاصف ؟

الزوجة المصون ، في ليلة زفافها ، والناس في هرج ومرج احتفاء بهذه الذكرى العطرة ، والأم في فرح غامر ، ولكن كل ذلك لا شيء أمام عاطفة العروس التي كانت تحب رجلا آخر هو ليوناردو ، الا ان هذا قد تزوج ، وبات أبا لولد ، لكن الحب بينها وبينه ظل ساعيا بالشر ، حتى وفي هذه الليلة بالذات . لا بد اذن من مؤامرة تلطخ هذه الليلة بالدم القاني ، ولا بد للمأساة ان تنتصر على قلب الأم بالسكاكين التي لعن النذل الذي اخترعها .. وقبل ان تزف الآزفة ، وتفعل الاقدار فعلها تتذكر الام ثكلها وترملها وما فعلته المسدسات والسكاكين في ابنها وزوجها فتقول مخاطبة ابنها الذي هو على وشك الوقوع في هوة المصير الذي وقع فيه أبوه وأخوه : « من يستطيع ان يعيد الي اباك وأخاك ؟ واذن هناك السجن . ماذا يعنون بالسجن ؟. هناك يأكلون ويدخنون ويعزفون . وموتاي تخنقهم الاعشـاب الضارة ، صامتون يتحولون الى تراب » .

الأم لا تملك الا وحيدها ، ووحيدها في عرسه اليتيم ، والعروس، هي يد القدر الذي يريد ان يلطم وجه الأم المعتاد على اللطمات .. والفرحة قصيرة ، قصيرة جدا ، لقاء واحد بين العريس والعروس ، لقاء بارد كل البرودة ، العروس تكظم شيئا في دخيلتها شيئا مرعبا

(١) فرنسيسكو لوركا (في مقدمته للمآسي الثلاث) .

مخيفا ، والعريس ساذج ، فلاح بسيط كيانه شفاف لا يخبىء شيئا لانه لا يستطيع ان يفعل ذلك . أما هي بنت الملاك الصغير ، فستستغل هذه السذاجة بكلمات من هنا وهنـاك ، لتداور وتناور ، وتستغل الفرصة السانحة حتى اذا آتتها هربت من أحد الابواب ، بعد أن تكون قد دبرت الامر مع عشيقها ليوناردو ..

ها هي الزوجة تقدم آيات عفتها في ليلة الزفاف بفرارها مع عشيقها ، فيا للعار . ماذا يمكن ان يقال للعريس ، والالسنة السنة لهيب في القرية ، فرت العروس هذه واقعة حية لا يشوبها غبار ولا خلاف ، الكل على علم بذلك الجار القريب والبعيد واكليل الزواج الطاهر ، اكليل الرباط المقدس يتوج رأسها . فاذا تقول الأم لابنها المنكوب اتدفعه للحاق بالهارب والهاربة ليقتل الاثنين معا ؟ ان لسانها لينعقد ، وقلبها ليرتجف هلعا ، ونفسها لتميد بها يمنة ويسرة . يد الاقدار ، تتطاول على الأمهات كثيرا ويكون هذا التطاول شنيعا مريعا ، لانه يمتد الان بقسوة الى قلب الأم لينتزع منها وحيدها .. الشرف يدفعها لترضخ للاقدار ، وغريزة الأمومة ، غريزة المحافظة على السلالة الانسانية تدفعها للرفض والرفض العنيف فهي تقول : « لا لا . ثم تقول نعم نعم » .. واذا بالابن يندفع كالسهم الرائش الى الصيد الدسم ، واذا به يطير بفرسه ، الى حيث رمسه ... فتفعل السكين فعلتها الاثيمة ويتجندل ليوناردو والعريس ، وتعود الزوجة الهاربة لتلقى أم العريس وهي تحاور احدى الجارات وتقول الاخيرة : « ألم تعريفها ؟ » فترد عليها الام : « انا لا اريد ان اعرفها .. والا لغرزت اسناني في رقبتها . » ...

العروس تعول وتولول وتنوح ، والأم ساكتة هادئة أليس يعني ذلك ان الهدوء الذي يلفها يحول بينها وبين فهم نفسهـا . ها ان العروس تضع نفسها بين يدي حماتها ، فلتقتلها اذا شاءت وليأخذوها معهم ، انها الى احدهم لعطشى ، ولما يبل لظاها وتنقع غلتها . الا ان الأم تتكرم عليها بالابقاء على حياتها . وتتساءل لماذا فعلت ما فعلت فتجيبها الكنة ولهيب يتماوج في ثنايا كلماتها : « .. لقد فررت مع الاخر .. نعم فررت . ولو كنت في مكاني لفعلت ما فعلت . كنت امرأة تحرقها الرغبة ملأى بالجراح في الداخل والخارج .. كان ابنك قدري ، ولكن ذراع الاخر سحبتني كما يسحب البحر (شيئا من الشاطىء) كان لا بد ان يسحبني دائما ، دائما ـ حتى لو كنت امرأة عجوزا وكان كل أصفادك متمسكين بشعري ! »

الرغبة الجامحة تتحدث بصراحة والعاطفة الهائجة تتبختر بهذه الصفاقة ، والانثى المنطلقة من القيود تتبدى على حقيقتها ، في ركوب رأسها واندفاعها ، ولا مبالاتها ، وطغيان الشهوة العارمة على ذاتها ، بشكل فيضان فظيع لا يعرف حدود الضفاف الطبيعيـة ولا سدود التقاليد الوضعية وقد جرفت العاصفة الهدارة بكل هذه العراقيل فتحول الفيضان الى طوفان .

اما الأم فما تقدر الا ان تقول وقد سحقها الاسى سحقا : « لا لوم عليها ولا تثريب ولا علي ! من هي اذن ؟ هي امرأة رشيقة كسول ، أصابها الارق فرمت اكليل زهر البرتقال وراحت تبحث عن قطعة فراش دافئة لرجل اخر . »

ها هي الكلمات الساخرات تتلبد غيوما لتمطر رجوما على الخائنة التي تقف بطولها أمام فاجعة الأم ، وهي تتلوى والصديد ملء قلبها والدم ملء فيها ، انها الزوجة الغادرة التي تحس بما فعلت وتدرك ما جنت يداها ، والا لما قالت : « اثاري مني . انا هنا ، انظري ما اشد نعومة رقبتي ، ان ذاك سيكون اسهل من اقتطاف زهرة داليا في حديقتك » . وهي لا تكتفي بذلك بل تشير الى موضع العفة من جسدها وتقول : « اما ذاك فلا ، فهو طاهر، طاهر طهارة طفلة وليدة. » وتمضي في التوكيد على طهارتها بالحاح ... لكن عبثا ما تفعل !.

واذا كان هذا القول حقا ، وحرارة الكلام يثبت ذلك ، فلماذا الهرب ولماذا الخيانة والليلة ليلة عرس ، ليلة واحدة فقط في حياة الانسان بأكملها ؟ ها هي النزوة الطارئة تنطلق ، لتعيدنا تاريخا قديما من حب قديم ، لتلطم الاقدار وتقول لها ، ها أنذا امرأة ضعيفة ، مقيدة بالتقاليد والاعراف والاخلاق . ولكنني ـ مع ذلك ـ قادرة ان أهز اركانك لحظة واحدة وانحدر الى الهوة متوارية عن الانظار . والمأساة في أساس هذه النزوة ، انها التماعة فيها وميض من المشاركة الوجدانية وفيها استنفار لطاقة الاقدار على انزال الضربات ومن ثم استطرد لاستسلام من بنات البشر لهذه الضربات في سمفونية درامية تتسامى ذراها بأسلوب قريب الى القلوب ، أثير على النفوس ، شفاف ، بديع ، خفيف الظل .

ولوركا في كل ذلك فنان اصيل يمثل اسبانيا تمثيلا رائعـا ويجسدها رمزا ودلالة ووحيا واصالة وقدرة على الايصال المباشر وغير المباشر . ومن هنا تجتمع فيه الواقعية والدراميا اجتماعا لانفصام لعراه ، ويمتزج الشعر في مسرحه امتزاجا عضويا فيتغلغل في كل خلية من خلاياه .

ومن دلائل رمزيته انك في هذه المسرحية لا تجد اسما غير اسم ليوناردو اما الشخوص الاخرون فرموز واضحة .. ومن خلال ليوناردو نتحسس بأفاعيل الاقدار وندرك الصدام بينه وبين هذه الاقدار التي تنزل الى الساحة لتصارع عشيقته في ليلة عرسها .. فيكون ليوناردو اداة تنفيذ لهذه الاقدار وتكون العشيقة الزوجة الخائنة ضحيتهـا السهلة ..

هذا هو مجرى الاحداث فكما اننا كلنا من الارض ، فللارض من دمنا نصيب .. والذنب ليس ذنبا انما هو ذنب الارض والدم الذي يرى النور تشربه الارض كما تشرب المياه البوادي البور ...

وتنصب المأساة على النسوة على درجات متفاوتات .. فالام تفقد زوجها وابنها البكر ، وها هي تثكل بابنها الوحيد الباقي على قيد الحياة وتفقد الزوجة عشيقها وزوجها ، وتفقد زوجة ليوناردو زوجها أبا طفلها الوحيد ... ومن ثم نجد ان حلقة المأساة تطوق وجود الأم تطويقا كاملا ، فتحرمها من اي بادرة امل ، بل هي تقضي على كل معلم من معالم الامومة ، في هذه المرأة الرفيعة اللطيفة التي تنجب الابطال ليموتوا شهداء الشرف والكرامة .. وتبقى هي وحيدة في شرنقة من عزلة قاتلة . ها ان آمال الامومة تنهار وتندك ، وتتبدد في النجيع القاني . وهنا تتذكر الأم السكين فتقول مخاطبة الجارات : « بسكين صغيرة . في اليوم الموعود ، بين الثانية والثالثة . قتل رجلان بعضهما بعضا في سبيل الحب .. بسكين . بسكين صغيرة ، بالكاد تملأ الكف . لكنها تنحدر نظيفة في الجسد الذاهل ، وتقف في موضع فيه يرتجف جذر صراخ اسود مختنق » . وتأخذ السكين سهمها ، وبهذه الخاتمة الرائعة يختتم لوركا مسرحيته ، جامعا بين التقاليد الشعبية الاسبانية من نخوة ورجولة وشرف وبين الفولكلور جمعا فيه خلاصة درامية مكثفة مصدرها ـ فضلا عن هذين العاملين المتكاملين ـ انسانية واسعة الآفاق والآماد ، عميقة الجذور ، سامية المبادىء ، في حلاوة حنان ، وصفاء طوية ، وجمال أسلوب ، وجلال قصد ... الامر الذي يجعل هذه المسرحية ذروة سامقة من ذرى المسرح الغربي الحديث ...

مسرحيـة يرمـا

اما مسرحية (يرما) فهي مسرحية الجدب الذي لا يروى لدى المرأة التي تهفو الى وليد ينقذها من عار العقم ، العار الذي ينهش ويمزق ويبعثر وحدة النفس وانسجامها ، فلماذا يجب ان تكون يرما بغير ولد ؟ ولماذا ينبغي ان تترك في عز شبابها لا عمل لها غير ملاعبة الطيور الصغار ؟!

انها تريد المشورة من المرأة العجوز الاولى ، ولو كان في هذه

المشورة ابر تسمل عينيها وتفقأها .. انها تريد ان تكون اما ، فما السبيل الى ذلك ؟

ان خوان الذي تزوجته مكرهة ، بأمر من والدها الذي فرضه عليها ، هذا الرجل رجل لا يقدح له زناد مع امرأة طافحة الانوثة ، محرومة الولد ، واذا هي قد رضيت بما قدر لها ، فلانها تريد ان تنتفخ بطنها بمن يحييها من موت محقق ، ومن اجل هذا المخلوق العزيز المرتجى ، اعطت جسدها لزوجها واستمرت في العطاء والبذل.. وهذا النوع من العطاء لا بد ان يكون مجدبا لان الحب الجذاب منتف فيه ، بعيد عن ساحته ! ولما ووجهت يرما بهذه الحقيقة انتفضت وقالت : « كلا ، لست مجدبة ، لاني ملأى بالمقت . » هذا ما هي عليه ، بعد سنتين وعشرين يوما والجدب يطوقها والعار يهزأ بها ويمزقها ، والجيرة والاقارب يتساءلون ويلحون في التساؤل والتغامز ويقولون : « يرما ، مسكينة ، يرما » لن تكون بطنها مهدا لجنين يتحرك ، ولا رحمها نسغا لمخلوق حي يتململ .. الفراغ ، الجدب ، العدم هذه هي الامور التي تتقلب يرما على اشواكها ، فتئن وتتحسر وتتقطع انفاسها وتعوي وتصرخ ولكن من غير جدوى ..

انها كانت تنتظر الوليد بشوق عارم ، بلهفة لاهبة ، بترقب خائف كانت تقول وهي تخاطب وليدها الوهمي : « من اين تأتي ، حبي ، طفلي ؟ ومن جبال الثلج الجامد ، ماذا تحتاج حبيبي ، سكري ، طفلي ؟ (الدفء المنسوج في ردائك .) .. متى ، يا ولدي ، متى يا ولدي ستأتي ؟ »

وتظل هذه الكلمات تنتظر جوابا ويطول الامد ، والجواب بعيد في الافق لا يطل عليها ولا يمل المكوث حيث هو ، فتجتاحها الاحزان والكروب والتعاسة ولما تسأل : أهي تعيسة ؟ تجيب : « أنا لست دائما كذلك ... ولكن لي من الاسباب ما يبرر تعاستي . » هذا كان جوابها لسؤال فكتور الذي احبها من بعيد فراح يتساءل عن وضعها ، عله يتدارك من امرها شيئا يمكن تداركه .. ويمضي فكتور في تساؤله فيقول : « وزوجك أتعس منك . » فتجيبه : « نعم . هو كذلك . هذه هي طبيعته . فهو جاف . » فكيف يراد لهذا الجدب ان يتقلص وهو والجفاف صنوان لا يفترقان .

وتستشري الاشاعات والاقوال عن يرما وعلاقتها بفكتور فتقول احداها « حين لا تنظر اليه ــ حين تكون وحيدة . وحين لا يكون في قبالتها ــ تحمل صورته ــ في عينيها . » وتقول الثانية : « زوجها يمثل دور رجل اطرش » . « واأسفي على الزوجة العقيم ، واأسفي على التي تحمل اكياس الرمل في ثدييها . » هذا ما تقوله احدى النسوة من الجيرة ، وهذا ما يقوله واقع الحال . وتمضي سنون خمس وينسى الزوج كل شيء غير عمله ومشاكله ومشاغله .. وتظل يرما تتذكر ويزداد التذكر ايلاما وقساوة . فتقول يرما ذات مرة متأثرة مخاطبة زوجها . « أما انا فلست انت . الرجال يستطيعون ان يحصلوا على اشياء اخر من الحياة . لكن النساء ليس لهن غير اطفالهن والعناية باطفالهن . »

ها هي يرما تنطح جدارا من الحجر برأسها ، وها هي تعترف : « نعم . حجرا . لكن من العار ان يكون حجرا . كان عليه ان يكون سلة من الازهار والروائح العبقة . »

زوجها الواقعي يريدها ان تستسلم للاقدار وتخضع لها لكنها ترفض ذلك الاستسلام بشدة وتقول : « لم آت الى هذه الجدران الاربعة لاستسلم واخضع ... » وحين يقول زوجها « وماذا ستفعلين اذن ؟ » تجيبه والشرر يتطاير من عينيها ومن كل ذرة من وجودها : « أريد ان أشرب الماء ولا ماء ولا قدح . أريد أن أرقى الجبل وليس لي قدمان . »

« أواه يا للثديين العمياوين تحت ملابسي ... أواه يا لألم الدم الحبيس الذي يسمر الزنابير في قعر المخ . لكن ، يا سكري ، يا حبيبي ، يا طفلي ، ينبغي ان تأتي . فالماء يعطينا الملح والارض والفاكهة ، وارحامنا تحتضن الاجنة اللدنة ، تماما كالغيمة تكون عذبة بالمطر . »

ها هو العذاب يقطع النياط ، واليأس يحرق النفس ، وها هو الامل والحنان والثقة العمياء في المستقبل ، كل ذلك يجتمع في كلمات يرما هذه ليضيف الى حزنها حزنا والى املها العنيد املا .

انها تجد نفسها في اذى وحقارة لا تحتملان ، ترى القمح ينضج والينابيع لا تنقطع عن العطاء الثر ، والاغنام تحمل المئات من الحملان، وحتى اناث الكلاب تحمل الجراء ، وهي وحدها العقيم التي تطمع في نسمة من هذه النسمات الكثار لتتحرك في رحمها فلا تجد غير الفراغ العاتي الذي يعوي عواء الذئاب ! كيف لها ان تحتضن نسمة الحياة الجديدة ، وزوجها لا يقدم لها غير كسرة الخبز وملاذ المسكن وغير التوافه من مشاكل الحقل والمزرعة والبستان .

وتضطر يرما الى اللجوء الى الساحرة دولوريس وعزائمها ، فتطيب الاخيرة خاطرها : « أؤكد لك انك ستوهبين طفلا » . وهنا تعود اليها ثقتها بنفسها فتقول : « سأوهب طفلا . فلا بد من ذلك ، والا فانني لا افهم العالم واحيانا حين اشعر بأني ان لن . تنبثق موجة من النار من قدمي في كل وجودي، فيبدو لي كل شيء فارغا كل الناس السابلة والمواشي والاحجار ، كلها تبدو وكأنها مجبولة من قطن.»

انها لن تعترف بالعالم ، بالكون ، بالوجود كله ، اذا هي لن تراه متجسدا في قاع رحمها ، والا فالعطش اللاهب يلفها في اعصاره الرهيب ، بعيدا عن الحرية ، في قيود الفراغ ، في الوجود السخيف الابتر .. ان التي خلقت لكي تكون اما ظلت مجرد فتاة بائسة ، يائسة .. تطاردها رياح الفناء فتدفع بها من هاوية الى هاوية ، بجنون وصخب وعربدة ...

يرما تريد ان تتطلع الى وجود حقيقي ، الى وجود متصل بعضه ببعض في مسلسلة لا اول لها ولا اخر ، ويشاء الحظ ان يجعلها بنت الضيم ، بنت العقم .. ذلك الهواء الاصفر الذي يبتلع صلة الوصل من السلالة الانسانية متمثلة في يرما ، بصلافة وغباء وبلاهة ..

وتشتد الظروف حنقا على يرما ، فتتهم بعلاقة غير نظيفة بفكتور ، ويرما من هذه العلاقة براء ، وتتوسع الاشاعة حتى تصل الى اذن زوجها ، وسط ضجيج عارم ولغط شديد من الرائح والغادي من سوية الناس وسوادهم ...

وينقل الزوج الخبر الى اذنيها وعندئذ تستشيط وتذعر وتثور قائلة ، « اعمل ما تشاء بي ، فانا زوجتك . ولكن حذار من ان تضع اسم رجل في صدري ! »

وأخيرا ، وبعد ان عزت عليها اسباب الارض تلتجيء يرما الى اسباب السماء فتلوذ بأحد الاديرة المعروفة باستجابة الدعاء ، وهناك تصفعها عجوز حين تعرف علتها بقولها : « ... اذن انت عاقر كأشواك في حقل جاف » . فما كان من يرما الا ان قالت : « عاقر ، نعم اعرف ذلك .. هذه هي المرة الاولى التي اسمع فيها هذه الكلمة تقال لي وجها لوجه ، وللمرة الاولى أعرف انها هي الحقيقة » . وتذهب العجوز لشانها مخلفة الحسرة الاليمة ، الخنجر المسموم يخترم جسدها ونفسها وروحها ، وفي هذه الفورة بل الثورة ، يلقاها زوجها بهذه الكلمات : « هذه هي المرة الاخيرة التي اصطبر فيها على رثائك المستمر على اشياء مظلمة ، خارجة عن الحياة ، اشياء في الهواء . » ويستطرد بصلافة منقطعة النظير : « .. أشياء لا تهمني ، اسمعت ذلك . »

الدير لا يستجيب والعجوز تقذف قنبلتها وتمضي ويجيء الان زوجها الامرد ، ليقول قولته هذه ، والايام تتعاقب سراعا ، كل هذه الامور تنعقد في نفس يرما رياحا كثيفة، تنتظر ساعة الانفجار بين حين وحين واذا بالعاصفة تتجمع وتتحفز ، واذا بالمرأة العاصفة تأخذ المبادرة بيديها واذا بشجرة العقم تقتلع ، كما تقتلع الاعشاب الضارة ، وللمرة الاولى تطبق يدا يرما على عنق زوجها الزنيم فينتفض بين يديها كعصفور صغير بين يدي طفل عابث شرير .. وتنقطع النسمة التي قطعت نسمات !

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجنون

محمد العدناني

صيدا ـ لبنان

ضاحك الآهات ، غضبان ... دائب في السعي ، وسنان
هادىء الاعصاب ، مضطرب ... ساكن ، والصدر بركان
جائع من غير مسغبة ... ظامىء ، والجوف ريان
صامت ، لكن مقوله ... مرهف الالفاظ ، حيران
يشتكي في سمعه صمما ... مطبقا ، والوجه آذان
تلتقي في الثغر بسمته ... بالاسى ، والدمع هتان
شاعر ، لكن قصائده ... ما لها كالشعر أوزان
عمره يقضيه في حلم ... صاخب ، والطرف يقظان
ليس يصحو قبل موتته ... انه ـ ما عاش ـ سكران
فكأن الراح بغيته ... وهو ـ قبل الرشف ـ نشوان
لا يرى في العالمين فتى ... غيره باللب يزدان
فهو ، دون الناس ، رب حجا ... ذخره علم ، وعرفان
والورى في رأيه سلبت ... عقلهم سلمى ، وبوران
ما دروا ان الكعاب ثوى ... في صباها الغض شيطان
فهي مثل الطل ان رضيت ... واذا ثارت ، فثعبان
ولها في ريقها عسل ... رب ريق فيه ذيفان
ونراها نحن جنتنا ... فالجنى ورد ، ورمان
وافترار الثغر يأسرنا ... منه حول الدر مرجان
ويضوع الطيب ان خطرت ... ويهز الخافق البان
بين جنبيها هفا ملك ... كله خير واحسان
ليت شعري ! اينا خطل ... رأيه ، ينفيه بطلان
كم فتى ذي ثروة لسن ... قوله زور ، وبهتان
ان هذى ، قالوا : فتى ثقة ... أو لفا ، فالفذ سحبان
أو كبا ، طارت به صعدا ... ثروة يسمو بها الشان
ترتقي الآفاق مصعرة ... خدها ، والعرش كيوان
ليته تعرى حقيقته ... فتشين النفس ادران
ويغض الطرف مدكرا ... أنه في القدر انسان
رب مجنون اذا ومضت ... من نهاه الرث اركان
ارسل الاقوال محكمة ... نسجها حق ، وايمان
فهي مثل الشمس مشرقة ... وهي مثل الزهر ألوان
قلما جادت بتوأمها ... في مجال الفكر اذهان
حكم غراء ، راجحة ... ما لها في العقل ميزان
ليتني احبى الجنون لكي ... لا تذيل الدمع اجفان
حيثما يممت ، تحدق بي ... اتة حرى ، واحزان
فهنا ثكلى تذوب اسى ... دأبها لطم ، وارنان
فاذا ما الدمع اعوزها ... مده للذرف شريان
صوحت آمالها ، وغدت ... ما لها في الناس معوان
هيكل يمشي تجلله ... ـ وهو نهب البؤس ـ اكفان
صفحة سوداء قد كتبت ... ولها الارزاء عنوان
وهنا انقاض ارملة ... دمعها كالوبل هتان
حولها اطفالها انطرحوا ، ... كلهم ـ يا عرب ـ جوعان
وهمو لولا الانين لما ... ظنهم احياء انسان
حز في نفسي شقاؤهم ... وورت في الصدر نيران
فحبست الدمع ، وانفجرت ... زفرة حمراء ، مرنان
هالني ، والبؤس يحدق بي ... أنني باللب مزدان
فتمنيت الجنون لكي ... لا اعي ، فالخبل احسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين النقد الادبي والبلاغة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

في عام ١٩٢٦ أوكل الى الاستاذ أحمد أمين تدريس البلاغة ، في الجامعة المصرية ، كلية الآداب ، فأقبل على كتبها العربية ، والغربية يقيم المقارنات بينها .. ثم مال الى دراسة النقد الادبي على الكتب العربية ، والغربية ايضا ، خاصة كتب النقد الادبي الانجليزية ، فارتأى ان يدرس النقد الادبي في كلية الآداب ، على ان يطبق على الادب العربي ، فكان تدريسه لذلك ، على حد قوله ، اول درس في النقد الادبي ، في مصر ، على النمط الحديث .. (النقد الادبي ، ط ٣ ، ص ج و د) ..

وقد نشرت محاضراته في ذلك ، بعد مدة طويلة ، اي عام ١٩٥٢ ، تحت عنوان « النقد الادبي » وهو في جزئين ، الا ان تضاعيفها بلاغية .. وهي محاضرات غفلة من المراجع ، تجمع بين التلخيص للكتب الغربية ، الانجليزية في النقد الادبي ، وبين تطبيق الملخص من المعارف ، والمناهج ، والاذواق على الادب العربي القديم ، او الحديث ..

وايا كانت درجة نجاح هذه المحاولة ، فانها ، حقا ، فتح جديد .. كما ان الحديث فيها عن النوعين الادبيين الحديثين ، القصة ، والمسرحية ، يعتبر هو ايضا فتحا جديدا في دراسة الانواع الادبية ، التي تعتبر اليو ، الى حد ما ، من البحث البلاغي الحديث ..

والنقاد مجمعون تقريبا ، في نظر احمد امين على ان الادب يتكون من عناصر اربعة ، هي : العاطفة ، والمعنى ، والاسلوب ، والخيال .. وغاية الامر ان بعض الانواع الادبية يحتاج الى كمية اكبر من بعض هذه العناصر ، مما يحتاجه نوع اخر ، فالشعر مثلا يحتاج الى مقدار من الخيال ، اكثر مما تحتاج اليه الحكم ، والحكم تحتاج الى مقدار من المعاني اكثر مما تحتاجه من الخيال ، وهكذا ..

العاطفة : العاطفة عنصر هام في الادب ، وهي التي تكسب الادب صفة الخلود ، ان العلم الذي قرر زمن الالياذة قد درس ، كما درس العلم الذي قرر ايام المتنبي ، ثم بقيت الالياذة ، وبقي شعر المتنبي ..

ولذلك حببت الى النفوس اعادة قراءة الشعر ، من اي عصر كان ، في حين تمل ، عادة ، اعادة قراءة الكتاب العلمي ، لان الشعر مرتبط بالعاطفة ، يصدر عنها ، يصورها ، او يستثيرها لدى السامعين ، بينما الكتاب العلمي مرتبط بالعقل ، ويحتاج الى تهيؤ علمي ..

والعاطفة من جهة ثانية ، أوسع مجالا لتوضيح الشخصية .. واذا سلمنا ان ما كان مصدره العواطف هو ادب ، فكذلك صحيح ان ما لا يصدر عن عاطفة ، ولا يثير العاطفة ، لا يسمى ادبا .. فالتاريخ اذا صدر عن عاطفة ، واثار عاطفة يسمى ادبا ، والا كان علما ، ومن هنا الفرق بين العلم ، والادب ..

ومع ذلك ، لا بد من مزج الحقائق العلمية بالعواطف والخيال ، في كل الآثار الفنية .. وتفترق الموسيقى عن الادب ، بأنها تخاطب العاطفة ، وتثيرها من غير اعتماد على حقائق علمية .. فالموسيقى اوضح لغة للعاطفة لا يشاركها في ذلك الا الضحك او البكاء ، او الصراخ ، وما الى ذلك من تعبيرات عضوية ووظيفية ..

بينما تضع الفنون الجميلة الاخرى ، كالنقش ، والتصوير امامنا موضوعا جميلا ، حتى الشعر لا بد ان يكون ذا معنى ، وتكون فيه حقائق ، ومادة عقلية تعتمد عليها المشاعر .. وبدون هذه الحقائق لا يستطيع الادب ان يثير العواطف ..

ولكن كيف يقاس عنصر العاطفة في الادب ؟. عنصر العاطفة في الادب يقدر بصحتها ، اي صدقها ، واعتدالها ، اي اتزانها ، وقوتها اي كثافتها ، وحيويتها ، اي تأججها ..

كما يقاس باستمرارها ، اي ديمومتها ، وثباتها ، اي اطرادها ، وان تكون العواطف خصبة .. وتلك سمة الفحول من الادباء ، الواسعي الخبرة بالحياة ..

وتقدر العاطفة الادبية ايضا بنوعها ، ورفعتها .. حقا ، لقد اثيرت مسألة الاخلاق في موضوع الادب للادب ، والفن للفن ، ولكن الغرض الاخلاقي للادب ، هو ان يرفع مستوى العواطف ، ولا يدنيها ، وان يتجرد بنزاهة لجمهوره ، فلا يخدع الضمير ، ولا يضعف الارداة ..

الخيال : الخيال ايضا عنصر هام في الادب ، وبواسطته يثير الادب فينا العواطف المختلفة .. وتعريف الخيال ، على حد تعبيره ، عسير ، من حيث ان اللفظة التي تطلق عليه تستعمل في انواع مختلفة من العمليات العقلية ، على حد تعبيره ايضا .. (ص ٣٩) .

فاذا تصورت في ذهني صورة حيوان رأسه رأس طائر ، وجسمه جسم كلب ، فهذا يسمى خيالا ، واذا تصورت قطعة ارض فيها تلال ، حول واد يجري فيه نهر ، على حافتيه مزارع ، ترعى فيها الابل ، فهذا العمل ، ان كان استذكارا ، او لم يكن كذلك ، يسمى خيالا ..

وهناك الخيال الخالق ، او المبدع ، مثل الذي يخلق الروائي شخصياته التي يحللها ، او يسرد عنها .. هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمل ليس من عمل العقل المفكر ، في رأيه ، بل من عمل الخيال الخالق .. والصورة الجديدة التي يخلقها الخيال الروائي مثلا ، اذا كانت منافية للحياة المعقولة سميت وهما ، فالوهم خيال يسبح في الفضاء ، لا يقيده عقل..

وهناك الخيال المؤلف ، الذي يؤلف بين مناظر مختلفة ، يقرن بينها ، ويرشح صورها .. وهناك الخيال الموحي ، او الموعز ، وهو بدل ان يقرن صورة بصورة ، يضفي على الصورة امامه صفات ، ومعاني روحية تؤثر في النفس .. وهو الذي يتغلغل في اسرار الطبيعة ، والاشياء، او يستقصي الاوصاف الاخلاقية للشخصيات..

والخيال ذو قيمة كبيرة في الادب ، ان لم يكن اقوم الملكات الادبية ، تحتاج اليه جميع ضروب الادب .. وكلما رقي الموضوع في سلم الادب ، كانت حاجته الى الخيال اوضح ، فالشعر ، والقصص ، وكذلك التاريخ ، بحاجة الى الخيال ..

والشعر العربي ، في رأيه ، يرمى عادة بالضعف في الخيال ، اذا قيس بالآداب الاخرى ، لقلة ما فيه من قصص ، واساطير ..

المعاني : ولها قيمة كبرى في الادب ، وتكون لها قيمة اكبر في بعض انواع الادب ، كالكتب الادبية ، وكتب النقد ، والحكم ، والامثال .. ذلك ان الغرض الاول ، في هذه الكتب ليس اللذة ، وانما الحقيقة ، فليست اثارة العواطف فيها بالمنزلة الاولى ، وانما المنزلة الاولى فيها للاخبار بالحقائق ، واداء المعنى .. في حين الادب بالمعنى الصحيح ، او على حد تعبيره الادب الصرف ، مثل القصص ، والشعر القصد منه اثارة العواطف ، بينما مراعاة المعاني ، والحقائق امر ثانوي فيه ..

الا ان العواطف في الحقيقة ، تكون صحيحة سليمة، اذا كانت مؤسسة على اساس صحيح هو الحقائق ، والشعر نفسه يجب ان يقاس ايضا ، والى درجة كبيرة ، بما فيه من معان ترتكز عليها العواطف ، ويهيج بها عواطف الناس .. وكبار الشعراء قوم صحت حكمتهم ، واتسعت تجاربهم في الحياة ..

وليست وظيفة الادب ، ان يعلم الحقائق ، وانما وظيفته ان ينتفع بالحقائق المعروضة ، ولكن الى اي حد يشترط في هذه المعاني ان تكون حقيقة ، صحيحة ؟! لا تقاس المعاني في الشعر ، بصحتها من الناحية العلمية او الفلسفية ، اما تصوير الادب للحياة الواقعية، فموضوع اختلفت فيه الآراء الى مذهبين كبيرين في الاساس ، مذهب الواقع ، ومذهب الكمال ، يمثل الاول الحياة العادية ، ويمثل الآخر الحياة في نزوع الناس الى غايات لها خاصة ..

نظم الكلام : على حد تعبيره ، وهو العنصر الرابع في الادب ، اذ لا يمكن اثارة العواطف بتسميتها ، وتحليلها، ولا بالكلام حولها ، ولا التفكير فيها في قول مجرد ، وانما يكون ذلك عن طريق الحديث في موضوع يثيرها معتمدا الى حد ما على الخيال ، يدعمه شيء من التحيز ، للكلام ، الذي يتناسب مع العواطف المقصودة ، او تحيز لنظم الكلام الذي يتناسب مع هذا المقصد ..

ان نظم الكلام اذن ، هو الوسائل الادبية التي يستخدمها الاديب في عرضه للاشياء ، وهي شيء غير تقديم الامور بذاتها .. وغايته منها في الاساس ، اثارة المشاعر .. وهو يعتمد في الاساس وفي البدء ، على اختيار للكلمات ، لا من ناحية معانيها فقط ، بل من ناحيتها الفنية ، بما توحيه من افكار ترتبط بها ، ومن ناحية وقعها الموسيقي من جهة ثانية ، وان اي اختلاف في التعبير ، او في طريقة نظم الكلام ينتج عنه اختلاف في التأثير ..

وتاليف الكلام او نظمه ، كما يقول ، ليس غاية بذاته ، وانما هو وسيلة للتعبير عما لدينا من افكار وآراء ومشاعر .. الا ان له من القوة ما يجعله عنصرا قائما بنفسه .. انه وسيلة من وسائل نقل المعاني ، والمعاني ترقي صورته .. ويقاس النظم بالمقدرة على نقل الفكرة ، والعاطفة نقلا صحيحا صادقا .. والنظم هو التعبير الخارجي عن حال داخلية ، فمتى صدق التعبير الخارجي، وادى شرح الحالة الداخلية ، كان نظما جيدا..

واذن ، ان جمال النظم في اشراك المعاني ، والعواطف في التعبير ، واهم صفات الكتابة الجيدة شيئان متقابلان (١) ، هما القوة والدقة ، وهما يتعاوران على الموضوعات الكبرى من حماسية ، وحربية وعاطفية وغزلية ..

والنظم يحتاج الى مران وتربية .. فيجب على الاديب ، تعلم نظم الكلام نظما جيدا لينقل الى الناس في دقة وقوة، ما يفكر فيه او يشعر به ، وحقا هناك استعداد طبيعي للنبوغ في الاسلوب ، ولكن هذا الاستعداد مهما قوي لا بد له من مران ، وتثقيف ..

وتبدأ محاولات العلامة الجليل الاستاذ امين الخولي في التجديد البلاغي عام ١٩٢٨ ، اذ كان يدرس الادب والبلاغة في كلية الآداب في الجامعة المصرية . (فن القول ، ص ٧ ، مناهج تجديد ، ص ٩ ، و ٣٢٣) .. ثم لم تنقطع تحقيقاته وانجازاته في هذه المجالات حتى اخر ايامه ..

حقا ، لقد ظل طموح الجامعة المصرية ، كلية الآداب ، وغيرها من الجامعات العربية ، وكلياتها في البلاد العربية، وراء حركات التجديد النقدي والبلاغي ، منذ اوائل العقد الثاني من القرن العشرين ، ولكن النتاج الفعلي في تدعيم التأصيل البلاغي ، لم يصل الى مستوى علمي لائق شامل ومقنع ، الا مؤخرا ومع امين الخولي ..

لقد كانت جهود الرائد العربي الكبير طه حسين

منصرفة ، منذ ذلك الحين الى التاريخ الادبي ، مشاكله ، وتطبيقاته نفسها ، واحيانا الى النقد الادبي .. بينما جهود الاستاذ احمد امين اتجهت بالاحرى الى التلخيص عن الغرب ، ثم توفيق الملخص مع المتوارث من تراثنا القديم ، وتطبيق هذه النظرات الجديدة الحديثة ، على الادب العربي ، قديمه وحديثه ..

وقد تميزت محاولة سقراط البلاغة (٢) ، العلامة الجليل امين الخولي ، في التأصيل البلاغي بمقارنتها الدقيقة ، وشمولها النير ، وعلى الخصوص ايثارها الذوق ، الذي قرر امين الخولي بواسطته تمصير البلاغة، كما دعم به الاقليمية الادبية عنده على العموم (٣) ..

لنعرض نتائج جهود العلامة الجليل امين الخولي في البلاغة الحديثة .. لقد آثر الاستاذ امين الخولي لبلاغة اليوم مصطلحا حديثا ، هو فن القول ، صيرها ، في جهد وطيد اليه .. يقول العلامة امين الخولي في محاولاته الاولى في التجديد : كانت محاولتي الاولى في سبيل البلاغة ، هي تحقيق فنية البلاغة ، والانتهاء بها الى ان تكون فن القول ، الذي يقوم الى جانب الفنون الاخرى من سمعية او بصرية . (مناهج تجديد ، ص ٣٢٤) ..

ويقول في تبيين صلة الادب ، وعلومه بالبلاغة : ان الادب من الفنون الجميلة ، فهو فن اداته الكلمة، ان الادب هو القول الفني .. والبلاغة هي البحث عن فنية القول ، واذا ما كان الفن هو التعبير عن الاحساس بالجمال ، فالادب هو القول المعبر عن الاحساس بالجمال ، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الاحساس . (مناهج تجديد ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢)

ويقول في تعريف البلاغة اليوم ، ورسمها : فتكون البلاغة في تعريفنا هي : فنية القول ، وانه بحيث يكون تعبيرا عن احساس القائل بالجمال ، وليست بنا بحاجة في الرسم الى اكثر من ان البلاغة هي فن القول (فن القول ، ص ١٧٨) ..

ويبرر العلامة امين الخولي هذه التسمية الجديدة ، لغة واصطلاحا ومراسا فيقول : وما تحسب في هذه التسمية الجديدة للبلاغة ما يسخط ، او يغضب من لسخطه وزن ، او لغضبه قدر ، وان نقمها جامد ممن يرتدون اكفان الموتى ، فلا علينا من ذلك ، ما دام لهذه التسمية ايحاؤها الدائم ، ولفتها المتصل الى الهدف الجميل المبتغى . (فن القول ، ص ١٧٨ ايضا .) .

ويضيف انها من حيث مدلولاتها اللغوية ، قريبة من المعنى المراد من البلاغة قديما ، وحديثا .. فمادة فن تعني التزيين ، يقال فن الشيء فنا زينه ، كما انها تعني ايضا التنويع مع اشعار بمعنى الحسن ، يقال افتن في الحديث اخذ في فنون ، واساليب حسنة في الكلام ، وهي ما نحن فيه من حسن القول .

بل انها اصطلاحا اقرب الى مجال الكلام، والاساليب من دلالة البلوغ ، والانتهاء .. ناهيك بأثرها التعليمي ، والتلقيني : اذ يصل الطالب بجو الجمال ، والفن ، الذي تمنحه الحياة من نشاطها الكثير ، ويفري هذا الوصل بأساليب الفن ، وطرائقه ، ويبرىء من الخلط في المنهج والتناول ، فتستقر بمعونة ذلك اصول التقنين الذي يراد تحقيقه ، في هذه البلاغة ، على ما عرضنا . (فن القول ، ص ١٧٩) .

المحاولة موفقة ، والاتجاه موفق ، وهما على كل حال ، من صنيع الثقافة العربية المتطورة ، في الفترة العربية الحديثة (٤) .. ان لفن القول اليوم الايحاء الذي للبلاغة ، وله ايضا مدلولها وتلقينها علاوة على ان ثمة اليوم مصطلحات ، مثل فن الكتابة ، وفن التأليف ، وفن الانشاء الادبي ، وفن الانواع الادبية تستهلك في نفس مدلولها ، وتعيش عيشتها في المصطلح البلاغي العربي الحديث (٥) ..

ويمكن اعطاء فكرة صادقة عن الافادة التي افادها البحث المقارن ، ونتائجه المختلفة ، بالوقوف على الخطة التي رسمها العلامة امين الخولي للبلاغة العربية الحديثة ، كما يرتئيها ، اي خطة فن القول ..

قسم امين الخولي خطة فن القول الى مبادىء ومقدمات وابحاث ، وهو يقصد من مبادىء هنا معناها الاصطلاحي عند العرب ، اي ما يقدم بين يدي العلم ليعرف به ، بينما يقصد من مقدمات دراسات اخرى تؤيد الدرس المقصود .. (فن القول ، ص ٢١٥) .

المبادىء : في التعريف بفن القول ، وصلته بالدراسة الادبية ، الادب ، والنقد الادبي .. الخ ..

المقدمات : منها مقدمة فنية تبحث في الفن ، حقيقته ، وفي الجمال ، فيم يكون ، وبم يقدر ، والآراء في ذلك قديما ، وحديثا ...

ومقدمة نفسية تبحث في القوى الانسانية المختلفة ، وصلة بعضها ببعض ، وتبحث في الحياة الوجدانية ، مقوماتها ، اغراضها .. الخ .. وما تمد به العمل الفني ، لا سيما الادبي .. الخ ..

الابحاث : ويصفها بأنها لب الدرس ، وصميمه ، (فن القول ، ص ٢١٥) . وتبحث في الكلمة ، لغة

---

(١) ـ يدرس احمد امين في الكتاب نفسه ، ص ١٠٧ ـ ١١٦ ، الاسلوب ، وقواعد الاسلوب الجيد ، فيسمي هذه الصفات تارة بعناصر، وتارة بقواعد ، مما يحمل ايضا سمة التلخيص الصريح ، والسريع بالاحرى عن الغرب ، بينما لا يجوز اليوم التهاون في اطلاق مثل هذه المصطلحات دون تحديدها .. (٢) و (٣) ـ راجع الاديب ، ابريل ١٩٦٧ ، البلاغة عند امين الخولي ، لعدنان بن ذريل .. (٤) و (٥) ـ لقد وجدت بالفعل شيوع مصطلحي (فن) و (تفنن) وما يدور حولهما ، او مصطلحات اخرى نظرية ، وخاصة ، كفن الكتابة مثلا ، في ما جردته من لغة النقاد ، ودارسي الادب ، منذ مطلع القرن العشرين ، في مصر وسورية ولبنان وغيرها ، يراجع كتابنا : البلاغة ، والدراسة النفسية ، ففيه اشارات متفرقات الى ذلك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عود من السفر التائه

كنت بعيدا عنكم
انسانا اضواه السفر الدائب
بحثا عن ابواب الحكمة

في كل الآفاق ضربت، اجتزت الصحراء الى الصحراء
حملقت طويلا في وجه اللاشيء
غازلت الانجم ، راجعت سطور الكهان القدماء
حاولت السير طويلا من دون حذاء !
ولقد كان بعلمي ان الزاد قليل، والعمر قصير
لكن الشوق اللاغب كان يدوّي في اعماقي
لكن اين الدرب الى ابواب الحكمة ؟!
ولقد كنت اقول لنفسي :
هبني عرفت الباب ، وصلت
طرقت الباب ، فهل يفتح ؟!

في هذا السفر التائه ـ ان صح التعبير ـ
كنت أعلل نفسي بالاشياء الساطعة الزرقاء
بالازهار العابقة في أركان السر ،
بالخبز الساخن ، بالماء البارد ،
بالفيء الوارف ،
بالغيد العرب الابكار في جنبات النهر ..
بنشيد الطير الصاخب في الافنان .
في جنات الحكمة ..!

لكني ، واأسفاه !
عدت بخفين مثقوبين
وبكوز فارغ .
لكني في هذا السفر التائه
سألت كثيرا نفسي عن اشياء واشياء
وقرأت خطوطا في صفحات الرمل المتحركة الكثبان
ورسمت خطوطا ناعمة فوق جذوع الاشجار
ولقد غنيت كثيرا في وجه الريح العالية الصوت

وانا اذ عدت اليكم
مفتبطا بالتجربة المرة
عدت اليكم
كالنهر الراكض لاقى بحره
كالطير التائه لاقى عشه
كالطفل الضائع لاقى اهله
عذرا ، عذرا ..

دمشق

صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستعمالا ، ثم الجملة ، والفقرة ، وصور التعبير ، سواء من المعلن ، او المظلل .. واخيرا الفنون الادبية ، والاساليب .. الخ ..

الخطة حقا مبتكرة ، وعلى الخصوص انها لم تكن نتيجة التلخيصات او الترجمات ، او النقول ، وانما جاءت بناء تأصيليا ، يعمل على نتائج ابحاث مقارنة ، متنوعة ، في رحاب البلاغتين العربية والغربية ، موضوعاتهما ، مناهجهما ..

وقد ظل العلامة امين الخولي ، بالفعل ، يؤكد على قيمة بحث الاسلوب اليوم ، يذكر ، في صورة البلاغة عند المحدثين ان : الدرس المختص ببحث الاسلوب ، وتعليم الكتابة الفنية ، يسمى البلاغة ، كما يسمى فن القول . (فن القول ، ص ٤٢) .

وفي تخطيط البلاغة عندهم ، يذكر انها : بحث الكلمة ، وصور البيان ، وفنون القول ، ثم الاساليب ، فاذا البلاغة عندهم بخاصة وبعامة ، كما قيل ، هي درس الاساليب ، او هي علم الاسلوب . (فن القول ، ص ٦٢) .

وفي تحديد باحث فن القول يذكر ان الدرس: يتناول الكلمة ، فالجملة ، فالفقرة ، فالصورة البيانية ، فالقطعة الادبية ، فالاساليب ، ففنون النثر ، والشعر . (فن القول ، ص ٢١٦) .

ويشمل بحث الاساليب في خطة فن القول : الاساليب الفنية في الادب ، وسواه من الفنون ، ودلالتها على شخصية المتفنن ، الاعتبارات النفسية والادبية التي يقوم بها تميز الاسلوب ، الاساليب الادبية من حيث هي طراز في الاخراج ، والعرض تميز عمل الاديب ، مثل الاسلوب الرمزي ، وغيره في عمل ادبي كامل ، مقومات مثل هذا الصنيع ، ومميزاته ، مع الاشارة الى مثل من كل طراز . (فن القول ، ص ٢٢٣) ..

دمشق

عدنان بن ذريل

كنا في الايام الاولى من حزيران .. وكانت الارض مكسوة ببساط اخضر يمتد على مدى البصر .. ونسمات ربيعية منعشة تهب من اقصى الشمال ، تعبق منها رائحة النخيل المنتشرة الى مسافات بعيدة من القرية . وارتفعت اصوات الديكة لتحفز الكسالى على الانسلاخ من ملل امتد عبر الليل ، ثم بدأت الشمس ترسل اول اشعتها فضية تبعث على السعادة ، واتخذ الفلاحون طريقهم الى حقولهم ، هذا يركب حماره واخر يسير خلف ثوره ، بينما تجمعت فئات من الفلاحين وسارت الى الحقول ، كل فئة يجمعها نوع العمل ، وانطلق الفتية والابتسامات تعلو وجوههم الى المدرسة الوحيدة في القرية.. وفي طريقهم كان اولئك يتحدثون عن الزراعة وما يدور في فلكها ، بينما هؤلاء يتحدثون فيما هب ودب في الوقت الذي انشغلت فيه اقدامهم الصغيرة بضرب علب الصفيح الفارغة وتداولها بين اقدامهم ، وكانهم يريدون ان يصطحبوا معهم الى المدرسة كل هذه العلب المنتشرة في ازقة القرية الطيبة .

كانت الحياة قد بدأت تدب في اوصال القرية بعد ليل هادىء سعيد ، وداعب النعاس جفني رغم تسلل اشعة الشمس الى غرفتي المتواضعة من خلال الشقوق المليئة بها النوافذ الخشبية المحكمة الاغلاق بالرتاج القوي . وتململت ، ثم تدحرجت نظراتي على ارض الغرفة لتستقر على الساعة ذات المنبه، والموضوعة على نضد صغير يشاركها فيه مذياع تراكم عليه الغبار . كان مفروضا الا انام بعد صلاة الفجر ، حتى وان نمت فقد كان مفروضا ان استيقظ في الساعة السابعة صباحا ، حتى اتمكن من الاستعداد للذهاب الى المدرسة في الوقت المناسب ، فها هي عقارب الساعة تلهث تحت الحاح رغبة جنونية للوصول الى التاسعة ، ولا ازال مستلقيا في السرير ، متخدرا تحت تاثير الرغبة في معاودة النوم ، وتطلعت الى السقف لاراقب برص كبير ترابي الشكل يتشبث بالسقف قلقا مضطربا ثم يهدأ فتتحول نظراتي عنه لتتجمد على نسيج عنكبوت لا يلبث ان يخرج منه عنكبوت بدا كربها رغم صغر حجمه ، وكان يمكنني وبكل بساطة ان انظر من خلال شقوق النوافذ الى المرج الاخضر الممتد بعيدا والقابع باطمئنان في احضان القرية وعلى مشارفها ، ولكن نظراتي تابعت العنكبوت في رحلته الرزينة باستمرار ، ولكن المؤسف انه اختفى في شق من هذه الشقوق المنتشرة في هذه الغرفة كانما لتشهد على عتقها ، ولما لم اجد جدوى من التقلب على السرير الذي بدا يئن كانما ليعلن احتجاجه ، تركته ، وانشغلت باعداد فطيرتين والتهمتها بدون تان او انتظار ، وعركت اذن المذياع لاسكته بعد ان امتدت اليه يدي لتعبث بآذانه على امل سماع ما يفيد ، وتطلعت الى المراة طويلا قبل ان اخطو خطوة خارج الغرفة ، ونظرت الى الساعة فاذا عقاربها تقترب من العاشرة. وفي الطريق الى المدرسة .. كانت علامات استفهام ترتسم في ذهني ، فماذا سيقول المدير ؟ وهل هناك ما يقال بعد ان استنفذ كل ما لديه من نصائح عن وجوب المحافظة على الواجب واداء الرسالة على افضل وجه، ونتائج الاهمال واللامبالاة . كان دائما يقول:

ـ انت لا تصلح للتدريس .. ان هذه المهنة تحتاج الى الاخلاص اكثر من اي مهنة اخرى ، ولا اعرف كيف يرتاح ضميرك وانت لا تقوم بواجبك .

وبيني وبين نفسي كنت اعترف باني مخطىء ، فجميع زملائي في العمل تسير اعمالهم طبيعية لا تشوبها شائبة ، ولا يعكر صفوها معكر ، باستثنائي ، فانا مضطر لهذا الاهمال ، وليس امامي الا ان اسير في هذا الطريق رغم وعورته للوصول الى هدفي، فانا مدرس حديث العهد بهذه المهنة ، تخرجت في العام الماضي من معهد المعلمين ، وتعينت للعمل في مدينتي ولكن حركة تنقلات بين المدرسين قد حصلت ، فكنت من نصيب هذه القرية الجميلة او كانت هي من نصيبي ، ولو خطر ببالي انني سانتقل للعمل بعيدا عن اهلي لما اخترت هذه المهنة ولتركتها الى اي مهنة غيرها تضمن بقائي الى جانب اسرتي ، وعندما وصلت الى هذه القرية تعرفت على مدرس اكد لي ان الوسيلة الوحيدة لكي احصل على النقل هي الاهمال والتساهل في اداء الواجب ، وتعجبت ، واكنه اكد لي جدوى هذا الموقف مستشهدا بالقول المأثور (وداوني بالتي كانت هي الداء) فهذا سيلفت نظر المسئولين وبالتالي ينظرون في موضوع النقل ، وقد جرب بنفسه هذه الطريقة وسيجني ثمارها قريبا كما يقول ، ومن سخريات القدر ان يتحقق حلمه ، فلم تمض ايام على وجودي في المدرسة في الوقت المناسب ، حتى انقلب الامر الى اهمال صريح يعرفه الجميع .. كان من الممكن ان تسير الامور الى الافضل لولا ذلك المدرس ، فجميع من عرفت من ابناء هذه القرية الطيبة يمكن الاندماج معهم ، فدماثة الاخلاق والتفاهم السليم والود الاخوي ، كل ذلك يسود الجميع هنا ، ولكن ذلك لم يفلح في ازالة الفكرة التي تمكنت كالداء من ذهني . لا بد من الانتقال من هذه القرية ، ولكي يتم النقل لا بد من لفت نظر المسئولين ، ولكي يتم لفت نظر المسئولين لا بد من الاهمال ، هذا سخف مؤكد ، ولكن الاسخف منه العيش بعيدا عن الاهل بدون مبرر ، وقد لا يكون منطقيا ان نتصرف بما لا نعتقد بجدواه ، ولكن الظروف احيانا تفرض علينا ذلك ، وان كان ثمة مبرر وجيه يمكن ان نلجأ اليه لاقناع العالم بعدالة مواقفنا فلا شك ان الصمود في حد ذاته يحمل تبريرا جديا ، لا باعتباره موقفا مفروضا ولكن باعتباره حقيقة مسلم بها رافقت ملامسات الموقف قبل وبعد تأزمه حتى آل الى ما آل اليه ، كانت فكرة العيش بعيدا عن الاهل لا تطاق ، وكان المدير يقول :

ـ بامكانك الذهاب كل اسبوع الى المدينة لتقضي هناك اجازة الاسبوع ، فهي ليست بعيدة عن القرية . وكان محقا في قوله ، ولكن ما اريده لم يكن حلا جزئيا للمشكلة ، انني ابحث عن الحل الجذري الكلي لهذه المشكلة ، ومررت وانا في طريقي الى المدرسة بالمخبز الوحيد في القرية ، وكان صاحبه يتجاذب اطراف الحديث مع بعض زبائنه ، فلما لمحني القى علي تحية الصباح بصوت مرتفع تفوح منه رائحة المرح ، ورددت التحية بامتعاض ، ولا شك انني اصبحت موضوع حديث ممتع بين صاحب المخبز وزبائنه . فلا هم لهم غير الثرثرة فيما هب ودب ، ولكن مهلا .. قد يكون لديهم ما يشغلهم عن الحديث في اي موضوع ، فلماذا الظن وان بعض الظن اثم .

كان الطقس جميلا وكانت رائحة الربيع لذيذة ، وبدا الاستعلاء والشموخ ظاهرا على بيوت القرية المكونة من طابق واحد ، لان اساسها المبني باللبن لا يسمح بغير ذلك . ولكن بيتا واحدا استطاع ان يشذ عن هذه القاعدة هو البيت الذي اسكن في غرفة من

نصيحة بالمجان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم خليل ابراهيم الفزيع



هبـاء

سأهتـف حتـى يبحّ هتـافي ... واكتب حتى تضـج القوافـي
ويزأر مـوج البحـار ويطغى ... ويعيا لدى راسيات الضفاف
فمـن مقلتـي لهيـب يطـل ... وبـين الجـوانح آخر خـاف
سأستعـذب النار بين الضلوع ... وأستقطر الوجد حتى الجفاف
وأسعى أشـق عبـاب الظلام ... فلن يثنيني بعيـد المطـاف
ففي السعي أنسى ضياعي وأسلو ... شحوب الاماني وفوضى الهتاف
عسى ألتقي في غدي غايتي ! ... وأجثوا لديها جثـوّ اعتراف
فيومي وأمسي هبـاء مثـار ... ومجدي وحبـي هباء مـواف

دمشق

سلافة العامري

غرفه ، ولعل مرد ذلك الى ان الجد العاشر ربما لصاحبه ، قد راعى عند بنائه مسألة تأجيره الى الوافدين على القرية بدون عائلاتهم ، وقد كان موفقا في اختيار موقعه ، فالغرفة التي اقطن فيها على الاقل تطل على مرج اخضر يبعث في النفس الراحة في الربيع والكآبة في الخريف والفرحة في الشتاء والضيق في الصيف .

اخيرا وصلت الى المدرسة .. وكان مدرس التربية الرياضية يعطي لتلاميذه بعض التمارين في فناء المدرسة ، واتجهت رأسا الى غرفة الادارة للتوقيع في دفتر الحضور والغياب ، وعندما انتبهت الى وجود شخص غريب القيت عليه تحية الصباح باهمال ، ثم وجدت انه من الضروري مصافحته ، وعندما صافحته شعرت بصفر يدي وهي تستقر في يده الضخمة ، ورغم قصر قامتي .. لم اشعر ابدا بالتضاؤل امام ضخامة جسمه العملاق . كان متأنقا في ملبسه ، فأوحى لي مظهره بانه مدرس جديد ، ومن اللياقة الكلام معه في اي موضوع ، فجلست على اقرب مقعد منه ، ولاحظت ابتسامة مترددة تتراقص على شفتيه .. ان الطيبة تكاد تتجسد في عينيه .. هل انتقلت اليه من اهل هذه القرية ، وبهذه السرعة المذهلة ؟. وكان اول من بدا الحديث عندما سأل :

ـ هل انت المدرس ...

وذكر اسمي .

ولم اعجب لمعرفته اسمي فلا شك ان المدير قد حدثه عن تكاسلي ، فهذا الموضوع اصبح من المواضيع المفضلة لديه ، حتى اصبح يلوكه صباح مساء دائما ، بمناسبة وبغير مناسبة لذلك اكتفيت بقول :

ـ نعم .

ثم استطردت متسائلا :

ـ واين المدير ؟

ـ انه يشغل حصتك التي تأخرت عنها .

واردت ان اسأله : لماذا لم يبعثك انت لشغلها ولكني وجدته سؤالا غير مهذب فقلت بتخابث :

ـ انه مدير طيب .

ـ ولكنه يحمل رأيا غير حسن عنك .

ـ الواقع انني مقصر واعترف بذلك ولكن العذر معي ، وانصحك منذ الآن ان تتبع هذا الطريق اذا اردت الحصول على النقل الى اهلك .

ولما وجدته ساكتا لم يعلق على ما قلت استطردت وقد انثالت الكلمات بين شفتي بحماس ، لادافع عن رأي غير مقتنع به :

ـ ان الاهمال علاج ناجح لمثل هذا المرض ، فلا تتأخر عن اخذ جرعة من نصائحي تكسبك المناعة ضد توبيخ المدير وصراخه الذي لا ينتهي .. انه رجل طيب لا يلبث ان ينسى كل شيء اذا تركته يقول كل ما عنده دون ان تحاول اثارته بالرد عليه .. عندما يتكلم .. عليك ان تصمت ، وبعبارة لطيفة تستطيع ان تكسبه الى صفك . وبذلك سيطلب هو نقلك لانه لا يستفيد من وجودك بالمدرسة ابدا .

وشعرت انني ترثرت بما فيه الكفاية وربما الزيادة ، فتوقفت عسى ان اسمع منه تعليقا مؤيدا لما قلت ولما لم يتكلم سألته :

ـ ما رأيك ؟

ـ انت مخطىء .

ـ ابدا .. انني محق

واستبد بي الحماس وانا اواصل : هذه هي الطريقة السليمة التي تضمن النقل ، وقد جربها من سبقك في هذا الميدان ، فكانت النتائج رائعة للغاية . وانقذ الموقف جرس المدرسة عندما ارتفع رنينه مجلجلا ليعلن انتهاء الحصة ، وما هي غير لحظات حتى بدا الضجيج يعم فناء المدرسة ، واخذ المدرسون يتوافدون على غرفة الادارة ، ولكن مظهر الجد المفتعل يميز تصرفاتهم الى درجة تلفت النظر ، فما هو سر هذه الرزانة الطارئة .

وكان المدير آخر من حضر وهيئت نفسي للاستماع الى محاضرته المعهودة عن الواجب واهمية العمل على القيام به واضرار التساهل في ادائه ، ولكنه لاول مرة يخرق هذه القاعدة ، وينسى عادته المألوفة ، لينصرف بكل حرارة الى الشخص الذي كنت اكلمه قبل قليل .. ويعتذر له عن اضطراره الى التغيب عنه . ثم انهمك الاثنان في حديث هامس . وكنت انوي سؤال احد المدرسين عن الامر الذي اوقعني في شك مثير للاعصاب ، ولكن المدير قال قبل ان اتمكن من الكلام :

ـ سيادة المفتش يريد عقد اجتماع خاص معكم .

كان يوجه كلامه الى المدرسين ، ويشير في الوقت نفسه الى الشخص الذي كنت اظنه مدرسا ، فلما علمت انه مفتش اسقط في يدي واحرجتني نظراته التي وجهها الي ، وكانت تحمل اكثر من معنى ، ولا حاجة بي الى ذكر ان اكثر الكلام الذي دار في ذلك الاجتماع كان موجها لي ، حتى شعرت ان احساسا بالشماتة قد عشش في تلافيف عقول بقية المدرسين ، حتى مدير المدرسة الذي عرف طرفا من الامر وهو يسكب الشاي في الفناجين اثناء الاجتماع ، لا شك انه وشفتاه تريلان كعادته تحدث الى كل من يعرف عن اللوم الموجه الي من الجميع .

وتنتهي زيارة المفتش للمدرسة واجد في دفتر الملاحظات في المدرسة كلاما شديد اللهجة موجها الي ، فاقرر البدء من جديد .

وعندما تسلمت في اخر السنة امرا يقضي بنقلي الى منطقة نائية بناء على تقرير المفتش .. لم احزن .. واقتنعت ان هذا جزاء عادل توقعته منذ ذلك اليوم الذي زار المدرسة فيه ذلك المفتش الذي ظننته مدرسا .

الدمام

خليل ابراهيم الفزيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مكتبة الاديب

اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث

تأليف المرحوم احمد تيمور باشا ـ نشرته لجنة نشر المؤلفات التيمورية يصدر قريبا في قرابة اربعمائة صفحة على مطابع دار النصر بالقاهرة وفيما يلي المقدمة التحليلية التي كتبها الشاعر محمد عبد الغني حسن لهذا الكتاب الثمين . وتعد خير تعريف لهذا المصدر الذي سيسد فراغا كبيرا في عالم التراجم المعاصرة .

يعلم الله قدر سعادتي حين عهدت الي « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » ان اجول جولة في كتاب « اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث » للمغفور له العلامة المحقق الاستاذ احمد تيمور باشا ، وان اخرج من هذه الجولة بكلمة اصدر بها هذا الكتاب . والحق ان كتب تيمور باشا ورسائله الجليلة غنية عن التقديم لها ، والتعريف بها ، فان اسم هذا العالم الباحث الكبير ضمان للجودة في التصنيف والدقة في التاليف

فالتاليف ـ عندي وكما كابدته ـ امانة لا يحملها الا امين. وليس التاليف ـ كما يزعم الفارغون ـ تسويد صفحات تسودمنها الوجوه، او تحرير كلمات لا تحمل من امانة العلم ما يليق بجلال رسالته ، وجمال صناعته

ولقد عشت مع القدر الذي وصل الي من كتاب اعلام الفكر الاسلامي ساعات بل اياما عدة سعيدة . فقد نقلني مؤلفه العظيم ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ الى القرن الثالث عشر الهجري ، وابعد في النقلة الى مطالع ذلك القرن ، حيث عاش سنوات منه امثال الشيخ حسن العطار (١) ، ومحمد صنع الله الخالدي ، وكمال الدين الغزي ، وسليمان الموصلي ، وعلي السويدي البغدادي الاديب المحدث المؤرخ ، وغيرهم من عشرات العلماء الذين كانوا منارات علم ، او اعلام هداية ، وأساطين فكرة، ودعامات نهضة ، وامتد البحث به ـ رحمه الله ـ الى الوراء قليلا ، حيث ترجم لحفنة من رجال القرن الثاني عشر .

ولم يختص احمد تيمور باشا بالترجمة والسيرة للرجال قطرا عربيا دون قطر، بل نظر الى العروبة في اطارها الواسع ، وفي محيطها الشامل ، فترجم الاعلام من اهل المغرب والمشرق على السواء . وراح الى افريقية الشمالية يترجم لحفنة كريمة من اعلام تونس والجزائر والمغرب . وبهذا استوى عنده في العروبة القريب والبعيد، والحضرمي والكرخي ، والاسيوي والافريقي .

ولم يؤثر ـ رحمه الله ـ اهل طبقة واحدة ، ولا صناعة واحدة . فلم يجعل كتابه وقفا على تراجم الشعراء ، وسير الادباء ، بل وسع فيه المجال للعلماء ، والفقهاء ، واللغويين ، والمفسرين ، والمحدثين ، ورجال التصوف ، ورجال الاصلاح ، وزعماء الجهاد ، وخطباء الثورات ، فجاء بذلك سجلا حافلا، وباقة متنوعة الازهار ، وان كان لم يبلغ في عدد المترجم لهم ما بلغ مثل كتاب « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر » الذي الفه المرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار واصدره مجمع اللغة العربية : المجمع العلمي العربي ، بدمشق في ثلاثة اجزاء ضخام سنة ١٩٦٣ . فقد زادت التراجم هنا على سبعمائة ترجمة وسيرة ، على حين قلت في كتاب احمد تيمور باشا عن مائة . ولا يدل هذا على جدب في الارض ، او عقم في الروض ، ولكن علامتنا الراحل تخير من تلك الكثرة الكاثرة من اعلام القرنين الثالث عشر والرابع عشر من رأى في الترجمة لهم وفاء بحق ، او ايضاحا لمذهب ، او ايثارا يذكر . فكان شأنه في ذلك شأن من دخل الرياض فتحير فيها ، أيجني وردها ام اقاحها ؟!

على ان كتاب احمد تيمور قد اسعفنا في تراجم الرجال بمن يعز علينا ان نجدهم في مصدر اخر . فقد كتب عن العلامة الشيخ طاهر الجزائري الذي مات سنة ١٣٣٨ هـ ـ سنة ١٩٢٠ م بعد وفاة الشيخ عبد الرازق البيطار فلم يترجم له في موسوعته .. وكتب عن الشيخ مصطفى المغربي الدرغوثي ، لا التهامي ، كما وضع خطأ في رأس صفحة ٢٣٦ ـ وهو والد استاذنا وصديقنا العلامة الجليل المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بمصر . ولقد انصف احمد تيمور بالترجمة للشيخ مصطفى المغربي نقلا عن الترجمة التي الفها ولده الشيخ عبد القادر المغربي ، فان البيطار صاحب حلية البشر ـ على كمال فضله ـ لم يترجم للشيخ مصطفى المغربي ، ولم يفسح له مكانا بين مئات الاعلام التي ترجم لها من رجال القرن الثالث عشر ، فشاء الله ان يسد احمد تيمور باشا هذه الثغرة في كتابه هذا الذي نقدمه لك ، وان يستدرك النسيان ، الذي هو من آفات الانسان ..

وأود ان اذكر هنا امرا واذيع سرا ، يسر له المشتغلون بتحقيق الكتب وآثار الاعلام . فان عنوان هذا الكتاب الذي نقدمه لك لم يكن للمرحوم تيمور باشا يد في اختياره ، ولا اثر في ايثاره . ولعله رحمه الله ـ لم يكن يخطر على باله ان يكون هذا العنوان عنوانا على تراجمه واعلامه التي آثرها بالترجمة لها . فالكتاب كله لاحمد تيمور ، والعنوان ليس له ، ولكن اللجنة اختارته له ، بعد ان وجدت هذه التراجم في آثاره ومخلفاته بلا عنوان .. ولعل هذا الاسم المستحدث يكون اقرب الى مراد علامتنا الراحل ، وأدنى الى غرضه ..

ان هذا الكتاب ليس من سبيل كتب التراجم لرجال القرون قرنا قرنا ، كما فعل ابن حجر في «الدرر الكامنة » والسخاوي في «الضوء اللامع » لرجال القرن التاسع ، والغزي في « الكواكب السائرة » لرجال المائة العاشرة ، والمجي في « خلاصة الاثر » لرجال القرن الحادي عشر ، والمرادي في « سلك الدرر » لرجال القرن الثاني عشر ، وعبد الرازق البيطار في « حلية البشر » لرجال القرن الثالث عشر . لا ! ليس هذا من ذاك ! ولكنه كتاب جرى فيه مؤلفه ـ رحمه الله ـ على اختيار طائفة من اعيان القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كما فعل مؤرخنا جرجي زيدان في « تراجم مشاهير الشرق » ، وحسن السذوبي في « أعيان البيان » ، وكما وفقني الله ان افعل في كتابي « اعلام من الشرق والغرب » الذي شرفني الاساتذة خير الدين الزركلي ، وعمر رضا كحالة ، ويوسف داغر ، بأن جعلوه من مصادرهم لكتبهم العظيمة في التراجم والاعلام .

واذا كان مؤرخنا جرجي زيدان ، وعلامتنا عبد الرازق البيطار قد فسحا المكان في كتابيهما لبعض العناصر النسوية الجديرة بالترجمة في نظريهما ، فان علامتنا احمد تيمور باشا قد قصر الباب في اعلامه على الرجال .. ولو شاء لوجد متسعا من الترجمة لاخته الشاعرة عائشة التيمورية ، ولباحثة البادية ملك حفني ناصف ، كما وجد الشيخ عبد الرازق البيطار متسعا في « حليته » للترجمة ـ مثلا ـ للسيدة رقية بنت ابراهيم السعدي ، الزاهرة الصوامة ، والعابدة القوامة ! ولكن احمد تيمور باشا كان ينتقي الاعلام ممن يمثلون الفكر العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسلامي في عصرهم اصدق تمثيل ..

واحمد تيمور باشا سلفي حتى في طريقة ضبطه للاعلام والاماكن . فهو يلجأ الى الضبط بالحروف والكلمات لا بالشكل . فهو حين يترجم للشيخ احمد مفتاح يذكر نسبته الى « عمار » ثم يضبطها هكذا: (بضم العين المهملة وتخفيف الميم) ص ١٦٩ . وكذلك يفعل حين يذكر القرى والبلدان الصغيرة ، فانه ينسبها الى الويتها او مديرياتها ، كما فعل حين تحدث عن الشيخ محمد الاشموني ، فذكر ان (أصله من اشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية) ص ٤١ . وقد جرى في الاغلب على هذه الطريقة الواضحة الموضحة ، وان كان قد مال الى تركها في احوال نادرة ، كما فعل في قرية « سفط القطايا » ص ١٠٢ ، فانه تركها بدون تعريف او الحاق بأقليم من الاقاليم .

ولقد عول احمد تيمور باشا في الترجمة لهؤلاء الاعلام على المصادر التي يمكن ان يعول عليها او يستند اليها محقق . فرجع الى الكتب ما بين مخطوط ومطبوع ، وما بين عربي وأعجمي . ورجع الى اناس يسألهم او يستمع منهم . فيقول : بلغني كذا ، او حدثني فلان بكذا ـ كما في صفحتي ٧٥ ، ٧٧ ـ ورجع الى بعض المترجم لهم ممن ادركهم (٢) . وهو في هذه الحالة الثالثة يكتب عن معاينة ، وعن صلة وتجربة ، لكن « المعاصرة » لم تحل دون صاحبنا ودون كلمة الحق والانصاف . فما كان يحكم عن هوى ، ولا يصدر في الرأي عن تعصب ، ولا تميل به دواعي الحب والكراهية الى ايثار الصديق ، وغمط الحقوق . .

ففي ترجمته للشيخ الاديب احمد ابي الفرج الدمنهوري قال ما للرجل وما عليه في عفة وادب وقصد في الكلام ، وبعيد عن الايلام . وحسبك هذه الصورة الطريفة بقلم احمد تيمور للشيخ الدمنهوري حيث قال : (وكان اجتماعي به في مجلس أحد الاعيان ، وانا شاب يافع متعلق بالادب واهله ، ولم اكن قد لقيته من قبل ، بل كنت اسمع به ، واشتاق الى رؤيته . فرأيت عجبا ! رأيت شيخا قصيرا دميم الوجه ، قد ذهبت احدى عينيه . عليه جبة واسعة الاكمام، وهو جالس في زاوية من المكان يملي على شخص حسن الخط ، دالية من الطويل ـ يعني تيمور باشا قصيدة دالية من البحر الطويل ـ منصوبة الروي جعلها تهنئة للخديو توفيق بقدومه من الاسكندرية . وكان منه من الوقوف عند كل بيت والاعجاب به على ما تقدم ذكره ، ما نبهني للالتفات اليه . ثم مر بيت قافيته لفظة « ومعضدا » فوثب من مكانه ، ونبه الحاضرين الى انها تورية ، باسم الخليفة المعتضد بالله ، فلم يوافقوه ! فأعرض عنهم ! وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية ! وانها لم تتهيأ له الا بعد اعمال الفكر والروية ! حتى اضجره ، ورمى الدرج من يده ! فغلبني الضحك ، واستظرفته)!

ومثل هذه الحوادث الشخصية غير قليل في تراجم احمد تيمور . ففي ترجمته للشيخ حسن الطويل ، يذكر لنا كيف اجتمع به ، وكيف قرأ عليه ، وكيف كان على حيرة من الامر في بعض البدع التي ألصقت بالدين ، والخرافات التي نسبت ظلما اليه، الى ان هداه الله الى التعرف على الشيخ ، فصحح له العقيدة ، وجعله على بينة من امر دينه ، ونفى له من الخزعبلات ما لصق به . ولا يكتفي مؤرخنا الجليل بهذا ، بل يذكر في خلال الترجمة ما يشبه المذكرات اليومية ، ولا يتحرج من التصريح بانه جلس مع الشيخ حسن الطويل في صحن الدار يلعبان الشطرنج ! (وكان الشيخ مولعا به مع قلة اجادته فيه) .

ولقد اجاد احمد تيمور باشا تصوير الرجال الذين ترجم لهم على صلة بهم . وتمتاز صوره في هذا الباب بالدقة التامة ، حتى لا يكاد يخطىء عينه النافذة شيء من ملامح الصورة ودقائقها ، ثم يزيد هذه الصورة طرافة واشراقا بالتعبير الدقيق الجميل . وأسالك بالله وبالادب الرفيع أيها القارىء الكريم ان تقول لي رأيك في هذه الصورة لاديب مفتون بشعره يقول فيها احمد تيمور : (وكان على قلة اجادته في شعره مفتونا به ، مبالغا في تقريظه وقت انشاده . يمزج ذلك بأشارات وحركات تستظرف منه . ولا يكاد يقر لاحد بالتقدم عليه في النظم . ولعمري لا أرى عبارة تفي بوصفه ووصف حركاته عند الانشاد، وقيامه وقعوده ، والتفاته ، واستدعائه الحاضرين الى استماعه !! فانه كان اذا اراد انشاد قصيدة من نظمه بدأ اولا بتقريظها ، ونبه الحاضرين الى مواضع الاجادة منها ، فاذا القوا اليه بسمعهم ، انشد المطلع ، وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته ، ثم التفت يمنة ويسرة ، مستطلعا خبيئة رأيهم فيه ! واستحلفهم بالله وانبيائه : هل طرق آذانهم مثله في عمرهم ؟! وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له من رشاقة المبنى ، وغرابة المعنى ، وتناسب الشطرين ؟!)

والفقه في لسان احمد تيمور واضحة في تراجمه لمن عرفهم عن قرب ، وابتلاهم عن تجربة . واذا كنا نعرف ان السخاوي المؤرخ العربي المشهور قد وقع في بعض اعلام عصره وهو يترجم لهم ، فان مؤرخنا احمد تيمور كان عفيف اللسان حتى مع الذين لم تسلم سيرتهم من عثرات وسقطات . وتراه في هذا انسانا كامل الانسانية ، يلتمس الاعذار للناس حين ينزلقون . وبهذا رزق ـ رحمه الله ـ اسمح ما في الدنيا من خلق ، على حد قول شاعرنا احمد شوقي في نهج البردة :

رزقت اسمح ما في الناس من خلق
اذا رزقت التماس العذر في الشيم

ما أعف لسان احمد تيمور وهو يتحدث عن الشيخ احمد الرفاعي استاذ الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد بخيت ، والشيخ محمد ابي الفضل الجيزاوي قائلا : (ثم وقعت منه في اخر ايام زلة ، قيل انه تصرف في وقت بغير وجه شرعي ، ولكن الله لطف به ، فلم يقع له بسبب ذلك غير فصله من القاريء) ..

أرأيت عبارة اكثر تهذيبا من هذه ؟ فهو يذكر الحقائق المتصلة بالشخص ، ولكن في انسانية كاملة ، وفي بعد بعيد عن التشهير والتجريح . وتتجلى انسانية احمد تيمور وعفة لسانه وانصافه في وزن الرجال وتقديرهم في قوله في الترجمة للشيخ حسونة النواوي : (والحقيقة ان الشيخ لم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد . ولولا جفاء كان يبدو بعض الاحيان في منطقه ، وشدة فية يراها بعض الناس غلظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصا مع الكبراء الذين افسدهم تملق علماء السوء ، وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة) . صفحة ١١٨

وتذكرنا هذه العفة اللسانية ، والصقل في التعبير ، والتحرز في ذكر المساوىء بذلك المنهج الكريم الذي اتبعه صديقنا العالم الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي في موسوعته الكبيرة : « الاعلام » التي لا يستغني عنها اليوم مؤرخ ، ولا باحث ، ولا كاتب .

ولم يخرج تيمور باشا في مقدار الترجمة لكل شخصية على النهج الذي سلكه سابقوه من كتاب التراجم في الادب العربي : فهو تارة

---

(١) الشيخ حسن العطار هو استاذ الشيخ رفاعة الطهطاوي رائد النهضة الحديثة . وهو صاحب الصيحة الكبرى في وجوب تعلم العلوم التطبيقية العملية النافعة بدلا من علوم الجدل الازهرية ، وصاحب فكرة ارسال البعوث العلمية الى اوربا في القرن ١٩ التي اخذ بها محمد علي باشا . ولنا فيه دراسة مطولة ستصدر قريبا عن دار المعارف بمصر في مجموعة نوابغ الفكر العربي . (٢) هناك تراجم لم يكتبهاأحمدتيمور بقلمه ، ولكنه طلب كتابتها من بعض اقارب المترجم لهم . كترجمة الشيخ احمد الفحماوي ، فقد طلب كتابتها من ولده محمد عارف المدرس بمدرسة الهندسة المصرية . (٣) انظر كتاب (حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي) بقلم المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي ، وترجمة السيدة كلثوم عودة ، وتحقيق محمد عبد الغني حسن ، صفحة ٢٢ . وهو من مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة . سنة ١٩٦٤

يطيل في الترجمة لواحد من الاعلام ، وطورا يوجز الى حد كبير في الترجمة لاخر . ففي ترجمته للشيخ حسن العطار ـ موجه مصر الى الاخذ بالعلوم الحديثة ـ قد بلغ ثماني صفحات ، على حين ان ترجمته للشيخ محمد ابي الفتح لم تبلغ صفحتين ، اما ترجمته للسيد عبد الله النديم فقد بلغت ثلاثا وعشرين صفحة وكذلك ترجمته للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . والحق ان شخصية المترجم له والحوادث المحيطة به ، هي التي تملي على كاتب السيرة ، وتحدد له المجال الذي يترجم له بسه ..

وعلى الرغم من الدقة التي امتاز بها علامتنا الكبير احمد تيمور لم يستأثر دائما بكلمة الفصل في الحقائق التي يذكرها.. فقد ذكرمثلا في صفحة ٤٥ ان الشيخ محمد عياد الطنطاوي الرائد العربي الاول في الروسيا ـ ولد في طنطا ، على حين يؤكد لنا المستشرق الكبير اغناطيوس كراتشكوفسكي انه ولد في قرية « نجريد » من اعمال طنطا . وقد اتبع تيمور في هذا رأي المستشرق الروسي « فالين » مع ان كراتشكوفسكي يؤكد انه واهم في هذا (٣) . اما وفاة محمد عياد الطنطاوي فهي في سنة ١٨٦١ ـ لا في سنة ١٨٦٢ كما ذكر وهما في رأس ترجمته صفحة ٤٥ .

انا واثق ان الشبان سيقرءون كتاب « اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث » بشغف ومتعة وفائدة ، لانهم سيجدون فيه نماذج من العصامية الفكرية والجهاد في سبيل الله والعروبة والاسلام . اما الشيوخ فسيجدون فيه صورا وذكريات من بواكير شبابهم ، بل صورا وذكريات من تاريخ مصر والبلاد العربية التي كتب الله لها ان تتحرر من اغلال الاستعمار ، وان تتخلص من اصفاد الجامد من الاراء والافكار .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

●

١ ـ دراسات مغربية — STUDI MAGRIBINI

معهد نابولي الشرقي الجامعي ـ ٢٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ
مطبعة دون بوسكو ـ رومـا

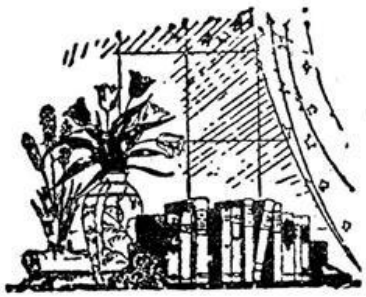
٢ ـ اسماء الاسماك في بلدان حوض البحر المتوسط العربية L'ittionimia Nei Paesi Arabi del Mediterraneo

للمستشرق الايطالي جوفاني اومان ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ
دار اولسكي ـ فلورنسا

هذان كتابان ضخمان صدرا اخيرا في ايطاليا ، يتجلى فيهما الجهد العلمي الجبار ، والبحث الذي لا يعرف الملل ، ولا يهن امام الصعوبات . وهاتان ميزتان نعرفهما في المستشرقين عامة ، ونقدرهما لهم حق قدرهما .

الكتاب الاول : (دراسات مغربية) صدر عن مركز الدراسات المغربية الذي انشاه اساتذة معهد نابولي الشرقي الجامعي . ومعهد نابولي الشرقي هذا من اقدم معاهد الاستشراق في اوروبا ، واقدمها في ايطاليا ، فعمره الان نحو ثلاثة قرون ، ويعمل فيه عدد من كبار المستشرقين والمستشرقات الايطاليين ، ويديره اليوم البروفسور اليسيو بوميانشي ، ويرأس القسم العربي فيه البروفسور روبرتو روبيناتشي ، ويساعدهما في تدريس مختلف اللغات الشرقية السيدة لاورا فيتشيا فالييري ـ رئيسة المعهد السابقة قبل ان تحال على التقاعد ـ والسيدة كليليا سارنيللي ، والاساتذة اليساندرو باوزاني ، وانطونيو تشيزارو ، وجوفاني اومان ، وغيرهم .

اما في التعريف بمركز الدراسات المغربية في هذا المعهد ، وسبب



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشائه ، فانني انقل هنا عن الايطالية ما جاء في مقدمة هذا الكتاب القيم . لقد جاء فيها ما يلي : « هذه المجموعة من الدراسات المخصصة لبلدان المغرب تؤلف اول مظهر من مظاهر نشاط (مركز الدراسات المغربية) الذي انشيء عام ١٩٦٦ في معهد نابولي الشرقي الجامعي .

ومعهد نابولي الشرقي الجامعي ، بتقاليده الطويلة الحافلة بالدراسات العربية والاسلامية ، لم يكن في وسعه ان يظل بمنأى عن الابحاث الخصبة التي تتميز بها اليوم الحياة الثقافية في البلدان الصديقة التي تقابلنا عن شواطيء البحر المتوسط . والاستقلال السياسي الذي نالته هذه الاقطار اخيرا يجعلنا نشعر بان هذه الابحاث عرفان ضروري ، واعجاب بماضيها القريب والبعيد . ومن نافلة القول ان نذكر مدى ارتباط ايطاليا بالاقطار المغربية : فهو ارتباط حيوي دائما بالنسبة الينا مهما اختلفت الظروف ... وهذا ما يبرر الاهتمام والمودة اللذين كان علماؤنا وما يزالون يبدونهما نحو ثقافة الشمال الافريقي واحداثه .

انطلاقا من هذه الروح انشانا مركز الدراسات المغربية ، وفي نيتنا ان نضم جميع الذين يوجهون دراساتهم نحو حضارة المغرب ، لكي تستطيع المعرفة التاريخية ، بالتعاون الدولي الدائب ، وبأخوة المقاصد ، ان تمضي قدما ، مقترنة بالصداقة العميقة الدائمة والتفاهم بين ايطاليا واقطار المغرب .

وهذا الجزء الاول من « دراسات مغربية » ، الذي ستتلوه أجزاء اخرى متعددة المواضيع ، او ذات موضوع واحد معين ، هو كسائر البدايات لا يخلو من الشوائب التي نأمل في أن نتغلب عليها ، او على الاقل ان نحد منها ، في المستقبل . غير اننا نعتقد بانه يقدم نموذجا مرضيا من النوايا والاسس التي نسير عليها : وهي التعاون الدولي الذي لا يعرف الحواجز ، والذي يتطلع الى مزيد من الدارسين والباحثين المهتمين بالمغرب ..

وليس جهدنا هذا سوى بداية متواضعة ، بطبيعة الحال ، الا انه في الوقت نفسه دعوة الى كل من يشاركنا في اهدافنا . وهو كذلك امنية لتعاون اوفر غنى وخصبا على الدوام بين ايطاليا واقطار المغرب.

بعد هذه المقدمة التي حددت اهداف مركز الدراسات المغربية ، واهداف هذا الكتاب الاول الذي صدر عنه ، أود ان أشير الى بعض ما تضمنه هذا الكتاب الذي يقع في ٢٥٠ صفحة من القطع الضخم .

يشتمل هذا الكتاب على تسعة فصول متفاوتة في الطول والتفاصيل : الاول منها حول (مقدمة كتاب روجار ـ للادريسي) يتحدث فيه الاستاذ روبرتو روبيناتشي عن الجهد الذي بذله في مقارنة نسخ الكتاب في عدد من المكتبات في الشرق والغرب في سبيل تحقيق مقدمة الكتاب وحدها ـ المشتركون في تحقيق كتاب « نزهة الافاق » للادريسي عديدون، من المستشرقين والعرب ، والمقدمة وحدها هي حصة روبيناتشي منه ـ وبعد بحث طويل مفصل حول مختلف النسخ التي اطلع عليها ، وما فيها من الاختلافات والفروق ، يورد المقدمة كاملة بالعربية كما توصل الى تحقيقها بعد البحث والدراسة الطويلين .

والبحث الثاني بالفرنسية ، وهو للمستشرق لويكي ، حول « نزهة المشتاق في اختراق الافاق ـ للادريسي » .

وهناك ابحاث لمستشرقين آخرين : ايطاليين ، وفرنسيين ، وبرتغاليين ، تحمل العناوين التالية : (ملاحظات ليبية ـ وثائق نادرة غير منشورة عن تاريخ تونس في عامي ١٥٧٣ و ١٥٧٤ ـ التسيير الذاتي في الجزائر ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ ـ وثيقة اباظية قديمة حول القرآن ـ اوراق عربية مغربية ذات صلة بالبرتغال ـ هرب الشهاب أحمد الحجري الاندلسي الى المغرب) وهذا البحث الاخير (هرب الشهاب احمد الحجري) للمستشرقة السيدة كليليا سارنيللي ، وكانت قد تحدثت في الموضوع عينه في مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية الاخير في رافيللو ـ ايطاليا ، العام الماضي . وكان بحثها هذا من أمتع البحوث التي تليت في المؤتمر المذكور .

وليس في وسعي ان امضي في حديث مسهب عن كل واحد من البحوث التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، وانما اردت التنويه به ، وبجهود هؤلاء المستشرقين الذين يعيشون ، وينتجون جاهدين مخلصين ، لخدمة العرب ولغة الضاد ، ويجدون لذتهم كلها في هذه الخدمة الجليلة . حياهم الله وبارك في همتهم .

اما الكتاب الثاني فهو لمستشرق ايطالي شاب ، هو الاستاذ جوفاني أومان ، احد اساتذة معهد نابولي الشرقي الجامعي . وهذا المستشرق يتكلم العربية ويجيدها بطلاقة تامة : فقد ولد في مصر ، وعاش فيها فترة شبابه الاولى كلها حتى عهد الدراسة الجامعية . اما كتابه « اسماء الاسماك في بلدان البحر المتوسط » فهو اول كتاب من نوعه يقع بين يدي . وهو عندي طريف نادر . وكان الاستاذ أومان قد حدثني منذ سنوات عن انهماكه في وضعه . وفي آخر لقاء لنا ، في مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية في رافيللو عام ١٩٦٦ ، اعرب لي عن رغبته في زيارة الاردن لمعرفة اسماء الاسماك لدى المهتمين بصناعة صيد السمك في الاردن .

لهذا كان وصول الكتاب الي مفاجأة غير متوقعة في هذا الوقت المبكر . ولكنه كان الى جانب ذلك عملا يثير الدهشة والاعجاب معا ، كأغلب ما ينتجه هؤلاء المستشرقون ذوو الجلد العجيب والعزيمة الجبارة.

لقد صدر هذا الكتاب عن دار « ليو س. أولسكي » في فلورنسا ، في نحو ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير . وهو ينقسم الى ستة ابواب ، عدا المقدمة التي وضعها الكاتب كارلو تاليافيني لشرح الجهد الذي بذله المؤلف وكانت نتيجته هذا الكتاب .

القسم الاول من الكتاب هو البحث الواسع الضافي وضعه المؤلف حول العمل الذي قام به ، وحول الوسائل التي استخدمها والمراجع التي استعان بها للحصول على المعلومات . وهو في هذا البحث يفصل الحديث عن مناطق اصطياد الاسماك على شواطيء البحر المتوسط . ويقسم هذه المناطق الى ثلاثة اقسام ، (١ ـ المنطقة التي تبدأ شرقا بالشواطيء السورية واللبنانية ، وتنتهي غربا بالشواطيء المغربية ـ ٢ ـ منطقة على المحيط الاطلسي من طنجة الى موريتانيا ـ ٣ ـ ضفتا البحر الاحمر عبر قناة السويس . وهذه المنطقة الثالثة تمتد في اتجاهين : يصل احدهما الى الخليج العربي ـ وهو يدعوه بالخليج الفارسي ـ عبر خليج عدن وعمان ، ويمضي الاتجاه الاخر مع البحر العربي حتى شواطيء الصومال الافريقية وزنجبار) .

اما الوسائل التي استعان بها للوصول الى ما جمعه من اسماء الاسماك في هذه المناطق ، واختلاف هذه الاسماء بين منطقة واخرى ، او بين بلدة وبلدة ، فتعتمد على المعاجم والكتب الغربية الموضوعة في هذا الصدد ، ثم على الحديث الشخصي مع الملاحين الذي يصلون بسفنهم الى تلك المناطق ، او يتعاملون مع مصدري الاسماك ، واخيرا الاتصال المباشر بالعاملين في صيد الاسماك في بعض الاقطار . وبهذا الجهد المتواصل الدائب كان لدينا هذا الكتاب النادر عن انواع الاسماك ، وتسمياتها المختلفة في العديد من البلدان والموانيء البحرية.

ولم يكتف المؤلف بهذا البحث الذي استغرق ثماني عشرة صفحة كبيرة بحروف دقيقة ، بل شاء ان يجعل عمله اكثر نفعا ، فاضاف اليه اربع عشرة صفحة اخرى ملأها بالمعلومات الجغرافية والتاريخية ، تعريفا بالجزر والبلدان البحرية المشهورة بصيد الاسماك في حوض المتوسط ، وتشمل : (أرواد ـ طرابلس لبنان ـ صيدا ـ اسكندرية ـ دمياط ـ السويس ـ بنغازي ـ طرابلس الغرب ـ كركينا ـ صفاقس ـ المهدية ـ مرسى الخرز ـ عنابة ـ ميناء كول ـ شرشل ـ المرسى الكبير ـ الهوسيماس ـ سيوتا ـ العرائش) وتلا ذلك بخريطة لحوض المتوسط ، توضح الموانيء والبلدان البحرية الوارد ذكرها في الكتاب .

بعد ذلك يمضي المؤلف في تصنيف الاسماك ، وذكر مختلف

تسمياتها العربية ، الى جانب الاسماء العلمية اللاتينية ، والاسماء المعروفة بالايطالية ، والانكليزية ، والفرنسية . وهذا يستغرق ٢٠٤ صفحات .

ثم يلي ذلك فهرسان طويلان جدا : الاول يشتمل على اسماء الاسماك باللاتينية وما يقابلها بالايطالية ، والانكليزية ، والفرنسية وحدها . والثاني الاسماء العربية وحدها ، مع الصفحات التي وردت فيها . الجدول الاول يستغرق من الصفحة ٢٠٧ الى ٢٧٦ ، والثاني من الصفحة ٢٧٨ الى ٢٩٥ .

وكم كنت أود ان اورد هنا صفحة واحدة على الاقل من صفحات هذا الكتاب ، لكي أبين للقارىء كيف رتب المؤلف تصنيفاته للاسماك ، وكيف اورد مختلف التسميات ، مع مختلف المراجع والاسانيد ، ومع البلدان التي وردت فيها التسميات . غير ان مثل هذا العمل الذي يجمع بين لغات متعددة ، ومراجع اكثر تعددا بلغات مختلفة ، ليس من الأمور السهلة في مجلة عربية . وحسبي هنا ان أشيد بجهد هذا المؤلف والصديق النابه ، فهو جدير بكل تقدير واعجاب .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

●

المجمع العلمي العراقي : نشأته ـ اعضاؤه ـ اعماله

تأليف عبد الله الجبوري ـ ١٨٨ صفحة ـ نشره المجمع العراقي ببغداد

في العالم العربي اليوم ثلاثة مجامع لغوية هي ـ بحسب تاريخ انشائها ـ المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمي العراقي ببغداد . وقد سبق ان عرف بالمجمعين الاولين ، عرف بالاول الاستاذ احمد الفتيح في كتابه « تاريخ المجمع العلمي العربي » ، وتلاه الدكتور ابراهيم مدكور بتاريخه للمجمع الثاني في كتابه « مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : ماضيه وحاضره » . واليوم يعرف بالمجمع الاخير الاستاذ عبدالله الجبوري في كتابه « المجمع العلمي العراقي : نشأته ـ أعضاؤه ـ أعماله » وهذا الكتاب يقع في ١٨٨ صفحة نشره المجمع المعرف به بمناسبة انعقاد مؤتمر مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العراقي ببغداد في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٦٥ .

استهل المؤلف كتابه بمقدمة تاريخية موجزة عن المجامع العلمية في العالم العربي مبتدئا بالاشارة الى اول مجمع علمي في التاريخ وهو اكاديمية افلاطون ، ثم بمجامع العرب في الجاهلية (ندوة قريش ـ أسواق العرب) ، وفي عصري بني أمية والعباسيين . وانتقل بعد ذلك الى المجامع العربية الحديثة علمية كانت او لغوية . فبدأ بمصر وتحدث حديثا عاجلا عن المجمع العلمي المصري ، ثم مجمع توفيق البكري ، ومجمع نادي دار العلوم ، والمجمع اللغوي المعروف بمجمع دار الكتب ، ثم مجمع اللغة العربية الذي انشىء عام ١٩٣٢ ولا يزال قائما يؤدي رسالته . وانتقل بعد ذلك الى سوريا فتحدث عن المجمع العلمي العربي ثم انتقل من سوريا الى لبنان فاشار الى المجامع العلمية التي انشئت به في القرنين التاسع عشر والعشرين . واخيرا تحدث عن مجامع العراق ، فتكلم عن اول محاولة لتأسيس مجمع علمي في العراق وانها كانت سنة ١٩٢١ ، فقد قام المرحوم « ثابت عبد النور » بتأسيس المعهد العلمي البغدادي كما تقدم سنة ١٩٢٥ الى وزارة المعارف بطلب يرغب اليها في تأسيس مجمع علمي . وذكر المؤلف انه تشكلت لجنة لهذا الغرض ، ولكنها ما لبثت ان عصفت بها ريح الضياع . وتكلم بعد ذلك عن نادي القلم العراقي الذي اسس في بغداد سنة ١٩٣٤ ، ثم عن لجنة التأليف والنشر المؤسسة سنة ١٩٤٥ . وانتقل اخيرا الى الحديث عن المجمع العلمي العراقي الذي انشىء سنة ١٩٤٧ ، وهو بيت القصيد : تحدث عنه في عهديه ، الاول من تاريخ انشائه سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٦٣ (ثورة ١٤ رمضان سنة ١٣٨٣) والثاني من بعد ثورة رمضان سنة ١٣٨٣ الى الآن ، وقد اطلق على العهد الأول المجمع العلمي العراقي القديم أو الأول ، وعلى الثاني المجمع العلمي العراقي الجديد أو الثاني .

وقد تناول المؤلف المجمع في عهديه بالتفصيل من حيث مقره واعضاؤه (مترجما لكل منهم) ومطبعته وميزانية ومجلته (محصيا ما نشر بها من مقالات) والكتب التي نشرها او التي ساعد على نشرها.

وصفوة القول ان الكتاب عمل عظيم بذل فيه المؤلف جهدا كبيرا يستحق عليه أجزل الشكر وأعظم الثناء . لكنه كأي عمل لايخلو من نقص ، فالكمال لله وحده . ولي عليه ملاحظات ، اذكر منها :

١ ـ كان من الاوفق للمؤلف وهو يمهد للحديث عن «المجمع العلمي العراقي» ان يكتفي بالبيئات اللغوية . فلا داعي للتعرض للمجمع العلمي المصري ولا للمجامع الادبية التي انشئت في لبنان والعراق ، لانه في هذا الكتاب يتحدث عن مجمع لغوي . وعلى الرغم من ان هذا المجمع اهتم بالنواحي العلمية بدليل مانشره من كتب علمية تطبيقا للفقرة « هـ » من المادة الثانية من نظامه سنة ١٩٤٧ والتي تنص على ان « يقوم المجمع بالبحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتاليف فيها وبث الروح العلمي في البلاد ». الا ان الناحية اللغوية الصق به وهذا واضح من مواد نظامه سنة ١٩٤٧ وقانون سنة ١٩٦٣ الذي حذف العبارة الخاصة « بالبحث في العلوم والفنون الحديثة » في حين أنه نص على ان يتوسل لتحقيق غاياته بوضع معجمات لغوية وعلمية . هذا وان التعرض للبيئات غير اللغوية يدخل المؤلف في بحر عميق لا قرار له . فالبيئات الادبية والعلمية كثيرة كالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة والجمعيات العلمية في

صدر حديثا :

مفكرون وأدباء

من خلال آثارهم

تأليف انور الجندي

ابو الفضل ابراهيم . ابراهيم الابياري . احمد الحوفي . احمد حسين . احمد الشرباصي . احمد عطية الله . احمد غلوش . احمد الشلبي . بدوي طبانة . حمدي حافظ . خالد محمد خالد . خير الدين الزركلي . خيري حماد . زكي علي . عبد العزيز بنعبد الله . عامر محمد بحيري . عمر الدسوقي . عبد العزيز الدسوقي . عبد الله كنون . عز الدين الامين . علي ادهم . عمر فروخ . علي الجندي . قدري حافظ طوقان . كامل السوافيري . كامل الكيلاني . محب الدين الخطيب . محمد صبري . مصطفى الشهابي . محمد صبيح . محمد عبد الغني حسن . محمد عطا . محمد علي دبوز . محمد عبد الله العنان . محمد محمد حسين . مصطفى الحفناوي . هلال ناجي . وديع فلسطين . يوسف عز الدين .

منشورات دار الارشاد ـ بيروت

البلاد العربية مما لم يتعرض لها المؤلف . ومع حديثه عن بعض البيئات غير اللغوية ، فقد فاتته بعض مجامع لغوية (سنذكرها بعد ذلك) كان يحسن الاشارة اليها .

٢ ـ جاء في الصفحة الخامسة عشرة عند الحديث عن المجمع اللغوي الذي رأسه السيد توفيق البكري سنة ١٨٩٢ انه « عطل بعد بضع سنوات ، ثم أعيد وبقي الى مابعد سنة ١٩٢٢ » . ولاأدري من اين جاء المؤلف بهذه المعلومات . اذ المعروف ان هذا لم يعقد سوى سبع جلسات ـ كما ذكر المؤلف ـ كانت الأولى يوم ٢١ من شوال سنة ١٣٠٩ « ١٨ مايو سنة ١٨٩٢ ، والأخيرة يوم آخر رجب سنة ١٣١٠ « ١٧ فبراير سنة ١٨٩٣ » (راجع « جاجتنا اللغوية الى مجمع يوثق به » مقال نشر بمجلة الزهراء م/٤ ص ٢٠٦ ، و « محاولات لانشاء مجمع يوثق به » مقال لتوفيق حبيب ، نشر بالمقتطف م/٧٢ ص ٥٨) .

٣ ـ ذكر المؤلف في الصفحة السادسة عشرة ان خريجي دار العلوم انشؤوا لهم ناديا في سنة ١٩٠٢ وهو خطأ مطبعي كما اعتقد . والصواب انه انشيء سنة ١٩٠٧ (راجع : تقويم دار العلوم لمحمد عبد الجواد ص ٥٠٧ ، وصحيفة دار العلوم س /١ع/٤ ص ٨٧ ، والمقتطف م/٧٢ ص ٦٠) .

وهذا الخطأ المطبعي ترتب عليه خطأ آخر فقد ذكر بعد ذلك ، في نفس الصفحة « وبعد نحو عشر سنين اجتمع لفيف من فضلاء اهل العلم في القاهرة في مأدبة ادبها لهم السيد اسماعيل عاصم المحامي ، فاتفقوا على انشاء مجمع لغوي » . وهذا الاجتماع اقيم سنة ١٩١٦ احتفالا بمرور اربعين عاما على انشاء مجلة المقتطف (راجع : « المجمع اللغوي المأمول » مقال للشيخ محمد رشيد رضا ، نشر بالمقتطف م ـ ٤٨ ص ٥٢٣) والمعروف ان المقتطف انشئت سنة ١٨٧٦ . وقد عقد المجمع أولى جلساته في ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ (المقتطف م ـ ٧٢ ص ٦٢) وقد اشتهر هذا المجمع باسم مجمع دار الكتب مقر اجتماعاته .

٤ ـ لم يشر المؤلف الى مجمع لغوي آخر انشيء بمصر . وهذا المجمع اسسه « ادريس راغب » سنة ١٩٢١ ، وهو لا يقل شانا عن مجمع دار الكتب ، فقد عقد نحو اربعين جلسة كانت الاخيرة في ٤ من ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٥ (« المجمع اللغوي والمجمع العلمي » مقال للاستاذ عبد الفتاح عبادة « سكرتير المجمع » نشر بالهلال م ـ ٣٦ ص ٣٠٨ ، وانظر « المجامع العلمية في الشام ومصر » مقال لعيسى اسكندر المعلوف ، نشر بالهلال م ـ ٤٨ ص ١٧٥ ، وقد اشار الى هذا المجمع منصور فهمي في مجلة مجمع اللغة العربية حـ ١ ص ١٧٥) .

٥ ـ ذكر المؤلف في نفس الصفحة ايضا (السادسة عشرة) انه « في سنة ١٩٣٢ انشيء المجمع اللغوي المصري في القاهرة باسم « مجمع اللغة العربية الملكي » الذي استبدل اسمه الى اسم « مجمع فؤاد الاول للغة العربية » ... وكان يجب عليه ان يعقب على ذلك بان هذا الاسم غير بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ليكون « مجمع اللغة العربية » (راجع محضر الجلسة السابعة عشرة لمجلس المجمع في الدورة العشرين) .

٦ ـ كان يحسن بالمؤلف وقد اورد اول مرسوم خاص بتعيين اعضاء مجمع اللغة العربية ان يشير في حاشية الصفحة الثانية والعشرين الى ان تعيين الاستاذ « قشتك » قد الغي ، واستبدل به الاستاذ « ليتمان » بمرسوم صدر في ٢٤ من يناير سنة ١٩٣٤ .

٧ ـ قال المؤلف في الصفحة الثلاثين « وفي سنة ١٩٢٠ اسس « المجمع العلمي اللبناني » في بيروت ، ولكنا لم نقف على نشرة له تظهر نشاطه واعماله الفكرية ، وما عتم حتى عصفت به اوافح التشتيت فاقضته من اصوله ولم يقم غيره حتى كتابة هذه الاسطر » وذكر في الحاشية « انباني الاستاذ كوركيس عواد بانه قد وقف على نشرة عنوانها « المجمع العلمي اللبناني » ولم يتذكر ما ضمته دفتاها » .

وحقيقة الامر انه اجتمع لفيف من علماء بيروت في عام ١٩٢٠ وقرروا ضرورة انشاء مجمع لغوي ، الا ان هذه الفكرة لم تخرج الى حيز الوجود الا في اوائل سنة ١٩٢٨ (الهلال م ـ ٤٨ حـ ٥ ص ٥٧١) حين اصدر رئيس الجمهورية اللبنانية مرسوما يقضي بتاليف هذا المجمع وتعيين اعضائه (راجع ثبتا باعضائه في « المجلة السورية س ـ ٣ حـ ٢ ص ١٣١) . وقد عقد المجمع جلسته الاولى في ٩ من مارس (اذار) سنة ١٩٢٨ ، اختير فيها الشيخ عبد الله البستاني رئيسا (المجلة السورية س ـ ٣ حـ ٣ ص ٢٠٥) . ثم تولى رئاسة المجمع بعد البستاني « وديع عقل » في ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٨ (المجمع العلمي اللبناني ص ٧) ثم خلفه « جميل بيهم » في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٩ (المجمع العلمي اللبناني ص ٩) . وقد قسم المجمع الى عدة لجان علمية ، واصدر عام ١٩٣٠ نشرة بعنوان « المجمع العلمي اللبناني » بين فيها نظامه الداخلي وتاريخه منذ انشائه حتى صدور هذه النشرة (وهي النشرة التي انبا المؤلف بها الاستاذ كوركيس عواد)

٨ ـ فات المؤلف وهو يستعرض في مقدمة كتابه مجامع البلدان العربية ان يشير الى « المجمع العلمي الاردني » الذي مات وهو جنين ، فقد صدرت في سنة ١٩٢٤ نشرة جاء فيها ان الامير عبد الله اصدر امره بتأسيس مجمع علمي في عمان وانتخب الشيخ سعيد الكرمي رئيسا له والسادة : رضا توفيق بك ، والشيخ مصطفى الفلاييني ، ورشيد بك بقدونس ، ومحمد بك الشريقي اعضاء (مجلة المجمع العلمي العربي م ـ ٤ حـ ١ ص ٤٦) ثم لم نعد نسمع شيئا عن اخبار هذا المجمع .

٩ ـ عرض المؤلف في الصفحة الثالثة والثلاثين « للجنة الاصطلاحات العلمية » التي افتتحت ببغداد سنة ١٩٢٦ ، والتي اطلق عليها الاب انستاس ماري الكرملي « المحفى العراقي » . وذكر (أي المؤلف) انها ما لبثت ان عصفت بها ريح الضياع ، فاتت عليها من جذورها وانغض سمارها ، ولم يشر الى جهودها على الرغم من انها لا تقل شانا عن الجمعيات الاخرى التي وضع نشاطها . وهذه اللجنة عقدت اجتماعها الاول بمبنى وزارة المعارف في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٦ ، ثم تابعت اجتماعاتها مرة كل اسبوع (« المحفى العراقي الجديد ، والمحافي العراقية في التاريخ » مقال لرفائيل بطي انظر « مجلة لغة العرب » م ـ ٤ ص ٣٩٨) لكنها انفضت بعد فترة وجيزة (راجع سبب انفضاضها في مجلة لغة العرب م ـ ٥ ص ٦١) .

وقد وضعت اللجنة طائفة من المصطلحات في علمي الرياضة والطبيعة ، بعد ان رسمت لنفسها خطة تسير عليها . واصدرت نشرة (النشرة الاولى سنة ١٩٢٦) حوت : امر وزارة المعارف بتكوين اللجنة ، وانتخاب اعضائها ، ومنهجها وخطتها العلمية في وضع المصطلحات وطائفة من المصطلحات في علمي الرياضة والطبيعة وضعتها اللجنة مع مقابلها باللغتين الفرنسية والانجليزية .

١٠ ـ وذكر المؤلف ان اعضاء هذه اللجنة اربعة هم : طه الراوي (الرئيس) ومعروف الرصافي ، وعبد اللطيف الفلاحي ، والاب انستاس الكرملي ، في حين انهم سبعة يراسهم « معروف الرصافي » لا « طه الراوي » والثلاثة الاخرون هم : عزالدين علم الدين ، والدكتور امين المعلوف ، ورستم حيدر . وكان سكرتير الشرف رفائيل بطي (لجنة الاصطلاحات العلمية « النشرة الاولى » ص ٣) .

وبعد : فهذه بعض ملاحظات على كتاب « المجمع العلمي العراقي : نشأته ـ اعضاؤه ـ أعماله » اردت ان يتداركها المؤلف عند اعادة طبعه ، ليخرج من ثوب اقرب الى الكمال . وارجو ان يتقبلها بصدر رحب يتفق وجهده العظيم الذي بذله في اعداد مؤلفه .

القاهرة

ضاحي عبد الباقي
محرر بمجمع اللغة العربية



● تلفت اليمام ـ مجموعة شعرية ـ علي شلق ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة سميا (؟) ـ (صدر في بيروت) .

● وادي النمل ـ مسرحية ـ تأليف علي شلق ـ ٩٦ صفحة مطبعة سميا (؟) ـ (صدر في بيروت) .

● رباعيات عمر الخيام ، الشاعر الفيلسوف والرياضي الفلكي الشهير ـ بقلم توفيق مفرج ـ الطبعة الخامسة ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بلوحات فنية ـ منشورات عويدات ببيروت ـ (المطبعة ؟)

● غرام المتنبي بخولة اخت سيف الدولة ـ تأليف توفيق مفرج ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة ديب للطباعة والفنون الجميلة (؟) ـ (صدر في بيروت) .

● تاريخ ابن الفرات لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ـ عني بتحرير نصه ونشره الدكتور حسن محمد الشماع ـ المجلد الرابع ـ الجزء الاول ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه ـ مطبعة حداد بالبصرة العراق .

● فن القصة والمقاومة ـ تأليف الدكتور جميل سلطان ـ ٢٠٨ صفحة ـ الكتاب الاول من سلسلة فنون الادب ـ منشورات دار الانوار ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المدخل الى فلسفة ابن سينا ـ تأليف تيسير شيخ الارض ـ ٥٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الانوار ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المدخل الى الهندسة اللااقليديه ـ تأليف كابي درديان ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة التعاونية بدمشق .

● ايام في الفيتنام ـ تأليف المحامي حسيب نمر ـ ٢٧٢ صفحة ـ منشورات دار الى الامام ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بين المسرح والسينما ـ تأليف يوسف العاني ـ تقديم احمد حمروش ـ ١٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة من الشرق والغرب ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

● الطير في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب رقم ١٥ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور في سورية (لم يذكر اسم المطبعة).

● صلاح الدين الايوبي ، قصة الصراع بين الشرق والغرب ـ تأليف قدري قلعجي ـ ٦٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بالرسوم واللوحات التاريخية ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ شركة الطباعة الحديثة ببيروت .

● زكي قنصل شاعر الحب والحنين ـ تأليف عبد اللطيف اليونس ـ ١٩٠ ـ صفحة ـ طبع في بونس ايرس بالارجنتين .

● اضواء جديدة على جبران ـ تأليف توفيق صايغ ـ تصميم الكتاب لراجح مصطفى شبلي ـ ٢٣٨ صفحة ـ مع عدة لوحات لجبران خليل جبران ـ طبعته ونشرته الدار الشرقية ببيروت بالاتفاق مع مجلة « حوار » .

● العصفور الاحدب ـ مسرحية ـ تأليف محمد الماغوط ـ تصميم الكتاب لراجح مصطفى شبلي ـ الغلاف لوضاح فارس ـ ١٠٨ صفحات ـ سلسلة كتاب حوار ببيروت ـ منشورات الدار الشرقية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عرس الزين ـ رواية وسبع قصص ـ تأليف الطيب صالح ـ صمم الغلاف ورسم الرسوم ابراهيم الصلحي ـ ١٧٢ صفحة ـ سلسلة كتاب حوار ببيروت ـ منشورات الدار الشرقية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● معبد الشوق ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان الشيخ احمد تقي الدين ـ جمعه ونشره المحامي حليم تقي الدين ـ تقديم فؤاد افرام البستاني ـ تصدير نديم آل ناصر الدين ـ ٣١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع مؤسسة البحيري اخوان ببيروت

● مفكرون وادباء من خلال آثارهم ـ تأليف انور الجندي ـ ٢٩٦ صفحة ـحجم كبيرـمنشورات دارالارشاد ببيروتـمطابعوزنكوغرافالعصري(؟)

● ديوان احمد الفقيه حسن ـ اشرف على طبعه وعلق عليه بقلمه الشاعر نفسه ـ صمم الغلاف فرج فليفل ـ ٣٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة وزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● التبغ في حياة الناس ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٦ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ مطابع الف باء والاديب بدمشق .

● تهذيب الاخلاق لابي علي احمد بن محمد مسكويه ـ حققه قسطنطين زريق الجامعة الامريكية في بيروت ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الجامعة الامريكية في بيروت ـ مطبعة سليم ببيروت .

● التوثيق التربوي : مفهومه ، اهدافه ، مؤسساته ـ اعداد يوسف اسعد داغر خبير اليونسكو للتوثيق التربوي لدى وزارة التربية والتعليم في السودان ـ ٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز التوثيق التربوي رقم ١ في وزارة التربية والتعليم بالسودان ـ مطبعة مكتب النشر بالخرطوم .

● Les Bruits Anciens-Poèmes- par Gérard Le Gouic - 76 pages - gd. f. - Guy Chambelland, Editeur-Bastide d'Orniol, Gard, France.

● Margelles de la Nuit - Poèmes et Chansons-par Elie Richard-176 pages - Les Cahiers des Images de Paris - Imprimerie du Cantal, France.

● Traduit des Fleurs - Poèmes - par Henry Dalby - Post Face de Elie Richard - 192 pages - Les Cahiers des Images de Paris - Imprimerie Editions Subervie, France.

● Au Pas Feutré du Songe - Choix de vers et de prose - par Emmanuel Lochac - Introduction par Elie Richard - 240 pages - Les Cahiers des Images de Paris Imprimerie du Cantal à Aurillac, France.

● La Rue des Paradis - par Gabriel Ursin Langé-Préface de Elie Richard - 144 pages - Les Cahiers des Images de Paris - Imprimerie du Cantal à Aurillac, France.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



كيف ينقل الدم
من انسان الى انسان بدون اي خطر
لبنان بحاجة سنويا الى عشرة الاف متبرع

عمليات نقل الدم كانت تجري ، في ما سلف ، بصورة مباشرة ، اي ان الدم كان ينقل مباشرة من ساعد الرجل المتبرع الى ساعد الرجل المريض المحتاج .

اما اليوم ، فقد تبدلت الطريقة مع تقدم العلم ، اذ يسحب الدم من المتبرع الى زجاجة معقمة تحوي سائلا مانعا للتخثر ثم ترسل هذه الزجاجة الى سرير المريض فينقل اليه الدم بواسطة انبوب معد لذلك .

واذا لم تكن الحاجة الى الدم ملحة ومستعجلة ، فانه يوضع في براد خاص له حرارة معينة حيث يحفظ واحدا وعشرين يوما بدون ان يفسد .

وهذا البراد موجود في مركز نقل الدم التابع للصليب الاحمر اللبناني .

وقد سألنا القيمين عليه عن مصير الدم الذي لا يستهلك بعد مضي الواحد والعشرين يوما فابتسموا واجابوا :

ـ لم يحدث امر كهذا بعد ... ان الحاجة الى الدم مستمرة .

قلنا : والدم الذي من الفئات النادرة ؟

اجابوا : هذا لا نضعه في البراد ، انما نأخذه من المتبرعين مباشرة لدى حاجتنا اليه ، فعندئذ نتصل بهم ونحصل منهم على المطلوب .

اما تحضير عملية نقل الدم ، فانه يبدأ بسحب نموذج من دم المريض ، ويقوم مركز النقل بتحديد فئته وزمرته ، وفي ضوء النتيجة يأخذ الطبيب المداوي من مؤونة الدم المختزنة زجاجة دم من فئة دم المريض ، وقبل حقن المريض يجب التثبت من التجانس بين دم المريض ودم المتبرع ، وذلك بمزج كمية من كل من الدمين .

قلنا : وهل من خطر وراء عملية سحب الدم ؟

اجابوا : ليس هناك من خطر على الذي يقدم دمه اذا استوفى الشروط المطلوبة وخضع لمعاينة طبية قبل سحب الدم . فكل انسان ، رجلا كان ام امراة ، عمره بين ٢٠ و ٥٥ سنة ويتمتع بصحة عادية ، يستطيع ان يعطي من ٢٠٠ الى ٥٠٠ سم ٣ من دمه وهو في مأمن من كل خطر . وعلى الطبيب ان يعاين معطي الدم معاينة دقيقة كاملة تشمل فحص الضغط ونسبة الهيموغلوبين وعليه ان يقصي المصابين بالامراض القلبية وذوي الضغط العالي والحبالى والمولدات اللواتي لم ينقض على وضعهن اكثر من تسعة اشهر .

وبالاضافة الى ذلك ، من الافضل ان يكون معطي الدم قد تناول وجبة خفيفة من الطعام ، فالوجبة الثقيلة ، كالصوم الكامل ، يحدثان احيانا بعض الازعاج ، ومن المستحسن ان يظل المعطي مستلقيا على ظهره عشر دقائق اثر سحب الدم منه ، ثم يعود بعد ذلك الى اعماله كالمعتاد .

قلنا : هنالك اناس يبيعون دمهم .

اجابونا : هنا في مركز نقل الدم التابع للصليب الاحمر لا نشتري دما ، بل نحن نتكل على المتبرعين به . فالمتبرع يجهر بأوضاعه وامراضه قبل اعطاء دمه ، ومن الضروري التثبت من ذلك كي لا ينقل دم ما امراضا معدية الى آخذه .. ثم ان هنالك من يبيعون دمهم اكثر من مرة في النهار الواحد ومن غير ان يذكروا امراضهم .

قلنا : وهل عدم التحوط لكل هذه الامور وعدم اللجوء الى التدابير الاحترازية من شأنهما ان يؤديا الى حوادث خطيرة ؟

اجابونا : بالطبع ... وبالفعل وقعت حوادث مثل هذه . لذلك نحن لا نقبل الا المتطوعين الساعين وراء الخير المجرد ووراء خدمة الانسانية بدون اجر ولا ثمن ولا مغنم ولا اي كسب مادي . فتجارة الدم عندنا ممنوعة . ولكن هذا لا يعني ان كل الذين يبيعون دمهم من الصنف المضر ، بل على العكس فقد ادوا في بعض الفترات خدمات قيمة .

ان بيروت بحاجة كل سنة الى خمسة الاف متبرع دم . ولبنان الى عشرة الاف ، اي الى متبرع واحد لكل مئة شخص .

فليكن كل واحد منا هذا الواحد بالمئة !

بنك الدم

- بنك الدم هو المصرف الوحيد الذي ودائعه تضحية ومدفوعاته محبة
- كل المصارف تقبض وتدفع فوائد باستثناء بنك الدم
- اعط دمك بابتسامة تصبح حياتك كلها زهورا
- نقطة الدم التي تتبرع بها تتحول الى بحر من الامل
- بنك الدم هو باب النجاة الذي لا يغلق في وجه احد
- عطاء الدم اكبر دعامة للوحدة الوطنية والانسانية لانه يخلق اخوة بالدم
- بنك الدم لا يفلس الا بافلاس الكرة الارضية من الانسانية
- لا تغلق في وجهك اليوم ما قد يصبح املك الوحيد غدا
- تبرع بالقليل من دمك اليوم فربما احتجت الى الكثير من دم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قريبك غدا

- لا يعطيك احد دما اذا لم تبادل غيرك بالمثل
- عندما تتبرع بدمك تذكر ان نسيبا او صديقا قد يستفيد منه
- عطاء الدم محبة شاملة توصل الى السلام

التبـرع بالـدم

- من يعط دم قلبه يكن قلبه كبيرا
- التبرع بالدم سلسلة محبة لا تنتهي
- تبرع بدمك ولا تندم فالتضحية بالقليل خير من ألم الندامة
- لا تنتظر غدك لعمل الخير فربما احتاجك الخير وانت تفعله
- تبرع بدمك مرة واحدة في الحياة حتى لا تندم طول الحياة
- الاخوة في الدم الموهوب كالاخوة في طبيعة الدم
- من يتبرع بجزء من دمه ليجدد الحياة في جسم غيره يساهم في عمل الخلق
- عطاء الدم ضروري كتناول الطعام
- كل خدمة للانسانية هي خدمة للـه
- عطاء الدم لا يصح ان يصبح تجارة لانه لا يقدر بثمن مادي
- كل خدمة للانسانية تلقى اجرها عند الله
- دم الانسان يصبح بقيمة الحياة ان هو ساهم في بعث حياة
- غيرك اليوم بحاجة اليك وقد تكون انت غدا بحاجة الى غيرك
- لا تتبرع بدمك مرغما لئلا تقلل من قيمة بادرتك

•

هذا هو الحوض الثالث في مرفأ بيروت

تطـور دائـب يواجهـه تخطيط جـرىء

كان اتساع النشاط في مرفأ بيروت ، وازدياد ضغط حركة التصدير والاستيراد فيه الحافز الذي دفع الحكومة الى ان تصدر في عام ١٩٦١ قرارا بانشاء الحوض الثالث ، وتخصيص اعتماد يبلغ خمسة وستين مليون ليرة لهذه الغاية ، لمواجهة هذا الوضع .

وكان مرفأ بيروت يتألف من حوضين اثنين يضيقان وتضيق ارصفتهما ومنشآتهما ، وتجهيزاتهما عن استيعاب حجم الحركة الدائبة التي تزيد مع الايام اتساعا ، اضف الى هذا ان الحوضين كان يضمان قاعدة ونواديا لليخوت يخففان من طاقة استيعاب الحوضين ويحدان من امكانياتهما من ناحية المساحة ، والقدرة على تلبية متطلبات المرفأ .

وبعد صدور قرار الحكومة بانشاء الحوض الثالث بدأ العمل في آب عام ١٩٦٢ حثيثا لانجازه بقدر ما تسمح الامكانات الفنية ، والمادية . وقد تم حتى اليوم انجاز الاشغال التي تتعلق بالمنشآت السفلى ، كردم البحر ، وانشاء المكاسر ، وتوسيع الارصفة ، واصبحت مواصفات الحوض كما يلي :

- طول المكاسر ٢١٠٠ متر وكانت ١٣٠٠ متر للحوضين الاول والثاني
- مساحة الاحواض ٦٥ هكتار وكانت ٤٠ هكتارا للحوضين
- طول ارصفة ٣٣٠٠ مترا وكانت ٢٠٠٠ متر
- المزلقان ١٠٠٠ طن وكانت ٤٥٠ طنا
- عدد البواخر ٣٠ وكانت ١٨ باخرة
- البواخر الملاصقة للارصفة ٢٠ وكانت ١٠ بواخر
- حركة البضائع السنوية مليونان ونصف المليون طن وكانت مليونا و ٦٠٠ الف طن .
- مساحة المنطقة الحرة مليونان و ٢٥٠ الف متر وكانت مليونين و ١٢٥ الف متر .

وبهذا يتبين انه تم تطويل مكسر المياه بطول ٨٠٠ متر ، وانشاء ارصفة جديدة في الحوض الثالث بطول ١٣٠٠ متر ، على اعماق تتراوح بين ٥ ، ١٠ و ١٣ مترا ، واعادة انشاء الحوض الاول ويبلغ طول ارصفته ٩٠٠ متر ، وردم مساحة نصف مليون متر مربع كسبت على البحر . واستنفدت هذه الاشغال جميعا ٦٥ مليون ليرة لبنانية . وبالاضافة الى هذه الاشغال فان الارصفة الجديدة تجهز بشبكات الطرق والسكك الجديدة ، والماء ، والمجاري ، والكهرباء والهاتف . وتم كذلك بناء ست مستودعات على الارصفة مساحة كل منها ٤٤٠٠ مترمربع تقريبا ، فضلا عن عدد من مستودعات المواد الملتهبة .

وبانتهاء المنشآت السفلى لحوض مرفأ بيروت الثالث ، تبدت الحاجة الى اكماله بمنشآت عليا في مرحلة ثانية من تحسين المرفأ تشمل تزويده بالآلات الرافعة ، وانشاء بقية المستودعات والطرق ، والمباني الادارية ، والمحطات البحرية الخاصة ببواخر السياحة الكبرى ، وما الى ذلك .

وهذه المرحلة قيد البحث حاليا ، وسيباشر بالتنفيذ في القريب . وتجرى حاليا كذلك دراسات تتعلق بتجهيز الحوض الثالث بأهراءات للقمح بسعة ٦٠ الف طن مع امكان توسيعها حتى تصبح قادرة على استيعاب ١٢٠ الف طن . وتتطلب هذه المرحلة ٣٠ مليون ليرة اضافية توزع على اعمال تجهيز في مرفأ بيروت ومرفأ جونيه .

الا ان حركة المرفأ ماضية مع الايام في الاتساع ، والتزايد مما سوف يستدعي اما مواجهة انشاء حوض رابع ، او زيادة تجهيزات المرفأ الحالية . وقد كلف مجلس الوزراء مجلس المشاريع الانشائية بوضع دراسة شاملة تتضح فيها خطوط السياسة المرفئية التي يجب اتباعها بشكل متصاعد ، متطور ابدا مع تصاعد وتطور الارقام .

•

جسر الدامـور الجديد

يسهل المواصلات وينقل العمران الى المنطقة الجنوبية لبيروت

دشن معالي وزير الاشغال العامة ، الاستاذ فؤاد البزري ظهر يوم السبت في ٢٠ ايار ، جسر الدامور الجديد ، الذي سيلتقي مع اوتوستراد بيروت ـ صيدا ، وهو من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشاريع الانشائية الهامة التي تقوم الدولة بتنفيذها ، ضمن امكانات الموازنة ، لمعالجة زحمة السير . وتسهيل المواصلات وتنمية القطاعين السياحي والزراعي .

الجسر القديم يعرقل

وكان جسر الدامور القديم ، في ضيقه وزحمة السير عليه ، يعرقل حركة المواصلات اذ انه يؤمن بصعوبة قصوى خطي سير فقط للسيارات الصغيرة ، وخط سير واحد للشاحنات . واذا عرفنا ان معدل كثافة السير اليومي ، كان في عام ١٩٦٦ ، في حدود ٧ آلاف سيارة في الاتجاهين ، وان المعدل المرتقب في عام ١٩٨٥ ، سيكون في حدود ٣٠ الف سيارة في اليوم ، لتبين لنا ، اهمية الجسر الجديد ، الذي يتسع سطحه لمرور ثلاث سيارات في كل اتجاه وبالسرعة القصوى المحددة للسير على الاوتوستراد .

والجسر الجديد يسهل

والجسر الجديد يسهل حركة السير بشكل ايجابي اذ انه يستوعب ٦ سيارات دفعة واحدة ـ كما قلنا ـ ولا يعود هناك مجال للانتظار والعرقلة .

يبلغ طول الجسر الجديد ١٠٠ متر بعرض ٣٢ مترا وارتفاع ٦ امتار من جهة و ٧ امتار من الجهة المقابلة . ويقوم الجسر على خمس ركائز . ثلاث ركائز وسطى ، عرض اساس كل ركيزة منها ، اربعة امتار ونصف المتر ، وارتفاعها متر وثلاثة ارباع المتر ، وركيزتان في طرفي الجسر ، بنيت جميعها من الاسمنت المسلح مع واجهة من الحجارة المقصوبة . وهذه الركائز ، مثبتة على طبقة تنخفض عن مستوى مجرى النهر بحوالي ٨ امتار . وللجسر الجديد ، اربع فتحات لانسياب مياه نهر الدامور ، وطول الفتحة ١٩ مترا وقد بنيت بشكل يتلائم مع مجرى النهر ، اما سقف الجسر فيتألف من جسور طولية ، طول الواحد منها ١٩ مترا تقوم على ارتكاز حر ، ومن جسور عرضية ترتكز عليها بلاطة الجسر . وقد بني السقف ، من الباطون المسلح . ويأتي جسر الدامور بالنسبة لكبره في المرتبة الرابعة بعد جسري المعاملتين ، وجسر الاولي . وقد شقت وصلة طريق « مؤقتة » طولها ٥٠٠ متر تصل طريق صيدا الحالية بالجسر ، لغاية ما يتم اوتوستراد بيروت ـ صيدا ، الذي سيمر بالجسر الجديد . والوصلة الجديدة تحل ازمة السير مئة بالمئة ، اذ انها ذات اتجاه واحد ، والطريق القديم هو للاتجاه المعاكس .

اكلاف الجسر الجديد

بلغت اكلاف الجسر الجديد ٧٠٠ الف ليرة للاعمال التنفيذية ، واكلاف وصلة الطريق المؤقتة ٩٠ الف ليرة للاشغال و ٣٠ الف ليرة للاستملاكات . وقد انتهت جميع الاعمال في الشهر الخامس من العام الحالي .

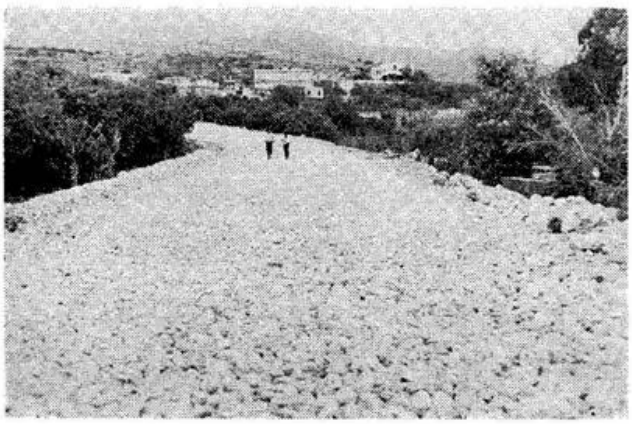
فوائد الجسر الجديد

لا شك في ان لجسر الدامور الجديد ، فوائد عديدة ، تشمل قطاعات مختلفة . فلهجة المواصلات السريعة ، انه يوفر في المحروقات ، ويسهل حركة السير الى اقصى حد ، حيث كانت ارتال السيارات في الماضي ، مضطرة للوقوف عند طرفي الجسر القديم في كل مرة تمر شاحنة عليه . وتكتمل فوائد الجسر الجديد عند اكتمال اوتوستراد بيروت ـ صيدا .

ولجهة السياحة ، فان سهولة المواصلات على اوتوستراد بيروت ـ صيدا والجسر الجديد ، يحمل السياح وقوافل سياراتهم على التوجه الى المناطق الاثرية والسياحية في الجنوب ، فتنتعش المنطقة من الدخل السياحي .

ولجهة القطاع الزراعي ، فان الجسر الجديد واوتوستراد بيروت ـ صيدا ، يسهلان نقل الانتاج الزراعي والحيواني من المنطقة الجنوبية الى العاصمة ، مثل الفاكهة والخضار والحمضيات والدواجن والبيض والحليب وخلافها ، وبالتالي تنخفض نسبة اكلافها ، خاصة ، وان مشروعي القاسمية والليطاني للري ، قد ساعدا على توسيع الرقعة الزراعية بين صيدا وصور ، واصبح « ثقل » النقل يقع على الشاحنات والطرق ، بسبب عدم صلاحية النقل الحديدي في الوقت الحاضر .

اما لجهة التنمية العمرانية ، فان الجسر الحديد والاوتوستراد ، سيحققان مناطق عمرانية جديدة جنوبي العاصمة ، على غرار ما حققه اوتوستراد المعاملتين في منطقة انطلياس والضبية التي اصبح العمران فيهما متكاتفا بفضل مرور الاوتوستراد بالقرب منهما .. والعمران في جنوبي بيروت آخذ بالنمو والامتداد باتجاه خلدة نظرا لوقوع اطول واجمل شاطىء في تلك المنطقة ولمرور اوتوستراد بيروت ـ صيدا بجانبها . وقد اخذت المدارس الى جانب وكالات السكن ، تتجه الى تلك المنطقة لتوفر مناخ مناسب فيها للعلم والمطالعة الهادئة ، بعد ان



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كادت العاصمة تختنق بزحمة ابنيتها وسكانها وضوضاء سياراتها ..

وعلى ذلك ، فان جسر الدامور الجديد ، واوتوستراد بيروت ـ صيدا ، سينقلان العمران الى منطقة الجنوب بالسرعة المتمادية ، وهذه احدى حسنات المشروع ، بفضل سياسة الدولة الانشائية والانمائية ، الحكيمة ، التي تخطط وتهدف الى انماء مرافق البلاد وانعاش اقتصادها في سبيل استقرار ارسخ وحياة افضل لجميع المواطنين

ما هو خليج العقبة ؟

جغرافيا وتاريخيا وسياسيا

ان خليج العقبة هو جسم مائي طوله ١٠٠ كيلومتر تحيط به اراضي الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وفي نهايته المملكة الاردنية الهاشمية . وهناك على هذا الخليج مدينة جديدة اسمها « ايلات » تحتلها اسرائيل وقد جعلت منها في السنوات الاخيرة مرفأ .

ويتصل هذا الخليج بالبحر الاحمر عن طريق مضيق تيران الذي تنتصب فيه جزيرتان عربيتان هما « تيران » و « صرافير » . والملاحة في هذا المضيق تصلح في رقعة صغيرة منه لا يتعدى عرضها النصف ميل وهي بمحاذاة موقع شرم الشيخ العربي في سيناء .

وجدير بالذكر ان احتلال اسرائيل لمرفأ « ايلات » في اول عام ١٩٤٩ كان في حد ذاته احتلالا عدوانيا . حدث بعد وقف اطلاق النار بين قوات الاردن والقوات الصهيونية وكانت آنذاك قرارات مجلس الامن المتعددة تنص نصا صريحا على ان اي خرق للهدنة لا يجوز ان يكسب الفريق الذي يقوم به اية مكاسب سياسية او عسكرية .

وعندما وقعت اتفاقية الهدنة الاردنية الاسرائيلية بعد ذلك بقليل نصت هي ايضا على ان خطوط الهدنة والتوزيع الجغرافي المبني عليها انما هو مؤقت وغير نهائي ولا يلزم اي فريق من الفريقين بحقوق او يلقي عليه تبعات قانونية في المستقبل .

اذن فان احتلال اسرائيل لايلات ثم اقامتها مرفأ في ذلك الموقع انما جاء خرقا صريحا لوقف القتال وكان كسبا سياسيا وعسكريا لا تعترف به نظم الامم المتحدة ولا يصح ان يكون اساسا لاي تقييم قانوني لوضع خليج العقبة او لحقوق الفرقاء فيه .

بناء على هذا فخليج العقبة هو خليج عربي ومضيق تيران المؤدي اليه هو بالتالي مضيق عربي وليس ممرا دوليا .

ومما يعزز هذا ، ان العرف التاريخي ايضا جعل الممر والمضيق مياها عربية لا مياها دولية ، فلم يسبق في التاريخ ان اعتبر خليج العقبة او مضيق تيران مياها دولية . وليست هناك اية اتفاقية او معاهدة دولية تحدد طبيعة الخليج او المضيق تحديدا مخالفا لهذا . ثم ان مصر مارست بالفعل سلطاتها الكاملة وسيادتها الكاملة على مضيق تيران والملاحة فيه منذ قيام الدولة الصهيونية وحتى عام ١٩٥٦ دون ان يصدر عن اي مرجع دولي اي شك بحق مصر في هذه الممارسة او انكارا لها .

فالوضع القانوني ازداد قانونية بالممارسة الفعلية التي لم تلق اي اعتراض والامم المتحدة لم تصدر يوما من الايام عن طريق اي هيئة من هيئاتها اي قرار ينكر على مصر حقها في ممارسة السيادة في المضيق .

ومعروف انه في اعقاب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ رابطت قوات الامم المتحدة في موقع شرم الشيخ المشرف على المضيق بدلا من القوات المصرية . فان عدم ممارسة مصر لسيادتها بعد ذلك لم يكن تخليا منها عن تلك السيادة وانما لان وسائل الممارسة كانت قد حجبت عنها مؤقتا . وقد سعت اسرائيل من تشرين الثاني ١٩٥٦ حتى شباط ١٩٥٧ ان تستحصل من الامين العام للامم المتحدة او من الجمعية العامة على نطق ما يدل مباشرة او مداورة على ان وجود القوات الدولية واحتجاب القوات المصرية يؤثر في الوضع القانوني للمضيق او في سيادة مصر ولكنها فشلت فشلا تاما ، بل على العكس من ذلك فان همرشولد اكد مرارا ان وجود القوات الدولية ليس له اي اثر في الحقوق القانونية المنبثقة عن سيادة مصر في المنطقة .

وانما الذي حصلت عليه اسرائيل انحصر في تأكيد اميركي تضمنته مذكرة اميركية الى اسرائيل وجاء فيها ان اميركا تعتبر المضيق ممرا دوليا وبديهي ان هذا التصريح تنحصر قيمته القانونية في اميركا نفسها وليس في الفرقاء الاخرين . انه اجتهاد اميركي وليس تشريعا دوليا .

وبمستطاع اميركا اذا شاءت ان تظل مناقشة القضايا القانونية على المستوى القانوني وعن طريق الاجهزة الصالحة بمستطاعها ان ترفع القضية الى محكمة العدل الدولية او ان توعز الى اسرائيل ان تفعل ذلك بصفتها طرفا في هذا النزاع . ومعلوم ان كلا من اميركا واسرائيل والجمهورية العربية المتحدة قد وقعت على المادة الاختيارية من نظام محكمة العدل الدولية الذي تقبل فيه كل منها بحق المحكمة في النظر في اي نزاع يرفعه اليها اي فريق اخر وقع تلك المادة .

اي ان العقبة او بالاحرى الصعوبة التي كانت قد تنشأ في طريق التقاضي امام المحكمة قد ازيلت يوم وقعت اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على التصريح الذي تنص عليه المادة /٣٦/ من نظام محكمة العدل الدولية .

وفي وسع اميركا ايضا ان تلجأ الى طريقة مشروعة اخرى ، وهي حمل الجمعية العاملة او مجلس الامن على التوجه الى محكمة العدل الدولية في استشارة قانونية بشأن وضع المضيق والخليج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

أكـرم زعيـتر

بقلم البدوي الملثم

* * *

عندما يطل وجه أكـرم زعيتر في سلسلة « اعلام الفكـر والادب في فلسطين » أتهيب الحديث عن هذه الشخصية المحببة ، خشـيـة ان اظلمها .. ولا أفيها حقها .. ففي شخصية « أكرم » تجمعت طائفة من الصفات والخصائص ، ناهيك عن جهاد عنيف متواصل في حقل القضية الفلسطينية ، أفضى به عشرات المرات ، الى عشرات المعتقلات والسجون، وحمله على أجنحة التشرد في مجاهل الاناضول وفي متاهات سوريـة والعراق !

ورغم شعوري بان قلمي ناد عن بلوغ الهدف .. عاجز عن ابراز الصورة اطارا ومضمونا .. أنضو بزة التهيب .. واخوض اللجة ... لعل شباكي تخرج صيدا ثمينا سمينا .. عن « أكرم » صاحب المدرسة العريقة بالنضال العنيف !

ولد « أكرم » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٩٠٩ وأكمل دراسته الثانوية في « كلية النجاح » بمسقط رأسه ، ثم انتسب الى الجامعة الاميركية ببيروت فكلية الحقوق بالقدس وقد تخرج فيها ، وهو يحمل دبلوم المعلمين العليا وقد زاول التعليم في ثانويات فلسطين وعرف في اثناء ذلك بما كان يلقنه الطلاب من مباديء وطنية .

وعلى اثر ثورة عام ١٩٢٩ التي تأججت نارها في فلسطين وحملة المندوب السامي البريطاني على العرب الثائرين استقال « أكرم » مـن التدريس في ثانوية عكا ليتفرغ للعمل في الحقل الوطني فتولى رئاسة تحرير جريدة « مرآة الشرق » المقدسية لصاحبهـا المرحـوم بولس شحاده . وبعد ثلاثة شهور من عمله الصحفي قبض عليه واودع السجن ثم جرت محاكمته امام حاكم لواء القدس مستر كيث روش حيث حكـم عليه بالسجن ثم الابعاد مدة سنة الى نابلس أجج في أثنائها الـروح الوطنية وقاد المظاهرات ولا سيما يوم اعـدام الشـهداء الثلاثة فـؤاد حجازي ، ومحمد جمجوم وعطا الزير ، حتى اذا انتهت مدة الابعاد عاد الى القدس ليتولى تحرير جريدة « الحياة » المقدسية التي اشتهـرت بالمقالات اللاهبة من قلم « أكرم » فالتف حولها الشباب الواعي وكانـت « الحياة » المحرك لاحداث عام ١٩٣١ وللمظاهرات التي قامت ضـد تسلح اليهود ، الامر الذي أدى الى القبض عليه وزجه في السجـن ثم محاكمته امام حاكم لواء القدس مستر سلومون الذي قضى باغلاق « الحياة » وابعاد « أكرم » الى نابلس وتقييده بقانون منع الجرائم ، وقد اشتهرت تلك المحاكمة بمن رافع فيها من أقطاب المحامين فـي فلسطين ، وأطرف ما فيها ان شهود النيابة شهدوا ضد « أكرم » من (وراء ستار) !

وعاد « أكرم » الى نابلس ليقود الحركة الوطنية وليتولى التدريس في « كلية النجاح » وتولى ونخبة من اخوانه الاحرار تأليف « جمعية العناية بالمساجين العرب » وكان يشترط في مؤهلات العضو فيها ان يكون ممن دخل السجن بتهمة وطنية . ولقد تولت هذه الجمعية الاهتمام بشؤون المعتقلين السياسيين من أحرار اضطرابات عامي ١٩٢٩ و١٩٣١ وغيرهم . وكان الاستاذ زعيتر يرسل من نابلس صيحاته المتوالية علـى صفحات « الدفاع » (١) و « الجامعة الاسلامية » (٢) و « الجامعـة العربية » (٣) و « الصراط المستقيم » (٤) .

ونضجت فكرة قيام حزب استقلالي في فلسطين ينادي بمقارعـة الانتداب البريطاني ويهز المشاعر الوطنية ويوجه المقاومة العربية توجيها صحيحا بعيدا عن العصبية العائلية فكان « أكرم » أحد مؤسسيه وكان من أقطابه : عزة دروزه وعوني عبد الهادي وصبحي الخضراء ورشيد الحاج ابراهيم والدكتور سليم سلامه وفهمي العبوشي وحمدي الحسيني وحربي الايوبي وعجاج نويهض .

واشترك « أكرم » في تأسيس « عصبة العمل القومي » فـي سورية وكان نائبا لرئيس مؤتمرها التأسيسي في قرنايل بلبنان عـام ١٩٣٣ .

وعندما توفي المغفور له الملك فيصل الاول في برن بسويسرا أوفد حزب الاستقلال « اكرم » ليمثله في رثاء الملك العظيم في بغداد عـام ١٩٣٣ ، وهناك استبقاه المرحوم يس الهاشمي للعمل في معاهد العراق موجها قوميا . وفي العراق عمل اكرم واخوانه على تأسيس « نادي المثنى » و « الجوال القومي » وراح يبث الروح القومية ، وانبـرى الشعوبيون يشنون عليه وعلى اخوانه أمثال : المرحوم درويش المقدادي وفريد زين الدين والدكتور امين رويحه حملات عنيفة لكنهم صمدوا لها وانشأوا جيلا مؤمنا بالفكرة العربية . وما لبث اكرم بعد هذا الجهاد القومي ان تلقى برقيات وكتبا من اخوانه العاملين في الحقل الوطنـي بفلسطين يطالبونه بالعودة الى الارض الملتهبة ، فعاد على عجل وعاد الى حزب الاستقلال نشاطه ، وشرع في عقد الاجتماعات الشعبية في جميع انحاء فلسطين داعيا للمقاومة ولمجابهـة الانتداب البريطانـي بالعدوان ، وحدث ان حضر السير أرثور واكهوب المندوب السامـي البريطاني في فلسطين حفلة أقامها الصهيونيون في لندن على شرفه ، وهناك شرب نخب الصهيونية ، فعقد في نابلس في ٢ نوفمبر اجتماع كبير تقرر فيه اعلان الاضراب العام فور وصول المندوب السامي مـن لندن ، وكان الشيخ عز الدين القسام ممن حضروا ذلك الاجتماع . وحدث ان اجتمعت لجنة الاحزاب ولم يكن حزب الاستقلال ممثلا فيها ، فاصدرت بيانا دعت فيه الى عدم الاضراب ، ولكن حدث ان ضربت الامة بنداء لجنة الاحزاب عرض الحائط ، وفي اليوم الموعود اضربت اضرابا شاملا كان نذيرا بقوة المد الثوري في الحركة الوطنية ، وقبض على « أكرم » وأجري معه تحقيق عن ذلك الاضراب واسبابه ثم اطلق سراحه بعـد حـين .

وفي عام ١٩٣٥ قامت حركة الشهيد الشيخ عز الدين القسام ، فاستشهد في قتال عنيف مع الجيش البريطاني في حراج يعبد (قضاء جنين) وهنا دعا اكرم زعماء البلاد في بيان اصدره للسير في جنازته في حيفا وتشييعه كما يشيع المجاهد العظيم ، ورد على السلطة البريطانية في زعمها ان عصابة القسام عصابة اشقياء باعلانه انها عصابة شهداء أبرار ، وأتقياء انقياء أطهار .

وفي الجنازة التي حمل فيها جثمان القسام وصحبه على الاكف ، اصطدم المشيعون بالقوات البريطانية التي ولت الادبار وجاءت حـركة الشهيد القسام ارهاصا لثورة عام ١٩٣٦ .

وفي صيف هذا العام ، وعلى اثر اصطدام وقع بين عصابـة وطنية وقوات الامن دعا اكرم الى تأليف لجان قومية ، وكانت لجنـة نابلس اولى هذه اللجان وتولى امانة سرها ، وتولت بدورها الاتصال بأحرار فلسطين ودعت الى الاضراب (٥) العام الهائل الذي امتد ستة شهور وكان الممهد والمسبب لثورة عام ١٩٣٦ ، وفي اثنائه تألفـت « اللجنة العربية العليا » وتقرر العصيان المدني ، كما قررت اللجنـة القومية بنابلس الخروج على قرار منع التجول ودعت الى حمل السلاح والى الانتقال من مرحلة الاضراب السلبي الى مرحلة القتال ، وفي تلك الليلة القت السلطات القبض على اكرم بأمر اصدره حاكم لواء نابلس مستر فوت و (السير فوت فيما بعد وحاكم جزيرة قبرص فيما بعد) واللورد كارادون اخيرا ، وارسل في تلك الليلة الى عوجا الحفير ،

فكان اول معتقل في ثورة ١٩٣٦ ، ثم نقل الى صرفند وجدد الحاكم مستر فوت مدة اعتقاله ، وبعد ستة اشهر كان آخر من خرج من صرفند ، ولقب على سبيل الدعابة بـ « فاتح الحفير ومغلق صرفند ». وبعد فترة من الافراج عنه تقرر اعتقاله ثانية لكنه توارى عن الانظار ثم لجأ الى دمشق حيث حضر مؤتمر بلودان ، وقد فتش بيته بنابلس ابان غيابه وصدرت مذكرة بالقبض عليه ، لكنه انصرف الى الاشتراك مع اخوانه في سورية في تغذية الثورة الفلسطينية والدفاع عن اهدافها ، وتولى امر الدعوة والنشر لها ، وفي هذه الاثناء التحق اخوانه السادة واصف كمال وممدوح السخن وفريد يعيش بالثورة ، وعمل كل منهم في منطقته مستشارا لقائدها ، وكان ذلك حتى مطلع الحرب العالمية الثانية حين اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا على مطاردة الثوار واخرج اللاجئين السياسيين من سورية ، فتلقى أكرم برقية من الدكتور سامي شوكة وزير معارف العراق يدعوه فيها « الى حرث بذور القومية في الناشئة العراقية » فلبى الدعوة وعمل مفتشا للمعارف واستاذا في دار المعلمين العليا ومسؤولا عن التوجيه القومي في وزارة المعارف الى ان نشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني (٦) عام ١٩٤١ فاشترك في أوج نشاطها ، وحين أخفقت وغادر الكيلاني بغداد لجأ اكرم وصحبه الى بادية الشام واختفوا مدة فيها ثم لجأوا الى حلب . ولما هددها الجيش الديغولي بالاحتلال لجأ الى تركيا حيث قضى سني الحرب لاجئا سياسيا في الاناضول بحيث فرضت عليه الاقامة الجبرية في استانبول ثم في افيونقره حصار فمغنيسيا فبورصة .

وبعد ان اعلن استقلال سورية عام ١٩٤٥ عاد الى سورية فكان موضع المشورة من زعيمها ورئيس جمهوريتها الاسبق المرحوم شكري القوتلي ، وقد مثل سورية في كثير من الاعمال القومية وكان مستشارا لوفدها لدى جامعة الدول العربية وعضوا في لجنة فلسطين الدائمة في الجامعة العربية ، كما اشترك في دمشق في تنظيم الشهادات امام اللجنة الانكلو اميركية ، وكان للشهادة التي ادلى بها دوي عظيم .

وفي عام ١٩٤٧ ترأس وفدا عربيا الى اميركا اللاتينية لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها فطاف على سائر جمهورياتها واتصل برؤسائها والف كتابا في وصف رحلته هذه أسماه « مهمة في قارة » .

وظل اكرم مشردا عن بلاده ولم يسمح له بالعودة الا في سنة ١٩٥١ وبعد زوال الانتداب البريطاني ، وهكذا امتدت هجرته وغيابه عن وطنه الغالي مدة ١٤ عاما .

وخلال وجوده في بلاده وغيابه عنها وعودته اليها اشترك في معظم المؤتمرات الوطنية والاسلامية المنعقدة في الشرق العربي ثم تولى امانة سر الندوة الاسلامية في دوراتها الثلاث المنعقدة في بيت المقدس (١٩٥٩ ـ ١٩٦٢) ثم مثل الاردن في الدورة السادسة عشرة للامم المتحدة ودافع عن فلسطين في لجنتها السياسية لعام ١٩٦٢ .

وفي عام ١٩٦٣ عين سفيرا للاردن في سورية حيث مكث قرابة سنة ثم سفيرا للاردن في طهران بايران وكابل بافغانستان وهناك قام ببحوث تاريخية .

وفي طهران برز كدبلوماسي من طراز رفيع ، وحين عين وزيرا للخارجية الاردنية عام ١٩٦٦ جرى له وداع حافل على الصعيدين الرسمي والشعبي . وخلال عمله كوزير للخارجية الاردنية قرابة سنة مثل في اثنائها الاردن في الامم المتحدة وفي اجتماعات الجامعة العربية وكان له دور مرموق في معالجة الخلافات العربية ، وفي عام ١٩٦٧ عين « عينا » في مجلس الاعيان الاردني ، وفي ١٥ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ عين وزيرا للبلاط الهاشمي .

واللحن الذي يستسيغه اكرم ويكرره في سمفونيته القومية هو إسترداد الوطن المغصوب واشاعة الوعي القومي في أذهان الجيل الصاعد وتلقين هذا الجيل ان استقلال الاقطار العربية ضالة كل مؤمن بعروبته . وفي ذلك يقول :



البدوي الملثم

●

« وان رسالتنا في وحدة العرب ومعركة الثأر لن يسلبها واقعنا المرير الفاجع روعة خيالها وفتنة جمالها ولا بشائر المقبل المرجو من كفاحها ونضالها . وستنعم هذه الرسالة من سرائرنا بما يندبها ويعطرها ، ومن دمائنا بما ينورها وينضرها ، وسترف على هذه الجذوة من الالم نفحة الايمان بالله وبالعروبة وبالمستقبل » .

تأثر اكرم في أدبه وبيانه بالقرآن الكريم وبنهج البلاغة كما تتلمذ على الجاحظ وابن المقفع وابي حيان التوحيدي وابن حزم وعلى شقيقه عادل زعيتر ومحمد اسعاف النشاشيبي والامير شكيب ارسلان وخليل السكاكيني .

و « اكرم » خطيب موهوب اشتهر بالارتجال الموفق وعرفته منابر دمشق والقدس وعمان وبيروت وبغداد والقاهرة والاندية والجمعيات العربية في جمهوريات اميركا اللاتينية ، كما عرفته الصحافة العربية في بيت المقدس ودمشق وبيروت وبغداد كاتبا كبيرا ، وحسبنا ان ننقل بعض ما قال نفر من ائمة البيان العربي في اسلوبه البليغ وموهبته الخطابية .

وصفه الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح بقوله :

« شهدت مواقف اكرم الخطابية فعرفت فيه خطيبا مصقعا فصيح اللسان ، بليغ البيان ، لا ينضب معينه مهما تكاثر عليه الوراد ، ولا يخطيء سهمه مهما تباعد المرمى ! » .

وقال فيه الاديب المهجري الاستاذ نظير زيتون :

« ما ذكرت موقف الخطيب الروماني شيشرون امام قرطاجة عاصمة فينيقية الافريقية الا تبادر الى ذهني موقف اكرم زعيتر ، بينهما تشابه في الصلابة والتحذير من الاخطار ، وتقارب في الدعوة الى الاستفسار ، والتجانس في بث العقائد والافكار .

واكرم زعيتر مرهف الحس ، عميق الحدس ، نفوم الجرس ، يتراوح البيان بين اصغريه ، ويلتمع الايمان في عينيه ، ويتهاوى الباطل بين يديه ! » .

اما اسلوبه في الكتابة فقد وصفه الشاعر الناثر الاستاذ جورج صيدح بقوله : « ان قلم اكرم زعيتر لمن اقوى الاقلام العربية ، واسلوبه سخي في المعنى ، مقل في المبنى ، يفصل الكلام على قياس الفكر ، ويلبس المعنى أضيق الاثواب حتى لا تستطيع اطرافه ان تمتد على بحبوحة اللفظ » .

ووصفه الناقد الشهير مارون عبود بقوله : « اكرم زعيتر كاتب متمكن من لغته ، واسلوبه انصع من الفضة الخالية من الزغل ! » .

اما الاستاذ سعيد عقل فيقول : « من الاقلام ما هو افعل من

السيوف ، واكرم زعيتر واحد منها ، وان كتاب (٧) أكرم زعيتر يمكنه ان يكون أحد الارغفة في زاد الابطال ! » .

وقال له الاديب الكبير الاستاذ نظير زيتون : « لك من البيان سحره ، ومن الحرف فجره ، ومن المعنى دره ، ومن الفكر بحره ، ومن الادب صدره ! » .

وبين أكرم وكثيرين من أئمة الادب العربي مراسلات ، ويوم يتاح النشر للرسائل التي كان يكتبها وتلك التي كان يتلقاها من أمثال الامير شكيب ارسلان ومحمد اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وبدوي الجبل وشفيق المعلوف والشاعر القروي ونظير زيتون وجورج صيدح وعادل الغضبان ووديع فلسطين ومحمد عبد الغني حسن وظافر القاسمي وغيرهم فان أدب الرسائل سيظفر بكنوز من البيان الرائع ! ودونك بعض ما في رسالة من شاعر العربية « بدوي الجبل » يجيب بها عن رسالة تلقاها وهو في جنيف من أكرم يوم كان سفيرا في طهران :

« كتابك بين يدي ريحانة اشمها ، وحورية من حور الجنة الثمها وأضمها ، وبعض البيان عطر ، وبعضه سحر ، والكتابة منك واليك نعمة للنفس ، ونعمة للقلب ، ونعمة للفكر ، وما عند دوح البحيرة في جنيف ما يسكر كهذا الرحيق العربي المصفق بطيوب سعدي والخيام !

وبعد فثناؤك على بياني ، وهو ضيف على بيانك ، واحسان نزيل على احسانك ، فثناء الشمس على نجيمة تعيرها النور ، ثم تدللها فتبعث فيها الغرور ! » .

و « أكرم » كان صديقا وفيا ، واخا صفيا لائمة الادب العربي وأعلام البيان وشيوخ القضية العربية منذ صدر يفاعته ، ان لم نقل منذ حداثته . وقد كتب له الامير شكيب أرسلان من اوروبا ، وكان اكرم في الثانية والعشرين من عمره بعد ان شق طريقه في الحياة مجاهدا وكاتبا وخطيبا واستاذا وعضوا بارزا في الاحزاب الاستقلالية ، وحركة دؤوبا في القضية العربية ، الكتاب التالي ، الذي يعد طرفة من طرف امير البيان رحمه الله :

E. A. CORBELLA MANAGER PROP.

١٧ جمادى الاولى ١٣٥٢

بالله

ولدنا الحبيب الفاضل الاديب السيد اكرم زعيتر المحترم حفظه

ان كان قصّر الدهر بك سنكّ فقد نهض بك قدرك ورفع منك عملك فصنكّ في صف الكبار ورصّك بين الذين تعتمد عليهم الاوطان فاسأل الله ان يزيدك علما ويؤتيك حكمة وحكما ويوفقك عملا ويبلغك املا ولا تنس ان لك بي أبا حدبا والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

المخلص
شكيب
ارسلان

اما خليل السكاكيني فكتب اليه : « واعلم يا اكرم انك من قلبي في المكان العالي ، واشكر الله انني كنت اول من اكتشفك ونوه بفضلك، واشكره ان صحت فراستي فيك ! ولولا انني أخشى ان اكلف شططا لقلت ، « اكثر الله من امثالك ، فبمثلك تعتز الامم وتفخر ! » » .

نماذج من نثره : وصف « اكرم » زيارته قبر الرسول الاعظم محمد بن عبد الله وصفا مؤثرا ، وقد رأى نفسه روحا لا جسدا ، ولقد صاغه زبه من نور وراح يسلم على محمد ثم يقول :

« ترى هل يكفي السلام على محمد ؟ هل تشفي نفسي هذه التحيات الطيبات ؟ انا في ظل القبة الخضراء ! انا أمام أعظم انسان ! انا في مكان تلخص فيه تاريخ وأوجزت دنيا ، واختصرت السماوات والنجوم .

انا جار أشرف حجرة ، وأمجد بقعة . يا لله ما أروع اللقاء وما أعظم ما تنعم به نفسي من صفاء وبهاء ! وما أشرق به ضميري من رواء ! وما اتسم به من نقاء . لا .. لست أقنع بالتحية والسلام ! لا بد من مناجاة . هذه ساعة أبيع العمر كله بها : في خاطري يا محمد ما أحب ان اقول لك . الله وحده عليم بما في نفسي ، وقد دعوته في مكة ان يفرج كربتي وان يبدد غمتي ، وان يعفي على محنتي ، ولكنني هنا يشتاق ضميري الى مناجاتك . أجل أبا الزهراء انني أريد ان اتحدث اليك ، ذلك لانني احبك حبا غمر بياني ، وغمر وجداني ، وارتفع لسعته وشموله عن النعوت والصفات ! وهذا الحب يطمعني في حق الدالة ، دالة المناجاة ، فهل تأذن لضميري ان يتكلم؟ وهل تسمح لوجداني ان يبثك ما يعتلج فيه ؟ لست وثنيا يا سيدي وانا أعلم انك انت الذي قضيت على الوثنية . ومع ذلك فهل تأذن لي بعد ان استغفر الله بأن أمرغ وجهي في ترابك ؟ لست وثنيا يا سيدي، وأنا لا اعبد الا الله ، واعلم انك بشر وانك عبده ورسوله ، ومع ذلك فان نفسي تتوق ، بعد ان تستغفر الله ، الى ان تقبل ترابا ضمك وأرضا وقفت عليها ، ومحرابا صليت فيه ، ومنبرا دعوت الله منه ..

لست وثنيا يا محمد ! انني أعبد الله ولا أشرك به وقد هديتني أنت لهذا ، ومع ذلك فانني اريد ان أتحدث اليك وأن أبثك ما في نفسي . هذه عبراتي تنثال غزيرة ولا يد لي في سفكها ، وكل دمعة خطاب . أأكفكف الدمع ؟ والله لست فاعلا ! هذا هو حق العين حين تكتحل بمرقدك يا رسول الله . انه تفاعل بين الفؤاد والعين ، الفؤاد يخفق والعين تترجم . انها كهربائية الرسول الاعظم وهذه دموع اختزنتها منذ زمن بعيد .. انني ادخرتها لساعة النجوى ! » .

وراح « اكرم » يناجي الرسول الحبيب الكريم !

ودونك مثالا من أدبه في المراسلات ، قطعة من رسالة بعث بها الى صديقه اديب الفارسية الاستاذ علي دشتي يتحدث فيها عن كتابه « ديوان شمس » : « وهممت بأن أعب نميره عبا ، ولكنني وجدته وحيقا يترشف ترشفا ، واعترمت التهام هذا القوت الروحي التهاما ، فوجدت ان ادامه الزاكي مما يتذوق على مهل ولا يستطاب على عجل ، فارجأت قراءته رويدا حتى توافر لي في يوم من ايام نوروز روق فكر وصلاح بال ، وسعة وقت ، ونشدت المؤنس الصديق ، والمعلم الرفيق ، فوجدتك أنت . نعم وجدتك وقد سكبت روحك مدادا في سطور .. وتألقت ومضاتك حروفا في كلمات ، وقراتك افكارا نيرة كلما اعدت تلاوتها تذوقت نكهة جديدة .. واذا اراد رهيف حس ان يهيج في نفسه وجد ، ويضطرم شوق نحو العوالم المجهولة التي يقصر دونها العلم والادراك فليرتل « ديوان شمس » فهناك الحب والجمال ، وهناك الوثوب نحو الكمال .

لقد قرأت في زاوية لا أتذكرها ان احدهم اراد ان يرمي خصمه بالجلافة وان يبرهن على انه غير اهل للصدارة ، وغير لائق بالكرامة ، ولا هو جدير بالزعامة فلم ير مثلبة أقذع من قوله : « لقد كان فظا غليظ القلب لا يهتز للشعر ، ولا يطرب بالموسيقى ولا يتذوق الادب ! »

وعلى هذا المذهب صرت ارجو ان يتتلمذ لك كل ناشد صدارة وكرامة ، ورائد وجاهة وزعامة ، فانت في أحاسيسك الرهيفة واحاديثك الطريفة ، في نقدك الرائع ، وبحثك الماتع ، في بيانك العالي وذوقك الرفيع ، مدرسة فذة طوبى لمن اعتمرها ، وأفلح من ارتادها » .

ومن نماذج نثره ما ختم به مقالا له في الدعوة الاتحادية قائلا :

« ان كل رسالة في الدنيا يبدعها الله في فكر العبقري اللهم خيالا ثم ينشئها في سريرته ضياء وجمالا ، ثم يقتحم بها الدنيا ثورة وصيالا ، وان رسالتنا في وحدة العرب ومعركة الثأر لن يسلبها واقعنا المرير الفاجع روعة خيالها ، وفتنة جمالها ، ولا بشائر المقبل

المرجو من كفاحها ونضالها . وستنعم هذه الرسالة من سرائرنا بما يندیها ويعطرها ، ومن دمائنا بما ينورها وينضرها ، وسترف على هذه الجذوة من الالم نفحة الايمان بالله وبالعروبة وبالمستقبل » .

ويكتب اكرم في ذكرى الشهداء (٦ أيار) بعنوان « اشراق قومية » فيقدم للحديث عنهم بقوله : « امة أصيلة صيغت من عنصر الاباء ، ونقلت بكبريائها الارض الى السماء ، وأملت على الدهر ما تشاء » .

ويتحدث عن بطولات في تاريخها ثم يقول : « وكتبت في العلم والفن صفحات نيرات باهرات ، بشرت وأرشدت وهدت ، وعلى سنة رسولها لتتمم مكارم الاخلاق وجدت ، تواصت بالحق وعليه تباعثت . يا لها ديمة سمحاء صافية ، اخصبت لها الارض وربت وأنبتت ، وحيث دقت حوافر خيولها وحيث خفق لها لواء شادت منارة تضيء ومئذنة بالحق تهتف ، وقبة استظل بها ناشد مغفرة من الله ورائد علم وطالب عرفان . ورأى الزمان امة من نور .

ثم قدر للنور ان يخبو ، وللفارس ان يكبو وأعرضت الامة عن سجاياها ، واخذت تفقد مزاياها ، وسنن الاجتماع لا ترحم فتخلى السؤدد عنها وتفرقت فذهبت ريحها ، واذا الرايات تطوى ، واذا الالوية تنكس ، واذا الكتب تحرق ان هي لم تفرق ! واذا بامة النور ، تسبح في الديجور ! كانت تصنع التاريخ ففدت عبرة التاريخ . وماء الكرامة ؟ قد نضب ! وفتاة العرب تسبى ولا معتصم ولا عمورية ولا عرب ! جهل عميم ، وظلم طميم ! عدو يجتاح ، وحمى يستباح ! جباة تغر ، وانوف في الرغام تغبر . ألا يرى العرب ما هم فيه ؟ انهم عمي ، الا يسمعون ؟ انهم بكم . وقلوبهم ما فعل الله بها ؟ انها غلف وعليها أكنة ! » .

وتتسم مقالاته السياسية بالنقاش المنطقي السليم مع الحرارة ، ويذكر قراء « الحياة » تلك المقالات التي كانت تتصدر هذه الجريدة بقلم « الكاتب العربي الكبير » .

واشتهر اكرم بمراثيه التي ودع فيها اخوان الجهاد امثال رياض الصلح وابراهيم هنانو وسعد الله الجابري وجميل مردم وصالح جبر وعادل العظمة وياسين الهاشمي ورشيد رضا وعبد الحميد كرامه وصبحي الخضراء ونجيب الريس وعبد القادر الحسيني وابراهيم ابو دية ودرويش المقدادي .

واني مقتبس مطلع رثائه لجميل مردم وفيه يقول : « احساسي حين ينعى الي مجاهد قديم او سياسي اروع كريم انني اودع بعضا عزيزا من تاريخي القومي ، وانني أطوي صفحة باهرة من امجادي الوطنية .

واذا كانت بيننا آصرة ولاء وعاطفة مودة واخاء وواشجة عقيدة وقرابة جهاد احسست انني اودع بعضا من نفسي ، وكأن نفسي تغادر الدنيا تفاريق !

الا يكن جسدي أصيب فانني قسمته فدفنته اجزاء

وأراني حين يقوم النعي بموت هذا السري الابي أقيم في ضميري مآتم وتجيء المناحات في وجداني تترى . أتمثل فيها طيوف السابقين الاولين ، والاسى النازل يبعث أخاه الدفين .

وقد قال المذياع ان جميل مردم قد مات في القاهرة ، وان جثمانه سينقل الى دمشق تمثل في خاطري « رياض » يقضي في عمان وينقل الى بيروت ليجاوز الاوزاعي ، وعادل العظمة يموت في بيروت ويؤوب جثمانا الى دمشق ، وياسين الهاشمي تعقه بغداد ثم يتخطفه الموت في بيروت ثم ينزل ضيفا على صلاح الدين في تربة الفيحاء » .

ومن رثاء له في رياض الصلح :

« من رأى العاصفة ؟ من رأى الاعصار ؟ من رأى البحر يمور ؟ من رأى البركان الهدار ؟ من رأى سنا البرق يخطف الابصار ؟ من رأى الشعاع يهوي ؟ من رأى الجذوة تقبس النار ؟

من رأى رياض الصلح ؟

من رأى الوجه المشرق الجميل ؟ والمحيا الطلق النبيل ؟

من رأى الرحمة الهاتفة في العبرة الواكفة ؟

من رأى القلب الرقيق والفؤاد الشقيق ؟

من رأى بشاشة الحيي في شجاعة الكمي ؟ من رأى رياض الصلح ؟

من رأى الالمعي الداهية ؟ من رأى البصيرة النفاذة الثاقبة ؟

من رأى البديهة الحاضرة والعارضة الملهمة الساحرة ؟

من رأى الذهن الوقاد والفكر النقاد ؟ من رأى الخاطر الحصيف والهاجس الرهيف ؟ من رأى رياض الصلح ؟

أين أين الذي كان يقري العين جمالا ويمير السمع بيانا ؟

اين الذي كان يرسل النغم الشجي واللحن السري الهني ؟ اين رياض الصلح ؟ » ..

وسمعت بيروت يوم جلا الاجنبي عنها اكرم زعيتر خطيبا في مهرجان الجلاء الذي اقامته النجادة فبدأه بتحية الشهداء قائلا :

« من واجبي في مفتتح القول في مهرجان الجلاء ، ان ارسلها تحية وفاء ، فيها للجميل عرفان ، وللمروءة ولاء ، الى النخبة الكريمة من الشهداء ، رووا يوم الفتح في تشرين ثرى وطنهم بازكي القاني من الدماء ، فترنح هذا الاديم العربي الظامىء ، سكران بالفداء ، ريان بالاباء ، نشوان بالكبرياء !

ومن على ذرى لبنان البيضاء ، ومن رضوان الله وغفرانه ، وهما رياحين السماء ، جمعت فتاة لبنان باقة اصفى من الصفاء ، واندى من الرجاء ، نثرتها في الرمال على قبور القافلة الاولى من شهداء لبنان ، بل شهداء العروبة العرباء من مياه النيل الى مياه دجلة ، ومن قباب صنعاء الى غياض الفيحاء ، ومن برقة الى تونس الخضراء الى الدار البيضاء » .

وسمعته دمشق في مهرجان جلائها يخطب خطابا اتسم بالقوة والحماسة البالغة وقد افتتحه بالاشارة الى كلمة الجنرال غورو على قبر صلاح الدين « اي صلاح الدين لقد جئنا ! » ثم قال « اكرم » :

« ولكن الدهر سمع هاتفا من وراء الغيب يقول : اي صلاح الدين كلا انهم سوف يخرجون ، ثم كلا انهم سوف يخرجون . ان انتصار الباطل الى حين ، انه ربع قرن ، وتقر عينك ويجلو الغاصب عنها وتعود الى اهلها .

وانت ايها الجنرال : لا يغرنك جندك وكثرة اعوانك ، وشدة بأسك وسلطانك ، فان لهذا الوطن ربا يحميه ، وشعبا بالمهج يفديه . هات بعد اليوم بطشا وعسفا ونكالا ، وخذ منا صبرا واباء ونضالا !

هات مدافعك وطائراتك وقنابلك ودباباتك ، هات رصاصك ، واملأ سجونك ، وقتل الناس تقتيلا ، ومثل بهم تمثيلا !

انصب المشانق ودمر البيوت . هات من اغلالك هات ، وخذ منا في سبيل الحق ثورات وثورات ، وخذ منا الكفاح العبقري امثولات ! املك علينا كل أمر ، واقطع كل سبيل . افعل ما تشاء ، وحرم علينا الهواء ، فانت اعجز من أن تحرمنا نعمة الاستشهاد في قتالك ، وبذل الروح في قراعك وسجالك . هات اعتسافات وخذ تضحيات والايام

---

(١) صاحبها ابراهيم الشنطي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ٢٠ نيسان ١٩٣٤ . (٢) صاحبها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ١٦ تموز ١٩٣٣ . (٣) صاحبها منيف الحسيني ، صدر العدد الاول منها بالقدس يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٧ (٤) صاحبها الشيخ عبد الله القلقيلي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ٢ أيلول ١٩٢٥ . (٥) وقع الاضراب الفلسطيني العظيم يوم ٢٠ نيسان ١٩٣٦ . (٦) « ١٨٩٣ ــ ١٩٦٥ » سياسي عراقي ، ولد ببغداد وتلقى علومه بها وتقلد عدة مناصب حكومية ، أسهم في بناء القومية العربية واشتغل بالمحاماة ، عهد اليه بتشكيل الوزارة العراقية عدة مرات وقام بالثورة على الانكليز في ربيع عام ١٩٤١ لكنها فشلت فبارح العراق الى المانيا . (٧) يعني به « القضية الفلسطينية » .

حبي الكبير

أتذكر يوم لقانا الاخير ... وكم يا ترى قد مضى من شهور
قليل المدى في حساب الزمان ... ولكنه في حسابي .. دهور !!
بأيام لقياك يحسب عمري ... وان غبت : كالزهر ، دون العبير
ويا ليتني استطيع الكلام ... مع الناس عن لهفتي والشعور
ولكن أصون هواك بقلبي ... كما يسكن السر طي الصدور
أترجمه كلمات حيارى .. ... وأودعه نغما في السطور
وأحبس دمعي خلف الجفون ... اذا عز حتى لقانا القصير
وأخفي الهوى عنك .. يا ليتني ... أعبر عما طواه الضمير ! !
ولكن عيني تكشف سري ... فتدرك أنك حبي الكبير .

مصر الجديدة — روحية القليني

بيننا ، والدهر دول ، ورأت هذه الديار في ربع قرن من ظلمه ما تشيب ، ولكن عزائمها لم تكن لتشيب ! » .

وقد عرف « اكرم » بارتجاله في المناسبات المؤثرة او الحماسية ، ولا يزال الفلسطينيون يذكرون يوم وقف يؤبن الشهيد عز الدين القسام مرتجلا فيقول :

« بالامس دفنا القسام ودفنا معه العدل البريطاني ، واليوم جئنا نؤبن القسام ونؤبن معه الانصاف الانكليزي !

لماذا تحتشد الحشود ، وتهرع الوفود ، وتقام الحفلات ، وتعقد الاجتماعات ؟

لماذا تخفق القلوب بذكر القسام وصحبه ؟ ولم التمجيد والرثاء والتأبين ؟ الانهم ماتوا ؟ والناس قاطبة يموتون ؟ كلا بل لانهم عرفوا كيف يموتون ، وأي سبيل الى الجنة يسلكون !

ولكن لماذا تهز ميتتهم مشاعر الامة فتزحف الى ايداعهم لحودهم في يوم عنيف عظيم ، ويتداعى الشعب الى حمل نعوشهم على الاعناق ؟

لماذا رأينا الخلائق ترفع ايديها في ذلك اليوم التاريخي الى السماء صائحة : الله اكبر ! ولماذا تنطلق افواه النساء بالزغردة دون النحيب في مأتم الشهداء الخالدين ؟ ولماذا اندفعت حيفا في يومها العجيب اندفاع الاتي المنهمر تكاد قلوب شبانها وفتيانها تثب جمرات تقذف الاعداء ، ومآقي شيوخها تقدح شررا ؟ ذلك لان الامة وجدت في القسام ترجمانا احسن التعبير للفاصب عن شعورها واستيائها . وخاطب العاتي بافصح لغة واكرم بيان . ذلك لان القسام قد مسح عن جبهة الوطن عار الاستسلام وسبة الوقوف على الهوان ، ذلك لانه خاطبهم بلغة فصيحة مفهومة ، نافذة مؤثرة ، فاعز الكرامة العربية وفتح في القضية باب الجد ، ودق بيده المضرجة باب المجد » .

ثم يرد « أكرم » على البلاغ الرسمي الذي وصف عصابة القسام بالاشقياء فيقول فيما يقول : « يقول البلاغ الرسمي انها عصابة أشقياء وتقول الامة الحية كلا . كلا . انهم ابنائي وذوادي ، انهم مهجي وشهدائي . يقول القانون انهم عصابة اشقياء وتقول الامة التي دهتها الرزايا وتوالت عليها المحن والبلايا : ليس القانون من صنع يدي وانما هؤلاء الضحايا الذين دسنعتهم يدي واحتضنتهم اليوم تربتي . عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي ، أما في نظر الشعب العربي فسلوا عنهم الدموع المهراقة ، وسلوا عنهم الزفرات المتصاعدة ، بل سلوا عنهم الزغاريد تنطلق من أفواه النساء ، والهتافات من صميم افئدة الرجال .

عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي وعصبة من الشهداء في سجل القضية . يا صديقي الشهيد عز الدين القسام ! ليتك استطعت اليوم ان تنهض من نعشك لترى كيف رفعتك امتك وصحبك على الاكف والهام ! لقد سمعتك يا صديقي قبل اليوم خطيبا مفوها تتكيء على السيف ومن على المنبر ، وسمعتك اليوم خطيبا تتكيء على الاعناق ولا منبر تقف عليه ، ولكنك والله اليوم أخطب منك حيا . الا ان الاشقياء منا هم الذين سترى عيونهم هذه الامة العربية في فلسطين اقلية ذليلة مهانة . الا ان الاشقياء منا هم الذين يطيقون الذل ويقيمون على الهوان . ينكسون الرؤوس ، ويخفضون الهامات ، أما هؤلاء فشهداء سعداء ولو قال المندوب السامي البريطاني وقال قانونه انهم عصابة اشقياء ! » .

من آثاره القلمية : صنف « اكرم » عدة كتب في القضايا الوطنية والتاريخية والادبية ، ودونك أشهر مؤلفاته :

(١) تاريخنا : طبع عام ١٩٣٥ بالاشتراك مع الاستاذ درويش المقدادي .

(٢) المطالعة العربية « جزءان » : طبع عام ١٩٣٩ بالاشتراك مع الاساتذة : محمد ناصر وعبد الرزاق محيي الدين وعز الدين آل ياسين.

(٣) التاريخ للصفوف الابتدائية : طبع عام ١٩٤٠ بالاشتراك مع الاستاذين علي الشرقي وصدقي حمدي .

(٤) التاريخ الحديث : طبع عام ١٩٤٠ بالاشتراك مع الدكتور مجيد خدوري .

(٥) مهمة في قارة : طبع عام ١٩٥١ .

(٦) رسالة في الاتحاد : طبع عام ١٩٥٤ بالاشتراك مع الاستاذين ساطع الحصري وكامل مروه .

(٧) القضية الفلسطينية : طبع عام ١٩٥٦ ونقله الدكتور موسى خوري الى الانكليزية عام ١٩٥٨ كما نقله اكبر هاشمي الى الفارسية عام ١٩٦٥ وترجمه الدكتور شمس الى اللغة الاردية .

وقد علمت ان الاستاذ زعيتر يعد العدة لاخراج الكتب التالية :

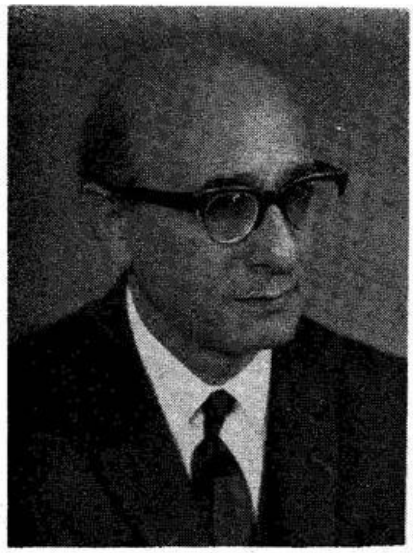
(١) المفصل في القضية الفلسطينية .

(٢) ذكريات في الحركة الوطنية .

(٣) دراسات عن جمال الدين الافغاني .

(٤) في السياسة والادب « مجموعة مقالاته » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



محمد اديب العامري

برتراند رسل فيلسوف العصر

بقلم محمد اديب العامري

* * *

نزعات رسل الاساسية

صدر خلال الربع الاول من هذه السنة (١٩٦٧) الجزء الاول من كتاب الترجمة الذاتية للفيلسوف الانجليزي برتراند رسل . ويقع هذا الجزء في ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير . وستتم هذه الترجمة في جزء ثان يعقب الجزء الاول عما قريب .

وقد تناولت الصحف والاذاعات الكتاب قبل وصوله واحدث صدوره اصداء واسعة كالتي ننتظر لهذا الفيلسوف الشهير ، الذي بلغ الرابعة والتسعين من عمره ، والذي الف ما يقارب من خمسين كتابا . وقد ذكر أن دار النشر التي اصدرت الكتاب « ألين وأنوين » قد دفعت لرسل ٧٢ الف دينار على الحساب ، لقاء نشره في اميركا فقط ، وذلك انتظارا لانتشار الكتاب على أوسع نطاق . وقد منعت دار النشر هذه منذ البداية أي تصرف بحق التأليف ، الا ضمن الحدود الضيقة التي يسمح بها اتفاق بيرن لحقوق التأليف والنشر . ويزيد ثمن الجزء الاول من الكتاب قليلا على جنيهين .

ويعتبر برتراند رسل من أعاظم فلاسفة العصر ، ان لم يكن اعظمهم على الاطلاق . ومهما يكن من أمر فقد مزج هذا الفيلسوف بين العلم والفلسفة والسياسة على شكل اشركه في التيارات العالمية الرئيسية اشراكا اكسبه شهرته الواسعة على مدى السنين الطويلة التي عاشها . . لقد ولد سنة ١٨٧٢ وما يزال نشيطا الى الان ، مدة تقرب من قرن ، ونبغ في العقود المبكرة من حياته فعاش عمرا منتجا لا يزال انتاجه يغذي عقول البشر النابهة الى يومهم هذا . ولمشاركة رسل في الحياة السياسية غير الحزبية في بلاده وفي العالم كله أثر كبير في اتساع الشهرة التي يتمتع بها في الاوساط العالمية المختلفة .

ويضرب رسل بسهم وافر في معظم ميادين المعرفة ، وهو يمتاز بعقل ناقد وتفكير مثير يحمل القاريء على اعمال ذهنه . وله حافظة قوية تدل عليها الحقائق الغزيرة التي يعرضها في كتبه العديدة وابحاثه المتنوعة . ومع أنه متشعب الفكر والمعرفة فانك تستطيع ان تجمله في حقول ثلاث ، هي الرياضيات والفلسفة والسياسة .

وبعض عناوين الكتب التي اصدرها تشير الى تشعب ميادين المعرفة التي يضرب فيها . فهناك كتابه عن « مباديء الرياضيات » ، وهو من أول الكتب التي اصدرها ، وهناك كتابه عن « النسبية » وكتبه عن « المادة » و « الكون المتغير » و « القوة » و « النظرة العلمية » و « الحرب الذرية » و « مباديء الاصلاح الاجتماعي » و « نظرية الشيوعية وتطبيقها » . وهناك ايضا قصصه القصيرة « الشيطان في الضواحي » . . . الخ .

فاذا بحثت عن النزعات الاساسية التي حركته في حياته فليس أصح لنا من نقل ما قاله هو عن نفسه : « لقد سيطرت على حياتي نوازع بسيطة ، ولكنها عميقة طاغية ، وهي التعطش الى الحب ، والبحث عن المعرفة والاحساس بآلام البشرية » .

فاذا التمسنا هذا في الكتاب الذي بين ايدينا عن حياته وجدناه مرسوما كله رسما مجسما بقلمه السيال ، كما اشرنا . غير ان هذه النواحي تحتاج الى توسيع وتفصيل ، مجاله ولا شك هو الجزء الثاني من سيرته . ويتحدث الكتاب عن السنوات الاربعين الاولى من عمره ، التي تنتهي ببداية الحرب العالمية الاولى ، فيتناول طفولته ويفاعه ودراسته وخطبته وزواجه ، ثم صدور كتابه الهام في « مباديء الفلسفة » .

رسل والمرأة والحب

وهو يفتح سيرة حياته بمقطوعة شعرية مؤثرة يقول فيها بخطه المرتعش ، مخاطبا زوجته أديث :

بحثت عن الطمأنينة والسلام خلال السنين الطويلة ،
فلم أجد الا الذهول والارهاق والجنون والوحدة .
أجل وجدت الالم الفريد الذي ينهش القلب ،
لكني لم أجد الطمأنينة والسلام .
والان ، وقد هرمت واقتربت نهايتي ،
عرفتك ، فوجدت السعادة والهدوء والراحة ،
وبعد العديد من سنوات الوحدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفت ما يمكن أن تكون عليه الحياة والمحبة ،
فاذا ما نمت الان ،
فاني أنام وقد رويت نفسي وامتلأت .

وكانت زوجته هذه هي الرابعة من زوجاته ، فقد تزوج ثلاث نساء من قبل وطلقهن ، أو طلقنه واحدة بعد الاخرى ، الى ان كانت سنة ١٩٥٢ ، أي منذ اربع عشرة سنة ، فتزوج أديث ، وكان عمره اذ ذاك كما ترى ثمانين عاما ، فاطمأنت اليها نفسه وهدأ خاطره . أما زوجته الاولى فكانت اميركية ، وكان قد تزوج منها سنة ١٨٩٤ ، أي عندما كان عمره ٢٢ سنة ، دون ان يمس امرأة من قبل . وكانت جميلة بارعة الجمال ، رزينة مثقفة . وقد أحبها من اللقاء الاول وتزوجها على الرغم من اهله ، واتفقا على عدم انجاب الاطفال . على أنه تبين فيما بعد انها عاقر . وفجأة أحس أنه لا يحبها . ومع أنه عاش معها زمنا بعد هذا الاحساس فانه لم يقترب منها الى يوم طلاقها . وهو يعلل ذلك بكره منه لشططها في ادعاء الفضيلة حتى تخيل الامر عندها كالنفاق . وكانت تصرفاتها مؤذية للناس ، وان كان ذلك عن غير قصد منها . ودفعها هذا الخلق الى الكذب . وكانت شديدة الاعجاب بأمها ، حين كان رسل يرى عيوبا جسيمة فيها ، ولذا لم يطق صبرا على مشايعة زوجته لأمها ، فانتهى الحب الذي دام سنوات عديدة لم يجد خلالها ما يعيبه على امرأته . وانتهى ذلك الزواج على الرغم من النصح الذي وجه اليه بأن اصحاب الخلق العالي لا يظهرون الناس على عيوبهم العائلية ، لكن رسل قال : « لقد آمنت آنئذ بأن المرء يجب أن لا يخرج على الصدق حتى في علاقاته الخاصة ، وشق علي التظاهر بالحب لامرأتي بعد أن ذهب حبها من قلبي . وفي سنة ١٩٢١ تزوج مرة ثانية . واستمر هذا الزواج اربع عشرة سنة ، ثم تزوج في السنة التالية زوجته الثالثة التي شاركته الانتاج في احد كتبه ، ومع ذلك فقد طلقها ، حتى استكان في سن الثمانين الى زوجته الرابعة التي قال فيها مقطوعته الشعرية التي ترجمناها له في مطلع هذا المقال .

وكان رسل يؤمن بزواج الصحبة ، ولقد بشر بهذا النوع من الرباط الزوجي مدة من الزمن هو واتباع له حتى رأى بعينيه اخفاق فكرته . وكان معجبا بالعلاقة الحرة للزواج الناجح الذي رآه في سدني وبياتريس وب ، رائدي الحركة الفابية في بريطانيا في مطلع هذا القرن . وكان يروقه أن يعيد كلمة لسدني وب في علاقة الزواج التي حيرت رسل ، اذ كان يقول : « ان الزواج هو سلة المهملات الخاصة بالعواطف » .

ولا يتردد رسل فيما يطالعك به من تاريخ حياته في التحدث عن علاقاته الجنسية قبل الزواج وبعده . وسيرته من هذه الناحية شبيهة بسيرته كلها من حيث الاعتدال والتقشف ، فقد تزوج دون أن تكون له سابقة في العلاقة الجنسية ، الا من قبلة لخادمة في بيته . وبعد زواجه الاول تعرف الى زوجة صديق كبير له هي السيدة اوتولين . وكان قد أحب فيها براعتها في تنظيم البيت الذي تعيش فيه وابداعها الفني في تنسيقه . قال رسل : « لقد أحببت دائما في حياتي الاشياء الجميلة ، ولكني لم اقدر على توفيرها لنفسي . أما جو البيت الذي تقيم فيه اوتولين فقد غذى نفسي بما كانت تتوق اليه طوال عهدي بالزواج الاول . كنت اذا دخلت بيتها شعرت بالراحة تغمرني وتنسيني العناء الممض للعالم الخارجي » . واتصل بها ، وأعلم زوجته بذلك ، على الرغم مما تعرض له من خطر الموت . وفي سنة ١٩١٦ انقطع عن علاقته بها . ويتحدث رسل في الكتاب عن علاقته بنساء أخريات ، ولكن حسبنا ما تحدثنا عنه من هذا الجانب من حياة الرجل .

على أن المحبة جملة هي التي شغلت رسل في حياته ، ولم يكن الحب الجنسي الا جانبا منها . ومع أنه لم يهتم بالاطفال في صغره ، فانه لم يشب عن الطوق حتى دخل حب الاطفال الى قلبه بصورة لافتة للنظر . ولعل حرمانه من الاطفال في زواجه الاول أدى به الى ذلك . وقد كتب وهو في سن الاربعين فقال : « سيطر علي حب الاطفال الى حد اني لم أكن ارى طفلا يلعب في الشارع الا اصابني ما يشبه الالم الممض الذي لا يحتمل » . ودافع راسل عن حقوق المرأة منذ مطلع حياته واستمر في طلب النصفة لها طوال عمره . وكذلك فعل ازاء قضايا العمال والامم المستضعفة . وتوجه لمعارضة الحرب في بلاده منذ الحرب العالمية الاولى ، وجاهر بذلك حتى زج به في السجن . وكرر موقفه هذا في الحرب العالمية الثانية ، على الرغم من كراهيته للنازية ، وها هو اليوم يرى الوقوف ضد الحرب في فيتنام .

والواقع ان مطالعتك لكتاب رسل تريك كيف رضع لبان المحبة منذ نعومة اظفاره وعاش طفولة سعيدة . ومع أنه يشير الى ان تربيته قد عهد بها الى مربيات اجنبيات فانك لا تخطيء اثر حب جدته في غرس بذور المحبة في نفسه ، تلك المحبة التي ظمىء بها طوال عمره ، والتي غمر بها العالم والناس من حوله ، وقال مبكرا في هذا الصدد على الرغم من صلف عائلته الارستقراطية وعنجهيتها . « لقد بدا لي واضحا أن سعادة البشرية يجب أن تكون غاية كل عمل ، وكان من دواعي عجبي أن القى اناسا يفكرون غير هذا التفكير » .

رسل والبحث عن المعرفة

اما البحث عن المعرفة فقد أدى برسل الى أن يعتبره كثيرون فيلسوف هذا العصر في العالم كله ، وهو يدلك في ترجمته على الجذور الاولى لهذه النزعة ـ حب المعرفة ، فقد تناول ذهنه كما أشرنا أكثر جوانب المعرفة . فهو

رياضي وفيلسوف وعالم ومعلم وسياسي وكاتب ذو أسلوب خاص . وقد حاز على جائزة نوبل في الآداب . وظهر ميله الى الشعر مبكرا ، وقرأ وهو في السادسة عشرة والسابعة عشرة من عمره شعر بايرون وميلتون وشكسبير وتنيسون وشيلي . وصاحب رغبته في قراءة الشعر رغبة اخرى ملحة في الاطلاع على أصول الدين والفلسفة . ولقد كون بنفسه آراء أصيلة عن المادة والحركة والجسم الانساني ، ولكنه لم يؤمن بالمادية ، وظل في الغالب نزاعا الي الاعتقاد بوجود قوة روحية عليا . وقد بدا في تكوين افكاره هذه منذ الخامسة عشرة ، وتدل سيرة حياته على أنه بدأ بتدوين آرائه في مذكرات منتظمة وهو في هذه السن او قبلها . وطفى منذ ذلك الوقت على نفسه التفكير بأن ينتج شيئا هاما في الرياضيات ، ونجد في مذكراته لتلك السن قوله : « لا أجرؤ على أن أخبر اهلي بأن ايماني باليوم الآخر ضعيف » ، ومع ذلك فقد عزا في هذه المذكرات وجود القوى الطبيعية والمادية الى وجود الله . وقد دون في مذكراته وهو في هذه السن المبكرة أنه يعاهد نفسه على تحكيم العقل ، لا الغريزة ، وعلى ابتغاء السعادة لاكبر عدد من الناس ، وعلى البحث عن الحق مهما كانت النتائج . ومع ذلك فهو يقول : « لقد حطم البحث عن الحق معظم معتقداتي .. ولا أظنني الآن أسعد حالا من ذي قبل ، والحق يباعد بيني وبين الاصدقاء ، ولا يمكنني من تكوين صداقات جديدة . ولعل اتباع الحق نوع من الاستشهاد ، فان ما يصيبك من الاذى في سبيل الحق يعود بالخير على كثير من الناس الآخرين » ..

واذا عدنا مرة اخرى نتقصى جوانب المعرفة عند رسل فيما كتب وجدنا أن كتاباته تناولت العلم والمجتمع ، والفرد والحقيقة والخيال ، والزواج والاخلاق ، ومستقبل البشرية والحضارة الصناعية والحرية والنظام حتى ومشاكل الصين . وتدل على ذلك مؤلفاته في هذه المواضيع ومؤلفاته الاخرى التي أشرنا اليها قبلا .

ومع أن بعض المفكرين يرى أن توزع رسل على فروع المعرفة المتنوعة هذه قد كان على حساب تعمقه في نواح محدودة ، فمما لا شك فيه أن حدة ذكائه وقدرة استيعابه قد رفعته الى سوية عالية يظل فيها علما كبيرا من اعلام الفلسفة والعلم في هذا العصر ، وبخاصة في طريقته المنطقية وتقريبه الفلسفة من العلم ، كما سيتضح لنا فيما بعد ..

وقد حاول رسل من خلال معرفته الموسوعية ان يضع نظاما فلسفيا للمجتمع البشري ، فكتب كتابه « القوة » الذي يعتبره بعضهم الفلسفة الحقيقية لرسل . وقد وصف كتابه هذا بأنه « تحليل اجتماعي جديد » . ويرى في هذا الكتاب أن القوانين التي تسير المجتمع وتطوره ليست وسائل الانتاج ودوافع القوى المادية التي يشير اليها ماركس ، وليست الدوافع العقلية السلوكية التي فكر فيها الاقتصاديون التقليديون من قبل ، وانما هي (القوة) جملة ، بما في ذلك القوى المادية والعقلية على السواء . فالناس عند رسل يطلبون الرزق الكفاف أولا ، فاذا حصلوا على قدر كاف منه اندفعوا بعدئذ الى السيطرة على القوة لا على الثروة . وكما ان الطاقة هي العامل الاساسي في حركة المادة فان القوة هي المحرك الاساسي للمجتمعات البشرية .

وعندي ان فلسفة رسل هذه في مذهب القوة هي المستقر الحقيقي الذي رست عليه محاولاته الواسعة في البحث عن المعرفة وحقائق الكون .

اصول فلسفة رسل وسياسته

فاذا جئنا الى موضوع الفلسفة ، وهو الموضوع الذي ترتكز اليه شهرة برتراند رسل ، فان علينا فيما يبدو أن ننتظر الجزء الثاني من سيرته . ان الجزء الذي بين ايدينا يحتوي على فصل واحد في الموضوع ، وهو الفصل الذي يتحدث عن « المباديء الرياضية » . وهو الكتاب الضخم الذي كتبه مع الفيلسوف البريطاني وايتهد . ومع أن هذا الفصل طويل فان رسل لا يتحدث فيه كثيرا عن فلسفته ، بل يدخل في كيفية كتابته لمؤلفه الخاص « مباديء الرياضيات » . ويخرج منه ليتحدث عن طباع وايتهد ومشاكله (مشاكل رسل) الزوجية ، وقضية الحرب وحقوق المرأة ، ثم يعقب على ذلك بعديد من الرسائل التي تبادلها مع جلبرت موري ولوسي دونيلي وجورج تريفليان وغيرهم . على انه يوضح أن انقطاعه لكتابه « مباديء الرياضيات » وتفكيره ليلا ونهارا في جلاء المباديء الرياضية وتوضيحها بعد أن كانت غامضة ، ووضعها في قوانين رياضية دقيقة يعتبر قمة عمله وانتاجه طوال حياته . وكان ذلك خلال ايلول سنة ١٩٠٠ ، وهو في سن الثامنة والعشرين . وعندما تبلورت لديه هذه المباديء قعد فكتب كتابه الخاص « مباديء الرياضيات » الذي تألف من نحو ٢٠٠ الف كلمة . وكان ذلك في نهاية القرن التاسع عشر كما رأينا . وقد اشتهر بعد ان اخرج كتابه هذا وتعرض للنقد والمشاكل . ووصف ذلك حرفيا بقوله : « بعد زواجي اصبحت حياتي العاطفية سطحية هادئة ، ونسيت القضايا الرئيسية واكتفيت بمظاهر البراعة العابرة . وفجأت مادت الارض تحت قدمي فوجدتني في عالم آخر . وفي دقائق خمس عبرت بي الافكار التالية : « ان شعور الوحدة الذي تحس به النفس البشرية لا يحتمل ، ولا يستطيع اقتحام هذا الشعور الا الحب ، الحب في اعلى معارجه ، مثل الحب الذي يبشر به رجال الدين . وينتج عن ذلك ان الحرب عمل خاطيء ، وان نظم التعليم في المدارس الخاصة شيء قبيح ، وان الناس يجب ان يقلعوا عن استعمال القوة وان المرء يجب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان يتوغل في العلاقات البشرية الى صميم الشعور بالوحدة عند الناس ، وان يخاطب ذلك الشعور نفسه » .

وقال رسل : بعد نهاية تلك الدقائق الخمس اصبحت رجلا آخر مختلفا جدا . فبعد ان كنت استعماريا اصبحت من خلال هذه الدقائق الخمس مسالما ، ومشايعا للبوير ، ووجدت نفسي ممتلئة بالشعور بالجمال وبحب الاطفال ، ونشأت في الرغبة العارمة في البحث عن فلسفة تجعل حياة البشر محتملة . ولازمني شيء مما هبط علي خلال هذه الدقائق بقية عمري كله ، وهو سبب موقفي ضد الحرب العالمية الاولى وسبب محبتي للاطفال وعدم اهتمامي بالمشاكل الصغرى وميلي الى النزعة العاطفية في علاقاتي مع الناس » .

ومع أن هذا هو لباب شخصية رسل ، فانه لا يوضح في الكتاب فلسفته . انه يمر مرورا عابرا جدا بفكرته الرئيسية في المنطق ، وتحديد التعابير الفلسفية ، ونظرية الاوصاف ، ولكنه يفرض ان القارىء لا يهمه تفهم المعاني الكامنة وراء هذه النظريات ، أو أنه يعرفها ، فلا يجد حاجة للخوض فيها . وحقا ما يفعل ، فليس المجال مجال شرح للفلسفة ، ولكنه مجال سيرته وحياته .

وفي الحق انك تقرأ فلسفة برتراند رسل وكأنك لا تقرأ « فلسفة » ، ولعلك تطالع علمه كذلك ولا تحس بتجريد الابحاث العلمية ، وتمضي معه في « سياسته » فلا تجد أنك على مستقر نهائي يفضي بك الى حل واضح لمشاكل العالم . وعندي ان رسل له فلسفة ولكن ليس له « نظام فلسفي كامل » . ومع ذلك فقد بدا له مؤخرا على يد احد تلاميذه ان الاساس في فلسفته قد تعرض للتعديل ، كما سيتضح لنا الان .

رسل والفلسفة العلمية

بل الامر على العكس ، فان نتيجة ما جاء به هو وبعض من تلاميذه وزملائه يكاد يؤدي الى نسف الفلسفة بتقريبها من العلم او دمجها فيه . فاذا أمعن المفكرون بعده في الاسلوب المنطقي الذي جاء به ، وبخاصة تلميذه النمساوي فيتجنشتاين ، فربما انتهى ذلك الى أن تتخذ الفلسفة اسلوب العلم ، او الطريقة العلمية ، فتتوارى جزئيا او كليا عن ميادين المعرفة .

ان أهم ما جاء به رسل في الفلسفة هو « الاسلوب المنطقي » الخاص به . ويرتكز هذا الاسلوب الى استعمال المنطق في فهم التعابير اللغوية التي تصاغ بها القضايا الفلسفية ، دون الاعتماد في ذلك على المعاني اللغوية للألفاظ والعبارات وحدها . ان المفهوم اللغوي فقط لا يكفي غالبا عنده للاحاطة بالمعنى الكامل للقضية الفلسفية . فاذا قلت مثلا « اني اكتب لمجلة الاديب » وجب التحوط لمعنى منطقي وراء هذه الالفاظ اللغوية ، وهو امكان اني قد اكتب لمجلة اخرى .

وكما ان المادة تتكون من ذرات متنوعة هي أساس تركيب المادة ، فان هنالك جزئيات هي « الوقائع » التي يصفها رسل بـ « الوقائع الذرية » في القضايا الفلسفية . والمثل السابق يتألف من وقائع « الكتابة » و « المجلة » و « الاديب » . أما عدم الاعتماد على الالفاظ وحدها وضرورة ربط النتائج المنطقية بها فهو اسلوب « المنطقية الذرية » ، وهو حجر الزاوية في أسلوبه المنطقي .

ولقد تعرضت فلسفة رسل لقضايا اخرى في الرياضيات والمادة والعقل وغيرها ، ولكن الشيء الاساسي في فلسفته هو الاسلوب المنطقي الذي اشرنا اليه . وقاعدة فلسفة رسل هي « الفلسفة التجريبية » التي تقرب بطبيعتها الفلسفة من العلم . فرسل ورفاقه يريدون ان تكون للاوصاف والقضايا الفلسفية جذور في الواقع . والواقع عندهم يجب ان يوصف بدقة ، لغويا ومنطقيا .

وقد نشأت فلسفة رسل كرد فعل للاسلوب الغيبي الذي كان متبعا في الوصول الى القضايا الفلسفية وما يزال الى الان ، لكن بدرجة اقل . فقد عاين رسل كما هو معلوم ان الفلسفة التقليدية ترتكز الى الفاظ وعبارات ومعاني يفهمها في الغالب الفيلسوف الذي استعملها ، وحده ، وان هذه الالفاظ والعبارات والمعاني نابعة بصورة ذاتية من تفكير الفيلسوف ، دون دليل حسي أو برهان عملي ، وانما الامر جدل لفظي فكري يعتمد فيه صاحبه على الطريقة الغيبية التي لا رابط لها ولا ضابط ، ويستطيع الفيلسوف ان يذهب بها كل مذهب . ولذا اتسمت الفلسفة دائما بالغموض وقدرة قليل جدا من المفكرين على « فهمها » .

اما فلسفة رسل فتقوم على وصف الوقائع وصفا واضحا بحسب التعبير اللغوي ، ومنطقيا من حيث المعنى الكلي . بعد هذا تتكون القضية الفلسفية على نحو ما يتكون المذهب العلمي من مجموعة الحقائق التي يجمعها العالم ويصنفها ويقيم مذهبه على أساسها . ومن هنا تصبح طريقة رسل في تأليف القضايا الفلسفية أشبه بالطريقة العلمية في تأليف المذاهب والقوانين العلمية . وبقدر من ذلك يقترب المنطق الفلسفي من الاسلوب العلمي وتقترب الفلسفة من العلم . ومن هنا يظن بعض المفكرين أن مستقبل الفلسفة هو الاندماج في العلم . وهذه النزعة في فلسفة رسل وزملائه هي التي يعبر عنها احيانا بـ « الفلسفة العلمية » .

واضح من ذلك كله أن فلسفته ليست مثالية مثل فلسفات اكثر الفلاسفة التقليديين الذين عرفناهم ، ولا مادية مثل فلسفة ماركس ومن تبعه ، وانما هي تجريبية كما قلنا ، واقعية تتخذ لنفسها اسلوب التحقيق ، وهو أسلوب شبيه بالاسلوب العلمي . بل ان قضية الاستنباط المنطقي هذه التي يلح عليها رسل تكاد ان تكون شكلا من أشكال الاسلوب التقليدي الغيبي . ولعل رسل قد لاحظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جراح

نفى النوم عن عيني هم تأوبا ... ودهر بما لا أشتهي قد تقلبا
رماني فأبلى بالسهام حشاشتي ... وخلى جراحي باديات وغيبا
وجرح بعيد الفور ما زال نازفا ... أكابد منه ضيعة المال والصبا
ودينا أبيت الليل منه مسهدا ... حزينا وأمشي في النهار مقطبا
كأن الجبال الراسيات جميعها ... على كبدي منه وان لحت طيبا
اذا ما رأيت الدائنين فجاءة ... حثثت خطاي الخرس منهم لأهربا
وحدت الى يمنى ويسرى فأسرعوا ... ورائي كما حاش السلوقي أرنبا
أنام على هم وأصبح جازعا ... وأقضي نهاري خائفا مترقبا
فيا لك من عيش أكابد مره ... أرى الموت احلى منه وردا واعذبا
وما ملكت كفاي شيئا فافتدى ... ديوني به الا سريرا ومشجبا
وديوان شعر لم جد فيه راغبا ... سكبت به حبي وقلبي المعذبا
وشيب علا رأسي ادمت خضابه ... ليكتم عند الغيد سري المحجبا
اذا نصلت اطرافه خلت أنها ... أفاعي رمال أوشكت ان توثبا
وفي النفس حاجات الى الغيد جمة ... وفي الجسم جمر لم يزل متلهبا
ويمنعني منهن لا عفة التقى ... ولا خوف عذالي ولا الرأس أشيبا
ولكن فقرا مدقعا حل ساحتي ... يغل يدي من ان تنال المحببا
يعارضني من حيث ما رمت نجوة ... وأجرى ولكن لا أرى منه مهربا
وكم مر طفل من أمامي فشاقني ... وأغرى دموع العين ان لم اكن أبا
أحن الى الاطفال حين أراهم ... حنين الصبا الولهى اذا هبت الصبا
وما كان حرماني لداء اصابني ... وان زعمتني ربة الذنب مذنبا
ولكنها تخشى المصاب بضرة ... فتوسعني لوما لتبلغ ماربا
ولست بباغ ضرها بعد صحبة ... ولست عليها ما حييت معقبا
وما قصرت كفاي عن طب ما بها ... ولكن سن اليأس تابى التطببا
ولو ان لي طفلا على الشيب واحدا ... لكان لنفسي في دجى الخطب كوكبا
أرى فيه ريحاني وروحي وراحتي ... وبهجة احلامي وظلي المحببا
أفيء عليه من حناني سحابة ... وأمطره من رحمة القلب صيبا
ولكنها الاقدار تحرم شاعرا ... وترزق يربوعا وذئبا وثعلبا

حلب — عمر ابو قوس

فيما بعد هذه البقية الغيبية للاسلوب المنطقي ، فأخذ يشكك في قيمتها . وقد تخلص من هذا فيتجنشتاين فاعتبر أن أساس الغموض والفوضى في الفلسفة هو عدم التزام التحديد المتعارف عليه في الالفاظ والعبارات . ان اللغة وحدها عنده لا تقصر عن ابراز المعاني ، ويجب الاكتفاء بما تبرزه اللغة ، دون ملء « الفراغ » بالمعنى المنطقي على طريقة رسل .

أما فلسفته في الرياضيات التي توصل اليها عند نهاية القرن التاسع عشر ، وأشار اليها في ترجمة حياته بانها قمة عمله وانتاجه طوال عمره ، فهي مرتبطة باسلوبه المنطقي ، وقد لخصها الاستاذ نيل بان الرياضيات البحتة يمكن استنباطها كلها من عدد قليل من البديهيات المنطقية. وقد بلغ في هذه الفلسفة حدا استطاع معه ان يعود القهقرى الى المباديء الرياضية الاولية ، وصعدا الى المباديء المعقدة ، على أساس معادلة « بديهية التحويل » التي وضعها . ولكن هذه المعادلة لم تحز القبول لدى اكثر الرياضيين والفلاسفة . .

بذلك يكون رسل قد عاين تداعي الجوهر الاساسي في فلسفته قبل انقضاء عمره ، لكن أثره العميق في زعزعة الاسلوب الغيبي وتقريب الفلسفة من العلم اثر تاريخي خالد لا يمحى .

عمان ــ الاردن — محمد اديب العامري

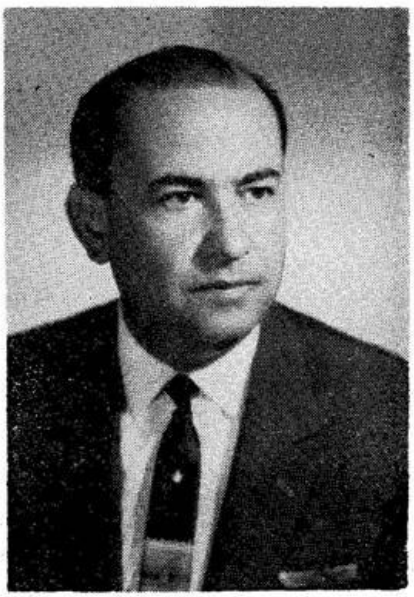
ذكريـــات

•

فـــؤاد الخشـــن

•

المطر الغزير المفاجيء



أنا ما زلت باشراق خيالي استعيد
سهرات الامس في بيت ((سعيد))
وحكايا يجتليها من مغارات الزمان
بمرايا تبغه عبر الدخان ! ..
في حنايا عالم ما راودت
ارضه العذراء رؤيا سندباد
كان يرويها مجيلا في الزوايا ناظريه
واذا ما خيم الغيم النعاسي عليه
طمر الباقي باكداس الرماد
لغد يلهبنا الشوق الطفولي اليه
انا ما زلت مع الذكرى اعود
لزقاق عرف القمصان والركض وتقطيع ((السنادل))
عبث الامس وتكريج الدواليب ... وما
كان من سماقة يرسله
مطرا للخصب ((عادل)) !
صوته حين يغازل
حلوة الحي .. يغني
في الدهاليز فلا يبقي بها
أي طيف او صدى من صوت انسي وجن ..
أنا ما زلت ارى في لهب الظهر ((رفيق))
حينما يرخم في خم الدجاج
((قرقة)) تتقن حضن البيض تفقيس الفراخ
ثم يجري حاملا في ثوبه
لوحـة رائعة ترسمهـا
برموز اللون افراخ الشقيق !
ولكم اذكره في ذعره
حينما تبدو على الافق تباشير المطر
تزحف الغيمات في غاباتنا فوق الشجر
فأصيح :
ـ اقبل ((المازوخ)) * أسرع يا ((رفيق))
قبل ان يغرز في رأسك انياب الفحيح
ثم اهوي غارزا في شعره
من خبايا جدتي مشطا عتيق
وهو يمضي صارخا وع وع ..
والاوداج نبض وانتفـاخ
نافضا عن رأسه ((المازوخ)) .. يكبو في الحفر !
تاركا في جريه عبر السياج
من بقايا توبه الدامي اثر !
ليت ذاك الامس يا ((عادل))
في ارض ((الشويفات)) يعود
لنعيد الفرح المدفون في الاعراق نمضي و ((رفيق))
خلف ما يفرض عرف .. وحدود
نوقظ الاصداء .. نغزو في لياليها الكروم
ليس ندري ما ضباب الغم .. ما ثلج الهموم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ناولني الابريق .

(أسرعي ! ما أثقل حركتك !) .

ـ ماذا تريدين ؟

(أراحنا الله منك ! ما اكثر طلباتك) .

ـ الابريق ! الابريق ! الا تسمعين ؟

(ان رأسك محشو بالعناد ، ولا يروضك الا الضرب بالعصا) .

هذا مشهد من كثير من المشاهد التي تؤلف منها حياتهما اليومية . فردوس وانصاف . فردوس زوجة سعيد ، وانصاف ابنة زوجها .

الدار واسعة مؤلفة من ست غرف وتطل على حديقة غناء يخيم الهدوء على اشجارها وينبعث التغريد الحلو من أطيارها . لون أخضر يؤلف سقفا من الاوراق ممتدا على الجذوع والاغصان والفروع . وعيون متفتحة من الازهار تبث عبيرا شذيا حولها . وطيور قافزة لاعبة مترنمة . هناك فنان جميلان ، الرسم والغناء ، يمتعان النظر والاذن . وهناك طيب يمتع الانف .

(الدار ضيقة ، فقد ملئت بصياح فردوس وابنة زوجها انصاف . مشاجرة وسباب وصياح . عبوس وبغض ونفور . ليس في تلك الدار الواسعة مكان للمحبة والانس والسلام . وليس فيها عيون متفرغة للنظر الى خضرة الحديقة ، وآذان للاستماع الى تغريد الطيور ، وأنوف لشم عبير الازهار) .

ما أجمل فردوس ! وجهها جذاب فاتن الملامح، وصوتها عذب، وحديثها حلو . مشرقة ببياضها وغضة باهابها ، ولكن ليس في الدار من يقدر هذه الالوان من الجمال . حينما يعود زوجها سعيد الى الدار تترعرع وتنتعش تحت نظراته المعجبة ومن حديثه الطلي . ولكن زوجها الشيخ لا يعود الى الدار الا في آخر النهار . أما خلال النهار فان الانسان الوحيد الذي ترغم على ملازمته هو ابنة زوجها انصاف .

ما أرشق قوام انصاف ! انها بفستانها الابيض الانيق شبيهة بزنبقة متفتحة منحنية على ساقها ومبتهجة بفتحتها الى الارض . هي وحيدة وان كان لها أب وزوجة أب ، ومنقبضة الصدر وان كانت متفتحة الشباب . انها في حاجة الى زوج يضمها الى صدره ويقول لها : « حبيبتي » ، ولكنها لا ترى احدا اثناء النهار سوى فردوس زوجة أبيها .

ـ اما أنا أو أنت . سأطلع والدك على ما جرى بيننا . سأطلعه على كل شيء .

(سأنبئه بأن الحياة معك لا تطاق . فاما ان اخرج انا من الدار او تخرجين أنت منها).

ـ لست ادري كيف تزوجك أبي . انك لست جديرة به .

(رحم الله أمي ! لقد كان يعبدها حبا ويؤثرها على جميع النساء) .

ـ ان والدك معجب بي . انه يحبني وأنا أحبه .

(ما دخولك بيننا أيتها المفسدة الثرثارة ؟)

ـ كلا . كلا . ان المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته هي أمي ، رحمها الله ! أين امي اللبقة الذكية الدمثة الاخلاق من امرأة مجردة من هذه المزايا ؟

(لو انني في مكان ابي لركلتك برجلي) .

ـ اغلقي فمك ايتها الوقحة الحمقاء ! لو ان اباك لا يحبني لما رضي ان اعايشه وأقيم معه في هذه الدار .

(انك طفلة لا تفهمين في هذه الامور) .

(اصوات من الداخل : انقذوني من هذه المرأة الملعونة . هل هذا جمال ؟ هذا سم يقطر من زهرة جميلة . انا لا استطيع أن أعيش مع زوجة ابي . انها تبغضني . انها تستبد بي ، حتى متى الحياة معها ؟)

(منظر في الداخل : تهجم انصاف على

ضغط وحب ومخرج

بقلم عبد الحميد الانشاصي

زوجة ابيها ، وتمسك بشعر رأسها ثم تجذبها اليها في قوة وسرعة ، فتسقط على الارض ، وتلقي انصاف نفسها عليها صافعة ضاربة).

(اصوات من الداخل : أنا لا أطيق الحياة مع هذه الفتاة الطائشة العنيدة . انها تبغضني وتغار مني . لا شك انها تحسدني على الحياة السعيدة التي أحياها مع أبيها . أريد ان يضربها ابوها أمامي على مرأى مني . ليتني أقوى على ضربها واهانتها ! اذن لحطمتها) .

(منظر في الداخل : تقف فردوس وهي تلقي على ابنة زوجها نظرة شامتة ، بينما يصفع سعيد ابنته في قوة عصبية ترغمها على الصياح والبكاء) .



حينما دخل سعيد الدار استقبلته فردوس بوجهها الفاتن المبتسم الخالي من سمات التفكير والكآبة كأنها كانت طول الوقت في انتظاره وكأنها لا تريد من الدنيا شيئا سوى رضاه . ولما وقع نظره على وجهها وأجاله في آيات جماله الاخاذ نسي منغصات عمله وشعر بغبطة وارتياح يسريان في نفسه وجسمه . أمامه وجه زوجته البسام الذي تنعكس عليه صور الدنيا وهي في أحسن حال ونعيم الله وهناء الايام . ومن شدة اعجابه بها طوق خصرها بيده ، وسار بها في مدخل الدار على مهل بينما كانت ابنته تجلو الاواني في المطبخ . ثم ان الزوجين جلسا في غرفة الاستقبال يتحدثان . كانت الكلمات القاسية المرة تتدفق من ثغر فردوس الصغير الحلو . وكان التقطيب محاصرا عينيها الواسعتين الساحرتين . فعز على سعيد ان تشوه محاسن زوجته من أجل شيء بسيط . انها تشكو ابنته اليه . أمر تافه . ببضع كلمات منه تؤدب الفتاة الثائرة وترضى الزوجة الشاكية .

وكانت انصاف تتسمع . لقد زحفت بضع كلمات شبه مسموعة في أذنيها ، فانتبهت وتوقفت عن العمل قليلا مرهفة السمع لكي تتمكن من فهم الحديث الذي يدور بين أبيها وزوجته . فهمت كل شيء . كادت تنفجر ضيقا من المتحدثين ـ من فردوس المبالغة ومن ابيها المساير . شعرت انها مظلومة وحيدة فأحست بسكين الحزن تحز في حنجرتها .

ـ لا يا انصاف . ان فردوس في منزلة أمك . لذا ينبغي لك ان تسايريها وتحترميها. انها طيبة القلب وتتمنى لك كل خير .

(لا أريد أن أسمع من فردوس مرة ثانية أنها متضايقة منك . انك فتاة عاقلة وخبيرة بالحياة ، فلا تكدري عليها صفو حياتها) .

ـ أبي ! انها تستعبدني وتنظر الي نظرة السيدة الى الخادمة . وهذا ما لا يمكنني احتماله .

(انها امرأة غريبة . ويجب ان تقف الى جانبي وتوبخها على سوء تصرفها) .

نظرة شرزاء من سعيد ، وتألم من انصاف ، وتسخط من فردوس .

قال سعيد لابنته بنغمة منتهرة :

ـ انني لا أريد ان أسمع منك هذا الكلام!

وقالت فردوس مكفهرة الوجه لزوجها :

ـ اعكس كلامها يصبح صحيحا .

(ان فمها في حاجة الى صفعة قوية) .

وقال الاب عابسا لانصاف :

ـ أتكذبين علي ؟

(متى تعلمت الكذب ؟) .

وقالت الزوجة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ انها بارعة في تلفيق الكلام .

(هل من المعقول ان يصدقك ويكذبني يا غبية ؟) .

وقال سعيد لابنته آمرا :

ـ يجب ان تطيعيها في كل امر . أفاهمة انت ؟

نظرة شامتة من فردوس ، ونظرة ساخطة من سعيد ، ونظرة هاربة من انصاف .

شعرت انصاف ان والدها وزوجته متآمران عليها وانها في حاجة شديدة الى من يغيثها وينقذها منهما ، فقالت بصوت مرتعش ثائر :

ـ الا تصدقني يا أبي ؟ انني اقول الحقيقة . ألا تصدقني ؟

ثم ولتهما ظهرها ، وخرجت من غرفة الاستقبال باكية .

*

هناك مونل يمكنها ان تلجأ اليه ـ خالها يوسف . انه رجل شهم لطيف في معاملته . ان أباها شيخ قد ولى شبابه بحزمه وصرامته وشبابه ، ورسب في قلبه فتور الشيخوخة وضعفها وهدوئها . يعز عليه ان يفقد وجه زوجته الفاتن لقاء الاحتفاظ بابنته المتزمتة العنيدة . انه يشعر ان زوجته تضحي بشبابها وجمالها وآمالها وامانيها من اجل شيخ لا ينسجم معها في حياتها . لذا لم يجد بدا من ان يضحي بسعادة ابنته وهنائها لقاء ما بذلته زوجته من تضحية . ولكن خالها ينتمي الى عالم محايد . فلا بد ان يصغي اليها ويهتم بها ويأويها تحت جناح عطفه .

ـ انهما متآمران بي يا خالي . انني لا استطيع ان أعيش معهما . كان أبي غريب عني وكان منزله ليس منزلي أنا ايضا .

(اريد ان اعيش معك في منزلك ، انك خير لي من أبي) .

ـ يمكنك ان تقيمي في منزلي يا بنيتي . ما دمت لا تجدين الراحة والاستقرار هناك فخير لك ان تعيشي في منزلي .

(ان تلك المرأة المائعة خلبت عقل ابيك . لو انه واسع العقل رحيم القلب لداس جمالها بقدمه ووضعك على رأسه) .

ـ اشكرك يا خالي ! هذه انسانية منك .

(اين خالي الكريم اللطيف من أبي الضعيف الخاضع ؟) .

ـ هذا واجب علي يا بنيتي . أؤكد لك انك ستعيشين مع زوجتي وبناتي في هناء وسلام.

(ان والدك لا يستحق ابنة حاذقة ذكية مثلك) .

كانت انصاف ساعتئذ احوج ما تكون الى عالم غير العالم الذي تعودت العيش فيه . تريد ان ترى وتحادث رجلا غير ابيها ، وان تعمل مع امرأة غير زوجته ، وان تأكل وتشرب وتنام في منزل غير منزل أبيها . وهي على استعداد لان تتحمل آلاما غير الآلام الفادحة التي سببها لها والدها وزوجته ، وان تسمع من ثقيل القول غير الكلام القارص الذي سمعته منهما . ليكن ما هو كائن . كل همها ان تعيش في عالم آخر .

*

لاول مرة يحتك نظرها بنظر شاب أنيق المظهر جذاب الرجولة . احتكت النظرات فأحدثت برقا في قلبين . نادته بعينيها لينقذها من عالمها المشؤوم . وناداها بعينيه لتحقق أماني شبابه . تكرر اللقاء . كانت حياتها من قبل ضغطا وكبتا وثورة والان اصبحت حياتها حرية وحبا واملا .

« خالي ! انني أحبه . أريده زوجا . فهمي لطيف ودمث الاخلاق . ـ كيف عرفت



عبد الحميد الانشاصي

●

ذلك يا بنيتي ؟ هل حادثته ؟ ـ قلبي حدثني بذلك يا خالي . قلبي لا يكذبني . انني أحبه يا خالي . ـ لا بد ان تتأكدي انه يصلح لك زوجا . ـ انني اشعر بانه خير الشبان واصلحهم زوجا لي . اريده ان يخطبني اليك يا خالي . ـ ليخطبك الى ابيك يا بنيتي . لا يحق لي ان اقوم مقام والدك في هذا الامر . ـ ولكنني لا استطيع ان افاتح أبي بهذا الشأن . انك تعلم ما بيني وبينه من خلاف . أنا لا احتمل مرارة العودة اليه .

ـ لا بد من ذلك يا بنيتي . تحملي ذل الخضوع لكي تفوزين بمطلبك . انك متى تزوجت ذلك الشاب استرحت » .

*

ـ ما رأيك يا فردوس ؟ هل يصلح فهمي زوجا لانصاف ؟

(أرى أن أزوجها به فتستريح وتريح) .

ـ لا ، لا ، لا يا سعيد . انه لا يصلح لها زوجا . محال ان ينسجم معها في الحياة الزوجية .

(يجب ان تبقى في المنزل لتساعدني في القيام بالاعمال المنزلية والا هلكت من كثرة الاعمال اليومية) .

ـ لماذا ؟

(أنا لا أجد مانعا في ذلك) .

ضيقت فردوس عينيها ، ثم قالت بنغمة فيها ناقوس التنبيه :

ـ ولكنه سكير . وفضلا عن ذلك فهو يلعب القمار .

(لقد تقلبت عليك وعليها الان) .

فقال سعيد بصوت منخفض فاتر :

ـ من اعلمك بذلك ؟

(أنا لا أصدق هذا . ولكن ما حيلتي فيه ؟) .

ـ لقد سمعت الكثير عن ذلك الشاب الطائش . أؤكد لك .

*

ـ اسمعي يا انصاف ! ان اباك في حاجة اليك والى خدماتك في المنزل .

(محال ان ادعك تتزوجين بفهمي) .

ـ وما حاجة أبي الي وأنت موجودة في المنزل ؟

(انك زوجته . أنت مسؤولة عن الاعمال المنزلية) .

ـ انني لا استطيع ان اقوم بالعمل وحدي. أفاهمة أنت ؟ ان أصررت على التزوج بذلك الشاب تركت المنزل لك ولأبيك . انني لا أريد أن أقضي حياتي في الكد والتعب .

تبادلت فردوس وانصاف نظرة صاعقة منذرة . انها الفرصة الوحيدة التي يمكن انصاف فيها ان تغير مجرى حياتها . ان تركت تلك الفرصة تمر بسلام قضي على املها في الزواج وفي الاستقلال في حياتها . نظرة فردوس تحمل انذارا بترك الدار لزوجها ولابنته . ونظرة انصاف تحمل انذارا بترك الدار لابيها ولزوجته وبالفرار مع حبيبها فهمي .

(أصوات من الداخل : ايتها المجرمة ! ايتها الظالمة ! لا بد من قتلك يا فردوس . لا استريح الا بقتلك) .

(منظر في الداخل : تغمد انصاف في أحشاء زوجة أبيها خنجرا حادا ثم تفر مع حبيبها) .

*

ما أسوأ اختيارك يا بنيتي ! لقد اخترت أحط الشبان خلقا والأمهم طبعا لاتخاذه زوجا.

(كيف أحببت ذلك الشاب السافل ؟) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوردة المجنحة

يا مرحبا بشقيقة الغصن ... بفراشة خلابة الحسن
فكانها للعطر مدهنة ... شفافة كزجاجة الدن
بجناحها الخفاق كم بهرت ... عيني وكم خلبت نهى ذهني !
فجناحها والنور حبره ... كم فيه من لون ومن فن ...
جاءت تبشرني بساحرتي ... وقدومها فنفت شجى حزني !
أفراشتي أنت رسالتها ... مكتوبة بأنامل الجن ..
قولي لها ما زلت أعشقها ... كذب العذول بما وشى عني ! .
عودي اليها والثمي فمها ... وخذي اليها مهجتي مني ..
تلك التي في القلب صورتها ... مرسومة ببراعة الجفن
حاولت لمسك طرت من جزع ... فرجعت أقرع نادما سني !
يا وردة خلقت مجنحة ... حطت وطارت .. من على الغصن !

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ـ لا تصفه بتلك الاوصاف التي لا تتلاءم مع أخلاقه يا أبي .

فقال سعيد بنغمة منتهرة ساخطة :

ـ انني ادرى به منك ، ان شابا سكيرا يقضي أوقاته في لعب القمار لا يصلح لك زوجا .

(ان هذا الرجل يلوث شرف الاسرة) .

ـ هيه ! من انبأك بذلك ؟ انها اشاعات كاذبة يا ابي . لا تصدق ما يشاع عنه . انه شاب حميد السيرة دمث الاخلاق .

ـ اسكتي ! انسيه ! لا تفكري فيه .

ـ أنا أعلم من أنباك بذلك . فردوس ، زوجتك . أليس كذلك ؟ انها كاذبة . لا تصدقها . غرضها ان ابقى بجانبها لاساعدها على القيام بالاعمال المنزلية .

(ساتزوج بفهمي على الرغم من جميع العقبات التي تعترض سبيلي) .

كانت انصاف تتكلم ووالدها جامد في مكانه يفكر . لقد غاص بعض السخط من وجهه . لم يصدق ما قالته له ابنته ، ولكنه شك فيما قالته له زوجته . ومع ذلك فقد شعر انه ليس في امكانه ان يعصي لزوجته أمرا ، لا بد من النزول على رغبتها والعمل بما تقوله له والا فارقته وحرمته جلاوة الجمال وبهجة الشباب اللتين تتحلى بهما ويتمتع هو بهما .

★

تعالي الي يا انصاف . لا تكترثي لابيك وزوجته ، سيري معي ولا تصغي الى أقوالهما . أنت أدرى بمنفعتك .

(كوني جريئة قوية وسيري معي) .

ـ ولكن الناس سيشيعون عني وعنك ما لا تود سماعه .

(انني أحبك ولا أستطيع مفارقتك واهمال مطالبك . أود من صميم قلبي ان اسير معك دون ان أكترث لأبي ولزوجته) .

ـ مدي يدك ! هاتي يدك !

(ان يدك قريبة من يدي) .

قال ذلك في ابتسام ونظرة مشجعة .

ـ لا ، لا . لا استطيع . لا بد من اخذ موافقة والدي قبل كل شيء .

(خذني أنت من يدي وسر بي) .

قالت ذلك بنغمة رخوة موسيقية مغرية .

فقال فهمي متكلفا السخط :

ـ ان لم تجيبيني الى طلبتي انصرفت عنك .

ولكنها لزمت الصمت ، ومضى هو في سبيله .

★

ـ أحبه يا أبي .

ـ لا أستطيع أن أزوجك به يا بنيتي .

ـ أحبه يا خالتي .

ـ لا ، لا . محال ان يتزوجك .

ـ احبه يا خالي .

ـ ليت امر زواجك بيدي .

ـ تعالي يا حبيبتي انصاف . لنذهب الى منزلي .

ـ نهرب ؟

ـ كلا . اننا على حق ، فكيف نهرب ؟ هم الذين يهربون . أولئك الذين يحولون بيننا وبين الزواج . انهم على باطل فهم الهاربون .

ـ هل تظن ذلك ؟

(أصوات من الداخل : تعال الي يا فهمي ! لا تتركني وحيدة . انني احبك . يا حياتي . لا أستطيع ان أعيش من دونك . انك في نظري خلاصة ما تحتوي عليه الدنيا من بهجة وسرور ونعيم . اني ذاهبة معك) .

(منظر من الداخل : تضع يدها في يد حبيبها ، ويسيران بين صفين من اشجار حديقة حافلة بالوان شتى من الاشجار والازهار ، ويأخذان في التحدث عن هواهما وعن سعادتهما المقبلة بينما تتنقل الطيور بين الاغصان قافزة مغردة) .

وفي ذات ليلة انتظر سعيد وزوجته انصاف وكانت قد خرجت من المنزل لزيارة جارة لها ، ولكنها لم تعد . لقد باتت تلك الليلة مع زوجها .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

قيمة التصوف العقلي

بقلم ندره اليازجي

* * *



اردت ان احيا طوال حياتي في احضان الطبيعة ، في قرية جميلة تحيط بها الغابات وتغدق عليها الطبيعة بجمالها الخلاب ، واردت ايضا ان احصل من الطبيعة اجمل واعذب ما فيها ، واقنعت نفسي ان استيقظ باكرا لاشاهد عذوبة الكون قبل الشروق وانظر الى الافق لارافق الشمس وهي تودع النهار .. وتأكدت ان الانسان يحيا مع النهار اذا رافق الشروق ويبتهج بالغروب اذا شعر بوجدانية الوجود وسعادة الحياة .

ولا تزال هذه الافكار تراودني . واشعر بعض الاحيان انني احيا في سجن يسمى المدينة . فالبيوت مزدحمة والشوارع ضيقة والاجواء خانقة وينقصها النقاء. ويسعى الناس للسكن في حجرات ضيقة ترتفع اسعارها كلما زادت المنافسة والطلب ، وترتفع اسعار الارض ويتباهى الناس بالاثمان المرتفعة ويحرم الكثير من المعيشة .

تراودني هذه الافكار فأتخيل الريف وجماله وعذوبته . هناك لا ترتفع اسعار الارض حتى تقضي على كرامة الانسان ، ولا يحيا المرء وسط الضجيج ، ولا يفتش عن عمل لكي يدفع قيمته في الايجار والغذاء ، ولا يشقى الانسان كثيرا ولا يقضي عليه الضجر والسأم . ان الطبيعة ملاذ الانسان لانها تتعاطف معه ويتعاطف معها . فهو يتأمل الجمال فيغتبط ويتنشق الهواء العليل فيسر ، ويسير في الاماكن الحلوة ولا يتعب ويطلب القليل ولا يثقل نفسه بالهموم . هذه الامور كلها دفعتني ان التجأ الى الطبيعة لأحيا فيها حياة نقية .

تأصلت رغبتي هذه وترعرعت مع نزعة الانفراد وحب العزلة . وقد بررت عزلتي واعتقد انني اكون قريبا من نفسي وحقيقتي . واصبحت ابتعد عن المجتمعات وافضل الوحدة لكي اخلو الى تفكيري ، بل ليكون تفكيري نقيا وصافيا . ان رغبتي نشأت من هذه القيم التي حددت فيها وجودي . ولكنني بقيت قلقا ومثقلا بهم لا يبارحني . وتساءلت عن قيمة الانسان لو اراد ان يحيا لوحده وينقطع الى العزلة ، وعلمت ان العزلة جميلة وعظيمة ، تقود الى التأمل والتفكير وتصحيح الاخطاء العديدة وتساعد على ارتقاء درجات الفضيلة وتعمل على اضفاء صفة الكرم النفسي وتزين الانسان بشعارات جميلة كالمحبة والسعادة والقناعة . ولكنني علمت ايضا ان العزلة تبعدني عن الذين احيا معهم وتجعلني انفرد بتفكيري والا اشارك غيري به .

وامام هذين الرأيين وقفت حائرا ، تصارعني افكاري حتى اصبحت في فوضى عقلية واضطراب نفسي . فانا في مجتمع لا يحقق امكانيات الفرد ولا يهذب قيمة الروحية . واخاف ان اضيع وان اقع في التجارب على الرغم من صلابة ارادتي . واخاف ان انتزع لقمة عيشي بوسائل لا ترضي الضمير والوجدان كما اخاف ان افقد بعض الاحيان لمشيئة اناس يظهرون لي كرمهم بشكل اجتماعي تام . فتكون مسايرتي عندئذ عملا من اعمال التعاطف ، فأقع فريسة للقلق .

حولت وجهي عن المجتمع لكنني التفت اليه مرة اخرى . وحدثتني نفسي قائلة ان الانسان قد وجد في المجتمع وعليه ان يقدم له ويعطيه . لكن خوفي ظل عالقا بي ولم استطع ان ابعده عني ، وتصورت كل مشكلة تعترضني وانا اقوم بواجبي الاجتماعي ، كما تصورت الآلام التي تنتج عن مثل هذه الامور .

اراني اكتب عن التصوف العقلي الذي اتخذت منه شعارا . فانا لا احقق العزلة من جراء تصوفي هذا كما لا اصرف عني كل عمل اجتماعي او احقر قيم غيري . انا الان بين العزلة والاجتماع اتحدث الى الناس عن الحقيقة واضفي عليها طابع الوجدان والروح . وفي عملي هذا لا انقاد انقياد الاعمى فاوافق على آرائهم التي يمكن ان تعبر عن ميول لا واعية او تصرفات خاصة . واشارك الناس عواطفهم ولكنني احاول ان احدثهم عن الواجب وعن عظمة الانسان . واستمع الى مبادئهم ولكنني اعمل على تقويم المباديء التي تقوم على الهوى دون العقل . واقرأ كتبهم لكي افهم وادرك افكار غيري واعرف مدى تطبيقها ومدى صدقها ومدى تعاطفي معها وخيرها وقيمتها ، واستمع الى مشاكل من يأتون الي فاقدم لهم محبتي ونصحي عاملا على اضفاء صفة الخير والحق .

وما زلت اتعرض للارهاق والانهاك . ما زلت عاجزا عن اخضاع النزوات الاجتماعية بشكل عام . أتمنى لو كنت احقق وحدتي ولكنني اعلم ان الانسان لا يستطيع ان يعيش بمعزل عن الاخرين . واذا بقيت بعض الانعكاسات في داخلي فباستطاعتي ان ازيلها بمزيد من الارادة والتفكير ، ومن واجبي ان اتحمل هذا الارهاق لان التفكير الانساني يسمو على كل عمل آخر .

الآن اعلم ان التصوف العقلي يتضمن كل ما تحدثت عنه ، ويهذب روحي ويسمو بعقلي الى درجات عليا . وكمتصوف عقلي اقبل الحقيقة مهما كان نوعها او جنسها او لونها ، وافتح قلبي لانواع المحبة الانسانية فاتقبل كل جمال وخير وحق ، وينصب في ، الانا ، كل خير في العالم ولا اكون مغلقا بل افتح ابواب عقلي لكل حكمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصواب .

علمتني تجربتي في الحياة ان الحقيقة تبدو باشكال متعددة . فكما ان النور ينفذ من خلال النوافذ ، وكما يتشتت الضياء في اتجاهات مختلفة ، وكما يسيل الماء عندما نصبه في متعرجات مختلفة وفقا للارض التي سكب فيها ، وكما تهب الرياح في اوقاتها ، هكذا تضيء المواهب وتتنوع الفلسفات وتزهو الحياة باشعة العقل ، وتزدهي الديانات باقوالها الحكيمة ، وتزدهر الحضارات بالافكار العديدة ، ويقدم الناس نتاج عقولهم وثمرة اعمالهم ودفء عواطفهم وعمق شعورهم . واراني اتقبل كل هذه المظاهر لانها موجودة عندي ان عقلي يحتوي كل شيء يعقله غيري . لذلك يصبح مركزا للبحث عن الحقيقة وتقبلها في آن واحد .

اصبح عقلي ، بعد تصوفي هذا مركزا للوجود ، فهو يتجول في عوالم الفكر كلها ويتقبل منها ما ينسجم مع حقيقته . واصبحت الان ، من خلال تصوفي ، قلب الحياة لانها تتركز فيه بدقة ونظام . وكما تقبل الانا الحقيقة كذلك تعطيها وتقدمها الى الآخرين . وتتعرف الانا على ذاتها بشكل افضل عندما تسير على طريق التصوف العقلي لانها ترى جوانب الموضوع كلها ولا تحكم عن جهل .

توصلت الى هذه الحقيقة التي ارتاح لها الآن . ان الارادة التي تعتمد عليها الانا تعمل ناشطة . فهي معي والى جانبي ، وترسل خيوط تأملها ونورها الى الموضوع وترى بعين البصيرة ما يتشكل امامها ، فلا تضيع ولا تصبح فريسة للضيق والجهل بل تحاكم وتدعو اعضاء محكمة الوجدان للانعقاد . ويسرع الوجدان عندئذ ليلبي دعوة العقل .

اصبحت واثقا ، لدرجة ما ، ان حكم الوجدان وقضاءه عادل ودقيق . فعندما احاكم جيدا اصل الى الحقيقة . وقد تألمت كثيرا عندما كنت اجهل كيف اعرف الحقيقة او احددها . اما عندما تصوفت عقليا علمت انها القرار الذي اصل اليه بعد محاكمة عقلية ووجدانية . ان المحاكمة العقلية هي مبدأ الارادة وفعلها والمحاكمة الوجدانية هي مبدأ الروح . ولا يمكن ان تفشل المحاكمتان معا . وعندما تعترض العقل صعوبات الحياة ومآسيها ، ويتحول هذا العقل عن المحاكمة الصالحة والمجدية ، ينقذه الوجدان ، وهكذا لا يضيع الانسان طالما ان الروح تقدم له الوجدان كما تقدم له الانا العقل .

هكذا اصبحت مدركا لكياني عن طريق تصوفي العقلي. تؤازرني الروح من جهة ويثبتني العقل من جهة ثانية . وتجتمع طاقتان عظيمتان في فتصعد الانا من تفكيري وتسمو به حتى تبلغ درجة الوجدان . ويعمل كياني على اساس حقيقي ، متحد في قطبيه المادي والروحي . ويتم التصوف العقلي نتيجة لهذا التعاطف بين الوجدان والعقل .

وقد انقذني التصوف العقلي من مآس عديدة . فعلمت ان كل ما يترآءى لي من مجد اجتماعي واقتناء مال ليس الا عمل الذات في مادتها . ولا تصدر هذه الافعال عن كيانها بعد محاكمة عقلية ووجدانية بل عن دوافع وشهوات ، فابتعدت عن كل ما يمكن ان يوقعني في حبائل الطمع والاغراء وذلك لكي ابقى نقيا قدر ما استطيع كما اصبحت لا انقاد للافكار والمباديء التي اسمع بها واقراها انقيادا اعمى بل بدأت ادرسها في تعمق وبصيرة كما انني ما عدت اذكر مساويء انسان بل حسناته . انظر الى كل شيء نظرة تعاطف وود . فماتت النواحي السيئة في نظري وعاشت الفضائل . وبدا لي الكون مكانا وزمانا عظيمين ينتقل فيهما عقلي ووجداني وتعمل فيهما بصيرتي ببطء وهدوء . واخضعت كل شيء لملكة التفكير . فصرت متصوفا عقليا .

ووجدت ، بالاضافة الى ما ذكرت ، ان التصوف العقلي يقودني الى المعرفة . فانا في بحث دائم ومستمر واريد ان اعرف . وامسى عقلي حقلا واسعا للدراسة والتجارب لانني حددت وجودي بالمعرفة . وعقلت الحقيقة التالية : وجد الانسان ليعرف وطالما ان الكون كله يتمثل فيه فقد وجد اذن ليعرف نفسه . ولا تتيسر معرفة النفس ولا تتحقق الا بالتساؤل الدائم والتأمل . لذلك ارسلت عقلي في كل الاتجاهات لكي يقف امام الطبيعة ويدرس الموضوعات . وعلمت ان العقل يصل الى الحقائق الخارجية الملموسة بسهولة اكثر من حقيقة الانا غير الملموسة . وهكذا اصبح موقفي من الوجود موقفا عقليا ، محللا لكل مسألة كبيرة او صغيرة . وعلمت ان تصوفي هذا لا يتم من خلال مواقفي العقلية وحدها . فأدخلت الوجدان الى حقل تجاربي .

وعندما توصلت الى تصوفي هذا اصبحت لا ابالي اينما كنت . فلا فرق عندي ان كنت في المدينة او في الريف ، في نظام اجتماعي يتباين مع نظام آخر . اصبحت لا ابالي بالنظم الاجتماعية المتباينة اذ علمت ان باستطاعة الانسان ان يحقق وجوده في ظل اي نظام وذلك لانه انسان له عقله ووجدانه ولا يزال يستعملهما لأنبل غاية هي المعرفة . وهكذا يستطيع الانسان ان يحقق المعرفة والحقيقة بمعزل عن كل الظروف الاجتماعية التي تحيط به .

وقادني تصوفي العقلي الى ادراك الحياة دون المعيشة . فالحياة تدرك في كل نظام اجتماعي . وصرت اعلم ان قيمتي لا تتوقف على مقدار ما احققه من نجاح اجتماعي او بمقدار ما آكل واشرب او بالمركز الذي احتله ، بل يتوقف على عظمة عقلي او وجداني . واصبحت المعيشة شيئا بسيطا ، والحياة شيئا عظيما . وهكذا يغوص عقلي في فضاء الحياة الواسع ، الحياة التي تعبر عن الكيف ، فرفضت مبدأ الكم اي المعيشة .

سمـــراء

سمراء يا دنيا تعـج بسحرهـــا ... وهوى يعيث بمغربـي وبمشرقـي
انت الجمال يجـر فـي اذيالـه ... سقـم العواطف والهيام المحـرق
في كل جـزء من دمائي ثـــورة ... وبكـل عـرق آهـة لـم تهـرق
وبكـــل ذرة دمعـــة لـما تـزل ... حـرى تحـوم بجفنهـا المغرورق
آلام محزون ورعشـة ناحـــل ... وحنين حـران ولهفـة شيـق
يترصد المـــوت المريب لخافقـي ... فيهز اعضائـي ويلهب أعرقـــي
حتـى أثور والف حـرف غاضب ... يحتج في بـاب الشفاه المغلـق
فاعيد اوهامي واخمد ثورتـــي ... واعيش احلامـي التي لـم تورق
واظل ابحر في عيونـك بعدمـا ... ضاعت مجاذيفي وحطـم زورقي

* * *

فتانـة العينين يـا وحي الصبـا ... وتضاحك الانـوار عنـد المشرق
اني ارى رغـم الجفـاء توسـلا ... يصحو على فمك الذليل المطبـق
وارى بعينـك لهفـة فكأنهـــا ... ترجو ويمنعها الحياء فتتقـــي
لا لست مخفيـة هـواك فقد بدا ... كل الهـوى في جسمك المتانـق
لفتاتنا الحـيرى تبوح بسرنـــا ... ولقاؤنـا عمـدا !! لماذا نلتقـي ؟
عبثـا نخادع بعضنا فتجملـــي ... ، سمراء يكفينا جوى ، وترفقي

بعقوبة ـ العراق ... سفيان الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وادركت ان الحكمة هي انبل ما يمكن ان يفتش عنه الانسان كما علمت ان هذه الحكمة لا تخرج عن اطـــار التصوف العقلي . وهكذا اصبحت الانا التي تحيـا في عزوفة عن مباديء يعتبرها الناس من مقومات الحياة اذ اعتبرتها من مقومات المعيشة فقط .

وعملت على تربية شخصيتي اي كياني . وتعتبر هذه التربية قيمة لانها تقيم توازنا بين الروح والجسد وترفع هذا الاخير الى معرفة الحقيقة ، هذه المعرفـة التي هي قوام الوجدان . ان تربيتي الشخصية لا تتطلب الكثير من المعيشة بل القليل منها ، ولا يعتمد صقـــل ملكاتي على ما هو اجتماعي او على ما ينطبق مـن مفاهيم مادية بحتة ، بل على الارادة التي تأخذ من الحياة مـــا يوافق الطبيعة الروحية .

هكذا قصدت ان احيا في عالم تطغي فيه الميـول اللاواعية حيث يقبع الوجدان في زاوية مهجورة . وبدأت ارفع من مستوى وجودي في مراحل ثلاث :

آ ـ في المرحلة الاولى ابعدت عني كل فعل يقوم على اللاوعي وحاولت ان اكون واعيا لمصيري .

ب ـ وفي المرحلة الثانية وجهت اضواء عقلي التـي اعبر عنها بالمواهب نحو كل فعل اقوم به ، فتوصلت الـى المحاكمة العقليـة .

جـ ـ وفي المرحلة الثالثة تعلقت بالوجدان لكي يكون رائدي الوحيد في عالم الطبيعة والعقل .

ورأت ان هذه المراحل الثلاث تقودني الى المعرفـــة وذلك لانني ، بتوجيهي نحو دوافعي اللا واعية التي تمثل الحيوان في ، ازلت اثار الغريزة . وبتوجيهي الى العقل لكي يدير وجودي توصلت الى التحكـــم في مادتـي ، وبتوجيهي الى الوجدان توصلت الى رفع مستوى وجودي من الذات الى الروح .

هذه هي الصوفية العقلية التي اعتنقها لكي ابدد ظلام حياتي واحولها الى نور يضيء ارجاء كياني . فعندما سلطت انوار عقلي ووجداني على الكون المادي تراءت لـي الحقيقة وعرفت طريقي وهدفي وبدت الامور امامـــي جميلة وخيرة . رأيت الحياة جميلة لانها تعبر عن فكـرة ابدية سامية غاية السمو ، مترفعة عن الخطأ ، عليمـــة ومدركة لكل ما يكون . وبدأت عندئذ احدد موقفي مـن هذه الفكرة ، فوجدت ان التصرف العقلي هو منهجـــي الوحيـد .

دمشق ... ندره اليازجي



الدكتور محمد رجب البيومي

شكري يتحدث عن الادب العربي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حين قام عبد الرحمن شكري بدعوته التجديدية في الشعر المعاصر ، لم يكن ليميل بالغبن على الشعر القديم بل أرسل بحوثه الضافية في تحليله وتشريحه ، واتسعت شقة الخلف بينه وبين معارضيه دون أن يجنح الى شطط أو اسراف ، وكانت معركة القديم والجديد التي خاضها زعماء النقد المصري المعاصر دافعا قويا لنشاطه النقدي على أنه كان في اكثر أحواله متصوفا في ردوده العميقة المتتابعة ، فلم يكشف النقاب عن اسمه ، بل رمز اليه رمزا متواضعا لا يدركه غير ذوي البصر بأسلوبه ومنازعه، ويزداد تصوفه في رأيك شفافية ونقاء حين تعلم أنه كان بردوده الحاسمة يدافع عن اناس غبنوه حقه ، وبخسوه أستاذيته ، واندفعوا الى التشهير به اندفاعا تتألم له العواطف النبيلة ، ولكن ذلك كله لا يمنعه في تصوفه الزاهد المترفع ان يعترف بالحق لاصحابه ، وأن يخفي اسمه عن الانظار في مقام يتطاول اليه المتطاولون فيقصرون .

ولن يعز عليك ان تدرك الوازع النفسي الذي دفع الاديب الكبير الى حرب لم يكن من جناتها . ولكنه بنارها محترق صال ، فالاستاذ شكري كما نعرف علم من أعلام التجديد في الشعر العربي ، فاذا اندفع جماعة من الادباء الى تهجين الجديد من الادب فانما يثيرون غبارا تغيم به سماء الشاعر الكبير ، ولا بد من ضياء ساطع يجلو الغياهب ، ويدفع الظنون .

وقد اتجه النقاش في القديم والجديد وجهة منحرفة غير وجهته الطبيعية ، فمزج الدين بالادب مزجا غريبا مريبا وجعل أنصار الجديد لدى بعض الناس ملاحدة مستهترين ، وقوى من هذا الظن ما انحرف اليه بعض الادباء المجددين ـ وجلهم أدعياء ـ من تطرف في الزيغ والاستهتار ، فأوقعوا معهم البرءاء موقعا تظلله الريب والاوهام ، وأتاحوا فرصة قوية لانصار القديم كي يهاجموهم بسلاح بتار ، وأكثرهم ـ في جوهر فنه ـ بريء صادق يشكو الى ربه مساوىء زمرته ، وأضاليل مريديه ، والشكوى لا تفيد شيئا بغير برهان رشيد ، ودفع سديد !

لذلك اتجه الاستاذ شكري ينافح عن مذهبه ويذود عن جديده ، وقد رأى في مقالات الاستاذ الجليل والباحث المفضال محمد أحمد الغمراوي عن الجديد والقديم بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٨ ، سنة ١٩٣٩ مجالا فسيحا للمناقشة وابداء الرأي ، فتعقب أفكارها ، وعارض اهدافها ، دون ان يزل به قدمه الى استخفاف او تعريض ، وسنقدم من كلام الاستاذ الغمراوي ما يكفي لاعلان مذهبه ، وتوضيح فكرته ، ثم نلخص ردود الاستاذ شكري تلخيصا مقتضبا يرسم الملامح ويضع الخطوط دون ان يتطرق الى استيعاب مفصل يضيق به المجال .

قال الاستاذ الغمراوي :

« ان المسألة في الأدب مسألة دين وروح ، ففريق يجعل روح الادب شهوانيا بحتا ، يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل ، لا يفرق بين معروف ومنكر ،ثم يصف ما يلقى في ذلك من لذة والم او غيرهما من الوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على أنه هو الادب ، وفريق يريد ان يحيا الحياة الفاضلة في حدودها الواسعة التي حدها الله وبمظاهرها المختلفة كما فطرها الله ، ويصف ما يتمتع به من تلك وما يلقى او يتجشم في سبيل ذلك ، غير ناس لحظة ان الوجود كله من الله ، وان الدين كله لله ، على أنه الادب ، وأن أدب الفريق الاول هو ما يسمونه بالادب الجديد ، وادب الفريق الثاني هو ما يسمونه بالادب القديم » .

هذا لباب ما قاله الاستاذ الغمراوي وقد أفرغ صفحات كثيرة لتأكيده وتثبيته ونحن مع مخالفتنا اياه ، نحترمه ونجله ، ونعرف انه يصدر في جميع ما يكتب عن عقيدة راسخة ، وايمان مطمئن أخطأ أم أصاب ! وقد رد عليه الاستاذ شكري ردا بليغا منصفا ، تجلت به النظرة الواسعة والعمق البعيد ، فذكر ان النفس البشرية واحدة في كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة من شذوذ الآحاد بالنقاء النادر ، او النجاسة البالغة ـ على حد تعبيره ـ وتلك حقيقة يقررها العلم النزيه عن هذه النفس العجيبة ، فلا عجب ان يصدر عنها المجون والنزق،

والسمو والترفع في كل مكان وزمان ، واذا كان الادب صورة للنفس ، فقديمه وجديده سيان في تصوير النقائص والمثيرات ، ولن يمتاز قديم عن حديث بالتصون والاحتشام .

والاستقراء التام لعصور الادب يؤكد ان القديم يطفح بما تضيق به المثل الرفيعة ، ويندى له الخلق النبيل ، فلامرىء القيس وهو من أقدم الشعراء في الجاهلية مجون وفحش تضيق بهما صدور المحافظين ، وقد تواكب بعده خلفاؤه في ميدانه يسفون وينحفضون الى ما لا يرضى عنه الاستاذ الغمراوي ، ولديه اذا اراد مثل كبيرة من أهاجي الفرزدق وجرير وسواغ وبشار وأبي نواس ومطيع بن اياس ، ومتطرفات ابن الرومي وأبي تمام البحتري ، من أئمة الادب القديم ، فكيف يكون هذا الادب بعد ذلك ملاذ التصون والاحتشام ؟ وقد عجت زواخره بأمواج صاخبة تتلاطم بالنزوات والشهوات ، وكيف يكون الادب الاوربي وحده في منطق الاستاذ الغمراوي وشيعته طريق هذه المفاسد ، مع أن أصحاب الادب الجديد ، قد قرأوا الادب العربي قبل ان يقرأوا غيره في لغاته الاجنبية ، وأثر في أذواقهم وميولهم بما لا يوازي به أدب مغترب بعيد .

ثم لماذا نجعل جميع الادب الاوربي في منزلة واحدة، واتجاه ثابت لا ينحرف عنه ، وقد طرأ عليه من التطورات ما غير سلوكه وعدد مشاربه ، وهو بذلك يقترب من الادب العربي اقترابا واضحا ، فادب الاغريقي كالادب الجاهلي سهولة وخيالا ، والادب الاوربي الحديث أقرب الى الادب العباسي حرية وانطلاقا ، والادب الرمزي الاوربي يقرب كثيرا مما كتبه الاستاذ الرافعي في حديث القمر ، وهو زعيم الادب القديم في العصر الحاضر دون نزاع ! اذا كانت كل هذه المشابهة متوفرة في الادبين المقارنين ، فلماذا نقصر الشر على الادب الاوربي دون سواه . لقد شبه الاستاذ شكري الذين يمقتون الادب الغربي ويحرمونه لمجونه ثم يبيحون لقرائهم ما كتبه الداعرون من شعراء الادب العربي ، بمن يأتمن لصا مصريا على ماله ، ثم يحذر من لص اجنبي ، مع ان النتيجة واحدة في الحالتين ، الا ان عين الرضا كليلة عن كل عيب كما يقال ، ونحن نعجب بهذا التشبيه لانه يوضح رأي صاحبه ، توضيحا يجعله من بدائة المسلمات ، بعد ان كان مجال المجاذبة والمماراة .

وكان طريفا من الاستاذ شكري ان يرجع التجديد في الادب العربي المعاصر لا الى الشعر الاوربي وحده بل الى الشعر العربي القديم ، فالشاعر الجاهلي كان لا يتكلف في صنعة أو يحتفل بصياغة احتفالا مترفا متعمدا، بل ينظم الشعر بالعاطفة ، ويبحث في خواطر النفس وشجونها بدل التنميق والتجويد ، وهذا ما يفعله الشاعر المعاصر ، اذ تمرد على صور الشعر العباسي ونبذ الصنعة وراء ظهره ، فأولى به ان ينسب في اتجاهه الى الادب العربي القديم لا الى الادب الاوربي الحديث ، وفي بعض هذا الكلام مطابقة للواقع ، كما في بعضه الاخر اسراف ومبالغة ! اذ ان الشاعر القديم مهما استلهم العاطفة ، واستبطن النفس ، فقد كانت خواطره مبعثرة شاردة ، وسوانحه طائرة عابرة ، ولو اعتمد عليه المجددون وحده ما جاوزوه أو قاربوه ، ولكنهم فاقوه قوة وعمقا بما ورثهم الادب الاوربي من تحليل عميق للنوازع ، وتشريح دقيق للاهواء ! فكيف يكون التجديد المعاصر رجعة الى القديم ، اللهم الا اذا اراد الاستاذ شكري ان يقرب المسافة بين العصور المتباعدة في الادب الواحد ببعض التجاوز والتسامح ، عن طريق التشابه الجزئي فقط ، وهذا ما نسلم به في دائرته المحدودة دون شطط او نزوح .

وأنت تلمس في ردود الاستاذ شكري ثقافة عميقة متشعبة ، يمدها النظر الصائب والعقل البصير ، وهو يتحفك بالجديد الطريف حين يقرر ان الادب العربي قد فعل بالادب الاوربي في القرون الوسطى ما يفعله الادب الاوروبي بأدبنا المعاصر في القرن العشرين .

فقد كان المحافظون من أدباء المسيحية بأوربا يخشون على الدين والاخلاق من بعض المجون والخلاعة في الشعر العربي حين سرى اليهم عن طريق الترجمة من الاندلس ، ويرون في الادب العربي اباحية خلقية لا تتفق والتقاليد ، فهو كالادب الاغريقي القديم في اعتدائه واجترائه ، ومن ثم حورب الادب العربي من المحافظين اذ ذاك ، ولكنه رغم هذه المحاربة قد مثل دوره ، وأدى رسالته في ايقاظ الادب الاوربي ، ثم دارت الدائرة عليه في العصور المتأخرة من دول الممالك المتتابعة والعصر العثماني ، حتى جاء الادب الاوربي يرد له الجميل السالف ، ويعطيه ما سبق ان استولى عليه .

وواضح ان جميع ما ذكره الاستاذ ينتهي الى هدف معين ، وهو أن التجديد شيء والاباحية شيء آخر ، فاذا كان لأنصار الجديد نصيب واضح منها ، فأنصار القديم يحتفظون في تراثهم بأضعاف هذا النصيب ، واذا كان الادب الاوربي قد وفد ببعض الآفات الخلقية على الادب العربي فهو لم يقدم له الجديد الطريف ، ولكنه قدم بضاعة معروفة متداولة فالمسألة في الادب ليست مسألة خلق ودين ، كما يريد الاستاذ الغمراوي أن يقول ، ولكن الادب تعبير عن مشاعر رفيعة او هابطة ، وهي في حالتيها ـ لا تتقيد بقوم دون قوم ، ولغة دون لغة ، وشكري وقد وصل الى هذه الغاية من دفاعه عن التجديد يستشعر برد الراحة حين يوصد الباب أمام من يظنون في التجديد الادبي ثورة دينية تهب بالزعازع على صرح مدعم مشيد !

على أن الاستاذ يلتفت الى ناحية هامة حين يعلن ان النفاق في الاقوال يجعل من الفاسد العربيد قديسا طاهرا ، فكثيرا من الادباء يخالفون حقائق نفوسهم اذ يمتدحون بالفضيلة ، ويلهجون بالشرف وهم في واقعهم النفسي أبالسة مردة ، لا يميلون الى خير او يعتصمون

بمعروف ، بل ان بعض المتدينين يسرفون في الغيبة والنميمة واسرافا لا يخلو من اللذائذ المشتهاة ، ثم ينظمون القصائد في الدعوة الى الفضائل الرفيعة ، فكيف يحكم الاستاذ الغمراوي على شاعر نظم في الزهد والورع بالمثالية والطهارة ، ويعد مموهاته آية الآيات في الأدب القديم ، وهو لا يصدر عن احساس صادق وشعور مخلص ! لا بد اذن من دراسة مستفيضة لتاريخ الشاعر وسلوكه ثم نفسر أدبه التفسير اللائق بواقعه لنضعه في ميزانه الصحيح !

هذا موجز لبعض آراء الاستاذ شكري في القديم والجديد ، ونحن نعرضها هذا العرض السريع لنلفت الاذهان الى حقائقها الاصيلة ثم لنجعل من منهج الرجل في النقد أسوة يحتذيها النقدة من الكتاب ، فقد ربأ بنفسه عن المهاترة والتزيد ، بل انه يسوق انتقاده الصائب مشفوعا بالثناء على مناظره فيقول عنه مثلا « يجمع الاستاذ الغمراوي في نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق الا لقليل من المهذبين الافاضل ، فهو يغار على الفضيلة والدين ، ويجمع الى غيرته لطف المناظرة والانصاف ، وآداب الحديث والمجادلة بالتي هي أحسن ، وهذه رعاية من الله ، نرجو ان يديم عليه نعمته بها » .

ولن نعلق على هذا الاطراء الصادق بشيء ففيه وحده الكفاء والغناء عن ألف تعليق !

ولنا ان نسأل عن دلالة هذه النظرات الفاحصة لدى شكري ، لنعلن سعة ثقافته العربية ـ على نقيض ما يرجف به عنه ـ اذ كانت دراسة شكري للادب العربي القديم مستوعبة محيطة ، لا يصل اليها كثير ممن يزعمون أنفسهم حماة القديم تشدقا وتباهيا دون مثابرة واتقان ، وقد تحدث في مقالاته بالمقتطف والثقافة والرسالة عن قصائد مختارة من القديم في زمن الجاهلية وصدر الاسلام والامويين والعباسيين ، وسنقصر الحديث هنا عما كتبه شكري عن أمراء الشعر في العصر العباسي . لان امراء الادب في العصر العباسي في رأي شكري قد بلغوا من الجودة والاصابة ما قصر عنه نظراؤهم من الاقدمين . فلا غرابة اذا اختصهم الشاعر اكثر من غيرهم بالنقد والتحليل . لقد كانت المقارنة سبيل شكري الى الحديث عن الشعراء ، فاذا تحدث عن شاعر كالشريف مثلا عقد مقارنة بينه وبين نظرائه . وجمع في سطور متتابعة أخص سمات هؤلاء النظراء !

ونحن نعتقد ان هذه المقارنات تفيد كثيرا في ايضاح المعالم ، فهي تميز كل شاعر بدلائل تشير اليه ، وتدل على مذهبه ، واذا استقام للقارىء رأي محدد في كل أديب يقرأ له ، فقد اصبح قارئا مثقفا له رأيه المؤيد بالمثال والدليل .

فأبو تمام مثلا في رأي شكري ـ خطيب عبقري بصير بأساليب البيان ، واثرها في النفس ، جريء في ابتداع الاقوال خبير بما يعالج ومن يخاطب ، والبحتري ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشي بحلاوة الصنعة ، والشريف موسيقي نتذوق فنه بالوجدان والفطرة السليمة . والمتنبي محارب مغامر يغالي في الاعتداد بالنفس ، والتعاظم على العباد ، وابن الرومي مصور رسام يولع بجمال الالوان وبهاء المناظر !

هكذا يقول شكري ، وأنت اذا نظرت الى أبي تمام تجده يبلغ صميم القلب ويعصف بالعواطف بما يسوق من أدلة خطابية في تشبيه محكم ، وتعليل شعري ، وكذلك الخطيب المتحمس ذو الجهارة والبيان ، واذا نظرت الى البحتري وجدته يمثل دور الغزل العاشق والمستهام الجريح في نسيبه ، كما يمثل دور النائح المفجوع في مراثيه ، ولم يكن الرجل صادق الصبابة في التشبيب أو دامي الاحشاء في الرثاء وانما كان ممثلا ذا قدرة وافتتان ، واذا نظرت الى المتنبي سمعت قعقعة السيوف وصليل الرماح ، وعرفت الفتى المغامر الجوال ، واذا قرأت الشريف الرضي بهرك الايقاع الشجي وتواثبت في قلبك نوازع الحنين والاشتياق ، وهذا ما يصنعه الموسيقي الفنان ، أما ان رأيت الصور البديعة في أوصاف ابن الرومي فلن تشك في قدرته على الرسم ، وابداعه في التلوين ! فكأن شكري الناقد قد امتزج بشكري الشاعر فيما أصدر من تشبيه صائب ، يرضي الوجدان ، وتحديد دقيق يمتع العقل ! فاذا اقترن ذلك كله بالامثلة الصادقة من دواوين الشعراء ، فقد اكتملت الصورة الصحيحة ، وبلغ الكاتب ما أراد من التحليل والاستنتاج .

وقد قرأنا عشرات الكتب عن المتنبي لكثير من أئمة البيان ، فما خرجنا بجديد عنه ، ولكن شكري في بحث واحد كتبه عنه كشف فيه عن اسرار غامضة في نفس الشاعر ، ثم اندفع الى تحليل نفسية ابي الطيب تحليلا مبتكرا ، يتدرج فيه الناقد من سلم الى سلم ، حتى يتجه الى أمر كلي مشترك ، ويقف بالقارىء أمام نفوس بشرية معقدة ، تبدي من السلوك المضطرب ، ما يصعب معه التفسير والايضاح ! فشكري ينص على ان سر عظمة المتنبي هو الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بها مع جاذبية البيان المعبر عن ذلك الاعتزاز ، ثم يفسر هذا الاعتداد فيراه مصحوبا لدى المتنبي بكثير من التقحم والفخر والادعاء ، ويرى شكري ان الاعتداد بالنفس قد لا يصحبه الفخر والتطاول كما عند (مونتاني) الكاتب الفرنسي ، ويعقد موازنة طائرة بين الكاتب الاوربي والشاعر العربي ، ثم ينتقل شكري الى مسألة اخرى فيتساءل لماذا يهتم الناس بذوي الاعتداد والتطاول ، دون أصحاب التواضع والانطواء ، ولماذا نقدس اصحاب الاعتداد النفسي ولو كانوا من المجرمين المدمرين ؟ في حين أننا نحارب كثيرين من أهل الفضائل والمزايا الرائعات ! ثم يجيب الكاتب بافاضة وتحليل عن اسئلته ، مستدلا في اجابته بتاريخ المتنبي

صورة الام

« يتمني ، وقد قرب موته ، ان يغمض عينه على صورة هي صورة أمه التي غدت ترابا »

•

أأغمض جفنـــي علـــى صـورة
تؤانس روحـي بليلي الطويـل ؟ ..
فهيهـات هيهـات : أمـي غـــدت
هبـــاء ... فمـا أعسر المستحيل !

حلب **علي الناصر**

وأبياته ومواقفه ! فاذا ظن القاريء ان المجال قد خلص للادب وحده ، رأى الكاتب في ختام المقال يكر ثانية الى قضية الاعتداد بالنفس ، فيتحدث عمن يقاومون هـــذا الاعتداد في المتكبرين عن بغض وانقباض ، ومن يقاومونه عن حب وتأثر ! حتى ان من العجيب في منطق شكـري ان تكون شدة المقاومة الشديدة دليلا على التأثر المفرط البعيد ! وينتهي البحث بالحديث عن مقتل الشاعر وكيف كان اعتداد المتنبي بنفسه سبيل مصرعه واساس مهلكـه المبيـــد !

ولا يمكن لغير شكري من الادباء ان يتجه هذا الاتجاه النفسي في الحديث عن الشعراء اذ ان عكوف الرجل على التحليل والاستبطان قد ساقه هذا المساق ، وله منطقـه المعقول ، فالشعر أدب صدر عن نفس تحس وتتأثـر ! فلا بد ان نسبر أغوار هذه النفس لنعلم الدوافع ، ونكشف الاعمـاق !

وأنت تلمح مذهب الرجل الشعري في نقده الادبي ، كما تلمح مذهبه النفسي سواء بسواء ، فهو يذم المبالغـة الممقوتة ، وينتقد الكذب المموه ! ويرى ان رسالة الشاعر هي الامانة المخلصة في تصوير النوازع الانسانية تصويرا صادقا لا مبالغة فيه ولا اغراق ، فمهيار مسف اذ يقول :

غار المجون مـــن ابصار غيرهـم ضنا وغرت على لمياء مـن بصري

والبحتري مغالط اذ يقول :

فقل لنسيم الـــورد عني فانني اعـاديـك اجـــلالا لوجـه نسيـم

وذلك لأن المحب لا يغار على حبيبته من بصره اطلاقا كما زعم مهيار ، ولأن الانسان يحب من يذكره بصـورة حبيبته ولا يعاديه كما زعم البحتري ، وذلك النقد الصادق واضح الدلالة علـــى مذهب شكري فـي رفضه المبالغـة والتلفيق ! اذ ان الصدق المخلص اساس الابداع الشعري الاصيل .

وكتابة شكري عن شعراء العصر العباسي من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري ومهيار والشريف وابن الرومي وغيرهم ممن تحدث عنهم حديثا جذابا ، تعد على ايجازها المحكم ، ضربا من الادب المقارن ، فشكري يتطرق الى الحديث عن أفذاذ من شعراء أوربا لمناسبات قوية ، فقد يكون اشتراك المعنى أو تناقضه بين شاعر عربي وآخر غربي مدعـــاة لتحليل موفق يسوقه الكاتب عفوا دون ان يقصد اليـه قصدا ، وهنا تبدو طبيعة الناقد الادبية شفافة واضحـة فهو لا يتكلف القول تكلفا كي يشير الى كثرة اطلاعه ، كما نجد عند المتعالمين من النقاد ، ولكنه يكتب في مجلة ادبية وكأنه يتحدث في محاضرة دراسية ، فلا تفاصح ولا ادعاء ، بل استطراد سهل موفق ، وتدفق مطرد طريف !

وليس مجال المقارنة في هذه الابحاث العباسيـــة مقصورا على الادب العربي وحده ، او الادب العباسـي وحده ، كما قد يفهم بعض القراء ، ولكنه قد يمتد فـي رحلة تشمل آفاق الادب العربي جميعه ، فاذا تحدث عن ذئب الشريف ذكر ذئب الفرزدق وذئب البحتري ، واذا تحدث عن عتاب مهيار ذكر عتاب ابن الرومي وسعيد بن حميد والطغرائي والبحتري وغيرهم من الافذاذ ، واذكر اني قرأت لشكري ثلاث مقالات متواليات عن الرثاء فـي شعر العرب ، وقد تسلل فيها الحديث عن روائع مختارة للجاهليين والامويين والعباسيين والاندلسيين والمتأخرين ! والكاتب يختار لكل شاعر من قصيدته الطويلة اجود ما قال ، منمقا بحثه في سهولة وترفق ، وملفتـــا قـراءه كعادته دائما ـ الى ما يلاحظ من اختلاج النوازع ، وامتزاج الاحاسيس ثم يفرق فرقا جليا بين الصانـــع المتكلف ، والحزين الملتاع ، ويشير بدلائل من النقد النزيـه الـى مكانة كل شاعر ، ونصيبه من التوفيق ، وكذلك فعل في مقالاته بالمقتطف عن النسيب في الادب العربي وغيره من الاغـراض .

وقد قصدنا بكتابة هذا البحث الموجز ان نرد على هؤلاء الذين يرجفون بالادب العربي عن جهل مطبق بكنوزه وذخائره ، ويعدون قراءة روائعه الجميلـة فضولا مـــن العبث ، وضربا من اللغو العقيم ، ولو كان الامر كذلك مـا عكف نابغة المعي كشكري على دراسة قلائده ، وتحليـل سواحره ، ونقد أعلامه ، بل ان توفيق شكري في عالـم الشعر لم يكن ليتم له كما أراد لو لم يتخـــذ من الادب العربي قديمه وحديثه ثروة غنية تسعفه بالرصانة المحكمة والاسر القوي ، والايجاز الصائب ! واذا كان الادب الاوربي قد ادى رسالته في تجديد الشاعر وابتكاره فلن يجحـد للادب العربي فضله في التقويم والتسديد .

تلك شجون مختلفة عن شاعر عرفناه فقدرناه وأدركنا كفاحه المخلص فأحببناه ! رحمه الله .

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

تهنئة الاديب بعيده الفضي

كانت لجنة للاحتفال بيوبيل « الاديب » الفضي قد تألفت في بيروت . وكان من مقرراتها اقامة حفلة تكريمية كبرى « للاديب » . وقد تأجلت بسبب ظروف طارئة . وهذه القصيدة كانت معدة لتلقى في الحفلة المذكورة .

*

كم هزار شدا وكم عندليب ... يوم عيد الربيع عيد الاديب
دوحة الفضل والحجى وسجل ال ... علم أو مسرح الخيال الخصيب
مد لبنان فوقها من بياض ال ... ثلج والسحب كل برد قشيب
فكست غرة الشباب جبينا ... وكسا رأسها جلال المشيب
وسقاها من نيل مصر وفاء ... وتغذت من الفرات بطيب
وحباها الحجاز وحي كتاب ... وفلسطين لوعة المنكوب
واستعارت من غوطة الشام زهرا ... وصداح الحسون والعندليب
فصدى العرب صوتها وصداها ... ملعب الفكر في الفضاء الرحيب
وهي قيثارة القلوب ، فخفق ... في حنان وانة من وجيب
وتر صادح وآخر شاك ... من شجى أو هوى به أو كروب
ان هذا الأديب سلوى نفوس ال ... عرب طرا وترجمان القلوب
يعصر الفكر ينبل الروح يسقي ال ... طرس من مدمع الجفون الصبيب
ويغذي روحا ويأسو جراحا ... ان لله دره من طبيب
كتب الله للأديب بقاء ... وكفته الاقدار شر الخطوب
كم رأينا في مصر من قبل روضا ... صار ينبوع مائه للنضوب
غاب فيها « وحي الرسالة » لما ... آذن الفضل والحجى بالمغيب
وبلبنان كم رأينا نجوما ... لامعات قد آذنت بالغروب
افتصدى العقول والجسم يغذى ... ام نرجي المنى بفجر قريب
نحن نسقي العطاش نقري جياع ال ... فكر ، نحنو على الشريد الغريب
فاذا مسنا الأذى فالتمسنا ... آسيا عز في الزمان الجديب
لا نرى ساقيا اذا ما عطشنا ... غير قان من دمعنا المسكوب
لا نرى مطعما لنا ان سغبنا ... فسألنا ، سوى السميع المجيب
نحن كالكرم طاب منه قطوف ... فتدلت على جفاف الدروب
يطأ الناس نبته وتهيل ال ... ريح ما فوقه الثرى بالهبوب
ان عرس الأديب فرحة عمر ... ولقاء الحبيب بالمحبوب
عرس قانا الجليل يوم يعيد ال ... عرب قانا لشعبها المسلوب
قد وقفنا في عيدنا بين شاد ... وخطيب وكاتب وأريب
نسأل الله للأديب ازدهارا ... وحياة سعيدة « لأديب »
بين الف ووردتين ووحي ... من كتاب وغفلة من رقيب

القاهرة — بولس غانم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة في معارض الثياب القديمة

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اراني اذا اردت طرح اعباء الحياة عن نفسي ، وازالة ما رزح على روحي من هم طغى عليها فاستبد بها ، كما تستبد شبكة الصيد ، بالصيد الوفير يرقد في اعماقها يتصارع مع الموت ، المنبث في كل خيط من خيوطها ، وقد انساب اليه عفويا في غفلة من غفلات الاقدار ، او فرحا بالطعم ، وطمعا في ابتلاعه اقول ، اراني في مثل هذه الحالة في أمس الحاجة ، ان اسمح لاقدامي ، كيما تجرني منسابا ، فوق افاريز شوارع المدينة ، على غير هدى ، لاطالع في سفر الحياة ، روايات واقاصيص ، والحياة عبارة عن دار عرض كبيرة للسينما ، يمثل الناس فيها ادوارهم ، بكل بساطة ودقة ، والممثل يحمل في طيات نفسه شخصيتين مزدوجتين ، فهو عدا عن كونه يقوم بدور الممثل ، فانه يقوم في نفس تلك اللحظة بدور المشاهد . .

اسير واسير وئيدا ، ولكن بغير خطى متثاقلة ، وانما بخطى المتأمل المشاهد ، اتأمل الناس وحيواتهم ، وما يرتسم على وجوههم ، من رضى وغبطة ، وما يفور في اعماقهم ، من هم بدا ماثلا متجسما في عيونهم الغائرة الكئيبة ، فاقرأ في هذه الوجوه صحائف من روايات حياتهم ، وانا في كل هذا الذي استوحيه ، تغمرني الغبطة ، ويشيع في احنائي السرور ، لان قراءة حيوات الناس ، يملأ النفس لذة ومتاعا ممتزجا مع الم دفين انساني ، يغيم في نفسي . . تجرني قدمي احيانا الى الاسواق التجارية فأراها تغص بالمستهضعين ، يستبضعون حاجاتهم ، الضرورية والكمالية ، وبعضهم يلتف حولهم ، لذاتهم الصغار ليشتروا لهم حوائجهم الضرورية ، والاطفال ينعمون بالسرور ، ويحتفلون بالسعادة ، يتدفق البشر في نفوسهم ، وتنطلق الفرحة في افئدتهم ، وتعلنها عيونهم باسمة مشرقة ، سعداء بنفيس الهدايا ، تشرق اوجه والديهم بفرحة الحياة وما امدهم الله به من الرزق استعانوا به لتوفير الفرحة والبهجة في انفس بنيهم ، والطفل الصغير ، يفرح بالقليل ، فيراه شيئا كثيرا كما يفرح المحب بايماءة واطلالة بسيطة يمنحها له محبوبه ، فيراها في عمر الزمن دهرا طويلا ، وشيئا كبيرا كثيرا ، ومن هذا القليل يضيف الى سعادته سعادة اخرى ، لانه لم ينغمر بعد في اعماق الحياة ، وهو اقرب الناس الى الفردوس والنعيم كما يقول الحكماء ، وكلما امتد به الزمن ، ابتعد عن الفردوس ، واقترب من الجحيم جحيم الحياة ، حين تطلع عليه باسرارها ، ويبلو ما في اعماقها من خير وشر . .

ثم تنتقل بي اقدامي فأفاجأ حيث ارى نفسي في سوق الملابس القديمة ، وقد ازدحم السوق بالشارين ، وامتلأت دكاكين الباعة بالملابس القديمة ، تراها مركومة مرصوفة على ارففها ، او معلقة فوق الحبال . والمشاجب المتناثرة او على كتف البائع ، يعرض كل هاتيك الملابس . وقد نصل بعضها من الوانه ، تنفث روح القدم من اردانها وصدورها واكمامها ، ستر ات ، وبناطيل وجرزيهات ، تنطق بوجاهة ، وعزم ومنعة وقوة اولئك الذين ارتدوها لاول مرة ، فكم سترة تفنن صانعها ، فاخرجها تحفة من تحفات الفن والجمال ، وكم معطف تفجؤك حلاوة نسجه ، ومتانة حبكه ، وجمال هندامه ، وصنعه ، وتخلبك روعة الفن وقدرة الفنان ، الذي صاغه على هذا المثال ، ويطغي على الخيال ، ويستبد بي بين الفينة والفينة ، وانا غارق في احلام يقظتي ، فيطالعني وجه ، وقامة ، صاحبها الاول مرتديا تلك الحلة ، وما اضفت على قامته من الفن والبهاء فاقول في نفسي : اتراه بعد عز ونعمة مترقرقة ، اصابته المتربة ، ونكلت به الفاقة ، فباعها رخيصة ، فجابت الاقطار من اقصى المعمورة حتى استقرت في هذا المكان ، تعرض حياتها وحياة صاحبها المتقلبة ، بين اليسار والخصاصة ، والنعيم والشقاء ، ام تراها حلة ميت ، تقاسم ورثته ، تركته فباعوها ضمن ما باعوا من آثاره ومقتنياته ، وكتبت لها الاقدار الرحلة والغربة ، لتتجرد عن كتف ، وقامة رجل ثري سعيد ، ولترقد فوق كتف شقي فقير ، يشتريها بزهيد الثمن ، ويزدهيه الغرور ، فيستعيض وهو في اشد حالات وهمه ، حياة حرم من مفاتنها ، بهذه الحلة ، لعلها تستحضر له جزءا من السعادة المفقودة ، . . ثم اسير ، ويقبل علي محل ازدان بما علق فوق مشاجبه ، ورفوفه ، من فساتين جريرية وصوفية وجرزيهات وغير ذلك من الاصناف المختلفة الشكول والالوان ، رائعة التكوين والتفصيل ، فاحدث نفسي واقول . . اية قامة هيفاء ، علتها هذه الحلل ، وطوقتها تلك الثياب ، أترى هذه الحلة ، كانت لحسناء ، فاتنة المحاسن ، هجرها عشيقها ، واخرى لغيداء ، كانت ترفل بالنضارة والنعيم ، استلب الموت حياتها الهانئة ، وابقى تلك الثياب تنطق بالحياة الآفلة ، اردانها وثناياها ، وما حفلت بالنعيم والعيش الرخي . . حقا ان الحياة سعادة وشقاء ، فلقد غاض معين الحياة من اجسام اولئك الذين ارتدوا تلك الحلل ، لاول مرة ، ولكن آثار العز الغابر ، ما تزال عالقة بها ، وافتتن بهذه الحال اخرون ، فساوموا على شرائها ، ليرتدوا بقايا العز الآفل ، والسعادة النابضة بالحياة ، لتشرق على اكتافهم وصدورهم نوافح النعيم ، وان كان الالم الدفين يطوي

ذكريات لقاء عاجل

لـم تكـن غـير لحظـة ، وتواريت ، وظـل السـؤال فـي أعماقـي
وتمشى العيـاء مـلء دمائـي واستفـاق الخشوع فـي اعراقي
حين غمغمت : مـن تريد ؟ ترنحت وغـام الوجـود فـي أحداقـي
ورأيت الغـد المحجـب في عينيـك جـذلان مشرق الافـاق
ما الـذي قلتـه ؟ سألتـك خجلان ، فنـم السـؤال عـن أشواقـي
فتبسمت لـي ورددت مـا قلـت وفـي الصـوت رنـة الاشفـاق
وتبينـت مـا تكتمـه نفسـي ومـا حملـت مـن الاخفـاق
وتساءلـت : أي شـيء تعانـي يـا حليـف السهـوم والاطراق ؟
أيه يـا أنت ! اننـي بائس مضنى تولـى عنـي الرجـاء الباقـي
أقطـع العمـر هائمـا لا أرى قلبـا رحيما يأسـى علـى ما ألاقـي .
كيف أدعوك ؟ قلت لـي في حنان دفقت منـه ضـوأة في المآقـي
قلـت والدمع حائـر فـي عيوني وفؤادي يذوب فـي احداقـي :
الغريب الذي أرتوى بعـد غـل واحتواه مـأواه بعـد الفراق !

بغـداد — زهير أحمد القيسي

في قلوبهم ، ونفوسهم ، او ليرتدوا السعادة في اشكالها المتباينة ، وان ندت عن نفوسهم وارواحهم .. رجعت من رحلتي هذه مستعرضا الوان الحياة ، ومفكرا فـي متاع الانسان ، واثاره ورسومه ، وما ينطق عنـد عرضه مـن الوان الحياة المتباينة المتعاقبة ، بـين البؤس والشقاء ، والعز والنعيم ، رجعت وانا افكر في مقطوعة شعرية قالها احمد ، شقيق ابي العلاء المعري ، وكان شاعرا ممتازا ، لم تبق له ، شهرة اخيه ، الا شهرة ضئيلة ، لا يعرفها الا الاقلون ..

مر هذا الشاعر في احدى رحلاته ، علـى اطـلال (سياث) وهي المعرة القديمـة ، ورأى رجلا ، يقتطـع الحجارة ، من اطلالها ، فآلمه المنظر ، والاطلال تحدث عن حياة سابقة لامته ، كما تحدث الشباب والامتعة والحال عن حياة الاشخاص ، وتملؤنا النشوة مـن كـلا الحديثين ، ونحس بالعظة والعبرة ، فنخضع امام قوة الحياة ويتدفق الاسى والشجن في اعماقنا يقول :

مررت بربع .. من سياث فراعني بـه زجل الاحجار .. تحت المعاول
امتلفهـا شلت يمينـك ، خلهـا لمعتبـر ، او زائـر ، او سائـل
منازل قوم .. حدثتنا ، حديثهم ولم ار ، احلى مـن حديث المنازل

ان محبة الشاعر للحياة ، اوهمـه بحديث المنازل ، فاضفى عليها الحركة الانسانية ، وتشبث الانسان بالبقاء جعله يضفي الحياة ، حتى علـى الرسوم والاطلال .. رجعت وانا اتلمس الروح الانسانية تخفق في روح ابـي العلاء المعري ، يحدب حتى على مظاهر الحياة البسيطة ، فكأنها ترتفع في حسه ، الى درجة اسمى ممـا تتصوره مداركنا ، ويضفي عليها خياله ووهجه فتبدو كأنها انسان، يشعر بالالم ، والغربة : يقول رائيا اناء من الفخار ، ظنه رماد انسان :

فلا يمس فخارا مـن الفخر عائد الى عنصر الفخار ، للنفـع يضرب
لعل انـاء منه ... يصنع مـرة فيأكل فيه .. مـن اراد ويشرب
ويحمل من ارض لاخرى وما درى فواها له ... بعـد البلى يتقرب

لقد جاد علينا سوق الملابس القديمة بالعظات، نثرتها سخية علينا ، معاطفه وحلله ، تتدفق بالوان عميقة مـن الوان الحياة ، وما اروع الوعظ تنطق به الرسوم والآثار ، والنفائس والثياب والحلى ، وما اروع ابـي العلاء فـي قولـه :

اذا الحـي البـس اكفانـه فقـد فنـي اللبس واللابس
ويبلـى المحيـا .. فـلا ضاحك اذ سر دهـر ولا عـابس

عمان ـ الاردن — مصطفى درويش الدباغ

« هاك جيوبي ، فاغرز يديك فيها واحفن ما تسع كفاك . هاك رماد جماري المطفأة فاطل به بابك وانثره ضبابا تختبىء فيه عن عيون لائميك لا تتوان ... « شيخ يدلل ولا شاب يهين » هو ما يقوله المثل السائد . لقد دارت بي الارض خمسين دورة فلا بد لي من الاستراحة متوكئا على زند قوي نضر . اراك تحب القنص خذ هذه البندقية ، فما عدت قادرا على الصيد . لااستطيع الجري في الحقول او تسلق الهضاب . ان رجلي يشلهما داء « العصبي » ، لا تتململ ، ستكون ابنتك عصاي ودليلي » .

« ما اروع هذا الوادي وما اجمل تسابق السنونو بين اشجاره ! هل تسمع زقزقة العصافير فوق شباكنا صباحا ؟ كيف يمكنك النوم والاسترخاء وكل ما في الطبيعة ينهض بنا ويفجر كياننا . تعال الى الشرفة نرشف قهوتنا وننعم بالنور والهواء . انظر الى هذا القطيع ، انه كغيمة بيضاء تطل وتختفي في منعرجات الطريق ، ان الفرح المتفجر من اعماقه يرقص قوائمه فيشرد في الوادي الاخضر ذاهلا عن ضياح راعيه . ما بك تتنهد بعمق هل تشعر بألم ؟ اخسك غير قادر على التنفس جيدا ، اليك بهذا التفاح اللذيذ فاقضمه كما يفعل الاطفال ولا تخف ان تقع اسنانك او تتفسخ ، فقد يساعدك على الانتعاش. تدثر جيدا وتدفأ بأشعة الشمس فلا تنفذ اليك البرودة وسرح ناظريك في هذه الهضاب » .

ـ « ما لنا ولهذه الحفلات ياحبيبتي فهي لا تورث الا التعب والملل . لقد سئمتها سئمت السهرات الصاخبة ليس بي رغبة لشيء . ان التقزز يملأ نفسي ، لقد افنيت عمري متسكعا في الحانات ابذر في البارات دون حساب ، دعيني استريح فما عاد بي جذوة تشتعل ، البرودة تسري في شرايني تعالي نلزم بيتنا انسى الدنيا فيك وتتعرفين بي الى العالم »

لم تكن تستطيع الهرب من واقعها ، من اولادها وتذكرت اباها وامها ، تذكرت الصرة المتوهجة التي استبدلاها بها . الم تكن امها فرحة يومذاك تتيه فخرا على جارتها ان ابنتها خطبت ولم تكمل الرابعة عشرة من عمرها . انها بلا شك اجمل بنات القرية والا لما اصطفاها هي دون غيرها .

وتشتعل النار في صدرها ، لم تحب هذا الزوج يوما ، لم تشعر

الجمر والرماد

بقلم اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحلاوة الدفء والانسجام ، عاشرته كواجب يحتم عليها ان ترعاه وتوفر له الراحة . ولما وعت نفسها وادركت ما لشبابها من حق عليها ابتعدت عنه، توارت تخفي خيبتها وانهيارها. كانت في قمة الفتوة ، في عنفوانها ، في الرابعة والعشرين من عمرها سن الحب والامل المشرق سن التفتح والمرح ، ورأته الى جانبها كهلا في الستين ، مات فيه الربيع وجفت ينابيع عطائه . ما ذنبها ؟ هل كتب عليها ان تدفن شبابها وهو في اوجه ! تبا لوالدها من سفاك .



حبذا لو استطاعت بالامس ان تعي . ان تجهر بما ادركته الآن . وابوها ، هذا الذي يصفر زوجها بعشر سنوات ونيف ، كيف فاته ان يدرك سوء عمله وبشاعة جريمته ؟ كيف رضي ان يجعلها بركة للمياه الآسنة. هالها هذا الضياع ، هالها ان تبقى غصنا اخضر ملقى في قبو عتيق . فبكت نفسها ، احست الغبن والغلبة فالتهبت اعصابها وشعرت بالدوار في راسها . لا ! سوف تنتقم ! .. ستعيش رغم الاعدام الذي حكمت به ، ستقف في وجه زوجها وتدافع عن نفسها ، ستصرخ في وجهه ، ستفهمه انه مجرم ، انه وحش ، انه ميت الشعور والضمير ، والا لما رضي ان يتزوج من فتاة في ثلث عمره !

ان الطبيعة عرفت كيف تعبر عن دستورها بحق ، فما جمعت الربيع والخريف في صفحة واحدة . الزهرة العبقة المطلة على الضوء لا تضم مع زهرة ذابلة جافة .

.. « ان هذه السنوات العشر التي قضيتها في الظلام هي التي تمدني بالقوة ، هي التي تنمي رغبتي في الحياة وتحفزني كي انهض واتبع النور المغلف بالظلمة ، النور الذي يشع في نفسي فأصل الى فجر ابيض ارقبه منذ زمن .

اما والدي فسأدعه رافلا في بحبوحة مستنزفة من دمائي وليشمخ امام اترابه واصدقائه فزوج ابنته ثري اهدى اليه ذهبا ، وليصطد الطيور البريئة فكل رصاصة يطلقها من تلك البندقية تزيد ثغرة الجرح في قلبي وليهنأ منعما بصفقته الرابحة . انا لاافكر ان استبيح شرفه ، ان الطخ اسمه واتمرغ في الوحل انتقاما منه بل سأطل من افقي الاسود لاريه اعصار الحرية في نفسي لاعلمه ان شرايني تتفجر وتنزف مع كل غروب ، وان هذا الصمت المختزن في صدري

الرجوع من المستحيل

.. ومضيت من باب لباب
الريح تلعنني وللدرب المعلقة انكباب
ومدينتي تجتر ماضيها ، وتستجدي السحاب
أطفالها خرق مبعثرة كاعشاش الغراب
ونساؤها شجر من الصفصاف لم يحبل بناب .!
.. أمضي ، ويفزعني الاياب
وهناك أبعادي المكسرة الشعاب
أبد من التسآل يملؤني فأبحث عن جواب
عن مطلع للشمس .. عن بدء الرياح ،
لأضيء في أنفاقي الحيرى مصابيح السراب
وأحاور الاحقاب عن معناك يا جبل التراب
عما يجول بخاطر الاشجار في غاب ، وغاب ؟!
وأروح أركض في القفار السمر اسأل عن جدار
عن وحل غانية طمى ..
عن كوخ ناسكة على شرفاتها نبت النهار
عن شاعر ضغط الوجود وراح يقرأ في سفار
أشواقه في ليلة الميلاد
عن فارس ميدانه رفض اذا احتدم الغبار مع الغبار
.. وصرخت في واد من الموتى وللريح
المعتقة انكسار :
ـ هبوا ، فقد غرق النهار !؟ .

« ـ يا نوح هذي الارض تاكلني ويرهصني مدار
ـ يا نوح .. لم جنح السفين الى « الجودي »
لم نشفت بحار .. ؟!
ـ يا نوح .. يا ... »
ويظل يركض في متاهاتي جواب
ويداي تحتضنان الريح ، أدخل كل باب
أستصرخ الطوفان : ان يطفو ، ويبتلع الهضاب.
المستحيل يلفني ، وغدا يغيبني حجاب
لكن ظل الارض يرجعني ، صدى ،
فأسيل كالانهار في ترب الضباب
أمي التي كانت هنا
حفرت أخاديد اليباب ..
لا الريح أهدتني ، ولا النجم المعلق بالسحاب
« ـ يا نوح : هذي الارض تأسرني وتعصرني قفار
يا نوح : لم لجأ السفين
ولم غارت بحار .. ؟ »
موج من الافكار يغسلني ويملؤني ضباب ..
ـ « يا نوح .. يا .. »
ويظل يركض في مسافاتي جواب !.

دمشق — اسماعيل عامود

يوزع القناديل الساطعة في طريق الحياة . سأنفخ الرماد عن الجمار واحرق الظلمة امام العميان فلا يتعثرون .

اما امي ، فسأسامحها وان كان نصف الجريمة يقع على عاتقها ، وان كان انصياعها يرسخ زعامة ابي ، وان كان استسلامها يزيد من سلطانه وان كانت تمثال تحركه اهواؤه . اريد ان اعلمها ان الهدوء الكثير يبني الفراغ ، وان الطلقات تحرك ريش العصفور وان كانت لاتقتله »

ـ « امي ... اين انت يا امي لدي دروس كثيرة تعالي الي ... انا لا اقوى على الدرس وحيدا » .

وانتفضت كمن صحا من حلم مرعب . قفزت تمسح دموعها وتمشي بخطى حازمة ، خطى تنطق بالثقة والحرية وتومض بالانتصار بعد ثورتها المكبوتة .

دخلت غرفة اولادها بأشراقة جديدة ، بنظرات اغتسلت بالدموع فأضاءت فيها نجوم راقصة تشع وسط ضفاف خضراء لقد عرفت ان تنشد في العدم ، ان تضحك في الظلام ، ان تتألم بفبطة ان تكون ارضا يشيد اولادها عليها سماءهم .

واحتضنت زغاليلها تفيض عليهم بالدفء وتوزع بينهم القبلات ...

ورنت باشفاق حيث يجلس زوجها فتلمست يده بحنان دافق :

« السهر يتعبك يا حبيبي اذهب واسترح في سريرك ، اما انا فسأسهر سأرقب القمر في لياليهم البيضاء » !

الشويفات ـ لبنان — اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرات نقدية حول اللغة والادب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

حدد ابن خلدون الادب بقوله : هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها ، وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته ، وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم ، وقال اخرون : ان القصد من دراسته الوقوف على جمال القول وروعته .

شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو

امام هذه اسائل نفسي ما هو ذلك الجمال ؟ او ما هي تلك الروعة وان شئت فقل الاجادة التي نلمسها في دراساتنا الادبية ؟ وقد اقتصرنا على تفسير معنى البيت ، ودونه ودون الحقيقة بون شاسع ، والتطريب للكلمة الرشيقة ، وابداء اشارات الاعجاب باليد والتغني بالشعر ومد الصوت تهديرا وترعيدا وتحزينا لا غير ، ونقول انه جميل ولماذا ؟ لا نعلم ، ونزعم اننا ندرس الادب ونعلمه وقد فاتتنا الغاية المرجوة التي يقصد اليها بالذات واغفلنا توجيه الطلاب اليها ، وهو النقص الذي نلمسه ويلمسه كل من درس الادب . ويقول ابن خلدون ان صاحب هذا الفن يحتاج الى اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها .. والمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه ، ليس له غنية عن دراسة قواعد اللغة من صرفها ونحوها وبيانها والا ففهمه للادب يكون ملتويا .

تمثيل العصر

واذا كان الادب على ما يقولون ، هو كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ، وهي كما تكون بالفعل وحسن النظر والمحاكاة تكون بالاقوال الحكيمة التي تضمنتها اللغة من نتائج عقول ابنائها وامثلة طباعهم ، وصور اخيلتهم ، ومبلغ بيانهم مما شأنه ان يهذب ويثقف العقل ويقوم اللسان ، وهذه كلها مدعاة لارهاف الحس وصقل الذوق وهو عند اهل البيان حصول ملكة البلاغة التي هي مطابقة الكلام المعنى من جميع وجوهه بخوص تقع للتركيب في افادة ذلك ، فهل وصلنا في تدريسنا الى تلك الغاية بعينها ؟ ام ما نزال نغوص في بحار متلاطمة تصدنا عن الوصول الى الميناء الامين بسلام ، حيث نلقي المرساة ونجني من الثمار ما لذ وطاب بما تعرضه من نتاج العقل بذوق سليم سديد ، ونختط لانفسنا طريقا تتلاءم مع حياة العصر الذي نعيش فيه ، وهل تضمن لنا مدرستنا الادبية الحاضرة تمثيل عصرنا ؟ ام ما زالت تمثل مدارس الاقدمين من الجاهلية الى الصدر الاول فالعباسية .

ترى هل فكرنا في ايجاد مدرسة تنبيء عن حياتنا الاجتماعية والعمرانية ؟ وما اراه وربما اكون مخطئا ، اننا ما نزال نعيش على هامش الاقدمين ، ننتقل بعقول طلابنا اليهم ، ونستعمل تعابير صحراوية ونحن في عصر الكهرباء والسرعة والطاقة الذرية .

تحرر في التقليد

وبعد اليس القصد من دراسة الادب معرفة احوال النابهين من اهل اللغة في كل عصر ، وما كان لنشرهم وتأليفهم من اثر محمود او حال ممقوت ، لنحتذي مثال المحسن ونتنكب طريقة المسيء ، واحياء القومية في نفوسنا ، ونجري بعصرنا الى الحسن فالاحسن موجهين فكر الطالب الى ما يقع تحت حسه وفي متناول يده ليصوره بخياله وادبه ، كما صور من تقدمنا ما كان لهم من اسباب العمران او التردم والرفاهية او الخشونة .

الا يجدر باساتذة الادب ان يحرروا انفسهم من فرط التعلق بالقديم وتقليده ويتوجهوا بافئدتهم نحو الاجتهاد ؟ وبابه في الادب ما زال مفتوحا ويصنعوا لنا قواعد وحدودا تقرب معنى الجمال بوضعه الفلسفي وباسلوب يحمل طالب الادب على رفع مستوى عقله واخلاقه .

واذا كان القصد من الادب جمع المجاميع وشرح الغامض شرحا تقليديا فيه خلط وتشويش فما اقصرها جدوى ، واقلها فائدة ، اليس من الخير ان يوجه الطالب توجيها ادبيا بعد ان يكون قد وجه توجيها لغويا صحيحا في الصفوف الدنيا ، فيتعرف وجوه الجمال بمساعدة البيان ويعرف كيف يجب ان يفهم قول السرى الرفاء مثلا :

تعانق ريحها لمم الخزامى واعناق القرنفل في سراها
ويابى زهرها الا هجوعها ويابى عرفها لا انتباها

طابع الجمال

ولئن كانت لذة الجمال تعلن نفسها غالبا بايجاد عمل من الاعمال ، لان في الانسان رغبة متأصلة في اعماق نفسه ، تدعوه لان يوضح ما يشعر به او بخط او صوت او تصوير ، او على حد تعبير كارليل ، لا يمكن ان يوجد ملتن صامت غير مجيد ، ولايضاح ما يجول في المخيلة يجب ايجاد مادة ، تنقل تلك الصور المطبوعة بطابع الجمال ، واين نجد هذا الجمال ؟ ان لم يكن له طرق موصلة تقودنا اليه ، اليس من الغبن ان نهمل تلك الطرق نتهافت على تعابير ليس لها صلة بعصرنا البتة ، وتحمل على اللغة ومتونها ، ونجهر قائلين اننا نرغب في تبسيط اللغة ، ومن يبسطها ؟ ايبسطها اولئك الذين لم يلمسوا بيدهم كتابا من كتب الائمة ؟ او الذين لا يعرفون من اللغة غير كلمات معدودات يرددونها في كل قول ، وشيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذيان .. فتى شاخ

آه من يغزل هذا الألما ،
كفنا من يسكت الصوت أيا صوتا مدمى
آه من يهصر صدغي ، فيا راحة كوني العالما
ولتطر عيناي في الافق ترش الندما
وليمت رأسي ، فما أهداني ،
لا رأس لـي
رجلا منتصبا كالنخل .. لكن دون رأس
وبـلا عقل .. بلا وجه وحس
سنبلا أنبته الدهر فكان الحاصدا
أملا من قبل أن يرسم في الاحداق شاخ

يـا زمانـي ،
ليتني أسلخ من عينيك تذكاري ،
وأرميه الى الموقد خمره
مثلما يرمى رماد التبغ .. ما أقصر عمره
فهو والتاريخ عندي .. خفقتان
ومضة ، سرب جراد نحو قلبي
فبكى ، والدمع في ايامنا الحيرى اغان
وتمنى ، آه لو ترخى الاماني
يـا زمانـي ..
انني أعجب اذ يعشق انسان زمانه
وهـو يـدري .

ان في جنحيه من ريش النسور
ان عينيه صخور
ان في أعماقه ، تنبت مأساة العصور
تتهادى ، وتغني السنديانه
ايه يا نفسي ، وظل الزمن المجدور افعى ،
حـول روحي
حيث لن أروي للريح أساي
حيث لن أحكي ، لن يسمعني غير أنيني وخطاي
وسعالي .. وضلوعي ـ أضلع الطير ـ ونبضات
جروحي وانكساري وصباي
آه لو افترش الموت وأغفو
باسطا كفي .. أطرافي .. قلبي
مقلتي ـ لم تبصر الان ـ عنائي
لـك خذها .. يا زماني
ايها الصقر الذي حط على وجهي يوما فمحاني
أنـا ... ! لكن يا صحابي ،
أي حسره
عندما يلعق من جبهتي الصفراء ذئب
أي حسره .

بغداد

عبد المحسن أطيمش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

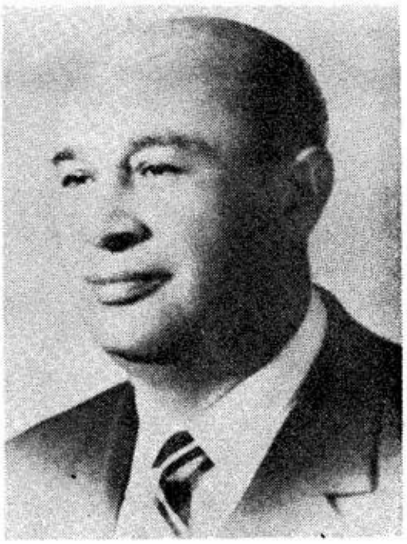
ضئيل من فقه اللغة واصوله ، لا يغني ولا يفقر .

قيمـــة الادب

وما قيمة الادب الذي بين ايدينا اذا كنا نسير سيرا تقليديا فلا نشرحه على ضوء العلم والتاريخ بل نكتفي بشرح رجل فرد رأى فيه رأيا يخالف كل المخالفة الحقيقية، وقد صرنا في زمن عمت فيه الكتب ونشر المخطوط في كل فن ، واصبح في متناول كل فرد ان يرجع الى عصر الشاعر ويدرس احوال البيئة التي عاش فيها ويقف على مبلغ الحياة العقلية فيها وعمرانها وحكمها والمذاهب المنتشرة فيها ، والتاريخ والادب صنوان لا يفترقان الا في نواح . عقلية محضة وهي الجمال الفني وهو الذي نرغب فيه الى اساطين الادب ان يجعلوا له قواعد ، كما فعل ائمة البيان في عصرهم كعبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ والامام ابي يعقوب السكاكي المتوفي سنة ٦٣٦هـ .

وجملة القول ، انه ليس عندنا مدرسة ادبية تمثل عصرنا تمثيلا حقيقا كما مثل « المثلث الاموي » عصره وشعـراء العصر العباسي من بشار بن برد الى ابي العلاء في الشعر ومن ابن المقفع الى القاضي الفاضل في النثر ، ومعلوم ان لكل جيل ادبا وخيالا ونتاج عقل يستفاد من الحاضر ، والفن يخاطب العقل كما يخاطب القلب ، فاين الفن ؟ ايكون عصرنا عصر دراسات حسب ؟ او ليست كثـرة الدراسات الادبية تنتهي بنا الى بكم ، وما نتيجة الادب الذي درسناه في مدى هذه السنوات ؟ ان لم يكن لنـا منه ثمرة الابداع وتصوير العصر بحضارته وما فيه مـن العجائب والغرائب التي تدهش المرء وتبعث فيه لـذة التفكير والتنبؤ عما يكون في مستقبل الايام ان واصـل الفكر ابحاثه ومكتشفاته في الاجواء البعيدة ومخترعاتـه التي يحلـم بهـا .

عيسى ميخائيل سابا



طاهر الطناحي

طـاهر الطـنـاحي

بقلـم نقـولا يوسـف

سكت القلم الذي ظل حوالي اربعين عاما يجول ويصول في ميادين الصحافة ، يكتب الدراسات الادبيـة ، والمقالات النقدية ، والقصة التاريخية .. وينظم الاشعار ويضع المؤلفات ، ويقدم للمذكرات والمصنفات .. ويترجم للاعلام وينشر الاحاديث والمراسلات .. وتوقف الصوت المسموع في مجالات الاذاعة والخطابة والندوات .. وانتقل الروح الفتي المتوثب الذي لم يعرف الراحة والسكون الى عالـم السلام والخلود صباح ١٤ من ابريل ١٩٦٧ ..

في عام ١٩٠٣ ولد بمدينة دمياط صديقنا الشاعـر الصحافي طاهر احمد الطناحي حيث نشأ اباؤه واجداده .. ولو انه يلقب بالطناحي نسبة الى بلدة طناح ، ويقول انه لا يعرف سبب هذه التسمية .. وبدمياط تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة المزاوي ثم بمدرسة « شمس الفتوح » التي انشأها المرحوم الشاعر عـلـيّ العزبـي ، وبهاتين المدرستين الاهليتين القديمتين تعلم رهط من ابناء هـذه المدينة الذين برزوا فيما بعد فـي ميادين الفنون والاداب والصناعة والتجارة ، ولم ينس اكثرهم هذه الزمالة ..

ثم التحق الطناحي بمعهد دمياط الديني وحصل على شهادته الابتدائية . ولما كانت هذه المدينة يومذاك خلـوا من المدارس الثانوية والعالية فقـد ارتحل مـع موكب المهاجرين الى المدن الكبرى ، الساعين الى استكمال التعليم او الى العمل الرحيب .. واستقر بالقاهرة عـام ١٩٢٢ واستوطنها بقية حياته لا يبرحها الا فـي رحلات قصيرة الى بلدته او الى غيرها من المدن ..

لكنه خلف مسقط رأسه وراءه يتبعـه مؤثران ، احدهما انطباعات صورها ومعالمها فهي بيئة غنية بجمالها الطبيعي ، تقع بين البحر والبحيرة والنيـل ، وتجاور الحقول والريف وادغال النخيل، وتدنو من مصيفها «راس البر » عند ملتقى النهر والبحر .. وهـي غنيـة بتراثها التاريخي والادبي والفني (١) . واما الاخر فالوفاء والحنين والتعلق ببلدته ، لم ينس قط مرتـع طفولتـه ومسرح صبوته ، ولا اهله ولداته وعشيرته .. يردد ذكرها فـي رسائله ومحادثاته ، وفي منظوماته ومساجلاته او فـي مقدماته ومقالاته . وها هو يكتب عنها بعـد ان بارحها بسنوات طوال (عام ١٩٤٩) في كلمة جاء بها : (٢)

« غادرت دمياط منذ عشرين عاما وهي مدة ليست باليسيرة ، وكنت وقتئذ صبيا ، ولكن لغتي وعاداتي مـا زالت دمياطية . وما زلت افتخر بأني دمياطي . وكلمـا تحدثت الى محدث وقال انك دمياطي ، شعرت بالغبطـة وهزتني الذكريات الجميلة ، وانشدت قول تقي الدين المقريزي:

سقى عهد دمياط وحياه من عهـد فقد زادني ذكراه وجدا على وجـد

واستفزني هذا الجمال الشعري الذي انطبع فـي نفسي من جمال الطبيعة في هذا البلد الجميل. واستعدت من صفحات التاريخ ما كتبته دمياط بالمـداد الذهبـي والوطني والمحتد الاثيل ، يـوم لـم تكـن تعرف القاهرة والاسكندرية .. »

وهو يعزو تعلقه بالشعر والشعراء الى المؤثرات الاولى في بلدته ومدرستها ، فيقول في مطلع كتابه : « شوقي وحافظ » (المنشور في اول مايو ١٩٦٧ عقب وفاته) :(٣)

« كنت في صباي اتعلم في مدرسة ابتدائية ببلدتي دمياط تدعى « مدرسة شمس الفتوح » لصاحبها الشاعر المجيد علي العزبي .وكان هذا الشاعر أحسن الله اليـه ينظم الاناشيد والقصائد المدرسية والقومية في مناسباتها ويجيد الالقاء نظما ونثرا كأحسن مـا يلقـى الشعراء والخطباء . وكنت مع زملائي الفرسان الاطفال الثلاثة الذين يختارون لالقاء بعض القصائد الوطنية، والاناشيد القومية في حضرة زائر كبير او مفتش قدير مـن مفتشي وزارة المعارف العمومية ، او لقيادة التلاميذ فـي اناشيدهم المدرسية التي ينظمها علي العزبي في سهولة وقوة .

وكان هذا الناظر الشاعر ، نابغة دمياط في الشعر، وهو شاعرنا الاول ، بل (شاعر مصر الاول) في نظرنا في ذلك الحين ! وكان يشتد علينا فـي حفظ القصائـد والاناشيد ، واجادة القائها في هذه السن الصغيرة ... وكان للشاعر علي العزبي صلة بشاعر النيل حافظ ابراهيم والشاعر امام العبد ، وطالما كـان يراسلهما ويراسلانه ويداعبهما بالشعر ويداعبانه ، وهو فـي رقة معانيه وفصاحة الفاظه اقرب اليهما من سائر الشعراء ولكنه كان يميل في بعض شعره الى انواع البديع .. وكان القاء هذا الشاعر لا يقل قوة وجودة عن القاء حافظ ابراهيم . بل كان صوته ارق واجمل من صوت شاعر النيل ، فكان تأثيره في شباب دمياط أقوى تأثير !... »

ثم يذكر كيف عرف في صباه كتابـا اشتهر بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناشئين في ذلك الحين اسمه « جواهر الادب » يجمع مختار الشعر والنثر لطائفة من المتقدمين والمحدثين ومنهم حافظ ابراهيم واحمد شوقي والبارودي ... وكان شعر حافظ اقرب الى نفسه لسهولته .. وعاطفته الباكية .. ولما نزل القاهرة للدراسة اخذ يتعرف الى شعر شوقي وغيره من الشعراء ....

وهكذا وجد الصبي ذو الموهبة الشعرية الكامنة ، التربة الملائمة لهذا الغرس الناشيء فنما ولم ينقطع ثمره الى اخر عمره . وكان يطمح الى ان يكون شاعرا كبيرا كالذين يعجب بهم ويقتفي اثرهم ..

ويبدو ان سحر هذه المدينة الشاعرة المتصوفة ، واثر هذه البيئة الموفورة المحاسن ، ما اخرج ذلك الموكب الحافل من الشعراء المحدثين كما حدث منذ القديم ، فمنذ مطالع القرن العشرين تسمع بتلك الاسماء من الشعراء الدمياطيي المولد والنشأة ، علي الغاياتي ، علي العزبي ، محمد مصطفى الماحي ، محمد الاسمر ، عبد اللطيف النشار ، حسن كامل الصيرفي ، محمود عبد الحي ، طاهر الجبلاوي ، طاهر ابو فاشا ، طاهر الطناحي ، محمود عماد ، محمد البدري محمدين ، سليمان عياد ، محمود ابو الوفا (الذي تعلم هناك) الى اخر الاسماء .. بل ان الكتاب والباحثين من ابناء هذه المدينة وبناتها تغلب عليهم الشاعرية احيانا فينثرون الشعر كما نرى في الدكاترة : علي مصطفى مشرفة ، شوقي ضيف ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، لطيفة الزيات ، جمال الدين الشيال ، محمد محمود السلاموني ، رجاء العزبي، عبده حسن الزيات ...

وكأنما ربطت هذه المدينة الام بين هؤلاء الابناء الشعراء بصلة النسب ، فتراهم على القرب والبعد متآخين متفاهمين ، يتذاكرون عهد الصبا ومسرح الشباب ، ولا يخلو ديوان احدهم من المساجلات الشعرية والدعابات ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما ورد في ديوان الشاعر محمد مصطفى الماحي من تلك الذكريات ، فثمة سبع قصائد نظمها الطناحي مساجلا صديقه الماحي او نظمها مواطنه في شخصه (٤) . فتارة يرسل الطناحي (عام ١٩٤٦) قصيدة الى الماحي بمصيفه « رأس البر » عند دمياط ، منها :

روحي على البعد فوق الثغر هائمة ... تحوم بين نسيم البر والماء
كانت لياليك بالاسعاد عامرة ... وكان ناديك موفور الاحباء
لا ضر صيفك لكني شقيت به ... فهل على البعد تشفى بعض ادوائي

الى ان يقول :

يا جيرة «الرأس» اني قد صبوت لكم ... يا جيرة الرأس هل تدرون ما دائي
كانني الطير مفلولا على قنن ... او انني الليث مسجونا بفيحاء
حسب المضاجع مني ما اعالجه ... في فحمة الليل من شوق وبأساء

ويجيبه الماحي بقصيدة ، منها :

يا هائم الروح فوق الثغر حسبك ما ... حملتني من رسالات وانباء
اعزز به بلدا جلت محاسنه ... عن المثيل فأمسى فتنة الرائي

وتارة يعقد الماحي في داره سهرة ادبية (عام ١٩٥٤) يدعو اليها الطناحي ومحمد الاسمر واخرين .. فيسجل الاسمر هذه الندوة وحاضريها في قصيدة طويلة كان نصيب الطناحي منها هذه الابيات :

ومنهم صديقنا الطناحي ... منفردا بخده التفاحي !
حسن عرفناه له من الصغر ... ايام نلهو في صبانا بالاكر
وكان في ايامنا بالمعهد ... كانه حمامة في المسجد
يسير وهو رقة وخير ... منصرف للدرس ليس غير
حتى غدا في افق الهلال ... يضيء بالقصيد والمقال
يختار ما يختاره او يكتب ... ويسهر الليل له ويداب
وهكذا كان زمان الدرس ... يصبح بين كتبه ويمسي
كان هلالا ثم امسى بدرا ... يجلو لنا الهلال شهرا شهرا .

ويعود الماحي فيدعو اخوانه في العام نفسه الى زيارة داره الجديدة بالقاهرة فيحييها الطناحي بقصيدة جاء بها:

دمياط تزهو انها بك ... للجمود محاربه
والجود يترجى في ربوعك ... جيشه وكتائبه

وارتحل الطناحي الى القاهرة عام ١٩٢٢ ليتابع دراسته وليبدأ حياته الجديدة ، ويتعرف الى الاوساط الثقافية ويستقر بالعاصمة بقية العمر .. والتحق اولا بمدرسة القضاء الشرعي وبقي بها ثلاث سنوات طالبايدرس الشريعة والفقه واللغة .. والغيت هذه المدرسة عام ١٩٢٥ فانتقل منها الى « دار العلوم » ليتخرج مدرسا للغة العربية . ولكنه تركها بعد ان امضى بها ثلاث سنوات اخرى مفضلا الاشتغال بالصحافة والقلم على التدريس وقيوده .. وهو منذ قدومه الى القاهرة متصرف الى الادب وبخاصة الشعر ينظمه ويقرأ دواوينه ويسعى الى مجالس الشعراء من معاصريه وفي مقدمتهم شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران والعقاد والمازني وعبد المحسن الكاظمي وغيرهم ...

وحدث في أوائل عهده بدار العلوم ان سرت حركة بين طلبتها تدعو الى المساواة بينهم وبين اخوانهم بالمعاهد الاخرى في الانظمة والدرجات والزي ايضا ، وكان طلبة دار العلوم ما زالوا يلبسون القفطان والعمامة ويخضعون للانظمة والمناهج التقليدية القديمة التي رسمتها « وزارة المعارف » ، فطالبوا بالاصلاح وعارضتهم تلك الوزارة وحاصرت الشرطة معهدهم ، واستعان الطلبة بالصحافة ، وراح الطناحي يكتب بجريدة البلاغ عن قضية دار العلوم ووجد من صديقيه عبد القادر حمزة صاحب الجريدة وعباس العقاد محررها الاول كل تعضيد .. واضطرت الوزارة الى الموافقة وارتدى طلبة دار العلوم الزي العصري، وتمرس الطناحي بالصحافة واقتحم ميادينها ..

وهو يقص عن صحبته مع الشعراء في تلك الفترة كيف اخذ منذ نزوله بالقاهرة يبحث عن شعر حافظ ابراهيم في الصحف والمجلات ، وكان الشاعر شوقي ما يزال مغتربا بالاندلس .. « .. وكان ديوان حافظ ابرأهيم في طبيعته الاولى اول ديوان اشتريته وقد حثني على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شرائه ما قرأته من شعره في مجلة الزهور لصاحبها انطون الجميل حينما كنت اتردد على قاعة المطالعة في دار الكتب المصرية ، وما رأيته في « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » اللتين كانتا لشاعر القطرين خليل مطران في اوائل هذا القرن .. » ، ثم يذكر ما كتبه مطران عن شوقي في مجلتيه وما كان من حديث عبد المحسن الكاظمي عن البارودي وثنائه على شوقي .. ثم عن زياراته لشوقي بعد عودته وذكرياته معه ومع حافظ مما تناثر في كتابه « شوقي وحافظ » السالف الذكر ..

ومنذ عام ١٩٢٨ اشتغل الطناحي بالصحافة كاتبا ومحررا ومديرا للمجلات ، واستقر بدار الهلال حتى اليوم الاخير من حياته ، اي قرابة اربعين سنة . ولقي لدى بدئه بالعمل بتلك الدار من رئيس تحرير مجلتي « الهلال » و « كل شيء » يومذاك المرحوم سلامةموسى ، ومن رئيس تحرير « المصور » الاستاذ فكري اباظة كل رعاية ومعاونة .. ثم تولى رئاسة تحرير مجلة « الدنيا المصورة» فيما بين ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ ثم مديرا للهلال منذ عام ١٩٤٣ ولكتاب الهلال الشهري واعداد المصور الخاصة .. كما كتب بمجلة « الاثنين » . وكثيرا ما كان يوزع كتاباته بين مجلات هذه الدار جميعا ويكتب في مجلات ادبية اخرى خارج هذه الدار . .وتنوعت موضوعاته فكتب القصة المستوحاة من التاريخ العربي ، وكتب في النقد الادبي والشعر ، ونشر الاحاديث مع مشاهير الادباء واعلام المجتمع والساسة العرب المقيمين والزائرين .. واستكتبهم المقالات والاجابة على شتى المسائل وسرد الذكريات .. واعانه على النجاح في مهنته وبالتالي على رواج المجلات التي عمل بها ، مواهبه الصحافية والادبية ، وصداقته عن الخصومات الحزبية والمعارك النقدية ..

ويصف بعض زملائه في تحرير هذه المجلات ما كان عليه الطناحي من حماسة في العمل واخلاص ، فيقول فكري اباظة : (٥)

« .. خير ما يقال فيه انه طار بمجلة الهلال كل مطار ، فصعد بها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بالكيان العربي ، ثم شق بها الحدود فعبر البحار الى امريكا الجنوبية فدخلت كل بيت من بيوت المهاجرين العرب .. واندلع الفقيد باعداده الخاصة : « نحن العرب » نفس الاندلاع ... وكان رحمه الله لا يعرف المستحيل ، وكم انعقدت جلسات ثائرة بيننا وبينه ذات ضجيج وعجيج ولكن ايمانه بما استقر في ذهنه وفرط حماسته لواجبه وعزيمته الماضية ، كان هذا وذاك هو سلاحه الماضي الذي اجهز به على المستحيل .. »

ويقول زميله صبري ابو المجد :

« .. كان المصور يحتفي بأحاديث المسؤولين مع طاهر الطناحي ويعطيها اهمية بالغة . وللحق كانت هذه الاحاديث كلها تتسم بالصدق والامانة . فما يقوله السياسي يكتبه الطناحي بلا زيادة ولا نقصان . ولهذا فلم يحدث ولو مرة واحدة أن حدث تكذيب ما لحديث اجراه الطناحي مع كثرة ما اجراه مع المسؤولين من احاديث . وجمع الطناحي الى قدرته على الحصول على الاحاديث الهامة قدرة اخرى فائقة على انتزاع المذكرات السياسية من كبار الشخصيات .. ويشهد التاريخ ان الطناحي لم يكن في هذا المجال كاتبا لمذكرات سياسية يمليها زعماء سياسيون بقدر ما كان معلقا ومؤرخا للاحداث الهامة التي جرت في المسافة الزمنية التي تناولتها المذكرات السياسية .... »

والواقع ان طاهر الطناحي زود المكتبة العربية بعدد من مذكرات الاعلام الذين عرفهم وعاصرهم او من السابقين لعصره ، واشرف على تحقيقها والتعليق عليها والتقديم لها ، فما لبثت ان صارت مراجع للنقاد والمؤرخين .. وقد جمع من كلمات الرئيس جمال عبد الناصر وخطبه مجموعتين نشرتا بكتاب الهلال ، الاولى بعنوان « قال الرئيس » ١٩٦٠ و « هذا طريقنا » ١٩٦١ .. ونشر كتابين للسيد انور السادات من ذكرياته : « اسرار الثورة المصرية » و « قصة الوحدة العربية » ١٩٥٧ .. وكتابا عن : « فلسطين والضمير الانساني » لمحمد علي علوبة ١٩٦٣ .. كما نشر مذكرات لطفي السيد « قصة حياتي » و مجموعة من مقالاته القديمة ١٩٦٣ .. ومذكرات عبد العزيز فهمي « هذه حياتي » ١٩٦٣ .. ومن مذكرات عباس محمود العقاد : « أنا » و « حياة قلم » ١٩٦٤ ومن قبل « رجال عرفتهم » ١٩٦٣ .. ومذكرات نجيب الريحاني ١٩٥٩ ومذكرات اسماعيل صدقي ...

وكذلك اشرف وحقق للسابقين : مذكرات احمد عرابي ١٩٥٣ .. والشيخ محمد عبده ١٩٦١ واعترافات تولستوي ... وكان يكتب المقدمات لهذه المذكرات ويضع احيانا التعليقات والايضاحات مما يسر على الباحثين والنقاد دراستها والرجوع اليها ..

اما ذكريات الطناحي الخاصة عن اعلام الادب والمجتمع العربي واحاديثه معهم فلم تزل متفرقة في مجلات دار الهلال وغيرها ، ويخرج من مجموعها مجلد كبير او اكثر ينتفع منه النقاد والمترجمون للاعلام .. وكان قد نشر قبل وفاته كتابا سماه « ساعات من حياتي » ضمنه بعض ذكرياته الخاصة ..

ويلاحظ من مجموعة مؤلفات الطناحي المطبوعة والمخطوطة ــ وهذه الاخيرة نشر بعض فصولها في المجلات ــ ان اهتماماته كانت تتجه نحو ثلاثة من ابواب الادب اولها : الترجمة لحياة المشاهير في الفنون والاداب والوطنية وما يتصل بها من احاديث وذكريات ورسائل وغراميات .. وثانيها : القصة ، وثالثها الشعر ..

وفي باب التراجم وضع عام ١٩٣٩ مؤلفا عنوانه « على فراش الموت » .. اعاد طبعه (في كتاب الهلال الشهري يناير ١٩٦٢) باسم : « الساعات الاخيرة » ، تحدث فيه عن حياة طائفة من اعلام الشرق والغرب ، في ايامهم او ساعاتهم الاخيرة قبل الوفاة وهم : النبي محمد عليه السلام ، والشيخ محمد عبده ، ومصطفى كامل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشيخ علي يوسف ، وتوفيق البكري ، وباحثة البادية ، ومي زيادة ، واسماعيل صبري ، وحافظ ابراهيم ، واحمد شوقي ، وحفني ناصف ، والمنفلوطي ، وخليل مطران ، ومن اعلام الغرب : تولستوي ، وبيتهوفن ، وموزار ، وبوشكين ، وفان جوخ ، وادجار الن بو ..

وقدم المؤلف لهذا الكتاب بما سماه « نظرات » في فلسفة الحياة والموت ، وفي بقاء الروح ، وفي ان الموت لا يخيف ، وفي الحب والموت . وتتضمن هذه المقدمة فلسفته واراءه في الموت والروح ..

ثم نشر عام ١٩٥١ كتابا بعنوان « الحان الغروب » ضمنه بعض التراجم للراحلين ..

وصدر له كتاب طريف سماه « حديقة الادباء » ترجم فيه لعدد من معاصريه الادباء والفنانين بأسلوب تصويري تحليلي رمز فيه لكل اديب منهم بنوع من الطير او الحيوان يشاركه في بعض الميول والخصال .. فكان الشاعر ابراهيم ناجي سنجابا ، ومحمود تيمور هدهدا ، ولطفي السيد نسرا ، وعباس العقاد عقابا ، وأم كلثوم بلبلا ، وطه حسين كروانا ، ومحمد عوض محمد تمساحا ، وميخائيل نعيمة طاووسا ... وهكذا .. وهذه التشابيه او الرموز وان كانت (وجهة نظر) خاصة بالمؤلف فقد جاءت مقالات هذا الكتاب لوحات فنية بارعة ..

ويعد كتابه « حياة مطران » المنشور عام ١٩٦٥ من امتع مؤلفاته واقيمها فهو دراسة مستفيضة في نحو اربعمائة صفحة تتناول حياة الشاعر خليل مطران من مولده في بعلبك عام ١٨٧٢ الى وفاته بالقاهرة عام ١٩٤٩ بكثير من التفصيل والتحليل ، وتصور شعره ونثره وما اصدره من المجلات واسهامه في الحركة الوطنية وفي الخدمات الاجتماعية ، وآراءه في الحياة والحرية والحب والوطنية ، وصلاته بالادباء والفنانين ، والوطنيين والمجاهدين .. وتتناثر في الكتاب ذكريات المؤلف الخاصة عن مطران واحاديثه معه ، مما يضيف الى التراجم المتعددة عن هذا الشاعر ، الكثير من الجديد والذاتي المبتكر ..

ولا يقل كتابه « شوقي وحافظ » الصادر في مايو ١٩٦٧ عقب وفاته باسبوعين ، اهمية عن كتابه السابق ، فقد ضمنه الناحيتين الموضوعية والذاتية في حديثه عن احمد شوقي وحافظ ابراهيم وكان يلتقي بهما كثيرا ويسجل احاديثهما وذكرياته معهما خلال السنوات الطوال .

وكان يعد كتابا عن مي زيادة يضمنه احاديثه معها ورسائلها التي كانت تتبادلها مع معاصريها الادباء ومنهم ولي الدين يكن ولطفي السيد وعباس العقاد وباحثة البادية وغيرهم . وكان قد نشر بمجلة الهلال الكثير من هذه الاحاديث والذكريات ومقتطفات من تلك الرسائل .. كما ذكر انه يعد كتابا عن حياة المازني وغرامياته .. وعن غيرهما من الادباء الذين عرفهم .. (٦)

وفي القصة ظهر له كتابان اولهما « على ضفاف دجلة والفرات » ١٩٤٦ ـ مجموعة من خمس عشرة قصة عربية من قصص الادب والتاريخ والحرب والسياسة ـ نشر معظمها في مجلات دار الهلال في الاربعينات ثم اعاد نشر هذه المجموعة بعنوان : « معارك السيف والقلم » . .

وثانيهما قصة : « امير قصر الذهب » (سلسلة اقرأ يونيه ١٩٤٨) وذكر المؤلف في مقدمتها انها من قصص الحضارة العربية او قصص الحياة الذهبية في عصر الترف والذهب ، والمتاع والطرب ، ورخاء الفن والادب . وبطل هذه القصة ابراهيم بن المهدي الذي يسكن قصر جده ابي جعفر المنصور المعروف بقصر الذهب في بغداد ، وهو فنان شاعر موسيقار ، ولهذا ساد القصة جو الشعر والغناء وخرجت قطعة من الادب العربي الرفيع ..

وكان الطناحي ـ كما سلف القول ـ قد بدأ حياته الادبية منذ صباه شاعرا ينظم الشعر ويحتذي كبار شعراء العربية القدماء والمحدثين ، ولم ينقطع عن النظم طوال حياته وان كان مقلا بسبب اعبائه الصحفية . فكنت ترى له بين الحين والحين على صفحات « الهلال » او غيره من المجلات ، قصيدة وجدانية او مرثية ، او منظومة يرسلها في احدى المناسبات القومية .. كما كان يتراسل او يتساجل مع صحابه الشعراء بأبيات الشعر الرقيق ، وقد نظم في الغزل والوصف والحنين الى الوطن وفي رثاء الراحلين من الاصدقاء وترجم نظما بعض المقطوعات الانجليزية في الحكم والنصائح .. وكان اخر قصائده التي فرغ منها قبيل وفاته بساعات مرثيته في صديقه دكتور امير بقطر وكان مزمعا القاءها في حفل تأبينه ..

ولم يجمع شعر الطناحي في ديوان شامل بعد ، سوف يضم الكثير من ذكريات شبابه وشيخوخته ، ويجتمع فيه القديم والجديد ، والابتكار والتقليد ، ويسجل عددا من المناسبات التاريخية الادبية والقومية ..

وفي النقد الادبي كتب الطناحي وفرة من المقالات وتحدث عن المؤلفات والمترجمات ، وكان بعضها بلا توقيع.

ولا شك ان جمع كل ما نشر الطناحي في الصحف والمجلات من فصول ومقالات ، واحاديث وذكريات ، وما ترك من شتى المخطوطات وتبويبها وطبعها في مجلدات ، سوف يزود النقاد بالكثير من المعلومات عن الاعلام المعاصرين والحركة الادبية الحديثة ..

واخيرا ، انتقل طاهر الطناحي الى عالم البقاء في صباح ١٤ من ابريل ١٩٦٧ ، وكان قد ادى الصلاة وتهيأ للخروج الى عمله كعادته ، وشيعت جنازته في اليوم التالي من داره بمصر الجديدة ، وامست حياته منذ تلك اللحظة صفحة من تاريخ الادب العربي الحديث .

الاسكندرية **نقولا يوسف**

---

(١) « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » لنقولا يوسف ـ ط ـ القاهرة ١٩٥٩ و « اعلام دمياط » نشر فصوله موجزة بجريدة « اخبار دمياط » بين عامي ١٩٥٠ ـ ١٩٦٦ (٢) مجلة الاثنين ـ دار الهلال ـ ١٦ مايو ١٩٤٩ ص ١٠ (٣) « شوقي وحافظ » للطناحي ـ كتاب الهلال الشهري مايو ١٩٦٧ ص ١٥ ـ ١٧ (٤) ديوان الماحي ١٩٥٧ ص ٢٣٦ و ٢٤٣ و ٢٤٥ و ٢٦٨ (٥) كلمة لفكري اباظة في المصور ٢١-٤-١٩٦٧ ومقالة به لصبري ابو المجد ـ واخرى له بالهلال مايو ١٩٦٧ ـ (٦) من رسائل الطناحي الخاصة لكاتب المقال ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مشهد من مسرحية العباسة

العباسة ، عاتكة في غرفة من غرف القصر العباسي

●

العباسة :

اجد اللسان بما يجن ... الصدر لا يشفي اللسان
وأرى البيان بما يكن ... القلب ، لا يغني البيان
وجد كمعتلج الضنا ... عن حمله ضاق الجنان
ولواعج تغري بأوجاع ... كما يغري السنان
ماذا يفيد توجعي ... ان كان لا يشفي البيان

عاتكة :

ما في التوجع حيلة ... تغني سوى مضض الهوان
الحر من لمس الجراح ... نديه لمس البنان
ودموعه بجفونه ... لم تنحدر من عنفوان

العباسة :

تبغين مني الكبرياء ... وأين مني الكبرياء
برح الخفاء ولم يعد ... يجدي علي شوق خفاء
قد كان لي قبل الهوى ... في كل ميدان لواء
وحشاشة سطعت بمؤتلق ... كما ضاءت ذكاء
ران الضنا بجرانه ... وثوى بها الداء العياء
واليوم أين مع الجوى ... جلد وأين الكبرياء
قد كان يزجرني الحياء ... عن الدنية ، والاباء
برح الخفاء ولم يعد ... يغني على وجد خفاء

عاتكة :

ان الكرامة بالدم ... المهراق كانت تفتدى
الحب دون كرامة ... ما كان شيئا يشتهى

العباسة :

هيهات يغني الكبرياء ... مع الهوى أو ينفع
حكم الهوى متمكن ... كالطود لا يتزعزع
ينهي فتأتمر القلوب ... كما يشاء ، وتخضع
والنفس من عجب ... لأشجان الصبابة تنزع

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ « سيعود الغرباء ، ويصفق القصب على مياه البرك للغمامات الواطئة . والمدينة المهجورة ستضحك كحانة . الزمان لا يخلع حذاءه ايها العجوز .. »

هكذا قالت لي النافذة وهي ترفع قبعتها لطائر مهاجر حياها بريش ذيله المطور بالليلك .

هجرنا المدينة التي خجلت من الصلاة للشمس انا والربيع والحب .. حملتنا الى هذا الريف نسمة حزن بين منقاريها الدافئين. كانت اللعنة تغسل ابواب المدينة وساحاتها بالدم ، وتقطف النجوم المزيفة وتصهرها في عيون الزنابق ، والازقة الضيقة تحصي اطفالها كشجرة لبلاب مثمرة وتهرب في احشاء الظلمة الغبية . ايام طويلة وابراج الاجراس مقطوفة . المدينة لم تلد شيئا ، ولو صغيرا كنملة . وليس في الغيم سنبلة ممتلئة تفرك ريشها كشاربي مقامر اشقر وتكسر الضحك . والناس في الصوامع التي كانت مهجورة تصلي لقطرة يتيمة تنهل من السماء كحبة « مندلينا » وتغتسل ابراج الساعات الشاهقة من الوحل ، وتغص شقوقها الداكنة بالعصافير الملونة من جديد .

الزمان في هذا الريف يعلق وعل الفجر المشرد من قرونة المتشابكة ، ليذبحه ، ويرش دماءه في نافذة منزلي المطل على جسد الخضرة الصبية . نافذة هي الشهوة ! تغرس اصابعها حتى الرسغ في صدر الافق ، وتعتصره بدون رحمة ، ثم ترقص عارية للرياح المسافرة الى المنفى . بشراهة البئر تشرب الذهول ، وتحجز لي منذ البكورة مقعدا في مسرح الدهشة ! تغرسني فيه كغابة وحشية الجذور تمتص شفة الشمس . فاغوص بفلاصمي ، اشرب المد والجزر . ومع العتمة تغمض اجفانها كاميرة مسحورة تخاف جني الليل ، واسقط في سريري كدمعة العاشق .

مدينتي الجديدة هي النافذة ! غالية كالاحباب ، لكنها مستعارة . والحياة كذلك ! سأردهما يوما ، واهرب بلا دموع ولا ايد تلوح لي . منذ ساعة فقط تفتحت ريحانة النهار . كانت احلام المدينة تندف على وجه النافذة ، وشيخوختي تلفها بالاحلام . ان مقعدي في مسرح الدهشة تتسكع في مطاويه اشعة الشمس . لم اعد اطيق ! كيف احصد النجوم ؟ . كيف اسمع همسات النسوة وهفهفة اثوابهن المترفة في المقصورات والمخادع النبيلة ؟. كيف ارى ضحكات النهر طافية تراقص براعم التفاح المتساقطة ؟ .. لقد احسست منذ البكورة ان احلامي تتشبث بعكاز منخور وتعرج . ان الظلمة وحدها (تكرج) بلا سراويل في ازقة المدينة وساحاتها . والحسرة هي التي تتكرر .

★

صاحت بي النافذة على بغتة : « كوكبة تشق الافق . اختف ! جاءوا ليخطفوك » . وسقطت مكدودة على الالواح الخشبية . قالت لي ذات مرة انها مغرمة ب « بادن باول » ، وراحت تنضح عرقا غزيرا . الغيرة لم تزرنا قبلا ، وهي الان في عينيها نبات طفولي يتكاثف ويصبح دغلا .

الكوكبة من بعيد سنجاب يعدو بخفة ، تتبعها سحابة غبار ترعش كفلالة رقيقة . منذ ايام طويلة وانا اهاجر في ازقة الغربة ، لا يزورني سوى الشوق . يمسك بقلبي بين مخلبيه ، ويعتصره بقوة ، ثم ينمحي كل شيء ويسترخي في الظلمة . من سيزورني ؟ ... ان اهل المدينة لا يسافرون

مقعد في مسرح الدهشة

بقلم « عاشق »

في غير دروب اللعنة . نصبت النجوم المزيفة جدارا في وجه الرياح والغمام الابيض . والامير الحبشي شق فخذي المدينة كجناحي فراشة ربيعية ، وراح يسكر . يقال « ان للجلاد شاربين يحتطبون منهما » .

ورحت انتظر الكوكبة . كانت عيناي خيطين من المطاط تنشدان ثم تنقذفان بسرعة في وجه الافراس التي لم يبد لها لون مميز . وهاد كثيرة تنتظر معي وتلهث . والكوكبة تمور في طياتها كدلفين البحر . ما يزال النهر يتجدد تحت جسره الخشبي ، والريح تصفر في شقوقه ، وتمد للكوكبة اجنحة الدهشة . قالت النافذة وهي تفرك عينيها بشدة : « ان البحر حين يلقي على الرمال بجثة ، تكون ميتة ! وليس من « بينلوب » تنكث غزلها من اجلك أيها العجوز » .

وادركت انني امرؤ بلا قرار. السراب وحده يلوح لي من الابعاد المبهمات ويدعوني اليه . تمددت كالهم في الصدر . مناري مطفأ وانا ألوب في الخيبة . من لي بنزر من تراب المدينة ، اتمصصه بين شفتي ، اضمه ، احنو عليه ، ابكيه ! . وحدي في هذا العالم انتظر عودة الامس لأمتطي عتمة خضمه ، واتحلل في نهر المدينة ، منزلقا الى مصبه مع قشور الموز والاوراق الذابلة ، طافيا كشبح خلف النوافذ المغلقة على الاحباب ، مرتجفا كحبة ثلج على قرميد الاسطحة الاحمر .. ولكنني احسست فجاة ان الحلم انما ادركني ليؤذيني فقط ! وانني اريد ان اتلمس جدران المدينة بكفي ، واسقط .

★

قلت للزائرة بعد صمت طويل :

ـ « تدعوني الى المدينة ، ثم تقولين ان وهج الشمس يحرق قاع النهر ؟ ماذا تبقى لي في المدينة اذن ؟ ان الشتاء ما يلبث يحمل عصاه ، والبحر قادم ليبتلع المدينة ، كل شيء . ان النجوم لأ تقهرها الاكف العارية . العاجز تنهشه شهوته حتى يموت . اعطيني فرسا وسيفا وانظري كيف افتح العالم ! . ماذا نستطيع نحن غير الانتظار ، الانتظار على الابواب التي لا تفتح . لا !! لم تئته ايام الهجرة بعد ، ولن القي شعرا في مهرجان المدينة . انهم لا يريدون شعرا !! هذا آخر ما يفكرون فيه . انهم يريدون هتافا للامير الحبشي الشبق . هتافا ولا شيء آخر.

ـ « ولكنه يبحث لنا عن الزهر . لذلك يهتفون » .

ـ « للزهر ؟ . انهم لا يهتفون للزهر يا عزيزتي !! اما انا فلن اهتف . تكفيني نزرة من الحب ، أقتات بها . اشد حزامي واركض في الحقول . الوي عنقي للاغصان المتدلية كالجدائل . اتلفف بعشب الارض واعقد قراني عليه . بانفي اثقب الافق . ابترد بالضباب . ابكي . اتمايل مع الريح كنخلة. اجمع الحطب من قرم الزيتون . اراقب الفصول الاربعة . الطم الشتاء بنعلي . ادخن واشرب القهوة . ولكنني ما زلت اتنفس ، اتنفس من هواء نقي . نسمات لا ادفع عليهن مكسا . وسابقى في هذا الريف . اعب من صدره اعتصره حتى الابطين ، الى ان تقصفني مع زهرات الحقول الربح » .

ـ « بل سيقصفك الشوق ، وتلهث في عينيك المناجم المحترقة . تجوع وتعرى وتتفسخ معدتك ونواجذك من حشائش الارض. بطيئا بطيئا يتقدم الموت مشردا مع الفصول الاربعة وتصبح بعدها زنخا ، كومة من روث . ان غربتك بلا جذور . لقد تمرت غابتك وانجرفت مع الطوفان . ارجع الى المدينة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من دم الزهر

●

الشتاء الـدوي ، والظلـل الخضر تسربـن فـي الشتـاء الـدوي
وهرير اللظـى بصدري ، وريـح زفزف في نقوش حلمي الخفـي
وكانـي مقفص ! وأعانـي الفجء .. يا فجء أنت أنت نجيبي ؟
خطفـات الضياء أيـن ! تلفـت اليهـا فلـم اجـد مـن جنـي
كل عمري ، وكل عمري وفـاءات قبـور لكـل عهـد نبـي ...
لمي .. لمي الشبابيك . مـن خلف الشبابيك كـل لحـن أسي
أي بحـر معلـق بالمصابيـح تهزهزن مـن قصي قصي ؟ ..
جـزت بحـرا خرافـة .. وتعثرت بظنـي وبالضيـاء النقـي
وأرانـي اعـود في زعمـات حامـلا كبريـاء عمري الشقي
... ويطل الصباح . ما نمـت . والغرفة ظلت فوضى الحرير الشذي !

حلب علي الزيبق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحسست اني ابتلع دما وسياطا شائكة. منذ ساعة فقط كنت اشـد جلدة صدري واتحسس نقرات الشوق . كانت النافـذة تفتح جفنيها بوحشية عجيبة ، وفي عينيهـا قبور العالم المهجورة تنفجر في وجهي بعظام دبقة . غيرتها تطن كنحلة امام الزائرة الغريبة المتكئة على حافة السرير . انني اتلف نفسـي بخوف لا استطيع مجابهته . لا بد من يـوم احمل فيه دفاتري وشوقي واحذيتي المهترئة تحت ابطي واعود .

وراحت تدغدغني اشواق المدينة . قدماي ما تزالان صقرين قويين يهربان بي متى اشاء ! وكدت اقطف عقلي كزهرة واهديه لسفيرة المدينة ، ولكن ازهارا كثيرة تفتحت في قلبي لا استطيع لها قطافا . ماذا لو احلحل المدينة في كأس من النبيذ الاحمر واعبهـا دفعـة واحدة ؟ امسك جدرانها بجفني . اخلع قلبي كالحذاء وادفنه في طين النهر . ثم انـام ، انام حتى آخر الدنيا .

قلت للزائرة : « ساكتب قصائدي اليوم وادق بها باب المدينة الموصد غدا !! الحـب وحده صيرني رملة في طين النهر الهادر ، ومن اجله سازحف ، ابحـث بين فضـلات المدينة عن قلب كان ينبض بين جنبي . للحب وحده ساتعلم كيف انهق بين الحمير . ان العواطف كالحياة ليس لي فيها من الامـر شيء » .

كانت النافذة تدخن بعصبية ، وتتصبب عرقا . عواطف العاشق لا يفهمها سوى عاشق آخر . وليس باللسان يستطيع العاشق ان يعبر .

★

مقعدي في مسرح الدهشة بارد . هجرته الشمس . النافذة قصيدة ممزقة تنتظر نسمة حزن تشردها . عيوني آبار مفتوحة تلوب ، لعل في زوايا الافق ما يلهمني بشيء اكتبـه للمدينة ! كان عقلي فراشة تحوم ، وليس في سرحة النظر زهرة واحدة تسقط عليها . فجاة سكنت الرياح . فجاة تيبست الفراشة، حالت الى حصاة سوداء . فجاة شلت ميـاه النهر تحت الجسر الخشبي . الذهول وحده يتورم ، يستنقع فـي الارض ويشدهني . ساتغزل بالزهر ايتها النافذة . ان المدينـة تريد ذلك ! عزيز علي ما تريده المدينة .

سقطت في المقعد بـلا ضجة . بالعادة تابعت التنفس . بين يدي قصيدة قديمة . وغيمة في عيني لا تمطر . القصيدة واد ضيق المسالك يرقد في احضان العاصفة . مغاراته تتبرج فيها الطلاسم . هكذا احب الشعـر ! وعرا كالانسان . ورحـت اردد القصيـدة، امص حروفها كقصب السكر . حينما انضب اقرأ قصائدي القديمة وابكي . تكفيني لحظة من التأمل المطلق مع الشعر لتتحلل عذوبـة الدنيا في عيني ، وتسترخي مفاصلي بـلا نهاية . وانا اليوم ناضب كرملة ! حركينـي ايتها الرياح ! دغلت في حلقي غابة شوك » .

وعبثا تحاول النافذة ان تسوط قفا الريح. قالت بيأس مفضوح : « من قلبك فقط تتحرك الرياح ! » . واعتلت حبال الصارية . غلغلت عيناها في الافق المعتم . الصمت تناول مخدرا وتمدد .

« عاشق »



جورج بوخنر

جورج بوخنر رائد المسرح الالماني

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اذا كان الادب الفرنسي يعتز بالشعر والاقصوصة والادب الروسي بالقصة فالادب الالماني يعتز بالمسرح وبأدبه المسرحي في القارة وفي القرن التاسع عشر على التحديد . ولهذا الاعتزاز ما يبرره ، فهو يستند الى واقع حي .

واذا كانت المدرسة الطبيعية ـ في المسرح ـ قد زهت وربت على يدي اوغست سترندبرغ وابسن ـ في السويد والنروج ـ في اواخر ذلك القرن فان اول من ارتاد عالم المساكين وابناء السبيل في النتاج المسرحي هو جورج بوخنر (١٨١٣ ـ ١٨٣٧) وهو بذلك لا يعد الرائد ورأس النفيضة وصدر الطليعة في هذا الحقل حسب ، بل القوة الحية التي حركت الامواه تحت الكثيف من جبال الثلوج ، فانهارت هذه الجبال وتبددت .. وجرت المياه انهارا وبحارا ومحيطات .. واذا بتقاليد العظمة المسرحية ـ في التراجيديا والكوميديا على السواء ـ تتبلبل وتتململ وتتشقق واجهاتها .. عن صور مزيفة للواقع ، وبراقع ممزقة لمضامين هذا الواقع ، واذا البهاء الارسطي ، بهاء المسرح التقليدي يتبدى على حقيقته ، ذلك ان الانسان ليس مقلدا لمثل ولا طينة معجونة في قوالب . انه قوة حية دافقة ، تريد ـ في احط درجاتها واشدها انغماسا في القذارة والسماجة ـ ان تكون تلك القوة التي يجب الا تبقى فيما هي فيه من تدهور ـ فقد كفى الانحدار .. فليس حتما ان يظل المنحدر املس . والازمان قد تغيرت وتبعتها في ذلك البيئة والمحيط ، واصبح جريا على ذلك التتابع المنطقي ، ان ينهض الانسان مما آل اليه .. وان ينهض متضامنا مع اخيه الانسان .. ضد من سلخ منه انسانيته وابقى عليه حيوانيته ، ضد النظام الاقطاعي الجائر الذي كان سائدا في المانيا الممزقة الاشلاء في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ..

ها نحن بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٣٠ ، وها هو نابليون ، الزلزال الذي طحن اوروبا بعد ان نسفها ، قد استقر به المقام في جزيرة القديسة هيلانة .. وها هو الشعب الالماني المسكين ينفض عن كاهله غبار الذل والاستكانة . وينهض متثاقلا متكاسلا .

ولكن ، ويل للفقر والحرمان والجوع ، ويل لهذه الافات الجامحات الجائحات ، انهن الان يغزون المانيا من اقصاها الى ادناها ، فتجف الضروع ، وتيبس الزروع وتندر الغلة ، ويضرب الشحوب وجوه الناس ضربا مبرحا .. وتستحيل الحياة ـ بالقياس الى سواد الناس ـ جحيما لا يطاق .. ويظل الامراء ورجال الكهنوت متمسكين بحقهم في الحكم والسيطرة والهيمنة .. ومع ان المانيا ، قد وضعت حدا لسيطرة الكهنوت الكاثوليكي ، الا الكهنوت البروتستاني ، سرعان ما تسلم زمام المشركة السلطانية .. وكان ذلك حقيقة واقعة منذ عهد مارتن لوثر ، الذي جند نفسه ببيانه الشهير مع الامراء في قهر ثورة الفلاحين الشهيرة التي حدثت في عهده .. وبذلك وضع حدا معقولا وتبريرا اصيلا لثورته العارمة على البابوية ، لتكون مثالا يحتذى بعده ، على ايدي رجال الكهنوت الالمان البروتستانت . وهذا ما حدث وبصورة فظيعة على مدى القرون التي اعقبت ثورة لوثر ، والتي كان من عقابيلها حرب الثلاثين سنة التي ابدع في وصفها واجاد الكاتب المسرحي الالماني العظيم برتولت بريخت في مسرحية « الام الشجاعة واولادها » .

والناس الذين قارعوا نابليون ودحروه ، مع الحلفاء ، وخلصوا البلاد من شره ماذا كان مصيرهم ، بعد ان قدموا حشودا لا تحصى من الضحايا ، قرابين باردة على مذبح الحرية الدافيء ؟ لم يجدوا الا انفسهم وقد حرموا من ابسط حقوق العيش النظيف ان من مات منهم ذهب لحال سبيله بطلا وطنيا قارع الظلم والطغيان والعدو الغاشم فاركعهم جميعا ، اما من ظل راسفا في قيود الحياة ، فقد استلبت منه مقومات الحياة ، فلا لقمة يتبلغ بها ، ولا شرعة يستند اليها ، ولا شريعة تحميه .. فسموم البطالة تعصف به ، والارض الجرداء تئن من الجدب ، والخراب الشامل يحل ضيفا ثقيلا على الارض الالمانية باسرها . وتحل الاوبئة والامراض المعدية ليكون لها حصتها !

ويهبط في هذه البيئة الدكناء ، شهاب صغير ، في مدينة دارمشتاد ، ويسمى جورج ، وسط اسرة بوخنر ، سليلة الاطباء ، ويكبر لطفل ليدرس الطب كأبيه واسلافه . ويظل يتنقل من بلد الى آخر .. متدرجا في علوم الطب وغيرها من العلوم ، ولكن الشهاب المتفجر حيوة ، وقدرة وقابلية .. هذا القلب الكبير في الجسم الصغير النحيف ، لم يمتهن مهنة ابيه . انما لم يجد بدا من ان يمتهن مهنة اخرى ، هي والطب صنوان ، هي مهنة تطبيب امته المريضة ، الملايين الجائعة الى الاحترام والى الخبز والكرامة ، الملايين التي دفعت ضريبة الدم الغالية ، واذا بها يراد منها ـ وقد رفعت الحرب اوزارها ـ يراد منها ان تكدح وتستمر في الكدح من اجل الكدح ، وان تنسى ان الانسان ما ينبغي ان يهان ، وما ينبغي ان يحقر ويدان ، من غير حجة وبرهان !

ان قلب هذا الطبيب الجراح الذي لا بد له ان يحمل بيده المبضع آمنا مطمئنا لا يرتجف له رمش ، قلب انسان آخر ، هو والرقة واللطف والانسانية والمشاركة الوجدانية العاطفية وحدة منسجمة تعبق بالحنان والود وروح الفداء والعطاء والبذل والسخاء ..

ها هو ذا ينتصر لاناس لا تمت له بهم صلة .. سوى صلة الانسانية المقدسة . ها هو ذا الطبيب ابن الطبيب سليل الاطباء . من هؤلاء الذين يعيشون في رفاهية على مدى الايام وفي مختلف الاقطار يتبرع بحياته دفاعا عن الحق الهضيم ..

ها هوذا يدخل المعركة بل المعمعة والحرب العوان ، اعزل من السلاح ، عامر القلب بالايمان بنصرة الضعفاء والمستضفين في الارض ، .. وبيده قلم يرفع رأسه تارة لينخفض تارة اخرى وهو مطارد من المجتمع الذي يريد ان يسمع صوته فلا يصيخ اليه ومن سدنة المجتمع والحاكمين بأمرهم .

اراد ان يفعل شيئا من اجل سواد الناس ، ولكن السواد لم تفهمه ولم تحاول حتى ان تتفهمه ، فذهب صوته سدى بددا ، وخاب ظنه في شعبه وفي نفسه ، وجعل يطوف في هذه البلدة وتلك في بلاده الواسعة ، وهو لا يدري متى يحشر مع عتاة المجرمين في غياهب السجون ، بانتظار الاقتصاص ، لانه يريد ان يحرك نظاما توطدت اركانه على مدى اجيال واجيال ، فكيف لهذا الشاب اليافع ان يتجاسر ويصارع الاقدار والاحكام في هذا الوجود الذي يسمى المانيا . ان المانيا يجب ان تحكم من قبل ساداتها البارونات والفونات ، لا من قبل حثالات البشر ، ممن هب ودب . من هؤلاءالذين لا يملكون حسبا ونسبا ، من هؤلاء الذين ليسوا غير عشب ينمو من غير جذور ويعيش على نفسه !

ومن هنا ، ومن هذه الخلفية الحركية يمكن ان نعد بوخنر اول كاتب مسرحي عكس في كتاباته عصارة تجاربه المرة ، في صيغتها الاجتماعية . لا الفردية . كما فعل سترندبرغ بعده بقليل من الزمن .

مسرحية ليونس ولينا

ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان المرارة التي طاردت بوخنر من يوم ما واجه الحياة بجرأة وجسارة ، تمكنت من الاستيلاء على نفسه الشفافة الرقيقة ، فاستعبدته بل جعلته خادما ذلولا ذليلا قبالة جبروتها .. فاصبح مجرد الاحساس بالوجود تعاسة وهل ادل على ذلك من قول لينا الاميرة التي توشك ان تدخل ملكوت الزواج : « يخيل الي ان هناك نوعا من الناس يحسون بالشقاء ، بالتعاسة التي لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بانهم موجودون » (١) .

اما تفاهة الحياة التي تعقب المرارة فيحددها الامير ليونس تحديدا دقيقا بقوله ، « حياتي تتشاءب في وجهي كانها ورقة كبيرة بيضاء ، كتب علي ان املأ صفحتها ، غير انني لا اقدر على كتابة حرف واحد ». وهكذا نجد الترابط وثيقا بين الاميرة والامير ، قبل ان يعقد رباط الزواج المقدس رأسيهما في مصير واحد ، فاذا بتعاسة الوجود المطلق ، بصفته وجودا حسب ، وتفاهة الحياة توأمين يولدان معا ليحملا صليبين متعانقين في دروب الالام الطويلة .

اما السخرية من كل شيء ، من دورة الحياة نفسها فيمثلهافاليرو ، المقرب للسدة الملكية وصديق ليونس ، بقوله : « لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الانسان ان يكون ثورا لكي يستطيع ان يفترسه، ثم يتمنى ان يعود فيتحول انسانا لكي ياكل الثور الذي افترس مثل هذا العشب ! » وبهذا الاسلوب الساخر الغريب تمكن بوخنر ببراعة نادرة ان يلم بمجمل الحياة الماما كله مكر ساخر ، يعرض القيم الانسانية عرضا بدائيا متقصدا فيه رائحة العشب الذي هو زاد الحياة الاول وشراهة الحيوان والانسان معا ، وتحول كل هذه الظاهرات الحياتية وتداخلها وكان كل شيء في هذا الوجود نهم متواصل وحيوانية متسلسلة ، فارغة القيمة ، عديمة الجدوى ، خاوية المضمون !

وفاليرو هذا انسان ، قدر له ان يعيش على فتات موائد الملوك من غير تعب ولا نصب ، كما قدر عليه ان يصطبر اصطبارا مهولا على الكسل طوال الحياة ، ذلك ان العمل لا يجسر ان يهين كفيه . وان الارض لم تذق قطرة عرق واحدة من جبينه فهو جدير بان يبقى النديم المفضل لدى الملك والامير على حد سواء ..

ومن ثم فهو قادر على تصريف اسرار الدولة والاطلاع على مسارها ومخابئها وتوجيهها الوجهة السليمة الامينة . ولذلك فهو امين هذه الاسرار اذا ما تعدى الامر القصر ، لكنه صريح كل الصراحة ، اذا كانت الحال لا تتجاوز جدران القصر ، فهو مثلا ، حين يعاتبه الامير مازحا بقوله : « ... ما انت الا تلاعب سيء بالالفاظ » يجيبه بكل برود : « وانت ايها الامير ، كتاب بلا حروف . »

ويخرج ليونس وصاحبه فاليرو متنكرين بحثا عن فتاة يريد ان يحبها الامير لا بحثا عن اميرة تريد ان تقترن بامير .. وتظل الطرقات تتقاذفهما وهما يتحاوران حينا ويتسامران حينا آخر .. ومع كل هذا العالم الواسع الطريف ، فان ليونس لا يشعر الا بالضيق آخذا بخناقه ، انه لا يجد بدا من القول وهو يتحسس يديه : « .. انني لا اجسر ان امد ذراعي ، وكانني حبيس غرفة صنعت جدرانها من المرايا » . وهذه الصورة التي عبرت عن ضيق نفس الامير ، ما لبثت ان استوت في ذهن فاليرو بقوله : « .. هذه الصورة للحياة الانسانية .. انني اجر هذا الحمل بقدمين داميتين خلال الصقيع وتحت لهيب الشمس ... وعندما يأتي المساء اخيرا تكون جبهتي قد ملأتها التجاعيد ووجنتي قد غارت وعيني اظلمت ولا يتبقى لدي من الوقت الا ما يكفي لكي البس قميصي او كفني . » وهكذا ، فليست الحياة غير عبء ثقيل يستمر الانسان في تحمله ظنا منه براحة ولكن هيهات ، فليس من منزل للانسان غير القبر وليس من راحة الا هناك .. ذلك ان كل شيء في هذا العالم فظيع على ما تذهب اليه مربية لينا ، ما لم تعثر على اثر لابن ملك تائه .. وهي لا تدري ان ابن الملك التائه هو نفسه القائل : « .. انا اتعثر حولي كل يوم اربعة وعشرين مرة كانني قفاز يوضع في اليد . » فما نفع من لم يجد نفسه كل ساعات اليوم من ان تعثر عليه المربية المسكينة لينقذها مما هي عليه من حال تجمع بين تشنج الالم وتثاؤب الكسل ووعثاء الطريق الطويلة . ولينا لا تدري انها جادة في طلب نهاية كلها عبث ! اما السأم الذي يرين على قلب ليونس ، فهو لا يكتفي بقلبه بل يمتد بمخالبه الى كل الوجود ، الى الكون ، الى العالم ولهذا يتحدث عنه ليونس بقوله : « .. كل شيء ساكن على الارض ، هنا لا تتحرك ورقة ولا عود . الارض تكومت على نفسها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الاشباح » . هذا هو السكون الرهيب ، هذا هو السأم الذي ينضح من قلب الارض ومن قلب ليونس فيجتمعا في وحدة كلها قرف اكال ، واشمئزاز هامد مخيف . الا ان هذه الظاهرة لا تخيف فاليرو الساخر فهو لا يجد في الشمس غير درع معلق على باب فندق وما الارض والماء الذي يسيل عليها غير مائدة « اندلقت الخمر فوقها وهم يرقدون عليها كاوراق اللعب .. »

ومن هنا فالمفارقة بين ليونس وفاليرو لا تتاتى من وجود السأم ، فوجوده حقيقة واقعة ، انما يتاتى من اسلوب فهم كل منهما لهذا السأم . فالاول ينطلق من نقطة السكون لفهمه السأم بينما الثاني ينطلق من الحركة التي تفتعلها القوى الخفية كما هي الحال مع اللاعبين واوراق اللعب ..

اما لينا التي بهضها طول الطريق فتحار في امرها ، وتتساءل موجهة خطابها للمربية : « .. هل ما زال الطريق امامنا طويلا ؟ » وبدلا ان تجيبها المربية يجيبها ليونس حالما : « .. كل الطرق طويلة . دقات ساعة الموتى في صدورنا بطيئة .. وحياتنا حمى تزحف في اعضائنا ، الاقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا .. »

وينساب التعب الجسدي متثاقلا في دماء لينا ، على حين ينساب الكلال النفسي حاملا وجوده بمشقة في جوانح ليونس ، فينشل وجوده الروحي وتهب ريح باردة من رياح الفناء الى نفسه لتلفه لفا ولتذهب به بعيدا عن هذا الوجود الابله حيث صرير الاسنان ، وأزيز الصواعق ، وزئير جهنم اخرى ، غير جهنم هذه .. والطريق بين الاثنتين لاحبة والمدى قصير ، ونحن اشباح في هذه المتاهة الكبرى والمفازة الداكنة العجفاء .

واذا علمنا مدى بغض بوخنر للرومانسية الشللرية والفوتية (٢) وابتعاده منها وصدوفه عنها ، فلا نستغرب اذن ان يكون ملاك الموت هو حبيب لينا المفضل وان يمثل ليونس ذلك الملاك بتقربه الى لينا في لغة تشعرنا بالام فرتر شعورا واضحا قويا ، وها هو ليونس يقول بعد ان وجد طريقه الى قلب حبيبته : « .. وجودي كله تجمع في هذه اللحظة الوحيدة .. ما ابدع الخليقة التي تطالعني خارجة من ظلمة العماء (العمى) منتعشة الانفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الارض وعاء

من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويطفو على حوافيها ، ويلمع سنا النجوم المتلألئة فوقها » .. ويستمر على هذا النحو من الكلام حتى يطفح كيل بهجته بأن يحاول ان يلقي بنفسه في الماء ليعيش السعادة كلها في لحظتها كلها .. على طريقة فرتر . ولكن فالريو ينبه سيده بان يهزه هزا ويذكره ان من الخير له ان ينام على العشب قبل ان ينام تحته .. وهكذا ينتفض ليونس من غفوته الرومانسية ليجد نفسه انسانا آخر .

ويعود ليونس ولينا الى القصر ، ويكون الملك في الطريق الى القصر ، ها هي الصفوف المتراصة من الحشود المتماسكة التي تنتظر ويدور حديث بين رئيس مجلس المدينة وبين المعلم فيقول : « ايها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟ فيجيبه المدرب الذكي : « هم صابرون على الرغم من سوء الحال . متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال . يصبون الخمر في جوفهم . ولولا ذلك لكان تماسكهم في هذا الحر الشديد من المحال » ... ولكي يدلل على ذلك الصبر ويثبته بالحجج الدوافع يلتفت الى القطيع ويقول : « تمسكوا بالصبر والفضيلة ! واظهروا التاثر المناسب والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة » ، واذن فالوسائل المؤثرة هي التي تعلم الصبر والفضيلة وهي وحدها القادرة على جعل الناس يركعون عند الحاجة الى الركوع وينتصبون عند الاشارة بل اللمحة اليسيرة من الاشارة الكبيرة . فكما يدرب مدربو السرك حيواناتهم ، كذلك يمكن لمدربي البشر ان يفعلوا وهم آمنون على انفسهم من عوز الحاجة ، وذل السؤال ، ومشقة العيش .

مسرحية فويسك

هذا عن سخرية بوخنر ومرارته ، اما بساطته وطيبته ووحشيته فيمثلها فويسك بطل مسرحيته (فويسك) تمثيلا فيه جلال الكلمة الصادقة وسماحة النفس المرحة ، وقسوة الحياة اللعينة ، وفيه آماد انسانية جديدة لمسرح انساني جديد .

واذا علمنا ان بوخنر وضع لاول مرة على المسرح بطلا من عامة الشعب ، جنديا اعتياديا ، وخلق منه قوة درامية ذات شأن ، فانه لن يعود من المستغرب ان يتصرف هذا البطل تصرفه الطبيعي ، وكان المسرح هو مسرح الحياة وكان الدراما شريحة من شرائحها .

ومن هنا يمكن ان نعد هذه المسرحية منطلقا للمسرح الواقعي (الطبيعي) الذي شمل المسرح الغربي باسره في اواخر القرن التاسع عشر ، مع ما اكتنف ذلك من مذاهب ثانوية جاءت الوجود تتمة وتكملة للحركة الطبيعية التي عرت ابهة المذهب الكلاسي والروماني معا تعرية كاملة واستطاعت ان تحمل الحياة الى المسرح حملا طبيعيا .

فويسك جندي بسيط ساذج يتكلم مع رئيسه كما يتكلم مع اي من الفلاحين السذج ، انه لا يعرف التمايز ، من اي نوع كان ، انه يعرف انه انسان لا اكثر ولا اقل ويعرف ان رئيسه كذلك ، فلماذا هذا الستار الكثيف من دخان الاستعلاء والسيطرة والابهة والبهرجة ؟ ولماذا لا يصدق رئيسه فيما ينفعل به ويتاثر ، انه يحب الا يكون وحيدا ، يجابه مشقات الحياة بمفرده ، يريد ان يشاركه غيره في كل شيء ، فيما يحب وما يكره ، فيما ينفر منه ويتقرب اليه ، في كل شأن من شؤون حياته البسيطة .

ان فويسك صادق مع نفسه منسجم معها ، فلماذا لا يكون صادقا مع من تربطه به روابط الخدمة المشتركة ، والانسان الصادق لا يمكن ان يخفي شيئا في دخيلة نفسه ، وخاصة اذا كان خلقا كما كان شأن فويسك الذي لا يقدر ان يكبح جماح نفسه ، ولهذا فهو مثلا يصدق مع رئيسه في تناوله لمعنى الفضيلة ، فيعارضه ويحاوره من غير تخوف او تهيب بقوله : « .. ان عامة الناس من امثالنا لا يعرفون الفضيلة ». ذلك « ان الطبيعة تتحكم فيهم . » وهنا لا يجد الرئيس بدا من القول وقد تمادى فويسك في التفكير ، « .. انت رجل طيب ، ولكنك نفكر اكثر من اللازم » . وتشتد هموم التفكير ايلاما في ذهن فويسك حتى تنقلب الى هالة من لهب ، نار تتصاعد في الافق وصخب ابواق تنحدر الى الارض ، شيء يقتلعه ليجذبه الى اعلى .. كان الاشباح قد تآمرت عليه ، لتدك نفسه دكا وتقضي على مقاومته .

اما ماريا ، زوجته ، ام ولده الوحيد ، فقد انغمرت في الفاحشة مع احد الطواويس المتبخترة في المسيرة المزمجرة ، فما عادت تشعر بوجود زوجها الا كما تشعر فاجرة بضيف ثقيل لا مال له ولا مورد ، ولذلك فهي لا تتردد من اظهار ارتياحها حين يخبرها زوجها بعزمه على الرحيل ومفارقتها ، لان ذلك يعني فرصا جديدة لزيادة رصيدها من المال ومن الطمانينة والسلامة ..

ها ان البغي قد انحدرت واصبح سلوكها رديئا سيئا ، ها هي تتمرغ في اوحال الدنس وتقول : « انا في الحقيقة انسان سيء . اني اكاد اقتل نفسي . آه من هذا العالم . ليذهب الجميع الى الشيطان رجالا ونساءا . »

ويأخذ فويسك طريقه الى الطبيب من وعكة المت به ، وعكة الوساوس التي ازدادت استكلابا ، وحين يجابه الطبيب بشيء من الحدة يجيبه بقوله : « .. ان الغضب غير صحي ، غير علمي .. ومن يغضب نفسه من اجل انسان . من اجل انسان ! » ..

لكن فويسك يريد ان يعرف الحقيقة ويريد ان يجدها ، على الرغم من فرارها منه واختفائها خلف جدار كثيف من الاشاعات التي ملات الاحياء والازقة وازكمت الانوف وشقت طبول الآذان . لكن الطبيب يستمر في عمله البارد الرتيب ، ويحملق في وجه مريضه قائلا : « .. النبض ، يا فويسك ، النبض ! بسيط ، قوي منتفض ، غير منتظم .. وعضلات الوجه متحجرة ، متوترة . تنتفض . الحالة متهيجة ومتوترة . » وتزداد عاصفة الشك في نفس فويسك ارعابا وارهابا ، وتتناوله العقارب لسعا ، ويظل حائرا بائرا لا يدري ماذا يقول حتى تبلغ حالة التردد فيه الى حد القول : « .. كل شيء جائز ، الانسان . كل شيء جائز .. نعم ولا ؟ هل اللا مذنبة في حق نعم ، ام النعم في حق لا ؟ لا اريد ان افكر في هذا . » ويمشي فويسك على نار ويعود مسرعا الى غرفة ماريا زوجته ويبادرها بقوله : « لا ارى شيئا ، لا ارى شيئا . آه ! لا بد للانسان ان يراه . ان يتمكن من القبض عليه بكلتا يديه ! » وتتساءل ماريا مرعوبة : « ما لك يا فرانز !» فلا يعيرها التفاتا ويستمر فيما بدر منه قائلا : « خطيئة ... رائحتها العفنة تفوح منها ، بحيث يستطيع الانسان ان يبخر الملائكة على رائحتها الى السماء» ثم يلتفت الى زوجته ليقول : « فمك احمر يا ماريا ، انت حلوة كالخطيئة ـ هل تستطيع الفاحشة ان تكون بهذا الجمال ؟ » وبهذه الكلمات النارية والموجة تلو الموجة من حماسة الكرامة المجروحة والشرف المهان ، اخذ فويسك يعبر عن ذاته المضطربة ونفسه المتشبثة باسباب الحياة ، فهو يشعر بسكين الالم المريع يتلامع في يده وبروحه تهتز وتتخلخل وتنوء بحمل باهض الثقل تؤود بحمله الجبال ..

ان شرفه لينثلم ساعة اثر ساعة ، وهو يتحقق من ذلك ساعة اثر ساعة كذلك ، لكنه يصطبر على المهانة ، ويتمضمض بالسفالة والنزالة بين فكين مكسورين . ويتجرع كل ذلك الهوان ، وهو يدري انه يتجرع كل ذلك الضيم من قبل امراة يخاطبها هكذا : « يا امراة ! لا بد ان فيك شيئا . كل انسان هاوية سحيقة . يصيبنا الدوار حين نتطلع اليها . انها تسير كما لو كانت هي البراءة نفسها . لكن الك اينتها البراءة علامة تدل عليك .. هل اعرفها ؟ من الذي يعرفها ؟!! »

وهكذا ينغلق عليه صندوق الشك مرةاخرى ، فيخرج من غرفة ماريا لا يلوي على شيء ولا يدري شيئا . لقد استغفله الزمن حتى اصبح مغفلا . ولكن هذا العمى سرعان ما انزاح اذ وجد فويسك نفسه

(١) شواهد مسرحيتي «ليونس ولينا» و «فويسك» من ترجمة د. مكاوي

(٢) بالنسبة الى الشاعرين الالمانيين شللر وغوته .

دائرة الغربة والدوار

الى الشاعر محمد الطنجاوي

١ ـ عودة الطائر المشرد :

رجعت من رحلتك العقيمه
خرجت من قوقعة الثلوج
يا طائري ،
وعدت فارسا وشاهدا على الجريمه .
خليتنا نسقط ، نعرى في المتاجر
نعطش في الآبار
تلفحنا رائحة المروج
ندفن أحياء وموتى في المقابر
نترك ... جيلا بعد جيل
مأساة ..
حكاية ..
تذكار ..
لآخرين يأخذون في الرحيل .
قلت لنا : سيرجع الاموات
من آخر الليل الذي في آخر الحياة
قلت لنا : ستقرع الطبول
حين تروا ماردكم يغرق في الوحول .
قلت لنا : سنشرب الانخاب
أنخاب عالم نحبه ونبغيه
مسرحنا الذي نعيش فيه
خرافة مرت على ذاكرة الاحقاب .
قلت لنا ، أذكر كم قلت لنا ،
قبل رحيلك البعيد .. عنا
لكنما خناك يا طريقنا الجديد .

٢ ـ عري الارض :

أطعمتني من خبز هذي الارض بالكراهه
أسقيتني من نبع نهرها
ماء ، وأعطيت لهذا القلب لغز سرها
لكنني طفوت قشة .. وكاذبا وتاجر
ممثلا مهرجا في مسرح التفاهه
حين طلبت منك ان أكون شاعر

٣ ـ الدائرة :

دخلت في دائرة الدوار
عفنت في دائرة الدوار
قلت لكم : لن تدخلوا دائرة الدوار
وأنتم هنا بعيدين عن دائرة الدوار
تطحنني دائرة الدوار
تغسلني دائرة الدوار
تفضحني دائرة الدوار
تعريني دائرة الدوار
تجعلني أدور في دائرة الدوار
أموت في دائرة الدوار
أسأل في دائرة الدوار
أبحث عن دائرة الدوار
في دائرة الدوار
دخلت في دائرة الدوار
لا فرق ، أن خرجت من دائرة الدوار
باق أنا ، دائرة الدوار

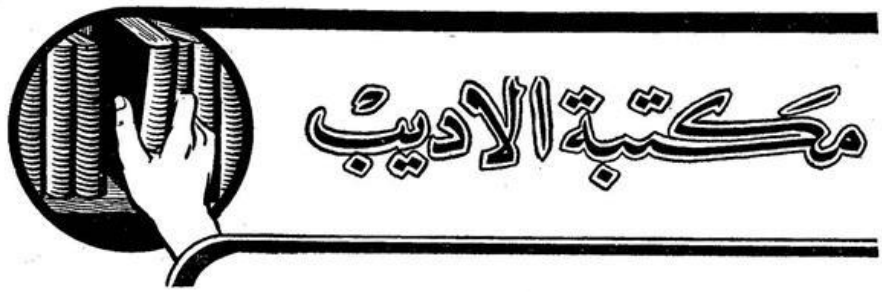
تطوان ـ المغرب — احمد تسوكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذات مرة بقرب شباك يطل على ملهى ، كل شيء في هذا الملهى يتلاعب بالعواطف والاحاسيس والمشاعر ، السيقان البللورية ، والجسوم الرشيقة ، والقدود الممشوقة ، .. الاغراء والخمر والنساء كل يفعل فعله في الرجال البلهاء ، الذين يسمحون لانفسهم ان يجرجروا ويسحبوا سحبا الى هاوية الغواية الرعناء ، وكانهم في ليلة عرس ، وكلهم معرس في تلك الليلة ، وفي هذا الهرج والدخان وروائح الخمر العبقة ، رأى فويسك زوجته المصون وهي تراقص رئيس الطبالة وتتهادى معه في مشية كل خطوة منها خطوة نحو اثم اكيد وشر محقق وفسق داعر ، ها هو ذا يشهد بام عينه الجريمة الفاضحة ، فليس له اذن الا ان يعرف موضع قدمه في ساحة الشرف ، ان عليه ، وقد تحقق مما كان يشك فيه ، ان يعمل سريعا ليطهر حرمة بيته من رجس الفجور . فليذهب الى حانوت اليهودي ليشتري مسدسا او سكينا . ولكن اليهودي ، وقد تعرف على بغيته بعد ان تفرس في وجهه لم يتوان لخسته ان يقول : « السكين مستوية تماما . هل تحب حضرتك ان تقطع بها رقبة حضرتك .. من حقك ان تموت ميتة مرتاحة لكن ليس من حقك ان تموت مجانا ، ما رأيك ؟ انا سأخدمك لتموت ميتة اقتصادية » .

ومع ذلك يصمت فويسك ولا يستجيب للاطفات اليهودي الكريهة ، ويذهب الى البيت ويتظاهر انه يريد النزهة مع زوجته في الغابة المجاورة ، ويلح عليها ان تقبل طلبه فتوافقه وتسير معه وهي لا تدري من امره شيئا .ويحل المساء وهما في الغابة يتجاذبان اطراف الحديث ، فتشعره برغبتها في العودة الى البيت وتعلمه بالبرد الذي كظها ، فيقول « هل تشعرين بالبرد .. ومع ذلك انت دافئة . ما ادفا شفتيك . دافئة . انفاسك دافئة كانفاس البغايا . حين يكون الانسان باردا ، فانه لا يتأثر بالبرد » . ويمضي في انجاز كلمته الاخيرة مضي السهم ، وتغور السكين في الجسد الدنس مرات ومرات ، ويحال الجسم الدافيء الى جثة باردة ، لا امل لها في دفء ابدا ، ويعود فويسك الى بيته يرتعش بهجة بانتقامه والما بيتم ابنه .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة



اليهود انتروبولوجيا

تأليف الدكتور جمال حمدان ـ ٩٦ صفحة ـ العدد ١٦٩ من « المكتبة الثقافية » ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

بذل الدكتور جمال حمدان جهدا كبيرا في تأليف كتابه هذا عن اليهود من الناحية الانتروبولوجية . ذلك انه يمر بطرق وعرة شائكة قد تجعله ينحرف عن قصده . فكيف يستطيع كاتب عربي أن يعد دراسة علمية صارمة عن أصل وجنسية اليهود ، دون ان يترك للتعصب اثرا يفرض آراء حماسية تصرفه عن الاهتمام بالموضوعية في استقراء احداث التاريخ؟. ويا له من عناء بذله المؤلف كيما يبحث في تاريخ اليهود جنسيا ودينيا، وكيفية انتشارهم في العالم ، وتكوينهم الانتروبولوجي .

بحث شاق ودقيق ، وفريد في موضوعيته ، ذلك ان السيل الغامر من المؤلفات العربية التي صدرت في هذا الموضوع ، قد حطت ـ في الغالب ـ كل ثقلها في الجانب السياسي، الذي ولا شك تفرضه الضرورة الحتمية للمعركة التي نجابهها مع اسرائيل . وبالتالي لم يكن من المناسب أن ينصرف الباحثون الى معالجة موضوعية ، فالمعركة المصيرية التي نجابهها بكل تحدياتها وابعادها الخطيرة تحتم وجود تعبئة قومية ونفسية شاملة ، وتكتيل الجهود ضد اطماع الصهيونيين في التوسعات الاقليمية.

فاذا ما شد واحد من باحثينا على هذا الطريق ، وحاول ان يختلس بعضا من الوقت ليقدم لنا هذه المعالجة العلمية الموضوعية .. يتحتم علينا ان نكبر هذا المجهود ، ونثني عليه ، ونهتم به ، وندرسه دراسة رصينة . وهذا الاهتمام لا يعني اننا نتخاذل امام حقنا الثابت المشروع، وانما أطالب بالاهتمام بالكتاب والقاء الضوء عليه لانه حاول ان يبحث عن الحقيقة . واذا كنا ندرك ادراكا جازما ان الحق في جانبنا ، فان هذا الكتاب يعطينا جانبا مهما يجب الا نغفله ، وهو ان الحقيقة أيضا في جانبنا .

تحدث المؤلف في البداية عن اصل اليهود ، واعطانا فكرة موجزة عن المرحلة التكوينية (سفر التكوين) ثم تحدث عن (سفر الخروج والشتات) فضمنه حديثا مسهبا عن الشتات البابلي والهلليني والروماني الوسيط والحديث . وبعد ان استعرض ديناميكية اليهود عبر التاريخ، ابرز لنا الصورة الحالية لليهود ، فصنفهم في ثلاث طوائف هي الاشكناز والسفاردي والشرقيين .. والطائفة الاخيرة هي اقرب اليهود الى الاصول الفلسطينية ، لكنهم اقل عددا وادنى مرتبة حيث ان يهود الاشكناز والسفاردي يزدرونهم ويحتقرونهم ، فيهود فلسطين ـ قبل الاغتصاب ـ من الشرقيين ، لكن الهجرة أتت بيهود من الطوائف الثلاث.

وبالنسبة لتوزيع اليهود في العالم ، فطبقا لاحدث احصاء يقدر عدد يهود العالم في عام ١٩٦٦ بنحو ١٣ مليونا و ٤٠٠ الف يهودي ، تعيش غالبيتهم في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واسرائيل . ويوجد في هذه الدول الثلاث فقط حوالي ٨ ملايين و ٩٠٠ الف يهودي، اما الملايين القليلة الباقية فتعيش اشتاتا مبعثرة في مختلف دول العالم. على ان خطر اليهود لا يكمن في هذا وانما في طريقة توزيعهم وبنيانهم الاجتماعي ، فهم يتمركزون في المدن الكبيرة الهامة ، ويولعون بالتجارة ، وينفرون من الاعمال الزراعية والصناعية.. أي ان نشاطهم البشري يتركز اساسا في الاعمال الغيرمنتجة، وقد أبان المؤلف ان هذا سبب اصيل وعميق في كراهية الامم لهم ، وربما يكون المصدر الاول لاضطهادهم ومقتهم .

ثم انتقل بنا الى الجزء الاهم من البحث وهو الاصل الجنسي لليهود وصفاتهم الجسمية، وفي مستهل هذه الدراسة الانتروبولوجية قدم لنا التفاتة ذكية هي بمثابة تحذير من التمادي في بحثنا العلمي دون وعي بالمصادر التي نستقي منها .. اذ ينبغي ان نلتفت بوعي الى ان هناك علاقة حتمية بين الدراسة الانتروبولوجية الصرفة وبين الجانب السياسي كما يتمثل في الاطماع السياسية ، كما ينبغي ان ندرك ان الصهيونية السياسية تسخر الابحاث الانتروبولوجية وترتب نتائجها مسبقا بحيث تخدم دعاواهم الاستعمارية في فلسطين ، وصميم القضية انهم ، اذ يبحثون عن مبرر من الجنس للعودة الى « ارض الميعاد » يشرع اغتصابهم لفلسطيننا العربية ، يركزون بؤرتهم على « النقاوة الجنسية » لليهود ، بمعنى انهم بعد ان يخرجوا ببني اسرائيل من فلسطين الى الشتات يلحون في انهم ظلوا نقاة بمنأى عن الاختلاط الدموي مع الشعوب التي انتشروا بينها" . ثم طرح قضية النقاوة الجنسية على بساط البحث فأبان اتجاهين : الاول يرى اليهود يتميزون في الصفات الجنسية عن غيرهم « نظرية النقاوة » ، والاخر يرى عكس ذلك « نظرية الاختلاط » . وقد ايد الكاتب الاتجاه الثاني حيث انه لا يوجد مجتمع يهودي أفلت من الاختلاط البيولوجي .

ثم تحدث عن صفاتهم الجنسية التي حصرها المفهوم الشائع في قصر القامة وضيق الصدر والسحنة والبشرة وملامح الوجه وطول الرأس . فقصر القامة صفة جنسية تتكيف بالبيئة والمناخ الاجتماعي . كما ارجع الكاتب هذه الصفة الى تفشي عادة الزواج المبكر جدا بين اليهود ، الذي ادى بدوره الى انحطاط جسمي كان من ابرز اثاره قصر القامة . كما ان ضيق الصدر ليس صفة جنسية ، وهي كسابقتها تتأثر بالبيئة والمناخ الاجتماعي .

اما ملامح الوجه ، فقد اشيع ان اليهودي يتصف بسمرة الشعر والعين ، والانف الاقنى المحدب ، والعيون المنتفخة ، والشفاه الممتلئة، كما اشيع ان هناك سحنة يهودية . وقد دحض الكاتب هذا القول الشائع عن ملامح الوجه بالاسانيد العلمية الدامغة ، فليست هناك وحدة لونية تميز يهود العالم عن سواهم . فلون اليهود مرتبط باللون السائد للسكان المحيطين ، أي ان اليهود غير متجانسين لونا . كما ان لون البشرة نفسها يختلف حسب الظروف البيئية . واذا كان هنالك ثمة اختلاف في لون البشرة بين اليهود والسكان المحيطين ، فذلك يرجع الى طبيعة الاعمال التي يزاولونها . اما الانف الاقنى المحدب ، فان الدراسة الانتروبولوجية قد اثبتت عدم انتشاره بين اليهود . وبالمثل يمكن القول بانه ليست هناك عيون خاصة لليهود او شفاه ممتلئة مع بروز الشفة السفلى .

وعن السحنة اليهودية ، لفت الكاتب انظارنا الى انها « ليست صفة جسمانية بقدر ما هي تعبير اجتماعي مكتسب من البيئة الاجتماعية، من صنع الجيتو وحياة التشرد والاضطهاد والصراع ضد الاخطار المستمرة حتى لقد اسماها البعض « تعبير الجيتو » . انها باختصار من فعل الانتخاب الاصطناعي لا الوراثة والبيولوجيا ، تثبتت عن طريق التزاوج الداخلي والانتخاب الجنسي والانتخاب الاجتماعي والمهني » .

اما الزعم القائل بأن اليهود طوال الرؤوس ، فانه زعم خاطىء . ذلك انهم ، في الحقيقة ، يتوزعون ما بين عراض رؤوس وطوال رؤوس،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاغلبية الساحقة من يهود العالم تحولت الى عرض الرأس نتيجة للتزاوج والاختلاط الجنسي مع غير اليهود .

لقد أبانت هذه الدراسة العلمية الصارمة حيدة المؤلف وامانته ودقته . وكان المؤلف حريصا على عدم اثبات رأي تمليه العاطفة فحسب، تاركا المجال للاسانيد العلمية والارقام والبحوث الانتروبولوجية كي تقوم بتفنيد مزاعم اليهود ودعاواهم الباطلة .

وبعد ذلك ، طرح المؤلف عدة تساؤلات هامة ، وحاول ان يجيب عليها عن طريق الاستنتاجات المنطقية التي وصل اليها .

تساءل اولا : هل اليهود نقاوة ام اختلاط ؟. أهم يهود تأوربوا أم أوربيون تهودوا ؟.

وقد اكدت الاستنتاجات المنطقية حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهي ان السحنة اليهودية ليست سوى ظاهرة حضارية من صنع اليهودنتيجة لاحساسهم الطائفي واهتمامهم بالكيان الديني ، وليست صفة جنسية تنبىء عن وحدة أصل او نقاوة سلالة . فليست النقاوة الا خرافة من صنع اليهود ، كما انتهى المغزى الاتنولوجي لكلمة يهود منذ زمن ، واليهود ليسوا جنسا وانما هم ناس او مجموعة اجتماعية دينية .

ثم تساءل : كيف تم اختلاط او تخليط اليهود ؟. وما هي الادلة والشواهد التاريخية عليه ؟.

لقد تم هذا الاختلاط بالتزاوج والتحول الديني. وللتزاوج شكلان: الزواج العلني والزواج السري . اما التحول الديني فله شكلان رئيسيان : التحولات بالجملة وهي معروفة تاريخيا، والتحولات الفردية، وهي تحدث في كل زمان ومكان .

ومن الوجهة التاريخية ، قدم المؤلف ادلة تدحض خرافة النقاوة، فيهود العالم مختلطون اختلاطا يبعد بهم عن اصولهم القديمة ، وهم ليسوا من بني اسرائيل ، كما انهم يختلفون عنهم انتروبولوجيا وليس هنالك من رباط سوى الدين .

وفي ضوء هذه الاسس ، استطاع المؤلف ـ في نهاية بحثه ـ ان يكشف الافكار الخاطئة ويدحض مزاعمها ، وهي :

اولا : تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » والحقيقة اننا ازاء « ضد اليهودية » .

ثانيا : دعوى وجود قرابة دم بين العرب واليهود ، وقد يكون يهود التوراة والعرب ابناء عمومة ، لكن يهود اليوم ليسوا الا اقارب الاوروبيين والامريكيين !.

ثالثا : الادعاء السياسي للصهيونية في « أرض الميعاد » وهو ادعاء باطل ، فليست لليهود قومية وانما هم طائفة دينية ، وليست لهم اية علاقة جنسية او انتروبولوجية بفلسطين .

وبهذا الكتاب القيم ، يكون الدكتور جمال حمدان قد اسهم في تغذية معركتنا المصيرية ، حيث انه اعطانا أبعادا أخرى يجب ان نضيفها الى اسلحتنا التي نجابه بها العدو الدخيل . وهو كتاب جدير بكل عربي ان يقرأه . حتى يعرف العرب جميعا حقيقة العدو الذي يحاربونه، في نواحي دقيقة ليست معروفة تماما لدى غالبيتهم .

القاهرة — **حسني سيد لبيب**

●

الطير في حياتنا وتراثنا

تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في دير الزور بسورية

كتاب صغير في حجمه وصفحاته كبير في طرافته ومحتوياته جمع ابدع ما يتعلق بالطير من نواحي اللغة والادب والوصف والفائدة والمتعة مما لم يضمه كتاب اخر والمؤلف هو الاستاذ عبد القادر عياش من دير الزور محام واديب وعضو في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بدمشق وصاحب مجلة صوت الفرات عرفته في بلدتي جبلة منذ نفي اهله اليها في عهد الانتداب الفرنسي ثم التقيت معه في معهد الحقوق بدمشق وفي دير الزور ايضا حين كنت رئيس نيابة في الرقة وقد دعاني الى بيته واطلعني على الجناح الخاص المتضمن كثيرا من الاثار الشعبية والادوات التي اختصت بها محافظة الفرات وهو مولع بجمعها .

لقد بوب المؤلف كتابه احسن تبويب ورتب موضوعاته الطف ترتيب واول ابوابه : مدخل الى الطير : ذكر فيه العلاقات بينها وبين الناس من حيث الاقتصاد والغذاء والتربية والشدو والطيران والالهام والزينة والصيد مع لطائف عديدة اوردها واشعار جميلة نقلها من بعض الدواوين ومجلة الاديب الغراء . ثم اتى على تعريف الطير فذكر خصائصها من ريش وذنب ومنقار وجناحين وشرح كلا منها وقسم الطيران الى ثلاثة اقسام الاول : الانزلاق : وفسره ببسط الطائر جناحيه دون تحريك والثاني : الدفيف: وهو ضربه بالجناحين رفعا وخفضا والثالث: طيران الصف : وهو بسط جناحيه دون تحريك كما تقوم به عتاق الطير كالعقاب وجعل منها الحداة وهي ليست كذلك وان كان لها طيران الصف لانها تقع على الجيف فتاكل منها وتصطاد الجرذان ويقال انها كانت من أصيد الجوارح فدعا عليها النبي سليمان فحرمت القدرة على الصيد وهذه الاسطورة مذكورة في لسان العرب وتاج العروس والحداة بكسر الحاء وقد تفتح وبفتح الدال وجمعها حدأ وحداء وحدآن وفي الحديث الشريف خمس يقتلن في الحل والحرم وعد الحدأ منها وروي عن ابن عباس لا بأس بقتل الحدو والافعو أي الحداة والافعوان ويسميها العوام (الشوحة) .

وان اتيان المؤلف بالانزلاق في القسم الاول خطأ لان الزلق لغة الزلل والسقوط يقال زلقت قدمه اي زلت ولا يأتي بالمعنى الذي اشار اليه المؤلف ولعله اراد : الترنيق : جاء في لسان العرب وترنيق الطائر على وجهين احدهما صفه جناحيه في الهواء لا يحركهما والاخر ان يخفق بجناحيه . فكان على المؤلف ان يجعل القسم الاول ترنيق الطائر ويفسره بخفق جناحيه دون ان يبرح مكانه او يسقط .

وبحث في اصل الطير وعده متطورا عن الزواحف وتحدث عن الطير في اللغة العربية واعتناء العرب بها وتمييزهم بين الوانها واصواتها وتطيرهم ببعضها ووضعهم اسماءها وضربهم الامثال بها وتاليفهم الاساطير عنها ووصفها باشعارهم ونقلهم الامثال والحكم عن السنتها ونوه بذكرها في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وذكر ما جاء في الطير والطيران من مفردات لغوية وقال طار الطائر يطير طيرا وطيرانا واهمل من المصادر : طيرورة : ثم قال والطير اسم لجماعة ما يطير مؤنث والواحد طائر ولم يذكر ان الطير قد يطلق على المفرد ايضا جاء في القاموس المحيط ما نصه : الطير جمع طائر وقد تقع على الواحد . وفاته ان يذكر ان من معاني الطائر الدماغ والحظ وعمل الانسان ورزقه وفي سورة يس « قالوا طائركم معكم » اي شؤمكم او سبب شؤمكم وقيل حظكم ونصيبكم من الخير والشر وقرىء : طيركم معكم : قال الزجاج الطائر والطير بمعنى

ثم بين أشكال الطيران واصوات الطير واماكنها وجماعاتها وسماها باسمائها كما هو مذكور في فقه اللغة للثعالبي والمعاجم المعتمد عليها ولم ينتبه الى خطأ طباعي في قوله : والزمار للديك : والصواب والزقاء للديك أما الزمار بكسر الزاي وتخفيف الميم فهو صوت النعامة وقد ذكر ذلك في محله .

وكان جديرا بالمؤلف عند قوله : رف من القطا : أن يصف هذا الطائر ويذكر مؤنثه وجمعه وبعض ما قيل فيه من اشعار وامثال فالقطا بحجم الحمام وهو مذكر والمؤنث قطاة والجمع قطوات وقطيات قال الشاعر: ولو الزعجات من الليالي لما ترك القطاطيب المنام

والبيت مأخوذ من المثل : لو ترك القطا لنام : وقال المنخل اليشكري :

فدفعتهـــا فتدافعـــت مشـــي القطـــاة الـى الغدير

وفي المثل : أهدى من القطا : وسمي قطا لثقل مشيه أو لانـــه يصيح : قطا قطا : قال النابغة الذبياني :

تدعـو قطـا وبـه تدعى اذا نسبت يا صدقهـا حين تدعوها فتنتسب

وفصل المؤلف عن تكاثر الطير وبيوضها واحجامها والوانهاومعانيها في اللغة فقال والبيضة الخوذة الحديدية التي يقي المحارب بها رأسه وبيضة الدار وسطها وبيضة البلد اكبر قومه وبيضة الخدر المرأة وليته تمثل بقول الشاعر معروف الرصافي :

وبيضة خدر ان دعـت نازح الهوى أجـاب الا لبيـك يا بيضة الخدر

وقال وبيضة العقر اخر اولاد المرأة وبيضة الحر شدتـه وبيضة النهار بياضه وبيضة السنام شحمه وذكر قوله تعالى في سورةالصافات « كانهن بيض مكنون » أي كانهن اللؤلؤ المصون ولم يذكر بيضة الديك ويقال انه يبيض في العمر مرة قال بشار بن برد :

قد زرتنا مرة في العمر واحـــدة تني ولا تجعليها بيضـة الديـك

وتحدث المؤلف عن اغاريد الطير وتخاطبها بها واوقاتها كما تحدث عن طبائعها وذكائها وفوائدها فحمام الزاجل ينقل الرسائل والاوزيستخدم للحراسة والصقر يصطاد به الغزال ومـــن فوائد بعضها انها تأكـل الحشرات الضارة للمزروعات وبعضها يقتل الثعابين والهوام وذكر من فوائدها الاتجار بها والتداوي ببعضها والتغذي بلحمها وبيضها والانتفاع من ريشها وعظمها واستعمال زرقها سمادا وذكر من فوائدها الهامهـــا للشعراء والرسامين والنحاتين .

وتحدث عن عدة الطائر وهي الريش والجناح والمخالب والاظافـر والمنسر والمنقار وبين ان المخلب والمنسر للطيور الجارحة والظفر والمنقار لغير الجارحة وذكر ان في الجناح عشرين ريشة وهي القوادم والمناكب والخوافي والاباهر والكلى كما ذكر استعارة الجناح لمعان عديدة منهـا قولهم : ركب فلان جناحي نعامة للاقبال والادبار وركب القوم جناحي الطائر اذا فارقوا اوطانهم وجناحا الجيش ميمنتـــه وميسرته وجناح المستشفى قسم منه ونسي ان يذكر استعارة الجناح في قوله تعالـى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وذلك في امر المرء بالاحسان لوالديه وخضوعه وتواضعه لهما وتحدث مفصلا عن الريش واستعماله للزينة وحشو الوسائد والفرش وصنع مراوح منه واستعماله للكتابـة وليته ذكر ان الفارس الشجاع حمزة بن عبد المطلب عم النبي العربي كان يضع ريشة حمراء على صدره علامة له ولذلك قيل له الفارسالمعلم وليته ذكر ان مضرب العود كان من خشب فصنعه الملحن العبقريزرياب حين قدم الاندلس من قوادم النسر وهو الذيزاد في العود وترا خامسا.

وتحدث المؤلف عن غذاء الطير من لحوم وحُبوب ونباتات وثمـار وديدان وقال ان عناق الطير كالعقاب لا تأكل الا مما تصيدها بنفسها واما غير العتاق كالنسر والرخمة فتأكل من الجثث وحكى عـن مغازلة الطيور وتحابيها وتآلفها وبناء اعشاشها وتكلم عن منطق الطير وانالنبي سليمان كان يفهم منطقها واورد شاهدا على ذلك الآية الكريمة : «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير » وروى خرافات عما تنطق به الطير من كلمات وتكلم عن طير الهواية في اقفاصهاوترفيهها للنفس واطرابها للسمع باغاريدها وترانيمها وتحدث عن تعليمها للانسان بعض الامور كالغراب الذي علم ابن آدم قابيل دفن أخيه هابيل واورد الآية الكريمة بذلك .

وذكر ان الطير ألهمت البشر أن يطيروا مثلها وفكروا بذلك طويلا واول من قام بتجربة الطيران عباس بن فرناس من قرطبة في الاندلس وهو من رجال القرن التاسع للميلاد كسا نفسه بالريش وضم اليـــه جناحي ريش فطار قليلا وسقط لانه لم يجعل له ذنبا ثم قال ما نصه : « وفي القرن الرابع ظهر رجل ثان في الاندلس قام بتجربة اكثر جراة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو اسماعيل بن حماد الجوهري ابو نصر الفارابي من اثاره كتاب الصحاح في اللغة صنع اجنحة خشبية » وفي هذا القول تناقض بين وخطأ كبير والصحيح ان الجوهري اللغوي هو غير ابي نصر الفارابي الفيلسوف وان كان كلاهما في الاصل من فاراب والاول هو الذي قام بتجربة الطيران في نيسابور بعد ان شد الى جانبيه جناحين من خشب ووقف على سطح المسجد ودعا الناس لمشاهدته قائلا لقد صنعت ما لم اسبق اليه وطار قليلا ثم هوى على الارض قتيلا وذلك عام (١٠٠٧) م اما الفيلسوف ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان ولقب بالمعلم الثاني وينسب اليه اختراع الآلة الموسيقية (القانون) وله مؤلفات كثيرة وقد توفي بدمشق عام (٩٥٠م) وهو تركي مستعرب هذه هي حقيقة الرجلين ولم يمكث احدهما في الاندلس وينتسب الى فاراب رجل اخر هو الاديب اسحق بن ابراهيم الفارابي توفي عام (٩٦١م) وهو خال الجوهري .

وحكى المؤلف عن هجرة الطير بسبب البرد والحر او قلة الغذاء او ازدياد النسل وتسمى القواطع والتي لا تهاجر تسمى الاوابد . وتحدث عن دراسة علم الطير وعن الطيور الخرافية كالعنقاء والفينق والسمندل والرخ المشهورة بعظم اجسامها وذكر اسطورة الهديل وهو ذكر الحمام الذي اصطاده طائر جارح زمن النبي نوح فلا يزال الحمام يبكي عليه وحبذا لو اورد قول المعري في مرثاته المشهورة :

أبنات الهديل أسعدن أو عد ن قليل العزاء بالاسعاد
ايه للـه دركن فاتنتن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الاوان الـ نخال اودى من قبل هلك اياد

كما اشار الى انشودة البجعة عند موتها ولم يشر الى ما قاله الشاعر الفرنسي لامرتين في قصيدته : الشاعر المحتضر : عن تلك الانشودة وقد ترجمها الاستاذ الزيات نثرا وحولتها شعرا :

لأرنم لحنا على الاوتار ما استمرت يدي على القيثار
لأرنم ما دام يلهمني الحتـ ف جميل الالحان والاشعار
مثل ترجيع بجعة تسلم الرو ح على ضفة من الانهار

وروى قصصا وحكايات شعبية عن الطير وشيئا من القصص العربي وقصة الهدهد مع النبي سليمان وكيف دله على مملكة سبأ وملكتها بلقيس وسرد الآيات الكريمة التي نزلت بذلك .

وتحدث عن هواية تربية الطير والاتجار بها وما صنف عنها وما يتسلى بها ويلعب عليها وروى ما ورد من ذكرها في القرآن الكريم والاحاديث النبوية كما روى طائفة لطيفة من الامثال وبعض ما قيل في الطير من الشعر القديم والحديث وليته أثبت في هذا الباب قول بشار بن برد :

تسقط الطير حيث ينتثر الحـب وتغشى منازل الكرماء

وقول الفيلسوف ابن سينا في النفس :

هبطت اليك من المحل الارفـع ورقاء ذات تعزز وتمنع

والورقاء الحمامة البيضاء ويقصد بها الفيلسوف الروح وقد عارضه بها الشاعران شوقي وايليا ابو ماضي . وتكلم عن الطير التي اتخذتها الشعوب رمزا وشعارا لها كالرخمة رمز الحنان والعقاب راية النبي العربي وكانت تنقش على بنود الفرس والرومان لانها رمز القوة والمنعة ولم يذكر انها نقشت على راية صقر قريش عبد الرحمن الداخل وذكر ان هيئة الامم المتحدة جعلت شعارها الحمامة لانها رمز السلام ووضعت رسم حمامة على ابنيتها وعلمها وأوراقها . وذكر ان اشخاصا تسموا بأسماء الطير وتكلم عن تدريب طائر الصيد وجاءت فيه كلمة : عامود : وهو خطأ لغوي صوابه عمود بحذف الالف وعمد بفتحتين او ضمتين وروى كثيرا من الامثال الشعبية في وادي الفرات وبعض الاحاجي .

وختم كتابه الطريف الشائق بعناوين اغان شعبية تبثها الاذاعات العربية . واني ادعو كل قارىء لمطالعة هذا الكتيب القيم فهو حقا ممتع.

جبلة ـ سورية **رشاد علي أديب**

صلاح الدين الايوبي

تأليف قدري قلعجي ـ ٦٦٣ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت ـ مطابع شركة الطباعة الحديثة ببيروت

بين يدي سفر ضخم ناهزت صفحاته الـ ٦٦٣ من القطع الكبير في حلة فنية واخراج دقيق انيق ، عنوانه صلاح الدين الايوبي : « قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد » من تأليف الكاتب الاديب المؤرخ الاستاذ قدري قلعجي ، يشتمل على سيرة البطل الاسلامي الكبير صلاح الدين يوسف بن شادي الايوبي من خلال الصدام المميت الذي وقع بين الشرق الاسلامي والغرب النصراني المعروف تاريخيا « بالحروب الصليبية » . وقد حرص المؤلف ان يقدم للقارىء العربي موضوعه الحساس ، باسلوب لبق وعبارة مهذبة وافكار حديثة بما يتناسب والانطباعات القومية المعاصرة التي يعيشها الناس في ايامنا مع محاولة مقصودة ، لتفسير الحروب المصيرية التي دارت بين آسيا الاسلامية واوروبا النصرانية على ضوء المفاهيم السياسية والفكرية التي يتداولها الناس في الظروف الحالية التي تحكم العلاقات الراهنة بين الشعوب العربية والاستعمار الغربي في اشكاله المستحدثة منذ الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) في بداية العقد الثاني من منتصف القرن العشرين بعد الميلاد المسيح عليه السلام .

ونحن نستطيع ان نقول بأن قارىء هذا الكتاب القيم لا يضطر الى انفاق الشيء الكثير من الوقت والجهد حتى يدرك ان المؤلف الاستاذ قدري قلعجي ، قد التزم منذ اول صفحاته حتى اخرها ، البقاء داخل الاطار التاريخي المألوف الذي تعودناه من كتاب السير والتراجم الشخصية ، اذ هو اخذ نفسه في السرد المتناسق الرتيب للاحداث السياسية والعسكرية التي تشكل في مجموعها قصة حياة بطل الكتاب، صلاح الدين الايوبي ، من حين ولادته حتى اخر مراحل وجوده في هذه الدنيا ، مع ما تستلزمه طبيعة الموضوع من ضرورة الاستطراد بين الحين والاخر الى الحديث عن الملابسات العائلية النابعة من نفس البيئة التي عاشها صلاح الدين بالذات ، او كانت منسحبة عليه من منابع اجنبية غريبة عنه لسبب او لاخر .

بيد انه لا بد من القول بأن الاستاذ قدري قلعجي . بما أوتي من براعة في الاسلوب البياني وسعة في الاحاطة الثقافية وتمكن من المادة التاريخية ، استطاع ان يقدم لقارئه ، شخصية بطل كتابه ، في مادة دسمة من المعلومات الطريفة واللفتات القلمية البارعة ، بحيث ان هذا القارىء يجد نفسه بين يدي بحث علمي مشوق ، يثير فيه الرغبة واللهفة لمتابعة القراءة تحت سلطان اخاذ من العرض المتناسق والمعاني الجميلة والتسلسل الفكري المحكم .

ولا غرو فان الاستاذ قلعجي يعتبر في الواقع من فرسان القلم الانيق وله في ميدان البيان جولات وصولات ، جديرة بان ترتفع به الى مصاف امراء هذا البيان بين امثاله واقرانه من كتاب العصر المجيدين .

ولقد كان من حظ البحوث التاريخية الرصينة ان يجنح اليها مثل الاستاذ قلعجي ، في وضوح الكلمة وبلاغة الجملة وجاذبية المعنى . ذلك بان التاريخ المكتوب اذا جرد من هذه الميزات الاساسية يصبح مجرد رواية عادية لحوادث واحداث تتكرر ابدا في كل زمان ومكان على اختلاف العصور والامصار . وعلى هذا فانه ليس علينا من تثريب ولا حرج في ان نضع استاذنا الكريم بين نخبة المؤرخين العرب ارتفعوا بمستوى مادتهم الى ما يجعلها سائغة وممتعة ومفيدة في آن واحد .

على ان تقديرنا للجهد البالغ الذي بذله الاستاذ قدري القلعجي في معالجة المقدمات التي سبقت ظهور صلاح الدين على مسرح الاحداث الضخمة التي عرفها الشرق العربي تحت وطأة الوجود الصليبي والنتائج الباهرة التي فرضها ظهور هذا البطل في ذلك الزمن . ان هذا التقدير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يصرفنا عن الملاحظة بانا كنا نتمنى لو ان المؤلف وجه اهتمامه الى الناحية الفكرية المهمة التي تجعل من صلاح الدين احد ابطال الاصلاح الاسلامي بالاضافة الى كونه احد ابطال الفتح العسكري . فان هذا الشخص الفذ لم يكن من اولئك الرجال العاديين الذين قصروا حياتهم على ما خاضوه من معارك عسكرية فاخطأهم حظ الانتصار حينا وادركهم حينا اخر ثم انصرفوا من دنياهم وسط عجاج كثيف من غبار الحروب او في زفة صارخة من صليل السيوف وقعقعة السلاح ، بل كان صلاح الدين بين الابطال ، من طراز اخر لا تقل معاركه العقائدية والفكرية اهمية واثرا عن معاركه العسكرية او نشاطاته السياسية .

وانه على الرغم من عشرات الاقلام التي تحدثت عن صلاح الدين في الماضي والحاضر ، والتي قدمته لنا في لأمة الحرب ، مدججا بالسلاح متمكنا من صهوة جواد ثائر، على الرغم من ذلك، فان شخصيته الممتازة، كانت تحتوي على جانب اخر من جوانب العبقرية والعظمة، وهو الجانب الذي كان يقوم على فضائل منهجية استطاعت ان تفرض نفسها وان تحدث تغييرا جذريا في طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية لمسلمي الشرق العربي في زمانه بل وفي الأزمنة التي توالت متعاقبة من بعده . فمن المعروف ان صلاح الدين الايوبي لم تكن جبهته النضالية الوحيدة ، تلك التي فتحها ضد الاحتلال الصليبي لبلاد الشام ، بل كانت له جبهة اخرى خاض فيها غمار معركة داخلية ذات اهمية كبرى ، تلك هي جبهة النظام الفاطمي التي كانت تهدف الى انتزاع القيادة الاسلامية من اهل السنة والجماعة الذين تمثلهم الخلافة العباسية في بغداد ، وتسليمها الى العناصر الباطنية التي تمثلها الفئة الحاكمة في القاهرة باسم آل البيت النبوي الكريم ومن يلوذ بها من شيع واحلاف .

واذا كان الاحتلال الصليبي قد استطاع ان يمد جذوره الاستعمارية عشرات السنين بما اوتي من وسائل القوة والبطش والعدة والعدد ، فان النظام الفاطمي المعاصر له ، كان يبسط رواقه المذهبي على الرقعة الحساسة من بلاد الاسلام بما اوتي من امكانات بشرية هائلة ، ومغريات عاطفية طاغية ، اتخذت من الدين وبعض الاحداث التاريخية ، ادوات دعائية حاسمة للسيطرة على نفسية الجماهير .

ولسنا الان في مجال الكلام بهذا الصدد ، فأسفار التاريخ الاسلامي مزدحمة بالشواهد على ما نقول .

وان ليبدو لي ان المعركة الحربية التي خاض اوارها صلاح الدين الايوبي بوجه القوات الصليبية المحتلة لم تكن في الحقيقة قاصرة على رغبته في اجلاء هذه القوات عن ارض الوطن الاسلامي فقط ، بل انها كانت بالاضافة الى هذه الرغبة الخيرة ، نوعا من التكتيك النفساني ، او ما يسمونه بلغة العصر الحاضر ، الاستراتيجية النفسية ، التي اتبعها هذا البطل من اجل اكتساب صفة الزعيم المنقذ ليضمن ولاء الشعوب الاسلامية في موقفه من النظام الفاطمي ومن ثم القضاء على هذا النظام . ولعلنا لسنا نجور بالقول ولا نجنح الى المبالغة اذا اكدنا بان هذا النظام الطاريء كان في الواقع الهدف الاول والاخير لصلاح الدين الى جانب شواغله المضنية في محاربة الصليبيين .

ونحن حينما نعطي لصلاح الدين ، الى جانب دوره العسكري البارز في هزيمة الصليبيين ، دورا آخر لا يقل خطورة ، وهو صراعه مع النظام الفاطمي ، فاننا لا نطلق هذا الرأي على عواهنه دون ضابط من الواقع او شاهد في التاريخ ، ولا نقول به رغبة منا في ابتداع وجهة نظر شخصية طريفة في محاولة فهم الحركة الانقلابية التي قام بها صلاح الدين بازالة الامامة الفاطمية في عقر دارها لتحل محلها الخلافة العباسية ، وانما نحن ننطلق فيما نثبته في هذا الصدد على مستوى الاحداث القديمة التي تعاقبت بعضها في اثر بعض من حين دخول صلاح الدين الى الديار المصرية تحت شعار الدفاع عن ترابها وكبح المد الصليبي عن التفشي في ارجائها ، فلما ان استوفى هذا الغرض العاجل غايته زال هذا الشعار ومبرراته وزالت معه عوامل التحفظ والتربص وكانت حركة الانقلاب ضد الخليفة العاضد بمثابة طلقة الرحمة التي اجهزت على دولة الفاطميين .

أجل ان صلاح الدين الايوبي ، فتح عينيه لاول مرة في بيئة اسلامية محافظة ، ثم فتح عقله في غمرة من التململ الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي ، ولما ان اصبح في مستوى المسؤولية الرسمية وجد نفسه رهين جو سياسي متلبد بغيوم التناقض الديني . وهكذا لم يعد امامه الا ان يختار الطريق المناسب للخروج من ازمته النفسية . وقبل ان يطول به الانتظار وينهكه التردد ، قرر ان يواجه مشكلته الفردية من خلال مشكلة الرأي العام الذي يحيط به ، ولم تكن هذه الاخيرة الا وجود النظام الفاطمي الذي لم يتورع بعض رجاله عن الاستعانة بالعدو الغريب على المنافس القريب ، وهكذا نظم مؤامرة محكمة ضد العهد الفاطمي بدأت خافتة سرية ثم ما لبثت ان اعلنت عن نفسها بصراحة ، لا لبس فيها ولا غموض حينما وجدت الفرصة سانحة والنفوس مهيئة ثم قام بانقلاب حاسم اسدل فيه الحجاب على عهد قائم ورفع بدلا منه عهدا جديدا له شعاراته واهدافه ومفاهيمه .

ويقول المؤرخون في تعليقهم على الانقلاب الايوبي وتغلبه على الحكم الذي سبقه :

« وما زال المذهب الاسماعيلي (الفاطمي) اخذا في الاضمحلال من الديار المصرية حتى تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي سنة ٥٦٤ هـ فوجه اهتمامه بعد خلفه هذا الخليفة الى القضاء على المذهب الشيعي (الفاطمي) بمصر فانشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي (السني) وعين صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي قاضيا للقضاة في جميع انحاء الديار المصرية ، فاستعاد المذهب السني قوته واخذ المذهب الشيعي في الاختفاء تدريجيا حتى لم يبق له انصار في مصر » .

وليس هذا هو كل ما فعله صلاح الدين حتى يعفى كل اثر



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للنظام السابق ، بل انه بادر فور اقالة الخليفة العاضد ، الى عزله عن الاتصال بالرأي العام بفرض الاقامة الجبرية عليه وحجزه في بيته ثم احتاط على عثرته وآل بيته ولا سيما الاقربين منهم وذوي العصبيات الظاهرة ففعل بهم مثل ما فعل بكبيرهم ، وأطلق في أثر النافذين من رجال الفكر وارباب السيف والقائمين بالدعوة في الجهات والامصار ، ثم اصدر امرا عسكريا جازما باغلاق جميع المؤسسات الفاطمية التي كانت مراكز رسمية للتوجيه العقائدي او الديني ، كدار الحكمة حيث كان يتم اعداد موظفي الدوائر الحكومية الفاطمية ، والازهر الشريف حيث كانت اروقته منابر عالية لدعاة المذهب الفاطمي وفلاسفته ، وغيرهما مما هو في حكمهما اداريا او مذهبيا .

ولم يكتف صلاح الدين بهذا القدر ، بل اصدر امرا عسكريا جازما بالحيلولة دون تسرب انصار الفاطميين الى الجيش الايوبي حتى ان هذا الحظر تناول المصريين العاديين حتى لا يتسرب عن طريقهم خصوم النظام القائم ، ثم راح يركز على اهمية الخطر من وجود الصليبيين في التراب الاسلامي ببلاد الشام . لقد كان صلاح الدين من اولئك الرجال الذين يتصرفون في حياتهم العامة بدراية وحكمة وتصميم واع لذلك نجده يقدم من الامور ما يجب ان يتقدم ويؤخر منه ما يجب ان يتأخر ، وذلك حتى تأتي النتائج منسجمة مع مخططه المدروس فلا تسبقه الاحداث وتختلط عليه الوقائع ، وحين اتيح له ان يبدي مكنون نفسه بعد ان ثبت أركانه بمصر لم يتح للنظام الفاطمي ان يسترد انفاسه تحت وطأة القرارات الجذرية التي اصدرها معلنا بها نهاية هذا النظام الذي استمر نيفا وقرنين من الزمان ابتداء من نصف رمضان ٣٥٨ هـ الى المحرم من ٥٦٧ هـ .

وبعد ، ان هذه العجالة انما اريد بها الافادة من الحديث عن كتاب « صلاح الدين الايوبي » لتقديم رأي جديد حول الدراسات التي تحوم حول شخصية هذا البطل الذي بهر الابصار بمغامراته الحربية حتى جعلها تقف عندها فلا تعدوها الاقلام تحليلا وتعليقا وتنويها . ولعل الاستاذ قدري قلعجي يعود الينا مرة اخرى بكتاب جديد عن صلاح الدين يطوي صفحاته على الدور الذي قام به هذا الفارس المغوار في ميدان الدين والعقيدة والايمان ويبين لنا بقلمه الممتع الوجه الاخر من صورته الداخلية ، هذه الصورة التي ما تزال تنتظر من يبديها للناس على حقيقتها والتي تنطوي بتفاصيلها على كثير من مظاهر العبقرية الفكرية التي كان يتحلى بها صلاح الدين الى جانب عبقريته العسكرية .

وايا ما كان فلسوف يبقى الاستاذ قدري قلعجي على مر الزمن واحدا من اولئك المؤرخين الذين قدموا صلاح الدين الايوبي وعصره بقلم العالم المتمكن الذي احاط بموضوعه من كافة اطرافه واستطاع ان يسير مع قارئه في خلال الاحداث التاريخية المجردة ، مع استخلاص العبرة من الماضي لتحقيق الافضل في الحاضر والمستقبل ، والى جانب شخصية صلاح الدين التي لفتت الانظار الى عظمتها التاريخية فاننا نجد شخصية المؤلف الذي لفتت الانظار كذلك الى علو كعبه في صياغة مادته على اسس متينة من الدقة والحصافة والبلاغة ، مع المرونة البارعة في توجيه الموضوع نحو غايته من الدفاع عن الحق والدعوة الى الاعتقاد به .

طه الولي

•

معجم المصطلحات الحراجية

بالانكليزية والفرنسية والعربية مع تعريفاتها بالعربية ـ للامير مصطفى الشهابي ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

لا يخامر المطالع للعلامة الجليل الامير مصطفى الشهابي شك ، في انه البقية الباقية للثروة العلمية الاصيلة التي نتفقدها اليوم ، فلا نجدها الا في اكناف هذا الرعيل من العلماء ، وعلى موائد هؤلاء الافذاذ الذين توافروا على البحث ، وسهروا لاسعاد الاجيال ، خدمة للعربية ورفعة شانها بين اللغات ..

وما ينفك المشتغلون بالتنقيب من العلماء ، الحريصون على تتبع خير العربية يكتشفون كنزا حتى يكون هناك كنز آخر ، يفيض نعمى ، ويمسح عن العقول ما ران عليها بهذا البلسم الشافي الذي يوزعه الامير مصطفى وصحبه بين الحين والحين ، ضربة العلم ، وبغية النفع العميم ...

فالذين يعرفون العالم الجليل في سنه اليوم ، وشيخوخته التي ضربت بجرانها على جسده ، وهو ما زال يواصل هذه الابحاث ، وينشر هذه المطولات من الكتب لا يخامرهم شك في انه يقتطع هذا المجهود الجبار من بقايا تركيبه الماضي ، وعلى حساب صحته في الحاضر .

يتحدث الامير بين يدي معجمه فيقول :

« في هذا المعجم ٩٨٧ مصطلحا بالانجليزية يقابلها أكثر من ذلك العدد في كل من الافرنسية والعربية ، ولهذه المصطلحات قصة بدأت صفحاتها منذ نحو عشر سنين .

ففي كانون الثاني « ديسمبر » سنة ١٩٥٢ ، عقد في عمان ، بدعوة من منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة (فاو) مؤتمر اشترك فيه ممثلون لدول الشرق الادنى ، فكان في جملة قرارات ذلك المؤتمر قرار يدعو المنظمة المشار اليها (ومقرها في رومة) الى العناية بوضع ترجمة عربية لمصطلحات الحراج وتعريفاتها ، على أن يتم ذلك في اتصال بين المنظمة ودوائر الحراج في البلدان العربية .

وكانت مغبة هذا القرار تكليف اربعة من المختصين بالحراج في سورية والعراق ولبنان والاردن أن يقوموا بهذا العمل ، متخذين مصطلحات الكومنولث البريطاني والجماعة البريطانية اساسا له .

وفي صيف سنة ١٩٥٥ اجتمع الاربعة الملمح اليهم في دمشق بدعوة من المنظمة فعارضوا ترجماتهم بعضها ببعض ونسقوها في خمسة ايام » .

لكن هل هذا العمل الكبير قد رضي عنه الباحث المدقق ، ومر كما يمر غيره من سائر الابحاث باخطائه ومصطلحاته وتجاوزاته ؟

قال الامير : « عندما تصفحت نسخة مصطلحات الحراج ، وجدت بها اخطاء كثيرة جدا سواء في المصطلحات العربية أو في تعريفاتها ، فنبهت الى ذلك مدير مكتب القاهرة الاقليمي لمنظمة الاغذية والزراعة ، وذكرت له ان لمجامعنا العلمية واللغوية ، ولجامعاتنا ، وللاتحاد العلمي العربي وغيرها ، مصطلحات لا يجوز جهلها في ترجمة مثل هذا المعجم »، فأجيب الامير الى طلبه ، وقام بتصحيحات الترجمة العربية للمعجم ، وانتهت هذه القصة بصدور هذا المعجم الصغير الذي اقتضاه مدة عام كامل ، خدمة للغة الضاد ومصطلحاتها .

سار الباحث في هذا المعجم على نحو لم يعهده البحاث في المعاجم المصطلحية التي تضيق بها المكتبة العربية ، وان كانت تأخذ سمتها بين سائر الكتب النافعة : فللمصطلحات غالبا تعريفات علمية موجزة ، لا تسعف الواضع او الناقل او المترجم بما يشاؤه من المقابل او النضاد .. فيتحتم عليه أن يسير في عسر مصطلحي ، وضيق مادي ، وبخاصة ، اذا وجد امامه جملا غامضة تحتاج الى اجلاء او ايضاح ، ليحمد عمله ، ويؤديه على وجه يرضى هو عنه ، قبل ان يرضى أبناء العربية ..

والعمل في معجم المصطلحات الحراجية ، يسير على نهج يخالف نهج المعاجم وان اشترك معها في خطة العمل وغاية المقصد وشرف الاتجاه ، فالترجمة الفرنسية لهذا المعجم التي نقل عنها الباحث دقيقة الوضع ، مختارة اللفظ في البناء ، وهي التي أعانت الباحث على ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمضي بهذا العمل الكبير في نحو عام ، الا أن الغموض التي اكتنف بعض عباراتها ، حتى ان المترجم كان يضطر احيانا كثيرة الى ان يعمل عقله ، حتى تأتي هذه العبارات غير نابية ، او مخالفة لما عليه اصل العبارة في وضعها الاصلي الذي صيغت له .

ولقد عمد الباحث القدير الى الحفاظ على سلامة الاصل بالشرح المزدوج ، مع عدم الخروج به الى غير ما يانس او يحب ، وان كان في أحيان كثيرة يتجاوز عن هذا الاصل بتفصيلات قليلة هي اجدر وأقمن بكتب الحراجة .

والذي يلفت النظر في هذا المعجم ، تقيد الباحث بالقرارات العلمية التي اتخذت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في قياسية عدد من الاوزان والجموع ، واجتهاده في كثير من الالفاظ مما شاع على ألسنة كثير من الادباء في الوطن العربي الكبير .

والضرورات العلمية كثيرا ما تبيح ما لا يباح ، وتسيغ ما لا يستساغ ، والامثلة اكثر من ان تحصى ، فبرغم من البرغم ، وأقلم من الاقاليم ، وحرج من الحرجة ..

والواقع ان المشتقات من أسماء الاعيان عند القدماء تعد بالمئات ، وقرارات تضمين الالفاظ اللغوية معاني اصطلاحية ، وقرارات الاشتقاقات ، واجازة النسبة الى جمع التكسير عند الحاجة اليها ، ككبرت من الكبريت في أسماءالاعيان ، وشجر بمعنى غرس في التضمين، والغراسة من غرس في الاشتقاق . والدولي غير الدولي في النسبة .

وتسمية هذا المعجم بمعجم المصطلحات الحراجية نسبته الى الحراج او الى الحراجة ، فيه عدول عن أصل اللفظ وأصل النسبة على السواء .. اذ المعروف أن الاصل : حرج ، والنسبة حراجة التي عدل عنها الباحث غير معلل لهذا العدول الذي آثره وفضله على الاصل والنسبة .

أما المصطلحات نفسها وتعريفاتها ، فقد نسبها الباحث ، اما الى الحرجة او الى الحراج او الى الحراجة على حسب المنسوب اليه في الجملة ، وان غفل كذلك عن العلة ، وتناسى شرح وجهة نظره ، متعللا بان الكوفيين اجازوا النسبة الى الجمع على لفظه مطلقا ، وهذا ما جرى عليه المجمع اللغوي في اصدار قراره .

وليس شك في ان قرار المجمعيين الذين اجتهدوا هذا الاجتهاد ، ووضعوا هذه القرارات ليس بملزم لنا ، وبخاصة وهم من الاناسي ، يجري عليهم ما يجري على سائر العلماء من الخطأ والصواب ، والصحة والمرض ، وسائر الاعراض التي تلم ببني البشر علماء وغير علماء ..

على ان تواضع الامير الباحث ، جعله يلتزم في كتابه بقرارات ، هو في غنى عنها ، ولا سيما اذا عرفنا تمكنه من ادواته التي يعايشها اكثر من نصف قرن على أقل التقادير ، وأبسط قواعد حساب الثروات العلمية في متوسط الاعمار .. ورجل هذه كتبه ومعاجمه وبحوثه ، لا أنتظر منه كغيري ان يدلني على اجازة جمع الصفة التي تكون على وزن فعلاء بالالف والتاء ، عندما تنزل منزل الاسم ، مثل خضروات ، وشجراوات كما أجاز ذلك المجمع في اجتماعه الذي اجتهد فيه حتى علمنا ما لم نكن نعلم . !!

وقد استعمل الباحث الفاضل كلمة حرجة لا غابة ، كما استعملها الاديب القبطي الكبير ابن مماتي في مصر زمن الايوبيين ، وظلت هذه الكلمة تجري على الالسنة حتى في زمن المماليك وفي قوانين الدولة العثمانية ، وقوانين الاقطار العربية بعد ما انفصلت عنها .

والمدقق لهذا النهج من الاختيار والتفضيل والايثار الذي عرضه الباحث ، لا يسعه الا ان يقف بجانبه ويشد على يديه ، وبخاصة اذا عرفنا ان لفظ « غابة » يطلق على كثير من المسميات ، بخلاف لفظ حرجة ، فلا ينسب الا على هذا الذي قصده الباحث ، ونسج معجمه عليه.

وتقع التبعة كل التبعة على الامير الجليل ، وهو يتواضع هذا التواضع الذي يضطره احيانا الى التخلي عن مكانته في عالم اللغة ، وميدان البحوث ، فهو يعتمد دائما على معاجمه ، ويسير وفق مخطط بحثي وضعه لنفسه ، يعرفه به كل من يطالعه ، وبخاصة في « معجم الالفاظ الزراعية والمصطلحات العلمية في اللغة العربية » وقانونه الذي التزم به والزم به كتاب مجلة المجمع ، وهو عدم تبني المصطلحات التي ينشرها ، خوف ان يعارض بعضها ما يستقر عليه الرأي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وهنا يسمح لي الباحث الفاضل بالسؤال او التساؤل .. وهل اذا تعارضت هذه المصطلحات مع المنطق او الذوق او اللغة او الاجتهاد الفردي ، أيكون الرأي للمجمع كذلك ؟

أعتقد ان هذا الالتزام شيء غير ضروري لأي باحث ، وما دام الاجتهاد في اللغة يعتمد على الذوق .. فكل عالم حر في ان يسيغ ما يسيغه المجمع ، أو يرفض ما استقر الرأي عليه فيه ، اما ان آخذ هذه القرارات اللغوية دون مناقشة حتى ولو لم توافقني فهذا ما لا يرضاه الامير الجليل لي ولا لغيري من الذين يعيشون على هذه البحوث، ويقتاتون من وراء هذه الصناعة !!

والجهد المبذول في هذا الكتاب ، لا يقل بحال عن الجهود التي بذلها الباحث في كتبه الكثيرة السابقة ، ان لم يفقها صعوبة وشدة ، فوضع فهرس عربي وآخر فرنسي للمصطلحات العربية والفرنسية وترتيب هذه المصطلحات على حروف المعجم وترقيمها ، كل هذا جهد لا يضطلع به الا هذا العالم الثبت الحجة . اما التسامح العلمي فيظهر جليا في التماس العذر للذين ترجموا هذه المصطلحات وعرفوها : « اذ معرفة العلوم الحراجية شيء ، ومعرفة مصطلحاتها شيء آخر . وما برح معظم علمائنا بالعلوم الزراعية وفروعها يغلطون كثيرا في مصطلحات مؤلفاتهم وما برح الاساتيذ في مختلف العلوم الحديثة يستعملون مصطلحات عربية مختلفة للمعنى الواحد ، حتى أصبح ذلك داء من أدواء لغتنا لا يشفيها منه الا توحيد أهم المصطلحات في معجم كبير

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

على كل عربي ان يقرأ

الحرب العالمية الثانية

موضوعات يعالجها الكتاب بجزئيه

- ((هتلر)) من النشأة الوضيعة الى الذروة
- دور المصفحات في الحرب الحديثة
- الحرب في الجبهات الاوربية كافة
- الحرب في الشرق الاقصى
- الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية
- الحرب البحرية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انكليزي ـ افرنسي ـ عربي » .

اما المادة التي اشتمل عليها المعجم ، فلا يغنى فيهـا مساق بضعة ألفاظ والعمل الذي جرى فيها والنحو الذي اتبعه الباحث في صياغتها وترتيبها وتبويبها ، بل يغنى الغناء كله أن يكون هذا الكتـاب على رأس مكتبة كل اديب ، وقاموس كل باحث ، وري كل صاد الـى العلم والمعرفة .

القاهرة — ابو طالب زيان

•

ايـــــوب

مسرحية ـ تأليف ميخائيل نعيمة ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

حفلت حياة أديبنا ميخائيل بالانتاج المثمر المتنوع في عالم الفن القولي . فقد كتب الشعر والمقالة والقصة المسرحية والنقد . واذا كان قد اقلع عن الشعر بعد فترة معينة من عمره فانه بقي مواصلا انتاجه في بقية الفنون الادبية الاخرى . فيمكن للقارىء ان يقـرأ لـه كتبا في النقد الادبي والترجمة الذاتية وغير الذاتية ، ومقالات اجتماعية وفكريـة وتأملية وذاتية ، وكذلك الامر بالنسبة للقصة فقد تناولها بالمعالجـة ونوع في موضوعاتها . بالاضافة الى ذلك فانه لم يهمل شأن المسرحيـة فكتب مسرحيته الاجتماعية « الآباء والبنون » منذ فترة طويلة . ولكـن قلمه ما زال كريما معطاء ، أمد الله في عمره ومنحه المزيد من القـوة لمزاولة نشاطه .

وها هو الان يطالعنا بمسرحية جديدة عنوانها « أيوب » وكـان الظروف التي نعيشها والمحن التي تحيق بنا لا بد ان تذكرنا بجد مـن اجدادنا اشتهر بالصبر ، لا سيما وان قضية التضجر من المصائب ، والكفر بالله تعالى أو وصفه بصفات لا تتناسب مع ذاته ، قد كثرت وانتشرت في هذه الايام .

ومن حق ميخائيل في هذه المرحلة من حياته ان يتناول مثل هذه الفكرة بالعرض الفني . ولقد كان عرض لها كثيرا في مجالات انتاجـه المختلفة الا انه الآن يعطينا اياها واضحة سافرة في مسرحيته الجديدة ، وليس بشكل موجز عابر كما في السابق .

وليس غريبا الا يعمد الان أديبنا الى كتابة مسرحية اجتماعية أو سياسية او عاطفية . فقد عالج من مشكلاتنا الاجتماعية في انتاجـه السابق على تنوعه ما فيه الكفاية . وليس ميخائيل من هواة السياسة حتى يقحم نفسه بين شظاياها في اشد ظروفها تعقيدا واضطرابا. وليس ممن يعالجون المسرحيات والقصص التي تتناول القضايا العاطفية . ولو فتشنا عن حقيقته لوجدناه فيلسوفا صوفيا متأملا انسانـي النزعـة والشعور ، فهل من مانع اذا كتب مسرحيته في نطاق ما هو فيه ؟ وهل يتعذر على المسرحية ان تعالج مثل هذا الموضوع ؟ وهل وفق الكاتـب في توفير امكانية الاخراج لهذه المسرحية التأملية الفكرية ؟ وهل سيتحقق لها التأثير اللازم في نفوس النظارة ؟ .

الواقع ان معالجة موضوع كهذا في اطار المسرحية ليس بالامـر السهل ، وهو يحتاج الى أن يكون الكاتب قد استوعب الفكرة تمامـا واتضحت في ذهنه جميع خطوطها . وقد توفر لميخائيل هذا الشرط اذ أنه اشبع الفكرة تمحيصا في أيامه الماضية وانتاجه السابق . ولكن مهما قيل بشأن نجاحه في معالجة الفكرة فان مسرحيته تبقى وقفا على الطبقة المثقفة ، بل حتى على فئة معينة من المثقفين الذين يحبون هـذا النوع من التأمل ، وسوف تعزف عنها دون ريب ، الاغلبية الساحقة من الناس . وأظن ان اديبنا لن تهمه هذه النتيجة ، بل انه يعرفها سلفا قبل ان يباشر كتابة مسرحيته . واذا فبامكان المسرحية ان تطرق مثل هذه الموضوعات ، ولكن جمهورها سيكون قليلا مهما وفق الكاتب فـي عرضهـا .

واما السؤال الثاني المتعلق بامكانية الاخراج ، فالحقيقة ان مؤلفنا كان ماهرا حقا اذ تمسك بالاصول الفنية في مسرحيته ومنحها امكانيـة واسعة للاخراج . فالموضوع لديه يتلخص في هذه الفكرة ، (لماذا يبتلي الله اناسا لم يرتكبوا ذنبا في حياتهم ؟) وهي فكرة مستقاة من الاسفار القديمة كما يصرح بذلك في مقدمته للمسرحية . وقد عرضها بواسطة شخصية اساسية هي شخصية أيوب ، وشخصيات اخرى ثانوية او مساعدة وبعضها يمكن ان يصل الى درجة المعارضة مثل الزوجة (زليخة) زوجة أيوب . أما المساعدون على توضيح الفكـرة او تثبيتها فهـم (سرحبيل) الحائك صديق أيوب و (تليدة) ابنته ، والارباب الثلاثة. ولم يحافظ ميخائيل على الاشخاص التاريخيين بل أوجد بعضا منهم ايجادا ، وحور في ادوار البعض الآخر وملامحه .

وقد منح الله أيوب مالا وعزا وبنين وبنات وحياة هنيئة لم يسيء اليها هذا الانسان المرضي بأي تصرف خاطيء . ولكن فجأة تذهـب الاموال ويهلك الابناء بقضاء من الله الذي أراد ان يمتحن عبده . ويبقى أيوب مؤمنا صابرا رغم ما ينال غيره من شك واضطراب . ثم يبتلى ببلية اخرى أدهى من الاولى ، وهي القروح التي تغطي جسـده بحيث يصبح غير قادر على الحراك ، ولا يستطيع أي انسان الاقتراب منه . ولكنه كذلك يبقى صابرا مدافعا عن ايمانه العميق ورباطـة جاشه وثقته بالله . وحينئذ يكشف الله الغمة وينتشله من البـلاء الجسدي والبلاء العائلي والمادي الذي أوقعه فيه .

وقد عرضت هذه الافكار خلال اربعة فصول ، وفي فترة زمنية قصيرة معقولة . فنحن لا نرى أيوب الا وهو في أوج غناه ونعيمه ، ثم تأخذ الاحداث بالتطور السريع . واما المكان فليس واحدا ، اذ نجد الفصل الاول يعرض في بيت أيوب ، والثانـي في بيت الحائـك ،

صدر حديثا :

مفكرون وأدبـــاء

مـن خـلال آثارهـم

تأليف انور الجندي

ابو الفضل ابراهيم . ابراهيم الابياري . احمد الحوفي . احمد حسين . احمد الشرباصي . احمد عطية الله . احمد غلوش . احمد الشلبي . بدوي طبانة . حمدي حافظ . خالد محمد خالد . خير الدين الزركلي . خيري حماد . زكي علي . عبد العزيز بنعبد الله . عامر محمد بحيري . عمر الدسوقي . عبد العزيز الدسوقي . عبد الله كنون . عز الدين الامين . علي ادهم . عمر فروخ . علي الجندي . قدري حافظ طوقان . كامل السوافيري . كامل الكيلاني . محب الدين الخطيب . محمد صبري . مصطفى الشهابي . محمد صبيح . محمد عبد الغني حسن . محمد عطا . محمد علي دبوز . محمد عبد الله العنان . محمد محمد حسين . مصطفى الحفناوي . هلال ناجي . وديع فلسطين . يوسف عز الدين .

منشورات دار الارشاد ـ بيروت



● الواقعية في الادب ـ تأليف عباس خضر ـ ٢١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٥ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والإرشاد العراقية ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد.

● شعراء الواحدة ـ تأليف نعمان ماهر الكنعاني ـ تقديم عبد الوهاب الامين ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٦ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● امارة الشارقة ـ تأليف محمود بهجت سنان ـ ١١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٥ في السلسلة السياسية ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الارتياد والكشف الجغرافي ـ تأليف الدكتور هـ.ج. وود ـ ترجمة الدكتور شاكر خصباك ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حكايات من بلدتنا ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور شاكر خصباك ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الروض ـ مجموعة شعرية ـ الجزء الخامس من العدنانيات ـ محمد العدناني ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ المطبعة العصرية في صيدا وبيروت .

● الدفاع المدني : بحث علمي في الملاجيء والتدابير الهندسية ـ تأليف المهندس محمود شوقي الحمداني ـ تقديم العميد يونس حسين عبد الرحمن مدير الدفاع المدني العام ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة السعدون ببغداد .

● نظرات في الموسيقى والمسرح ـ تأليف محمد عبد العزيز العقربي ـ الكتاب ٣ في سلسلة الكتاب الليبي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● تنمية الكفاءات التربوية او تدريب المعلمين اثناء الخدمة ـ تأليف الدكتور عبد القادر يوسف ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ العرب في اسبانيا : عصر المنصور الاندلسي ـ تأليف الدكتور خالد الصوفي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد (؟)

● مشروع ادريس للاسكان : دراسة وعرض للمشاريع الانمائية في ليبيا ـ تأليف محمد عنان ـ ٢٠٤ صفحة ـ مع لوحات وصور ـ حجم كبير ـ منشورات دار بيروت في بيروت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● القرنان السادس عشر والسابع عشر ـ المجلد ٤ من موسوعة تاريخ الحضارات العامة ـ تأليف رولان موسنييه استاذ في السوربون ـ ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر ـ ٧٧٠صفحة ـ حجم موسوعي مجلد ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت

● تاريخ الرواية الحديثة ـ تأليف ر.م. البيريس ـ ترجمة جورج سالم ـ ٤٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جغرافية العالم الاجتماعية ـ تأليف بيار جورج استاذ في السوربون ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الادارة ـ تأليف برنار غورنيه ـ ترجمة الاب مارون خوري ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● انا والفرات ـ تأليف عبد القادر عياش ـ القسم الاول ـ ٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة السليمية بدير الزور في سورية .

● قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي ـ تأليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٦٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات دار الكشاف للطباعة والتوزيع في بيروت والقاهرة وبغداد ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

والثالث في الصحراء العارية حيث اصيب ايوب بالقروح ، والفصل الاخير نعود فيه الى بيت الحائك سرحبيل . ذلك بالاضافة الى مشهد الحلم الذي رآه سرحبيل والذي يعرض على المسرح خلال الفصل الثاني ، لان له صلة قوية بما حدث لايوب فيما بعد . ولقد تطورت الفكرة وتازمت العقدة الى درجة كبيرة لا سيما حين بلي أيوب بالقروح ، واصيبت ابنته بما يشبه الجنون . ولم تفرج هذه العقدة الا في اللحظات الاخيرة .

وكان رسم الشخصيات دقيقا اعطانا صورة واضحة لهم من الناحية الفكرية التأملية ، وهي الناحية التي تهم الكاتب . ولذا لم يأت الحوار قصيرا وان اتى موفقا . اذ انى للفكرة التأملية ان يعبر عنها بعبارات قصيرة وحوار سريع ؟! .

والواقع ان الاسس الفنية للمسرحية لا تهمنا الا بقدر ما تساعدنا على الاخراج والتأثير . واظن ان ما لمحناه من تركيز في عناصر المسرحية قادر الى حد كبير على جعلها تمثل وبكل سهولة على خشبة المسرح .

أما امكانية تأثيرها في نفوس النظارة ، فقد اشرت الى ذلك سلفا حين قلت بأنها لن تلقى قبولا الا من قبل فئة محدودة . وذلك يعني ان هذه الفئة ستتأثر بها اشد التأثير اذا ما اتيح لها المخرجون والممثلون المهرة . اما الطبقة الشعبية السطحية التفكير فسوف تفهمها فهما جانبيا وجزئيا ان لم يكن خاطئا .

ولا بد من ملاحظة اخيرة وهي ان الذي قرأ كثيرا لميخائيل سوف يلمح صورته المتأملة في كلام اكبر عدد من شخصيات المسرحية . فآراؤه الفلسفية تجلت على لسان أيوب وسرحبيل والارباب الثلاثة وعلى لسان ابنة أيوب تليدة . كل ذلك عرض باسلوب المؤلف المعروف بسهولته وامتناعه . فلا صعوبة في العرض ولا غرابة في التعبير رغم صعوبة الفكرة وعمقها .

وبذلك يكون ميخائيل قد فتح بابا جديدا في هيكل الفن المسرحي العربي ، وأطل منه على عالم التأمل والتصوف والتفكير العميق المجرد ، ولم يتركه مقتصرا على الشؤون الاجتماعية والسياسية والعاطفية . ولقد حاول توفيق الحكيم السير في هذا السبيل قبله ، ولكن مسرحياته كانت مختلفة عن هذه بعض الشيء ، وجاءت في الفترة الاولى من انتاجه المسرحي فاعترف هو بتعذر اخراجها على المسرح وأسماها بالمسرح الذهني . أما هذه المسرحية فانها فكرية فلسفية تأملية قابلة للاخراج والتمثيل والتأثير .

دمشق — لطفية الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



البيـــر اديـــب

ربع قرن من حياة الادب والفكر والثقافة

هذا المقال عن الاستاذ البير اديب صاحب مجلة الاديب كتبه الاستاذ الشيخ طه الولي سكرتير جمعية المكتبات اللبنانية وخريج الازهر الشريف وكلية الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت ، لمناسبة الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على صدور مجلة الاديب .

البير اديب ، الكاتب ، الناثر ، الشاعر ، صاحب المجلة الادبية الاولى في العالم العربي من مرمى الموج على الشاطىء الغربي من المغرب الى ملتقى النهرين في شط العرب من المشرق .

وصاحب الصفحات المشرقة التي طالما ارتاحت العيون لقراءتها شهرا في اثر شهر ، وهي تحمل على متنها وبين دفتيها روائع الموضوعات لاعلام الكتاب بين طرفي دنيا العرب في كل فن من فنون اللغة والعلم والتاريخ وغير ذلك من الوان الثقافة والشعر والتحقيق .

البير اديب هو نفسه موضوع كلمتي هذه ، وهو نفسه عنوان لها ، وهو نفسه كذلك غايتها وخلاصة القول فيها .

فانا قد اخترته ليكون وسيلتي الناصعة ، للتعبير عن ايماني الاكيد بأن الكلم الطيب والعمل الصالح والجهد المخلص ، كل اولئك ، طال الوقت ام قصر ، اثر خالد لمن يصدر عنهم . وخليق بمن تتوفر فيه هذه الاقانيم الثلاثة من اسباب النجاح والفلاح ان يكون بين قومه حيث يتواتر له حمدهم ويتضاعف ثناؤهم وتتقاصر عن النيل منه نزوات الحقد او تطاله عوامل الجحود والعفاء .

لقد اصبح اسم البير اديب بالفعل دولة بين اقلام الكتاب العرب وغيرهم من المعنيين بالاقبال على الادب العربي من كل جنس ومن كل لون طوال ربع قرن من عمر الدهر المديد ، وليس بين هؤلاء واولئك من لم يغمس ريشته بالكتابة اليه او يرسل شباة قلمه بالكتابة عنه ، سواء في مقالة ادبية افرغ فيها فكره او رسالة شخصية ازجى عبر سطورها حبه ، حتى اصبح صاحب مجلة « الاديب » او كاد ، محورا يدور حول قطبه نشاط اهل الادب الذين وجدوا في ذاته ورحاب دوريته منطلقا يصدرون عنه فيما يقدمونه للقارىء الثقيف من عصارة اذهانهم او خلاصة دراساتهم ولا يكاد واحد من الذين عرفتهم محافل العلم وندوات المعرفة في اقطار العروبة ، قاصيها ودانيها ، الا وقد اتخذ من مجلة « الاديب » منبرا مستشرفا يرقى سنامه العالي للادلاء بما عنده من الوان الثقافة وفنونها ، ثم يكون على مثل اليقين بان هذا المنبر العالي ، هو المكان الافضل والاكرم ، للاتصال بسدنة الكلام الجيد والمعنى الجميل والمادة الغزيرة والمنطق الرصين ما بين نثر اللغة العربية وشعرها .

فلقد استطاع البير اديب ان يجعل من مجلته « الاديب » ندوة دورية تنعقد على صفحاتها الانيقة الوية زاهية متشحة بافكار النخبة من رواد الكتابة المحكمة في اللغة العربية مضفورة باكاليل التفوق والامتياز تحت عناوين الموضوعات الشيقة التي تعتبر عن جدارة واستحقاق ، مادة الادب المعاصر في العالم العربي من اقصاه الى اقصاه.

وعلى الرغم من ان الصحافة الادبية في دنيا العرب قد استدرجتها ، من هنا وهناك، اهواء السياسات المتناقضة الى مزالقها الملتوية ، طائعة تارة وراغمة تارة ثانية ، فان مجلة « الاديب » حصنت نفسها بعصم الالتزام العلمي المجرد وبقيت محافظة على سمعتها الفكرية الذي رسمته شخصية صاحبها الغذة ، واستطاعت ان تتجافى عن هذه المزالق بحذر وتؤدة ويقظة ، واستمرت آخذة نفسها بعيدة عن كل ما يبعدها عن رسالتها الادبية لتبقى من دفتها الى دفتها ، خالصة من شوائب النزعات السياسية والشخصية والحزبية من اي لون ومن اي اتجاه . ولقد اتاح لها هذا النهج السليم ان تحيط نفسها بسياج مكين من التقدير والاحترام لدى مختلف الفرقاء ما بين شاخص الى اليسار او جامح الى اليمين حتى تيسر لها ، عن طريق الرفق والاناة الوصول الى غايتها من اشاعة الجهد الادبي الصرف ، واحتماله دون حرج ولا ضيق ، الى كل زاوية من زوايا البلاد العربية ليكون في متناول اكبر عدد من الادباء والمتأدبين من قراء لغة القرآن الكريم .

واذ يتداعى سدنة الكلمة العربية المختارة الى اداء قسطهم من واجب الوفاء نحو الرجل الذي جعل مجلة « الاديب » حرما آمنا لهذه الكلمة في نشرها المتألق الطليق وشعرها المتفتح الموزون ، اذ يتداعى هؤلاء الكرام من اهل الفكر والعلم والثقافة الرفيعة ، فاني اهتبل هذه الفرصة لاجعل قلمي المتواضع في موكبهم واضم نفسي الى رعيلهم لعلني اشاطرهم نشوة الفخر باداء هذا الحق الذي وجب لصاحب « الاديب » في عنق محبيه وقادري فضله من الذين وردوا منهله العذب مطلع كل شهر طوال خمسة وعشرين عاما دون ان يتاخر عنهم يوما او يحجب دونهم عددا ، حتى لكأن « اديبه » على موعد مع دورة الزمن شهرا بشهر ، فهو جزء من هذا الفلك الدوار الذي لا يخطىء الناس في ليل ولا نهار .

ان دعوة الضمير الادبي التي انطلقت لتكريم البير اديب بمناسبة ربع القرن الذي تعاقبت سنوه على ظهور مجلته « الاديب » متواترة متوالية منتظمة ، ان هذه الدعوة قد جاءت وكأنها على ميعاد مع الجاهلية الخلقية التي انشبت نقائصها في تقاليد المجتمع العربي هذه الايام ، وعملت فيه تحطيما وتشويها حتى غيبت منه ذلك الوجه القديم الذي كان يتحلى بوشائج القربى بين اهل الوسط المشترك ، لا سيما حينما يكون هؤلاء حملة مشاعل الثقافة والمعرفة في بلدهم .

لقد ادركنا من بني قومنا طائفة من العلماء تخضرموا بين اواخر القرن الماضي واوائل القرن الذي نحن فيه فوجدناهم على مثل قلب رجل واحد في تبادل الاحترام والمودة والتواصل ، يتعاقرون فيما بينهم اصائل المناقب الحميدة ، وقد تنزهت اقلامهم عن التنابذ بالالقاب وعفت السنتهم عن التصدي للسباب واذا فرقت افكارهم الخاصة وجهة نظرهم في مناكب الموضوعات التي يتناولونها بالدرس والتمحيص والتحقيق ، جمعهم لواء العلم على اعطاء كل ذي حق منهم حقه بالفضل وحرصوا على ان يحصروا خصوماتهم الفكرية في حدود المناظرة المهذبة والمناقشة الهادئة دون ان يستفزهم الاعتداد بالرأي الى بخس بعضهم بعضا في مكانتهم او كرامتهم .

بيد ان هذا الجيل من الناس مالت شمس وجوده الى افق المغيب ، ولم يبق منه الا بقايا معدودة هي اقرب الى التذكارات الآفلة منها الى الوقائع الحالة واصبحنا في خلف كأن الشاعر العربي عناهم حينما قال :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

الى ان كانت بادرة التكريم التي ارتفعت بها عقائر المنادين بشعائر الوفاء لمجلة « الاديب » وصاحبها فاضاءت نفوسنا بشعاع الامل في انه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما يزال في السويداء رجال تجري في صدورهم دماء النخوات القديمة، وتعتلج في اعطافهم شمائل المروءات العريقة ، فقلنا حمدا لله وشكرا، وذكرنا قول النبي العربي الكريم صلوات الله عليه :

« ما يزال الخير في وفي امتي الى يوم القيامة »

وهكذا فانه من خلال الاستاذ البير اديب ومجلته الرائدة شق الامل وميضه المضيء بأن :

« من يصنع الخير لا يعدم جوائز لا يذهب العرف بين الله والناس»

وادركنا بان الليالي التي سهرها هذا العصامي الفريد ، من غير ان تغفل عيناه حماهما الله ، على مجلته ورسالته قد انبلج صبحها المشرق عن دعوة الوفاء له ، والاعتراف بجهوده ، واتخاذه نبراسا يسير بنوره العاملون من اجل العربية وخلودها تحت كل سماء وفوق كل ارض .

لقد عاشت « الاديب » خمسة وعشرين عاما ، وهي تخفق باجنحة المعرفة الناضجة والاخراج الكامل والعقل الموهوب .. متنقلة ابدا فوق القمم ، محتفظة برزانتها ومقامها واثرها ، دون ان تكبو بانطلاقتها الوثابة الازمات العابرة ، وهي ازمات كان بعضها مما ينوء به العصبة اولو القوة من الرجال .

وكانت « الاديب » عبر هذا الزمن المديد ، حافزا مباشرا وغير مباشر لظهور العديد من المجلات الادبية ، لا سيما ببيروت ، وهي مجلات اتخذت من « الاديب » وصاحبها المؤسس ، نموذجا تتاسه لارضاء ذوق القارىء العربي واشباع نهمه الى الثقافة المتنوعة والجذابة والمفيدة .

وفوق هذا وذاك فان « الاديب » قد استحالت في نظر كتابها وقرائها رابطة فكرية تشد بعضهم الى بعض ، بصلة من رحم الادب فاصبحوا بفضلها وكانهم ابناء عائلة واحدة تتوزعهم اقطار العروبة ما بين مشرقها ومغربها ، الا انهم يتلاقون الواحد مع الاخر على متون صفحاتها الغراء ، من خلال ما يتبادلونه من الرسائل الاخوانية ، حتى اذا سنحت الفرص المناسبة وقدموا الى بيروت لشان او لاخر ، دلفوا بذواتهم الى « دار الاديب » في محلة رأس النبع ، لينعموا بعدالرهق، برغد الانس جنبا الى جنب ، متقابلين على ارائك صاحب الدار الذي يجمعهم نظامه الرفيق على لطفه الذي لا مزيد عليه ويتحفهم بادبه الذي لا تشد الرحال الا اليه .

فانعم « بالاديب » مجلة رائدة ، كملت مادتها وجملت ادواتها ، وانعم بالبير اديب استاذا وصديقا وحبيبا ، وانعم بالساعين الى الوفاء للجميل ، اسوة حسنة للذين يحبون ، بتكريمهم « للاديب » صاحبها المؤسس ، ان يقدموا لاهل الحجى من سدنة الفكر وارباب النهى حاملي الاقلام المشرعة في خدمة التراث الثقافي للامة العربية ، ماضيها وحاضرها ، ان يقولوا لهؤلاء تفسيرا عمليا لقول الله عز وجل في محكم ايه الكريم :

« هل جزاء الاحسان الا الاحسان »

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

اما بعد ، فلست في هذه العجالة ، ممن يطمعون بأداء ما للاستاذ « البير اديب » من حقوق متراكمة في ذمم الوفاء ، ولكنها كلمات جاشت معانيها في النفس فاطلقتها من شباة قلبي المتواضع ، لعلي اجد مكانا يجمعني مع النفر الكرام الذين كان لهم فضل السبق الى اداء قسطهم من هذه الحقوق .

على انني اختم هذه الكلمات بالدعاء الى الله عز وجل ان يكلأ الصديق الابر بنعمة الصحة الوافرة وان يبارك له في عمره ، ليبقى ممسكا ببراعه وبيانه وجنانه ، رسالة الادب في مجلته الزاهرة « الاديب » لتبقى في ميدان كفاحها عروة وثقى تشد بين دفتيها القيم الادبية والمناقب العلمية ، الى قاعدة متينة من الانطلاق الذهني الذي يأخذ الامم في دروب الحضارة المزدهرة والخلود الاثيل .

جريدة « الراصد » ببيروت **طه الولي**

•

تكريم « الاديب » واللجنة الفاشلة

للمجلات الادبية العريقة فضل على تقدم الادب وبلورة تياراته . ولمجلة « الاديب » ـ وقد مضى على ظهورها خمس وعشرون سنة ـ فضل عميم وكبير على تنقية التيارات القصصية والشعرية والفلسفية .. من كل الشوائب ، ودعم اسسها ، واظهارها في الوجهة الامامية بالنسبة التيارات العالمية بفضل المستعربين والمستشرقين الذين دبجوا فيها مقالات عميمة الفوائد كشفوا فيها عن كنوز الادب العربي القديم . واقرارا بذاك الفضل ، وعرفانا بجميل يرد الى صاحبها ، قام فريق من ادباء هذا البلد ـ منذ عام ، اي والمجلة على عتبة اليوبيل الفضي ـ بتأسيس لجنة تعمل على تكريم « الاديب » وصاحب « الاديب »، اسوة بالتكريم الذي صار لكل اديب نذر نفسه في خدمة الضاد والتعريف بتراثها الفني بالامجاد في البلدان التي هتفت وتهتف لكل مجد ادبي. وفي بعض الاقطار العربية تجاوب الادباء مع « اجنة تكريم الاديب» فعملوا ، في بحر العام المنصرم ، على تكريم مجلتهم الاولى حسب امكانياتهم . فاستحقوا شكر من يقدس الحرف البناء .

خارج الحدود كان للمجلة ـ المدرسة تكريم . وعندنا ، وبعد دخول « الاديب » عامها السادس والعشرين ، فشلت اللجنة بوعدها ، رغم الاجتماعات التي كانت تعقد ، دوريا ، في منازل اعضائها .. وانطوت صفحة مجيدة من حياتنا الادبية .

غيرنا تفانى في خدمة « الاديب » ، واضاء لها الشموع لتستمر في تأدية الرسالة النيرة . ونحن فشلنا فحصدنا الشماتة ، وسقطنا في هوة النسيان . والتاريخ سينظر الينا بمنظار الاستخفاف ، ويلعن التجمعات التي بحثت خلالها انواع التكريم .

وعلى كل فستظل مجلة « الاديب » .. كما كانت منذ بزوغ فجرها، تحمل مشعل الادب . فمن اجل سؤدد الجملة المبدعة عمل البير اديب صاحبها . وفي سبيل انتشارها في سائر امصار الضاد سهر . وحتى تتركز بين الجمل العالمية رحب بابحاث المستعربين والمستشرقين تنبش كنوز ادبنا الاصيل .. وبكلمة انه نذر نفسه ، وقدم ما ادخر من مال، في سبيل اصالة الادب العربي .

لقد فشلت اللجنة لان تركيبها كان هزيلا . وانتصرت معنويات المجلة بمؤازرة الكتاب العرب المخلصين . فقضيتها ، منذ البدء، ادبية بحتة . ونبراسها لن ينطفىء ما دام شعار منشئها المحافظة على القضية التراث .

مجلة «الجمهور الجديد» ـ بيروت ابراهيم عبده الخوري

الاتباع والابتداع

★

يصفنا الاوربيون باننا شعب نحب الاتبـاع ولا نميل الى الابتـداع وان التفتيش عن حكمة اجيال الماضية هي بالنسبة لنا اهم من العثور على حلول جديدة لمشاكلنا الجديدة. ويقولون اننا لا ننظر الى المستقبل ونواجه مصاعبه ومشاكله بكل ما أوتينا من ذكاء وقدرة متلمسين مصالح المجتمع والافراد الذين يعيشون فيه بـل ننظر الـى المستقبل متوجسين مستريبين بطرف عيوننا فقط متوجهين بكليتنا الى الماضي عسانا واجدين فيه نبراسا يهدينا سواء السبيل . فاذا وجدنا فيه هديا لم يكن ذلك صالحا للمشاكل الجديدة على اي حال واذا لم نجد فيه هديا بقينا نتعثر في سيرنا عازفين عـن مواجهة حقائق الحياة وضرورات التطور المستمر والتغير المتواصل .

هذا ما يقولون وهم يقولون اكثر من هذا ولا شك ان الحـوادث السياسية الاخيرة في العالم العربي قد جعلت الاوروبيين يضعون الامـة العربية على منصة التشريح فلا تكاد تخلو مجلة او جريدة هذه الايام مـن تعليق او تحليل لناحية من نواحي المجتمع العربي .

وانا احب ان اقرأ آراء الاوروبيين عن العرب ذلك لان العين الاوروبية لها طريقة في رؤية الاشياء تختلف كل الاختلاف عن طريقتنا . ولهذا عندما اقرأ ما يكتبون عنا تنفتح امامي آفاق جديدة وارى نفسي وامتي على ضوء جديد وكأنني لم ارهما من قبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجد مشاعري نحو تلك الاراء تسير في مراحل معروفة فالمرحلة الاولى هي مرحلة الغضب ذلك لانه دائما يخيل لي بان الكاتب ينوي التجني والتحامل ويقصد التجريح والاهانة واحيانا اقذف بالمجلة ارضا في سورة من الغضب وامضي في طريقي الى أن اصل الى المرحلة الثانية عندما اعود الى المجلة فأكمل قراءة المقال ثم اعيد قراءته مرة ثانية واسائل نفسي هل نحن حقا كذلك ولو كنت غير عربي هل كنت انظر الى العرب كما ينظر اليهم هذا الكاتب وهل من الممكن ان اكون أنا المتحيز نحو العرب لاني انا منهم « وقومي وان ضنوا علي كرام » . أما المرحلة الثالثة فهي عندما اقرر لنفسي قرارا موضوعيا قدر المستطاع نصيب المقال من الصحة ونصيبه من التحامل او المبالغة او التحيز .

أعتقد اننا كأمة نستفيد غاية الافادة من قراءتنا لآراء الاوروبيين عن العرب ويجب ان نفعل ذلك ولسان حالنا يقول كما قال ابو حيان الفرناطي :

عـداتـي لهـم فضـل علـي ونعمـة ... فـلا اذهـب الرحمـن عنـي الاعاديـا
هـم عـرفونـي زلتـي فاجتنبتهـا ... وهـم نافسونـي فاكتسبت المعاليـا

لندن

فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى »



الدكتور محمد رجب البيومي

محنة قاسية يجرعها أديب مريض

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

هي محنة قاسية دون شك ! كتب على السيد توفيق البكري ان يجرع صابها المرير منذ بدأ اختلاطه الذهني في اوائل سنة ١٩٠٩ الى ان لقي ربه في اغسطس سنة ١٩٣٢ .

ولو قدر على السيد ان يعالج في سراياه بالخرنفش تحت اشراف طبيب نفسي كبير ، يمهد له اسباب الراحة ، ويقابل تصرفاته المريضة بجميل الاناة وحسن الاحتيال ثم يعمل على تهدئته في جو آمن مريح ، لامكن حينئذ الا تجمع عليه آلام الغربة مع آلام المرض ، في مكان بعيد لا يرده احد من اصفياء السيد وعارفيه الا في النادر الشحيح ! ولكن الذين آثروا ارتحاله الى العصفورية بلبنان ، كانوا يرون ابتعاده هناك مما يتفق مع جلال مركزه ، وحسب اسرته كيلا يبدر منه ما تقع عليه أعين عارفيه في مصر ، فينتشر الحديث عنه بما يسيء ، فكان في اغترابه العلاجي بلبنان منجاة من الاراجيف المريضة ! هكذا قدر اصحابه ! ثم ذهبوا به حيث احكموا التقدير ! ومكث السيد في عزلته اليائسة ستة عشر عاما ! ذاق اهوالها المضنية لا اقول يوما فيوما بل دقيقة دقيقة ! ولم يرحه اثناءها الا بعض الذهول الشارد ، مما ينسى معه قسوة المحنة ورهبة النكبة ! وحسبك ان يكون الذهول نعمة مريحة لمن تفاقمت حوله المحن عن شمال ويمين !

على ان المحير العجيب في محنة السيد ، هو امتدادها المزعج على هذا النحو ، فمما كان يبعث على نجاح شفائه ان اختلاطه لم يكن كليا دائما تقف امامه حيلة الطب النفسي عاجزة يائسة ، ولكنه كان جنونا متقطعا ، كالحريق يخبو اياما كثيرة ويشب ساعات قليلة ! وقد يستعصي العلاج على الطبيب الحاذق اذا جهلت اسباب المرض ودواعيه ، ولكن الاسباب في محنة السيد كانت معروفة معلومة ومحاولة تحليلها والقضاء على تأثيرها مما لا يعد في باب المستحيلات ! لا سيما اذا كان المرض غير عضوي كما جزم مشخصوه !!

فالعلة الاصيلة في اختلاط السيد ، هي شعوره المتوهم بالاضطهاد من الخديوي ورجال القصر وتخيله مؤامرات تدبر لاغتياله يشترك فيها من يعلم ومن لا يعلم من اتباع عباس ثم تخوفه المذهل من ان يخسر سمعته ومنصبه حين تخلى عنه قصر الدوبارة ، اذ وفر لديه انه متهم في اخلاقه بعد دسيسة حفني ناصف ! وهي تهمة منكرة تكفي لان تلطخ سيرة ابعد الناس عن التمسك بالدين فما ظنك بشيخ مشايخ الطرق الصوفية وسليل بيت الصديق !! وكأني به وقد اختلط عليه النصيح بالمخادع ، والعدو بالصديق ، فلم يصغ الى مخلص يحاول ان يأخذ بيده في محنته ! ثم اشتد الوهم فاستعصى على العلاج !

وقد كان بلاء السيد حين ارتحل الى لبنان انه لم يجد من اطباء العصفورية من يبذل قصارى جهده في تفهم عقده ، واكتناه دخائله ، وكل ما استطاع هؤلاء ان يقوموا به هو ان يمهدوا له اسباب الراحة في المأكل والمشرب والمسكن ، وان يتركوه يتريض في حديقة المستشفى ! اما الحرص الجاد على استئصال الداء فيؤسفنا ان نعلن انه لم يتم على وجه صحيح ، لان اسباب الشفاء كانت ممكنة لو نهض بها الذين الموا بظروف محنته الماما دقيقا ، فمن الجائز ان يكون أطباء الرجل حين التحق بالعصفورية ــ وهم انجليز لا يعرفون شيئا عن دوره السياسي بمصر الا ما قدم اليهم من قشور لا تتغلغل الى اللباب ــ قد ساروا بالعلاج في غير وجهه الدقيق ، نجيز ذلك لان الظروف الراهنة قد ساعدت كثيرا على تيسير العلاج وتسهيله اذ ان الخديوي قد عزل نهائيا عن مصر كما ذهب كرومر وغورست وكتشنر ، واصبح قصر الدوبارة شيئا اخر غير الذي كان ، ! ومن المؤكد ان السيد البكري كان يقضي شهورا متصلة بالعصفورية هادىء النفس حاضر الذهن ، يقرأ الجرائد ، ويطلب الكتب وينظم الشعر احيانا ، ومن كانت هذه حالته فقد رجى صلاحه ان وجد الطبيب المتوعب المحيط ! وبخاصة اذا ساعدت الايام على استئصال بواعث القلق في مصر بخلع عباس ، وانقضاء التبعية العثمانية ، واستبدال رجال قصر الدوبارة باخرين !! وليس بالسيد آفة عضوية يرجع اليها الاختلال كما قال فاحصوه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد ذكر الشاعر العربي الاستاذ فؤاد الخطيب انه زار السيد بالعصفورية وطارحه الادب والشعر ، واستمع الى ابيات نظمها السيد في منفاه يقول منها :

قد كنت احلم قبل اليوم في سنة فصرت احلم منذ اليوم يقظانا (1)

كما ذكر الاستاذ سليم سركيس في مقالاته التي سنشير اليها عن قريب ، ان السيد كان يقرأ الصحف ويرسل في طلب ما يريد من المجلات والكتب ، ويحدد مكانها وثمنها فلا يخطىء ! ومعنى ذلك ان جنونه الجزئي كان لا يعتاده الا على ابعاد ! فكيف فات اطباء العصفورية ان يستغلوا هدوءه الممتد ، فيستأصلوا عقدته السياسية بعد ان تغير كل شيء وذهب الاعداء المتوهمون .

تلك مسألة يجب ان تكون موضع التأمل ! ونحن نسجلها لا لننتقص اطباء العصفورية كما قد يطرأ على الذهن ولكن لنعلن ان استشفاء السيد بمصر كان اقرب الى النجاح منه في لبنان ، اذ ان انقطاع اطبائه هناك عن الاتصال المتكرر باقاربه واصدقائه قد ساعد على خفاء ظروفه ، وغموض دوافع مرضه ، ولو قدر له ان يعالج بالقاهرة لامكن اطباءه حينئذ ان يعلموا كل شيء عنه ، فعلى مقربة منهم جماعة من اقاربه واصدقائه المخلصين ، يسألون فيجيبون ، ويستوضحون فيشرحون . والطبيب النفسي في حاجة الى الالمام المسهب بأحوال المريض، ففي الكثرة الكاثرة من انبائه المختلفة ما يستشف منها النطاسي البصير بوارق ترشده وتهديه ؟ وهناك تكون فرصة الشفاء اقرب منالا منها في معتزل نازح لا تصل اليه الانباء الا على ابعاد !

هذا ما يوحي به التفكير الواضح عند تأمل المأساة ! وان كان من غير المستبعد ان يكون اطباء العصفورية بذلوا كل جهد خارق دون جدوى، وهم بعد قد رأوا من تطورات دائه ما نجهله الان ونحار فيه ؟ الا ان ذلك لا يمنع القول بأن علاج القاهرة كان اقرب الى النجاح من علاج لبنان .. ولعله قد آن لنا ان نلقي بعض الضوء على حياة السيد في مغتربه البعيد .

من طبيعة الناس ان يفيئوا الى الصمت الحزين حين يعلموا ان انسانا ما قد نزل مستشفى الامراض العقلية ، فهم يتألمون له على البعد متحاشين ان يكثروا من الخوض في حديثه ، وقد يكون المرض خفيفا متوقع الزوال ، الا ان فزع الناس من الجنون يبكم السنتهم ان تسأل وتستوضح ، وكأن الجنون موت تنعدم فيه الحيلة فلا مجال للسؤال والاستفسار ! وهذا ما كان من امر المعارف والاصدقاء ـ دون الاقرباء طبعا فلهم حديث قريب ـ في مأساة السيد محمد توفيق البكري اذ لم يسافر الى لبنان حتى انقطع عنه حديث الناس في الاندية والصحف ، واذا تردد همس خاف حول مصابه دار في اقتضاب موجز مسترحم يختم بالدعاء والرجاء .. وقد طالت مدة الاستشفاء واستطالت دون ان يكلف الاصدقاء والاتباع انفسهم سؤالا قريبا يتوجهون به لدائرة الاختصاص عن حالة السيد ، وما ذاك لعقوق جاف ، او نسيان غادر ، وانما لتأكدهم بنتيجة السؤال ، اذ ان المريض لا يزال في مصحة الاستشفاء بين ايدي المهرة من الاطباء ، ولو تحسنت صحته وعاد الى طبيعته لرجع لتوه من معتزله ولكان رجوعه جوابا حاسما يقضي على كل استفهام ، اما وقد بقي في مستشفاه فلا مجال للسؤال ...

نقول ذلك ضاربين المثل بالاديبة الشهيرة والكاتبة اللامعة الانسة مي، فقد ابتليت بمثل محنة السيد واودعت مودعه من العصفورية ، وكان اصدقاؤها من صفوة اعلام الادب والسياسة والعلم والصحافة وقد مكثت بالمصحة عامين كاملين دون ان يجرأ احد من هؤلاء الافذاذ على السؤال عنها في مدى اربعة وعشرين شهرا ذات اسابيع وايام ، حتى اعتقدت فيهم العقوق والجفاء وجاهرت بذلك في حديث صحفي بالمصور ، ولكن الواقع المحرج ان المأساة تمنع السؤال والتردد ، فما مكثت الانسة الجهيرة بالعصفورية الا لانها في اعتقاد خلصائها المخلصين ترزح تحت كابوس الالم ! واذا كان الامر كذلك ففيم ابتذال الاحاديث بالاراجيف عن المع اديبة عربية سطعت بمصر في الثلث الاول من القرن العشرين ! وقد يكون مرض الانسة تدبيرا لئيما بولغ في تقديره ! ولكن من مبلغ اصدقاءها بذلك ، وهم يعلمون انها ممنوعة في المصحة بارادة الطب الفاحص الدقيق ، وتحت اسماع المهرة من النطاسيين وابصارهم ! مما ينقشع معه ضباب التهم والظنون !!

وقد يقول قائل ان الامر في مأساة السيد غيره في مأساة الانسة ، فقد طالت عليه دياجير المحنة واشتد هولها قرابة ستة عشر عاما تجرع غصصها في جحيم الاغتراب ، ولكن النظر المحايد يوحي بأن طول المدة لا يغير شيئا من واقع المأساة ، ! فالاصدقاء والاشياع يعرفون ان العلاج قد استعصى ، على الزمن الطويل اذ ان اطباء المصحة لم يسمحوا له بمغادرتها واذ ذاك فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ! وامتنع الاحراج بالسؤال !

على ان الظروف السياسية والادبية بمصر قد ساعدت على نسيان السيد في محبسه من الجمهرة العامة لا من اصدقائه وعارفيه ـ وهم وحدهم من ندفع عنهم مظنة التقصير ـ اذ ان الحرب العالمية الاولى قد شغلت الناس عن انفسهم ، ودفعت الصحافة الى الانهماك في تتبع وقائعها ساعة بساعة ، وكان الاحتلال الاجنبي قد فرض الحماية على البلاد ، فجلب عليها كارثة اخرى فوق كارثة الحرب ، حتى اذا انتهى شرها الناجع قامت الثورة المصرية بزعامة سعد زغلول ، وشغلت الصحف المصرية بأنبائها عن كل شيء وظهرت على المسرح السياسي وجوه جديدة ، كادت تطمس او طمست بالفعل ـ كثيرا من وجوه المسرح القديم ومنهم السيد توفيق ! واخذت وقائع السياسة واحداثها تفد بما لم يبق متسعا لتذكر كرومر وعباس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعبد الحميد فضلا عمن كانوا يلونهم في الصفوف اللاحقة من المشاهير !

هذا في عالم السياسة ، اما في عالم الفكر ، فقد تطورت نظرات النقد الادبي في هذه الفترة تطورا جعل سمات المدرسة القديمة من الجزالة والاغراب والسجع تصبح موضع المؤاخذة والهجوم ، وظهر من النقاد من وضعوا موازين جديدة للكتابة الادبية اصبحت معها الاساليب القديمة غير ذات موضوع ! فلم يعد لاسلوب السيد البكري ومن حذا حذوه من الادباء ذادة وحماة، بل اتجهت الانظار الى اسلوب سمح مسترسل كان من الاسلوب الاول بمنزلة النقيض من النقيض ، وقد ساعد ذلك على هجر آثار السيد البكري ونسيان ادبه الا لدى القلة من تلاميذ القرن الماضي وعشاق ادبه ، فلم يعد احد يتحدث عنه كأديب مرموق ! وهكذا اصبح الرجل في مغتربه النازح بعيدا عن ان يصطرع حوله الجدل في امور السياسة والادب ! فضاعف ذلك من تناسيه ، وهكذا الدنيا !

اما اقرباؤه الادنون ! فموقفهم في هذه المحنة لايخلو من تثريب ، وقد انهال الكتاب لوما وتعنيفا ومؤاخذة للسيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية وابن اخيه ان ترك عمه في منآه دون قيام سريع بمطالبه المالية ، وضجت الصحف اليومية والاسبوعية بالتشهير والتجريح لشيخ المشايخ عقب مقالات كتبها الاستاذ سليم سركيس سنة ١٩٢٣ عن السيد محمد توفيق حين زار العصفورية . واستمع الى شكوى القائمين عليها من كثرة ديون تراكمت على عميد البكريين دون ان تسدد ، وقد هالت هذه الحقيقة المفزعة الرأي العام في البلاد، فخرجت صحيفة المحروسة ٩ ــ ١١ ــ ١٩٢٣ تطالب باكتتاب عام للنفقة على السيد في مستشفاه ، وتوجهت جريدة الصاعقة الى مطالبة الملك فؤاد بالتبرع للرجل المريض حفظا على كرامته ! وقد اضطر السيد عبد الحميد البكري ان يكذب ما قيل عن تقصيره في واجب عمه ، ولكن مراجعة الوثائق المالية ، ومتابعة اقوال رجال المصحة ببيروت قد ادانته ادانة كانت غير منتظرة من شيخ مثله وسنحاول ان نوجز الحديث عن هذه المأساة متألمين !

حين سافر السيد محمد توفيق البكري الى العصفورية اقيم مقامه في مشيخة المشايخ الكبرى ابن اخيه السيد عبد الحميد البكري ، وهو ما لم يكن ليتاح له لو بقي السيد توفيق سليما معافى في بدنه وعقله ، ومهما أسف الشيخ على مصاب عمه فان فرحته بالمنصب الجديد لم تكن لتبقى هذا الاسف على مرارته ولذعه ! اذ لو بقيت مرارته اللاذعة ما اضطرت المستشفى الى الشكوى الصارخة من تأخر نفقات السيد ، والمريض بعد ذو مال وعقار واوقاف ، فأين واجب القرابة والدم ان لم يكن واجب الانسانية والاخلاق والدين عند شيخ مشايخ الطرق !

لقد كان دفاع السيد عبد الحميد البكري عن نفسه مركزا في محاولة تكذيب الاستاذ سليم سركيس واتهامه بالاختلاق ، ولكن الامر بعد مواجهة الراي العام بمقال السيد سليم سركيس وهياجه المفيظ لحقائقه الاليمة لم يعد منحصرا بين سركيس وعبد الحميد، بل تطلب الرجوع الى الجهة المسؤولة راسا ... ومن الذي يرجع ؟ ان الذين تأثروا بالمحنة قد اكتفوا بالضجيج على صفحات الجرائد والمجلات المصرية مشهرين بشيخ المشايخ، وقد التزم الشيخ جانب التكذيب ، وابدى صورة زنكغرافية لايصال بعث به الى المستشفى بمبلغ مائتين وخمسين من الجنيهات ! وكأنه الحجة الدامغة على ان الشيخ قد سدد كل ما تتطلبه اقامة دائمة في اكثر من عشر سنوات ! وامام هذا الايصال العجيب قد اضطر الاستاذ سليم سركيس ان ينشر بالاهرام حديثا صحفيا مع مسؤول كبير في مستشفى العصفورية وتحققت الاهرام من مصدره فعلمت انه صحيح لا زيف به فنشرته بعد تلكؤ مقصود اذ ان السيد عبد الحميد قد بذل وساطته المستميتة لدى الاستاذ داود بركات ، ولكن جريدة الصاعقة وجرائد اخرى قد توسعت في التعليق ، واشارت الى امتناع الاهرام عن النشر فأجبرتها على ذلك بعد انتظار بغيض ، ثم اعاد الاستاذ سركيس نشر حديثه بعدد خاص من مجلته (سركيس ديسمبر سنة ١٩٢٣) وقفه جميعه على ايضاح المأساة، وبمراجعة حديث المسؤول الكبير في العصفورية يتضح لنا ما يلي :

١ ــ ان سليم سركيس لم يكذب في شيء بل قصد خدمة السيد توفيق نفسه ليتمتع بالراحة والرفاهية وقد رآه السيد المسؤول يبكي من فرط تأثره حين شاهد السيد رث الهيئة ممزق الثياب .

٢ ــ ان تكذيب السيد عبد الحميد جراة لم يسمع بها المسؤول الكبير في حياته فان دين المستشفى يزيد عن الالف من الجنيهات ، ولديه الدفاتر واصول المكاتبات الخاصة بطلب الديون المتكرر .

٣ ــ السند الذي قدمه السيد عبد الحميد بمبلغ ٢٥٠ جنيها صحيح ولكنه عن مدة قديمة ، لذلك لم يذكر تاريخه، ولم تحصل المستشفى على هذا المبلغ الا لاضطرار السيد عبد الحميد للحصول على شهادة طبية بحالة عمه ليقدمها الى المجلس الحسبي كي يتصرف في اموال المريض .

٤ ــ جرت اتصالات بالمندوب السامي بمصر لتحصيل المبلغ كما رفعت شكوى الى القضاء ووكل فيها محام معروف !

٥ ــ ان الملابس الرثة التي يرتديها السيد توفيق قد اضطرت اليها المستشفى لان اقارب السيد بمصر لايرسلون اليه مالا او ملبوسا ، والمستشفى تقدم له الطعام بعناية نظرا لحالته الصحية ولكنها لا تهتم بالملبس الرث وتكتفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالصاقة بالدبابيس .

٦ ــ ان جنون السيد لا يسمى جنونا بالمعنى المعروف فهو مفكر أديب ، حافظ لكثير من قواه ومواهبه يتحدث حديث العقلاء ، وله آراء خاصة في الشؤون السياسية، يكثر من المطالعة ، ويدفع من حين لاخر قائمة كتب يطلبها من بيروت مبينا مكانها ومطبعتها فتكون بياناته صحيحة.

٧ ــ اضطرت المستشفى ان تمنع كثيرا من مطالبه وان تخفض نفقاته ما امكن بحيث لا يعطى الا ما هو ضروري للحياة عندما رأت شح آل البكري وصعوبة الحصول على نفقات معقولة منهم .

٨ ــ السيد ذمث الاخلاق محبوب لطيف الحديث لذلك يحتل كرامة خاصة بين زملائه وحديثه دائما مع الاطباء بالفرنسية ، وهو يطالع جريدة لسان الحال البيروتية ، وقد قرأ اخيرا مقالا عن ادبه كان مبعث سروره كما انه يتجول دون رقيب او محافظ ولو اراد ترك المستشفى لاستطاع دون ان يشعر به احد .

هذه اهم النقاط المؤسية في حديث المسؤول الكبير بالمصحة ، ولن تتم الصورة الحقيقية للسيد في منفاه ــ هكذا تحولت المصحة الى منفى ــ الا بتسطير فقرات من المقال الذي نشره الاستاذ سليم عن السيد توفيق بجريدة الاهرام سنة ١٩٢٣ فكان اول صاعقة قرعت الاسماع عن الرجل بعد صمت طويل ثم اعاد نشره بمجلة سركيس اكتوبر سنة ١٩٢٣ تحت عنوان صوت من قبر الاحياء ــ قل لابن اخي قال الاستاذ سليم ــ اجزل الله ثوابه .

« رأيته فأعجبت ! شباب ناهض ، زي حسن ، جبة طالما لمست الجماهير اطرافها تبركا ، عمة طالما انحنت لها الرؤوس احتراما وتكريما ...

سمعته فطربت ! ينشد شعرا ناظر فيه فحول الشعراء ، ويرسل نثرا في صهاريج اللؤلؤ فكأنه انفاس العشاق .

وزرته ففاخرت ، في سراي الخرنفش ، عاصمة في عاصمة ، قصر يفاخر بتاريخه وزخرفته افخم القصور !

ورافقته في عربته ، كل خطوة ترتفع الايدي لتحيته وتحنى الرؤوس .

كذلك كان سماحة السيد محمد توفيق البكري الزعيم الديني الشاعر المجيد الناثر البليغ جليس الملوك والامراء ، وكان كذلك في سراي الخرنفش في مدينة مصر

ثم انقضى احد عشر عاما ورأيته في اكتوبر سنة ١٩٢٣ فأجفلت ، وذعرت ، خفت ، بكيت !! نعم بكيت بكاء مرا ، فاستغرب رفاقي ان ابكي ، ولكنهم لم يشعروا بما شعرت به لانهم لم يعلموا ما علمت ، لم يروا الرجل في سراي الخرنفش بل رأوه في العصفورية !

اما انا فقد رأيته في حالي نعيمه وبؤسه فبكيت اذ رأيت القبر المتحرك جسم السيد البكري وقد نزعت منه تلك الروح الزكية ومن الذي لا تبكيه القبور .

اقبل الحاجب يأمر شبحا ان يتبعه فيصدع بأمره ، وقال رفاقي : جاء صاحبك البكري اقبل يمشي على مهل، تلك عادته ، اقبل رافعا رأسه محدقا ببصره ، تلك عادته ثم لما صار على مسافة خطوات مني ، رآني وكأنه تبينني فعرفني ، فأخذ يمشي على مهل ، ونكس رأسه حتى اقترب مني ففض بصره ، واغمض عينيه ووقف امامنا خاشعا .

فجرى لنا الحديث الاتي :

ــ اهلا بمولانا السيد ، كيف حال سماحتكم ؟

ــ بخير والحمد لله

ــ انا قادم من مصر لازوركم

ــ شكر الله فضلك

ــ اتذكرني يا مولانا ؟

ــ نعم أذكرك وأذكر أيام المؤيد

ــ هل انت مرتاح هنا ؟

ــ لا بأس !

ــ هل يسمحون لكم بالمطالعة ؟

ــ ليس لنا وقت !

ــ اتنظمون شيئا من قبيل (اول خيط الكفن ...)

ــ فضحك وقال : لا

ــ هل تذكرون كتاب (صهاريج اللؤلؤ) ؟

ــ كيف لا ؟

ــ أتأمر بشيء اخدمكم به ؟

ــ شكر الله فضلك

ــ أترغبون ان ارسل لكم بعض الكتب ؟

ــ ليس لدينا وقت

ــ وبماذا اقدر ان اخدمكم بمصر ؟

ــ لا حاجة فقط ارجو ان تقول لابن اخي عبد الحميد ان يأتي او يرسل من يأخذني من هذا المكان فلم تبق حاجة لبقائي .

كل هذا ، ولم يفتح عينه ولم يرفع رأسه ، ولا نظر الي او الى رفاقي ثم قال استأذن الان !

وانصرف فمشى مطرقا بعض خطوات ثم انتصب ورفع رأسه ومضى يضرب الارض بعصا في يده اليمنى ، واما يده اليسرى فكانت قابضة بعنف وشدة على قطع مكسورة من مرآة ، سألته ما الفرض من المرآة في يدك فقال انها نافعة لي ، واخبرني الحاجب ان المرآة ملازمة له لا يتركها لانها في زعمه تطرد الابالسة .

ثم قال الاستاذ سركيس : رأيته وكيف رأيت ، حذاؤه ضخم ، اقبل وعليه جبة رثة صفراء اكل الدهر عليها وشرب ، يليها شبه قفطان او قميص نوم عادية ،

---

(١) مشاهير شعراء العصر جمع احمد عبيد بدمشق ــ ترجمة السيد البكري . (٢) الساعات الاخيرة ص ٨٢ (٣) المنار : مجلد ٣٢ ص ٧١٧ اكتوبر سنة ١٩٣٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى رأسه طاقية لا تقي من الحر والبرد شاب شعر رأسه وطال شعر ذقنه .

الجنوب غضب من الله تعالى ولكن ! اين تلك القفاطين والجبب ؟ واين هاتيك القيافة؟ واين تلك النظافة؟ يجب ان افتتح اكتتابا فأجمع من الشارد والوارد ثمن ثياب نظيفة للسيد محمد توفيق البكري !! اهـ

ليس المقال بحاجة الى تعليق ، فقد اعقب ضجة كان من الواجب ان تحدث ، وقد اسهم الكاتب الفكاهي اللاذع الاستاذ حسين شفيق المصري في الضجة على صفحات جريدة السيف فاضاف الى النار نفطا يزيد الاشتعال ، كما قامت مجلتا الصاعقة والمحروسة بثورة هزت شيخ المشايخ وازعجته وما بنا ان نطيل في حديث عرف فحواه، وان تسطيره لما يوقد الشجن في الضلوع ! ومهما حاول السيد عبد الحميد البكري تبرير موقفه من عمه ، فيكفي ان نعلم انه لم يزره مرة واحدة مدى ستة عشر عاما قضاها في منفاه ! وانه منع عنه ماله وخيره ، وتركه حديث الصحف والافواه ! ومظنة التبرع والاكتتاب !

مهما يكن من شيء فقد آنت ضجة سركيس أكلها ، فاضطر شيخ المشايخ بعد خمسة اعوام ان يفسح بمصر مكانا لعمه الكبير ، فعاد الرجل الى موطنه سنة ١٩٢٨ ضعيف القوى ، متهالك البناء حزين الشحوب ! الا في فترات يفيء فيها اليه صوابه فيتحدث عن غابر سعده وماضي مجده ، وكان يترحم على الراحلين جميعا من خصومه ، حتى اذا جاء ذكر محمد عبده قال عنه فيما روى الاستاذ طاهر الطناحي (٢) .

« احب ان يذكر عني كل من يعرض للكتابة في هذه الحادثة اني اخطأت ، واني آسف لهذا الخطأ » يقول السيد محمد رشيد رضا عن ايامه الاخيرة في تأبينه بالمنار (٣)

وعاد منذ بضع سنين للقاهرة فانقطع في مكتبه للمطالعة والكتابة زاهدا في المزاورة والمحاضرة والمناظرة على انه وهو لم يبل من مرضه كل الابلال ظل حاضر الذهن قوي الذاكرة صائب الراي صحيح الحكم فيما يخوض من مسائل الادب والعلم وانما كان يعثر فكره ويأفن رأيه في امر واحد سياسي هو الذي كان سببا في مرضه ذاك ، فقاتل الله السياسة وفتنتها ، فهي التي اضاعت عليه وعلى الامة الانتفاع باستعداده النادر في مركزه الرفيع ».

واذن فالرجل كما يقول الشيخ رشيد والاستاذ الطناحي كان هادئا طبيعيا في اكثر اوقاته بعد مجيئه ! وكان على من بقي من لداته ان يحتفلوا بعودته ، فيكتبوا عنه ، ويدرسوا ادبه ليعيدوا اليه جانبا من السرور كان يعوزه دون نزاع ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ! بل ان الذي حدث هو ان مجلة المقتطف نشرت في سنة ١٩٢٨ مجلد ٧٢ ص ٧٦ مقالا يتضمن ذكريات تاريخية تحت عنوان « الراحلون » بقلم يوسف حمدي يكن وقد بدأه — يا للعجب — بالسيد محمد توفيق البكري قائلا « وهو الان في حكم الراحلين ! فيا لها قسوة جائرة ! غفل عنها صاحب المقال او تعمدها غير موفق ثم قبلها صاحب المقتطف فنشر المقال بعنوانه الاليم ! والذوق شيء ليس في الكتب كما قيل ، ولئن كان السيد البكري قد واصل المطالعة — كما قال السيد رشيد — فكيف يكون شعوره وهو يقرأ حيا منعاه ، ويرى المثال الصارخ لمجافاة الذوق والاحسان !

ولعل القدر كان أرأف به حين اختاره الله الى جواره في ١٣ اغسطس سنة ١٩٣٢ ، وهو العام الادبي الحزين الذي بدأ بحافظ وثنى بالبكري وثلث بشوقي ! وقد دفن الرجل في غير ضجة ، فلم يتبعه الى مقره الاخير غير افراد ، وهو موقف أسف له صاحب المنار في مقاله السالف فتساءل عن الوفاء ، ولعل من العزاء للسيد البكري ان يترك ضيق الحياة الى سعة عفو الله ! وان يدع دنيا تقلبت على عينه حتى رأى صدقها كذبا — كما قال ابو الطيب — الى رقدة هادئة يستريح الجسم فيها كما قال ابو العلاء !!

يرحمه الله !

الفيوم — دار المعلمات — محمد رجب البيومي

لبنان

لبنان هذا الجبل الوضاح
هذا الجبين الابيض اللماح
حدوده الغيوم والرياح

هنا هنا الاضواء والالوان
هنا هنا الكروم والدنان
والياسمين الحلو والمرجان

حقوله ما نثر الفلاح
رياضه ما نظم الصداح
جنانه ما تشتهي الارواح

هنا هنا العيون والغدران
والزنبق الريان والرمان
جنان خلد هكذا الجنان

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نظير زيتـون

تحية لروح نظير زيتون

★ ★ ★

عرفتك في الدنيـا نظير بـن زيتون ... أديبـا سما في الخلق والفن والدين
لعينيـك آمـاد كـأن دروبهـا ... مضـت نحو الحـان تناغت بمجزون
فيـا هاتفا خلف الوجود أطف بـه ... على نهـر تخليـد حـلا بالرياحـين
كمـا طاف فرجيل بدانتي ، فانـه ... لدى العرب ذو فن يمـوج بمفتون
أبا النثر في سجع كوشي عرائـس ... تفديـك اقـلام تناهت بتفنـين
سكبت على شعري بملحمـة الملا ... ثناء يكافيني بجهـدي ومكنونـي (١)
بنثر كـأن الـدر احـرف لفظـه ... أمـن أنجـم ألهمـت أم من بساتين

أيا راهـب الفكر المجلـي بيانـه ... أعشت بـلا ولـد وزوج كمغبـون
تركـت كتابـات كنسل مسلسـل ... به الولد خفـاق وزوج من العـين
أرى حمص قد ضمتك في قلب تربها ... ولكن دمشق قد حوتـك بتحنـين
سآتي الى الميماس أنشـق زهـره ... بفنك في الاهل الكـرام اليامـين
وأقرأ أيـات علـى الجدث الـذي ... يضمك في عـود الـى المـاء والطين
أتينا الى الدنيا لنحيـا بسرهـا ... ونضحك في حزن كضحكة مجنـون

عليك سـلام ان مـا هبـت الصبـا ... بحمص ومـا يحيا بهـا آل زيتون

دمشق — زكي المحاسني

(١) « الاديب » عدد مارس ١٩٦٥

تفضل سيجارة .. لا تدخن .. أوه ، خيرا فعلت ، لكني أود أن تشاركني في التدخين . سيجارة واحدة فقط ، لن تؤثر ولن تضر .. خذ .. يبدو عليك الملل، ويبدو انك قليل الترحال .. اما انا فحياتي أقضيها هكذا . لا شك انك تود ان تعرفني ، أنا ناظر محطة بنها ، وسابقا ناظر محطة الزقازيق التي قضيت فيها عشر سنوات

في البداية ، تضايقت من طبيعة العمل ، لكني بدأت حينذاك ازن الامور بميزان دقيق . حاولت ان استقر ، فتزوجت امراة من بلدة لم تسمع عنها او ربما سمعت .. لا يهم .. من « ميت يزيد » .. بلدة صغيرة في خط الزقازيق ، تليها محطة مينا القمح . أوه لا تؤاخذني ، فهذا حديث خاص بالمهنة لا يطرب له كثير من الناس . لنتكلم في «الكورة» أنا اهلاوي متعصب .. ولا تفوتني مباراة الا وشاهدتها او سمعتها في « الراديو » . بيني وبينك ، قد يتحكم في نتيجة المباراة شيء خفي اسمه الحظ ، تأتي من أهون سبب .. لعبة سهلة وغير مقصودة قد تحرز هدفا ، ولعبة قوية سليمة قد تخطيء طريقها .. شيء اسمه الحظ .. أنا أدرى به ، فهو الذي حول دفة حياتي ..

كنت أتمنى ان ادخل الجامعة . حصلت على التوجيهية . وفجأة مرض ابي ، وازدادت وطأة المرض عليه ، فاضطررت ان أؤجل سفري الى مصر .. وبالمناسبة ، انا من الزقازيق . المهم ، قررت أن أعمل ، فأبي أقعده المرض ولا فائدة ترجى من علاج المستشفيات الميرى . توسط لي خالي فعينت صراف تذاكر في محطة « ميت يزيد » . استمالتني فتاة ريفية من هناك . لا تؤاخذني ، يبدو اني سأحدثك عن نفسي . لا بد أن أتكلم ، فالسفر شاق بطبعه ، والكلام يهون علينا متاعبه .

قبل ذلك ، كنت أتكلم عن دور الحظ في مباريات الكرة . آخر مباراة شاهدتها أثارت دهشتي وعجبي .. كان هجوم الاهلي شديدا على مرمى الترسانة ، لكنها مسألة حظ . خسرنا نقطة .. لكن لا بد أن نأخذ الدوري . النتيجة ليست مهمة ، الاهلي في نظري هو الفريق الاكفأ ، وهو الجدير ببطولة الدوري. ماذا تقول ؟ .. انا اهلاوي متعصب .. أنا فعلا كما قلت ..

اف .. منظر الصحراء كئيب . ماذا يفعل انسان يجد نفسه وحيدا في مثل هذه الصحراء الصماء ؟ . انظر .. صحراء موحشة قاتلة . واجهت مرارة العيش في مثل هذه الصحراء ، لاول مرة ، عندما عينت بدلا من معاون محطة . كنت قد

ثورة رجل مسافر

بقلم حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حصلت على ترقية .. لا داعي للتفاصيل .. كان ذلك في الليل ، والصمت هو لغة الطبيعة ، بينما داخلي يغلي ويتميز غيظا . لم انم ليلتها ابدا . اغمضت عيني كمحاولة لانتشال نفسي من تلك الوحشة الكئيبة ، لكن حتى المحاولة لم تنجح، فازداد خوفي . بحثت في حقيبتي الصغيرة عن كتاب أتسلى به ، وجدت كتابا قديما غلافه منزوع .. لا اعرف اسمه او اسم مؤلفه . قرأت ، فاستشعرت الملل . كان كتابا فلسفيا لسوء الحظ . ضحكت من أعماقي عندما قرأت فيه أن يجب على الانسان



أن يثبت وجوده ، أيا كانت الظروف التي يتواجد فيها . ضحكت في سخرية ومرارة . أنى هو وجودي في هذا اللاوجود ؟! .. لا أحد هنا .. فكيف يتأتى لي أن أثبت وجودي مثلا ، وانا أكلمك ، نستطيع ان نؤمن بمثل هذا الكلام ، اي عندما نكون متعايشين مع الاخرين . أنا لا أفهم كثيرا في الفلسفة لكني افهم في الكرة

يبدو عليك انك من مصر . زملكاوي انت أم اهلاوي ؟! . تقول ماذا ؟ .. لا .. لا تفهم في الكرة .. اوه .. اصبت .. لا تدخن ولا تفهم في الكرة ، شيء جميل . لقد نجوت مما يقيد الانسان . فالتدخين قيد لا انفكاك منه ، يدخن الرجل وفي كل سيجارة يشعلها يحس بالندم كأنه اقترف جريمة . كذلك الكرة .. احيانا العن تعصبي للكرة . وزوجتي تلعن تعصبي هذا . وهذا هو السبب في تشجيعي المتزايد للكرة ! .. مسألة عناد .. اعرف ذلك ..

لا تؤاخذني على كثرة الكلام ، فالسفر شاق بطبعه ، ولا بد من ان نتكلم . ذات مرة طلبت مني زوجتي أن أذهب معها لزيارة امها . كان موعد المباراة قد أزف . رفضت طبعا . لكنها صممت على رأيها .. وازاء رفضي ، اضطرت للذهاب بمفردها. اصطحبت معها «دقدق» . كان ولدا شقيا .. الله يرحمه .. أصله مات .. مات ازاي ؟!. مات في نفس اليوم .. انتهت المباراة، فاذا بي أفجأ برسول يخبرني باصابة دقدق في حادثة . الله يرحمه .. انه ابني الوحيد . وفي نفس اليوم المنحوس مات والدي .. صدق من قال ان المصائب لا تأتي فرادى .

وظلت زوجتي تؤلمني بكلمات قاسية جافة ، وتدعي ان اهمالي هو السبب .. فلو كنت ذهبت معها ، ما ألم بنا مكروه . مسكينة زوجتي ، فهي لا تدرك انها مسألة أعمار ، وقضاء وقدر .. مثل الكرة ، مسألة الحظ .. بالمناسبة ، أهملت الكرة بعد ذلك

فترة من الزمن . عبثت في غرفة والدي بعدموته ، فعثرت على مجلات وكتب سياسية قديمة . كان والدي مهتما بالسياسة ، ويقرا اخبارها بوعي وبصيرة . كان والدي يفهم في السياسة جيدا ، مثل فهمي للكرة . اهتممت بمتابعة السياسة وتقلباتها، فوجدت السياسة على ما يرام . رجعت ثانية لمشاهدة مباريات الكرة ومتابعة اخبارها فانا لا أفهم غيرها.

كم الساعة الان ؟ . أوه ، الوقت يمر بطيئا . لم أقل لك عن وجهتي ، انا ذاهب الى « ميت يزيد » لارى زوجتي . اصلها يا سيدي غضبانة . مر اسبوع لم أرها فيه . لا بد ان اصالحها . خدعت نفسي وحاولت ان اقنعها بالحياة دونها ، لكنني عجزت .. اخذت اجازة من عملي كي اذهب اليها واصالحها . امرأة غلبانة ، حساسة جدا .. تنفعل لاتفه الامور ، وانا دائماأغلط . تقول ماذا؟ تسأل عن .. عن السبب ؟. سبب تافه لن تصدقه ، فهي دائما تنصحني بأن اتعقل قليلا ، واتحرز في معاملاتي . لكن هذا كما ترى لا يتفق مع طبيعتي ..

تفضل سيجارة ، خذ لاجل خاطري .. لن تؤثر .. مسكينة زوجتي ، الا تعلم أني أصبحت ناظر محطة بتصرفاتي هذه ؟ . أوه .. انها ريفية ساذجة ، لا تفهم كثيرا .. ولو انها تصعب علي أحيانا ، واحس انها على صواب . شيء غريب في نفسي يناصبني العداء ، أحيانا أقضي عليه واخرى اطيعه . فكرت في تطليقها. لا تدهش .. فعلا .. الطلاق شيء خطير ولا يجدر بنا ان نتورط فيه . لكنه مجرد تفكير ، تراجعت عنه عندما احسست ان الناس تقدر زوجتي . ولم يقتصر الامر على التقدير ، وانما تعداه الى ادعاء انها بانية مستقبلي . عجبت من الناس ، انهم يهتمون بالشكل ، بالمظهر الخارجي ، بالصورة .. الاعجب من ذلك ان زوجتي تنكر هذا الكلام ، وتصدع دماغي بتوافه عن الحقيقة والصراحة والضمير !. وما يلبث البيت ان يتحول الى جحيم لا يطاق، فأترك لها البيت وأخرج . انها امرأة ريفية لا تفهم الحياة جيدا !.

أشعر بالملل والرتابة ، الزمن يمضي في تثاقل مضجر . هذه السفرية بالذات متعبة لي . لن استريح الا عند وصولي « ميت يزيد » . ربنا يهون .. نسيت أن أسألك عن وجهتك .. ماذا ؟ .. ميت يزيد !. أنت ايضا !. أوه .. لا تؤاخذني .. قد اندهشت حقا ، فلم يدر في خلدي انك ستستمر معي ولن تتركني . شيء جميل ان تنزل معي في نفس المحطة ، فنادرا ما يتفق الناس . على العموم ، هذا فأل طيب استبشرت به .. فأنا أحب الناس ، واكره الوحدة. انا مسرور جدا لرفقتك

لا غنى لي عنها ، فهي التي تجعل لحياتي قيمة . الحياة بدونها تفقد طعمها الحلو ، وجمالها . لا بد منها ، صحيح اننا نختلف كثيرا ، لكن لا ضير .. فهذه هي سنة الكون ولا بد من الاختلاف . تسأل : من اقصد ؟. اقصد زوجتي طبعا . آه من الذكريات !. الان فقط تذكرت دقدق . فعلا ، كان ينقص الولد شيء من الحنان ، حتى يحس بقيمة حياته ، ووجوده . لا احب الفلسفة ، هذا تعبير صادق عما في نفسي .

احس كلما اقتربت من « ميت يزيد » اني سأرى دقدق ! . فصورة زوجتي هي نفسها صورة ابني دقدق . الصورتان متشابهتان . أعرف ان دقدق مات ، لكن ما رأيك في احاسيسي الغريبة ؟! .

ارتفعت مكانتها عندي ، فالفراق علمني اشياء كثيرة . لقد اعددت لها مفاجأة جميلة .. اشتريت لها ساعة . صحيح انها لا تعرف كيف تحسب الوقت ، لكنها ببداهتها تقدر قيمته ، فلا يهم اذن حساب الوقت. ماذا تقول يا سيدي ؟ . تقترح علي ان اعلمها حساب الوقت ؟ أوه ، بالطبع سيحدث هذا . ان كلامي مجرد وجهة نظر ، لكن بالطبع سأعلمها ، ولو انها لن تسر كثيرا بالهدية لا سيما حين تعرف ثمنها .

أشعر بالارتياح لمجالستك ، فأنت رجل مهذب . الكلام افضل من الصمت ، ماذا تقول ؟!. الساعة الان الخامسة والثلث ! .. كيف ذلك ؟ .. القطار يصل « ميت يزيد » في الرابعة تماما . انا ادرى بالمواعيد ، اني احفظها عن طيب خاطر مثل عناوين الاصدقاء . القطار يقف ! .. نحن في الاسماعيلية ! .. كيف حدث هذا ؟! . الم يقف القطار في « ميت يزيد » ؟! . كيف لم نشعر ؟! أنا اعرف « ميت يزيد » جيدا . كيف لم أفطن للامر ؟! وانت ، الست من « ميت يزيد » ؟! . كيف لم تنتبه ؟! .. هل يبدو عليك الاجهاد ؟! .. غير معقول هذا .. لن اقابل زوجتي ، ولن اراها . والساعة ! .. ما العمل ؟. ماذا تقول ؟ .. تقترح ان نعود ادراجنا في اول قطار ... فكرة صائبة . لكن ! .. انا الان في محطة الاسماعيلية . ماذا يقول موظفو المحطة ؟. لن اقول بالطبع اني لم افطن للامر ، فهذا امر بعيد عن التصور . وايضا غير معقول ان اتحجج بأني كنت نائما في القطار . لا عليك من كل هذه الافكار المقلقة . من الممكن ان نتصرف . ويجب ان نتفاءل دائما . سأسلم على صديق قديم يعمل هنا . سيفرح كثيرا بزيارتي . وسأعرفك به .. انها فرصة طيبة . نزلنا في الاسماعيلية بدلا من ميت يزيد .. لعب الحظ لعبته التافهة ، مثل الكرة تماما . المهم ان نتصرف .. ان نتصرف .. قد قلت لي انك من « ميت يزيد » ، اذكر ذلك . اذن انت تعرف زوجتي .. اسمها نفيسة خالد .. الا تعرفها؟ .. كيف ذلك ؟ ! . . شيء عجيب! .. سيادتك من ميت يزيد ولا تعرف نفيسة خالد !! .

القاهرة **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضواء جديدة على نشوء فن المقامات

بقلم الدكتور فيكتور الكك

من اساتذة الفارسية في الجامعة اللبنانية

* * *

س ـ من المعروف ان بديع الزمان الهمذاني هو اول من ابتكر فن المقامات ونهج نهجه . لكن فريقا من النقاد ، ذهب الى القول انه قلد في صنيعه ابن دريد . فما موقفكم من هذين الرايين ؟

ج ـ لسنا نعرف احدا ممن تقدموا الهمذاني زمنا نسج كاتبنا في مقاماته على منواله ، ففن المقامات فن ادبي جديد نشأ مع بديع الزمان ، وقد اقر له بفضل السبق اشهر من عرف بفن المقامات من بعده وهو الحريري ، وذلك في مقدمة مقاماته . ويذهب هذا المذهب ايضا كثيرون من اهل التصنيف والتأليف كابن خلكان والقلقشندي

س ـ وعلام عول المنكرون لمقالة هؤلاء الاعلام ؟

ج ـ ان الذين عارضوا في نسبة اختراع المقامات للهمذاني رددوا ما قاله الحصري في كتابه زهر الاداب حيث زعم ان بديع الزمان قلد في صنيعه ابن دريد (المتوفي ٣٢١ هـ ـ ٩٣٣ م) في احاديثه الاربعين فعارضه في اربعمائة مقامة .

س ـ ومن هم هؤلاء المعارضون ؟

ج ـ في طليعتهم المستشرق مرغليوث ثم الدكتور زكي مبارك .

س ـ وماذا يقول الدكتور زكي مبارك بهذا الصدد ؟

ج ـ يزعم الدكتور زكي مبارك ان الذي اذاع هذا الغلط ثم آمن به الناس هو الحريري ، وان غفلة مؤرخي الادب عن كشف هذا الخطأ ان ابن دريد سمى قصصه احاديث في حين ان بديع الزمان سمى قصصه مقامات .

س ـ ولم لا يبدو قول الحصري الذي ردده مرغليوث ومبارك معقولا ؟

ج ـ الجواب على هذا السؤال ذوشقين الاول يتعلق بالحصري نفسه اي بالنقد الخارجي لهذه المسألة والثاني يتعلق بمضمون احاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني وهو ما يعرف بالنقد الداخلي .

س ـ وماذا بشأن الحصري ؟

ج ـ اما الحصري فلا يمكن الاعتماد على رأيه لاسباب كثيرة منها : ان الحصري انفرد بهذا الخبر ولم يشاركه فيه احد من قدامى المصنفين والمتبادين فلم يذكر الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » شيئا من هذا القبيل مع انه عاصر الهمذاني وعرف نثر القدامى والمحدثين وشعرهم . ثم ان الحصري رجل من اهل القيروان لم يعرف عنه رواية ولا سند ولا رحل الى العراق . فكيف يعارض البديع اربعين حديثا باربعمائة مقامة شرقت وغربت كما يقول المرحوم الرافعي ثم لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا تراه منقولا الا عن رجل من اهل القيروان لا رحلة له ولا سند ولا رواية وانما يستطرف من كل كتاب ومن كل خبر ؟

س ـ ما دام الامر كذلك فكيف تتعارض نتائج النقد الداخلي للمقامات والاحاديث مع راي الحصري والواقع ؟

ج ـ ان الناظر في احاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني يرى ان المقامة فن جديد قائم بذاته في حين ان الاحاديث لا تعدو ان تكون مجموعة حكايات .

ـ فللمقامات راوية واحد وبطل واحد اما الاحاديث فابطالها متعددون مختلفون في البيئة والتاريخ .

ـ ان غرض ابن دريد هو الاشادة بمناقب العرب وشمائلهم ورسوخ قدمهم في البلاغة ـ وليس في المقامات شيء من ذلك بل كدية واحتيال .

ـ ان الفن في المقامات ارقى منه في الاحاديث صياغة ولغة وحسن رواء لانها الفت للبلغاء من الخاصة بخلاف الاحاديث فانها من باب الادب المشترك .

ثم ان الدارس لو تأمل هذه الصلة التي اشرنا اليها لرأى انها لا تنحصر بين المقامات والاحاديث الدريدية .

س ـ وماذا تعني بقولك هذا ؟

ج ـ اعني ان المميزات المشتركة بين الاحاديث والمقامات شائعة في كتب الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . فالهمذاني بالتالي تأثر بجميع الادباء الذين تقدموه . وعندي ان التأثير الجذري الذي يتبينه الناظر في المقامات البديعية يعود الى الجاحظ لانه يمس موضوع المقامات بالذات .

س ـ وكيف ذلك ؟

ج ـ ان الجاحظ هو اول من تحدث في كتاب عن اهل الكدية فوضع كتابا في حيل اللصوص والمكدين . ثم انه في كتابه الشهير « البخلاء » عرض للكدية والمكدين في حديث « خالد بن يزيد » . وخالد بن يزيد هذا كما يقول الجاحظ « مولى المهالبة وكان قد بلغ في البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها احد » . وقد صوره الجاحظ واعظا ابنه عند موته وهو يحثه على الاقتصاد والتوفير ويوصيه بانتحال الكدية ويصف له مآتيه .

س ـ وما هي الرابطة بين هذا الحديث ومقامات الهمذاني ؟

ج ـ اذا استعدت الان في ذهنك اطرافا من المقامات الوصية والرصافية والسجستانية لفوجئت بالشبه الذي يربطها مع كثير من اخواتها بحديث خالد بن يزيد . فوصايا ابي الفتح الاسكندري لابنه في المقامة الوصية تشبه في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

روحها واسلوبها واحيانا في تعابيرها وصايا خالد لابنه . ووصف الاسكندري لمغامراته في السجستانية قريب كل القرب من وصف خالد لمآتيه . وكذلك شأن طرق احتيال اللصوص والمكدين فانها في المقامة الرصافية امتداد لما رواه خالد بن يزيد الى غير ذلك من وجوه شبه واقتباس لا مجال لذكرها الان .

س ــ ان ما قلته يتجلى بوضوح لمن يقارن بين مضمون المقامات المذكورة وحديث خالد . زد على ذلك ان الهمذاني كان يسعى الى معارضة الجاحظ في بعض موضوعات نثره والى الفض من زعامته الادبية محاولا ان ينصب نفسه جاحظا لزمانه فانه صرح في مقامته الجاحظية بقوله « ولكل زمان جاحظ » . لكن الاديب الاديب وان اقتبس من غيره فانه لا يستوحي الواقع في آثاره . ايكون واقع المجتمع الذي عايشه الهمذاني هو الذي اوحى له بالتزام الكدية موضوعا لمقاماته واتخاذ بطله ابي الفتح الاسكندري من جماعة المكدين ؟

ج ــ ان معرفة الجاحظ بالكدية لم تأته عن طريق الجاحظ والكتب فقط وانما عن طريق المشاهدة والاختبار. فقبل الهمذاني بقرن تقريبا كانت جماعات من الشذوذ وقطاع الطرق قد تنظمت وعرفت بين طبقات المجتمع يومذاك باسم الفتيان والعيارين . ثم بمرور الزمن تفرع من هذه العصابة طائفة عرفت باهل الكدية كان افرادها يمتهنون التسول امتهانا ويرتضونه مذهبا في الحياة وعرف هؤلاء المكدون بالساسانيين او ببني ساسان .

س ــ وما علاقة هؤلاء بالادب والشعر ؟

ج ــ لقد خرج من هذه الطغمة شعراء مجيدون في بعض الاحيان وصفوا حياتهم وتجوالهم في الافاق فادخلوا في الشعر الفاظا عامية من مصطلحاتهم كما ذكروا فيه بذاءتهم ونوادرهم .

س ــ واين عرف بديع الزمان هذه الطغمة ؟

ج ــ كانوا في كل مكان الا ان الهمذاني عرف علما من اعلامهم هو ابو دلف الخزرجي مسعر بن مهلهل عندما نزل بلاط الصاحب بن عباد في الري وكان لا يزال فتى يافعا .

س ــ ومن هو ابو دلف هذا ؟

ج ــ كان ابو دلف كما يقول الثعالبي في يتيمةالدهر شاعرا كثير الملح والظرف مشحوذ المدية في الكدية خنق التسعين في الاطراب والاغتراب وركوب الاسفار الصعاب

س ــ وما هو تأثيره على الهمذاني ؟

ج ــ اعجب الهمذاني بشخصية ابي دلف ومغامراته فاثارت خياله وهو الذي هبت عليه ريح الاغتراب باكرا وليس من المستبعد ابدا ان تكون فكرة انشاء المقامات قد استوحاها من الجو الذي خلقه ابو دلف وان يكون بطله ابو الفتح الاسكندري في كثير من سجاياه وسماته وتصرفاته صورة معدلة لابي دلف وبوجه عام للمكدين الاخرين .

س ــ ان الذي يطالع ما كتبه الثعالبي عن ابي دلف وما رواه من شعره الذي يصف به نفسه مكديا يميل الى تزكية ما تذهب اليه فهل لك بدليل اخر يقرب من الاذهان تأثر الهمذاني بابي دلف ؟

ج ــ يذكر الثعالبي ان الهمذاني كان يروي لابي دلف شعرا ففي كلامه على هذا الشاعر قال : وفي تدويخه البلاد يقول من ابيات انشدنيها ابو الفضل الهمذاني .

وقد صارت بلاد الله في ظهري وفي حلي
تغايرن بلبثي و تحاسدن على رحلي
فما انزلها الا على انس من الاهل

وهاك دليلا آخر ابين . يقول الثعالبي في مكان آخر من اليتيمة : وانشدني بديع الزمان لابي دلف ونسبه في بعض المقامات الى ابي الفتح الاسكندري :

ويحك ! هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور
زوق ومخرق وكل واطبق واسرق وطلبق لمن يزور
لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور !

والقاريء لمقامة الهمذاني القريضية يرى هذه الابيات مروية في اخرها على لسان ابي الفتح كأنها من الهمذاني.

س ــ وهل تأثر الهمذاني بغير ابي دلف من شعراء الكدية ؟

ج ــ نعم ثمة شاعرآخر تأثره البديع في هذا المضمار هو الاحنف العكبري ابو الحسن عقيل بن محمد . وهو على حد تعبير الثعالبي شاعر المكدين وظريفهم . والذي يقرا شعره يرى فيه الكثير من سمات ابي الفتح . ومن ذا الذي يقرا هذه الابيات الثلاثة له ولا يتذكر على الفور نقمة الاسكندري على الناس وانفاقه على حد تعبيره « بعد المال من كيس الاماني » وسخره من اهل الفرق ؟قال الاحنف :

عشت في ذلة وقلة مال واغتراب في معشر انذال
بالاماني اقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الامال
لي رجل تقول بالوقف في الـ ـرأي ورجل تقول بالاعتزال ! !

ولابن الحجاج هذا قصيدة يهجو فيها رجلا لم يذكر اسمه الثعالبي حين اثبتها في الصفحة الثلاثين من الجزء الثالث تكاد تكون المقامة الدينارية نثرا لها ليس في المعاني فحسب وانما في الالفاظ والتراكيب ايضا ..

س ــ حقا ان في هذه النصوص التي اوردتها والتي اشرت اليها لدليلا على ان تأثر البديع هو الى غير ابن دريد اقرب منه اليه بكثير . فهل تستطيع ان ترسم لنا اطارا عاما عن بناء المقامة وشكلها العام في صلتهما بادب العرب ؟

ج ــ يذهب بلاشير الى ان علاقة المقامات بـ «الادب» في معناه الشامل كما يتجلى عند الجاحظ وابن قتيبة مثلا تلقى ضوءا موحيا على نشأة المقامات وعلاقتها بغيرها من فنون الادب . ويشير بالتفصيل الى ناحيتين يكثر استخدامهما في المقامات وفي الادب على حد سواء . اولاهما تقوم على الالتقاء ببدوي امي او راع او افاق ينطق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه بين النور والعتمة

أتيت اليك في تعبي
غريب الخطو والاصداء والوجه
وفي صحراء ايامي
تركت هناك راياتي ممزقة
وخيلي عبر بطن الواد منهكة من السفر
مشيت اليك في بوابة الليل
حزين الصمت والنظرات . فاجاني
على الطرقات صبار ، تركت عليه بعض دمي ،
وما روعت .. علمني
زمان الرعب ان الموت كالميلاد ،
والظلماء كالنور
وما نحياه من عمر
ضياء خافت الايماض ، يومض ثم ينطفيء

وجئت اليك في تعبي
غريب الخطو والاصداء والوجه
وفي تاريخي المسحوق دمع صار اكواما من الملح
وأشواق رمتها الريح صفراء الى النار
وجرح غائر ، ما زال يصبغ وجه ايامي
وكنت هناك بين النور والعتمه
رأيتك في مرايا الروح زنبقة من الاشواق والفرح
نماها الفجر في ركن من الجبل
وأعطاها شعاع الشمس ألوانه
وأودعها نسيم الليل أسراره
وكان العطر والانداء والظل

خبيئا في ثناياها !

وجئت اليك في تعبي
كعصفور رمته الريح والامطار
جاء اليك ملتجيا
وفي مرآة عينيك
رأيت الغيم منطلقا على الريح
يساقط فوق صحرائي
ثمار الخوخ والدراق والكرز !
رأيت البحر منفتحا
ضياء الشمس يغسله
وفي احضانه البيضاء زورقنا
مع النسمات ينتظر
يحملنا الى دنيا رسمناها من الصغر ..

وجئت اليك في شوق . وفي أملي
بانك أنت من أستطيع ان اهواه
وافرحه ، ويفرحني
وافرد فوقه جنحي
ويفرد جنحه فوقي
فلا تمضي
فلا تمضي
فلا تمضي

دمشق — صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكلام الملوك فتتوالى مقالاتهم موسيقية مسجعة يغشاها اللفظ الغريب والتعابير المصقولة . وقد انصرف ادباء القرن الرابع الهجري الى هذه الناحية فتجاذبوا اطرافها وصارت اخطبوطا قيد المعاني والافكار .

اما الناحية الثانية فتتجلى في موقف الفقير المعدم مقبلا على الغني وصاحب السلطان ينصحهما بالاقلاع عن ملذات الحياة لانها دار مجاز الى الاخرة . وقد روى الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه كثيرا من هذه المواقف التي سماها بعضهم مقامات .

س ـ ادركت الان ان ثمة عالما من البحث الرصين حول نشأة المقامات وابتكار البديع لها ينبو بالباحث عن الاشارة العابرة الى تقليد الهمذاني لابن دريد .

ج ـ ان البديع في مقاماته يمت بصلة الى الادب العربي جملة ولا يقتصر استيحاؤه على ابن دريد واحاديثه . فما هذه سوى جدول او سيل بين الجداول والسيول التي انتهت الى بحر المقامات . فالبحر بحر ولا يعيبه ان السيول انتهت اليه .

فيكتور الكك

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

محمود العابدي - عبد الحميد الانشاصي

قسطنطين نبودوري

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ محمود العابدي

في يوم عيد ... حفلت مائدة الخليفة « المأمون » باكثر من ثلاثين لونا، فكان يصف ، وهو على المائدة ، منفعة كل لون ومضاره ، فقال يحيى بن أكثم :

« يا امير المؤمنين ! ان خضنا في الطب فانت « جالينوس » في معرفته ، او في النجوم فانت « هرمس » في صناعته ، او في الفقه فانت « علي بن ابي طالب » في علمه ، او في السخاء فانت « حاتم » في كرمه ، او في الحديث فانت « ابو ذر » في صدق لهجته ، او في الوفاء فانت « السموْل » في وفائه » !

فسر « المأمون » بكلامه وقال : « يا ابا محمد ! انما فضل الانسان على غيره بالعقل ! » .

في عام ١٩٠٧ ولد « العابدي » في قرية عصيرة الشمالية بمحافظة نابلس وتخرج من دار المعلمين بالقدس عام ١٩٢٧ ونال الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية في فلسطين عام ١٩٣٤ والتحق بمعارف فلسطين في عهد الانتداب معلما فمديرا ، وتنقل في طائفة من المدارس الاميرية .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية الكبرى وتوحيد ضفتي الاردن انتسب « العابدي » لوزارة المعارف الاردنية وعمل في عدة مدارس اميرية معلما فمديرا فمفتشا . وتقديرا لاطلاعه الواسع في حقل التاريخ والمامه بعلم الاثار في مختلف العصور نقل مساعدا لمدير عام الاثار .

وفي عام ١٩٦٠ اوفد في بعثة لدراسة الاثار في جامعة بيروجيا الايطالية كما درس الاثار الرومانية في معهد الاثار بكلية الاداب في جامعة روما ، ثم التحق بمعهد الاثار في جامعة لندن لدراسة الاثار الرومانية ثم زار اثينا وعكف على دراسة الاثار اليونانية .

وظل « العابدي » يعمل في مصلحة الاثار كمساعد للمدير العام حتى نقل عام ١٩٦٦ الى وزارة الاعلام الاردنية وعين مديرا لدائرة الثقافة والفنون .

و « العابدي » اليوم يعتبر ثقة من ثقات الاثار في العالم العربي ، وفي هذا المضمار هو علم من اعلام الاثار ورائد من رواد الاخبار .

من اثاره القلمية : وايمانا منه بان عليه واجبا قوميا لامته ، انتضى قلمه واهدى خزانة التاريخ العربي سلسلة من الكتب القيمة البعيدة عن (السلق) المتسمة بالعمق والدالة على خبرته بعلم الاثار والمامه بتاريخ الشعوب ومدنياتها .

ومن الكتب التي سخا بها قلم العابدي المؤرخ الكبير على خزانة التاريخ :

١ ـ مبادىء التاريخ القديم ـ طبع سنة (١٩٣٤) ٢ ـ تاريخ العرب (١٩٣٧) ٣ ـ تاريخ فلسطين القديم (١٩٤٢) ٤ ـ معلومات مدنية (١٩٣٨) ٥ ـ جغرافية العالم العربي (١٩٥٤) ٦ ـ التاريخ (كتاب مدرسي) (١٩٥٥) ٧ ـ من قصص العرب (١٩٥٤) ٨ ـ اثار البتراء (١٩٥٤) ٩ ـ اثار جرش (١٩٥٦) ١٠ ـ القصور الاموية في البادية (١٩٥٨) ١١ ـ ايران (١٩٥٩) ١٢ ـ المغرب (١٩٥٩) ١٣ ـ من تاريخنا (المجموعة الاولى) (١٩٦٠) ١٤ ـ الحفريات الاثرية في الاردن (١٩٦٠) ١٥ ـ من تاريخنا (المجموعة الثانية) (١٩٦٢) ١٦ ـ التاريخ بالقصص (١٩٦٤) ١٧ ـ مخطوطات البحر الميت (١٩٦٧) .

نموذج من نثره :

« اجتذبت فلسطين انظار الغربيين منذ فجر القرن التاسع عشر فزارها نفر من اهل الهمة والطموح غير مكترثين لما يلاقون من صعاب وما يتحملون من نفقات . ولقد اخذ بعضهم يهتم بمقدساتها وبعضهم باثارها التي كانت مدفونة تحت اطلالها . ولقد اثارت مؤلفاتهم العزائم على تاليف الجمعيات التي هي اقدر على تجهيز الحملات العلمية من الافراد . ففي سنة ١٨٦٥ اجتمع في لندن عدد من العلماء اسسوا جمعية التنقيب الفلسطينية لدراسة بلاد فلسطين من جميع نواحيها ولا سيما اثارها . وقد شملتها الملكة فكتوريا بعنايتها وعطفها واسندت رئاستها الى ولي العهد امير ويلز .

وفي اول سنة ١٨٧٢ اعدت حملة برئاسة الضابط كوندر واسندت اليها مهمة اجراء مسح عام لفلسطين فمسح نحو ستة الاف ميل مربع من دان الى بيرالسبع ومن الاردن الى البحرالمتوسط . وقد وضعت هذا الوصف المطول في مجلدين ضخمين باسم (Tent Work In Palestine) وقدم لسمو ولي العهد سنة ١٨٧٧ . وكذلك رسمت اللجنة خريطة مؤلفة من ٢٦ صفحة مستوفية كل ما في هذه البلاد من مواقع اثرية كانصاب الحجار الضخمة وكل ما يستحق الذكر .

وفي سنة ١٨٨١ ارسلت الجمعية بعثة اخرى برئاسة الضابط المهندس كوندر ، لمسح القسم الشرقي من فلسطين . فهبط مع رجاله من القدس الى الغور وطلب من قبلان شيخ عشيرة العدوان ان يكون حاميه ودليله . وقد عبرت مخاضة الغورانة (حيث اقيم جسر اللنبي او جسر الملك حسين) متوجهة الى الكفرين والرامة حيث اكتشفت هذه المجموعة من الانصاب (delmens) والدوائر الحجرية الضخمة ثم اخترقت الوديان فاكتشفت العال وحسبان ومادبا ونبو وصياغة وماعين وحمامات زرقا ماعين . ثم استطاعت ان تجمع ٦٠٠ اسم قديم من اسماء التوراة واكتشفت اكثر من مئتي خربة ونسخت كثيرا من الكتابات والنقوش والرسوم . كما صورت اشياء كثيرة بالة التصوير الشمسي. وامضت اسبوعين في ربة عمون التي كان مهاجرو الشركس قد وصلوا اليها قبل سنتين واخذوا يبنون اكواخهم على ضفتي السيل وبين خرائبها الرومانية . وقد اكتشفت على القلعة القصر الاموي الذي وجدت شبها بينه وبين بناء الصخرة وكذلك اكتشفت المحاجر التي قطعت منها حجارة ابنية عراق الامير الضخمة واستنتجت كيف كانت تنقل من مقالعها وكيف تبني . وقد وضعت هذه الاوصاف الوافية في كتاب سمته « مساحة فلسطين الشرقية » .

وفي سنة ١٨٩٤ عقدت الجمعية اجتماعها السنوي برئاسة دوق يورك نجل ولي العهد فخطب في الاجتماع خطبة وجيزة قال فيها : «ان هذه الجمعية تالفت منذ ثلاثين سنة وعملت اعمالا نفيسة جدا ». واشار الى المثال الذي صنعته ليمثل بلاد فلسطين ـ سهولها ونجودها وجبالها وانهارها واوديتها وبحيراتها بحيث يمثل كل انش ميلا على الارض فجاء من ابدع ما صنعه الصناع واصدق المثل الطبوغرافية . ثم قال : « ان هذه الجمعية قد نجحت نجاحا عظيما ونرجو ان يكون نجاحها في الماضي اساسا لنجاحها في اعمال اعظم للتنقيب في فلسطين ، كما نقب في بابل واشور ومصر وبلاد اليونان . » ولقد اكتشفت اكتشافات خطيرة في لاخيش اي (خان الدوير بين الخليل وبير السبع) بمهارة

المستر بليس (Bliss) ومواظبته ، وهو دليل على تعاون الانكليز والاميركان في هذا العمل . ومما نذكره بالشكر ان السلطان الاعظم اظهر مسرته من هذه المكتشفات وتكرم بالفرمان اللازم بالتنقيب بالقدس الشريف حالا .

ثم خطب الميجر كوندر خطبة مسهبة اشار فيها الى ما يمكن وجوده من الاثار في ضواحي القدس الشريف والخليل وجبل لبنان وسهل حمص وقال ان اقدم مراكز العمران السوري كانت في جبل لبنان – لا في البلدان الجنوبية . وفيه الكثير من الاثار القديمة التي لم تنقب حتى الان . واشار الى ما ترك فيه ملوك آشور من اثارهم بقرب بيروت وغيرها من المدائن السورية .

ومن مجهودات هذه الجمعية انها كلفت الاستاذ مكلستر ان يقوم باعمال الحفر والتنقيب في خرائب جازر في فضاء الرملة وهي التي اعطاها ملك مصر مهرا لابنته عندما تزوجها الملك سليمان في القرن العاشر . ولقد اكتشفوا فيها اثارها الكنعانية قبل ان يحتلها الاسرائيليون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد فاظهروا المعبد الذي كان فوق اعلى قمة في المدينة وكانت فيه مزولة (ساعة شمسية) تستلفت الانظار وبقربه صهريج يسع نحو اربعة ملايين غالون من الماء كما اكتشف السور الذي كان يحيط بالمدينة . وقد استمر الحفر من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٦ وقد جمعت المعلومات في كتاب اسمه « تاريخ الحضارة في فلسطين » وقد لخصه المكتشف المستر مكلستر في الاجتماع السنوي.

وعندما انتهت الحرب العالمية الاولى ألفت الاكاديمية البريطانية – بناء على مشورة جمعية التنقيب الفلسطينية هذه لجنة للنظر في انشاء مدرسة للاثار في القدس تدرس فيها الاثار القديمة من كنعانية وعبرانية ويونانية ورومانية وبيزنطية وعربية مع اثار القرون الوسطى بعد ذلك . وقد اصدرت اللجنة المشار اليها نداء طلبت فيه ان تتبرع الجامعات والكليات وغيرها من المعاهد العلمية بنفقات الطلبة . وقدرت نفقة كل طالب بمئة جنيه في السنة . وطلبت من اهل الكرم ان يتبرعوا بما تجود به نفوسهم لاخراج هذا المشروع الى حيز العمل . فلبى نداءها اثنان من كرماء الانكليز وهما المستر وولتر موريسون والمستر روبرت موند فتبرع كل منهما بالف جنيه وقد وصلت التبرعات خلال مدة قصيرة الى عشرين الف جنيه .

ولا تزال المدرسة البريطانية لعلم الاثار في القدس تؤدي مهمتها على اكمل وجه لا سيما في عهد رئاسة المس كاتلين كينين التي حفرت ستة مواسم في اريحا القديمة واثبتت انها اقدم مدينة زراعية مسورة في العالم ، ظهرت فيها الزراعة حوالي سنة ٧٨٠٠ قبل الميلاد . ونشرت ذلك في مجلد ضخم اليه المنتهى في موضوعه . وقد نقلت نشاطها الى السفوح الممتدة من اسوار الحرم الشريف الى عين سلوان. وغايتها من ذلك تصحيح الاخطاء التي ارتكبها الحفارون القدماء عندما عينوا مواقع اسوار اورشليم اليبوسية والتي انشا فيها سليمان هيكله. ولا تزال الدكتورة كينين توالي حفرياتها في مواقع مختلفة من مدينة القدس القديمة لكتابة تاريخها الصحيح المبني على النتائج الاثرية .

وهكذا اصبحت كتب هذه الجمعية من اهم المراجع عن بلاد فلسطين من حيث المعلومات الجغرافية والتاريخية والاثرية ولا سيما عن الفلاحين وقراهم مع ذكر مزارعهم واشجارهم وحيواناتهم وحياتهم الاجتماعية » .

٢ – عبد الحميد الانشاصي

كلما دار الحديث عن قضية فلسطين والظلامات التي حلت بها كان شعار « عبد الحميد » كلمة الكاتب السياسي المعروف ميشال ابو جوده :

« الحق كالايمان ... سيظل قادرا على نقل الجبال مهما تأخر احقاقه ، ومهما اعترضته الارادات والقوى الخارجية ! » .

في « الرملة » البيضاء ولد عبد الحميد عام ١٩١٠ وانهى دراسته الثانوية في مدرسة الفرندز برام الله والتحق بجامعة القاهرة طالبا مستمعا مدة سنة ودرس خلالها على عدد من اعلام الادب العربي امثال الدكتور طه حسين واحمد امين وعبد الحميد العبادي ، كما حضر دروسا ومحاضرات لبعض المستشرقين امثال نلينو وجويدي الايطاليين ، وعاد الى فلسطين ليعمل موظفا في الادارة مدة تزيد على خمس عشرة سنة ، وبعد حلول النكبة الاولى لجأ الى الاردن وعين موظفا في دائرة الجمارك .

جنح « عبد الحميد » منذ حداثة سنه الى كتابة القصة وقرض الشعر ، وافاد اطلاعه على الادب الاوروبي والاميركي وعلى الادب الياباني والصيني والهندي وعلى الشعر الفارسي .

من اثاره القلمية : نشر عبد الحميد عشرات من القصص والقصائد والمسرحيات ومن ابرز اثاره القلمية :

١ – القيود (رواية) ٢ – اليقظة (رواية) ٣ – اعترافات عاشق (رواية) ٤ – من اجل المال (رواية) ٥ – الوفاق الزوجي (رواية) ٦ – المنتصر (مسرحية) ٧ – حسان بن تبع (مسرحية) ٨ – الزباء (مسرحية) ٩ – نحو الهدف (مسرحية) ١٠ – في اوقات الوحدة (ديوان شعر) ١١ – عطف ام وقصص اخرى .

وفي اسلوبه الروائي تاثر بديستوفسكي ، كما تاثر بشكسبير في مسرحياته ، وبأبي الطيب في قصائده ومروياته .

نموذج من شعره : واشجى الشاعر ان يولي الناس وجوههم شطر المال وجمعه وتكديسه فانشد متحسرا متفجعا :

كل وراء المال يكدح ناصبا ... متسنما بين الرجال مناصبا
يقضي النهار مفكرا في جمعه ... وكذاك يمضي الليل يحصي حاسبا
المال يكفي بعضه لمعيشته ... ونرى الكثير على السعادة غالبا
بالمال بشرى ما يراد شراؤه ... الا النبوغ فلا أراه مجاوبا
من كدس الاموال يبغي منصبا ... في الناس كان لكل نقد جالبا
كم مجدوا الامي خشية ماله ... والعالم المسكين حيا خائبا
الشرق يذاب في ادخار دراهم ... والغرب يأتي من العلوم عجائبا

وجلس الشاعر ذات يوم على اطلال الجامع الابيض في « الرملة » البيضاء وانبرى يصف المسجد ومئذنته :

هي قلعة قد ادهشت بالطول ... تاهت برأس في السماء جليل
نظرت تفتش عن عديل مثلها ... هيهات قد اضحت بغير عديل
كم من رؤوس شاب منها شعرها ... كم من حياة آذنت بافول
والقلعة الشماء باق رأسها ... في شكله لم ينتكب بفلول
تمضي السنون كأنها لا تنقضي ... من عمرها اذ ثبتت باصول
خلدت فخلد ذكرها اجدادنا ... يمضي عليها الجيل بعد الجيل
في وجهها يبدو اصفرار رائع ... من هيبة لا من ضنى وذبول
نسي الزمان وجودها ولعله ... من عجزه يبدو بثوب خليل
او انه هاب الدنو لهدمها ... اذ وجهها يبدو كوجه نبيل
يوما وقفت اجيل طرفي معجبا ... بخلودها وبنائها والطول
فذكرت في ذهني الخصوم تساقطوا ... ما بين مجروح يرى وقتيل
صورت في ذهني جنودا جاهدوا ... خلف الثقوب بساعد مفتول
ويرد عنها السهم يندب حظه ... ويطير منها السهم في تهليل
ويرى الغبار مشردا متطايرا ... قد حل فوق الحصن كالاكليل
ويرى الخصوم بحيرة من امرهم ... ضلوا فما انقادوا لكف دليل
كم من رجال اذنوا في رأسها ... ودعوا بصوت مطرب وجميل
والناس من كل الجهات تجمعوا ... في مسجد يزدان بالترتيل

نموذج من نثره : « سار في شارع ضيق ، بخطى مبعثرة ، كما يمشي المخمور ، وما به سكر ، انما الضعف والجوع نالا من جسمه فغدا أجوف هزيلا ، متشائما حاد المزاج ، سريع الغضب كمن اصابه مس من الجنون ، لا شيء يكسوه سوى قطع متماسكة من القماش قد تباينت الوانا واتفقت قدما ، وتدلت من بعضها خيوط تترنح في الهواء

كالديدان ... وفي يمينه عكاز تعلوه الاقذار ، وفي يسراه كشكول فارغ ، يتارجح ويحدث انينا محزنا . كان قميصه مفتوحا عن صدر يكسوه بساط من شعر غزير تتخلله قطرات من العرق ، وكانت لحيته متهدلة كسياج المزرعة ، وفي وجهه عينان تقدحان شررا ، وعلى رأسه عمامة ممزقة استحال بياضها الى خليط من الصفرة والسمرة !

مال الشحاذ الى اول باب طرقه فانبعث من داخل الدار صوت ناعم يسأل من الطارق ، فاجاب الشحاذ : « حسنة لله ! » فرد الصوت الناعم : « الله يرزقك ! » وهنا تحول الشحاذ عن الباب في يأس وقال في نفسه : « كلكم يقول : « الله يرزقك ! » ان كان الله هو الذي يرزقني فلم جئتكم مستجديا ؟ »

وابتسم الشحاذ ابتسامة صفراء ... ثم يمم بابا ثانيا فلم يحظ بشيء ، وهنا انتقل الى شارع آخر ، وطرق باب دار فيها ميت عزيز على ذويه ، فتصدق القوم عليه ببعض الخبز العفن والطبيخ الفاسد ، فافرغ كل ذلك في كشكوله ومضى ، وفي طريقه عرج على باب مكتظ بعدد من الاولاد الصغار يلعبون ويلهون ، وسمع من داخل الدار دقات على طبل ، ونقرات على دف ، فادرك ان في الدار عرسا ، فاستبشر خيرا واستجدى طعاما لكن القوم استمهلوه الى الغد ، فرماهم الشحاذ بنظرة تنطوي على التهديد وتحمل معنى اخر هو : « قد يصيبكم في المستقبل ما اصابني من ذل وفاقة ، فهل تتحملون حينذاك ما اتحمله من قول ثقيل مؤذ ؟ » واستداد الشحاذ ببطء ، وما كاد يخطو بضع خطوات حتى تقدم منه احد الاولاد وقال له : « اتحسن الرقص ايها الشيخ ؟ ان الرقص في الاعراس يدر عليك مالا موفورا ، فان كنت تحسنه انبات رب الدار بذلك ، ليرحب بك ويكرم وفادتك ! » فضحك الصغار وقال احدهم :

« انه اقتراح جميل يا شيخ ، والنقود خير من الخبز ! » ثم القى نظرة على كشكول الشحاذ وقال متقززا : « اوف .. كيف تاكل مثل هذا الطعام الفاسد ؟ هل وجدته على مزبلة القرية ؟ »

سمع الشحاذ هذا التحدي المؤلم ، فكظم غيظه ... لكن الصبي الوقح امعن في تحديه ... فهم المسكين بلكمه ولطمه ... غير انه امسك عن ذلك وصبر وكتم فورة دمه . وهنا صاح به صبي اخر وقال : « ان كنت شيخا في مظهرك ، فانت في الحقيقة شاب قوي العضلات، ولتكون رجلا محترما في المجتمع انفض عنك غبار الكسل ، وزاول حرفة شريفة غير الشحاذة والتسول ! » وما كاد الصبي يتم كلامه هذا حتى لطمه الشحاذ على وجهه لطمة كادت تفقده صوابه ، فبكى الصبي وانتحب وشتم الشحاذ باعلى صوته ، وانفض الاولاد عنه خشية ان ينالهم من التسول رشاش الاذى ... وسرعان ما ابتعد الصبي الملطوم وراح يجمع الحجارة من طريقه ويرجم بها الشحاذ بلا رحمة او هوادة، الى ان وقف رجل بينهما وحمل الصبي على وقف القتال وقال للشحاذ: « اتنزل الى مستوى هؤلاء الصغار وتعاملهم هذه المعاملة القاسية ؟ » فرد الشحاذ بلهجة قاسية : « صغار ! صغار ! انهم كالرجال ، لهم عقول يفكرون بها وانا مثلهم : اعقل واشعر ، لست صخرة صماء ! انهم حينما اسمعوني قارص القول عبروا بذلك عما يجول بخلد الرجال امثالك ! كلكم تحتقرون الشحاذين وتؤلمونهم بنظراتكم الجارحة واقوالكم السليطة ... ان كثيرا من الناس ليسوا اهلا لان يرتدوا الثياب الفاخرة ويتناولوا الطعام الشهي ... وكثيرا من الشحاذين من هم خلقاء بان يرتفعوا الى منازل المترفين ، وينعموا بالحياة ، ويأخذوا نصيبهم من اطايبها ... ليس في دنياكم عدل ولا انصاف ... العالم كله ظلم وعدوان ! » .

فقال الرجل : « يخيل الي انك شيخ حسود ومتشائم ! »

ـ حسود ! انني مظلوم اطالب بحقي ... ولست حسودا كما تظن ! »

ـ وأي حق لك علينا ؟

ـ اطالب بنصيبي من نعيم الدنيا الذي استأثر به اغنياؤكم ، واحتفظوا به فضلة من فضلات ارزاقهم ، لقد جردتمونا مما يتمتع به الانسان من ماكل وملبس ... فغدونا كالبهائم لا نملك شيئا من حطام هذه الدنيا ... نجوع في صمت ... ونتالم في سكون ، وننام على الطوى ، ونعيش بلا أمل ... ولا نجد من يعطف علينا او يتخذ منا صديقا له ! » .

فرق الرجل لحاله ، وجعل يسرح بصره في وجهه وثيابه ، فكاد المسكين يذوب غما وخجلا ، وهم بالانصراف فمد الرجل يده الى جيبه وتناول نصف غرش وقال له : « خذ هذا يا شيخ ... انني اعذرك ! » لكن الشيخ لم يلق نظره على قطعة النقد ، ومضى في سبيله قائلا : « اشكرك ! لقد عودتمونا القناعة ... في كشكولي من الخبز اليابس ما يكفيني ! » فلحق به الرجل وقال له :

« احسن اليك وترفس عطا ئي! الحق انك اهل للفقر والعوز ! » فاجابه الشحاذ : « ان كان جودك صادرا عن طيبة قلب فانني اهل لما تقول ، انني موقن ان الناس جميعا لا يابهون الا لشؤونهم الخاصة ، اما ان يساعد بعضهم بعضا عن طيبة خاطر فذلك ما لا اؤمن به ! » .

اجابه الرجل باشمئزاز وانفعال :

« اغرب عني ايها النحس ... لا عشت ولا عاش امثالك ، ان وجودك بيننا ينغص عيشنا ، ويعكر صفونا ! » .

فالتفت الشحاذ وقال بصوت مرتفع : « كما نغصتم علي عيشتي باحتقاركم وازدرائكم وشحكم نغص الله عليكم هناءتكم وحياتكم ! » .

استأنف الشحاذ مسيره ، وفي طريقه مر برجل القى عليه نظرة ازدراء ومر في سبيله ، فقال الشحاذ في نفسه : « حتى السلام لم يطرحه علي ... حقا لقد صدق قولي اننا معاشر الشحاذين كالبهائم !» وفي طريقه لقي سيدة دنا منها شاب وسيم الطلعة انيق الثياب فاخذ يغازلها فتضحك وتبتسم ، لكنها نفرت عندما قرب الشحاذ منها فاغتاظ المسكين وقال في نفسه : « حتى النساء لا يطقن رؤيتي وينفرن من وجهي ... وذلك الشاب الوسيم تبسم له اما انا فتلقاني بعبوس ونفرة ... ما ذنبي ؟ لو وهبني الله وفرة في الرزق لكان مني انسان جذاب الوجه ، فاخر الثياب ! » .

وظل المسكين يمشي في طريقه حتى انتهى الى مزرعة ، فاقترب من سياجها ليجلس في مكان ظليل ، فهب كلب ضخم عليه وقابله بنباح خشن متواصل لفت نظر الحارس ، فانتصب هذا في وسط المزرعة ثم صاح بالشحاذ :

ـ ماذا تصنع هنا أيها الشحاذ ؟

ـ لا شيء ... لا شيء ... اريد الجلوس هنا .

ـ لا اخالك الا لصا جئت تسرق ثمارنا ، فارحل حالا !

فهز الشحاذ رأسه هزة سخط والم وقال في نفسه : « حتى المكان الذي لا زرع فيه لا يسمح لي بالجلوس ! »

وهب من موضعه وسلك طريقا اخرى والكلب وراءه ينبح ويثور، فتضايق الشحاذ منه والقى اليه بكسرة من الخبز الجاف ، فالتهمها بنهم ، ودنا من الشحاذ متحببا ، فانس اليه ونفحه كسرة اخرى . واخيرا انتهى الشيخ الى شجرة كبيرة من الصفصاف والكلب على مقربة منه فابتسم وقال في نفسه : « لقد انقلب صديقا بعد ان كان عدوا !» ثم ربت على ظهره وقال له : « أهلا بك يا صديقي ! لئن حرمت صداقة الناس فلي من صداقتك أكبر عزاء !» قال هذا ونفحه قطعة من الخبز ، ثم نثر ما في الكشكول من خبز يابس ، وطبيخ فاسد ، فانبرى الكلب الى التهام الطعام وقال الشحاذ في نفسه : « كثيرون من الناس يغدقون على الدجاج بفتات موائدهم ، ويبخلون بها على الجياع ، ومنهم من يتركها في زاوية مطبخه للعفونة والتفسخ ، فاذا جاءه شحاذ كان جوابه ان الخبز ما زال في الفرن !».

واجال بصره في ثيابه البالية الممزقة ثم قال في نفسه : « وما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكثر الشياب التي يصفونها في خزائنهم ويتركونها طعمة للارضة والغثران، والشحاذ المسكين محروم هذه النعمة والخيرات !»

ولما فرغ من تناول كسرة خبز جافة بيده ، لصق به الكلب وراح يتحكك بصدره اعرابا عن شكره ، واسند الشحاذ ظهره الى جذع شجرة ، وأقعى الكلب بجانبه ، وما هي الا لحظات حتى هوم الشيخ في نوم عميق ، ونسي هموم الحياة ومتاعبها ، وظل الكلب الامين مفتوح العينين يحرس صديقه الفقير !

٣ ـ قسطنطين تيودوري

في بيت المقدس ، مدينة الطهر والحق ولد « قسطنطين » عام ١٩١٢ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة المطران بالقدس ، وتلقى العربية على المرحوم خليل بيدس ، وأول مقال نشره عام ١٩٢٠ في جريدة « لسان العرب » المقدسية لصاحبها ابراهيم النجار كان بعنوان « اللغة العربية » ، وبعد تخرجه عين استاذا في « الجمناز الارثوذكسية » بالقدس ثم في كلية شميت الالمانية ، وبعد فترة عمل استاذا في المدرسة الاميرية برام الله وفي المدرسة الاميرية ببيت جالا .

وقبل حلول المأساة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) عين استاذا في «مركز الشرق الاوسط للدراسات العربية» في القدس وبانتقال هذا المركز الى مدينة الزرقاء بالاردن اولا والى شملان بلبنان ثانيا انتقل الاستاذ تيودوري مع زملائه المعلمين العرب ، وعين خلال وجوده في لبنان، استاذا للغة الانكليزية في « الكلية الداودية » في بلدة « عبيه » وفي «الجامعة الوطنية » في عاليه » وفي « المدرسة الثانوية » في برج البراجنة .

في سن مبكرة زاول الاستاذ تيودوري الكتابة في الشؤون الادبية، ونشر مقالات في مجلة « المقتطف » عام ١٩٢٧ بعنوان « ضعف القوى الثلاث : الحس والفهم والارادة » كما نشر مقالات أدبية في مجلة « النعمة » و «السياسة الاسبوعية » و «الراعي الصالح» وفي جرائد «الف باب» و «فلسطين» و «بيت المقدس » وحرر مجلة «الحكمة » للسريان الارثوذكس بالقدس وجريدة «مرآة الشرق » المقدسية لصاحبها المرحوم بولس شحادة .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ تيودوري القليل مما كتب وصنف، ولولا المأساة الفلسطينية المروعة لكانت اثاره القلمية أوفر مما أخرجته المطبعة العربية بقلمه ، ودونك اسماء آثاره المطبوعة :

(١) الزهور (٢) بين مصر وفلسطين طبع عام (١٩٢٨) (٣) بين الاسر والحرية (١٩٢٩) (٤) The New Palestine(١٩٣٦) (٥) فلسطين ومستقبلها (١٩٣٨) (٦) الفريد في المصطلحات الحديثة (معجم عربي ـ انكليزي) (١٩٦٠) (٧) المعجم التجاري الاقتصادي (١٩٦٦) (٨) المصطلحات الدبلوماسية والصحفية (معجم انكليزي ـ عربي) (١٩٦٧) .

نموذج من شعره : بعد ان تولى الاستاذ شارل حلو رئاسة الجمهورية اللبنانية في ٢١ ايلول ١٩٦٤ نظم الاستاذ تيودوري الابيات الرقيقة التالية وقد بعث بها الى فخامته :

ركنان : لبنان المخلد مجده ... و « الحلو » كنز للبلاد نفيس
كل يجود بما لديه من اللهى ... للشعب حتى تستقر نفوس
سامي النهى شع التقى من روحه ... بالحق يقضي دائما ويقيس
عذب الحديث رئيسنا وكلامه ... نور وفيه حكمة ودروس
فيه جلاء للامور اذا دجت ... او لاح في افق الحياة عبوس
يتعهد الشعب النبيل بهمة ... قعساء وهو مع الجميع انيس
مهما تباينت العقائد بينهم ... فبعدل حكم للجميع يسوس
يا سيدا ملء الجوانح حبه ... برعاية الباري أب محروس
دم للبلاد فانت يا « حلو» النهى ... قبل الرئاسة للقلوب (رئيس) !

نموذج من نثره : « الحرية حق من حقوق كل انسان ، والعبودية مخالفة للطبيعة البشرية ، ولا يخفى ان الميل الى الحرية غريزي في الانسان ، لذلك كان طبيعيا ان ينشد الناس الحرية في كل مكان ويسعوا وراءها بكل ما أوتوا من عزيمة وقوة . وقد عرف بعضهم الحرية بانها الاستقلال المطلق والاكتفاء الذاتي ، الا ان هذا التعريف مغلوط ، اذ ليس في مقدور احد أن يستقل استقلالا تاما عن غيره ، ويكتفي بذاته دون ان يعتمد على مساعدة الاخرين له ، فنحن مقيدون في بيئاتنا ومحدودون في مقدرتنا الذاتية ، فلا يستطيع كل واحد منا ان يكون موسيقيا عظيما او عبقريا من العباقرة ، فلسنا اذا أحرارا لنكون ما نريد ، لان طبائعنا البشرية تعيدنا وظروفنا الخاصة وعوامل وراثتنا تتحكم فينا ، ثم ان الواحد منا لا يرغب في حياة العزلة والانفراد ، لان الانسان كائن اجتماعي او جزء من المجتمع الانساني ، فلا مفر له من العيش ضمن اطار المجتمع ، مكونا علاقات اجتماعية مع غيره ،ومعتمدا على من حوله من اجل نموه وسعادته .

لقد وصف الفيلسوف الانكليزي جون لوك ، في اواسط القرن السابع عشر ، الحرية بقوله : « ولد افراد المجتمع احرارا بحكم الطبيعة ، ولهم حقوق طبيعية في حياتهم وحريتهم وأبدانهم وأموالهم، فالله تعالى وهبهم هذه الحقوق لانهم خدامه وخلائقه » . وقال الكاتب الانكليزي توماس باين ، في القرن الثامن عشر ، « يولد الناس متساوين احرارا ، وهدف المجتمعات السياسية صيانة حقوق الانسان الطبيعية!»

بناء على ما تقدم تحقق الحرية للمرء حقوقه الطبيعية وتتيح له أن يكمل نفسه ، ويظفر بشخصية موفورة الكرامة ، كما ان المساواة تسير جنبا الى جنب مع الحرية ، فهي التي تكسب الانسان حظا من الانصاف بعصم القوي من الاستعلاء على الضعيف والغني من التحكم بالفقير ، والقادر من التفوق على العاجز ، فالحرية والمساواة والحالة هذه توأمان لا غنى للواحد عن الاخر .

ان طبيعة النفس متصفة بالروحانية والتعالي على المادة ، فخواص المادة ليست بخواص الروح ، وبما ان النفس غير منحصرة في دائرة المادة ، فهي ممتدة القوى ، متجهة نحو الاشياء غير المحدودة ، لذلك اتسعت سلطتها على الكائنات ، وهذا الاتساع مصدر حريتها ، لان النفس تشرك العقل في غزارة حياتها اشراكا يمنحه القدرة على معرفة الاشياء المختلفة منزهة عن المادة ، وقوة الارادة تابعة لقوة العقل ،وبذلك تتصف بالميل الى الموجودات المطلقة ميلا تنجم عنه حريتها .

وفي طيات الحرية تبرز المسؤولية الادبية ، فالانسان يستطيع ان يفعل ما يحب ويشتهي ، ولكن لا ندحة له عن ان يستشعر في نفسه بالراحة والطمانينة اثر فعله الخير ، وبالاسف والندامة بعد اقترافه الشر ، ومعنى هذا ان المرء يحب الا يفعل كلما تصبو اليه نفسه، بل ما يجب عليه عمله كل ما هو حق وصواب ، وهذا أمر يفرض المسؤولية الادبية علينا ، وهذه المسؤولية تفرض الحرية ، اذ من المعلوم انه حيث لا حرية فلا مسؤولية ، ولولا الحرية لاضحت حياة الانسان دون معنى ولا غاية .

وكلما اقترب الانسان من المثل العليا ، اقترب من الحرية التامة، ومتى وجدنا رجلا يميل الى الخير وينفر من مجرد تصور الشر ، ثم ينعطف الى الحق والمحبة لا يرضى بهما بديلا ، حكمنا انه قد حقق في نفسه الحرية الكاملة ، بينما اذا رأينا رجلا يؤثر النفاق والظلم والفجور ، حكمنا انه قد ابتعد عن الحرية بل أضحى مناوئا لها . فالقابلية لاختيار الشر ، بناء على هذه القاعدة السليمة ، ليست من كمال الحرية ، بل من دلائل ضعفها وانحطاطها ، بل من آفاتها ومثالبها. ان صانع الشر من تلقاء نفسه ينقص حريته بدلا من ان يزيدها ،وكلما تمادى المرء في ارتكاب المساوىء ، وامعن في اقتراف الرذائل ، قعدت به حريته عن اظهار شخصيته على حقيقتها ، فيصبح في مظهره وتصرفاته كالذليل المستعبد .

والحرية نوعان : الحرية الفردية والحرية الاجتماعية ، فالحرية الفردية هي سير ارادة واحدة في سبيل الخير ، وكلما تكاملت حرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءات الماء

كلما ركضنا في الطرقات سقطنا في البحر

تكبر في الغرفة نقطة الظلام
حديقة زنجية
تعرق في اغصانها ، لهفتنا الصيفية
ووجهنا البعيد .
وفي الفراش يلبد الصقيع
لا قمر الحنين اعطى قلبه ـ لصوتنا
ولا تغطي حسنا
مقالع الجليـد .
الصيف لا الشتاء في عروقنا
ودائما في وجهنا الربيع .
ورقدت ذاكرة الغربة في الفراش
مغارة قد حفرت سردابها رياحنا ،
وعنكبت بسرها الحياه .
الصمت حافي القدم
تناى بـه غربتنا
وتحت حائط المساء
تخلخلت طبيعة السرور

وحرقت غرفتنا الباهتة الصماء احزاننا ..
اتسعت حقيقة الظلام
عيوننا تهتك حرمة القرار
متاعنا حديقة الليل وما ينضجه التعذيب
في قلوبنا من الثمر .
اختلطت قافلة الصور ببعضها
وشكلت بحيرة القلق
تغرق فيها النفس والمكان عائم
تنفيه عزلة القدر .
حقيقة تجتاز ذاتها
تعيد صوتها المياه
تغسر الوصول
كأن غربة البعاد تنزف الدماء في عظامها
تثقب جدران الابد
وتولد الفصول

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرد ازداد حبه للخير والصلاح والعدل وسائر الصفات التي تكون دعامة المدنية الحقة . أما الحرية الاجتماعية فهي سير مجموع من الارادات في طريق واحد تدفعها اهداف انسانية واحدة وغايات نبيلة مشتركة . ويلاحظ ان المجتمعات التي تتوفر فيها الحرية الاجتماعية تكون اسبق من غيرها الى اجتراح الخير والاحسان ، فهي ابدا دائبة على تنفيذ مبادئها الانسانية ومحاربة جيوش الجهل والرذيلة .

أما الحرية المزيفة الكاذبة التي يفهم منها أربابها التفاضي عن المبادىء الادبية والقيم الروحية والنظم الاجتماعية ، فيهدف ناشرو لوائها ، سواء أكانوا افرادا ام جماعات ، الى تضليل العقول وافساد النفوس ، ومساواة الحق بالباطل ، والرذيلة بالفضيلة ، وايهام الناس بانهم على حق وصواب . فهؤلاء يبذلون قصارى جهدهم لاعلان هذه المبادىء الهدامة ونشرها بين الورى باسم الحرية ، الا انهم سرعان ما يكشف امرهم وتعلن طويتهم ، فينفر منهم كل ذي عقل سليم ، ويعرض عنهم كل من فيه بقية من مبدأ او ضمير ، ذلك لان الشر مهما طغى وتفاقم ، فلا بد ان يتلاشى في نهاية المطاف . ان الحرية هي في منزلة السائل الحيوي المندفع في العروق ، ولكن اذا اسيء استعمالها كانت شرا ونقمة ، فاذا ما أطلقت من عقالها وتجاوزت حدودها ، ولم يحطها رادع من عرف او تقليد ، كانت الفوضى بعينها تسمح للقوي باستباحة حق الضعيف ،وللخبيث بالتلاعب بالنزيه ، وللجشع بالاستئثار بجهود العامل واتعابه ، وبعبارة اخرى تضحي عدوانا على حريات الاخريـن وامتهانا لكرامة المجتمع وحقوقه .

ومن جهة اخرى اذا سعى الرأي العام في قطر من الاقطار لطمس حرية الفكر والقول ، فمعنى ذلك انه تعمد طمس صوته القوي ، لان الرأي العام انما ينشأ ويتكون من حرية التعبير عن فكره ومشاعره، وفي الوقت نفسه اذا حاولت حكومة ما اخماد حرية الفكر واسكات صوت الحق ، أثارت ضدها سخط الشعب وعرضت نفسها للسقوط، وفي اعتقادي انه ما من ملك او رئيس حكومة او امير او زعيم تمادى في أعمال الظلم والاستبداد ، الا لانه ادعى الحرية ادعاء وتمسك بهـا سطحيا ، فلم يشرب قلبه معرفتها وحبها ، وبعبارة اخرى لم تنبـع هذه الحرية من داخله . ان حرية الفكر وحرية البحث والمناقشة وحرية النقد وحرية النشر وحرية العبادة وحرية تبادل الابحاث العلمية والنتائج التي تسفر عنها مع طوائف العلماء في كل مكان ، كل ذلك انما هـو من صور النشاط الفكري والادبي والروحي الذي لا بد منه للانسـان الذي يحمل في نفسه مبدأ التطور والنمو والسمو بالنوع كما برهن لنا على ذلك لامارك وهيجل وداروين وغيرهم من العلماء ، وكل تقييد للحرية في غير حدود المعقول يعرقل هذا النمو ويصد ذلك التطـور، وعلى أساس هذا المبدأ انشئت نظريات التربية الحديثة ، ومن اغراضه نمو الفرد وتطوره !»

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

سميراميس بين الاسطورة والتاريخ

بقلم الدكتور سامي سعيد الاحمد

استاذ الدراسات الشرقية في جامعة دنفر بامريكا

* * *

من الاساطير المسحرة التي ولع بها الكتاب اليونانيون والرومان والارمن وتفننوا في نسج تفاصيلها هي قصة الملكة سميراميس ملكة اشور التي خلدت ذكرها على حد زعمهم بولادتها الغريبة ، وحياتها المملوءة بالمخاطرات وفتوحاتها المشهورة . فديودوروس الصقلي يخبرنا معتمدا على ما كتبه الطبيب كتيسياس بان الملك نانيوس ملك اشور غزا بلاد بابل وارمينيا والميديين وفلسطين وسورية وآسياالصغرى وبنى مدينة نينوى (التي يضعها ديودوروس خطأ على الفرات) وسماها باسمه . وبعدها ضاقت به الدنيا ذرعا فغزا باكتريا (بلاد افغانستان الحالية) وهناك كما تروي القصة رأى سميراميس عندما التحقت بزوجها وتزوجها . وحياة هذه الملكة كما يرويها المؤرخ اليوناني هذا وغيره عجيبة حقا فقد نتجت عن اتصال الآلهة دركيتو ، الآلهة السمكة لمدينة عسقلان ، باحد عباد الآلهة افروديت . فخجلت دركيتو من نفسها لهذا العمل الشنيع وندمت لفعلتها فتركت الرضيع بعد الولادة والقت به عند بحيرة قريبة . فأتت طيور الحمام واعتنت بالمولودة الى ان عثر عليها راعي غنم بالمنطقة فاخذها ورباها ومن ثم قدمها الى الملك العقيم سحماس الذي رباها وزوجها عندما بلغت سن الرشد من الضابط الاشوري أونس الذي وقع في حبها .

ومرة كان اونس هذا مع ملكه نانيوس في حملته ضد باكتريا وعندما طال امد حصار باكتريا ارسل أونس الى نينوى من يجلب زوجته سميراميس له . وحالما وصلت سميراميس الى موقع المعركة وشهدت حالة اليأس التي تعتري المقاتلين ، آنذاك طلبت ان تمنح عددا من الجنود وعندما تسلمتهم هجمت على القلعة وفتحتها . ولما رأى نينوس عظم عملها وشجاعتها اكبرها واخذها من ضابطه وتزوجها نفسه . وقد خلفت من الملك نينوس ولدا سموه نينياس . ويخبرنا المؤرخون اليونان بان هناك ثلاثين جيلا من الزمن بين نينياس هذا والملك ساردانابولوس آخر ملوك اشور الاقوياء على حد زعمهم . وان خليفة نينياس العشرين اسمه تيوتاموس الذي عين محنون لقيادة الحملة التي عهد اليها غزو طروادة . ولما كنا نعرف على وجه التقريب زمن غزو طروادة (حوالي ١٢٠٠ ق.م) واذا افترضنا ان مدة الجيل الواحد ٢٥ سنة فيكون اواسط القرن الثامن عشر ق.م هو زمن حكم الملكة سميراميس بحسابهم .

وبعد وفاة نينوس دفنته زوجته سميراميس في قبر عظيم وبنت مدينة بابل واحيت او استجدت الكثير من مشاريع الري هناك . ويذهب ديودوروس مفصلا رحلاتها في جنوب غرب اسيا وبنائها للكثير من المباني الشاهقة والطرقات والقنوات وخزانات المياه . وزارت في ليبيا معبد وحي الآله آمون الذي تنبأ لها بالمستقبل واخبرها بنية ولدها في التآمر على حياتها . وبعدها حاولت غزو الهند بجيش قدره ثلاثة ملايين جندي والبست بعض رجالها جلود ثيران سود محاولة ايهام المعسكر الهندي بان لديها الكثير من الفيلة ولكن سرعان ما عرفت حيلتها وانكشفت الى العدو وهكذا باءت حملتها بالفشل . وما ان سمع ابنها بالهزيمة هذه حتى قام بثورة آلمت امه التي تحولت الى حمامة وطارت في الفضاء (١) .

ولا نريد ان نناقش هذا العنصر الاسطوري في القصة او المبالغات ولكننا عند فحص محتويات الرواية نرى بأن هناك الى جانب اسم الملكة نقطتين لهما ما يشابههما في المصادر الاشورية . فالحمامة كانت الطير المفضل عند الاشوريين وكذلك الاقوام السامية كافة (٢) . واسم زوج سميراميس أونس مطابقا الى اسم أوئنس الاله الكلداني الذي ربما يكون نفسه الاله تابو الذي يذكره لنا بروسوس المؤرخ البابلي المشهور من القرن الثالث ق.م بانه اتى من البحر وعلم اهل بابل الكتابة والفنون . والنقطة الثانية بان ما نسبه ديودوروس الصقلي الى سميراميس من استخدامها مليوني رجل في بناء وتعمير مدينة بابل وبنائها قصرين فخمين متصلين بخندق حفرته تحت الماء وسؤالها ملك فارس ان يرسل من يبني لها حدائق معلقة هو في الواقع ما عملاه نيو بلاصر وولده نبوخذنصر من اواخر القرن السابع ق.م من الاصلاحات العمرانية في بابل . وما ذكره لوشيان المؤرخ السوري يطابق الى حد كبير ما سطره لنا ديودوروس مما يدل على مدى الاهمية التي علقها المؤرخون القدماء على ما كتبه ديودوروس (٣) .

اما هيردوتس فقد تعرض الى قصة سميراميس وذكر بناءها لسدود كثيرة في بابل لحماية البلدة من خطر الفيضان . ومن ثم ذكر لنا ملكة اشورية ثانية سماها نيتوكريس اكثر حكمة وروية على حد قوله من سميراميس وجاءت بعدها بخمسة اجيال وخلدت ذكرها بكثير من العمارات التي شيدتها في بابل وبالسدود التي انشأتها والجسر المشهور . ومن ثم بنت لها قبرا ضخما في القسم الشمالي من المدينة وأوصت ان يكتب عليه « ليدخل هنا من يحتاج الى المال من الملوك » وفعلا كسر الباب ودخله داريوس الملك الفارسي ولكنه وجد عوضا عن المال ما

نصه في كتابة منقوشة « لو لم تكن شريرا وطامعا في المال لما دخلت قبر الميت وازعجته » (٤) . وما اورده هيردوتس يحتاج الى امعان اكثر فقد ذكر لنا المؤرخ الروماني بلوتارخ الذي عاش اكثر من اربعمائة وخمسين سنة بعد هيردوتس نفس قصة القبر التي سردها هيردوتس ولكنه ينسبها الى سميراميس . وعلى حد قول بلوتارخ ان سمير اميس بنت لها في حياتها قبرا وكتبت عليه ما يلي (أي ملك يجد نفسه في حاجة الى المال فله ان يكسر هذه البناية ويأخذ منه ما يشاء) . وفعلا كسر باب القبر هذا الملك داريوس ودخله ولكنه لم يجد شيئا سوى نقش كتب فيه (لو لم تكن رجلا طامعا في المال وشريرا لما كنت ازعجت محلات سكن وراحة الاموات) (٥). اما ذكر هيردوتس لنيتوكريس فلقدكتبته السيدة هيلد كرد ليفي في مقالة طريفة لها وقالت انها لا بد وان تكون الملكة نقية (زاقوتي) زوجة سنحاريب الثانية المفضلة وأم الملك أسرحدون والتي لعبت دورا خطيرا في حياة زوجها وسيرت سياسة الامبراطورية الاشورية طوال المدة التي بقيتها مع سنحاريب وطول مدة حكم ابنها ، وربما حكمت بابل عندما كان ابنها حاكما هناك في عهد ابيه . ونقيضة هذه هي التي اقنعت سنحاريب باسناد ولاية العهد الى ابنها وحرمان أولاد زوجها من زوجته الاولى تاشميتوم ـ شرات مما ادى الى غضبهم وقتلهم والدهم (٦) . وهناك من يذكر عن سوء خلقها فدايو كريسوستوم يقول (انا أعرف عن امراة طاغية اسمها سميراميس طغت عليها الشهوة حتى عند كبرها وكانت تجبر الرجال على الاختلاء معها) . (٧) والمؤرخ الروماني بليني الكبير يفصل خبر حرقها لنفسها في بابل عند سماعها بمقتل حصانها المفضل (٨) .

وفي كتابات بارثينيوس نجد كلا من الشخصيتين دافني وجالو يذكران قصة حب وزواج شبيهة كل الشبه بغرام لنينوس وزواجه من سميراميس (٩) .

وتفصل لنا القصة الارمنية كيف ان الملك أرا حكم بلاد ارمينيا نيابة عن نينوس . ولكن الملكة الشريرة سميراميس كانت قد سمعت عن جمال أرا وحسنه فما ان مات زوجها أو هرب الى كريت حتى أرسلت الى أرمينيا رسلا مع هدايا عارضة على أرا الزواج منها والحكم على البلاد الاشورية جمعاء او اطاعتها في ارضاء رغباتها الشهوانية ومن ثم الرجوع الى ارمينيا بسلام واجلال مع الكثير من الهدايا والاموال . ولكن أرا رفض ذلك مما أغضب سميراميس وحملها على تجريد حملة كبيرة لغزو أرا في عقر داره . وقبل الهجوم اخبرت القادة انها لا تريد الا امساك أرا ولكن أرا هذا مات في اول معركة من القتال . وما ان سمعت سميراميس حتى خرجت تولول مفتشة بين جثث القتلى ، وفعلا وجدته صريعا فأمرت بوضعه في غرفة بقلعتها . وعندما ثارت أرمينيا للانتقام لملكهم أخبرتهم بأنها قد توسلت لدى الالهة ان يلطعوا جروح أرا ويرجعوه ثانية الى الحياة . واستخدمت سميراميس كل فنون السحر المعروفة آنذاك ولكن هيهات فلا رجعة لأرا الذي بدأ جسمه بالتفسخ والتعفن حتى أمرت الملكة بدفنه . وبعدها امرت سميراميس أحد رجالها ان يدعي بأن أرا احيته الآلهة وأقامت سميراميس الاعياد لذلك شاكرة الآلهة على جميلهم وحسن صنيعهم وأصدرت ارادتها الملكية بتعيين نوثرات نجل أرا ملكا على بلاد أرمينية . (١٠)

وهنا نجد التشابه الكبير بين ما يرويه دايو كريسوستوم وتسرده الرواية الارمنية عن سوء خلقها

(1) C. H. Oldfather, Diodorus Siculus' (London 1933) Vol. 1, VIII
(2) R. Smith, The Religion of the Semites, (New York, 1959), P. 99
(3) A. M. Harmon, Lucian, Loeb Library, (London, 1925), Vol. IV, pp. 354
(4) Herodotus, 1 : 184 - 187
(5) Babbit F.Cole, Plutarch, Moralia, (London, 1931) vol. 111, p. 15
(6) Hildegard Levy, Nitokris-Naqia, JNES, X, (1952) pp. 264 ff.
(7) Crosby H. Lamar, Dio Chrisostom, Loeb Library, (London, 1946) vol. 4, pp. 269 ff.
(8) Pliny's Natural History, 1, VIII
(9) Thornley G., Partheneus, Loeb Library, (London, 1935) p. 233.
(10) Boyajian Zabelle, Armenian Legends and Poems, (New York, 1958) p. 23 ff.
(11) The Mahbharata, Adi Parva, section, LXXi, Lxxxii, Roy's translation pp. 213-16.
(12) G. Ayscough, Semiramis, (London, 1776)
(13) W. J. Craig, Ed. The Complete Works of William Shakespeare, Titus Andronicus, (London, 1923) pp. 858-61.
(14) Taming of the Shrew p. 281
(15) G. Byron, The Poetical Works of Lord Byron, (Boston, 1871), vol. VII, pp. 16-24; Osgood, Ch., Concordance to the poems of Edmund Spencer, (Philadelphia, 1915) pp. 503, 563; F. A. Patterson, The Works of Milton, (New York, 1923) vol. VII, pp. 821 - 24.
(16) J. B. Bury, S. A. Cook, F.F. Adcock, ed, The Cambridge Ancient History, (New York, 1925) Vol. 111, p. 27 ff.
(17) A. T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1923) p. 158.
(18) Hugo Winckler, The History of Babylonia and Assyria, (New York, 1909) p. 231.
(19) D. A. Mackenzie, Myths of Babylonia and Assyria, pp. 272 ff. ; C. F. Lehmann-Haupt, Die Historische Semiramis und ihre Zeit, (Tübingen, 1910)
(20) G. Goossens' La reine Semiramis de l'histoire à la legende (Leiden, 1957)

وشهوتها ، وربما يدل على ان مصدر معرفة دايو لسميراميس كان عن طريق الادب الارمني .

ولقصة سميراميس ما يشابهها في الادب الهندي القديم في اسطورة شاكونتالا التي كانت ابنة الحكيم قسوام اترا ومناكا الحورية السماوية وقد وضعتها لها على ضفاف نهر ماليني . ومن ثم تركتها فأعتنت بها النسور وحمتها من الخطر حتى اكتشفها حكيم آخر ورباها وسميت شاكونتالا اي (التي حملتها الطيور) (١١) .

ويذهب جيمس فريزر في كتابه الفصن الذهبي الى القول ان الاسطورة ما هي الا البقية الباقية من العادة القديمة في تعيين ملك وملكة لمدة معينة فقط . وان سميراميس لعبت دور الربة الام والملك القسيس لقي حتفه . وهنا يستشهد فريزر بما اقتبسه يوحنا الانطالي من سنكللوس حيث يقول (ان الاطلال التي تقترن اسماؤها بسميراميس في انحاء آسيا الغربية هي قبور عشاقها الذين كانت تدفنهم أحياء) اي بعد انتهاء مدة حكمهم القصير . وقد شارك بعض العلماء الاستاذ فريزر رأيه هذا وزادوا اليه بان شهرة قصة سميراميس نفسها تدل على الرغبة في احياء عبادة الالهة الام .

ويزيد أوفيد الكاتب الروماني بان احد احفاد سميراميس بولي ديمون الذي ذبحه برسيوس بعد أن اطلعه على راس مدوسا في فلسطين محولا اياه الى حجر لان بولي ديمون أراد أخذ زوجة برسيوس لنفسه . وتعيد هذه الرواية الى ذاكرتنا قصة وقوع نينوس في غرام سميراميس بباكتريا .

وقد ولع كتاب العصور الوسطى والحديثة ايما ولع في قصة سميراميس ، فأيسكو كتب مأساة سماها سميراميس عرضت في لندن سنة ١٧٧٦ آخذا القصة من كتابات الكاتب الفرنسي فولتير وهي تشبه كل الشبه رواية ديودوروس الصقلي . ولكنها تظهر في القصة المرأة التي قتلت زوجها وندمت على فعلتها ببناء قبر عظيم له ومن ثم أراد ابنها نينياس الانتقام لابيه فتخفى في شخص اسوريس وتزوج سميراميس قاتلا اياها بعد ذلك (١٢) . وذكر قصتها ايضا كل من ويليام شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦) وجون ملتون (١٦٠٨ – ١٦٧٤) وادموند سبنسر (١٥٥٢ – ١٥٩٩) . فشكسبير في احدى مسرحياته تيتوس اندرونيكوس يذكر تامورا ملكة القوط بأنها سميراميس ، وبعدها يقتل ابن تامورا ابن الملك الروماني باسيانوس عشيق لوفيانا ابنة تيتوس أندرونيكوس الضابط الروماني الذي حارب القوط (١٣) . وفي مسرحية أخرى لشكسبير يذكر لنا حب سميراميس للمتعة الجنسية (١٤) . وذكر بيرون في مقطوعة له شجاعتها وبلاءها الحسن في باكتريا (١٥) .

فمن هي سميراميس هذه ؟ وماذا يذكر لنا التاريخ عنها ؟ سميراميس هي الملكة الاشورية (شمموراميات) زوجة الملك الاشوري شمشي – اداد الخامس المتوفي سنة ٨١١ ق.م . ولما مات زوجها كان ولدها الوحيد لابيه وولي العهد قاصرا كما يظهر ، فصارت وصية عليه لمدة ثلاث سنوات ٨١١ – ٨٠٨ ق.م حكمت بموجبها بلاد أشور – وعلى هذا فالمصادر اليونانية صورتها ومثلت حكمها وحددته بحوالي ٩٠٠ سنة قبل ولاية سميراميس الحقيقية . ولقد عثر الاثريون على مسلة من بلاد اشور عليها أسماء بعض الملوك والموظفين الكبار . وكان اسم شمموراميات (سميراميس) عليها كزوجة لشمشي أداد الخامس . والنقش الثاني وجد في مدينة كالح مكتوب على تمثال للاله نابو معنون الى الاله نفسه من حاكم البلدة بل – تارو – الوما ، وفيه يسأل الاله ان يعطي الصحة والعافية الى الملكة سميراميس والملك اداد – نراري ابنها (١٦) . ومجرد ذكر اسمها يدل على انها قد تمتعت بمركز محترم . وفعلا يخبرنا التاريخ بان سميراميس الاشورية قد وسعت رقعة الامبراطورية الاشورية ودحرت جيوش الميديين والكلدانيين . وفي زمن الملكة سميراميس دخلت المقاطعة كوازانا ضمن حدود اشور . وفي سنة ٨٠٨ ق.م غزت الجيوش الاشورية بلاد الماناي الى الشرق بقيادة نركال – ايليا الذي لمع اسمه في كل الحروب والانتصارات زمن هذه الملكة (١٧) .

ومن المؤرخين من يرفض القول بان سميراميس المصادر اليونانية والارمنية والرومانية قد قصدت الملكة الاشورية شمموراميات ، ومنهم الاستاذ فنكلر (١٨) . ويذهب لهمان هوبت الى الاعتقاد بان سميراميس ربما كانت من الاسرى التي جلبها الاشوريون من الجنوب وتزوجها شمشي اداد الخامس خاصة وان اكثر المصادر تجمع على اصلها البابلي ، ونص البعض على ذكر احتمال وجود علاقة بين اساطير عشتار وتلك التي نسبت الى سميراميس (٢٠) .

دنفر – كلورادو

سامي سعيد الاحمد

لا جدوى

أنا وافتكاري .. كم تجادلنا سدى !
كاليم يقذف موجه ويرده
مما يهين النفس ان جدالنا
يضني ولا يجدي فتيلا جده
أسرفت في طلب الخيال فلم أزل
كالصب يضرع والحبيب يصده

حلب

علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى البير أديب

يا هاديا خلف الستائر يقبع ... والحبر زادك والبراع الطيع
من نور عينك كم وهبت لتائه ... سار الى مجد الذرى يتطلع
وسخوت، في صمت الدجى، متصوفا ... تعطي بقية ناظر وتوزع !
خمسا وعشرين انقطعت لعزلة ... متنسكا تبني النفوس وتصنع
متواريا والساح في جنباتها ... فدم يصول ومدع يتنطع
ومكلف بالشر ينفث سمه ... ويرى له في كل بغي اصبع
يكفيك ما تروي بصمت سحابة ... وتبث من ضوء الحروف وتزرع
شرف البنفسج ان يضوع مخبأ ... متواضعا وهو السني الاروع !

يا مرسل النفحات كم من ناشيء ... امسى بزيتك يستنير ويبدع
ومواهب غشى فرائدها الثرى ... فاذا بها الماسات عندك تلمع
كم جلسة للشعر اخوانية ... ننسي بها الكدح الشقي ونهجع
ونعيش بالمثل العزيزة لحظة ... سحرية لنعود فيها نفجع
والمدعون النبل في نزواتهم ... لا يعلمون بما يرى او يسمع
هم كالنعامة حين تغرز رأسها ... في رملها وبوهمها تتقنع
يتخيلون بانهم في نجوة ... من اعين بسنى الحقيقة تسطع
وتثور في وجه الضياء نفوسهم ... اذ تستشف وبالصراحة تصفع
يا للغباء ، ايجهلون بانهم ... فقدوا الصفاء وضيعوا ما ضيعوا
وبان في زيف القناع وليله ... تخفى الوجوه وليس يخفى البرقع !

يا باسما للصحب في مرح الصبا ... كيلا يبوح بما تكن الاضلع
ومسلسلا للناس ذوب فؤاده ... فرحا يضيء .. ونفسه تتقطع
اين الذين مهدت تربة مجدهم ... فتنعموا بثمارها وتمتعوا
ونسوا ، باغداق النعيم ، معلما ... في زحمة الابواب لا يتسكع
ويروح يزحف والمديح بخوره ... ويظل يصطنع الولاء ويخضع
ليكافئوه بمنصب في مثله ... تشرى الضمائر والمواهب تصرع
ولأنت من ركل المناصب ثائرا ... في وجه من غصبوا البلاد وروعوا
والخائنون على مسارح غيهم ... كثر .. الى بذل الكرامة نزع !

يا زاهدا بالمال في العصر الذي ... يحني الجباه لمالكيه ويضرع
ويظل مثل البحر في هيجانه ... يهفو الى النهر الصغير ويطمع
لو شئت كالغير الثراء لنلته ... واقمت في النعم السليبة ترتع
لكن ، وانت مهيأ لرسالة ، ... آثرت بالبلغ الشريفة تقنع
وعلمت حين نكن في اعماقنا ... طيب الرسالات التي تتضوع
ان السعادة في عطاء نفوسنا ... ونعيمها ما فاض منها ينبع
وبان هذا الخارجي بهارج ... بسرابها تغري الظماء وتخدع
لي في الاديب اذا انتسبت اومة ... اشدو بيوم وفائها وارجع
وهناك في دنيا العروبة فضلها ... فضل له في كل قلب موضع
هي واحة الملهوف في صحرائها ... يأوي اليها في الهجير ويهرع
وحروفها للتائهين بليلها ... شعل على قمم الهداية شرع
يمضي الزمان بشامخات قصورها ... وبناؤها الدهري لا يتزعزع !

فؤاد الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يدهش س .. حين تلقى البرقية ، فقد كان يعلم حق العلم انها آتية ذات يوم . لهذا شعر بشيء من الضيق والانقباض والالم . وتمنى ـ وهو يعرف ان امنيته امر مستحيل لا سبيل الى تحقيقه ـ لو كان بالامكان ارجاء ذلك الى موعد آخر . ومع ان ما جاء في البرقية كان كلاما موجزا واضحا لا غموض فيه ، فقد اعاد قراءتها غير مرة . من غير ان يعرف لذلك سببا او هدفا . كانت البرقية تقول : « ستعود الينا على اول طائرة تقلع من المطار ، صباح الغد » . وكان ذلك اشبه بالاوامر التي يصدرها قائد لجنده في معركة سريعة ولعل اكثر ما آلمه انه لم يهيىء نفسه لهذه الرحلة المفاجئة البعيدة التهيئة الكافية . لكم تمنى لو انذر قبل فترة طويلة ، او قصيرة على الاقل ، بهذه الرحلة بحيث يتدبر شؤونه ويعد اموره . صحيح انهم اعلموه حين جاء الى هذه البلدان ان اقامته فيها مؤقتة ، وانه انما جاء اليها لينفذ ما اوكل اليه من اعمال . وانهم سيستدعونه متى انتهى عمله او حين يرون ان عليه ان يعود ولو لم تنجز أعماله ، اذ سيرسلون شخصا آخر يتمها ، فلا علاقة له بذلك البتة . ولقد مرت به فترة ، بعد وصوله الى هنا ، كان يفكر فيها في تلك البرقية التي حدثوه عنها ، ومع كر الايام اغفلها وتناساها ، وان كانت تخطر له بين حين وآخر . ولهذا فلم يكن له ان يفاجأ بهذه البرقية ، ولكن ذلك كله لم يمنع عنه شعوره بهذه الغصة التي تحز في حلقه كالسكين .

وتطلع الى ما يحيط به في منزله الصغير فرأى اكداسا من الاشياء ، وشعر بالحيرة . ماذا سيفعل بها . وماذا يأخذ منها وماذا يدع ، وخطر له ان يتفحصها ويفرز الاشياء الهامة منها ، ويبيع ما لايستطيع اخذه معه ، او ما ليس له قيمة . الا انه قدر ان مثل هذا العمل يتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا ، وليس في وسعه ان يقوم بذلك الان ، فالنهار قد مضى اكثر من نصفه ، ولم يبق لصباح الغد الا ساعات معدودات ، مهما كان عددها فلا بد ان تنتهي . فقرر ان يترك كل شيء في مكانه ويمضي دون ان يأبه بذلك . واقتصر على استخراج ثوب جديد له فارتداه وانطلق مسرعا نحو فتاته لينبئها برحيله ويودعها ، ويقضي معها هذه الساعات الاخيرة التي بقيت له في هذا البلد .

وصح ما توقعه من دهشتها والمها ، حتى كادت عيناها تغرورقان بالدموع ، ومع انه كان قد اعلمها منذ زمن بعيد ، بأن اقامته قصيرة الامد ، مؤقتة ، في هذا البلد فانها تلقت نبأ رحيله وكأنها تسمع به للمرة الاولى ، او كأنه أول انسان يسافر امامها . وعمد س .. الى التخفيف عنها ، ثم اصطحبها الى مقهى هادىء بعيد ، يقوم على تخوم البلدة ، في منطقة جميلة تغمرها اشجار السرو والصفصاف ، وقال لها :

ـ سنقضي معا هذه الساعات الاخيرة من هذا اليوم ، حتى آخر ساعاته .

ولم تجبه ، بل ضغطت على ذراعه ، كأنها تخاف ان يفلت منها ، ولم تتفوه طوال الطريق بكلمة .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جورج سالم



كانت المفاجأة قد أذهلتها ، وكان الالم يرتسم على وجهها بخطوط عميقة حادة .

لم يكن في المقهى رواد كثيرون ، ان هم الا عدد من الاشخاص انتشروا ، في بعض أرجائه . ولبثا صامتين مدة لا يعرف س .. كم طالت . كان يبدو كل منهما مستغرقا في تأملاته الخاصة . ولكنهما كانا ، في الواقع ، يحومان في حلبة واحدة : هذا السفر السريع المؤلم المفجع . رفعت الفتاة رأسها وقالت ، وهي تعرف سلفا ان لا فائدة من قولها ، ومع ذلك فقد كان شيء ملتهب حار يحدوها على أن تقول له :

ـ أما من سبيل الى الغاء السفر او ارجائه ؟ .

لم تنتظر الجواب وحاولت التجلد كيلا تفضحها دموعها . وقالت في نفسها : « لنرجيء ذلك الى وقت آخر ، حين يختفي بعد ساعات ويغيب في امواج الفضاء » .

أدرك س .. انها عرفت جوابه ، وانها كانت تعرفه قبل ان تقول ما قالت فالتزم الصمت .

نظر الى الشمس تلملم خيوطها الصفر كأنها حاو يبسط اشياءه على الارض طوال النهار ، وقرر من بعد ان يعود الى منزله فراح يجمعها لا متباطئا ولا عاجلا . ومر بائع الجرائد الكهل حاملا على ذراعه مجموعة كبيرة منها ، فأومأ اليه س .. أن يقترب وابتاع جريدة دون ان يعرف لماذا ، ودون ان يحدد ايها يريد . وراح يلقي على صفحاتها نظرات مسرعة خاطفة . ثم نظر الى الفتاة وابتسم ابتسامة سريعة شاحبة :

ـ ما الذي يحدوني على معرفة أخبار العالم وتطوراته .

فهزت رأسها موافقة : صحيح .

ثم أضاف : وكذلك الاخبار المحلية لم تعد تهمني .

وقالت بالحركة نفسها : صحيح .

ولكنها رأته وقد استوقفته احدى الصفحات فاستغرق فيها أو هكذا بدا عليه . قالت له وكأنما تكـــره نفسها على الكلام : أين انت .

فأجابها فيما يشبه البرودة :

ـ في صفحة الاموات .

قالت بجدية صامتة :

ـ أنا لم افهم قط .

فأجابها :

ـ معك حق ، وانا كذلك ، مـن يدري ... ألقى الصحيفة جانبـا وراح يتأملها .

كانت تصغي اليه ، أكان يوجـه اليها الكلام أم كان يتفكر بصـوت عال : « اشعر ان السنوات التـي عملت فيها ههنا واشعر ان السنوات التي عرفتك فيها واحببتك خلالهـا قصيرة جدا ، مرت كلمح البصر . أما اليوم الذي تم فيه لقاؤنا فاراه بعيدا ، بعيدا كأنه موصول ببدايـة الابدية .

ثم وجه كلامه اليها قال :

ـ لا اريدك ان تتألمي . حاولي ان تنسي ولسوف تنسين .

قالت باقتضاب : لا .

فأجابها : الزمن كفيل بتسويـة الجراح .

فسألته :

ـ الـن ترسـل الي رسائل أو أخبارا ؟

ـ لا أرى حاجـة الى ذلـك ولا فائدة .

مسحت دمعة صغيرة افلتت منها رغما عنها وقالت : الن تطمئنني عن وصولك ؟

ـ سأصل ما في ذلك ريب .

فقالت ملتاعة :

ـ ولكن الى أين ؟ الى اين ؟

وشرد لحظة وهو يردد في نفسه « الن أين ؟ ثم رفع رأسه وقال بلهجة حاول ان تكون طبيعية :

ـ الى المكان الذي جئت منه .

ـ لم تحدثني عنه قط ، أتـراك تتذكره في وضوح ؟

ـ كـلا !

وعـاد كل منهما فـلاذ بصمته وبشريط مـن الماضي فيه آمـال شتى ، وشيء من المباهج والافراح وبعض الآلام والاحزان ، أقبـل النادل يسألهما ماذا يشربان . لـم يسألهـا هذه المـرة رايها ، وقـال للنادل فورا :

ـ فنجانين قهوة ، سكر قليل .

عادا الى نفسيهما فور اختفائه . وكأن طرأ خلل خفيف على مسـيرة الذكرى ثم لم تلبث ان تابعت مسيرتها. همست بصوت ضنين خافت يخاف ان يسمعه احد ، ولم يكن بالقـرب منهما انسان :

ـ ومع ذلـك فقد كانت الايـام جميلة . وكانت علاقتنا جميلة .

فتمتم كأنه يصلي :

ـ جميلة جدا بحلوها ومرها .

ـ لم يكن فيها شيء مر .

ـ بل قولي لقد نسينا كل مرارتها

فسارعت الى القول :

ـ من المؤسف ان تتوقف .

ـ من المؤسف جدا .

ووجد نفسه مكرها أن يلقي عليها هذا السؤال : اتعرفين لماذا كانت جميلة ؟

ـ اعتقد انني اعرف ، ومع ذلك فقل رأيك .

قال لهـا ببساطة : لانها كانـت صادقة خالية من الزيف والخداع .

فأيدته بحركة من رأسها .

تناهت اليهـا اصوات سيارات قادمة من بعيد ، فالتفتا عن غـير قصد .

ـ ماذا هناك :

ـ لا ادري . ارى موكبـا مـن السيارات .

وفي الواقع فقد كان هناك رتـل كبير من السيارات يتقـدم ميممـا الجبل . ولم يلبثا ان استبانا جنازة بدلالة باقات الازهار التي لاحت لهما أول الامر ، ثم سيارة الموتى وبعدها موكب المشيعين . قالت الفتاة :

ـ هل نسيت ان المقبرة قريبة من هذا المقهى ؟

قال لها في حسرة :

ـ لقد نسيت اشياء كثيرة .

ثم اضاف شيئا من الاعتذار : مـا كان ينبغي ان انسى ذلك ، ولم يكن ينبغي ان أنسى سفري قط .

وحل بينهما جدار من الصمت لم يكن اي منهما يجرؤ على اقتحامه . شعر بالعطش فطلب من النادل ماء ، ثم عاد فطلب الماء ايضا .

قال لها وهو يهم بالوقوف :

ـ لا بد ان نذهب .

فلم تجبه ، بل نظرت الى ساعة معصمها ، كانت هدية منه . قالت له :

ـ سيكون الزمان بعـد رحيلـك طويلا ، طويلا .

ـ ليتني اعرف كيف سيكـون الزمان هناك ؟

.. في طريق العودة قال لها :

ـ تركت الغرفة كما هي لم المس اشياءها . خذي المفتاح ومري متى شئت ، فقد يكون فيها اشياء لـك أو اشياء تحتاجين اليها .

قالت : لست بحاجة الى شيء .

فقال في الحاح : تركت في الدرج المقفول كل ما استطعت أن أجمع من مال . فخذيه ..

قالت :

ـ سأدبر أمري كما دبرته كـل حين .

ـ وهناك ايضـا بعض الصور ، كثير من الصور .

ـ هذه قد آخذها ، بل سآخذها حتما .

★

استطاع بعـد لأي ان يخلص ذاته من بين ذراعيها وهي متمسكة به بعنف ، كثمرة ملتفة بقوة على نواتها وسلك طريق المطار شاحب الوجه ، وخلع عليه نور الفجر الضعيف وشاحا رماديا ، احاط به ، فبدا كأنه يجابه خيوط النور . وكان آخر ما سمعه منها قولها :

ـ أما من أمل ولو ضئيلا بعودتك ، أو بلقاء ؟

ARCHIVE
https://archivebeta.Sakhrit.com

وأحيا بذاتي

ـ .. وأكبر مني ....
شعاع .. يضوىء في عمق ذاتي ..
حكايا تردد معنى حياتي ..
ولحن شرود ...
يكاد .. يكاد .. يلامس ذاتي !
وأعظم مني ...
شروق يجندل ليلي الطويل
يريح عيوني .. وقلبي الكليل
ويسكب من بعضه ..
قطرات ...
تذوب .. تذيب الظلام ..
تزيـل ...
وتبقى بذاتي !
وابدع مني ...
نسيم يدق على باب نفسي
يموسق جوي .. فيزهر حسي
وصوت طيور ...
تحوم .. تغني بوحي الضياء
تجمع حولي .. شتيت الرجاء
يفيض هناء ..
صدى أمنيات .. سكبت عليها
ستار الفناء ..
تعود لذاتي !!
وأجمل مني ...
دعاء .. اعيه بغير حدود
وأصغي اليه .. يفك القيود
وليس كلام .. !
يفوق .. يفوق معاني الكلام
وتسجد نفسي ..
بمحراب نور .. يذوب دعائي
ويرقى الى الله ...
رغم القتام !!
واكرم مني ...
ربيع .. يفيض بعمق كياني
وشمس تضوع بأسمى المعاني
فينمو الحنان !
وتسقي الجداول في جذورا
وتثمر روحي .. معاني الامان !
وتحلو بذاتي !
وابهج مني ...
هناك بعمق شغاف الفؤاد
هناك .. بطيات شوق تعاد
رفيفات نعمى
تبلسم جرحي .. وآلام فاضت
بهمس يسيل ..
يفيض عذوبه
فيمضي انيني .. يذوب السهاد
وأسمو بذاتي !
وأروع مني ...
صفاء .. يغذي اصول حياتي
عيوني تذيع .. انتصار هباتي
بوهج الصفاء ،
ويرتع يومي .. وامسي مروجا
تعج سناء .. تموج ضياء ..
أفيء بعمري ..
ظلال الصفاء ..
وأحيا بذاتي !!

الزرقاء ـ الاردن — للي كرنيك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال مبتسما : انت تعرفين كل شيء ، ولعل الامور لم تبد واضحة وضوحها الان . لا ..

شعرت ان كلمة . لا .. التي لفظها قلبه قدانطلقت من فمه وراحت تتسع وتتسع حتى شملت كل الفضاء الذي يحيط بها ثم راحت تصلب رويدا رويدا حتى استمالت ارضا صلبة انطلقت منها الطائرة التي اقلع فيها وحيدا وبسطت جناحيها في المدى البعيد . وظلت ترقب الطائرة بكل حواسها حتى صغرت وصغرت وغدت اشبه شيء بحبة رمل صغيرة تلتمع في ضوء خيوط الشمس التي اخذت تملأ الكون . ثم تلاشت وتلاشى معها س.

حلب — جورج سالم



نقـــولا يوسف

نقولا يوسف.. الكاتب الانسان

بقلم عبدالعزيز جادو

* * *

عرفت الكاتب الاديب والصديق القديم « نقولا يوسف » ـ منذ صباي قبل ان اراه ـ من مقالاته الباكرة وقصائد الشعر المنثور التي كان ينشرها في صحيفة « السياسة الاسبوعية » بالقاهرة عام ١٩٢٦ وما بعده ، حتى التقيت به وعرفته بالاسكندرية منذ عشرين عاما وكنت يومئذ أصدر بها صحيفة « الشاطيء » منذ عام ١٩٤٨ فكان لنا في رحابها ندوات وجلسات واتيح لي أن اطلع على صفحات حياته ومطبوعاته ومخطوطاته ، وخطر لي مرارا ان أكتب عنه هذه الكلمة في المكان المفضل الذي اعتاد ان يؤرخ فيه لاعلام الادب والفن أعني مجلة « الاديب » الغراء ـ وهذه الكلمة وان لم تكن اول ما ينشر عنه من كلمات ونقدات باقلام أشرت الى بعضها فيما يلي ، فهي في اعتقادي أقرب ما قيل فيه الى الحقيقة والواقع . وهو وان كان معروفا في أوساط الاسكندرية الثقافية خاصة وخارجها عامة فان أكثر ما كتب عنه كان من زوايا محدودة تصور جزءا من كل ، ولا ادعي ان مقالتي هذه صورة الكل .

مؤثرات النشأة الاولى

ولد نقولا يوسف بمدينة دمياط (في ١٢ مارس ١٩٠٤) حيث عاش آباؤه وأجداده منذ أجيال ـ وكانوا كسائر أهل هذا الميناء يشتغلون بالتجارة مع الشرق الادنى وجزره ، ـ ويتصاهرون معهم ، ويتبادلون ايضا العادات والتقاليد الشرقية غالبا ـ وكان رجالهم يلبسون العمامة والقفطان ، والنساء يلبسن « الحبرة » الى اواخر القرن التاسع عشر .. وقنعت هذه الاسرة بكفاف يومها فلم يملك واحد منها ارضا ولا مالا ، ولم يتطلع الى وظيفة او منصب ولم يتخط التعليم الابتدائي ، او يشتغل بالكتابة والادب ، وان كانت هناك ثقافة دينية متوارثة لها كتبها وقصصها ، وشعرها ونثرها ، ولها سير اوليائها وقديسيها ، وما يقام لهم من أعياد ومواسم يشترك فيها الكبار والصغار ـ بل لقد كان احد أجداد أديبنا واسمه « جبرائيل وهبه » راعيا لكنيسة دمياط عام ١٨١٣ ـ تنطبع تلك الصور في ذاكرة الطفل وتحرك خياله وتطوف بهذا الخيال من فجر الخليقة الى حديث العصور ، وتجاور هذه الصور شبيهات لها من دين عريق آخر ـ فثمت المساجد القديمة والمآذن الشامخة ومواكب رمضان وايام العيد ـ « فتتآلف موسيقى النواقيس مع اناشيد المؤذنين وتمر لحظة تغمر فيها المدينة في بحر من الموسيقى الخاشعة العلوية .. » (١) .

وفي أرجاء هذه المدينة القديمة الجميلة يرتع الطفل مع صحابه في العطلات المدرسية على شواطيء نيلها وبحيرتها وفي حقولها وغابات نخيلها ، ويطوف بالمساجد والكنائس والقلاع المهجورة ، والخانات المتهدمة ، في جو مشبع بالذكريات والاحداث والاساطير .

وفي ليالي الشتاء الطويلة ينصت الطفل الى حكايات العجائز اللاتي نشأ بينهن ـ وبخاصة قصة مربيته الحبشية « سعادة » (٢) التي رعته صغيرا حتى وفاتها (١٩٢٠) وكيف خطفها النخاسون من قريتها عند حدود الحبشة والصومال وهي طفلة في السابعة واشتراها جده ورعاها كابنته ـ فشب أديبنا يحب الشعوب الملونة ويهتم بقضاياهم وبخاصة التفرقة العنصرية .

وتلقى الصبي تعليمه الابتدائي « بمدرسة دمياط الاميرية » ـ مبادىء العربية والانجليزية والمواد الاولية وحاز منها الشهادة الابتدائية في صيف ١٩١٧ ، واستطاع ان يقرأ كل ما يقع في يده من روايات بوليسية وغرامية مترجمة الى العربية ، ومسرحيات تتخللها الاشعار ، ويشهد تمثيليات الفرق الزائرة للمدينة ومصيفها « رأس البر » ، وفوق ذلك ما كان يتعلمه من مشاهداته الخاصة لصور الطبيعة وعجائبها وهو يطوف بين النيل والبحر والحقول ومجتمعات الناس في الاسواق والبيوت .

وكانت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) قد رمت شواظها على تلك المدينة المطمئنة فاغلق ميناؤها وتوقفت مراكبها وكسدت تجارتها وعمها الغلاء ، وأفلس والد أديبنا التاجر وعرفت أسرته الفقر ، فانتقل بعائلته الى القاهرة التماسا للرزق ولالحاق أبنائه وبناته بمدارسها ـ وودع الصبي مسقط رأسه في صيف ١٩١٧ ومعه ذخيرة من الذكريات والانطباعات لازمته طويلا ورأيناه يصور بعض هذه الذكريات في كتاب صباه « الفردوس » ١٩٢٢ ـ وفي الفصل الاول من روايته « الهام » ١٩٣٧ وفي عدد من أقاصيصه فيما بعد . كما ظل ينقب عن تاريخها منذ القديم في مختلف المراجع العربية والاجنبية وينشر في صحفها الاقليمية ـ كما سيأتي فيما بعد .

انتقلت هذه الاسرة في سني الحرب من موطنها الهادىء وجوه الطلق الى خضم العاصمة ، وتكدست في بيت صغير بالفجالة وأخذ ينفرط عقدها تباعا في بضع سنوات ولم يبق منها على قيد الحياة غير أخوين وأمهما وكان اديبنا اكبر هذين الاخوين . وأراد له والده ان يتابع تعليمه الثانوي على الرغم من ان المدارس الثانوية وامثالها كانت يومذاك مقصورة على القادرين على دفع مصروفاتها ولكن شاء الحظ ان تقرر وزارة التعليم قبول عدد محدود من صغار السن المتفوقين بالمجان في مدارسها وكان هو في مقدمة المقبولين على أن يلتحق بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية لقلة الاماكن في غيرها .

وحمل الصبي حقيبته في خريف ١٩١٧ وترك عائلته بالقاهرة والتحق بالقسم الداخلي بمدرسة رأس التين الثانوية . وفي هذه المدرسة عرف عددا من معلميه المتفوقين في الادب والعلوم منهم : الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري ، والمؤرخ شفيق غربال ، والشاعر الفرنسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرناند ليبرت وبعض اساتذة اللغة العربية ـ واثار عبد الرحمن شكري اعجابه باطلاعه الغزير وشخصيته البارزة فاقتنى دواوينه الشعرية ومؤلفاته النثرية واخذ يقرأها منذ ذلك العهد ، ثم ظل وفيا لاستاذه ولازمه وراسله في شيخوخته ومرضه حتى وفاته عام ١٩٥٨ ـ ورأيناه عام ١٩٦٠ يقدم ديوانه الشامل الذي شارك في اخراجه ـ وفي تقديمه للديوان يذكر عهد تتلمذه على استاذه بمدرسة رأس التين بالثناء والتقدير . (٣)

واذا كان يسمح لتلاميذ القسم الداخلي بهذه المدرسة بالخروج الى المدينة ايام الجمعة ، كان اديبنا ينطلق الى الفضاء الرحب كعصفور فتح له باب القفص ، ويبدأ بالمرور على باعة الكتب بحي رأس التين ويشتري من كتب الادب بما معه من قروش ليقرأها بالمدرسة في ساعات المذاكرة وقرأ لاول مرة مؤلفات المنفلوطي وحافظ ابراهيم وقاسم امين والمويلحي ومقدمة ابن خلدون ـ ثم يتجه الى شاطيء البحر عند الميناء الشرقي ويحاذيه حتى يصل الى قلب المدينة فيطوف بشوارعها ويشاهد معالمها ويعود الى مأواه وقد ادخر في كل اسبوع صورا جديدة لهذه المدينة الكبيرة .

ويحل عام ١٩١٩ وتشهد البلاد ثورة تحررية عارمة تطالب بالحرية والاستقلال ، ويشترك التلاميذ في الاضراب والمظاهرات والهتافات ، ويتعرضون لبنادق الانجليز ، ويندمج اديبنا في مواكب الثورة ، وتغلق المدارس مرة واخرى فيحمل حقيبته ويعود الى القاهرة ليسير في مظاهراتها ويستمع الى خطب سعد زغلول والى اناشيد وهتافات ثورية ـ وتنقضي اعوام ثلاثة تلغى بعدها مدرسة رأس التين لتضم الى مدرسة اخرى ، ويخير طلبتها في النقل ويختار المدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة ، ويودع مدرسته السكندرية في يونيه ١٩٢٠ ليكمل عامه الدراسي الرابع في العاصمة ويحوز الشهادة الثانوية « البكالوريا » في يوليه ١٩٢١ .

هنا القاهرة ـ واديبنا منذ صيف ١٩٢٠ يعيش تحت سمائها ، ويتنقل بين معالمها واحيائها ومكتباتها واسواقها ، وفي دار الكتب استطاع ان يقرأ ما لا يستطيع العثور عليه او شراءه من مؤلفات ومترجمات ، وكان يكتب خواطره ومذكراته لنفسه لا يراها غيره ثم بدا له ان يكتب للناس فاخذ يترجم بعض الكتب من الانجليزية الى العربية كان اولها كتاب ((اليابان)) لجون فينمور وطبع له عام ١٩٢٠ وكتب له مقدمة عن الغرض من ترجمته وذيله بفصل من قلمه عن نهضة اليابان الحديثة وتحضرها ، ومما ذكره في مقدمته : (٤)

« .. واني اليوم اشعر انني قمت ببعض من الواجب على نحو امتنا المصرية الناهضة بتقديم هذا الكتيب لابنائها فدخلت في مضمار التنافس والتقليد حتى سبقت اكثر أمم الغرب العظمى واظهرت للعالم أجمع ان الشرقي لا يفرق عن الغربي اذا ما ارتشف من مناهل الحضارة والعرفان ، وبرهنت ان ذلك الشرق المنبوذ لا يلبث حتى ينال قسطه من الرقي والعمران .. »

ثم ترجم قصة ملخصة عن أوديسية هوميروس وضع لها عنوان : « بطل تروادة » وطبعت عام ١٩٢١ وقدمها بفصل عن الادب الاغريقي القديم وعن الشاعر هوميروس وشعره ـ ومما جاء بها : (٥)

« ... وقد ذهب البعض ان لا فائدة من تعليم الناشئة ادب اللغتين الاغريقية واللاتينية لانهما مهملتان لا يتكلم بهما ـ ولكن المعلوم ان في تعلم الاداب القديمة فوائد جليلة تترك في الناشئة اثرا مباركا ـ وفي مطالعة تلك الكتب رياضة نفسية لا تخفى . وكم تفرس في نفوس دارسيها روح الاخلاص في العمل ومحبة الوطن وتبعث فيهما روح الجمهورية . بله ان في تلك القصص القديمة عبرا جليلة واخلاقا نبيلة ، ويبعد شعرها النفس عن تلك الحياة المادية التي يعب عبابها ـ بجميل خيالها وبديع معانيها وحسن اساليبها .. »

ثم ترجم كتاب : « من الاعماق » لاوسكار وايلد ـ طبع عام ١٩٢٢ ـ وعلق في هوامشه الكثير من الشروح ، وقد دفعه الى تعريب هذا الكتاب ما به من روح شعرية صوفية لا مادية .. (٦)

كما ترجم مسرحية ((العدالة)) لجون جالسورثي وترك لاحد زملائه الطلبة ترجمة فصلها الاخير ومثلها طلبة كلية المعلمين العليا بناديهم مساء ١٥ ابريل ١٩٢٣ وكان هو مدير المسرح ، ولم تطبع هذه المسرحية (٧) . ثم ترجم كتابا تاريخيا بعنوان « توت عنخ آمون » ظهر عام ١٩٢٦ وبه فصول شتى عن قدماء المصريين (٨) . وقد علمت من صديقي نقولا يوسف انه كان يترجم هذه الكتب في عهد التلمذة ليبيعها للناشرين ويشتري بأثمانها كتبا .

وكان اديبنا قد التحق في اكتوبر ١٩٢١ بكلية المعلمين العليا بالقاهرة ـ قسم الاداب ـ بعد فترة من الحيرة بحث خلالها عن عمل يساعد به اسرته فلم يوفق لاسباب اهمها ان تعليمه كان الى ذلك العمر نظريا أدبيا لا يعين على كسب الرزق لمن في سنه ، واضطر الى تمضية أربع سنوات اخرى بهذه الكلية نال بعدها اجازة التدريس « ليسانس التربية والاداب » عام ١٩٢٦ ـ وهي تخول له العمل بمهنة التعليم في المدارس الحكومية والاهلية ـ وهي المهنة التي مارسها منذ تخرجه حتى عام ١٩٦٠ حين استقال من الوظائف جميعا ليشتغل بالقلم وحده ..

وقد فتحت له هذه الكلية عددا من النوافذ المطلة على الميادين الثقافية الواسعة اذا شاء ارتيادها ـ كما فعلت مع أدباء كبار غيره (٩) ـ وكان من موادها الاداب العربية والانجليزية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والفلك ، وعلم النفس والتربية .. فكان يخرج الى تلك الميادين باحثا متوسعا واعانته اجادته للغة الانجليزية على ان يقرأ فيها الكثير من القصص العالمي والكتب الادبية والتراجم والفلسفة والتاريخ ونحوها . وكان بهذه الكلية مكتبة كبيرة اخذ يستعير منها ما شاء من المؤلفات النادرة .. وتعرف في هذه المكتبة بأمينها الشاعر احمد رامي ، وبالفيلسوف المستشرق الاسباني الكونت دي جالارزا وكان له مع هذا الفيلسوف جلسات لا تحصى استفاد منها ومن محاضراته ومحاوراته الفلسفية (١٠) .

وفي خلال طلبه للعلم في هذه الكلية كان ينشر بواكير مقالاته في بعض الصحف والمجلات منذ عام ١٩٢١ وبدأها عامئذ بمقالين عن نهضة اليابان في صحيفة « النشرة الاقتصادية » وبعدة مقالات ونبذ بمجلة « النيل » الاسبوعية بالقاهرة منها مقالات عن فن التمثيل بمصر .. ونشرت له جريدة الاهرام في صفحتها الاولى مقالة عن ((الادب العربي في المهجر الامريكي)) (٢٥ سبتمبر ١٩٢٥) ، واخرى عن اصلاح التعليم الاهلي (٢٧ ديسمبر ١٩٢٥) بينما ظهرت محاولته الاولى في التاليف عام١٩٢٢ في شكل قصة من الشعر المنثور سماها «الفردوس» .

وعندما تخرج بكلية المعلمين عين مدرسا باحدى مدارس وزارة التعليم في حي سيدنا الحسين بالقاهرة . مدرسة اثرية في حي غني بالصور الشرقية الشعبية ما زال محتفظا بطابع القرون الماضية ـ وهناك امضى ثلاث سنوات (١٩٢٦ ـ ١٩٢٩) في ذلك الجو الشعبي دارسا متفحصا ـ وكان يكتب خلالها في صحيفة «السياسة الاسبوعية» وحمل في بعض مقالاته على الرجعية ودعا الى الاصلاح والتجديد مما أوغر صدور المحافظين ورأوا ابعاده عن العاصمة ومجالاتها الصحفية ، ونقل الى اسيوط في قلب الصعيد ـ وظل يتنقل في عمله بين مختلف المدن ، وعمل خلال عمله التعليمي في عشر مدن من بلاد الاقليم المصري فيما بين ١٩٢٦ ـ ١٩٦٠ فكان مدرسا بالمدارس الابتدائية بالقاهرة واسيوط وبالمدارس الثانوية بالزقازيق والمنصورة ومدرسا اول برشيد واستاذا للادب الانجليزي بمعهد المعلمين الخاص بالاسكندرية وناظرا لاربع مدارس في ثلاث مناطق ـ وبعد ان قضى حوالي خمسة وثلاثين عاما في خدمة التعليم تتلمذ عليه خلالها بضعة الوف من التلاميذ الذين وصل الكثير منهم الى اعلى المناصب والمهن ، قدم استقالته في يونيه ١٩٦٠ وترك جميع الوظائف والمناصب ليتفرغ للبحث والدرس ـ وكان

قد أضناه المطاف وارهقه العمل وقيدته الوظيفة وانفق فيها زهرة العمر .. ومع ذلك استطاع خلال اوقات الفراغ والعطلة الصيفية ان يكتب وينشر مئات المقالات والقصص ويضع عديد الكتب ، ويقوم في بعض الاجازات الصيفية برحلات ثقافية على نفقته ـ فزار تركيا واليونان ثم لبنان وفلسطين ، ثم فرنسا وسويسره وايطاليا ـ وطاف بجميع انحاء الاقليم المصري ، وخرج من هذه الرحلات بمذكرات هياها لتكون كتابا في ادب الرحلات لم ينشره بعد وان كان قد نشر بعض فصوله في المجلات او في سياق القصص .

الشعر والشاعر

بدأ نقولا يوسف حياته الادبية شاعرا فنانا يستهويه الشعر والموسيقى ويمارسهما ـ وكان للبيئة الاولى في الصبا على شواطيء دمياط والاسكندرية ـ كما سلف اثر في اشعال جذوة الشاعرية الفطرية الكامنة في نفسه واخذ ينظم الشعر ويلقي القصائد في المنتديات العامة. وكانت محاولات باكرة ينقصها الصقل كما كان مقيدا بالنظم التقليدي. ثم ما لبث ان هجر النظم ولم يعد اليه قط ـ اذ وجد فيه من قيود القوافي والاوزان ما يعوق انطلاقه في التعبير فتحول الى اسلوب الشعر المنثور ـ وكان هناك عدد من كبار الادباء العرب يمارس هذا النوع من الشعر مثل جبران والريحاني ومي وغيرهم ـ كما كان يقرأ في اعجاب شعر تاجور المترجم الى نثر انجليزي ، والشعر الاوربي المترجم نثرا الى العربية ، وايضا مطالعاته للاسفار الشعرية في كتاب العهد القديم « التوراة » وبخاصة أناشيد سليمان ومزامير داود ثم المنثورات الشعرية التي تسود بعض صفحات الانجيل .. فكان الفتى الشاعر يملأ الكراسات بقصائد الشعر المنثور ينفس بها عن نفسه في سكينة الليل كلما سئم المذاكرة المدرسية او تذكر احباءه الراحلين الى العالم الاخر متساميا بأحلام اليقظة هذه عن الواقع الكئيب ـ ومن هذه الكراسات خرج الينا بكتابين مطبوعين من وحي الصبا وفجر الشباب ـ اولهما كتابه « الفردوس » ١٩٢٢ وثانيهما ((نسمات وزوابع)) ١٩٢٧ ـ ومع ان صديقي المؤلف لا يرى ـ كما حدثني غير مرة ـ اية اهمية ادبية لهاتين الباكورتين الشعريتين المثلتين لعهد الصبا الفج ، ويرى انه تسرع في تقديمهما للطبع فلقيا ناشرا يبادر الى طبعهما على نفقته (١١) ـ فاني اخالفه في هذا الرأي لان لكل اديب ثمراته الباكرة التي تكشف لنا عن تطوره النفسي وهنا على الاقل من الناحية السيكولوجية ـ وقد رأينا في المقدمات التي كتبها لما ترجم من كتب في سن السادسة عشرة وفي كتاب « الفردوس » الذي ألفه قبل الثامنة عشرة ـ آراء تتخطى كلها مثل هذه السن الصغيرة .

ويتضمن « الفردوس » عددا من قصائد الشعر المنثور عن الحرية والفن والجمال والحياة والحب والطفولة ، وعن الريف والبحر والناس ـ وغيرها ـ وشاء المؤلف ان يربط هذه القصائد النثرية في اطار قصة شعرية او قل ملحمة نثرية بدايتها الطفولة ، ونهايتها الموت ـ حلم شاعر فنان بائس ، متحرر الفكر متمرد على القيود ، محب للمثل العليا .

انها قصيدة طويلة منثورة في قالب قصة بسيطة الحوادث كان جديرا بالمؤلف ان يخرجها منظومة لتدخل في باب الشعر القصصي ـ ولكن الذي يهمنا هو ما ورد بها من آراء ومباديء اذا قورنت بسن كاتبها ـ وكان هذا فيما نعتقد نظرة بعض الكبار ممن قرأوها في ذلك العام وابدوا فيها رأيهم ـ وفي مقدمتهم الفيلسوف المستشرق الكونت دي جالارزا استاذ الفلسفة في الجامعة القديمة وكلية المعلمين ـ فان المؤلف حينما اهدى اليه كتابه هذا وسأله رأيه فيه ارسل اليه (في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٢) يقول : (١٢)

« أشكر لك حسن ظنك حيث اهلتني لانتقاد كتابك الجميل « الفردوس » ولكني وجدت انه لا يقدر على ذلك الانتقاد احد سواك ، لان مؤلفك مظهر لضميرك ، ونقد ما في الضمير لا يكون الا بمزيد من التجارب الوجدانية والتعلم . والذي استنتجته من قراءتي هو ان الفيلسوف الحق لا يمكن ان يخلو من الاهتمام القلبي عندما يرى شابا في سن اقتناء النور يفهم شر الناس الى درجة ان يتألم منه ، ويطلب لنفسه طريقا غير الذي يسير فيه الجمهور ويتجه برقة شعوره نحو المحبة الصحيحة ويستريح بأن يتخيل ويقدر الجمال قدرا عظيما ... »

وكذلك ارسل اليه مصطفى لطفي المنفلوطي (في ٧ يناير ١٩٢٣) حين اهدى اليه هذا الكتاب ومعه كتبه المترجمة :

« ... اما الكتب التي تفضلتم باهدائها الي فبديعة جدا ـ أقل ما يقال فيها انها تبشر بمستقبل في الادب باهر ، يملأ جنبات الفضاء ، ويغمر الارض والسماء ـ ومن رزقه الله روحا قوية حساسة كروحكم وذهنا خصبا نديا كذهنكم ، فهو قمين ان يكون ذخيرة الامة في مستقبل حياتها . فليكن هذا رأيكم في نفسكم وما اعان على بلوغ ذروة العظمة مثل الثقة بالنفس والسلام » .

وظل شاعرنا خلال سني التلمذة يكتب قصائد الشعر المنثور لنفسه ويودعها كراساته فلا يراها احد غيره . حتى تخرج من الكلية عام ١٩٢٦ وخرج الى مدرسة الحياة والعمل ـ وعزم على شق طريقه في ميدان الصحافة وبدأ بتقديم تلك القصائد المعدة للنشر ليمهد بها الطريق ، وحمل بعضها ذات يوم من ذلك العام وعرضه على رئيس تحرير جريدتي « السياسة اليومية » و « السياسة الاسبوعية » دكتور محمد حسين هيكل ، فقرأها وابدى له اعجابه بها ونشر له اولها في « السياسة » اليومية (٢٧ ديسمبر ١٩٢٦) بعنوان : ((المرأة)) ، ثم توالى بعدها سائر القصائد في صحيفة « السياسة الاسبوعية » خلال عام ١٩٢٧ وجمع ادبينا مما نشر منها وما لم ينشر اكثر من خمسين قصيدة نثرية في كتابه المسمى : « نسمات وزوابع » (١٣) وعرضه على صاحب « المطبعة العصرية » بالقاهرة ـ وكانت من اكبر دور النشر في ذلك الوقت ـ فطبعه على نفقته وظهر في آخر عام ١٩٢٧ وكان المؤلف قد بلغ الثالثة والعشرين من العمر .

ومن قصائد هذا الكتاب ما يحمل هذه العناوين : كلنا اخوة ، صوت الامل ، على مسرح الحياة ، شجرة السعادة ، الى الله ، الى الحكمة ، الى الجمال ، الى حسناء ،الى بائسة ، الذهب ، العيد ، الشيخوخة ، اغنية الربيع ، اغنية الخريف ، الاعمى ، الموسيقى ، المرقص ، الحب الاول ، الحب الزائف ، الحب الخائب ، الحب والجفاء ، انشودة السلام ..

وكل قصائد الكتاب من الشعر المنثور ـ الوجداني والعاطفي والفلسفي ـ المصور للنفس البشرية في مختلف صورها وحالاتها بين أمل ويأس ، وتفاؤل وتشاؤم ، وفرح وحزن ، وابتسامات ودموع .. ولصور الكون ـ في الربيع والخريف ، والصباح والمساء ، والحياة والموت ، والنسمات والزوابع .

وأما اسلوبها العربي السلس المكين ، فيبدو عليه مسحة من الشعر الاوربي ((الليريكي)) الغنائي ، والنزعة ((الرومانسية)) وتتناثر في بعض القصائد عبارات ((ميثولوجية)) تشير الى اساطير من الادب الاغريقي القديم او غيره من ادب الشعوب ((الكلاسيكي)) ولو انها جميعا من الادب الذاتي البعيد عن التقليد او التأثر بشاعر معين .

وتنوعت نظرات النقاد في هذه المجموعة الشعرية ، فجاء في مقدمة الناشر للتعريف بالمؤلف وكتابه : « ... وسيرى القاريء في كتابه حبه للطبيعة في مختلف اشكالها ومقته للقيود المعنوية ، وتفضيله الحياة الروحانية لقربها من الفطرة ، وهيامه بالفن الجميل وفلسفته ، وعبادته للجمال ، وميله الى التفكير المنطقي . ومن خواص فنه : الشاعرية الحساسة المتمردة والروح القوي الصريح ، والميل الى مزج الفلسفة بالشعر ، والكلاسية بالرومانسية ، وادماج الادب الشرقي في الادب الغربي ، وكذلك عدم التعصب لاي مذهب .. فهو كالطائر الحر

ابن الكون كله .. »

وكتب عنه المرحوم عباس محمود العقاد (بجريدة البلاغ ٨ ابريل ١٩٢٨) :

« ... مجموعة اشعار منثورة .. تصفحناها فاذا فيها قصائد عن صوت الامل والصلاة والشيخوخة واغنية الخريف وعلى مسرح الحياة وامثال هذه الموضوعات الشعرية ـ فالفينا فيها دلالة كثيرة على تنبه الاحساس ولطف الشعور وتطلع النفس نحو الكمال والخير والجمال ، فهي من احسن انماط الشعر المنثور المعروفة في اللغة العربية ، ولصاحبها الاديب فضل الصدق والشاعرية المتطلعة .. »

وكتب سلامه موسى (بمجلة الهلال ـ ابريل ١٩٢٨) :

« قلما يستطيع الانسان ان يقرأ الشعر المنثور ما لم تتقن صياغته ويقتصد في الفاظه حتى تقوم العبارة مقام المثل فيشتمل على الحكمة البالغة في اوجز لفظ . وهذا الكتاب من ارق ما قرأنا من الشعر المنثور . وقد عالج المؤلف او بالاحرى مس بريشته كثيرا من الموضوعات مسا لطيفا ، فأسبغ عليها الوانا واضواء تترقرق فيها المعاني كما يترقرق الندى على الزهر .. وقد سبق ان نقلنا في العدد الماضي فصلا من هذا الكتاب عنوانه : « كلنا اخوة » وفصول الكتاب تجري على هذا النمط .. »

وقالت « السياسة الاسبوعية » (٢٨ مارس ١٩٢٨) :

« .. وكل قطعة منها تدور حول فكرة فلسفية في اطوار الحياة وتحليل العواطف البشرية والمظاهر النفسانية . وهي قطع من صميم الحياة تسمعك صوت الامل واليأس وتصور لك الحب في مختلف مظاهره وصوره ، وتناجي فيها الحكمة والالوهية والجمال والفن باسلوب متين سلس واضح العبارات ، وخيال سام وشاعرية حساسة .. ونمط غير مقيد باي نموذج اخر .. »

وكتب في ذلك العام عدد اخر من النقاد بما يدور حول هذه الاراء السابقة ، ولم يشتد في نقد هذا الكتاب غير ناقد الكتب بمجلة « المقتطف » بالقاهرة ـ فقد نشر بها مقالة بلا توقيع (باب مكتبة المقتطف ـ يوليه ١٩٢٨) حمل فيها على ما ورد في بعض قصائده من الفاظ ((ميثولوجية)) تشير الى اساطير قديمة وآلهة وثنية وكان يجب على الشاعر في رأيه ان يحدثنا عن موضوعات عصرية تتصل بحياتنا العملية الراهنة وان يتجنب الالفاظ الغريبة ..

وكان المؤلف قد تحدث من قبل في مقدمة قصة بطل ترواده ـ (١٩٢١) عما يفيده الاديب من الاطلاع على الادب الكلاسيكي القديم عند مختلف الشعوب وبخاصة الادب الاغريقي ومنه اشعار هوميروس والميثولوجيا ـ وبعد سنوات كتب الشاعر احمد زكي ابو شادي في مجلته « ادبي » عام ١٩٣٦ معلقا على ما ذكره مقدم ديوان الشاعر المرحوم عثمان حلمي : « ان ميزة هذا الديوان الوحيدة ان سلم من آفة التقليد المزري للشعر الفرنجي في العصور الوثنية ذات الالهة الخرافية ... الخ » (١٤) فكتب ابو شادي : « .. ما تزال الميثولوجيا الاغريقية خاصة منبعا لاداب الكثرة من الامم المتحضرة المؤمنة .... والصيحة التي تهيب بشعرائنا الى الاكتفاء بالمواهب الليريكية والابتعاد عن التعمق الثقافي وعدم الاكتراث له ومحاسبة انفسهم لتحاشي اثاره لا تجديهم ولا تجدي الشعر العربي فتيلا بل تجعل من يؤمن بمثل هذا الكلام فخورا بسطحية اطلاعه وابتعاده عن فتوحات العقل البشري . وما بهذا يتسامى الفن الشعري بل نخشى انه يتدلى معه الى ثرثرة لفظية ليس وراءها خير كثير . واما الكلام عن التقليد المزري للشعر الفرنجي فليس ما يمكن البرهنة عليه في اية بيئة ادبية ناضجة سواء في مصر او في غيرها من الامم العربية خاصة ... »

ولم يكتب نقولا يوسف بعد « نسمات وزوابع » ١٩٢٧ شعرا منثورا ولا منظوما ، وانصرف الى المقالة والقصة ، وان كانت الشاعرية الاصيلة لازمته طويلا في بعض قصصه كما رأينا في روايته الطويلة ((الهام)) ١٩٣٧ حيث تناثرت بها اوصاف الطبيعة في اسلوب شعري ، وكما رأينا في أقصوصته : « حب رومانسي » في مجموعة « هم وهن » ١٩٦٢ ـ وفي بعض مواضع من اقاصيصه ـ لقد جرفته دنيا الناس ودنيا الواقع فنزل الى الخدمة العامة معلما وكاتبا ومصلحا ومجاهدا واقعيا .

البحث والباحث

بدأ نقولا يوسف منذ عام ١٩٢١ ينشر المقالات في بعض الصحف الاسبوعية بالقاهرة وبجريدة الاهرام ـ بعضها بتوقيعه والبعض الاخر بتوقيعات مستعارة ـ ولكنه لم يسهم جديا في المجال الصحفي الفسيح الا منذ عام ١٩٢٦ عقب تخرجه من كلية المعلمين ـ ويبدو انه كان مزمعا على احتراف الكتابة والصحافة لولا ما أصيبت به الصحف العربية في ذلك العهد من نكسات حين كانت تعطلها الحكومات الحزبية وتشرد محرريها ..

وفي مارس ١٩٢٦ صدرت بالقاهرة صحيفة « السياسة الاسبوعية» عن دار جريدة « السياسة » اليومية ـ ورأس تحريرهما دكتور محمد حسين هيكل ـ على ان تكون الاسبوعية مقصورة على الاداب والعلوم والفنون ، وتكون اليومية سياسية خبرية ولسان « حزب الاحرار الدستوريين » .. وما لبثت الاسبوعية ان ذاعت واجتذبت اليها اقلام الادباء المحترفين والهواة ـ وكان من محرريها دكتور هيكل ، وطه حسين ، ومحمود عزمي ، وعبد العزيز البشري ، وعبد الله عنان ، والمازني ، ومصطفى وعلي عبد الرزاق .. الى جانب اقلام الهواة من مختلف المذاهب والاتجاهات والاحزاب ـ وكان شعارها حرية الرأي ويرى البعض انها كانت امتدادا لجريدة « السفور » المؤسسة عام ١٩١٥ ـ واجتذبت هذه الصحيفة المتحررة اديبنا الشاب نقولا يوسف فذهب كما سلف في مساء يوم من ديسمبر ١٩٢٦ وقابل رئيس تحريرها دكتور هيكل لاول مرة ، ورحب به هيكل ونشر له ما عرضه عليه من قصائد الشعر المنثور ، ثم من الابحاث الادبية والاجتماعية ، وظل ينشر مقالاته في هذه الصحيفة فيما بين ١٩٢٦ ـ الى نهاية ١٩٢٩ ثم اغلقت الجريدة بامر من حكومة حزبية .. وفي دار هذه الصحيفة تعرف الكاتب بعدد من محرريها مثل دكتور هيكل وابراهيم المازني وحافظ محمود وزكي عبد القادر ، وبعدد من الادباء الهواة وقد اشتهر بعضهم فيما بعد ..

ونشر نقولا يوسف في « السياسة الاسبوعية » خلال تلك الفترة نحو تسعين مقالة وبحث ومقطوعة شعرية ـ ومن مقالاته بها : عالم جديد على اطلال عالم عتيق ، مستقبل الانسانية في نظر العلم ، اتجاه جديد في كتابة التاريخ ، العلم ووحدة الشعوب ، ادب القرن العشرين ، نشر التعليم واصلاحه ، حجاب المرأة واثره ، فلسفة التشاؤم ، فن الكلام .. وكانت هناك دعوة الى ادب عربي قومي يساير حركة الاستقلال السياسي ويتحدى الاحتلال القائم يومئذ ويصور الحياة الشعبية وفنونها وعاداتها في قصص ومسرحيات واغان مستمدة من روح الشعب ومؤكدة لشخصية الامة ـ وكتب نقولا يوسف في موضوع الادب القومي عددا من المقالات .. ثم كتب عن الادب الهندي وادب المرأة وعن عدد من المفكرين والادباء في الشرق والغرب وكان يكتب في صراحة وجرأة غير متقيد بآراء غيره مطالبا بالاصلاح والتجديد والتقدم منددا بالنقائص الاجتماعية ، مناوئا الرجعية والاستغلال والطبقية والتفرقة العنصرية ـ في وقت كان فيه مدرسا بوزارة التعليم أي موظفا في الحكومة ، ولا يملك من حطام الدنيا غير مرتبه ـ فأوغرت كتاباته صدور الرجعيين والمحافظين واعوان الاحتلال وحاولوا من اللحظة الاولى ابعاده عن مجالات النشر وعن القاهرة ومركز الصحف ـ حتى تم ابعاده الى اسيوط عام ١٩٢٩ ولكنه استمر في مراسلة « السياسة الاسبوعية » من هناك حتى اغلقت دار جريدة السياسة بسبب المعارك الحزبية (١٥) ـ ولم يعد يفكر في ترك مهنة التعليم كمورد ثابت للرزق على ان يكتب في اية صحيفة او مجلة ويحاضر في اي مكان بجانب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مهنته الثابتة .. وبقي بأسيوط خمس سنوات كان خلالها روحا محركا للحركة الثقافية بها بالمحاضرة والمناظرة وبتاليف جماعة ثقافية تعقد ندواتها بجمعية الشبان ـ كما دعته هذه الاقامة بعيدا عن بيته بالقاهرة الى انشاء بيته الخاص فتزوج عام ١٩٣١ .

وكان الكاتب المعروف سلامه موسى قد اعلن عن مجلة شهرية بالقاهرة يصدرها في اول نوفمبر ١٩٢٩ باسم « المجلة الجديدة » وكان نقولا يوسف قد تعرف به شخصيا عام ١٩٢٧ وقرأ مؤلفاته ومقالاته ووجد في الكثير منها ما يتفق مع مشربه في نزعة التجديد والدعوة الى الحضارة الحديثة والثورة على الجمود والرجعية والاستعمار ، مما وثق الصلة والصداقة بينهما طيلة العمر وما دعا البعض الى عده من تلاميذ سلامة موسى مع ما كان بين الكاتبين من بعض الفروق في الرأي فقد كان سلامه موسى يعالج قضاياه من ناحية مادية محضة ـ ولا يستهين نقولا يوسف بالجانب الروحي المكمل للمادي في الانسان بل المهيمن عليه .

وواظب نقولا يوسف على قراءة « المجلة الجديدة » منذ عددها الاول ـ ثم ارسل اليها مقاله الاول بعنوان : « ركود الادب المصري واسبابه » نشرت في اكتوبر ١٩٣٠ وتتالت بها ابحاثه ومقالاته بتوقيعه او بتوقيع رمزي مما ادبى على ستين مقالة ـ وكانت وزارة اسماعيل صدقي عطلتها ستة وعشرين شهرا ـ (من سبتمبر ١٩٣١ ـ الى نوفمبر ١٩٣٣) لاصطدامها بحكومته وبالرجعية ـ ثم عادت الى الصدور بعد سقوط وزارته حتى اغلقتها وزارة اخرى نهائيا عام ١٩٤٣ ـ وامضت هذه السنوات في مصاعب مالية ومقاومات واضطهادات .. وكثيرا ما كنا نقرأ فيها لاقلام الشباب ، محمود تيمور ويحيى حقي وابراهيم ناجي ونجيب محفوظ ويعقوب فام ودريني خشبه وامير بقطر وحافظ محمود ورمسيس يونان وعزمي الدويري وغيرهم ..

وظل نقولا يوسف يراسل هذه المجلة من اسيوط فلما نقل منها بعد خمس سنوات (عام ١٩٣٤) والى القاهرة ـ زادت صلته بالمجلة وصاحبها وكتابها ـ كما عاد الى ندوات القاهرة واوساطها الثقافية ، وامضى بمدارسها سنوات اربع اخرى سبقت الحرب العالمية الثانية ، وكان العالم اجمع يصبو الى استقرار السلام ومنع الحرب ، بينما كان الاحتلال الانجليزي يثبت اقدامه في الاقليم المصري توقعا للحرب ـ والبلا ضائعة بين الاحتلال والاستغلال والاقطاع والجمود ، ويخيم عليها الثالوث المنكود : الفقر والجهل والمرض ـ وتتابعت مقالات نقولا يوسف في « المجلة الجديدة » عن الحرب والسلام ، العالم قريتنا الكبرى ، عصبة الامم ، المدينة العالمية والحكومة العالمية ، النزاع بين السود والبيض ، امبراطورية الانسان لا امبرطوريات الاستعمار ، اللغة العالمية ، العلم والحرب ، مستقبل الانسانية وغيرها من المقالات التي تهدف الى توطيد السلام عن طريق الاخاء البشري ووحدة الشعوب ونزع السلاح .. وبدأ يضع كتابا كبيرا بعنوان : « امبراطورية الانسان ـ والبحث عن السلام « نشر الكثير من فصوله وسافر الى جنيف في صيف ١٩٣٩ لدراسة عصبةالامم وما حولها من هيئات دولية تعنى بقضية السلام ـ وفي عودته مارا بروما توقفت البواخر وصرفالعملة وكاد يذهب ضحية البحث عن السلام !

وكان في الوقت نفسه مهتما بالقضايا الوطنية واصلاح الريف وتطور المجتمع وتجديد الادب ومساوىء الاقطاع ، مما شمل ـ كما سلف ـ اكثر من ستين مقالة بالمجلة الجديدة (فيما بين ١٩٣٠ ـ ١٩٤٢) .

وفي سبتمبر ١٩٣٦ ظهر كتابه : « الحياة الجديدة » (١٦) متضمنا اكثر من ستين بحثا مما نشره حتى هذا العام في «السياسة الاسبوعية» والمجلة الجديدة (فيلاحظ انه لم يجمع مقالاته بعد هذا التاريخ في مجلد اخر اي في الثلاثين سنة الاخيرة) وقد قسم هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام او كتب : « بحوث عالمية » و « شئون مصرية » و « دراسات ادبية وفنية » وقدم للكتاب بتمهيد موجز جاء فيه :

« ... وقد كتبت بحوث هذا الكتاب في فترات مختلفة لاخوتي الشبيبة المصرية الجديدة لنتبادل معا شيئا من الافكار والاراء التي تهم اهل هذا العصر ، ولست اعتقد مطلقا اني اتيت بعمل فني او بتحفة ادبية ، ولكني اعتقد انني اديت جزءا من الواجب المفروض اداؤه على كل كاتب .. ومجال النقد في هذا الكتاب فسيح ، وهو المجال الذي يصول فيه اعداء التجديد عندنا في كل ساعة . ومآخذ النقد هذه لا أجهلها ولكن يشفع لي فيها هذا الاخلاص وهذا الحب . وانا لم اسع الى ارضاء كل الناس او كل النقاد قبل ان اسعى الى ارضاء هذا الضمير الذي حثني على كتابتها ونشرها وكفاني ما احمل على رأسي من هموم الانسانية كانها همومي الخاصة .. »

ثم يقول في هذه المقدمة : « .. وقد بدأت حياتي الادبية انظم الشعر وانشره واقنع بما يكتنفني من احلام ذهبية ونشرت في ذلك كتبا فيها سذاجة الحداثة ولكنيشببت واتسعت امامي دائرة الحياة فلم استطع الجلوس في وحدتي اترنم واحلم بينما اخوتي الناس يتخبطون في الفوضى خارج بيتي ، ويشكون المظالم والفاقة والبطالة . فكانت تصل الى اذني اصوات شكاياتهم وأوجاعهم وهي تتصاعد نحو السماء ، وتملأ نفسي بالاسى والمرارة ، وتزيدني حماسة في طلب الاصلاح والتجديد ، وتدفعني الى الخوض في هذا الزحام لعلى اقوم بخدمة او اضمد جرحا .. »

ولم ينقطع الكاتب بعد ظهور هذا الكتاب عن تأدية رسالته الى اليوم فنشر مئات المقالات والابحاث في شتى الصحف اليومية والدورية .. وكان جمع هذه الابحاث في حيز واحد ـ اعني كتاب « الحياة الجديدة » ما أتاح لعدد من النقاد ابداء الرأي فيها مجتمعة وذلك في كثير من المقالات التي نشرت في الصحف ذلك العام وما يليه ـ وبدأ الكاتب المرحوم دريني خشبة بمقالة عنه في مجلة « الرسالة » (١٤ ـ ٩ ـ ١٩٣٦) جاء بها : « للاستاذ سلامة موسى في مصر مدرسة عرف تلاميذها بالدءوب والنشاط الذهني . وهم جميعا من الشباب المثقف المشغوف دائما لمستقبل حافل مليء بالاماني والامال والاحلام . وهم دائما يفخرون بانهم يمثلون ثقافة في مصر خاصة والشرق عامة . ومن هنا نزوعهم الى الثورة في تفكيرهم ، ومن هنا ايضا تبرمهم بثقافة وتحرشهم بزعماء مدارسها . ونحن لا يسعنا الا ان نمتدح تلاميذ هذه المدرسة بالرغم مما يتورط فيه بعضهم من التطاول .. بيد ان للاستاذ تلاميذ بارزين استطاعوا بعد كفاح عظيم وجهد متصل ان يفسحوا لاسمائهم اماكن ظاهرة في محيط التفكير المصري . ولعل من افضل هؤلاء التلاميذ الاستاذ المفكر المطلع صديقنا نقولا يوسف الذي اخذ نجمه يتالق في « السياسة الاسبوعية » ثم في عشرات من المجلات والصحف والاندية عرف فيها جميعا بسمو الغاية في تفكيره وحرارته الوطنية في حبه لمصر ومحاولته دائما الاندماج في الاوساط المختلفة ليترك فيها خمائر من ذهنه الخصب وثقافته الواسعة واطلاعه الشامل .. »

وكتب ناقد المقتطف (نوفمبر ١٩٣٦) : « هذا الكتاب كيف قلبته واي صفحة طالعت فيه تقع على اثار قلم يغذيه ذهن واسع الاطلاع ونفس وثابة الى الخير والاصلاح .. »

وكتب ابراهيم المصري في مجلته « الادب الحي » ـ (١ ـ ٤ ـ ١٩٣٧) :

« الاستاذ نقولا يوسف في طليعة كتابنا ذوي الاذهان المفتحة لتلقى كل جديد من الاراء الحديثة والافكار الحرة التي تشغل اليوم العالمين الاوروبي والامريكي . والواقع ان الوانا مختلفة من الثقافة تتجاذبه وفنونا منوعة من المعارف تحتل عقله . وفي وسعنا ان نقول ان كتابه معرض رائع من شتى الاراء والافكار المعبرة أتم تعبير عن روح العصر الذي نعيش فيه . فدراساته تنقلك في لحظة من الشرق الى الغرب ، ومن امريكا الى مصر ، ومن بلاد الاغارقة الى اقاصي الهند . وهكذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقدم لك صورا مختلفة الظلال والتقاسيم من عوالم جد متنافرة تمثل امامك في النهاية صورة مصغرة للعالم كوحدة متماسكة كبرى . وابدع ما في الكتاب سلسلة المقالات الخاصة بالادب المصري والدعوة الى تحريره واستقلاله واحكام الصلة بينه وبين البيئة التي تنبته والاتجاه به نحو المشاكل الاجتماعية ودراستها وتصويرها بحيث يستطيع الاديب ان يساهم معه في انها من بلاده ورقيها ... »

وكما ابعد اديبنا عن القاهرة وصحافتها عام ١٩٢٩ بسبب مقالاته الثورية في « السياسة الاسبوعية » . فقد ابعد عنها عام ١٩٣٨ بسببها في « المجلة الجديدة » واتهم بمعاونته لسلامه موسى عدو الاحتلال والسراى والحكومات الرجعية وداعية التجديد والاصلاح ـ ولم يعد الى القاهرة بعد ذلك الا زائرا .. ونقل اولا الى الزقازيق ثم الى المنصورة عام ١٩٤١ ـ وكانت هذه المدينة الاخيرة قريبة من مسقط رأسه ـ دمياط ـ وتشبهها في الكثير ، فاثارت فيه الذكريات وزار بلدته ورأى وفاء لها ان يكتب عنها ولها ما كشفه من تاريخها وشئونها . وكانت هناك صحيفة اسبوعية اقليمية اسمها جريدة « دمياط » تصدر منذ ١٩٣٦ فبدأ ينشر بها ما تجمع لديه من فصول ـ من عام ١٩٤٦ حتى توقفت عام ١٩٥٣ نحو خمسين مقالة في تاريخها واثارها ومشاهدات الرحالة الاجانب بها خلال العصور ـ ولما صدرت بدمياط عام ١٩٤٩ صحيفة اخرى اسبوعية باسم : « أخبار دمياط » اخذ ينشر بها ابحاثه عن تاريخها واعلامها وبحيرتها واثارها وغزوها .. ولم تزل هذه الصحيفة تصدر الى اليوم وتعد من الصحف الاقليمية المتقدمة ـ وقد نشر بها نقولا يوسف منذ صدورها (١٩٤٩) الى اليوم اكثر من مائتي مقالة وكانت هذه الابحاث التي نشرها في هاتين الصحيفتين الاقليميتين نواة لثلاثة مؤلفات كبيرة ظهر اولها عام ١٩٥٩ بعنوان : « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » في اكثر من خمسمائة صفحة .. وكتاب « اعلام دمياط قديما وحديثا » ـ وكتاب « بحيرة دمياط » ـ (بحيرة المنزلة) ـ ومدنها القديمة ـ وهذان الكتابان الاخيران معدان للطبع منذ سنوات ..

وفي الخمسينيات توزعت مقالاته وقصصه على عدد من الصحف العربية منها : جريدة « اليومية » التي اصدرها سلامه موسى عام ١٩٥٠ ، ومجلات : العالم العربي والطالبة والاهداف وجريدة القاهرة اليومية .. وفي الستينات نشر بمجلات : الاديب والرسالة والادب والقصة ، وجرائد : المساء ووطني والبصير .. وغيرها ..

القصـــــــة

كتب نقولا يوسف القصة الطويلة والقصيرة منذ فجر الشباب . ولا شك ان هناك مؤثرات باكرة مثل حكايات العجائز في الطفولة ، وقراءة الروايات في الصبا ومشاهدات التمثيليات والسينما الصامتة ، وملاحظة الحوادث والوقائع اليومية التي تمثل كل ساعة على مسرح الحياة ـ كل هذه تحرك الاستعداد الفطري والموهبة الكامنة فتبدع الفن القصصي على مختلف الوانه واذا استثنينا قصة « الفردوس » التي نشرت له عام ١٩٢٢ لاختلافها عن الشكل القصصي المألوف واتجاهها نحو الشعر ، فقد رأينا له اقصوصة باكرة بعنوان « جنود الخلاص » (في السياسة الاسبوعية ١٧ ـ ٨ ـ ١٩٢٩) ـ ثم اخذ ينشر الاقاصيص والصور الهادفة الى تطوير المجتمع واصلاحه ـ وامامي الان من كتبه القصصية : رواية طويلة بعنوان « الهام » ١٩٣٧ ومن مجموعات اقاصيصه (دنيا الناس) ١٩٥٠ و (مواكب الناس) ١٩٥٢ و (هم وهن) ١٩٦٢ ثم مجموعة رابعة نشرت قصصها في المجلات ولم تطبع بعد .. اما (الهام) فقد كتبت في العشرينات ولم تظهر الا عام ١٩٣٧ واعيد طبعها في عامي ٤٧ و ١٩٦٥ دون تغيير فيها . ومع انها تجمع بين الاسلوبين الواقعي والرومانسي فانه يغلب عليها الاسلوب الشعري وبخاصة في صور الطبيعة لانها مكتوبة في فترة من العمر وفي عصر كانت الرومانسية تسود القصص .. وابطالها كما صورهم المؤلف من الشباب المكافحين في الحياة ـ كل في نطاق طبيعته : (فريد) شاب مثقف فقير يكافح بقلمه ومبادئه لتجديد المجتمع وتقويم عيوبه ـ وصديقه (سمير) شاب غني مستهتر يرى الحياة ميدانا للتمتع والعبث .. الاول يمثل الجانب الروحاني والثاني الجانب المادي السلبي ـ وبينهما صراع دائم .. وكذلك بطلتا القصة احداهما تمثله الفتاة الحالمة المنطوية والثانية (الهام) الفتاة المتحررة المنطلقة والفنانة الجامحة .

وتناول عدد من النقاد رواية (الهام) بالتحليل والنقد ومن ذلك ما كتبه المرحوم صديق شيبوب في « البصير » (٩ ـ ١ ـ ١٩٤٨) عقب ظهور طبعتها الثانية : « حرصت على الاشارة الى سن المؤلف وتاريخ التأليف لان القصة تحمل طابع الاثنين معا ـ انها تحمل اكثر من طابع مما تتسم به كتب الشباب عادة . منها : تلك الشاعرية المنبثة في صفحاتها ، وترديد وصف الطبيعة الى حد الاسراف ـ وصحيح ان وصف مناظر الطبيعة ضروري في القصة لانها اطار لكثير من الحوادث ولان العواطف تتبدل وتتطور باختلاف مناظر الطبيعة واجوائها وساعاتها كما يقول بعض النقاد الباحثين ـ وقد استفاد كثير من القصصيين من هذه الظاهرة النفسية واذا لم يستفد منها الاستاذ نقولا يوسف فقد استطاع ان يستغل وصف مناظر الطبيعة الى ابعد حد وان يتوسل بها الى تحليل الكثير من عناصر القصة .. ولعلي لا اغالي اذا قلت ان المؤلف قد جعل من الطبيعة شخصا من اشخاص القصة وعنصرا اصيلا من عناصرها وان تناول الطبيعة على هذه الطريقة دليل على نفس شاعرة واحساس دقيق وكلاهما متوافران في مواهب نقولا يوسف .. »

ويقول اسماعيل ادهم عام ١٩٤٥ :

« .. ولقد وجدت القصة التحليلية الواقعية في مصر اهتماما كبيرا ـ فقد وجه لها ابراهيم المصري ونقولا يوسف شيئا من جهودهما ـ فكتب الاول مجموعة عنوانها الادب الحديث عام ١٩٣٢ كما ان نقولا يوسف كتب مجموعة من القصص خيرها قصة (الهام) التي نشرها عام ١٩٣٧ وهي قصة تحليلية واقعية نجح نقولا يوسف في تقديم مجموعة من التحليلات النفسية العميقة مستنزلة من ادراك سليم دقيق لنظريات علم النفس .. » (١٧) .

---

(١) قصة (الهام) لنقولا يوسف ـ ١٩٣٧ ـ ص ٦ الفصل الاول بدمياط (٢) (الفردوس) ١٩٢٢ ص ٣١ ـ ٣٤ ذكريات الطفولة ـ (٣) ديوان عبد الرحمن شكري ١٩٦٠ المقدمة ص ٧ ـ (٤) اليابان ـ ١٩٢٠ مقدمة المترجم ـ (٥) بطل تراوده ـ المقدمة ص ٤ ـ (٦) من الاعماق لاوسكار وايلد ـ الناشر مكتبة العرب ١٩٢٢ ـ (٧) وصف الحفل بجريدة الاهرام ١٥ـ٤ـ١٩٢٣ ـ (٨) كتاب « توت عنخ آمون » تعريب ن.ي ـ نشرته مكتبة زيدان بالقاهرة ١٩٢٦ ـ واضافت اليه بضع صفحات لم يترجمها المعرب ـ (٩) كان من خريجي مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة : عبد الرحمن شكري وعلي مصطفى مشرفه وابراهيم المازني واحمد رامي وفريد ابو حديد واحمد زكي وشفيق غربال ومحمد السباعي وغيرهم .. (١٠) انظر مقالة عن جالارزا لنقولا يوسف بمجلة الاديب يناير ١٩٦٥ ـ (١١) من احاديث خاصة مع الكاتب ـ (١٢) رسالتا جالارزا والمنفلوطي منشورتان مع رسائل اخرى للكاتب بمجلة « الادب » يونيه ١٩٦٢ ـ (١٣) نسمات وزوابع ـ المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٢٧ ـ ٥٤ قصيدة ـ ٢٠٣ صفحة (١٤) مجلة « أدبي » لزكي ابو شادي ـ اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٣٦ ص ٥٣٤ في نقده لديوان عثمان حلمي ـ (١٥) انظر جريدة السياسة ـ كتاب (الصحافة المصرية في مئة عام) لعبداللطيف حمزه ص ١٠٤ ـ ١١٢ ـ (١٦) الحياة الجديدة لنقولا يوسف ـ مطبعة المجلة الجديدة ١٩٣٦ لصاحبها سلامه موسى ـ (١٧) كتاب « توفيق الحكيم » لاسماعيل ادهم وابراهيم ناجي ـ ١٩٤٥ ـ ص ٤٥ ـ (١٨) من رسائل شكري ـ مجلة «الادب» ـ بالقاهرة ـ ١٩٦٢ وتاريخ الرسالة ٣ ـ ١٠ ـ ١٩٥٢ .

ورأى ابراهيم المصري بمجلة « الهلال » (مارس ١٩٣٨) ان : « قصة الهام تمثل لنا الصراع الابدي بين الروح الخيالية الرومانتيكية المتمكنة من نفوس معظم الشباب وبين الروح الدنيوية العملية المستمدة من اغراء المادة والشوق الى التمتع بكل ما هو مادي في الحياة فالحب الشعري الخيالي النقي والنزعات التأملية التجريدية والرغبة في الفرار من هذا العالم على اجنحة التصور والوهم ، والحلم بدنيا اسمى من هذه الدنيا واروع صفاء واكمل خلقا وعدلا ، جميع هذه الاحساسات التي تطوف بنا وتحتل اذهاننا في طور الشباب الاول ، نجدها في رواية الهام ممثلة خير تمثيل ومصورة بريشة رسام ماهر . والحق ان نقولا يوسف ابدع ايما ابداع في الجزء الوصفي من قصته فهناك مناظر طبيعية مصرية اجاد تصويرها اجادة فائقة وتحرى الدقة المتناهية في ابراز معالمها فأشعرنا بما فيها من جمال هادىء وسنان وليس شك ان الابداع في وصف الطبيعة المصرية يزيد القارىء المصري حبا لبلاده ويضاعف تعلقه بها وحرصه عليها واندماجه فيها واخلاصه لها ـ وهذه الظاهرة الوجدانية شائعة في كل سطر من سطور القصة وهي السر في قيمتها الادبية .. »

اما مجموعاته القصصية : دنيا الناس ومواكب الناس وهم هن ـ فتكاد تشترك جميعا في خصائصها . فبعضها صور من نماذج بشرية قد تكون حقيقية مرت بالكاتب وقد يتدخل الخيال في عقدتها فلا تخرج صورة فوتوغرافية او حادث عابر ـ وهي صور نفسية تحليلية واكثرها من عامة الشعب وبسطاء الناس ، وتدور حول تقويم ضعف او اصلاح نقص في اسلوب واقعي وهدف مرموز .

ومما لاحظه محمود تيمور في تقديمه لمجموعة (دنيا الناس) ١٩٥٠. ان هذا الكتاب : « هو حقا دنيا الناس بما حوى من صور تمثل شكولا من تصاريف الناس فيشئون العيش ومدارج الحياة .. » ويقول : « لا نرى صاحبنا في كتابه هذا يتابع مناجياته العاطفية الرقيقية التي الفناها من قبل في شعره المنثور ـ فقد نزل اليوم الى الشارع وخالط خلق الله وعاد الينا في (دنيا الناس) يسجل استجابته النفسية لما رأى وما سمع فتجلت مهارته في التقاط الصور وانتزاع المشاهد والتفطن الى المواطن الاجتماعية التي تلين للغمز واللمز ، واذا هو يزف الينا تلك الاقاصيص من صميم الحياة مختلفة الوانها يغلب عليها طابع الطرائف .. » ويرى صديق شيبوب في (دنيا الناس) (البصير ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٥٠) ان المؤلف « .. يتبسط في الوصف لانه يعتمد في ما يكتب على الواقعية ـ فهو واقعي في وصف المدن والاحياء والشوارع ومناظر الطبيعة والحياة العامة والهدوء الذي يرين على بعض مدن الريف والصخب الذي يستولي على غيرها . وهو كذلك واقعي في اختيار الاسماء ـ اسماء الاشخاص والمخازن والمقاهي ... وفي وصف الحياة اليومية لافراد الاسرة والاحاديث التي يتداولونها .. واسباب الاحزان . والافراح .. ولعل كلمة واقعية لا تتفق كثيرا في معناها الفني مع هذا الذي ذكرناه واذا قلنا ان هذه الاشياء توافق الطبيعة والواقع كان التعبير اقرب الى الحقيقة من مدلول كلمة واقعية (رياليسم) في الادب الاوربي ـ وهي انما تطلق على طريقة الكاتب في وصف الاخلاق والغرائز ـ وكلما كانت هذه الغرائز وتلك الاخلاق لمحة في مطابقاتها لنزعات النفس الانسانية المنحطة بعيدة عن السمو الى المثل العليا .. كانت اقرب الى الواقعية . ونقولا يوسف من هذه الناحية واقعي ولكن واقعيته يشوبها كثير من العطف على ابطال قصصه لانك تشعر في بعض الاحيان وأنت تطالع الاقصوصة ان صاحبها يعطف على بطلها .. ويشوب واقعيته ايضا شيء من الشاعرية تجعله يسمو فوق الواقعية الى بعض المثل العليا ـ ولعله يابى ان يتمرغ الناس جميعهم في حمأة الحب والبغض والانتقام ، وان يلقوا من ويلات هذا العالم وشروره ما لا قبل له به .. وهكذا نجد الاستاذ نقولا يوسف يجلو من (دنيا الناس) صورا طريفة فيرسمها باسلوب يختلف بين الرقة والبلاغة ، وبين الدقة والسماحة ـ في عبارة محكمة وفيض وسلاسة . وهو يرسمها كذلك في الوان مختلفة واوضاع متغايرة واوساط تكاد تكون متفقة لانه عني اكثر ما عني في هذه المجموعة بأولئك الناس من اصحاب الطبقة بين البورجوازية والشعب من أمثال صغار الموظفين وهم اكثر الطبقات عددا واجدرهم بالعناية والحدب .. وكل صورة جلاها نموذج بشري حري بالدرس والتحليل .. »

وعندما قرأ عبدالرحمن شكري مجموعته (مواكب الناس) ١٩٥٢ ارسل اليه يقول (١٨) :

« ... ولكني رأيت ان اكتب اليك لاشكرك على هذه القصص التي تدل على العبقرية وحسن الاختيار والخبرة بالنفوس البشرية . وبودي ان اقرأ لك مجموعات قصص اخرى قبل ان اموت .. ولو ان هذه المجموعة هي اشبه بالحياة جمعت بين اناس من كل لون وصنف فارجوك ان تقصر ادبك على كتابة القصص القصيرة فقد برزت فيها وستبرز ان شاء الله ... »

وفي المقالة التحليلية البارعة التي طالعها قراء « الاديب » (نوفمبر ١٩٦٢) عن مجموعة (هم وهن) يقول الدكتور محمد رجب البيومي : (.. ان هذه المجموعة واخواتها تؤكد ان الاستاذ يكتب القصة نتيجة مرارة نفسية تتعقد عواملها في نفسه لنشاز يلحظه فيرصد مشاعره رصدا متناسقا يعنى بالتحليل والتشريح وتغمره روح انسانية متسامحة تغضي عن الهنات ، وتفسح لها مجال العذر والتبرير لما ركب في الغرائز من عناصر الجموح والسيطرة وانت حينئذ لا تتطلب منه مجرد تشويق كاذب او اثارة مفتعلة او مفاجاة مذهلة كما يعمد الى ذلك من يتملقون القراء باحقر اساليب الاغواء ، بل انه ليتهكم بهؤلاء في احدى قصصه .. وقد اعان الاستاذ نقولا على هذا التحليل الكاشف رصيد ضخم من الملاحظة الدقيقة فهو يعير اللفتة العابرة اهتمامه كحدث هائل يترك دويه المجلجل ، ويرى في الكلمة التافهة والاشارة المقتضبة سيولا من الاشعاعات الكاشفة تتجمع وتتجمع لتجلو الظلام عن وجوه الحقائق فتسفر في افتضاح . أجل ، الحادث الصغير يراه كل انسان فلا يعبأ به بحكم الالفة والتكرار ولكن الاستاذ نقولا يوسف يجعله نواة جيدة لقصة رائعة من ابدع القصص الفني المعاصر ..)

وكتب اليه عام ١٩٦٤ رائد الفن التشكيلي محمود سعيد يقول عن مجموعته (هم وهن) :

« كانت قراءتها من اجمل الساعات التي خففت من وحدتي اثناء مرضي ، ونقلتني بسحرها من جو حجرتي الممل الى تلك الاجواء المثيرة بشعرها الاخاذ وانسانيتها العميقة ... »

واخيرا عندما استقال نقولا يوسف من الوظائف ـ في اول يونيه ١٩٦٠. للتفرغ للبحث والدرس بعد ان اشتغل بمهنة التعليم قرابة خمس وثلاثين سنة تحتاج الى حديث لا يتسع له المقام ـ شغل معظم وقته في المطالعات ، ونشر منذ ذلك العام اكثر من سبعين مقالة واقصوصة في الصحف العربية ومنها مقالاته بمجلة « الاديب » . كما اشترك في المؤتمر الافريقي الاسيوي بالقاهرة ١٩٦٢ وفي مهرجان الشعر الرابع والخامس بالاسكندرية .. وقضى ايضا عامين او ثلاثة في انجاز كتاب كبير عهد اليه بوضعه عن « اعلام الاسكندرية قديما وحديثا » ويشمل تراجم لاكثر من مئة علم من الاسكندر الاكبر الى يومنا هذا من أعلام الوطنية والعلوم والفنون والاداب ـ وهذا الكتاب في سبيله الى المطبعة وكذلك وضع كتابا عن الادباء الزنوج واخذ في اتمام كتابه القديم الذي نشر عددا من فصوله منذ سنوات عن « البحث عن السلام » ثم مجموعته القصصية الرابعة المعدة للطبع .. ومخطوطات اخرى ..

واما مقالاته وابحاثه المنشورة في الصحف منذ عام ١٩٣٦ ـ أي بعد ظهور كتابه « الحياة الجديدة » وهي في بضع مئات ـ فلم تجمع بعد في كتب ..

وعلى شاطىء الاسكندرية بين بحرها وذكرياتها وانبعاثها الجديد ، يعيش اليوم ـ ومنذ عدة سنوات ـ الكاتب المجاهد نقولا يوسف مكرسا حياته وقلمه في خدمة وطنه العربي والشبيبة العربية والانسانية جميعا

الاسكندرية — عبدالعزيز جادو

طرفة الحياة خلف المظاهر المادية

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

لاشك ان دقة الحس ، ووفرة الخيال عند بعض الناس ، تهيب بهم ان يستنطقوا ما يكمن خلف هذه المظاهر المادية ، التي تقع أنظارهم عليها ، فلا يمرون عنها عابرين ، بل يلذ لهم بما يغدقه عليهم خيالهم ، ان يستنبطوا ما يداخل هذه المحسوسات المادية ، من اسرار ، ويسبغوا عليها الحياة ، وفي اضفاء الحيوية ، على بعض هذه المظاهر ، ما يقوي من الصلة الروحية فيما بيننا وبينها ، فتتسع آفاق الحياة وتعمق ، وكم في الحياة من اسرار ، تبدو واضحة ، على ضوء الاحساس الرهيف، والخيال الخلاق، الذي لا يفتأ ان يجمل الحياة امام الانسان ، بما يقع عليه، من كنوز سحرية ، اذا ضاق ، بما ران عليه من رتابة السأم ، والضجر ، واقتحم هذه الحياة المقلقة ، منسابا الى حقائقه الاولى ..

وقف صديقي امام شجرة وردة في احد البساتين يحدق صامتا في زهرة حمراء يخالها الرائي ، لهبا متحركا متجمدا .. وقف يتأمل اناقة حسنها ، وجمال منظرها ، مغرقا ، متبتلا في تأمل سر تكوينها ، يشتم اريجها ، وينفثه ، في رئتيه ، مغتبطا مسرورا ، مؤتنسا بمتاعه ولذته ، وانا أرمقه ، وهو في كمال غبطته ، وتفاعله مع الحياة ، وسرعان ان قدم صديق لنا ، وشاهده في غمرة سروره ، فلم يعجبه هذا الفرح الطفولي ، لان سطحية نظرته للحياة ، لم تدعه ان يحفل بأمثال هذه الفرحة ، وان لا يطوف في اجتلاء اسرار الحياة العميقة ، بل وقفت به عند حدها المادي ، ولم يكن في طلاقة الخيال ما يمنحه ان يمد جسرا ، ينطلق عليه ، ليصل الى الحياة الحقيقية التي تتحرك طليقة خلف هذه الاسرار المادية : اقتطف الورده ، وانتزعها من غصنها ، ومن ثم شمها ، واستغرق اريجها ، ثم دعكها بيديه ، وبددها قطعا متناثرة ، ورماها على الارض ، وضغط على نثارها ، بكعب حذائه .. كنت اتأمله ، وعيناه تلمعان بالسرور ملتقيا مع دفقات شواظ السخط ، تنفثه عينا صديقنا المتأمل ، ولم يلبث ان نشب بينهما عراك كلامي ، يخفي تحت نبراته الهادئة حدة وغيظا .. قال الاول .. لم اجهدت نفسك ، في اقتطاع زهرةالورد ، والقيت بها على هذه الصورة تندب مصيرها؟

ـ لقد استغرقت أريجها ويكفي ذلك .

ـ اليس للزهرة حياة ، وانفاس كأنفاسنا ؟ ولم لم تدعها حيث هي ، لعل غيرنا يأنس بحسن منظرها ، ويستاف اريجها ؟ اما كان حريا بك ، ان تغنم بديع الحسن من بعيد ، وتتركه يناجي الحياة ، كما تناجيها انت !

ـ حقا انك لمغرور ! وهل للزهور روح كأرواحنا ، حتى تتركها تناجي الحياة ؟ ان استغراقك في الاوهام هو الذي أثار فيك هذا الاهتمام !

ـ انا لست مغرقا في الاوهام ، وما اقوله هو حقائق .. كنت اتأمل الزهرة ، واشم عبيرها وابكي في لحظة واحدة ، ابكي .. لانها انتصبت في مشرق الصباح ، على غصنها ، تغني للحياة في شوق وأمن ، ولم يكن يدور بخلدها ، ان الموت يتربص بها ، ما بين لحظة واخرى ، اما ذبولا عند المساء ، حيث تلفظ انفاسها الاخيرة بعد ان مثلث دورها في الحياة ، تطلق عاطر النسيم الجميل المحبب ، فيذيع السرور والفرح ، والنشاط ، في قلب الانسان دون ان تحمله منة .. او انتزاعا من يد مثلك ، يقضي على أنفاسها ، وهي في ضحوة عمرها ، بلا سبب ، سوى ما يتأصل في اعماقك من قسوة وصلابة ..

ـ القسوة في اعماقي ؟ نعم القسوة في اعماقك ، ولو لم تكن قاسيا ، لتركتها تذيع العطر وتنفح بالجمال ، واثارة احاسيس الخير في الانسان ، بيد انك قضيت على الخير ، وفي بعض النباتات الصغيرة ، ما ينفح الناس بالخير اكثر مما ينفحه الناس ..

لقد هدأت سورة هذا العراك الكلامي بينهما واسترسلنا ، في سيرنا ، وانا اقارن ما بين حرارة القلب الحساس ، وبرودة القلب القاسي .. واخذت تنهال علي الصور والتأملات .. لقد تأمل الشاعر ابن الرومي ـ في زهرة الشقيق الحمراء ، تنطبق على قرص أسمر ، فأنس بهذا المنظر واسعفه خياله ، ان يعطينا صورة جميلة ، من صور الحياة ، تصور الزهرة لهبا يلتف على قرص من الفحم لم تشعله ، قال :

اعجب بها شعلا على فحم لم تشتعل في ذلك الفحم

ان قوة فنه ، وصدق نظرته للحياة ، ادى به الى ان يتصور الحمرة لهبا ، والسواد فحما ، فجاد خياله بهذه الصورة الرائعة ، واذا قارنا هذه الصورة ، مع صورة اخرى ، استمدها شاعر آخر لا يهمه الا الطلاء الخارجي ، والزخرفة والتزويق ، استمدها من وصف زهرة الشقيق ، لبدت الصورة الثانية باهتة ، لا تحفل بالفن والحياة ، وانما تحفل بالوهم يقول :

انظر اليها كتيبة من عسجد شقائق النعمان فيها جراح

ان اغراقه في الوهم ، صور له الخضرة في لباس الكتيبة ، وشتان ما بين الخيال ، والوهم ، فالخيال يكبر من الحقيقة ، بما يعطي الصورة من لون اخاذ ، والوهم خداع وتزويق يخالف جوهر الحياة ..

ولقد يمر كثير من الناس ، على الخرائب والاثار ، فلا تثير في نفوسهم حسا ، فكأنما يمرون على احجار ، وصور صماء ، لا تنبض بالحياة ، ولا تحفل بعظمة الانسان،

حطام قيثارة

.. الى الفنان علي خالد هجرس ..

★

لمـــا ادكرت مـــع السمار نجواك ... جهشت مـــن حسراتي عند مرآك
قيثارتـي ايـــن اوتـــار تعلمنـي ... مـــا كنت اجهل مـن اسرار دنياك
كنا نجيين نحيـــا فـــي مطارحة ... ومـــلء حنجرتينا غصة الشاكـي
اشكو اليك مصابي مـن اسى زمني ... ليـــلا وافهـم بالانغـام شكـــواك
عشنا معا في الضحى والليل يجمعنا ... نجواك حيث الندامى مـــن اساراك
فكيف حطمك المقدار فـــي عجـل ... وصرت كومـــة الـــواح واسـلاك
أأنت هـــذي البقايا يـــا مبعثـرة ... كزهرة بـددت مـــا بـــين اشواك
لمـــا تفـــرق احبابـــي وزايلنـي ... انسي وعادت لـــي الاحزان لـولاك
تهوين من فوق تـــل كان يجمعنـا ... قبـلا وكـان مـــع السمار مأواك
ومـــا تبقى مـن الدنيـا يفرحنـي ... شيء . ويبعد عنـــي الهـــم الاك
يامـــا لعبـــت بارواح وافئـــدة ... في موكب ببساط الانس ضحـــاك
طورا تسيلين (بياتـــا) واونـــة ... (رصدا) ومن بعده لحن (الصبا) الباكي
قيثارتي لـــو نسيت الناس كلهـم ... والراح والمنتدى مـــا كنت انساك
هذا الحطام حطامي انـــه قطـــع ... مني . وليس حطاما مـن بقايـــاك

البحرين — احمد محمد الخليفة

لانهم لا يدركون الا الواقع المادي ، ولا تنفذ نفوسهم ، الى سر الحياة العقلية والنفسية ، وقدرتها التي اخرجت من المادة ، صورا حية مادية ، تنبض بالعظمة والجمال والقوة بروح الانسان الجبارة اذ حسبهم من الحيـــاة ، الاكـل المرىء ، والعيش الرغيد ، يمرون عن قافلة الحياة ، عميا لا يدركون اسرارها ، يحسون الحياة بأمعائهم ومعدهم ، اذ غدا احساسهم معدة ثعلبها ضابع .

لقد زار الشاعر شفيق المعلوف ـ خرائب بعلبك ، فالهمته آثارها رائعة ، قل ان تجد لها مثيلا فـي الادب العربي ، لان خياله الوثاب ، وحسه المرهف ، جادا عليـه بصور استمدها من اعمدتها ، وهياكلها ورشاقة تماثيلها ، مستلهما التاريخ ، وما كانت علية قوة الانسان ، في غابر الازمـان يقـول :

ربضت على صدر الزمان واوثقت ... كلتا يديه .. فحار كيف بنالهـا
رضم لو انك .. سرت في جنباتها ... لخشيت ان تهوى عليـك ظلالهـا
في صخرها تحيا النسور كأنها ... منحوتـة مـن صمـه آجالهـا

وتشبه اطلالة المعلوف ، اطلالة الشاعر ابو ريشـة على صرح روماني قديم ، شاهده في صحراء الشـام ، رابضا على صدرها ، فأثار في نفسه احساسات مزعجة رهيبة ، تنبض بالجمال قال :

قفي قدمي ان هـذا الكـــا ... ن ، يغيب به المـرء عـن حسه
لقد تعبت منه كـف الدمـار ... وباتت تخـاف اذى لمسـه
هنـا ينفض الوهـم أشباحـــه ... وينتحر المـوت مـن يأسـه !!

ان اعاجيب الكون، وكنوزه السحرية، تكمن خلف هذه هذه الاستار المادية ، لا يقتطف جناها ، وحلو ثمارها .. الا من امدته الحياة ، بفيض زاخر من الاحساس الرهيف والذكـاء العجيـب .

عمـان — مصطفى درويش الدباغ



يوسف عبد المسيح ثروة

هنريك ابسن والرمز والدلالة

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

يمتاز هنريك ابسن ، الكاتب المسرحي النروجي الفذ ، باصالة مسرحية خاصة جعلته في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، محورا لجدل مترامي الاطراف عميق التاثير ، سهل التناول ، متنوع الجوانب ، اخذ عليه بعض النقاد مآخذ كثيرة فعدوا ادبه باسره ادبا فجا وقحا ، صارخ الصراخة ، ولا سيما في انكلترا ، وعده آخرون ، وعلى رأسهم برنارد شو ، فتحا جديدا في عالم المسرح ، من حيث صراحته وصرامته، وقوة اتحداره في مهاوي شلالات المجتمع والنفس البشرية على حد سواء ، وعرضه الصور والمشاهد النفسية والاجتماعية والخلقية عرضا امينا صادقا ، فيه جرس الاخلاص الرنان ، والقدرة القادرة على الغوص الى الاعماق وفضح ما فيها من نتن وسموم ، ومخاز وسفالة وانحطاط بشجاعة الرائد وعزيمة القائد المحنك ، وحنان الاب العطوف وحماسة المصلح الحريص على الصالح العام . وكل ذلك باسلوب بسيط بساطة السهل الممتنع ، وحوار يتواءم ويتلاءم منبعثا من اطراف الحبكة القصية ، ليتلاحم في العقدة تلاحما طبيعيا تدريجيا هادئا ، يمشي ـ على وفق السياق ـ على هون ويسر ، من غير جلبة او هرج ، ويتصاعد الى الذروة تصادعا سليما لا هرجلة فيه ولا تعثر ولا تهور ، وهو ـ في ذلك كله ـ يضع الحياة على المسرح وضعا لا تكلف فيه ولا تصنع ، او يجعل المسرح نفسه صورة حية من صور الحياة كما هي .

اما التوتر ، الذي هو محاولة وجدانية لحل التناقض في الوجود المسرحي ، من حيث كونه وجودا حيا ، فهو كذلك توتر طبيعي يشعرك قارئا ومشاهدا بواقع الحياة ، لا كما هي في مظهرها الخداع ، مظهر التقاليد والاعراف والقيم ، بل واقع الحياة في مساربها الخفية وحقيقتها المبطنة بالف ستار وستار من الزيف والنفاق والرياء والدجل والغش والاحتيال ..

ومن ثم كانت هذه التعرية عنيفة عنف المبضع وهو يمزق الاشلاء المتهرئة . وصارمة صرامة الصراحة الجارفة لكل العوائق المفتعلة المختلقة .

وهذا العرض الامين لمشكلات المجتمعة المتورمة الخبيثة يجد له اصداء واضحة المعالم في المسرحيات الاجتماعية لا سيما في (بيت الدمية) و (الاشباح) و (عدو الشعب) و (اعمدة المجتمع) .

مسرحية بيت الدمية

في هذه المسرحية فضح صريح كل الصراحة للصلات النفاقية التي تجمع بين الزوج والزوجة من حيث كونهما كيانا منسجما ووحدة اجتماعية عضوية .. وهما ـ في الواقع ـ كيانان منفصلان جمعت بينهما مصلحة آنية وقتية ، انهارت انهيارا فاجعا بتعرض هذه المصلحة الى عوامل خارجية وداخلية كانت سبب التأزم والتشتت والضياع واذا بكل التقاليد تهتز من اسسها اهتزازا عنيفا في وجه عاصفة من الانفتاح النفسي والانكشاف الذاتي ، والاعتراف بواقع الحال . واذا بالمرأة ، الانسانة المليئة بالروح الانسانية العميقة السمحة المكتفية بوجودها التقليدي الزائف ، تنفر من هذا الوجود ، بل تثور عليه ثورة عارمة تهدم كيان بيتها على رأسها وتبتر صلتها بزوجها وبذريتها ، لانها شعرت ولاول مرة انها كانت تعيش عيشة اقل ما يقال فيها انا عيشة الدمى لا عيشة الانسان الحي المسئول عن وجوده ، المستقل بشخصيته ، المدرك لقيمته الواعي لانسانيته ..

ومن هنا ، فان هذه المسرحية التي احدثت اعصارا في طول اوروبا وعرضها فزلزلت قواعد المجتمع حينئذ ، لا بد ان تحملنا على تفهم مشكلة الزواج لا بوصفها وصفة جاهزة لعلل المجتمع ، بل بصفتها هي نفسها مشكلة بحاجة ماسة الى حل جذري ، اذا اريد للعائلة ان تكون نواة حية لمجتمع حي سليم من اوضار التفسخ والانقسام والانهيار ..

وابسن ـ في عرضه لهذه المشكلة ـ لم يطمح الى وضع حلول لها ، ولم يحاول ان يضع مثل هذه الحلول ، لان عمله المسرحي الرائد ، يتنافى والعمل الاجتماعي بمفهومه الاصلاحي . ذلك ان المصلح ـ في دخيلة نفس المسرحي ـ كان يختبىء بل يتراجع خلف العمل الدرامي الذي هو فن وابداع وخلق وتجاوز للواقع انطلاقا من الواقع ، ولذا نجد العرض الامين يلتقط خلفيته من الواقع الاجتماعي ليقدمه الينا في صورة معبرة صادقة شاملة لدقائق الحياة ، من غير رتوش ، ومن غير انفعال ذاتي غير مناسب ، غير وارد . وهو ـ في ذلك ـ يستخدم نثرا تلقائيا مباشرا بسيطا ، يمتاز بالشفافية والاصالة والادراك العميق . كما يمتاز بالقوة الدافقة والعنف والشدة . كل ذلك على وفق مستلزمات الحياة ودوافعها واسبابها ومسيرتها ، انطلاقا من الجو الطبيعي الذي ينبعث من الحياة . وشفيعه ـ في ذلك ـ امانة في الاداء ، وحرارة في الحوار ، وصدق في العرض ، ودقة في التناول .

مسرحية الاشباح

اما في « الاشباح » فهو يتعرض الى مرض الزهري الوبيل تعرضا خاليا من كل رأفة وشفقة ، خاليا من كل نفاق او رياء ، فالابن المريض ورث مرضه من ابيه ، لان اباه جعل من بيته مباءة فسق واباحية وفجور ، لا دار قدسية وهيكل عبادة ، وصرح زيجة طاهرة . وهكذا فالآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون ، كما جاء في القول المأثور . وكان هذه هي سنة الحياة ، في بلد ضرب عرض الحائط بكل القيم والمقدسات ، ثم راح يدعي متشدقا انه موطن الفضيلة وملجأ الحرمات والمقدسات . على حين ان العائلة التي تمثل شخوصها « الاشباح » لا تعدو ان تكون المثل الاعلى لمثل هذا البلد ، ومثل هذا المجتمع ، المثل الذي ينز تفسخا وتخبطا وانحلالا . ولكن القيم المتعارف عليها المعترف بها تأبى الا ان تصر على ان هذا هو المجتمع الانموذجي ، المجتمع الفاضل السليم من كل الادواء والموبقات النزيه الذي لا ترقى اليه الريب او الشبهات .

ومن ثم نجد النقيضين متلازمين ، الحياة واقعا والحياة اشباحا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الواقع المتفسخ المنحل ، والواقع الاجتماعي الذي يغطي الواقع المتفسخ بكل الاردية والبراقع ، لكي يبدو في مظهر غير مخبره الحقيقي ، ولكي يستمر الوجود الاجتماعي على ما هو عليه من غير رجات او صدمات او اصطدامات .. تجنبا للتغير وتحسبا للطوارىء والازمات ..

الا ان ابسن ـ بحاسته الدرامية ـ ادرك اسس الشرور وجذورها وثمارها فلم ير بدا من ان ينحدر اليها ليمزق الجف عنها ويعرضها لاشعة الشمس المطهرة وهكذا كان له شرف الزيادة في قلقلة المجتمع الاوربي الاسطوري التقاليد ، المجتمع الذي سرعان ما انهارت قوائمه ، لانها كانت قوائم من فخار متشقق وكلس متصدع ونثار من انقاض متماسكة بغراء متفتت ..

مسرحيتا عدو الشعب واعمدة المجتمع

اما في « عدو الشعب » و « اعمدة المجتمع » فيتناول ابسن الزيف الاجتماعي تناولا فيه مسحة كئيبة ، وسخرية مبطنة بهذه المسحة .. فالاصلاح والمصلحون ـ في المسرحية الاولى كلام لطيف يقال ويسمع اليه وينشر على اعمدة الصحف ، ويكون له اتباع واعوان من سواد الناس وارباب السلطة الرابعة ، صاحبة الجلالة الصحافة . كل ذلك حق واضح ، معترف به ، منشور ، مشهور . لكن الامر ، متى تعدى الكلام وسار الى اول مرحلة من التطبيق ، انقلبت الدنيا ، عاليها سافلها ، واذا بالاتباع والاعوان يتنصلون ويتهافتون وينخذلون ويتوارون عن الانظار الواحد تلو الاخر ، لان التلويح بالاصلاح شيء وتطبيقه شيء آخر تماما ، وشتان بين تلويح وتطبيق . واذا بالطبيب المخلص لا يجد غير نفسه اهلا للاصلاح ، فضلا عن شخص واحد صديق يلازمه ، لانه لا يجد معنى للصداقة غير العون في وقت الشدة والمحنة .

مسرحية البطة البرية

والظاهرة البارزة في معظم كتابات ابسن اذا لم تكن في كلها استخدام الرموز الموحية بالدلالات البعيدة الخفية ، ومن ذلك استخدام السفن في مسرحية « اعمدة المجتمع » والرقص والموسيقى في مسرحية « بيت الدمية » والبطة البرية في مسرحية « البطة البرية » . والرمز الاخير حافل بالدلالات والمعاني والاشارات الحية المرتعشة . وهو رمز للطهارة والغربة والانسلاخ ، فالبطة البرية المهيضة الجناح التي تغوص الى اعماق البحر ، بحثا عن الموت والهدوء والسكون ، لا تعدم مطاردا يطاردها الى الاعماق وليس ذلك المطارد غير كلب الصياد الماهر هيكدال، الذي يتعقبها الى الاعماق ويأتي بها ذليلة اسيرة الى بيت الصياد ، لتحيا من جديد حياة ملؤها الوحدة والوحشة والانعزال ..

ومن هو هيكدال هذا ؟ انه ضابط متقاعد ، احتال عليه التاجر ويرلي ، فادخله السجن بدلا منه ، لمخالفة كان المسئول عنها ويرلي نفسه ، ولكنه تمكن بدهائه من توجيه التهمة الى شريكه الذي كسر ظهره واضاع اعتباره ، وقضى على مستقبله وهو آمن من كل اشارة ، سادر في غيه ، غارق الى الاذقان في فجوره ومخازيه .. فهو تارة مع هذه الغانية وتارة مع تلك يقضي اوطاره ، في ليال حمر قانية ، تفح منها روائح تزكم الانوف وتصيب الرؤوس بالدوار والغثيان .

ولما كان ويرلي هذا تاجرا ورجل اعمال ، فمن حقه ان يتاجر بالاشياء ، وبالبشر معا ، وهو ـ مع هذا وذاك ـ طاهر الذيل ، عفيف السمعة ، نظيف الشهرة .. لان مخازيه مخاز مستورة بجدران المال ، لا يجسر اي كان على اختراقها والتغلغل الى مواضع الفضيحة ومظان الرذيلة فيها . انه آمن لانه يملك ما لا يملك غيره من اسباب الجاه العريض ، والنفوذ القوي ، والسلطة المؤثرة . انه قتل زوجته كمدا وصبرا ، ولم يأبه ولم يرعو ، ولم يرتدع . ظلت المسكينة الى آخر دقيقة من حياتها المرعبة تعاني الاهوال وهي صامتة هامدة ، وعواطف الانفة والغيرة والكبرياء تقتلع منها معالم الحيوية معلما معلما حتى اتت عليها جميعا .

اما ابنها غريفرز الذي ولد في تلك البيئة المسمومة ، فقد تفتحت عيناه على الحقيقة ، فرآها كما هي واقعا ينز دناسة ووجودا عفنا ، انه عرف قدر نفسه وعرف صلات ابيه بخادمته تشينا ، وامه في قيد الحياة .. فلم يجد مندوحة من الفرار ببراءته من وادي الدنس ذاك الى منطقة المعامل ، بعيدا عن الاجواء المتكهربة المكفهرة وها قد ماتت امه شهيدة طاهرة ، امينة على العهد وفية لرباط الزوجية الاقدس .. لقد فر الصبي بجلده السليم لكي لا ينتقل اليه عدوى الجرب الذي كان ينتقل بسرعة فائقة في سني الوباء تلك ..

وبعد عشر سنين ونيف عاد غريفرز الى دار والده ، فماذا وجد ، وجد عشيقة والده تشينا وقد تزوجت بالمار هيكدال ، المصور الفوتوغرافي ، ابن هيكدال المسكين ، صديقه الذي اخلص له الود ، ومحضه عمق الوفاء . فماذا هو فاعل اذن حيال كل ذلك ؟ انه سيعمل كل ما يستطيع عمله من اجل صديقه ، وسيحاول ان ينقذه . ولكنه قبل ان يفعل ذلك لا بد له ان يستمع الى والده وهو يحدثه عن صاحبه الذي قذف به الى قاع البؤس فيقول ، « .. خرج هيكدال من السجن انسانا محطما لا يستطيع اي عون ان ينتشله .. ذلك ان بعض الناس الذين يهوون الى الاعماق يحملون معهم ما يثقلهم ، فلا يستطيعون ان ينجوا بانفسهم بالعودة الى سطح الماء مرة اخرى . » وهذا القول شهادة لا تدحض على نفسية التاجر الذي يدفع بغيره من التجار الى هوة الافلاس ، ويظل هو يترقب تاجرا آخر لكي يدفعه هو ايضا الى تلك الهوة . وكأن الوجود كله تدافع بالمناكب الى مهاوي المذلة والفقر والاذلال ، ومنارة ذئاب جائعة ينتظر كل ذئب صاحبه الاضعف ليمزق حتى يأكله تشبثا بالحياة امدا اطول .. هذه هي سنة الحياة ـ على وفق منطق الذئاب ـ فلماذا لا تكون سنة الحياة هكذا على وفق منطق الذئب الآدمي ، ويرلي ، ابي غريفرز الانسان الشريف ، المؤمن بالمثل العليا ، الواثق من وجودها ، المطمئن اليها ، الساعي الى بثها ونشرها بين عامة الناس وخاصتهم ؟.

ان المثل العليا لا بد ان تكون موجودة بكل قوتها وجبروتها ، لانها، ان كانت اخيلة دخانية ، فما معنى الحياة كلها اذن ؟. ايكون الناس جميعا قطعان ماشية وانعام ، همها بطونها ليس غير .. ايمكن ان يكون الانسان كومة من لحم وعظم ودم ، لا نفس فيها ولا روح ولا وجدان . لا ، لا ذلك غير ممكن ، فليس بالخبز وحده يحيا الانسان وهذا ما يؤمن به غريفرز اشد الايمان .

اما بالمار ، صديق غريفرز ، فهو لا يعرف شيئا عن المثل العليا ، ولا يريد ان يعرف . انه يعيش ايامه المعدودة ، باسباب معيشته المحدودة ، وهو مطمئن الى حياته ، متوفر على اسعاد زوجته تشينا وابنته هيدفيك التي يقل النور في عينيها تدريجا ، فضلا عن والده الذي لا يفارق غرفته الا الى خن البطة البرية ، ليطعمها ويسقيها ويعنى بها كما يعنى بصيد الارانب من حين الى حين . الهدوء مخيم على العائلة ، والغرفة الرئيسية هي استوديو المصور ، والمياه تسير متثاقلة هينة ، على حسب التقاليد والاصول ، وكل شيء ـ في البيت ـ ينبيء عن رضا واطمئنان وقناعة .. ومع ان الاب هيكدال ، لا بد له ان يقبع في غرفته طويلا كل يوم ، ليستنسخ العديد من الصفحات على ضوء فانوس شحيح الزيت ، متقطع النور ، باجور يتقاضاها من ويرلي ، من طريق كاتبه الاول ، غروبرغ . فهو لم ينس الاساءة ، ولم يخطر على باله ان ينساها يوما ما .. ذلك انه وهو العسكري الشريف ، نال منه الكيد مناله ، ففارت السكين في قلبه عميقا .

ويحل غريفرز ضيفا ثقيلا على عائلة هيكدال ، ويشعر هيكدال بهذا الثقل افدح ما يكون الشعور ويتساءل مرعوبا : « ويرلي ، أهو الابن ؟ ماذا يريد مني ؟ » فيجيبه ابنه : « لا شيء . انه آتى ليراني . » ماذا يريد غريفرز اذن ؟ هاهو قد جاء بحمل باهظ فادح من ضمير متألم

كالح ، يشعر بذاته المطحونة طحنا فيفضل ان يكون كلبا ذكيا مفيدا من ان يظل في الوجود ، وهو ما هو عليه من عذاب مروع مخيف ، انه لا يجد لنفسه منطلقا غير ان يبوح بما في دخيلة نفسه من شؤون محزنة وانباء شريرة . فهل يسكت ويستمر في اجترار الآمه وهو تلك الكومة من الاعصاب المحترقة المتمزقة التي تقدح شررا كانها البركان الذي يوشك على الانفجار بانتظار الساعة الملائمة ؟ .

ها هو ذا قد سكت ردحا طويلا من الزمن ، فهل في قدرته ان يظل حارسا لكلمة السر ، وهو المؤمن بالصدق والصراحة والواثق كل الوثوق بالمثل العليا ؟ انه يعرف ان البوح بالسر الرهيب سيحطم عائلة بأسرها تحطيما تاما ، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ يعرف انه لن يكون صديقا مخلصا لبالمار اذا لم يأخذ بيده ويضعها على مكمن السر . فماذا يفعل ؟ انه حائر ، متردد ، متخوف ، هذه الفكرة تستبد به وتقلقه وتشده شدا الى نفسه الصافية كالماء الضحضاح .. وتلك الفكرة تقول له بالحاح : لا ترم الحجر في البركة الآسنة ، والا لا بد ان تكون مسئولا عما يتأتى من ذلك من مويجات تبتلع النفوس الصغار ، الابرياء والخطأة على السواء ..

وبعد هذا الغليان النفسي الفاجع ينقل غريفرز السر الى صديقه بالمار ، ويعرف الاخير انه كان عائشا في دار استارها دجل ورياء ونفاق، واذا بالعائلة كلها كيان هزيل لم يثبت على الزمن الا بالغش والاحتيال .. ذلك ان تشينا زوجته نفسها كومة من بضاعة فاسدة قذف بها ويرلي الاب ، لما لم يجد سبيلا الى غير ذلك ، وهو المتقلب المتلون ، الذي يعد النساء جميعا دمى تسلية وقوادير متعة الى حين .

وهيدفيك ، ما شانها ؟ ما ذنبها ؟ ماذا قدر لها من مقادير الزمن ؟ ايصح ان ترمى في صحراء النسيان كما رميت والدتها ؟ هذه الفتاة البريئة ، الطاهرة ، هذا الكيان الملائكي . امذنب هو ، ولم يقترف ذنبا ؟. اصحيح ان ذنب الاباء يقع على الابناء والبنات معا ؟ أعدل هذا ام جور ؟ ام هي شريعة الغابة السوداء ؟

وتحس تشينا بالعاصفة تتجمع وتاملم اشتاتها ، ريحا هوجاء من هنا وريحا سموما من هناك ، فالجو آخذ بالتلبد ، والسكون الرهيب ينبيء باخطار قابلة ، في حركة شيطانية يائسة . وتجد تشينا في وجه بالمار امارات الفزع والكرب والترقب والقلق .. ويلمح بالمار الى الامر تلميحا بقوله : « .. هناك كثير من الاشياء ينبغي للانسان ان يعتاد عليها في هذا العالم » .. لا بد ان يكون اذن قد جرى ما كان متوقعا ، ولا بد من الصراحة ، وغريفرز كان قبل وقت قصير في معية بالمار .. ها ان الساعة قد دقت وحان الوقت لكي ينفض كل منهما غبار الرياء عن نفسيهما . ان تشينا تعرف ماضيها ولهذا فهي عند المواجهة الاولى لم تفزع ولم تهن بل قالت بثبات متسائلة : « هيكدال هات ما عندك رأسا ، ماذا كان يقول عني ؟ » مشيرة بذلك الى غريفرز . فاجابها وسياط العذاب تعمي عينيه : « هل صحيح ؟ هل يمكن ان يكون صحيحا انه كان بينك وبين السيد ويرلي تفاهم حين كنت تشتغلين في خدمته؟» وبعد تردد قصير تجيبه : « ظننتك انك تعرف الامر . انه لم يترك لي راحة حتى قضى وطره مني . » واذن هذه هي ام ابنته . كيف يمكن ان تخبيء ذلك عنه . غير ان تشينا تعترف بخطئها ذلك وتقول : « نعم. كان هذا الخطأ خطئي . كان لا بد ان اخبرك بكل شيء من زمن بعيد . » وعند هذا الاعتراف تشتد ثائرة بالمار عنفوانا ويقول ونفسه تتجرع الهوان قطرة قطرة : « ألم تكوني كل يوم ، كل ساعة ، تندمين على خيوط العنكبوت ، خيوط الزيف التي كنت تنسجينها حولي . أجيبي كيف استطعت الا تتمرغي ندما وحسرة ؟ » . ها هو بالمار اذن يمر باشد لحظات الحياة مرارة . وها هو غريفرز المتشبث دائما بالمثل العليا يحدث الزوج والزوجة بقوله : « توقعت بثقة وانا ادخل الغرفة ضياء التجلي ينسكب علي من كلا الزوج والزوجة . ولكني لا ارى الان غير الانقباض والظلام والسأم » . ويستطرد هذا المثالي الساذج فيقول مخاطبا بالمار :

« الحق اقول : ليس من شيء في العالم يمكن ان يقارن بفرح الغفران حين يصب على الخطاة » . وهو ـ في ذلك ـ يمضي الى نهاية الشوط، لانه لا يعرف حلا وسطا .

ويأتي موضوع هيدفيك ، البطة البرية ليقض مضجع بالمار ، ويبعثر افكاره ويمزق كل ما تبقى من نفسه الممزقة . انه يريد ان يعرف صلة هيدفيك به . ولهذا يتساءل وعقارب الشك تلدغه باستمرار واصرار مخاطبا تشينا : « اريد ان اعرف اذا كان لطفلتك حق ان تعيش تحت سقف بيتي ؟. » وهنا تلتمع عينا تشينا وتتكمش على نفسها وتقول : ((وتسأل ذلك ! » الام لا تستطيع ان تفهم كيف يمكن ان يسأل عن ذلك ، ولكن الاب ذا الشرف المثلوم لا يجد وسيلة اخرى غير وضع السؤال هذا موضع التنفيذ بقوله : « اجيبي عن هذا السؤال الوحيد . الهيدفيك علاقة بي ـ أم ـ ؟ » وهنا تحدجه بنظرة ملؤها التحدي البارد وتقول ، « لا اعرف . » وهذا الجهل او التجاهل لا يزيد الشك الا تعمقا وايلاما وارعابا ، ولذا لا يرى بالمار طريقا الى نفسه الملتاعة المعذبة الا بالفرار ، وتحس هيدفيك بالجو المشحون بالمأساة وتريد ان تتثبت من امرها وتحقق من امرها ، وتتساءل والمرارة تحاصر نفسها : « .. اظن اني اعرف ماذا في الامر . لعلني لست ابنة ابي حقيقة ؟ » ان النار التي تشب في ثنايا هذه الكلمات نار لا يمكن للزمن بكل ما اوتي من قوة النسيان ، وسطوة التكيف ان يخفف من اجيجها .. لانها نار البراءة وهي تتلظى فجاءة ، فاذا بالعقد المقدس على المقادير ينفجر انفجارا عاصفا مدمرا .

وبينما العائلة تنحدر الى مهاوي المأساة ، اذا بصك طي رسالة من ويرلي الاب يضمن حياة هيكدال الاب وهيدفيك طالما هما على قيد الحياة .. فماذا يكون من امر بالمار وقد اتاه المال يركض بل يعدو سريعا اليه ، وهو في وسط المحنة تتقاذفه تقاذفا .. ماذا يحق له ان يفعل والمجرم الاثيم يحاول ان يغطي بالمال الثلمة التي ثلمها ؟. بالمار يشعر ببرودة المال تسري الى اعصابه التوترة المشدودة شدا شديدا الى عظامه التي اخذت تتخلخل وكيانه الذي اخذ يتزلزل .. ماذا يفعل اذن ؟! ايحني رقبته ويجني ثمار الاستكانة والعار ؟ ايخضع لسلطان المال ، وهو السلطان الكافر الذي يلوي اعنف الرقاب آنفة ؟ وتثور في نفسه ثورة الكرامة ، وعزة الشرف ، ودواعي الرجولة . فيقرر ان يمزق الصك . ويخرج من البيت وهو لا يدري الهدف الذي يقصده ، وقد خسر كل شيء في الحياة ، بيته ، راحته ، زوجته ، طفلته ، التي طالما احبها كل ذلك الحب الابوي الحنون . ودارت الدنيا في رأسه فاصابه دوارها ، فما يدري ماذا يفعل ودماء السكين التي انغرزت في قلبه لا تزال تنز من شرايينه ببطء وتثاؤب وخبث .

ها هو ريلنك صديقه وصديق غريفرز يتحدث عن ماضيه في غيابه فيقول : « كان الملعون جميلا ـ احمر وابيض ـ حلم فتيات المخازن ـ في جمال الرجولة . ففضلا عن مزاجه العاطفي السطحي وصوته اللطيف» وهنا يستشيط غريفرز غيظا ويقول : « أانت تتكلم على بالمار هيكدال بهذه النبرة ؟ » فيجيبه ريلنك : « نعم . ان قضيتك قضية معقدة . فانت اولا مصاب بحمى الاستقامة الوبائية . ثم ـ والاسوأ من ذلك ـ انك دائما في خدر عبادة الابطال . لا بد لك ان تعبد شيئا خارج نفسك . » واذن لقد ضاعت المثل التي طالما تشبث بها غريفرز والتي ضحى بحياته من اجلها ، وهي في عنفوان شبابها .. لقد كان الحق الذي آمن به كل ذلك الايمان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باطلا ، مجموعة من الاكاذيب ، وهذا ما توصل اليه ريلنك ولذلك فهو يقول مهدئا روع صاحبه : « حينما افكر في الامر ، يا سيد ويرلي الصغير ـ لا تستخدم تلك الكلمة الغريبة : مثل عليا . ان عندنا كلمة وطنية رائعة هي « الاكاذيب » وعند هذا الحد يسقط في يد غريفرز فيعترف بافلاسه الفكري ويقول وكانه انسان آخر غير ما كانه من قبل : « اتظن ان الكلمتين متصلتان ببعضهما ؟ » فيرد عليه ريلنك

صبحيني

صبحيني بقدك السمهري ... وبورد في وجنتيك جني
واشرحي لي بلحظك العربي ... أي سر من الفتون خفي
بين عينيك يأسر الالبابا

صبحيني بوجهك البسام ... كل يوم يا مصدر الالهام
واملأي يا رشوف بالانس جامي ... وانفحيني بحبك الابدي
وأميطي عن الهيام النقابا

ضل طيف المنى سبيل فؤادي ... فهداه شذا الهوى للسواد
حيث ألفاك يا هزاري الشادي ... تتهادين في جناني الحفي
بك وجدا ، ولهفة ، وارتغابا

هل درى العيد ان لي فيك عيدا ... يسكب العزم في العروق حديدا
قد أعرت المهاة طرفا وجيدا ... وتركت الابي غير أبي
بدلال يضني الفؤاد عذابا

يا محيا كالجلنار المورد ... وثنايا كالاقحوان المنضد
ما رآك المفتون الا تشهد ... وتملى من حسنك العبقري
نظرة تلهب الورى احقابا

حدثيني بحسنك الرقراق ... واثيري لواعج الاشواق
واغزلي من أشعة الاحداق ... شركا يا هوى المنى للوفي
وأسر به كي لا يضيع الصوابا

حدثيني بصدرك المواج ... حائرا مثل تائه في الدياجي
وأبيني عما به من أحاجي ... ورموز عن الهوى المقدسي
وخذي بعدها نسيبي عبابا

صيدا — محمد العدناني

قائلا : ((نعم ، كاتصال التيفوس بالحمى القرمزية)) .

ويعود بالمار الى بيته ليفتش عن كتبه الضرورية له من اجل مشاريعه التي ستحقق له ـ على حسب ظنه ـ حلمه الكبير في الاختراع الذي ساوره كل تلك المدة . وتستقبله زوجته استقبالا حافلا بالمودة والرقة . غير انه لا يقابل ذلك الا بكل برود ، لقد عزم على امره ، وها هو ينفذ ما عزم عليه . فليس من قوة ترده عما اعتزم عليه . انه ماض في سبيله بعد ان انهار البيت الذي بناه بكده وجده وعرق جبينه انه لن يتلفت الى الوراء بعد الان ، فقد كفاه ما رأى من الاكاذيب التي ملأت ارجاء حياته ، في بيته ، في محله ، في صلاته مع الناس ، رفيعهم ووضيعهم ، في كل شأن من شؤونهم وشؤونه . وماذا عن هيدفيك التي احبته كل ذلك الحب وقصرت وجودها على وجوده ، هل سيتركها يتيمة بعد ان احست بحرارة الابوة ؟

ان البطة البرية التي احبتها هيدفيك ستكون الضحية ، الدليل على مقدار حبها لابيها اذا تفضل بالعودة الى بيته . ها هي هيدفيك ، في خم البطة ، تلاعبها وتبادلها معاني الالفة وامارات المحبة . انها في هذه الغرفة بانتظار الفرج ، بانتظار العودة التي ستعيد اليها الحياة بعد ان كادت تفقدها انها لن تستطيع العيش بدون ابيها . واذا كانت البطة اللعينة المحبوبة تحول دون هذه العودة فلتقض عليها . وتسمع طلقة ، واذا بجميع هذه الاحلام التي سادت البيت في هذه الساعة الحرجة ، اوهام بددتها الطلقة التي استقرت في قلب هيدفيك ، معلنة عن تضحيتها بنفسها في سبيل من احبت واذا بالفداء فداء عظيم .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشارع المجنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم خليل ابراهيم الفزيع



لا احد يعرف من هو اول من اطلق هذا الاسم على هذا الشارع الا الله .

وكل ما يمكن معرفته هو ان الناس ينطقون بهذا الاسم في خبث تختلف بواعثه باختلاف الظروف والحالات ، ومع الجهل الذي يواجه كل سكان هذه المدينة الساحلية عندما يسألون عن اول من سمى هذا الشارع بهذا الاسم ، الا انهم جميعا يعرفون كل صغيرة وكبيرة فيه ، يتساوى في ذلك كبيرهم وصغيرهم .. نساؤهم ورجالهم .. الكل باختصار .

وفي هذا الشارع ارتفع صوت عذب يردد :

خذ من عمري .. عمري كله .. الا ثواني اشوفك فيها ..

ليختلط بصوت آخر يشبه هذيان المحمومين وهو يردد ربما في ذهول :

حبيبي ضمني ضمه ..

ومن بعيد كان يمكن الاصغاء الى آخر يستجدي الاعجاب وهو يصر ببلاهة :

اسأل مجرب ولا تسأل طبيب ..

وعلى طول الشارع الممتد من شرق حتى غرب المدينة ، ارتفعت الاصوات في صخب صارم ، عندما تتقيء بها اجهزة المذياع او الحاكي بلا هوادة ، وفي منطقة صغيرة وسط الشارع .. كانت متاجر الكماليات والادوات النسائية ، تغص بالزبائن الذين لا يشترون منها شيئا ، بقدر ما يتلهون بالتطلع بحسرة الى الفتيات الفاتنات او الغير فاتنات ، للاعجاب مرة ، وللسخرية مرة ، وللعبث في كل مرة ، وغير بعيد من هذه المتاجر انتصب في تحد مقهى صغير في الجهة المقابلة لبعض الصائغين المنهمكين في اعمالهم ، بينما نظاراتهم ذات الاطر المذهبة ترقص على ارنبات انوفهم ، ولما كان جل زبائنهم من النساء ، فقد كان طبيعيا ان يغص هذا المقهى بالعاطلين الذين ارهقهم التجوال في الشارع ، فقرروا اخذ قسط من الراحة في هذا المقهى ، استعدادا لاستئناف الغزو الذي لا تزيد اسلحته عن الغمز واللمز والاستعانة بالحواجب والعيون ، والى جانب هؤلاء يوجد قلة من الرجال الذين ينتظرون زوجاتهم او قريباتهم حتى ينتهين من شراء ما يحتجنه من متاجر هذا الشارع .

كانت الفضيلة تنتحر في هذا الشارع ، ولكنه انتحار مؤقت لا يتعدى سويعات من العصر وبداية قليلة من الليل ، ومع ذلك فهي مبعث قلق لمن تضطرهم الظروف العبور من هذا الشارع خشية اتهامهم بالانجراف في تيار المتكالبين على **تحطيم قيم يرونها بالية .**

وعلى واحد من هذه المقاعد المنتشرة امام المقهى الصغير ، جلس دهيمان يرصد في شبه ذهول الرائحات والغاديات من الفتيات الكواعب ذوات الصدور النافرة ، كان شيئا جديدا عليه ان يشاهد هذا الزخم الآدمي المستمر .. وهذا الفتون في هذا الشارع . وتذكر نساء الصحراء اللواتي لوحت بشراتهن الشمس واحالت الوانهن الى سمرة بات يكرهها الان ، وهو يشاهد ذوات اللون الخمري والابيض والاسمر الذي لم تحرقه الشمس وتحيله الى لون الفحم .. كما يشاهد الوانا متعددة تجمع بينها الاناقة والقدرة على سلب العقول ، اما العجائز اللواتي يمشين على مهل ، فقد لا يختلفن عن عجائز الصحراء الا في مظاهرهن الغريبة عندما يتبرجن كخير وسيلة للهروب من الشيخوخة والعودة الى الشباب .

كان ينظر الى كل ذلك كالجائع عندما يتطلع الى واجهات المطاعم الزجاجية ، فيبصر من خلالها الذ انواع الاطعمة وراءها ، ولكنه لا يملك الحق في الاختيار ، فيكتفي بأن يمصمص شفتيه في حسرة متناهية. ولاحظ عجوزا تمشي بمهل وتثرثر ، بينما تمشي بجانبها فتاة جميلة تصغي الى ثرثرة العجوز في صمت ، دون ان تعلق ولو بكلمة على ما تقوله العجوز .. وترك نظراته تتدحرج على ارض الشارع ، لتتبعهما ، حتى اختفتا في جموع المتسكعين بخطواتهم التي بدت بليدة كأفكارهم ، والمتسكعات اللواتي لا هم لهن غير ارتياد هذا الشارع ، وانتبه على صوت يسأله في لثغة مضحكة .

ـ تيف حالت ؟

كان المتكلم يقف امامه ، وكان يريد ان يقول « كيف حالك » ولم يفهم دهيمان ماذا يقصد هذا الواقف امامه والممسك بقلم وورقه ، فهز رأسه في تساؤل يشوبه الخوف .

ـ انا تخفي ..

مرة اخرى استعصى عليه الفهم .

كان الصحفي يسجل في ورقته كلاما لا يعرفه دهيمان ، ربما كان يكتب وصفا لهذا البدوي الجالس بمفرده فوق مقعد وامامه منضدة وضعت عليها زجاجة مرطبات رغم ان الجو لم يكن حارا ، وكان يرتدي ثوبا باكمام فضفاضة ، و «غترة» حمراء ربطها على رأسه بعقال ترك باقيه يتدلى خلفه ، وقد تحزم بسير جلدي تدلى من جانبه جراب مسدس ، كان خائفا من هذا الواقف

امامه والمشغول بالكتابة ، ولما تطلع اليه وجد وجهه خاليا من اي تعبير ، فاستبعد الخوف ، وقال بلهجة بدوية محببة :

ـ يا ابن الحلال اتركني افضل لك .

ولم يشأ الصحفي او التخفي كما قال عن نفسه ان يتورط مع هذا البدوي في موقف لا تحمد عقباه ، فاكتفى بأن قال بلا مبالاة :

طث ..

نطق الثاء مضخمة الى اقصى حد، بدل الزاء . وانصرف .

وعاد دهيمان يمضغ الصمت ويجتر الحسرة .

وغير بعيد عنه ، جلس ثلاثة شبان في مواجهة الشارع ، واستمر الندل القصير يقفز كالعصفور في تجواله الدائم بين المناضد .. يلبي الطلبات ، ويتلهى بمسح المناضد الخالية بقطعة قماش ملوثة لا يلبث ان يرميها على كتفه بحركة لا مبالية .. وكان الشبان الثلاثة منهمكين في تقبيل شفاه خرطوم « الشيشة » بالتداول ، وهم يطلقون تعليقات سمجة عن هذه او تلك من الفتيات والعجائز . وسلخ احدهم نفسا لاهبا من صدره وقال بصوت مشروخ :

ـ انظروا اليها .. انها ملونة . تبدو كقوس قزح .

ولم يرد عليه احد .

واصغى « دهيمان » الى صوت ينبعث من داخله ..

ما أجمل الحياة في المدينة ، وما اكثر المباهج فيها ، واين الحياة في الصحراء منها .. هناك الحر والقر وشظف العيش ، وهنا جمال الحياة ويسرها .. هناك يتعذر الحصول حتى على الماء ، وهنا يرشون به الارض ، وفرق بين من يستجدي الارض ماء ومن يمنحها هذا الماء . انهم هناك يموتون .. ويموتون حتى يموتون ، ولكنهم هنا يحيون .. ويحيون .. حتى يموتون ، وشتان بين من يموت ليموت وبين من يحيى ليموت . وهل تتاح لهالحياة في هذه المدينة وهو مشدود الى الصحراء باكثر من وتد .. زوجته « وضحة » التي تعبق منها رائحة الصحراء دائما ، وامه ووالده وكل رجال قبيلته .. ماذا سيقولون لو قرر الحياة هنا .. وغير ذلك كيف سيعيش ؟؟! وابعد عن ذهنه هذا الخاطر بعد جهد .

ومرت امامه سيارة في بطء ، كأنما لتعلن حقها القانوني في السير بين هؤلاء العابثين .. ولكنها جعلته يتذكر جمله الذي اتى به الى المدينة، وتركه خارجها بعد عقله ، وقلبه مطمئن ، فالامان هنا اصبح من الاشياء البديهية جدا ، وعندما سمع صوت منبه السيارة .. تذكر حكاية حدثت لبعض معارفه في الصحراء عندما كان راكبا جمله ، ففوجيء بأخيه المسافر يعود وهو يقود سيارة خرجت عليه فجاة من وراء اكمة ، وجفل الجمل ، فرمى به ارضا وولى هاربا ، وعندما عرف قائد السيارة ، صمم وبحسن نية على الانتقام ، فترصد لاخيه في نفس المكان ، ليظهر فجاة امام السيارة صارخا عليها لعلها تجفل وترمي اخاه كما رماه جمله ، وكانت النتيجة ان دهسته السيارة ، حكاية مضحكة ، ولكنها مؤلمة ايضا . واحس « دهيمان » على التوالي بالحزن ، ثم بالضيق ، ثم بالغضب ، ولكن النصر كان للابتهاج في النهاية ، ولم تعد نفسه تحمل غير السرور ، لانه يشاهد هذا العرض المبهج من النساء الجميلات والعجائز المزوقات والشبان ذوي الشعور المقصوصة المدهونة ، والرجال الذين يتظاهرون بعدم الاهتمام، بينما نظراتهم تقفز في خبث لتستقر على رقاب عاجية او عيون يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به .

عاطلون يبحثون عن التسلية على شفا حفرة من الرذيلة .

والتفت دهيمان ليجد ان الشبان الثلاثة قد تركوا اماكنهم ، وحل محلهم رجل تبدو عليه سيماء الوقار ، ويكاد الجد يميز صوته ، وهو يمسك بطفلين في عمر الزهور ويجبرهما على الجلوس ، بينما يحاولان الافلات من سيطرته ، ولعل غضبه الذي وصل منتهاه قد أوحى للعقلين الصغيرين ان لا بد من الامتثال للامر الواقع ، وبعد ان هدءا التفت الرجل الى « دهيمان » ونظر اليه ثم قال مخاطبا الطفلين :

ـ من لم يصمت منكما فسيأخذه البدوي .

فرسم على شفتيه ابتسامة ساذجة وقال :

ـ نعم .. سآخذ من لم يصمت منكما ، واذهب به الى الصحراء .

ولم يكونا بحاجة الى مبرر جديد للصمت ..

قال الرجل : انهما شقيان .. لقد اتعباني ..

واندمجا في حديث ودي .. وكأن كل واحد منهما يعرف الاخر منذ سنوات ، بينما صمت الطفلان ، وقد قبع كل منهما في مقعده ، ولم يخل حديث الاثنين من تعليقات عابرة على من يمر بهما من الناس .. من النماذج البشرية التي يزخر بها هذا الشارع ، ومع الاختلاف المؤكد بين تفكير كل منهما الا ان الزاوية التي نظرا منها الى كثير من الامور كانت واحدة ، لا لشيء الا لان احدهما حاول الوصول الى مستوى اخر ، في الوقت الذي حاول فيه الاخر النزول الى مستوى محدثه ، ولكن اوتار صوت الرجل كانت توحي باستعداده للغضب في اي وقت ، ولكن هذا لا يعني عدم استعداده للتفاهم السليم وعقد الصداقة مع من يريد ، وفي هذه النقطة يلتقي الاثنان اكثر من التقائهما في اي نقطة اخرى ، وكان الرجل ينوي ان يدعوه لتناول فنجان قهوة في منزله ، بعد ان عرف انه سيعود الى مضارب قبيلته بعد ان باع ما معه من « سمن بري » واستلم قيمته الموجودة في « مزودته » التي لا تزال على الارض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة الوداع

هـــو موعد قـــد لاح فـي ... أفقـــي فعشت العمر لـــه
كـــم داعبت نفســـي رؤا ... ه ورام قلبـــي آجلـــه
غيبتـــه بيـــن الجـــوا ... نـح فهـــو منهـا وهي لـه
وسعيـــت لا ابغـــي سـوا ... ه ولسـت عمـــري نائلـــه

ودعتـــه ومنـــاي أن ... أحيـا قريرا فـــي هـــواه
وجـــدا يـــؤرق جفنـــه ... ولظـــا يعربد فـــي دنـــاه
اطويـــه بيـــن جوانحـي ... شوقـــا وتطويني يـــداه
أفنـــى لديـــه راضيـــا ... وأذوب طوعـــا فـي دمـــاه

غـاضت ينابيـــع المـــود ... ة وانطـوى املـي الغريـــر
وغرقت فـــي صمـت المسا ... ء معاتبـا قـــدري الكبـــير
تتفجـــر الالام فـــي ... صدري ومـــن قلبي الكسير
والدمـــع اغـــرق وجنتـي ... وهدنـــي الســـأم المريـــر

دمشق — سلافة العامري

بجانب المقعد الذي يجلس عليه .. وكان الرجل ايضا على استعداد لان يخبره بانه سيرحب بزيارته فـي منزله كلما حضر الى المدينة .. وكان هذا طبيعيا بعد هذا الاندماج فـي الحديث عن الحياة هنا والحيـــاة هناك . وتطلع الرجل الى احـــدى الجهات ، وركز كل انتباهه فـــي الوقت الذي كان فيه « دهيمان » يتكلم ، وعندما رأى انصرافه الكلي .. التفت هو الاخـر ، فرأى الرجل ينظر الى امراتين قادمتين على بعـد يسمح بالتأكد من جمالهما . وقال محاولا الا يسمع صوته الجالســون على المقاعد الاخرى :

ـ انهمـــا جميلتـــان .. هـــل اعجبتك ؟

وكان الرجل مشغولا بالنظر الـى المراتين بحيث لم يسمع ما قالـــه « دهيمان » الذي عاد مرة اخـرى يؤكد :

ـ انهما جميلتان ..

ـ من تعني ؟

ـ اعني المراتين اللتين تنظر اليهما ..

ـ انظر ..

وغمز بعينه بعد ان صرف نظـره للتطلع بفضول الى المراتين ، وكانتا قد اقتربتا اكثر ، وعندما التفت الى الرجل ليواصل تعليقاته التي كانت غير مهذبة ابدا .. رأى وجه الرجل قد تغير واكتسحته موجة من الغضب لا سبيل الى نسيانها فسأل : مـــا بـك ؟

ولم يجب ..

فواصل « دهيمان » تعليقاته بينما ظل الرجل ساكنا ، وكأنـــه يعيش فترة السكون الذي يسبق العاصفة ، وتصلبت عيناه علـــى « دهيمان » بنظرات ثلجية باهتة ثم صرخ فـي وجهه :

ـ ماذا تقول ؟

واستغرب دهيمان هـذا الصراخ فسأل :

ـ ما الذي اغضبك ؟

ـ كيف تجرؤ على هـــذا الكلام القبيح ؟

ـ أي كلام قبيح ؟

ـ وهل هناك ما هو اقبح مـــن الفاظك ؟

كان غاضبا الـــى اقصى حدود الغضب فاستطرد :

ـ الا تعرف ان هاتـــين المراتين هما زوجتي واختي ؟

وواضح ان الطفلين فرحا بهـذا الخبر ، اما « دهيمان » فقد نسي كل شيء تقريبا ، ما عدا انه تلفظ فعـلا بكلمات لا تليق ..

ومن بعيد .. صرخ باب حديدي لمتجر تغلق ابوابه ، وفرك احدهم اذن مذياعه ليسكته ، بينما تشاجر اثنان لسبب غير معروف ، كـــل ذلك في الوقت الذي عاد فيه البحر ليغسل من جديد رمال شاطيء هذه المدينة الساحلية .

السعودية ـ خليل ابراهيم الفزيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فقراء الناس

مجموعة قصص ـ تأليف جورج سالم ـ صفحة (؟) ـ منشورات الفن الحديث العالمي بدمشق ـ مطبعة (؟)

لم تكن مجموعة « فقراء الناس » جديدة او غريبة علينا ، فقد قرأنا أكثرها في المجلات العربية . وكنالاحظ دوما ترابطا في الخط العام الذي يهيمن على القصص ، ونشعر بهذا التناوب بين البرودة والحرارة، برودة العاطفة وافتعالها ، وحرارتها الملتهبة التي أدت في بعض المواقف الى قصور في التصوير .

يجدر بنا ، قبل ان نخوض في البحث ، ان نلحظ هذا الترابط بين ما يؤمن به جورج سالم كمفهوم للقصة وفنيتها وبين ما استطاع ان يتوصل اليه من التعبير . فما هو مفهوم القصة عنده ؟ انها كما يقول « نظرة الى العالم والوجود وحكم عليهما من خلال حادثة او تجربة انسانية . وهي كسائر الفنون الادبية وسيلة يجد فيها الكاتب والقارىء معا سبيل الخلاص من الوضع الانساني . وذلك بنقد هذا الوضع عن طريق تصويره وتعريفه والسمو به الى وضع انساني افضل (١) » فهل أحسن جورج سالم التصوير والتعريف بوضع مجتمعنا او بيئته هو بالذات ؟! أجزم بانه حاول ، وتعب في محاولته للوصول الى هذا الهدف .

نحن امام مجموعة تحكي معظمها مشكلة الموت ، وتعالجها من زاوية تضيق وتنفتح دون تحديد او تخطيط مسبق ، وهذه المعالجة تعتمد الى حد بعيد على التصوير الدقيق والافتتان في رسم المواقف الدرامية .

ان « فقراء الناس » وهي القصة التي سميت المجموعة باسمها ، تبدأ بتوتر ساذج يتصاعد مع سير الاحداث حتى يكتمل العقد وعندها نجد النقطة القصوى للتوتر تتخذ شكل البكاء والدموع ، وهي في حقيقتها تعويض عن الخوف او هي تعبير عنه .

ويمكننا ان نعتبر هذه القصة خير ما في الكتاب فنا وعرضا ومضمونا ، فقد توافرت لها مقومات اصيلة منها الصدق الحار ، والاندفاع الفني ، والتعبير الحي التمثيلي ..

القصة تحكي على لسان الكاتب الذاتي شعور تلميذ خرج مع رفاقه يلعب في المقبرة كالمعتاد عقب انصرافه من المدرسة . وفجأة تخطا باب المقبرة تابوت كالح أمامه « مجموعة من الناس يتقدمهم فتى صغير يحمل صليبا خشبيا ومن ورائه كاهن قصير القامة ، ذو لحية بيضاء ، وظهر مقوس ، وكان رجال أربعة يحملون نعشا كالح اللون قميء الشكل ، ومشى وراء النعش خمسة رجال محمرة عيونهم ... » وبدافع الفضول يجري التلميذ مع الرفاق نحو النعش ، ولكن الكاهن اخذ يصرفهم وكأنما يريد ان يحجب عنهم سرا . وعندما تم كشف التابوت رأى الاولاد شعر الميتة الاشقر التي سرعان ما غيبت تحت التراب ، وحمل التابوت الفارغ، وانصرف المشيعون .. وسط هذا التوتر الفني يقف الكاتب ليعمق المشهد ويحلله في اسئلة ساذجة ولكنها ذات دلالة مؤسية :

« اننا نريد ان نفهم وان نعرف .. ولم نفقه شيئا مما جرى حولنا .

ـ لماذا ؟

ـ لماذا تركوا الميتة بدون تابوت ؟

ـ الى اين مضوا بالتابوت ؟

وسألت أنا :

ـ لماذا لم نر موسيقيين يتقدمون النعش والميتة شابة ؟!

ـ لماذا ؟ »

ليس الفضول الدافع الوحيد لهذه التساؤلات ، فهناك في أعماق الانسان ، حتى الصغير ، خوف فطري من الموت ومن النهاية ، ولعل الشماس قد اوضح للاولاد ملامح المأساة وهو يبغي من ذلك قطع الافكار السوداء عن رؤوسهم . يقول « الله يرحمنا .. انهم لا يملكون ثمن تابوت ، ولذا فالاوقاف تعيرهم التابوت » . ونشعر ان الاولاد يتساءلون « ولماذا هم قوم مساكين لا يملكون ثمن التابوت » .

ويعود التلميذ الى أمه « أمي سأسألك شيئا .

ـ ما اكثر اسئلتك ، قل ، ماذا تريد ؟

ـ أماه ، هل نحن فقراء ؟

ـ فقراء جدا ، ولكن لماذا هذا السؤال .

فلم أجب وأجهشت بالبكاء .. »

بدون موسيقى او باقات من الورد ، وبدون جماعات تنوح وتبكي قبرت الشابة الفقيرة ، وهذا حال كل فقير . هذا القفل الرائع للقصة الذي يخفي وراءه دفقة من اسرار الوجود .. والحياة .. والموت ، يحيل متعتنا وتجاوبنا الى مشاركة تامة مع احاسيس التلميذ. حتى سذاجة الاطفال لا يمكن ان تبتعد في مضمونها عن الانسان ، حتى سذاجة الاطفال تدرك معنى البداية والنهاية .

ان الحياة في رأي جورج سالم مأساة دائمة قمتها الموت ، ولكنه لم يصور لنا ذلك حاليا من الافتعال . اقول هذا وانا على ثقة ان الفاصل الزمني قد لعب دوره في المجموعة . « فمصرع الفتى الاعمى » التي قرأناها منذ سنوات عديدة في مجلة « الحديث » اشعرتني بفراغ هائل بين السطور رغم ما فيها من نكهة شعبية . فالحرية التي ينشدها الاعمى هي مطمح انساني عام . وبعد ان تخلص الفتى الاعمى من سيطرة حميدو عليه ومن ابتزازه امواله التي يستعطيها ، تنفسنا الصعداء ونحن نتأمل هذا الفتى يفوز بحريته ويريد متابعة الطريق وحيدا منتشيا . ويبدو ان اندحار الاعمى وموته لم يكن سوى لعبة درامية على طريقة الافلام . فاجأتنا دون ان ندرك الوجه الفني لهذه المفاجأةالغريبة . اما محاولة الكاتب جعل السينما اداة فساد وشر فانني اعتقد ان شرور السينما لا علاقة لها بمصرع الفتى وان حاول الكاتب ان يجعله نتيجة لادمان حميدو رفيق الاعمى رؤية افلام البطولة والتمرد والسلب والنهب . لقد احسن جورج سالم في التحليل وبرع في ذلك .. ولكني آخذ عليه تعمده الدائم التأثير على معنوياتنا النفسية وطريقة تفكيرنا ونظرتنا الى الموضوع وذلك من خلال مقدمات ومواقف مفتعلة يحاول ان يشابكها لتكون موضوعا دراميا . ففي قصة « على باب المدرسة » حاول ان يشد انفاسنا منذ السطور الاولى ليعطينا نتيجة سريعة دون ان نتفرغ لها بانفسنا . وهو لم يكتف بذلك بل يريد ان يؤكد ان موت ابن آذن المدرسة ثم طرده كان مأساة دامعة لذلك يبدي شعوره الخاص حين يقول « مسكين ابو احمد ، لقد دفن ابنه مرتين ». مقدمة ونتيجة واسف ! ان مثل هذا الاتجاه نجده ايضا في « ممر معتم طويل » وفي « حادثة تافهة » . فالتقرير الكامل للمأساة وسد الثغرات التي يمكن ان نعبر من خلالها الى انفسنا ونعالج معها الموضوع قد تركنا الى نهاية القراءة سلبيين . وهذا الطابع التقريري يتضح

(١) ـ ١٢ قصة من حلب . ص١٠٩ منشورات عويدات . بيروت .

تماما في قصته « موت البجعة » .

وقع الاستاذ جورج سالم في بركة الافتعال الفني ، وبدا ذلك جليا في قصته « حريق في القرية » . فالموضوع يتناول الحقد في بيئة ريفية بعيدة عن حياة الكاتب . فافتعال حادثة الحريق وسرد الحوادث الفارغة من كل ترابط ينقلب فجاة الى كشف لخلفية الحقد فاذا به شفقة ورأفة ! أما كيف اثر منظر شوقي ويداه ملتهبتان في نفس عدوه جاسم فبددت احقاده وانطفأت ثورته ، فانا على يقين ان التكلف هو الذي اجبر الكاتب على ان يختم قصته بهذه النهاية . لاننا منذ بداية القصة ونحن امام مشاهد وصور عامة لا علاقة لها بالنهاية الا بالاسماء فقط !

لقد استفاد الكاتب من ذكرياته وماضيه ، فقدم لنا لوحة شعبية اسماها « صباح ماطر » . ويبدو ان الحوار اشد ما في اللوحة حركة لانها تمثل الحياة الشعبية خير تمثيل ، فضلا عن انها تزخر بالعاطفة الوجدانية ، وبالتشارك الداخلي مع ابناء الحي . ولكن الاهتمام الزائد بالجزئيات واعطاءها مزيدا من العناية يميل بالموضوع الى السطحية ، ويصرف الكاتب عن المضمون ليقع في تصوير الحركة فقط ورصدها . وفي رأيي ان سبب هذه السطحية قد يعود في حقيقته الى محاولة الكاتب حشر نفسه في كل شيء . اننا قد يستهوينا ان نبحث ونفتش عن فلسفة الكاتب وشخصيته من خلال الموضوع ، ولكننا نرفض بشدة ان يعطينا صورته وملامح نفسه مباشرة ودون صلة بالموضوع . ان المأساة الحيوانية لا تختلف عند الصغير والكبير في قصته « في ممر معتم طويل » ، وهي في ذروة احتدامها تجبرنا على تغطية اعيننا ، وفتح قلوبنا امام المشاعر الصادقة .. فتى اجبرته الظروف ان يتقدم بطلب عمل الى دائرة حكومية وهو في سن غير قانوني . لقد اغرق الكاتب في مقدمة تحدث فيها عن نفسه وتشنجه وضيقه ، واسهب في تقديم نفسه للقراء وكانه هو محور القصة ، او هو يريد ان يوحي ان بعد المقدمة قصة من طراز جديد !

لفت انتباهي منطق غريب اراد الكاتب ان يبشر به على لسان بطله في قصته « على تخوم المدينة » . ففي معرض تبريره صلة البطل المشينة بالعشيقة المتزوجة يقول : « .. ولكن تاملوا ايها الاحياء هذا الهواء الذي نتنفس وحللوه جيدا ، أفلا ترون اننا نتنفس القذارة والاوساخ صباح مساء ، واننا نتغذى بها وهي في كل قطرة من دمائنا ». وهذا يهون امام قول العشيق وهو مغرق في اللذة « الم يدر بخلدكم يوما ان معظم الناس مرضى وان الارض مستشفى كبير لا يشفي الناس من امراضهم الا الموت » .. هروب من مواجهة المجتمع ، شذوذ في التفكير ليس له من دواء غير الموت !! والشذوذ الاكثر وضوحا اختيار المقبرة مكانا للقاء العاشقين ، لان الناس يعرفون بعضهم لا بل فضائح بعضهم ، والمدينة مراقبة بألف عين ، الا المقبرة فهي ذات سور عال ، ومنسقة كحديقة قصر قديم !

وقبل ان انهي هذا الاستعراض اقف قليلا عند « حادثة تافهة » . ففي هذه القصة بالذات يرتفع الكاتب من البحث المباشر عن الموت الى وسيلة فكهة ولكنها مؤلمة ، وحجته في ذلك انه لا بأس (ان نسرد الاشياء التي تؤلمنا ونعيد سردها) .

ان جثة الفتاة القروية التي وجدت ميتة على درج الطبيب اصبحت مشكلة معقدة ، اذ يجب التخلص منها سريعا ... التخلص من السوء والشر الممثل بالموت . لقد منحنا الكاتب بعدا نفسيا عن الموت .. ووضع امام اعيننا تجسيدا للشر الذي هب كل ذوي العلاقة الى التخلص منه بأية وسيلة ، فعلى الرغم من ان الموت شيء طبيعي ، ونتيجة قصوى للحياة فالناس يبتعدون عنه لا هربا فقط ، بل ايمانا منهم بأن الموت يعني العدم .

ان حصاد الموت في هذه المجموعة بلغ ذروة التعبير ، وهبط احيانا الى درجة الاسفاف والتقرير . ولكن يبقى التعبير الحي ، ودقة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التصوير ، ورسم المواقف ، وبراعة الايحاءات ، على الرغم من فشل بعضها ، ميزات رئيسية للمجموعة .

وأحسب ان جورج سالم استطاع ان يعطينا فكرة تامة عن الموت ، ولكنه قصر عن فلسفة الموت ، وهو المتعمق في دراسة مشكلات الموت عند تولستوي ويونيسكو ؟!

حلب — جهاد الكاتب

●

فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية

تأليف لويس غرديه و ج قنواتي ـ وقد نقله الى العربية الشيخ الدكتور صبحي الصالح والاب الدكتور فريد جبر الاستاذان بالجامعة اللبنانية ـ الجزء الاول ـ ٣٨٠ صفحة ـ من القطع الكبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطبعة (؟)

منذ ظهرت الاديان نشأ ما بينها التجاذب ، لان تجاذبها من طبيعتها المتشابهة . واذا ألف المرء اصحابها أحب ان يعرف افكارهم ، فلقد سلخت في التدريس اربع سنين في مدرسة الاباء اللعازاريين بدمشق أعلم الادب العربي في صف الشهادة الاخيرة ، وهنالك جعلت تخفق امام ناظري سوابغ المسوح على جسوم الرهبان ، وكان ثمة راهب في مطلع تدريسه هو فريد جبر الكاهن المجتهد ، وكنت أرى فيه مخايل التألق والنباهة ، فجعلتني له صديقا ، وفي دار الشام عرفت الزميل النابغ الدكتور صبحي الصالح استاذا في كلية الاداب بالجامعة السورية ، سكن دمشق واعتزت به هيئات التدريس الجامعية فيها .

وحين تعاور تدريسي على بيروت خلال هذا العام استاذا محاضرا في كلية الاداب بالجامعة اللبنانية ، مارست لقاء الشيخ والراهب معا عاكفين على نقل الكتاب الذي يحمل اسم « فلسفة الفكر العربي بين الاسلام والمسيحية » عكوف النحل على أوعية عسلها ، فقلت لهما مما قال الشاعر الخالد احمد شوقي حين رأى مثل هذه الالفة الحبيبة :

والفنا الصليب على الهلال
وأقبلنا كصف من عوال
يشد السمهري السمهريا

والشيخ الجليل الدكتور صبحي الصالح الى كونه اديبا واستاذا كبيرا ، فانه علامة اسلامي حنيف وكذلك القس الكريم جبر الذي يدلف في كهنوته الى مراتب التفوق .

ولعل قائلا يتسائل : فيم جعلت هذا الكلام مقدمة لتحليل هذا الكتاب والتعريف به وعرضه ؟ فأنا ذو مذهب ، هذا شأني فيما اكتب في موضوع الكتب لا اهجم عليها الا بمثل هذا المفتاح الذي أشق به بابها عن التعريف بمؤلفها او كاتبها ليعرف القارىء اين مواقع الوصف لشخوص يقدمون اليه غذاء الروح وفاكهة الفكر .

وكنت حسبتني انا الوحيد في فرصة هذا التناسق الروحاني والتشابك العقلاني بين المسيحي والمسلم وبين التشريع الاسلامي واللاهوت المسيحي ، واذا بي اجد الاستاذ العظيم الدكتور فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية قد سبقني الى مربعين للتعريف بهذا الكتاب ولتوصيفه للقارئين والسامعين ، فقد كتب مقدمة له شافية وتكلم عليه في الاذاعة اللبنانية ونشرت مجلة الاذاعة حديثه الطلي العليم ، وكانت مآثر هذا الاستاذ العظيم متفتحة كأزاهير الربيع بل كأزاهير لا تفنى على نحو ما كان يصف هذه الازاهير الخالدة الشاعر « كاتولوس » الروماني زعيم مذهب الرومانطيقية القديمة ..

كان والدي شكري المحاسني يرحمه الرحمن ، من رجال الدين على رأسه عمامة بيضاء وقد توفي وعمري سنتان ، ولم يترك صورة له أراه بها ، فلما وعيت قلت لامي :

ـ كيف كانت صورة والدي وما شكله ؟

فجعلت تدلني على الشيخ رمزي الطيلوني في حينا بالقيمرية بدمشق وهو قريب لنا ، فكنت أزوره واصعد نظري فيه وأصوبه اذ كنت ارى فيه ـ وهو لا يعلم ـ صورة والدي ..

وكذلك ـ مع فارق القياس بالعمر وانا اليوم اكبر سنا من الشيخ الدكتور صبحي الصالح ـ اجد في عمامته البيضاء ما كان على رأس والدي .

اما الراهب الدكتور جبر فاني محدثه بهذا الحديث :

ـ صعد بي صديقي الكاتب الكبير جان كميد وعمه الجليل الاستاذ سعيد منذ سنتين الى دير حريصا المطل على جونية وهناك أنس بي أباء الدير واخوانه واقترحوا ان اقول فيهم شعرا فكتبت لهم على ورقة شعرا معناه :

اني لاصبو ان اعيش عيشتكم ،
يا سكان هذه الاديار العوالي ،
لاطل على آماد البحر وانعم باريج الجبال .

ولم تكن مني هذه الرغبة غريبة ، فان شعراء العرب والاسلام تاقوا الى مثلها ، حتى نظم الشاعر ابن المعتز مقطوعة رائعة في هذا الشوق في قصيدته التي اولها :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر
ايام اسمع في ضوء الصباح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع تغارين في السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤوس اكاليلا من الشعر

اما هذا الكتاب فبحر زاخر وسفر جامعي كبير ، ضم تراث ما في الدين الاسلامي والمسيحي وجعلهما على مائدة واحدة يعقد بين شؤونهما شواجر الموازنات وبدائع المقابسات ، متخذا اول الامر الفلسفة مهادا وجامعا وجواهر الاكوان في استقصائها وسيلة لوحدة الفكر وتقريب الرأي ، ثم هو يسبح سبحا طويلا في المذاهب الفكرية كالاعتزال والجبرية والاختيارية ، وما حار في امره اخوان الصفا . ويناقش المذاهب ويرد على المتحيفين فيها والشكاك والضالين واهل الزيغ والملاحدة ، ولا يفوت على قارئه النزعات الحكيمة والميول الصوفية الغزالية ، ثم يجيء الى العصور الاخيرة بخيار ما كان من التسامح الديني والتعقل العبادي عند المعلمين العظيمين الشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده .

واذا كان من ملتزم التحليل النقد فاني مصيب اصابة سديدة في هذا الكتاب فاعتب على ناقليه انهما لم يعرفا القاريء بمؤلفيه وكان الجدير بهما ان يعقدا فصلا يبينان به علم المؤلفين واعمالهما وان لهما لآثارا مشهورة وانا عرفت الاب قنواتي ودهشت لاعماله في التأليف الاسلامي والبحث اللاهوتي ، فكيف فات الشيخ والراهب ان يطرحا في مقدمة الكتاب ولو سطورا يعرفان بها القراء بالجهد العظيم والمعنى الكريم الذي طلع به المؤلفان الكبيران غرديه وقنواتي بهذا الكتاب الى العالمين الاسلامي والمسيحي .

واذا ختمت هذا الكلام وجدت فيه الطيبين ، طيب الافتتاحية وعطر الخاتمة فقد بصم على ظاهره الصديق الاستاذ الكبير الدكتور احمد مكي عميد كلية الاداب بالجامعة اللبنانية كلمات منتقطاة تنيه بالفكر ، حيا بها هذا الكتاب الذي يتصافى فيه المسلم والمسيحي منفردين ومجتمعين في سيرورة الدينيين الكريمين ، ويتلاقى في صفحاته الايمان الاسلامي والقنوت المسيحي .

دمشق — زكي المحاسني

فصـــل فـــي الحكايـــة

ديوان شعر ـ للشاعر المصري فتحي سعيد ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ المطبعة (؟)

يقف « فتحي سعيد » في طليعة الجيل الاوسط من الشعراء المصريين، هذا الجيل الذي شاهد انحسار التيار الرومانسي عـــن مجرى شعرنا المعاصر ، وبداية تدفق التيار الواقعي فيه ، هذا التيار الذي بـــدأ متزمتا ، رافضا لاي عمل شعري لا يتناول بطريقة مباشرة مشاكل الواقع المعاش ، والذي احال الشعر الى مجرد شعارات نبيلة ، وهتافـــات حارة بلا ادنى احساس شاعري ، ولكن هذا التيار سرعان ما تخلى عـــن عنفه السابق ، متمخضا عن شعر حقيقي بكل ما في هذه الكلمة مـــن مدلول ، شعر يغوص في اعماق المشكلات الانسانية ، ليستخرج منهـــا كل ما يحرك الاحاسيس ، مبتعدا عن المباشرة والاثارة الوقتية ، مزاوجا من المشاعر الخاصة والاهتمامات العامة ، مبددا هذا الوهم الذي كان يفترض ان الشاعر محرم عليه ان يتناول مشكلاته الذاتية فـي شعره ، وان عليه ـ ليكون شاعرا واقعيا حقا ـ ان يغني في المجموع ، فلا يتناول في شعره الا القضايا العامة ، التي تهـــم الناس جميعا ، مؤكدا ان الواقعية هي في الواقع ، موقف ، وان الشاعر ما دام يقف فـي صف التقدم ، فسوف يخرج شعرا واقعيا مهما كانت طبيعة الموضوع الـــذي يتناوله ، وبهذا الادراك السليم لمفهوم الشعر الواقعي ، ارتفع شعرنـــا العربي المعاصر الى ذروة عالية من النضج جعلته يقترب كثيـــرا مـــن المستوى الذي انتهى اليه الشعر في العالم المتقدم .

واذا كان هذا الجيل قد حمل على كاهله كل عبء هـــذه المهمة ، فقد قام بمهمة اخرى لا تقل عن سابقتها خطورة ، الا وهي كسر عمـــود الشعر التقليدي ، والخروج من اسر الشكل المعتاد للقصيدة العربية الى طرائق جديدة للتعبير الشعري ، تندرج تحت ما اصطلح علـــى تسميته بالشعر الحر ، ويتميز شعر الاصلاء من شعراء هذا الجيل ، وذلـــك لطول ممارستهم للنظم بالطريقة التقليدية ، بسلامة التركيب الشعري، واتباع الاسس العامة التي اتفق عليها العروضيون ، لا يحيدون عنها الا للضرورة .

وديوان « فصل في الحكاية » للشاعر فتحي سعيد يمثل شعـــر هذا الجيل اصدق تمثيل . فالواقعية عنده لا تعني مجرد شعارات ، او بعض العبارات الخطابية ، كما ان شاعرنا لا يقف عنـــد تصوير بعض صور التخلف ، او يكتفي بسرد بعض الامـــراض الاجتماعية بطريقـــة مباشرة ، وانما يفهم الواقعية بمعناها الصحيح ، لنستمع اليه في هذه الابيات ، ولنر كيف يرسم هذه الصورة النابضة لانساننا العربي الجديد، بطريقة فنية ، فيها كل ملامح الواقعية الحقة ، بلا هتافات او اثـــارة مفتعلة لحمـــاس وقتـــي :

ما اروع الانسان حين يفرد الجناح ..
يحـــرك الريـــاح ..
يسخر الاشياء ..
ان شاء للبناء ..
او شاء للفناء ..
فكل شيء عنده وفير ..
وملكه الكثير والكثير ..
والشوط من امامه طويل ..
والفجر خلف ليله جميل « ص ١٩ »

وشاعرنا لانه يدرك الواقعية ادراكا واعيا ، لا يجد باسا فـــي ان يتناول مشكلته العاطفية ، بل انه ليمزج قضيته الخاصة ـ كعاشق ـ بقضية البسطاء في شعبه مزجا فنيا طيبا ، فتصبح القضيتان قضيـــة واحدة ، فهما مرتبطتان تماما ، وفي حل احداهما حل الاخرى بلا مراء، ففي قصيدة « كسائر البشر » يرسم لنفسه صورة واقعية ، فهو لا يملك النجوم ولا القمر ، ولا بساط الريح ، كما انه ليس في قدرته الهيام في السحر ، وليس في خزائنه الذي ندر ، ولا بجعبته غوامض ، ثـــم ياخذ في وصف بيتهم البسيط ، واسرته العريقة مع فقرها ، وهكـــذا يستمر ـ بطريقة فنية ـ في وصف ابيه وكفاحه المرير في الحياة ، ثم يعود الى رسم صورة لنفسه ، فهو ليس بالفتى الوسيم ، كما انه ليس في قدرته ان يفعل كشعراء العشق الزائفين ، الذين يرقرقون الحديث في مسامع الحسناوات كالخدر ، ولكنه .. كسائر البشر :

مشاعر وطاقة تموج بالفكر ..
وخافق على الهوى عبر « ص ١٣ »

ثم يرسم صورة لنضاله من اجل من يحب ، وهنا تمتـــزج قضية العمل بقضية الحب امتزاجا طبيعيا ، لا تكلف فيه ، وبهذا يحقق الفهم السليم للواقعية بصورة مشرقة بناءة :

من اجل حبك الكبير اعشق الخطر ..
فخطوتي تغوص في الابر ..
وساعدي يفتت الحجر ..
ويضرب الثرى .. فتنبت الخضر ..
ويزرع الضياء في دجى الحضر ..
ويفرش الطريق بالمنى وبالزهر ..
من اجل حبك الكبير اطلق الوتر ..
ونجتني السلام .. والرخاء .. والسنى ثمر .. « ص ١٤ »

وفي قصيدة « البستان » يرسم الشاعر صورة حية لفتاة بسيطة من فتيات شعبنا لنستمع اليه يقول في ختام قصيدته تلك علـــى لسان هذه الفتاة :

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

على كل عربي ان يقـــرأ

الحرب العالمية الثانية

موضوعات يعالجهـــا الكتاب بجزئيه

● «هتلر» من النشأة الوضيعة الى الذروة
● دور المصفحات في الحرب الحديثة
● الحرب في الجبهات الاوربية كافة
● الحرب في الشرق الاقصى
● الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية
● الحرب البحرية

الجزءان بسعر ١٠٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متى يدنو لاحلام الشباب اوان ..
أيمضي هكذا عمري .. ولا من يحرس البستان ؟!
فلا مال انا اهوى ولا جاه ولا سلطان ..
ولكن في دمي شوق الى عش به اثنان ..
الى عش انا ابنيه في فن من الافنان ..
انا اغذوه بالاشواق والريحان ..
الى ان كان لي ما كان .!
ودق الباب فانكسرت عصا السجان ..
أنا السمراء يا خلان ..
واخر لوحته الشمس وامتدت له كفان ..
يساقيني .. وبالاخرى .. ينير الدرب للانسان .. « ص ٥١»

نستطيع من خلال هذه النماذج ان نرى عمق شاعرنا الشاب للواقعية ، وكيف انها لا يمكن ان تقف عند حد القضايا الجماهيرية ، وانما من الممكن ان يكتب الشاعر الواقعي قصائد عاطفية يمتزج فيها الخاص بالعام امتزاجا صميميا ليخرج لنا من خلال هذا الامتزاج مثل هذا الشعر العذب الرفاف . وحتى القصائد التي تتناول التجارب العاطفية الخالصة لا يمكن ان ترفض من جانب الواقعية ، بهذا المفهوم السليم الذي اوضحناه في مستهل هذا المقال ، لنستمع الى هذه المقطوعة من قصيدة عذبة بعنوان « قلبي معك » :

من أي ثدي في المحبة ارضعك ..
وباي بستان .. ترى قد أينعك ..
من حلمة الخلد الشهي .. همى وروى ادمعك ..
سبحانه من ابدعك ..
وبشرفة الفردوس .. علق ساعديك واذرعك ..
لا انت فوق الارض ، او في السحب تدري موضعك ..
قلبي معك .. « ص ٦٤ ـ ٦٥ »

وهكذا يستطيع « فتحي سعيد » ان يكتب مثل هذا الشعر العاطفي الخالص ، متجنبا تهويمات الرومانسية بما فيها من مشاعر مريضة واحاسيس متهافتة ، فيبهرنا بهذه الخفقات الانسانية الصادقة التي يلتقي عندها البشر في كل زمان ومكان .

والشاعر « فتحي سعيد » كغالبية ابناء جيله من الشعراء الذين شاهدوا نهاية الحركة الرومانسية ، ثم تربوا ونموا في احضان المدرسة الواقعية ، يتسم شعره بالوضوح مع العمق ، فهو لا يلجأ الى مثل هذا الغموض المفتعل ، والتعقيد المصنوع اللذين يلجأ اليهما بعض الشعراء المحدثين ، وديوانه باستثناء قصيدة او قصيدتين « فصل في الحكاية ، الفارس عاد » يشوبهما غموض طفيف لا يستعصي امام اعمال سريع للذهن ، يشرق بالوضوح والشفافية والرمز عنده ذكي لماح ، سرعان ما يتكشف عن مداوله ، فيمنح عطاءه بسخاء ، ولنأخذ مثلا لذلك قصيدة « من انت » .. التي تبدأ بهذا السؤال « من بالباب » ولكن الطرق المجنون يتوالى من غير حساب ، فيعود الى السؤال « الطارق من ؟ » ، فتترامى اصداء من غير جواب ، فيسأل « من انت اذن ؟ هل انت عدو ، هل انت صديق ؟ » الى اخر هذه الاسئلة التي لا يسمع عنها جوابا ، وهكذا تتدافع موجات القصيدة في حيوية وتدفق الى ان يقول :

الطارق من ؟
هو انت اذن !
هل ثمة نبأ لم يذكر في أي كتاب ؟
من يجرؤ في تلك الدنيا ان يطرق باب ؟
من الا أنت ..
الموت الموت ...
بل جن جنون الكلمات .. « ص ٩٩ ـ ١٠٠ »

وفي اعتقادي ان الشاعر قد اساء الى تجربته المثيرة التي تضمنتها هذه القصيدة بكشفه عن الرمز ، ترى هل يشك في ذكاء قارئه ؟

ولا احب ان انهي مقالي هذا عن ديوان « فصل في الحكاية » للشاعر فتحي سعيد قبل ان اتعرض ـ ولو بلمسات عاجلة ـ للصياغة الفنية ، وفتحي كما سبق ان اوضحت مارس النظم طويلا بالطريقة التقليدية ، فكان من الطبيعي ان نلمس في اسلوبه هذا التماسك والدقة في اختيار الالفاظ ، كما ان تراكيبه تمتاز بشيء غير قليل من القوة ، كدت اقول الجزالة :

اتحداك .. بأن يهواك مثلي اتحدى ..
أيها المحبوب ، حبي فيك قد جاوز حدا ..
كل حد يا حبيبي .. واستبدا ..
وتعدى ..
المسافات ، ولم ابصره يهدا ..
قدري انت .. وهل املك للاقدار ردا ..؟
اتحدى .! « ص ٦٨ ـ ٦٩ »

وشاعرنا وان اتبع في كل قصائد ديوانه طريقة « الشعر الحر » الا ان الممارسة الطويلة لكتابة القصيدة بالطريقة الكلاسيكية قد تركت بصماتها الواضحة على قصائد هذا الديوان ، فالحرص على الايقاع الموسيقي ذي النغم المرتفع الذي تتسم به القصيدة التقليدية واضح في كثير من قصائد هذا الديوان :

يا ليتني .. النغم الجسور سرى يعانق مسمعك ..
يا ليتني ألق الصباح يزيح اشباح الدجى كي امنعك ..
يا ضحكة جمدت على ثغر الضحى .. قلبي معك ..
يوما .. سيندلع اللظى نارا تزلزل منبعك ..
وتعب يا عطشان .. فالصبوات كأس اترعك ..
قلبي معك .. « ص ٦٦ ـ ٦٧ »

كما ان الشاعر حريص على استخدام القافية بطريقة صارمة ، فهو لا يتسامح في قافية واحدة ، بل انه ليلتزم القافية الموحدة في عدد من قصائد هذا الديوان برغم انها مكتوبة بطريقة الشعر الحر : « انظر قصائد : كسائر البشر ـ البستان ـ قلبي معك ـ ولهذا اتحدى » .

والواقع ان من مميزات هذا الديوان الحرص على التزام قواعد العروض ، وعدم الخروج عليها ـ باستثناء تنوع عدد تفعيلات كل بيت ـ الا فيما ندر ..

وبعد ، فمما لا شك فيه ان الاستاذ « فتحي سعيد » قد اضاف بهذا الديوان الى رصيدنا من الشعر الجديد اضافة حقيقية ، ولكن هل يعطي هذا الديوان صورة كاملة للشاعر ؟ لا أظن ..

وفي انتظار دواوينه المقبلة حتى تكتمل الصورة ..

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

●

قصص من جوته .. الاقصوصة والحكاية

تأليف يوهان فولفجانج جوته ـ ترجمة وتفسير دكتور عبد الغفار مكاوي ـ قصتان قصيرتان ـ ١٢٨ صفحة ـ سلسلة اقرأ ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة .

لسنوات غير قصيرة اختفى اسم القاص الشاب عبد الغفار مكاوي من حياتنا الادبية وانقطعت كتاباته عن القارىء العربي ، كان صاحبنا في اثنائها يعمل في الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من احدى

الجامعات الالمانية . ومع عودة مكاوي الى بلده منذ وقت قريب ، ادرك الذين يعرفونه ويعلمون مدى اصالته الفنية ، ان الدرجة العلمية التي سعى اليها قاصنا لم تكن هي كل ما حصل عليه في سفره الطويل . وان البعثة لا يمكن ان تشكله كائنا اخر غير الذي كانه ، مثلما فعلت بأديب اخر كان شاعرا لهاكثر من ديوان وسافر في بعثة وعاد ، فاذا به يطلق الشعر ويكفر بأثره ويتحول الى باحث اكاديمي في الادب الشعبي اسمه .. فوزي العنتيل ! عاد عبد الغفار مكاوي اذن وفي جعبته الكثير من الاعمال بين دراسة فلسفية ، وقصة ، وترجمة لروائع الادب العالمي وخاصة لاعمال الشاعر الالماني الكبير يوهان فولفجانج جوته . و(قصص من جوته .. الاقصوصة والحكاية) واحدة من هذه الترجمات ..

وقارىء الاقصوصة والحكاية اللتين يضمهما هذا الكتابليس بحاجة الى اسم جوته ليدرك انهما من اثار شاعر عظيم .. فالطابع الشعري لا يسري في الاخيلة والمظللة لاجواء الاحداث فحسب ، بل يدخل في تركيب الشخوص وامزجتهم وتعتمد عليه الاحداث نفسها . كما ان الفن ذاته قيمة سامية ترفعها كلمات (قصص من جوته) وتؤمن به شخوصها، وهكذا كان عمل الرسام مثلا في (الاقصوصة) خليقا بالحمد . كما ناقش الاديب الالماني قضايا فنية مختلفة ايضا مثل علاقة الفن بالطبيعة « ما من احد يستطيع ان يقول اين تتوقف الطبيعة ، واين يبدأ الفن والصنعة من يد الانسان ؟ » (ص ٨) .

وكذلك كان من اهم القضايا التي تناولها جوته ، قضية الفن والسلام . ـ فيجسد الاديب الكبير قدرة الفن الفذة على اضفاء الامن والسلام على الانسان والحيوان على السواء . فالكائنات البشرية وغير البشرية تتفاعل مع جوهر الفن السامي الذي يبرئها من ضعفها وغلها وحقدها وقسوتها ويكاد ينقلها نقلا الى عهودها الخضراء الاولى اذ كانت في طفولة بريئة حلوة . ولا يقف تأثير الفن في هذا المجال عند هذا الحد ، فجوته يراه ابعد من ذلك كثيرا . فهذه الطفولة او النقاء الخالص الذي تتسامى اليه هذه الكائنات ليس شيئا مجردا ، بل هو يدخل في تركيبها موجها غرائزها مهذبا طباعها وهي تضطرب في الحياة، فلا تتعاطف مع جنسها فحسب بل مع الاجناس الاخرى فيتعاطف الانسان مع الحيوان تعاطفا صادقا ، هذا التعاطف الذي يتجاوز به حدود « السيرك » الذي يتمثل به في هذا الميدان .. وهنا تتحول الالفاظ الى اغنيات حقيقية رقيقة تحاول ان تقرب المسافة بين الارض والسماء

ملائكة الله في موكب
ترفرق صاعدة هابطة
لتنعش ارواحنا بالنغم
وتسعدنا بغناء السماء
الخالد يحكم في الارض
نظرته سادت في البحر ،
الاسد انقلبت حملانا
والموج تراجع للخلف ،
والسنيف المصقول اللامع
امسى يتجمد في الغمد ،
الامل تحقق والدين
وتجلت معجزة الحب
نورا في صلوات المؤمن .

وفي هذا الموضع نحتاج الى وقفة قصيرة يضطرنا اليها جوته نفسه بمستواه الرائع .. لنناقش المستوى الفني وكيف يجب ان يكون . ان قارىء « قصص من جوته » يدرك بوضوح ان هذا الاديب والشاعر الالماني ، يؤمن ايمانا عميقا بالسلام وينعكس هذا الايمان بقوة وصراحة في كلماته . ورغم ذلك فالمتلقي يدرك ايضا ان جوته ليس داعية رخيصا او ممن يحملون الشعارات . وليس في هذا الموقف تناقض او شيء غير مفهوم كما تدل النظرة العجلى ـ او كما علمتنا الثرثرات الهتافية التي زيفت قيمنا الفنية في ايام سابقة ـ كيف ؟ لان هذا الموقف هو موقف كل فنان اصيل ملتزم حقيقة بكل القيم العادلة التي تريد للانسان عالما آهنا واكثر سلاما وحرية وفنا ..

ويسوقنا هذا القول حول الالتزام الى الحديث عن منهج الاديب الكبير ، فمنهج جوته يمكن ان يخدع هنا ايضا هؤلاء الذين يقفون عند السطح لا يعدونه . فجوته يتناول شخصياته من الخارج ، ولكن اي خارج ، انه ليس الخارج المسطح الفقير الذي لا يكاد يقدم شيئا ، بل الخارج ذو الابعاد العميقة الفلسفية التي تريد الوصول الى جوهر الاشياء في الحياة والكون . والتي تنفذ من المؤقت الى الدائم ومن القشرة الى اللب ، ولذلك تكون النظرة الكلية التي تجمع اقرب الاشياء وابعدها في وقت واحد ، والتي تجلو الغامض وتبسط المركب وتجعل من « لغز » الدنيا والعيش امرا مفهوما يمكن تفسيره والاطمئنان اليه .

و (قصص من جوته) تقدم لنا ايضا احد الخطوط الكبيرة التي يقوم عليها فن جوته ، وهو التراث الشعبي الالماني ، فشديد اهتمامه بالفولكلور ينعكس في الكثير مما خط ـ ولعل هذا يفسر جانبا من جوانب ارتياحه الى استلهام الشرق ـ ولا يقتصر على رائعته المشهورة (فاوست) . فالحكاية التي ترجمها د. عبدالغفار مكاوي مثلا ليست الا استيحاء لهذا التراث الالماني العظيم وانفعالا به واضافة له .. ومن المعرض الكبير الذي تقدمه الخرافات الشعبية وتعتمد عليه وتختلف الوانه من بلد لبلد ، تتابع من خلال الاحداث .. الارواح المضيئة الصغيرة المرحة التي تبعث بالبشر ، والقدرة الاسطورية للافعى على السحر ، والحسناء التي تميت الاحياء الذين يقتربون منها وتحيي الموتى الذين تلمسهم ، والمعادن ذات الخصائص النادرة الخ .. وبراعة جوته تبدو في انه لم يجعل كائنات عوالم التراث الشعبي تبتر عن الحياة والناس ، بل جعلها تلون احاسيس الجماهير سواء أكان ذلك في ماضيهم او حاضرهم ..

و (قصص من جوته) تسوقنا الى الحديث عن قضية هامة تعكسها ظاهرة متناقضة ، وتتمثل فيما يغمرنا في السنوات الاخيرة من ميل واضح بل اندفاع ظاهر الى ترسم المذاهب والاتجاهات الادبية والفنية الحديثة سواء اكانت موجات جديدة او تيارات عبث ولا معقول ، ترسما شديدا بلا تعقل اذا صح هذا التعبير . القضية الهامة اذن التي اعنيها هي اصالة الكلاسيكيات التي تشمل القواعد الاساسية في الفن والادب . فالهجوم الاهوج على هذه القواعد كما نفعل لا يعني في الحقيقة تجديدا ، فالتجديد ليس في جوهره الا استيعابا للكلاسيكية وفهما لها واحاطة بها اولا . هذان النصان الكلاسيكيان مثلا اللذان قدمهما عبد الغفار مكاوي عن جوته ، يعكسان بوضوح ثراء القديم الذي يظن البعض منا انه لم يعد يناسب روح العصر لان مكانه بين جدران المتاحف . ثراء يضم لمسات واعماقا انسانية يستشعر احاسيسها قارىء اليوم كما انفعل بها متلقي الامس البعيد الذي كتب له جوته .

واذا كان من المعروف عن د. عبدالغفار مكاوي براعته في الترجمة عن الالمانية ودقته فيها بأسلوب عربي متمكن ، فلن نستكمل في هذه الكلمة السريعة عمله في تقديم اقصوصة وحكاية جوته ، الا بالاشارة الى تفسيره ايضا . فهذا التفسير الدسم الذي الحق بالترجمة لم يكن شيئا هامشيا يمكن الاستغناء عنه ، او يقوم بوظيفة زخرفية فارغة تدعو لعظمة جوته . وانما هودراسة اصيلة من باحثفنان يكاد يتخصص في ترجمة يوهان فولفجانج جوته ودراسته ، تلقي اضواء عميقة نافذة على عملين من اعمال الاديب والشاعر الالماني العظيم ..

المنصورة ـ ج. ع. م

علاء الدين وحيد



مطامع اسرائيل في لبنان

بقلم عبد الوهاب كيالي

في مقالة نشرت في مجلة « فورين افيرز » Foreign Affairs الاميركية في صيف ١٩٦٥ كتب ابا ايبان وزير خارجية «اسرائيل» يقول:

« ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون في المستقبل بالحاح (بالعودة الى حدود ١٩٦٦ او عام ١٩٦٧) تماما كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ تلك الحدود التي رفضوها في الماضي ».

وفي اول اذار من عام ١٩٦٤ نشرت جريدة هابوكر الاسرائيلية تصريحا لبن غوريون قال فيه « ان رقعة الاراضي الاسرائيلية كانت تكون اكثر اتساعا لو ان موشي دايان كان رئيسا لاركان الحرب سنة ١٩٤٨ . (١)

وكان لتصريح بن غوريون هذا ردة فعل قوية لدى العسكريين الصهيونيين وخصوصا المسؤولين منهم عن حرب ١٩٤٨ ، وقد رد بيكال الون قائد قوات « البالماخ » سنة ١٩٤٨ ووزير العمل في اسرائيل حاليا على بن غوريون متهما اياه بكونه المسؤول الاكبر عن توقف الحملات العسكرية الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ وعزا ذلك الى الضغط الاميركي عليه . ومما جاء في رد الون انه « عندما امر رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك (اي بن غوريون) بالتوقف عن القتال ، كانت جيوشنا جميعها على وشك احراز انتصارات باهرة على جميع الجبهات من نهر الليطاني شمالا الى صحراء سيناء جنوبا ، واو سمح لنا آنذاك ببضعة ايام اخرى من القتال لقضينا على الجيوش العربية الدخيلة ولحررنا بلادنا باجمعها . »

ان تهديد ابا ايبان عام ١٩٦٥ يلفت النظر الى دينامية الحركة الصهيونية وتحركها المستمر نحو تحقيق اهدافها التوسعية ، بينما يسترعي قول الون « ولحررنا بلادنا باجمعها » الانتباه والتمحيص على اساس ان حدود اسرائيل التي كانت قائمة عام ١٩٦٤ لا تشكل في حال من الاحوال ما تعتبره « الحركة الصهيونية » « ارض اسرائيل التاريخية » . واهم من ذلك واخطر هو مدى ارتباط القول بالعمل والنوايا بالتنفيذ عند العدو الصهيوني الذي لا يتردد لحظة بتحقيق مآربه العدوانية بشتى الوسائل ولا سيما الوسائل المرتبطة بالقوة والارهاب والغزو .

والسؤال الان هو الى اين تمتد حدود اسرائيل حسب التعريف الصهيوني « لارض الآباء » وما هي الاراضي اللبنانية التي تعتبرها الصهيونية بمثابة ارض اسرائيلية محتلة من قبل « العدو » اللبناني بالتحديد ؟

قبل الحديث التفصيلي المدعوم بالوثائق والحيثيات الدقيقة لا بد من تقديم عرض سريع لاسس التفكير الصهيوني في ما يتعلق باهداف دولة اسرائيل والغرض المقصود من وراء اقامتها ومسألة امتدادها الجغرافي .

يتضح من قراءة محاضر المؤتمرات الصهيونية ومقرراتها وخططها ، ومن نشاط قادة الحركة الصهيونية وافكارهم ومذكراتهم واعمالهم ان العوامل التالية كانت تتحكم بتفكيرهم في ما يتعلق بتعريفهم لامتداد فلسطين الجغرافي .

١ ـ ان اقامة دولة اسرائيل هي الحل المنشود للمشكلة اليهودية في العالم .

٢ ـ ان الدولة اليهودية في اسرائيل هي تعبير عن القومية اليهودية وتجسيد لها ولما كان كل يهودي ينتمي اليها بحكم يهوديته فلا بد لها ان تكون من السعة بحيث تضم جميع ابناء الامة اليهودية .

٣ ـ ان فلسطين هي ارض اليهود الموعودة ويجب ان تشمل جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود والاماكن التي اقامت فيها القبائل العبرية في ماضي الحقب .

٤ ـ ان دولة اسرائيل في فلسطين يجب ان تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والمنعة العسكرية ويجب ان تمتد بحيث تشمل مصادر القوة ، والارض الواسعة ، والمياه الضرورية للزراعة والصناعة ، والمراكز الاستراتيجية التي تضمن السيطرة الدفاعية والهجومية على الاراضي المجاورة .

وهكذا نرى ان الصهيونية استندت في مطالبها بفلسطين وتحديد امتدادها الجغرافي الى الحجج الدينية ـ التاريخية وتأثرت بالنزعة القومية ـ العنصرية والافكار الامبريالية كما انها طالبت بالعمق الاستراتيجي والمدى الزراعي وتوافر عناصر الصناعة في مجال رسمها لحدود دولة اسرائيل قبل قيامها .

يخطىء من يظن ان مشاريع اليهود لاستيطان فلسطين والاراضي المجاورة لها قد ولدت مع بروز الحركة الصهيونية بشكلها التنظيمي عام ١٨٩٧ . ذلك ان مشاريع متعددة كانت قد ظهرت قبل ذلك التاريخ وكانت في جلها تستند الى الحجج الدينية ـ التاريخية ، فما هي هذه المشاريع ؟

لقد لخصت السيدة رشا سلام الخالدي تلك المشاريع في مقالة لها نشرتها جريدة لبنانية تاريخ ١٩ حزيران ١٩٦٥ ، وذلك بعد ان فندت الحجج التوراتية استنادا الى نقطتين هامتين :

١ ـ نزلت النبوءة على سيدنا ابراهيم قبل ان يكون له نسل (سفر التكوين ، الاصحاح الثالث) ، لذلك فهي تشمل « نسله من بعده » كافة بما فيهم العرب من مسيحيين ومسلمين .

٢ ـ ان النبوءة قد تحققت بالنسبة الى اليهود منذ الاف السنين بعد ان اسروا في بابل وعادوا ثانية الى فلسطين .

وتشير السيدة رشا الخالدي في مقالها الى ان مطالبة الصهيونيين بارض الميعاد التوراتية ليست اهم المشاريع التي تطرقت الى بحثها قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية ومن هذه المشاريع :

١ ـ مشروع الرحالة استوري هابرشي في القرن الرابع عشر : تمتد حدود اسرائيل من جبل الاقرع (شمالي اللاذقية) الى مدينة حماه ، ومنها الى قلعة الحصن فدير قانون (شمالي دمشق) فبانياس فبحيرة طبريا بمساواة نهر الاردن نزولا الى البحر الميت فعين قادس فالبحر الابيض المتوسط .

٢ ـ مشروع الحاخام جوزف شوارتز في القرن التاسع عشر : تمتد حدود اسرائيل بموجبه من جبل النورية في رأس شكا جنوبي طربلس ويأخذ منه خطا الى الجديدة تحت مدينة الهرمل ، ثم دير قانون فجبل الشيخ فبانياس فبحيرة الحولة فطبريا بمساواة الاردن الى البحر الميت .

٣ ـ مشروع البحاثتين روبنسون وبورتر في القرن التاسع عشر : من مصب النهر الكبير فوق طرابلس الى حماه نزولا الى الجديدة فالقريتين شمالي شرقي دمشق ، ثم صعودا الى الهرمل ، ونزولا في

(١) كان موشي دايان قد قاد فرقة الفدائيين عام ١٩٤٨ ثم اصبح رئيسا للاركان سنة ١٩٥٣ وقائدا للقوات الاسرائيلية اثناء العدوان الثلاثي على مصر .

منتصف سهل البقاع الى جبل الشيخ الى دان وبمحاذاة الاردن الى البحر الميت .

والواقع انه يمكن ان يضاف الى هذه المشاريع مشروع الحاخام ايزاكس الذي عرضه في كتابه The True Boundaries of the Holy Land المنشور عام ١٩١٧ والذي قدمه الى مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الاولى لكي يعرف العالم « الحدود الحقيقية » لدولة اسرائيل . وتمتد هذه الحدود الحقيقية من جبال طوروس في تركيا وعينتاب فقلعة المضيق الواقعة على الحدود اللبنانية الشمالية فالهرمل والبقاع فبحيرة طبريا فالبحر الميت .

وقد يقول قائل ان هذه الاراء والمشاريع ليست صادرة عن المنظمة الصهيونية العالمية وبالتالي فهي لا تمثل حقيقة رأي قادة اسرائيل والحركة الصهيونية التي عملت على خلق اسرائيل ودعمها بعد اعلان قيام الدولة عام ١٩٤٨ ، فما هي الاراء والمشاريع والمخططات الصادرة عن قادة الحركة الصهيونية وقادة دولة اسرائيل في ما يتعلق بالمطامع التوسعية والامتداد الجغرافي لفلسطين ارضهم « الموعودة » حسب ادعاءاتهم .

٧٠ الف كيلو متر مربع

علينا بادىء بدء ان نشير الى ان الصهيونيين يطلقون تعبير فلسطين على مساحة اكبر من المساحة المتعارف عليها بكثير . فقد ذكر تيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية في مذكراته (الجزء الاول ص ٣٤٢) : « ان الشعار الذي يجب ان نرفعه هو « فلسطين داود وسليمان » . وفي مكان آخر من مذكراته (الجزء الثاني ص ٦٠٢) يقول في ملاحظة سجلها حول محادثاته الاولى مع السلطات العثمانية للحصول على فلسطين كوطن قومي لليهود : « ان الحكومة التركية طلبت ٤٠ مليون فرنك وعرضت ان تعطينا بالمقابل امتياز خط حديدي بين البحر المتوسط والخليج الفارسي بالاضافة الى حق اقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها ٧٠ الف كيلو متر مربع »

والنتيجة المنطقية لمثل هذا الكلام هي ان يتصور القارىء ان مساحة فلسطين اكثر من ٧٠ الف كيلو متر مربع بكثير ، علما بان مساحة فلسطين ايام الانتداب البريطاني لم تتجاوز ٢٦ الف كيلو متر مربع . ومن هنا كان مبرر قولنا ان هرتسل يطلق اسم فلسطين على ارض واسعة تفوق مساحة فلسطين المعروفة . ومع ذلك فان هرتسل كان يتوخى الغموض المقصود لاسباب تكتيكية وقد اظهر ذلك بجلاء في مذكراته عندما دون ما دار في مقابلة تمت بينه وبين مستشار الامبراطور الالماني الامير هوهنلو ، ما يلي :

« وسألني ايضا عن الارض التي نريد وما اذا كانت تمتد شمالا حتى بيروت او ابعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه . تزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد عدد المهاجرين اليهود » . (الجزء الثاني ص ٧٠١ ــ ٧٠٢) . الا ان هرتسل سرعان ما انتقل من التلميح فكتب بعد ايام من هذه المحادثة يقول :

« المساحة : من نهر مصر الى الفرات . لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهوديا .. وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الادارة اليهودية نفسها سياسيا » (المصدر نفسه ص ٧١١) .

وبعد موت هرتسل تابع زعماء الحركة الصهيونية اهتمامهم الحيوي في ما يتعلق بامتداد رقعة دولتهم المنشودة . وفي مجال شرحه للاجواء السائدة داخل الحركة الصهيونية يكشف حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني المعروف الاطماع الصهيونية الصريحة في لبنان وسوريا اذ يقول :

« وحتى مطلع عام ١٩١٧ كانت القيادة الصهيونية واقعة تحت الوهم الساذج بان فرنسا ليست مهتمة بالبلاد الواقعة الى جنوب بيروت ودمشق وانه بامكان الصهيونية الحصول على هذه المنطقة برمتها ضمن الوطن القومي اليهودي » . (فريسكوس رعنان « حدود وطن » ص ٧٨) .

الواقع هو انه في الوقت الذي كان الصهاينة متفقين حول ضرورة الحصول على امتداد جغرافي واسع لفلسطين في « ارض اسرائيل » فان حدود هذا الامتداد لم تكن محددة بدقة ولم يكن هناك اي اجماع حول هذه المسألة. ولم يكن من قبيل الصدف ان تنصب نشرة «فلسطين» الناطقة بلسان لجنة فلسطين البريطانية ــ وهي مؤسسة صهيونية ــ مسألة حدود فلسطين كما تريدها الحركة الصهيونية وذلك قبل صدور وعد بلفور في تشرين الثاني ١٩١٧ وبعده مباشرة .

حدود فلسطين : ارث القبائل اليهودية

في ١٥ شباط عام ١٩١٧ نشرت « فلسطين » المشار اليها مقالا بعنوان « حدود فلسطين » جاء فيه :

« ان الحدود التي نريد ان نتكلم عنها هي حدود فلسطين المستقبل . ان الارض اللازمة تشمل ارث قبائل اسرائيل الاثنتي عشرة ايام التوراة ، بالاضافة الى الامتدادات الضرورية للحفاظ على وحدة الارض وسلامتها .

الحد الغربي هو البحر الابيض المتوسط . اما الحد الشرقي فهو حدود الارض التي كانت تملكها قبائل اسرائيل الممتدة من الشاطىء في شمال صيدا بخط مستقيم الى نقطة تساقط شلالات نهر الاعوج في



بحيرة الهيجانة الى الجنوب من جنوب شرق دمشق الخ » . ثم ينتقل المقال الى معالجة مسألة الدفاع عن فلسطين « التي تتطلب حماية فعالة على الحدود » فيقول :

« ان الحد الاستراتيجي الطبيعي الوحيد هو القطاع الضيق الذي يقع في الشمال ، من صيدا الى اقصى الحد الجنوبي للبنان . والحد الطبيعي الاخر هو وادي البقاع في حال حيازة الاطراف الجنوبية للبنان ، وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبي لهذا الوادي » .

وهنا لا بد من شرح اشارة وردت تناولت الحدود الشمالية « من صيدا الى اقصى الحد الجنوبي للبنان » اذ قد يفوت القارىء المعنى الدقيق الذي تنطوي عليه هذه الجملة . فالمقال المشار اليه نشر في مطلع عام ١٩١٧ اي عندما كانت البلاد خاضعة للتقسيمات الادارية العثمانية ، حيث كانت صيدا والاراضي التي فيها ونقطة مصب نهر الليطاني خارجة عن نطاق الاراضي اللبنانية ، ضمن منطقة سنجق عكا . وقد يسأل سائل ما هي اهمية هذه الوثيقة ، وما هو مدى تعبيرها عن حقيقة مطالب الصهيونية في تلك الفترة وما هي غاية الصهيونية من نشرها آنذاك ؟

ان مفتاح الجواب هنا يكمن في تحرك الصهيونية الشامل للتأثير على الحكومة البريطانية ومحاولة الحصول على اكبر رقعة من الارض المجاورة لفلسطين في الوقت الذي كانت بريطانيا ترسم حدود المنطقة من جديد على ضوء الاعتبارات الاستراتيجية (قناة السويس ـ طريق الهند) وابعاد فرنسا عن هذه المواقع ، وعلى ضوء بروز الصهيونية كحليف مقيم في المنطقة . كما علينا الانسى ان ١٩١٧ كان عام الهجوم البريطاني على فلسطين وعام التحضير لاعلان بلفور الذي منح اليهود وطنا قوميا في فلسطين .

في الخامس من ايار ١٩١٧ تابعت نشرة « فلسطين » الصهيونية الرسمية معالجتها لحدود فلسطين لترد هذه المرة على ما نشرته جريدة « كوريري ديلا سيرا » الايطالية حول اتفاق بريطانيا وفرنسا على الحدود الشمالية (لبنان) فكتبت تحت عنوان « لا تقسيم » تقول : « ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين القديمة يمكن ان يحوز موافقة اليهود وان ينسجم مع امانيهم القومية » .

واعادت النشرة التركيز على الحدود التي اشرنا اليها وشددت على ضرورة توافر العوامل التالية في الارض التي ستعطى لليهود .

١ ـ سهولة الدفاع .

٢ ـ مساحة كافية للتوسع الاقتصادي .

٣ ـ شمول جميع المناطق التي قد تشكل مصدرا للمتاعب في المستقبل .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ حصل اليهود على وعد بلفور المعروف دون ان تكون الحكومة البريطانية قد اقرت حدودا معينة لفلسطين . وهكذا بدأت اللجنة الاستشارية لفلسطين ـ وهي لجنة بريطانية كانت تضم معظم الشخصيات الصهيونية ـ عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ وقد قدمت هذه اللجنة مقترحاتها « استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية » على الشكل التالي :

في الشمال ، نهر الليطاني الى بانياس على مقربة من منابع نهر الاردن ثم في اتجاه جنوبي شرقي الى نقطة جنوبية قريبة من دمشق ، والخط الحديدي الحجازي .

في الشرق ، غربي الخط الحديدي الحجازي .

في الجنوب ، تمتد الحدود الى نقطة قريبة من العقبةوالعريش .

ومعنى ذلك ان تشمل فلسطين الجليل الاعلى ، منابع الليطاني والاردن ، وحوران ودمشق واجزاء من سيناء .

وفي ١٨ حزيران نشرت « فلسطين » مقالة كتبها دافيد بن غوريون واسحق بن زفي (الاول تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية مدة طويلة ، اما الثاني فتولى رئاسة الدولة الصهيونية بعد موت وايزمن) تحت عنوان « حدود فلسطين ومساحتها » (وهي منقولة عن كتاب للمؤلفين صدر « باليديشية » لهجة عبرانية ـ المانية) . جاء فيها ،

« يحد فلسطين غربا البحر الابيض المتوسط وفي الشمال جبل لبنان وفي الشرق الصحراء السورية (صحراء الشام) وفي الجنوب شبه جزيرة سيناء ، هذه هي الحدود التي حددتها الطبيعة لفلسطين . وبكلمات اخرى تضم فلسطين النقب برمته واليهودية والسامرة والجليل وسنجق وحوران وسنجق الكرك وجزءا من سنجق دمشق اي اقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيا » .

المطامع في لبنان الجنوبي

وفي المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام عام ١٩١٩ نجد ان المطامع الصهيونية التوسعية في لبنان الجنوبي تحتل المكان الاول في مطالب الصهيونية ومخططاتها . تقول المذكرة :

« ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي :

تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير ، وتتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ » .

وشرحت المذكرة الاسباب الموجبة لهذه الحدود :

« ان الحياة الاقتصادية في فلسطين تعتمد على مصادر المياه المتوافرة ومن الاهمية الحيوية بمكان ان تضمن فلسطين استمرار تدفق المياه التي تروي البلاد حاليا وان تتمكن ايضا من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعها » .

وفي احدى مسودات المذكرة التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام طالب هيربرت صموئيل (احد اقطاب السياسيين البريطانيين واول مندوب سام عينته بريطانيا في فلسطين المنتدبة ، وهو يهودي صهيوني) بادخال كلتا ضفتي نهر الليطاني والحد الشمالي الاعلى لمنابع نهر الاردن قرب راشيا ضمن حدود الوطن القومي اليهودي (رعنان ص ١٠٥) .

... الى ضواحي مدينة بيروت

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ اقترحت نشرة « فلسطين » الناطقة بلسان الحركة الصهيونية مد الحدود الى شمال صيدا وادخال مدينة صيدون القديمة ضمن اراضي الوطن القومي اليهودي فيشمل الساحل الفلسطيني بذلك ضواحي مدينة بيروت .

وفي ٦ كانون الاول ١٩١٩ حددت زعامة الحركة الصهيونية اطماعها بلبنان الجنوبي على الشكل التالي :

« ان الحقيقة الاساسية في ما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الاردن وثلوج جبل الشيخ » .

حديقة صغيرة : لا !

وفي اجتماع هام حضره فرانكفورتر (وهو صهيوني اميركي

كان يتمتع بنفوذ لدى الرئيس ولسون) والقاضي براندیس وبلفور صاحب « الوعد » المعروف واللورد بيرسي ، جرى حديث حول الشروط الضرورية لتحقيق البرنامج الصهيوني في فلسطين . وقد وجد المجتمعون ان هناك ثلاثة شروط اساسية هي :

« اولا ـ ان فلسطين يجب ان تكون الوطن القومي لليهود لا ان يكون لليهود وطن قومي في فلسطين وحسب .

ثانيا ـ يجب توفير مجال اقتصادي رحب لفلسطين اليهودية واكتفاء ذاتي وحياة اجتماعية صحية . وهذا يعني حدودا مناسبة لا مجرد حديقة صغيرة في فلسطين ويعني ذلك السيطرة على المياه في الشمال » .

(وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩ ، الجزء الرابع عدد ١٩٧ المادة الثالثة ص ١٢٧٦) .

معارضة فرنسية ضد التوسع

وبعدما توصلت بريطانيا الى اتفاق مع فرنسا حول الحدود بين مناطق الانتداب التابعة لكل منهما ابدى زعماء الحركة الصهيونية سخطهم على هذا الاتفاق الذي « افقدهم » الليطاني والاردن الاعلى وجبل الشيخ وحوران وحاولوا جهدهم تغيير الحدود سلميا عن طريق اقامة جاليات في لبنان وسوريا . لكن هذه المحاولات وجدت معارضة من السلطات الفرنسية . وقد صرح دي جوفينال في ما بعد « بانه يوافق على اسكان المهاجرين اليهود بالقرب من الفرات او في اي مكان في سوريا ما عدا الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية لانه يخشى المطامع التوسعية الصهيونية » (رعنان ص ١٣٩) .

بيد ان الحركة الصهيونية لم تيأس ولم تنثن عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه قبيل قيام دولة اسرائيل وبعد قيامها . ولعل ما جاء في احدى الصحف اللبنانية عام ١٩٤٠ يكشف نيات الحركة الصهيونية واهدافها التوسعية في لبنان مما يغني عن الشرح والتعليق :

« رجل في فلسطين واخرى في لبنان

الصهيونيون يشنون على لبنان غزوا صامتا .

كنا نعتقد ان تخوف الحكومة وتحفظ مجلس النواب من خطر الصهيونية على لبنان هما مجرد تحذير وتحوط اكثر مما هما من الامور الواقعية البارزة .

والواقع ان هذا الخطر قد ذر قرنه منذ امد ، غير ان المسؤولين تجنبوا اظهاره كما هو لئلا يثيروا الخواطر في وقت تحتاج البلاد الى هدوء لاجتياز المراحل المتشابكة التي تعانيها .

فقد اتصل بنا عن ثقة ان جماعات من الصهيونيين في فلسطين شرعت منذ مدة في اجتياز الحدود الى لبنان خلسة تحت ستار الكتمان وبواسطة سماسرة ماهرين في دلهم على الطريق !

وقد تكاثر جموع الغازين منهم على مختلف نقاط الحدود فتوزعوا بين العاصمة ومدن المحافظات . ولا نعلم اذا كان المقصود بهذه الحركة فسح المجال للاجئين الجدد الى فلسطين ام التوطن في لبنان عن طريق مشترى الاراضي والعقارات لتوسيع الوطن الصهيوني على ظهر لبنان ».

نهتم بالاردن ومنابعه

ان هذه الاطماع والمحاولات ازدادت جدية بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . ومع ان الحركة الصهيونية حاولت التزام الغموض والحذر في موضوع الكشف عن النيات والمخططات التوسعية فقد كتب ابا ايبان احد الرسميين الاسرائيليين آنذاك ووزير خارجية اسرائيل الحالي في مطلع ايار ١٩٥١ ، وفي معرض نفي وجود نيات توسعية اسرائيلية على حساب البلاد العربية المجاورة يقول :

« لسنا من المهتمين بالنيل والفرات لكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام » .

(صحيفة جيروزالم بوست عدد ٢ ايار ١٩٥١) .

مشروع قتن : مياه الليطاني

وفي عام ١٩٥٤ نشرت الحكومة الاسرائيلية « مشروع قتن » ضمن مشاريعها المائية الرسمية ، وقد تضمن جر مياه نهر الليطاني الذي ينبع ويجري ويصب في الاراضي اللبنانية (راجع «مشكلة مياه الاردن» نشر جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الاميركية ،واشنطن ١٩٦٤ ص ٧١)

وفي مطلع ١٩٥٥ نشرت مجلة « ميدل ايسترن افيرز » الاميركية الصهيونية مقالا جاء فيه :

« كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب لا يمكن ان تتحقق بدون مياه الليطاني » . وليس من شك في ان اهداف اسرائيل في استقدام اعداد جديدة من المهاجرين اليهود واعمار النقب وتحقيق منعة عسكرية استراتيجية تفرض علينا اخذ المطامع والمخططات الصهيونية التوسعية على محمل الجد . فهذه المطامع والاقوال نابعة من صميم العقيدة الصهيونية ومن صلب الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية ، كما انها تعكس حاجات الواقع الاسرائيلي من الناحيتين العسكرية والاقتصادية . ومن يتابع تاريخ الصهيونية واسرائيل في المنطقة يدرك مدى خطورة مطامعها ومدى استماتتها في معرض تحقيق سبل بقاء الكيان الاسرائيلي الغاصب . ولا بد في هذه المناسبة من القول ان اسرائيل قد اعتادت اتباع اسلوب الغدر والمباغتة ولم ينفع الاردن مثلا جميع التطمينات الاميركية اذ ان هذه التطمينات لم تحل دون وقوع الاعتداءات الصهيونية المتكررة .

ان سجل اسرائيل العدواني ـ التوسعي في المنطقة لا يترك مجالا للشك بان مطامع اسرائيل التوسعية هي اكثر من مجرد احلام وتطلعات : انها مخططات جاهزة للتنفيذ ، وهي اعمال وهجمات يدافع عنها الصهاينة بعد الاقدام عليها ، وهي تقطع الشك باليقين ولا تدع مجالا للتردد في تهيئة القوى والاستعدادات كافة لمواجهتها .

عبد الوهاب كيالي

صدرت حديثا رائعة الشاعر

فارس سعد

طوفان النور

ملحمة في اثني عشر نشيدا

منشورات عويدات ـ بيروت